الملك لله دخل في حفظ عبده
الحاجي بشير آغاء دار السعادة
التريقيل لسنة ثمان وخمسين
وماية وألف

هذه النسخة الجليلة والمجلة الجميلة من وقف حضرت مولانا صاحب الخيرات الحسان
ساحب ذيل الجود والإحسان منور مصابيح المقاصد بأنوار العناية
مفتح معاقد المراصد بمفتاح الكفاية جامع محاسن العلم والعمل حائز مجامع البر
الأكمل الا وهو آغا دار السعادة الحاج بشير ضاعف الله للخير المزيد والبر الكثير
من هو على كل شيء قدير حرره الفقير الله سبحانه وتعالى
محمد المفتش بأوقاف الحرمين المحترمين

عفي له

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المنزه بذاته عن اشارة الاوهام المقدس بصفاته عن ادراك العقول والافهام المتصف بالالوهية قبل كل موجود الباقي بنعت السرمدية بعد كل محدود الملك الذي طمست سبحات جلاله الابصار المتكبر الذي ازاحت سطوات كبريائه الافكار القديم الذي تعالى عن مماثلة الحدثان العظيم الذي تنزه عن مماسة المكان المتعالي عن مضاهات الاجسام ومشابهة الاجرام القادر الذي لا يشار اليه بالكيف القاهر الذي لا يسال عن التحمل والتكليف العليم الذي خلق الانسان وعلمه البيان الحكيم الذي نزل القران شفاء للارواح والابدان والصلوة والسلام على المشتمل من اروية البلاغة والبراعة المحتل في بحبوحة الفصاحة والنصاحة محمد المبعوث الى خليقته الداعي الى الحق وطريقته صلى الله عليه وعلى اله وشيعته وعلى الاخذين بهديه وشريعته قال مولانا الشيخ الامام المعظم والحبر الهمام المقدم استاد اهل الارض محيي السنة والفرض كشاف حقائق انوار التنزيل مفتاح اسرار دقائق التاويل ترجمان كلام الرحمن صاحب علمي المعاني والبيان الجامع بين الاصول والفروع المرجوع اليه في المعقول والمسموع حافظ الملة والدين شيخ الاسلام والمسلمين وارث علوم الانبياء والمرسلين اكمل فحول المجتهدين قدوة قروم المحققين ذو السعادات والكرامات ابو البركات عبد الله بن احمد بن محمود النسفي متع الله الاسلام بطول بقائه والمسلمين بيمن لقائه قد سالني من تتعين اجابته كتابا وسطا في التاويلات جامعا لوجوه الاعراب والقراءات متضمنا لدقائق علم البديع والاشارات حاليا باقاويل اهل السنة والجماعة خاليا عن اباطيل اهل البدع والضلالة ليس بالطويل الممل ولا بالقصير المخل وكنت اقدم فيه رجلا واؤخر اخرى استقصارا لقوة البشر عن درك هذا الوطر واخذا بسبيل الحذر عن ركوب متن الخطر حتى شرعت فيه بتوفيق الله تعالى والعوائق كثيرة واتممته في مدة يسيرة وسميته بمدارك التنزيل وحقائق التاويل وهو الميسر لكل عسير وهو على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير

سورة فاتحة الكتاب مكية وقيل مدنية والاصح انها مكية ومدنية نزلت بمكة حين فرضت الصلوة ثم نزلت بالمدينة حين حولت القبلة الى الكعبة وتسمى ام القران للحديث وهو قوله عليه الصلوة والسلام الفاتحة ام القران ولاشتمالها على المعاني التي في القران وسورة الوافية والكافية لذلك وسورة الكنز لقوله عليه الصلوة والسلام حاكيا عن الله تعالى فاتحة الكتاب كنز من كنوز عرشي وسورة الشفاء والشافية لقوله عليه الصلوة والسلام فاتحة الكتاب شفاء من كل داء وسورة المثاني لانها تثنى في كل صلوة وسورة الصلوة لما روي ولانها تكون واجبة او فريضة وسورة الحمد وسورة الاساس فانها اساس القران قال ابن عباس رضي الله عنهما اذا اعتللت او اشتكيت فعليك بالاساس واياتها سبع بالاتفاق وسورة الحمد لما فيها من الحمد

بسم الله الرحمن الرحيم

قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها على ان التسمية ليست باية من الفاتحة ولا من غيرها من السور وانما كتبت للفصل والتبرك للابتداء بها وهو مذهب ابي حنيفة رحمه الله ومن تابعه رحمهم الله ولذا لا يجهر بها عندهم في الصلوة وقراء مكة والكوفة على انها اية من الفاتحة ومن كل سورة وعليه الشافعي واصحابه رحمهم الله ولذا يجهرون بها فيها وقالوا قد اثبتها في المصحف مع الامر بتجريد القران وعن ابن عباس رضي الله عنهما من تركها فقد ترك مائة واربع عشرة اية من كتاب الله تعالى ولنا حديث ابي هريرة رضي الله عنه قال سمعت النبي عليه الصلوة والسلام يقول قال الله تعالى قسمت الصلوة اي الفاتحة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سال فاذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله تعالى حمدني عبدي واذا قال الرحمن الرحيم قال الله تعالى اثنى علي عبدي واذا قال مالك يوم الدين قال مجدني عبدي واذا قال اياك نعبد واياك نستعين قال هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سال فاذا قال اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال الله تعالى هذا لعبدي ولعبدي ما سال فالابتداء بقوله الحمد لله دليل على ان التسمية ليست من الفاتحة فاذا لم تكن من الفاتحة لا تكون من غيرها اجماعا والحديث مذكور

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المنزه بذاته عن اشارة الاوهام، المقدس بصفاته عن ادراك العقول والافهام، المتصف بالوحدانية قبل كل موجود، الباقي بنعت الفردية بعد كل محدود، الملك الذي طمست سبحات جلاله الابصار، المتكبر الذي ازاحت سطوات كبريائه الافكار، القديم الذي تعالى عن مماثلة الحدثان، العظيم الذي تنزه عن مماسة المكان، المتعالي عن مضاهات الاجسام ومشابهة الانام، القادر الذي لا يشار اليه بالكيف، القاهر الذي لا يسال عن التحميل والتكليف، العليم الذي خلق الانسان وعلمه البيان، الحكيم الذي نزل القران شفاء للارواح والابدان، والصلوة والسلام على المتكلل من اروية البلاغة والبراعة، المحتل في بحبوحة الفصاحة والنصاحة محمد المبعوث الى خليقته، الداعي الى الحق وطريقته صلى الله عليه وعلى اله وشيعته وعلى الاخذين بهديه وشريعته، قال مولانا الشيخ الامام المعظم والحبر الهمام المقدم استاد اهل الارض محيي السنة والفرض، كشاف حقائق انوار التنزيل، فتاح اسرار دقائق التاويل، ترجمان كلام الرحمن، صاحب علمي المعاني والبيان، الجامع بين الاصول والفروع، المرجوع اليه في المعقول والمسموع، حافظ الملة والدين، شيخ الاسلام والمسلمين، وارث علوم الانبياء والمرسلين، اكمل فحول المجتهدين، قدوة قروم المحققين، ذو السعادات والكرامات ابو البركات عبد الله بن احمد بن محمود النسفي متع الله الاسلام بطول بقائه والمسلمين بيمن لقائه، قد سالني من تتعين اجابته كتابا وسطا في التاويلات جامعا لوجوه الاعراب والقراءات متضمنا لدقائق علم البديع والاشارات حاليا باقاويل اهل السنة والجماعة خاليا عن اباطيل اهل البدع والضلالة ليس بالطويل الممل ولا بالقصير المخل وكنت اقدم فيه رجلا واؤخر اخرى استقصارا لقوة البشرية عن درك هذا الوطر واخذا بسبيل الحذر عن ركوب متن الخطر حتى شرعت فيه بتوفيق الله تعالى والعوائق كثيرة واتممته في مدة يسيرة وسميته بمدارك التنزيل وحقائق التاويل وهو الميسر لكل عسير وهو على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير

سورة فاتحة الكتاب مكية وقيل مدنية والاصح انها مكية ومدنية نزلت بمكة حين فرضت الصلوة ثم نزلت بالمدينة حين حولت القبلة الى الكعبة وتسمى ام القران للحديث وهو قوله عليه الصلوة والسلام الفاتحة ام القران ولاشتمالها على المعاني التي في القران وسورة الوافية والكافية لذلك وسورة الكنز لقوله عليه الصلوة والسلام حاكيا عن الله تعالى فاتحة الكتاب كنز من كنوز عرشي وسورة الشفاء والشافية لقوله عليه الصلوة والسلام فاتحة الكتاب شفاء من كل داء وسورة المثاني لانها تثنى في كل صلوة وسورة الصلوة لما روي ولانها تكون واجبة او فريضة وسورة الحمد والاساس فانها اساس القران قال ابن عباس رضي الله عنهما اذا اعتللت او اشتكيت فعليك بالاساس وايها سبع بالاتفاق وسورة الحمد لما فيها من الحمد **وآيها سبع بالاتفاق**

بسم الله الرحمن الرحيم

قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها على ان التسمية ليست باية من الفاتحة ولا من غيرها من السور وانما كتبت للفصل والتبرك للابتداء بها وهو مذهب ابي حنيفة رحمه الله ومن تابعه رحمهم الله ولذا لا يجهر بها عندهم في الصلوة وقراء مكة والكوفة على انها اية من الفاتحة ومن كل سورة وعليه الشافعي واصحابه رحمهم الله ولذا يجهرون بها فيها وقالوا قد اثبتها في المصحف مع الامر بتجريد القران وعن ابن عباس رضي الله عنهما من تركها فقد ترك مائة واربع عشرة اية من كتاب الله تعالى ولنا حديث ابي هريرة رضي الله عنه قال سمعت النبي عليه الصلوة والسلام يقول قال الله تعالى قسمت الصلوة اي الفاتحة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سال فاذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله تعالى حمدني عبدي واذا قال الرحمن الرحيم قال الله تعالى اثنى علي عبدي واذا قال مالك يوم الدين قال مجدني عبدي واذا قال اياك نعبد واياك نستعين قال هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سال فاذا قال اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال الله تعالى هذا لعبدي ولعبدي ما سال فالابتداء بقوله الحمد لله دليل على ان التسمية ليست من الفاتحة واذا لم تكن من الفاتحة لا تكون من غيرها اجماعا والحديث مذكور

في صحاح المصابيح وما ذكروا ايضا لان التسمية اية من القران انزلت للفصل بين السور عند نا ذكره
فخر الاسلام في المبسوط وانما يرد علينا ان لو لم نجعلها اية من القرآن وتمام تقريره في الكافي وتعلقت
الباء بمحذوف تقديره بسم الله اقرا او اتلو لان الذي يتلو التسمية مقروّ به كما ان المسافر
اذا حلّ او ارتحل فقال بسم الله والبركات كان المعنى بسم الله احلّ وبسم الله ارتحل وكذا
الذابح او كل فاعل يبدأ في فعله ببسم الله كان مضمرا ما جعل التسمية مبدأً له وانما قدّر المحذوف
متاخرا لان الاهم من الفعل والمتعلق به هو المتعلق به وكانوا يبدؤن باسماء آلهتهم فيقولون
باسم اللات وباسم العزى فوجب ان يقصد الموحد معنى اختصاص اسم الله عز وجل بالابتداء وذا
بتقديمه وتاخير الفعل وانما قدّم الفعل في اقرأ باسم ربك لانها اول سورة نزلت في قول فكان
الامر بالقراءة اهمّ فكان تقديم الفعل اوقع ويجوز ان يحمل اقرأ على معنى افعل القراءة وحققها
كقولهم فلان يعطي ويمنع غير متعدي الى المفعول به وان يكون باسم ربك مفعول اقرأ الذي
بعده واسم الله تعالى يتعلق بالقراءة تعلّق الدهن بالانبات في قوله تعالى تنبت بالدهن على معنى
متبركا باسم الله اقرأ وفيه تعليم عباده كيف يتبركون باسمه وكيف يعظمونه وبنيت الباء
على الكسر لانها تلازم الحرفية والجر فكسرت ليشابه حركتها عملها والاسم من الاسماء التي بنوا اوائلها
على السكون كالابن والابنة وغيرهما فاذا انطقوا بها مبتدئين زادوا همزة تفاديا عن الابتداء
بالساكن واذا وقعت في الدرج لم يفتقر الى زيادة شيء ومنهم من لم يزدها واستغنى عنها
بتحريك الساكن فقال سِم وسُم وهو من الاسماء المحذوفة الاعجاز كيد ودم واصله سِمْو
بدليل تصريفه كاسماء وسُمي وسمّيت واشتقاقه من السمو وهو الرفعة لان التسمية تنويه
بالمسمى واشادة بذكره وحُذفت الالف في الخط ههنا واثبت في قوله اقرأ باسم ربك لانه
اجتمع فيها مع انها تسقط في اللفظ كثرة الاستعمال وطولت الباء عوضا من حذفها وقال عمر
بن عبد العزيز لكاتبه طوّل الباء واظهر السينات ودوّر الميم والله اصله الاله ونظيره الناس اصله
الاناس فحذفت الهمزة وعوّض منها حرف التعريف والاله من اسماء الاجناس يقع على كل معبود بحق
او باطل ثم غُلّب على المعبود بالحق كما ان النجم اسم لكل كوكب ثم غلب على الثريا واما الله بحذف الهمزة
فمختص بالمعبود بالحق لم يطلق على غيره وهو اسم غير صفة لانك تصفه ولا تصف به لا تقول

فان قلت فلم حذفت الالف في الخط واثبت في قوله باسم ربك قلت قد اتبعوا في حذفها حكم الدرج دون الابتداء الذي عليه وضع الخط لكثرة الاستعمال كشاف

شيء اله كما لا تقول شيء رجل وتقول اله واحد صمد وكان صفاته تعالى لا بد لها من موصوف تجري عليه فلو
جعلتها كلها صفات لبقيت غير جارية على اسم موصوف بها وذا لا يجوز ولا اشتقاق لهذا الاسم عند
الخليل والزجاج ومحمد بن الحسن والحسين بن الفضل وقيل معنى الاشتقاق ان ينتظم الصيغتين
فصاعدا معنى واحد وصيغة هذا الاسم وصيغة قولهم اله اذا تحيّر ينتظمهما معنى التحير والدهشة
وذلك لان الاوهام تتحير في معرفة المعبود وتدهش الفطن ولذا كثر الضلال وفشا الباطل وقلّ
النظر الصحيح وقيل هو من قولهم اله يأله الهة اذا عبد فهو مصدر بمعنى مألوه اي معبود كقوله
تعالى هذا خلق الله اي مخلوقه ويفخّم لامه اذا كان قبلها فتحة او ضمة وترقّق اذا كان قبلها كسرة
ومنهم من يرققها بكل حال ومنهم من يفخم بكل حال والجمهور على الاول والرحمن فعلان من رحم وهو
الذي وسعت رحمته كل شيء كغضبان من غضب وهو الممتلئ غضبا وكذا الرحيم فعيل منه كمريض
من مرض وفي الرحمن من المبالغة ما ليس في الرحيم لان فيه زيادة واحدة وفي الرحمن زيادتين و
زيادة اللفظ تدل على زيادة المعنى ولذا جاء في الدعاء يا رحمن الدنيا لانه يعم المؤمن والكافر ورحيم
الآخرة لانه يخص المؤمن وقالوا الرحمن خاص تسمية لانه لا يوصف به غيره عام معنى لما بينا والرحيم
بعكسه لانه يوصف به غيره ويخص المؤمنين ولذا قدّم الرحمن وان كان ابلغ والقياس الترقي من
الادنى الى الاعلى يقال فلان عالم نحرير لانه كالعلم لما لم يوصف به غير الله ورحمة الله انعامه على
عباده واصلها العطف واما قول الشاعر في مسيلمة وانت غيث الورى لا زلت رحمانا فباب
من تعنتهم في كفرهم ورحمن غير منصرف عند من زعم ان الشرط انتفاء فعلانة اذ ليس له فعلانة
ومن زعم ان الشرط وجود فعلى صرف اذ ليس له فعلى والاول الوجه الحمد الوصف بالجميل على جهة
التفضيل وهو رفع بالابتداء واصله النصب وقد قرئ به باضمار فعله على انه من المصادر المنصوبة
بافعال مضمرة في معنى الاخبار كقولهم شكرا وكفرا والعدول من النصب الى الرفع للدلالة على ثبات
المعنى واستقراره والخبر لله واللام يتعلق بمحذوف اي واجب او ثابت وقيل الحمد والمدح اخوان
وهو الثناء والنداء على الجميل من نعمة وغيرها تقول حمدت الرجل على انعامه وحمدته على شجاعته
وحسبه واما الشكر فعلى النعمة خاصة وهو بالقلب واللسان والجوارح قال الشاعر افادتكم النعماء
مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا والحمد باللسان وحده فهو احدى شعب الشكر ومنه الحديث

وفي الرحمن من المبالغة ما ليس في الرحيم ولذلك قالوا رحمن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا كشاف

الحمد راس الشكر ما شكر الله عبد لم يحمده وجعله راس الشكر لان ذكر النعمة باللسان اشيع لها من الاعتقاد

واداب الجوارح لخفاء عمل القلب وما في عمل الجوارح من الاحتمال ونقيض الحمد الذم ونقيض الشكر

الكفران وقيل المدح ثناء علي ما هو له من اوصاف الكمال ككونه باقيا قادرا عالما ابديا ازليا والشكر

ثناء علي ما هو منه من اصناف الافضال والحمد يشملهما والالف واللام فيه للاستغراق عندنا خلافا

للمعتزلة ولذا قرن باسم الله لانه اسم ذات يستجمع صفات الكمال وهو بناء علي مسئلة خلق الاعمال

وقد حققته في مواضع رب العالمين الرب المالك ومنه قول صفوان لابي سفيان لان يربني رجل

من قريش احب الي من ان يربني رجل من هوازن تقول ربه يربه فهو رب ويجوز ان يكون وصفا

بالمصدر للمبالغة كما وصف بالعدل ولم يطلقوا الرب الا في الله وحده وهو في غيره مع التقييد

انه ربي ارجع الي ربك وقال الواسطي هو الخالق ابتداء والمربي غذاء والغافر انتهاء وهو اسم

الله الاعظم والعالم كل ما علم به الخالق من الاجسام والجواهر والاعراض او كل موجود سوي الله

تعالي سمي به لانه علم علي وجوده وانما جمع بالواو والنون مع انه يختص بصفات العقلاء او ما

في حكمها من الاعلام لما فيه من معني الوصفية وهي الدلالة علي معني العلم الرحمن الرحيم ذكرهما قدم

وهو دليل علي ان التسمية ليست من الفاتحة اذ لو كانت منها لما اعادهما لخلو الاعادة من الافادة

مالك عاصم وعلي ملك غيرهما وهو الاختيار عند البعض لاستغنائه عن الاضافة ولقوله لمن

الملك اليوم لله الخ ولان كل ملك مالك وليس كل مالك ملكا ولان امر الملك ينفذ علي المالك دون

عكسه وقيل المالك اكثر ثوابا لانه اكثر حرفا وقرا ابو حنيفة والحسن رحمهما الله ملك يوم الدين

اي يوم الجزاء ويقال كما تدين تدان اي كما تفعل تجازي وهذه اضافة اسم الفاعل الي الظرف علي

طريق الاتساع كقولهم يا سارق الليلة اهل الدار اي مالك الامر كله يوم الدين والتخصيص بيوم الدين

لان الامر فيه لله وحده وانما ساغ وقوعه صفة للمعرفة مع ان اضافة اسم الفاعل اضافة

غير حقيقية لانه اريد به الاستمرار فكانت حقيقية فساغ ان يكون صفة للمعرفة وهذه الاوصاف

التي اجريت علي الله تعالي من كونه ربا اي مالكا للعالمين ومنعما للنعم كلها ومالكا للامر كله يوم الثواب

والعقاب بعد الدلالة علي اختصاص الحمد به في قوله الحمد لله دليل علي ان من كانت هذه صفاته لم

يكن احد احق منه بالحمد والثناء عليه اياك نعبد واياك نستعين ايا عند الخليل وسيبويه اسم مضمر

والكاف

والكاف حرف خطاب عند سيبويه ولا محل له من الاعراب وعند الخليل هو اسم مضمر اضيف ايا اليه

لانه يشبه المظهر لتقدمه علي الفعل والفاعل وقال الكوفيون اياك بكمالها اسم وتقديم المفعول

لقصد الاختصاص والمعني نخصك بالعبادة وهي اقصي غاية الخضوع والتذلل ونخصك بطلب المعونة

وعدل عن الغيبة الي الخطاب للالتفات وهو قد يكون من الغيبة الي الخطاب ومن الخطاب الي الغيبة

ومن الغيبة الي التكلم كقوله تعالي حتي اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وقوله تعالي والله

الذي ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه وقول امرئ القيس تطاول ليلك بالاثمد ونام الخلي ولم

ترقد وبات وباتت له ليلة كليلة العائر الارمد وذلك من نبا جاءني وخبرته عن ابي الاسود

فالتفت في الابيات الثلثة حيث لم يقل ليلي وبت وجاءني والعرب يستكثرون منه ويرون الكلام

اذا انتقل من اسلوب الي اسلوب ادخل في القبول عند السامع واحسن تطرية لنشاطه واملاء

باستدرار اصغائه وقد يختص مواقعه بفوائد ولطائف قلما تتضح الا للحذاق المهرة والعلماء

النحارير وقليل ما هم ومما اختص به هذا الموضع انه لما ذكر الحقيق بالحمد والثناء واجري عليه تلك

الصفات العظام تعلق العلم بمعلوم عظيم الشان حقيق بالثناء وغاية الخضوع والاستعانة في

المهمات فخوطب ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات فقيل اياك يا من هذه صفاته نعبد ونستعين

لا غيرك وقدمت العبادة علي الاستعانة لان تقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة اقرب الي الاجابة او

لنظم الاي كما قدم الرحمن وان كان الابلغ لا يقدم واطلقت الاستعانة ليتناول كل مستعان فيه ويجوز

ان يراد الاستعانة به وبتوفيقه علي اداء العبادة ويكون قوله اهدنا الصراط المستقيم بيانا للمطلوب

من المعونة كانه قيل كيف اعينكم فقالوا اهدنا الصراط المستقيم اي ثبتنا علي المنهاج الواضح كقولك

للقائم قم حتي اعود اليك اي اثبت علي ما انت عليه او اهدنا في الاستقبال كما هديتنا في الحال وهدي يتعدي الي

مفعول بنفسه فاما تعديته الي مفعول اخر فقد جاء متعديا اليه بنفسه كهذه الاية وقد جاء متعديا باللام

وبالي كقوله تعالي هدانا لهذا وقوله هداني ربي الي صراط مستقيم والسراط الجادة من سرط الشيء اذا ابتلعه

لانه يسرط السابلة اذا سلكوه والصراط من قلب السين صادا لتجانس الطاء في الاطباق لان الصاد والضاد

والطاء والظاء حروف الاطباق وقد تشم الصاد صوت الزاء لان الزاء الي الطاء اقرب لانهما مجهورتان

وهي قراءة حمزة والسين قراءة ابن كثير في كل القران وهو الاصل في الكلمة والباقون بالصاد الخالصة وهي لغة

قريش وهي الثابتة في الامام ويذكر ويؤنث كالطريق والسبيل والمراد به طريق الحق وهو ملة الاسلام

صراط الذين انعمت عليهم بدل من الصراط المستقيم وهو في حكم تكرير العامل وفائدته التوكيد والاشعار

بان الصراط المستقيم تفسيره صراط المسلمين ليكون ذلك شهادة لصراط المسلمين بالاستقامة على ابلغ

وجه واكده وهم المؤمنون او الانبياء عليهم السلام او قوم موسى عليه السلام قبل ان يغيروا غير المغضوب

عليهم ولا الضالين بدل من الذين انعمت عليهم يعني ان المنعم عليهم هم الذين سلموا من غضب الله و

الضلال او صفة للذين يعني انهم جمعوا بين النعمة المطلقة وهي نعمة الايمان وبين السلامة من

غضب الله تعالى والضلال وانما ساغ وقوعه صفة للذين وهو معرفة وغير لا يتعرف بالاضافة

لانه اذا وقع بين متضادين وكانا معرفتين تعرفت بالاضافة نحو عجبت من الحركة غير السكون والمنعم

عليه والمغضوب عليه متضادان ولان الذين قريب من النكرة لانه لم يرد به قوم باعيانهم وغير المغضوب

عليهم قريب من المعرفة للتخصيص الحاصل له بالاضافة فكل واحد منهما فيه ابهام من وجه واختصاص

من وجه فاستويا وعليهم الاولى محلها النصب على المفعولية ومحل الثانية الرفع على الفاعلية وغضب

الله ارادة الانتقام من المكذبين وانزال العقوبة بهم وان يفعل بهم ما يفعله الملك اذا غضب على

من تحت يده وقيل المغضوب عليهم هم اليهود لقوله من لعنه الله وغضب عليه والضالون هم النصارى

لقوله تعالى قد ضلوا من قبل ولا زائدة عند البصريين للتوكيد وعند الكوفيين هي بمعنى غير آمين

صوت سمي به الفعل الذي هو استجب كما ان رويدا اسم لامهل وعن ابن عباس رضي الله عنهما سالت

رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى آمين فقال افعل وهو مبني وفيه لغتان مد الفه وقصرها

وهو الاصل والمد باشباع الهمزة قال يا رب لا تسلبني حبها ابدا ويرحم الله عبدا قال آمينا

وقال امين فزاد الله ما بيننا بعدا وقال عليه الصلوة والسلام لقنني جبرئيل آمين عند فراغي من

قراءة الفاتحة وقال انه كالختم على الكتاب وليس جزءا من القرآن بدليل انه لم يثبت في المصاحف

سورة البقرة وهي مايتان وست او سبع وثمانون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

الم ونظائرها اسماء مسمياتها الحروف المبسوطة التي منها ركبت الكلم فالقاف تدل على اول حرف قال

والالف تدل على اوسط حروف قال واللام تدل على الحرف الاخير منه وكذلك ما اشبهها والدليل على

انها اسماء ان كلا منها تدل على معنى في نفسه ويتصرف فيها بالامالة والتفخيم وبالتعريف والتنكير والجمع

والتصغير وهي معربة وانما سكنت سكون زيد وغيره من الاسماء حيث لا يمسها اعراب لفقد

مقتضيه وقيل مبنية لانها كالاصوات نحو غاق في حكاية صوت الغراب ثم الجمهور على انها اسماء

السور وقال ابن عباس رضي الله عنهما اقسم الله تعالى بهذه الحروف وقال ابن مسعود رضي الله عنه

انها اسم الله الاعظم وقيل انها من المتشابه الذي لا يعلمه الا الله تعالى وما سميت معجمة الا لاعجامها او

ابهامها وقيل وردت هذه الاسماء على نمط التعديد كالايقاظ لمن تحدى بالقران وكالتحريك للنظر

في ان هذا المتلو عليهم وقد عجزوا عنه عن آخرهم كلام منظوم من عين ما ينظمون منه كلامهم

ليؤديهم النظر الى ان يستيقنوا ان لم تتساقط مقدرتهم دونه ولم تظهر عجزهم عن ان ياتوا

بمثله بعد المراجعات المتطاولة وهم امراء الكلام الا انه ليس من كلام البشر وانه كلام خالق القوى

القوي والقدر وهذا القول من الخلاقة بالقبول بمنزلة وقيل انما وردت السور مصدرة بذلك

ليكون اول ما يقرع الاسماع مستقلا بوجه من الاغراب وتقدمة من دلائل الاعجاز وذلك

ان النطق بالحروف انفسها كانت العرب فيه مستوية الاقدام الاميون منهم واهل الكتاب

بخلاف النطق باسامي الحروف فانه مختص بمن خط وقرا وخالط اهل الكتاب وتعلم منهم وكان

مستبعدا من الامي التكلم بها استبعاد الخط والتلاوة فكان حكم النطق بذلك مع اشتهار انه لم

يكن ممن اقتبس شيئا من اهله حكم الاقاصيص المذكورة في القرآن التي لم يكن قريش ومن يضاهيهم

في شيء من الاحاطة بها في ان ذلك حاصل له من جهة الوحي شاهد بصحة نبوته واعلم ان المذكور

في الفواتح نصف اسامي حروف المعجم وهي الالف واللام والميم والصاد والراء والكاف و

الهاء والياء والعين والطاء والسين والحاء والقاف والنون في تسع وعشرين سورة على

عدد حروف المعجم وهي مشتملة على انصاف اجناس الحروف فمن المهموسة نصفها الصاد والكاف

والهاء والسين والحاء ومن المجهورة نصفها الالف واللام والميم والراء والعين والطاء و

القاف والياء والنون ومن الشديدة نصفها الالف والكاف والطاء والقاف ومن الرخوة

نصفها اللام والميم والراء والصاد والهاء والعين والسين والحاء والياء والنون ومن

المطبقة نصفها الصاد والطاء ومن المنفتحة نصفها الالف واللام والميم والراء والكاف

والهاء والعين والسين والحاء والقاف والياء والنون ومن المستعلية نصفها القاف والصاد

والطاء ومن المنخفضة نصفها الالف واللام والميم والراء والكاف والهاء والياء والعين والسين
والحاء والنون ومن حروف القلقلة نصفها القاف والطاء وفي المذكورة من هذه الاجناس مكثورة
بالمذكورة منها وقد علمت ان معظم الشيء ينزل منزلة كله فكان الله تعالى عدد على العرب الالفاظ
التي منها تراكيب كلامهم اشارة الى ما مر من التبكيت لهم والزام الحجة اياهم وانما جاءت مفرقة
على السور لان اعادة التنبيه على ان المتحدى به مؤلف منها لا غير اوصل الى الغرض وكذا كل تكرير
ورد في القران فالمطلوب منه تمكين المكرر في النفوس وتقريره ولم تجئ على وتيرة واحدة بل
اختلف اعداد حروفها فثلث ص وق ون وطه وطس ويس وحم والم والر وطسم والمص
والمر وكهيعص وحم عسق فوردت على حرف وحرفين وثلثة واربعة وخمسة كعادة افتنانهم
في الكلام وكما ان ابنية كلماتهم على حرف وحرفين الى خمسة احرف فسلك في الفواتح هذا المسلك
والم اية حيث وقعت وكذا المص اية والمر لم تعد اية وكذا الر لم تعد اية في سورها الخمس وطسم
اية في سورتيها وطه ويس آيتان وطس ليست باية وحم اية في سورها كلها وحم عسق آيتان و
كهيعص اية وص وق ون ثلاثتها لم تعد اية وهذا عند الكوفيين ومن عداهم لم يعدوا شيئا منها
اية وهذا علم توقيفي لا مجال للقياس فيه كمعرفة السور ويوقف على جميعها وقف التمام اذا حملت
على معنى مستقل غير محتاج الى ما بعده وذلك اذا لم تجعل اسماء للسور ونعق بها كما ينعق بالاصوات
او جعلت وحدها اخبار ابتداء محذوف كقوله تع الم اي هذه الم ثم ابتداء فقال الله لا اله الا هو
ولهذه الفواتح محل من الاعراب فيمن جعلها اسماء للسور لانها كسائر اسماء الاعلام وهو الرفع على الابتداء
او النصب والجر لصحة القسم بها وكونها بمنزلة الله والله على اللغتين ومن لم يجعلها اسماء للسور
لم يتصور ان يكون لها محل في مذهبه كما لا محل للجملة المبتداءة والمفردات المعدودة ذلك الكتاب
اي ذلك الكتاب الذي وعد به على لسان موسى وعيسى عليهما السلام او ذلك اشارة الى الم
وانما ذكر اسم الاشارة والمشار اليه مؤنث وهو السورة لان الكتاب اذا كان خبره كان ذلك
في معناه ومسماه مسماه فجاز اجراء حكمه عليه في التذكير وان كان صفته فالاشارة به الى الكتاب
صريحا لان اسم الاشارة يشار به الى الجنس الواقع صفة له تقول هند ذلك الانسان او ذلك الشخص
فعل كذا ووجه تاليف ذلك الكتاب مع الم ان جعلت الم اسما للسورة ان يكون الم مبتدأ وذلك

مبتدأ ثانيا والكتاب خبره والجملة خبر المبتدأ الاول ومعناه ان ذلك هو الكتاب الكامل كان ما عداه
من الكتب في مقابلته ناقص كما تقول هو الرجل اي الكامل في الرجولية الجامع لما يكون في الرجال من
مرضيات الخصال وان يكون الم خبر مبتدأ محذوف اي هذه الم وذلك الكتاب جملة اخرى وان جعلت
الم بمنزلة الصوت كان ذلك مبتدأ خبره الكتاب اي ذلك الكتاب المنزل هو الكتاب الكامل لا ريب
لا شك فيه وهو مصدر رابني اذا حصل فيك الريبة وحقيقة الريبة قلق النفس واضطرابها ومنه قوله
عليه الصلوة والسلام دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان الشك ريبة وان الصدق طمانية اي فان كون
الامر مشكوكا فيه مما تقلق له النفس ولا تستقر وكونه صحيحا صادقا مما تطمئن له وتسكن ومنه ريب
الزمان وهو ما يقلق النفوس ويشخص بالقلوب من نوائبه وانما نفي الريب على سبيل الاستغراق وقد
ارتاب فيه كثير لان المنفي كونه متعلقا للريب ومظنة له لانه من وضوح الدلالة وسطوع البرهان
بحيث لا ينبغي لمرتاب ان يقع فيه لا ان احدا لا يرتاب وانما لم يقل لا فيه ريب كما قال لا فيها غول لان المراد
في ايلاء الريب حرف النفي نفي الريب عنه واثبات انه حق لا باطل كما زعم الكفار ولو اولى الظرف
لبعد عن المراد وهو ان كتابا آخر فيه ريب لا فيه كما في قوله لا فيها غول ففيه تفضيل خمر الجنة على خمور
الدنيا بانها لا تغتال العقول كما تغتالها هي والوقف على فيه هو المشهور وعن نافع وعاصم انهما وقفا
على لا ريب ولا بد للواقف من ان ينوي خبرا والتقدير لا ريب فيه فيه هدى فيه باشباع كل هاء كناية
مكي وافقه حفص في فيه مهانا وهو الاصل كقولك مررت به ومن عنده وفي داره فكما لا يقال
في داره ومن عنده وجب ان لا يقال فيه وقال سيبويه ما قاله مكي يؤدي الى الجمع بين ثلثة احرف
سواكن الياء قبل الهاء والهاء المتحركة اذ الهاء المتحركة في كلامهم بمنزلة الساكنة لان الهاء خفية و
الخفي قريب من الساكن والياء بعدها والهدى مصدر على فعل كالبكى وهو الدلالة الموصلة الى البغية
بدليل وقوع الضلالة في مقابلته في قوله اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى وانما قيل هدى
للمتقين والمتقون مهتدون لانه كقولك للعزيز المكرم اعزك الله واكرمك تريد طلب الزيادة
الى ما هو ثابت فيه واستدامته كقوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم او لانه سماهم عند مشارفتهم لاكتساء
لباس التقوى متقين كقوله عليه الصلوة والسلام من قتل قتيلا فله سلبه وكقول ابن عباس رضي الله
عنهما اذا اراد احدكم الحج فليعجل فانه يمرض المريض فسمي المشارف للقتل والمرض قتيلا ومريضا ولم يقل هدى

للضالين لانهم فريقان فريق علم بقاءهم علي الضلالة وفريق علم ان مصيرهم الي الهدي وهو هدي
لهؤلاء فحسب فلو جيء بالعبارة المفصحة اي الصريحة عن ذلك لقيل هدي للصائرين الي الهدي بعد
الضلالة فاقتصر الكلام وقيل هدي للمتقين مع ان فيه تصديرا للسورة التي هي اولي الزهراوين
وسنام القران بذكر اولياء الله والمتقي في اللغة اسم فاعل من قولهم وقاه فاتقي ففاؤها واو و
لامها ياء فاذا بنيت من ذلك افتعل قلبت الواو تاء وادغمتها في التاء الاخري فقلت اتقي والوقاية
فرط الصيانة وفي الشريعة من يقي نفسه عن تعاطي ما يستحق به العقوبة من فعل او ترك ومحل
هدي الرفع لانه خبر مبتداء محذوف او خبر مع لا ريب فيه لذلك او النصب علي الحال من
الهاء في فيه والذي هو ارسخ عرقا في البلاغة ان يقال ان قوله الم جملة براسها او طائفة من حروف
المعجم مستقلة بنفسها وذلك الكتاب جملة ثانية ولا ريب فيه ثالثة وهدي للمتقين رابعة و
قد اصيب بترتيبها مفصل البلاغة حيث جيء بها متناسقة هكذا من غير حرف عاطف وذلك
لمجيئها متاخية اخذا بعضها عنق بعض فالثانية متحدة بالاولي معتنقة بها وهلم جرا الي الثالثة
والرابعة بيان ذلك انه نبه اولا علي انه الكلام المتحدي به ثم اشير اليه بانه الكتاب المنعوت بغاية
الكمال فكان تقريرا لجهة التحدي ثم نفي عنه ان يتشبث به طرف من الريب فكان شهادة وتسجيلا
بكماله لانه لا كمال اكمل مما للحق واليقين ولا نقص انقص مما للباطل والشبهة وقيل لعالم فيم لذلك
فقال في حجة تبختر اتضاحا وفي شبهة تتضاءل افتضاحا ثم اخبر عنه بانه هدي للمتقين فقرر
بذلك كونه يقينا لا يحوم الشك حوله وحقا لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ثم لم تخل كل
واحدة من الاربع بعد ان رتبت هذا الترتيب الانيق ونظمت هذا النظم الرشيق من نكتة ذات
جزالة ففي الاولي الحذف والرمز الي المطلوب بالطف وجه وفي الثانية ما في التعريف من الفخامة
وفي الثالثة ما في تقديم الريب علي الظرف وفي الرابعة الحذف ووضع المصدر الذي هو هدي
موضع الوصف الذي هو هاد كان نفسه هداية وايراده منكرا فغير اشعار بانه هدي لا يكتنه
كنهه والايجاز في ذكر المتقين كما مر الذين في موضع رفع او نصب علي المدح اي هم الذين يؤمنون
او اعني الذين يؤمنون او هو مبتداء وخبره اولئك علي هدي او جر علي انه صفة للمتقين وهي
صفة واردة بيانا وكشفا للمتقين كقولك زيد الفقيه المحقق لاشتمالها علي ما اسست عليه حال

المتقين

المتقين من الايمان الذي هو اساس الحسنات والصلواة والصدقة فهما اما العبادات البدنية والمالية
وهما العيار علي غيرهما الا تري ان النبي صلي الله عليه وسلم سمي الصلوة عماد الدين وجعل الفاصل بين
الاسلام والكفر ترك الصلوة وسمي الزكوة قنطرة الاسلام فكان من شانهما استتباع ساير العبادات ولذا
اختصر الكلام بان استغني عن عد الطاعات بذكر ما هو كالعنوان لها مع ما في ذلك من الافصاح عن فضل
هاتين العبادتين او صفة مسرودة مع المتقين تفيد غير فائدتها كقولك زيد الفقيه المتكلم الطبيب
ويكون المراد بالمتقين الذين يجتنبون السيات يؤمنون يصدقون وهو افعال من الامن وقولهم امنه
اي صدقه وحقيقته امنه التكذيب والمخالفة وتعديته بالباء لتضمينه معني اقر واعترف بالغيب بما
غاب عنهم مما انبائهم به النبي عليه الصلوة والسلام من امر البعث والنشور والحساب وغير ذلك فهو بمعني
الغائب تسمية بالمصدر من قولك غاب الشيء غيبا هذا ان جعلته صلة الايمان وان جعلته حالا كان
بمعني الغيبة والخفاء اي يؤمنون غائبين عن المؤمن به وحقيقته ملتبسين بالغيب والايمان الصحيح
ان يقر باللسان ويصدق بالجنان والعمل ليس بداخل في الايمان ويقيمون الصلوة اي يؤدونها فعبر عن
الاداء بالاقامة لان القيام بعض اركانها كما عبر عنه بالقنوت وهو القيام وبالركوع والسجود والتسبيح
لوجودها فيها او اريد باقامة الصلوة تعديل اركانها من اقام العود اذا قومه او الدوام عليها والمحافظة
من قامت السوق اذا نفقت لانه اذا حوفظ عليها كانت كالشيء النافق الذي تتوجه اليه الرغبات و
اذا ضيعت كانت كالشيء الكاسد الذي لا يرغب فيه والصلوة فعلة من صلي كالزكوة من زكي وكتبتها
بالواو علي لفظ المفخم وحقيقة صلي حرك الصلوين لان المصلي يفعل ذلك في ركوعه وسجوده و
قيل للداعي مصل تشبيها له في تخشعه بالراكع والساجد ومما رزقناهم اعطيناهم وما بمعني الذي
ينفقون يتصدقون وادخل من التبعيضية صيانة لهم عن التبذير المنهي عنه وقدم المفعول دلالة
علي كونه اهم والمراد به الزكوة لاقترانه بالصلوة التي هي اختها او هي وغيرها من النفقات في سبل الخير
لمجيئه مطلقا وانفق الشيء وانفده اخوان كنفق الشيء ونفد وكل ما جاء مما فاؤه نون وعينه فاء
فدال علي معني الخروج والذهاب ودلت الاية علي ان الاعمال ليست من الايمان حيث عطف الصلوة
والزكوة علي الايمان والعطف يقتضي المغايرة والذين يؤمنون هم مؤمنوا اهل الكتاب كعبد الله بن
سلام واضرابه من الذين امنوا بكل وحي انزل من عند الله تعالي وايقنوا بالاخرة ايقانا زال معه ما كانوا

بالاقامة

عليه من انه لا يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وان النار لا تمسهم الا اياما معدودات ثم ان عطفتهم
على الذين يؤمنون بالغيب دخلوا في جملة المتقين وان عطفتهم على المتقين لم يدخلوا فكانه قيل هدى
للمتقين وهدى للذين يؤمنون بالغيب بما انزل اليك او المراد به وصف الاولين ووسّط العاطف
كما يوسّط بين الصفات كقولك هو الشجاع والجواد وقوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة
في المزدحم والمعنى انهم الجامعون بين تلك الصفات وهذه بما انزل اليك يعني القرآن والمراد جميع
القرآن لا القدر الذي سبق انزاله وقت ايمانهم لان الايمان بالجميع واجب وانما عبّر عنه بلفظ الماضي
وان كان بعضه مترقبا تغليبا للموجود على ما لم يوجد ولانه اذا كان بعضه نازلا وبعضه منتظر النزول
جعل كان كله قد نزل وما انزل من قبلك يعني سائر الكتب المنزلة على النبيين وبالآخرة هي تانيث
الآخر الذي هو ضد الاول وهي صفة والموصوف محذوف وهو الدار بدليل قوله تلك الدار الآخرة
وهي من الصفات الغالبة وكذلك الدنيا وعن نافع انه خففها بان حذف الهمزة والقى حركتها
على اللام هم يوقنون الايقان اتقان العلم بانتفاء الشك والشبهة عنه اولئك على هدى
الجملة في محل الرفع ان كان الذين يؤمنون بالغيب مبتدأ والا فلا محل لها ويجوز ان يجري الموصول
الاول على المتقين وان يرتفع الثاني على الابتداء واولئك خبره ويجعل اختصاصهم بالهدى
والفلاح تعريضا باهل الكتاب الذين لا يؤمنون بنبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم
ظانون انهم على الهدى وطامعون انهم ينالون الفلاح عند الله ومعنى الاستعلاء في على هدى مثل
لتمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه وتمسكهم به حيث شبهت حالهم بحال من اعتلى الشيء وركبه
ونحوه هو على الحق وعلى الباطل وقد صرحوا بذلك في قولهم جعل الغواية مركبا وامتطى
الجهل واقتعد غارب الهوى ومعنى هدى من ربهم اي اوتوه من عنده ونكر هدى ليفيد ضربا
مبهما لا يبلغ كنهه كانه قيل على اي هدى ونحوه لقد وقعت على لحم اي لحم عظيم واولئك هم
المفلحون اي الظافرون بما طلبوا الناجون عما هربوا فالفلاح درك البغية والمفلح الفائز
بالبغية كانه الذي انفتحت له وجوه الظفر والتركيب دال على معنى الشق والفتح وكذا اخواته
في الفاء والعين نحو فلق وفلذ وفلى وجاء بالعاطف ههنا بخلاف قوله اولئك كالانعام
بل هم اضل اولئك هم الغافلون لاختلاف الخبرين المقتضيين للعطف هنا واتحاد الغفلة و

والتشبيه بالبهائم ثمة فكانت الثانية مقررة للاولى فهي من العطف بمعزل وهم فصل وفائدته
الدلالة على ان الوارد بعده خبر لا صفة والتوكيد وايجاب ان فائدة المسند ثابتة للمسند اليه
دون غيره او هو مبتدأ والمفلحون خبره والجملة خبر اولئك فانظر كيف كرر الله تعالى عز وجل
التنبيه على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله احد على طرق شتى وهي ذكر اسم الاشارة وتكريره
ففيه تنبيه على انهم كما ثبتت لهم الاثرة بالهدى فهي ثابتة لهم بالفلاح وتعريف المفلحين ففيه دلالة
على ان المتقين هم الناس الذين بلغك انهم يفلحون في الآخرة كما اذا بلغك ان انسانا قد تاب من
اهل بلدك فاستخبرت من هو فقيل زيد التائب اي هو الذي اخبرت بتوبته وتوسيط الفصل
بينه وبين اولئك ليبصرك مراتبهم ويرغبك في طلب ما طلبوا وينشطك لتقديم ما قدموا اللهم
البسنا لباس التقوى واحشرنا في زمرة من صدّرت بذكرهم سورة البقرة لما قدم ذكر اوليائه بصفاتهم
المقربة اليه وبيّن ان الكتاب هدى لهم قفى على اثرهم بذكر اضدادهم وهم العتاة المردة الذين لا
ينفع فيهم الهدى بقوله ان الذين كفروا الكفر ستر الحق بالجحود والتركيب دال على الستر ولذا
سمي الزارع كافرا وكذا الليل ولم يات بالعاطف هنا كما في قوله ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم
لان الجملة الاولى هنا مسوقة بيانا لذكر الكتاب لا خبرا عن المؤمنين وسيقت الثانية للاخبار عن
الكفار بكذا فبين الجملتين تفاوت في المراد وهما على حد لا مجال للعطف فيه ولئن كان مبتدأ على تقدير
فهو كالجاري عليه والمراد بالذين كفروا اناس باعيانهم علم الله انهم لا يؤمنون كابي جهل وابي لهب
واضرابهما سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم بهمزتين كوفي وسواء بمعنى الاستواء وصف به
كما وصف بالمصادر ومنه قوله تعالى الى كلمة سواء بيننا اي مستوية وارتفاعه على انه خبر لان
وءانذرتهم ام لم تنذرهم مرتفع به على الفاعلية كانه قيل ان الذين كفروا مستو عليهم انذارك و
عدمه او يكون سواء خبرا مقدما وانذرتهم ام لم تنذرهم في موضع الابتداء اي سواء عليهم
انذارك وعدمه والجملة خبر لان وانما جاز الاخبار عن الفعل مع انه خبر ابدا لانه من جنس
الكلام المهجور فيه جانب اللفظ الى جانب المعنى والهمزة وام مجردتان لمعنى الاستواء وقد انسلخ
عنهما معنى الاستفهام راسا قال سيبويه جرى هذا على حرف الاستفهام كما جرى على حرف النداء قولك
اللهم اغفر لنا ايتها العصابة يعني ان هذا جرى على صورة الاستفهام ولا استفهام كما ان ذلك جرى

علي صورة النداء والانداء والانذار التخويف من عقاب الله تعالى بالزجر عن المعاصي لا يؤمنون جملة
مؤكدة للجملة قبلها او خبر لان والجملة قبلها اعتراض او خبر بعد خبر والحكمة في الانذار مع العلم
بالاصرار اقامة الحجة وليكون الارسال عاما ولثياب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ختم الله على قلوبهم قال الزجاج
الختم التغطية لان في الاستيثاق من الشيء بضرب الخاتم عليه تغطية له لئلا يطلع عليه وقال
ابن عباس رض طبع الله على قلوبهم فلا يعقلون الخير يعني ان الله تعالى طبع عليها فجعلها بحيث
لا يخرج منها ما فيها من الكفر ولا يدخلها ما ليس فيها من الايمان وحاصل الطبع والختم خلق الظلمة
والضيق في صدر العبد عندنا فلا يؤمن ما دامت تلك الظلمة في قلبه وعند المعتزلة اعلام محض
على القلوب بما يظهر للملائكة انهم كفار فيلعنونهم ولا يدعون لهم بخير وقال بعضهم ان اسناد
الختم الى الله تعالى مجاز والخاتم في الحقيقة الكافر الا انه تعالى لما كان هو الذي اقدره ومكنه اسند
اليه الختم كما يسند الفعل الى المسبب فيقال بني الامير المدينة لان للفعل ملابسات شتى يلابس الفاعل
والمفعول به والمصدر والزمان والمكان والمسبب له فاسناده الى الفاعل حقيقة وقد يسند الى
هذه الاشياء مجازا لمضاهاتها الفاعل في ملابسة الفعل كما يضاهي الرجل الاسد في جرأته فيستعار له
اسمه وهذا فرع مسئلة خلق الافعال وعلى سمعهم وحد السمع كما وحد البطن في قوله كلوا في بعض
بطنكم تعفوا لامن اللبس ولان السمع مصدر في اصله يقال سمعت الشيء سمعا وسماعا والمصدر
لا يجمع لانه اسم جنس يقع على القليل والكثير فلا يحتاج فيه الى التثنية والجمع فلمح الاصل وقيل المضاف
محذوف اي وعلى مواضع سمعهم وقرئ على اسماعهم وعلى ابصارهم غشاوة بالرفع خبر ومبتدأ
والبصر نور العين وهو ما يبصر به الرائي كما ان البصيرة نور القلب وهو ما به يستبصر ويتامل
وكانهما جوهران لطيفان خلقهما الله تعالى فيهما آلتين للابصار والاستبصار والغشاوة الغطاء
فعالة من غشاه اذا غطاه وهذا البناء لما يشتمل على الشيء كالعصابة والعمامة والقلادة والاسماع
داخلة في حكم الختم لا في حكم التغشية لقوله تعالى وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة و
لوقفهم على سمعهم دون قلوبهم ونصب المفضل رحمه الله تعالى عليه وحمله غشاوة باضمار جعل وتكرير
الجار في قوله تعالى وعلى سمعهم دليل على شدة الختم في الموضعين قال الشيخ ابو منصور رحمه الله تع
الكافر لما لم يسمع قول الحق ولم ينظر في نفسه وغيره من المخلوقات ليرى آثار الحدث فيعلم ان لا بد

من صانع جعل كان على بصره وسمعه غشاوة وان لم يكن ذلك حقيقة وهذا دليل على ان
الاسماع عنده داخلة في حكم التغشية والآية حجة لنا على المعتزلة في الاصلح فانه اخبر انه
ختم على قلوبهم ولا شك ان ترك الختم اصلح لهم ولهم عذاب عظيم العذاب مثل النكال
بناء ومعنى لانك تقول اعذب عن الشيء اذا امسك عنه كما تقول نكل عنه والفرق بين
العظيم والكبير ان العظيم يقابل الحقير والكبير يقابل الصغير فكان العظيم فوق الكبير كما ان
الحقير دون الصغير ويستعملان في الجثث والاحداث جميعا تقول رجل عظيم وكبير تريد
جثته او خطره ومعنى التنكير ان على ابصارهم نوعا من التغطية غير ما يتعارفه الناس وهو
غطاء التعامي عن آيات الله ولهم من بين الالام العظام نوع عظيم من العذاب لا يعلم كنهه
الا الله ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر افتتح سبحانه وتعالى بذكر الذين اخلصوا
دينهم لله وواطأت فيه قلوبهم السنتهم ثم ثنى بالكافرين قلوبا والسنة ثم ثلث بالمنافقين
الذين آمنوا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم وهم اخبث الكفرة لانهم خلطوا بالكفر استهزاء
وخداعا ولذا انزل فيهم ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار وقال مجاهد اربع آيات من
اول السورة في نعت المؤمنين وآيتان في ذكر الكافرين وثلث عشرة آية في المنافقين نعى
عليهم فيها نكرهم وخبثهم وسفههم واستجهلهم واستهزأ بهم وتهكم بفعلهم وسجل بطغيانهم
وعمههم ودعاهم صما بكما عميا وضرب لهم الامثال الشنيعة وقصة المنافقين عن آخرها
معطوفة على قصة الذين كفروا كما تعطف الجملة على الجملة واصل ناس اناس حذفت
همزته تخفيفا وحذفها مع لام التعريف كاللازم ولا يكاد يقال الاناس ويشهد لاصله
انسان واناس واناسي وانس وسموا به لظهورهم وانهم يؤنسون اي يبصرون كما
سمي الجن لاجتنانهم ووزن ناس فعال لان الزنة على الاصول فانك تقول وزن قه افعل
وليس معك الا العين وهو من اسماء الجمع ولام التعريف فيه للجنس ومن موصوفة
ويقول صفة لها كانه قيل ومن الناس ناس يقولون كذا وانما خصوا الايمان بالله وباليوم
الآخر وهو الوقت الذي لا حد له وهو الابد الدائم الذي لا ينقطع وانما سمي بالآخر
لتاخره عن الاوقات المنقضية او الوقت المحدود من النشور الى ان يدخل اهل الجنة

الجنة واهل النار لانهم اوهموا في هذا المقال انهم احاطوا بجانبي الايمان اوله واخره وهذا لان
حاصل المسائل الاعتقادية يرجع الى مسائل المبداء وهي العلم بالصانع وصفاته واسمائه و
مسائل المعاد وهي العلم بالنشور والبعث من القبور والصراط والميزان وسائر احوال
الآخرة وفي تكرير الباء اشارة الى انهم ادعوا كل واحد من الايمانين على صفة الصحة والا ستحكام
وانما طابق قوله وما هم بمؤمنين وهو في ذكر شان الفاعل لا الفعل قولهم آمنا بالله و
باليوم الآخر وهو في ذكر شان الفعل لا الفاعل لان المراد انكار ما ادعوه ونفيه على ابلغ
وجه واكده وهو اخراج ذواتهم من ان يكون طايفة من المومنين ونحوه قوله يريدون
ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها فهو ابلغ من قولك وما يخرجون منها
واطلق الايمان في الثاني بعد تقييده في الاول لانه يحتمل ان يراد التقييد ويترك لدلالة
المذكور عليه ويحتمل ان يراد نفي اصل الايمان وفي ضمنه نفي المذكور اولا والاية تنفي قول
الكرامية ان الايمان هو الاقرار باللسان لا غير لانه تعالى نفى عنهم اسم الايمان مع وجود
الاقرار منهم وتؤيد قول اهل السنة انه اقرار باللسان وتصديق بالجنان ودخلت الباء في
خبر ما مؤكدة للنفي لانه يستدل بها السامع على الجحد اذا غفل عن اول الكلام ومن موحد
اللفظ ولذا قيل يقول وجمع وما هم بخارجين بمؤمنين نظرا الى معناه يخادعون الله
اي رسول الله فحذف المضاف كقوله واسال القرية كذا قاله ابو علي وغيره اي يظهرون
غير ما في نفوسهم فالخداع اظهار غير ما في النفس فقد رفع الله تعالى منزلة النبي صلى الله عليه وسلم
حيث جعل خداعه خداعه وهو كقوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله
فوق ايديهم وقيل معناه يخادعون الله في زعمهم لانهم يظنون ان الله تعالى ممن يصح
خداعه وهذا المثال يقع كثيرا لغير اثنين نحو قولك عاقبت اللص وقد قرئ يخدعون
الله وهو بيان ليقول او مستانف كانه قيل ولم يدعون الايمان كاذبين وما منفعتهم
في ذلك فقيل يخادعون الله ومنفعتهم في ذلك متاركتهم عن المحاربة التي كانت مع من سواهم
من الكفار واجراء احكام المومنين عليهم ونيلهم من الغنايم وغير ذلك وقال صاحب
الوقوف الوقف لازم على بمؤمنين لانه لو وصل لصار التقدير وما هم بمؤمنين مخادعين

فينتفي

فينتفي الوصف كقولك ما هو برجل كاذب والمراد نفي الايمان منهم واثبات الخداع لهم ومن
جعل يخادعون حالا من الضمير في يقول والعامل فيها يقول والتقدير يقول امنا مخادعين
او حالا من الضمير في بمؤمنين والعامل فيها اسم الفاعل والتقدير وما هم بمؤمنين في حال
خداعهم لا يقف ولا الاول الوجه والذين آمنوا اي يخادعون رسول الله والمومنين باظهار
الايمان واضمار الكفر وما يخدعون الا انفسهم اي وما يعاملون تلك المعاملة المشبهة
بمعاملة المخادعين الا انفسهم لان ضررها يلحقهم وحاصل خداعهم وهو العذاب في الآخرة
يرجع اليهم فكانهم خدعوا انفسهم وما يخادعون ابو عمرو ونافع ومكي للمطابقة وعذر
الاولين ان خدع وخادع هنا بمعنى واحد والنفس ذات الشيء وحقيقته ثم قيل للقلب
والروح النفس لان النفس بهما وللدم نفس لان قوامها بالدم وللماء نفس لفرط حاجتها
اليه والمراد بالانفس ههنا ذواتهم والمعنى بمخادعتهم ذواتهم ان الخداع لاحق بهم لا يعدوهم
الى غيرهم وما يشعرون ان حاصل الخداع يرجع اليهم والشعور علم الشيء علم حس من
الشعار وهو ثوب يلي الجسد ومشاعر الانسان حواسه لانها آلات الشعور والمعنى
ان لحوق ضرر ذلك بهم كالمحسوس وهم لتمادي غفلتهم كالذي لا حس له في قلوبهم مرض
اي شك ونفاق لان الشك تردد بين الامرين والمنافق متردد كما في الحديث مثل المنافق
كمثل الشاة العايرة بين الغنمين والمريض متردد بين الحيوة والموت ولان المرض ضد
الصحة والفساد يقابل الصحة فصار المرض اسما لكل فساد والشك والنفاق فساد في القلب
فزادهم الله مرضا اي ضعفا عن الانتصار وعجزا عن الاقتدار وقيل المراد به خلق النفاق
في حالة البقاء بخلق امثاله كما عرف في زيادة الايمان ولهم عذاب اليم فعيل بمعنى مفعل
اي مولم بما كانوا يكذبون كوفي اي بكذبهم في قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر فالمع
الفعل بمعنى المصدر والكذب الاخبار عن الشيء على خلاف ما هو به يكذبون غيرهم اي
بتكذيبهم النبي عليه الصلوة والسلام فيما جاء به وقيل هو مبالغة في كذب كما بولغ في
صدق فقيل صدق ونظيرهما بان الشيء وبين واذا قيل لهم معطوف على يكذبون ويجوز
ان يعطف على يقول آمنا لانك لو قلت ومن الناس من اذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض

كان صحيحا والفساد خروج الشيء عن حال استقامته وكونه منتفعا به وضده الصلاح
وهو الحصول على الحال المستقيمة النافعة والفساد في الارض هيج الحروب والفتن لان في
ذلك فساد ما في الارض وانتفاء الاستقامة عن احوال الناس والزروع والمنافع الدينية
والدنيوية وكان فساد المنافقين في الارض انهم كانوا يمايلون الكفار ويمالئونهم على المسلمين
بافشاء اسرارهم اليهم واغرائهم عليهم وذلك مما يؤدي الى هيج الفتن بينهم قالوا انما نحن
مصلحون بين المومنين والكافرين بالمدارات يعني ان صفة المصلحين خلصت لنا وتمحضت
فينا من غير شائبة قادح فيها من وجه من وجوه الفساد لان انما لقصر الحكم على شيء او لقصر
الشيء على حكم كقولك انما ينطلق زيد وانما زيد كاتب وما كافة لانها تكفها عن العمل
الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون انهم مفسدون فحذف المفعول للعلم به
الا مركبة من همزة الاستفهام وحرف النفي لاعطاء معنى التنبيه على تحقق ما بعدها و
الاستفهام اذا دخل على النفي افاد تحقيقا كقوله اليس ذلك بقادر ولكونها في هذا المنصب
من التحقيق لا يقع الجملة بعدها الا مصدرة بنحو ما يتلقى به القسم قد رد الله ما ادعوه
من الانتظام في جملة المصلحين ابلغ رد وادله على سخط عظيم وللمبالغة فيه من جهة الا
وما في الا وان من التاكيد وتعريف الخبر وتوسيط الفصل وقوله لا يشعرون واذا قيل لهم
آمنوا كما آمن الناس قالوا انؤمن كما آمن السفهاء نصحوهم من وجهين احدهما تقبيح ما كانوا
عليه لبعده من الصواب وجره الى الفساد وثانيهما تبصيرهم الطريق الاسد من اتباع ذوي
الاحلام وكان من جوابهم ان سفهوهم لتمادي جهلهم وفيه تسلية للعالم مما يلقى من الجهلة
وانما صح اسناد قيل الى لا تفسدوا وآمنوا مع ان اسناد الفعل الى الفعل لا يصح لانه اسناد الى
لفظ الفعل والممتنع اسناد الفعل الى معنى الفعل فكانه قيل واذا قيل لهم هذا القول ومنه
زعموا مطية الكذب وما في كما كافة كما في ربما او مصدرية كما في بما رحبت واللام في الناس
للعهد اي كما آمن الرسول ومن معه وهم اناس معهودون او عبد الله بن سلام واشياعه
اي كما آمن اصحابكم واخوانكم او للجنس اي كما آمن الكاملون في الانسانية او جعل المومنون
كانهم الناس على الحقيقة ومن عداهم كالبهائم والكاف في كما في موضع النصب لانه صفة مصدر

محذوف اي ايمانا مثل ايمان الناس وبمثله كما آمن السفهاء والاستفهام في انؤمن للانكار واللام
في السفهاء مشار بها الى الناس وانما سفهوهم وهم العقلاء المراجيح لانهم لجهلهم اعتقدوا
ان ما هم فيه هو الحق وان ما عداه باطل ومن ركب متن الباطل كان سفيها والسفه سخافة
العقل وخفة الحلم الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون انهم هم السفهاء وانما ذكر السفه هنا لا
يعلمون وفيما تقدم لا يشعرون لانه قد ذكر السفه وهو جهل فكان ذكر العلم معه احسن طباقا
له ولان الايمان يحتاج فيه الى نظر واستدلال حتى يكتسب الناظر المعرفة اما الفساد في الارض
فامر مبني على العادات فهو كالمحسوس والسفهاء خبر ان وهم فصل او السفهاء خبر هم و
الجملة خبر ان واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وقرا ابو حنيفة رضي الله عنه واذا لاقوا
يقال لقيته ولاقيته اذا استقبلته قريبا منه الاية الاولى في بيان مذهب المنافقين
والترجمة من نفاقهم وهذه في بيان ما كانوا يعملون مع المومنين من الاستهزاء بهم و
لقائهم بوجوه المصادقين وايهامهم انهم معهم واذا خلوا الى شياطينهم خلوت بفلان
واليه اذا انفردت معه وبالى ابلغ لان فيه دلالة الابتداء والانتهاء اي اذا خلوا من المومنين
الى الشياطين ويجوز ان يكون من خلا بمعنى مضى وشياطينهم الذين ماثلوا الشياطين
في تمردهم وهم اليهود وعن سيبويه ان نون الشياطين اصلية بدليل قولهم تشيطن وعنه
انه زائدة واشتقاقه من شطن اذا بعد لبعده من الصلاح والخير او من شاط اذا بطل و
من اسمائه الباطل قالوا انا معكم انا مصاحبوكم وموافقوكم على دينكم وانما خاطبوا المومنين
بالجملة الفعلية وشياطينهم بالاسمية محققة بان لانهم في خطابهم مع المومنين في ادعاء
حدوث الايمان منهم لا في ادعاء انهم اوحديون في الايمان اما لان انفسهم لا تساعدهم عليه
اذ ليس لهم من عقائدهم باعث ومحرك واما لانه لا يروج عنهم لو قالوه على لفظ التاكيد و
المبالغة وكيف يطمعون في رواجه وهم بين ظهراني المهاجرين والانصار واما خطابهم
مع اخوانهم فقد كان عن رغبة وكان متقبلا منهم رائجا عنهم فكان مظنة للتحقيق و
مئنة للتوكيد انما نحن مستهزؤون توكيد لقولهم انا معكم لان معناه الثبات على اليهودية
وقوله انما نحن مستهزؤون رد للاسلام ودفع له منهم لان المستهزئ بالشيء المستخف به

منكر له ودافع لكونه معتدا به ودفع نقيض الشئ تاكيد لثباته او استيناف كانهم اعترضوا
عليهم لقولهم حين قالوا لهم انا معكم ان كنتم معنا فلم توافقون المومنين فقالوا انما
نحن مستهزؤن والاستهزاء السخرية والاستخفاف واصل الباب الخفة من الهزء وهو
القتل السريع وهزاء يهزاء مات على المكان الله يستهزء بهم اي يجازيهم على استهزائهم
فسمي جزاء الاستهزاء باسمه كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن اعتدى عليكم
فاعتدوا عليه فسمي جزاء السيئة سيئة وجزاء الاعتداء اعتداء وان لم يكن الجزاء سيئة
واعتداء وهذا لان الاستهزاء على الله تعالى لا يجوز من حيث الحقيقة لانه من باب العبث
وهو تعالى عنه قال الزجاج هو الوجه المختار واستيناف قوله الله يستهزء بهم من غير عطف
في غاية الجزالة والفخامة وفيه ان الله هو الذي يستهزء بهم الاستهزاء الابلغ الذي ليس
استهزاؤهم اليه باستهزاء لما ينزل بهم من النكال والذل والهوان ولما كانت نكايات الله
تعالى وبلاياه تنزل عليهم ساعة فساعة قيل الله يستهزء بهم ولم يقل الله مستهزء بهم ليكون
طبقا لقوله انما نحن مستهزؤن ويمدهم يمهلهم عن الزجاج في طغيانهم في غلوهم في
كفرهم يعمهون حال اي يتحيرون ويترددون وهذه الاية حجة على المعتزلة في
مسئلة الاصلح اولئك مبتداء خبره الذين اشتروا الضلالة بالهدى اي استبدلوها
به واختاروها عليه وانما قال اشتروا الضلالة بالهدى ولم يكونوا على هدى لانها
في قوم آمنوا ثم كفروا او في اليهود الذين كانوا مؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم فلما جاءهم
كفروا به او جعلوا لتمكنهم منه كان الهدى قائم فيهم فتركوه بالضلالة وفيه دليل على
جواز البيع تعاطيا لانهم لم يتلفظوا بلفظ الشرى ولكن تركوا الهدى بالضلالة عن
اختيار وسمي ذلك شرى فصار دليلا لنا على ان من اخذ شيئا من غيره وترك عليه عوضه
برضاه فقد اشتراه وان لم يتكلم به والضلالة الجور عن القصد فقد الاهتداء يقال
ضل منزله فاستعير للذهاب عن الصواب في الدين فما ربحت تجارتهم الربح الفضل على
راس المال والتجارة صناعة التاجر وهو الذي يبيع ويشتري للربح واسناد الربح الى التجارة
من الاسناد المجازي ومعناه فما ربحوا في تجارتهم اذ التجارة لا تربح ولما وقع شراء الضلالة

بالهدى مجازا اتبعه ذكر الربح والتجارة ترشيحا له كقوله ولما رايت النسر عز ابن داية وعشش
في وكريه جاش له صدري لما شبه الشيب بالنسر والشعر الفاحم بالغراب اتبعه ذكر التعشيش
والوكر وما كانوا مهتدين لطرق التجارة كما يكون التجار المتصرفون العاملون بما يربح فيه و
يخسر والمعنى ان مطلوب التجار سلامة راس المال والربح وهؤلاء قد اضاعوهما فراس
مالهم الهدى ولم يبق لهم مع الضلالة واذا لم يبق لهم الا الضلالة لم يوصفوا باصابة الربح و
ان ظفروا بالاغراض الدنياوية لان الضال خاسر ولانه لا يقال لمن لم يسلم له راس ماله قد
ربح وقيل الذين صفة اولئك وفما ربحت تجارتهم الى اخر الاية في محل الرفع خبر اولئك
مثلهم كمثل الذي استوقد نارا لما جاء بحقيقة صفتهم عقبها بضرب المثل زيادة في الكشف
وتتميما للبيان ولضرب الامثال في ابراز خبيات المعاني ورفع الاستار عن الحقائق تاثير
ظاهر ولقد كثر ذلك في الكتب السماوية ومن سور الانجيل سورة الامثال والمثل في اصل
كلامهم هو المثل وهو النظير يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه ثم قيل للقول السائر
الممثل مضربه بمورده مثل ولم يضربوا مثلا الا قولا فيه غرابة ولذا حوفظ عليه فلا يغير وقد
استعير المثل للحال او الصفة او القصة اذا كان لها شان وفيها غرابة كانه قيل حالهم العجيبة
الشان كحال الذي استوقد نارا وكذا قوله مثل الجنة التي وعد المتقون اي وفيما قصصنا
عليك من العجائب قصة الجنة التي العجيبة الشان ثم اخذ في بيان عجائبها ولله المثل
الاعلى اي الوصف الذي له شان من العظمة والجلالة ووضع الذي موضع الذين كقوله تعالى
وخضتم كالذي خاضوا فلا يكون تمثيل الجماعة بالواحد او قصد جنس المستوقدين
او اريد الفوج الذي استوقد نارا على ان ذوات المنافقين لم يشبهوا بذات المستوقد
حتى يلزم منه تشبيه الجماعة بالواحد وانما شبهت قصتهم بقصة المستوقد ومعنى استوقد
اوقد ووقود النار سطوعها والنار جوهر لطيف مضئ حار محرق واشتقاقها من
نار ينور اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا فلما اضاءت ما حوله الاضاءة فرط الانارة
ومصداقه قوله تعالى هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وهي في الاية متعدية ويحتمل
ان يكون غير متعدية مسندة الى ما حوله والتانيث للحمل على المعنى لان ما حول المستوقد

اماكن واشياء وجواب فلما ذهب الله بنورهم وهو ظرف زمان والعامل فيه جوابه مثل اذ او ما
موصولة وحوله نصب على الظرف او نكرة موصوفة والتقدير فلما اضاءت شيئا ثابتا حوله
وجمع الضمير وتوحيده للحمل على اللفظ تارة وعلى المعنى اخرى والنور ضوء النار وضوء كل
نير ومعنى اذهبه ازاله وجعله ذاهبا وذهب به استصحبه ومضى به والمعنى اخذ الله نورهم
وامسكه وما يمسك الله فلا مرسل له فكان ابلغ من الاذهاب ولم يقل ذهب الله بضوئهم
لقوله فلما اضاءت لان ذكر النور ابلغ لان الضوء فيه دلالة على الزيادة والمراد ازالة
النور عنهم راسا ولو قيل ذهب الله بضوئهم لاوهم الذهاب بالزيادة وبقاء ما يسمى
نورا الا ترى كيف ذكر عقيبه وتركهم في ظلمات والظلمة عرض ينافي النور وكيف جمعها
وكيف نكرها وكيف اتبعها ما يدل على انها ظلمة لا يتراءى فيها شبحان وهو قوله لا يبصرون
وترك بمعنى طرح وخلى اذا علق بواحد فاذا علق بشيئين كان متضمنا معنى صير فيجري مجرى
افعال القلوب ومنه وتركهم في ظلمات اصله هم في ظلمات ثم دخل ترك فنصب الجزئين
والمفعول الساقط من لا يبصرون من قبيل المتروك المطرح لا من قبيل المقدر المنوي كان
الفعل غير متعد اصلا وانما شبهت حالهم بحال المستوقد لانهم غب الاضاءة وقعوا في ظلمة
وحيرة نعم المنافق خابط في ظلماء الكفر ابدا ولكن المراد ما استضاؤا به قليلا من الانتفاع
بالكلمة المجراة على السنتهم وورائ استضاءتهم بنور هذه الكلمة ظلمة النفاق المفضية بهم الى
ظلمة العقاب السرمد وللاية تفسير آخر وهو انهم لما وصفوا بانهم اشتروا الضلالة بالهدى
عقب ذلك بهذا التمثيل ليمثل هداهم الذي باعوا بالنار المضيئة ما حول المستوقد والضلالة
التى اشتروها بذهاب الله بنورهم وتركه اياهم في الظلمات وتنكير النار للتعظيم صم
بكم عمي لما كانت حواسهم سليمة ولكن لما سدوا عن الاصاخة الى الحق مسامعهم
وابوا ان ينطقوا به السنتهم وان ينظروا ويتبصروا بعيونهم جعلوا كانما ايفت
مشاعرهم وطريقته عند علماء البيان طريقة قولهم هم ليوث للشجعان وبحور
للاسخياء الا ان هذا في الصفات وذلك في الاسماء وما في الاية تشبيه بليغ في الاصح لا
استعارة لان المستعار له مذكور وهم المنافقون والاستعارة انما تطلق حيث يطوى ذكر

المستعار له ويجعل الكلام خلوا عنه صالحا لان يراد به المنقول عنه والمنقول اليه لولا دلالة
الحال او فحوى الكلام فهم لا يرجعون لا يعودون الى الهدى بعد ان باعوه او عن الضلالة
بعد ان اشتروها لتنوع الرجوع الى الشيء وعنه او اراد انهم متحيرون بقوا جامدين
في مكاناتهم لا يبرحون ولا يدرون ايتقدمون ام يتأخرون او كصيب من السماء
فيه ظلمات ورعد وبرق ثنى الله سبحانه في شأنهم بتمثيل آخر لزيادة الكشف والايضاح
وشبه المنافق في التمثيل الاول بالمستوقد نارا واظهاره الايمان بالاضاءة وانقطاع
انتفاعه بانطفاء النار وهنا شبه دين الاسلام بالصيب لان القلوب تحيى به حيوة
الارض بالمطر وما يتعلق به من شبه الكفار بالظلمات وما فيه من الوعد والوعيد
بالرعد والبرق وما يصيبهم من الافزاع والبلايا من جهة اهل الاسلام بالصواعق والمعنى
او كمثل ذوي صيب فحذف مثل لدلالة العطف عليه وذوي لدلالة يجعلون عليه
والمراد كمثل قوم اخذتهم السماء بهذه الصفة فلقوا منها ما لقوا فهذا تشبيه اشياء
باشياء الا انه لم يصرح بذكر المشبهات كما صرح في قوله وما يستوي الاعمى والبصير و
الذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء وقول امرء القيس كأن قلوب الطير
رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي بل جاء به مطويا ذكره على سنن
الاستعارة والصحيح ان التمثيلين من جملة التمثيلات المركبة دون المفرقة لا يتكلف
لواحد واحد شيء يقدر شبهه به بيانه ان العرب تاخذ اشياء فرادى معزولا بعضها
من بعض لم ياخذ هذا حجزة ذلك فتشبهها بنظائرها كما فعل امرء القيس وتشبه كيفية حاصلة من
مجموع اشياء قد تضامت وتلاصقت حتى عادت شيئا واحدا باخرى مثلها كقوله تعالى مثل
الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها الاية فالمراد تشبيه حال اليهود في جهلها بما معها من التورية
بحال الحمار في جهله بما يحمل الحكمة وحمل ما سواها من الاوقار لا يشعر من ذلك الا بما يمر به فيه من
الكد والتعب وكقوله تعالى واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء فالمراد قلة زهرة
الدنيا كقلة بقاء الخضر فهو تشبيه كيفية بكيفية فاما ان يراد تشبيه الافراد بالافراد غير منوط بعضها
ببعض ومصيرة شيئا واحدا فلا فكذلك لما وصف وقوع المنافقين في ضلالتهم وما خبطوا فيه

من اسفار الحكمة وتساوي الحالتين عنده من حمل اسفار

من الحيرة والدهشة شبهت حيرتهم وشدة الامر عليهم بما يكابد من طفئت ناره بعد ايقادها
في ظلمة الليل وكذلك من اخذته السماء في الليلة المظلمة مع رعد وبرق وخوف من الصواعق
والتمثيل الثاني ابلغ لانه ادل على فرط الحيرة وشدة الامر عليهم ولذا اخر وهم يتدرجون
في نحو هذا من الاهون الى الاغلظ وعطف احد التمثيلين على الآخر باو لانها في اصلها لتساوي
شيئين فصاعدا في الشك عند البعض ثم استعيرت لمجرد التساوي كقولك جالس الحسن او ابن
سيرين تريد انهما سيان في استصواب ان يجالسا وقوله تعالى ولا تطع منهم آثما او كفورا
اي الكفور والآثم سيان في وجوب العصيان فكذا ههنا معناه ان كيفية قصة المنافقين
مشبهة بكيفيتي هاتين القصتين وان القصتين سواء في استقلال كل واحدة منهما بوجه
التمثيل فبأيتهما مثلتها فانت مصيب وان مثلتها بهما جميعا فكذلك والصيب المطر الذي يصوب
اي ينزل ويقال للسحاب صيب ايضا وتنكير صيب لانه نوع من المطر شديد هائل كما نكرت
النار في التمثيل والسماء هذه المظلة وعن الحسن انها موج مكفوف والفائدة في ذكر السماء
والصيب لا يكون الا من السماء انه جاء بالسماء معرفة فافاد انه غمام آخذ بآفاق السماء
ونفى ان يكون من سماء اي من افق واحد من بين سائر الآفاق لان كل افق من آفاقها
سماء ففي التعريف مبالغة كما في تنكير صيب وتركيبه وبنائه وفيه ان السحاب من السماء
ينحدر ومنها يأخذ ماءه وقيل انه يأخذ من البحر ويرتفع ظلمات بالجار والمجرور لانه قد قوي
لكونه صفة لصيب بخلاف ما لو قلت ابتداء فيه ظلمات ففيه خلاف بين الاخفش وسيبويه
والرعد الصوت الذي يسمع من السحاب لاصطكاك اجرام السحاب او ملك يسوق السحاب
والبرق الذي يلمع من السحاب من برق الشيء بريقا اذا لمع والضمير في فيه يعود الى الصيب فقد
جعل الصيب مكانا للظلمات فان اريد به السحاب فظلماته اذا كان اسحم مطبقا ظلمتا سحمته و
تطبيقه مضمومة اليها ظلمة الليل واما ظلمات المطر فظلمة تكاثفه بتتابع القطر وظلمة اظلال غمامه
مع ظلمة الليل وجعل الصيب مكانا للرعد والبرق على ارادة السحاب به ظاهر وكذا ان اريد به
المطر لانهما ملتبسان به في الجملة ولم يجمع الرعد والبرق لانهما مصدران في الاصل يقال رعدت
السماء رعدا وبرقت برقا فروعي حكم الاصل بان ترك جمعهما ونكرت هذه الاشياء لان المراد انواع

منها كانه قيل فيه ظلمات داجية ورعد قاصف وبرق خاطف يجعلون اصابعهم في آذانهم
الضمير لاصحاب الصيب وان كان محذوفا كما في قوله تعالى او هم قائلون لان المحذوف باق معناه
وان سقط لفظه ولا محل ليجعلون لكونه مستأنفا لانه لما ذكر الرعد والبرق على ما يؤذن
بالشدة والهول فكأن قائلا قال كيف حالهم مع مثل ذلك الرعد فقيل يجعلون اصابعهم في
آذانهم ثم قال فكيف حالهم مع مثل ذلك البرق فقيل يكاد البرق يخطف ابصارهم وانما ذكر
الاصابع ولم يذكر الانامل ورؤوس الاصابع هو الذي يجعل في الاذن اتساعا كقوله فاقطعوا
ايديهما والمراد الى الرسغ ولان في ذكر الاصابع من المبالغة ما ليس في ذكر الانامل وانما لم يذكر
الاصبع الخاص الذي يسد به الاذن لان السبابة فعالة من السب فكان اجتنابها اولى بآداب
القرآن ولم يذكر المسبحة لانها مستحدثة غير مشهورة من الصواعق متعلق بيجعلون اي
من اجل الصواعق يجعلون اصابعهم في آذانهم والصاعقة قصفة الرعد تنقض معها شقة من
نار قالوا تنقدح من السحاب اذا اصطكت اجرامه وهي نار لطيفة حديدة لا تمر بشيء الا اتت عليه
الا انها مع حدتها سريعة الخمود يحكى انها سقطت على نخلة فاحرقت نحو النصف ثم طفئت و
يقال صعقته الصاعقة اذا اهلكته فصعق اي مات اما بشدة الصوت او بالاحراق حذر الموت
مفعول له والموت فساد بنية الحيوان او عرض لا يصح معه احساس معاقب للحيوة والله
محيط بالكافرين يعني انهم لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط فهو مجاز وهذه الجملة اعتراض
لا محل لها يكاد البرق يخطف ابصارهم الخطف الاخذ بسرعة وكاد يستعمل لتقريب الفعل جدا
وموضع يخطف نصب لانه خبر كاد كلما اضاء لهم كل ظرف وما نكرة موصوفة معناه الوقت
والعائد محذوف اي كل وقت اضاء لهم فيه والعامل فيه جوابها وهو مشوا فيه اي في ضوئه
وهو استيناف ثالث كانه جواب لمن يقول كيف يصنعون في تارتي خفوق البرق وخفيته
وهذا تمثيل لشدة الامر على المنافقين بشدته على اصحاب الصيب وما هم فيه من غاية التحير والجهل
بما يأتون وما يذرون اذا صادفوا من البرق خفقة مع خوف ان يخطف ابصارهم انتهزوا
تلك الخفقة فرصة فخطوا خطوات يسيرة فاذا خفي وفتر لمعانه بقوا واقفين واضاء متعد اي
كلما نور لهم ممشى ومسلكا اخذوه والمفعول محذوف او غير متعد اي كلما لمع لهم مشوا في مطرح

نورها والمشي جنس الحركة المخصوصة واذا اشتد فهو سعي فاذا ازداد فهو عدو واذا اظلم
عليهم اظلم غير متعد وذكر مع اضاء كلما ومع اظلم اذا لانهم حراص على وجود ما همهم به
من امكان المشي فكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها ولا كذلك التوقف قاموا وقفوا
وثبتوا في مكانهم ومنه قام الماء جمد ولو شاء الله لذهب بسمعهم بقصيف الرعد
وابصارهم بوميض البرق ومفعول شاء محذوف لدلالة الجواب عليه اي ولو شاء الله
ان يذهب بسمعهم وابصارهم لذهب بهما ولقد تكاثر هذا الحذف في شاء واراد لا يكادون
يبرزون المفعول الا في الشيء المستغرب كنحو قوله فلو شئت ان ابكي دما لبكيته عليه ولكن
ساحة الصبر اوسع وقوله تعالى لو اردنا ان نتخذ لهوا ولو اراد الله ان يتخذ ولدا ان الله
على كل شيء قدير اي ان الله قادر على كل شيء لما عدد الله تعالى فرق المكلفين من المؤمنين و
الكفار والمنافقين وذكر صفاتهم واحوالهم وما اختصت به كل فرقة مما يسعدها ويشقيها
ويحظيها عند الله ويرديها اقبل عليهم بالخطاب وهو من الالتفات المذكور فقال يا ايها
الناس قال علقمة رحمه الله ما في القران يا ايها الناس فهو خطاب لاهل مكة وما فيه يا ايها
الذين امنوا فهو خطاب لاهل المدينة وهذا خطاب لمشركي مكة ويا حرف وضع لنداء
البعيد واي والهمزة للقريب ثم استعمل في مناداة من غفل وسهي وان قرب ودنا تنزيلا له
منزلة من بعد ونا ي فاذا نودي به القريب المفاطن فذلك للتاكيد المؤذن بان الخطاب
الذي يتلوه معني به جدا وقول الداعي يا رب وهو اقرب اليه من حبل الوريد استقصار
منه لنفسه واستبعاد لها من مظان الزلفى هضما لنفسه واقرارا عليها بالتفريط مع فرط التهالك
على استجابة دعوته واي وصلة الى نداء ما فيه الالف واللام كما ان ذو والذي وصلتان
الى الوصف باسماء الاجناس ووصف المعارف بالجمل وهو اسم مبهم يفتقر الى ما يوضحه
ويزيل ابهامه فلا بد ان يردفه اسم جنس او ما يجري مجراه ويتصف به حتى يتضح المقصود
بالنداء فالذي يعمل فيه يا اي والتابع له صفته نحو يا زيد الظريف الا ان ايا لا يستقل
استقلال زيد فلم ينفك عن الصفة وكلمة التنبيه المقحمة بين الصفة وموصوفها لتاكيد معنى
النداء والعوض عما يستحقه اي من الاضافة وكثر النداء في القران على هذه الطريقة لان ما نادى

الله به عباده من اوامره ونواهيه ووعده ووعيده امور عظام وخطوب جسام يجب
عليهم ان يتيقظوا لها ويميلوا بقلوبهم اليها وهم عنها غافلون فاقتضت الحال ان ينادوا
بالاكد الابلغ اعبدوا ربكم وحدوه قال ابن عباس رضي الله عنهما كل عبادة في القران فهو
توحيد الذي خلقكم صفة موضحة مميزة لانهم كانوا يسمون الالهة اربابا والخلق ايجاد
المعدوم على تقدير واستواء وعند المعتزلة ايجاد الشيء على تقدير واستواء وهذا بناء
على ان المعدوم شيء عندهم لان الشيء ما صح ان يعلم ويخبر عنه عندهم وعندنا هو اسم
للموجود خلقكم بالادغام ابو عمرو والذين من قبلكم احتج عليهم بانه خالقهم وخالق من قبلهم
لانهم كانوا مقرين بذلك فقيل لهم اذا كنتم مقرين بانه خالقكم فاعبدوه ولا تعبدوا
الاصنام لعلكم تتقون اي اعبدوا على رجاء ان تتقوا فتنجوا بسببه من العذاب ولعل
للترجي والاطماع ولكنه اطماع من كريم فيجري مجرى وعده المحتوم وفاؤه وبه قال
سيبويه وقال قطرب هو بمعنى كي اي لكي تتقوا الذي جعل لكم الارض اي صير ومحل الذي
نصب على المدح او رفع باضمار هو فراشا بساطا تقعدون عليها وتنامون وتنقلبون
وهو مفعول ثان لجعل وليس فيه دليل على ان الارض مسطحة او كرية اذ الافتراش ممكن على
التقديرين والسماء بناء سقفا لقوله وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهو مصدر سمي به
المبني وانزل من السماء ماء مطرا فاخرج به بالماء نعم خروج الثمرات بقدرته ومشيئته
وايجاده ولكن جعل الماء سببا في خروجها كماء الفحل في خلق الولد وهو قادر على انشاء
الكل بلا سبب كما انشاء نفوس الاسباب والمواد ولكن له في انشاء الاشياء مدرجا لها
من حال الى حال وناقلا من مرتبة الى مرتبة حكما وعبرا للنظار بعيون الاستبصار ومن
في من الثمرات للتبعيض او للبيان رزقا مفعول له ان كانت للتبعيض ومفعول لاخرج
ان كانت للبيان وانما قيل الثمرات دون الثمر والثمار وان كانت الثمر المخرج بماء السماء كثيرا
لان المراد جماعة الثمرة ولان الجموع يتعاور بعضها موقع بعض لالتقائهما في الجمعية لكم صفة جارية
على الرزق ان اريد به العين وان جعل اسما للمعنى فهو مفعول به كانه قيل رزقا اياكم فلا تجعلوا لله
اندادا هو متعلق بالامر اي اعبدوا ربكم فلا تجعلوا لله اندادا لان اصل العبادة واساسها التو

وان لا يجعل له ولا شريك ويجوز ان يكون الذي رفعا على الابتداء وخبره فلا تجعلوا ودخول

الفاء لان الكلام يتضمن معنى الجزاء اى الذى حفكم بهذه الآيات العظيمة والدلايل النيرة

الشاهدة بالوحدانية فلا تتخذوا له شركاء والند المثل ولا يقال الا للمثل المخالف المناوي

ومعنى قولهم ليس لله ند ولا ضد نفي ما يسد مسده ونفي ما ينافيه وانتم تعلمون انها لا تخلق

شيا ولا ترزق والله الخالق الرازق او مفعول تعلمون متروك اي وانتم من اهل العلم وجعل

الاصنام لله اندادا غاية الجهل والجملة حال من الضمير في فلا تجعلوا ولما احتج عليهم بما يثبت

الوحدانية ويبطل الاشراك بخلقهم احياء قادرين وخلق الارض التي هي مكانهم ومستقرهم

وخلق السماء التي هي كالقبة المضروبة والخيمة المطنبة على هذا القرار وما سواه عز وجل

من شبه عقد النكاح بين المقلة والمظلة بانزال الماء منها عليها والاخراج به من بطنها اشباه

النسل من الثمار رزقا لبني آدم فهذا كله دليل موصل الي التوحيد ومبطل للاشراك لان شيا

من المخلوقات لا يقدر على ايجاد شيء منها عطف على ذلك ما هو الحجة على اثبات نبوة محمد

صلى الله عليه وآله وسلم وما يقرر اعجاز القرآن فقال وان كنتم في ريب مما نزلنا ما نكرة موصوفة

او بمعنى الذى على عبدنا محمد صلى الله عليه وسلم والعبد اسم لمملوك من جنس العقلاء والمملوك

موجود قهر بالاستيلاء وقيل نزلنا دون انزلنا لان المراد النزول على سبيل التدريج والتنجيم

وهو من مجازه لمكان التحدي وذلك انهم كانوا يقولون لو كان هذا من عند الله لم ينزل

هكذا نجوما سورة بعد سورة وآيات عقب آيات على سبيل النوازل وعلى سنن ما نرى

عليه اهل الخطابة والشعر من وجود ما يوجد منهم مفرقا حينا فحينا شيا فشيا ولا يلقى الناظم

ديوان شعره دفعة ولا يرمي الناثر بخطبه ضربة فلو انزله الله لانزله جملة قال الله تعالى وقال

الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة فقيل ان ارتبتم في هذا الذي وقع انزاله

هكذا على تدريج فاتوا بسورة اي فهاتوا انتم نوبة واحدة من نوبه وهلموا نجما فردا من نجومه

سورة من اصغر السور والسورة الطائفة من القرآن المترجمة التي اقلها ثلاث آيات وواوها ان كانت اصلا فاما ان تسمى بسورة المدينة وهي حائطها لانها طائفة من القرآن محدودة

محوزة على حيالها كالبلد المسور او لانها محتوية على فنون من العلم واجناس من الفوائد

كاحتواء

كاحتواء سورة المدينة على ما فيها واما ان تسمى بالسورة التي هي الرتبة لان السور بمنزلة المنازل و

المراتب يترقى فيها القاري وهي ايضا في نفسها مترتبة طوال واوساط وقصار او لرفعة شانها

وجلالة محلها في الدين وان كانت منقلبة عن همزة فلانها قطعة وطائفة من القرآن

كالسورة التي هي البقية من الشيء واما الفائدة في تفصيل القرآن وتقطيعه سورا فهي كثيرة

ولذا انزل الله التورية والانجيل والزبور وسائر ما اوحاه الى انبيائه سورة مترجمة

السور وبوب المصنفون في كل فن كتبهم ابوابا موشحة الصدور بالتراجم منها ان

الجنس اذا انطوت تحته انواع واشتمل على اصناف كان احسن من ان يكون بيانا واحدا و

منها ان القاري اذا ختم سورة او بابا من الكتاب ثم اخذ في آخر كان انشط له وابعث على

الدرس والتحصيل منه لو استمر على الكتاب بطوله ومن ثم جزء القراء القرآن اسباعا

واجزاء وعشورا واخماسا ومنها ان الحافظ اذا حذق السورة اعتقد انه اخذ من كتاب الله

طائفة مستقلة بنفسها لها فاتحة وخاتمة فيعظم عنده ما حفظه ويجل في نفسه ومنه حديث

انس رضي الله عنه كان الرجل اذا قرء البقرة وآل عمران جد فينا ومن ثم كانت القراءة في

الصلوة بسورة تامة افضل من مثله متعلق بسورة صفة لها والضمير لما نزلنا اي بسورة

كائنة من مثله يعني فاتوا بسورة مما هو على صفته في البيان الغريب وعلو الطبقة في حسن

النظم او لعبدنا اى فاتوا ممن هو على حاله من كونه اميا لم يقرء الكتب ولم ياخذ من العلماء

ولا قصد الي مثل ونظير هنالك ورد الضمير الي المنزل اولي لقوله فاتوا بسورة من مثله

فاتوا بعشر سور مثله على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله ولان الكلام مع رد الضمير

الي المنزل احسن ترتيبا وذلك ان الحديث في المنزل لا في المنزل عليه وهو مسوق اليه فان المعنى

وان ارتبتم في ان القرآن منزل من عند الله فهاتوا انتم نبذا مما يماثله وقضية الترتيب لو كان

الضمير مردودا الي رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقال وان ارتبتم في ان محمد امنزل عليه فهاتوا

قرآنا من مثله ولان هذا التفسير يلائم قوله وادعوا شهداءكم جمع شهيد بمعنى الحاضر او القائم

بالشهادة من دون الله اي غير الله وهو متعلق بشهداءكم اي ادعوا الذين اتخذتموهم آلهة

من دون الله وزعمتم انهم يشهدون لكم يوم القيمة انكم على الحق او من يشهد لكم بان مثل القرآن

ان كنتم صادقين ان ذلك مختلق وانه من كلام محمد وجواب الشرط محذوف يدل عليه ما قبله
اي ان كنتم صادقين في دعواكم فاتوا انتم بمثله واستعينوا بآلهتكم على ذلك فان لم تفعلوا
ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة لما ارشدهم الى الجهة التي منها يتعرفون
صدق النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم فاذا لم تعارضوه وبان عجزكم ووجب تصديقه فآمنوا
وخافوا العذاب المعد لمن كذب وعاند وفيه دليلان على اثبات النبوة صحة كون المتحدى
به معجزا والاخبار بانهم لن تفعلوا وهو غيب لا يعلمه الا الله ولما كان العجز عن المعارضة قبل
التامل كالمشكوك فيه لديهم لاتكالهم على فصاحتهم واعتمادهم على بلاغتهم سيق الكلام معهم
على حسب حسبانهم فجيء بان الذي للشك دون اذا الذي للوجوب وعبر عن الاتيان بالفعل
لانه فعل من الافعال والفائدة فيه انه جار مجرى الكناية التي تعطيك اختصارا اذ لو لم يعدل
عن لفظ الاتيان الى لفظ الفعل لاستطيل ان يقال فان لم تاتوا بسورة من مثله ولن تاتوا بسورة
من مثله ولا محل لقوله ولن تفعلوا لانها جملة اعتراضية وحسن هذا الاعتراض ان لفظ الشرط
للتردد فقطع التردد بقوله ولن تفعلوا ولا ولن اختان في نفي المستقبل الا ان في لن تاكيدا
وعن الخليل اصلها لا ان وعند الفراء لا ابدلت الفها نونا وعند سيبويه حرف موضوع لتاكيد
نفي المستقبل وانما علم انه اخبار بالغيب على ما هو به حتى صار معجزة لانهم لو عارضوه بشيء
لاشتهر كيف والطاعنون فيه اكثر من الذابين عنه وشرط في اتقاء النار انتفاء اتيانهم
بسورة من مثله لانهم اذا لم ياتوا بها وتبين عجزهم عن المعارضة صح عندهم صدق الرسول
واذا صح عندهم صدقه ثم لزموا العناد وابوا الانقياد استوجبوا النار فقيل لهم ان
استبنتم العجز فاتركوا العناد فوضع فاتقوا النار موضعه لان اتقاء النار سبب ترك العناد
وهو من باب الكناية وهي من شعب البلاغة وفائدته الايجاز الذي هو من حلية القرآن
والوقود ما ترفع به النار يعني الحطب واما المصدر فمضموم وقد جاء فيه الفتح وصلة التي و
الذي يجب ان تكون معلوما للمخاطب فيحتمل ان يكونوا سمعوا من اهل الكتاب او من رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم او سمعوا قبل هذه الآية قوله تعالى نارا وقودها الناس والحجارة وانما جاءت النار منكرة
ثم ومعرفة هنا لان تلك الآية نزلت بمكة ثم نزلت هذه الآية بمدينة مشارا بها الى ما عرفوه اولا

ومعنى

ومعنى قوله وقودها الناس والحجارة انها نار ممتازة عن غيرها من النيران بانها تتقد بالناس والحجارة
وهي حجارة الكبريت وهي اشد توقدا وابطأ خمودا وانتن رائحة والصق بالبدن او الاصنام
المعبودة فهي اشد تحسرا وانما قرن الناس بالحجارة لانهم قرنوا بها انفسهم في الدنيا حيث عبدوها
وجعلوها لله اندادا ونحوه قوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم اي حطبها
فقرنهم بها محماة في نار جهنم ابلاغا في ايلامهم اعدت للكافرين هيئت لهم وفيه دليل على ان
النار مخلوقة خلافا لما يقوله جهم سنة الله في كتابه ان يذكر الترغيب مع الترهيب تنشيطا
لاكتساب ما يزلف وتثبيطا من اقتراف ما يتلف فلما ذكر الكفار واعمالهم واوعدهم بالعقاب
قفاه بذكر المؤمنين واعمالهم وتبشيرهم بقوله وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات و
المامور بقوله وبشر الرسول عليه الصلوة والسلام او كل احد وهذا احسن لانه يؤذن بان
الامر لعظمه وفخامة شانه محقوق بان يبشر به كل من قدر على البشارة به وهو معطوف
على فاتقوا كما تقول يا بني تميم احذروا عقوبة ما جنيتم وبشر يا فلان بني اسد باحساني
اليهم او جملة وصف ثواب المؤمنين معطوفة على جملة وصف عقاب الكافرين كقولك
زيد يعاقب بالقيد والارهاق وبشر عمرا بالعفو والاطلاق والبشارة الاخبار بما يظهر
سرور المخبر به ومن ثم اذا قال لعبيده ايكم بشرني بقدوم فلان فهو حر فبشروه فرادى
عتق اولهم لانه هو الذي اظهر سروره بخبره دون الباقين ولو قال اخبرني مكان بشرني
عتقوا لانهم اخبروه ومنه البشرة لظاهر الجلد وتباشير الصبح ما ظهر من اوائل ضوءه ف
اما فبشرهم بعذاب اليم فمن العكس في الكلام الذي يقصد به الاستهزاء الزائد في غيظ المستهزأ
به كما يقول الرجل لعدوه ابشر بقتل ذريتك ونهب مالك والصالحة نحو الحسنة في
جريها مجرى الاسم والصالحات كل ما استقام من الاعمال بدليل العقل والكتاب والسنة و
اللام للجنس والآية حجة على من جعل الاعمال ايمانا لانه عطف الاعمال الصالحة على الايمان والمعطوف
غير المعطوف عليه ولا يقال انكم تقولون يجوز ان يدخل المؤمن الجنة بدون الاعمال الصالحة
والله تعالى بشر بالجنة لمن آمن وعمل صالحا لان البشارة المطلقة بالجنة شرطها اقتران الاعمال
الصالحة بالايمان ولا يجعل لصاحب الكبيرة البشارة المطلقة بل تثبت بشارة مقيدة بمشية الله

وياقوت بين المصراعين كما بين المغرب والمشرق وجنة المأوى وجنة الخلد وجنة الفردوس وجنة نعيم قال دار الجلال كلها من النور مدائنها وقصورها وبيوتها وشرفها وابوابها ودرجها وغرفها وعاليها وسافلها وخيامها واوانيها وحليها وانهارها وكل ما فيها ودار السلام كلها من الياقوت الاحمر ودار القرار كلها من المرجان وجنة عدن كلها من الزبرجد وجنة المأوى من الذهب الاحمر كلها وجنة الخلد من الفضة كلها وجنة نعيم من الزمرد كلها وجنة الفردوس كلها من اللؤلؤ وحيطانها لبنة ذهب ولبنة فضة ولبنة ياقوت ولبنة زبرجد وملاطها المسك وقصورها الياقوت وغرفها اللؤلؤ ومصاريعها الذهب وارضها الفضة وحصاؤها المرجان وترابها المسك ونباتها الزعفران والعنبر كذا في التفسير سئل انس بن مالك عن الجنة اهي في الارض ام في السماء فقال اي ارض وسماء تسع الجنة قيل فاين هي قال فوق السموات السبع تحت العرش وجهنم تحت الارضين السبع كذا في المغني ، مولانا الهداد عليه الرحمة

تعالى ان شاء غفر له وان شاء عذبه بقدر ذنوبهم ثم يدخله الجنة ان لهم جنات اي بان لهم وموضع ان وما عملت فيه النصب ببشر عند سيبويه خلافا للخليل وهو كثير في التنزيل والجنة البستان من النخل والشجر المتكاثف والتركيب دائر على معنى الستر ومنه الجن والجنون والجنين والجنة والجنان والجنان وسميت دار الثواب جنة لما فيها من الجنان والجنة مخلوقة لقوله تعالى اسكن انت وزوجك الجنة خلافا لبعض المعتزلة ومعنى جمع الجنة وتنكيرها ان الجنة اسم لدار الثواب كلها وهي مشتملة على جنات كثيرة مرتبة مراتب بحسب اعمال العاملين لكل طبقة منهم جنات من تلك الجنان تجري من تحتها الانهار الجملة في موضع النصب صفة لجنات والمراد من تحت اشجارها كما ترى الاشجار النابتة على شواطئ الانهار الجارية وانهار الجنة تجري في غير اخدود وانزه البساتين ما كانت اشجارها مظلة والانهار في خلالها مطردة والجري الاطراد والنهر المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر يقال للنيل نهر مصر واللغة العالية النهر ومدار التركيب على السعة واسناد الجري الى الانهار مجازي وانما عرف الانهار لانه يحتمل ان يراد بها انهارها فعوض التعريف باللام من تعريف الاضافة كقوله تعالى واشتعل الراس شيبا او يشار باللام الى الانهار المذكورة في قوله تعالى فيها انهار من ماء غير آسن الآية والماء الجاري من النعمة العظمى واللذة الكبرى ولذا قرن الله تعالى الجنات بذكر الانهار الجارية وقدمه على سائر نعوتها كلما رزقوا صفة ثانية لجنات او جملة مستانفة لانه لما قيل ان لهم جنات لم يخل خلد السامع ان يقع فيه اثمار تلك الجنات اشباه ثمار جنات الدنيا ام اجناس اخر لا تشابه هذه الاجناس فقيل ان ثمارها اشباه ثمار جنات الدنيا اي اجناسها اجناسها وان تفاوتت الى غاية لا يعلمها الا الله منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي اي كلما رزقوا من الجنات من اي ثمرة كانت من تفاحها او رمانها او غير ذلك رزقا قالوا ذلك فمن الاولى والثانية كلتاهما لابتداء الغاية لان الرزق قد ابتدئ من الجنات والرزق من الجنات قد ابتدئ من ثمرة ونظيره ان تقول رزقني فلان فيقال لك من اين فتقول من بستانه فيقال من اي ثمرة رزقك من بستانه فتقول من الرمان وليس المراد بالثمرة التفاحة الواحدة او الرمانة الفذة وانما المراد نوع من انواع الثمار رزقنا اي رزقناه فحذف العائد من قبل اي من قبل هذا فلما قطع عن الاضافة بني والمعنى هذا مثل الذي رزقنا من قبل و

شبهه بدليل قوله تعالى واتوا به متشابها وهذا كقولك ابو يوسف ابو حنيفة تريد انه لاستحكام الشبه كان ذاته ذاته والضمير في به يرجع الى المرزوق في الدنيا والآخرة جميعا لان قوله هذا الذي رزقنا من قبل انطوى تحته ذكر ما رزقوه في الدارين وانما كان ثمار الجنة مثل ثمار الدنيا ولم تكن اجناسا اخر لان الانسان بالمالوف آنس والى المعهود اميل واذا رأى ما لم يالفه نفر عنه طبعه وعافته نفسه ولانه اذا شاهد ما سلف له به عهد ورأى فيه مزية ظاهرة وتفاوتا بينا كان استعجابه به اكثر واستغرابه اوفر وتكريرهم هذا القول عند كل ثمرة يرزقونها دليل على تناهي الامر وتمادي الحال في ظهور المزية وعلى ان ذلك التفاوت العظيم هو الذي يستملي تعجبهم في كل اوان او الى الرزق كما ان هذا اشارة اليه والمعنى ان ما يرزقونه من ثمرات الجنة ياتيهم متجانسا في نفسه كما يحكى عن الحسن يؤتى احدهم بالصحفة فياكل منها ثم يؤتى بالاخرى فيقول هذا الذي اوتينا به من قبل فيقول الملك كل فاللون واحد والطعم مختلف وعنه عليه الصلوة والسلام والذي نفس محمد بيده ان الرجل من اهل الجنة ليتناول الثمرة لياكلها فما هي بواصلة الى فيه حتى يبدل الله مكانها فاذا ابصروها والهيئة هيئة الاولى قالوا ذلك وقوله واتوا به متشابها جملة معترضة للتقرير كقولك فلان احسن بفلان ونعم ما فعل ورأى من الرأي كذا وكان صوابا ومنه وجعلوا اعزة اهلها اذلة وكذلك يفعلون ولهم فيها ازواج ازواج مبتدأ ولهم الخبر وفيها ظرف للاستقرار مطهرة من مساوي الاخلاق لا طمحات ولا مرحات ومما يختص بهن من البول والغائط وسائر الاقذار والادناس ولم يجمع كالموصوف الصفة لانهما لغتان فصيحتان ولم يقل طاهرة لان مطهرة ابلغ لانها تكون للتكثير وفيها اشعار بان مطهرا طهرهن وما ذاك الا الله عز وجل وهم فيها خالدون الخلد والخلود البقاء الدائم الذي لا ينقطع وفيه بطلان قول الجهمية فانهم يقولون بفناء الجنة واهلها لانه تعالى وصف بانه الاول والآخر وتحقيق وصف اوليته بسبقه على الخلق اجمع فيجب تحقيق وصف الآخرية بالتاخر عن سائر المخلوقات وذا انما يتحقق بعد فناء الكل فوجب القول به ضرورة ولانه تعالى باق واوصافه باقية فلو كانت الجنة

باقية مع اهلها لوقع التشابه بين الخالق والخلق وذا محال قلنا الاول في حقه هو الذي لا
ابتداء لوجوده والاخر هو الذي لا انتهاء له وفي حقنا الاول هو الفرد السابق والاخر هو
الفرد اللاحق واتصافه بهما لبيان صفة الكمال ونفي النقيصة والزوال وذا في تنزيهه عن احتمال
الحدوث والفناء لا فيما قالوه واني يقع التشابه في البقاء وهو تعالى باق لذاته وبقاؤه
واجب الوجود وبقاء الخلق به وهو جائز الوجود لما ذكر الله الذباب والعنكبوت
في كتابه وضرب به مثلا ضحكت اليهود وقالوا ما يشبه هذا كلام الله فنزل ان الله لا
يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة اي لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيي ان
يتمثل بها لحقارتها واصل الحياء تغير وانكسار يعتري الانسان من تخوف ما يعاب به و
يذم ولا يجوز على القديم التغير والخوف والذم ولكن الترك لما كان من لوازمه عبر
عنه به ويجوز ان يقع هذه العبارة في كلام الكفرة فقالوا اما يستحيي رب محمد ان يضرب
مثلا بالذباب والعنكبوت فجاءت على سبيل المقابلة واطباق الجواب على السؤال وهو
فن من كلامهم بديع وفيه لغتان التعدي بنفسه وبالجار يقال استحييته واستحييت منه
وهما محتملتان هنا وضرب المثل صنعه من ضرب اللبن وضرب الخاتم وما هذه ابهامية
وهي التي اذا اقترنت باسم نكرة ابهمته ابهاما وزادته عموما كقولك اعطني كتابا ما تريد
اي كتاب او صلة للتاكيد كالتي في قوله تعالى فبما نقضهم ميثاقهم كانه قال لا يستحيي ان
يضرب مثلا البتة وبعوضة عطف بيان لمثلا او مفعول ليضرب ومثلا حال عن النكرة
مقدمة عليه او انتصبا مفعولين على ان ضرب بمعنى جعل واشتقاقها من البعض وهو
القطع كالبضع والعضب يقال بعضه البعوض ومنه بعض الشيء لانه قطعة منه والبعوض
في اصله صفة على فعول كالقطوع فغلبت فما فوقها فما تجاوزها وزاد عليها في المعنى الذي
ضربت فيه مثلا وهو القلة والحقارة او فما زاد عليها في الحجم كانه اراد بذلك رد ما استنكروه
من ضرب المثل بالذباب والعنكبوت لانها اكبر من البعوضة ولا يقال كيف يضرب المثل بما
دون البعوضة وهو النهاية في الصغر لان جناح البعوضة اقل منها واصغر بدرجات
وقد ضرب به رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلا للدنيا فاما الذين امنوا فيعلمون انه الحق

الضمير

الضمير للمثل او لان يضرب والحق الثابت الذي لا يسوغ انكاره يقال حق الامر اذا ثبت ووجب
من ربهم في موضع النصب على الحال والعامل معنى الحق وذو الحال الضمير المستتر فيه واما
الذين كفروا فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا ويوقف عليه اذ لو وصل لصار ما بعده صفة
له وليس كذلك وفي قولهم ماذا اراد الله بهذا مثلا استحقار كما قالت عائشة رضي الله عنها في
عبد الله بن عمرو يا عجبا لابن عمرو هذا محقرة له ومثلا نصب على التمييز او على الحال كقوله
هذه ناقة الله لكم اية واما حرف فيه معنى الشرط ولذا يجاب بالفاء وفائدته في الكلام انه يعطيه
فضل توكيد تقول زيد ذاهب فاذا قصدت توكيده وانه لا محالة ذاهب قلت اما زيد فذاهب
فلذا قال سيبويه في تفسيره مهما يكن من شيء فزيد ذاهب وهذا التفسير يفيد كونه توكيدا
وانه في معنى الشرط وفي ايراد الجملتين المصدرتين به وان لم يقل فالذين امنوا يعلمون و
الذين كفروا يقولون احماد عظيم لامر المومنين واعتداد بليغ لعلمهم انه الحق ونعي على
الكافرين لاغفالهم حظهم ورميهم بالكلمة الحمقاء وماذا فيه وجهان ان يكون ذا اسما موصولا
بمعنى الذي وما استفهاما فيكون كلمتين وان يكون ذا مركبة مع ما مجعولتين اسما واحدا
للاستفهام فيكون كلمة واحدة فما على الاول رفع بالابتداء وخبره ذا مع صلته اي اراد
والعائد محذوف وعلى الثاني منصوب المحل باراد والتقدير اي شيء اراد الله والارادة
مصدر اردت الشيء اذا طلبته نفسك ومال اليه قلبك وهي عند المتكلمين معنى يقتضي تخصيص
المفعولات بوجه دون وجه والله تعالى موصوف بالارادة على الحقيقة عند اهل السنة
وقال معتزلة بغداد انه تعالى لا يوصف بالارادة على الحقيقة فاذا قيل اراد الله كذا فان
كان فعله فمعناه انه فعل وهو غير ساه ولا مكره عليه وان كان فعل غيره فمعناه انه امر
به يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا جار مجرى التفسير والبيان للجملتين المصدرتين باما
وان فريق العالمين بانه الحق وفريق الجاهلين المستهزئين به كلاهما موصوف بالكثرة و
ان العلم بكونه حقا من باب الهدى وان الجهل بحسن مورده من باب الضلالة واهل الهدى
كثير في انفسهم وانما يوصفون بالقلة بالقياس الى اهل الضلال ولان القليل من المهديين
كثير في الحقيقة وان قلوا في الصورة ان الكرام كثير في البلاد وان قلوا كما غيرهم قل وان

كثروا والاضلال خلق فعل الضلال في العبد والهداية خلق فعل الاهتداء هذا هو الحقيقة عند
اهل السنة وسياق الآية لبيان ان ما استنكره الجهلة من الكفار واستغربوه من ان يكون
المحقرات من الاشياء مضروبا بها المثل ليس بموضع الاستنكار والاستغراب لان التمثيل انما
يصار اليه لما فيه من كشف المعنى وادناء المتوهم من المشاهد فان كان المتمثل له عظيما كان
المتمثل به مثله وان كان حقيرا كان المتمثل به كذلك الا ترى ان الحق لما كان واضحا جليا تمثل
له بالضياء والنور وان الباطل لما كان بضد صفته تمثل له بالظلمة ولما كانت حال الالهة التي
جعلها الكفار انداد الله لا حال احقر منها واقل ولذلك جعل بيت العنكبوت مثلها في
الضعف والوهن وجعلت اقل من الذباب وضربت لها البعوضة فالذي دونها مثلا لم
يستنكر ولم يستبدع ولم يقل للمتمثل استحي من تمثيلها بالبعوضة لانه مصيب في تمثيله محق
في قوله سائق للمثل على قضية مضربه ولبيان ان المؤمنين الذين عادتهم الانصاف والنظر
في الامور بناظر العقل اذا سمعوا بهذا التمثيل علموا انه الحق وان الكفار الذين غلبهم الجهل
على عقولهم كابروا وعاندوا وقضوا عليه بالبطلان وقابلوه بالانكار وان ذلك سبب
هدى المؤمنين وضلال الفاسقين والعجب منهم كيف انكروا ذلك وما زال الناس يضربون
الامثال بالبهائم والطيور واخناش الارض فقالوا اجمع من ذرة ولجّ من الذباب و
اسمع من قراد واضعف من فراشة وآكل من السوس واضعف من بعوضة واعز من
مخ البعوض ولكن ديدن المحجوج والمبهوت ان يرضى لفرط الحيرة بدفع الواضح وانكار
اللائح وما يضل به الا الفاسقين هو مفعول يضل وليس بمنصوب على الاستثناء لان
يضل لم يستوف مفعوله والفسق الخروج عن القصد وفي الشريعة الخروج عن الامر
بارتكاب الكبيرة وهو النازل بين المنزلتين اي بين منزلة المؤمن والكافر عند المعتزلة
وسيمر عليك ما يبطله ان شاء الله تعالى الذين ينقضون عهد الله النقض الفسخ و
فك التركيب والعهد الموثق والمراد بهؤلاء الناقضين لعهد الله احبار اليهود والمتعنتو
اوسنا فقوهم او الكفار جميعا وعهد الله ما ركز في عقولهم من الحجة على التوحيد كانه
امر وصيهم به ووثقه عليهم او اخذ الميثاق عليهم بانه اذا بعث اليهم رسولا يصدقه الله

بمعجزاته صدقوه واتبعوه ولم يكتموا ذكره او اخذ الله العهد عليهم ان لا يسفكوا دماءهم ولا
يبغي بعضهم على بعض ولا يقطعوا ارحامهم وقيل عهد الله الى خلقه ثلثة عهود العهد الاول الذي
اخذه على جميع ذرية آدم بان يقروا بربوبيته وهو قوله واذ اخذ ربك وعهد خص به النبيين
ان يبلغوا الرسالة ويقيموا الدين وهو قوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم وعهد خص
به العلماء وهو قوله واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه
من بعد ميثاقه اصله من الوثاقة وهي احكام الشيء والضمير للعهد وهو ما وثقوا به
عهد الله من قبوله والزامه انفسهم ويجوز ان يكون بمعنى توثقته كما ان الميعاد بمعنى الوعد
او لله تعالى اي من بعد توثقته عليهم ومن لابتداء الغاية ويقطعون ما امر الله به ان يوصل
هو قطعهم الارحام وموالاة المؤمنين او قطعهم ما بين الانبياء عليهم الصلوة والسلام من الوصلة والاجتماع على
الحق في ايمانهم ببعض وكفرهم ببعض والامر طلب الفعل بقول مخصوص على سبيل الاستعلاء
وما نكرة موصوفة او بمعنى الذي وان يوصل في موضع جر بدل من الهاء اي بوصله او
في موضع رفع اي هو ان يوصل ويفسدون في الارض بقطع السبيل والتعويق عن الايمان
اولئك مبتداء هم فصل والخبر الخاسرون اي المغبونون حيث استبدلوا النقض بالوفاء
والقطع بالوصل والفساد بالصلاح والعقاب بالثواب كيف تكفرون بالله معنى الهمزة التي
في كيف مثله في قولك اتكفرون بالله ومعكم ما يصرف عن الكفر ويدعو الى الايمان وهو
الانكار والتعجيب ونظيره قولك اتطير بغير جناح وكيف تطير بغير جناح والواو في و
كنتم امواتا نطفا في اصلاب آبائكم للحال وقد مضمرة والاموات جمع ميت كالاقوال جمع
قيل ويقال لعادم الحيوة اصلا ميت ايضا كقوله بلدة ميتا فاحياكم في الارحام ثم يميتكم عند
انقضاء آجالكم ثم يحييكم للبعث ثم اليه ترجعون تصيرون الى الجزاء او ثم يحييكم في قبوركم
ثم اليه ترجعون للنشور وانما كان العطف الاول بالفاء والبواقي بثم لان الاحياء الاول
قد تعقب الموت بلا تراخ واما الموت فقد تراخى عن الحيوة والحيوة الثانية كذلك تتراخى
عن الموت ان اريد النشور وان اريد احياء القبر فمنه يكتسب العلم بتراخيه والرجوع الى
الجزاء ايضا متراخ عن النشور وانما انكر اجتماع الكفر مع القصة التي ذكرها لانها مشتملة على آيات

بينات تصرفهم عن الكفر لانها تشتمل على نعم جسام حقها ان تشكر ولا تكفر هو الذي خلق لكم ما في الارض
اي لاجلكم ولانتفاعكم به في دنياكم ودينكم اما الاول فظاهر واما الثاني فالنظر فيه وما فيه من العجائب
الدالة على صانع قادر حكيم عليم وما فيه من التذكير بالآخرة لان ملاذها تذكر ثوابها ومكارهها
تذكر عقابها وقد استدل الكرخي وابو بكر الرازي والمعتزلة بقوله خلق لكم على ان الاشياء التي
يصح ان ينتفع بها خلقت مباحة في الاصل جميعا نصب على الحال من ما ثم استوى الى السماء الاستواء
الاعتدال والاستقامة يقال استوى العود اي قام واعتدل ثم قيل استوى اليه كالسهم المرسل اذا
قصده قصدا مستويا من غير ان يلوي على شيء ومنه قوله ثم استوى الى السماء اي اقبل وعمد الى خلق
السموات بعد ما خلق ما في الارض من غير ان يريد فيما بين ذلك خلق شيء آخر والمراد بالسماء جهات
العلو كانه قيل ثم استوى الى فوق والضمير في فسواهن مبهم يفسره سبع سموات كقولهم ربه
رجلا وقيل الضمير راجع الى السماء ولفظها واحد ومعناها الجمع لانها في معنى الجنس ومعنى تسويتهن
تعديل خلقهن وتقويمه واخلاؤه من العوج والفطور او اتمام خلقهن وثم هنا لبيان فضل
خلق السموات على فضل خلق الارض ولا يناقض هذا قوله والارض بعد ذلك دحيها لان جرم
الارض تقدم خلقه خلق السماء واما دحوها فمتاخر وعن الحسن خلق الله الارض في موضع
بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان وخلق منه السموات وامسك به ملتزقها ثم اصعد
الدخان وخلق منه السموات وامسك الفهر في موضعه وبسط منها الارض فذلك قوله كانتا
رتقا وهو الالتزاق وهو بكل شيء عليم فمن ثم خلقهن خلقا مستويا محكما من غير تفاوت
مع خلق ما في الارض على حسب حاجات اهلها ومنافعهم وهو واخواته مدني غير ورش
وابو عمرو وعلي جعلوا الواو كانها من نفس الكلمة فصار بمنزلة عضد وهم يقولون في عضد
بالسكون ولما خلق الله تعالى الارض اسكن فيها الجن واسكن في السماء الملائكة فافسدت الجن في
الارض فبعث اليهم طائفة من الملائكة فطردتهم الى جزائر البحار ورؤس الجبال واقاموا مكانهم
فامر نبيه صلى الله عليه وسلم ان يذكر قصتهم فقال واذ قال ربك للملائكة اذ نصب باضمار اذكر
والملائكة جمع ملأك كالشمائل جمع شمأل والحاق التاء لتانيث الجمع اني جاعل اي مصير من جعل
الذي له مفعولان وهما في الارض خليفة وهو من يخلف غيره فعيلة بمعنى فاعلة وزيدت الهاء

للمبالغة والمعنى خليفة منكم لانهم كانوا سكان الارض فخلفهم فيها آدم وذريته ولم يقل خلائف
او خلفاء لانه اريد بالخليفة آدم فاستغني بذكره عن ذكر بنيه كما يستغنى بذكر ابي القبيلة في قولك
مضر وهاشم او اريد من يخلفكم او خلفا يخلفكم فوحد لذلك او خليفة مني لان آدم كان خليفة
الله في الارض وكذلك كل نبي قال الله تعالى انا جعلناك خليفة في الارض وانما اخبرهم بذلك
ليسألوا ذلك السؤال ويجابوا بما اجيبوا به فيعرفوا حكمته في استخلافهم قبل كونهم او ليعلم
عباده المشاورة في امورهم قبل ان يقدموا عليها وان كان هو بعلمه وحكمته البالغة غنيا عن
المشاورة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها تعجب من ان يستخلف مكان اهل الطاعة اهل المعصية
وهو الحكيم الذي لا يجهل وانما عرفوا ذلك باخبار من الله تعالى او من جهة اللوح او قاسوا
احد الثقلين على الآخر ويسفك الدماء اي يصب والواو في ونحن نسبح للحال كما تقول اتحسن الى فلان
وانا احق بالاحسان منه بحمدك في موضع الحال اي نسبح حامدين لك وملتبسين بحمدك كقوله تعالى
وقد دخلوا بالكفر اي كافرين ونقدس لك ونطهر انفسنا لك وقيل التسبيح والتقديس تبعيد الله
تعالى من السوء من سبح في الارض وقدس فيها اذا ذهب فيها وابعد قال اني اعلم ما لا
تعلمون اي اعلم من الحكم في ذلك ما هو خفي عليكم يعني يكون فيهم الانبياء والاولياء والعلماء
وما بمعنى الذي وهو مفعول اعلم والعائد محذوف اي ما لا تعلمونه اني حجازي وابو عمرو
وعلم آدم هو اسم اعجمي واقرب امره ان يكون على فاعل كآزر واشتقاقهم آدم من الادمة
او من اديم الارض كاشتقاقهم يعقوب من العقب وادريس من الدرس وابليس من الابلاس
الاسماء كلها اي اسماء المسميات فحذف المضاف اليه لكونه معلوما مدلولا عليه بذكر الاسماء
اذ الاسم يدل على المسمى فعوض منه اللام كقوله واشتعل الراس شيبا ولا يصح ان يقدر وعلم
آدم مسميات الاسماء على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه لان التعليم تعلق بالاسماء
لا بالمسميات لقوله انبئوني باسماء هؤلاء انبئهم باسمائهم ولم يقل انبئوني بهؤلاء وانبئهم
بهم ومعنى تعليمه اسماء المسميات انه اراه الاجناس التي خلقها وعلمه ان هذا اسمه فرس وهذا
اسمه بعير وهذا اسمه كذا وهذا اسمه كذا وعن ابن عباس رضي الله عنهما علمه اسم كل شيء حتى
القصعة والمغرفة ثم عرضهم على الملائكة اي عرض المسميات وانما ذكر لان في المسميات العقلاء

فعلهم وانما استنباهم وقد علم عجزهم عن الانباء على سبيل التبكيت فقال انبئوني اخبروني باسماء
هؤلاء ان كنتم صادقين في زعمكم اني استخلف في الارض مفسدين سفاكين للدماء وفيه رد عليهم و
بيان ان فيمن يستخلفه من الفوائد العلمية التي هي اصول الفوائد كلها ما يستاهلون لاجله ان يستخلفوا
قالوا سبحانك تنزيها لك ان يخفى عليك شئ او عن الاعتراض عليك في تدبيرك وافادتنا الاية
ان علم الاسماء فوق التخلي للعبادة فكيف بعلم الشريعة وانتصابه على المصدر تقديره سبحت الله
تسبيحا لا علم لنا الا ما علمتنا وليس فيه علم الاسماء وما بمعنى الذي والعلم بمعنى المعلوم اي لا معلوم
لنا الا الذي علمتناه انك انت العليم غير المعلم الحكيم فيما قضيت وقدرت والكاف اسم ان و
انت مبتداء وما بعده خبره والجملة خبر ان او انت فصل والخبر العليم والحكيم خبر ثان قال يا
آدم انبئهم باسمائهم فلما انباهم باسمائهم سمى كل شئ باسمه قال الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات
والارض اي اعلم ما غاب فيهما عنكم مما كان ومما يكون واعلم ما تبدون تظهرون وما كنتم تكتمون
تسرون واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم اي اخضعوا له واقروا بالفضل له عن ابي بن كعب وعن
ابن عباس كان ذلك انحناء ولم يكن خرورا على الذقن والجمهور على ان المامور به وضع الوجه
على الارض وكان السجود تحية لآدم عليه السلام في الصحيح اذ لو كان لله تعالى لما امتنع عنه
ابليس وكان سجود التحية جائزا فيما مضى ثم نسخ بقوله عليه الصلوة والسلام لسلمان حين اراد
ان يسجد له لا ينبغي لمخلوق ان يسجد لاحد الا لله تعالى فسجدوا الا ابليس الاستثناء متصل لانه
كان من الملائكة كذا قاله علي وابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم ولان الاصل ان الاستثناء
يكون من جنس المستثنى منه ولهذا قال ما منعك ان لا تسجد اذ امرتك وقوله كان من الجن
معناه صار من الجن كقوله فكان من المغرقين وقيل الاستثناء منقطع لانه لم يكن من الملائكة
خلقوا من النور ولانه ابى وعصى واستكبر والملائكة لا يعصون الله ما امرهم ولا يستكبرون
عن عبادته ولانه قال افتتخذونه وذريته اولياء من دوني ولا نسل للملائكة وعن الجاحظ
ان الجن والملائكة جنس واحد فمن طهر منهم فهو ملك ومن خبث فهو شيطان ومن كان
بين بين فهو جن ابى امتنع مما امر به واستكبر تكبر عنه وكان من الكافرين وصار من الكافرين
باباءه واستكباره ورده الامر لا بترك العمل بالامر لان ترك السجود لا يخرج من الايمان ولا يكون

كفرا عند اهل السنة خلافا للمعتزلة والخوارج او كان من الكافرين في علم الله تعالى اي وكان
في علم الله انه يكفر بعد ايمانه لانه كان كافرا ابدا في علم الله وهي مسئلة الموافاة وقلنا يا آدم
اسكن امر من سكن الدار يسكنها سكنى اذا اقام فيها ويقال سكن المتحرك سكونا انت تاكيد للمستكن
في اسكن ليصح عطف وزوجك عليه الجنة هي جنة الخلد التي وعدت للمتقين للنقل المشهور
واللام للتعريف وقالت المعتزلة كانت بستانا باليمن لان الجنة لا تكليف فيها ولا خروج عنها
قلنا انما لا يخرج منها من دخلها جزاء وقد دخل النبي عليه الصلوة والسلام ليلة المعراج ثم خرج
منها واهل الجنة يكلفون المعرفة والتوحيد وكلا منها من ثمارها فحذف المضاف رغدا
وصف المصدر اي اكلا رغدا واسعا حيث شئتما شئتما ويا بغير همزة ابو عمرو وحيث للمكان
المبهم اي اي مكان من الجنة شئتما ولا تقربا هذه الشجرة اي الحنطة ولذا قيل كيف لا يعصي الانسان
وقوته من شجرة العصيان او الكرمة لانها اصل كل فتنة او التينة فتكونا جزم عطف على تقربا
او نصب جواب للنهي من الظالمين من الذين ظلموا انفسهم او من الضارين انفسهم فازلهما
الشيطان عنها عن الشجرة اي فحملهما الشيطان على الزلة بسببها وتحقيقه فاصدر الشيطان زلتهما
عنها او فازلهما عن الجنة بمعنى اذهبهما عنها وابعدهما فازالهما حمزة وزلة آدم بالخطاء في
التاويل اما بحمل النهي على التنزيه دون التحريم او بحمل اللام على تعريف العهد وكان الله تعالى اراد
الجنس وهذا دليل على انه يجوز اطلاق اسم الزلة على الانبياء عليهم السلام كما قال مشائخ بخارا
فانها اسم لفعل يقع على خلاف الامر من غير قصد الى الخلاف كزلة الماشي في الطين وقال مشائخ
سمرقند رحمهم الله لا يطلق اسم الزلة على افعالهم كما لا يطلق المعصية وانما يقال فعلوا الفاضل
وتركوا الافضل فعوتبوا عليه فاخرجهما مما كانا فيه اي من النعيم والكرامة او من الجنة ان كان
الضمير للشجرة في عنها وقد توصل الى ازلالهما بعدما قيل له اخرج منها فانك رجيم لانه منع
عن دخولها على جهة التكرمة كدخول الملائكة لا عن دخولها على جهة الوسوسة ابتلاء لآدم
وحواء وروى انه اراد الدخول فمنعته الخزنة فدخل في فم الحية حتى دخلت به وقيل قام عند
الباب فنادى وقلنا اهبطوا الهبوط النزول الى الارض والخطاب لآدم وحواء وابليس وقيل
والحية والصحيح لآدم وحواء والمراد هما وذريتهما لانهما لما كانا اصل الانس كلهم وتشعبهم جعلا

كانهما الانس كلهم ويدل عليه قوله قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو والمراد به ما عليه الناس

عليه من التباغي والتعادي وتضليل بعضهم لبعض والجملة في موضع الحال من الواو في اهبطوا

اي اهبطوا متعادين ولكم في الارض مستقر موضع استقرار او استقرار ومتاع وتمتع بالعيش الى

حين الى يوم القيمة او الى الموت قال ابن ادم او رثتنا تلك الاكلة حزنا طويلا فتلقى ادم من

ربه كلمات اي استقبلها بالاخذ والقبول والعمل بها وبنصب آدم ورفع كلمات مكي على انها

بان بلغته واتصلت به وهي قوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من

الخاسرين وفيه موعظة لذريتهما حيث عرفوا كيفية السبيل الى التنصل من الذنوب وعن

ابن مسعود رضي الله عنه ان احب الكلام الى الله تعالى ما قاله ابونا حين اقترف الخطيئة سبحانك

اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر

الذنوب الا انت وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال يا رب الم تخلقني بيدك قال بلى قال يا رب

الم تنفخ في من روحك الم تسبق رحمتك غضبك الم تسكني جنتك وهو تعالى يقول بلى قال

فلم اخرجتني من الجنة قال بشوم معصيتك قال فلو تبت اراجعي انت اليها قال نعم فتاب عليه

فرجع عليه بالرحمة والقبول واكتفى بذكر توبة ادم لان حواء كانت تبعا له وقد طوى ذكر النساء

في اكثر القران والسنة لذلك انه هو التواب الكثير القبول للتوبة الرحيم على عباده قلنا

اهبطوا منها جميعا حال اي مجتمعين وكرر الامر بالهبوط للتاكيد او لان الهبوط الاول من الجنة

الى السماء والثاني من السماء الى الارض ولما نيط به من زيادة قوله فاما ياتينكم مني هدى اي

رسول ابعثه اليكم او كتاب انزله عليكم بدليل قوله والذين كفروا وكذبوا باياتنا في مقابلة

قوله فمن تبع هداي اي بالقبول والايمان به فلا خوف عليهم في المستقبل ولا هم يحزنون على

ما خلفوا والشرط الثاني مع جوابه جواب الشرط الاول كقولك ان جئتني فان قدرت احسنت

اليك فلا خوف بالنصب في كل القران يعقوب والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك مبتداء

والخبر اصحاب النار اي اهلها ومستحقوها والجملة في موضع الرفع خبر المبتداء اعني والذين

هم فيها خالدون يا بني اسرائيل هو يعقوب عليه السلام وهو لقب له ومعناه في لسانهم صفوة

الله تعالى او عبد الله تعالى فاسرا هو العبد او الصفوة وايل هو الله تعالى بالعبرية وهو غير منصرف

قوله اي اول من كفر او اول حزب او فوج كافر به او لا يكن كل واحد منكم اول كافر به يعني ان اول اسم تفضيل وزنه فعل واسم التفضيل اذا اضيف الى النكرة كان لتفضيل الموصوف على المضاف اليه بالتفصيل الذي هو عليه من العدد فيجب مطابقته له مثل هو افضل رجل وهما افضل رجلين وهم افضل رجال وههنا الموصوف جمع والمضاف اليه مفرد فوجب تاويل في المضاف اليه بحيث يصير جمعا في المعنى او في الموصوف بان يجعل مفردا والحمل التقريب في التاويلات الاولان في المضاف اليه بجعله جمعا في المعنى والثالث في الموصوف بجعله مفردا تاويل كل واحد نعم يشكل بان قوله ولا يكن كل واحد منكم وزان قولنا لم يقم كل انسان فيفيد نفي العموم لا عموم النفي والمراد هو الثاني دون الاول قال الشيخ عبد القاهر اذا تامل وجدنا ادخال كل في حيز النفي حيث لا يصلح الا حيث يراد ان بعضها كان وبعضها لم يكن وجوابه ان هذا الحكم اكثري لا كلي لانا نجد ادخال كل في حيز النفي حيث لا يصح ان يتعلق الفعل ببعض كقوله تعالى والله لا يحب كل مختال فخور

لوجود العلمية والعجمة اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم اي بالتفكر فيها والقيام بشكرها وتقييد النعمة بهم لان الانسان غيور حسود بالطبع فاذا نظر الى ما انعم الله على غيره حمله الغيرة والحسد على الكفران والسخط وان نظر الى ما انعم الله به عليه حمله حب النعمة على الرضى والشكر وقيل اراد بها ما انعم به على ابائهم مما عدد عليهم من الانجاء من فرعون وعذابه ومن الغرق

ومن العفو عن اتخاذ العجل والتوبة عليهم وبما انعم به عليهم من ادراك زمن محمد عليه الصلوة و

السلام المبشر به في التورية والانجيل واوفوا ادوا وافيا تاما يقال وفيت له بالعهد فانا واف

به واوفيت له بالعهد فانا موف به والاختيار اوفيت وعليه نزل التنزيل بعهدي بما عاهدتموني

عليه من الايمان بي والطاعة لي او من الايمان بنبي الرحمة والكتاب المعجز اوف بعهدكم بما عاهدتكم عليه

من حسن الثواب على حسناتكم والعهد يضاف الى المعاهد والمعاهد جميعا وعن قتادة رحمه الله

هما المذكوران في قوله تعالى ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل الاية وقال اهل الاشارة واوفوا في دار محنتي على بساط خدمتي بحفظ حرمتي

اوف في دار نعمتي على بساط كرامتي بسرور رؤيتي واياي فارهبون فلا تنقضوا عهدي وهو

من قولك زيدا رهبته وهو اوكد في افادة الاختصاص من اياك نعبد واياي منصوب بفعل

مضمر دل عليه ما بعده وتقديره فارهبوا اياي فارهبون وحذف الاول لان الثاني يدل عليه

وانما لم ينتصب بقوله فارهبون لانه اخذ مفعوله وهو الياء المحذوفة وكسرة النون دليل

حذف الياء كما لا يجوز نصب زيد في زيدا فاضربه باضرب الذي هو ظاهر وامنوا بما انزلت يعني

القران مصدقا حال مؤكدة من الهاء المحذوفة كانه قيل انزلته مصدقا لما معكم من التورية يعني

في العبادة والتوحيد والنبوة وامر محمد ولا تكونوا اول كافر به اول من كفر به او اول حزب

او فوج كافر به او ولا يكن كل واحد منكم اول كافر به وهذا تعريض بانه يجب ان يكونوا اول من

يؤمن به لمعرفتهم به وبصفته والضمير في به يعود الى القران ولا تشتروا ولا تستبدلوا باياتي بتغييرها

وتحريفها ثمنا قليلا قال الحسن هو الدنيا بحذافيرها وقيل هو الرياسة التي كانت لهم في قومهم

خافوا عليها الفوات لو اتبعوا رسول الله واياي فاتقون فخافوني فارهبوني فاتقوني

بالياء في الحالين وكذلك كل ياء محذوفة في الخط يعقوب ولا تلبسوا الحق بالباطل لبس الحق بالباطل

خلطه والباء ان كانت صلة مثلها في قولك لبست الشيء بالشيء وخلطته به كان المعنى ولا تكتبوا في

التورية ما ليس فيها فيختلط الحق المنزل بالباطل الذي كتبتم حتى لا يميز بين حقها وباطلكم وان كانت

الباء باء الاستعانة كالتي في قولك كتبت بالقلم كان المعنى ولا تجعلوا الحق ملتبسا مشتبها بباطلكم

تكتبونه وتكتموا الحق هو مجزوم داخل تحت حكم النهي بمعنى ولا تكتموا او منصوب باضمار ان
والواو بمعنى الجمع اي ولا تجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمان الحق كقولك لا تاكل السمك وتشرب اللبن
وهما امران متميزان لان لبس الحق بالباطل ما ذكرنا من كتبتهم في التورية ما ليس منها وكتمانهم الحق
ان يقولوا لا نجد في التورية صفة محمد صلى الله عليه وسلم او حكم كذا وانتم تعلمون في حال علمكم انكم
لابسون كاتمون وهو اقبح لهم لان الجهل بالقبح ربما عذر مرتكبه واقيموا الصلوة واتوا الزكوة
اي صلوة المسلمين وزكوتهم واركعوا مع الراكعين منهم لان اليهود لا ركوع في صلوتهم اي اسلموا واعملوا
عمل اهل الاسلام وجاز ان يراد بالركوع الصلوة كما يعبر عنها بالسجود وان يكون امرا بالصلوة مع
المصلين يعني في الجماعة اي صلوها مع المصلين لا منفردين الهمزة في اتامرون الناس للتقرير مع
التوبيخ والتعجيب من حالهم بالبر اي سعة الخير والمعروف ومنه البر لسعته ويتناول كل خير
ومنه قولهم صدقت وبررت وكان الاحبار يامرون من نصحوه في السر من اقاربهم وغيرهم باتباع
محمد عليه وعلى آله الصلوة والسلام ولا يتبعونه وقيل كانوا يامرون بالصدقة ولا يتصدقون واذا اوتوا
بصدقات ليفرقوها خانوا فيها وتنسون انفسكم وتتركونها من البر كالمنسيات وانتم تتلون
الكتاب تبكيت اي تتلون التورية وفيها نعت محمد عليه وآله الصلوة والسلام او فيها الوعيد على الخيانة
وترك البر ومخالفة القول العمل افلا تعقلون افلا تفطنون بقبح ما اقدمتم عليه حتى يصدكم
استقباحه عن ارتكابه وهو توبيخ عظيم واستعينوا على حوائجكم الى الله تعالى بالصبر والصلوة اي
بالجمع بينهما وان تصلوا صابرين على تكاليف الصلوة متحملين لمشاقها وما يجب فيها من اخلاص
القلب ودفع الوساوس الشيطانية والهواجس النفسانية ومراعاة الاداب والخشوع واستحضار العلم
بانه انتصاب بين يدي جبار السموات والارض او واستعينوا على البلايا والنوائب بالصبر
عليها والالتجاء الى الصلوة عند وقوعها فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه امر فزع
الى الصلوة وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه نعي اليه اخوه قثم وهو في سفر فاسترجع وصلى
ركعتين ثم قال واستعينوا بالصبر والصلوة وقيل الصبر الصوم لانه حبس عن المفطرات
ومنه قيل لشهر رمضان شهر الصبر وقيل الصلوة الدعاء اي استعينوا على البلايا بالصبر و
الالتجاء الى الدعاء والابتهال الى الله تعالى في دفعه وانها الضمير للصلوة او للاستعانة لكبيرة لشاقة

ثقيلة من قولك كبر على هذا الامر الا على الخاشعين لانهم يتوقعون ما ادخر للصابرين على متاعبها
فتهون عليهم الا ترى الى قوله تعالى الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم اي يتوقعون لقاء ثوابه ونيل
ما عنده ويطمعون فيه وفسر يظنون بيتيقنون لقراءة عبد الله يعلمون اي يعلمون انه لا بد
من لقاء الجزاء فيعملون على حسب ذلك فاما من لم يوقن بالجزاء ولم يرج الثواب كانت عليه
مشقة خالصة والخشوع الاخبات والتطامن واما الخضوع فاللين والانقياد وفسر اللقاء
بالروية وملاقوا ربهم بمعاينوه بلا كيف وانهم اليه راجعون لا يملك امرهم في الآخرة احد سواه تعالى
يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم التكرير للتاكيد واني فضلتكم نصب عطف على نعمتي اي
اذكروا نعمتي وتفضيلي على العالمين على الجم الغفير من الناس يقال رايت عالما من الناس والمراد الكثرة
واتقوا يوما اي يوم القيمة وهو مفعول به لا ظرف لا تجزي نفس مؤمنة عن نفس كافرة شيا
اي لا تقضي عنها شيا من الحقوق التي لزمتها وشيئا مفعول به او مصدر اي قليلا من الجزاء والجملة
منصوبة المحل صفة ليوما والعائد منها الى الموصوف محذوف تقديره لا تجزي فيه ولا يقبل
منها شفاعة ولا تقبل بالتاء مكي وبصري والضمير في منها يرجع الى النفس اي لا تقبل منها شفاعة
للكافرة وقيل كانت اليهود تزعم ان آباءهم الانبياء عليهم السلام يشفعون لهم فاويسوا وهو كقوله
تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين وتشبث المعتزلة بالاية في نفي الشفاعة للعصاة مردود لانه
المنفي شفاعة الكفار وقد قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم شفاعتي لاهل الكبائر من امتي من كذب بها لم ينلها
ولا يؤخذ منها عدل اي فدية لانها معادلة للمفدي ولا هم ينصرون يعاونون وجمع لدلالة
النفس المنكرة على النفوس الكثيرة وذكر لمعنى العباد او الاناسي واذ نجيناكم من آل فرعون
اصل آل اهل ولذلك يصغر باهيل فابدلت هاؤه الفا وخص استعماله باولي الخطر كالملوك
واشباههم فلا يقال آل الاسكاف والحجام وفرعون علم لمن ملك العمالقة كقيصر لملك الروم
وكسرى لملك الفارس يسومونكم حال من آل فرعون اي يولونكم من سامه خسفا اذا اولاه ظلما واصله
من سام السلعة اذا طلبها كانه بمعنى يبغونكم سوء العذاب ويريدونكم عليه ومساومة البيع
مزايدة او مطالبة وسوء مفعول ثان ليسومونكم وهو مصدر السيء يقال اعوذ بالله من سوء
الخلق وسوء الفعل يراد قبحهما ومعنى سوء العذاب والعذاب كله سيء اشده وافظعه يذبحون

ابناءكم بيان لقوله يسومونكم ولذا ترك العاطف ويستحيون نساءكم يتركون بناتكم احياء للخدمة
وانما فعلوا بهم ذلك لان الكهنة انذروا فرعون بانه يولد مولود يزول ملكه بسببه كما انذروا
نمرود فلم يغن عنهما اجتهادهما في التحفظ وكان ما شاء الله تعالى وفي ذلكم بلاء محنة ان اشير
بذلكم الى صنع فرعون ونعمة ان اشير به الى الانجاء من ربكم صفة لبلاء عظيم صفة ثانية واذ
فرقنا فصلنا بين بعضه وبعض حتى صارت فيه مسالك لكم وقرئ فرّقنا اي فصلنا يقال فرق
بين الشيئين وفرّق بين الاشياء لان المسالك كانت اثني عشر على عدد الاسباط بكم البحر كانوا يسلكونه
ويتفرق الماء عند سلوكهم فكانما فرق بهم او فرقناه بسببكم او فرقناه ملتبسا بكم فيكون في موضع
الحال روي ان بني اسرائيل قالوا لموسى اين اصحابنا فنحن لا نرضى حتى نراهم فاوحى اليه ان قل بعصاك
هكذا فقال بها على الحيطان فصارت فيها كوى فتراءوا وتسامعوا كلامهم فانجيناكم واغرقنا آل فرعون
وانتم تنظرون الى ذلك وتشاهدونه ولا تشكون فيه ولما قال واذ واعدنا موسى لان الله تعالى
وعده الوحي ووعد هو المجيء للميقات الى الطور وعدنا حيث كان بصري لما دخل بنو اسرائيل
مصر بعد هلاك فرعون ولم يكن لهم كتاب ينتهون اليه وعد الله موسى ان ينزل عليه التورية و
ضرب له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذي الحجة وقال اربعين ليلة لان الشهور غررها بالليالي واربعين
مفعول ثان لواعدنا لا ظرف لانه ليس معناه واعدناه في اربعين ليلة ثم اتخذتم العجل اي الها فحذف
المفعول الثاني لاتخذتم وبابه بالاظهار مكي وحفص من بعده من بعد ذهابه الى الطور وانتم
ظالمون بوضعكم العبادة غير موضعها فالجملة حال اي عبدتموه ظالمين ثم عفونا عنكم محونا ذنوبكم
من بعد ذلك من بعد اتخاذكم العجل لعلكم تشكرون لكي تشكروا النعمة في العفو عنكم واذ آتينا
موسى الكتاب والفرقان يعني الجامع بين كونه كتابا منزلا وفرقانا يفرق بين الحق والباطل وهو
التورية ونظيره رايت الغيث والليث تريد الرجل الجامع بين الجود والجرأة او التورية و
البرهان الفارق بين الكفر والايمان من العصا واليد وغيرهما من الآيات او الشرع الفارق بين
الحلال والحرام وقيل الفرقان انفلاق البحر او النصر الذي فرق بينه وبين عدوه لعلكم تهتدون
لكي تهتدوا واذ قال موسى لقومه الذين عبدوا العجل يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل
معبودا فتوبوا الى بارئكم هو الذي خلق الخلق بريئا من التفاوت وفيه تقريع لما كان منهم من ترك

عبادة

عبادة الحكيم الذي براهم ابرياء من التفاوت الى عبادة البقر الذي هو مثل في الغباوة والبلادة
فاقتلوا انفسكم قيل هو على الظاهر وهو البخع وقيل معناه قتل بعضهم بعضا وقيل امر من لم يعبد
العجل ان تقتلوا العبدة فقتل سبعون الفا ذلكم التوبة والقتل خير لكم عند بارئكم من الاصرار
على المعصية فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم المفضال بقبول التوبة وان كثرت الرحيم بعفو
الحوبة وان كبرت والفاء الاولى للتسبيب لان الظلم سبب التوبة والثانية للتعقيب لان المعنى
فاعزموا على التوبة فاقتلوا انفسكم اذ الله تعالى جعل توبتهم قتل انفسهم والثالثة متعلقة بشرط
محذوف كانه قال فان فعلتم فقد تاب عليكم واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة عيانا
وانتصابها على المصدر كما تنصب القرفصاء بفعل الجلوس او على الحال من نرى اي ذوي جهرة
فاخذتكم الصاعقة اي الموت قيل هي نار جاءت من السماء فاحرقتهم روي ان السبعين الذين كانوا مع
موسى عند الانطلاق الى الجبل قالوا له نحن لم نعبد العجل كما عبده هؤلاء فارنا الله جهرة فقال موسى
سألته ذلك فاباه علي فقالوا انك رايت الله فلن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فبعث الله عليهم
صاعقة فاحرقتهم وتعلقت المعتزلة بهذه الآية في نفي الرؤية لانه لو كان جائز الرؤية
لما عذبوا بسؤال ما هو جائز الثبوت قلنا انما عوقبوا بكفرهم لان قولهم انك رايت الله فلن
نؤمن لك حتى نرى الله جهرة كفر منهم ولانهم امتنعوا عن الايمان بموسى عليه السلام بعد ظهور معجزته
حتى يروا ربهم جهرة والايمان بالانبياء واجب بعد ظهور معجزتهم ولا يجوز اقتراح الآيات
عليهم ولانهم لم يسألوا سؤال استرشاد بل سؤال تعنت وعناد وانتم تنظرون اليها حين نزلت
ثم بعثناكم احييناكم واصله الاثارة من بعد موتكم لعلكم تشكرون نعمة البعث بعد الموت وظللنا
عليكم الغمام وجعلنا الغمام يظللكم وذلك في التيه سخر الله لهم السحاب يسير بسيرهم يظلهم من الشمس
وينزل بالليل عمود من نار يسيرون في ضوءه وثيابهم لا تتسخ ولا تبلى وانزلنا عليكم المن الترنجبين
وكان ينزل عليهم مثل الثلج من طلوع الفجر الى طلوع الشمس لكل انسان صاع والسلوى كان يبعث الله
عليهم الجنوب فتحشر عليهم السلوى وهي السماني فيذبح الرجل منها ما يكفيه وقلنا لهم كلوا من طيبات
لذيذات او حلالات ما رزقناكم وما ظلمونا يعني فظلموا بان كفروا النعم وما ظلمونا ولكن كانوا
انفسهم يظلمون انفسهم مفعول يظلمون وهو خبر كان واذ قلنا يعني بعدما خرجوا من التيه ادخلوا

هذه القرية اي بيت المقدس او اريحا والقرية المجتمع من قريت لانها تجمع الخلق امروا بدخولها بعد
التيه فكلوا منها المجتمع من قريت لانها تجمع الخلق امروا بدخولها بعد التيه فكلوا منها من طعام القرية
وثمارها حيث شئتم رغدا واسعا وادخلوا الباب باب القرية او باب القبة التي كانوا يصلون
اليها وهم لم يدخلوا بيت المقدس في حيوة موسى عليه السلام وانما دخلوا الباب في حيوته ودخلوا بيت
المقدس بعده سجدا حال وهو جمع ساجد امروا بالسجود عند الانتهاء الى الباب شكرا لله وتواضعا
وقولوا حطة فعلة من الحط كالجلسة وهي خبر مبتدأ محذوف اي مسألتنا حطة او امرك حطة
والاصل النصب وقد قرئ به بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة وانما رفعت لتعطي معنى الثبات وقيل
امرنا حطة اي ان نحط في هذه القرية ونستقر فيها وعن علي رضي الله عنه هو بسم الله الرحمن الرحيم
وعن عكرمة هو لا اله الا الله نغفر لكم خطاياكم جمع خطيئة وهي الذنب يغفر مدني تغفر شامي
وسنزيد المحسنين اي من كان محسنا منكم كانت تلك الكلمة سببا في زيادة ثوابه ومن كان مسيئا
كانت له توبة ومغفرة فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم فيه حذف وتقديره فبدل
الذين ظلموا بالذي قيل لهم قولا غير الذي قيل لهم فبدل يتعدى الى مفعول واحد بنفسه والى
آخر بالباء فالذي مع الباء متروك والذي بغير الباء موجود يعني وضعوا مكان حطة قولا
غيرها اي امروا بقول معناه التوبة والاستغفار فخالفوه الى قول ليس معناه معنى ما امروا به
ولم يمتثلوا امر الله وقيل قالوا مكان حطة حنطة وقيل قالوا بالنبطية حطا سمقاثا اي حنطة
حمراء استهزاء منهم بما قيل لهم وعدولا عن طلب ما عند الله الى طلب ما يشتهون من اغراض الدنيا
فانزلنا على الذين ظلموا رجزا عذابا وفي تكرير الذين ظلموا زيادة في تقبيح امرهم وايذان
بانزال الرجز عليهم لظلمهم من السماء صفة لرجزا بما كانوا يفسقون بسبب فسقهم روي انه مات
منهم في ساعة بالطاعون اربعة وعشرون الفا وقيل سبعون الفا واذ استسقى موسى لقومه
موضع اذ نصب كانه قيل واذكروا اذ استسقى اي استدعى ان يسقي قومه فقلنا اضرب بعصاك
الحجر عطشوا في التيه فدعا لهم موسى بالسقيا فقيل له اضرب بعصاك الحجر واللام للعهد والاشارة
الى حجر معلوم فقد روي انه حجر طوري حمله معه كان مربعا له اربعة اوجه كانت تنبع من كل
وجه ثلث اعين لكل سبط عين وكانوا ستمائة الف وسعة المعسكر اثنا عشر ميلا او للجنس اي اضرب

الشيء الذي يقال له الحجر وهذا اظهر في الحجة وابين في القدرة فانفجرت الفاء متعلق بمحذوف اي
فضرب فانفجرت اي سالت بكثرة او فان ضربت فقد انفجرت وهي على هذا فاء فصيحة لا تقع الا في
كلام بليغ منه اثنتا عشرة عينا على عدد الاسباط وقرئ بكسر الشين وبفتحها وهما لغتان وعينا
تمييز قد علم كل اناس كل سبط مشربهم عينهم التي يشربون منها وقلنا لهم كلوا من المن والسلوى
واشربوا من ماء العيون من رزق الله اي الكل مما رزقكم الله ولا تعثوا في الارض لا تفسدوا
في الارض والعثي اشد الفساد مفسدين حال مؤكدة اي لا تتمادوا في الفساد في حال فسادكم لانهم
كانوا متمادين فيه واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد هو ما رزقوا في التيه من المن و
السلوى وانما قالوا على طعام واحد وهما طعامان لانهم ارادوا بالواحد ما لا يتبدل ولو كان
على مائدة الرجل الوان عدة يداوم عليها كل يوم لا يبدلها يقال لا ياكل فلان الا طعاما واحدا و
يراد بالوحدة نفي التبدل والاختلاف او ارادوا انهما ضرب واحد لانهما معا من طعام اهل التلذذ
والترف وكانوا من اهل الزراعات فارادوا ما الفوا من البقول والحبوب وغير ذلك
فادع لنا ربك سله وقل له اخرج لنا يخرج لنا يظهر لنا ويوجد مما تنبت الارض من بقلها
وهو ما انبتته الارض من الخضر والمراد به اطائب البقول كالنعناع والكرفس والكراث
ونحوها مما ياكلها الناس وقثائها يعني الخيار وفومها هو الحنطة او الثوم لقراءة ابن مسعود
وثومها وعدسها وبصلها قال اتستبدلون الذي هو ادنى اقرب منزلة وادون مقدارا او
الدنو والقرب يعبر بهما عن قلة المقدار بالذي هو خير ارفع واجل اهبطوا مصرا من الامصار
اي انحدروا اليه من التيه وبلاد التيه ما بين بيت المقدس الى قنسرين وهي اثنا عشر فرسخا
في ثمانية فراسخ او مصر فرعون وانما صرفه مع وجود السببين وهما التعريف والتانيث
لارادة البلد او لسكون وسطه كنوح ولوط وفيهما العجمة والتعريف فان لكم فيها ما سألتم اي
فان الذي سألتم يكون في الامصار لا في التيه وضربت عليهم الذلة والمسكنة اي الهوان والفقر
يعني جعلت الذلة محيطة بهم مشتملة عليهم فهم فيها كما يكون في القبة من ضربت عليه او الصقت
بهم حتى لزمتهم ضربة لازب كما يضرب الطين على الحائط فيلزمه فاليهود صاغرون اذلاء اهل
مسكنة وفقر اما على الحقيقة واما لتصاغرهم وتفاقرهم خيفة ان يضاعف عليهم الجزية عليهم

الذلة حمزة وعلي وكذا كل ما كان قبل الهاء ياء ساكنة وبكسر الهاء والميم ابو عمرو وبكسر الهاء وضم الميم
غيرهم وباؤا بغضب من الله من قولك باء فلان بفلان اذا كان حقيقا بان يقتل به لمساواته اي
صاروا احقاء بغضبه وعن الكسائي رجعوا ذلك اشارة الى ما تقدم من ضرب الذلة والمسكنة و
الخلاقة بالغضب بانهم كانوا يكفرون بايات الله ويقتلون النبيين بالهمزة نافع وكذا بابه اي
ذلك بسبب كفرهم وقتلهم الانبياء وقد قتلت اليهود شعيا وزكرياء ويحيى والنبي من النبا
فانه يخبر عن الله تعالى فعيل بمعنى مفعل او بمعنى مفعل او من نبا اي ارتفع والنبوة المكان المرتفع
بغير الحق عندهم ايضا فانهم لو انصفوا لم يذكروا شيئا يستحقون به القتل عندهم وهو في محل النصب
على الحال من الضمير في يقتلون اي يقتلونهم مبطلين ذلك تكرار للاشارة بما عصوا وكانوا يعتدون
بسبب ارتكابهم انواع المعاصي واعتدائهم حدود الله في كل شيء مع كفرهم بايات الله وقتلهم الانبياء
وقيل هو اعتداؤهم في السبت ويجوز ان يشار بذلك الى الكفر وقتل الانبياء على ان ذلك بسبب
عصيانهم واعتدائهم لانهم انهمكوا فيهما وغلوا حتى قست قلوبهم فجسروا على جحود الايات وقتل
الانبياء او ذلك الكفر والقتل مع ما عصوا ان الذين امنوا بالسنتهم من غير مواطاة القلوب وهم
المنافقون والذين هادوا وتهودوا يقال هاد يهود هودا وتهود اذا دخل في اليهودية وهو هائد
والجمع هود والنصارى جمع نصران كندمان وندامى يقال رجل نصران وامراة نصرانة والياء في
نصراني للمبالغة كالتي في احمري سموا نصارى لانهم نصروا المسيح والصابئين الخارجين من دين
مشهور الى غيره من صبا اذا خرج من الدين وهم قوم عدلوا من دين اليهودية والنصرانية
وعبدوا الملائكة وقيل هم يقرؤون الزبور من امن بالله واليوم الاخر من هؤلاء الكفرة ايمانا
خالصا وعمل صالحا فلهم اجرهم ثوابهم عند ربهم في الاخرة ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون
ومحل من امن الرفع ان جعلته مبتدا خبره فلهم اجرهم والنصب ان جعلته بدلا من اسم ان والمعطوف
عليه فخبر ان في الوجه الاول الجملة كما هي وفي الثاني فلهم والفاء لتضمن من معنى الشرط واذ اخذنا
ميثاقكم بقبول ما في التورية ورفعنا فوقكم الطور اي الجبل حتى قبلتم واعطيتم الميثاق وذلك
ان موسى عليه السلام جاءهم بالالواح فراوا ما فيها من الاصار والتكاليف الشاقة فكبرت
عليهم وابوا قبولها فامر جبريل عليه السلام فقلع الطور من اصله ورفعه فظلله فوقهم وقال

لهم موسى ان قبلتم والا القي عليكم حتى قبلوا وقلنا لكم خذوا ما اتيناكم من الكتاب اي التورية بقوة
بجد وعزيمة واذكروا ما فيه واحفظوا ما في الكتاب وادرسوه فلا تنسوه ولا تغفلوا عنه لعلكم
تتقون رجاء منكم ان تكونوا متقين ثم توليتم ثم اعرضتم عن الميثاق والوفاء به من بعد
ذلك من بعد القبول فلولا فضل الله عليكم ورحمته بتاخير العذاب عنكم او بتوفيقكم للتوبة
لكنتم من الخاسرين الهالكين في العذاب ولقد علمتم عرفتم فيتعدى الى مفعول واحد الذين
اعتدوا منكم في السبت هو مصدر سبتت اليهود اذا عظمت يوم السبت وقد اعتدوا فيه
اي جاوزوا ما حد لهم فيه من التجرد للعبادة وتعظيمه واشتغلوا بالصيد وذلك ان الله تعالى
نهاهم ان يصيدوا في السبت ثم ابتلاهم فما كان يبقى حوت في البحر الا اخرج خرطومه يوم السبت
فاذا مضى تفرقت فحفروا حياضا عند البحر وشرعوا اليها الجداول وكانت الحيتان تدخلها
يوم السبت لامنها من الصيد وكانوا يسدون مشارعها من البحر فيصطادونها يوم الاحد فذلك
الحبس في الحياض هو اعتداؤهم فقلنا لهم كونوا بتكويننا اياكم قردة خاسئين خبران اي
كونوا جامعين بين القردية والخسو وهو الصغار والطرد فجعلناها يعني المسخة نكالا
عبرة تنكل من اعتبر بها اي تمنعه لما بين يديها لما قبلها وما خلفها وما بعدها من الامم والقرون
لان مسختهم ذكرت في كتب الاولين فاعتبروا بها واعتبر بها من بلغته من الاخرين وموعظة
للمتقين الذين نهوهم عن الاعتداء من صالحي قومهم او لكل متق سمعها واذ قال موسى
لقومه اي واذكروا اذ قال موسى لقومه وهو معطوف على نعمتي في قوله اذكروا نعمتي
التي انعمت عليكم كانه قال اذكروا ذلك واذكروا اذ قال موسى وكذلك هذا في الظروف التي
مضت اي اذكروا نعمتي واذكروا وقت انجائنا اياكم واذكروا نعمتي واذكروا وقت فرقنا واذكروا
واذكروا وقت استسقاء موسى ربه لقومه والظروف التي تاتي الى قوله واذ ابتلى
ابراهيم ربه ان الله يامركم ان اي بان تذبحوا بقرة قال المفسرون اول القصة مؤخر في التلاوة
وهو قوله واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها وذلك ان رجلا موسرا اسمه عاميل قتله بنو عمه
ليرثوه فطرحوه على باب مدينة ثم جاؤا يطالبون بديته فامرهم الله تعالى ان يذبحوا بقرة ويضربوه
ببعضها ليحيى فيخبرهم بقاتله قالوا اتتخذنا هزوا اتجعلنا مكان هزو او اهل هزو او الهزو

نفسه لفرط الاستهزاء هزؤا بسكون الزاء والهمزة حمزة وبضمتين والواو حفص وغيرهما بالتثقيل
والهمزة قال اعوذ بالله العياذ واللياذ من واد واحد ان اكون من الجاهلين لان الهزء في مثل
هذا من باب الجهل والسفه وفيه تعريض بهم اي انتم جاهلون حيث نسبتموني الى الاستهزاء قالوا
ادع لنا ربك يبين لنا ما هي سوال عن حالها وصفتها لانهم كانوا عالمين بماهيتها ولاه ما وان كان
سوالا من الجنس وكيف عن الوصف ولكن قد يقع ما موقع كيف ذلك انهم تعجبوا من بقرة ميتة
يضرب ببعضها ميت فيحيى فسالوا عن صفة تلك البقرة العجيبة الشان وما هي خبر ومبتدأ قال
انه يقول انها بقرة لا فارض مسنة وسميت فارضا لانها فرضت سنها اي قطعتها وبلغت آخرها
وارتفع فارض لانه صفة لبقرة وقوله ولا بكر فتية عطف عليه عوان نصف بين ذلك
بين الفارض والبكر ولم يقل بين ذينك مع ان بين يقتضي شيئين فصاعدا لانه اراد بين هذا
المذكور وقد يجري الضمير مجرى اسم الاشارة في هذا قال ابو عبيدة قلت لرؤبة في قوله فيها
خطوط من سواد وبلق كانه في الجلد توليع البهق ان اردت الخطوط فقل كانها وان اردت السواد
والبلق فقل كانهما فقال اردت كان ذاك فافعلوا ما تؤمرون اي تؤمرونه بمعنى تؤمرون به
او امركم بمعنى مأموركم تسمية للمفعول بالمصدر كضرب الامير قالوا ادع لنا ربك يبين لنا
ما لونها موضع ما رفع لان معناه الاستفهام تقديره ادع لنا ربك يبين لنا اي شيء لونها قال
انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها الفقوع اشد ما يكون من الصفرة وانصعه يقال في
التوكيد اصفر فاقع وهو توكيد لصفراء وليس خبرا عن اللون الا انه ارتفع اللون به ارتفاع
الفاعل ولا فرق بين قولك صفراء فاقعة وصفراء فاقع لونها وفي ذكر اللون فائدة التوكيد
لان اللون اسم للهيئة وهي الصفرة فكانه قيل شديدة الصفرة صفرتها فهو من قولك جد جده
تسر الناظرين لحسنها والسرور لذة في القلب عند حصول نفع او توقعه وعن علي رضي الله عنه
من لبس نعلا صفراء قل همه لقوله تعالى تسر الناظرين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي تكرير للسوال
عن حالها وصفتها واستكشاف زائد ليزدادوا بيانا لوصفها وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو اعترضوا
ادنى بقرة فذبحوها لكفتهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم والاستقصاء شوم ان البقر تشابه علينا
ان البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثير فاشتبه علينا وانا ان شاء الله لمهتدون الى البقرة

المراد ذبحها او الى ما خفي علينا من امر القاتل وانا ان شاء الله اعتراض بين اسم ان وخبرها في الحديث
لو لم يستثنوا لما بينت لهم آخر الابد اي لو لم يقولوا ان شاء الله قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير
الارض لا ذلول صفة لبقرة بمعنى بقرة غير ذلول يعني لم تذلل للكراب واثارة الارض ولا تسقي
الحرث ولا هي من النواضح التي يسنى عليها لسقي الحروث ولا الاولى نافية والثانية مزيدة لتوكيد
الاولى لان المعنى لا ذلول تثير الارض اي تقلبها للزراعة وتسقي على ان الفعلين صفتان لذلول
كانه قيل لا ذلول مثيرة وساقية مسلمة من العيوب وآثار العمل لا شية فيها لا لمعة في نقبتها
من لون آخر سوى الصفرة فهي صفراء كلها حتى قرنها وظلفها وهي في الاصل مصدر وشاه
وشيا وشية اذا خلط بلونه لونا آخر قالوا الآن جئت بالحق اي بحقيقة وصف البقرة وما
بقي اشكال في امرها جئت وبابه بغير همزة ابو عمرو فذبحوها فحصلوا البقرة الجامعة لهذه
الاوصاف كلها فذبحوها وما كادوا يفعلون لغلاء ثمنها او لخوف الفضيحة في ظهور القاتل و
انه كان في بني اسرائيل شيخ صالح له عجلة فاتى بها الغيضة وقال اللهم اني استودعكها لابني حتى يكبر
وكان برا بوالديه فشبت وكانت من احسن البقر واسمنه فساوموها اليتيم وامه حتى اشتروها
بملء مسكها ذهبا وكانت البقرة اذ ذاك بثلثة دنانير وكانوا يطلبون البقرة الموصوفة
اربعين سنة وهذا البيان من قبيل تقييد المطلق فكان نسخا والنسخ قبل الفعل جائز وكذا
قبل التمكن منه عندنا خلافا للمعتزلة واذ قتلتم نفسا بتقدير واذكروا خوطبت الجماعة لوجود
القتل فيهم فادارأتم فيها فاختلفتم واختصمتم في شانها لان المتخاصمين يدرأ بعضهم بعضا
اي يدفعه او تدافعتم بمعنى طرح قتلها بعضكم على بعض فدفع المطروح عليه الطارح او
لان الطرح في نفسه دفع واصله تدارأتم ثم ارادوا التخفيف فقلبوا التاء دالا ليصير من
جنس الدال التي هي فاء الكلمة ليمكن الادغام ثم سكنوا الدال اذ شرط الادغام ان يكون الاول ساكنا
وزيدت همزة الوصل لانه لم يمكن الابتداء بالساكن فادارأتم بغير همزة ابو عمرو والله مخرج ما
كنتم تكتمون مظهر لا محالة ما كتمتم من امر القتيل لا يتركه مكتوما واعمل مخرج على حكاية ما كان
مستقبلا في وقت التدارء وهذه الجملة اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وهما ادارأتم
و فقلنا والضمير في اضربوه يرجع الى النفس والتذكير بتاويل الشخص والانسان او الى القتيل لما

دل عليه ما كنتم تكتمون ببعضها ببعض البقرة وهو لسانها او فخذها اليمنى او عجبها والمعنى فضربوه
فحيي فحذف ذلك لدلالة كذلك يحيي الله الموتى عليه روى انهم لما ضربوه قام باذن الله تع
وقال قتلني فلان وفلان لابني عمه ثم سقط ميتا فاخذا وقتلا ولم يورث قاتل بعد ذلك وقوله
كذلك يحيي الله الموتى اما ان يكون خطابا للمنكرين في زمن النبي عليه الصلوة والسلام واما ان يكون خطابا
للذين حضروا حيوة القتيل بمعنى وقلنا لهم كذلك يحيي الله الموتى يوم القيمة ويريكم اياته
دلائله على انه قادر على كل شئ لعلكم تعقلون فتعملون على قضية عقولكم وهي ان من قدر على
احياء نفس واحدة قدر على احياء جميعها لعدم الاختصاص والحكمة في ذبح البقرة وضربه
ببعضها وان قدر على احيائه بلا واسطة التقرب به والاشعار بحسن تقديم القربة على الطلب
والتعليم لعباده ترك التشديد في الامور والمسارعة الى امتثال اوامر الله من غير تفتيش وتكثير
سؤال وغير ذلك وقيل انما امروا بذبح البقرة دون غيرها من البهائم لانها افضل قرابينهم و
لعبادتهم العجل فاراد الله تعالى ان يهون معبودهم عندهم وكان ينبغي ان يقدم ذكر القتيل
والضرب ببعض البقرة على الامر بذبحها وان يقال واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها فقلنا اذبحوا
بقرة واضربوه ببعضها ولكنه تعالى انما قص قصص بني اسرائيل تعديدا لما وجد منهم من
الجنايات وتقريعا لهم عليها وهاتان القصتان وان كانتا متصلتين فتستقل كل واحدة منهما
بنوع التقريع فالاولى لتقريعهم على الاستهزاء وترك المسارعة الى الامتثال وما يتبع ذلك
والثانية للتقريع على قتل النفس المحرمة وما تبعه من الاية العظيمة وانما قدمت قصة الامر
بذبح البقرة على ذكر القتيل لانه لو عمل على عكسه لكانت قصة واحدة ولذهب المراد في تثنية
التقريع ولقد روعيت نكتة بعد ما استؤنفت الثانية استئناف قصة برأسها ان وصلت
بالاولى بضمير البقرة لا باسمها الصريح في قوله اضربوه ببعضها ليعلم انهما قصتان فيما يرجع
الى التقريع وقصة واحدة بالضمير الراجع الى البقرة وقيل هذه القصة تشير الى ان من اراد احياء
قلبه بالمشاهدات فليمت نفسه بانواع المجاهدات بمعنى ثم قست قلوبكم استبعاد القسوة من
بعد ذكر ما يوجب لين القلوب ورقتها وصفة القلوب بالقسوة مثل لنبوها عن الاعتبار
ولا تعاظ من بعد ذلك اشارة الى احياء القتيل او الى جميع ما تقدم من الايات المعدودة فهي

كالحجارة فهي في قسوتها مثل الحجارة او اشد قسوة منها واشد معطوف على الكاف تقديره
او مثل اشد قسوة فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه او هي في نفسها اشد قسوة
يعني ان من عرف حالها شبهها بالحجارة او بجوهر اقسى منها وهي الحديد مثلا او من عرفها
شبهها بالحجارة او قال هي اقسى من الحجارة وانما لم يقل اقسى لكونه ابين وادل على فرط القسوة
وترك ضمير المفضل عليه لعدم الالتباس كقولك زيد كريم وعمرو اكرم وان من الحجارة بيان
لزيادة قسوة قلوبهم على الحجارة لما يتفجر منه الانهار بمعنى الذي في موضع النصب وهو اسم
ان واللام للتوكيد والتفجر التفتح بالسعة والكثرة وان منها لما يشقق اصله يتشقق وبه قراء
الاعمش فقلبت التاء شينا وادغمت فيخرج منه الماء يعني ان من الحجارة ما فيه خروق واسعة
يتدفق منها الماء الكثير ومنها ما ينشق انشقاقا بالطول او بالعرض فينبع منه الماء ايضا وقلوبهم
لا تندى وان منها لما يهبط يتردى من اعلى الجبل من خشية الله قيل هو مجاز عن انقيادها لامر الله
تعالى وانها لا تمتنع على ما يريد بها وقلوب هؤلاء لا تنقاد ولا تفعل ما امرت به وقيل المراد به
حقيقة الخشية على معنى انه يخلق فيها الحيوة والتميز وليس شرط خلق الحيوة والتميز في الجسم
ان يكون على بنية مخصوصة عند اهل السنة وعلى هذا قوله لو انزلنا هذا القرآن على جبل الاية
يعني وقلوبهم لا تخشى وما الله بغافل عما تعملون وبالياء مكي وهو وعيد افتطمعون الخطاب
لرسول الله والمؤمنين ان يؤمنوا لكم ان يؤمنوا لاجل دعوتكم ويستجيبوا لكم كقوله فآمن له
لوط يعني اليهود وقد كان فريق منهم طائفة فيمن سلف منهم يسمعون كلام الله اي التورية
ثم يحرفونه كما حرفوا صفة رسول الله واية الرجم من بعد ما عقلوه من بعد ما فهموه وضبطوه
بعقولهم وهم يعلمون انهم كاذبون مفترون والمعنى ان كفر هؤلاء وحرفوا فلهم سابقة
في ذلك واذا لقوا اي المنافقون او اليهود الذين آمنوا اي المخلصين من اصحاب محمد عليه الصلوة
والسلام قالوا اي المنافقون آمنا بانكم على الحق وان محمدا هو رسول الله المبشر به واذا خلا
بعضهم اي الذين لم ينافقوا الى بعض اي الى الذين نافقوا قالوا عاتبين عليهم اتحدثونهم اتخبرون
اصحاب محمد عليه السلام بما فتح الله عليكم بما بين الله لكم في التورية من صفة محمد صلى الله عليه وسلم
ليحاجوكم به عند ربكم ليحتجوا عليكم بما انزل ربكم في كتابه جعلوا محاجتهم به وقولهم هو في

كتابكم هكذا محاجة عند الله الا تراك تقول هو في كتاب الله هكذا وهو عند الله هكذا بمعنى واحد
وقيل على اضمار المضاف اي عند كتاب ربكم وقيل ليجادلوكم ويخاصموكم بما قلتم لهم عند ربكم في
الآخرة يقولون كفرتم به بعد ان وقفتم على صدقه افلا تعقلون ان هذه حجة عليكم حيث
تعترفون به ثم لا تتابعونه او لا يعلمون ان الله يعلم جميع ما يسرون وما يعلنون ومن
ذلك اسرارهم الكفر واعلانهم الايمان ومنهم اي من اليهود اميون لا يحسنون الكتب فيطالعوا
التورية ويتحققوا ما فيها لا يعلمون الكتاب التورية الا اماني الا ما هم عليه من امانيهم و
ان الله يعفو عنهم ويرحمهم ولا تمسهم النار الا اياما معدودة او الا اكاذيب مختلقة سمعوها
من علمائهم فتقبلوها على التقليد ومنه قول عثمان رضي الله عنه ما تمنيت منذ اسلمت او الا ما يقرؤن من قوله
تمنى كتاب الله اول ليلة اي لا يعلمون هؤلاء حقيقة المنزل وانما يقرؤن اشياء اخذوها من
احبارهم والاستثناء منقطع وان هم وما هم الا يظنون لا يدرون ما فيه فيجحدون نبوتك
بالظن وكرر العلماء الذين عاندوا بالتحريف مع العلم ثم العوام الذين قلدوهم فويل في الحد
ويل واد في جهنم للذين يكتبون الكتاب المحرف بايديهم من تلقاء انفسهم من غير ان يكون منزلا
وذكر الايدي للتاكيد وهو من مجاز التاكيد ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا
عوضا يسيرا فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون من الرشى وقالوا لن تمسنا النار
الا اياما معدودة اربعين يوما عدد ايام عبادة العجل وعن مجاهد رح كانوا يقولون مدة
الدنيا سبعة آلاف سنة وانما نعذب مكان كل الف سنة يوما قل اتخذتم عند الله عهدا اي
عهد اليكم انه لا يعذبكم الا هذا المقدار فلن يخلف الله عهده متعلق بمحذوف تقديره
ان اتخذتم عنده عهدا فلن يخلف الله عهده ام تقولون على الله ما لا تعلمون ام اما ان تكون
معادلة اي اتقولون على الله تعالى ما تعلمون ام تقولون على الله تعالى ما لا تعلمون او منقطعة اي
بل تقولون على الله تعالى ما لا تعلمون بلى اثبات لما بعد النفي وهو لن تمسنا النار اي بلى تمسكم ابدا بدليل
قوله هم فيها خالدون من كسب سيئة شركا عن ابن عباس و مجاهد وغيرهما واحاطت به خطيئته
وسدت عليهم مسالك النجاة بان مات على شركه فاما اذا مات مؤمنا فاعظم الطاعات وهو
الايمان معه فلا يكون الذنب محيطا به فلا يتناوله النص وهذا التاويل يبطل تشبث المعتزلة و

والخوارج وقيل استولت عليه كما يحيط العدو ولم ينفص عنها بالتوبة خطيئاته مدني فاولئك
اصحاب النار هم فيها خالدون والذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم
فيها خالدون ◉ واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل الميثاق العهد المؤكد غاية التوكيد لا تعبدون الا الله
اخبار في معنى النهي كما تقول تذهب الى فلان تقول له كذا تريد الامر وهو ابلغ من صريح الامر و
النهي لانه كانه سورع الى الامتثال والانتهاء فهو يخبر عنه وينصره قراءة ابي لا تعبدوا وقولوا
تولوا والقول مضمر لا يعبدون مكي وحمزة وعلي لان بني اسرائيل اسم ظاهر والاسماء الظاهرة
كلها غيب ومعناه ان لا يعبدوا فلما حذفت ان رفع وبالوالدين احسانا اي واحسنوا بالوالدين عطف
الامر وهو قولوا وقولوا عليه وذي القربى القرابة واليتامى جمع يتيم وهو الذي فقد اباه
قبل الحلم الى الحلم لقوله عليه الصلوة والسلام لا يتم بعد البلوغ والمساكين جمع مسكين وهو الذي
اسكنته الحاجة وقولوا للناس حسنا قولا هو حسن في نفسه لافراط حسنه حسنا حمزة وعلي و
اقيموا الصلوة واتوا الزكوة ثم توليتم عن الميثاق ورفضتموه الا قليلا منكم قيل هم الذين اسلموا
منهم وانتم معرضون وانتم قوم عادتكم الاعراض عن المواثيق والتولية واذ اخذنا ميثاقكم
لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم من دياركم اي لا يفعل ذلك بعضكم ببعض جعل غير الرجل
نفسه اذا اتصل به اصلا او دينا وقيل اذا قتل غيره فكانما قتل نفسه لانه يقتص منه ثم اقررتم
بالميثاق واعترفتم على انفسكم بلزومه وانتم تشهدون عليها كما تقول فلان مقر على نفسه بكذا
شاهد عليها او وانتم تشهدون اليوم يا معشر اليهود على اقرار اسلافكم بهذا الميثاق ثم انتم هؤلاء
استبعاد لما اسند اليهم من القتل والاجلاء والعدوان بعد اخذ الميثاق منهم واقرارهم وشهادتهم
انتم مبتدأ وهؤلاء بمعنى الذين تقتلون انفسكم صلة هؤلاء وهؤلاء مع صلته خبر انتم و
تخرجون فريقا منكم من ديارهم غير مراقبين ميثاق الله تظاهرون عليهم بالتخفيف كوفي
اي تتعاونون وبالتشديد غيرهم فمن خفف فقد حذف احدى التائين ثم قيل هي الثانية لان
الثقل بها وقيل هي الاولى ومن شدد قلب التاء الثانية ظاء وادغم بالاثم والعدوان بالمعصية و
الظلم وان ياتوكم اسارى تفادوهم اسارى تفدوهم ابو عمرو واسارى تفدوهم مكي وشامي
اسرى تفدوهم حمزة اسارى تفادوهم علي وفدى وفادى بمعنى واسارى حال وهو جمع اسير

وكذلك أسرى

والضمير في وهو محرم عليكم للشان او هو ضمير مبهم تفسيره اخراجهم افتؤمنون ببعض الكتاب

يعني فداء الاسرى وتكفرون ببعض يعني القتال والاجلاء قال السدي اخذ الله عليهم اربعة عهود

ترك القتل وترك الاخراج وترك المظاهرة وفداء الاسير فاعرضوا عن كل ما امروا الا

الفداء فما جزاء من يفعل ذلك منكم هو اشارة الى الايمان ببعض والكفر ببعض الا خزي

فضيحة وهوان في الحيوة الدنيا ويوم القيمة يردون الى اشد العذاب وهو الذي لا روح

فيه ولا فرج او الى اشد من عذاب الدنيا وما الله بغافل عما تعملون وبالياء مكي ونافع وابو بكر

اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة اختاروها على الآخرة اختيار المشتري فلا يخفف

عنهم العذاب ولا هم ينصرون ولا ينصرهم احد بالدفع عنهم ولقد اتينا موسى الكتاب التورية

آتاه جملة وقفينا من بعده بالرسل يقال قفاه اذا اتبعه من القفاء نحو ذنبه من الذنب وقفاه به

اذا اتبعه اياه يعني وارسلنا على اثره الكثير من الرسل وهم يوشع واشمويل وشمعون و

داود وسليمان وشعياء وارميا وعزير وحزقيل والياس واليسع ويونس وزكريا و

يحيى عليهم السلام وغيرهم واتينا عيسى ابن مريم هي بمعنى الخادم ووزن مريم عند النحويين مفعل لان

فعيلا لم يثبت في الابنية البينات المعجزات الواضحات كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص

والاخبار بالمغيبات وايدناه بروح القدس اي الطهارة وبالسكون حيث كان مكي اي بالروح

المقدسة كما تقول حاتم الجود ووصفها بالقدس للاختصاص والتقريب او بجبرئيل لانه يأتي

بما فيه حيوة القلوب وذلك لانه رفعه الى السماء حين قصد اليهود قتله او بالانجيل كما قال في

القران روحا من امرنا او باسم الله الاعظم الذي كان يحيي الموتى بذكره افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى

اي تحب انفسكم استكبرتم تعظمتم عن قبوله ففريقا كذبتم كعيسى ومحمد عليهما الصلوة والسلام

وفريقا تقتلون كزكريا ويحيى عليهما السلام ولم يقل قتلتم لوفاق الفواصل ولان المراد فريقا تقتلونه

بعد لانكم تحومون حول قتل محمد صلى الله عليه وآله وسلم لولا اني اعصمه منكم ولذلك سحرتموه وسممتم له الشاة والمعنى

ولقد اتينا يا بني اسرائيل انبياءكم ما اتيناهم فكلما جاءكم رسول منهم بالحق استكبرتم عن الايمان به

فوسط بين الفاء وما تعلقت به همزة للتوبيخ والتعجيب من شانهم وقالوا قلوبنا غلف جمع اغلف

اي هي خلقة مغشاة باغطية لا يتوصل اليها ما جاء به محمد ولا تفقهه مستعار من الاغلف الذي

لم يختن بل لعنهم الله بكفرهم فرد الله ان يكون قلوبهم مخلوقة كذلك لانها خلقت على الفطرة و

التمكن من قبول الحق فانما طردهم بكفرهم وزيغهم فقليلا ما يؤمنون قليلا صفة مصدر

محذوف اي فايمانا قليلا يؤمنون وما مزيدة وهو ايمانهم ببعض الكتاب وقيل القلة بمعنى العدم

وقيل غلف تخفيف غلف وقرئ به جمع غلاف اي قلوبنا اوعية للعلوم فنحن مستغنون

بما عندنا عن غيره او اوعية للعلم فلو كان ما جئت به حقا لقبلنا ولما جاءهم اي اليهود كتاب

من عند الله اي القران مصدق لما معهم من كتابهم لا يخالفهم وكانوا من قبل يعني القران يستفتحون

على الذين كفروا يستنصرون على المشركين اذا قاتلوهم قالوا اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في

اخر الزمان الذي نجد نعته في التورية ويقولون لاعدائهم من المشركين قد اظل زمان نبي يخرج

بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم فلما جاءهم ما عرفوا ما موصولة اي ما عرفوه

وهو فاعل جاء كفروا به بغيا وحسدا وحرصا على الرياسة فلعنة الله على الكافرين اي عليهم وضعا

للظاهر موضع المضمر للدلالة على ان اللعنة لحقتهم لكفرهم واللام للعهد او للجنس ودخلوا

فيه دخولا اوليا وجواب لما الاولى مضمر وهو نحو كذبوا به او انكروه او كفروا جواب الاولى

والثانية لان مقتضاهما واحد وبئسما نكرة منصوبة مفسرة بفاعل بئس اي بئس شيئا اشتروا به

انفسهم اي باعوا والمخصوص بالذم ان يكفروا بما انزل الله يعني القران بغيا مفعول له اي حسدا

وطلبا لما ليس لهم وهو علة اشتروا ان ينزل الله لان ينزل او على ان ينزل اي حسدوه على ان ينزل

الله من فضله الذي هو الوحي على من يشاء من عباده وهو محمد عليه وآله الصلوة والسلام فباؤا بغضب على غضب

فصاروا احقاء بغضب مترادف لانهم كفروا بنبي الحق وبغوا عليه او كفروا بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم بعد

عيسى عليه السلام او بعد قولهم عزير ابن الله وقولهم يد الله مغلولة وغير ذلك وللكافرين عذاب

مهين مذل بنسما وبابه عن مهين ابو عمرو ينزل بالتخفيف مكي وبصري واذا قيل لهم لهؤلاء اليهود

امنوا بما انزل الله يعني القران او هو مطلق يتناول كل كتاب قالوا نؤمن بما انزل علينا اي التورية

ويكفرون بما وراءه اي قالوا ذلك والحال انهم يكفرون بما وراء التورية وهو الحق مصدقا لما

معهم غير مخالف له وفيه رد لمقالتهم لانهم اذا كفروا بما يوافق التورية فقد كفروا بها ومصدقا

حال مؤكدة قل فلم تقتلون انبياء الله اي فلم قتلتم فوضع المستقبل موضع الماضي ويدل عليه قوله

من قبل انكنتم مومنين اي من قبل محمد صلى الله عليه وسلم اعترض عليهم بقتلهم الانبياء مع ادعائهم
الايمان بالتورية والتورية لا تسوغ قتل الانبياء قيل قتلوا في يوم واحد ثلثمائة نبي في بيت المقدس
ولقد جاءكم موسى بالبينات بالآيات التسع وادغم الدال في الجيم حيث كان ابو عمرو وحمزة وعلي
ثم اتخذتم العجل الها من بعده من بعد خروج موسى عليه السلام الى الطور وانتم ظالمون هو حال اي عبدتم
العجل وانتم واضعون العبادة غير موضعها او اعتراض اي وانتم قوم عادتكم الظلم واذ اخذنا
ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة كرر ذكر الطور لما نيط به من زيادة ليست
مع الاولى واسمعوا ما امرتم به في التورية قالوا سمعنا قولك وعصينا امرك وطابق قوله
جوابهم من حيث انه قال لهم اسمعوا وليكن سماعكم سماع تقبل وطاعة فقالوا سمعنا ولكن لا
سماع طاعة واشربوا في قلوبهم العجل اي تداخلهم حبه والحرص على عبادته كما يتداخل الثوب الصبغ
وقوله في قلوبهم بيان لمكان الاشراب والمضاف وهو الحب محذوف بكفرهم بسبب كفرهم
واعتقادهم التشبيه قل بئسما يامركم به ايمانكم بالتورية لانه ليس في التورية عبادة العجل واضافة
الامر الى ايمانهم تهكم وكذا اضافة الايمان اليهم انكنتم مومنين تشكيك في ايمانهم وقدح في صحة
دعويهم له قل ان كانت لكم الدار الآخرة اي الجنة عند الله ظرف ولكم خبر كان خالصة حال من
الدار الآخرة اي سالمة لكم ليس لاحد سواكم فيها حق يعني ان صح قولكم لن يدخل الجنة الا من كان هودا
من دون الناس هو للجنس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين فيما تقولون لان من ايقن انه من اهل
الجنة اشتاق اليها تخلصا من الدار ذات الشوائب جمع الشائبة وهي الاقذار والادناس كما نقل
عن العشرة المبشرين بالجنة ان كل واحد منهم يحب الموت ويحن اليه ولن يتمنوه ابدا هو نصب على
الظرف اي لن يتمنوه ما عاشوا بما قدمت ايديهم بما اسلفوا من الكفر بمحمد عليه الصلوة والسلام
وتحريف كتاب الله وغير ذلك وهو من المعجزات لانه اخبار بالغيب وكان كما اخبر به كقوله ولن
تفعلوا ولو تمنوه لنقل ذلك كما نقل سائر الحوادث والله عليم بالظالمين تهديد لهم ولتجدنهم احرص
الناس مفعولا وجدهم واحرص على حيوة التنكير يدل على ان المراد حيوة مخصوصة وهي الحيوة
المتطاولة ولذا كانت القراءة بها اوقع من قراءة ابي على الحيوة ومن الذين اشركوا هو محمول على المعنى
لان معنى احرص الناس احرص من الناس نعم قد دخل الذين اشركوا تحت الناس ولكنهم افردوا

بالذكر لان حرصهم شديد كما ان جبرئيل وميكائيل خصا بالذكر وان دخلا تحت الملائكة او اريد
واحرص من الذين اشركوا فحذف لدلالة احرص الناس عليه وفيه توبيخ عظيم لان الذين
اشركوا لا يؤمنون بعاقبة وما يعرفون الا الحيوة الدنيا فحرصهم عليها لا يستبعد لانها جنتهم
فاذا انزاد في الحرص من له كتاب وهو مقر بالجزاء كان حقيقا باعظم التوبيخ وانما زاد حرصهم
على الذين اشركوا لانهم علموا انهم صائرون الى النار لعلمهم بحالهم والمشركون لا يعلمون ذلك
وقوله يود احدهم لو يعمر الف سنة بيان لزيادة حرصهم على طريق الاستيناف وقيل اراد بالذين
اشركوا المجوس لانهم كانوا يقولون لملوكهم عش الف نيروز وعن ابن عباس رضي الله عنهما
هو قول الاعاجم زي هزار سال وقيل ومن الذين اشركوا كلام مبتدأ اي ومنهم ناس يود
احدهم على حذف الموصوف والذين اشركوا على هذا مشار به الى اليهود لانهم قالوا عزير ابن
الله والضمير في وما هو بمزحزحه من العذاب لاحدهم وقوله ان يعمر فاعل بمزحزحه اي وما
احدهم بمن يزحزحه من النار تعميره ويجوز ان يكون لفظ هو مبهما وان يعمر موضحه والزحزحة
التبعيد والانحاء قال في جامع العلوم وغيره لو يعمر بمعنى ان يعمر فلو هاهنا نائب عن ان وان
مع الفعل في تاويل المصدر وهو مفعول يود اي يود احدهم تعمير الف سنة والله بصير بما
يعملون اي بعمل هؤلاء الكفار فيجازيهم عليه وبالتاء يعقوب قل من كان عدوا لجبريل بفتح
الجيم وكسر الراء بلا همز مكي وبفتح الراء والجيم والهمزة مشبعا كوفي غير حفص وبكسر الراي والجيم
بلا همز غيرهم ومنع الصرف فيه للتعريف والعجمة ومعناه عبد الله لان الجبر هو العبد بالسريانية
وايل اسم الله روي ان ابن صوريا من احبار اليهود حاج النبي عليه الصلوة والسلام وساله
عمن يهبط عليه بالوحي فقال جبرئيل فقال ذلك عدونا ولو كان غيره لآمنا بك وقد عادانا
مرارا واشدها انه انزل على نبينا ان بيت المقدس سيخربه بخت نصر فبعثنا من يقتله فلقيه ببابل
غلاما مسكينا فدفع عنه جبرئيل وقال ان كان ربكم امره بهلاككم فانه لا يسلطكم عليه وان لم يكن اياه
فعلى اي ذنب تقتلونه فانه نزله فان جبرئيل نزل القرآن ونحو هذا الاضمار اعني اضمار ما لم
يسبق ذكره فيه فخامة حيث يجعل لفرط شهرته كانه يدل على نفسه ويكتفى عن اسمه الصريح بذكر
شيء من صفاته على قلبك اي حفظه اياك وخص القلب لانه محل الحفظ كقوله نزل به الروح الامين على

قلبك وكان حق الكلام ان يقال على قلبي ولكن جاء على حكاية كلام الله تعالى كما تكلم به وانما استقام
ان يقع فانه نزله جزاء للشرط لان تقديره ان عادى جبريل احد من اهل الكتاب فلا وجه
لمعاداته حيث نزل كتابا مصدقا للكتاب بين يديه فلو انصفوا لاحبوه وشكروا له صنيعه
في انزاله ما ينفعهم ويصحح المنزل عليهم وقيل جواب الشرط محذوف تقديره من كان عدوا لجبريل
فليمت غيظا فانه نزل الوحي على قلبك باذن الله بامره مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى
للمؤمنين رد على اليهود حين قالوا ان جبريل ينزل بالحرب والشدة فقيل وانه ينزل بالهدى
والبشرى ايضا من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال ميكال بصري وحفص و
ميكائل باختلاس الهمزة كميكاعل مدني وميكائيل بالمد وكسر الهمزة كميكاعيل مشبعة غيرهم وخص
الملكان بالذكر لفضلهما كانهما من جنس آخر اذ التغاير في الوصف ينزل منزلة التغاير في الذات فان
الله عدو للكافرين اي لهم فجاء بالظاهر ليدل على ان الله انما عاداهم لكفرهم وان عداوة الملائكة
كفر كعداوة الانبياء ومن عاداهم عاداه الله تعالى ولقد انزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها
الا الفاسقون المتمردون من الكفرة واللام للجنس والاحسن ان يكون اشارة الى اهل الكتاب وعن
ابن عباس رضي الله عنهما قال ابن صوريا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما جئتنا بشيء نعرفه
وما انزل عليك من آية فنتبعك بها فنزلت الواو في اوكلما للعطف على محذوف تقديره اكفروا
بالآيات البينات وكلما عاهدوا عهدا نبذه نقضه ورفضه وقال فريق منهم لان منهم من لم ينقض
بل اكثرهم لا يؤمنون بالتورية وليسوا من الدين في شيء فلا يعدون نقض المواثيق ذنبا ولا
يبالون به ولما جاءهم رسول من عند الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالذي مصدق لما معهم نبذ
فريق من الذين اوتوا الكتاب اي التورية والذين اوتوا الكتاب اليهود كتاب الله يعني التورية
لانهم بكفرهم برسول الله المصدق لما معهم كافرون بها نابذون لها او كتاب الله القرآن نبذوه
بعدما لزمهم تلقيه بالقبول وراء ظهورهم مثل لتركهم واعراضهم عنه بمثل ما يرمى به وراء
الظهر استغناء عنه وقلة التفات اليه كانهم لا يعلمون انه كتاب الله واتبعوا ما تتلو الشياطين
اي نبذ اليهود كتاب الله واتبعوا كتب السحر والشعوذة التي كانت تقرؤها على ملك سليمان اي
على عهد ملكه وفي زمانه وذلك ان الشياطين كانوا يسترقون السمع ثم يضمون الى ما سمعوا اكاذيب

يلفقونها ويعلمونها الناس وفشا ذلك في زمن سليمان صلوات الله عليه وسلامه حتى قالوا ان الجن تعلم
الغيب وكانوا يقولون هذا علم سليمان وما تم لسليمان ملكه الا بهذا العلم وبه سخر الجن و
الانس والريح وما كفر سليمان تكذيب للشياطين ودفع لما بهتت به سليمان من اعتقاد السحر و
العمل به ولكن الشياطين هم الذين كفروا باستعمال السحر وتدوينه ولكن بالتخفيف الشياطين
بالرفع شامي وحمزة وعلي يعلمون الناس السحر في موضع الحال اي كفروا معلمين الناس السحر
قاصدين به اغواءهم واضلالهم وما انزل على الملكين الجمهور على ان ما بمعنى الذي وهو نصب
عطف على السحر اي ويعلمونهم ما انزل على الملكين او على ما تتلو اي واتبعوا ما انزل على الملكين
ببابل هاروت وماروت علمان لهما وهما عطف بيان للملكين والذي انزل عليهما هو علم
السحر ابتلاء من الله تعالى للناس من تعلم منهم وعمل به كان كافرا ان كان فيه رد ما لزم في شرط
الايمان ومن تجنبه او تعلمه لئلا يعمل به ولكن ليتوقاه ولئلا يغتر به كان مؤمنا قال الشيخ ابو
منصور رحمه الله القول بان السحر كفر على الاطلاق خطأ بل يجب البحث عن حقيقته فان
كان في ذلك رد ما لزم في شرط الايمان فهو كفر والا فلا ثم السحر الذي هو كفر يقتل عليه الذكور
لا الاناث وما ليس بكفر وفيه اهلاك النفس ففيه حكم قطاع الطريق ويستوي فيه الذكور و
الاناث وتقبل توبته اذا تاب ومن قال لا تقبل فقد غلط فان سحرة فرعون قبلت توبتهم و
قيل انزل اي قذف في قلوبهما مع النهي عن العمل قيل انهما ملكان اختارتهما الملائكة لتركب فيهما
الشهوة حين عيرت بني آدم فكانا يحكمان في الارض ويصعدان بالليل فهويا زهرة فحملتهما
على شرب الخمر فزنيا فرآهما انسان فقتلاه فاختارا عذاب الدنيا على عذاب الآخرة فهما يعذبان
منكوسين في جب ببابل وسمي بابل لتبلبل الالسن بها وما يعلمان من احد وما يعلم الملكان احدا
حتى يقولا حتى ينبهاه وينصحاه ويقولا له انما نحن فتنة ابتلاء واختبار من الله فلا تكفر بتعلمه
والعمل به على وجه يكون كفرا فيتعلمون منهما الفاء عطف على قوله يعلمون الناس السحر اي
يعلمونهم فيتعلمون من السحر والكفر الذين دل عليهما قوله كفروا ويعلمون الناس السحر او على يعلمان
والتقدير فيأتون فيتعلمون والضمير لما دل عليه من احد اي فيتعلم الناس من الملكين ما يفرقون
به بين المرء وزوجه اي علم السحر الذي يكون سببا في التفريق بين الزوجين بان يحدث

الله هذه الشئون والخلاف ابتلاء منه والسحر حقيقة عند اهل السنة كثرهم الله تعالى وعند المعتزلة

هو تخييل وتمويه وما هم بضارين به بالسحر من احد الا باذن الله بعلمه ومشيته ويتعلمون

ما يضرهم ولا ينفعهم في الآخرة وفيه دليل على انه واجب الاجتناب كتعلم الفلسفة التي تجر

الى الغواية ولقد علموا اي اليهود لمن اشتريه اي استبدل ما تتلو الشياطين على كتاب الله ما له

في الآخرة من خلاق نصيب ولبئس ما شروا به انفسهم باعوها وانما نفي العلم منهم بقوله لو كانوا

يعلمون مع اثباتهم بقوله ولقد علموا على سبيل التوكيد القسمي لان معناه لو كانوا يعملون بعلمهم

جعلهم حين لم يعملوا به كانهم لا يعلمون ولو انهم آمنوا برسول الله والقرآن واتقوا فتركوا ما هم

عليه من نبذ كتاب الله واتباع كتب الشياطين لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون ان ثواب

الله خير مما هم فيه وقد علموا لكنه جهلهم لما تركوا العمل بالعلم والمعنى لاثيبوا من عند الله ما هو

خير واوثرت الجملة الاسمية على الفعلية في جواب لو لما فيها من الدلالة على ثبات المثوبة و

استقرارها ولم يقل لمثوبة الله خير لان المعنى لشيء من الثواب خير لهم وقيل لو بمعنى التمني كانه قيل

وليتهم آمنوا ثم ابتدئ لمثوبة من عند الله خير يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا

كان المسلمون يقولون لرسول الله اذا القى عليهم شيئا من العلم راعنا يا رسول الله اي راقبنا

وانتظرنا حتى نفهمه ونحفظه وكانت لليهود كلمة يتسابون بها عبرانية او سريانية وهي

راعينا فلما سمعوا بقول المؤمنين راعنا افترصوه وخاطبوا به الرسول وهم يعنون به

تلك المسبة فنهي المؤمنون عنها وامروا بما هو في معناها وهو انظرنا من نظره اذا انتظره

واسمعوا واحسنوا سماع ما يكلمكم به رسول الله ويلقي عليكم من المسائل باذان واعية واذهان

حاضرة حتى لا تحتاجوا الى الاستعادة وطلب المراعاة او واسمعوا سماع قبول وطاعة ولا يكن

سماعكم كسماع اليهود حيث قالوا سمعنا وعصينا وللكافرين ولليهود الذين سبوا رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم عذاب اليم مولم ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل

عليكم وبالتخفيف مكي وابو عمرو من خير من ربكم من الاولى للبيان لان الذين كفروا جنس تحته

نوعان اهل الكتاب والمشركون والثانية مزيدة لاستغراق الخير والثالثة لابتداء الغاية والخير

الوحي وكذلك الرحمة والله يختص برحمته من يشاء يعني انهم يرون انفسهم احق بان يوحى

اليهم فيحسدونكم وما يحبون ان ينزل عليكم شيء من الوحي والله يختص بالنبوة من يشاء والله ذو

الفضل العظيم فيه اشعار بان ايتاء النبوة من الفضل العظيم ولما طعنوا في النسخ فقالوا الا ترون

الى محمد يامر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويامرهم بخلافه ويقول اليوم قولا ويرجع عنه غدا

نزل ما ننسخ من آية او ننسها تفسير النسخ لغة التبديل وشريعة بيان انتهاء الحكم الشرعي المطلق

الذي تقرر في اوهامنا استمراره بطريق التراخي فكان تبديلا في حقنا بيانا محضا في حق

صاحب الشرع وفيه جواب من البداء الذي يدعيه منكروه اعني اليهود ومحله حكم يحتمل الوجود

والعدم في نفسه ولم يلتحق به ما ينافي النسخ من توقيت او تابيد ثبت نصا او دلالة وشرطه التمكن

من عقد القلب عندنا دون التمكن من الفعل خلافا للمعتزلة وانما يجوز النسخ بالكتاب والسنة

متفقا ومختلفا ويجوز نسخ التلاوة والحكم والحكم دون التلاوة والتلاوة دون الحكم ونسخ

وصف في الحكم مثل الزيادة على النص فانها نسخ عندنا خلافا للشافعي رحمه الله والانساء ان

يذهب بحفظها عن القلوب او ننساها مكي وابو عمرو اي نؤخرها من نساءت اي اخرت

نات بخير منها نات باية خير منها للعباد اي باية العمل بها اكثر للثواب او مثلها في ذلك اذ لا

فضيلة لبعض الآيات على البعض الم تعلم ان الله على كل شيء قدير اي قادر فهو يقدر على الخير

وعلى مثله الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض فهو يملك اموركم ويدبرها وهو اعلم

بما يتعبدكم من ناسخ ومنسوخ وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير ناصر يمنعكم من العذاب

ام تريدون ام منقطعة وتقديره بل اتريدون ان تسالوا رسولكم كما سئل موسى من قبل

روي ان قريشا قالوا يا محمد اجعل لنا الصفا ذهبا ووسع لنا ارض مكة فنهوا ان يقترحوا عليه

الآيات كما اقترح قوم موسى عليه السلام حين قالوا اجعل لنا الها ومن يتبدل الكفر بالايمان

ومن ترك الثقة بالآيات المنزلة وشك فيها واقترح غيرها فقد ضل سواء السبيل اي قصده

ووسطه ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم ان يردوكم من بعد ايمانكم كفارا حال من كم اي يردونكم

من دينكم كافرين نزلت حين قالت اليهود للمسلمين بعد وقعة احد الم تروا الى ما اصابكم ولو

كنتم على الحق لما هزمتم فارجعوا الى ديننا فهو خير لكم حسدا مفعول له اي لاجل الحسد وهو

الاسف على الخير عند الغير من عند انفسهم يتعلق بود اي ودوا من عند انفسهم ومن قبل شهوتهم

لا من قبل التدين والميل مع الحق لانهم ودوا ذلك من بعد ما تبين لهم الحق اي بعد علمهم بانكم
على الحق وحسدا اي حسدا متبالغا منبعثا من اصل نفوسهم فاعفوا واصفحوا فاسلكوا معهم سبيل
العفو والصفح عما يكون منهم من الجهل والعداوة حتى ياتي الله بامره بالقتال ان الله على كل شيء
قدير فهو يقدر على الانتقام منهم واقيموا الصلوة واتوا الزكوة وما تقدموا لانفسكم من خير من حسنة
صلوة او صدقة او غيرهما تجدوه عند الله تجدوا ثوابه عنده ان الله بما تعملون بصير فلا يضيع
عنده عمل عامل والضمير في وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى لاهل الكتاب من
اليهود والنصارى اي وقالت اليهود لن يدخل الجنة الا من كان هودا وقالت النصارى لن يدخل
الجنة الا من كان نصارى فلف بين القولين ثقة بان السامع يرد الى كل فريق قوله وامنا من الالباس
لما علم من التعادي بين الفريقين وتضليل كل واحد منهما صاحبه الا ترى الى قوله وقالت اليهود
ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهود جمع هائد كعائذ وعوذ
ووحد اسم كان للفظ من وجمع الخبر لمعناه تلك امانيهم اشير بها الى الاماني المذكورة وهي
ان لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم وان يردوهم كفارا وامنيتهم ان لا يدخل الجنة غيرهم اي تلك الاماني الباطلة امانيهم والامنية
افعولة من التمني مثل الاضحوكة قل هاتوا برهانكم هلموا حجتكم على اختصاصكم بدخول الجنة وهات
صوت بمنزلة ها في معنى احضر وهو متصل بقولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى
وتلك امانيهم اعتراض ان كنتم صادقين في دعواكم بلى اثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة
من اسلم وجهه لله من اخلص نفسه له لا يشرك به غيره وهو محسن مصدق بالقران فله
اجره جواب من اسلم فهو كلام مبتدأ متضمن لمعنى الشرط وبلى رد لقولهم عند ربه ولا خوف
عليهم ولا هم يحزنون وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود
على شيء اي على شيء يصح ويعتد به الواو في وهم يتلون الكتاب للحال والكتاب للجنس اي قالوا
ذلك وحالهم انهم من اهل العلم والتلاوة للكتب وحق من حمل التورية او الانجيل وامن به
ان لا يكفر بالباقي لان كل واحد من الكتابين مصدق للاخر كذلك اي مثل ذلك القول الذي
سمعت به قال الذين لا يعلمون مثل قولهم اي الجهلة الذين لا علم عندهم ولا كتاب كعبدة الاصنام
والمعطلة قالوا لاهل كل دين ليسوا على شيء وهذا توبيخ عظيم لهم حيث نظموا انفسهم مع علمهم

في سلك من لا يعلم فالله يحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون اي بين اليهود والنصارى
بما يقسم لكل فريق منهم من العقاب اللائق به ومن اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه
موضع من رفع على الابتداء وهو استفهام واظلم خبره والمعنى واي احد اظلم وان يذكر ثاني
مفعولي منع لانك تقول منعته كذا ومثله وما منعنا ان نرسل وما منع الناس ان يؤمنوا ويجوز
ان يحذف حرف الجر اي من ان يذكر وان تنصبه مفعولا له بمعنى منعها كراهة ان يذكر وهو حكم
عام لجنس مساجد الله وان مانعها من ذكر الله مفرط في الظلم والسبب فيه طرح النصارى في بيت
المقدس الاذى ومنعهم الناس ان يصلوا فيه او منع المشركين رسول الله ان يدخل المسجد الحرام عام
الحديبية وانما قيل مساجد الله وان كان المنع على مسجد واحد وهو بيت المقدس او المسجد الحرام
لان الحكم ورد عاما وان كان السبب خاصا كقوله تعالى ويل لكل همزة والمنزل فيه الاخنس بن شريق
وسعى في خرابها بانقطاع الذكر والمراد بمن العموم كما اريد العموم بمساجد الله اولئك المانعون
ما كان لهم ان يدخلوها اي ما كان ينبغي لهم ان يدخلوا مساجد الله الا خائفين حال من الضمير في
يدخلوها اي على حال التهيب وارتعاد الفرائص من المؤمنين ان يبطشوا بهم فضلا ان يستولوا
عليها ويلوها ويمنعوا المؤمنين منها والمعنى ما كان الحق الا ذلك لولا ظلم الكفرة وعتوهم وقيل
الله لا يدخل بيت المقدس احد من النصارى الا متنكرا خيفة ان يقتل وقال قتادة لا يوجد نصراني
في بيت المقدس الا بولغ ضربا ونادى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا لا يحجن بعد هذا العام
مشرك وقيل معناه النهي عن تمكينهم من الدخول والتخلية بينهم وبينه كقوله وما كان لكم ان
تؤذوا رسول الله لهم في الدنيا خزي قتل وسبي للحربي بضرب الجزية للذمي ولهم في الاخرة عذاب
عظيم اي النار ولله المشرق والمغرب اي بلاد المشرق والمغرب كلها الله هو مالكها ومتوليها
فاينما شرط تولوا مجزوم به اي ففي اي مكان فعلتم التولية يعني تولية وجوهكم شطر القبلة
بدليل قوله فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره والجواب
فثم وجه الله اي الجهة التي امر بها ورضيها والمعنى انكم اذا منعتم ان تصلوا في المسجد الحرام او
في بيت المقدس فقد جعلت لكم الارض مسجدا فصلوا في اي بقعة شئتم من بقاعها وافعلوا
التولية فيها فان التولية ممكنة في كل مكان ولا يختص امكانها في مسجد دون مسجد وفي مكان دون مكان ان الله واسع عليم اي هو واسع الرحمة يريد التوسعة

على عباده وهو عليم بمصالحهم وعن ابن عمر رضي الله عنهما نزلت في صلوة المسافر على الراحلة

اينما توجهت وقيل عميت القبلة على قوم فصلوا الى انحاء مختلفة فلما اصبحوا تبينوا خطاءهم

فعذروا وهو حجة على الشافعي رحمه الله عليه فيما اذا استدبر وقيل فاينما تولوا للدعاء والذكر

وقالوا اتخذ الله ولدا يريد الذين قالوا المسيح ابن الله وعزير ابن الله قالوا الملائكة بنات الله وقرئ بغير

الواو باعتبار انه قصة معطوفة على ما قبلها وحذفه باعتبار انه استيناف قصة اخرى

سبحانه تنزيه له عن ذلك وتبعيد بل له ما في السموات والارض اي هو خالقه ومالكه ومن

جملته المسيح وعزير والولادة تنافي الملك كل له قانتون منقادون لا يمتنع شيء منهم على تكوينه

وتقديره والتنوين في كل عوض عن المضاف اليه اي كل ما في السموات والارض او كل من جعلوه

لله ولدا له قانتون مطيعون عابدون مقرون بالربوبية منكرون لما اضافوا اليهم وجاء

بما الذي لغير اولي العلم مع قوله قانتون كقوله سبحان ما سخركن لنا بديع السموات والارض

اي مخترعها ومبدعها لا على مثال سبق وكل من فعل ما لم يسبق اليه يقال له ابدعه ولهذا قيل

لمن خالف السنة والجماعة مبتدع لانه ياتي في دين الاسلام بما لم يسبق اليه الصحابة والتابعون

واذا قضى امرا اي حكم وقدر فانما يقول له كن فيكون هو من كان التامة اي احدث فيحدث

وهذا مجاز عن سرعة التكوين وتمثيل ولا قول ثم وانما المعنى ان ما قضاه من الامور واراد

كونه فانما يتكون ويدخل تحت الوجود من غير امتناع ولا توقف كالمامور المطيع الذي يؤمر

فيمتثل ولا يكون منه اباء واكد بهذا استبعاد الولادة لان من كان بهذه الصفة من القدرة كانت

صفاته مباينة لصفات الاجسام فانى يتصور التوالد ثم والوجه الرفع في فيكون وهو قراءة

العامة على الاستيناف اي فهو يكون او على العطف على يقول ونصبه ابن عامر على لفظ كن لانه

امر وجواب الامر بالفاء نصب وقلنا ان كن ليس بامر حقيقة اذ لا فرق بين ان يقال واذا قضى

امرا فانما يكونه فيكون وبين ان يقال فانما يقول له كن فيكون واذا كان كذلك فلا معنى للنصب

وهذا لانه لو كان امرا فاما ان يخاطب به الموجود والموجود لا يخاطب بكن او المعدوم والمعدوم

لا يخاطب وقال الذين لا يعلمون من المشركين او من اهل الكتاب ونفى عنهم العلم لانهم لم يعملوا

به لولا يكلمنا الله هلا يكلمنا كما يكلم الملائكة وكلم موسى استكبارا منهم وعتوا او تاتينا اية

جحودا لان يكون ما اتاهم من ايات الله ايات واستهانة بها كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم

تشابهت قلوبهم اي قلوب هؤلاء ومن قبلهم في العمى قد بينا الايات لقوم يوقنون اي لقوم

ينصفون فيوقنون انها ايات يجب الاعتراف بها والاذعان لها والاكتفاء بها عن غيرها انا

ارسلناك بالحق بشيرا للمؤمنين بالثواب ونذيرا للكافرين بالعقاب ولا تسال عن اصحاب الجحيم و

لا نسالك عنهم ما لهم لم يؤمنوا بعد ان بلغت وبلغت جهدك في دعوتهم وهو حال كنذيرا وبشيرا او

بالحق اي وغير مسئول او مستانف كقراءة نافع ولا تسال على النهي ومعناه تعظيم ما وقع فيه الكفار

من العذاب كما تقول كيف فلان سائلا عن الواقع في بلية فيقال لك لا تسال عنه وقيل نهى الله تعالى

نبيه عن السوال عن احوال الكفرة حين قال ليت شعري ما فعل ابواي ولن ترضى عنك اليهود

ولا النصارى حتى تتبع ملتهم كانهم قالوا لن نرضى عنك وان ابلغت في طلب رضانا حتى تتبع ملتنا

اقناطا منهم لرسول الله من دخولهم في الاسلام فذكر الله عز وجل كلامهم قل ان هدى الله الذي

رضي لعباده هو الهدى اي الاسلام وهو الهدى كله ليس وراءه هدى والذي تدعون الى

اتباعه ما هو هدى انما هو هوى الا ترى الى قوله ولئن اتبعت اهواءهم اي اقوالهم التي هي اهواء

وبدع بعد الذي جاءك من العلم اي من العلم بان دين الله هو الاسلام او من الدين المعلوم صحته

بالبراهين الواضحة والحجج اللائحة ما لك من الله من عذاب الله من ولي ولا نصير ناصر الذين

مبتداء اتيناهم الكتاب صلته وهم مؤمنوا اهل الكتاب وهو التورية والانجيل او اصحاب

النبي صلى الله عليه وآله وسلم والكتاب القرآن يتلونه حال مقدرة منهم لانهم لم يكونوا تالين له وقت

ايتائه ونصب على المصدر حق تلاوته اي يقرؤنه حق قراءته في الترتيل واداء الحروف و

التدبر والتفكر او يعملون به ويؤمنون بما في مضمونه ولا يغيرون ما فيه من نعت النبي عليه

الصلوة والسلام اولئك مبتداء خبره يؤمنون به والجملة خبر الذين ويجوز ان تكون يتلونه

خبرا والجملة خبرا اخر ومن يكفر به فاولئك هم الخاسرون حيث اشتروا الضلالة بالهدى

يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم اي انعمتها عليكم واني فضلتكم على العالمين وتفضيلي

اياكم على عالمي زمانكم واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة

ولا هم ينصرون هم رفع بالابتداء والخبر ينصرون والجمل الاربع وصف ليوما اي واتقوا يوما

لا تجزي فيه ولا يقبل فيه ولا تنفعها فيه ولا هم ينصرون فيه وتكرارها ثنتين لتكرر المعاصي منهم

وختم قصة بني اسرائيل بما بدا به وإذ واذكر إذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات اختبره باوامر ونواه

والاختبار منا لظهور ما لم نعلم ومن الله تعالى لاظهار ما قد علم وعاقبة الابتلاء ظهور الامر الخفي

في الشاهد والغائب جميعا فلذا يجوز اضافته الى الله تعالى وقيل اختبار الله عبده مجاز عن تمكينه

من اختيار احد الامرين ما يريد الله وما يشتهيه العبد كانه يمتحنه ما يكون منه حتى يجازيه على

حسب ذلك وقرأ ابو حنيفة رضي الله عنه ابراهيم ربه برفع ابراهيم وهي قراءة ابن عباس رضي الله عنهما

اي دعاه بكلمات من الدعاء فعل المختبر هل يجيبه اليهن ام لا فاتمهن اي قام بهن حق القيام واداهن

احسن التادية من غير تفريط وتوان ونحوه وابراهيم الذي وفى ومعناه في قراءة ابي حنيفة

رضي الله عنه فاعطاه ما طلبه لم ينقص منه شيئا والكلمات على هذا ما سال ابراهيم ربه في قوله

رب اجعل هذا بلدا آمنا واجعلنا مسلمين لك وابعث فيهم رسولا منهم يتلو ربنا تقبل

منا والكلمات على القراءة المشهورة خمس في الراس الفرق وقص الشارب والسواك و

المضمضة والاستنشاق وخمس في الجسد الختان وتقليم الاظفار ونتف الابط وحلق العانة

والاستنجاء وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي ثلثون سهما من الشرائع عشرة في براءة التائبون الآية

وعشر في الاحزاب ان المسلمين والمسلمات الآية وعشر في المؤمنين والمعارج الى قوله يحافظون و

وقيل هي مناسك الحج قال اني جاعلك للناس اماما هو اسم من يؤتم به اي يأتمون بك في دينهم قال

ومن ذريتي اي واجعل من ذريتي اماما يقتدى به وذرية الرجل اولاده ذكورهم واناثهم فيه

سواء فعيلة من الذر اي الخلق فابدلت الهمزة ياء قال لا ينال عهدي الظالمين بسكون الياء حمزة

وحفص اي لا يصيب الامامة اهل الظلم من ولدك اي اهل الكفر اخبر ان امامة المسلمين لا تثبت لاهل

الكفر وان من اولاده المسلمين والكافرين قال الله تعالى وباركنا عليه وعلى اسحق ومن ذريتهما

محسن وظالم لنفسه مبين والمحسن للمؤمن والظالم الكافر قالت المعتزلة هذا دليل على ان الفاسق

لا يصلح للامامة قالوا وكيف يجوز نصب الظالم للامامة والامامة انما هو لكف الظلمة فاذا نصب

من كان ظالما في نفسه فقد جاء المثل السائر من استرعى الذئب ظلم ولكنا نقول المراد بالظالم الكافر

هنا اذ هو الظالم المطلق وقيل انه سال ان يكون ولده نبيا كما كان هو فاخبر ان الظالم لا يكون نبيا واذ

جعلنا

جعلنا البيت اي الكعبة وهو اسم غالب لها كالنجم للثريا مثابة للناس مباءة ومرجعا للحجاج والعمار

يتفرقون عنه ثم يثوبون اليه وامنا وموضع امن فان الجاني يأوي اليه فلا يتعرض له حتى يخرج

وهو دليل لنا في الملتجي الى الحرم واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وقلنا اتخذوا منه موضع صلوة

تصلون فيه وعنه عليه الصلوة والسلام انه اخذ بيد عمر فقال هذا مقام ابراهيم فقال عمر رضي الله عنه

افلا نتخذه مصلى فقال لم اومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وقيل مصلى مدعى ومقام ابراهيم

الحجر الذي فيه اثر قدميه وقيل الحرم كله مقام ابراهيم واتخذوا شامي ونافع بلفظ الماضي عطفا

على جعلنا اي واتخذ الناس من مكان ابراهيم الذي وسم به لاهتمامه به واسكان ذريته عنده

قبلة يصلون اليها وعهدنا الى ابراهيم واسمعيل امرناهما ان طهرا بيتي مدني وحفص اي بان

طهرا او اي طهرا والمعنى طهراه من الاوثان والانجاس والخبائث كلها للطائفين للزائرين حوله

والعاكفين اي المجاورين الذين عكفوا عنده اي اقاموا لا يبرحون او المعتكفين وقيل للطائفين

النزاع اليه من البلاد والعاكفين المقيمين من اهل مكة والركع السجود المصلين جمع راكع وساجد

واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا اي اجعل هذا البلد وهذا المكان بلدا آمنا اي ذا امن كعيشة

راضية او آمنا من فيه كقولك ليل نائم وهذا مفعول اول وبلدا مفعول ثان وآمنا صفة

له وارزق اهله من الثمرات لانه لم يكن له ثمرة ثم ابدل من آمن منهم بالله واليوم الآخر من اهله

بدل البعض من الكل اي وارزق المؤمنين من اهله خاصة قاس الرزق على الامامة فخص المؤمن

به قال الله تعالى جوابا له قال ومن كفر اي وارزق من كفر فامتعه قليلا اي امتعه تمتيعا

قليلا او زمانا قليلا الى حين اجله فامتعه شامي ثم اضطره الجئه الى عذاب النار وبئس المصير

المرجع الذي يصير اليه اهل النار فالمخصوص بالذم محذوف واذ يرفع حكاية حال ماضية ابراهيم

القواعد هي جمع قاعدة وهي الاساس والاصل لما فوقه وهي صفة غالبة ومعناها الثابتة ورفع

الاساس البناء عليها لانها اذا بني عليها نقلت عن هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع وتطاولت بعد

التقاصر من البيت اي بيت الله وهو الكعبة واسمعيل هو عطف على ابراهيم وكان ابراهيم يبني

واسمعيل يناوله الحجارة ربنا اي يقولان ربنا وهذا الفعل في محل النصب على الحال وقد اظهره

عبد الله في قراءته ومعناه يرفعانها قائلين ربنا تقبل منا تقربنا اليك ببناء هذا البيت انك انت

السميع لدعائنا العليم بضمائرنا ونياتنا وفي ابهام القواعد وتبيينها بعد الابهام تفخيم لشان المبين ربنا

واجعلنا مسلمين لك مخلصين لك او وجهنا من قوله اسلم وجهه لله او مستسلمين يقال اسلم له و

استسلم اذا خضع واذعن والمعنى زدنا اخلاصا واذعانا لك ومن ذريتنا واجعل من ذريتنا امة

مسلمة لك ومن للتبعيض او للتبيين وقيل اراد بالامة امة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وانما خصا

بالدعاء ذريتهما لانهم اولى بالشفقة قوا انفسكم واهليكم نارا وارنا مناسكنا منقول من راى بمعنى

ابصر او عرف ولذا لم يتجاوز مفعولين اي وبصرنا متعبداتنا في الحج او عرفناها وواحد المناسك

المنسك بفتح السين وكسرها وهو المتعبد ولهذا قيل للعابد ناسك وارنا مكي كاسر على فخذ في فخذ

وابو عمرو يشم الكسرة وتب علينا ما فرط منا من التقصير او استتابا لذريتهما انك انت التواب الرحيم

ربنا وابعث فيهم في الامة المسلمة رسولا منهم من انفسهم فبعث الله فيهم محمدا صلى الله عليه وسلم قال عليه

الصلوة والسلام انا دعوة ابي ابراهيم وبشرى عيسى ورؤيا امي يتلو عليهم اياتك يقرء عليهم و

يبلغهم ما توحي اليه من دلائل وحدانيتك وصدق انبيائك ورسلك ويعلمهم الكتاب يعني القران

والحكمة السنة وفهم القران ويزكيهم ويطهرهم من الشرك وسائر الارجاس انك انت العزيز الغالب

الذي لا يغلب الحكيم فيما اوليت ومن يرغب عن ملة ابراهيم استفهام بمعنى الجحد وانكار ان يكون

في العقلاء من يرغب عن الحق الواضح الذي هو ملة ابراهيم والملة السنة والطريقة كذا عن الزجاج

الا من في محل الرفع على البدل من الضمير في يرغب وصح البدل لان من يرغب غير موجب كقولك

هل جاءك احد الا زيد والمعنى وما يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه اي جهل نفسه اي

لم يتفكر في نفسه فوضع سفه موضع جهل وعدي كما عدي او معناه سفه في نفسه فحذف في كما

حذف من في قوله واختار موسى قومه وعلى في قوله ولا تعزموا عقدة النكاح اي على عقدة النكاح

والوجهان عن الزجاج وقال الفراء هو منصوب على التمييز وهو ضعيف لكونه معرفة ولقد

اصطفيناه في الدنيا وانه في الاخرة لمن الصالحين بيان لخطاء راي من رغب عن ملة ابراهيم لان

من جمع كرامة الدارين لم يكن احد اولى بالرغبة في طريقته منه اذ قال ظرف لاصطفيناه او انتصب

باضمار اذكر كانه قيل اذكر ذلك الوقت لتعلم انه المصطفى الصالح الذي لا يرغب عن ملة مثله له ربه

اسلم اذعن واطع او اخلص دينك لله قال اسلمت لرب العالمين اي اخلصت او انقدت ووصى

واوصى مدني وشامي بها بالملة او بالكلمة وهي اسلمت لرب العالمين ابراهيم بنيه ويعقوب هو

معطوف على ابراهيم داخل في حكمه والمعنى ووصى بها يعقوب بنيه ايضا يا بني على اضمار القول

ان الله اصطفى لكم الدين اي اعطاكم الدين الذي هو صفوة الاديان وهو دين الاسلام ووفقكم

للاخذ به فلا تموتن الا وانتم مسلمون فلا يكن موتكم الا على حال كونكم ثابتين على الاسلام فالنهي

في الحقيقة عن كونهم على خلاف حال الاسلام اذا ماتوا كقولك لا تصل الا وانت خاشع فلا تنهاه

عن الصلوة ولكن عن ترك الخشوع في صلوته ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت ام منقطعة

ومعنى الهمزة فيها الانكار والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر اي ما كنتم حاضرين يعقوب عليه

الصلوة والسلام اذ حضره الموت اي حين احتضر والخطاب للمؤمنين والمعنى ما شهدتم ذلك

وانما حصل لكم العلم به من طريق الوحي او متصلة ويقدر قبلها محذوف والخطاب لليهود

لانهم كانوا يقولون ما مات نبي الا على اليهودية كانه قيل اتدعون على الانبياء اليهودية ام كنتم شهداء

اذ حضر يعقوب الموت اذ قال بدل من اذ الاولى والعامل فيهما شهداء او ظرف لحضر لبنيه

ما تعبدون ما استفهام في محل النصب بتعبدون اي اي شيء تعبدون وما عام في كل شيء او هو

سؤال عن صفة المعبود كما تقول ما زيد تريد افقيه ام طبيب من بعدي من بعد موتي قالوا نعبد

الهك واله ابائك اعيد ذكر الاله لئلا يعطف على الضمير المجرور بدون اعادة الجار ابراهيم

واسمعيل واسحق عطف بيان لابائك وجعل اسمعيل من جملة ابائه وهو عمه لان العم اب قال

عليه الصلوة والسلام في العباس هذا بقية ابائي الها واحدا بدل من اله ابائك كقوله بالناصية ناصية

كاذبة او نصب على الاختصاص اي نريد باله ابائك الها واحدا ونحن له مسلمون حال من فاعل نعبد

او جملة معطوفة على نعبد او جملة اعتراضية مؤكدة تلك اشارة الى الامة المذكورة التي هي

ابراهيم ويعقوب وبنوهما الموحدون امة قد خلت مضت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم اي ان

احدا لا ينفعه كسب غيره متقدما كان او متاخرا فكما ان اولئك لا ينفعهم الا ما اكتسبوا فكذلك

انتم لا ينفعكم الا ما اكتسبتم وذلك افتخارهم باباءهم ولا تسألون عما كانوا يعملون ولا تؤاخذون

بسيأتهم وقالوا كونوا هودا او نصارى اي قالت اليهود كونوا هودا وقالت النصارى كونوا

نصارى تهتدوا جزم لانه جواب الامر قل بل ملة ابراهيم بل نتبع ملة ابراهيم حنيفا حال من

كتبهم وسائر شهادات اتروين في قوله من الله مثلها في قولك هذه شهادة مني لفلان اذا شهدت له في انها
صفة لها وما الله بغافل عما تعملون من تكذيب الرسل وكتمان الشهادة تلك امة قد خلت لها ما كسبت
ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون كررت للتاكيد ولان المراد بالاول الانبياء عليهم السلام
وبالثاني اسلاف اليهود والنصارى سيقول السفهاء من الناس الخفاف الاحلام من اصل السفه
الخفة وهم اليهود لكراهتهم التوجه الى الكعبة وانهم لا يرون النسخ او المنافقون لحرصهم على
الطعن والاستهزاء او المشركون لقولهم رغب عن قبلة آبائه ثم رجع اليها والله ليرجعن الى دينهم
وفائدة الاخبار بقولهم قبل وقوعه توطين النفس اذ المفاجأة بالمكروه اشد واعداد الجواب
قبل الحاجة اليه اقطع للخصم وقبل الرمي يراش السهم ما ولاهم ما صرفهم عن قبلتهم التي كانوا عليها يعنون
بيت المقدس والقبلة الجهة التي يستقبلها الانسان في الصلوة لان المصلي يقابلها قل لله المشرق والمغرب
اي بلاد المشرق والمغرب والارض كلها له يهدي من يشاء من اهلها الى صراط مستقيم طريق مستوي
اي يرشد من يشاء الى قبلة الحق وهي الكعبة التي امرنا الله بالتوجه اليها والاماكن كلها لله فيامر بالتوجه
الى حيث شاء تارة الى الكعبة وطورا الى بيت المقدس لا اعتراض عليه لانه المالك وحده وكذلك
جعلناكم ومثل ذلك الجعل العجيب جعلناكم فالكاف للتشبيه وذا اجري بالكاف واللام للفرق بين الاشارة
الى القريب والاشارة الى البعيد والكاف للخطاب لا محل لها من الاعراب امة وسطا خيارا او قيل
للخيار وسط لان الاطراف يتسارع اليها الخلل والاوساط محمية اي كما جعلت قبلتكم خير القبل
جعلتكم خير الامم او عدولا لان الوسط عدل بين الاطراف ليس الى بعضها اقرب من بعض اي كما جعلنا
قبلتكم متوسطة بين المشرق والمغرب جعلناكم امة وسطا بين الغلو والتقصير فانكم لم تغلوا غلو
النصارى حيث وصفوا المسيح بالالوهية ولم تقصروا تقصير اليهود حيث وصفوا مريم بالزنا
وعيسى بانه ولد الزنا لتكونوا شهداء غير منصرف لمكان الف التانيث على الناس صلة شهداء و
يكون الرسول عليكم شهيدا عطف على لتكونوا روي ان الامم يوم القيمة يجحدون تبليغ الانبياء
فيطالب الله الانبياء بالبينة على انهم قد بلغوا وهو اعلم فيؤتى بامة محمد صلى الله عليه وآله وسلم فيشهدون
فيقول الامم من اين عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار الله تعالى في كتابه الناطق على لسان نبيه
الصادق فيؤتى بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم فيسأل عن حال امته فيزكيهم ويشهد بعدالتهم والشهادة

فيكون

قد يكون بلا مشاهدة كالشهادة بالتسامع في الاشياء المعروفة ولما كان الشهيد كالرقيب جيء بكلمة
الاستعلاء كقوله تعالى كنت انت الرقيب عليهم وقيل لتكونوا شهداء على الناس في الدنيا فيما لا يصح
الا بشهادة العدول الاخيار ويكون الرسول عليكم شهيدا ويزكيكم ويعلم بعدالتكم واستدل
الشيخ ابو منصور رحمه الله بالاية على ان الاجماع حجة لان الله تعالى وصف هذه الامة بالعدالة
والعدل هو المستحق للشهادة وقبولها فاذا اجتمعوا على شيء وشهدوا به لزم قبوله واخر
صلة الشهادة اولا وقدمت آخرا لان المراد في الاول اثبات شهادتهم على الامم وفي الآخر
اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم وما جعلنا القبلة التي كنت عليها اي وما جعلنا القبلة
الجهة التي كنت عليها وهي الكعبة فالتي كنت عليها ليست بصفة للقبلة بل هي ثاني مفعولي جعل
روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي بمكة الى الكعبة ثم امر بالصلوة الى صخرة بيت
المقدس بعد الهجرة تالفا لليهود ثم حول الى الكعبة الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه
اي وما جعلنا القبلة التي تحب ان تستقبلها الجهة التي كنت عليها اولا بمكة الا امتحانا للناس وابتلاء
لنعلم الثابت على الاسلام الصادق فيه ممن هو على حرف ينكص على عقبيه لقلقه فيرتد
عن الاسلام عند تحويل القبلة قال الشيخ ابو منصور رحمه الله معنى قوله لنعلم كائنا و
موجودا ما قد علمناه انه يكون ويوجد فالله تعالى عالم في الازل بكل ما اراد وجوده انه يوجد في الوقت
الذي شاء وجوده فيه ولا يوصف بانه عالم في الازل بانه موجود كائن لانه ليس بموجود في الازل
فكيف يعلمه موجودا فاذا صار موجودا يدخل تحت علمه الازلي فيصير معلوما له موجودا كائنا
والتغيير على المعلوم لا على العلم او ليميز التابع من الناكص كما قال ليميز الله الخبيث فوضع العلم
موضع التمييز لان العلم به يقع التمييز او ليعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون و
انما اسند علمهم الى ذاته لانهم خواصه او هو على ملاطفة الخطاب لمن لا يعلم كقولك لمن ينكر ذوب
الذهب فليلقه في النار لنعلم ايذوب وان كانت اي التحويلة او الجعلة او القبلة وان هي المخففة من الثقيلة
واللام في لكبيرة اي لثقيلة شاقة وهي خبر كان فارقة الا على الذين هدى الله اي هداهم الله
فحذف العائد اي الا على الثابتين الصادقين في اتباع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وما كان الله ليضيع
ايمانكم اي صلوتكم الى بيت المقدس سمى الصلوة ايمانا لان وجوبها على اهل الايمان وقبولها من اهل

الايمان واداءها بالجماعة دليل الايمان ولما توجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى الكعبة قالوا كيف
بمن مات قبل التحويل من اخواننا فنزلت ثم علل ذلك فقال ان الله بالناس لرؤف رحيم فمن مشبع
حجازي وشامي وحفص رؤف غيرهم بوزن فعل وهما للمبالغة رحيم لا يضيع اجورهم و
الرافة اشد من الرحمة وجمع بينهما كما في الرحمن الرحيم قد نرى تقلب وجهك في السماء تردد
وجهك وتصرف نظرك في جهة السماء وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتوقع من ربه
ان يحوله الى الكعبة موافقة لابراهيم ومخالفة لليهود ولانها ادعى للعرب الى الايمان لانها
مفخرتهم ومزارهم ومطافهم فلنولينك فلنعطينك ولنمكننك من استقبالها من قولك
وليته كذا اذا جعلته واليا له او فلنجعلنك تلي سمتها دون سمت بيت المقدس قبلة ترضيها
تحبها وتميل اليها لاغراضك الصحيحة التي اضمرتها ووافقت مشية الله وحكمته فول وجهك
شطر المسجد الحرام اي نحوه وشطره نصب على الظرف اي اجعل تولية الوجه تلقاء المسجد اي
في جهته وسمته لان استقبال عين القبلة على النائي وذكر المسجد الحرام دون الكعبة دليل على ان الواجب
مراعاة الجهة دون العين روي انه عليه الصلوة والسلام قدم المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة
عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة وحيث ما كنتم من الارض واردتم الصلوة فولوا وجوهكم شطره
وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق ان التحويل الى الكعبة هو الحق لانه كان في بشارة
انبيائهم برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه يصلي الى القبلتين من ربهم وما الله بغافل عما يعملون
بالياء مكي وابو عمرو ونافع وعاصم وبالتاء غيرهم فالاول وعيد للكافرين بالعقاب على الجحود
والاباء والثاني وعد للمؤمنين بالثواب على القبول والاداء ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب
اراد ذوي العناد منهم بكل آية برهان قاطع ان التوجه الى الكعبة هو الحق ما تبعوا قبلتك لان
تركهم اتباعك ليس عن شبهة تزيلها بايراد الحجة انما هو عن مكابرة وعناد مع علمهم لما في كتبهم
من نعتك انك على الحق وجواب القسم المحذوف سد مسد جواب الشرط وما انت بتابع قبلتهم
حسم لاطماعهم اذ كانوا اضطربوا في ذلك وقالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجوا ان يكون صاحبنا
الذي ننتظره وطمعوا في رجوعه الى قبلتهم وحدت القبلة وان كانت لهم قبلتان فلليهود قبلة و
للنصارى قبلة لاتحادهما في البطلان وما بعضهم بتابع قبلة بعض يعني انهم مع اتفاقهم على مخالفتك

مختلفون

مختلفون في شان القبلة لا يرجى اتفاقهم كما لا يرجى موافقتهم لك فاليهود تستقبل بيت المقدس و
النصارى مطلع الشمس ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم اي من بعد وضوح
البرهان والاحاطة بان القبلة هي الكعبة وان دين الله هو الاسلام انك اذا لمن الظالمين
لمن المرتكبين الظلم الفاحش وفي ذلك لطف للسامعين وتهييج للثبات على الحق وتحذير
لمن يترك الدليل بعد انارته ويتبع الهوى وقيل الخطاب في الظاهر للنبي صلى الله عليه وآله وسلم
والمراد امته ولزم الوقف على الظالمين اذ لو وصل لصار الذين آتيناهم الكتاب صفة الظالمين
وهو مبتدأ والخبر يعرفونه اي محمدا صلى الله عليه وآله وسلم او القرآن او تحويل القبلة والاول
اظهر لقوله كما يعرفون ابناءهم قال عبد الله بن سلام انا اعلم به مني بابني فقال له عمر ولم قال
لاني لست اشك في محمد انه نبي فاما ولدي فلعل والدته خانت فقبل عمر راسه وان فريقا
منهم اي الذين لم يسلموا ليكتمون الحق حسدا وعنادا وهم يعلمون لان الله بينه في كتابهم
الحق مبتدا خبره من ربك واللام للجنس اي الحق من الله لا من غيره يعني ان الحق ما ثبت
انه من الله كالذي انت عليه وما لم يثبت انه من الله كالذي عليه اهل الكتاب فهو الباطل او
للعهد والاشارة الى الحق الذي عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم او خبر مبتدا اي هو الحق
ومن ربك خبر بعد خبر او حال فلا تكونن من الممترين الشاكين في انه من ربك ولكل من اهل
الاديان المختلفة وجهة قبلة وقرئ بها والضمير في هو لكل وفي موليها للوجهة اي هو
موليها وجهه فحذف احد المفعولين او هو لله تعالى اي الله هو موليها اياه هو مولاها
شامي اي هو مولي تلك الجهة قد وليها والمعنى ولكل امة قبلة يتوجه اليها منكم ومن
غيركم فاستبقوا انتم الخيرات واستبقوا اليها غيركم من امر القبلة وغيره اينما تكونوا انتم
واعداؤكم يات بكم الله جميعا يوم القيمة فيفصل بين المحق والمبطل او ولكل منكم يا امة
محمد وجهة يصلي اليها جنوبية او شمالية او شرقية او غربية فاستبقوا الفاضلات
من الجهات وهي الجهات المسامتة للكعبة وان اختلفت اينما تكونوا من الجهات المختلفة
يات بكم الله جميعا يجمعكم ويجعل صلوتكم كانها الى جهة واحدة وكانكم تصلون حاضري
المسجد الحرام ان الله على كل شيء قدير ومن حيث خرجت ومن اي بلد خرجت للسفر فول

وجهك شطر المسجد الحرام اذا صليت وانه وان هذا المامور به للحق من ربك وما الله بغافل عما

تعملون وبالياء ابو عمرو ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا

وجوهكم شطره وهذا التكرير لتاكيد امر القبلة وتشديده لان النسخ من مظان الفتنة والشبهة

فكرر عليهم ليثبتوا على انه نيط بكل واحد ما لم ينط بالاخر فاختلفت فوايدها لئلا يكون للناس عليكم

حجة اي قد عرفكم الله جل ذكره امر الاحتجاج في القبلة بما قد بين في قوله ولكل وجهة هو موليها

لئلا يكون للناس لليهود عليكم حجة في خلاف ما في التورية من تحويل القبلة واطلق اسم الحجة

على قول المعاندين لانهم يسوقونه مساق الحجة الا الذين ظلموا منهم استثناء من الناس اي لئلا يكون

حجة لاحد من اليهود الا المعاندين منهم القايلين ما ترك قبلتنا الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه

وحبا لبلده وان كان على الحق لزم قبلة الانبياء عليهم الصلوة والسلام او معناه لئلا يكون للعرب عليكم حجة

واعتراض في ترك التوجه الى الكعبة التي هي قبلة ابراهيم واسمعيل ابي العرب الا الذين ظلموا

منهم وهم اهل مكة حين يقولون بدا له فرجع الى قبلة ابايه ويوشك ان يرجع الى دينهم ثم

استانف منبها بقوله فلا تخشوهم فلا تخافوا مطاعنهم في قبلتكم فانهم لا يضرونكم واخشوني

فلا تخالفوا امري ولاتم نعمتي عليكم اي عرفتكم لئلا يكون عليكم حجة ولاتم نعمتي عليكم بهدايتي

اياكم الى الكعبة ولعلكم تهتدون ولكي تهتدوا الى قبلة ابراهيم الكاف في كما ارسلنا فيكم اما ان تعلق

بما قبله اي ولاتم نعمتي عليكم في الاخرة بالثواب كما اتممنا عليكم في الدنيا بارسال الرسل او بما بعده اي

كما ذكرتكم بارسال الرسول فاذكروني بالطاعة اذكركم بالثواب فعلى هذا يوقف على تهتدون

وعلى الاول لا من العرب رسولا منكم يتلوا عليكم اياتنا يقرء عليكم القران ويزكيكم ويعلمكم

الكتاب القران والحكمة السنة والفقه ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون مما لا سبيل الى معرفته الا بالوحي

فاذكروني بالمعذرة اذكركم بالمغفرة او بالثناء والعطاء او بالسوال والنوال او بالتوبة و

عفو الحوبة او بالاخلاص والخلاص او بالمناجات والنجاة واشكروا لي ما انعمت به عليكم ولا

تكفرون ولا تجحدوا نعمائي يا ايها الذين امنوا استعينوا بالصبر فبه ينال كل فضيلة والصلوة

فانها تنهى عن كل رذيلة ان الله مع الصابرين بالنصر والمعونة ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله

نزلت في شهداء بدر وكانوا اربعة عشر رجلا اموات اي هم اموات بل احياء اي هم احياء ولكن

لا تشعرون لا تعلمون ذلك لان حيوة الشهيد لا تعلم حسا عن الحسن ان الشهداء احياء عند الله

تعرض ارزاقهم على ارواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كما تعرض النار على ارواح ال فرعون غدوا

وعشيا فيصل اليهم الوجع وعن مجاهد يرزقون ثمر الجنة ويجدون ريحها وليسوا فيها ولنبلونكم

ولنصيبنكم بذلك اصابة تشبه فعل المختبر لاحوالكم هل تصبرون على ما انتم عليه من الطاعة ام لا

بشيء بقليل من كل واحدة من هذه البلايا وطرف منه وقلل ليوذن ان كل بلاء اصاب الانسان

وان جل ففوقه ما يقل اليه ويريهم ان الرحمة معهم في كل حال وانما اعلمهم بوقوع البلوى قبل

وقوعها ليوطنوا نفوسهم عليها من الخوف خوف العدو والله والجوع اي القحط او صوم

شهر رمضان ونقص من الاموال بموت المواشي او بالزكوة وهو معطوف على شيء او على الخوف

اي شيء من نقص الاموال والانفس بالقتل والموت او بالمرض والشيب والثمرات ثمرات الحرث

او موت الاولاد لان الولد ثمرة الفواد وبشر الصابرين على هذه البلايا او المسترجعين عند

البلايا لان الاسترجاع تسليم واذعان وفي الحديث من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته

واحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه وطفئ سراج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال

انا لله وانا اليه راجعون فقيل امصيبة هي قال نعم كل شيء يوذي المومن فهو له مصيبة والخطاب

لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل من يتاتى منه البشارة الذين نصب صفة للصابرين ولا

وقف عليه بل يوقف على راجعون ومن ابتداء بالذين وجعل الخبر اوليك يقف على الصابرين

لا على راجعون والاول الوجه لان الذين وما بعده بيان الصبر اذا اصابتهم مصيبة مكروه اسم فاعل

من اصابته شدة اي لحقته ولا وقف على مصيبة لان قالوا جواب اذا واذا مع جوابها صلة للذين

انا لله اقرار له بالملك وانا اليه راجعون اقرار على نفوسنا بالهلك اوليك عليهم صلوات

من ربهم ورحمة الصلوة الحنو والعطف فوضعت موضع الرافة وجمع بينها وبين الرحمة

كقوله رافة ورحمة روف رحيم والمعنى عليهم رافة بعد رافة ورحمة واوليك هم المهتدون

لطريق الصواب حيث استرجعوا واذعنوا لامر الله قال عمر رضي الله عنه نعم العدلان ونعم

العلاوة اي الصلوة والرحمة والاهتداء ان الصفا والمروة هما علمان للجبلين من شعاير الله من

اعلام مناسكه ومتعبداته جمع شعيرة وهي العلامة فمن حج البيت قصد الكعبة او اعتمر زار

الكعبة فالحج القصد والاعتمار الزيارة ثم غلبا على قصد البيت وزيارته للنسكين المعروفين وهما
في المعاني كالنجم والبيت في الاعيان فلا جناح عليه فلا اثم ان يطوف بهما ان يتطوف فادغم
التاء في الطاء واصل الطواف المشي حول الشيء والمراد هنا السعي بينهما قيل كان على الصفا اساف وعلى
المروة نائلة وهما صنمان يروى انهما كانا رجلا وامراة زنيا في الكعبة فمسخا حجرين فوضعا عليهما ليعتبر بهما
فلما طالت المدة عبدا من دون الله وكان اهل الجاهلية اذا سعوا مسحوهما فلما جاء الاسلام وكسرت الاوثان
كره المسلمون الطواف بينهما لاجل فعل الجاهلية فرفع عنهم الجناح بقوله فلا جناح وهو دليل على انه
ليس بركن كما قال مالك والشافعي رحمهما الله وكذا قوله تعالى ومن تطوع خيرا اي الطواف بهما مشعر بانه
ليس بركن ومن يطوع حمزة وعلي اي يتطوع فادغم التاء في الطاء فان الله شاكر مجاز على القليل كثيرا
عليم بالاشياء صغيرا وكبيرا ان الذين يكتمون من احبار اليهود ما انزلنا في التورية من البينات
من الآيات الشاهدة على امر محمد عليه الصلوة والسلام والهدى والهداية الى الاسلام بوصفه عليه
الصلوة والسلام من بعد ما بيناه اوضحناه للناس في الكتاب في التورية لم ندع فيه موضع اشكال
فعمدوا الى ذلك المبين فكتموه اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون الذين يتاتى منهم اللعن وهم
الملائكة والمؤمنون من الثقلين الا الذين تابوا عن الكتمان وترك الايمان واصلحوا ما افسدوا من
احوالهم وتداركوا ما فرط منهم وبينوا واظهروا ما كتموا فاولئك اتوب عليهم اقبل توبتهم وانا التواب
الرحيم ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار يعني الذين ماتوا من هؤلاء الكاتمين ولم يتوبوا اولئك
عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين ذكر لعنتهم احياء ثم لعنتهم امواتا والمراد بالناس المؤمنون
او المؤمنون والكافرون اذ بعضهم يلعن بعضا يوم القيمة قال الله تعالى كلما دخلت امة لعنت اختها
خالدين حال من هم في عليهم فيها في اللعنة او في النار الا انها اضمرت تفخيما لشانها وتهويلا لا يخفف
عنهم العذاب ولا هم ينظرون اي يمهلون او لا ينتظرون ليعتذروا او لا ينظر اليهم نظر رحمة
والهكم اله واحد فرد في الالهية لا شريك له فيها فلا يصح ان يسمى غيره الها لا اله الا هو تقرير
للوحدانية بنفي غيره واثباته وموضع هو رفع لانه بدل من موضع لا اله ولا يجوز النصب هنا لان
البدل يدل على ان الاعتماد على الثاني والمعنى في الآية على ذلك والنصب يدل على ان الاعتماد على الاول
ورفع الرحمن الرحيم اي المولي جميع النعم اصولها وفروعها ولا شيء سواه بهذه الصفة فما سواه

اما نعمة واما منعم عليه على انه خبر مبتدا او على البدل من هو لا على الوصف لان المضمر لا يوصف
ولما تعجب المشركون من اله واحد وطلبوا آية على ذلك نزل ان في خلق السموات والارض واختلاف
الليل والنهار في اللون والطول والقصر وتعاقبهما في الذهاب والمجيء والفلك التي تجري في
البحر بما ينفع الناس اي بالذي ينفعهم مما يحمل فيها او ينفع الناس ومن في وما انزل الله من السماء
لابتداء الغاية وفي من ماء مطر لبيان الجنس لان ما ينزل من السماء مطر وغيره ثم عطف على انزل
فاحيا به بالماء الارض بعد موتها يبسها ثم عطف على فاحيا وبث وفرق فيها في الارض من كل دابة
هو كل ما يدب وتصريف الرياح الريح حمزة وعلي اي وتقليبها في مهابها قبولا ودبورا وجنوبا
وشمالا وفي احوالها حارة وباردة وعاصفة ولينة وعقيما ولواقح وقيل تارة بالرحمة وطورا
بالعذاب والسحاب المسخر المذلل المنقاد لمشية الله فيمطر حيث شاء بين السماء والارض في الهواء
لآيات لقوم يعقلون ينظرون بعيون عقولهم ويعتبرون ويستدلون بهذه الاشياء على قدرة
موجدها وحكمة مبدعها ووحدانية منشيها في الحديث ويل لمن قرا هذه الآية فمج بها اي لم
يتفكر فيها ولم يعتبر بها ومن الناس اي ومع هذا البرهان النير من الناس من يتخذ من دون الله اندادا
امثالا من الاصنام يحبونهم يعظمونهم ويخضعون لهم تعظيم المحبوب كحب الله كتعظيم
الله والخضوع له اي يحبون الاصنام كما يحبون الله يعني يسوون بينهم وبينه في محبتهم لانهم كانوا
يقرون بالله ويتقربون اليه وقيل يحبونهم كحب المؤمنين لله والذين آمنوا اشد حبا لله
من المشركين لالهتهم لانهم لا يعدلون عنه الى غيره بحال والمشركون يعدلون عن اندادهم الى الله
عند الشدائد فيفزعون اليه ويخضعون له ولو يرى ترى نافع وشامي على خطاب الرسول
او كل مخاطب ولو ترى ذلك لرايت امرا عظيما الذين ظلموا اشارة الى متخذي الانداد اذ يرون
يرونه شامي العذاب ان القوة لله جميعا حال وان الله شديد العذاب شديد عذابه اي ولو يعلم
هؤلاء الذين ارتكبوا الظلم العظيم بشركهم ان القدرة كلها لله تعالى على كل شيء من الثواب والعقاب
دون اندادهم ويعلمون شدة عقابه للظالمين اذا عاينوا العذاب يوم القيمة لكان منهم ما لا يدخل
تحت الوصف من الندم والحسرة فحذف الجواب لان لو اذا جاء فيما يشتاق اليه او يخوف منه قلما
يوصل بالجواب ليذهب القلب فيه كل مذهب ولو يليها الماضي وكذا اذ وضعها ليدل على الماضي وانما

دخلتا على المستقبل هنا لان اخبار الله تعالى عن المستقبل باعتبار صدقه كالماضي اذ تبرا مدغمة الذال في التا
حيث وقعت عراقي غير عاصم وهو بدل من اذ يرون العذاب الذين اتبعوا المتبوعون وهم الرؤساء
من الذين اتبعوا من الاتباع وراوا العذاب الواو للحال اي تبرؤا في حال رؤيتهم العذاب وتقطعت عطف
على تبرا بهم الاسباب الوصل التي كانت بينهم من الاتفاق على دين واحد ومن الانساب والمحاب وقال
الذين اتبعوا اي الاتباع لو ان لنا كرة رجعة الى الدنيا فنتبرا نصب على جواب التمني لان لو في معنى التمني
والمعنى ليت لنا كرة فنتبرا منهم كما تبرؤا منا الآن كذلك مثل ذلك الاراء الفظيع يريهم الله اعمالهم اي عبادتهم
الاوثان حسرات عليهم ندامات وهي مفعول ثالث ليريهم ومعناه ان اعمالهم تنقلب حسرات عليهم فلا
يرون الا حسرات مكان اعمالهم وما هم بخارجين من النار اصلهم فيها دائمون ونزل فيمن حرموا على انفسهم
البحائر ونحوها يا ايها الناس كلوا امر اباحة مما في الارض من للتبعيض لان كل ما في الارض ليس بماكول حلالا
مفعول كلوا او حال مما في الارض طيبا طاهرا من كل شبهة ولا تتبعوا خطوات الشيطان طرقها التي
يدعوكم اليها وبسكون الطاء ابو عمرو وغير عباس ونافع وحمزة وابو بكر والخطوة في الاصل ما بين قدمي
الخاطي يقال اتبع خطواته اذا اقتدى به واستن بسنته انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة لا خفاء به وابان متعد
ولازم ولا تناقض هذه الاية قوله والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت اي الشيطان لانه عدو للناس حقيقة
ووليهم ظاهرا فانه يريهم في الظاهر الموالاة ويزين لهم اعمالهم ويريد بذلك هلاكهم في الباطن انما يامركم
بيان لوجوب الانتهاء عن اتباعه وظهور عداوته اي لا يامركم بخير قط انما يامركم بالسوء بالقبيح والفحشاء
وما يتجاوز الحد في القبح من العظائم وقيل السوء ما لا حد فيه والفحشاء ما يجب فيه الحد وان تقولوا في موضع
الجر بالعطف على بالسوء اي وبان تقولوا على الله ما لا تعلمون هو قولكم هذا حلال وهذا حرام بغير علم
ويدخل فيه كل ما يضاف الى الله تعالى مما لا يجوز عليه واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله الضمير للناس و
عدل بالخطاب عنهم على طريقة الالتفات قيل هم المشركون وقيل هم طائفة من اليهود لما دعاهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى الايمان واتباع القرآن قالوا بل نتبع ما الفينا وجدنا عليه آباءنا فانهم كانوا
خيرا منا واعلم فرد الله عليهم بقوله اولو كان آباؤهم الواو للحال والهمزة بمعنى الرد والتعجب معناه
ايتبعونهم ولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا من الدين ولا يهتدون للصواب ثم ضرب لهم مثلا وقال
ومثل الذين كفروا المضاف محذوف اي ومثل داعي الذين كفروا كمثل الذي ينعق يصيح والمراد بما

لا يسمع الا دعاء ونداء البهائم والمعنى ومثل داعيهم الى الايمان في انهم لا يسمعون من الدعاء الا جرس
النغمة ودوي الصوت من غير القاء اذهان واستبصار كمثل الناعق بالبهائم التي لا تسمع الا دعاء الا
بالبهائم التي لا تسمع الا دعاء الناعق ونداءه الذي هو تصويت بها وزجرها ولا تفقه شيئا آخر
كما يفهم العقلاء والنعيق التصويت يقال نعق المؤذن ونعق الراعي بالضأن والنداء ما يسمع
والدعاء قد يسمع وقد لا يسمع صم خبر مبتدأ مضمر اي هم صم بكم خبر ثان عمي خبر ثالث
فهم لا يعقلون الموعظة ثم بين ان ما حرمه المشركون حلال بقوله يا ايها الذين آمنوا كلوا من
طيبات ما رزقناكم من مستلذاته او من حلاله واشكروا الله الذي رزقكموها ان كنتم اياه تعبدون
ان صح انكم تختصونه بالعبادة وتقرون انه مولى النعمة ثم بين المحرم فقال انما حرم عليكم الميتة
وهي كل ما فارقه الروح من غير ذكاة مما يذبح وانما لاثبات المذكور ونفي ما عداه اي ما حرم عليكم
الا الميتة والدم يعني السائل لقوله في موضع آخر او دما مسفوحا وقد حلت الميتتان والدمان
بالحديث احلت لنا ميتتان ودمان السمك والجراد والكبد والطحال ولحم الخنزير يعني الخنزير
بجميع اجزائه وخص اللحم لانه المقصود بالاكل وما اهل به لغير الله اي ذبح للاصنام فذكر عليه غير
اسم الله واصل الاهلال رفع الصوت اي رفع به الصوت للصنم وذلك قول اهل الجاهلية باسم
اللات والعزى فمن اضطر الجئ بكسر النون بصري وحمزة وعاصم لالتقاء الساكنين اعني النون والضاد
وبضمها غيرهم لضمة الطاء غير حال اي فاكل غير باغ اي للذة وشهوة ولا عاد متعد مقدار الحاجة
وقول من قال غير باغ على الامام ولا عاد في سفر حرام ضعيف لان سفر الطاعة لا يبيح بلا ضرورة
والحبس في الحضر يبيح بلا سفر ولانه ببغيه لا يخرج عن الايمان فلا يستحق الحرمان ثم المضطر يباح له
قدر ما يقع به القوام ويبقى معه الحيوة دون ما فيه حصول الشبع لان الاباحة للاضطرار فيتقدر
بقدر ما تندفع الضرورة فلا اثم عليه في الاكل ان الله غفور للذنوب الكبائر فانى يؤاخذ بتناول
الميتة عند الاضطرار رحيم حيث رخص ونزل في رؤساء اليهود وتغييرهم نعت النبي عليه الصلوة
والسلام واخذهم على ذلك الرشا ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب في صفة محمد صلى الله عليه
وسلم ويشترون به ثمنا قليلا اي عوضا او ذا ثمن اولئك ما ياكلون في بطونهم ملء بطونهم تقول
اكل فلان في بطنه واكل في بعض بطنه الا النار لانه اذا اكل ما يتلبس بالنار لكونها عقوبة عليه فكانه

اكل النار ومنه قولهم اكل فلان الدم اذا اكل الدية التي هي بدل منه قال يأكلن كل ليلة اكافا اي ثمن اكاف فسماه
اكافا لتلبسه به بكونه ثمنا له ولا يكلمهم الله يوم القيمة كلاما يسرهم ولكن بنحو اخسئوا فيها ولا تكلمون
ولا يزكيهم ولا يطهرهم من دنس ذنوبهم او لا يثني عليهم ولهم عذاب اليم مولم بحرف النفي مع الفعل
خبرا اولئك واولئك مع الخبر خبر ان والجمل الثلث معطوفة على خبر ان فقد صار لان اربعة
اخبار من الجمل اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة بكتمان نعت النبي
صلى الله عليه وآله وسلم فما اصبرهم على النار فاي شيء صبرهم على عمل يؤدي الى النار وهذا استفهام معناه
التوبيخ ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق اي ذلك العذاب بسبب ان الله نزل ما نزل من الكتب بالحق
وان الذين اختلفوا اي اهل الكتاب في الكتاب هو للجنس اي في كتب الله فقالوا في بعضها حق وفي
بعضها باطل لفي شقاق وخلاف بعيد اي عن الحق وكفرهم ذلك بسبب ان الله نزل القرآن بالحق
كما يعلمون وان الذين اختلفوا فيه لفي شقاق بعيد عن الهدى ليس البر ان تولوا اي ليس البر توليتكم
وجوهكم قبل المشرق والمغرب والخطاب لاهل الكتاب لان قبلة النصارى مشرق بيت المقدس و
قبلة اليهود مغربه وكل واحد من الفريقين يزعم ان البر التوجه الى قبلته فرد عليهم بان البر ليس
فيما انتم عليه فانه منسوخ ولكن البر من آمن بالله او ذا البر من آمن والقولان على حذف المضاف
والاول اجود والبر اسم للخير ولكل فعل مرضي وقيل كثر خوض المسلمين واهل الكتاب في امر القبلة
فقيل ليس البر العظيم الذي يجب ان تذهلوا بشانه عن سائر صنوف البر امر القبلة ولكن البر الذي
يجب الاهتمام به بر من آمن وقام بهذه الاعمال ليس البر بالنصب على انه خبر ليس واسمه ان تولوا
حمزة وحفص ولكن البر نافع وشامي وعن المبرد لو كنت ممن يقرأ القرآن لقرأت ولكن البر
وقرئ ولكن البار واليوم الآخر اي يوم البعث والملائكة والكتاب اي جنس كتب الله او القرآن
والنبيين وآتى المال على حبه اي على حب الله او حب المال او حب الايتاء يريد ان يعطيه وهو طيب
النفس باعطائه ذوي القربى اي القرابة وقدمهم لانهم احق قال عليه الصلوة والسلام صدقتك
على المسكين صدقة وعلى ذي رحمك صدقة وصلة واليتامى والمراد الفقراء من ذوي القربى واليتامى
وانما اطلق لعدم الالتباس والمساكين المسكين الدائم السكون الى الناس لانه لا شيء له كالمسكير للدائم
السكر وابن السبيل المسافر المنقطع وهو جنس وان كان مفردا لفظا وجعل ابنا للسبيل لملازمته له او هو

الضيف والسائلين المستطعمين وفي الرقاب وفي معاونة المكاتبين حتى يفكوا رقابهم او في فك
الاسارى واقام الصلوة وآتى الزكوة المفروضة وقيل هو تاكيد للاول وقيل المراد بالاول نوافل الصدقات
والمبار والموفون عطف على من آمن بعهدهم اذا عاهدوا الله او الناس والصابرين نصب على
المدح والاختصاص اظهارا لفضل الصبر في الشدائد ومواطن القتال على سائر الاعمال في الباساء الفقر
والشدة والضراء المرض والزمانة وحين الباس وقت القتال اولئك الذين صدقوا اي اهل هذه
الصفة هم الذين صدقوا في الدين واولئك هم المتقون وكان بين حيين من احياء العرب
دماء في الجاهلية وكان لاحدهما طول على الآخر فاقسموا ليقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالانثى والاثنين
بالواحد فتحاكموا الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم حين جاء الله بالاسلام فنزل يا ايها الذين آمنوا كتب
اي فرض عليكم القصاص وهو عبارة عن المساواة واصله من قص اثره واقتصه اذا اتبعه ومنه
القاص لانه يتبع الآثار والاخبار في القتلى جمع قتيل والمعنى فرض عليكم اعتبار المماثلة والمساواة بين
القتلى الحر بالحر مبتدأ وخبر اي ماخوذ بالحر او مقتول بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى وقال
الشافعي رحمه الله لا يقتل الحر بالعبد بهذا النص وعندنا يجري القصاص بين الحر والعبد بقوله تعالى
ان النفس بالنفس كما بين الذكر والانثى وبقوله عليه الصلوة والسلام المسلمون تتكافؤ دماؤهم و
بان التفاضل غير معتبر في الانفس بدليل ان جماعة لو قتلوا واحدا قتلوا به وبان تخصيص الحكم بنوع
لا ينفيه عن نوع آخر بل يبقى الحكم فيه موقوفا على ورود دليل آخر وقد ورد كما بينا فمن عفي له
من اخيه شيء فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان قالوا العفو ضد العقوبة يقال عفوت عن
فلان اذا صفحت عنه واعرضت عن ان تعاقبه وهو يعدى بعن الى الجاني والى الجناية ثم عفونا عنكم
ويعفو عن السيئات واذا اجتمعا عدي الى الاول باللام فتقول عفوت له عن ذنبه ومنه الحديث عفوت
لكم عن صدقة الخيل والرقيق وقال الزجاج من عفي اي من ترك له القتل بالدية وقال الازهري العفو
في اللغة الفضل ومنه ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو ويقال عفوت لفلان بمالي اذا افضلت
له واعطيته وعفوت له عما لي عليه اذا تركته ومعنى الآية عند الجمهور فمن عفي له من جهة اخيه شيء
من العفو على ان الفعل مسند الى المصدر كما في سير بزيد بعض السير والاخ ولي المقتول وذكر بلفظ الاخوة
بعثا له على العطف لما بينهما من الجنسية والاسلام ومن هو القاتل المعفو له عما جنى وترك المفعول

الآخر استغناء عنه وقيل اقيم له مقام عنه والضمير في له واخيه لمن وفي اليه للاخ او للمتبع الدال
عليه فاتباع لان المعنى فليتبع الطالب القاتل بالمعروف بان يطالبه مطالبة جميلة وليؤدّ اليه
المطلوب اي القاتل بدل الدم اداء باحسان بان لا يمطله ولا يبخسه وانما قيل شيء من العفو ليعلم انه
اذا عفي عن بعض الدم او عفي عنه بعض الورثة تم العفو وسقط القصاص ومن فسر عفي بترك
جعل شيئا مفعولا به وكذا من فسره باعطي يعني ان الولي اذا اعطي له شيء من مال اخيه يعني القاتل
بطريق الصلح فليأخذه بمعروف من غير تعنيف وليؤدّه القاتل اليه بلا تسويف وارتفاع اتباع
بانه خبر مبتدا مضمر اي فالواجب اتباع ذلك الحكم المذكور من العفو واخذ الدية تخفيف
من ربكم ورحمة فانه كان في التورية القتل لا غير وفي الانجيل العفو بغير بدل لا غير وابيح لنا
القصاص والعفو واخذ المال بطريقة الصلح توسعة وتيسيرا والآية تدل على ان صاحب الكبيرة
مؤمن للوصف بالايمان بعد وجود القتل ولبقاء الاخوة الثابتة بالايمان ولاستحقاق التخفيف
والرحمة فمن اعتدى بعد ذلك التخفيف فتجاوز ما شرع له من قتل غير القاتل او القتل بعد اخذ
الدية فله عذاب اليم نوع من العذاب شديد الالم في الآخرة ولكم في القصاص حيوة كلام فصيح
لما فيه من الغرابة اذ القصاص قتل وتفويت للحيوة وقد جعل ظرفا للحيوة وفي تعريف القصاص
وتنكير الحيوة بلاغة بينة لان المعنى ولكم في هذا الجنس من الحكم الذي هو القصاص حيوة عظيمة
لمنعه عما كانوا عليه من قتل الجماعة بواحد حتى اقتدوا فكان في القصاص حيوة اي حيوة او نوع
من الحيوة وهي الحيوة الحاصلة بالارتداع من القتل لوقوع العلم بالاقتصاص من القاتل لانه اذا هم
بالقتل فتذكر الاقتصاص ارتدع فسلم صاحبه من القتل وهو من القود فكان شرع القصاص سبب
حيوة نفسين يا اولي الالباب يا ذوي العقول لعلكم تتقون القتل حذرا من القصاص كتب فرض
عليكم اذا حضر احدكم الموت اي اذا دنا منه فظهرت اماراته ان ترك خيرا مالا كثيرا لما روي
عن علي رضي الله عنه ان مولى له اراد ان يوصي وله سبعمائة درهم فمنعه وقال قال الله تعالى ان ترك
خيرا والخير هو المال وليس لك مال وفا على كتب الوصية للوالدين والاقربين وكانت الوصية
للوارث في بدء الاسلام فنسخت باية المواريث كما بيناه في شرح المنار وقيل هي غير منسوخة لانها
نزلت في حق من ليس بوارث بسبب الكفر لانهم كانوا حديث عهد بالاسلام يسلم الرجل ولا يسلم ابواه

وقرابته والاسلام قطع الارث فشرعت الوصية فيما بينهم قضاء لحق القرابة ندبا وعلى هذا الايراد
بكتب فرض بالمعروف بالعدل وهو ان لا يوصي للغني ويدع الفقير ولا يتجاوز الثلث حقا مصدر
مؤكد اي حق ذلك حقا على المتقين على الذين يتقون الشرك فمن بدله فمن غير الايصاء من وجهه
ان كان موافقا للشرع من الاوصياء والشهود بعد ما سمعه اي الايصاء فانما اثمه على الذين يبدلونه
فما اثم التبديل الا على مبدليه دون غيرهم من الموصي والموصى له لانهما بريئان عن الحيف ان الله
سميع لقول الموصي عليم بجور المبدل فمن خاف اي علم وهذا شائع في كلامهم يقولون اخاف
ان يرسل السماء يريدون الظن الغالب الجاري مجرى العلم من موص موص كوفي غير حفص جنفا
ميلا عن الحق بالخطاء في الوصية او اثما تعمدا للحيف فاصلح بينهم بين الموصي لهم وهم الوالدان
والاقربون باجرائهم على طريق الشرع فلا اثم عليه حينئذ لان تبديله تبديل باطل الى حق ذكر
من بدل بالباطل ثم من بدل بالحق ليعلم ان كل تبديل لا يؤثم وقيل هذا في حال حيوة الموصي اي فمن
حضر وصية فرآه على خلاف الشرع فنهاه عن ذلك وحمله على الصلاح فلا اثم على هذا الموصي
بما قال ان الله غفور رحيم يا ايها الذين امنوا كتب اي فرض عليكم الصيام هو مصدر صام والمراد
صيام شهر رمضان كما كتب اي كتابة مثل ما كتب فهو صفة مصدر محذوف على الذين من قبلكم
على الانبياء والامم من لدن ادم عليه السلام الى عهدكم فهو عبادة قديمة والتشبيه باعتبار ان كل
واحد صام اياما اي انتم متعبدون بالصيام في ايام كما تعبد من كان قبلكم لعلكم تتقون المعاصي
بالصيام فالصيام اظلف لنفسه واردع لها من مواقعة السوء او لعلكم تنتظمون في زمرة المتقين
اذ الصوم شعارهم وانتصاب اياما بالصيام اي كتب عليكم ان تصوموا اياما معدودات موقتات
بعدد معلوم او قلائل واصله ان المال القليل يقدر بالعدد لا الكثير فمن كان منكم مريضا يخاف من
الصوم زيادة المرض او على سفر او راكب سفر فعدة فعليه عدة اي فافطر فعليه صيام عدد
ايام فطره والعدة بمعنى المعدود اي امر ان يصوم اياما معدودة مكانها من ايام اخر سوى
ايام مرضه وسفره واخر لا ينصرف للوصف والعدل عن الالف واللام لان الاصل في فعلى صفة
ان يستعمل في الجمع بالالف واللام كالكبرى والكبر والصغرى والصغر وعلى الذين يطيقونه
وعلى المطيقين للصيام الذين لا عذر لهم ان افطروا فدية طعام مسكين نصف صاع من بر او صاع

من غيره فطعام بدل من فدية طعام مساكين مدني وابن ذكوان وكان ذلك في بدء الاسلام
فرض عليهم الصوم ولم يتعودوه فاشتد عليهم فرخص لهم في الافطار والفدية ثم نسخ التخيير بقوله
فمن شهد منكم الشهر فليصمه ولهذا كرر قوله فمن كان منكم مريضا او على سفر لانه لما كان مذكورا مع
المنسوخ ذكر مع الناسخ ليدل على بقاء هذا الحكم وقيل معناه لا يطيقونه فاضمر لا وقراءة حفصة كذلك
وعلى هذا لا يكون منسوخا فمن تطوع خيرا فزاد على مقدار الفدية فهو خير له فالتطوع او الخير خير له
يطوع بمعنى يتطوع حمزة وعلي وان تصوموا ايها المطيقون خير لكم من الفدية وتطوع الخير وهذا
في الابتداء وقيل وان تصوموا في السفر والمرض خير لكم لانه اشق عليكم ان كنتم تعلمون شرط محذوف
الجواب شهر رمضان مبتدأ خبره الذي انزل فيه القرآن اي ابتدئ فيه انزاله وكان ذلك في ليلة
القدر او انزل في شأنه القرآن وهو قوله كتب عليكم الصيام او هو بدل من الصيام او خبر مبتدأ محذوف
اي هي شهر رمضان والرمضان مصدر رمض اذا احترق من الرمضاء فاضيف اليه الشهر وجعل علما
ومنع الصرف للتعريف والالف والنون وسموه بذلك لارتماضهم فيه من حر الجوع ومقاساة شدته
او لانهم سموا الشهور بالازمنة التي وقعت فيها فوافق هذا الشهر ايام رمض الحر فان قلت فاوجه
ما جاء في الحديث من صام رمضان ايمانا واحتسابا مع ان التسمية واقعة مع المضاف والمضاف اليه
جميعا قلت هو من باب الحذف لامن الالباس القران حيث كان غير مهموز مكي وانتصب هدى
للناس وبينات من الهدى والفرقان على الحال اي انزل وهو هداية للناس الى الحق وهو آيات واضحات
مكشوفات مما يهدي الى الحق ويفرق بين الحق والباطل ذكر اولا انه هدى ثم ذكر انه بينات من جملة ما
هدى به الله وفرق به بين الحق والباطل من وحيه وكتبه السماوية الهادية الفارقة بين الهدى
والضلال فمن شهد منكم الشهر فليصمه فمن كان شاهدا اي حاضرا مقيما غير مسافر في الشهر فليصم
فيه ولا يفطر والشهر منصوب على الظرف وكذا الهاء في فليصمه ولا يكون مفعولا به لان المقيم والمسافر
كلاهما شاهدان للشهر ومن كان مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر فعدة مبتدأ والخبر محذوف
اي فعليه عدة اي صوم عدة يريد الله بكم اليسر حيث اباح الفطر بالسفر والمرض ولا يريد بكم العسر
ومن فرض الفطر على المريض والمسافر حتى لو صاما يجب عليهما الاعادة فقد عدل عن موجب هذا النص
ولتكملوا العدة عدة ما افطرتم بالقضاء اذا زال المرض والسفر والفعل المعلل محذوف مدلول عليه بما

فان قلت هل يصح ان يكون ولتكملوا معطوفا على علة مقدرة كانه قيل لتعلموا ما تعلمون ولتكملوا العدة او على اليسر كانه قيل يريد الله بكم اليسر ويريد بكم لتكملوا

سبق تقديره لتكملوا ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون شرع ذلك يعني جملة ما ذكر من امر
الشاهد بصوم الشهر وامر المرخص له بمراعات عدة ما افطر فيه ومن الترخيص في اباحة الفطر فقوله
لتكملوا علة الامر بمراعاة العدة ولتكبروا علة ما علم من كيفية القضاء والخروج من عهدة الفطر ولعلكم
تشكرون علة الترخيص وهذا نوع من اللف لطيف المسلك وعدي التكبير بعلى لتضمنه معنى الحمد كانه قيل
لتكبروا الله اي لتعظموه حامدين على ما هداكم اليه ولتكملوا بالتشديد ابو بكر ولما قال اعرابي لرسول الله
اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه نزل واذا سألك عبادي عني فاني قريب علما واجابة لتعاليه
عن القرب مكانا اجيب دعوة الداع اذا دعان الداعي دعاني في الحالين معا سهل ويعقوب ووافقهما
ابو عمرو ونافع غير قالون في الوصل غيرهم بغير ياء في الحالين ثم اجابة الدعاء وعد صدق من الله لا خلف
فيه غير ان اجابة الدعوة تخالف قضاء الحاجة فاجابة الدعوة ان يقول العبد يا رب فيقول الله لبيك
عبدي وهذا موعود موجود لكل مؤمن وقضاء الحاجة اعطاء المراد وذا قد يكون ناجزا وقد يكون
بعد مدة وقد يكون في الآخرة وقد يكون الخير له في غيره فليستجيبوا لي اذا دعوتهم للايمان والطاعة
كما اجيبهم اذا دعوني لحوائجهم وليؤمنوا بي واللام فيهما للامر لعلهم يرشدون ليكونوا على رجاء من اصابة
الرشد وهو ضد الغي كان الرجل اذا امسى حل له الاكل والشرب والجماع الى ان يصلي العشاء الاخيرة او
يرقد فاذا صلاها او رقد ولم يفطر حرم عليه الطعام والشراب والنساء الى القابلة ثم ان عمر رضي الله عنه
واقع اهله بعد صلوة العشاء الاخيرة فلما اغتسل اخذ يبكي ويلوم نفسه فاتى النبي عليه وآله الصلوة والسلام
واخبره بما فعل فقال عليه الصلوة والسلام ما كنت جديرا بذلك فنزل احل لكم ليلة الصيام الرفث
الى نسائكم اي الجماع عدي بالى لتضمنه معنى الافضاء وانما كنى عنه بلفظ الرفث الدال على معنى القبح ولم يقل
الافضاء الى نسائكم استهجانا لما وجد منهم قبل الاباحة كما سماه اختيانا لانفسهم ولما كان الرجل والمرأة
يعتنقان ويشتمل كل واحد منهما على صاحبه في عناقه شبه باللباس المشتمل عليه بقوله هن لباس لكم وانتم
لباس لهن وقيل لباس اي ستر عن الحرام وهن لباس لكم استئناف كالبيان لسبب الاحلال وهو انه
اذا كانت بينكم وبينهن مثل هذه المخالطة والملابسة قل صبركم عنهن وصعب عليكم اجتنابهن
فلذا رخص لكم في مباشرتهن علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم تظلمونها بالجماع وتنقصونها
حظها من الخير والاختيان من الخيانة كالاكتساب من الكسب فيه زيادة وشدة فتاب عليكم حين

تتم مما ارتكبتم من المحظور وعفي عنكم ما فعلتم قبل الرخصة فالان باشروهن جامعوهن في ليالي الصوم
وهو امر اباحة وسميت المجامعة مباشرة لالتصاق بشرتيهما وابتغوا ما كتب الله لكم واطلبوا ما
قسم الله لكم واثبت في اللوح من الولد بالمباشرة اي لا تباشروا لقضاء الشهوة وحدها ولكن لابتغاء
ما وضع الله له النكاح من التناسل او ابتغوا المحل الذي كتب الله لكم وحلله دون ما لم يكتب لكم
من المحل المحرم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض هو اول ما يبدو من الفجر المعترض في
الافق كالخيط الممدود من الخيط الاسود هو ما يمتد معه من سواد الليل شبها بخيطين ابيض واسود
لامتدادهما من الفجر بيان ان الخيط الابيض من الفجر لا من غيره واكتفي به عن بيان الخيط الاسود لان
بيان احدهما بيان للاخر او من للتبعيض لانه بعض الفجر واوله وقوله من الفجر اخرجه من باب
الاستعارة وصيره تشبيها بليغا كما ان قولك رايت اسدا مجاز فاذا زدت من فلان رجع تشبيها وعن
عدي بن حاتم قال عمدت الى عقالين ابيض واسود فجعلتهما تحت وسادتي فنظرت اليهما فلم يتبين لي
الابيض من الاسود فاخبرت النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال انك لعريض القفا اي سليم القلب
لانه مما يستدل به على بلاهة الرجل وقلة فطنته انما ذلك بياض النهار وسواد الليل وفي قوله ثم اتموا
الصيام الى الليل اي الكف عن هذه الاشياء دليل على جواز النية بالنهار في صوم رمضان وعلى جواز
تاخير الغسل الى الفجر وعلى نفي الوصال وعلى وجوب الكفارة في الاكل والشرب وعلى ان الجنابة لا تنافي
الصوم ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد معتكفون فيها بين ان الجماع يحل في ليالي رمضان
لكن لغير المعتكف والجملة في موضع الحال وفيه دليل على ان الاعتكاف لا يجوز الا في المسجد وانه لا يختص
به مسجد دون مسجد تلك الاحكام التي ذكرت حدود الله احكامه المحدودة فلا تقربوها بالمخالفة
والتغيير كذلك يبين الله آياته شرائعه للناس لعلهم يتقون المحارم ولا تأكلوا اموالكم بينكم اي لا ياكل
بعضكم مال البعض بالباطل بالوجه الذي لم يبحه الله ولم يشرعه وتدلوا بها الى الحكام ولا تدلوا بها فهو مجزوم
داخل في حكم النهي يعني ولا تلقوا امرها والحكومة فيها الى الحكام لتأكلوا بالتحاكم فريقا طائفة من اموال
الناس بالاثم بشهادة الزور او باليمين الكاذبة او بالصلح مع العلم بان المقضي له ظالم وقال عليه السلام
للخصمين انما انا بشر وانتم تختصمون الي ولعل بعضكم الحن بحجته من بعض فاقضي له على نحو ما اسمع منه
فمن قضيت له بشيء من حق اخيه فلا ياخذن منه شيئا فانما اقضي له قطعة من نار فبكيا وقال كل واحد

منهما حقي لصاحبي وقيل وتدلوا بها وتلقوا بعضها الى حكام السوء على وجه الرشوة يقال ادلى دلوه
اي القاها في البير للاستقاء وانتم تعلمون انكم على الباطل وارتكاب المعصية مع العلم بقبحها اقبح و
صاحبه بالتوبيخ احق قال معاذ بن جبل يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا مثل الخيط ثم يزيد حتى يمتلي
ويستوي ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا لا يكون على حالة واحدة كالشمس فنزل يسالونك عن الاهلة
جمع هلال سمي به لرفع الناس اصواتهم عند رويته قل هي مواقيت للناس والحج اي معالم يوقت بها
الناس مزارعهم ومتاجرهم ومحال ديونهم وصومهم وفطرهم وعدد نسائهم وايام حيضهن ومدد
حملهن وغير ذلك ومعالم للحج يعرف بها وقته كان ناس من الانصار اذا احرموا لم يدخل احد منهم
حائطا ولا دارا ولا فسطاطا من باب فان كان من اهل المدر نقب نقبا في ظهر بيته منه يدخل ويخرج
وان كان من اهل الوبر يخرج من خلف الخباء فنزل وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها اي ليس
البر تحرجكم من دخول الباب والاختلاف في رفع البر هنا لان الاية ثم تحتمل الوجهين كما بينا فجاز الرفع
والنصب ثم وهذه لا تحتمل الا وجها واحدا وهو الرفع اذ الباء لا يدخل الا على خبر ليس ولكن البر من
اتقى ما حرم الله البيوت وبابه مثل وبصري وحفص وهو الاصل مثل كعب وكعوب ومن كسر الباء
فلمكان الياء بعدها ولكن هي توجب الخروج من الكسر الى الضم وكانه قيل لهم عند سوالهم من الاهلة
من الحكمة في نقصانها وتمامها معلوم ان كل ما يفعله الله تعالى لا يكون الا حكمة فدعوا السوال عنه و
انظروا في خصلة واحدة تفعلونها مما ليس من البر في شيء وانتم تحسبونها برا فهذا وجه اتصاله بما
قبله ويحتمل ان يكون ذلك على طريق الاستطراد لما ذكر انها مواقيت للحج لانه كان من افعالهم في الحج ويحتمل
ان يكون ذلك على طريق هذا تمثيلا لتعكيسهم في سوالهم وان مثلهم فيه كمثل من يترك باب البيت
ويدخله من ظهره والمعنى ليس البر وما ينبغي لكم ان تكونوا عليه بان تعكسوا في مسائلكم ولكن البر
بر من اتقى ذلك وتجنبه ولم يجر على مثله واتوا البيوت من ابوابها وباشروا الامور من وجوهها
التي يجب ان يباشر عليها ولا تعكسوا والمراد وجوب الاعتقاد بان جميع افعاله تعالى حكمة وصواب من
غير اختلاج شبهة ولا اعتراض شك في ذلك حتى لا يسال عنه لما في السوال من الاتهام بمقارفة الشك
لا يسال عما يفعل وهم يسالون واتقوا الله فيما امركم به ونهيكم عنه لعلكم تفلحون لتفوزوا بالنعيم
السرمدي وقاتلوا في سبيل الله المقاتلة في سبيل الله الجهاد لاعلاء كلمة الله واعزاز الدين الذين يقاتلونكم

يناجزونكم القتال دون المحاجزين وعلى هذا يكون منسوخا بقوله وقاتلوا المشركين كافة وقيل هي
اول اية نزلت في القتال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقاتل من قاتل ويكف عمن كف او الذين
يناصبونكم القتال دون من ليس من المناصبة من الشيوخ والصبيان والرهبان والنساء او الكفرة
كلهم لانهم قاصدون لمقاتلة المسلمين فهم في حكم المقاتلة ولا تعتدوا في ابتداء القتال او بقتال من
نهيتم عنه من النساء والشيوخ ونحوها او بالمثلة ان الله لا يحب المعتدين واقتلوهم حيث ثقفتموهم
وجدتموهم والثقف الوجود على وجه الاخذ والغلبة واخرجوهم من حيث اخرجوكم اي من مكة
وقد فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن لم يسلم منهم يوم وعدهم الله تعالى فتح مكة بهذه الاية
الفتح والفتنة اشد من القتل اي شركهم بالله اعظم من القتل الذي يحل بهم منكم وقيل الفتنة عذاب
الاخرة وقيل المحنة والبلاء الذي ينزل بالانسان فيعذب به اشد عليه من القتال وقيل لحكيم ما اشد
من الموت قال الذي يتمنى فيه الموت فقد جعل الاخراج من الوطن من الفتن التي يتمنى عندها الموت
ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه اي ولا تبدأوا بقتالهم في الحرم حتى يبدأوا وافعند
المسجد الحرام يقع على الحرم كله فان قاتلوكم فاقتلوهم في الحرم فعندنا يقتلون في الاشهر الحرم لا في
الان يبدأوا بالقتال معنا فحينئذ نقتلهم وان كان ظاهر قوله واقتلوهم حيث ثقفتموهم يبيح القتل
في الامكنة كلها لقوله ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه خص الحرم الا عند البداية
منهم كذا في شرح التاويلات كذلك جزاء الكافرين مبتدأ وخبر ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فان
قتلوكم حمزة وعلي فان انتهوا عن الشرك والقتال فان الله غفور لما سلف من طغيانهم رحيم بقبول
توبتهم وايمانهم وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة شرك فكان تامة وحتى بمعنى كي او الى ان ويكون الدين
لله خالصا ليس للشيطان فيه نصيب اي لا يعبد دونه شيء فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين فان
امتنعوا عن الكفر فلا تقاتلوهم فانه لا عدوان الا على الظالمين ولم يبقوا ظالمين او فلا تظلموا الا
على الظالمين غير المنتهين سمي جزاء الظالمين ظلما للمشاكلة كقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه
قاتلهم المشركون عام الحديبية في الشهر الحرام وهو ذو القعدة فقيل لهم عند خروجهم لعمرة القضاء
وكراهتهم القتال وذلك في ذي القعدة الشهر الحرام مبتدأ وخبره بالشهر الحرام اي هذا الشهر بذلك
الشهر وهتكه بهتكه يعني تهتكون حرمته عليهم كما هتكوا حرمته عليكم والحرمات قصاص اي كل

حرمة يجري فيها القصاص من هتك حرمة اي حرمة كانت اقتص منه بان تهتك له حرمة فحين هتكوا
حرمة شهركم فافعلوا بهم نحو ذلك ولا تبالوا واكد ذلك بقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل
ما اعتدى عليكم من شرطية والباء غير زائدة والتقدير بعقوبة مماثلة لعدوانهم او زائدة وتقديره
عدوانا مثل عدوانهم واتقوا الله في حال كونكم منتصرين ممن اعتدى عليكم فلا تعتدوا الى ما لا يحل لكم
واعلموا ان الله مع المتقين بالنصر وانفقوا في سبيل الله تصدقوا في رضى الله وهو عام في الجهاد
وغيره ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة اي انفسكم والباء زائدة او ولا تلقوا انفسكم بايديكم كما يقال اهلك
فلان نفسه بيده اذا تسبب لهلاكها والمعنى النهي عن ترك الانفاق في سبيل الله لانه سبب الهلاك او عن
الاسراف في النفقة حتى يفقر نفسه ويضيع عياله او عن الاخطار بالنفس او عن ترك الغزو الذي
هو تقوية للعدو والتهلكة والهلاك والهلك واحد واحسنوا الظن بالله في الاخلاف ان الله
يحب المحسنين الى المحتاجين واتموا الحج والعمرة لله وادوهما تامين بشرائطهما وفرائضهما لوجه الله
بلا توان ولا نقصان وقيل الاتمام يكون بعد الشروع فهو دليل على ان من شرع فيهما لزمه اتمامهما
وبه نقول ان العمرة تلزم بالشروع ولا تمسك للشافعي رحمه الله بالاية على لزوم العمرة لانه امر باتمامها
وقد يؤمر باتمام الواجب والتطوع او اتمامهما ان تحرم بهما من دويرة اهلك او ان تفرد لكل
واحد منهما سفرا او ان تنفق فيهما حلالا او ان لا تتجر معهما فان احصرتم يقال احصر فلان اذا منعه
امر من خوف او مرض او عجز وحصر اذا حبسه عدو عن المضي وعندنا الاحصار يثبت بكل منع من
عدو او مرض او غيرهما لظاهر النص وقد جاء في الحديث من كسر او عرج فقد حل اي جاز له ان
يحل وعليه الحج من قابل وعند الشافعي رحمه الله الاحصار بالعدو وحده وظاهر النص يدل على ان
الاحصار يتحقق في العمرة ايضا لانه ذكر عقيبهما فما استيسر من الهدي فما تيسر منه يقال يسر الامر
واستيسر كما يقال صعب واستصعب والهدي جمع هدية يعني ان منعتم من المضي الى البيت وانتم
محرمون بحج او عمرة فعليكم اذا اردتم التحلل ما استيسر من الهدي من بعير او بقرة او شاة فما رفع بانه
اي فعليكم ما استيسر او نصب اي فاهدوا ما استيسر ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدي محله الخطاب
للمحصرين اي لا تحلوا بحلق الراس حتى تعلموا ان الهدي الذي بعثتموه الى الحرم بلغ محله اي مكانه الذي
يجب نحره فيه وهو الحرم وهو حجة لنا في ان دم الاحصار لا يذبح الا في الحرم على الشافعي رح اذ عنده

يجوز في غير الحرم فمن كان منكم مريضا فمن كان به مرض يحوجه الى الحلق او به اذى من راسه وهو القمل
او الجراحة ففدية فعليه اذا حلق فدية من صيام ثلثة ايام او صدقة على ستة مساكين لكل مسكين
نصف صاع من بر او نسك شاة وهو مصدر او جمع نسيكة فاذا امنتم الاحصار اي فاذا لم تحصروا
وكنتم في حال امن وسعة فمن تمتع استمتع بالعمرة الى الحج واستمتاعه بالعمرة الى وقت الحج انتفاعه بالتقرب
بها الى الله قبل انتفاعه بالتقرب الى الحج وقيل اذا حل من عمرته انتفع باستباحة ما كان محرما عليه الى ان
يحرم بالحج فما استيسر من الهدى وهو هدى المتعة وهو نسك يؤكل منه ويذبح يوم النحر فمن لم يجد
الهدى فصيام ثلثة ايام في الحج فعليه صيام ثلثة ايام في وقت الحج وهو اشهره ما بين الاحرامين احرام
العمرة واحرام الحج تلك عشرة كاملة في وقوعها بدلا عن الهدى او في الثواب او المراد دفع الايهام فلا
يتوهم في الواو انها بمعنى الاباحة كما في جالس الحسن وابن سيرين الا ترى انه اذا جالسهما او واحدا
منهما كان ممتثلا ذلك اشارة الى التمتع اذ لا تمتع ولا قران لحاضري المسجد الحرام عندنا وعند الشافعي
رحمه الله الى الحكم الذي هو وجوب الهدى او الصيام ولم يوجب عليهم شيئا لمن لم يكن اهله حاضري
المسجد الحرام هم اهل المواقيت فمن دونها الى مكة واتقوا الله فيما امركم ونهاكم عنه في الحج وغيره
واعلموا ان الله شديد العقاب لمن لم يتقه الحج اي وقت الحج كقولك البرد شهران اشهر معلومات
معروفات عند الناس لا يشكل عليهم وهي شوال وذو القعدة وعشر ذي الحجة وفائدة توقيت الحج بهذه
الاشهر ان شيئا من افعال الحج لا يصح الا فيها وكذا الاحرام عند الشافعي رح وعندنا وان انعقد لكنه مكروه
وجمعت لبعض الثالث او لان اسم الجمع يشترك فيه ما وراء الواحد بدليل قوله تعالى فقد صغت قلوبكما
فمن فرض الزم على نفسه بالاحرام فيهن الحج اي في هذه الاشهر فلا رفث هو الجماع او ذكره عند النساء
او الكلام الفاحش ولا فسوق هو المعاصي والسباب لقوله عليه الصلوة والسلام سباب المؤمن فسوق
او التنابز بالالقاب لقوله تعالى بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ولا جدال في الحج ولا مراء مع
الرفقاء والخدم والمكارين وانما امر باجتناب ذلك وهو واجب الاجتناب في كل حال لانه مع الحج
اسمج كلبس الحرير في الصلوة والتطريب في قراءة القران والمراد بالنفي وجوب انتفائها وانها
حقيقة بان لا تكون وقرا ابو عمرو ومكي الاولين بالرفع فحملاهما على معنى النهي كانه قيل فلا يكونن
رفث ولا فسوق والثالث بالنصب على معنى الاخبار بانتفاء الجدال كانه قيل ولا شك ولا خلاف

قوله رح لان التاء فيها ليست للتانيث بل هي مع الالف قبلها علامة الجمع يعني ان التاء فيها ليس بمعتبر لانه لا يخلو اما ان يكون بالتاء التي في لفظها واما بتاء مقدرة كما في سعاد فالتي في لفظها ليست للتانيث وانما هي مع الالف التي قبلها علامة جمع المؤنث ولا يصح تقدير التاء فيها لان هذه التاء لاختصاصها بجمع المؤنث مانعة من تقديرها كما لا يقدر تاء التانيث في بنت لان التاء التي هي بدل من الواو لاختصاصها بالمؤنث كتاء التانيث فابت تقديرها لئلا يكون كالجمع بين علامتي التانيث فهذه التاء اذن كالتنوين لا تظير ولا تحمل كذا في الكشاف ولفظ المصنف رح قاصر عن هذا البيان

في الحج ثم حث على الخير عقيب النهي عن الشر وان يستعملوا مكان القبيح من الكلام الحسن ومكان
الفسوق البر والتقوى ومكان الجدال الوفاق والاخلاق الجميلة بقوله وما تفعلوا من خير يعلمه
الله واعلم انه عالم به يجازيكم عليه ورد قول من نفى علمه بالجزئيات كان اهل اليمن لا يتزودون
ويقولون نحن متوكلون فيكونون كلا على الناس فنزل فيهم وتزودوا اي وتزودوا واتقوا
الاستطعام وابرام الناس والتثقيل عليهم فان خير الزاد التقوى اي الاتقاء عن الابرام والتثقيل
او تزودوا للمعاد باتقاء المحظورات فان خير الزاد اتقاؤها واتقون وخافوا عقابي وهو مثل
دعان يا اولي الالباب يا ذوي العقول يعني ان قضية اللب تقوى الله ومن لم يتقه من الالباء
فكانه لا لب له ونزل في قوم زعموا ان لا حج لجمال وتاجر وقالوا هؤلاء الداج وليسوا بالحاج ليس
عليكم جناح ان تبتغوا في ان تبتغوا في مواسم الحج فضلا من ربكم عطاء منه وتفضلا وهو النفع
والربح بالتجارة والكراء فاذا افضتم دفعتم بكثرة وهو من افاضة الماء وهو صبه بكثرة و
اصله افضتم انفسكم فترك ذكر المفعول من عرفات هي علم للموقف سمي بجمع كاذرعات وانما صرفت
لان التاء فيها ليست للتانيث بل هي مع الالف قبلها علامة جمع المؤنث وسميت بذلك لانها
وصفت لابراهيم عليه السلام فلما راها عرفها وقيل التقى فيها ادم وحواء فتعارفا وفيه دليل
على وجوب الوقوف بعرفة لان الافاضة لا يكون الا بعده فاذكروا الله بالتلبية والتهليل و
التكبير والثناء والدعوات او بصلوة المغرب والعشاء عند المشعر الحرام هو قزح وهو الجبل
الذي يقف عليه الامام وعليه الميقدة والمشعر المعلم لانه معلم للعبادة ووصف بالحرام لحرمته
وسميت المزدلفة جمعا لان ادم عليه السلام اجتمع فيها مع حواء وازدلف اليها اي دنا منها وعن قتادة لانه
يجمع فيها بين الصلوتين او لان الناس يزدلفون الى الله اي يتقربون بالوقوف فيها واذكروه كما هديكم
ما مصدرية او كافة اي اذكروه ذكرا حسنا كما هديكم هداية حسنة او اذكروه كما علمكم كيف تذكرونه و
لا تعدلوا عنه وان كنتم من قبله من الهدى لمن الضالين الجاهلين لا تعرفون كيف تذكرونه وتعبدونه
وان مخففة من المثقلة واللام فارقة ثم افيضوا من حيث افاض الناس ثم لتكن افاضتكم من حيث افاض
الناس ولا تكن من المزدلفة قالوا هذا لقريش بالافاضة من عرفات الى جمع وكانوا يقفون بجمع وسائر
الناس بعرفات ويقولون نحن قطان حرمه فلا نخرج منه وقيل الافاضة من عرفات مذكورة فهي

الا افاضتهم من جمع الى منا والمراد بالناس على هذا الحمس ويكون الخطاب للمؤمنين واستغفروا الله
من مخالفتكم في الموقف ونحو ذلك من جاهليتكم او من تقصير في اعمال الحج ان الله غفور رحيم بكم
فاذا قضيتم مناسككم فاذا فرغتم من عباداتكم التي امرتم بها في الحج ونفرتم فاذكروا الله كذكركم اباءكم
اي فاذكروا الله ذكرا مثل ذكركم اباءكم والمعنى فاكثروا ذكر الله وبالغوا فيه كما تفعلون في ذكر اباءكم
على مفاخرهم وايامهم وكانوا اذا قضوا مناسكهم وقفوا بين المسجد بمنى او بين الجبل فيعدّ و
فضائل اباءهم ويذكرون محاسن ايامهم او اشد ذكرا اي اكثر وهو في موضع الجر عطفا على ما اضيف
اليه الذكر في قوله كذكركم كما تقول كذكر قريش اباءهم او قوم اشد منهم ذكرا او ذكرا تمييز فمن الناس
من يقول فمن الذين يشهدون الحج من يسأل الله حظوظ الدنيا فيقول ربنا اتنا في الدنيا اجعل
ايتاءنا في الدنيا خاصة يعني الجاه والغنى وما له في الاخرة من خلاق نصيب لانه همه مقصور على
الدنيا الكفره بالاخرة والمعنى اكثروا ذكر الله ودعاءه فان الناس من بين مقل لا يطلب بذكر الله الا
اغراض الدنيا ومكثر يطلب خير الدارين فكونوا من المكثرين اي من الذين قيل فيهم ومنهم ومن الذين
يشهدون الحج من يقول ربنا اتنا في الدنيا حسنة نعمة وعافية او علما وعبادة وفي الاخرة حسنة
عفوا ومغفرة او المال والجنة او ثناء الخلق ورضى الحق او الايمان والامان او الاخلاص والخلاص
او السنة والجنة او القناعة والشفاعة او المراة الصالحة والحور العين او العيش على سعادة و البعث
من القبر على بشارة وقنا عذاب النار احفظنا من عذاب جهنم او عذاب النار امراة السوء اولئك
اي الداعون بالحسنتين لهم نصيب مما كسبوا من جنس ما كسبوا من الاعمال الحسنة وهو الثواب الذي
هو المنافع الحسنة او من اجل ما كسبوا وسمى الدعاء كسبا لانه من الاعمال والاعمال موصوفة بالكسب و
يجوز ان يكون اولئك للفريقين وان لكل فريق نصيبا من جنس ما كسبوا والله سريع الحساب
يوشك ان يقيم القيمة ويحاسب العباد فبادروا اكثار الذكر وطلب الاخرة او وصف نفسه بسرعة
حساب الخلائق على كثرة عددهم وكثرة اعمالهم ليدل على كمال قدرته ووجوب الحذر منه من نقمته وروى
انه يحاسب الخلق في قدر حلب شاة وروى في مقدار لمحة واذكروا الله في ايام معدودات هي
ايام التشريق وذكر الله فيها التكبير في ادبار الصلوة وعند الجمار فمن تعجل فمن عجل في النفر او استعجل
النفر وتعجل واستعجل يجيئان مطاوعين بمعنى عجل يقال تعجل في الامر واستعجل ومتعديين يقال تعجل

الذهاب

الذهاب واستعجله والمطاوعة اوفق لقوله ومن تاخر في يومين من هذه الايام الثلثة فلم يمكث حتى يرمي
في اليوم الثالث واكتفى برمي الجمار في يومين من هذه الايام الثلثة فلا اثم عليه بهذا التعجيل ومن تاخر
حتى رمى الجمار في اليوم الثالث فلا اثم عليه لمن اتقى الصيد والرفث والفسوق اي هو مخير في التعجيل و
التاخير وان كان التاخير افضل فقد يقع التخيير بين الفاضل والافضل كما خير المسافر بين الصوم
والافطار وان كان الصوم افضل وقيل كان اهل الجاهلية فريقين منهم من جعل المتعجل اثما و
منهم من جعل المتاخر اثما فورد القران بنفي الماثم عنهما واتقوا الله في جميع الامور واعلموا انكم
اليه تحشرون حين يبعثكم من القبور ولما كان الاخنس بن شريق حلو المنطق اذا لقي رسول الله صلى
الله عليه وسلم الان له القول وادعى انه يحبه وانه مسلم وقال يعلم الله اني صادق فنزل فيه ومن
الناس من يعجبك من يروقك ويعظم في قلبك ومنه الشيء العجيب الذي يعظم في النفس قوله
في الحيوة الدنيا في يتعلق بالقول اي يعجبك ما يقوله في معنى الدنيا لانه يطلب بادعاء المحبة حظ الدنيا
ولا يريد به الاخرة او يعجبك حلو كلامه في الدنيا لا في الاخرة لما يرهقه في الموقف من الحبسة و
اللكنة ويشهد الله على ما في قلبه اي يحلف ويقول الله شاهد على ما في قلبي من محبتك ومن الاسلام
وهو الد الخصام شديد الجدال والعداوة للمسلمين والخصام المخاصمة والاضافة بمعنى في لان افعل
يضاف الى ما هو بعضه [illegible] تقول زيد افضل القوم ولا يكون الشخص بعض الحدث فتقديره
الد في الخصومة او الخصام جمع خصم كصعب وصعاب والتقدير وهو اشد الخصوم خصومة
واذا تولى عنك وذهب بعد الانة القول واحلاء المنطق سعى في الارض ليفسد فيها كما فعل بثقيف
فانه كان بينه وبينهم خصومة فبيتهم ليلا واهلك مواشيهم واحرق زرعهم ويهلك الحرث والنسل
اي الزرع والحيوان او واذا كان واليا فعل ما يفعله ولاة السوء من الفساد في الارض باهلاك الحرث
والنسل وقيل يظهر الظلم حتى يمنع الله بشوم ظلمه القطر فيهلك الحرث والحيوان والنسل والله لا
يحب الفساد واذا قيل له للاخنس اتق الله في الافساد والاهلاك اخذته العزة بالاثم حملته النخوة
وحمية الجاهلية على الاثم الذي ينهى عنه والزمته ارتكابه والباء للسبب اي اخذته العزة من اجل
الاثم الذي في قلبه وهو الكفر فحسبه جهنم اي كافيه ولبئس المهاد اي الفراش جهنم ونزل في صهيب
حين اراده المشركون على ترك الاسلام وقتلوا نفرا كانوا معه فاشترى نفسه بماله منهم واتى المدينة

اوفي من يامر بالمعروف وينهي عن المنكر حتى يقتل ومن الناس من يشري نفسه يبيعها ابتغاء لابتغاء
مرضات الله والله رؤوف بالعباد حيث كلفهم على ذلك يا ايها الذين آمنوا ادخلوا في السلم بفتح
السين حجازي وعلي وهو الاستسلام والطاعة اي استسلموا الله واطيعوه او الاسلام والخطاب لاهل
الكتاب لانهم آمنوا بنبيهم وكتابهم او للمنافقين لانهم آمنوا بالسنتهم كافة لا يخرج احد منكم يده عن
طاعته حال من الضمير في ادخلوا اي جميعا او من السلم لانها تؤنث كانهم امروا بان يدخلوا في الطاعات
او في شعب الاسلام وشرائعه كلها وكافة من الكف كانهم كفوا ان يخرج منهم احد باجتماعهم ولا
تتبعوا خطوات الشيطان وساوسه انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة فان زللتم ملتم عن الدخول
في السلم من بعد ما جاءتكم البينات اي الحجج الواضحة والشواهد اللائحة على ان ما دعيتم الى الدخول
فيه هو الحق فاعلموا ان الله عزيز غالب لا يمنعه شيء من عذابكم حكيم لا يعذب الا بالحق وروي انه
قارئ قرأ غفور رحيم فسمعه اعرابي لم يقرأ القرآن فانكره وقال ليس هذا من كلام الله اذ الحكيم
لا يذكر الغفران عند الزلل والعصيان لانه اغراء عليه هل ينظرون ما ينتظرون الا ان يأتيهم الله
اي امره وبأسه كقوله او يأتي امر ربك فجاءهم بأسنا او المأتي به محذوف بمعنى ان يأتيهم الله ببأسه
للدلالة عليه بقوله ان الله عزيز في ظلل جمع ظلة وهي ما اظلك من الغمام السحاب وهو للتهويل
اذ الغمام مظنة الرحمة فاذا نزل منه العذاب كان الامر افظع واهول والملائكة اي ويأتي الملائكة
الذين وكلوا بتعذيبهم او المراد حضورهم يوم القيمة وقضي الامر واتم امر هلاكهم وفرغ منه
والى الله ترجع الامور انه ملك العباد بعض الامور فيرجع اليه الامور يوم النشور ترجع الامور
حيث كان شامي وحمزة وعلي سل اصله اسأل فنقلت فتحة الهمزة الى السين بعد حذفها واستغني عن
همزة الوصل فصار سل وهو امر للرسول او لكل احد هو سؤال تقريع كما تسأل الكفرة يوم القيمة
بني اسرائيل كم آتيناهم من آية بينة على ايدي انبيائهم وهي معجزاتهم او من آية في الكتب شاهدة
على صحة دين الاسلام وكم استفهامية او خبرية ومن يبدل نعمة الله هي آياته وهي اجل نعمة من الله
لانها اسباب الهدى والنجاة من الضلالة وتبديلهم اياها ان الله اظهرها ليكون اسباب هداهم فجعلوها
اسباب ضلالتهم كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم او حرفوا آيات الكتاب الدالة على دين محمد
صلى الله عليه وسلم من بعد ما جاءته من بعد ما عرفها وصحت عنده لانه اذا لم يعرفها فكانها غائبة

عنه فان الله شديد العقاب لمن استحقه زين للذين كفروا الحيوة الدنيا المزين هو الشيطان زين لهم
الدنيا وحسنها في اعينهم بوساوسه وحببها اليهم فلا يريدون غيرها او الله تعالى يخلق الشهوات فيهم
ولان جميع الكائنات منه ويدل عليه قراءة من قرأ زين للذين كفروا الحيوة الدنيا ويسخرون من الذين
آمنوا كانوا يسخرون من الفقراء المؤمنين كابن مسعود وعمار وصهيب ونحوهم اي لا يريدون
غيرها وهم يسخرون ممن لا حظ له فيها او ممن يطلب غيرها والذين اتقوا عن الشرك وهم هؤلاء
الفقراء فوقهم يوم القيمة لانهم في جنة عالية وهم في نار هاوية والله يرزق من يشاء بغير حساب
بغير تقدير يعني انه يوسع على من اراد التوسعة عليه كما وسع على قارون وغيره وهذه التوسعة
عليكم من الله لحكمته وهي استدراجكم بالنعمة ولو كانت كرامة لكان المؤمنون احق بها منكم كان
الناس امة واحدة متفقين على دين الاسلام من آدم الى نوح عليهما السلام او هم نوح ومن كان معه
في السفينة فاختلفوا فبعث الله النبيين ويدل على حذفه قوله ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه
وقراءة عبد الله كان الناس امة واحدة فاختلفوا وقوله تعالى وما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا
او كان الناس امة واحدة كفارا فبعث الله النبيين فاختلفوا عليهم والاول اوجه مبشرين بالثواب
للمؤمنين ومنذرين بالعقاب للكافرين وهما حالان وانزل معهم الكتاب اي مع كل واحد منهم كتابا
بالحق ببيان الحق ليحكم الله او الكتاب او النبي المنزل عليه بين الناس فيما اختلفوا فيه في دين الاسلام
الذي اختلفوا فيه بعد الاتفاق وما اختلف فيه في الحق الا الذين اوتوه اي الكتاب المنزل لازالة
الاختلاف اي ازدادوا الاختلاف لما انزل عليهم الكتاب من بعد ما جاءتهم البينات على صدقه بغيا
بينهم مفعول له اي حسدا بينهم وظلما لحرصهم على الدنيا وقلة انصاف منهم فهدى الله الذين آمنوا
لما اختلفوا فيه اي فهدى الله الذين آمنوا للحق الذي اختلف فيه من اختلف من الحق بيان لما
اختلفوا فيه باذنه بعلمه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم ام حسبتم ام منقطعة لا متصلة لان
شرطها ان يكون قبلها همزة الاستفهام كقولك اعندك زيد ام عمرو اي ايهما عندك وجوابه زيد ان كان
عنده زيد وعمرو ان كان عنده عمرو واما المنقطعة فيقع بعد الاستفهام وبعد الخبر ويكون بمعنى
بل والهمزة والتقدير بل احسبتم ومعنى الهمزة فيها التقرير وانكار الحسبان واستبعاده لما ذكر ما كانت
عليه الامم من الاختلاف على النبيين بعد مجيء البينات تشجيعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين

على الثبات والصبر مع الذين اختلفوا عليه من المشركين واهل الكتاب وانكارهم لآياته وعداوتهم له
قال لهم على طريقة الالتفات التي هي ابلغ ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم اي ولم ياتكم وفي لما معنى
التوقع اي ان اتيان ذلك متوقع منتظر مثل الذين خلوا اي مضوا اي حالهم التي هي مثل في الشدة
من قبلكم من النبيين والمومنين مستهم الباساء بيان للمثل وهو استيناف كان قايلا قال كيف كان
ذلك المثل فقيل مستهم الباساء اي البؤس والضراء المرض والجوع وزلزلوا وحركوا بانواع البلايا
وازعجوا ازعاجا شديدا شبيها بالزلزلة حتى يقول الرسول والذين امنوا معه الى الغاية التي قال
الرسول ومن معه من المومنين متى نصر الله اي بلغ بهم الضجر ولم يبق لهم صبر حتى قالوا ذلك ومعناه
طلب النصر وتمنيه واستطالة زمان الشدة فقيل لهم الا ان نصر الله قريب اجابة لهم الى طلبتهم من
عاجل النصر يقول بالرفع نافع على حكاية حال ماضية نحو شربت الابل حتى يجيء البعير يجر بطنه وغيره
بالنصب على اضمار ان ومعنى الاستقبال لان ان علم له وقال عمرو بن الجموح وهو شيخ كبير وله
مال عظيم ماذا ننفق من اموالنا واين نضعها نزل يسالونك ماذا ينفقون قل ما انفقتم من خير
فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل فقد تضمن قوله ما انفقتم من خير بيان
ما ينفقون وهو كل خير وبني الكلام على ما هو اهم وهو بيان المصرف لان النفقة لا يعتد بها
الا ان يقع موقعها عن الحسن هي في التطوع وما تفعلوا من خير فان الله به عليم فيجزي عليه
كتب عليكم القتال فرض عليكم جهاد الكفار وهو كره لكم من الكراهة فوضع المصدر موضع
الوصف مبالغة كقولها فانما هي اقبال وادبار كانه في نفسه كراهة لفرط كراهتهم له او هو فعل
بمعنى مفعول كالخبز بمعنى المخبوز اي وهو مكروه لكم وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم
فانتم تكرهون الغزو وفيه احدى الحسنيين اما الظفر والغنيمة واما الشهادة والجنة وعسى
ان تحبوا شيئا وهو القعود عن الغزو وهو شر لكم لما فيه من الذل والفقر وحرمان الغنيمة و
الاجر والله يعلم ما هو خير لكم وانتم لا تعلمون ذلك فبادروا الى ما يامركم به وان شق عليكم ونزل
في سرية بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتلوا المشركين وقد اهل هلال رجب وهم لا يعلمون
ذلك فقالت قريش قد استحل محمد الشهر الحرام شهرا يامن فيه الخايف يسالونك عن الشهر الحرام
اي يسالك الكفار او المسلمون عن القتال في الشهر الحرام قتال فيه بدل الاشتمال من الشهر وقرئ عن قتال

فيه على تكرير العامل كقوله للذين استضعفوا لمن آمن منهم قل قتال فيه كبير اي اثم كبير قتال مبتداء
وخبره كبير وجاز الابتداء بالنكرة لانها وصفت بفيه واكثر الاقاويل على انها منسوخة بقوله
واقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وصد عن سبيل الله اي منع المشركين رسول الله صلى الله
عليه وسلم واصحابه عن البيت عام الحديبية وهو مبتداء وكفر به اي بالله عطف عليه والمسجد
الحرام عطف على سبيل الله اي وصد عن سبيل الله وعن المسجد الحرام وزعم الفراء انه معطوف
على الهاء في به اي كفر به وبالمسجد الحرام ولا يجوز عند البصريين العطف على الضمير المجرور الا
باعادة الجار فلا تقول مررت به وزيد ولو كان معطوفا على الهاء هنا لقيل وكفر به وبالمسجد
الحرام واخراج اهله اي اهل المسجد الحرام وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمومنون وهو
عطف عليه ايضا منه من المسجد وخبر الاسماء الثلثة اكبر عند الله اي مما فعلته السرية من القتال
في الشهر الحرام على سبيل الخطاء والبناء على الظن والفتنة الاخراج والشرك اكبر من القتل في الشهر
الحرام او تعذيب الكفار المسلمين اشد قبحا من قتل هولاء المسلمين في الشهر الحرام ولا يزالون يقاتلونكم
حتى يردوكم عن دينكم الى الكفر وهو اخبار عن دوام عداوة الكفار للمسلمين وانهم لا ينفكون عنها
حتى يردوهم عن دينهم وحتى معناها التعليل نحو فلان يعبد الله حتى يدخل الجنة اي يقاتلونكم
كي يردوكم وقوله ان استطاعوا استبعاد لاستطاعتهم كقولك لعدوك ان ظفرت بي
فلا تبق علي وانت واثق بانه لا يظفر بك ومن يرتدد منكم عن دينه ومن يرجع عن دينه الى دينهم
فيمت وهو كافر اي فيمت على الردة فاولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة لما يفوتهم
بالردة مما للمسلمين في الدنيا من ثمرات الاسلام وفي الآخرة من الثواب وحسن المآب واولئك
اصحاب النار هم فيها خالدون وبها احتج الشافعي رح على ان الردة لا تحبط العمل حتى يموت عليها
وقلنا قد علق الحبط بنفس الردة بقوله ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله والاصل عندنا ان المطلق
لا يحمل على المقيد وعنده يحمل عليه فهو بناء على هذا ولما قالت السرية ايكون لنا اجر المجاهدين في
سبيل الله ان الذين امنوا والذين هاجروا تركوا مكة وعشايرهم وجاهدوا في سبيل الله مع المشركين
ولا وقف عليه لان اولئك يرجون رحمة الله خبر ان قيل من رجا طلب ومن خاف هرب والله
غفور رحيم نزل في الخمر اربع آيات نزل بمكة ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا

وكان المسلمون يشربونها وهي لهم حلال ثم ان عمر ونفرا من الصحابة قالوا يا رسول الله افتنا في الخمر
فانها مذهبة للعقل مسلبة للمال فنزل يسالونك عن الخمر والميسر فشربها قوم وتركها آخرون ثم
دعا عبد الرحمن بن عوف جماعة فشربوا وسكروا فام بعضهم فقرا قل يا ايها الكافرون اعبد
ما تعبدون فنزل لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى فقل من يشربها ثم دعا عتبان بن مالك جماعة
فلما سكروا منها تخاصموا وتضاربوا فقال عمر اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزل انما الخمر والميسر
الى قوله فهل انتم منتهون فقال عمر انتهينا يا رب وعن علي رضي الله عنه لو وقعت قطرة في
بئر فبنيت مكانها منارة لم اوذن عليها ولو وقعت في بحر ثم جف ونبت فيها الكلاء لم ارعه
والخمر ما غلا واشتد وقذف بالزبد من عصير العنب وسميت عصفة خمرة خمرا اذا ستره
لتغطيتها العقل والميسر القمار مصدر من يسر كالموعد من فعله يقال يسرته اذا قمرته واشتقاقه
من اليسر لانه اخذ مال الرجل بيسر وسهولة بلا كد وتعب او من اليسار لانه سلب يساره
وصفة الميسر انه كانت لهم عشرة اقداح سبعة منها عليها خطوط وهو الفذ وله سهم والتوأم
وله سهمان والرقيب وله ثلثة اسهم والحلس وله اربعة والنافس وله خمسة والمسبل وله
ستة والمعلى وله سبعة وثلثة اغفال لا نصيب لها وهي المنيح والسفيح والوغد فيجعلون
الاقداح في خريطة ويضعونها على يد عدل ثم يجلجلها ويدخل يده فيخرج باسم رجل قدحا
منها فمن خرج له قدح من ذوات الانصباء اخذ النصيب الموسوم به ذلك القدح ومن خرج
له قدح مما لا نصيب له لم ياخذ شيئا وغرم ثمن الجزور كله وكانوا يدفعون تلك الانصباء الى
الفقراء ولا ياكلون منها ويفتخرون بذلك ويذمون من لم يدخل فيه وفي حكم الميسر انواع
القمار من النرد والشطرنج وغيرهما والمعنى يسالونك عما في تعاطيهما بدليل قوله قل فيهما اثم
كبير بسبب التخاصم والتشاتم وقول الفحش والزور كبير حمزة وعلي ومنافع للناس بالتجارة
في الخمر والتلذذ بشربها وفي الميسر بارتفاق الفقراء ونيل المال بلا كد واثمهما وعقاب الاثم
في تعاطيهما اكبر من نفعهما لان اصحاب الشرب والقمار يقترفون فيهما الآثام من وجوه كثيرة
ويسالونك ماذا ينفقون قل العفو اي الفضل اي انفقوا ما فضل عن قدر الحاجة وكان
التصدق بالفضل في اول الاسلام فرضا فاذا كان الرجل صاحب زرع امسك قوت سنة

وتصدق بالفضل واذا كان الرجل صانعا امسك قوت يومه وتصدق بالفضل فنسخت باية
الزكوة العفو ابو عمرو فمن نصبه جعل ماذا اسما واحدا في موضع النصب بينفقون والتقدير
قل ينفقون العفو ومن رفعه جعل ما مبتدأ وذا مع صلته خبره فذا بمعنى الذي وينفقون
صلته اي ما الذي ينفقون فجاء الجواب العفو اي هو العفو فاعراب الجواب كاعراب
السؤال ليطابق الجواب السؤال كذلك الكاف في موضع نصب نعت لمصدر محذوف
اي تبيينا مثل هذا التبيين يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون في الدنيا اي في امر الدنيا
والآخرة وفي يتعلق بتتفكرون اي تتفكرون فيما يتعلق بالدارين فتاخذون بما هو
اصلح لكم او تتفكرون في الدارين فتوثرون ابقاهما واكثرهما منافع ويجوز ان يتعلق
بيبين اي يبين لكم الآيات في امر الدارين وفيما يتعلق بهما لعلكم تتفكرون ولما نزلت ان
الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما اعتزلوا اليتامى وتركوا مخالطتهم والقيام باموالهم و
ذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل ويسالونك عن اليتامى قل اصلاح لهم
خير اي مداخلتهم على وجه الاصلاح لهم ولاموالهم خير من مجانبتهم وان تخالطوهم و
تعاشروهم ولم تجانبوهم فاخوانكم في الدين فهم اخوانكم في الدين ومن حق الاخ ان يخالط
اخاه والله يعلم المفسد لاموالهم من المصلح لها فيجازيه على حسب مداخلته فاحذروه ولا تتحروا
غير الصلاح ولو شاء الله لاعنتكم لاعنتكم لحملكم على العنت وهو المشقة واحرجكم فلم يطلق
لكم مداخلتهم ان الله عزيز غالب يقدر على ان يعنت عباده حكيم لا يكلف الا وسعهم
وطاقتهم ولما سال مرثد النبي صلى الله عليه وسلم عن ان يتزوج عناق وكانت مشركة نزل ولا تنكحوا
المشركات حتى يؤمن اي لا تتزوجوهن يقال نكح اذا تزوج وانكح غيره زوجه ولامة مؤمنة
خير من مشركة ولو اعجبتكم ولو كان الحال ان المشركة تعجبكم وتحبونها ولا تنكحوا المشركين
ولا تزوجوهم بمسلمة كذا قاله الزجاج وقال في جامع العلوم حذف احد المفعولين والتقدير
ولا تنكحوهن المشركين حتى يومنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو اعجبكم ثم بين علة ذلك
فقال اولئك وهو اشارة الى المشركين والمشركات يدعون الى النار الى الكفر الذي هو عمل اهل
النار فحقهم ان لا يوالوا ولا يصاهروا والله يدعوا الى الجنة والمغفرة اي واولياء الله وهم

المؤمنون يدعون الى الجنة والمغفرة وما يوصل اليهما فهم الذين يجب موالاتهم ومصاهرتهم
باذنه بعلمه او بامره ويبين اياته للناس لعلهم يتذكرون يتعظون كانت العرب لم يواكلوا
الحائض ولم يشاربوها ولم يساكنوا معها كفعل اليهود والمجوس فسال ابو الدحداح رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقال يا رسول الله كيف نصنع بالنساء اذا حضن فنزل ويسالونك
عن المحيض هو مصدر يقال حاضت محيضا كقولك جاء مجيئا قل هو اذى اي الحيض شيء
يستقذر ويؤذي من يقربه فاعتزلوا النساء في المحيض فاجتنبوهن اي فاجتنبوا مجامعتهن
وقيل ان النصارى كانوا يجامعونهن ولا يبالون بالحيض واليهود كانوا يعتزلونهن في
كل شيء فامر الله بالاقتصاد بين الامرين ثم عند ابي حنيفة رضي الله عنه وابي يوسف رحمه الله
يجتنب ما اشتمل عليه الازار ومحمد رحمه الله لا يوجب الا اعتزال الفرج وقالت عائشة
رضي الله عنها يجتنب شعار الدم وله ما سوى ذلك ولا تقربوهن مجامعين او ولا
تقربوا مجامعتهن حتى يطهرن بالتشديد كوفي غير حفص اي يغتسلن واصله يتطهرن
فادغم التاء في الطاء لقرب مخرجيهما غيرهم يطهرن اي ينقطع دمهن والقراءتان كايتين
فعملنا بهما وقلنا له ان يقربها في اكثر الحيض بعد انقطاع الدم وان لم تغتسل عملا بقراءة التخفيف
وفي اقل منه لا يقربها حتى تغتسل او يمضي عليها وقت الصلوة عملا بقراءة التشديد والحمل
على هذا اولى من العكس لانه حينئذ يجب ترك العمل باحدهما لما عرف وعند الشافعي رحمه الله
لا يقربها حتى تطهر وتتطهر دليله قوله تعالى فاذا تطهرن فاتوهن فجامعوهن فجمع بينهما من حيث
امركم الله من المأتى الذي امركم الله وحلله لكم وهو القبل ان الله يحب التوابين من ارتكاب
ما نهوا عنه او العوادين الى الله وان زلوا فزكوا والجنة لمعرفته بعظم عفو الله حيث لا ييأس
ويحب المتطهرين بالماء او المتنزهين من ادبار النساء او من الجماع في الحيض او من الفواحش كان
اليهود يقولون اذا اتى الرجل اهله باركة اتى الولد احول فنزل نساؤكم حرث لكم مواضع حرث
لكم وهذا مجاز شبههن بالمحارث تشبيها لما يلقى في ارحامهن من النطف التي منها النسل بالبذور
والولد بالنبات ووقع قوله نساؤكم حرث لكم بيانا وتوضيحا لقوله فاتوهن من حيث امركم الله
اي ان المأتى الذي امركم الله به هو مكان الحرث لا مكان الفرث تنبيها بان المطلوب الاصلي في الاتيان

هو طلب النسل لا قضاء الشهوة فلا تاتوهن الا من المأتى الذي نيط به هذا المطلوب فاتوا
حرثكم انى شئتم جامعوهن متى شئتم او كيف شئتم باركة او مستلقية او مضطجعة بعد ان
يكون المأتى واحدا وهو موضع الحرث وهو تمثيل اي فاتوهن كما تاتون اراضيكم التي
تريدون ان تحرثوها من اي جهة شئتم لا تحظر عليكم جهة دون جهة وقوله هو
اذى فاعتزلوا النساء من حيث امركم فاتوا حرثكم انى شئتم من الكنايات اللطيفة و
التعريضات المستحسنة فعلى كل مسلم ان يبادرها ويتكلف مثلها في المحاورات والمكاتبات
وقدموا لانفسكم ما يجب تقديمه من الاعمال الصالحة وما هو خلاف ما نهيتم عنه او هو
طلب الولد او التسمية على الوطي واتقوا الله فلا تجترؤا على المناهي واعلموا انكم ملاقوه
صائرون اليه فاستعدوا للقائه وبشر المؤمنين بالثواب يا محمد وانما جاء يسالونك ثلث
مرات بلا واو ثم جيء مع الواو ثلثا لان سؤالهم عن تلك الحوادث الاول كانه وقع في
احوال متفرقة فلم يؤت بحرف العاطف لان كل واحد من السؤالات سؤال مبتدأ
وسالوا عن الحوادث الاخر في وقت واحد فجيء بحرف الجمع لذلك ولا تجعلوا الله
عرضة لايمانكم العرضة فعلة بمعنى مفعول كالقبضة وهي اسم ما تعرضه دون الشيء
من عرض العود على الاناء فيعترض دونه ويصير حاجزا ومانعا منه تقول فلان عرضة
دون الخير وكان الرجل حلف على بعض الخيرات من صلة رحم او اصلاح ذات بين او
احسان الى احد او عبادة ثم يقول اخاف الله ان احنث في يميني فيترك البر ارادة البر
في يمينه فقيل لهم ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم اي حاجزا لما حلفتم عليه وسمي المحلوف
عليه يمينا لتلبسه باليمين كقوله عليه الصلوة والسلام من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا
منها وقوله ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس عطف بيان لايمانكم اي الامور المحلوف
عليها التي هي البر والتقوى والاصلاح بين الناس واللام يتعلق بالفعل اي ولا تجعلوا
الله لايمانكم برزخا ويجوز ان يكون اللام للتعليل ويتعلق ان تبروا بالفعل او بالعرضة اي
ولا تجعلوا الله لاجل ايمانكم به عرضة لان تبروا والله سميع لايمانكم عليم بنياتكم لا يؤاخذكم
الله باللغو في ايمانكم اللغو الساقط الذي لا يعتد به من كلام وغيره ولغو اليمين الساقط

الذي لا يعتد به في الايمان وهو ان يحلف على كل شيء يظنه على ما حلف عليه والامر بخلافه والمعنى لا يعاقبكم بلغو اليمين الذي يحلفه احدكم وعند الشافعي رحمه الله هو ما يجري على لسانه من غير قصد الحلف نحو لا والله وبلى والله ولكن يؤاخذكم ولكن يعاقبكم بما كسبت قلوبكم بما اقترفتم من اثم القصد الى الكذب في اليمين وهو ان يحلف على ما يعلم انه خلاف ما يقوله وهو اليمين الغموس تعلق الشافعي رحمه الله بهذا النص على وجوب الكفارة في الغموس لان كسب القلب العزم والقصد والمؤاخذة غير مبينة هنا وبينت في المائدة فكان البيان ثم بيانا هاهنا وقلنا المؤاخذة هنا مطلقة وهي في دار الجزاء والمؤاخذة ثم مقيدة بدار الابتلاء فلا يصح حمل البعض على البعض والله غفور حليم حيث لم يؤاخذكم باللغو في ايمانكم للذين يولون يقسمون وهي قراءة ابن عباس رضي الله عنهما ومن في من نسائكم متعلق بالجار والمجرور اي للذين كما تقول لك مني نصرة ولك مني معونة اي للمولين من نسائهم تربص اربعة اشهر اي استقر للمولين ترقب اربعة اشهر لا بيولون لان الى يعدى بعلى يقال الى فلان على امراته وقول القايل الى فلان من امراته وهم توهمه من هذه الاية وذلك ان تقول عدى بمن لما في هذا القسم من معنى البعد فكانه قيل يبعدون من نسائهم مولين فان فاؤا في الاشهر لقراءة عبد الله فان فاؤا فيهن اي رجعوا الى الوطي عن الاضرار بتركه فان الله غفور رحيم حيث شرع الكفارة وان عزموا الطلاق بترك الفيء فتربصوا الى مضي المدة فان الله سميع لايلائهم عليم بنيته وهو وعيد على اضرارهم وتركهم الفيئة وعند الشافعي رحمه الله معناه فان فاؤا وان عزموا بعد مضي المدة لان الفاء للتعقيب وقلنا قوله فان فاؤا وان عزموا تفصيل لقوله للذين يولون من نسائهم والتفصيل يعقب المفصل كما تقول انا نزيلكم هذا الشهر فان احمدتكم اقمت عندكم الى آخره والا لم اقم الا ريثما اتحول والمطلقات اراد المدخول بهن من ذوات الاقراء يتربصن بانفسهن خبر في معنى الامر واصل الكلام وليتربص المطلقات واخراج الامر في صورة الخبر تاكيد للامر واشعار بانه مما يجب ان يتلقى بالمسارعة الى امتثاله فكانهن امتثلن الامر بالتربص فهو يخبر عنه موجودا ونحوه قولهم في الدعاء

رحمك الله اخرج في صورة الخبر ثقة بالاستجابة كانما وجدت الرحمة فهو يخبر عنها وبناؤه على المبتدا مما زاده ايضا فضل تاكيد لان الجملة الاسمية تدل على الدوام والثبات بخلاف الفعلية وفي ذكر الانفس تهييج لهن على التربص وزيادة بعث لان انفس النساء طوامح الى الرجال فامرن ان يقمعن انفسهن ويغلبنها على الطموح ويجبرنها على التربص ثلثة قروء جمع قرء او قرء وهو الحيض لقوله عليه السلام دعي الصلوة ايام اقرائك وقوله طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان ولم يقل طهران وقوله تعالى واللائي يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلثة اشهر فاقام الاشهر مقام الحيض دون الاطهار ولان المطلوب من العدة استبراء الرحم والحيض هو الذي يستبرأ به الارحام دون الطهر فلذلك كان الاستبراء من الامة بالحيضة ولانه لو كان طهرا كما قال الشافعي رحمه الله لانقضت العدة بقرئين وبعض الثالث فانتقص العدد عن الثلثة لانه اذا طلقها في آخر الطهر فذا محسوب من العدة عنده واذا طلقها في آخر الحيض فذا غير محسوب من العدة عندنا والثلثة اسم خاص لعدد مخصوص لا يقع على ما دونه ويقال اقرأت المراة اذا حاضت وامراة مقرئة انتصاب ثلثة على انه مفعول به اي يتربصن مضي ثلثة قروء او على الظرف اي يتربصن مدة ثلثة قروء وجاء المميز على جمع الكثرة دون القلة التي هي الاقراء اشتراكهما في الجمعية اتساعا ولعل القروء كانت اكثر استعمالا في جمع قرء من الاقراء فاوثر عليه تنزيلا لقليل الاستعمال منزلة المهمل ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن من الولد او من دم الحيض او منهما وذلك اذا ارادت المراة فراق زوجها فكتمت حملها لئلا ينتظر بطلاقها ان تضع ولئلا يشفق على الولد فيترك تسريحها او كتمت حيضها وقالت وهي حائض قد طهرت استعجالا للطلاق ثم عظم فعلهن فقال ان كن يؤمن بالله واليوم الاخر لان من آمن بالله وبعقابه لا يجترئ على مثله من العظائم وبعولتهن البعول جمع بعل والتاء لاحقة لتانيث الجمع احق بردهن اي ازواجهن اولى برجعتهن وفيه دليل على ان الطلاق الرجعي لا يحرم الوطي حيث سماه زوجا بعد الطلاق في ذلك في مدة ذلك التربص والمعنى ان الرجل اذا اراد الرجعة وابتها المراة وجب ايثار قوله على قولها وكان هو احق منها لا ان لها حقا في الرجعة

ان ارادوا في الرجعة اصلاح ما بينهم وبينهن واحسانا اليهن ولم يريدوا مضارتهن ولهن

مثل الذي عليهن ويجب لهن من الحق علي الرجال من المهر والنفقة وحسن العشرة وترك الضرار

مثل الذي يجب لهم عليهن من الامر والنهي بالمعروف بالوجه الذي لا ينكر في الشرع وعادات

الناس فلا يكلف احد الزوجين صاحبه ما ليس له والمراد بالمماثلة مماثلة الواجب الواجب

في كونه حسنة لا في جنس الفعل فلا يجب عليه اذا غسلت ثيابه او خبزت له ان يفعل نحو ذلك

ولكن يقابله بما يليق بالرجال وللرجال عليهن درجة زيادة في الحق وفضيلة بالقيام بامرها

وان اشتركا في اللذة والاستمتاع او بالانفاق وملك النكاح والله عزيز لا يعترض عليه

في اموره حكيم لا يامر الا بما هو صواب وحسن الطلاق مرتان الطلاق بمعنى التطليق كالسلام

بمعنى التسليم اي التطليق الشرعي تطليقة بعد تطليقة علي التفريق دون الجمع والارسال دفعة

واحدة ولم يرد بالمرتين التثنية ولكن التكرير كقوله ثم ارجع البصر كرتين اي كرة بعد كرة لا

كرتين اثنتين وهو دليل لنا في ان الجمع بين التطليقتين والثلث بدعة في طهر واحد لان الله تع

امر بالتفريق لانه وان كان ظاهره الخبر فمعناه الامر والا يودي الي الخلف في خبر الله تعالي

لان الطلاق علي وجه الجمع قد يوجد وقيل قالت انصارية ان زوجي قال لا ازال اطلقك ثم

اراجعك فنزل الطلاق مرتان اي الطلاق الرجعي مرتان لانه لا رجعة بعد الثلث فامساك بمعروف

برجعة والمعني فالواجب عليكم امساك بمعروف او تسريح باحسان بان لا يراجعها حتي تبين

بالعدة وقيل بان يطلقها الثالثة في الطهر الثالث ونزل في جميلة وزوجها ثابت بن قيس بن

شماس وكانت تبغضه وهو يحبها وقد اعطاها حديقة فاختلعت منه بها وهو اول خلع كان

في الاسلام ولا يحل لكم ايها الازواج او الحكام لانهم الامرون بالاخذ والايتاء عند الترافع اليهم

فكانهم الاخذون والمؤتون ان تاخذوا مما اتيتموهن شيئا مما اعطيتموهن من المهور الا ان يخافا

ان لا يقيما حدود الله الا ان يعلم الزوجان ترك اقامة الله فيما يلزمهما من مواجب الزوجية

لما يحدث من نشوز المراة وسوء خلقها فان خفتم ايها الولاة وجاز ان يكون اول الخطاب للازواج

واخره للحكام الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فلا جناح علي الرجل فيما اخذ ولا عليها فيما اعطته

فيما افتدت به فيما فدت به نفسها واختلعت به من بذل ما اوتيت من المهر الا ان يخافا حرة علي

علي البناء للمفعول وابدل الا يقيما من الف الضمير وهو من بدل الاشتمال نحو خيف زيد تركه

اقامة حدود الله تلك حدود الله اي ما حد من النكاح واليمين والايلاء والطلاق

والخلع وغير ذلك فلا تعتدوها فلا تجاوزوها بالمخالفة ومن يتعد حدود الله

فاوليك هم الظالمون الضارون انفسهم فان طلقها مرة ثالثة بعد المرتين فان قلت الخلع

طلاق عندنا بدلا وكذا عند الشافعي رحمه الله في قول فكان هذه تطليقة رابعة قلت الخلع

طلاق عندنا ببدل فيكون طلقة ثالثة وهذه بيان لتلك اي فان طلقها الثالثة ببدل فحكم التحليل

كذا فلا تحل له من بعد من بعد التطليقة الثالثة حتي تنكح زوجا غيره حتي تتزوج زوجا

غيره والنكاح يسند الي المراة كما يسند الي الرجل كالتزوج وفيه دليل علي ان النكاح ينعقد

بعبارتها والاصابة شرطت بحديث العسيلة كما عرف في اصول الفقه والفقه فيه انه لما اقدم

علي فراقها لم يبق الندم مخلصا لا تحل له الا بدخول فحل عليها ليمتنع من ارتكابه فان طلقها الزوج

الثاني بعد الوطي فلا جناح عليهما علي الزوج الاول وعليها ان يتراجعا ان يرجع كل واحد منهما

الي صاحبه بالزواج ان ظنا ان يقيما حدود الله ان كان في ظنهما انهما يقيمان حقوق الزوجية

ولم يقل ان علما انهما يقيمان لان اليقين مغيب عنهما لا يعلمه الا الله تعالي وتلك حدود الله يبينها

وبالنون المفضل لقوم يعلمون يفهمون ما بين لهم واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن

اي اخر عدتهن وشارفن منتهيها والاجل يقع علي المدة كلها وعلي اخرها يقال لعمر الانسان

اجل وللموت الذي ينتهي به اجل فامسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف اي فاما

ان يراجعها من غير طلب ضرار بالمراجعة واما ان يخليها حتي ينقضي عدتها وتبين من غير

ضرار ولا تمسكوهن ضرارا مفعول له او حال اي مضارين وكان الرجل يطلق المراة ويتركها

حتي يقرب انقضاء عدتها ثم يراجعها لا من حاجة لكن ليطول العدة عليها فهو الامساك

ضرارا لتعتدوا لتظلموهن او لتلجيوهن الي الافتداء ومن يفعل ذلك يعني الامساك

للضرار فقد ظلم نفسه بتعريضها لعقاب الله ولا تتخذوا ايات الله هزوا اي جدوا في

الاخذ بها والعمل بما فيها وارعوها حق رعايتها والا فقد اتخذتموها هزوا ويقال لمن لم يجد

في الامر انما انت لاعب وهازي واذكروا نعمة الله عليكم بالاسلام ونبوة محمد صلي الله عليه وسلم

وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة من القرآن والسنة وذكرها مقابلتها بشكرها والقيام بحقها يعظكم به بما انزل عليكم وهو حال واتقوا الله فيما امتحنكم به واعلموا ان الله بكل شيء عليم من الذكر والاتقاء ولا اتعاظ وغير ذلك وهو ابلغ وعد ووعيد واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن اي انقضت عدتهن فدل سياق الكلامين على افتراق البلوغين لان النكاح يعقبه هنا و ذا يكون بعد العدة وفي الاولى الرجعة وذا يكون في العدة فلا تعضلوهن فلا تمنعوهن و العضل المنع والتضييق ان ينكحن ازواجهن من ان ينكحن ازواجهن الذين يرغبن فيهم ويصلحون لهن وفيه اشارة الى انعقاد النكاح بعبارة النساء والخطاب للازواج الذين يعضلون نساءهم بعد انقضاء العدة ظلما ولا يتركوهن ان يتزوجن من شئن من الازواج سموا ازواجا باسم مايؤل اليه او للاولياء في عضلهن ان يرجعن الى ازواجهن الذين كانوا ازواجا لهن سموا ازواجا باعتبار ما كان نزلت في معقل بن يسار حين عضل اخته ان ترجع الى الزوج الاول او للناس اي لا يوجد فيما بينكم عضل لانه اذا وجد بينهم وهم راضون كانوا في حكم العاضلين اذا تراضوا بينهم اذا ترضى الخطاب والنساء بالمعروف بما يحسن في الدين والمروة من الشرائط او بمهر المثل والكفوء لان عند عدمه احدهما للاولياء ان يعترضوا والخطاب في ذلك للنبي صلى الله عليه وآله وسلم او لكل احد يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر فالمواعظ انما تنجع فيهم ذلكم اي ترك العضل والضرار ازكى لكم واطهر اي لكم من ادناس الآثام او ازكى و اطهر افضل واطيب والله يعلم ما في ذلك من الزكاء والطهر وانتم لا تعلمون ذلك والوالدات يرضعن اولادهن خبر في معنى الامر المؤكد كيتربصن وهذا الامر على وجه الندب او على وجه الوجوب اذا لم يقبل الصبي الا ثدي امه او لم توجد له ظئر او كان الاب عاجزا عن الاستيجار او اراد الوالدات المطلقات وايجاب النفقة والكسوة لاجل الرضاع حولين ظرف كاملين تامين وهو تاكيد لانه مما يتسامح فيه فانك تقول اقمت عند فلان حولين ولم تستكملهما لمن اراد ان يتم الرضاعة بيان لمن توجه اليه الحكم اي هذا الحكم لمن اراد اتمام الرضاع وللحال ان الاب يجب عليه ارضاع ولده دون الام وعليه ان يتخذ له ظئرا الا اذا تطوعت الام بارضاعه وهي مندوبة الى ذلك ولا تجبر عليه ولا يجوز استيجار الام ما دامت زوجة او

معتدة وعلى المولود له الهاء يعود الى اللام الذي بمعنى الذي والتقدير وعلى الذي يولد له وهو الوالد وله في محل الرفع على الفاعلية كعليهم في المغضوب عليهم وانما قيل على المولود له دون الوالد ليعلم ان الوالدات انما ولدن لهم اذ الاولاد للآباء والنسب اليهم لا اليهن فكان عليهم ان يرزقوهن و يكسوهن اذا ارضعن ولدهم كالاظئار الا ترى انه ذكره باسم الوالد حيث لم يكن هذا المعنى وهو قوله واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا رزقهن و كسوتهن بالمعروف بلا اسراف ولا تقتير او تفسيره ما يعقبه وهو ان لا يكلف واحد منهما ما ليس في وسعه فلا يتضاران لا تكلف نفس الا وسعها وجدها وقدر امكانها والتكليف الزام ما يؤثر في الكلفة وانتصاب وسعها على انه مفعول ثان لتكلف لا على الاستثناء ودخلت الا بين المفعولين لا تضار مكي وبصري بالرفع على الاخبار ومعناه النهي وهو يحتمل البناء للفاعل والمفعول وان يكون الاصل تضارر بكسر الراء او تضارر بفتحها الباقون لا تضار على النهي والاصل لا تضارر اسكنت الاولى وادغمت في الثانية فالتقى ساكنان ففتحت الثانية لالتقاء الساكنين والدة بولدها اي لا تضار والدة زوجها بسبب ولدها وهو ان تعنف به وتطلب منه ما ليس بعدل من الرزق و الكسوة وان تشغل قلبه بالتفريط في شان الولد وان تقول بعدما الفها الصبي اطلب له ظئرا وما اشبه ذلك ولا مولود له بولده اي ولا يضار مولود له امراته بسبب ولده بان يمنعها شيئا مما وجب عليه من رزقها وكسوتها او ياخذه منها وهي تريد ارضاعه واذا كان مبنيا للمفعول فهو نهي عن ان يلحق بها الضرار من قبل الزوج وعن ان يلحق الضرار بالزوج من قبلها بسبب الولد او تضار بمعنى تضر والباء من صلته اي لا تضر والدة بولدها فلا تسيء غذاءه وتعهده ولا تدفعه الى الاب بعدما الفها ولا يضر الوالد به بان ينتزعه من يدها او يقصر في حقها فتقصر هي في حق الولد وانما قيل بولدها وبولده لانه لما نهيت المرأة عن المضارة اضيف اليها الولد استعطافا لها عليه وكذلك الوالد وعلى الوارث عطف على قوله وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن وما بينهما تفسير للمعروف معترض بين المعطوف والمعطوف عليه اي وعلى وارث الصبي عند عدم الاب مثل ذلك اي مثل الذي كان على ابيه في حيوته من الرزق والكسوة واختلف فيه فعند ابن ابي ليلى كل من ورثه وعندنا من كان ذا رحم محرم منه لقراءة ابن مسعود رضي الله عنه

على الوارث ذي الرحم المحرم مثل ذلك وعند الشافعي رحمه الله لا نفقة فيما عدا الولاد فان
ارادا يعني الابوين فصالا فطاما صادرا عن تراض منهما وتشاور بينهما فلا جناح عليهما في
ذلك زادا على الحولين او نقصا وهذه توسعة بعد التحديد والتشاور استخراج الرأي
من شرت العسل اذا استخرجته وذكره ليكون التراضي عن تفكر فلا يضر الرضيع فسبحان
الذي ادب الكبير ولم يهمل الصغير واعتبر اتفاقهما لما للاب النسبة والولاية وللام الشفقة
والعناية وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم اي لاولادكم عن الزجاج وقيل استرضع منقول
من ارضع يقال ارضعت المرأة الصبي واسترضعتها الصبي معدي الى مفعولين كما تقول
انجح الحاجة واستنجح الحاجة اي ان تسترضعوا المراضع اولادكم فحذف احد المفعولين يعني
غير الام عند اباءها او عجزها فلا جناح عليكم اذا سلمتم الى المراضع ما اتيتم ما اردتم ايتاءه
من الاجرة اتيتم مكي من اتى اليه احسانا اذا فعله ومنه قوله كان وعده ماتيا اي مفعولا
والتسليم ندب لا شرط للجواز بالمعروف متعلق بسلمتم اي سلمتم الاجرة الى المراضع بطيب
نفس وسرور واتقوا الله واعلموا ان الله بما تعملون بصير لا يخفى عليه اعمالكم فهو مجازيكم
عليها والذين يتوفون منكم تقول توفيت الشيء واستوفيته اذا اخذته وافيا تاما اي
يستوفي ازواجهم ويذرون ويتركون ازواجا يتربصن بانفسهن اي فزوجات الذين
يتوفون منكم يتربصن اي يعتددن او معناه يتربصن بعدهم بانفسهن فحذف بعدهم
للعلم به وانما احتيج الى تقديره لانه لا بد من عائد يرجع الى المبتدا في الجملة التي وقعت خبرا
يتوفون المفضل اي يستوفون آجالهم اربعة اشهر وعشرا اي وعشر ليال والايام داخلة
معها ولا يستعمل التذكير فيه ذهابا الى الايام تقول صمت عشرا ولو ذكرت لخرجت من كلامهم
فاذا بلغن اجلهن فاذا انقضت عدتهن فلا جناح عليكم ايها الائمة واحكام فيما فعلن في
انفسهن من التعرض للخطاب بالمعروف بالوجه الذي لا ينكره الشرع والله بما تعملون خبير
عالم بالبواطن ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء الخطبة الاستنكاح والتعريض
ان يقول لها انك لجميلة او صالحة ومن غرضي ان اتزوج ونحو ذلك من الكلام الموهم انه يريد
نكاحها حتى تحبس نفسها عليه ان رغبت فيه ولا يصرح بالنكاح فلا يقول اني اريد ان اتزوجك والفرق

بين الكناية والتعريض ان الكناية ان تذكر الشيء بغير لفظه الموضوع له والتعريض ان تذكر شيئا تدل
به على شيء لم تذكره كما يقول المحتاج للمحتاج اليه جئتك لاسلم عليك ولانظر الى وجهك الكريم و
لذلك قالوا وحسبك بالتسليم مني تقاضيا وكانه امالة الكلام الى عرض يدل على الغرض او اكننتم في
انفسكم سترتم واضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه بالسنتكم لا معرضين ولا مصرحين علم الله انكم
ستذكرونهن لا محالة ولا تنفكون عن النطق برغبتكم فيهن فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن
سرا جماعا لانه مما يسر اي لا تقولوا في العدة اني قادر على هذا العمل الا ان تقولوا قولا معروفا
وهو ان تعرضوا ولا تصرحوا والا متعلق بلا تواعدوهن اي لا تواعدوهن مواعدة قط
الا مواعدة معروفة غير منكرة ولا تعزموا عقدة النكاح من عزم الامر وعزم عليه و
ذكر العزم مبالغة في النهي عن عقدة النكاح في العدة لان العزم على الفعل يتقدمه فاذا نهي عنه
كان عن الفعل انهى ومعناه ولا تعزموا عقدة النكاح او ولا تقطعوا عقدة النكاح لان حقيقة
العزم القطع ومنه الحديث لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل وروي لمن لم يبيت الصيام
اي ولا تعزموا على عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب اجله حتى تنقضي عدتها وسميت العدة
كتابا لانها فرضت بالكتاب يعني حتى يبلغ التربص المكتوب عليها اجله اي غايته واعلموا ان
الله يعلم ما في انفسكم من العزم على ما لا يجوز فاحذروه ولا تعزموا عليه واعلموا ان الله
غفور حليم لا يعاجلكم بالعقوبة ونزل فيمن طلق امراته ولم يكن سمى لها مهرا ولا جامعها لا
جناح عليكم لا تبعة عليكم من ايجاب مهر ان طلقتم النساء شرط ويدل على جوابه لا جناح عليكم و
التقدير ان طلقتم النساء فلا جناح عليكم ما لم تمسوهن ما لم تجامعوهن وما شرطية اي ان لم
تمسوهن تماسوهن حمزة وعلي حيث وقع لان الفعل واقع بين اثنين او تفرضوا لهن
فريضة الا ان تفرضوا لهن فريضة او حتى تفرضوا وفرض الفريضة تسمية المهر وذلك
لان المطلقة غير الموطوءة لها نصف المهر ان سمى لها مهرا وان لم يسم لها مهرا فليس لها
نصف مهر المثل بل تجب المتعة والدليل على ان الجناح تبعة المهر قوله ان طلقتموهن
الى قوله فنصف ما فرضتم وقوله فنصف ما فرضتم اثبات للجناح المنفي ثمة ومتعوهن
معطوف على فعل محذوف تقديره فطلقوهن ومتعوهن والمتعة درع وملحفة و

خار على الموسع الذي له سعة قدره مقداره الذي يطيقه قدره فيهما كوفي غير ابي بكر وهما لغتان
وعلى المقتر الضيق الحال قدره ولا يجب المتعة عندنا الا لهذه وتستحب لسائر المطلقات متاعا تاكيد
لمتعوهن اي تمتيعا بالمعروف بالوجه الذي يحسن في الشرع والمروة حقا صفة لمتاعا اي متاعا
واجبا عليهم او حق ذلك حقا على المحسنين على المسلمين او على الذين يحسنون الى المطلقات
بالتمتيع وسماهم قبل الفعل محسنين كقوله عليه الصلوة والسلام من قتل قتيلا فله سلبه وليس
هذا الاحسان هو التبرع بما ليس عليه اذ هذه المتعة واجبة ثم بين حكم التي سمي لها مهرا في الطلاق
قبل المس فقال وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن ان مع الفعل بتاويل المصدر في موضع
الجر اي من قبل مسكم اياهن وقد فرضتم في موضع الحال لهن فريضة مهرا فنصف ما فرضتم الا
ان يعفون يريد المطلقات وان مع الفعل في موضع النصب على الاستثناء كانه قيل فعليكم نصف
ما فرضتم في جميع الاوقات الا وقت عفوهن عنكم من المهر والفرق بين الرجال يعفون و
بين النساء يعفون ان الواو في الاول ضميرهم والنون علم الرفع والواو في الثاني لام الفعل
والنون ضميرهن والفعل مبني لا اثر في لفظه للعامل او يعفو عطف على محله الذي بيده عقدة
النكاح هو الزوج كذا فسره علي رضي الله عنه وهو قول سعيد بن جبير وشريح ومجاهد وابي حنيفة
والشافعي رحمهم الله على الجديد وهذا لان الطلاق بيده فكان ابقاء الفعل بيده والمعنى ان
الواجب شرعا هو النصف الا ان تسقط هي الكل او يعطي هو الكل تفضلا وعند مالك والشافعي
في القديم هو الولي قلنا هو لا يملك التبرع بحق الصغيرة فكيف يجوز حمله عليه وان تعفوا
مبتدا خبره اقرب للتقوى والخطاب للازواج والزوجات على سبيل التغليب ذكره
الزجاج اي عفو الزوج باعطاء كل المهر خير له وعفو المراة باسقاط كله خير لها او للازواج
ولا تنسوا الفضل التفضل بينكم اي ولا تنسوا ان يتفضل بعضكم على بعض ان الله بما تعملون
بصير فيجازيكم على تفضلكم حافظوا على الصلوات داوموا عليها بمواقيتها واركانها وشرائطها
والصلوة الوسطى بين الصلوات اي الفضلى هو من قولهم للافضل الاوسط وانما افردت وعطفت
على الصلوات لانفرادها بالفضل وهي صلوة العصر عند ابي حنيفة رضي الله عنه وعليه الجمهور لقوله
عليه الصلوة والسلام يوم الاحزاب شغلونا عن الصلوة الوسطى صلوة العصر ملا الله بيوتهم

نارا وقال عليه الصلوة والسلام انها الصلوة التي شغل عنها سليمان عليه السلام حتى توارت بالحجاب
وفي مصحف حفصة والصلوة الوسطى صلوة العصر ولانها بين صلوتي الليل وصلوتي النهار و
فضلها لما في وقتها من اشتغال الناس بتجاراتهم ومعايشهم وقيل صلوة الظهر لانها في وسط
النهار او صلوة الفجر لانها بين صلوتي النهار وصلوتي الليل او صلوة المغرب لانها بين الاربع
والمثنى ولانها بين صلوتي مخافتة وصلوتي جهرة او صلوة العشاء لانها بين وترين او هي
غير معينة كليلة القدر ليحفظوا الكل وهذه الاية تدل على ان الصلوات خمس في اليوم والليلة
لان النص يقتضي عددا له وسطى وان الصلوات وراء الوسطى لانه عطف الوسطى على الصلوات
والمعطوف غير المعطوف عليه واقل عدد صفته هذا خمسة وقوموا لله في الصلوة قانتين
حال اي مطيعين خاشعين او ذاكرين الله في قيامكم والقنوت ان تذكر الله قائما او مطيلين
القيام فان خفتم فان كان بكم خوف من عدو او غيره فرجالا حال اي فصلوا راجلين وهو
جمع راجل كقيام وقائم او ركبانا وحدانا بايماء ويسقط عنه التوجه الى القبلة فاذا امنتم
فاذا زال الخوف فاذكروا الله فصلوا صلوة الامن كما علمكم اي ذكرا مثل ما علمكم ما لم تكونوا
تعلمون من صلوة الامن والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم بالنصب
شامي وابو عمرو وحمزة وحفص اي فليوصوا وصية عن الزجاج وغيرهم بالرفع اي فعليهم
وصية متاعا نصب بالوصية لانها مصدر او تقديره متعوهن متاعا الى الحول صفة لمتاعا
غير اخراج مصدر مؤكد كقولك هذا القول غير ما تقول او بدل من متاعا والمعنى ان حق
الذين يتوفون من ازواجهم ان يوصوا قبل ان يحتضروا بان تمتع ازواجهم بعدهم حولا
كاملا اي ينفق عليهن من تركته ولا يخرجن من مساكنهن وكان ذلك مشروعا في اول الاسلام
ثم نسخ بقوله والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا الى قوله وعشرا والناسخ متقدم عليه
تلاوة ومتاخر نزولا كقوله تعالى سيقول السفهاء مع قوله قد نرى تقلب وجهك في السماء
فان خرجن بعد الحول فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن من التزين والتعرض للخطاب
من معروف مما ليس بمنكر شرعا والله عزيز حكيم فيما احكم وللمطلقات متاع اي نفقة العدة
بالمعروف حقا نصب على المصدر على المتقين كذلك يبين الله لكم اياته لعلكم تعقلون

هو في موضع الرفع لانه خبر لعل وان اريد به المتعة فالمراد غير المطلقة المذكورة وهي علي سبيل

الندب الم تر تقرير لمن سمع بقصتهم من اهل الكتاب واخبار الاولين وتعجيب من شانهم

ويجوز ان يخاطب به من لم ير ولم يسمع لان هذا الكلام جري مجري المثل في معني التعجيب

الي الذين خرجوا من ديارهم من قرية قبل واسط وقع فيهم الطاعون فخرجوا هاربين

فاماتهم الله ثم احياهم بدعاء حزقيل عليه السلام وقيل هم قوم من بني اسرائيل دعاهم

ملكهم الي الجهاد ففروا حذر الموت فاماتهم الله ثمانية ايام ثم احياهم وهم الوف في

موضع النصب علي الحال وفيه دليل علي الالوف الكثيرة لانها جمع كثرة وهي جمع الف لا آلاف

حذر الموت مفعول له فقال لهم الله موتوا اي فاماتهم الله وانما جيء به علي هذه العبارة

للدلالة علي انهم ماتوا ميتة رجل واحد بامر الله ومشيته وتلك ميتة خارجة عن العادة

وفيه تشجيع للمسلمين علي الجهاد وان الموت اذا لم يكن منه بد ولم ينفع منه مفر فاولي ان يكون

في سبيل الله ثم احياهم ليعتبروا ويعلموا انه لا مفر من حكم الله وقضائه وهو معطوف

علي فعل محذوف تقديره فماتوا ثم احياهم او لما كان معني قوله فقال لهم الله موتوا

فاماتهم الله كان عطفا عليه معني ان الله لذو فضل علي الناس حيث يبصرهم ما يعتبرون

به كما بصر اوليك وكما بصركم باقتصاص خبرهم او لذو فضل علي الناس حيث احيي

اوليك ليعتبروا فيفوزوا ولو شاء لتركهم موتي الي يوم البعث ولكن اكثر الناس

لا يشكرون ذلك والدليل علي انه ساق هذه القصة بعثا علي الجهاد ما اتبعه من الامر

بالقتال في سبيل الله وهو قوله وقاتلوا في سبيل الله فحض علي الجهاد بعد الاعلام ان

الفرار من الموت لا يغني وهذا الخطاب لامة محمد صلي الله عليه وآله وسلم او لمن احياهم واعلموا

ان الله سميع يسمع ما يقوله المتخلفون والسابقون عليم بما يضمرونه من استفهام في

موضع رفع بالابتداء وذا خبره والذي نعت لذا او بدل منه يقرض الله صلة الذي سمي ما ينفق

في سبيل الله قرضا لان القرض ما يقبض ببدل مثله من بعد سمي به لان المقرض يقطعه من ماله

فيدفعه اليه والقرض القطع ومنه المقراض وقرض الفار والانقراض فنبههم بذلك

علي انه لا يضيع عنده تعالي وانه يجزيهم عليه لا محالة قرضا حسنا بطيبة النفس من المال

الطيب والمراد النفقة في الجهاد لانه لما امر بالقتال في سبيل الله ويحتاج فيه الي المال حث

علي الصدقة لتتهيأ اسباب الجهاد فيضاعفه له بالنصب عاصم علي جواب الاستفهام وبالرفع

ابو عمرو ونافع وحمزة وعلي عطفا علي يقرض الله او هو مستانف اي فهو يضاعفه فيضعفه

شامي فيضعّفه مكي اضعافا في موضع المصدر كثيرة لا يعلم كنهها الا الله وقيل الواحد

بسبعماية والله يقبض ويبسط يقتر الرزق علي عباده ويوسعه عليهم فلا تبخلوا عليه

بما وسع عليكم لا يبدلكم الضيقة بالسعة ويبصط حجازي وعاصم وعلي واليه ترجعون

فيجازيكم علي ما قدمتم الم تر الي الملا الاشراف لانهم يملاون القلوب جلالة والعيون

مهابة من بني اسرائيل من للتبعيض من بعد موسي من بعد موته ومن لابتداء الغاية

اذ قالوا حين قالوا لنبي لهم هو شمعون او يوشع او اشمويل ابعث لنا ملكا انهض

للقتال معنا اميرا نصدر في تدبير الحرب عن رايه وننتهي الي امره نقاتل بالنون والجزم

علي الجواب في سبيل الله صلة نقاتل قال النبي هل عسيتم عسيتم حيث كان نافع ان كتب

عليكم القتال شرط فاصل بين اسم عسي وخبره وهو الا تقاتلوا والمعني هل قاربتم ان لا تقاتلوا

يعني هل الامر كما اتوقعه انكم لا تقاتلون وتجبنون فادخل هل مستفهما عما هو متوقع

عنده واراد بالاستفهام التقرير وتثبيت ان المتوقع كاين وانه صايب في توقعه قالوا

وما لنا ان لا نقاتل في سبيل الله واي داع لنا الي ترك القتال واي غرض لنا فيه و

قد اخرجنا من ديارنا وابنائنا الواو في وقد للحال وذلك ان قوم جالوت كانوا

يسكنون بين مصر وفلسطين فاسروا من ابناء ملوكهم اربعماية واربعين يعنون

اذا بلغ الامر منا هذا المبلغ فلا بد من الجهاد فلما كتب عليهم القتال اي اجيبوا الي ملتمسهم

تولوا اعرضوا عنه الا قليلا منهم وهم كانوا ثلثماية وثلثة عشر علي عدد اهل بدر

والله عليم بالظالمين وعيد لهم علي ظلمهم بترك الجهاد وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم

طالوت هو اسم اعجمي كجالوت وداود ومنع من الصرف للتعريف والعجمة ملكا حال قالوا

اني يكون له الملك علينا اي كيف ومن اين وهو انكار لتملكه عليهم واستبعاد له ونحن احق

بالملك منه الواو للحال ولم يوت سعة من المال اي كيف يتملك علينا والحال انه لا يستحق التملك

لونجو من هو احق بالملك وانه فقير ولا بد للملك من مال يعتضد به وانما قالوا ذلك لان النبوة كانت في سبط لاوي بن يعقوب عليه السلام والملك في سبط يهوذا وهو كان من سبط ابن يامين كان رجلا سقاء او دباغا فقيرا وروي ان نبيهم دعا الله تعالى حين طلبوا منه ملكا فاتي بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها الا طالوت قال ان الله اصطفيه عليكم الطاء في اصطفاه بدل من التاء لمكان الصاد الساكنة اي اختاره عليكم وهو اعلم بالمصالح منكم ولا اعتراض على حكمه ثم ذكر مصلحتين انفع مما ذكروا من النسب والمال وهما العلم للبسط والجسامة فقال وزاده بسطة مفعول ثان في العلم والجسم قالوا كان اعلم بني اسرائيل بالحرب والديانات في وقته واطول من كل انسان براسه ومنكبيه والبسطة السعة والامتداد والملك لا بد ان يكون من اهل العلم فان الجاهل مزدرى غير منتفع به وان يكون جسيما لانه اعظم في النفوس واهيب في القلوب والله يؤتي ملكه من يشاء اي الملك له غير منازع فيه فهو يؤتيه من يشاء ايتاءه وليس ذلك بالوراثة والله واسع الفضل والعطاء يوسع على من ليس له سعة من المال ويغنيه بعد الفقر عليم بمن يصطفيه للملك فثم طلبوا من نبيهم آية على اصطفاء الله طالوت وقال لهم نبيهم ان آية ملكه ان ياتيكم التابوت اي صندوق التورية وكان موسى عليه السلام اذا قاتل قدمه فكانت تسكن نفوس بني اسرائيل ولا يفرون فيه سكينة من ربكم سكون وطمانينة وبقية هي رضاض الالواح وعصا موسى وثيابه وشيء من التورية ونعلا موسى وعمامة هارون عليهما السلام مما ترك آل موسى وآل هرون مما تركه موسى وهارون والآل مقحم لتفخيم شانهما تحمله الملائكة يعني التابوت وكان رفعه الله بعد موسى فنزلت به الملائكة وهم ينظرون اليه والجملة في موضع الحال وكذا فيه سكينة من ربكم نعت لسكينة وما ترك نعت لبقية ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين اي في رجوع التابوت اليكم علامة ان الله قد ملك طالوت عليكم ان كنتم مصدقين فلما فصل طالوت بالجنود خرج بالجنود من بلده للجهاد العدو وبالجنود في موضع الحال اي مختلطا بالجنود وهم ثمانون الفا وكان الوقت قيظا وسلكوا مفازة وسالوا ان يجري الله لهم نهرا قال ان الله مبتليكم مختبركم

اي يعاملكم معاملة المختبر بنهر وهو نهر فلسطين ليميز المحق في الجهاد من المعذر فمن شرب منه كرعا فليس مني فليس من اتباعي واشياعي ومن لم يطعمه لم يذقه من طعم الشيء اذا ذاقه فانه مني وبفتح الياء مدني وابو عمرو واستثنى الا من اغترف من قوله فمن شرب منه فليس مني والجملة الثانية في حكم المتاخرة عن الاستثناء الا انها قدمت للعناية غرفة بيده غرفة حجازي وابو عمرو بمعنى المصدر وبالضم بمعنى المغروف ومعناه الرخصة في اغتراف الغرفة باليد دون الكرع والدليل عليه فشربوا منه اي فكرعوا الا قليلا منهم وهم ثلثمائة وثلثة عشر رجلا فلما جاوزه اي النهر هو طالوت والذين آمنوا معه اي القليل قالوا لا طاقة لنا اليوم اي لا قوة لنا بجالوت هو جبار من العمالقة من اولاد عمليق بن عاد وكان في بيضته ثلثمائة رطل الحديد وجنوده قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله يوقنون بالشهادة قيل الضمير في قالوا للكثير الذين انخزلوا والذين يظنون هم القليل الذين ثبتوا معه وروي ان الغرفة كانت تكفي الرجل لشربه واداوته والذين شربوا منه اسودت شفاههم وغلبهم العطش كم من فئة قليلة كم خبرية وموضعها الرفع بالابتداء غلبت خبرها فئة كثيرة باذن الله بنصره والله مع الصابرين بالنصر ولما برزوا لجالوت وجنوده خرجوا لقتالهم قالوا ربنا افرغ اصبب علينا صبرا على القتال وثبت اقدامنا بتقوية قلوبنا وبالقاء الرعب في صدور عدونا وانصرنا على القوم الكافرين اعنا عليهم فهزموهم اي طالوت والمؤمنون جالوت وجنوده باذن الله بقضائه وقتل داود جالوت كان ايشي ابو داود في عسكر طالوت مع ستة من بنيه وكان داود سابعهم وهو صغير يرعى الغنم فاوحي الى نبيهم ان داود هو الذي يقتل جالوت فطلبه من ابيه فجاء به وقد مر في طريقه بثلثة احجار دعاه كل واحد منها ان يحمله وقالت له انك تقتل بنا جالوت فحملها في مخلاته ورمى بها جالوت فقتله وزوجه طالوت بنته ثم حسده واراد قتله ثم مات تائبا واتيه الله الملك في مشارق الارض المقدسة ومغاربها وما اجتمعت بنو اسرائيل على ملك قط قبل داود والحكمة النبوة وعلمه مما يشاء من صنعة الدروع وكلام الطيور والدواب وغير ذلك ولولا دفع الله الناس بعضهم

بعضهم بدل من الناس دفاع مدني مصدر دفع او دافع ببعض لفسدت الارض اي ولولا ان الله يدفع بعض الناس ببعض ويكف بهم فسادهم لغلب المفسدون وفسدت الارض و بطلت منافعها من الحرث والنسل او ولولا ان الله ينصر المسلمين على الكافرين لفسدت الارض بغلبة الكفار وقتل الابرار وتخريب البلاد وتعذيب العباد ولكن الله ذو فضل على العالمين بازالة الفساد عنهم وهو دليل المعتزلة في مسئلة الاصلح تلك مبتداء خبره آيات الله يعني القصص التي اقتصها من حديث الالوف واماتتهم واحياءهم وتمليك طالوت واظهاره بالآية التي هي نزول التابوت من السماء على الجبابرة على يدي صبي نتلوها حال من آيات الله والعامل فيه معنى الاشارة او آيات الله بدل من تلك ونتلوها الخبر عليك بالحق باليقين الذي لا يشك فيه اهل الكتاب لانه في كتبهم كذلك بالحق باليقين وانك لمن المرسلين حيث تخبر بها من غير ان تعرف بقراءة كتاب او سماع من اهله تلك الرسل اشارة الى جماعة الرسل التي ذكرت قصصها في هذه السورة من آدم الى داود او التي ثبت علمها عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فضلنا بعضهم على بعض بالخصائص وراء الرسالة لاستوائهم فيها كالمؤمنين يستوون في صفة الايمان ويتفاوتون في الطاعات بعد الايمان ثم بين ذلك بقوله منهم من كلم الله اي كلمه الله حذف العائد من الصلة يعني منهم من فضله الله بان كلمه من غير سفير وهو موسى عليه السلام ورفع بعضهم مفعول اول درجات مفعول ثان اي بدرجات او الى درجات يعني ومنهم من رفعه على ساير الانبياء فكان بعد تفاوتهم في الفضل افضل منهم بدرجات كثيرة وهو محمد صلى الله عليه وسلم لانه هو المفضل عليهم بارساله الى الكافة فانه اوتي ما لم يؤته احد من الآيات الكثيرة المرتقية الى الالف او اكثر واكبرها القرآن لانه المعجزة الباقية على وجه الدهر وفي هذا الابهام تفخيم وبيان انه العلم الذي لا يشتبه وقيل اريد به محمد وابراهيم وغيرهما عليهم السلام من اولي العزم من الرسل وآتينا عيسى ابن مريم البينات كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وغير ذلك وايدناه بروح القدس قويناه بجبريل او الانجيل ولو شاء الله ما اقتتل اي ما اختلف لانه سببه الذين من بعدهم من بعد الرسل من بعد ما جاءتهم البينات المعجزات

الظاهرات ولكن اختلفوا بمشيتي ثم بين الاختلاف فقال فمنهم من آمن ومنهم من كفر بمشيتي يقول اجريت امور رسلي على هذا اي لم يجتمع لاحد منهم طاعة جميع امته في حيوته ولا بعد وفاته بل اختلفوا عليه فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا كرره للتاكيد اي لو شئت ان لا يقتتلوا لم يقتتلوا اذ لا يجري في ملكي الا ما يوافق مشيتي وهذا يبطل قول المعتزلة لانه اخبر انه لو شاء الله ان لا يقتتلوا لم يقتتلوا وهم يقولون شاء ان لا يقتتلوا فاقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد اثبت الارادة لنفسه كما هو مذهب اهل السنة يا ايها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم في الجهاد في سبيل الله او هو عام في كل صدقة واجبة من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه اي من قبل ان ياتي يوم لا تقدرون فيه على تدارك ما فاتكم من الانفاق لانه لا بيع فيه حتى تبتاعوا ما تنفقونه ولا خلة حتى يسامحكم اخلاءكم به ولا شفاعة الا بالرفع للكافرين فاما المؤمنون فلهم شفاعة او الا باذنه والكافرون هم الظالمون انفسهم بتركهم التقديم ليوم حاجتهم او الكافرون لهذا اليوم هم الظالمون لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة مكي وبصري الله لا اله الا هو لا مع اسمه وخبره وما ابدل منه موضعه في موضع الرفع خبر المبتداء وهو الله الحي الباقي الذي لا سبيل عليه للفناء القيوم فعول الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه لا تاخذه سنة نعاس وهو ما يتقدم النوم من الفتور ولا نوم عن المفضل السنة ثقل في الراس والنعاس في العين والنوم في القلب وهو تاكيد للقيوم لان من جاز عليه ذلك استحال ان يكون قيوما وقد اوحي الى موسى عليه السلام قل لهولاء اني امسك السموات والارض بقدرتي فلو اخذني نوم او نعاس لزالتا له ما في السموات وما في الارض ملكا وملكا من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه ليس لاحد ان يشفع عنده الا باذنه وهو بيان لملكوته وكبريائه وان احدا لا يتمالك ان يتكلم يوم القيمة الا اذا اذن له في الكلام وفيه رد لزعم الكفار ان الاصنام تشفع لهم يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ما كان قبلهم وما يكون بعدهم والضمير لما في السموات والارض لان فيهم العقلاء ولا يحيطون بشيء من علمه من معلومه ويقال في الدعاء اللهم اغفر علمك فينا اي معلومك الا بما شاء الا بما علم وسع كرسيه

السموات والارض اي علمه ومنه الكراسة لتضمنها العلم والكراسي العلماء وسمي العلم كرسيا تسمية بمكانه الذي هو كرسي العالم وهو قوله تعالى ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما او ملكه تسمية بمكانه الذي هو كرسي الملك او عرشه كذا عن الحسن او هو سرير دون العرش في الحديث ما السموات السبع في الكرسي الا كحلقة ملقاة بفلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة او قدرته بدليل قوله ولا يؤده ولا يثقله ولا يشق عليه حفظهما حفظ السموات والارض وهو العلي في ملكه وسلطانه العظيم في عزه وجلاله او العلي المتعالي عن الصفات التي لا تليق به العظيم المتصف بالصفات التي تليق به فهما جامعان لكمال التوحيد وانما ترتبت الجمل في آية الكرسي ولا حرف عطف لانها وردت على سبيل البيان فالاولى بيان لقيامه بتدبير الخلق وكونه مهيمنا عليه غير ساه عنه والثانية لكونه مالكا لما يدبره والثالثة لكبرياء شانه والرابعة لاحاطته باحوال الخلق والخامسة لسعة علمه وتعلقه بالمعلومات كلها او لجلاله وعظم قدره وانما فضلت هذه الآية حتى ورد في فضلها ما ورد منه ما روي عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا آية الكرسي في دبر كل صلوة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق او عابد ومن قراها اذا اخذ مضجعه آمنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله وقال سيد البشر آدم عليه السلام وسيد العرب محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولا فخر وسيد الفرس سلمان وسيد الروم صهيب وسيد الحبشة بلال وسيد الجبال الطور وسيد الايام يوم الجمعة وسيد الكلام القرآن وسيد القرآن البقرة وسيد البقرة آية الكرسي وقال ما قرئت هذه الآية في دار الا هجرتها الشياطين ثلثين يوما ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة اربعين ليلة وقال من قرا آية الكرسي عند منامه بعث الله ملكا يحرسه حتى يصبح وقال من قرا هاتين الآيتين حين يمسي آية الكرسي واول حم المؤمن الى اليه المصير لاشتمالها على توحيد الله وتعظيمه وتمجيده وصفاته العظمى ولا مذكور اعظم من رب العزة فما كان ذكرا له كان افضل من سائر الاذكار وبه يعلم ان اشرف العلوم علم التوحيد لا اكراه في الدين

اي لا اجبار على الدين الحق وهو الاسلام وقيل هو اخبار في معنى النهي وروي انه كان لانصاري ابنان فتنصرا فلازمهما ابوهما وقال والله لا ادعكما حتى تسلما فابيا فاختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال الانصاري يا رسول الله ايدخل بعضي النار وانا انظر فنزلت فخلاهما قال ابن مسعود وجماعة كان هذا في الابتداء ثم نسخ بالامر بالقتال قد تبين الرشد من الغي قد تميز الايمان من الكفر بالدلائل الواضحة فمن يكفر بالطاغوت بالشيطان او الاصنام ويؤمن بالله فقد استمسك تمسك بالعروة اي المعتصم والمتعلق الوثقى تانيث الاوثق اي الاشد من الحبل الوثيق المحكم المامون لا انفصام لها لا انقطاع للعروة وهذا تمثيل للمعلوم بالنظر والاستدلال بالمشاهد المحسوس حتى يتصوره السامع كانه ينظر اليه بعينه فيحكم اعتقاده والمعنى فقد عقد لنفسه من الدين عقدا وثيقا لا تحله شبهة والله سميع لاقراره عليم باعتقاده الله ولي الذين آمنوا ارادوا ان يؤمنوا اي ناصرهم ومتولي امورهم يخرجهم من الظلمات من ظلمات الكفر والضلالة وجمعت لاختلافها الى النور الى الايمان والهداية ووحد لاتحاد الايمان والذين كفروا مبتدا والجملة وهي اولياؤهم الطاغوت خبره يخرجونهم من النور الى الظلمات وجمع لان الطاغوت في معنى الجمع يعني والذين صمموا على الكفر امرهم على عكس ذلك او الله ولي المؤمنين يخرجهم من الشبه في الدين ان وقعت لهم بما يهديهم ويوفقهم له من حلها حتى يخرجوا منها الى نور اليقين والذين كفروا اولياؤهم الشياطين يخرجونهم من نور البينات الذي يظهر لهم الى ظلمات الشك والشبهة اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ثم عجب نبيه عليه السلام وسلاه بمجادلة ابراهيم عليه السلام نمروذ الذي كان يدعي الربوبية بقوله الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه في معارضة ربوبية ربه والهاء في ربه يرجع الى ابراهيم او الى الذي حاج فهو ربهما ان اتيه الله الملك لان آتيه الله يعني ان ايتاء الملك ابطره واورثه الكبر فحاج لذلك وهو دليل على المعتزلة في الاصلح او حاج وقت ان اتيه الله الملك اذ قال نصب بحاج او بدل من اتيه

اذا جعل يعني الوقت ابراهيم ربي حمزة الذي يحيي ويميت كانه قال من ربك قال ربي الذي
يحيي ويميت قال نمرود انا احيي واميت يريد اعفي عن القتل واقتل فانقطع اللعين بهذا عند
الخاصة فزاد ابراهيم عليه السلام ما لا ياتي فيه التلبيس على الضعفة حيث قال ابراهيم فان
الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب وهذا ليس بانتقال من حجة الى حجة
كما زعم البعض لان الحجة الاولى كانت لازمة ولكن لما عاند اللعين حجة الاحياء بتخلية
واحد وقتل آخر كلمه من وجه لا يعاند وكانوا اهل تنجيم وحركة الكواكب من المغرب
الى المشرق معلومة لهم والحركة الشرقية المحسوسة لنا قسرية كتحريك الماء النمل على الرحى
الى غير جهة حركة النمل فقال ان ربي يحرك الشمس قسرا على غير حركتها فان كنت ربا فحركها
بحركتها فهو اهون فبهت الذي كفر تحير ودهش والله لا يهدي القوم الظلمين اي لا
يوفقهم وقالوا انما لم يقل نمرود فليات ربك بالشمس من المغرب لان الله تعالى صرفه عنه
وقيل انه كان يدعي الربوبية لنفسه وما كان يعترف بالربوبية لغيره ومعنى قوله انا
احيي واميت ان الذي ينسب اليه الاحياء والاماتة انا لا غيري والآية تدل على اباحة
التكلم في علم الكلام والمناظرة فيه لانه قال الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه والمحاجة
يكون بين الاثنين فدل ان ابراهيم حاجه ايضا ولو لم يكن مباحا لما باشرها ابراهيم عليه السلام
لكون الانبياء معصومين عن ارتكاب الحرام ولانا امرنا بدعاء الكفرة الى الايمان بالله
تعالى وتوحيده واذا دعوناهم الى ذلك لابد ان يطلبوا منا الدليل على ذلك وذا لا يكون
الا بعد المناظرة كذا في شرح التاويلات او كالذي مر معناه او ارايت مثل الذي فحذف
لدلالة الم تر عليه لان كلتيهما كلمة تعجيب او هو محمول على المعنى دون اللفظ تقديره ارايت
كالذي حاج ابراهيم او كالذي مر وقال صاحب الكشف فيه الكاف زيادة والذي عطف على
قوله الى الذي حاج عن الحسن ان المار كان كافرا بالبعث لانتظامه مع نمرود في سلك و
لكلمة الاستبعاد التي هي انى يحيي والاكثر انه عزير اراد ان يعاين احياء الموتى ليزداد
بصيرة كما طلبه ابراهيم عليه السلام وانى يحيي اعتراف بالعجز عن معرفة طريقة الاحيا
واستعظام لقدرة المحيي على قرية هي بيت المقدس حين خربه بخت نصر او هي التي خرج

منها الالوف وهي خاوية على عروشها ساقطة مع سقوفها او سقطت السقوف ثم سقطت
عليها الحيطان وكل مرتفع عرش قال انى يحيي اي كيف هذه اي اهل هذه الله بعد موتها فاماته
الله مائة عام ثم بعثه اي احياه قال له ملك كم لبثت قال لبثت يوما او بعض يوم بناء على
الظن وفيه دليل على جواز الاجتهاد روي انه مات ضحى وبعث بعد مائة سنة قبل غيبوبة الشمس
فقال قبل النظر الى الشمس يوما ثم التفت فراى بقية من الشمس فقال او بعض يوم قال بل لبثت
مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك يروي ان طعامه كان تينا وعنبا وشرابه عصير
او لبنا فوجد التين والعنب كما جنيا والشراب على حاله لم يتسنه لم يتغير والهاء اصلية
او هاء سكت واشتقاقه من السنة على الوجهين لان لامها هاء لان الاصل سنهة والفعل
ساهت يقال سانهت فلانا اي عاملته سنة او واو لان الاصل سنوة والفعل سانيت ومعناه
لم يغيره السنون لم يتسن بحذف الهاء في الوصل وباثباتها في الوقف حمزة وعلي وانظر الى حمارك
كيف تفرقت عظامه ونخرت وكان له حمار قد ربطه فمات وبقيت عظامه او وانظر اليه سالما
في مكانه كما ربطته وذلك من اعظم الآيات ان يعيشه مائة عام من غير علف ولا ماء كما حفظ طعامه
وشرابه من التغير ولنجعلك آية للناس فعلنا ذلك يريد احياءه بعد الموت وحفظ ما معه
وقيل الواو عطف على محذوف اي لتعتبر ولنجعلك قيل اتى الى قومه واكبر حماره وقال انا
عزير فكذبوه فقال هاتوا التورية فاخذ يقراءها عن ظهر قلبه ولم يقراء التورية ظاهرا
احد قبل عزير فذلك كونه آية وقيل رجع الى منزله فراى اولاده شيوخا وهو شاب
وانظر الى العظام اي عظام الحمار او عظام الموتى الذين تعجب من احياءهم كيف ننشزها
نحركها ونرفع بعضها الى بعض للتركيب ننشرها بالراء حجازي وبصري نحييها ثم نكسوها اي
العظام لحما جعل اللحم كاللباس مجازا فلما تبين له فاعله مضمر تقديره فلما تبين له ان الله على كل
شيء قدير قال اعلم ان الله على كل شيء قدير فحذف الاول لدلالة الثاني عليه كقولهم ضربني و
ضربت زيدا ويجوز فلما تبين له ما اشكل عليه يعني امر احياء الموتى قال اعلم على لفظ الامر حمزة
وعلي اي قال الله له اعلم او هو خاطب نفسه واذ قال ابراهيم رب ارني بصرني كيف تحيي الموتى
موضع كيف نصب بتحيي قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي انما قال له اولم تؤمن و

قد علم انه اثبت الناس ايمانا ليجيب بما اجاب به لما فيه من الفايدة الجليلة للسامعين وبلي ايجاب لما
بعد النفي معناه بلي آمنت ولكن ليزيد سكونا وطمانينة بمضامة علم الضرورة علم الاستدلال
وتظاهر الادلة اسكن للقلوب وازيد للبصيرة فعلم الاستدلال يجوز معه التشكيك بخلاف
الضروري واللام يتعلق بمحذوف تقديره ولكن سالت ذلك لارادة طمانينة القلب
قال فخذ اربعة من الطير طاوسا وديكا وغرابا وحمامة فصرهن اليك وبكسر الصاد حمزة
اي املهن واضممهن اليك ثم اجعل علي كل جبل منهن جزوا ثم جزءهن وفرق اجزاءهن
علي الجبال التي بحضرتك وفي ارضك وكانت اربعة اجبل او سبعة جزوا بضمتين وهو
ابو بكر ثم ادعهن قل لهن تعالين باذن الله تعالي وتقدس يأتينك سعيا مصدر في موضع الحال
اي ساعيات مسرعات في طيرانهن او في مشيهن علي ارجلهن وانما امره بضمها الي نفسه بعد اخذها
ليتاملها ويعرف اشكالها وهياتها وحلاها لئلا يلتبس عليه بعد الاحياء ولا يتوهم انها
غير تلك وروي انه امر بان يذبحها وينتف ريشها ويقطعها ويفرق اجزاءها ويخلط ريشها
ودماءها ولحومها وان يمسك رؤسها ثم امر ان يجعل اجزاءها علي الجبال علي كل جبل ربعا
من كل طائر ثم يصيح بها تعالين باذن الله تعالي فجعل كل جزء يطير الي الآخر حتي صارت جثثا
ثم اقبلن فانضممن الي رؤسهن كل جثة الي راسها واعلم ان الله عزيز لا يمتنع عليه ما يريده
حكيم فيما يريد لا يفعل الا ما فيه الحكمة ولما برهن علي قدرته علي الاحياء حث علي الانفاق في سبيل
الله واعلم انه من انفق في سبيله فله في نفقته اجر عظيم وهو قادر عليه فقال مثل الذين ينفقون
اموالهم في سبيل الله لا بد من حذف مضاف اي مثل نفقتهم كمثل حبة او مثلهم كمثل باذر حبة
انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة المنبت هو الله ولكن الحبة لما كانت سببا اسند اليها
الانبات كما يسند الي الارض والي الماء ومعني انباتها سبع سنابل ان تخرج ساقا تتشعب منها سبع شعب
لكل واحدة سنبلة وهذا التمثيل تصوير للاضعاف كانها ماثلة بين عيني الناظر والممثل به موجود
في الدخن والذرة وربما فرخت ساق البرة في الاراضي القوية المغلة فيبلغ حبها هذا المبلغ
علي ان التمثيل يصح وان لم يوجد علي سبيل الفرض والتقدير ووضع سنابل موضع سنبلات
كوضع قروء موضع اقراء والله يضاعف لمن يشاء اي يضاعف تلك المضاعفة لمن يشاء لا لكل

منفق

منفق لتفاوت الاخلاص واحوال المنفقين او يزيد علي سبعمائة لمن يشاء بضعف سامي ومكي
والله واسع واسع الفضل والجود عليم بنيات المنفقين الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله
ثم لا يتبعون ما انفقوا منا هو ان يعتد علي من احسن اليه باحسانه ويريد انه اصطنعه و
اوجب عليه حقا له وكانوا يقولون اذا صنعتم صنيعة فانسوها ولا اذي هو ان يتطاول
عليه بسبب ما اعطاه ومعني ثم اظهار التفاوت بين الانفاق وترك المن والاذي وان تركهما
خير من نفس الانفاق كما جعل الاستقامة علي الايمان خيرا من الدخول فيه بقوله ثم استقاموا
لهم اجرهم عند ربهم اي ثواب انفاقهم ولا خوف عليهم من بخس الاجر ولا هم يحزنون
من فوته او لا خوف من العذاب ولا حزن بفوت الثواب وانما قال هنا لهم اجرهم وفيما بعد
فلهم اجرهم لان الموصول هنا لم يضمن معني الشرط وضمنه ثمة قول معروف رد جميل ومغفرة
وعفو عن السائل اذا وجد منه ما يثقل علي المسؤول او ونيل مغفرة من الله بسبب الرد الجميل
خير من صدقة يتبعها اذي وصح الاخبار عن المبتداء النكرة لاختصاصه بالصفة والله
غني لا حاجة به الي منفق يمن ويوذي حليم عن معاجلته بالعقوبة وهذا وعيد له ثم اكد ذلك
بقوله يا ايها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذي كالذي الكاف نصب صفة
مصدر محذوف والتقدير ابطالا مثل ابطال الذي ينفق ماله رياء الناس ولا يومن بالله
واليوم الآخر اي لا تبطلوا ثواب صدقاتكم بالمن والاذي كابطال المنافق الذي ينفق ماله
رئاء الناس لا يريد بانفاقه رضاء الله ولا ثواب الآخرة ورياء مفعول له فمثله كمثل
صفوان عليه تراب مثله ونفقته التي لا ينتفع بها البتة بحجر املس عليه تراب فاصابه
وابل مطر عظيم القطر فتركه صلدا اجرد نقيا من التراب الذي كان عليه لا يقدرون
علي شيء مما كسبوا لا يجدون ثواب شيء مما انفقوا والكاف في محل النصب علي الحال
اي لا تبطلوا صدقاتكم مماثلين الذي ينفق وانما قال لا يقدرون بعد قوله كالذي ينفق لانه
اراد بالذي ينفق الجنس او الفريق الذي ينفق والله لا يهدي القوم الكافرين ما داموا
مختارين الكفر ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من انفسهم
اي وتصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء من اصل انفسهم لانه اذا انفق المسلم ماله في سبيل الله

علم ان تصديقه وايمانه بالثواب من اصل نفسه ومن اخلاص قلبه ومن لابتداء الغاية وهو معطوف
على المفعول له اي للابتغاء وللتثبيت والمعنى ومثل نفقة هؤلاء في زكائها عند الله كمثل جنة
بستان بربوة مكان مرتفع وخصها لان الشجر فيها ازكى واحسن ثمرا بربوة كوفي وعاصم وشامي
اصابها وابل فآتت اكلها ثمرتها اكلها نافع ومكي وابو عمرو ضعفين مثلي ما كانت تثمر قبل بسبب
الوابل فان لم يصبها وابل فطل فمطر صغير القطر يكفيها لكرم منبتها او مثل حالهم عند الله
بالجنة على الربوة ونفقتهم الكثيرة القليلة بالوابل والطل وكما ان كل واحد من المطر يضعف
اكل الجنة فكذلك نفقتهم كثيرة كانت او قليلة بعد ان يطلب بها رضاء الله تعالى زاكية عند الله
زائدة في زلفاهم وحسن حالهم عنده والله بما تعملون بصير يرى اعمالكم على اكثار او
اقلال ويعلم نياتكم فيها من رياء واخلاص الهمزة في ايود احدكم للانكار ان تكون له جنة
بستان من نخيل واعناب تجري من تحتها الانهار له لصاحب البستان فيها في الجنة من كل
الثمرات يريد بالثمرات المنافع التي كانت تحصل له فيها ولان النخيل والاعناب لما كانا اكرم
الشجر واكثرها منافع خصهما بالذكر وجعل الجنة منهما وان كانت محتوية على سائر الاشجار
تغليبا لهما على غيرهما ثم اردفهما ذكر كل الثمرات واصابه الكبر الواو للحال ومعناه ان يكون له
جنة وقد اصابه الكبر والواو في وله ذرية ضعفاء اولاد صغار للحال ايضا والجملة في موضع الحال
من الهاء في اصابه فاصابها اعصار ريح تستدير في الارض ثم تسطع نحو السماء كالعمود فيه في
الاعصار وارتفع نار بالظرف اذ جرى الظرف وصفا لاعصار فاحترقت الجنة وهذا مثل لمن
يعمل الاعمال الحسنة رياء فاذا كان يوم القيمة وجدها محبطة فيتحسر عند ذلك حسرة من كانت
له جنة جامعة للثمار فبلغ الكبر وله اولاد صغار والجنة معاشهم فهلكت بالصاعقة كذلك
كهذا البيان الذي بين فيما تقدم يبين الله لكم الآيات في التوحيد والدين لعلكم تتفكرون
فتنتبهوا يا ايها الذين امنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم من جياد مكسوباتكم وفيه دليل وجوب
الزكوة في اموال التجارة ومما اخرجنا لكم من الارض من الحب والثمر والمعادن وغيرها والتقدير
من طيبات ما اخرجنا لكم الا انه حذف لذكر الطيبات ولا تيمموا الخبيث ولا تقصدوا المال
الردي منه تنفقون تخصونه بالانفاق وهو في محل الحال اي ولا تيمموا الخبيث منفقين

اي مقترين النفقة ولستم باخذيه وحالكم انكم لا تاخذونه في حقوقكم الا ان تغمضوا فيه الا
بان تتسامحوا في اخذه وتترخصوا فيه من قولك اغمض فلان عن بعض حقه اذا غض بصره
ويقال للبايع اغمض اي لا تستقص كانك لا تبصر وعن ابن عباس رضي الله عنهما كانوا يتصدقون
بحشف التمر وشراره فنهوا عنه واعلموا ان الله غني عن صدقاتكم حميد مستحق الحمد او محمود
الشيطان يعدكم بالانفاق الفقر ويقول لكم ان عاقبة انفاقكم ان تفتقروا والوعد يستعمل
في الخير والشر ويامركم بالفحشاء ويغريكم على البخل ومنع الصدقات اغراء الآمر للمامور والفاحش
عند العرب البخيل والله يعدكم في الانفاق مغفرة منه لذنوبكم وكفارة لها وفضلا وان
يخلف عليكم افضل مما انفقتم او ثوابا عليه في الآخرة والله واسع يوسع على من يشاء عليم
بافعالكم ونياتكم يؤتي الحكمة من يشاء علم القرآن والسنة او العلم النافع الموصل الى رضاء الله
والعمل به والحكيم عند الله هو العالم العامل ومن يؤت الحكمة ومن يؤت يعقوب اي ومن
يؤته الله الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا تنكير تعظيم اي اوتي اي خير كثير وما يذكر الا اولوا الالباب
وما يتعظ بمواعظ الله الا ذوو العقول السليمة او العلماء العمال والمراد به الحث على العمل بما
تضمنت الآي في معنى الانفاق وما انفقتم من نفقة في سبيل الله او في سبيل الشيطان
او نذرتم من نذر في طاعة الله او في معصية فان الله يعلمه لا يخفى عليه وهو مجازيكم
عليه وما للظالمين الذين يمنعون الصدقات او ينفقون اموالهم في المعاصي او ينذرون
في المعاصي او لا يوفون بالنذر من انصار من ينصرهم من الله ويمنعهم من عقابه ان
تبدوا الصدقات فنعما هي فنعم شيئا ابداؤها وما نكرة غير موصولة ولا موصوفة
والمخصوص بالمدح هي فنعما هي بكسر النون واسكان العين ابو عمرو ومدني غير ورش
وبفتح النون وكسر العين شامي وحمزة وعلي وبكسر النون والعين غيرهم وان تخفوها
وتؤتوها الفقراء وتصيبوا بها مصارفها مع الاخفاء فهو خير لكم فالاخفاء خير لكم قالوا
المراد صدقات التطوع والجهر في الفرائض افضل لنفي التهمة حتى اذا كان المزكي ممن لا يعرف
باليسار كان اخفاؤه افضل والمتطوع ان اراد ان يقتدى به كان اظهاره افضل ويكفر بالنون
وجزم الراء مدني وحمزة وعلي وبالياء ورفع الراء شامي وحفص وبالنون والرفع

فائدة عن ابن عباس رضي الله عنهما وقف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوما على اصحاب الصفة فرأى فقرهم وجهدهم وطيب قلوبهم فقال ابشروا يا اصحاب الصفة فمن بقي من امتي على النعت الذي انتم عليه راضيا بما فيه فانه من رفقائي في الجنة

قوله هم الذين حصرهم الجهاد فمنعهم من التصرف اي حبسهم الاشتغال بالجهاد عن التكسب والتقلب بالتجارة والزراعة ونحوها من المكاسب واشتغلوا بافضل المكاسب وهو الجهاد في سبيل الله فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم رزقي تحت ظل رمحي

خير لهم فمن جزمه فقد عطف على محل الفاء وما بعده لانه جواب الشرط ومن رفع فعلى الاستيناف والياء على معنى يكفر الله عنكم من سيئاتكم والنون على معنى نحن نكفر والله بما تعملون من الابداء والاخفاء خبير عالم ليس عليك هداهم لا يجب عليك ان تجعلهم مهديين الى الانتهاء عما نهوا عنه من المن والاذى والانفاق من الخبيث وغير ذلك وما عليك الا ان تبلغهم النواهي فحسب ولكن الله يهدي من يشاء يلطف بمن يعلم ان اللطف ينفع فيه فينتهي عما نهي او ليس عليك التوفيق على الهدى وخلقا وخلق الهدى وانما ذلك الى الله وما تنفقوا من خير من مال فلانفسكم فهو لانفسكم لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا به على الناس فلا تؤذوهم بالتطاول عليهم وما تنفقون الا ابتغاء وليس نفقتكم الا الابتغاء وجه الله اي رضاء الله ولطلب ما عنده فما بالكم تمنون بها وتنفقون الخبيث الذي لا يوجه مثله الى الله او وهذا نفي ومعناه النهي اي ولا تنفقوا الا لابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف اليكم ثوابه اضعافا مضاعفة ولا عذر لكم في ان ترغبوا عن انفاقه وان يكون على احسن الوجوه واجملها وانتم لا تظلمون لا تنقصون كقوله ولم تظلم منه شيئا اي لم تنقص الجار في للفقراء متعلق بمحذوف اي اعمدوا للفقراء او هو خبر مبتدأ محذوف اي هذه الصدقات للفقراء الذين احصروا في سبيل الله هم الذين احصرهم الجهاد فمنعهم من التصرف لا يستطيعون لاشتغالهم به ضربا في الارض للكسب وقيل اصحاب الصفة وهم نحو من اربعمائة رجل من مهاجري قريش لم تكن لهم مساكن في المدينة ولا عشائر وكانوا في صفة المسجد وهي سقيفته يتعلمون القرآن بالليل ويرضخون النوى بالنهار وكانوا يخرجون في كل سرية بعثها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فمن كان عنده فضل اتاهم به اذا امسى يحسبهم الجاهل بحالهم يحسبهم وبابه شامي ويزيد وحمزة وعاصم غير الاعشى وهبيرة الباقون بكسر السين اغنياء من التعفف مستغنين من اجل تعففهم عن المسألة تعرفهم بسيماهم من صفرة الوجوه ورثاثة الحال لا يسألون الناس الحافا الحاحا قيل هو نفي السؤال والالحاح جميعا كقوله اذا ساق العود الديافي جرجرا على لاحب لا يهتدي بمناره يريد نفي المنار والاهتداء به والالحاح هو اللزوم وان لا يفارق الا بشيء يعطاه وفي الحديث ان الله يحب الحيي الحليم المتعفف ويبغض

البذي السائل الملحف وقيل معناه انهم ان سألوا سألوا بتلطف ولم يلحفوا وما تنفقوا من خير فان الله به عليم لا يضيع عنده الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية هما حالان اي مسرين ومعلنين يعني يعمون الاوقات والاحوال بالصدقة لحرصهم على الخير فكلما نزل بهم حاجة محتاج عجلوا قضاءها ولم يؤخروه ولم يتعللوا بوقت ولا حال وقيل نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه حين تصدق باربعين الف دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة في السر وعشرة في العلانية او في علي رضي الله عنه لم يملك الا اربعة دراهم تصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين يأكلون الربوا هو فضل مال خال عن العوض في معاوضة مال بمال وكتب الربوا بالواو على لغة من يفخم كما كتب الصلوة والزكوة وزيدت الالف بعدها تشبيها بواو الجمع لا يقومون اذا بعثوا من قبورهم الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان اي المصروع لانه تخبط في المعاملة فجوزي على المقابلة والخبط الضرب على غير استواء كخبط العشواء من المس من الجنون وهو متعلق بلا يقومون اي لا يقومون من المس الذي بهم الا كما يقوم المصروع او بيقوم اي كما يقوم المصروع من جنونه والمعنى انهم يقومون يوم القيمة مخبلين كالمصروعين تلك سيماهم يعرفون بها عند اهل الموقف وقيل الذين يخرجون من الاجداث يوفضون الا اكلة الربوا فانهم ينهضون ويسقطون كالمصروعين لانهم اكلوا الربا فارباه الله في بطونهم حتى اثقلهم فلا يقدرون على الايفاض ذلك العقاب بانهم بسبب انهم قالوا انما البيع مثل الربوا ولم يقل انما الربوا مثل البيع مع ان الكلام في الربوا لا في البيع لانه جيء به على طريقة المبالغة وهو انه قد بلغ من اعتقادهم في حل الربوا انهم جعلوه اصلا وقانونا في الحل حتى شبهوا به البيع ونظيره قوله وبدا الصباح كان غرته وجه الخليفة حين يمتدح فانه قصد ايهام ان وجه الخليفة في الوضوح اتم من الصباح واحل الله البيع وحرم الربوا انكار لتسويتهم بينهما اذ الحل مع الحرمة ضدان فانى يتماثلان ودلالة على ان القياس يهدمه النص لانه جعل الدليل على بطلان قياسهم احلال الله وتحريمه فمن جاءه موعظة من ربه

فمن بلغه وعظ من الله وزجر بالنهي عن الربوا فانتهي فتبع النهي وامتنع فله ما سلف فلا
يؤاخذ بما مضي منه لانه اخذه قبل نزول التحريم وامره الي الله يحكم في شانه يوم القيمة وليس
من امره اليكم شيء فلا تطالبوه به ومن عاد الي استحلال الربوا عن الزجاج او الي الربوا مستحلا
فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون لانهم بالاستحلال صاروا كافرين لان من احل ما
حرم الله عز وجل فهو كافر فلذا استحق الخلود وبهذا تبين انه لا تعلق للمعتزلة بهذه الاية
في تخليد الفساق يمحق الله الربوا يذهب ببركته ويهلك المال الذي يدخل فيه ويربي
الصدقات ينميها ويزيدها اي يزيد المال الذي اخرجت منه الصدقة ويبارك فيه وفي الحديث
ما نقصت زكوة من مال قط والله لا يحب كل كفار عظيم الكفر باستحلال الربوا اثيم متماد
في الاثم باكله ان الذين امنوا وعملوا الصالحات واقاموا الصلوة واتوا الزكوة لهم اجرهم
عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقيل المراد به الذين امنوا بتحريم الربوا يا ايها
الذين امنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربوا اخذوا ما شرطوا علي الناس من الربوا و
بقيت لهم بقايا فامروا ان يتركوها ولا يطالبوها روي انها نزلت في ثقيف وكان لهم علي
قوم من قريش مال فطالبوهم عند المحل بالمال والربوا ان كنتم مؤمنين كاملي الايمان فان دليل
كماله امتثال المامور به فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله فاعلموا بها من اذن
بالشيء اذا علم يؤيده قراءة الحسن فايقنوا فاذنوا حمزة وابو بكر عن ابن غالب اي فاعلموا بها غيركم
ولم يقل بحرب الله ورسوله لان هذا ابلغ لان المعني فاذنوا بنوع من الحرب عظيم من عند الله
ورسوله وروي انها لما نزلت قالت ثقيف لا يدي لنا بحرب الله ورسوله وان تبتم من
الارتباء فلكم رءوس اموالكم لا تظلمون المديونين بطلب الزيادة عليها ولا تظلمون بالنقصان
منها وان كان ذو عسرة وان وقع غريم من غرمائكم ذو عسرة ذو اعسار فنظرة فالحكم
او فالامر نظرة اي انظار الي ميسرة يسار ميسرة نافع وهما لغتان وان تصدقوا بالتخفيف
عاصم اي تتصدقوا برءوس اموالكم او ببعضها علي من اعسر من غرمائكم وبالتشديد غيره فالتخفيف
علي حذف احدي التائين والتشديد علي الادغام خير لكم في القيمة وقيل اريد بالتصدق الانظار
لقوله عليه الصلوة والسلام لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره الا كان له بكل يوم صدقة ان كنتم

تعلمون انه خير لكم فتعملوا به جعل من لا يعمل به وان علمه كانه لا يعلمه واتقوا يوما ترجعون
فيه الي الله ترجعون ابو عمرو فرجع لازم ومتعد قيل هي اخر اية نزل بها جبريل عليه السلام
وقال ضعها في راس المائتين والثمانين من البقرة وعاش رسول الله صلي الله عليه وسلم بعدها احدي
وعشرين يوما او احدي وثمانين او سبعة ايام او ثلث ساعات ثم توفي كل نفس ما كسبت اي
جزاء ما كسبت وهم لا يظلمون بنقصان الحسنات وزيادة السيات يا ايها الذين امنوا اذا
تداينتم بدين اذا داين بعضكم بعضا يقال داينت الرجل اذا عاملته بدين معطيا او اخذا الي
اجل مسمي مدة معلومة كالحصاد والدياس ورجوع الحاج وانما احتيج الي ذكر الدين ولم
يقل اذا تداينتم الي اجل مسمي ليرجع الضمير اليه في قوله فاكتبوه اذ لو لم يذكر لوجب ان يقال
فاكتبوا الدين فلم يكن النظم بذلك الحسن ولانه ابين لتنويع الدين الي مؤجل وحال
وانما امر بكتبة الدين لان ذلك اوثق وامن من النسيان وابعد من الجحود والمعني اذا
تعاملتم بدين مؤجل فاكتبوه والامر للندب وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان المراد به السلم
وقال لما حرم الله الربوا اباح السلم المضمون الي اجل معلوم في كتابه وانزل فيه اطول اية و
فيه دليل علي اشتراط الاجل في السلم وليكتب بينكم بين المتداينين كاتب بالعدل هو متعلق
بكاتب صفة له اي كاتب مامون علي ما يكتب يكتب بالاحتياط ولا يزيد علي ما يجب ان
يكتب ولا ينقص وفيه دليل ان يكون الكاتب فقيها عالما بالشروط حتي يجيء مكتوبه معدلا
بالشرع وهو امر للمتداينين بتخير الكاتب وان لا يستكتبوا الا فقيها عالما دينا حتي يكتب
ما هو متفق عليه ولا يأب كاتب ولا يمتنع واحد من الكتاب ان يكتب كما علمه الله مثل ما
علمه الله كتابة الوثائق لا يبدل ولا يغير وكما متعلق بان يكتب فليكتب تلك الكتابة لا يعدل
عنها وليملل الذي عليه الحق ولا يكون المملي الا من وجب عليه الحق لانه هو المشهود علي
ثباته في ذمته واقراره به فيكون ذلك اقرارا علي نفسه بلسانه والاملال والاملاء لغتان
وليتق الله ربه اي وليتق الذي عليه الدين ربه فلا يمتنع عن الاملاء فيكون جحودا لكل
حقه ولا يبخس منه شيئا ولا ينقص من الحق الذي عليه شيئا في الاملاء فيكون جحودا لبعض حقه
فان كان الذي عليه الحق سفيها اي مجنونا لان السفه خفة في العقل او محجورا عليه لتبذيره

وجهله في التصرف او ضعيفا صبيا او لا يستطيع ان يمل هو لعي به او خرس فليملل وليه اي الذي
يلي امره ويقوم به بالعدل بالصدق والحق واستشهدوا واشهدوا شهيدين واطلبوا ان يشهد لكم
شهيدان على الدين من رجالكم من رجال المؤمنين والحرية والبلوغ شرط مع الاسلام
وشهادة الكفار بعضهم على بعض مقبولة عندنا فان لم يكونا فان لم يكن الشهيدان رجلين
فرجل وامراتان فليشهد رجل وامراتان وشهادة الرجال مع النساء تقبل فيما عدا الحدود
والقصاص ممن ترضون من الشهداء ممن تعرفون عدالتهم وفيه دليل على ان غير المرضي
شاهدا ان تضل احديهما فتذكر احديهما الاخرى لاجل ان تنسى احديهما الشهادة فتذكرها
الاخرى ان تضل احديهما على الشرط فتذكر بالرفع والتشديد حمزة كقوله ومن عاد فينتقم الله
منه فتذكر مكي وبصري من الذكر لا من الذكر ولا ياب الشهداء اذا ما دعوا للاداء الشهادة
او للتحمل لئلا يتوى حقوقهم وسماهم شهداء قبل التحمل تنزيلا لما يشارف منزلة الكائن
فالاول للفرض والثاني للندب ولا تسأموا ولا تملوا قيل سئمت تكاليف الحيوة ومن
يعش ثمانين حولا لا ابالك يسأم والضمير في ان تكتبوه للدين او الحق صغيرا او كبيرا على
اي حال كان الحق من صغر او كبر وفيه دلالة جواز السلم في الثياب لان ما يكال او يوزن لا
يقال فيه الصغير والكبير وانما يقال في الذرعي ويجوز ان يكون الضمير للكتاب اي وان تكتبوه
مختصرا او مشبعا الى اجله الى وقته الذي اتفق الغريمان على تسميته ذلكم اشارة الى ان
تكتبوه لانه في معنى المصدر اي ذلكم الكتب اقسط اعدل من القسط وهو العدل عند الله
ظرف لاقسط واقوم للشهادة واعون على اقامة الشهادة وبني افعل التفضيل اي اقسط
واقوم من اقسط واقام على مذهب سيبويه وادنى ان لا ترتابوا واقرب من انتفاء الريب
للشاهد والحاكم وصاحب الحق فانه قد يقع الشك في المقدار والصفات واذا رجعوا الى
المكتوب زال ذلك والف ادنى منقلبة من واو لانه من الدنو الا ان تكون تجارة حاضرة
عاصم اي الا ان تكون التجارة تجارة او الا ان تكون المعاملة تجارة حاضرة غيره تجارة حاضرة
على كان التامة اي الا ان يقع تجارة حاضرة او هي ناقصة والاسم تجارة حاضرة والخبر تديرونها
وقوله بينكم ظرف لتديرونها ومعنى ادارتها بينهم تعاطيها يدا بيد فليس عليكم جناح ان

لا تكتبوها

لا تكتبوها يعني الا ان تتبايعوا بيعا ناجزا يدا بيد فلا باس ان لا تكتبوه لانه لا يتوهم فيه ما يتوهم
في التداين واشهدوا اذا تبايعتم امر بالاشهاد على التبايع مطلقا ناجزا او كاليا لانه احوط
وابعد من وقوع الاختلاف او اريد به واشهدوا اذا تبايعتم هذا التبايع يعني التجارة
الحاضرة على ان الاشهاد كاف فيه دون الكتابة والامر للندب ولا يضار كاتب ولا شهيد
يحتمل البناء للفاعل لقراءة عمر رضي الله عنه ولا يضارر وللمفعول لقراءة ابن عباس رضي الله
عنهما ولا يضارر والمعنى نهي الكاتب والشهيد عن ترك الاجابة الى ما يطلب منهما وعن التحريف
والزيادة والنقصان او النهي عن الضرار بهما بان يعجلا عن مهم ويلزا او لا يعطى الكاتب حقه
من الجعل او يحمل الشهيد مؤنة مجيئه من بلد وان تفعلوا وان تضاروا فانه فان الضرار
فسوق بكم مأثم واتقوا الله في مخالفة امره ويعلمكم الله شرائع دينه والله بكل شيء عليم
لا يلحقه سهو ولا قصور وان كنتم ايها المتداينون على سفر مسافرين ولم تجدوا كاتبا فرهان
فرهن مكي وابو عمرو اي فالذي يستوثق به رهن وكلاهما جمع رهن كسقف وسقف وبغل وبغال
ورهن في الاصل مصدر سمي به ثم كسر تكسير الاسماء ولما كان السفر مظنة لاعواز الكتب والاشهاد
امر على سبيل الارشاد الى حفظ المال من كان على سفر بان يقيم التوثق بالارتهان مقام التوثق
بالكتب والاشهاد لا ان السفر شرط لتجويز الارتهان وقوله مقبوضة يدل على اشتراط القبض لا
كما زعم مالك ان الرهن يصح بالايجاب والقبول بدون القبض فان امن بعضكم فان امن بعض
الدائنين بعض المديونين بحسن ظنه به فلم يتوثق بالكتابة والشهود والرهن فليؤد
الذي اؤتمن امانته دينه واؤتمن افتعل من الامن وهو حث المديون على ان يكون عند ظن
الدائن به وامنه منه وايتمانه له ان يؤدي اليه الحق الذي ائتمنه عليه فلم يرتهن منه
وسمى الدين امانة وهو مضمون لايتمانه عليه بترك الارتهان منه وليتق الله ربه في
انكار حقه ولا تكتموا الشهادة هذا خطاب للشهود ومن يكتمها فانه آثم قلبه ارتفع قلبه
بآثم على الفاعلية كانه قيل فانه يأثم قلبه او بالابتداء وآثم خبر مقدم والجملة خبر ان وانما
اسند الى القلب والجملة هي الآثمة لا القلب وحده لان كتمان الشهادة ان يضمرها في القلب
ولا يتكلم بها فلما كان اثما مقترفا بالقلب اسند اليه لان اسناد الفعل الى الجارحة التي يعمل بها

ابلغ كما تقول هذا مما ابصرته عيني ومما سمعته اذني ومما عرفه قلبي ولان القلب رئيس الاعضاء
والمضغة التي ان صلحت صلح الجسد كله وان فسدت فسد الجسد كله فكانه قيل فقد تمكن
الاثم في اصل نفسه وملك اشرف مكان منه ولان افعال القلوب اعظم من افعال سائر الجوارح
الا يرى ان اصل الحسنات والسيئات الايمان والكفر وهما من افعال القلوب واذا جعل كتمان
الشهادة من آثام القلوب فقد شهد له بانه من معاظم الذنوب وعن ابن عباس رضي الله عنهما
اكبر الكبائر الاشراك بالله وشهادة الزور وكتمان الشهادة والله بما تعملون من كتمان
الشهادة واظهارها عليم لا يخفى عليه لله ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا وان
تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يعني من السوء يحاسبكم به الله يكافئكم ويجازكم ولا
تدخل الوساوس وحديث النفس فيما يخفيه الانسان لان ذلك مما ليس في وسعه الخلو
منه ولكن يدخل ما اعتقده وعزم عليه والحاصل ان عزم الكفر كفر وخطرة الذنوب من
غير عزم معفوة وعزم الذنوب اذا ندم عليه ورجع عنه واستغفر منه مغفور فاما
اذا هم بسيئة وهو ثابت على ذلك الا انه منع عنه بمانع لا باختياره فانه لا يعاقب على ذلك
عقوبة عزم الزنا قيل لا لقوله عليه الصلوة والسلام ان الله تعالى عفا عن امتي ما حدثت به
انفسهم ما لم تعمل او تتكلم به والجمهور على ان الحديث في الخطرة دون العزم وان المواخذة
في العزم ثابتة واليه مال الشيخ ابو منصور وشمس الائمة الحلوائي رحمهما الله والدليل
عليه قوله تعالى ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة الآية وعن عائشة رض ما هم العبد
بالمعصية من غير عمل يعاقب على ذلك بما يلحقه من الهم والحزن في الدنيا وفي اكثر التفاسير
انه لما نزلت هذه الآية جزعت الصحابة رض وقالوا انؤاخذ بكل ما حدثت به انفسنا فنزل
قوله آمن الرسول الى قوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت
فتعلق ذلك بالكسب دون العزم وفي بعضها انها نسخت بهذه الآية والمحققون على ان
النسخ يكون في الاحكام لا في الاخبار فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء برفعهما شامي
وعاصم اي فهو يغفر ويعذب وبجزمهما غيرهم عطفا على جواب الشرط وبالادغام ابو عمرو
كذا في الاشارة والبشارة وقال صاحب الكشاف مدغم الراء في اللام لاحن مخطي لان الراء

حرف مكرر فصير بمنزلة المضاعف ولا يجوز ادغام المضاعف وراويه عن ابي عمرو مخطي
مرتين لانه يلحن وينسب الى اعلم الناس بالعربية ما يوذن بجهل عظيم والله على كل شيء من المغفرة
والتعذيب وغيرهما قدير قادر آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون ان عطف المؤمنون
على الرسول كان الضمير الذي التنوين نايب عنه في كل راجعا الى الرسول والمؤمنين اي كلهم
آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ووقف عليه وان كان مبتدأ كان كل مبتدأ ثانيا والتقدير
كل منهم وآمن خبر المبتدأ الثاني والجملة خبر الاول وكان الضمير للمؤمنين ووحد ضمير
كل في آمن على معنى كل واحد منهم آمن وكتابه حمزة وعلي يعني القرآن او الجنس لا نفرق اي
يقولون لا نفرق بل نؤمن بالكل بين احد من رسله احد في معنى الجمع ولذا دخل عليه بين
وهو لا يدخل الا على اسم يدل على اكثر من واحد تقول المال بين القوم ولا تقول المال بين زيد
وقالوا سمعنا اجبنا قولك واطعنا امرك غفرانك ربنا اي اغفر لنا غفرانك فهو منصوب
بفعل مضمر واليك المصير المرجع وفيه اقرار بالبعث والجزاء والآية تدل على بطلان الاعمال
في الايمان وعلى بقاء الايمان لمرتكب الكبائر لا يكلف الله نفسا محكي عنهم او مستانف الا وسعها
الا طاقتها وقدرتها لان التكليف لا يرد الا بفعل يقدر عليه المكلف كذا في شرح التاويلات
وقال صاحب الكشاف الوسع ما يسع الانسان ولا يضيق عليه ولا يحرج فيه اي لا يكلفها
الا ما يتسع فيه طوقه ويتيسر عليه دون مدى الطاقة والمجهود فقد كان في طاقة الانسان
ان يصلي اكثر من الخمس ويصوم اكثر من الشهر ويحج اكثر من حجة لها ما كسبت وعليها
ما اكتسبت ينفعها ما كسبت من خير ويضرها ما اكتسبت من شر وخص الخير
بالكسب والشر بالاكتساب لان الافتعال للانكماش والنفس تنكمش في الشر وتتكلف الخير
ربنا لا تواخذنا ان نسينا تركنا امرا من اوامرك سهوا او اخطانا ودل هذا على جواز المواخذة
في النسيان والخطاء خلافا للمعتزلة لامكان التحرز عنهما في الجملة ولولا جواز المواخذة
بهما لم يكن للسوال معنى ربنا ولا تحمل علينا اصرا عبئا ياصر حامله اي يحبسه مكانه لا يستقل
به لثقله استعير للتكليف الشاق من نحو قتل الانفس وقطع موضع النجاسة من الجلد
والثوب وغير ذلك كما حملته على الذين من قبلنا كاليهود ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به

وقد نطق النص بانتفائهما حيث قال صلى الله عليه وآله وسلم
رفع عن امتي الخطاء والنسيان وما استكرهوا عليه والمراد
حكم الخطاء والنسيان لان عينهما واقع اجيب بان المرفوع حكم
فعل صدر منه ناسيا ومخطئا والمواخذة انما هي في ترك التثبت
والتحفظ وهو فيه فان قلت قوله لا تواخذنا ان نسينا
او اخطانا يشعر بجواز المواخذة فيما نسي او اخطاء قلت
المعنى لا تواخذنا في ترك التثبت والتحفظ ان وقع ذلك منا

من العقوبات النازلة بمن قبلنا واعف عنا وامح عنا سيآتنا واغفرلنا واستر ذنوبنا وليس
بتكرار فالاول للكبائر والثاني للصغائر وارحمنا بتثقيل ميزاننا مع افلاسنا او الاول من
المسخ والثاني من الخسف والثالث من الغرق انت مولينا سيدنا ونحن عبيدك او
ناصرنا او متولي امورنا فانصرنا على القوم الكافرين فمن حق المولى ان ينصر عبيده في الحديث
من قراء آمن الرسول الى اخره في ليلة كفتاه وفيه من قراءها بعد العشاء الاخيرة اجزاتا
عن قيام الليل ويجوز ان يقال قرات سورة البقرة او قرات البقرة لما روي عن علي رضي الله
خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش وقال بعضهم يكره ذلك بل يقال قرات السورة
التي يذكر فيها البقرة

سورة آل عمران مدنية وهي مايتان آية بسم الله الرحمن الرحيم

الم الله حركت الميم لالتقاء الساكنين اعني سكونها وسكون لام الله وفتحت لخفة الفتحة ولم
تكسر للياء وكسر الميم قبلها تحاميا عن توالي الكسرات وليس فتح الميم لسكونها وسكون ياء
قبلها اذ لو كان كذلك لوجب فتحها في حم ولا يصح ان يقال ان فتح الميم هو فتحة همزة الله
نقلت الى الميم لان تلك الهمزة همزة وصل تسقط في الدرج وتسقط معها حركتها ولو جاز نقل
حركتها الجاز اثباتها واثباتها غير جائز واسكن يزيد والاعشى الميم وقطعا الالف والباقون
بوصل الالف وفتح الميم والله مبتدا لا اله الا هو خبره وخبر لا مضمر والتقدير لا اله في
الوجود الا هو وهو في موضع الرفع بدل من موضع لا واسمه الحي القيوم خبر مبتدا اي
هو الحي او بدل من هو والقيوم فيعول من قام وهو القايم بالقسط والقايم على كل نفس
بما كسبت نزل اي هو نزل عليك الكتاب القرآن بالحق حال اي نزله حقا ثابتا مصدقا لما بين
يديه لما قبله وانزل التورية والانجيل هما اسمان اعجميان وتكلف اشتقاقهما من الوري
والنجل ووزنهما بتفعلة وافعيل انما يصح بعد كونهما عربيين وانما قيل نزل الكتاب وانزل
التورية والانجيل لان القرآن نزل منجما ونزل الكتابان جملة من قبل من قبل القرآن هدى للناس
لقوم موسى وعيسى او لجميع الناس وانزل الفرقان اي جنس الكتب لان الكل يفرق بين الحق
والباطل او الزبور او كرر ذكر القرآن بما هو نعت له تفخيما لشانه ان الذين كفروا بآيات الله
من كتبه المنزلة وغيرها لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام ذو عقوبة شديدة

لا يقدر على مثلها منتقم ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء اي في العالم فعبر عنه بالسماء
والارض اي هو مطلع على كفر من كفر وايمان من آمن وهو مجازيهم عليه هو الذي يصوركم في
الارحام كيف يشاء من الصور المختلفة لا اله الا هو العزيز في سلطانه الحكيم في تدبيره روي
انه قدم وفد نجران وهم ستون راكبا اميرهم العاقب وعمدتهم السيد واسقفهم وحبرهم
ابو حارثة خاصموا في ان عيسى ان لم يكن ولد الله فمن ابوه فقال عليه الصلوة والسلام الستم
تعلمون انه لا ولد الا وهو يشبه اباه قالوا بلى قال الم تعلموا ان الله حي لا يموت وعيسى يموت
وان ربنا قيم على العباد يحفظهم ويرزقهم وعيسى لا يقدر على ذلك وانه لا يخفى عليه شيء
في الارض ولا في السماء وعيسى لا يعلم الا ما علم وانه صور عيسى في الرحم كيف شاء فحملته امه
ووضعته وارضعته وكان ياكل ويحدث وربنا منزه عن ذلك كله فانقطعوا فنزل فيهم صدر
سورة آل عمران الى بضع وثمانين آية هو الذي انزل عليك الكتاب القرآن منه من الكتاب
آيات محكمات احكمت عبارتها بان حفظت من الاحتمال والاشتباه هن ام الكتاب اصل
الكتاب تحمل المتشابهات عليها وترد اليها واخر وآيات اخر متشابهات مشتبهات محتملات
ومثال ذلك الرحمن على العرش استوى والاستواء يكون بمعنى الجلوس وبمعنى القدرة
والاستيلاء ولا يجوز الاول على الله تعالى بدليل المحكم وهو قوله ليس كمثله شيء او المحكم ما امر
الله به في كل كتاب انزله نحو قوله تعالى قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الآيات وقضى ربك
ان لا تعبدوا الا اياه الآيات والمتشابه ما وراءه او ما لا يحتمل الا وجها واحدا وما احتمل اوجها
او ما يعلم تاويله وما لا يعلم تاويله او الناسخ الذي يعمل به والمنسوخ الذي لا يعمل به
وانما لم يكن كل القرآن محكما لما في المتشابه من الابتلاء به والتمييز بين الثابت على الحق
المتزلزل فيه ولما في تقادح العلماء واتعابهم القرائح في استخراج معانيه ورده الى المحكم
من الفوائد الجليلة والعلوم الجمة ونيل الدرجات عند الله فاما الذين في قلوبهم زيغ
ميل عن الحق وهم اهل البدع فيتبعون ما تشابه منه فيتعلقون بالمتشابه الذي يحتمل ما
يذهب اليه المبتدع مما لا يطابق المحكم ويحتمل ما يطابقه من قول اهل الحق ابتغاء الفتنة طلب
ان يفتنوا الناس عن دينهم ويضلوهم وابتغاء تاويله لا يهتدى الى تاويله الحق الذي

وطلب ان يأولوه التاويل الذي يشتهونه وما يعلم تاويله الا الله لا يهتدي الى تاويله الحق الذي
يجب ان يحمل عليه الا الله والراسخون في العلم والذين رسخوا اي ثبتوا فيه وتمكنوا وعضوا
فيه بضرس قاطع مستانف عند الجمهور والوقف عندهم على قوله الا الله وفسروا المتشابه
بما استاثر الله بعلمه وهو مبتداء عندهم والخبر يقولون آمنا به وهو ثناء منه تعالى عليهم
بالايمان على التسليم واعتقاد الحقية بلا تكييف وفايدة انزال المتشابه الايمان به واعتقاد حقية
ما اراد الله به ومعرفة قصور افهام البشر عن الوقوف على ما لم يجعل لهم اليه سبيلا ويعضده
قراءة ابي ويقول الراسخون وعبد الله ان تاويله الا عند الله ومنهم من لا يقف عليه ويقول
بان الراسخين في العلم يعلمون المتشابه ويقولون كلام مستانف موضح لحال الراسخين يعني
هؤلاء العالمون بالتاويل يقولون آمنا به اي بالمتشابه او بالكتاب كل من متشابهه ومحكمه
من عند ربنا من عند الله الحكيم الذي لا يتناقض كلامه وما يذكر وما يتعظ واصله يتذكر
الا اولوا الالباب اصحاب العقول وهو مدح للراسخين بالقاء الذهن وحسن التامل و
قيل يقولون حال من الراسخين ربنا لا تزغ قلوبنا لا تملها عن الحق بخلق الميل في القلوب
بعد اذ هديتنا للعمل بالمحكم والتسليم للمتشابه وهب لنا من لدنك رحمة من عندك نعمة
بالتوفيق والتثبيت انك انت الوهاب كثير الهبة والآية من مقول الراسخين ويحتمل
الاستيناف اي قولوا وكذا التي بعدها وهي ربنا انك جامع الناس ليوم يجمعهم لحساب
يوم او لجزاء يوم لا ريب فيه لا شك في وقوعه ان الله لا يخلف الميعاد الموعد والمعنى
ان الالهية تنافي خلف الميعاد كقولك ان الجواد لا يخيب سائله اي لا يخلف ما وعد المسلمين
والكافرين من الثواب والعقاب ان الذين كفروا برسول الله لن تغني تنفع او تدفع عنهم
اموالهم ولا اولادهم من الله من عذابه شيئا من الاغناء واولئك هم وقود النار
حطبها كداب آل فرعون والذين من قبلهم الداب مصدر داب في العمل اذا كدح فيه فوضع
موضع ما عليه الانسان من شانه وحاله والكاف مرفوع المحل تقديره داب هؤلاء الكفرة
في تكذيب الحق كداب من قبلهم من آل فرعون وغيرهم او منصوب المحل بلن تغني اي لن
تغني عنهم مثل ما لم تغن عن اولئك كذاب بالهمزة حيث كان ابو عمرو كذبوا باياتنا تفسير

لدابهم ما فعلوا وفعل بهم على انه جواب سؤال مقدر عن حالهم ويجوز ان يكون حالا اي قد
كذبوا فاخذهم الله بذنوبهم بسبب ذنوبهم يقال اخذته بكذا اي جازيته عليه والله شديد
العقاب شديد عقابه فالاضافة غير محضة قل للذين كفروا هم مشركوا مكة ستغلبون يوم
بدر وتحشرون الى جهنم من الجهنام وهي بير عميقة وبالياء فيهما حمزة وعلي وبئس المهاد
المستقر جهنم قد كان لكم آية الخطاب لمشركي قريش في فئتين التقتا يوم بدر فئة تقاتل
في سبيل الله وهم المؤمنون واخرى وفئة اخرى كافرة يرونهم مثليهم يرى المشركون
المسلمين مثلي عدد المشركين الفين او مثلي عدد المسلمين ستمائة ونيفا وعشرين اراهم
الله تعالى اياهم مع قلتهم اضعافهم ليهابوهم ويجبنوا عن قتالهم ترونهم نافع اي
ترون يا مشركي قريش المسلمين مثلي فئتكم الكافرة او مثلي انفسهم ولا يناقض هذا ما قال
في سورة الانفال ويقللكم في اعينهم لانهم قللوا اولا في اعينهم حتى اجترؤا عليهم فلما
اجتمعوا اكثروا في اعينهم حتى غلبوا فكان التقليل والتكثير في حالتين مختلفتين ونظيره
من المحمول على اختلاف الاحوال فيومئذ لا يسال عن ذنبه انس ولا جان وقفوهم انهم
مسئولون وتقليلهم تارة وتكثيرهم اخرى في اعينهم ابلغ في القدرة واظهار الآية
ومثليهم نصب على الحال لانه من روية العين بدليل قوله راي العين يعني روية ظاهرة
مكشوفة لا لبس فيها والله يؤيد بنصره من يشاء كما ايد اهل بدر بتكثيرهم في عين
العدو ان في ذلك في تكثير القليل لعبرة لعظة لاولي الابصار لذوي البصائر زين للناس
المزين هو الله عند الجمهور للابتلاء لقوله انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ويدل عليه
قراءة مجاهد زين على تسمية الفاعل وعن الحسن الشيطان حب الشهوات الشهوة توقان
النفس الى الشيء جعل الاعيان التي ذكرها شهوات مبالغة في كونها مشتهاة كانه اراد تخسيسها
بتسميتها شهوات اذ الشهوة مسترذلة عند الحكماء مذموم من اتبعها شاهد فيها على نفسه
بالبهيمية من النساء والاماء داخلة فيها والبنين جمع ابن وقد يقع في غير هذا الموضع
على الذكور والاناث وهنا اريد به الذكور فهم المشتهون في الطباع والمعدون للدفاع
والقناطير جمع قنطار وهو المال الكثير قيل ملء مسك ثور او مائة الف دينار ولقد

جاء الاسلام وبمكة مائة رجل قد قنطر والقنطرة المنضد او المدفونة من الذهب والفضة سمي ذهبا
لسرعة ذهابه بالانفاق وفضة لانها تتفرق بالانفاق والفض التفريق والخيل سميت به لاختيالها
في مشيها المسومة المعلمة من السومة وهي العلامة او المرعية من اسام الدابة وسومها او
الانعام هي الازواج الثمانية والحرث الزرع ذلك المذكور متاع الحيوة الدنيا يتمتع بها في
الدنيا والله عنده حسن المآب المرجع ثم زهدهم في الدنيا فقال قل اؤنبئكم بخير من ذلكم
من الذي تقدم للذين اتقوا عند ربهم جنات كلام مستانف فيه دلالة علي بيان ما هو
خير من ذلكم فجنات مبتداء وللذين اتقوا خبره تجري من تحتها الانهار صفة لجنات
ويجوز ان يتعلق اللام بخير واختص المتقين لانهم المنتفعون به ويرتفع جنات علي هو
جنات وتنصره قراءة من قراء جنات بالجر علي البدل من خير خالدين فيها وازواج مطهرة
ورضوان من الله اي رضي الله والله بصير بالعباد عالم باعمالهم فيجازيهم عليها او بصير
بالذين اتقوا وباحوالهم فلذا اعد لهم الجنات الذين يقولون نصب علي المدح او رفع
او جر صفة للمتقين او للعباد ربنا اننا امنا اجابة لدعوتك فاغفر لنا ذنوبنا انجازا
لموعودك وقنا عذاب النار بفضلك الصابرين علي الطاعات والمصائب وهو نصب علي
المدح والصادقين قولا باخبار الحق وفعلا باحكام العمل ونية بامضاء العزم والقانتين
الداعين او المطيعين والمنفقين والمتصدقين والمستغفرين بالاسحار المصلين او
طالبين المغفرة وخص الاسحار لانه وقت اجابة الدعاء لانه وقت الخلوة قال لقمان لابنه
يا بني لا يكون الديك اكيس منك ينادي بالاسحار وانت نائم والواو المتوسطة بين الصفات
للدلالة علي كمالهم في كل واحدة منها او للاشعار بان كل صفة مستقلة بالمدح شهد الله اي
حكم او قال انه اي بانه لا اله الا هو والملائكة بما عاينوا من عظيم قدرته واولوا العلم
اي الانبياء او العلماء قائما بالقسط مقيما للعدل فيما يقسم من الارزاق والاجال ويثيب
ويعاقب وما يامر به عباده من انصاف بعضهم لبعض والعمل علي السوية فيما بينهم و
انتصابه علي انه حال مؤكدة من اسم الله او من هو وانما جاز افراده بنصب الحال دون
المعطوفين عليه ولو قلت جاء زيد وعمرو راكبا لم يجز لعدم الالتباس فانك لو قلت

جاءني زيد وهند راكبا جاز لتميزه بالذكورة او علي المدح وكرر لا اله الا هو للتاكيد العزيز الحكيم
رفع علي الاستيناف اي هو العزيز وليس بوصف لهو لان الضمير لا يوصف يعني انه العزيز الذي
لا يغالب الحكيم الذي لا يعدل عن العدل ان الدين عند الله الاسلام جملة مستانفة ان الدين
علي علي البدل من قوله انه لا اله الا هو اي شهد الله ان الدين عند الله الاسلام قال عليه السلام
من قراء هذه الاية عند منامه خلق الله تعالي منها سبعين الف خلق يستغفرون له الي
يوم القيمة ومن قال بعدها وانا اشهد بما شهد الله به واستودع الله هذه الشهادة وهي
لي وديعة يقول الله تعالي يوم القيمة ان لعبدي عندي عهدا وانا احق من وفي بالعهد
ادخلوا عبدي الجنة وما اختلف الذين اوتوا الكتاب اي اهل الكتاب من اليهود و
النصاري واختلافهم انهم تركوا الاسلام وهو التوحيد فثلثت النصاري وقالت اليهود
عزير ابن الله الا من بعد ما جاءهم العلم انه الحق الذي لا محيد عنه بغيا بينهم اي ما كان ذلك
الاختلاف الا حسدا بينهم وطلبا منهم للرياسة وحظوظ الدنيا واستتباع كل فريق ناسا لا نجع
في الاسلام وقيل هو اختلافهم في نبوة محمد صلي الله عليه وسلم حيث آمن به بعض وكفر به بعض
وقيل هم النصاري واختلافهم في امر عيسي بعد ما جاءهم العلم انه عبد الله ورسوله ومن
يكفر بايات الله بحجج ودلائله فان الله سريع الحساب سريع المجازات فان حاجوك فان
جادلوك في ان دين الله الاسلام والمراد بهم وفد بني نجران عند الجمهور فقل اسلمت وجهي
لله اي اخلصت نفسي وجملتي لله وحده لم اجعل فيها لغيره شريكا بان اعبده وادعوه
الها معه يعني ان ديني دين التوحيد وهو الدين القديم الذي ثبت عندكم صحته كما ثبت
عندي وما جئت بشيء بديع حتي تجادلوني فيه ونحوه قل يا اهل الكتاب تعالوا الي كلمة
سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا فهو دفع للمحاجة بان ما هو عليه
ومن معه من المؤمنين هو اليقين الذي لا شك فيه فما معني المحاجة فيه ومن اتبعن
عطف علي التاء في اسلمت اي اسلمت انا ومن اتبعني وحسن للفاصل ويجوز ان يكون بمعني
مع فيكون مفعولا معه ومن اتبعني في الحالين سهل ويعقوب ووافق ابو عمرو في الوصل
وجهي مدني وشامي وحفص والاعشي والبرجمي وقل للذين اوتوا الكتاب من اليهود

والنصارى والاميين والذين لا كتاب لهم من مشركي العرب ءاسلمتم بهمزتين كوفي يعني انه قد اتاكم
من البينات ما يقتضي حصول الاسلام فهل اسلمتم ام انتم بعد على كفركم وقيل لفظه لفظ الاستفهام
ومعناه الامر اي اسلموا كقوله تعالى فهل انتم منتهون اي انتهوا فان اسلموا فقد اهتدوا فقد
اصابوا الرشد حيث خرجوا من الضلال الى الهدى وان تولوا فانما عليك البلاغ اي لم يضروك
فانك رسول منبه ما عليك الا ان تبلغ الرسالة وتنبه على طريق الهدى والله بصير بالعباد فيجازيهم
على اسلامهم وكفرهم ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين هم اهل الكتاب رضوا
بقتل آبائهم الانبياء بغير حق حال مؤكدة لان قتل النبي لا يكون حقا ويقتلون الذين يامرون و
ويقاتلون حمزة بالقسط بالعدل من الناس اي سوى الانبياء قال عليه الصلوة والسلام قتلت بنو
اسرائيل ثلثة واربعين نبيا من اول النهار في ساعة واحدة فقام مائة واثنا عشر رجلا من عبّاد بني
اسرائيل فامروا قاتليهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعا في آخر النهار من ذلك اليوم فبشرهم
بعذاب اليم دخلت الفاء في خبر ان لتضمن اسمها معنى الجزاء كانه قيل الذين يكفرون فبشرهم بمعنى
من يكفر وهذا لان ان لا تغير معنى الابتداء فهي للتحقيق فكان دخولها كلا دخول ولو كان
مكانها ليت ولعل لامتنع دخول الفاء اولئك الذين حبطت اعمالهم اي ضاعت في الدنيا والآخرة
فلهم اللعنة والخزي في الدنيا والعذاب في الآخرة وما لهم من ناصرين جمع لوفق رؤس الآي ولان
فاو لحد النكرة في النفي يعم الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يريد احبار اليهود وانهم
حصلوا نصيبا وافرا من التورية ومن للتبعيض او للبيان يدعون حال من الذين الى كتاب الله
اي التورية او القرآن ليحكم بينهم جعل حاكما حيث كان سببا للحكم او ليحكم النبي روي انه عليه وعلى آله
الصلوة والسلام دخل مدارسهم فدعاهم فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على اي دين
انت قال على ملة ابراهيم قالا ان ابراهيم كان يهوديا قال لهما ان بيننا وبينكم التورية فهلموا
اليها فابيا ثم يتولى فريق منهم استبعاد لتوليهم بعد علمهم بان الرجوع الى كتاب الله واجب وهم
معرضون وهم قوم لا يزال الاعراض ديدنهم ذلك بانهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات
اي ذلك التولي والاعراض بسبب تسهيلهم على انفسهم امر العقاب وطمعهم في الخروج من النار بعد
ايام قلائل وهي اربعون يوما او سبعة ايام وذلك مبتدا وبانهم خبره وغرهم في دينهم ما

كانوا

كانوا يفترون اي غرهم افتراؤهم على الله وهو قولهم نحن ابناء الله واحباؤه فلا يعذبنا بذنوبنا
الا مدة يسيرة فكيف اذا جمعناهم ليوم فكيف يكون حالهم في ذلك الوقت لا ريب فيه لا شك
فيه ووفيت كل نفس ما كسبت جزاء ما كسبت وهم يرجع الى كل نفس على المعنى لانه في معنى كل الناس
لا يظلمون بزيادة في سيئاتهم ونقصان في حسناتهم قل اللهم الميم عوض من يا ولذا لا يجتمعان
وهذا بعض خصائص هذا الاسم كما اختص بالتاء في القسم وبدخول حرف النداء عليه وفيه لام
التعريف وبقطع همزته في يا الله وبالتفخيم مالك الملك تملك جنس الملك فتصرف فيه تصرف
الملاك فيما يملكون وهو نداء ثان اي يا مالك الملك تؤتي الملك من تشاء تعطي من تشاء
النصيب الذي قسمت له من الملك وتنزع الملك ممن تشاء ان تنزعه فالملك الاول عام والآخران
والملكان الآخران خاصان بعضان من الكل روي انه عليه وآله الصلوة والسلام حين فتح مكة
وعد امته ملك فارس والروم فقال اليهود والمنافقون هيهات هيهات من اين لمحمد
صلى الله عليه وآله وسلم فارس والروم وهم اعز وامنع من ذلك وتعز من تشاء بالملك وتذل
من تشاء بنزعه منه بيدك الخير اي الخير والشر فاكتفى بذكر احد الضدين عن الآخر ولان
الكلام وقع في الخير الذي يسوقه الى المؤمنين وهو الذي انكرته الكفرة فقال بيدك الخير
تؤتيه اولياءك على رغم من اعدائك انك على كل شيء قدير ولا يقدر على شيء احد غيرك
الا باقدارك وقيل المراد بالملك ملك العافية او ملك القناعة قال عليه الصلوة والسلام
ملوك الجنة من امتي القانعون بالقوت يوما فيوما او ملك قيام الليل وعن الشبلي
الاستغناء بالمكون عن الكونين تعز بالمعرفة او بالاستغناء بالمكون او بالقناعة
وتذل باضدادها ثم ذكر قدرته الباهرة بذكر حال الليل والنهار في المعاقبة بينهما وحال
الحي والميت في اخراج احدهما من الآخر وعطف عليه رزقه بغير حساب بقوله تولج الليل
في النهار وتولج النهار في الليل فالايلاج ادخال الشيء في الشيء وهو مجاز هنا اي تنقص
من ساعات النهار وتزيد في ساعات الليل وتخرج الحي من الميت الحيوان من النطفة
او الفرخ من البيضة او المؤمن من الكافر وتخرج الميت من الحي النطفة من الانسان
او البيض من الدجاج او الكافر من المؤمن وترزق من تشاء بغير حساب لا يعرف الخلق

من ساعات الليل وتزيد في النهار وتنقص صح

بالفتح والكسر ماكيان
وخروس رايز الوبند
دجاجة يكي

عدده ومقداره وان كان معلوما عند الله تعالى ليدل على ان من قدر على تلك الافعال العظيمة المحيرة

للافهام ثم قدر ان يرزق بغير حساب من شاء من عباده فهو قادر على ان ينزع الملك من العجم

ويذلهم ويؤتيه العرب ويعزهم وفي بعض الكتب انا الله ملك الملوك ونواصيهم بيدي فان

العباد اطاعوني جعلتهم عليهم رحمة وان العباد عصوني جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشتغلوا

بسب الملوك ولكن توبوا الي اعطفهم عليكم وهو معنى قوله عليه الصلوة والسلام كما تكونوا يولى

عليكم الحي من الميت والميت من الحي بالتشديد حيث جاء مدني وكوفي غير ابي بكر لا يتخذ المؤمنون

الكافرين اولياء نهوا ان يوالوا الكافرين لقرابة بينهم او لصداقة قبل الاسلام او غير ذلك

وقد كرر ذلك في القران والمحبة في الله والبغض في الله باب عظيم في الايمان من دون

المؤمنين ان لكم في موالاة المؤمنين مندوحة عن موالاة الكافرين فلا تؤثروهم عليهم

ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء ومن يوال الكفرة فليس من ولاية الله في شيء لان

موالاة الولي وموالاة عدوه متنافيان الا ان تتقوا منهم تقية الا ان تخافوا من جهتهم

امرا يجب اتقاؤه اي الا ان يكون للكافر عليك سلطان فتخاف على نفسك ومالك فحينئذ

يجوز لك اظهار الموالاة وابطان المعادات ويحذركم الله نفسه اي ذاته فلا تتعرضوا لسخطه

لموالاة اعدائه وهذا وعيد شديد والى الله المصير اي مصيركم اليه والعذاب معد لديه

وهو وعيد آخر قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه من ولاية الكفار او غيرها مما لا يرضي

الله تعالى يعلمه الله ولم يخف عليه وهو ابلغ وعيد ويعلم ما في السموات وما في الارض استيناف

وليس بمعطوف على جواب الشرط اي هو الذي يعلم ما في السموات وما في الارض فلا يخفى عليه

سركم وعلنكم والله على كل شيء قدير فيكون قادرا على عقوبتكم يوم تجد كل نفس ما عملت من

خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا يوم منصوب بتود والضمير

في بينه لليوم اي يوم القيمة حين تجد كل نفس خيرها وشرها حاضرين تتمنى لو ان

بينها وبين ذلك اليوم وهوله امدا بعيدا اي مسافة بعيدة او باذكر ويقع على ما عملت وحده

ويرتفع وما عملت على الابتداء وتود خبره اي والذي عملته من سوء تود هي لو تباعد ما بينها

وبينه ولا يصح ان يكون ما شرطية لارتفاع تود نعم الرفع جائز اذا كان الشرط ماضيا لكن الجزم

هو الكثير ومن المبرد ان الرفع شاذ وكرر قوله ويحذركم الله نفسه ليكون على بال منهم لا يغفلون

عنه والله رؤف بالعباد ومن رافته بهم ان حذرهم نفسه حتى لا يتعرضوا لسخطه ويجوز

ان يريد انه مع كونه محذورا لكمال قدرته مرجو لسعة رحمته كقوله تعالى ان ربك لذو مغفرة

وذو عقاب اليم ونزل حين قال اليهود نحن ابناء الله واحباؤه قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني

يحببكم الله محبة العبد لله تعالى ايثار طاعته على غير ذلك ومحبة الله للعبد ان يرضى عنه ويحمد

فعله وعن الحسن زعم اقوام على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم يحبون الله فاراد

ان يجعل لقولهم تصديقا من عمل فمن ادعى محبته وخالف سنة رسوله فهو كذاب وكتاب الله

يكذبه وقيل محبة الله معرفته ودوام خشيته ودوام اشتغال القلب به وبذكره ودوام الانس

به وقيل هي اتباع النبي صلى الله عليه وآله وسلم في اقواله وافعاله واحواله الا ما خص به وقيل علامة

المحبة ان يكون دائم التفكر كثير الخلوة دائم الصمت لا يبصر اذا نظر ولا يسمع اذا نودي ولا

يحزن اذا اصيب ولا يفرح اذا اصاب ولا يخشى احدا ولا يرجوه ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور

رحيم قل اطيعوا الله والرسول قيل هي علامة المحبة فان تولوا اعرضوا عن قبول الطاعة ويحتمل

ان يكون مضارعا اي فان تتولوا فان الله لا يحب الكافرين اي لا يحبهم ان الله اصطفى اختار ادم

ابا البشر ونوحا شيخ المرسلين وآل ابراهيم اسمعيل واسحاق واولادهما وآل عمران موسى وهرون

هما ابنا عمران بن يصهر وقيل عيسى ومريم بنت عمران بن ثامان وبين عمرانين الف وثمان مائة

سنة على العالمين على عالمي زمانهم ذرية بدل من آل ابراهيم وآل عمران بعضها من بعض مبتداء

وخبر في موضع النصب صفة لذرية يعني ان الآلين ذرية واحدة متسلسلة بعضها منشعب

من بعض موسى وهارون من عمران من يصهر ويصهر من قاهث وقاهث من لاوي ولاوي من

يعقوب ويعقوب من اسحق وكذلك عيسى بن مريم بنت عمران بن ثامان وهو يتصل بيهوذا

بن يعقوب بن اسحق وقد دخل في آل ابراهيم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل بعضها من

بعض في الدين والله سميع عليم يعلم من يصلح للاصطفاء او سميع عليم بقول امراة عمران ونيتها

اذ قالت واذ منصوب به او باضمار اذكر امراة عمران هي امراة عمران بن ثامان ام مريم جدة

عيسى وهي حنة بنت فاقوذا رب اني نذرت لك اوجبت ما في بطني محررا هو حال من ما وهي

يعني الذي اي معتقا لخدمة بيت المقدس لا يد لي عليه ولا استخدمه وكان هذا النوع مشروعا
عندهم او مخلصا للعبادة يقال طين حر اي خالص فتقبل مني مدني وابو عمرو والتقبل اخذ الشيء
على الرضى به انك انت السميع العليم فلما وضعتها الضمير لما في بطني وانما انث على تاويل الجبلة
او النفس او النسمة قالت رب اني وضعتها انثى حال من الضمير في وضعتها اي وضعت الجبلة
او النفس او النسمة انثى وانما قالت هذا القول لان التحرير لم يكن الا للغلمان فاعتذرت عما
نذرت وتحزنت الى ربها ولتكلمها بذلك على وجه التحزن والتحسر قال الله تعالى والله
اعلم بما وضعت تعظيما لموضوعها والله اعلم بالشيء الذي وضعت وما علق به من عظائم
الامور ووضعت شامي وابو بكر بمعنى ولعل لله فيه سرا وحكمة وعلى هذا يكون داخلا في
القول وعلى الاول لا يوقف عند قوله انثى وقوله والله اعلم بما وضعت ابتداء اخبار من الله تع
وليس الذكر الذي طلبت كالانثى التي وهبت لها واللام فيهما للعهد واني سميتها مريم معطوف
على اني وضعتها انثى وما بينهما جملتان معترضتان وانما ذكرت تسميتها مريم لربها لان مريم في لغتهم
العابدة فارادت بذلك التقرب والطلب اليه وان يعصمها حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها
وان يصدق فيها ظنها بها الا ترى كيف اتبعته طلب الاعاذة لها ولولدها من الشيطان بقوله
واني اعيذها بك اجيرها وذريتها اولادها من الشيطان الرجيم الملعون في الحديث
ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا من مس الشيطان اياه
الا مريم وابنها فتقبلها ربها قبل الله مريم ورضي بها في النذر مكان الذكر بقبول حسن وقيل
القبول اسم ما يقبل به الشيء كالسعوط لما يسعط به وهو اختصاصه لها باقامتها مقام
الذكر في النذر ولم تقبل قبلها انثى في ذلك او بان تسلمها من امها عقيب الولادة قبل ان تنشأ
وتصلح للسدانة وروي ان حنة حين ولدت مريم لفتها في خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها
عند الاحبار ابناء هارون وهم في بيت المقدس كالحجبة في الكعبة فقالت لهم دونكم هذه
النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم وكان بنو ماثان رؤس
بني اسرائيل واحبارهم فقال لهم زكريا انا احق بها عندي خالتها فقالوا لا حتى نقترع عليها
فانطلقوا وكانوا سبعة وعشرين الى نهر فالقوا فيه اقلامهم فارتفع قلم زكريا فوق الماء

وربيت اقلامهم فتكفلها وقيل هو مصدر على تقدير حذف المضاف اي فتقبلها بذي قبول حسن
اي بامر ذي قبول حسن وهو الاختصاص وانبتها نباتا حسنا مجاز عن التربية الحسنة قال ابن
عطاء ما كانت ثمرته مثل عيسى فذاك احسن النبات ونباتا مصدر على خلاف الصدر او التقدير
فنبتت نباتا وكفلها قبلها او ضمن القيام بامرها وكفلها كوفي اي كفلها الله زكريا يعني جعله
كافلا لها وضامنا لمصالحها زكريا بالقصر كوفي غير ابي بكر في كل القرآن وقرأ ابو بكر بالمد والنصب
هنا وغيرهم بالمد والرفع كالثانية والثالثة ومعناه في العبري دائم الذكر والتسبيح كلما دخل عليها
زكريا المحراب قيل بنى لها زكريا محرابا في المسجد اي غرفة يصعد اليها بسلم وقيل المحراب اشرف
المجالس ومقدمها كانها وضعت في اشرف موضع من بيت المقدس وقيل كانت مساجدهم
تسمى المحاريب وكان لا يدخل عليها الا هو وحده وجد عندها رزقا كان رزقها ينزل عليها من
الجنة ولم ترضع ثديا قط فكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء
قال يا مريم انى لك هذا من اين لك هذا الرزق الذي لا يشبه ارزاق الدنيا وهو آت في غير حينه
قالت هو من عند الله فلا تستبعد قيل تكلمت وهي صغيرة كما تكلم عيسى وهو في المهد ان الله
يرزق من يشاء من جملة كلام مريم او من كلام رب العزة بغير حساب بغير تقدير لكثرته او
تفضلا بغير محاسبة ومجازاة على عمل هنالك في ذلك المكان حيث هو قاعد عند مريم في المحراب
او في ذلك الوقت فقد يستعار هنا وحيث وثم للزمان لما رأى حال مريم في كرامتها على الله و
منزلتها وغير ان يكون له من ايشاع ولد مثل ولد اختها حنة في الكرامة على الله وان كانت
عاقرا عجوزا فقد كانت امها كذلك وقيل لما رأى الفاكهة في غير وقتها انتبه على جواز ولادة
العاقر دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة ولدا والذرية يقع على الواحد
والجمع مباركة والتانيث للفظ الذرية انك سميع الدعاء مجيبه فنادته الملائكة قيل ناداه
جبرئيل عليه السلام وانما قيل الملائكة لان المعنى اتاه النداء من هذا الجنس كقولهم فلان يركب
الخيل فناديه بالياء والامالة حمزة وعلي وهو قائم يصلي في المحراب وفيه دليل على ان المرادات
تطلب بالصلوات وفيها اجابة الدعوات وقضاء الحاجات قال ابن عطاء ما فتح الله تعالى على عبد
حالة سنية الا باتباع الاوامر واخلاص الطاعات ولزوم المحاريب ان الله يبشرك بكسر الالف

شاتي وحمزة علي اضمار القول او لان النداء قول الباقون بالفتح اي بان الله يبشرك وما بعده حمزة وعلي من البشر والتخفيف والتشديد لغتان بيحيي هو غير منصرف ان كان اعجميا وهو الظاهر فللتعريف والعجمة كموسي وعيسي وان كان عربيا فللتعريف ووزن الفعل كيعمر مصدقا حال منه بكلمة من الله اي مصدقا بعيسي مؤمنا به فهو اول من آمن به وسمي عيسي كلمة الله لانه تكون بكن بلا اب او مصدقا بكلمة من الله مؤمنا بكتاب منه وسيدا هو الذي يسود قومه اي يفوقهم في الشرف وكان يحيي فائقا علي قومه لانه لم يركب سيئة قط ويالها من سيادة وقال الجنيد رضي الله عنه هو الذي جاد بالكونين عوضا عن المكون وحصورا هو الذي لا يقرب النساء مع القدرة حصرا لنفسه اي منعا لها من الشهوات ونبيا من الصالحين ناشيا من الصالحين لانه كان من اصلاب الانبياء او كائنا من جملة الصالحين قال رب اني يكون لي غلام استبعاد من حيث العادة واستعظام للقدرة لا تشكك وقد بلغني الكبر كقولهم ادركته السن العالية اي اثر في الكبر واضعفني وكان له تسع وتسعون سنة ولامراته ثمان وتسعون سنة وامراتي عاقر لا تلد قال كذلك الله يفعل ما يشاء من الافعال العجيبة قال رب اجعل لي آية علامة اعرف بها الحبل لا تلقي النعمة بالشكر اذا جاءت قال آيتك الا تكلم الناس ان لا تقدر علي تكليم الناس ثلثة ايام الا رمزا الا اشارة بيد او راس او عين او حاجب واصله التحرك يقال ارتمز اذا تحرك واستثني الرمز وهو ليس من جنس الكلام لانه لما ادي مؤدي الكلام وفهم منه ما يفهم منه سمي كلاما او هو استثناء منقطع وانما خص تكليم الناس ليعلمه انه يحبس لسانه عن القدرة علي تكليمهم خاصة مع ابقاء قدرته علي التكليم بذكر الله تعالي ولذا قال واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار اي في ايام عجزك عن تكليم الناس وهي من الآيات الباهرة والادلة الظاهرة وانما حبس لسانه عن كلام الناس ليخلص المدة لذكر الله لا يشغل لسانه بغيره كانه لما طلب الآية من اجل الشكر قيل له آيتك ان تحبس لسانك الا عن الشكر واحسن الجواب ما كان مشتقا من السؤال والعشي من حين الزوال الي الغروب والابكار من طلوع الفجر الي وقت الضحي واذ عطف علي اذ قالت امراة عمران او التقدير واذكر اذ قالت الملائكة يا مريم روي انهم كلموها شفاها ان الله اصطفيك اولا حين تقبلك من امك ورباك واختصك

بالكرامة

بالكرامة السنية وطهرك مما يستقذر من الافعال واصطفيك آخرا علي نساء العالمين بان وهب لك عيسي من غير اب ولم يكن ذلك لاحد من النساء يا مريم اقنتي لربك اديمي الطاعة او اطيلي قيام الصلوة واسجدي وقيل امرت بالصلوة بذكر القنوت والسجود لكونهما من هيآت الصلوة ثم قيل لها واركعي مع الراكعين اي ولتكن صلوتك مع المصلين اي في الجماعة او وانظمي نفسك في جملة المصلين وكوني في عدادهم ولا تكوني في عداد غيرهم ذلك اشارة الي ما سبق من قصة حنة وزكريا ويحيي ومريم من انباء الغيب نوحيه اليك يعني ان ذلك من الغيوب التي لم تعرفها الا بالوحي وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم ازلامهم وهي قداحهم التي طرحوها في النهر مقترعين او هي الاقلام التي كانوا يكتبون التورية بها اختاروها للقرعة تبركا بها ايهم يكفل مريم متعلق بمحذوف دل عليه يلقون كانه قيل يلقونها ينظرون ايهم يكفل او ليعلموا او يقولون وما كنت لديهم اذ يختصمون في شانها تنافسا في التكفل بها اذ قالت الملائكة اي اذكر يا مريم ان الله يبشرك بكلمة اي بعيسي منه في موضع جر صفة كلمة اسمه مبتداء وذكر ضمير الكلمة لان المسمي بها مذكر المسيح خبره والجملة في موضع جر صفة لكلمة والمسيح لقب من الالقاب المشرفة كالصديق والفاروق واصله مشيحا بالعبرانية ومعناه المبارك كقوله تعالي وجعلني مباركا اينما كنت وقيل سمي مسيحا لانه كان يمسح ذا العاهة الابراء او لانه يمسح الارض بالسياحة لا يستوطن مكانا عيسي بدل من المسيح ابن مريم خبر مبتداء محذوف اي هو ابن مريم ولا يجوز ان يكون صفة لعيسي لان اسمه عيسي فحسب وليس اسمه عيسي ابن مريم وانما قال ابن مريم اعلاما لها انه يولد من غير اب فلا ينسب الا الي امه وجيها ذا جاه وقدر في الدنيا بالنبوة والطاعة والآخرة بعلو الدرجة والشفاعة ومن المقربين برفعه الي السماء وقوله وجيها حال من كلمة لكونها موصوفة وكذا ومن المقربين اي وثابتا من المقربين وكذا ويكلم الناس اي ويكلم الناس في المهد حال من الضمير في يكلم اي ثابتا في المهد وهو ما يمهد للصبي من مضجعه سمي بالمصدر وكهلا عطف عليه اي ويكلم الناس طفلا وكهلا يعني يكلم الناس في هاتين الحالتين كلام الانبياء من غير تفاوت بين حال الطفولية وحال الكهولة التي يستحكم فيها العقل ويستنبأ فيها الانبياء ومن الصالحين حال ايضا والتقدير يبشرك به موصوفا بهذه الصفات قالت رب اني يكون لي

ولد ولم يمسني بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء اذا قضي امرا فانما يقول له كن فيكون اي اذا قدر
تكون شي كونه من غير تاخير لكنه عبر بقوله كن اخبارا من سرعة تكون الاشياء بتكوينه و
يعلمه مدني وعاصم وموضعه حال معطوفة علي وجيها الباقون بالنون علي انه كلام مبتدأ
الكتاب اي الكتابة فكان احسن الناس خطا في زمانه وقيل كتب الله والحكمة بيان الحلال و
الحرام او الكتاب اي الخط باليد والحكمة البيان باللسان والتورية والانجيل ورسولا اي ونجعله
رسولا ويكون في موضع الحال اي وجيها في الدنيا والآخرة ورسولا الي بني اسرائيل اني باني
قد جيتكم باية من ربكم بدلالة تدل علي صدقي فيما ادعيه من النبوة اني اخلق لكم نصب بدل
من اني قد جيتكم او جر بدل من آية او رفع علي هي اني اخلق لكم اي اني نافع علي الاستيناف من
الطين كهيئة الطير اي اقدر لكم شيا مثل صورة الطير فانفخ فيه الضمير للكاف اي في ذلك
الشي المماثل لهيئة الطير فيكون طيرا فيصير طيرا كسائر الطيور طائرا مدني باذن الله بامره
قيل لم يخلق غير الخفاش وابرئ الاكمه الذي ولد اعمي والابرص واحي الموتي باذن الله كرر
باذن الله دفعا لوهم من توهم فيه الالوهية وروي انه احيي سام بن نوح وهم ينظرون
فقالوا هذا سحر فارنا آية فقال يا فلان اكلت كذا ويا فلان خبي لك كذا وهو قوله وانبئكم
بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم وما فيهما بمعني الذي او مصدرية ان في ذلك فيما سبق لاية
لكم ان كنتم مومنين ومصدقا لما بين يدي من التورية اي قد جيتكم باية وجيتكم مصدقا
ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم رد علي قوله باية من ربكم اي جيتكم باية ولاحل لكم ما
حرم الله عليكم في شريعة موسي عليه السلام الشحوم ولحوم الابل والسمك وكل ذي ظفر فاحل
لهم عيسي بعض ذلك وجيتكم باية من ربكم كرر للتاكيد فاتقوا الله في تكذيبي وخلافي و
اطيعون في امري ان الله ربي وربكم اقرارا بالعبودية ونفي للربوبية عن نفسه بخلاف
ما يزعم النصاري فاعبدوه دوني هذا صراط مستقيم يؤدي صاحبه الي النعيم المقيم فلما
احس عيسي منهم الكفر علم من اليهود كفرا علما لا شبهة فيه كعلم ما يدرك بالحواس قال من
انصاري مدني وهو جمع ناصر كاصحاب او جمع نصير كاشراف الي الله متعلق بمحذوف
حالا من الياء اي من انصاري ذاهبا الي الله ملتجيا اليه قال الحواريون حواري الرجل صفوته

وخلاصته

8

وخلاصته نحن انصار الله اعوان دينه آمنا بالله واشهد يا عيسي بانا مسلمون انما طلبوا شهادته باسلامهم
تاكيدا لايمانهم لان الرسل يشهدون يوم القيمة لقومهم وعليهم وفيه دليل علي ان الايمان والاسلام
واحد ربنا آمنا بما انزلت واتبعنا الرسول اي رسولك عيسي فاكتبنا مع الشاهدين مع الانبياء
الذين يشهدون لك بالوحدانية او مع امة محمد صلي الله عليه وآله وسلم لانهم شهداء يشهدون
علي الناس ومكروا اي كفار بني اسرائيل الذين احس منهم الكفر حين ارادوا قتله وصلبه ومكر الله
اي جازاهم علي مكرهم بان رفع عيسي الي السماء والقي شبهه علي من اراد اغتياله حتي قتل ولا يجوز
اضافة المكر الي الله تعالي الا علي معني الجزاء لانه مذموم عند الخلق وعلي هذا الخداع والاستهزاء
كذا في شرح التاويلات والله خير الماكرين اقوي المجازين واقدرهم علي العقاب من حيث
لا يشعر المعاقب اذ قال الله ظرف لمكر الله يا عيسي اني متوفيك اي متوفي اجلك ومعناه
اني عاصمك من ان يقتلك الكفار ومميتك حتف انفك لا قتلا بايديهم ورافعك الي الي سمائي
ومقر ملائكتي ومطهرك من الذين كفروا من سوء جوارهم وخبث صحبتهم وقيل متوفيك
قابضك من الارض من توفيت مالي علي فلان اذا استوفيته او مميتك في وقتك بعد النزول
من السماء ورافعك الآن اذ الواو لا يوجب الترتيب قال النبي صلي الله عليه وسلم ينزل عيسي
خليفة علي امتي يدق الصليب ويقتل الخنازير ويلبث اربعين سنة ويتزوج ويولد له ثم
يتوفي وكيف تهلك امة انا في اولها وعيسي في آخرها والمهدي من اهل بيتي في وسطها او
متوفي نفسك بالنوم ورافعك وانت نائم حتي لا يلحقك خوف وتستيقظ وانت في السماء
آمن مقرب وجاعل الذين اتبعوك اي المسلمين لانهم متبعوه في اصل الاسلام وان اختلف
الشرائع دون الذين كذبوه وكذبوا عليه من اليهود والنصاري فوق الذين كفروا الي
يوم القيمة يعلونهم بالحجة وفي اكثر الاحوال بها وبالسيف ثم الي مرجعكم في الآخرة فاحكم
بينكم فيما كنتم فيه تختلفون فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والآخرة وما لهم
من ناصرين واما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فنوفيهم اجورهم والله لا يحب الظالمين
وتفسير الحكم هاتان الآيتان فيوفيهم حفص ذلك اشارة الي ما سبق من نبا عيسي وغيره
وهو مبتدا نتلوه عليك خبره من الآيات خبر بعد خبر او خبر مبتدا محذوف والذكر

لانهم اولوا [illegible] الذين يشهدون [illegible]

الحكيم القرآن الحكيم يعني المحكم او كانه ينطق بالحكمة لكثرة حكمه ونزل لما قال وفد بني نجران هل رايت
ولدا بلا اب ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم اي ان شان عيسى وحاله الغريبة كشان آدم خلقه من
تراب قدره جسدا من طين وهي جملة مفسرة لماله شبه عيسى بآدم ولا موضع لها اي خلق آدم
من تراب ولم يكن ثم اب ولا ام فكذلك حال عيسى مع ان الوجود من غير اب وام فشبه الغريب
بالاغرب ليكون اقطع للخصم واحسم لمادة شبهته اذا نظر فيما هو اغرب مما استغربه وعن بعض
العلماء انه اسر بالروم فقال لهم لم تعبدون عيسى قالوا لانه لا اب له قال فآدم اولى لانه لا ابوين
له قالوا كان يحيي الموتى قال فحزقيل اولى لان عيسى احيي اربعة نفر وحزقيل ثمانية آلاف فقالوا
كان يبرئ الاكمه والابرص قال فجرجيس اولى لانه طبخ واحرق ثم قام سالما ثم قال له كن اي
انشاءه بشرا فيكون اي فكان وهو حكاية حال ماضية ثم لترتيب الخبر على الخبر لا لترتيب المخبر عنه
الحق من ربك خبر مبتدا محذوف اي هو الحق فلا تكن ايها السامع من الممترين الشاكين ويحتمل
ان يكون الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ويكون من باب التهييج لزيادة الثبات لانه عليه السلام
معصوم من الامتراء فمن حاجك من النصارى فيه في عيسى من بعد ما جاءك من العلم من البينات
الموجبة للعلم وما بمعنى الذي فقل تعالوا هلموا والمراد المجيء بالعزم والراي كما تقول تعال
تفكر في هذه المسالة ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم اي يدع كل
مني ومنكم ابناءه ونساءه ونفسه الى المباهلة ثم نبتهل ثم نتباهل بان نقول بهلة الله على الكاذب
منا ومنكم والبهلة بالفتح والضم اللعنة وبهله الله اي لعنه وابعده من رحمته واصل
الابتهال هذا ثم يستعمل في كل دعاء يجتهد فيه وان لم يكن التعانا وروي انه لما دعا الى المباهلة
قالوا حتى ننظر فقال العاقب وكان ذا رايهم والله لقد عرفتم يا معشر النصارى ان محمدا نبي
مرسل وما باهل قوم نبيا قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ولئن فعلتم لتهلكن فان ابيتم
الا الف دينكم فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم فاتوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد غدا
محتضنا الحسين آخذا بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها وهو يقول اذا انا دعوت
فامنوا فقال اسقف نجران يا معشر النصارى اني لارى وجوها لو سالوا الله ان يزيل جبلا
من مكانه لازاله بها فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الارض نصراني فقالوا يا ابا القاسم

اغرب واخرق للعادة من الوجود من غير اب

التهييج

لمن

رأينا ان لا نباهلك فصالحهم على الفي حلة كل سنة فقال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ان
الهلاك قد تدلى على اهل نجران ولو لا عنوا لمسخوا قردة وخنازير وانما ضم الابناء والنساء
وان كانت المباهلة يختص به وبمن يكاذبه لان ذلك آكد في الدلالة على ثقته بحاله واستيقانه
بصدقه حيث استجراء على تعريض اعزته وافلاذ كبده لذلك ولم يقتصر على تعريض نفسه له
وعلى ثقته بكذب خصمه حتى يهلك خصمه مع احبته واعزته ان تمت المباهلة وخص الابناء و
النساء لانهم اعز الاهل والصقهم بالقلوب وقدمهم في الذكر على الانفس ليبنه على قرب مكانهم و
منزلتهم وفيه دليل واضح على صحة نبوة النبي صلى الله عليه وسلم لانه لم يرو احد من موافق او
مخالف انهم اجابوا الى ذلك فنجعل لعنة الله على الكاذبين منا ومنكم في شان عيسى ونبتهل
ونجعل معطوفان على ندع ان هذا الذي قص عليك من نبا عيسى لهو القصص الحق هو فصل
بين اسم ان وخبرها او مبتداء والقصص الحق خبره والجملة خبر ان وجاز دخول اللام على الفصل
لانه اذا جاز دخولها على الخبر كان دخولها على الفصل اجوز لانه اقرب الى المبتداء منه واصلها
ان تدخل على المبتداء ومن في وما من اله الا الله بمنزلة البناء على الفتح في لا اله الا الله في
افادة معنى الاستغراق والمراد الرد على النصارى في تثليثهم وان الله لهو العزيز في الانتقام
الحكيم في تدبير الاحكام فان تولوا اعرضوا ولم يقبلوا فان الله عليم بالمفسدين وعيد لهم بالعذاب
المذكور في قوله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون قل يا اهل الكتاب هم اهل
الكتابين او وفد بني نجران او يهود المدينة تعالوا الى كلمة سواء اي مستوية بيننا وبينكم
لا يختلف فيها القرآن والتورية والانجيل وتفسير الكلمة قوله ان لا نعبد الا الله ولا نشرك
به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله يعني تعالوا اليها حتى لا نقول عزير ابن الله
ولا المسيح ابن الله لان كل واحد منهما بعضنا بشر مثلنا ولا نطيع احبارنا فيما احدثوا من التحريم
والتحليل من غير رجوع الى ما شرع الله وعن عدي بن حاتم ما كنا نعبدهم الاحبار يا رسول الله قال
اليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتاخذون بقولهم قال نعم قال هو ذلك فان تولوا عن
التوحيد فقولوا اشهدوا بانا مسلمون اي لزمتكم الحجة فوجب عليكم ان تعترفوا وتسلموا
بانا مسلمون دونكم كما يقول الغالب للمغلوب في جدال او صراع اعترف باني انا الغالب وسلم

٤

لي الفلبة يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم وما انزلت التورية والانجيل الا من بعده نزعم
كل فريق منهم من اليهود والنصاري ان ابراهيم كان منهم وجادلوا رسول الله صلي الله عليه وآله وسلم
والمومنين فيه فقيل لهم ان اليهودية انما حدثت بعد نزول التورية والنصرانية بعد نزول
الانجيل وبين ابراهيم وموسي عليهما السلام الف سنة وبينه وبين عيسي الفان فكيف يكون
ابراهيم علي دين لم يحدث الا بعد عهده بازمنة متطاولة افلا تعقلون حتي لا تجادلوا مثل هذا
الجدال المحال ها انتم هؤلاء ها للتنبيه وانتم مبتدأ وهؤلاء خبره حاججتم جملة مستانفة
مبنية للجملة الاولي يعني انتم هؤلاء الاشخاص الحمقي وبيان حماقتكم وقلة عقولكم انكم جادلتم
فيما لكم به علم فيما نطق به التورية والانجيل فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم ولا ذكر له في كتابكم
من دين ابراهيم وقيل هؤلاء بمعني الذين وحاججتم صلته ها انتم بالمد وغير الهمزة حيث كان
مدني وابو عمرو والله يعلم علم ما حاججتم وانتم لا تعلمون وانتم جاهلون به ثم اعلمهم بانه
بري من دينهم فقال ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من
المشركين كانه اراد بالمشركين اليهود والنصاري باشراكهم به عزيرا والمسيح او وما كان من
المشركين كما لم يكن منهم ان اولي الناس بابراهيم ان اخصهم به واقربهم منه من الولي وهو القرب
للذين اتبعوه في زمانه وبعده وهذا النبي خصوصا خص بالذكر لخصوصيته بالفضل والمراد محمد
صلي الله عليه وآله وسلم والذين آمنوا من امته والله ولي المؤمنين ناصرهم ودت طائفة من اهل
الكتاب لو يضلونكم هم اليهود دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا الي اليهودية وما يضلون الا
انفسهم وما يعود وبال الاضلال الا عليهم لان العذاب يضاعف لهم بضلالتهم واضلالهم وما
يشعرون بذلك يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله بالتورية والانجيل وكفرهم بهما
انهم لا يؤمنون بما نطقت به من صحة نبوة رسول الله صلي الله عليه وآله وسلم وغيرها وانتم
تشهدون تعترفون بانها آيات الله او تكفرون بالقران ودلايل نبوة الرسول وانتم تشهدون
نعته في الكتاب او تكفرون بآيات الله جميعا وانتم تعلمون انها حق يا اهل الكتاب لم تلبسون
الحق بالباطل تخلطون الايمان بموسي وعيسي بالكفر بمحمد صلي الله عليه وآله وسلم وتكتمون الحق نعت
محمد صلي الله عليه وآله وسلم وانتم تعلمون انه حق وقالت طائفة من اهل الكتاب فيما بينهم آمنوا

بالذي

بالذي انزل علي الذين آمنوا اي القران وجه النهار ظرف اي اوله يعني اظهروا الايمان بما انزل
علي المسلمين في اول النهار واكفروا آخره واكفروا به في آخره لعلهم يرجعون لعل المسلمين يقولون
ما رجعوا وهم اهل كتاب وعلم الا لامر قد تبين لهم فيرجعون برجوعكم ولا تؤمنوا الا لمن
تبع دينكم قل ان الهدي هدي الله ولا تؤمنوا متعلق بقوله ان يؤتي احد مثل ما اوتيتم وما بينهما
اعتراض اي لا تظهروا ايمانكم بان يؤتي احد مثل ما اوتيتم الا لاهل دينكم دون غيرهم اراد واسروا
تصديقكم بان المسلمين قد اوتوا من كتب الله مثل ما اوتيتم ولا تفشوه الا علي اشياعكم وحدهم
دون المسلمين لئلا يزيدهم ثباتا ودون المشركين لئلا يدعوهم الي الاسلام او يحاجوكم عند
ربكم عطف علي ان يؤتي والضمير في يحاجوكم لاحد لانه في معني الجمع يعني ولا تؤمنوا لغير
اتباعكم ان المسلمين يحاجونكم يوم القيمة بالحق ويغالبونكم عند الله بالحجة ومعني الاعتراض
ان الهدي هدي الله من يشاء هداه حتي اسلم او ثبت علي الاسلام كان ذلك ولم ينفع كيدكم
وحيلكم وزيكم تصديقكم عن المسلمين والمشركين وكذلك قوله قل ان الفضل بيد الله يؤتيه
من يشاء يريد الهداية والتوفيق او يتم الكلام عند قوله الا لمن تبع دينكم اي ولا تؤمنوا هذا
الايمان الظاهر وهو ايمانكم وجه النهار الا لمن تبع دينكم الا لمن كانوا تابعين لدينكم ممن اسلموا
منكم لان رجوعهم كان ارجي عندهم من رجوع من سواهم ومعني قوله ان يؤتي لان يؤتي
احد مثل ما اوتيتم قلتم ذلك ودبرتموه لا لشيء آخر يعني ان ما بكم من الحسد والبغي ان يؤتي
احد مثل ما اوتيتم من العلم والكتاب دعاكم الي ان قلتم ما قلتم ويدل عليه قراءة ابن كثير آن
بالمد والاستفهام يعني أن يؤتي احد مثل ما اوتيتم من الكتاب تحسدونهم وقوله او
يحاجوكم علي هذا معناه دبرتم ما دبرتم لان يؤتي احد مثل ما اوتيتم ولما يتصل به عند كفركم
به من محاجتهم لكم عند ربكم والله واسع اي واسع الرحمة عليم بالمصلحة يختص برحمته
بالنبوة او بالاسلام من يشاء والله ذو الفضل العظيم ومن اهل الكتاب من ان تامنه بقنطار
يؤده اليك هو عبد الله بن سلام استودعه رجل من قريش الفا ومايتي اوقية ذهبا فاداه
اليه ومنهم من ان تامنه بدينار لا يؤده اليك هو فنحاص بن عازورا استودعه رجل من
قريش دينارا فجحده وخانه وقيل المامونون علي الكثير النصاري لغلبة الامانة عليهم والخائنون

في القليل اليهود لغلبة الخيانة عليهم الا ما دمت عليه قايما الا مدة دوامك عليه يا صاحب الحق
قايما علي راسه ملازما له يوده ولا يوده بكسر الهاء مشبعة مكي ونافع وشامي وعلي وحفص
واختلس ابو عمرو في رواية غيرهم بسكون الهاء ذلك اشارة الي ترك الاداء الذي دل
عليه لا يوده بانهم قالوا ليس علينا في الاميين سبيل اي تركهم اداء الحقوق بسبب قولهم ليس
علينا في الاميين سبيل اي لا يتطرق علينا اثم وذم في شان الاميين يعنون الذين ليسوا
من اهل الكتاب وما فعلنا بهم من حبس اموالهم والاضرار بهم لانهم ليسوا علي ديننا
وكانوا يستحلون ظلم من خالفهم ويقولون لم يجعل لهم في كتابنا حرمة وقيل بايع اليهود
رجالا من قريش فلما اسلموا تقاضوهم فقالوا ليس لكم علينا حق حيث تركتم دينكم وادعوا
انهم وجدوا ذلك في كتابهم ويقولون علي الله الكذب بادعائهم ان ذلك في كتابهم وهم
يعلمون انهم كاذبون بلي اثبات لما نفوه من السبيل عليهم في الاميين اي بلي عليهم سبيل
فيهم وقوله من اوفي بعهده واتقي جملة مستانفة مقررة للجملة التي سدت بلي مسدها
والضمير في بعهده يرجع الي الله تعالي اي كل من وفي بعهد الله واتقاه فان الله يحب
المتقين اي يحبهم فوضع الظاهر موضع الضمير وعموم المتقين قام مقام الضمير الراجع
من الجزاء الي من ويدخل في ذلك الايمان وغيره من الصالحات وما وجب اتقاؤه
من الكفر واعمال السوء قيل نزلت في عبد الله بن سلام ونحوه من مسلمي اهل الكتاب و
يجوز ان يرجع الضمير الي من اوفي اي كل من وفي بما عاهد عليه واتقي الله في ترك الخيانة
والغدر فان الله يحبه ونزل فيمن حرف التورية وبدل نعته عليه السلام من اليهود
واخذ الرشوة علي ذلك ان الذين يشترون يستبدلون بعهد الله بما عاهدوا عليه من
الايمان بالرسول المصدق لما معهم وايمانهم وبما حلفوا به من قولهم والله لنومنن به ولننصرنه
ثمنا قليلا متاع الدنيا من الترؤس والارتشاء ونحو ذلك وقوله بعهد الله يقوي رجوع
الضمير في بعهده الي الله اولئك لا خلاق لهم في الاخرة اي لا نصيب ولا يكلمهم الله بما يسرهم
ولا ينظر اليهم يوم القيمة نظر رحمة ولا يزكيهم ولا يثني عليهم ولهم عذاب اليم مولم وان
منهم من اهل الكتاب لفريقا هم كعب بن الاشرف ومالك بن الضيف وحيي بن اخطب ونحوهم

يلوون

يلوون السنتهم بالكتاب يفتلونها بقراته من الصحيح الي المحرف والليّ الفتل وهو الصرف والمراد
تحريفهم كاية الرجم ونعت محمد صلي الله عليه وسلم ونحو ذلك والضمير في لتحسبوه يرجع الي ما دل
عليه يلوون السنتهم بالكتاب وهو المحرف ويجوز ان يراد يعطفون السنتهم لشبه الكتاب لتحسبوا
ذلك الشبه من الكتاب اي التورية وما هو من الكتاب وليس هو من التورية ويقولون
هو من عند الله تاكيد لقوله هو من الكتاب وزيادة تشنيع عليهم وما هو من عند الله ويقولون
علي الله الكذب وهم يعلمون انهم كاذبون ما كان لبشر ان يوتيه الله الكتاب تكذيب لمن اعتقد
عبادة عيسي وقيل لما قال رجل يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعض علي بعض افلا نسجد لك
قال لا ينبغي ان يسجد لاحد من دون الله ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله والحكم و
الحكمة وهي السنة او فصل القضاء والنبوة ثم يقول عطف علي يوتيه للناس كونوا عبادا لي
من دون الله ولكن كونوا ربانيين ولكن يقول كونوا ربانيين والرباني منسوب الي الرب
بزيادة الالف والنون وهو شديد التمسك بدين الله وطاعته وحين مات ابن عباس
رضي الله عنه قال ابن الحنيفية رضي مات رباني هذه الامة وعن الحسن رضي الله ربانيين
علماء فقهاء وقيل علماء معلمين وقالوا الرباني العالم العامل المعلم بما كنتم تعلمون الكتاب
كوفي وشامي اي غيركم غيرهم بالتخفيف وبما كنتم تدرسون اي تقرؤن والمعني بسبب
كونكم عالمين وبسبب كونكم دارسين للعلم كانت الربانية التي هي قوة التمسك بطاعة
الله تعالي مسببة عن العلم والدراسة وكفي به دليلا علي خيبة سعي من جهل نفسه وكدحها
في جمع العلم ثم لم يجعله ذريعة الي العمل وكانه كمن غرس شجرة حسناء توفقه بمنظرها
ولا تنفعه بثمرها وقيل معني تدرسون تدرسونه من التدريس كقراءة ابن جبير ولا
يامركم بالنصب عطفا علي ثم يقول ووجهه ان تجعل لا مزيدة لتاكيد معني النفي في قوله ما كان
لبشر والمعني ما كان لبشر ان يستنبئه الله وينصبه للدعاء الي اختصاص الله بالعبادة وترك
الانداد ثم يامر الناس بان يكونوا عبادا له ويامركم ان تتخذوا الملايكة والنبيين اربابا كما تقول
ما كان لزيد ان اكرمه ثم يهينني ولا يستخف بي وبالرفع حجازي وابو عمرو وعلي علي ابتداء
الكلام والهمزة في ايامركم بالكفر للانكار والضمير في لا يامركم ولا يامركم للبشر او لله وقوله بعد

اذا انتم مسلمون يدل على ان المخاطبين كانوا مسلمين وهم الذين استاذنوه ان يسجدوا له واذ
اخذ الله ميثاق النبيين هو على ظاهره من اخذ الميثاق على النبيين بذلك او المراد ميثاق اولاد
النبيين وهم بنو اسرائيل على حذف المضاف واللام في لما اتيتكم من كتاب وحكمة لام التوطئة
لان اخذ الميثاق في معنى الاستحلاف وفي لتؤمنن لام جواب القسم وما يجوز ان يكون متضمنة
بمعنى الشرط ولتؤمنن ساد مسد جواب القسم والشرط جميعا وان تكون موصولة بمعنى الذي
آتيتكموه لتؤمنن به ثم جاءكم معطوف على الصلة والعائد منه الى ما محذوف والتقدير ثم
جاءكم به رسول مصدق لما معكم للكتاب الذي معكم لتؤمنن به بالرسول ولتنصرنه اي
الرسول وهو محمد صلى الله عليه وسلم لما اتيتكم حمزة وما بمعنى الذي او مصدرية اي لاجل ايتاء
اياكم بعض الكتاب والحكمة ثم لمجيء رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدق لما معكم واللام للتعليل
اي اخذ الله ميثاقكم لتؤمنن بالرسول ولتنصرنه لاجل اني اتيتكم الحكمة وان الرسول الذي
امركم بالايمان به ونصرته موافق لكم غير مخالف آتيناكم سدي قال اي الله ءاقررتم واخذتم
على ذلكم اصري اي قبلتم عهدي وسمي اصرا لانه مما يوصر اي يشد ويعقد قالوا اقررنا قال
فاشهدوا فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار وانا معكم من الشاهدين وانا على ذلكم من اقراركم
وتشاهدكم من الشاهدين وهذا توكيد عليهم وتحذير من الرجوع اذا علموا بشهادة الله و
شهادة بعضهم على بعض وقيل قال الله للملايكة اشهدوا فمن تولى بعد ذلك الميثاق والتوكيد
ونقض العهد بعد قبوله واعرض عن الايمان بالنبي الجائي فاولئك هم الفاسقون المتمردون
من الكفار افغير دين الله يبغون دخلت همزة الانكار على الفاء العاطفة جملة على جملة والمعنى
فاولئك هم الفاسقون فغير دين الله يبغون ثم توسطت الهمزة بينهما ويجوز ان يعطف على محذوف
تقديره ايتولون فغير دين الله يبغون وقدم المفعول وهو غير دين الله على فعله لانه اهم
من حيث ان الانكار الذي هو معنى الهمزة متوجه الى المعبود بالباطل وله اسلم من في
السموات الملايكة والارض الانس والجن طوعا بالنظر في الادلة والانصاف من نفسه
وكرها بالسيف او بمعاينة العذاب كنتق الجبل على بني اسرائيل وادراك الغرق فرعون والاشفاء
على الموت فلما راوا باسنا قالوا امنا بالله وحده وانتصب طوعا وكرها على الحال اي طايعين

ويكرهين

الاعمال

ومكرهين واليه ترجعون فيجازون على الاعمال ايبغون ويرجعون بالياء فيهما حفص و
بالتاء في الثاني وفتح الجيم ابو عمرو لان الباغين هم المتولون والراجعون جميع الناس وبالتاء
فيهما وفتح الجيم غيرهما قل امنا بالله وما انزل علينا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يخبر
من نفسه وعمن معه بالايمان فلذا وحد الضمير في قل وجمع في آمنا او امر بان يتكلم عن نفسه
كما يتكلم الملوك اجلالا من الله لقدر نبيه وعدي انزل هنا بحرف الاستعلاء وفي البقرة بحرف
الانتهاء لوجود المعنيين اذ الوحي ينزل من فوق وينتهي الى الرسل فجاء تارة باحد المعنيين واخرى
بالآخر وقال صاحب اللباب الخطاب في البقرة للامة بقوله قولوا فلم يصح الا الى لان الكتب منتهية
الى الانبياء والى امتهم جميعا وهنا قال قل وهو خطاب للنبي عليه الصلوة والسلام دون امته
فكان اللايق به على لان الكتب منزلة عليهم لا شركة للامة فيه وفيه نظر لقوله تعالى آمنوا بالذي
انزل على الذين آمنوا وما انزل على ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط اولاد
يعقوب وكان فيهم انبياء وما اوتي موسى وعيسى والنبيون كرر في البقرة وما اوتي ولم يكرر
هنا لتقدم ذكر الايتاء حيث قال لما اتيتكم من ربهم من عند ربهم لا نفرق بين احد منهم في الايمان
بهم كما فعلت اليهود والنصارى ونحن له مسلمون موحدون مخلصون انفسنا له لا نجعل له
شريكا في عبادته الله ومن يبتغ غير الاسلام يعني التوحيد واسلام الوجه لله او غير دين محمد
صلى الله عليه وسلم دينا تميز فلن يقبل منه وهو في الاخرة من الخاسرين من الذين وقعوا في
الخسران ونزل في رهط اسلموا ثم رجعوا عن الاسلام ولحقوا بمكة كيف يهدي الله قوما
كفروا بعد ايمانهم والواو في وشهدوا ان الرسول حق للحال وقد مضمرة اي كفروا وقد شهدوا
ان الرسول اي محمد احق او للعطف على ما في ايمانهم من معنى الفعل لان معناه بعد ان امنوا وجاءهم
البينات اي الشواهد كالقرآن وساير المعجزات والله لا يهدي القوم الظالمين اي ما داموا مختارين
الكفر او لا يهديهم طريق الجنة اذا ماتوا كفارا اولئك مبتداء جزاؤهم مبتداء ثان خبره ان عليهم
لعنة الله وهما خبر اولئك او جزاؤهم بدل الاشتمال من اولئك والملايكة والناس اجمعين خالدين
حال من الهاء والميم في عليهم فيها في اللعنة لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون الا الذين تابوا
من بعد ذلك الكفر العظيم والارتداد واصلحوا ما افسدوا او دخلوا في الصلاح فان الله غفور لكفرهم

رحيم بهم ونزل في اليهود ان الذين كفروا بعيسى والانجيل بعد ايمانهم بموسى والتورية ثم
ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران او كفروا برسول الله بعد ما كانوا به مؤمنين
قبل بعثه ثم ازدادوا كفرا باصرارهم على ذلك وطعنهم فيه في كل وقت او نزل في الذين ارتدوا
ولحقوا بمكة وازديادهم الكفران قالوا نقيم بمكة نتربص بمحمد صلى الله عليه وسلم ريب المنون
لن تقبل توبتهم اي ايمانهم عند الباس لانهم لا يتوبون الا عند الموت قال الله تعالى فلم يك ينفعهم
ايمانهم لما راوا باسنا واولئك هم الضالون ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار مبتداء وخبر
في موضع الحال من الضمير في ماتوا فلن يقبل من احدهم ملاء الارض الفاء في فلن يقبل يوذن
بان الكلام بني على الشرط والجزاء وان سبب امتناع قبول الفدية هو الموت على الكفر وترك الفاء
فيما تقدم يشعر بان الكلام مبتداء وخبر ولا دليل فيه على التسبيب ذهبا تمييز ولو افتدى به ا
فلن يقبل من احد فدية ولو افتدى بملاء الارض ذهبا قال عليه الصلوة والسلام يقال للكافر يوم
القيمة لو كان لك ملاء الارض ذهبا لكنت مفتديا به فيقول نعم فيقال له لقد سئلت ايسر
من ذلك قيل الواو لتاكيد النفي اولئك لهم عذاب اليم مولم وما لهم من ناصرين معينين
دافعين العذاب لن تنالوا البر لن تبلغوا حقيقة البر ولن تكونوا ابرارا ولن تنالوا
بر الله وهو ثوابه حتى تنفقوا مما تحبون حتى تكون نفقتكم من اموالكم التي تحبونها و
تؤثرونها وعن الحسن رضي الله عنه كل من تصدق ابتغاء وجه الله مما يحبه ولو تمرة فهو
داخل في هذه الاية قال الواسطي الوصول الى البر بانفاق بعض المحاب والى الرب بالتخلي عن
الكونين وقال ابو بكر رح لن تنالوا بري بكم الا ببركم باخوانكم والحاصل انه لا وصول الى المطلوب
الا باخراج المحبوب وعن عمر بن عبد العزيز انه كان يشتري اعدال السكر ويتصدق بها فقيل له
لم لا تتصدق بثمنها قال لان السكر احب الي فاردت ان انفق مما احب وما تنفقوا من شيء فان الله
به عليم اي هو عليم بكل شيء تنفقونه فمجازيكم بحسبه ومن الاولى للتبعيض لقراة عبد الله حتى
تنفقوا بعض ما تحبونه والثانية للتبيين اي من اي شيء كان الانفاق طيب تحبونه او خبيث
تكرهونه ولما قال اليهود للنبي صلى الله عليه وسلم انك تدعي انك على ملة ابراهيم وانت تاكل لحوم
الابل والبانها فقال عليه الصلوة والسلام كان ذلك حلالا لابراهيم فنحن نحله فقالت اليهود انها

لم تزل محرمة في ملة ابراهيم ونوح عليهما السلام نزل تكذيبا لهم كل الطعام اي المطعومات التي
فيها النزاع فان منها ما هو حرام قبل ذلك كالميتة والدم كان حلا لبني اسرائيل اي حلالا وهو مصدر
يقال حل الشيء حلا ولذا استوى في وصفه المذكر والمؤنث والواحد والجمع قال الله تعالى لا هن
حل لهم الا ما حرم اسرائيل اي يعقوب على نفسه من قبل ان تنزل التورية وبالتخفيف مكي
وبصري وهو لحوم الابل والبانها وكانا احب الطعام اليه والمعنى ان المطاعم كلها لم تزل
حلالا لبني اسرائيل من قبل انزال التورية سوى ما حرم اسرائيل على نفسه فلما نزلت التورية
على موسى حرم عليهم فيها لحوم الابل والبانها لتحريم اسرائيل ذلك على نفسه قل فاتوا بالتورية
فاتلوها ان كنتم صادقين امر بان يحاجهم بكتابهم ويبكتهم بما هو ناطق به من ان تحريم ما حرم
عليهم تحريم حادث بسبب ظلمهم وبغيهم وتعديهم لا تحريم قديم كما يدعونه فلم يجترؤا
على اخراج التورية فبهتوا وفيه دليل بين على صدق النبي صلى الله عليه وسلم وعلى جواز النسخ
الذي ينكرونه فمن افترى على الله الكذب بزعمه ان ذلك كان محرما في ملة ابراهيم ونوح عليهما
السلام من بعد ذلك من بعد ما لزمهم من الحجة القاطعة فاولئك هم الظالمون المكابرون الذين
لا ينصفون من انفسهم ولا يلتفتون الى البينات قل صدق الله في اخباره انه لم يحرم وفيه تعريض
بكذبهم اي ثبت ان الله تعالى صادق فيما انزل وانتم الكاذبون فاتبعوا ملة ابراهيم وهي ملة
الاسلام التي عليها محمد صلى الله عليه وسلم ومن آمن معه حتى تتخلصوا من اليهودية التي ورطتكم
في فساد دينكم ودنياكم حيث اضطرتكم الى تحريف كتاب الله لتسوية اغراضكم والزمتكم تحريم
الطيبات التي احلها الله لابراهيم ولمن تبعه حنيفا حال من ابراهيم اي مائلا من الاديان الباطلة
وما كان من المشركين ولما قال اليهود للمسلمين قبلتنا قبل قبلتكم نزل ان اول بيت وضع للناس
والواضع هو الله عز وجل ومعنى وضع الله بيتا للناس انه جعله متعبدا لهم فكانه قال
ان اول متعبد للناس الكعبة وفي الحديث ان المسجد الحرام وضع قبل بيت المقدس باربعين
سنة قيل اول من بناه ابراهيم وقيل هو بيت حج بعد الطوفان وقيل هو بيت ظهر على وجه
الماء عند خلق السماء والارض وقيل هو اول بيت بناه آدم عليه السلام في الارض ووضع للناس
في موضع جر صفة لبيت والخبر للذي ببكة اي للبيت الذي ببكة وهي علم للبلد الحرام ومكة

وبكة لغتان فيه وقيل مكة البلد وبكة موضع المسجد وقيل اشتقاقها من بكة اذا زحمه لازدحام
الناس فيها اولانها تبك اعناق الجبابرة اي تدقها لم يقصدها جبار الا قصمه الله مباركا كثير
الكثير لما يحصل للحاج والمعتمر من الثواب وتكفير السيات وهدى للعالمين لانه قبلتهم ومتعبدهم
ومباركا وهدى حالان من الضمير في موضع فيه ايات بينات علامات واضحات لا تلتبس
على احد مقام ابراهيم عطف بيان لقوله ايات بينات وصح بيان الجماعة بالواحد لانه وحده
بمنزلة ايات كثيرة لظهور شانه وقوة دلالته على قدرة الله تعالى ونبوة ابراهيم عليه السلام
من تاثير قدميه في حجر صلد اولاشتماله على ايات لان اثر القدم في الصخرة الصماء اية وغوصه
فيها الى الكعبين اية والانة بعض الصخرة دون بعض اية وابقاوه دون سائر ايات الانبياء
عليه السلام اية لابراهيم خاصة على انه ومن دخله كان امنا عطف بيان الايات وان كان
جملة ابتدائية اوشرطية من حيث المعنى لانه يدل على امن داخله فكانه قيل فيه ايات
بينات مقام ابراهيم وامن داخله والاثنان في معنى الجمع ويجوز ان يذكر هاتان الايتان
ويطوى ذكر غيرها دلالة على تكاثر الايات كانه قيل فيه ايات بينات مقام ابراهيم وامن
من دخله وكثير سواهما نحو انمحاق الاحجار مع كثرة الرمات وامتناع الطير من العلو
عليه وغير ذلك ونحوه في طي الذكر قوله عليه الصلوة والسلام حبب الي من دنياكم ثلث
الطيب والنساء وقرة عيني في الصلوة فقرة عيني ليس من الثلث بل هو ابتداء
كلام لانها ليست من الدنيا والثالث مطوي فكانه عليه الصلوة والسلام ترك ذكر الثالث
تنبيها على انه لم يكن من شانه ان يذكر شيئا من الدنيا فذكر شيئا هو من الدين وقيل في سبب هذا
الاثر انه لما ارتفع بنيان الكعبة وضعف ابراهيم عليه السلام عن رفع الحجارة قام على هذا
الحجر فغاصت فيه قدماه وقيل انه جاء زائرا من الشام الى مكة فقالت له امراة اسمعيل عليه السلام
انزل حتى نغسل راسك فلم ينزل فجاءته بهذا الحجر فوضعته على شقه الايمن فوضع قدمه
عليه حتى غسلت شق راسه ثم حولته الى شقه الايسر حتى غسلت الشق الاخر فبقي اثر قدميه
عليه وامان من دخله بدعوة ابراهيم عليه السلام رب اجعل هذا البلد امنا وكان الرجل
لو جنى كل جناية ثم التجاء الى الحرم لم يطلب وعن عمر رضي الله عنه لو ظفرت فيه بقاتل الخطاب

ماسه

ماسه حتى يخرج منه ومن لزمه القتل في الحل بقود او ردة او زنى فالتجاء الى الحرم لم يتعرض
له الا انه لا يؤوى ولا يطعم ولا يسقى ولا يبايع حتى يضطر الى الخروج وقيل امنا من النار لقوله
عليه الصلوة والسلام من مات في احد الحرمين بعث يوم القيمة امنا من النار وعنه عليه الصلوة
والسلام الحجون والبقيع يؤخذ باطرافهما وينثران في الجنة وهما مقبرتا مكة والمدينة وعنه عليه السلام
من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت منه جهنم مسيرة مائتي عام ولله على الناس
حج البيت اي استقر له عليهم فرض الحج حج البيت كوفي غير ابي بكر وهو اسم وبالفتح مصدر و
قيل هما لغتان في مصدر حج من في موضع جر على انه بدل البعض من الكل استطاع اليه سبيلا
فسرها النبي عليه الصلوة والسلام بالزاد والراحلة والضمير في اليه للبيت او للحج وكل ما اتى
الى الشيء فهو سبيل اليه ولما نزل قوله ولله على الناس حج البيت جمع رسول الله صلى الله عليه
وسلم اهل الاديان كلهم فخطبهم فقال ان الله كتب عليكم الحج فحجوا فامنت به ملة واحدة وهم
المسلمون وكفرت به خمس ملل قالوا لا نؤمن به ولا نصلي اليه ولا نحجه فنزل ومن كفر
اي جحد فرضية الحج وهو قول ابن عباس والحسن وعطاء ويجوز ان يكون من الكفران اي
ومنهم يشكر ما انعمت عليه من صحة الجسم وسعة الرزق ولم يحج فان الله غني عن العالمين
مستغن عنهم وعن طاعاتهم وفي هذه الايات انواع من التاكيد والتشديد منها اللام و
على اي انه حق واجب لله في رقاب الناس ومنها الابدال ففيه تثنية للمراد وتكرير له ولان
الايضاح بعد الابهام والتفصيل بعد الاجمال ايراد له في صورتين مختلفين ومنها قوله
ومن كفر مكان ومن لم يحج تغليظا على تارك الحج ومنها ذكر الاستغناء وذلك دليل على
البغض والسخط ومنها قوله عن العالمين وان لم يقل عنه وما فيه من الدلالة على الاستغناء
عنه ببرهان لانه اذا استغنى عن العالمين تناوله الاستغناء لا محالة ولانه يدل على الاستغناء
الكامل فكان ادل على عظم السخط الذي وقع عبارة عنه قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بايات
الله والله شهيد على ما تعملون الواو للحال والمعنى لم تكفرون بايات الله الدالة على صدق
محمد صلى الله عليه وسلم والحال ان الله شهيد على اعمالكم فمجازيكم عليها قل يا اهل الكتاب لم
تصدون الصد المنع عن سبيل الله من امن عن دين حق علم انه سبيل الله التي امر بسلوكها وهو

وهو الاسلام وكانوا يمنعون من اراد الدخول فنه بجهدهم ومحل تبغونها تطلبون لها نصب على
الحال عوجا اعوجاجا وميلا عن القصد والاستقامة بتغيركم صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم
من وجهها ونحو ذلك وانتم شهداء انها سبيل الله التي لا يصد عنها الا ضال مضل وما الله
بغافل عما تعملون من الصد عن سبيله وهو وعيد شديد ثم نهى المومنين عن اتباع هولاء
الصادين عن سبيله بقوله يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب
يردوكم بعد ايمانكم كافرين قيل مر شاس ابن قيس اليهودي على نفر من الانصار من الاوس
والخزرج في مجلس لهم يتحدثون فغاظه تحدثهم وتالفهم فامر شابا من اليهود ان يذكرهم
يوم بعاث لعلهم يغضبون وكان يوما اقتتلت فيه الاوس والخزرج وكان الظفر فيه
للاوس ففعل فتنازع القوم عند ذلك وقالوا السلاح السلاح فبلغ النبي عليه الصلوة و
السلام فخرج اليهم فيمن معه من المهاجرين والانصار فقال اتدعون الجاهلية وانا بين
اظهركم بعد اذ اكرمكم الله بالاسلام والف بينكم فعرف القوم انها نزغة من الشيطان فالقوا
السلاح وعانق بعضهم بعضا باكين فنزلت الاية وكيف تكفرون معنى الاستفهام فيه الانكار
والتعجب اي من اين يتطرق اليكم الكفر وانتم تتلى عليكم ايات الله والحال ان ايات الله وهي
القران المعجز تتلى عليكم على لسان الرسول غضة طرية وفيكم رسوله وبين اظهركم رسول الله
صلى الله عليه وسلم ينهيكم ويعظكم ويزيح عنكم شبهكم ومن يعتصم بالله ومن يتمسك بدينه
او بكتابه او هو حث لهم على الالتجاء اليه في رفع شرور الكفار ومكايدهم فقد هدي الى
صراط مستقيم ارشد الى الدين الحق او من يجعل ربه ملجاء ومفزعا عند الشبه يحفظه عن
الشبه يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته واجب تقويه وما يحق منها وهو القيام
بالمواجب والاجتناب عن المحارم وعن عبد الله هو ان يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر
ويذكر فلا ينسى او هو ان لا ياخذه في الله لومة لائم ويقوم بالقسط ولو على نفسه او
ابنه او ابيه وقيل لا يتقي الله عبد حق تقاته حتى يخزن لسانه والتقاة من اتقى كالتؤدة
من اتاد ولا تموتن الا وانتم مسلمون ولا تكونن على حال سوى حال الاسلام اذا ادرككم الموت
واعتصموا بحبل الله تمسكوا بالقران لقوله عليه الصلوة والسلام القران حبل الله المتين لا تنقضي

عجايبه ولا يخلق عن كثرة الرد من قال به صدق ومن عمل به رشد ومن اعتصم به هدي الى صراط
مستقيم جميعا حال من ضمير المخاطبين وقيل تمسكوا باجماع الامة دليله ولا تفرقوا اي ولا
تتفرقوا يعني ولا تفعلوا ما يكون عنه التفرق ويزول منه الاجماع او ولا تتفرقوا عن
الحق بوقوع الاختلاف بينكم كما اختلفت اليهود والنصارى او كما كنتم متفرقين في الجاهلية
يحارب بعضكم بعضا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم
بنعمته اخوانا كانوا في الجاهلية بينهم العدو والحروب فالف الله بين قلوبهم بالاسلام
وقذف في قلوبهم المحبة فتحابوا وصاروا اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار وكنتم مشفين
على ان تقعوا في نار جهنم لما كنتم عليه من الكفر فانقذكم منها بالاسلام وهو رد على المعتزلة
لقولهم هم الذين ينقذون انفسهم لا الله تعالى والضمير للحفرة او للنار او للشفا وانث
لاضافته الى الحفرة وشفا الحفرة حرفها ولامها واو ولهذا يثنى شفوان كذلك مثل
ذلك البيان البليغ يبين الله لكم اياته اي القران الذي فيه امر ونهي ووعد ووعيد
لعلكم تهتدون لتكونوا على رجاء الهداية او لتهتدوا بها الى الصواب وما ينال به الثواب
ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف بما استحسنه الشرع والعقل وينهون
عن المنكر عما استقبحه الشرع والعقل او المعروف ما وافق الكتاب والسنة والمنكر ما خالفهما
او المعروف الطاعات والمنكر المعاصي والدعاء الى الخير عام في التكاليف من الافعال والتروك
وما عطف عليه خاص ومن للتبعيض لان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض
الكفايات ولانه لا يصلح له الا من علم المعروف والمنكر وعلم كيف يرتب الامر في اقامته
فانه يبدا بالسهل فان لم ينفع ترقى الى الصعب قال الله تعالى فاصلحوا بينهما ثم قال فقاتلوا
او للتبيين اي وكونوا امة تامرون لقوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون
بالمعروف واولئك هم المفلحون اي هم الاخصاء بالفلاح الكامل عليه الصلوة والسلام
من امر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في ارضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه
وعن علي رضي الله عنه افضل الجهاد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا تكونوا كالذين
تفرقوا بالعداوة واختلفوا في الديانة وهم اليهود والنصارى فانهم اختلفوا وكفر بعضهم

بعضا من بعد ما جاءهم البينات الموجبة للاتفاق علي كلمة واحدة وهي كلمة الحق واوليك
لهم عذاب عظيم ونصب يوم تبيض وجوه اي وجوه المومنين بالظرف وهو لهم او بعظيم
او باذكروا وتسود وجوه اي وجوه الكافرين والبياض من النور والسواد من الظلمة فاما
الذين اسودت وجوههم فيقال لهم اكفرتم فحذف الفاء والقول جميعا للعلم به والهمزة
للتوبيخ والتعجيب من حالهم بعد ايمانكم يوم الميثاق فيكون المراد جميع الكفار وهو قوله
الي وهو الظاهر او هم المرتدون او المنافقون اي اكفرتم باطنا بعد ايمانكم ظاهرا او هل الكتاب
وكفرهم بعد الايمان تكذيبهم برسول الله صلي الله عليه وسلم بعد اعترافهم به قبل مجيئه فذوقوا
عليه السلام فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله
ففي نعمته وهي الثواب المخلد ثم استانف فقال هم فيها خالدون لا يظعنون عنها ولا يموتون
تلك ايات الله الواردة في الوعد والوعيد وغير ذلك نتلوها عليك ملتبسة بالحق
العدل من جزاء المحسن والمسيء وما الله يريد ظلما للعالمين اي لا يشاء ان يظلم هو عباده
فياخذ احدا بغير جرم او يزيد في عقاب مجرم او ينقص من ثواب محسن ولله ما في السموات
وما في الارض والي الله ترجع الامور فيجازي المحسن باحسانه والمسيء باساءته ترجع شامي
وحمزة وعلي كان عبارة عن وجود الشيء في زمان ماض علي سبيل الابهام ولا دليل فيه علي
عدم سابق ولا علي انقطاع طاري ومنه قوله كنتم خير امة كانه قيل وجدتم خير امة
او كنتم في علم الله او في اللوح خير امة او كنتم في الامم قبلكم مذكورين بانكم خير الامة
موصوفين به اخرجت اظهرت للناس اللام يتعلق باخرجت تامرون كلام مستانف
به كونهم خير امة كما تقول زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم تبين بالاطعام والالباس
وجه الكرم فيه بالمعروف بالايمان وطاعة الرسول وتنهون عن المنكر من الكفر وكل
محظور وتومنون بالله وتدومون علي الايمان به ولان الواو لا يقتضي الترتيب ولو امن
اهل الكتاب بمحمد عليه السلام لكان خيرا لهم لكان الايمان خيرا لهم مما هم عليه لانهم انما
اثروا دينهم علي دين الاسلام حبا للرياسة واستتباع العوام ولو امنوا لكان خيرا لهم
من الرياسة والاتباع وحظوظ الدنيا مع الفوز بما وعدوا علي الايمان به من ايتاء الاجر

مرتين منهم المومنون كعبد الله بن سلام واصحابه واكثرهم الفاسقون المتمردون في الكفر
لن يضروكم الا اذي الا ضررا مقتصرا علي اذي بقول من طعن في الدين او تهديد او نحو
ذلك وان يقاتلوكم يولوكم الادبار منهزمين ولا يضروكم بقتل واسر ثم لا ينصرون
ثم لا يكون لهم نصر من احد ولا يمنعون منكم وفيه تثبيت لمن اسلم منهم لانهم كانوا يؤذونهم
بتوبيخهم وتهديدهم وهو ابتداء اخبار معطوف علي جملة الشرط والجزاء ليس بمعطوف
علي يولوكم اذ لو كان معطوفا عليه لقيل ثم لا ينصروا وانما استونف ليوذن ان الله لا
ينصرهم قاتلوا او لم يقاتلوا وتقدير الكلام اخبركم انهم ان يقاتلوكم ينهزموا ثم اخبركم
انهم لا ينصرون وثم للتراخي في المرتبة لان الاخبار بتسليط الخذلان عليهم اعظم من الاخبار
بتوليتهم الادبار ضربت الزمت عليهم الذلة اي علي اليهود اينما ثقفوا وجدوا الا بحبل من
الله في محل النصب علي الحال والباء متعلق بمحذوف تقديره الا معتصمين او متمسكين
بحبل من الله وحبل من الناس والحبل العهد والذمة والمعني ضربت عليهم الذلة في كل حال
الا في حال اعتصامهم بحبل الله وحبل الناس يعني ذمة الله وذمة المسلمين اي لا عز لهم قط
الا هذه الحال الواحدة وهي التجاؤهم الي الذمة لما قبلوه من الجزية وباؤا بغضب من الله
استوجبوه وضربت عليهم المسكنة الفقر عقوبة لهم علي قولهم ان الله فقير ونحن
اغنياء او خوف الفقر مع قيام اليسار ذلك بانهم كانوا يكفرون بايات الله ويقتلون
الانبياء بغير حق ذلك اشارة الي ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بغضب الله اي
ذلك كاين بسبب كفرهم بايات الله وقتلهم الانبياء ثم قال ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون
اي ذلك الكفر كاين بسبب عصيانهم الله واعتدائهم لحدوده ليسوا سواء ليس اهل الكتاب
مستويين من اهل الكتاب كلام مستانف لبيان قوله ليسوا سواء كما وقع قوله تامرون
بالمعروف بيانا لقوله كنتم خير امة امة قايمة جماعة مستقيمة عادلة من قولك اقمت
العود فقام اي استقام وهم الذين اسلموا منهم يتلون ايات الله القران اناء الليل ساعاته
واحدها اني كمعي او انو كقنو او اني كنحي وهم يسجدون يصلون قيل يريد صلوة العشاء
لان اهل الكتاب لا يصلونها وقيل عبر عن تهجدهم بتلاوة القران في ساعات الليل مع السجود

يومنون بالله واليوم الاخر ويامرون بالمعروف بالايمان وساير ابواب البر وينهون عن المنكر
عن الكفر ومنهيات الشرع ويسارعون في الخيرات يبادرون اليها خشية الفوت وقوله
يتلون ويؤمنون في محل الرفع صفتان لامة اي امة قايمة تالون مومنون ووصفهم بخصا[يص]
ماكانت في اليهود من تلاوة ايات الله بالليل سلجدين ومن الايمان بالله لان ايمانهم به كلا ايما[ن]
لاشراكهم به عزيرا وكفرهم ببعض الكتب والرسل ومن اليوم الاخر لانهم يصفونه بخلاف
صفته ومن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لانهم كانوا مداهنين ومن المسارعة في الخيرات
لانهم كانوا متباطيين عنها غير راغبين فيها والمسارعة في الخير فرط الرغبة لان من رغب في
الامر سارع في القيام به واوليك الموصوفون بما وصفوا به من الصالحين من المسلمين او من
جملة الصالحين الذين صلحت احوالهم عند الله ورضيهم وما يفعلوا من خير فلن يكفروه
بالياء فيهما كوفي غير ابي بكر ابو عمرو ومخير غيرهم بالتاء وعدي يكفرون الي مفعولين وان
كان شكر وكفر لايتعديان الا الي واحد تقول شكر النعمة وكفرها لتضمنه معني الحرمان كانه
قيل فلن تحرموا جزاءه والله عليم بالمتقين بشارة للمتقين بجزيل الثواب ان الذين
كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيا اي من عذاب الله اوليك اصحاب
النار هم فيها خالدون مثل ما ينفقون في هذه الحيوة الدنيا في المفاخر والمكارم و
كسب الثناء وحسن الذكر بين الناس او ما يتقربون به الي الله مع كفرهم كمثل ريح
كمثل مهلك ريح وهو الحرث او مثل اهلاك ما ينفقون كمثل اهلاك ريح فيها صر برد
شديد عن ابن عباس رضي الله عنهما وهو مبتداء وخبر في موضع جر صفة لريح مثل
اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم بالكفر فاهلكته عقوبة علي كفرهم وما ظلمهم الله باهلا[ك]
حرثهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون بارتكاب ما استحقوا به العقوبة او يكون الضمير
للمنفقين اي وما ظلمهم الله بان لم يقبل نفقاتهم ولكنهم ظلموا انفسهم حيث لم ياتوا
بها لايقة للقبول ونزل نهيا للمومنين عن مصافاة المنافقين ياءيها الذين امنوا لا تتخذوا
بطانة بطانة الرجل ووليجته خصيصته وصفيه شبه ببطانة كما يقال فلان شعاري
وفي الحديث الانصار شعار والناس دثار من دونكم من دون ابناء جنسكم وهم المسلمون

وهو صفة

وهو صفة لبطانة اي بطانة كائنة من دونكم مجاوزة لكم لا يالونكم خبالا في موضع نصب
صفة لبطانة اي يعني لا يقصرون في فساد دينكم يقال الا في الامر يالو اذا قصر فيه والخبا[ل]
الفساد وانتصب خبالا علي التميز او علي حذف في اي في خبالكم ودوا ما عنتم اي عنتكم
فما مصدرية والعنت شدة الضرر والمشقة اي تمنوا ان يضروكم في دينكم ودنياكم
اشد الضرر وابلغه وهو مستانف علي وجه التعليل للنهي عن اتخاذهم بطانة كقوله
قد بدت البغضاء من افواههم لانهم لا يتمالكون مع ضبطهم انفسهم ان ينفلت من السنتهم
ما يعلم به بغضهم للمسلمين وما تخفي صدورهم من البغض لكم اكبر مما بدا قد بينا لكم
الايات الدالة علي وجوب الاخلاص في الدين وموالاة اولياء الله ومعاداة اعدائه
ان كنتم تعقلون ما بين لكم ها انتم اولاء ها للتنبيه وانتم مبتداء واولاء خبره اي
انتم اولاء الخاطئون في موالاة منافقي اهل الكتاب تحبونهم ولا يحبونكم بيان لخطائهم
في موالاتهم حيث يبذلون محبتهم لاهل البغضاء واولاء موصول صلته تحبونهم
والواو في وتؤمنون بالكتاب كله للحال وانتصابها من لا يحبونكم اي لا يحبونكم والحا[ل]
انكم تؤمنون بكتابهم كله وهم مع ذلك يبغضونكم فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون
بشيء من كتابكم وفيه توبيخ شديد بانهم في باطلهم اصلب منكم في حقكم وقيل الكتاب
للجنس واذا لقوكم قالوا امنا اظهروا كلمة التوحيد واذا خلوا فارقوكم او خلا بعضهم
ببعض عضوا عليكم الانامل من الغيظ يوصف المغتاظ والنادم بعض الانامل والبنان
والابهام قل موتوا بغيظكم دعاء عليهم بان يزداد غيظهم حتي يهلكوا به والمراد بزيادة
الغيظ زيادة ما يغيظهم من قوة[7] وعز اهله وما لهم في ذلك من الذل والخزي ان الله
عليم بذات الصدور فهو يعلم ما في صدور المنافقين من الحنق والبغضاء وما يكون منهم
في حال خلو بعضهم ببعض وهو داخل في جملة المقول اي اخبرهم بما يسرونه من عضهم
الانامل غيظا اذا خلوا وقل لهم ان الله عليم بما هو اخفي مما تسرونه بينكم وهو مضمرات
الصدور فلا تظنوا ان شيا من اسراركم يخفي عليه او خارج عن المقول اي قل لهم ذلك
يا محمد ولا تتعجب من اطلاعي اياك علي ما يسرون فاني اعلم بما هو اخفي من ذلك وهو ما

[7] الاسلام

اضمروه في صدورهم ان تمسسكم حسنة رخاء وخصب ونصرة وغنيمة تسؤهم تحزنهم
اصابتها وان تصبكم سيئة اضداد ما ذكرنا والمس مستعار من الاصابة وكان المعنى واحد
الا ترى الى قوله ان تصبك حسنة تسؤهم وان تصبك مصيبة يفرحوا بها باصابتها وان
ان تصبروا على عداوتهم وتتقوا ما نهيتم عنه من موالاتهم وان تصبروا على تكاليف الدين
ومشاقه وتتقوا الله في اجتنابكم محارمه لا يضركم كيدهم شيا مكرهم وكنتم في كنف الله
وهذا تعليم من الله وارشاد الى ان يستعان على كيد العدو بالصبر والتقوى وقال الحكما
اذا اردت ان تكبت من يحسدك فازدد فضلا في نفسك لا يضركم مكي وبصري ونافع من
ضاره يضيره بمعنى ضره وهو واضح والمشكل قراة غيرهم لانه جواب الشرط وجواب
الشرط مجزوم فكان ينبغي ان يكون بفتح الراء كقراءة المفضل عن عاصم الا ان ضمة الراء
لاتباع ضمة الضاد نحو مد يا هذا ان الله بما تعملون بالتاء سهل اي من الصبر والتقوى وغيرهما
محيط ففاعل بكم ما انتم اهله وبالياء غيره اي الله عالم بما يعملون في عداوتكم فمعاقبهم عليه
واذ غدوت من اهلك واذكر يا محمد اذ خرجت من اهلك بالمدينة غدوة اي من حجرة
عايشة رضي الله عنها الى احد تبوئ المومنين تنزلهم وهو حال مقاعد للقتال مواطن ومواقف
من الميمنة والميسرة والقلب والجناحين والساقة وللقتال يتعلق بتبوء والله سميع
لاقوالكم عليم بنياتكم وضمايركم روي ان المشركين نزلوا باحد يوم الاربعاء فاستشار رسول
الله صلى الله عليه وسلم اصحابه ودعا عبد الله ابن ابي فاستشاره فقال قم بالمدينة فما خرجنا
على عدو قط الا اصاب منا وما دخلوا علينا الا اصبنا منهم فقال عليه الصلوة والسلام اني
رايت في منامي بقرا مذبوحة حولي فاولتها خيرا ورايت في ذباب سيفي ثلمة فاولتها
هزيمة ورايت كاني ادخلت يدي في درع حصينة فاولتها المدينة فلم يزل قوم يلحون
في الشهادة حتى لبس لامته ثم ندموا فقالوا الامر اليك يا رسول الله فقال عليه الصلوة
والسلام لا ينبغي لنبي ان يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل فخرج بعد صلوة الجمعة واصبح
بالشعب من احد يوم السبت للنصف من شوال اذ همت بدل من اذ غدوت او عمل فيه معنى
عليم طايفتان منكم حيان من الانصار بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس فكان

تعليم

صلى الله

صلى الله عليه وسلم خرج الى احد في الف والمشركون ثلثة الاف ووعدهم الفتح ان صبروا فانخزل
ابن ابي بثلث الناس وقال علام نقتل انفسنا واولادنا وهم الحيان باتباعه فعصمهم الله فمضوا مع
رسول الله عليه الصلوة والسلام ان تفشلا اي بان تفشلا اي تجبنا وتضعفا والفشل الجبن
والخور والله وليهما اي محبهما او ناصرهما او متولي امرهما فما لهما تفشلان ولا تتوكلان
على الله وعلى الله فليتوكل المومنون امرهم بان لا يتوكلوا الا عليه ولا يفوضوا امورهم الا
اليه قال جابر والله ما يسرنا انا لم نهم بالذي هممنا به وقد اخبرنا الله بانه ولينا ثم ذكرهم ما
يوجب عليهم التوكل مما يسر لهم من الفتح يوم بدر في حال قلة وذلة فقال ولقد نصركم الله
ببدر وهو اسم ما بين مكة والمدينة كان لرجل يسمى بدرا فسمي به او ذكر بدرا بعد احد
للجمع وبين الصبر والشكر وانتم اذلة لقلة العدد فانهم كانوا ثلث ماية وبضعة عشر رجلا
وكان عدوهم زهاء الف مقاتل والعدد فانهم خرجوا على النواضح يعتقب النفر منهم على
البعير الواحد وما كان معهم الا فرس واحد ومع عدوهم ماية فرس والشكة والشوكة وجاء
بجمع القلة وهو اذلة ليدل على انهم على ذلتهم كانوا قليلا فاتقوا الله في الثبات مع رسوله
لعلكم تشكرون بتقويكم ما انعم به عليكم من النصر اذ تقول للمومنين ظرف لنصركم على ان
يقول لهم ذلك يوم بدر اي نصركم الله وقت مقالك هذه او بدل ثان من اذ غدوت على ان
يقول لهم ذلك يوم احد الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلثة الاف من الملايكة منزلين منزلين
شامي منزلين ابو حيوة اي النصرة ومعنى الن يكفيكم انكار ان لا يكفيهم الامداد بثلثة الاف
من الملايكة وجيء بلن الذي هو لتاكيد معنى النفي للاشعار بانهم كانوا لقلتهم وضعفهم و
كثرة عدوهم وشوكتهم كالايسين من النصرة بلى ايجاب لما بعد لن اي بلى يكفيكم الامداد بهم
فاوجب الكفاية ثم قال ان تصبروا على القتال وتتقوا خلاف الرسول عليه السلام ويأتوكم يعني
المشركين من فورهم هذا هو من فارت القدر اذا غلت فاستعير للسرعة ثم سميت به الحالة
التي لا ريث فيها ولا تعريج على شي من صاحبها فقيل خرج من فوره كما تقول من ساعته لم يلبث
ومنه قول الكرخي الامر المطلق على الفور لا على التراخي والمعنى ان ياتوكم من ساعتهم هذه يمددكم
ربكم بخمسة الاف من الملايكة في حال اتيانهم لا يتاخر نزولهم عن اتيانهم يعني ان الله يعجل نصركم

نصركم ويبشر فتحكم ان صبرتم واتقيتم مسومين بكسر الواو مكي وابو عمرو وعاصم وسهل
اي معلمين انفسهم او خيلهم بعلامة يعرف بها في الحرب والسومة العلامة عن الضحاك
معلمين بالصوف الابيض في نواصي الدواب واذنابها غيرهم بفتح الواو اي معلمين قال
الكلبي معلمين بعمايم صفر مرخاة علي اكتافهم وكانت عمامة الذي يوم بدر صفراء فنزلت
الملايكة كذلك قال قتادة نزلت الف فصاروا ثلثة الاف ثم خمسة الاف وما جعله الله
الضمير يرجع الي الامداد الذي دل عليه ان يمدكم الا بشري لكم وما جعل الله امدادكم بالملايكة
الا بشارة لكم بانكم تنصرون بالنصرة وطمانية لقلوبهم ولتطمين قلوبكم به كما كانت
السكينة لبني اسراييل بشارة بالنصرة وطمانية لقلوبهم وما النصر الا من عند الله لا من
عند المقاتلة ولا من عند الملايكة ولكن ذلك مما يقوي به الله رجاء النصرة والطمع
في الرحمة العزيز الذي لا يغالب في احكامه الحكيم الذي يعطي النصر لاوليايه ويبتليهم
بجهاد اعدايه واللام في ليقطع طرفا من الذين كفروا ليهلك طايفة منهم بالقتل والاسر
وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين من روساء مكة متعلقة بقوله ولقد
نصركم الله او بقوله وما النصر الا من عند الله او يمددكم ربكم او يكبتهم او يخزيهم و
يغيظهم بالهزيمة وحقيقة الكبت شدة وهن تقع في القلب فيصرع في الوجه لاجله
فينقلبوا خايبين فيرجعوا غير ظافرين بمبتغاهم ليس لك من الامر شيء اسم ليس شيء و
الخبر لك ومن الامر حال من شيء لانها صفة مقدمة او يتوب عليهم عطف علي ليقطع طرفا
من الذين كفروا او يكبتهم وليس لك من الامر شيء اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه
والمعني ان الله مالك امرهم فاما ان يهلكهم او يهزمهم او يتوب عليهم ان اسلموا او يعذبهم
ان اصروا علي الكفر وليس لك من امرهم شيء انما انت عبد مبعوث لانذارهم ومجاهدتهم
وعن الفراء او بمعني حتي وعن ابن عيسي الا ان كقولك لالزمنك او تعطيني حقي اي ليس
لك من امرهم شيء الا ان يتوب الله عليهم فتفرح بحالهما او يعذبهم فتشفي منهم وقيل اراد
ان يدعوا عليهم فنهاه الله تعالي لعلمه ان فيهم من يومن فانهم ظالمون مستحقون للتعذيب
ولله ما في السموات وما في الارض اي الامر له لا لك لان ما في السموات والارض ملكه

يغفر

يغفر لمن يشاء للمومنين ويعذب من يشاء للكافرين والله غفور رحيم يا ايها الذين امنوا
لا تاكلوا الربوا اضعافا مضاعفة مضعفة مكي وشامي هذا نهي عن الربوا مع توبيخ بما
كانوا عليه من تضعيفه كان الرجل منهم اذا بلغ الدين محله يقول اما ان تقضي حقي او
تربي وازيد في الاجل واتقوا الله في اكله لعلكم تفلحون واتقوا النار التي اعدت للكافرين
كان ابو حنيفة رضي الله عنه يقول هي اخوف اية في القران حيث اوعد الله المومنين
بالنار المعدة للكافرين ان لم يتقوه في اجتناب محارمه وقد امد ذلك بما اتبعه من تعليق
رجاء المومنين لرحمته بتوفرهم علي طاعته وطاعة رسوله بقوله واطيعوا الله والرسول
لعلكم ترحمون وفيه رد علي المرجية في قولهم لا يضر مع الايمان ذنب ولا يعذب بالنار اصلا
وعندنا غير الكافرين من العصاة قد يدخلها ولكن عاقبة امرهم الجنة وفي ذكره تعالي لعل وعسي
في نحو هذه المواضع وان قال اهل التفسير ان لعل وعسي من الله للتحقيق ما لا يخفي علي العارف
من دقة مسلك التقوي وصعوبة اصابته رضي الله تعالي وعزة التوصل الي رحمته وثوابه
وسارعوا الي مغفرة من ربكم وجنة سارعوا مدني وشامي بغير الواو عطفها علي ما
قبلها ومن حذفها استانفها ومعني المسارعة الي المغفرة والجنة الاقبال الي ما يوصل اليهما
ثم قيل هي الصلوات الخمس او التكبيرة الاولي او الطاعة او الاخلاص او التوبة او الجمعة او
الجماعات عرضها السموات والارض اي عرضها عرض السموات والارض كقوله كعرض السماء
والارض والمراد وصفها بالسعة والبسطة فشبهت باوسع ما علمه الناس من خلقه وابسطه
وخص العرض لانه في العادة ادني من الطول للمبالغة وعن ابن عباس رضي الله عنهما كسبع
سموات وسبع ارضين لو وصل بعضها ببعض وما روي ان الجنة في السماء او في السماء الرابعة
فمعناه انها في جهتها لا انها فيها او في بعضها كما يقال في الدار بستان وان كان يزيد عليها لان
المراد انه بابه اليها اعدت في موضع جر صفة لجنة ايضا اي جنة واسعة معدة للمتقين و
دلت الايتان علي ان الجنة والنار مخلوقتان ثم المتقي من يتقي الشرك كما قال وجنة عرضها
كعرض السماء والارض اعدت للذين امنوا بالله ورسله او من يتقي المعاصي فان كان المراد
الثاني فهي لهم بغير عقوبة وان كان الاول فهي لهم ايضا في العاقبة ويوقف عليها ان جعل

الذين ينفقون في السراء والضراء في حال العسر واليسر مبتداء وعطف عليه والذين اذا
فعلوا فاحشة وجعل الخبر اوليك وان جعل وصفا للمتقين وعطف عليه والذين اذا فعلوا
فاحشة اي اعدت للمتقين والتايبين فلا وقف فان قلت الاية تدل على ان الجنة معدة
للمتقين والتايبين دون المصرين قلت جاز ان يكون معدة لهم ثم يدخلها بفضل الله
وعفوه غيرهم كما يقال اعدت هذه المايدة للامير ثم قد ياكلها اتباعه الا ترى انه قال
واتقوا النار التي اعدت للكافرين ثم قد يدخلها غير الكافرين بالاتفاق وافتتح بذكر الانفاق
لانه اشق شي على النفس وادل على الاخلاص ولانه كان في ذلك الوقت اعظم الاعمال
للحاجة اليه في مجاهدة العدو ومواساة فقراء المسلمين وقيل المراد الانفاق في جميع
الاحوال لانها لا تخلو من حال مسرة ومضرة والكاظمين الغيظ والممسكين الغيظ عن
الامضاء يقال كظم القربة اذا ملاها وشد فاها ومنه كظم الغيظ وهو ان يمسك
على ما في نفسه منه بالصبر ولا يظهر له اثرا والغيظ توقد حرارة القلب من الغضب
وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملا الله قلبه امنا وايمانا
والعافين عن الناس اي اذا جنى عليهم احد لم يؤاخذوه وروي ينادي مناد يوم القيمة
اين الذين كانت اجورهم على الله فلا يقوم الا من عفى وعن ابن عيينة انه رواه للرشيد
وقد غضب على رجل فخلاه والله يحب المحسنين اللام للجنس فيتناول كل محسن فيدخل
تحته هولاء المذكورون او للعهد فيكون اشارة الى هولاء وعن الثوري الاحسان
ان تحسن الى المسي فان الاحسان الى المحسن متاجرة والذين اذا فعلوا فاحشة فعلة
متزايدة القبح ويجوز ان يكون والذين مبتداء وخبره اوليك او ظلموا انفسهم
قيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة او الفاحشة الزنا وظلم النفس القبلة
واللمسة ونحوهما ذكروا الله بلسانهم او بقلوبهم ليبعثهم على التوبة فاستغفروا لذنوبهم
فتابوا عنها لقبحها نادمين قيل بكى ابليس حين نزلت هذه الاية ومن يغفر الذنوب
الا الله من مبتداء يغفر خبره وفيه ضمير يعود الى من والا الله بدل من الضمير في يغفر
والتقدير ولا احد يغفر الذنوب الا الله وهذه جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف

عليه وفيه تطييب لنفوس العباد وتنشيط للتوبة وبعث عليها وردع عن الياس والقنوط
والبيان لسعة رحمته وقرب مغفرته من التايب واشعار بان الذنوب وان جلت
فان عفوه اجل وكرمه اعظم ولم يصروا على ما فعلوا ولم يقيموا على قبيح فعلهم والاصرار
الاقامة قال عليه الصلوة والسلام ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة وروي
لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الاصرار وهم يعلمون حال من الضمير في يصروا اي
وهم يعلمون انهم اساؤا او وهم يعلمون انه لا يغفر ذنوبهم الا الله اوليك الموصوفون
جزاؤهم مغفرة من ربهم بتوبته وجنات برحمته تجري من تحتها الانهار خالدين فيها
ونعم اجر العاملين المخصوص بالمدح محذوف اي ونعم اجر العاملين ذلك يعني المغفرة
والجنات نزلت في تمار قال لامراة تريد التمر في بيتي تمر اجود فادخلها بيته وضمها الى نفسه
وقبلها فندم او في انصاري استخلفه ثقفي وقد اخى بينهما النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة فاتى
اهله لكفاية حاجة فرآها فقبلها فندم فساح في الارض صارخا فاستعتبه الله تعالى
قد خلت مضت من قبلكم سنن يريد ما سنه الله تعالى في الامم المكذبين من وقايعه فسيروا
في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين فتعتبروا بها هذا اي القران او ما تقدم
ذكره بيان للناس وهدى اي ارشاد وموعظة ترغيب وترهيب للمتقين من الشرك
ولا تهنوا ولا تضعفوا عن الجهاد لما اصابكم من الهزيمة ولا تحزنوا على ما فاتكم من الغنيمة
او على من قتل منكم وجرح وهو تسلية من الله لرسوله وللمومنين عما اصابهم يوم
احد وتقوية لقلوبهم وانتم الاعلون وحالكم انكم اعلى منهم واغلب لانكم اصبتم منهم
يوم بدر اكثر مما اصابوا منكم يوم احد او وانتم الاعلون بالنصر والظفر في العاقبة
وهي بشارة لهم بالعلو والغلبة وان جندنا لهم الغالبون او وانتم الاعلون شانا لان
قتالكم لله ولاعلاء كلمته وقتالهم للشيطان ولاعلاء كلمة الكفر ولان قتلاكم في الجنة و
قتلاهم في النار ان كنتم مومنين متعلق بالنهي اي ولا تهنوا ان صح ايمانكم يعني ان صحة
الايمان توجب قوة القلب والثقة بوعد الله وقلة المبالات باعدائه او بالاعلون اي ان
كنتم مصدقين بما يعدكم الله ويبشركم به من الغلبة ان يمسسكم قرح بضم القاف حيث كان

كو في غير حفص وبفتح القاف غيرهم وهما لغتان كالضعف والضعف وقيل بالفتح الجراحة وبالضم
المها فقد مس القوم قرح مثله اي ان نالوا منكم يوم احد فقد نلتم منهم قبله يوم بدر ثم لم تضعف
ذلك قلوبهم ولم يمنعهم عن معاودتكم الى القتال فانتم اولى ان لا تضعفوا وتلك مبتداء والايام
صفته والخبر نداولها نصرفها بين الناس اي نصرف ما فيها من النعم والنقم نفطي لهولاء تارة
ولهولاء كبيت الكتاب فيوما علينا ويوما لنا ويوما نساء ويوما نسر وليعلم الله الذين آمنوا
اي نداولها ضروب من التدبير وليعلم الله المومنين مميزين بالصبر والايمان من غيرهم كما
علمهم قبل الوجود ويتخذ منكم شهداء وليكرم منكم ناسا بالشهادة يريد المستشهدين يوم
احد او ليتخذ منكم من يصلح للشهادة على الامم يوم القيمة من قوله لتكونوا شهداء على الناس
والله لا يحب الظالمين اعتراض بين بعض التعليل وبعض معناه والله لا يحب من ليس من هولاء
الثابتين على الايمان المجاهدين في سبيله وهم المنافقون والكافرون وليمحص الله الذين آمنوا
التمحيص التطهير والتصفية ويمحق الكافرين ويهلكهم يعني ان كانت الدولة على المومنين فللتميز
وللاستشهاد والتمحيص وان كانت على الكافرين فلمحقهم ومحو آثارهم ام حسبتم ان تدخلوا
الجنة ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها للانكار اي لا تحسبوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم
اي ولما تجاهدوا لان العلم متعلق بالمعلوم فنزل نفي العلم منزلة نفي متعلقه لانه منتف
بانتفايه تقول ما علم الله في فلان خيرا اي ما فيه خير حتى يعلمه ولما بمعنى لم الا ان فيه ضربا
من التوقع فدل على نفي الجهاد فيما مضى وعلى توقعه فيما يستقبل ويعلم الصابرين نصب باضمار
ان والواو بمعنى الجمع نحو لا تاكل السمك وتشرب اللبن او جزم بالعطف على يعلم الله و
انما حركت الميم لالتقاء الساكنين واختير الفتحة للفتحة قبلها ولقد كنتم تمنون الموت من
قبل ان تلقوه خوطب به الذين لم يشهدوا بدرا فكانوا يتمنون ان يحضروا مشهدا مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم لينالوا كرامة الشهادة وهم الذين الحوا على رسول الله صلى الله
عليه وسلم في الخروج الى المشركين فكان رايه عليه السلام في الاقامة بالمدينة يعني وكنتم
تتمنون الموت قبل ان تشاهدوه وتعرفوا شدته فقد رايتموه وانتم تنظرون اي رايتموه
معاينين مشاهدين له حين قتل اخوانكم بين ايديكم وشارفتم ان تقتلوا وهذا توبيخ لهم

علي تمنيهم

علي تمنيهم الموت وعلى ما تسببوا له من خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحاحهم عليه ثم
انهزامهم عنه وانما تمنوا الشهادة لينالوا كرامة الشهداء من غير قصد الى ما تتضمن من غلبة
الكفار كمن شرب الدواء من طبيب نصراني فان قصده حصول الشفا ولا يخطر بباله ان فيه
جر منفعة الى عدو الله وتنفيقا لصناعته لما رمى ابن قمية رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر
فكسر رباعيته اقبل يريد قتله فذب عنه مصعب ابن عمير وهو صاحب الراية حتى قتله
ابن قمية وهو يرى انه رسول الله فقال قتلت محمدا صلى الله عليه وسلم وصرخ صارخ قيل هو
الشيطان الا ان محمدا قد قتل ففشا للناس خبر قتله فانكفئوا وجعل رسول الله صلى الله عليه
وسلم يدعو الى عباد الله حتى انحازت اليه طايفة من اصحابه فلامهم على هربهم فقالوا يا
رسول الله فديناك بابائنا وامهاتنا اتانا خبر قتلك فولينا مدبرين فنزل وما محمد الا رسول
قد خلت مضت من قبله الرسل فسيخلو كما خلوا وكما ان اتباعهم بقوا متمسكين بدينهم بعد
خلوهم فعليكم ان تمسكوا بدينه بعد خلوه لان المقصود من بعثة الرسل تبليغ الرسالة والزام
الحجة لا وجوده بين اظهر قومه افاين مات او قتل انقلبتم على اعقابكم الفاء متعلقة للجملة
الشرطية بالجملة التي قبلها على معنى التسبيب والهمزة لانكار ان يجعلوا خلو الرسل قبله سببا
لانقلابهم على اعقابهم بعد هلاكه بموت او قتل مع علمهم ان خلو الرسل قبله وبقاء دينهم
متمسكا به تجب ان يجعل سببا للتمسك بدين محمد صلى الله عليه وسلم لا للانقلاب عنه والانقلاب
على العقبين مجاز على الارتداد او عن الانهزام ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا
وانما ضر نفسه وسيجزي الله الشاكرين الذين لم ينقلبوا وسماهم شاكرين لانهم شكروا نعمة
الاسلام فيما فعلوا وما كان وما جاز لنفس ان تموت الا باذن الله اي بعلمه او ان ياذن ملك
الموت قبض روحه والمعنى ان موت النفس محال ان يكون الا بمشية الله وفيه تحريض على
الجهاد وتشجيع على لقاء العدو واعلام بان الحذر لا ينفع وان احدا لا يموت قبل بلوغ اجله
وان خاض المهالك واقتحم المعارك كتابا مصدر لان المعنى كتب الموت كتابا موجلا موقتا
له اجل معلوم لا يتقدم ولا يتاخر ومن يرد بقتاله ثواب الدنيا اي الغنيمة وهو تعريض

طبيب

بالذين شغلتهم الغنائم يوم احد نؤته منها من ثوابها ومن يرد ثواب الآخرة اي اعلاء كلمة
الله والدرجة في الآخرة نؤته منها وسنجزي الشاكرين وسنجزي الجزاء المبهم الذين شكروا
نعمة الله فلم يشغلهم شيء عن الجهاد وكاين اصله اي دخل عليه كاف التشبيه وصار في معنى
كم التي للتكثير وكاين بوزن كاع حيث كان مكي من نبي قاتل قتل مكي وبصري ونافع معه ربيون
حال من الضمير في قتل اي قتل كاينا معه ربيون كثير والربيون الربانيون وعن الحسن بضم
الراء وعن بعضهم بفتحها فالفتح على القياس لانه منسوب الى الرب والضم والكسر من تغييرات
النسب فما وهنوا فما فتروا عند قتل نبيهم لما اصابهم في سبيل الله وما ضعفوا عن الجهاد بعده
وما استكانوا وما خضعوا لعدوهم وهذا تعريض بما اصابهم من الوهن عند الارجاف بقتل
رسول الله صلى الله عليه وسلم واستكانتهم لهم حيث ارادوا ان يعتضدوا بابن ابي في طلب
الامان من ابي سفيان والله يحب الصابرين على جهاد الكافرين وما كان قولهم الا ان قالوا
ربنا اغفر لنا ذنوبنا اي وما كان قولهم الا هذا القول وهو اضافة الذنوب الى انفسهم
مع كونهم ربانيين هضما لها واسرافنا في امرنا تجاوزنا حد العبودية وثبت اقدامنا
في القتال وانصرنا على القوم الكافرين بالغلبة وقدم الدعاء بالاستغفار من الذنوب على طلب
تثبيت الاقدام في مواطن الحرب والنصرة على الاعداء لانه اقرب الى الاجابة لما
فيه من الخضوع والاستكانة فاتيهم الله ثواب الدنيا اي النصرة والظفر والغنيمة وحسن
ثواب الآخرة المغفرة والجنة وخص بالحسن دلالة على فضله وتقدمه وانه هو المعتد
به عنده والله يحب المحسنين اي هم محسنون والله يحبهم يا ايها الذين امنوا ان
تطيعوا الذين كفروا يردوكم على اعقابكم يرجعوكم الى الشرك فتنقلبوا خاسرين قيل
هو عام في جميع الكفار وعلى المؤمنين ان يجانبوهم ولا يطيعوهم في شيء حتى لا يستجروهم
الى موافقتهم وعن السدي ان تستكينوا لابي سفيان واصحابه وتستامنوهم يردوكم الى
دينهم وقال علي رضي الله عنه نزلت في قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى
اخوانكم وادخلوا في دينهم بل الله موليكم ناصركم فاستغنوا عن نصرة غيره وهو خير الناصرين

موافقتهم

سنلقي

سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب الرعب شامي وعلي وهما لغتان قيل قذف الله في
قلوب المشركين الخوف يوم احد فانهزموا الى مكة من غير سبب ولهم القوة والغلبة بما
اشركوا بالله بسبب اشراكهم اي كان السبب في القاء الله الرعب في قلوبهم اشراكهم به ما لم
ينزل به سلطانا آلهة لم ينزل الله باشراكها حجة لم يرد ان هناك حجة الا انه لم تنزل عليهم لان
الشرك لا يستقيم ان تقوم عليه حجة وانما المراد نفي الحجة ونزولها جميعا كقوله ولا ترى الضب بها
ينجحر اي ليس بها ضب ولا ترى الضب فينجحر ولم يعن ان بها ضبا ولا ينجحر وماويهم ومرجعهم
النار وبئس مثوى الظالمين النار فالمخصوص بالذم محذوف ولما رجع رسول الله صلى الله
عليه وسلم مع اصحابه الى المدينة قال ناس من اصحابه من اين اصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر فنزل
ولقد صدقكم الله وعده اي حقق اذ تحسونهم تقتلونهم قتلا ذريعا وعن ابن عيسى حسه
ابطل حسه بالقتل باذنه بامره وعلمه حتى اذا فشلتم جبنتم وتنازعتم في الامر اي اختلفتم و
عصيتم امر نبيكم بترككم المركز واشتغالكم بالغنيمة من بعد ما اريكم ما تحبون من الظفر
وقهر الكفار ومتعلق اذا محذوف تقديره حتى اذا فشلتم منعكم نصره وجاز ان يكون
المعنى صدقكم الله وعده الى وقت فشلكم منكم من يريد الدنيا اي الغنيمة وهم الذين
تركوا المركز لطلب الغنيمة روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل احدا خلف ظهره
واستقبل المدينة واقام الرماة عند الجبل وامرهم ان يثبتوا في مكانهم ولا يبرحوا كانت
الدولة للمسلمين او عليهم فلما اقبل المشركون جعل الرماة يرشقون خيلهم والباقون
يضربونهم بالسيوف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم يقتلونهم حتى اذا فشلوا وتنازعوا
فقال بعضهم قد انهزم المشركون فما موقفنا هنا فادخلوا عسكر المسلمين وخذوا الغنيمة
مع اخوانكم وقال بعضهم لا تخالف امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن ثبت مكانه عبد الله
ابن جبير امير الرماة في نفر دون العشرة وهم المعنيون بقوله ومنكم من يريد الآخرة فكر
المشركون على الرماة وقتلوا عبد الله بن جبير واقبلوا على المسلمين حتى هزموهم وقتلوا
من قتلوا وهو قوله ثم صرفكم عنهم اي كف معونته عنكم فغلبوكم ليبتليكم ليمتحن صبركم
على المصائب وثباتكم عندها وحقيقته ليعاملكم معاملة المختبر لانه يجازي على ما يعمله العبد

لا على ما يعلم منه ولقد عفا عنكم حيث ندمتم على ما فرط منكم من عصيان رسول الله صلى الله عليه وسلم
والله ذو فضل على المومنين بالعفو عنهم وقبول توبتهم او هو متفضل عليهم في جميع الاحوال
سواء اديل لهم او اديل عليهم لان الابتلاء رحمة كما ان النصرة رحمة وانتصب اذ تصعدون
تبالغون في الذهاب في صعيد الارض والاصعاد الذهاب في الارض والابعاد فيه بصرفكم او ب
ليبتليكم او باضمار اذكروا ولا تلوون على احد ولا تلتفتون وهو عبارة عن غاية انهزامهم وخوفهم
عدوهم والرسول يدعوكم يقول الي عباد الله انا رسول الله من يكر فله الجنة والجملة في موضع
الحال في اخريكم في ساقتكم وجماعتكم الاخرى وهي المتاخرة يقال جيت في اخر الناس واخريهم كما
تقول في اولهم واوليهم بتاويل مقدمتهم وجماعتهم الاولى فاثابكم عطف على صرفكم اي فجازاكم
الله غما حين صرفكم عنهم وابتلاكم بغم بسبب غم اذقتموه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعصيانكم
امره او غما مضاعفا غما بعد غم وغما متصلا بغم من الاغتمام بما ارجف به من قتل رسول الله صلى الله
عليه وسلم والجرح والقتل وظفر المشركين وفوت الغنيمة والنصرة لكيلا تحزنوا على ما فاتكم لتتمرنوا
على تجرع الغموم فلا تحزنوا فيما بعد على فائت من المنافع ولا ما اصابكم ولا على مصيب من المضار
والله خبير بما تعملون عالم بعملكم لا يخفى عليه شيء من اعمالكم وهذا ترغيب في الطاعة وترهيب
عن المعصية ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا ثم انزل الله الامن على المومنين وازال عنهم
الخوف الذي كان بهم حتى نعسوا وغلبهم النوم عن ابي طلحة غشينا النعاس ونحن في مصافنا
وكان السيف يسقط من يد احدنا فياخذه ثم يسقط فياخذه والامنة الامن ونعاسا بدل
من امنة او هو مفعول وامنة حال منه مقدمة عليه نحو رايت راكبا رجلا واصله انزل
عليكم نعاسا ذا امنة اذ النعاس ليس هو الامن ويجوز ان يكون امنة مفعولا له او حالا من
المخاطبين بمعنى ذوي امنة او على انه جمع آمن كبار وبررة يغشى يعني النعاس تغشى بالتاء
والامالة حمزة وعلي اي الامنة طائفة منكم هم اهل الصدق واليقين وطائفة هم المنافقون
قد اهمتهم انفسهم ما بهم الا هم انفسهم وخلاصها لا هم الدين ولا هم رسول الله صلى الله عليه
وسلم والمسلمين رضوان الله عليهم اجمعين يظنون بالله غير الحق في حكم المصدر اي يظنون بالله
غير الظن الحق الذي يجب ان يظن به وهو ان لا ينصر محمدا صلى الله عليه وسلم ظن الجاهلية بدل منه

والمراد الظن المختص بالملة الجاهلية او ظن اهل الجاهلية اي لا يظن مثل ذلك الظن الا اهل
الشرك الجاهلون بالله يقولون هل لنا من الامر من شيء هل لنا معاشر المسلمين من امر الله
نصيب قط يعنون النصر والغلبة على العدو قل ان الامر اي النصر والغلبة كله لله ولاوليائه
المومنين وان جندنا لهم الغالبون كله تاكيد للامر ولله خبر ان كله بصري وهو مبتدأ
ولله خبره والجملة خبر ان يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك خوفا من السيف يقولون
في انفسهم او بعضهم لبعض منكرين كقولك لهم ان الامر كله لله لو كان لنا من الامر شيء
ما قتلنا ههنا اي لو كان الامر كما قال محمد صلى الله عليه وسلم ان الامر كله لله ولاوليائه وانهم
الغالبون لما غلبنا قط ولما قتل من المسلمين من قتل في هذه المعركة قد اهمتهم صفة لطائفة
ويظنون خبر لطائفة او صفة اخرى او حال اي قد اهمتهم انفسهم ظانين ويقولون بدل
من يظنون ويخفون حال من يقولون وقل ان الامر كله لله اعتراض بين الحال وذي الحال
ويقولون بدل من يخفون او استيناف قل لو كنتم في بيوتكم اي من علم الله منه انه يقتل
في هذه المعركة وكتب ذلك في اللوح لم يكن بد من وجوده فلو قعدتم في بيوتكم لبرز من بينكم
الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم مصارعهم باحد ليكون ما علم انه يكون والمعنى ان الله
كتب في اللوح قتل من يقتل من المومنين وكتب مع ذلك انهم الغالبون لعلمه ان العاقبة في
الغلبة لهم وان الاوقات تمحيص لهم وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم وليمتحن
ما في صدور المومنين من الاخلاص ويمحص ما في قلوبهم من وساوس الشيطان فعل ذلك
او فعل ذلك لمصالح جمة وللابتلاء والتمحيص والله عليم بذات الصدور بخفياتها ان
الذين تولوا منكم انهزموا يوم التقى الجمعان جمع محمد صلى الله عليه وسلم وجمع ابي سفيان
للقتال باحد انما استزلهم الشيطان دعاهم الى الزلة وحملهم عليها ببعض ما كسبوا بتركهم المركز الذي
امرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالثبات فيه فالاضافة الى الشيطان لطف وتقريب والتعليل
بكسبهم وعظ وتاديب وكان اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم تولوا عنه يوم احد الا ثلاثة عشر
رجلا منهم ابو بكر وعلي وطلحة وابن عوف وسعد ابن ابي وقاص والباقون من الانصار ولقد
عفا الله عنهم تجاوز عنهم ان الله غفور للذنوب حليم لا يعاجل بالعقوبة يا ايها الذين

امنوا لا تكونوا كالذين كفروا كابن ابي واصحابه وقالوا لاخوانهم في النسب او في النفاق اذا
ضربوا في الارض سافروا فيها للتجارة او غيرها او كانوا غزي جمع غاز كعاف وعفي واصابهم
موت او قتل لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم اللام يتعلق
بلا تكونوا اي لا تكونوا كهولاء في النطق بذلك القول واعتقاده ليجعل الله ذلك حسرة
في قلوبهم خاصة ويصون منها قلوبكم او بقالوا اي قالوا ذلك واعتقدوه ليجعل الله
ذلك حسرة في قلوبهم والحسرة الندامة علي فوت المحبوب والله يحيي ويميت رد لقولهم
ان القتال يقطع الاجال اي الامر بيده قد يحيي المسافر والمقاتل ويميت المقيم والقاعد والله
بما تعملون بصير فيجازيكم باعمالكم يعملون مكي وحمزة وعلي اي الذين كفروا ولين قتلتم في
سبيل الله او متم ومتم وبابه بالكسر نافع وكوفي غير عاصم تابعهم حفص الا في هذه الصورة
كانه اراد الوفاق بينه وبين قتلتم غيرهم بضم الميم في جميع القران فالضم من مات يموت
والكسر من مات يمات كخاف يخاف وكما تقول خفت تقول مت لمغفرة من الله ورحمة
خير مما يجمعون ما بمعني الذي والعايد محذوف بالياء حفص اي يجمع الكفار ولين متم
او قتلتم لالي الله تحشرون لالي الرحيم الواسع الرحمة المثيب العظيم الثواب يحشرون
ولوقوع اسم الله هذا الموضع مع تقديمه وادخال اللام علي الحرف المتصل به شان فني عن
البرهان لمغفرة جواب القسم وهو ساد مسد جواب الشرط وكذلك لالي الله تحشرون
كذب الكافرين اولا في زعمهم ان من سافر من اخوانهم او غزا لو كان بالمدينة لما مات وفي المسلمين
من ذلك لانه سبب التقاعد عن الجهاد ثم قال لهم ولين تم عليكم ما تخافونه من الهلاك بالموت
او القتل في سبيل الله فان ما تنالونه من المغفرة والرحمة بالموت في سبيل الله خير مما
يجمعون من الدنيا لان الدنيا زاد المعاد فاذا وصل العبد الي المراد لم يحتج الي الزاد فبما
رحمة من الله لنت لهم ما مزيدة للتوكيد والدلالة علي ان لينه لهم ما كان الا برحمة من الله
ومعني الرحمة ربطه علي جاشه وتوفيقه للرفق والتلطف بهم ولو كنت فظا جافيا غليظ
القلب قاسيه لانفضوا من حولك لتفرقوا عنك حتي لا يبقي حولك احد منهم فاعف عنهم
ما كان منهم يوم احد مما يختص بك واستغفر لهم فيما يختص بحق الله اتماما للشفقة عليهم

وشاورهم

وشاورهم في الامر في امر الحرب ونحوه مما لم ينزل عليك فيه وحي تطييبا لنفوسهم وترويحا لقلوبهم
ورفعا لاقدارهم او لتقتدي بك امتك فيها في الحديث ما تشاور قوم قط الا هدوا لارشد
امرهم وعن ابي هريرة ما رايت احدا اكثر مشاورة من اصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم
ومعني شاورت فلانا اظهرت ما عندي وما عنده من الراي وشرت الدابة استخرجت
جريها وشرت العسل اخذته من ماخذه وفيه دلالة جواز الاجتهاد وبيان ان القياس
حجة فاذا عزمت فاذا قطعت الراي علي شي بعد الشوري فتوكل علي الله في امضاء امرك علي
الارشد لا علي المشورة ان الله يحب المتوكلين عليه والتوكل الاعتماد علي الله وتفويض الامر
اليه وقال ذو النون خلع الارباب وقطع الاسباب ان ينصركم الله كما نصركم يوم بدر فلا
غالب لكم فلا احد يغلبكم وانما يدرك نصر الله من تبرا من حوله وقوته واعتصم
بربه وقدرته وان يخذلكم كما خذلكم يوم احد فمن ذا الذي ينصركم من بعده من
بعد خذلانه وهو ترك المعونة او هو من قولك ليس لك من يحسن اليك من بعد
فلان تريد اذا جاوزته وهذا تنبيه علي ان الامر كله لله وعلي وجوب التوكل وعلي الله
فليتوكل المومنون وليخص المومنون ربهم بالتوكل عليه والتفويض اليه لعلمهم انه
لا ناصر سواه ولان ايمانهم يقتضي ذلك وما كان لنبي ان يغل مكي وابو عمرو وعاصم
اي يخون وبضم الياء وفتح الغين غيرهم يقال غل شيا من المغنم غلولا واغل اغلالا
اذا اخذه في خفية ويقال اغله اذا وجده غالا والمعني وما صح له ذلك يعني ان النبوة
تنافي الغلول وكذا من قراء علي البناء للمفعول فهو راجع الي هذا لان معناه وما صح
له ان يوجد غالا ولا يوجد غالا الا اذا كان غالا روي ان قطيفة حمراء فقدت يوم
بدر مما اصيب من المشركين فقال بعض المنافقين لعل رسول الله صلي الله عليه وسلم اخذها
فنزلت الاية ومن يغلل يات بما غل يوم القيمة اي يات بالشي الذي غله بعينه حاملا
علي ظهره كما جاء في الحديث او يات بما احتمل من وباله واثمه ثم توفي كل نفس ما كسبت
تعطي جزاها وافيا ولم يقل ثم توفي ما كسبت ليتصل بقوله ومن يغلل بل جيء عام ليدخل
تحته كل كاسب من الغال وغيره فاتصل به من حيث المعني وهو ابلغ لانه اذا علم الغال

لعلمهم

ان كل كاسب خيرا او شرا مجزي فهو في جزاءه عالم انه غير متخلص من بينهم مع عظم ما
اكتسب وهم لا يظلمون اي جزاء كل علي قدر كسبه افمن اتبع رضوان الله اي رضي الله قبل
هم المهاجرون والانصار كمن باء بسخط من الله وهم المنافقون والكفار وماويه جهنم
وبيس المصير المرجع هم درجات عند الله هم متفاوتون كما يتفاوت الدرجات او
ذوو درجات والمعني تفاوت منازل المثابين منهم ومنازل المعاقبين او التفاوت
بين الثواب والعقاب والله بصير بما يعملون عالم باعمالهم ودرجاتها فمجازيهم علي
حسبها لقد من الله علي المومنين علي من آمن مع رسول الله صلي الله عليه وسلم من قومه
وخص المومنين منهم لانهم هم المنتفعون لمبعثه اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم من جنسهم
عربيا مثلهم او من ولد اسمعيل كما انهم من ولده والمنة في ذلك من حيث انه اذا كان منهم
كان اللسان واحدا فيسهل اخذ ما يجب عليهم اخذه عنه وكانوا واقفين علي احواله في
الصدق والامانة فكان ذلك اقرب لهم الي تصديقه وكان لهم شرف بكونه منهم و
في قراءة رسول الله صلي الله عليه وسلم من انفسهم من اشرفهم يتلوا عليهم اياته اي القرآن
بعدما كانوا اهل جاهلية لم يطرق اسماعهم شي من الوحي ويزكيهم ويطهرهم بالايمان من
دنس الكفر والطغيان او ياخذ منهم الزكوة ويعلمهم الكتاب والحكمة اي القران والسنة و
ان كانوا من قبل من قبل بعثة الرسول صلي الله عليه وسلم لفي ضلال عمي وجهالة مبين ظاهر لا شبهة
فيه ان مخففة من الثقيلة واللام فارقة بينها وبين النافية والتقدير وان الشان والحديث كانوا
من قبل لفي ضلال مبين اولما اصابتكم مصيبة يريد ما اصابهم يوم احد من قتل سبعين منهم
قد اصبتم مثليها يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين وهو في موضع رفع صفة لمصيبة
قلتم اني هذا من اين هذا قل هو من عند انفسكم لاختياركم الخروج من المدينة او لترككم المركز
لما نصب بقلتم واصابتكم في محل الجر باضافة لما اليه وتقديره اقلتم حين اصابتكم واني هذا
نصب لانه مفعول والهمزة للتقرير والتقريع وعطفت الواو هذه الجملة علي ما مضي من
قصة احد من قوله ولقد صدقكم الله وعده او علي محذوف كانه قيل افعلتم كذا وقلتم حينئذ
كذا ان الله علي كل شي قدير يقدر علي النصب وعلي منعه وما اصابكم بمعني الذي وهو مبتدا

يوم التقى الجمعان جمعكم وجمع المشركين باحد والخبر فباذن الله فكاين باذن الله اي بعلمه
وقضايه وليعلم المومنين وليعلم الذين نافقوا وهو كاين ليتميز المومنون والمنافقون
وليظهر ايمان هؤلاء ونفاق هؤلاء وقيل لهم للمنافقين وهو كلام مبتداء تعالوا قاتلوا
في سبيل الله اي جاهدوا للاخرة كما يقاتل المومنون او ادفعوا اي قاتلوا دفعا عن انفسكم
واهليكم واموالكم ان لم تقاتلوا للاخرة وقيل او ادفعوا العدو بتكثيركم سواد المجاهدين
ان لم تقاتلوا لان كثرة السواد مما يروع العدو قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم اي لو نعلم ما يصح
ان يسمي قتالا لاتبعناكم يعنون ان ما انتم فيه لخطا رايكم ليس بشي ولا يقال لمثله قتال انما هو القاء
النفس في التهلكة هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان يعني انهم كانوا يتظاهرون بالايمان
قبل ذلك وما ظهرت منهم امارة تؤذن بكفرهم فلما انخزلوا عن عسكر المومنين وقالوا
تباعدوا بذلك عن الايمان المظنون بهم واقتربوا من الكفر او هم لاهل الكفر اقرب نصرة
منهم لاهل الايمان لان تقليلهم سواد المسلمين بالانخزال تقوية للمشركين يقولون بافواههم
ما ليس في قلوبهم اي يظهرون خلاف ما يضمرون من الايمان وغيره والتقييد بالافواه
للتاكيد ونفي المجاز والله اعلم بما يكتمون من النفاق الذين قالوا اي ابن ابي واصحابه وهو
في موضع رفع علي هم الذين قالوا وعلي الابدال من واو يكتمون او نصب باضمار اعني او علي
البدل من الذين نافقوا او جر علي البدل من الضمير في بافواههم او قلوبهم لاخوانهم اي لاجل
اخوانهم من جنس المنافقين المقتولين يوم احد وقعدوا اي قالوا وقد قعدوا عن القتال
لو اطاعونا ما قتلوا اي لو اطاعنا اخواننا فيما امرناهم به من الانصراف عن رسول الله صلي الله
عليه وسلم والقعود ووافقونا فيه لما قتلوا كما لم نقتل قل فادرءوا عن انفسكم الموت ان كنتم
صادقين بان الحذر ينفع من القدر فخذوا حذركم من الموت او معناه قل ان كنتم صادقين
في انكم وجدتم الي دفع القتل سبيلا وهو القعود عن القتال فخذوا الي دفع القتل سبيلا وروي
انه مات يوم قالوا هذه المقالة سبعون منافقا ونزل في قتلي احد ولا تحسبن شامي وحمزة و
عاصم وبكسر السين غيرهم والخطاب لرسول الله صلي الله عليه وسلم او لكل احد الذين قتلوا
قتلوا شامي في سبيل الله امواتا بل احياء بل هم احياء عند ربهم مقربون عند ربهم ذوو

زلفي يرزقون مثل ما يرزق ساير الاحياء ياكلون ويشربون وهو تاكيد لكونهم احيا ووصف لحالهم
التي هم عليها من التنعم برزق الله فرحين حال من الضمير في يرزقون بما اتيهم الله من فضله وهو
التوفيق في الشهادة وما ساق اليهم من الكرامة والتفضيل علي غيرهم من كونهم احياء مقربين
معجلا لهم رزق الجنة ونعيمها وقال النبي صلي الله عليه وسلم لما اصيب اخوانكم باحد جعل الله
ارواحهم في اجواف طير خضر تدور في انهار الجنة وتاكل من ثمارها وتاوي الي قناديل من ذهب
معلقة في ظل العرش وقيل هذا الرزق في الجنة يوم القيمة وهو ضعيف لانه لا يبقي للتخصيص
فايدة ويستبشرون بالذين بافواهم المجاهدين الذين لم يلحقوا بهم لم يقتلوا فيلحقوا بهم
من خلفهم يريد الذين من خلفهم قد بقوا بعدهم وهم قد تقدموهم ولم يلحقوا بهم لم يدركوا
فضلهم ومنزلتهم ان لا خوف عليهم بدل من الذين والمعني ويستبشرون بما تبين لهم من حال من
تركوا خلفهم من المومنين وهم انهم يبعثون امنين يوم القيمة بشرهم الله بذلك فهم
مستبشرون به وفي ذكر حال الشهداء واستبشارهم بمن خلفهم بعث للباقين بعدهم علي
الجد في الجهاد والرغبة في نيل منازل الشهداء ولا هم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل
يسرون بما انعم الله عليهم وبما تفضل عليهم من زيادة الكرامة وان الله عطف علي النعمة
والفضل وان الله علي بالكسر علي الاستيناف وعلي ان الجملة اعتراض لا يضيع اجر المومنين
بل يوفر عليهم الذين استجابوا لله والرسول مبتداء خبره للذين احسنوا او صفة
للمومنين او نصب علي المدح من بعد ما اصابهم القرح الجرح روي ان ابا سفيان واصحابه
لما انصرفوا من احد فبلغوا الروحاء ندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلي الله عليه
وسلم فاراد ان يرهبهم ويريهم من نفسه واصحابه قوة فندب اصحابه للخروج في طلب ابي سفيان
فخرج يوم الاحد من المدينة مع سبعين رجلا حتي بلغوا حمراء الاسد وهي من المدينة علي
ثمانية اميال وكان باصحابه القرح فالقي الله الرعب في قلوب المشركين فذهبوا فنزلت
للذين احسنوا منهم واتقوا من للتبيين مثلها في قوله وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات
منهم مغفرة لان الذين استجابوا لله والرسول قد احسنوا كلهم واتقوا لا بعضهم اجر عظيم
في الاخرة الذين قال لهم الناس بدل من الذين استجابوا ان الناس قد جمعوا لكم روي ان ابا سفيان

باخوانهم

نادي

نادي عند انصرافه من احد يا محمد موعدنا موسم بدر لقابل فقال عليه الصلوة والسلام ان شاء الله
فلما كان القابل خرج ابو سفيان في اهل مكة فالقي الله الرعب في قلبه فبدا له ان يرجع فلقي نعيم
ابن مسعود الاشجعي وقد قدم معتمرا فقال يا نعيم اني واعدت رسول الله صلي الله عليه
وسلم ان نلتقي بموسم بدر وقد بدا لي فالحق بالمدينة فثبطهم ولك عندي عشر من الابل فخرج
نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم اتريدون ان تخرجوا وقد منعوا لكم فوالله لا يفلت
منكم احد فقال عليه الصلوة والسلام والله لاخرجن ولو لم يخرج معي احد فخرج في سبعين
راكبا وهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل حتي وافوا بدرا واقاموا ثماني ليال وكانت
معهم تجارات فباعوها واصابوا خيرا لهم ثم انصرفوا الي المدينة سالمين غانمين ولم يكن قتال
فرجع ابو سفيان الي مكة فسمي اهل مكة جيشه جيش السويق وقالوا انما خرجتم لتاكلوا السويق
فالناس الاول نعيم وهو جمع اريد به الواحد وكان له اتباع يثبطون مثل تثبيطه والثاني
ابو سفيان واصحابه فاخشوهم فخافوهم فزادهم اي المقول الذي هو ان الناس قد جمعوا
لكم فاخشوهم او القول او نعيم ايمانا بصيرة وايقانا وقالوا حسبنا الله اي كافينا الله اي
يكفينا الله يقال احسبه الشيء اذا كفاه وهو بمعني المحسب بدليل انك تقول هذا رجل حسبك
فتصف به النكرة لان اضافته غير حقيقية لكونه في معني اسم الفاعل ونعم الوكيل ونعم الموكول
اليه هو فانقلبوا بنعمة من الله وهي السلامة وحذر العدو منهم وفضل وهو الربح
في التجارة فاصابوا بالدرهم درهمين لم يمسسهم سوء لم يلقوا ما يسوؤهم من كيد عدوهم
وهو حال من الضمير في انقلبوا وكذا بنعمة والتقدير فرجعوا من بدر منعمين مبرئين
من سوء واتبعوا رضوان الله بجراتهم وخروجهم الي وجه العدو علي اثر تثبيط وهو
معطوف علي انقلبوا والله ذو فضل عظيم قد تفضل عليهم بالتوفيق فيما فعلوا انما ذلكم
الشيطان هو خبر ذلكم اي انما ذلك المثبط هو الشيطان وهو نعيم يخوف اولياءه
اي المنافقين وهو جملة مستانفة بيان لسلطنته او الشيطان صفة لاسم الاشارة ويخوف
الخبر فلا تخافوهم اي اولياءه وخافون ان كنتم مومنين لان الايمان يقتضي ان يوثر العبد
خوف الله علي خوف غيره وخافوني في الوصل ان الرفق سهل ويعقوب وافقهما ابو عمرو

في الوصل ولا يحزنك يحزنك الذين في كل القران نافع الا في سورة الانبياء لا يحزنهم
الفزع الاكبر الذين يسارعون في الكفر يعني لا يحزنك لخوف ان يضروك
الا ترى الى قوله انهم لن يضروا الله شيئا اى اولياء الله يعني انهم لا يضرون
بمسارعتهم في الكفر غير انفسهم وما وبال ذلك عايدا على غيرهم ثم بين كيف
يعود وباله عليهم بقوله يريد الله ان لا يجعل لهم حظا في الاخرة اى نصيبا
من الثواب ولهم بدل الثواب عذاب عظيم وذلك ابلغ ما ضرب به الانسان نفسه
والاية تدل على ارادة الكفر والمعاصي لان ارادته ان لا يكون لهم ثواب في الاخرة
لا تكون بدون ارادة كفرهم ومعاصيهم ان الذين اشتروا الكفر بالايمان اى
استبدلوه به لن يضروا الله شيئا هو نصب على المصدر اى شيئا من الضرر الاية الاولى
فيمن نافق من المتخلفين او ارتد عن الاسلام والثانية في جميع الكفار او على العكس
ولهم عذاب اليم ولا يحسبن وثلثه بعدها بالياء مع ضم الباء في يحسبنهم مكي وابو عمرو
وكلها بالتاء حمزة وكلها بالياء مدني وشامي الا فلا تحسبنهم فانها بالتاء الباقون
الاوليان بالياء والاخريان بالتاء الذين كفروا فيمن قراء بالياء رفع
اى لا يحسبن الكافرون وان مع اسمه وخبره في قوله انما نملي لهم خير لانفسهم
في موضع المفعولين ليحسبن والتقدير لا يحسبن الذين كفروا املاءنا خيرا
لانفسهم وما مصدرية وكان حقها في قياس علم الخط ان تكتب مفصولة و
لكنها وقعت في الامام متصلة فلا تخالف وفيمن قراء بالتاء نصب اى ولا
تحسبن الكافرين وانما نملي لهم خير لانفسهم بدل من الكافرين اى ولا تحسبن
الكافرين انما نملي للكافرين خير لهم وان مع ما في حيزه ينوب عن المفعولين و
الاملاء لهم امهالهم واطالة عمرهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما ما هذه حقها ان تكتب
متصلة لانها كافة دون الاولى وهذه جملة مستانفة تعليل للجملة قبلها كانه قيل ما
بالهم لا يحسبون الاملاء خيرا لهم فقيل انما نملي لهم ليزدادوا اثما والاية حجة
لنا على المعتزلة في مسئلتين الاصلح وارادة المعاصي ولهم عذاب مهين واللام في

ما كان

ما كان الله ليذر المومنين على ما انتم عليه من اختلاط المومنين الخلص و
المنافقين لتاكيد النفي حتى يميز الخبيث من الطيب حتى يعزل المنافق من المخلص يميز
حمزة وعلى والخطاب في انتم للمصدقين من اهل الاخلاص والنفاق كانه قيل ما كان
الله ليذر المخلصين منكم على الحال التي انتم عليها من اختلاط بعضكم ببعض حتى
يميزهم منكم بالوحي الى نبيه واخباره باحوالكم وما كان الله ليطلعكم على الغيب
وما كان الله ليؤتي احدا منكم علم الغيوب فلا تتوهموا عند اخبار الرسول بنفاق
الرجل واخلاص الاخر انه يطلع على ما في القلوب اطلاع الله فيخبر عن كفرها و
ايمانها ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء اى ولكن الله يرسل الرسول فيوحي
اليه ويخبره بان في الغيب كذا وان فلانا في قلبه النفاق وفلانا في قلبه الاخلاص
فيعلم ذلك من جهة اخبار الله لا من جهة نفسه والاية حجة على الباطنية فانهم
يدعون ذلك للعالم لامامهم فان لم يثبتوا النبوة له صاروا مخالفين النص حيث
اثبتوا علم الغيب لغير النبيين وان تثبتوا النبوة له صاروا مخالفين لنص اخر وهو
قوله وخاتم النبيين فامنوا بالله ورسله بصفة الاخلاص وان تؤمنوا وتتقوا
النفاق فلكم اجر عظيم في الاخرة ونزل في مانعي الزكوة ولا تحسبن الذين يبخلون
بما اتيهم الله من فضله هو خيرا لهم من قراء بالتاء قدر مضافا محذوفا اى ولا
تحسبن بخل الباخلين وهو فصل وخيرا لهم مفعول ثان وكذا من قراء بالياء وجعل
فاعل تحسبن ضمير رسول الله صلى الله عليه وسلم او ضمير احد ومن جعل فاعله الذين
يبخلون كان التقدير ولا يحسبن الذين يبخلون بخلهم هو خيرا لهم فهو فصل وخيرا لهم
مفعول ثان بل هو اى البخل شر لهم لان اموالهم ستزول عنهم ويبقى عليهم وبال البخل
سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة تفسير لقوله بل هو شر لهم اى سيجعل ما لهم الذي
منعوه عن الحق طوقا في اعناقهم كما جاء في الحديث من منع زكوة ماله يصير حية ذكرا
اقرع له نابان فيطوق في عنقه فينهشه ويدفعه الى النار ولله ميراث السموات
والارض وله ما فيهما مما يتوارثه اهلهما من مال وغيره فما لهم يبخلون عليه بملكه ولا ينفقو

فى سبيل الله والاصل فى ميراث موراث فقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها والله
بما تعملون خبير وبالياء مكى وابو عمرو فالتاء على طريقة الالتفات وهى ابلغ فى الوعيد
والياء على الظاهر لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء قال
ذلك اليهود حين سمعوا قوله تع من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا وقالوا ان اله
محمد صلى الله عليه وسلم يستقرض منا فنحن اذا اغنياء وهو فقير ومعنى سماع الله له انه لم
يخف عليه وانه اعدله كفاءه من العقاب سنكتب ما قالوا سنامر الحفظة بكتابة ما قالوا
فى الصحايف او سنحفظه اذ الكتاب من الخلق لحفظ ما فيه فسمى به مجازا وما مصدرية
او بمعنى الذى وقتلهم الانبياء بغير حق معطوف على ما جعل قتلهم الانبياء قرينة له
ايذانا بانهما فى العظم اخوان وان من قتل الانبياء لم يستبعد منه الاجتراء على مثل هذا
القول ونقول لهم يوم القيمة ذوقوا عذاب الحريق اى عذاب النار كما اذ قتم المسلمين
الغصص قال الضحاك يقول لهم خزنة جهنم وانما اضيف الى الله تعالى لانه بامره كما فى
قوله سنكتب سيكتب وقتلهم ويقول حمزة ذلك اشارة الى ما تقدم من عقابهم بما
قدمت ايديكم اى ذلك العذاب بما قدمتم من الكفر والمعاصى والاضافة الى
اليد لان اكثر الاعمال يكون بالايدى فجعل كل عمل كالواقع بالايدى على سبيل التغليب
ولانه يقال للامر بالشئ فاعله فذكر الايدى للتحقيق يعنى انه فعل بنفسه لا غيره بامره
وان الله ليس بظلام للعبيد وبان الله لا يظلم عباده فلا يعاقبهم بغير جرم الذين قالوا
فى موضع جر على البدل من الذين قالوا ونصب باضمار اعنى ورفع باضمارهم ان الله
عهد الينا امرنا فى التورية واوصانا ان لا نؤمن بان لا نؤمن لرسول حتى ياتينا بقربان
تاكله النار اى يقرب قربانا فينزل نار من السماء فتاكله فان جئتنا به صدقناك
وهذه دعوى باطلة وافتراء على الله لان اكل النار القربان سبب الايمان للرسول
الاتى به لكونه معجزة فهو اذا وسائر المعجزات سواء قل قد جاءكم رسل من قبلى بالبينات
المعجزات سوى القربان وبالذى قلتم اى بالقربان يعنى قد جاء اسلافكم الذين انتم
على ملتهم وراضون بفعلهم فلم قتلتموهم اى ان كان امتناعكم من الايمان لاجل هذا فلم

لم تؤمنوا

لم تؤمنوا بالذين اوتوا به ولم قتلتموهم ان كنتم صادقين فى قولكم انما نؤخر الايمان
لهذا فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك فان كذبك اليهود فلا يهولنك فقد
فعلت الامم بانبيائها كذلك جاؤا بالبينات بالمعجزات الظاهرات والزبر الكتب جمع
زبور من الزبر وهو الكتابة وبالزبر شامى والكتاب جنس المنير المضئ قيل هما واحد
فى الاصل وانما ذكر لاختلاف الوصفين فالزبور كتاب فيه حكم زاجرة والكتاب المنير
هو الكتاب الهادى كل نفس مبتداء والخبر ذائقة الموت وجاز الابتداء بالنكرة لما فيه
من العموم والمعنى ولا يحزنك تكذيبهم اياك فمرجع الخلق الى فاجازيهم على التكذيب و
اجازيك على الصبر وذلك قوله وانما توفون اجوركم يوم القيمة اى تعطون ثواب
اعمالكم على الكمال يوم القيمة فان الدنيا ليست بدار الجزاء فمن زحزح بعد والزحزحة الابعاد
عن النار وادخل الجنة فقد فاز ظفر بالخير وقيل فقد حصل له الفوز المطلق وقيل الفوز
نيل المحبوب والبعد عن المكروه وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور شبه الدنيا بالمتاع
الذى يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه ثم يتبين له فساده ورداءته والشيطان
هو المدلس الغرور وعن سعيد بن جبير انما هذا لمن اثرها على الاخرة فاما من طلب الاخرة
بها فانها متاع بلاغ وعن الحسن كخضر النبات ولعب البنات لا اصل له لتبلون والله
لتبلون اى لتختبرن فى اموالكم بالانفاق فى سبيل الله وبما يقع فيها من الافات و انفسكم
بالقتل والاسر والجراح وما يرد عليها من انواع المخاوف والمصائب وهذه الاية دليل
على ان النفس هى الجسم المعاين دون ما فيه من المعنى الباطن كما قال بعض اهل الكلام و
الفلاسفة كذا فى شرح التاويلات ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم يعنى
اليهود والنصارى ومن الذين اشركوا اذى كثيرا كالطعن فى الدين وصد من اراد
الايمان وتخطئة من امن ونحو ذلك وان تصبروا على اذاهم وتتقوا مخالفة امر الله فان
ذلك فان الصبر والتقوى من عزم الامور من معزومات الامور اى مما يجب العزم
عليه من الامور خوطب المؤمنون بذلك ليوطنوا انفسهم على احتمال ما سيلقون من
الشدائد والصبر عليها حتى اذا لقوها وهم مستعدون لا يرهقهم ما يرهق من تصيبه

السنة بغتة فينكرها ويشميز منها نفسه واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب واذكروا
وقت اخذ الله ميثاق اهل الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه عن الناس بالتاء على
حكاية مخاطبتهم كقوله وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن وبالياء مكي وابو عمرو
وابو بكر لانهم غيب والضمير للكتاب اكد عليهم ايجاب بيان الكتاب واجتناب كتمانه
فنبذوه وراء ظهورهم فنبذوا الميثاق وتاكيده عليهم اي لم يراعوه ولم يلتفتوا اليه
والنبذ وراء الظهر مثل في الطرح وترك الاعتداد وهو دليل على انه يجب على العلماء ان
يبينوا الحق للناس وما علموه وان لا يكتموا منه شيئا لغرض فاسد من تسهيل على الظلمة و
تطييب لنفوسهم او لجر منفعة او دفع اذية او لبخل بالعلم وفي الحديث من كتم علما من
اهله الجم بلجام من نار واشتروا به ثمنا قليلا عوضا يسيرا فبئس ما يشترون والخطاب
في لا تحسبن لرسول الله صلى الله عليه وسلم واحد المفعولين الذين يفرحون والثاني بمفازة
وقوله فلا تحسبنهم تاكيد تقديره لا تحسبنهم فلا تحسبنهم فائزين بما اتوا بما فعلوا وهو قراءة
ابي واتى وجاء يستعملان بمعنى فعل انه كان وعده ماتيا لقد جئت شيئا فريا وقرا النخعي
بما اتوا اي اعطوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب بنجاة
من العذاب ولهم عذاب اليم مولم روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سال اليهود من
شيء مما في التورية فكتموا الحق واخبروه بخلافه واروه انهم قد صدقوه واستحمدوا
اليه وفرحوا بما فعلوا فاطلع الله رسوله على ذلك وسلاه بما انزل من وعيدهم اي
لا تحسبن اليهود الذين يفرحون بما فعلوا من تدليسهم عليك ويحبون ان تحمدهم بما لم
يفعلوا من اخبارك بالصدق عما سالتهم عنه ناجين من العذاب وقيل هم المنافقون يفرحون
بما اتوا من اظهار الايمان للمسلمين وتوصلهم بذلك الى اغراضهم ويستحمدون اليهم بالايمان
الذي لم يفعلوه على الحقيقة وفيه وعيد لمن ياتي بحسنة فيفرح بها فرح اعجاب ويحب
ان يحمده الناس بما ليس فيه ولله ملك السموات والارض فهو يملك امرهم وفيه تكذيب
لمن قال ان الله فقير والله على كل شيء قدير فهو يقدر على عقابهم ان في خلق السموات
والارض فهو يملك امرهم واختلاف الليل والنهار لايات لادلة واضحة على صانع قديم عالم

حكيم قادر لاولي الالباب لمن خلص عقله عن الهوى خلوص اللب عن القشر فيرى ان
العرض المحدث في الجواهر يدل على حدوث الجواهر لان جوهرا ما لا ينفك عن عرض حادث
وما لا يخلو من الحادث فهو حادث ثم حدوثها يدل على محدثها وذا قديم والا لاحتاج الى
محدث اخر الى ما لا يتناهى وحسن صنعه يدل على علمه واتقانه يدل على حكمته وبقاؤه يدل
على قدرته قال عليه الصلوة والسلام ويل لمن قراها ولم يتفكر فيها وحكي ان في بني اسرائيل
ما كان اذا عبد الله ثلثين سنة اظلته سحابة فعبده فتى فلم تظله فقالت له امه لعل فرطة
فرطت منك في مدتك قال ما اذكر قالت لعلك نظرت مرة الى السماء ولم تعتبر قال
لعله قالت فما اوتيت الا من ذلك الذين في موضع جر نعت لاولي او نصب باضمار اعني
او رفع باضمارهم يذكرون الله يصلون قياما قائمين عند القدرة وقعودا قاعدين
وعلى جنوبهم اي مضطجعين عند العجز وقياما وقعودا حالان من ضمير الفاعل في يذكرون
وعلى جنوبهم حال ايضا او المراد الذكر على كل حال لان الانسان لا يخلو عن هذه الاحوال
وفي الحديث من احب ان يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله ويتفكرون في خلق السموات
والارض وما يدل عليه اختراع هذه الاجرام العظام وابداع صنعتها وما دبر فيها مما تكل
الافهام عن ادراك بعض عجائبه على عظم شان الصانع وكبرياء سلطانه وعن النبي صلى الله
عليه وسلم بينما رجل مستلق على فراشه اذا رفع راسه فنظر الى النجوم والى السماء فقال
اشهد ان لك ربا وخالقا اللهم اغفر لي فنظر الله اليه فغفر له وقال عليه الصلوة والسلام
لا عبادة كالتفكر وقيل الفكرة تذهب الغفلة وتحدث للقلب الخشية فما جليت
القلوب بمثل الاحزان ولا استنارت بمثل الفكر ربنا ما خلقت هذا باطلا اي يقولون
ذلك وهو في محل الحال اي يتفكرون قائلين والمعنى ما خلقته خلقا باطلا بغير حكمة
بل خلقته لحكمة عظيمة وهو ان تجعلها مساكن للمكلفين وادلة لهم على معرفتك وهذا
اشارة الى الخلق على ان المراد به المخلوق او الى السموات والارض لانها في معنى المخلوق
كانه قيل ما خلقت هذا المخلوق العجيب باطلا سبحانك تنزيها لك عن الوصف بخلق
الباطل وهو اعتراض فقنا ربنا عذاب النار والفاء دخلت بمعنى الجزاء تقديره اذا نزهناك

فقد ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته اهنته او اهلكته او فضحته واحتج
اهل الوعيد بالاية مع قوله يوم لا يخزى الله النبي والذين آمنوا معه في ان من
يدخل النار لا يكون مؤمنا ويخلد قلنا قال جابر اخزاء المؤمن تاديبه وان فوق ذلك
لخزيا او المراد دخول تخليد وما للظالمين اللام اشارة الى من يدخل النار والمراد الكفار من
انصار من اعوان وشفعاء يشفعون لهم كما للمؤمنين ربنا اننا سمعنا مناديا تقول سمعت
رجلا يقول كذا فتوقع الفعل على الرجل وتحذف المسموع لانك وصفته بما يسمع فاغنيت
عن ذكره ولولا الوصف لم يكن منه بد وان يقال سمعت كلام فلان والمنادى هو الرسول
عليه الصلوة والسلام او القرآن ينادي للايمان لاجل الايمان بالله وفيه تفخيم لشان
المنادى اذ لا منادى اعظم من منادى ينادى للايمان ان آمنوا بان آمنوا او اي امنوا
بربكم فآمنا قال الشيخ ابو منصور رح وفيه دليل بطلان الاستثناء في الايمان ربنا فاغفر
لنا ذنوبنا كبائرنا وكفر عنا سيآتنا صغائرنا وتوفنا مع الابرار مخصوصين بصحبتهم
معدودين في جملتهم والابرار المتمسكون بالسنة جمع بر او بار كرب وارباب وصاحب
واصحاب ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك اي على تصديق رسلك او ما وعدتنا منزلا
على رسلك او على السنة رسلك وعلى متعلق بوعدتنا والموعود هو الثواب او النصرة
على الاعداء وانما طلبوا انجاز ما وعد الله والا والله لا يخلف الميعاد لان معناه طلب
التوفيق فيما يحفظ عليهم من اسباب انجاز الميعاد او المراد اجعلنا ممن لهم الوعد اذ الوعد
غير مبين لمن هو او المراد ثبتنا على ما يوصلنا الى عداتك يؤيده قوله ولا تخزنا يوم
القيمة او اظهار للخضوع والضراعة انك لا تخلف الميعاد هو مصدر بمعنى الوعد
فاستجاب لهم ربهم اي اجاب يقال استجاب له واستجابه اني لا اضيع بان عمل عامل
منكم منكم صفة لعامل من ذكر او انثى بيان لعامل بعضكم من بعض الذكر من الانثى و
الانثى من الذكر وكلكم بنو آدم او بعضكم من بعض في النصرة والدين وهذه جملة معترضة
بينت بها شركة النساء مع الرجال فيما وعد الله عباده العاملين عن جعفر الصادق
رضي الله عنه من حزبه امر فقال خمس مرات ربنا انجاه الله مما يخاف واعطاه ما اراد

وقرأ الآيات فالذين هاجروا مبتداء وهو تفصيل لعمل العامل منهم على سبيل التعظيم له
كانه قال فالذين عملوا هذه الاعمال السنية الفائقة وهي المهاجرة عن اوطانهم فارين
الى الله بدينهم الى حيث يامنون عليه فالهجرة كائنة في آخر الزمان كما كانت في اول الاسلام
واخرجوا من ديارهم التي ولدوا فيها ونشأوا واوذوا في سبيلي بالشتم والضرب و
نهب المال يريد بسبيل الدين وقاتلوا وقتلوا وغزوا المشركين واستشهدوا وقتلوا
مكي وشامي وقتلوا وقاتلوا على التقديم والتاخير حمزة وعلي وفيه دليل ان الواو لا توجب
الترتيب والخبر لاكفرن عنهم سيآتهم ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار
وهو جواب القسم المحذوف ثوابا في موضع المصدر المؤكد بمعنى اثابة
او تثويبا من عند الله لان قوله لاكفرن عنهم ولادخلنهم في معنى لاثيبنهم والله
عنده حسن الثواب اي يختص به ولا يقدر عليه غيره وروي ان طائفة من المؤمنين
قالوا ان اعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع فنزل لا يغرنك تقلب
الذين كفروا في البلاد والخطاب لكل احد او للنبي عليه الصلوة والسلام والمراد به
غيره لان مدرة القوم ومقدمهم يخاطب بشيء فيقوم خطابه مقام خطابهم جميعا
فكانه قيل لا يغرنكم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان غير مغرور بحالهم فاكد عليه
ما كان عليه وثبت على التزامه كقوله تعالى فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا تكونن من المشركين
وهذا في النهي نظير قوله في الامر اهدنا الصراط المستقيم يا ايها الذين آمنوا آمنوا متاع
قليل خبر مبتداء محذوف اي تقلبهم في البلاد متاع قليل واراد قلته في جنب ما فاتهم
من نعيم الآخرة او في جنب ما اعد الله للمؤمنين من الثواب او اراد انه قليل في نفسه
لانقضائه وكل زائل قليل ثم ماويهم جهنم وبئس المهاد وساء ما مهدوا لانفسهم لكن
الذين اتقوا ربهم عن الشرك لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا
النزل بالسكون والنزل بالضم ما يقدم للنازل وهو حال من جنات لتخصصها بالصفة
والعامل اللام في لهم او هو مصدر مؤكد كانه قيل رزقا او عطاء من عند الله صفة له وما
عند الله من الكثير الدائم خير للابرار مما يتقلب فيه الفجار من القليل الزائل لكن

بالتشديد يزيد وهو للاستدراك اى لا بقاء لتمتعهم لكن ذلك للذين اتقوا ونزل
في ابن سلام وغيره من مسلمي اهل الكتاب او في اربعين من اهل نجران واثنين وثلثين
من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى عليه السلام فاسلموا وان من اهل
الكتاب لمن يؤمن بالله دخلت لام الابتداء على اسم ان لفصل الظرف بينهما وما
انزل اليكم من القران وما انزل اليهم من الكتابين خاشعين لله حال من فاعل يؤمن
لان من يؤمن في معنى الجمع لا يشترون بايات الله ثمنا قليلا كما يفعل من لم يسلم
من احبارهم وكبارهم وهو حال بعد حال اى غير مشترين اوليك لهم اجرهم عند ربهم
اى ما يختص بهم من الاجر وهو ما وعدوه في قوله تعالى اوليك يؤتون اجرهم
مرتين ان الله سريع الحساب لنفوذ علمه في كل شيء يا ايها الذين آمنوا اصبروا
على الدين وتكاليفه قال الجنيد الصبر حبس النفس على المكروه بنفي الجزع وصابروا
اعداء الله في الجهاد اى غالبوهم في الصبر على شدائد الحرب لا تكونوا اقل صبرا منهم
وثباتا ورابطوا واقيموا في الثغور رابطين خيلكم فيها مترصدين مستعدين للغزو
واتقوا الله لعلكم تفلحون الفلاح البقاء مع المحبوب بعد الخلاص من المكروه
ولعل لتغييب المال ليلا تتكلموا على الامال من تقديم الاعمال وقيل اصبروا على محنتي
وصابروا في نعمتي ورابطوا انفسكم في خدمتي لعلكم تفلحون تظفرون بقربتي قال
عليه الصلوة والسلام اقرؤا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران فانهما تاتيان يوم
القيمة كانهما غمامتان او غيابتان او فرقان من طير صواف تحاجان عن اصحابهما

غيابتان

سورة النساء مدنية وهي مائة وست وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الناس يا بني آدم اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة فرعكم من اصل
واحد وهو نفس آدم ابيكم وخلق منها زوجها معطوف على محذوف كانه قيل
من نفس واحدة انشاءها وخلق منها زوجها والمعنى شعبكم من نفس واحدة
هذه صفتها وهي انه انشاءها من تراب وخلق منها زوجها حواء من ضلع من
اضلاعها وبث منهما ونشر من آدم وحواء رجالا كثيرا ونساء كثيرة اى وبث منهما

نوعي

نوعي جنس الانس وهما الذكور والاناث فوصفها بصفة هي بيان وتفصيل لكيفية
خلقهم منها او على خلقكم والخطاب في يا ايها الناس للذين بعث اليهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم والمعنى خلقكم من نفس آدم وخلق منها امكم حواء وبث منهما رجالا
كثيرا ونساء غيركم من الامم الفائتة للحصر فان قلت الذي تقتضيه جزالة النظم ان
يجاء عقيب الامر بالتقوى بما يدعو اليها فكيف كان خلقه اياهم من نفس واحدة
على التفصيل الذي ذكره داعيا اليها قلت لان ذلك مما يدل على القدرة العظيمة ومن
قدر على نحوه كان قادرا على كل شيء ومن المقدورات عقاب الكفار والفجار فالنظر
فيه يؤدي الى ان يتقى القادر عليه ويخشى عقابه ولانه يدل على النعمة السابقة عليهم
فحقهم ان يتقوه في كفرانها قال عليه الصلوة والسلام عند نزول الاية خلقت المرأة من
الرجل فهمها في الرجل وخلق الرجل من التراب فهمه في التراب واتقوا الله الذي
تساءلون به والاصل تتساءلون فادغمت التاء في السين بعد ابدالها سينا لقرب التاء
من السين للتهمس تساءلون به بالتخفيف كوفي على حذف التاء الثانية استثقالا
لاجتماع التائين اى يسال بعضكم بعضا بالله وبالرحم فيقول بالله وبالرحم افعل كذا على
سبيل الاستعطاف والارحام بالنصب على انه معطوف على اسم الله اى واتقوا الارحام
ان تقطعوها او على موضع الجار والمجرور كقولك مررت بزيد وعمرا وبالجر حمزة
على عطف الظاهر على المضمر وهو ضعيف لان الضمير المتصل كاسمه متصل والجار
والمجرور كشيء واحد فاشبه العطف على بعض الكلمة ان الله كان عليكم رقيبا حافظا او
عالما وآتوا اليتامى اموالهم يعني الذين مات آباؤهم فانفردوا عنهم واليتم الانفراد
ومنه الدرة اليتيمة وقيل اليتيم في الاناسي من قبل الاباء وفي البهائم من قبل الامهات
وحق هذا الاسم ان يقع على الضعفاء الصغار والكبار لبقاء معنى الانفراد عن
الاباء الا انه قد غلب ان يسموا به قبل ان يبلغوا مبلغ الرجال فاذا استغنوا بانفسهم
عن كافل وقائم عليهم زال هذا الاسم عنهم وقوله عليه الصلوة والسلام لا يتم بعد الحلم
تعليم شريعة لا لغة يعني انه اذا احتلم لم يجر عليه احكام الصغار والمعنى وآتوا اليتامى

اموالهم بعد البلوغ وسماهم يتامى لقرب عهدهم اذا بلغوا بالصغر وفيه اشارة
الى ان لا يؤخر دفع اموالهم اليهم من حد البلوغ ان اونس منهم الرشد وان
يؤتوها قبل ان يزول عنهم اسم اليتامى والصغار ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب
ولا تستبدلوا الحرام وهو مال اليتامى بالحلال وهو مالكم او ولا تستبدلوا الامر
الخبيث وهو اختزال اموال اليتامى بالامر الطيب وهو حفظها والتورع منها
والتفعل بمعنى الاستفعال غير عزيز ومنه التعجل بمعنى الاستعجال ولا تاكلوا
اموالهم الى اموالكم الى متعلقة بمحذوف وهو في موضع الحال اى مضافة الى
اموالكم والمعنى لا تضموها اليها في الانفاق حتى لا تفرقوا بين اموالكم واموالهم
قلة مبالاة بما لا يحل لكم وتسوية بينه وبين الحلال انه ان اكلها كان حوبا
كبيرا ذنبا عظيما فان خفتم ان لا تقسطوا في اليتامى اى لا تعدلوا اقسط اى عدل
فانكحوا ما طاب لكم ما حل لكم من النساء لان منهن ما حرم كاللاتى في اية التحريم و
قيل ما ذهابا الى الصفة لان ما يجيء في صفات من يعقل فكانه قيل الطيبات
من النساء ولان الاناث من العقلاء يجرين مجرى غير العقلاء ومنه قوله تعالى
او ما ملكت ايمانكم قيل كانوا لا يتحرجون من الزنى ويتحرجون من ولاية اليتامى
فقيل ان خفتم الجور في حق اليتامى فخافوا الزنى فانكحوا ما حل لكم من النساء ولا
تحوموا حول المحرمات او كانوا يتحرجون من الولاية في اموال اليتامى ولا يتحرجون
من الاستكثار من النساء مع ان الجور يقع بينهن اذا اكثره فكانه قيل اذا تحرجتم
من هذا فتحرجوا من ذلك وقيل وان خفتم ان لا تقسطوا في نكاح اليتامى فانكحوا
من البالغات يقال طابت الثمرة اى ادركت مثنى وثلث ورباع نكرات وانما
منعت الصرف للعدل والوصف وعليه د لكلام سيبويه ومحلهن النصب على الحال
من النساء او من ما طاب تقديره فانكحوا الطيبات لكم معدودات هذا العدد
ثنتين ثنتين وثلاثا ثلاثا واربعا اربعا فان قلت الذى اطلق للناكح في الجمع ان
يجمع بين ثنتين او ثلث او اربع فما معنى التكرير في مثنى وثلث ورباع قلت

الخطاب للجميع فوجب التكرير ليصيب كل ناكح يريد الجمع ما اراد من العدد الذى اطلق له
كما تقول للجماعة اقتسموا هذا المال وهو الف درهم درهمين درهمين وثلاثة ثلاثة واربعة
اربعة ولو افردت لم يكن له معنى وجيء بالواو ليدل على تجويز الجمع بين المفرق ولو
جيء باو مكانها لذهب معنى التجويز فان خفتم ان لا تعدلوا بين هذه الاعداد فواحدة
فالزموا او فاختاروا واحدة او ما ملكت ايمانكم سوى في اليسر بين الحرة الواحدة
وبين الاماء من غير حصر ذلك اشارة الى اختيار الواحدة والتسري ادنى ان لا تعولوا
اقرب من ان لا تميلوا ولا تجوروا يقال عال الميزان عولا اذا مال وعال الحاكم في حكمه
اذا جار ويحكى عن الشافعي رحمه الله عنه انه فسره ان لا تعولوا ان لا يكثر عيالكم و
اعترضوا عليه بانه يقال فيه اعال يعيل يقال اعال الرجل اذا كثر عياله واجيب بانه
يجعل من قولك عال الرجل عياله يعولهم كقولك مانهم يمونهم اذا انفق عليهم
لان من كثر عياله لزمه ان يعولهم وفي ذلك ما يصعب عليه المحافظة على حدود
الورع وكسب الحلال وكلام مثله من اعلام العلم حقيق بالحمل على السداد وان
لا يظن به تحريف تعيلوا الى تعولوا كانه سلك في تفسير هذه الكلمة طريقة الكنايات
فاتوا النساء صدقاتهن مهورهن نحلة من نحله كذا اذا اعطاه اياه ووهبه
له عن طيبة من نفسه نحلة ونحلا وانتصابها على المصدر لان النحلة والايتاء بمعنى
الاعطاء فكانه قال وانحلوا النساء صدقاتهن نحلة اعطوهن مهورهن عن
طيبة انفسكم او على الحال من المخاطبين اى اتوهن صدقاتهن ناحلين طيبي النفوس
بالاعطاء او من الصدقات اى منحولة معطاة عن طيبة الانفس وقيل نحلة من
الله عطية من عنده وتفضلا منه عليهن وقيل النحلة الملة وفلان ينتحل كذا اى يدين
به يعني واتوهن مهورهن ديانة على انها مفعول لها والخطاب للازواج وقيل للاولياء
لانهم كانوا ياخذون مهور بناتهم فان طبن لكم للازواج عن شيء منه اى الصداق واذ
هو في معنى الصدقات نفسا تمييز وتوحيدها لان الغرض بيان الجنس والواحد يدل
عليه والمعنى فان وهبن لكم شيئا من الصداق وتجافت عنه نفوسهن طيبات غير

مخبثات بما يطرهن يضطرهن الى الهبة من شكاسة اخلاقكم وسوء معاشرتكم وفى
الآية دليل على ضيق المسلك فى ذلك ووجوب الاحتياط حيث بنى الشرط على طيب
النفس فقيل فان طبن لكم عن شئ منه نفسا ولم يقل فان وهبن اعلاما بان المراعى
هو تجافى نفسها عن الموهوب طيبة فكلوه الهاء يعود على شئ هنيئا لا اثم عليه
مريئا لا داء فيه فسرهما النبى صلى الله عليه وسلم او هنيا فى الدنيا بلا مطالبة
مريا فى العقبى بلا تبعة وهما صفتان من هنؤ الطعام ومرا اذا كان سائغا لا تنغيص
فيه وهما وصف مصدر اى اكلا هنيئا مريا او حال من الضمير اى كلوه وهو هنئ مرئ
وهذه عبارة عن المبالغة فى الاباحة وازالة التبعة هنيئا مريا بغير همز يزيد
وكذا حمزة فى الوقف وهمزهما الباقون وعن على رضى الله عنه اذا اشتكى احدكم
شيئا فليسال عن امراته ثلثة دراهم من صداقها ثم ليشتر بها عسلا فليشربه
بماء السماء فيجمع الله هنيا مريا وشفاء مباركا ولا تؤتوا السفهاء المبذرين
اموالهم الذين ينفقونها فيما لا ينبغى ولا قدرة لهم على اصلاحها وتثميرها والتصرف
فيها والخطاب للاولياء واضاف الى الاولياء اموال السفهاء بقوله اموالكم لانهم
يلونها ويمسكونها التى جعل الله لكم قياما اى قوام لابدانكم ومعاشا لاهلكم و
اولادكم قيما بمعنى قياما نافع وشامى كما جاء عوذا بمعنى عياذا واصل قيام قوام
فجعلت الواو ياء لانكسار ما قبلها وكان السلف يقولون المال سلاح المؤمن
ولان اترك مالا يحاسبنى الله تعالى عليه خير من ان احتاج الى الناس عن ابن
سفيان وكانت له بضاعة يقلبها لولاها لتمندل بى بنو العباس وارزقوهم
فيها واجعلوها مكانا لرزقهم بان تتجروا فيها وتتربحوا حتى تكون نفقتهم من
الارباح لا من صلب المال فياكلها الانفاق واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا
قال ابن جريج عدة جميلة ان صلحتم ورشدتم سلمنا اليكم اموالكم فكل ما سكنت اليه
النفس لحسنه عقلا او شرعا من قول او فعل فهو معروف وما انكرته لقبحه فهو منكر
وابتلوا اليتامى واختبروا عقولهم وذوقوا احوالهم ومعرفتهم بالتصرف قبل البلوغ

فيه

فالابتلاء

فالابتلاء عندنا ان يدفع اليه ما يتصرف فيه حتى تستبين حاله فيما يجئ منه وفيه دليل
على جواز اذن الصبى العاقل فى التجارة حتى اذا بلغوا النكاح اى الحلم لانه يصلح للنكاح
عنده ولطلب ما هو المقصود به وهو التوالد فان آنستم منهم تبينتم رشدا هداية
فى التصرفات وصلاحا فى المعاملات فادفعوا اليهم اموالهم من غير تاخير عن حد البلوغ
ونظم هذا الكلام ان ما بعد حتى الى فادفعوا اليهم اموالهم جعل غاية للابتلاء وهى
حتى التى تقع بعدها الجمل كالتى فى قوله، حتى ماء دجلة اشكل والجملة الواقعة بعدها
جملة شرطية لان اذا متضمنة معنى الشرط وفعل الشرط بلوغ النكاح وقوله فان آنستم
منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم جملة من شرط وجزاء واقعة جوابا للشرط
الاول الذى هو اذا بلغوا النكاح فكانه قيل وابتلوا اليتامى الى وقت بلوغهم واستحقاقهم
دفع اموالهم اليهم بشرط ايناس الرشد منهم وتنكير الرشد يفيد لكن المراد رشد
مخصوص وهو الرشد فى التصرف والتجارة او يفيد التقليل اى طرفا من الرشد حتى
لا ينتظر به تمام الرشد وهو دليل لابى حنيفة فى دفع المال عند بلوغ خمس وعشرين
سنة ولا تاكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا ولا تاكلوا مسرفين ومبادرين كبرهم
فاسرافا وبدارا مصدران فى موضع الحال وان يكبر فى موضع المصدر منصوب
الموضع ببدارا ويجوز ان يكونا مفعولا لهما اى لاسرافكم ومبادرتكم كبرهم تفرطون
فى انفاقها وتقولون ننفق فيما نشتهى قبل ان يكبر اليتامى فينتزعوها من ايدينا و
من كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فلياكل بالمعروف قسم الامر بين ان يكون
الوصى غنيا وبين ان يكون فقيرا فالغنى يستعفف من اكلها اى يحترز من اكل مال
اليتيم واستعفف ابلغ من عف كانه طالب زيادة العفة والفقير ياكل قوتا مقدرا
محتاطا فى اكله عن ابراهيم ما سد الجوعة ووارى العورة فاذا دفعتم اليهم اموالهم
فاشهدوا عليهم بانهم تسلموها وقبضوها للتجاحد وتفادى عن توجه اليمين عليكم
عند التخاصم والتناكر وكفى بالله حسيبا محاسبا فعليكم بالتصادق واياكم والتكاذب
او هو راجع الى قوله فلياكل بالمعروف اى ولا يسرف فان الله يحاسبه عليه ويجازيه

به وفاعل كفى لفظة الله والباء زيادة وكفى يتعدى الى مفعولين فسيكفيكهم الله للرجال
نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون
هم المتوارثون من ذوي القرابات دون غيرهم مما قل منه او كثر بدل مما ترك بتكرير
العامل والضمير في منه يعود الى ما ترك نصيبا نصب على الاختصاص بمعنى اعني
نصيبا مفروضا مقطوعا لا بد لهم ان يحوزوه روي ان اوس بن ثابت ترك امرأته
ام كحة وثلاث بنات فزوى ابنا عمه ميراثه عنهن وكان اهل الجاهلية لا يورثون النساء
والاطفال ويقولون لا يرث الا من طاعن بالرماح وحاز الغنيمة فجاءت ام كحة
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكت فقال ارجعي حتى انظر ما يحدث الله فنزلت
فبعث اليهما لا تفرقا من مال اوس شيئا فان الله قد جعل لهن نصيبا ولم يبين حتى
يتبين فنزلت يوصيكم الله فاعطى ام كحة الثمن والبنات الثلثين والباقي ابني العم
واذا حضر القسمة اي قسمة التركة اولوا القربى ممن لا يرث واليتامى والمساكين من
الاجانب فارزقوهم فاعطوهم منه مما ترك الوالدان والاقربون وهو امر ندب وهو
باق لم ينسخ وقيل كان واجبا في الابتداء ثم نسخ بآية الميراث وقولوا لهم قولا معروفا
عذرا جميلا وعدة حسنة وقيل القول المعروف ان يقولوا لهم خذوا بارك الله عليكم
ويستقلوا ما اعطوهم ولا يمنوا عليهم وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا
خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا المراد بهم الاوصياء امروا بان
يخشوا الله فيخافوا على من في حجورهم من اليتامى فيشفقوا عليهم خوفهم على ذريتهم
لو تركوهم ضعافا وان يقدروا ذلك في انفسهم ويصوروه حتى لا يجسروا على خلاف
الشفقة والرحمة ولو مما في حيزه صلة الذين اي وليخش الذين صفتهم وحالهم انهم لو شارفوا
ان يتركوا خلفهم ذرية ضعافا وذلك عند احتضارهم خافوا عليهم والضياع بعدهم
لذهاب كافلهم وجواب لو خافوا والقول السديد من الاوصياء ان يكلموهم كما يكلمون
اولادهم بالادب الحسن والترحيب ويدعوهم بيا بني ويا ولدي ان الذين يأكلون اموال
اليتامى ظلما ظالمين فهو مصدر في موضع الحال انما يأكلون في بطونهم ملء نارا اي يأكلون

ما يجر الى النار فكانه نار روي انه يبعث آكل مال اليتيم يوم القيمة والدخان يخرج
من قبره ومن فيه واذنيه وعينيه فيعرف الناس انه كان يأكل مال اليتيم في الدنيا
وسيصلون شامي وابو بكر اي سيدخلون سعيرا نارا من النيران مبهمة الوصف
يوصيكم الله يعهد اليكم ويأمركم في اولادكم في شأن ميراثهم وهذا اجمال تفصيله
للذكر مثل حظ الانثيين اي للذكر منهم اي من اولادكم فحذف الراجع اليه لانه
مفهوم كقولهم السمن منوان بدرهم وبدأ بحظ الذكر ولم يقل للانثيين مثل حظ
الذكر او للانثى نصف حظ الذكر لفضله كما ضوعف حظه لذلك ولانهم كانوا
يورثون الذكور دون الاناث وهو السبب لورود الآية فقيل كفى للذكور ان ضوعف
لهم نصيب الاناث فلا يتمادى في حظهن حتى يحرمن مع ادلائهن من القرابة بمثل ما
يدلون به والمراد حال الاجتماع اي اذا اجتمع الذكر والانثيان كان له سهمان
كما ان لهما سهمين واما في حال الانفراد فالابن يأخذ المال كله والبنتان تأخذان
الثلثين والدليل عليه انه اتبعه حكم الانفراد بقوله فان كن نساء فان كانت الاولاد
نساء خلصا يعني بنات ليس معهن ابن فوق اثنتين خبر ثان لكان او صفة لنساء
اي نساء زائدات على اثنتين فلهن ثلثا ما ترك اي الميت لان الآية لما كانت في الميراث
علم ان التارك هو الميت وان كانت واحدة فلها النصف اي وان كانت المولودة
منفردة واحدة مدني على كان التامة والنصب اوفق لقوله فان كن نساء فان
قلت قد ذكر حكم البنتين في حال اجتماعهما مع الابن وحكم البنات والبنت في حال
الانفراد ولم يذكر حكم البنتين في حال الانفراد فما حكمهما قلت حكمهما مختلف فيه
فابن عباس رض نزلهما منزلة الواحدة لا منزلة الجماعة وغيره من الصحابة رض اعطوهما
حكم الجماعة لمقتضى قوله للذكر مثل حظ الانثيين وذلك لان من مات وخلف
بنتا وابنا فالثلث للبنت والثلثان للابن فاذا كان الثلث لبنت واحدة كان الثلثان
للبنتين ولانه قال في آخر السورة ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف
ما ترك وهو يرثها ان لم يكن لها ولد فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك والبنتان

امس رحما بالميت من الاختين فاوجبوا لهما ما اوجب الله للاختين ولم ينقصوا لهما
حظهما عن حظ من هو ابعد منهما وكان البنت لما وجب لها مع اخيها الثلث كان احرى
ان يجب لها الثلث اذا كانت مع اخت مثلها ويكون لاختها معها مثل ما كان يجب
لها ايضا مع اخيها لو انفردت معه فوجب لهما الثلثان وفي الاية دلالة ان المال
كله للذكر اذا لم يكن معه انثى لانه جعل للذكر مثل حظ الانثيين وقد جعل للانثى
النصف اذا كانت منفردة فعلم ان للذكر في حال الانفراد ضعف النصف وهو
الكل والضمير في ولابويه للميت والمراد الاب والام الا انه غلب المذكر لكل واحد
منهما السدس بدل من لابويه بتكرير العامل وفائدة هذا البدل انه لو قيل ولابويه
السدس لكان ظاهره اشتراكهما فيه ولو قيل ولابويه السدسان لاوهم قسمة
السدس عليهما على التسوية وعلى خلافهما ولو قيل ولكل واحد من ابويه السدس لذهبت
فائدة التاكيد وهو التفصيل بعد الاجمال والسدس مبتداء خبره لابويه والبدل متوسط
بينهما للبيان وقرا الحسن السدس والربع والثمن والثلث بالتخفيف مما ترك ان
كان له ولد هو يقع على الذكر والانثى فان لم يكن له ولد وورثه ابواه فلامه الثلث
اى مما ترك والمعنى وورثه ابواه فحسب لانه اذا ورثه ابواه مع احد الزوجين كان
للام ثلث ما يبقى بعد اخراج نصيب الزوج لا ثلث ما ترك لان الاب اقوى من
الام في الارث بدليل ان له ضعف حظها اذا خلصا فلو ضرب لها الثلث كملا لادى
الى حط نصيبه من نصيبها فان امراة لو تركت زوجا وابوين فصار للزوج النصف
وللام الثلث والباقي للاب حازت الام سهمين والاب سهما واحدا فينقلب الحكم
الى ان يكون للانثى مثل حظ الذكرين فلامه بكسر الهمزة حمزة وعلى المجاورة كسر اللام
فان كان له اى للميت اخوة فلامه السدس اذا كان للميت اثنان من الاخوة
والاخوات والاخيات فصاعدا في حجب الام سواء من بعد وصية متعلق بما تقدمه
من قسمة المواريث كلها لا بما يليه وحده كانه قيل قسمة هذه الانصباء من بعد
وصية يوصى بها فما بعده بفتح الصاد مكى وشامى وحماد ويحيى وافق الاعشى

السدس

ضرب

في الاولى وحفص في الثانية لمجاورة يورث وكسرها الاول لمجاورة يوصيكم الله الاخرى
بكسر الصاد اى يوصى الميت او دين والاشكال ان الدين مقدم على الوصية في
الشرع وقدمت الوصية على الدين في التلاوة والجواب ان او لا تدل على الترتيب
الا ترى انك اذا قلت جاءنى زيد او عمرو كان المعنى جاءنى احد الرجلين فكان
التقدير في قوله من بعد وصية يوصى بها او دين من بعد احد هذين الشيئين الوصية
او الدين ولو قيل بهذا اللفظ لم يدر فيه الترتيب بل يجوز تقديم المؤخر وتاخير
المقدم كذا ههنا وانما قدمنا الدين على الوصية لقوله عليه السلام الا ان الدين قبل
الوصية ولانها تشبه الميراث من حيث انها صلة بلا عوض فكان اخراجها مما يشق
على الورثة فكان اداؤها مظنة للتفريط بخلاف الدين فقدمت على الدين ليسارعوا
الى اخراجها مع ابائكم مبتداء وابناؤكم عطف عليه والخبر لا تدرون وقوله
ايهم مبتداء خبره اقرب لكم والجملة في موضع نصب بتدرون نفعا تمييز والمعنى فرض
الله الفرائض على ما هو عنده حكمة ولو وكل ذلك اليكم لم تعلموا ايهم لكم انفع فوضعتم
انتم الاموال على غير حكمة والتفاوت في السهام بتفاوت المنافع وانتم لا تدرون
تفاوتها فتولى الله ذلك فضلا منه ولم يكلها الى اجتهادكم لعجزكم عن معرفة
المقادير وهذه الجملة اعتراضية مؤكدة لا موضع لها من الاعراب فريضة نصبت
نصب المصدر المؤكد اى فرض ذلك فرضا من الله ان الله كان عليما حكيما بالاشياء
قبل خلقها حكيما في كل موضع ما فرض وقسم من المواريث وغيرها ولكم نصف ما
ترك ازواجكم زوجاتكم ان لم يكن لهن ولد اى ابن او بنت فان كان لهن ولد منكم
او من غيركم فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها او دين ولهن الربع مما
تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية
توصون بها او دين الواحدة والجماعة سواء في الربع والثمن جعل ميراث الزوج
ضعف ميراث الزوجة لدلالة قوله للذكر مثل حظ الانثيين وان كان رجل يعنى
الميت وهو اسم كان يورث من ورث اى يورث منه وهو صفة لرجل كلالة خبر كان

اى وان كان رجل موروث منه كلالة او يورث خبر كان و كلالة حال من الضمير
فى يورث والكلالة تطلق على من لم يخلف ولدا ولا والدا وعلى من ليس بولد و
لا والد من المخلفين وهو فى الاصل مصدر بمعنى الكلال وهو ذهاب القوة من
الاعياء او امراة عطف على رجل وله اخ او اخت اى لام فان قلت قد تقدم ذكر
الرجل والمراة فلم افرد الضمير وذكره قلت اما افراده فلان او لاحد الشيئين واما
تذكيره فلانه يرجع الى رجل لانه مذكر مبدو به او يرجع الى احدهما وهو مذكر فلكل
واحد منهما السدس فان كانوا اكثر من ذلك من واحد فهم شركاء فى الثلث
لانهم لا يستحقون بقرابة الام وهى لا ترث اكثر من الثلث ولهذا لا يفضل الذكر
منهم على الانثى من بعد وصية يوصى بها او دين وانما كررت الوصية لاختلاف
الموصين فالاول الوالدان والاولاد والثانى الزوجة والثالث الزوج والرابع
الكلالة غير مضار حال من يوصى بها وهو غير مضار لورثته وذلك بان يوصى
زيادة على الثلث او لوارث وصية من الله مصدر موكد اى يوصيكم بذلك وصية
والله عليم بمن جار او عدل فى وصيته حليم عن الجائر لا يعاجله بالعقوبة وهذا
وعيد فان قلت فاين ذو الحال فيمن قرا يوصى بها قلت يضمر يوصى فينتصب
عن فاعله لانه لما قيل يوصى بها علم ان ثم موصيا كما كان رجال فاعل ما يدل عليه يسبح
لانه لما قال يسبح له علم ان ثم مسبحا فاضمر يسبح واعلم ان الورثة اصناف اصحاب
الفرايض وهم الذين لهم سهام مقدرة كالبنت ولها النصف وللذكر الثلثان وبنت
الابن وان سفلت وهى عند عدم الولد كالبنت ولها مع البنت الصلبية السدس و
تسقط بالابن وبنتى الصلب الا ان يكون معها غلام فيعصبها والاخوات لاب
وام وهن عند عدم الولد وولد الابن كالبنات والاخوات لاب وهن كالاخوات
لام واب عند عدمهن ويصير الفريقان عصبة بالبنت او بنت الابن ويسقطن
بالابن وابنه وان سفل وبالاب وبالجد عند ابى حنيفة رض وولد الام فللواحد السدس
وللاكثر الثلث وذكرهم كانثاهم ويسقطون بالولد وولد الابن وان سفل وبالاب

والجد

والجد وبالاب فلة السدس مع الابن وابن الابن وان سفل ومع البنت او بنت الابن
وان سفلت السدس والباقى والجد وهو اب الاب وهو كالاب عند عدم الاب
الا فى رد الام الى ثلث ما بقى والام ولها السدس مع الولد او ولد الابن وان سفل او
الاثنين من الاخوة والاخوات فصاعدا من اى جهة كانا والثلث الكل عند عدمهم و
ثلث ما يبقى بعد فرض احد الزوجين فى زوج وابوين او زوجة وابوين والجدة
ولها السدس وان كثرت لام كانت او لاب والبعدى تحجب بالقربى والكل بالام
والابويات بالاب والزوج وله الربع مع الولد او ولد الابن وان سفل وعند عدمه
النصف والزوجة ولها الثمن مع الولد او ولد الابن وان سفل وعند عدمه النصف

الربع

والعصبات وهم الذين يرثون ما بقى من الفرض واولاهم الابن ثم ابنه وان سفل
ثم الاب ثم ابوه وان علا ثم الاخ لاب وام ثم الاخ لاب ثم ابن الاخ لاب وام ثم
ابن الاخ لاب ثم الاعمام ثم اعمام الاب ثم اعمام الجد ثم المعتق ثم عصبته والاخوات لا
غيرهن وذوو الارحام على الترتيب واللاتى فرضهن النصف والثلثان يصرن عصبة
باخوتهن لا غيرهن وذوو الارحام وهم الاقارب الذين ليسوا من العصبات
ولا من اصحاب الفرايض وترتيبهم كترتيب العصبات تلك اشارة الى الاحكام التى
ذكرت فى باب اليتامى والوصايا والمواريث حدود الله سماها حدود الان الشرايع
كالحدود المضروبة للمكلفين لا يجوز لهم ان يتجاوزوها ومن يطع الله ورسوله
يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن
يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها انتصب خالدين و
خالدا على الحال وجمع مرة وافرد اخرى نظرا الى معنى من ولفظها ندخله فيهما مدنى
وشامى وله عذاب مهين لهوانه عند الله ولا تعلق للمعتزلة والخوارج بالاية فانها
فى حق الكفار اذ الكافر هو الذى يتعدى الحدود كلها فاما المومن العاصى فهو مطيع
بالايمان غير متعد حدود التوحيد ولهذا فسر الضحاك المعصية هنا بالشرك وقال
الكلبى ومن يعص الله ورسوله يكفر بقسمة المواريث ويتعد حدوده استحل الاثم

خاطب الحكام فقال واللاتي هي جمع التي وموضعها رفع بالابتداء يأتين الفاحشة
اى الزنا لزيادتها في القبح على كثير من القبايح يقال اتى الفاحشة وجاءها ورهقها وغشيها
بمعنى من نساءكم من للتبعيض والخبر فاستشهدوا عليهن فاطلبوا الشهادة اربعة منكم
من المؤمنين فان شهدوا بالزنى فامسكوهن في البيوت فاحبسوهن حتى يتوفيهن
الموت اى ملايكة الموت كقوله الذين يتوفيهم الملايكة او حتى يأخذهن الموت ويستوفى
ارواحهن او يجعل الله لهن قيل او بمعنى الا ان سبيلا غير هذه عن ابن عباس رض
السبيل للبكر جلد مائة وتغريب عام والثيب بالثيب جلد مائة ورجم بالحجارة و
اللذان يريد الزاني والزانية وبتشديد النون مكي يأتيانها منكم اى الفاحشة فاذوهما
بالتوبيخ والتعيير وقولوا لهما اما استحييتما اما خفتما الله فان تابا عن الفاحشة
واصلحا وغيرا الحال فاعرضوا عنهما فاقطعوا التوبيخ والمذمة ان الله كان توابا
رحيما يقبل توبة التائب ويرحمه قال الحسن اول ما نزل من حد الزنى الاذى ثم الحبس
ثم الجلد او الرجم وكان ترتيب النزول على خلاف ترتيب التلاوة والحاصل انهما اذا كانا
محصنين فحدهما الرجم لا غير واذا كانا غير محصنين فحدهما الجلد لا غير وان كان
احدهما محصنا والاخر غير محصن فعلى المحصن منهما الرجم وعلى الاخر الجلد وقال
ابن بحر الاية الاولى في السحاقات والثانية في اللواطين والتي في النور في الزانية والزاني
وهو دليل ظاهر لابي حنيفة رض في انه يعزر في اللواطة ولا يحد وقال مجاهد الاذى
في اللواطة انما التوبة هي من تاب الله عليه اذا قبل توبته اى انما قبولها على الله وليس
المراد به الوجوب اذ لا يجب على الله شيء ولكنه تاكيد للوعد يعني انه يكون لا محالة
كالواجب الذي لا يترك للذين يعملون السوء الذنب لسوء عاقبته بجهالة في موضع
الحال اى يعملون السوء جاهلين سفهاء لان ارتكاب القبيح مما يدعو اليه السفه وعن
مجاهد من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع عن جهالته وقيل جهالته اختياره
اللذة الفانية على الباقية وقيل لم يجهل انه ذنب ولكنه جهل كنه عقوبته ثم يتوبون
من قريب من زمان قريب وهو ما قبل حضرة الموت الا ترى الى قوله حتى اذا حضر احدهم

الموت

الموت فبين ان وقت الاحتضار هو الوقت الذي لا يقبل فيه التوبة وعن الضحاك
كل توبة قبل الموت فهو قريب وعن ابن عباس رض قبل ان ينظر الى ملك الموت و
عنه عليه الصلوة والسلام ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر ومن للتبعيض اى
يتوبون بعض زمان قريب كانه سمى ما بين وجود المعصية وبين حضرة الموت
زمانا قريبا فاولئك يتوب الله عليهم عدة بانه يفي بذلك واعلام بان الغفران
كائن لا محالة وكان الله عليما بعزمهم على التوبة حكيما حكم بان الندم توبة و
ليست التوبة للذين يعملون السيات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت
الآن اى ولا توبة للذين يذنبون ويسوفون توبتهم الى ان يزول حال التكليف
بحضور اسباب الموت ومعاينة ملك الموت فان توبة هؤلاء غير مقبولة
لانه حالة اضطرار لا حالة اختيار وقبول التوبة ثواب ولا وعد به الا المختار
ولا الذين في موضع جر بالعطف على للذين يعملون السيات اى ليست التوبة
للذين يعملون السيات ولا الذين يموتون وهم كفار قال سعيد بن جبير الاية
الاولى في المؤمنين والوسطى في المنافقين والاخرى في الكافرين وفي بعض
المصاحف بلا مين فهو مبتدأ خبره اولئك اعتدنا لهم عذابا اليما اى هيأنا
من العتيد وهو الحاضر والاصل اعددنا فقلبت الدال تاء كان الرجل يرث امراة
مورثه بان يلقي عليها ثوبه فيتزوجها بلا مهر فنزل يا ايها الذين آمنوا لا يحل
لكم ان ترثوا النساء كرها اى ان تأخذوهن على سبيل الارث كما تحاز المواريث
وهن كارهات بذلك او مكرهات كرها بالفتح من الكراهة وبالضم حمزة وعلي من
الاكراه مصدر في موضع الحال من المفعول والتقييد بالكره لا يدل على الجواز عند
عدمه لان تخصيص الشيء بالذكر لا يدل على نفي ما عداه كما في قوله تعالى ولا تقتلوا اولادكم
خشية املاق وكان الرجل اذا تزوج امراة ولم تكن من حاجته حبسها مع سوء العشرة
لتفتدي منه بمالها وتختلع فقيل ولا تعضلوهن وهو منصوب عطفا على ان ترثوا
النساء ولا لتأكيد النفي اى ولا يحل لكم ان ترثوا النساء ولا ان تعضلوهن او مجزوم بالنهي

على الاستيناف فيجوز الوقف حينئذ على كرها والعضل الحبس والتضييق لتذهبوا
ببعض ما اتيتموهن من المهر واللام متعلقة بتعضلوا الا ان ياتين بفاحشة
هي النشوز وايذاء الزوج واهله بالبذاء اى الا ان يكون سوء العشرة من جهتهن
فقد عذرتم في طلب الخلع وعن الحسن الفاحشة الزنى فان فعلت حل لزوجها ان
يسالها الخلع مبينة وبفتح الياء مكى وابو بكر والاستثناء من اعم عام الظرف او
المفعول له كانه قيل ولا تعضلوهن في جميع الاوقات الا وقت ان ياتين بفاحشة
او ولا تعضلوهن لعلة من العلل الا لان ياتين بفاحشة وكانوا يسيئون معاشرة
النساء فقيل لهم وعاشروهن بالمعروف وهو النصفة في المبيت والنفقة
والاجمال في القول فان كرهتموهن لقبحهن اوسوء خلقهن فعسى ان تكرهوا شيئا
ويجعل الله فيه في ذلك الشئ او في الكره خيرا كثيرا ثوابا جزيلا او ولدا صالحا
والمعنى فان كرهتموهن فلا تفارقوهن لكراهة الانفس وحدها فربما كرهت
النفس ما هو اصلح في الدين وادنى الى الخير واحبت ما هو بضد ذلك ولكن النظر
في اسباب الصلاح وانما صح قوله فعسى ان تكرهوا جزاء للشرط لان المعنى فان كرهتموهن
فاصبروا عليهن مع الكراهة فلعل لكم فيما تكرهونه خيرا كثيرا ليس فيما تحبونه و
كان الرجل اذا راى امراة فاعجبته بهت التي تحته ورماها بفاحشة حتى يلجئها الى
الافتداء منه بما اعطاها فقيل وان اردتم استبدال زوج مكان زوج اى تطليق
امراة وتزوج اخرى وآتيتم احديهن واعطيتم احدى الزوجات فالمراد بالزوج
الجمع لان الخطاب لجماعة الرجال قنطارا مالا عظيما كما مر في ال عمران وقال عمر رض على
المنبر لا تغالوا بصدقات النساء فقالت امراة انتبع قولك ام قول الله وآتيتم احديهن
قنطارا فقال عمر رض كل احد اعلم من عمر تزوجوا على ما شئتم فلا تاخذوا منه من القنطار
شيئا اتاخذونه بهتانا واثما مبينا اى بينا والبهتان ان يستقبل الرجل بامر قبيح
يقذفه به وهو برئ منه لانه يبهت عند ذلك اى يتحير وانتصب بهتانا على الحال
اى باهتين وآثمين ثم انكر اخذ المهر بعد الافضاء فقال وكيف تاخذونه وقد افضى

بعضكم الى بعض اى خلا بلا حائل ومنه الفضاء والآية حجة لنا في الخلوة الصحيحة انها
تؤكد المهر حيث انكر الاخذ وعلل بذلك واخذن منكم ميثاقا غليظا عهدا وثيقا
وهو قول الله عز وجل فامساك بمعروف او تسريح باحسان والله تعالى اخذ
هذا الميثاق على عباده لاجلهن فهو كاخذهن او قول النبي صلى الله عليه وسلم استوصوا
بالنساء خيرا فانهن عوان في ايديكم اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن
بكلمة الله ولما نزل لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها قالوا تركنا هذا لا نرثهن كرها و
لكن نخطبهن فينكحهن برضاهن فقيل لهم ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء وقيل
المراد بالنكاح الوطئ اى ولا تطئوا ما وطئ اباؤكم وفيه تحريم وطئ موطوءة الاب
بنكاح او بملك يمين او بزنى كما هو مذهبنا وعليه كثير من المفسرين ولما قالوا كنا
نفعل ذلك فكيف حال ما كان منا قال الا ما قد سلف اى لكن ما قد سلف فانكم
لا تؤاخذون به والاستثناء منقطع عن سيبويه ثم بين صفة هذا الفعل في الحال
فقال انه كان فاحشة بالغة في القبح ومقتا وبغضا عند الله وعند المومنين و
ناس منهم يمقتونه من ذوى مروآتهم ويسمونه نكاح المقت وكان المولود عليه
يقال له المقتى وساء سبيلا وبئس الطريق طريقا ذلك ولما ذكر في اول السورة
نكاح ما طاب اى حل من النساء وذكر بعض ما حرم قبل هذا وهو نساء الاباء ذكر المحرمات
الباقيات وهو سبع من النسب وسبع من السبب وبدا بالنسب فقال حرمت عليكم
امهاتكم والمراد تحريم نكاحهن عند البعض وقد ذكرنا المختار في شرح المنار والجدة من
قبل الام او الاب ملحقة بهن وبناتكم وبنات الابن وبنات البنت ملحقات بهن
والاصل ان الجمع اذا قوبل بالجمع ينقسم الاحاد على الاحاد فتحرم على كل واحد امه وبنته
واخواتكم لاب وام او لاب او لام وعماتكم من الاوجه الثلثة وخالاتكم كذلك وبنات
الاخ كذلك وبنات الاخت كذلك ثم شرع في السبب فقال وامهاتكم اللاتي ارضعنكم
واخواتكم من الرضاعة انزل الله الرضاعة منزلة النسب فسمى المرضعة اما للرضيع
والمراضعة اختا وكذلك زوج المرضعة ابوه وابواه جداه واخته عمته وكل ولد

ولدته من غير المرضعة قبل الرضاع وبعده فهم اخوته واخواته لابيه وام المرضعة
جدته واختها خالته وكل من ولدها من هذا الزوج فهم اخوته واخواته لابيه وامه
ومن ولدها من غيره فهم اخوته واخواته لامه واصله قوله عليه الصلوة والسلام
يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب وامهات نسائكم وهن محرمات بمجرد العقد
وربائبكم سمي ولد المراءة من غير زوجها ربيبا وربيبة لانه يربهما كما يرب ولده في غالب
الامر ثم اتسع فيه فسميا بذلك وان لم يربها اللاتي في حجوركم قال داود اذا لم يكن
في حجره لا تحرم قلنا ذكر الحجر على غلبة الحال دون الشرط وفايدته التعليل للتحريم وانهن
لاحتضانكم لهن او لكونهن بصدد احتضانكم كانكم في العقد على بناتهن عاقدون على
بناتكم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن متعلق بربائبكم اى الربيبة من المراة المدخول
بها وحرام على الرجل حلال له اذا لم يدخل بها والدخول بهن كناية من الجماع كقولهم
بنى عليها وضرب عليها الحجاب اى ادخلتموهن الستر والباء للتعدية واللمس ونحوه
يقوم مقام الدخول وقد جعل بعض العلماء اللاتي دخلتم بهن وصفا للنساء المتقدمة
والمتاخرة وليس كذلك لان الوصف الواحد لا يجرى على موصوفين مختلفي العامل وهذا
لان النساء الاولى مجرورة بالاضافة والثانية بمن ولا يجوز ان يقول مررت بنسائك
وهربت من نساء زيد الظريفات على ان يكون الظريفات نعتا لهؤلاء النساء وهؤلاء النساء
كذا قاله الزجاج وغيره وهذا اولى مما قاله صاحب الكشاف فيه فان لم تكونوا دخلتم بهن
فلا جناح عليكم فلا حرج عليكم في ان تتزوجوا بناتهن اذا فارقتموهن او متن وحلائل
ابنائكم جمع حليلة وهي الزوجة لان كل واحد منهما يحل للاخر او يحل فراش الاخر من الحل
او من الحلول الذين من اصلابكم دون من تبنيتم فقد تزوج رسول الله عليه الصلوة و
السلام زينب حين فارقها زيد وقال الله تعالى لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج
ادعيائهم وليس هذا لنفي الحرمة عن حليلة الابن من الرضاع وان تجمعوا بين الاختين
اى في النكاح وهو في موضع الرفع عطف على المحرمات اى وحرم عليكم الجمع بين
الاختين الا ما قد سلف ولكن ما مضى مغفور بدليل قوله ان الله كان غفورا رحيما

وعن محمد بن الحسن رح ان اهل الجاهلية كانوا يعرفون هذه المحرمات الا نكاح امراة
الاب ونكاح الاختين فلذا قال فيهما الا ما قد سلف والمحصنات من النساء اى ذوات
الازواج لانهن احصن فروجهن بالتزوج قراء الكسائي بفتح الصاد هنا وفي سائر القران
بكسرها وغيره بفتحها في جميع القران الا ما ملكت ايمانكم بالسبي وزوجها في دار الحرب
والمعنى وحرم عليكم نكاح المنكوحات اى اللاتي لهن ازواج الا ما ملكتموهن بسبيهن
واخراجهن بدون ازواجهن لوقوع الفرقة بتباين الدارين لا بالسبي فتحل للغانم
بملك اليمين بعد الاستبراء كتاب الله عليكم مصدر مؤكد اى كتب الله ذلك
عليكم كتابا وفرضه فريضة وهو تحريم ما حرم وعطف واحل لكم على الفعل
المضمر الذى نصب كتاب الله اى كتب الله عليكم تحريم ذلك واحل لكم ما وراء ذلكم
ما سوى المحرمات المذكورة واحل كوفي غير ابي بكر عطف على حرمت ان تبتغوا
مفعول له اى بين لكم ما يحل مما يحرم لان تبتغوا او بدل من ما وراء ذلكم ومفعول
تبتغوا مقدر وهو النساء والاجود ان لا يقدر باموالكم يعنى المهور وفيه دليل
على ان النكاح لا يكون الا بمهر وانه يجب وان لم يسم وان غير المال لا يصلح مهرا وان
القليل لا يصلح مهرا اذ الحبة لا تعد مالا عادة محصنين في حال كونكم محصنين غير
مسافحين لان لا تضيعوا اموالكم وتفتقروا انفسكم فيما لا يحل لكم فتخسروا دنياكم و
دينكم ولا فساد اعظم من الجمع بين الخسرانين والاحصان العفة وتحصين النفس من
الوقوع في الحرام والمسافح الزاني من السفح وهو صب المني فما استمتعتم به منهن فما
نكحتموه منهن فاتوهن اجورهن مهورهن لان المهر ثواب على البضع فما في معنى
النساء ومن للتبعيض او للبيان ويرجع الضمير اليه على اللفظ في به وعلى المعنى في
فاتوهن فريضة حال من الاجور اى مفروضة او وضعت موضع ايتاء لان الايتاء
مفروض او مصدر مؤكد اى فرض ذلك فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من
بعد الفريضة فيما تحط عنه من المهر او تهب له من كله او يزيد لها على مقداره او فيما تراضيا
به من مقام او فراق ان الله كان عليما بالاشياء قبل خلقها حكيما فيما فرض لهم من عقد

النكاح الذى به حفظت الانساب وقيل ان قوله فما استمتعتم نزلت فى المتعة التى
كانت ثلثة ايام حين فتح الله مكة على رسوله صلى الله عليه وسلم ثم نسخت ومن لم يستطع
منكم طولا فضلا يقال لفلان على طول اى فضل وزيادة وهو مفعول يستطع ان ينكح
مفعول الطول فانه مصدر فيعمل عمل فعله او بدل من طولا المحصنات المومنات
الحراير المسلمات فمن ما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات اى فلينكح مملوكة من الاماء
المسلمات وقوله من فتياتكم اى من فتيات المسلمين والمعنى ومن لم يستطع زيادة فى المال
وسعة يبلغ بها نكاح الحرة فلينكح امة ونكاح الامة الكتابية يجوز عندنا والتقييد
فى النص بالاستحباب بدليل ان الايمان ليس بشرط فى الحراير اتفاقا مع التقييد به وقال
ابن عباس رض ومما وسع الله تعالى على هذه الامة نكاح الامة واليهودية والنصرانية
وان كان موسرا وفيه دليل لنا فى مسئلة الطول والله اعلم بايمانكم فيه تنبيه على قبول
ظاهر ايمانهن ودليل على ان الايمان هو التصديق دون عمل اللسان لان العلم بالايمان
المسموع لا يختلف بعضكم من بعض اى لا تستنكفوا من نكاح الاماء فكلكم بنو ادم وهو
تحذير عن التعيير بالانساب والتفاخر بالاحسان فانكحوهن باذن اهلهن مادتهن
وهو حجة لنا فى ان لهن ان يباشرن العقد بانفسهن لانه اعتبر اذن الموالى لا عقدهم
وانه ليس للعبد وللامة ان يتزوج الا باذن المتولى واتوهن اجورهن بالمعروف
وادوا اليهن مهورهن بغير مطل وضرار وملاك مهورهن مواليهن فكان اداؤها
اليهن اداء الى الموالى لانهن وما فى ايديهن مال الموالى والتقدير فاتوا مواليهن فحذف
المضاف محصنات عفايف حال من المفعول فى واتوهن غير مسافحات زوان علانية
ولا متخذات اخدان زوان سرا والاخدان الاخلاء فى السر فاذا احصن بالتزويج
احصن كوفى غير حفص فان اتين بفاحشة زنى فعليهن نصف ما على المحصنات
اى الحرائر من العذاب من الحد يعنى خمسين جلدة وقوله نصف يدل على انه الجلد لان
الرجم لا ينتصف وان المحصنات هنا الحرائر اللاتى لم يزوجن ذلك اى نكاح الاماء
لمن خشى العنت منكم لمن خاف الاثم الذى يودى اليه غلبة الشهوة واصل العنت انكسار

العظم

العظم بعد الجبر فاستعير لكل مشقة وضرر ولا ضرر اعظم من مواقعة المأثم وعن ابن
عباس رض هو الزنا لانه سبب الهلاك وان تصبروا فى محل الرفع على الابتداء اى
وصبركم عن نكاح الاماء متعففين خير لكم لان فيه ارقاق الولد ولانها خراجة
ولاجة ممتهنة مبتذلة وذلك كله نقصان يرجع الى الناكح ومهانة والعزة
من صفات المؤمنين وفى الحديث الحراير صلاح البيت والاماء هلاك البيت
والله غفور يستر المحظور رحيم يكشف المحذور يريد الله ليبين لكم اصله
اصله يريد الله ان يبين لكم فزيدت اللام موكدة لارادة التبيين كما زيدت
فى لا ابا لك لتاكيد اضافة الاب والمعنى يريد الله ان يبين لكم ما هو خفى عليكم
من مصالحكم وافاضل اعمالكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم وان يهديكم مناهج من
كان قبلكم من الانبياء والصالحين والطرق التى سلكوها فى دينهم لتقتدوا بهم و
يتوب عليكم ويوفقكم التوبة عما كنتم عليه من الخلاف والله عليم بمصالح عباده
حكيم فيما شرع لهم والله يريد ان يتوب عليكم التكرار للتاكيد والتقرير والتقابل
ويريد الفجرة الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا ميلا عظيما وهو الميل عن القصد
فلا ميل اعظم منه بمساعدتهم وموافقتهم على اتباع الشهوة وقيل هم اليهود
لاستحلالهم الاخوات لاب وبنات الاخ وبنات الاخت فلما حرمهن الله تع
قالوا فانكم تحلون بنت الخالة والعمة والخالة والعمة عليكم حرام فانكحوا بنات
الاخت والاخ فنزلت يقول يريدون ان تكونوا زناة مثلهم يريد الله ان يخفف
عنكم باحلال نكاح الامة وغيره من الرخص وخلق الانسان ضعيفا لا يصبر عن
الشهوات وعلى مشاق الطاعات يا ايها الذين آمنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم
بالباطل بما لم تبحه الشريعة من نحو السرقة والخيانة والغصب والقمار والعقود
الربوا الا ان تكون تجارة الا ان يقع تجارة تجارةً كوفى الا ان تكون التجارة تجارة
عن تراض منكم صفة لتجارة اى تجارة صادرة عن تراض بالعقد وبالتعاطى والاستثناء
منقطع معناه ولكن اقصدوا كون تجارة عن تراض اولكن كون تجارة عن تراض غير

منهي عنه وخص التجارة بالذكر لان اسباب الرزق اكثرها متعلق بها والاية تدل على جواز البيع بالتعاطي وعلى جواز البيع الموقوف اذا وجدت الاجازة لوجود الرضى وعلى نفي خيار المجلس لان فيها اباحة الاكل بالتجارة عن تراض من غير تقييد بالتعريف عن مكان العقد والتقييد به زيادة على النص ولا تقتلوا انفسكم من كان من جنسكم من المومنين لان المومنين كنفس واحدة او لا يقتل الرجل نفسه كما يفعله بعض الجهلة او معنى لقتل اكل الاموال بالباطل فظالم غيره كمهلك لنفسه او لا تتبعوا اهواءها فتقتلوها او لا ترتكبوا ما يوجب القتل ان الله كان بكم رحيما ولرحمته بكم نهاكم على ما فيه صيانة اموالكم وبقاء ابدانكم وقيل معناه انه امر بني اسرائيل بقتلهم انفسهم ليكون توبة لهم وتمحيصا لخطاياهم وكان بكم يا امة محمد رحيما حيث لم يكلفكم تلك التكاليف الصعبة ومن يفعل ذلك اي القتل اي ومن يقدم على قتل الانفس عدوانا وظلما لا خطاء ولا اقتصاصا وهما مصدران في موضع الحال او مفعول لهما فسوف نصليه نارا ندخله نارا مخصوصة شديدة العذاب وكان ذلك اي اصلاؤه النار على الله يسيرا سهلا وهذا الوعيد في حق المستحل للتخليد وفي حق غيره لبيان استحقاق دخول النار مع وعد الله بمغفرته ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سياتكم عن ابن مسعود رض الكبائر كل ما نهى الله عنه من اول سورة النساء الى قوله ان تجتنبوا وعنه ايضا الكبائر ثلث الاشراك بالله والياس من روح الله والامن من مكر الله وقيل المراد به انواع الكفر بدليل قراءة عبد الله كبير ما تنهون عنه وهو الكفر وندخلكم مدخلا مدخلا وكلاهما بمعنى المكان والمصدر كريما حسنا وعن ابن عباس رض ثماني آيات في سورة النساء هي خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت يريد الله ليبين لكم والله يريد ان يتوب عليكم يريد الله ان يخفف عنكم ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم ان الله لا يغفر ان يشرك به ان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ما يفعل الله بعذابكم وتشبث المعتزلة بالاية على ان الصغائر واجبة المغفرة

باجتناب الكبائر وعلى ان الكبائر غير مغفورة باطل لان الكبائر والصغائر في مشية الله تعالى ان شاء عذب عليهما وان شاء عفا عنهما لقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فقد وعد المغفرة لما دون الشرك وقرنها بمشية وقوله ان الحسنات يذهبن السيات فهذه الاية تدل على ان الصغائر والكبائر يجوز ان تذهبا بالحسنات لان لفظ السيات ينطلق عليهما ولما كان احدهم مال الغير بالباطل وقتل النفس بغير حق بتمني مال الغير وجاهه لهما من تمني ما فضل الله به بعض الناس على بعض من الجاه والمال بقوله ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض لان ذلك التفضيل قسمة من الله صادرة عن حكمة وتدبير وعلم باحوال العباد وبما ينبغي لكل من بسط في الرزق او قبض فعلى كل واحد ان يرضى بما قسم له ولا يحسد اخاه على حظه فالحسد ان يتمنى ان يكون ذلك الشيء له ويزول عن صاحبه والغبطة ان يتمنى مثل ما لغيره وهو مرخص فيه والاول منهي عنه ولما قال الرجال نرجو ان يكون اجرنا على الضعف من اجر النساء كالميراث وقالت النساء يكون وزرنا على نصف وزر الرجال كالميراث نزل للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن وليس ذلك على حسب الميراث واسالوا الله من فضله فان خزاينه لا تنفد ولا تتمنوا ما للناس من الفضل ان الله كان بكل شيء عليما فالتفضيل عن علم بمواضع الاستحقاق قال ابن عيينة لم يامر بالمسئلة الا ليعطي وفي الحديث من لم يسال الله من فضله غضب عليه وفيه ان الله تعالى ليمسك الخير الكثير عن عبده ويقول لا اعطي عبدك حتى يسالني وسلوا مني وعلي ولكل المضاف اليه محذوف تقديره لكل احد او لكل مال جعلنا موالي وراثا يلونه ويحرزونه مما ترك الوالدان والاقربون هو صفة مال محذوف اي من مال تركه الوالدان او هو متعلق بفعل محذوف دل عليه الموالي تقديره يرثون مما ترك والذين عقدت ايمانكم فاتوهم نصيبهم وهو مبتدا ضمن معنى الشرط فوقع خبره وهو فاتوهم نصيبهم مع الفاء عقدت كوفي عقدت عهودهم ايمانكم والمراد به عقد الموالاة وهي مشروعة والوراثة بها ثابتة عند عامة

الصحابة رض وهو قولنا وتفسيره اذا اسلم رجل وامراة لاوارث له وليس بعربي
ولا معتق فيقول الاخر واليتك على ان تعقلني اذا جنيت وترث مني اذا مت فيقول
الاخر قبلت انعقدت ذلك ويرث الاعلى من الاسفل ان الله كان على كل شيء شهيدا
اي هو عالم الغيب والشهادة وهو ابلغ وعد ووعيد الرجال قوامون على النساء
اي يقومون عليهن امرين ناهين كما يقوم الولاة على الرعايا وسموا قواما لذلك
بما فضل الله بعضهم على بعض الضمير في بعضهم للرجال والنساء يعني انما كانوا مسيطرين
مسلطين عليهن بسبب تفضيل الله بعضهم وهم الرجال على بعض وهم النساء بالعقل
والعزم والحزم والرمي والقوة والغزو وكمال الصوم والصلوة والنبوة والخلافة
والامامة والاذان والخطبة والجماعة والجمعة وتكبير التشريق عند ابي حنيفة رحمه الله
والشهادة في الحدود والقصاص وتضعيف الميراث والتعصيب فيه وملك النكاح
والطلاق واليهم الانتساب وهم اصحاب اللحى والعمائم وبما انفقوا من اموالهم وبان
نفقتهن عليهم وفيه دليل وجوب نفقتهن عليهم ثم قسمهن على نوعين النوع الاول
فالصالحات قانتات مطيعات قائمات بما عليهن للازواج حافظات للغيب
بمواجب الغيب وهو خلاف الشهادة اي اذا كان الازواج غير شاهدين
لهن حفظن ما يجب عليهن حفظه في حال الغيبة من الفروج والبيوت والاموال
وقيل للغيب لاسرارهم بما حفظ الله بما حفظهن الله حين اوصى بهن الى
الازواج بقوله وعاشروهن بالمعروف او بما حفظهن الله وعصمهن
ووفقهن لحفظ الغيب او بحفظ الله اياهن حيث صيرهن كذلك والثاني
واللاتي تخافون نشوزهن عصيانهن وترفعهن عن طاعة الازواج والنشز
المكان المرتفع عن ابن عباس رض ان تستخف بحقوق زوجها ولا تطيع امره فعظوهن
خوفوهن عقوبة الله تعالى والضرب والعظة كلام يلين القلوب القاسية ويرغب
الطبايع النافرة واهجروهن في المضاجع في المرقد لا تدخلوهن تحت اللحف
او هو كناية عن الجماع او هو ان يوليها ظهره في المضجع لانه لم يقل عن المضاجع واضربوهن

ضربا غير مبرح امر بوعظهن اولا ثم بهجرانهن في المضاجع ثم بالضرب ان لم ينجع فيهن
الوعظ والهجران فان اطعنكم بترك النشوز فلا تبغوا عليهن سبيلا فازيلوا عنهن
التعرض بالاذى وسبيلا مفعول لا تبغوا وهو من بغيت الامر اي طلبته ان الله كان عليا
كبيرا اي ان علت ايديكم عليهن فاعلموا ان قدرته عليكم اعظم من قدرتكم عليهن
فاجتنبوا ظلمهن او ان الله كان عليا كبيرا وانكم تعصونه على علو شانه وكبرياء سلطانه
ثم تتوبون فيتوب عليكم فانتم احق بالعفو عمن يجني عليكم اذا رجع ثم
خاطب الولاة بقوله وان خفتم شقاق بينهما اصله شقاقا بينهما فاضيف الشقاق
الى الظرف على سبيل الاتساع كقوله بل مكر الليل والنهار واصله مكر في الليل والنهار و
اصله الشقاق العداوة والخلاف لان كلا منهما يفعل ما يشق على صاحبه او يميل الى
شق اي ناحية غير شق صاحبه والضمير للزوجين ولم يجر ذكرهما لجري ذكر ما يدل عليهما
وهو الرجال والنساء فابعثوا حكما من اهله رجلا يصلح للحكومة والاصلاح بينهما
وحكما من اهلها وانما كان بعث الحكمين من اهلهما لان الاقارب اعرف ببواطن
الاحوال واطلب للصلاح ونفوس الزوجين اسكن اليهم فيبرزان ما في ضمائرهما
من الحب والبغض وارادة الصحبة والفرقة والضمير في ان يريدا اصلاحا
للحكمين وفي يوفق الله بينهما للزوجين اي ان قصدا اصلاح ذات البين وكانت
بينهما صحيحة بورك في وساطتهما واوقع الله بحسن سعيهما بين الزوجين الالفة
والوفاق والقى في نفوسهما المودة والاتفاق والضميران للحكمين اي ان قصدا
اصلاح ذات البين والنصيحة للزوجين يوفق الله بينهما فيتفقان على الكلمة
الواحدة ويتساندان في طلب الوفاق حتى يتم المراد او الضميران للزوجين اي ان
يريدا اصلاح ما بينهما وطلبا الخير وان يزول عنهما الشقاق يلق الله بينهما الالفة
وابدلهما بالشقاق الوفاق وبالبغضاء المودة ان الله كان عليما بارادة الحكمين خبيرا
بالظلم من الزوجين وليس لهما ولاية التفريق عندنا خلافا لمالك واعبدوا الله قيل
العبودية اربعة الوفاء بالعهود والرضا بالموجود والحفظ للحدود والصبر على

المفقود ولا تشركوا به شيئا صنما وغيره ويحتمل المصدر اى اشراكا وبالوالدين احسانا
واحسنوا اليهما احسانا بالقول والفعل والانفاق عليهما عند الاحتياج وبذى
القربى وبكل من بينكم وبينه قربى من اخ او عم او غيرهما واليتامى والمساكين و
الجار ذى القربى الذى قرب جواره والجار الجنب الذى جواره بعيدا والجار القريب
النسب والجار الجنب الاجنبى والصاحب بالجنب اى الزوجة عن على رضى الله عنه او
الذى صحبك بان حصل بجنبك اما رفيقا فى سفر او شريكا فى تعلم علم او غيره او
قاعدا الى جنبك فى مجلس او مسجد وابن السبيل الغريب او الضيف وما ملكت ايمانكم
العبيد والاماء ان الله لا يحب من كان مختالا متكبرا يانف عن قراباته وجيرانه
فلا يلتفت اليهم فخورا يعدد مناقبه كبرا فان عدها اعترافا كان شكورا الذين
يبخلون نصب على البدل من من كان مختالا فخورا وجمع على معنى من او على الذم
او رفع على انه خبر مبتدا محذوف تقديره هم الذين يبخلون ويامرون الناس
بالبخل بالبخل حمزة وعلى وهما لغتان كالرُشد والرَشد اى يبخلون بذات ايديهم و
بما فى ايدى غيرهم فيامرونهم بان يبخلوا به مقتا للسخاء قيل البخل ان ياكل بنفسه و
لا يوكل غيره والشح ان لا ياكل ولا يوكل والسخاء ان ياكل ويوكل والجود ان يوكل و
لا ياكل ويكتمون ما آتيهم الله من فضله ويخفون ما انعم الله عليهم به من المال
وسعة الحال وفى الحديث اذا انعم الله على عبد نعمة احب ان ترى نعمته على عبده وبنى
عامل للرشيد قصرا حذاء قصره فنم به عنده فقال الرجل يا امير المومنين ان الكريم
يسره ان يرى اثر نعمته فاحببت ان اسرك بالنظر الى اثار نعمتك فاعجبه كلامه وقيل
نزلت فى شان اليهود الذين كتموا صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم واعتدنا للكافرين
عذابا مهينا اى يهانون به فى الاخرة والذين ينفقون اموالهم معطوف على
الذين او على الكافرين رئاء الناس مفعول له اى للفخار وليقال ما اجودهم لا ابتغا
وجه الله وهم المنافقون او مشركوا مكة ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ومن
يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا حيث حملهم على البخل والرياء وكل شر ويجوز

ان يكون وعيدا لهم بان الشيطان يقرن بهم فى النار وماذا عليهم لو آمنوا بالله و
اليوم الاخر وانفقوا مما رزقهم الله واى تبعة ووبال عليهم فى الايمان والانفاق
فى سبيل الله والمراد الذم والتوبيخ والا فكل منفعة ومصلحة فى ذلك وهذا كما يقال
للعاق ما ضرك لو كنت بارا وقد علم انه لا مضرة فى البر ولكنه ذم وتوبيخ وكان الله
بهم عليما وعيد ان الله لا يظلم مثقال ذرة هى النملة الصغيرة وعن ابن عباس
انه ادخل يده فى التراب فرفعه ثم نفخ فيه فقال كل واحدة من هولاء ذرة وقيل
كل جزء من اجزاء الهباء فى كوة ذرة وان تك حسنة وان تك مثقال الذرة حسنة
وانما انث ضمير المثقال لكونه مضافا الى مؤنث حسنة مجازى على كان التامة وحذفت
النون من تكن تخفيفا لكثرة الاستعمال يضاعفها يضاعف ثوابها يضعفها مكى و
شامى ويؤت من لدنه اجرا عظيما ويعط صاحبها من عنده ثوابا عظيما وما وصفه
الله بالعظم فمن يعرف مقداره مع انه سمى متاع الدنيا قليلا وفيه ابطال قول المعتزلة
فى تخليد مرتكب الكبيرة مع ان له حسنات كثيرة فكيف يصنع هولاء الكفرة من
اليهود وغيرهم اذا جئنا من كل امة بشهيد يشهد عليهم بما فعلوا وهو نبيهم و
جئنا بك يا محمد على هولاء اى امتك شهيدا حال اى شاهدا على من آمن بالايمان
وعلى من كفر بالكفر وعلى من نافق بالنفاق وعن ابن مسعود رض انه قرا سورة
النساء على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ قوله وجئنا بك على هولاء شهيدا
فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال حسبنا يومئذ ظرف لقوله يود الذين كفروا
بالله وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض لو يدفنون فتسوى بهم الارض كما
تسوى بالموتى او يودون انهم لم يبعثوا او انهم كانوا والارض سواء او تصير البهائم
ترابا فيودون حالها تسوى بفتح التاء وتخفيف السين والامالة وحذف احدى
التائين من تتسوى حمزة وعلى تسوى بادغام التاء فى السين مدنى وشامى ولا يكتمون
الله حديثا مستانف اى ولا انه لا يقدرون على كتمانه لان جوارحهم تشهد عليهم
ولما صنع عبد الرحمن بن عوف طعاما وشرابا ودعا نفرا من اصحابه رض حين كانت

الخمر مباحة فاكلوا وشربوا فقدموا احدهم ليصلي بهم المغرب فقرا اعبد ما تعبدون
وانتم عابدون ما اعبد فنزل يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى
اى لا تقربوها فى هذه الحالة حتى تعلموا ما تقولون اى تقراون وفيه دليل على ان
ردة السكران ليست بردة لان قراءة سورة الكافرين بطرح اللاءات كفر ولم
يحكم بكفره حتى خاطبهم باسم الايمان وما امر النبى صلى الله عليه وسلم بالتفريق بينه و
بين امراته ولا بتجديد الايمان ولان الامة اجتمعت على ان من اجرى كلمة الكفر على
لسانه مخطئا لا يحكم بكفره ولا جنبا عطف على وانتم سكارى لان محل الجملة مع
الواو النصب على الحال كانه قيل لا تقربوا الصلوة سكارى ولا جنبا اى ولا تصلوا
جنبا والجنب يستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لانه اسم جرى مجرى المصدر
الذى هو الاجناب الا عابرى سبيل صفة لقوله جنبا اى لا تقربوا الصلوة جنبا غير
عابرى سبيل اى جنبا مقيمين غير مسافرين والمراد بالجنب الذين لم يغتسلوا كانه قيل
لا تقربوا الصلوة غير مغتسلين حتى تغتسلوا الا ان تكونوا مسافرين عادمين الماء
متيممين عبر عن المتيمم بالمسافر لان غالب حاله عدم الماء وهو مذهب ابى حنيفة
وهو مروى عن على رض وقال الشافعى رح لا تقربوا الصلوة اى مواضع الصلوة وهى
المساجد ولا جنبا اى لا تقربوا المساجد جنبا الا عابرى سبيل الا مجتازين فيه
ويجوز للجنب العبور فى المسجد عند الحاجة وان كنتم مرضى او على سفر او جاء
احد منكم من الغائط اى المطمئن من الارض وكانوا ياتونه لقضاء الحاجة فكنى به
عن الحدث او لامستم النساء جامعتموهن كذا عن على وابن عباس رض فلم تجدوا
ماء فلم تقدروا على استعماله لعدمه او بعده او فقد آلة الوصول اليه او لمانع من
حية او سبع او عدو فتيمموا ادخل فى حكم الشرط اربعة وهم المرضى والمسافرون و
المحدثون واهل الجنابة والجزاء الذى هو الامر بالتيمم يتعلق بهم جميعا فالمرضى اذا
عدموا الماء لضعف حركتهم وعجزهم عن الوصول اليه والسفر اذا عدموه لبعده و
المحدثون واهل الجنابة اذا لم يجدوه فلهم ان يتيمموا المستم خمرة وعلى صعيدا قال الزجاج

هو وجه الارض ترابا كان او غيره وان كان صخرا لا تراب عليه لو ضرب المتيمم يده
ومسح لكان ذلك طهوره ومن فى سورة المائدة لابتداء الغاية لا للتبعيض طيبا
طاهرا فامسحوا بوجوهكم وايديكم قيل الباء زائدة ان الله كان عفوا بالترخيص
والتيسير غفورا عن الخطاء والتقصير الم تر من روية القلب وعدى بالى على معنى الم
ينته علمك اليهم او بمعنى الم تنظر اليهم الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب حظا من
علم التورية وهم احبار اليهود يشترون الضلالة يستبدلونها بالهدى وهو البقاء
على اليهودية بعد وضوح الايات لهم على صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه
هو النبى العربى المبشر به فى التورية والانجيل ويريدون ان تضلوا انتم ايها المؤمنون
السبيل اى سبيل الحق كما ضلوه والله اعلم منكم باعدائكم وقد اخبركم بعداوة هؤلاء
فاحذروهم ولا تستنصحوهم فى اموركم وكفى بالله وليا فى النفع وكفى بالله نصيرا
فى الدفع فثقوا بولايته ونصرته دونهم او لا تبالوا بهم فان الله ينصركم عليهم ويكفيكم
مكرهم ووليا ونصيرا منصوبان على التمييز او على الحال من الذين هادوا بيان للذين
اوتوا نصيبا من الكتاب او بيان لاعدائكم وما بينهما اعتراض او يتعلق بقوله نصيرا
اى ينصركم من الذين هادوا كقوله ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا او يتعلق
بمحذوف تقديره من الذين هادوا قوم يحرفون الكلم فقوم مبتداء ويحرفون
صفة له والجار من الذين هادوا تقدم عليه وحذف الموصوف وهو قوم واقيم
صفته وهو يحرفون الكلم عن مواضعه اى يميلونه عنها ويزيلونه لانهم اذا بدلوه
ووضعوا مكانه كلما غيره فقد اما لوه عن مواضعه التى وضعه الله فيها وازالوه
عنها تقامه وذلك نحو تحريفهم اسم ربعة عن موضعه فى التورية بوضعهم آدم
طوال مكانه ثم ذكر هنا عن مواضعه وفى المائدة من بعد مواضعه فمعنى عن مواضعه
على ما بينا من ازالته عن مواضعه التى اوجبت حكمة الله وضعه فيها بما اقتضت
شهواتهم من ابدال غيره مكانه ومعنى من بعد مواضعه انه كانت له مواضع وهو جدير
بان يكون فيها فحين حرفوه تركوه كالغريب الذى لا موضع له بعد مواضعه ومقاره

والمعنيان متقاربان ويقولون سمعنا قولك وعصينا امرك قيل اسروا به واسمع
قولنا غير مسمع حال من المخاطب اى اسمع وانت غير مسمع وهو قول ذو وجهين
يحتمل الذم اى اسمع سامدعوا عليك بلا سمعت لانه لو اجيبت دعوتهم عليه لم
يسمع شيئا فكان اصم غير مسمع قالوا ذلك اتكالا على ان قولهم لا سمعت دعوة
مستجابة او اسمع غير مجاب الى ما تدعوا اليه ومعناه غير مسمع جوابا يوافقك
فكانك لم تسمع شيئا او اسمع غير مسمع كلاما ترضاه فسمعك عنه ناب ويحتمل المدح
اى اسمع غير مسمع مكروها من قولك اسمع فلان فلانا اذا سبه وكذلك قوله
راعنا يحتمل راعنا نكلمك اى ارقبنا وانتظرنا ويحتمل سبة كلمة عبرانية او سريانية
كانوا يتسابون بها وهى راعينا فكانوا سخرية بالدين وهزوا برسول الله صلى الله عليه وسلم
يكلمونه بكلام محتمل ينوون به الشتيمة والاهانة ويظهرون به التوقير والاكرام ليا
بالسنتهم فتلا بها وتحريفا اى يفتلون بالسنتهم الحق الى الباطل حيث يضعون راعنا
فى مواضع انظرنا وغير مسمع موضع لا اسمعت مكروها او يفتلون بالسنتهم ما يضمرونه
من الشتم الى ما يظهرونه من التوقير نفاقا وطعنا فى الدين هو قولهم لو كان نبيا
حقا لاخبر بما نعتقد فيه ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا ولم يقولوا وعصينا واسمع و
لم يلحقوا به غير مسمع وانظرنا مكان راعنا لكان قولهم ذلك خيرا لهم عند الله
واقوم واعدل واحد ولكن لعنهم الله بكفرهم طردهم وابعدهم عن رحمته بسبب
اختيارهم الكفر فلا يؤمنون الا قليلا منهم قد امنوا كعبد الله ابن سلام واصحابه
او الا ايمانا قليلا ضعيفا لا يعبا به وهو ايمانهم بمن خلقهم مع كفرهم بغيره ولما لم يؤمنوا
نزل يا ايها الذين اوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا يعنى القران مصدقا لما معكم يعنى
التورية من قبل ان نطمس وجوها اى نمحوا تخطيط صورها من عين وحاجب وانف
وفم فنردها على ادبارها فنجعلها على هيئة ادبارها وهى الاقفاء مطموسة مثلها والفا
للتسبب وان جعلتها للتعقيب على انهم توعدوا بعقابين احدهما عقيب الاخر ردها
على ادبارها بعد طمسها فالمعنى ان نطمس وجوها فننكس الوجوه الى خلف والاقفاء الى

قدام

قدام وقيل المراد بالطمس القلب والتغيير كما طمس اموال القبط فقلبها حجارة وبالوجوه
رؤسهم ووجهاؤهم اى من قبل ان تغير احوال وجهائهم فنسلبهم اقبالهم ووجاهتهم
ونكسوهم صغارهم وادبارهم او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت اى نخزيهم بالمسخ
كما مسخنا اصحاب السبت والضمير يرجع الى الوجوه ان اريد الوجهاء او الى الذين
اوتوا الكتاب على طريق الالتفات والوعيد كان معلقا بان لا يؤمن كلهم وقد امن
بعضهم فان ابن سلام قد سمع الاية قافلا من الشام فاتى النبى صلى الله عليه وسلم مسلما
قبل ان اتى اهله وقال ما كنت ارى ان اصل الى اهلى قبل ان نطمس الله وجهى وكان
الله تعالى وعدهم باحد الامرين بطمس الوجوه او بلعنهم فان كان الطمس تبديل
احوال رؤسائهم فقد كان احد الامرين وان كان غيره فقد حصل اللعن فانهم ملعونون
بكل لسان وقيل هو منتظر فى اليهود وكان امر الله اى المامور به وهو العذاب الذى
وعدوا به مفعولا كاينا لا محالة فلا بد ان يقع احد الامرين ان لم يؤمنوا ان الله
لا يغفر ان يشرك به ان مات عليه ويغفر ما دون ذلك اى ما دون الشرك وان كان
كبيرة مع عدم التوبة والحاصل ان اصل الشرك مغفور عنه بالتوبة وان وعد غفران
ما دونه لمن لم يتب اى لا يغفر لمن يشرك وهو مشرك ويغفر لمن يذنب وهو
مذنب قال عليه الصلوة والسلام من لقى الله تعالى لا يشرك به شيئا دخل الجنة ولم
يضره خطيئته وتقييده بقوله لمن يشاء لا يخرجه عن عمومه كقوله تعالى الله لطيف
بعباده يرزق من يشاء قال على رض ما فى القران آية احب الى من هذه الاية وحمل
المعتزلة على التائب باطل لان الكفر مغفور عنه بالتوبة كقوله تعالى قل للذين
كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف فما دونه اولى ان يغفر بالتوبة والاية سيقت
لبيان التفرقة بينهما وذا فيما ذكرنا ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما كذب كذبا عظيما
استحق به عذابا اليما ونزل فيمن زكى نفسه من اليهود والنصارى حيث قالوا نحن
ابناء الله واحباؤه وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى الم تر الى
الذين يزكون انفسهم ويدخل فيها كل من زكى نفسه ووصفها بزكاء العمل وزيادة

الطاعة والتقوى بل الله يزكي من يشاء اعلام بان تزكية الله تعالى هي التي يعتد بها لا
تزكية غيره لانه هو العالم بمن هو اهل للتزكية ونحوه فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى
ولا يظلمون اي الذين يزكون انفسهم يعاقبون على تزكية انفسهم حق جزائهم او من
يشاء يثابون على زكائهم ولا ينقص من ثوابهم فتيلا قدر فتيل وهو ما يحدث بفتل
الاصابع من الوسخ انظر كيف يفترون على الله الكذب في زعمهم انهم عند الله ازكياء
وكفى به بزعمهم هذا اثما مبينا من بين سائر آثامهم الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من
الكتاب يعني اليهود يؤمنون بالجبت اي الاصنام وكل ما عبد من دون الله والطاغوت
الشيطان ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا وذلك ان
حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف اليهوديين خرجا الى مكة مع جماعة من اليهود
يحالفون قريشا على محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انتم اهل الكتاب
وانتم الى محمد صلى الله عليه وسلم اقرب منكم الينا فلا نأمن مكركم فاسجدوا لآلهتنا حتى
نطمئن اليكم ففعلوا فهذا ايمانهم بالجبت والطاغوت لانهم سجدوا للاصنام واطاعوا
ابليس فيما فعلوا وقال ابو سفيان انحن اهدى سبيلا ام محمد صلى الله عليه وسلم فقال
كعب انتم اهدى سبيلا اولئك الذين لعنهم الله ابعدهم من رحمته ومن يلعن الله فلن
تجد له نصيرا يعتد بنصره ثم وصف اليهود بالبخل والحسد وهما من شر الخصال يمنعون
ما لهم ويتمنون ما لغيرهم فقال ام لهم نصيب من الملك فام منقطعة ومعنى الهمزة
لانكار ان يكون لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون الناس نقيرا اي لو كان لهم نصيب
من الملك اي ملك اهل الدنيا او ملك الله فاذا لا يؤتون احدا مقدار نقير لفرط بخلهم
والنقير النقرة في ظهر النواة وهو مثل في القلة كالفتيل ام يحسدون الناس على
ما آتاهم الله من فضله بل يحسدون رسول الله والمؤمنين على انكار الحسد واستقباحه
وكانوا يحسدونهم على ما آتاهم الله من النصرة والغلبة وازدياد العز والتقدم كل يوم
فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب اي التوراة والحكمة المواعظ والفقه وآتيناهم ملكا عظيما
يعني ملك يوسف وداود وسليمان وهذا الزام لهم بما عرفوه من ايتاء الله الكتاب

والحكمة آل ابراهيم الذين هم اسلاف محمد صلى الله عليه وسلم وانه ليس ببديع ان يؤتيه
الله مثل ما اوتي اسلافه فمنهم من آمن به اي فمن اليهود من آمن بما ذكر من حديث آل ابراهيم
ومنهم من صد عنه وانكره مع علمه بصحته او من اليهود من آمن برسول الله ومنهم من انكر
نبوته واعرض عنه وكفى بجهنم سعيرا للصادين ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم
سندخلهم نارا كلما نضجت جلودهم احترقت بدلناهم جلودا غيرها اعدنا تلك الجلود
غير محترقة فالتبديل والتغيير لتغاير الهيئتين لا لتغاير الاصلين عند اهل الحق
خلافا للكرامية وعن فضيل يجعل النضيج غير نضيج ليذوقوا العذاب ليدوم لهم
ذوقه ولا ينقطع كقولك للعزيز اعزك الله اي ادامك على عزك ان الله كان عزيزا
غالبا بالانتقام لا يمتنع عليه شيء مما يريده بالمجرمين حكيما فيما يفعل بالكافرين والذين
آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا
لهم فيها ازواج مطهرة من الانجاس والحيض والنفاس وندخلهم ظلا ظليلا هو صفة
مشتقة من لفظ الظل لتاكيد معناه كما يقال ليل اليل وهو ما كان فينانا لا جوب فيه
ودائما لا تنسخه الشمس وسجسجا لا حر فيه ولا برد وليس ذلك الا ظل الجنة ثم خاطب
الولاة باداء الامانات والحكم بالعدل بقوله ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها
وقيل قد دخل في هذا الامر اداء الفرائض التي هي امانات الله تعالى التي حملها الانسان
وحفظ الحواس التي هي ودائع الله واذا حكمتم بين الناس قضيتم ان تحكموا بالعدل
بالسوية والانصاف وقيل ان عثمان بن طلحة بن عبد الدار كان سادن الكعبة وقد اخذ
رسول الله صلى الله عليه وسلم منه مفتاح الكعبة فلما نزلت الآية امر عليا رض بان يرده اليه
وقال علي لقد انزل الله في شانك قرآنا وقرأ عليه الآية فاسلم عثمان فهبط جبريل
عليه السلام واخبر ان السدانة في اولاد عثمان ابدا ان الله نعما يعظكم به ما نكرة منصوبة
موصوفة بيعظكم به كانه قيل نعم شيئا يعظكم به او موصولة مرفوع المحل صلتها ما بعدها
اي نعم الشيء الذي يعظكم به وهو المأمور به من اداء الامانات والعدل في الحكم وبكسر النون
وسكون العين مدني وابو عمرو وبفتح النون وكسر العين شامي وحمزة وعلي ان الله

كان سميعا لما قوالكم بصيرا باعمالكم ولما امر الولاة باداء الامانات والحكم بالعدل امر
الناس بان يطيعوهم بقوله يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول
واولى الامر منكم اى الولاة او العلماء لان امرهم ينفذ على الامراء فان تنازعتم فى شئ
فان اختلفتم انتم واولوا الامر فى شئ من امور الدين فردوه الى الله والرسول اى ارجعوا
فيه الى الكتاب والسنة ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر اى ان الايمان يوجب
الطاعة دون العصيان ودلت الاية على ان طاعة الامراء واجبة اذا وافقوا الحق فاذا
خالفوه فلا طاعة لهم لقوله عليه الصلوة والسلام لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق وحكى
ان مسلمة بن عبد الملك بن مروان قال لابى حازم الستم امرتم بطاعتنا بقوله واولى الامر
منكم فقال ابو حازم اليس قد نزعت عنكم اذا خالفتم الحق بقوله فان تنازعتم فى شئ فردوه
الى الله اى القران والرسول فى حيوته والى احاديثه بعد وفاته ذلك اشارة الى الرد الى
كتاب الله والسنة خير عاجلا واحسن تاويلا عاقبة كان بين بشر المنافق ويهودى خصومة
فدعاه يهودى الى النبى صلى الله عليه وسلم لعلمه انه لا يرتشى ودعاه المنافق الى كعب بن الاشرف
ليرشو فاحتكما الى النبى صلى الله عليه وسلم فقضى اليهودى فلم يرض المنافق وقال تعالى
نتحاكم الى عمر فقال اليهودى لعمر قضى لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرض بقضائه
فقال عمر للمنافق اكذلك قال نعم فقال عمر مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل عمر واخذ سيفه
ثم خرج فضرب به عنق المنافق فقال هكذا اقضى لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله فنزلت
الم تر الى الذين يزعمون انهم امنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك وقال جبرئيل عم
ان عمر فرق بين الحق والباطل فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انت الفاروق يريدون
حال من الضمير فى يزعمون ان يتحاكموا الى الطاغوت اى كعب بن الاشرف سماه طاغوتا
لافراطه فى الطغيان وعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم او على التشبيه بالشيطان
او جعل اختيار التحاكم اليه تحاكما الى الشيطان بدليل قوله وقد امروا ان يكفروا به ويريد
الشيطان ان يضلهم عن الحق ضلالا بعيدا مستمرا الى الموت واذا قيل لهم للمنافقين تعالوا
الى ما انزل الله والى الرسول للتحاكم رايت المنافقين يصدون عنك صدودا يعرضون

عنك الى غيرك ليغيروه بالرشوة فيقضى لهم فكيف تكون حالهم وكيف يصنعون اذا
اصابتهم مصيبة من قتل عمر بشرا بما قدمت ايديهم من التحاكم الى غيرك واتهامهم لك فى
الحكم ثم جاؤك اى اصحاب القتيل من المنافقين يحلفون بالله حال ان اردنا ما اردنا
بتحاكمنا الى غيرك الا احسانا لا اساءة وتوفيقا بين الخصمين ولم نرد مخالفة لك
ولا تسخطا لحكمك وهذا وعيد لهم على فعلهم وانهم سيندمون عليه حين لا ينفعهم
الندم ولا يغنى عنهم الاعتذار وقيل جاء اولياء المنافق يطلبون بدمه وقد اهدر
الله دمه فقالوا ما اردنا بالتحاكم الى عمر الا ان يحسن الى صاحبنا بحكومة العدل والتوفيق
بينه وبين خصمه وما خطر ببالنا انه يحكم له بما حكم به اولئك الذين يعلم الله ما
فى قلوبهم من النفاق فاعرض عنهم وعظهم وقل لهم فى انفسهم قولا بليغا فاعرض
عن قبول الاعتذار وعظ بالزجر والانكار وبالغ فى وعظهم بالتخويف والانذار
او اعرض عن عقابهم وعظهم فى عتابهم وبلغ كنه ما فى ضميرك من الوعظ بارتكاب
البلاغة ان يبلغ بلسانه كنه ما فى جنانه وفى انفسهم يتعلق بقل لهم اى قل لهم
فى معنى انفسهم الخبيثة وقلوبهم المطوية على النفاق قولا بليغا يبلغ منهم ويؤثر
فيهم وما ارسلنا من رسول اى رسولا قط الا ليطاع باذن الله بتوفيقه فى طاعته
وتيسيره او بسبب اذن الله فى طاعته او بانه امر المبعوث اليهم بان يطيعوه
لانه مؤد عن الله فطاعته طاعة الله ومن يطع الرسول فقد اطاع الله ولو انهم
اذ ظلموا انفسهم بالتحاكم الى الطاغوت جاؤك تائبين من النفاق معتذرين عما ارتكبوا
من الشقاق فاستغفروا الله من النفاق والشقاق واستغفر لهم الرسول بالشفاعة
لهم والعامل فى اذ ظلموا خبر ان وهو جاؤك والمعنى ولو وقع مجيئهم فى وقت ظلمهم
مع استغفارهم واستغفار الرسول لوجدوا الله توابا لعلموه توابا اى لتاب عليهم
ولم يقل واستغفرت لهم وعدل عنه الى طريقة الالتفات تفخيما لشان رسول الله
صلى الله عليه وسلم وتعظيما لاستغفاره وتنبيها على ان شفاعته من اسم الرسول من الله
بمكان رحيما بهم قيل جاء اعرابى بعد دفنه عليه الصلوة والسلام فرمى بنفسه على قبره

وحثا من ترابه على رأسه وقال يا رسول الله قلت فسمعنا وكان فيما انزل عليك ولو
انهم اذ ظلموا انفسهم الاية وقد ظلمت نفسي وجئتك استغفر الله ذنبي واستغفر لي
من ربي فنودي من قبره قد غفر لك فلا وربك اي فوربك كقوله فوربك
لنسالنهم ولا مزيدة لتاكيد معنى القسم وجواب القسم لا يؤمنون او التقدير فلا
اي ليس الامر كما يقولون ثم قال وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم
فيما اختلف بينهم واختلط ومنه الشجر لتداخل اغصانه ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا
ضيقا مما قضيت اي لا تضيق صدورهم من حكمك او شكا لان الشاك في ضيق
من امره حتى يلوح له اليقين ويسلموا تسليما وينقادوا لقضائك انقيادا وحقيقته
سلم نفسه له واسلمها اي جعلها سالمة له اي خالصة وتسليما مصدر موكد للفعل
بمنزلة تكريره كانه قيل وينقادوا لحكمه انقيادا لا شبهة فيه بظاهرهم وباطنهم
والمعنى لا يكونون مؤمنين حتى يرضوا بحكمك وقضايك ولو انا كتبنا عليهم على
المنافقين اي لو وقع كتبنا عليهم ان اقتلوا ان هي المفسرة انفسكم اي تعرضوا للقتل
بالجهاد او لو اوجبنا عليهم مثل ما اوجبنا على بني اسرائيل من قتلهم انفسهم اي تعرضوا
او اخرجوا من دياركم بالهجرة ما فعلوه لنفاقهم والهاء ضمير احد مصدري الفعلين
وهو القتل او الخروج او ضمير المكتوب لدلالة كتبنا عليهم الا قليل منهم قليلا شامي
على الاستثناء والرفع على البدل من واو فعلوا ولو انهم فعلوا ما يوعظون به من اتباع
رسول الله صلى الله عليه وسلم والانقياد لحكمه لكان خيرا لهم في الدارين واشد تثبيتا
لايمانهم وابعد من الاضطراب فيه واذا جواب لسوال مقدر كانه قيل وماذا يكون
لهم بعد التثبيت فقيل واذا لو ثبتوا لاتيناهم من لدنا اجرا عظيما ثوابا كثيرا لا ينقطع
ولهديناهم صراطا مفعول ثان مستقيما لثبتناهم على الدين الحق ومن يطع الله والرسول
فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين كافاضل صحابة الانبياء
والصديق المبالغ في صدقه ظاهره بالمعاملة وباطنه بالمراقبة او الذي يصدق قوله
بفعله والشهداء الذين استشهدوا في سبيل الله والصالحين ومن صلحت احوالهم وحسنت

اعمالهم وحسن اولئك رفيقا اي وما احسن اولئك رفيقا وهو كالصديق والخليط
في استواء الواحد والجمع فيه ذلك مبتدا خبره الفضل من الله او الفضل صفته
ومن الله خبره والمعنى ان ما اعطي المطيعون من الاجر العظيم ومرافقة المنعم عليهم
من الله لانه تفضل به عليهم او اراد ان فضل المنعم عليهم ومزيتهم من الله وكفى بالله
عليما بعباده وبمن هو اهل الفضل ودلالة الاية على ان ما يفعل الله بعباده فهو
فضل منه بخلاف ما يقوله المعتزلة يا ايها الذين امنوا خذوا حذركم الحذر و
الحذر بمعنى وهو التحرز وهما كالاثر والاثر يقال اخذ حذره اذا تيقظ واحترز
من المخوف كانه جعل الحذر آلته التي يقي بها نفسه ويعصم روحه والمعنى احذروا
واحترزوا من العدو فانفروا ثبات فاخرجوا الى العدو جماعات متفرقة
سرية بعد سرية فالثبات الجماعات واحدها ثبة او انفروا جميعا اي مجتمعين
او مع النبي صلى الله عليه وسلم لان الجمع بدون الشمع لا يتم والعقد بدون الواسطة
لا ينتظم او انفروا ثبات اذا لم يعم النفير او انفروا جميعا اذا عم النفير وثبات
حال وكذا جميعا واللام في وان منكم لمن للابتداء بمنزلتها في ان الله لغفور ومن
موصولة وفي ليبطئن جواب قسم محذوف تقديره وان منكم لمن اقسم بالله
ليبطئن والقسم وجوابه صلة من والضمير الراجع منها اليها ما استكن في ليبطئن
اي ليتثاقلن وليتخلفن عن الجهاد وبطا بمعنى ابطا اي تاخر ويقال ما بطا بك فيعدى
بالباء والخطاب لعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله منكم اي في الظاهر
دون الباطن يعني المنافقين يقولون لم تقتلون انفسكم تاتوا حتى يظهر الامر
فان اصابتكم مصيبة قتل او هزيمة قال المبطئ قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا
حاضرا فيصيبني مثل ما اصابهم ولئن اصابكم فضل من الله فتح او غنيمة ليقولن
هذا المبطئ متلهفا على ما فاته من الغنيمة لا طلبا للمثوبة كان مخففة من الثقيلة
واسمها محذوف اي كانه لم تكن وبالياء مكي وحفص بينكم وبينه مودة وهي اعتراض
بين الفعل وهو ليقولن وبين مفعوله وهو يا ليتني كنت معهم والمعنى كان لم يتقدم

له معكم موادة لان المنافقين كانوا يوادون المومنين فى الظاهر وان كانوا يبغون
لهم النوازل فى الباطن فافوز بالنصب لانه جواب التمنى فوزا عظيما فاخلص من
الغنيمة حظا وافرا فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون يبيعون الحيوة الدنيا
بالاخرة والمراد المومنون الذين يستحبون الاجلة على العاجلة ويستبدلونها بها
اى ان صد الذين مرضت قلوبهم وضعفت نياتهم عن القتال فليقاتل الثابتون
المخلصون او يشترون والمراد المنافقون الذين يشترون الحيوة الدنيا بالاخرة
وعظوا بان يغيروا ما بهم من النفاق ويخلصوا الايمان بالله ورسوله ويجاهدوا
فى سبيل الله حق جهاده ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نوتيه
اجرا عظيما وعد المقاتل فى سبيل الله ظافرا او مظفورا به ايتاء الاجر العظيم على
اجتهاده فى اعزاز دين الله وما لكم مبتدا وخبر وهذا الاستفهام فى النفى للتنبيه
على الاستبطاء وفى الاثبات للانكار لا تقاتلون فى سبيل الله حال والعامل فيها
الاستقرار كما تقول مالك قائما والمعنى واى شئ لكم تاركين القتال وقد ظهرت
دواعيه والمستضعفين مجرور بالعطف على سبيل الله اى فى سبيل الله وفى خلاص
المستضعفين او منصوب وهو الاختصاص اى واختص من سبيل الله خلاص المستضعفين
لان سبيل الله عام فى كل خير وخلاص المستضعفين من المسلمين من ايدى الكفار من
اعظم الخير واخصه والمستضعفين هم الذين اسلموا بمكة وصدهم المشركون عن
الهجرة فبقوا بين اظهرهم مستذلين مستضعفين يلقون منهم الاذى الشديد
من الرجال والنساء والولدان ذكر الولدان تسجيلا بافراط ظلمهم حيث بلغ اذاهم
الولدان غير المكلفين ارغاما لابائهم وامهاتهم ولان المستضعفين كانوا يشركون
صبيانهم فى دعائهم استنزالا لرحمة الله بدعاء صغارهم الذين لم يذنبوا كما فعل
قوم يونس عليه السلام وعن ابن عباس رضى الله عنهما كنت انا وامى من المستضعفين
من النساء والولدان الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية يعنى مكة
الظالم اهلها الظالم وصف للقرية الا انه مسند الى اهلها فاعطى اعراب القرية لانه

صفتها

صفتها وذكر لاسناده الى الاهل كما تقول من هذه القرية التى ظلم اهلها واجعل لنا
من لدنك وليا يتولى امرنا ويستنقذنا من اعدائنا واجعل لنا من لدنك نصيرا
ينصرنا عليهم كانوا يدعون الله بالخلاص ويستنصرونه فيسر الله لبعضهم الخروج
الى المدينة وبقى بعضهم الى الفتح حتى جعل الله لهم من لدنه خير ولى وناصر وهو
محمد عليه الصلوة والسلام فتولاهم احسن التولى ونصرهم اقوى النصر ولما خرج
استعمل عتاب ابن اسيد فراوا منه الولاية والنصرة كما ارادوا قال ابن عباس رض
كان ينصر الضعيف من القوى حتى كانوا اعز بها من الظلمة ثم رغب الله المومنين
بانهم يقاتلون فى سبيل الله فهو وليهم وناصرهم واعداؤهم يقاتلون فى سبيل
الشيطان فلا ولى لهم الا الشيطان بقوله الذين امنوا يقاتلون فى سبيل الله والذين
كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت اى الشيطان فقاتلوا اولياء الشيطان اى
الكفار ان كيد الشيطان اى وساوسه وقيل الكيد السعى فى فساد الحال على جهة الاحتيال
كان ضعيفا لانه غرور لا يؤل الى محصول او كيده فى مقابلة نصر الله ضعيف كان
المسلمون مكفوفين عن القتال مع الكفار ما داموا بمكة وكانوا يتمنون ان يؤذن
لهم فنزل الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم اى عن القتال واقيموا الصلوة واتوا
الزكوة فلما كتب عليهم القتال اى فرض بالمدينة اذا فريق منهم يخشون الناس
كخشية الله يخافون ان يقاتلهم الكفار كما يخافون ان ينزل الله عليهم باسه لا شكا
فى الدين ولا رغبة عنه ولكن نفورا عن الاخطار بالارواح وخوفا من الموت
قال الشيخ ابو منصور رحمه الله هذه خشية طبع لا ان ذلك كراهة لحكم الله وامره
اعتقادا فالمرء مجبول على كراهة ما فيه خوف هلاك غالبا وخشية الله من اضافة
المصدر الى المفعول ومحله النصب على الحال من الضمير فى يخشون اى يخشون الناس
مثل اهل خشية الله اى مشبهين لاهل خشية الله او اشد خشية هو معطوف على
الحال اى واشد خشية من اهل خشية الله واو للتخيير اى ان قلت خشيتهم الناس
كخشية الله فانت مصيب وان قلت انها اشد فانت مصيب لانه حصل لهم مثلها وزيادة

وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب هلا امهلتنا الى الموت
فنموت على الفرش وهو سوال عن وجه الحكمة فى فرض القتال عليهم لا اعتراض لحكمه
بدليل انهم لم يوبخوا على هذا السوال بل اجيبوا بقوله قل متاع الدنيا قليل والاخرة
خير لمن اتقى متاع الدنيا قليل زائل ومتاع الاخرة كثير دائم والكثير اذا كان على
شرف الزوال فهو قليل فكيف القليل الزائل ولا يظلمون فتيلا ولا تنقصون
ادنى شئ من اجوركم على مشاق القتل فلا ترغبوا عنه وبالياء مكى وحمزة وعلى
ثم اخبر ان الحذر لا ينجى من القدر بقوله اينما تكونوا يدرككم الموت ما زائدة لتوكيد
معنى الشرط فى اين ولو كنتم فى بروج حصون او قصور مشيدة مرفعة وان تصبهم
حسنة نعمة من خصب ورخاء يقولوا هذه من عند الله نسبوها الى الله وان تصبهم
سيئة بلية من قحط وشدة يقولوا هذه من عندك اضافوها اليك وقالوا هى من عندك
وما كانت الا بشومك وذلك ان المنافقين واليهود كانوا اذا اصابهم خير حمدوا
الله واذا اصابهم مكروه نسبوا الى محمد عليه الصلوة والسلام فكذبهم الله بقوله
قل كل من عند الله والمضاف اليه محذوف اى كل ذلك فهو يبسط الارزاق ويقبضها
فمال هولاء القوم لا يكادون يفقهون يفهمون حديثا فيعلموا ان الله هو الباسط
القابض وكل ذلك صادر عن حكمة ثم قال ما اصابك يا انسان خطابا عاما وقال الزجاج
المخاطب النبى صلى الله عليه وسلم والمراد غيره من حسنة من نعمة واحسان فمن الله
تفضلا منه وامتنانا وما اصابك من سيئة من بلية او مصيبة فمن نفسك فمن عندك
اى فبما كسبت يداك وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم وارسلناك للناس
رسولا لا مقدرا حتى نسبوا اليك الشدة او ارسلناك للناس رسولا فاليك تبليغ
الرسالة وليس اليك الحسنة والسيئة وكفى بالله شهيدا بانك رسوله وقيل هذه
متصل بالاول اى لا يكادون يفقهون حديثا يقولون ما اصابك وحمل المعتزلة الحسنة
والسيئة فى الاية الثانية على الطاعة والمعصية تعسف بين وقد نادى عليه ما اضافك
اذ يقال فى الافعال ما اصبت ولانهم لا يقولون الحسنات من الله خلقا وايجادا

فانى يكون لهم حجة فى ذلك وشهيدا تميز من يطع الرسول فقد اطاع الله لانه لا يامر ولا
ينهى الا بما امر الله به ونهى عنه فكانت طاعته فى اوامره ونواهيه طاعة الله ومن تولى عن الطاعة
فاعرض عنه فما ارسلناك عليهم حفيظا تحفظ عليهم اعمالهم وتحاسبهم عليها وتعاقبهم
ويقولون ويقول المنافقون اذا امرتهم بشئ طاعة خبر مبتداء محذوف اى امرنا
وشاننا طاعة فاذا برزوا خرجوا من عندك بيت طايفة منهم دبر وروفهو
من البيتوتة لانه قضاء الامر وتدبيره بالليل او من ابيات الشعر لان الشاعر يدبرها
ويسويها وبالادغام حمزة وابو عمرو غير الذى تقول خلاف ما قلت وما امرت
به او خلاف ما قالت وما ضمنت من الطاعة لانهم ابطنوا الرد لا القبول والعصيان
ولا الطاعة وانما ينافقون بما يقولون ويظهرون والله يكتب ما يبيتون يثبته
فى صحائف اعمالهم ويجازيهم عليه فاعرض عنهم فلا تحدث نفسك بالانتقام
منهم وتوكل على الله فى شانهم فان الله يكفيك معرتهم وينتقم لك منهم وتوكل على
الله فى شانهم فان الله يكفيك معرتهم اذا قوى امر الاسلام وكفى بالله وكيلا
كافيا لمن توكل عليه افلا يتدبرون القران افلا يتاملون فى معانيه ومبانيه والتدبر
التامل والنظر فى ادبار الامر وما يؤل اليه فى عاقبته ثم استعمل فى كل تامل والتفكر
تصرف القلب بالنظر فى الدلائل وهذا يرد قول من زعم من الروافض ان القران لا
يفهم معناه الا بتفسير الرسول والامام المعصوم ويدل على صحة القياس وعلى بطلان
التقليد ولو كان من عند غير الله كما زعم الكفار لوجدوا فيه اختلافا كثيرا اى
تناقضا من حيث التوحيد والتشريك والتحريم والتحليل او تفاوتا من حيث البلاغة
فكان بعضه بالغا حد الاعجاز وبعضه قاصرا عنه يمكن معارضته او من حيث المعانى
وكان بعضه اخبار الغيب قد وافق المخبر عنه وبعضه اخبارا مخالفا للمخبر عنه و
بعضه دالا على معنى صحيح عند علماء المعانى وبعضه دالا على معنى فاسد غير ملتئم و
اما تعلق الملحدة بايات يدعون فيه اختلافا من نحو قوله تعالى فاذا هى ثعبان مبين
كانها جان فوربك لنسالنهم اجمعين فيومئذ لا يسال عن ذنبه انس ولا جان فقد

تقضي منها اهل الحق وستجدها مشروحة في كتابنا هذا في مظانها ان شاء الله تعالى
واذا جاءهم امر من الامن او الخوف هم ناس من ضعفة المسلمين الذين لم تكن فيهم
خبرة بالاحوال او المنافقون كانوا اذا بلغهم خبر من سرايا رسول الله عليه الصلوة والسلام
من امن وسلامة او خوف وخلل اذاعوا به افشوه وكانت اذاعتهم مفسدة يقال
اذاع السر واذاع به والضمير يعود الى الامر او الى الامن والخوف لان او يقتضي احدهما
ولو ردوه اى ذلك الخبر الى الرسول اى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى اولى الامر
منهم يعني كبار الصحابة البصراء بالامور او الذين كانوا يؤمرون منهم لعلمه لعلم تدبير
ما اخبروا به الذين يستنبطونه منهم يستخرجون تدبيره بفطنهم وتجاربهم ومعرفتهم
بامور الحرب او مكايدها وقيل كانوا يقفون من رسول الله صلى الله عليه وسلم واولى
الامر على امن ووثوق بالظهور على بعض الاعداء او على خوف واستفسار فيذيعونه
فينتشر فيبلغ الاعداء فيعود اذاعتهم مفسدة ولو ردوه الى الرسول والى اولى
الامر وفوضوه اليهم وكانوا كان لم يسمعوا لعلم الذين يستنبطون تدبيره كيف كان
يدبرونه وما ياتون ويذرون فيه والنبط الماء الذى يخرج من البير اول ما يحفر
واستنباطه استخراجه فاستعير لما يستخرجه الرجل بفضل ذهنه من المعاني والتدابير
فيما يعضل ولولا فضل الله عليكم بارسال الرسول صلى الله عليه وسلم ورحمته
بانزال الكتاب لاتبعتم الشيطان لبقيتم على الكفر الا قليلا لم يتبعوه ولكن امنوا
بالعقل كزيد بن عمرو بن نفيل وقيس ابن ساعدة وغيرهما لما ذكر في الاى قبلها تثبطهم
عن القتال واظهارهم الطاعة واضمارهم خلافها قال فقاتل في سبيل الله ان افردوك
وتركوك وحدك لا تكلف الا نفسك غير نفسك وحدها ان تقدمها الى الجهاد فان
الله هو ناصرك لا الجنود وقيل دعا الناس في بدر الصغرى الى الخروج وكان ابو
سفيان واعد رسول الله اللقاء فيها فكره بعض الناس ان يخرجوا فنزلت فخرج وما
معه الا سبعون ولو لم يتبعه احد لخرج وحده وحرض المومنين وما عليك في شانهم
الا التحريض على القتال لا التعنيف بهم عسى الله ان يكف باس الذين كفروا اى بطشهم

وشدتهم

وشدتهم وهم قريش وقد كف باسهم بالرعب فلم يخرجوا وعسى كلمة مطمعة غير ان اطماع
الكريم اعود من انجاز اللئيم والله اشد باسا من قريش واشد تنكيلا تعذيبا وهو
تمييز كباسا من يشفع شفاعة حسنة هي الشفاعة في دفع شر او جلب نفع مع جوازها
شرعا يكن له نصيب منها من ثواب الشفاعة ومن يشفع شفاعة سيئة هي خلاف
الشفاعة الحسنة قال ابن عباس رضي الله عنهما مالها مفسر غيري معناه من امر بالتوحيد
وقاتل اهل الكفر وضده السيئة وقال الحسن هو المشي بالصلح وضده النميمة يكن له
كفل نصيب منها وكان الله على كل شيء مقيتا مقتدرا من اقات على الشيء اقتدر عليه
او حفيظا من القوت لانه يمسك النفس ويحفظها واذا حييتم اى سلم عليكم فان
التحية في ديننا بالسلام في الدارين فسلموا على انفسكم تحية من عند الله تحيتهم يوم
يلقونه سلام وكانت العرب تقول عند اللقاء حياك الله اى اطال الله حيوتك فابدل
ذلك بعد الاسلام بالسلام بتحية هي تفعلة من حيا يحيي تحية فحيوا باحسن منها اى
قولوا وعليكم السلام ورحمة الله اذا قال السلام عليكم وان تزيدوا وبركاته اذا قال ورحمة الله
ويقال لكل شيء منتهى ومنتهى السلام وبركاته او ردوها او اجيبوها بمثلها ورد السلام
جوابه بمثله لان المجيب يرد قول المسلم وفيه حذف مضاف اى ردوا مثلها والتسليم
سنة والرد فرض والاحسن افضل وما من رجل يمر على قوم مسلمين فسلم عليهم ولا يردون
عليه الا نزع عنهم روح القدس اى لا يبقى ارواحهم مقدسة بل تخبث انفسهم بالذنب
وردت عليه الملايكة ولا يرد السلام في الخطبة وقراءة القران جهرا وفي رواية الحديث
وعند مذاكرة العلم والاذان والاقامة وعن ابي يوسف رحمه الله لا يسلم على لاعب
الشطرنج والنرد والمغني والقاعد لحاجته ومطير الحمام والعاري من غير عذر في حمام
وغيره ويسلم الرجل اذا دخل على امراته والماشي على القاعد والراكب على الماشي وراكب
الفرس على راكب الحمار والصغير على الكبير والاقل على الكثير واذا التقيا ابتدرا
قيل باحسن منها لاهل الملة او ردوها لاهل الذمة وعن النبي عليه الصلوة والسلام اذا
سلم عليكم اهل الكتاب فقولوا وعليكم اى وعليكم ما قلتم لانهم كانوا يقولون السام عليكم

أمر

وقوله عليه الصلوة والسلام لا غرار في تسليم اي لا يقال عليك بل عليكم لان كا بتيه معه
ان الله كان على كل شيء حسيبا اي يحاسبكم على كل شيء من التحية وغيرها الله مبتدأ لا
اله الا هو خبر او اعتراض والخبر ليجمعنكم ومعناه الله والله ليجمعنكم الى يوم القيمة
اي ليحشرنكم اليه والقيمة والقيام كالطلابة والطلاب وهي قيامهم من القبور او قيامهم
للحساب يوم يقوم الناس لرب العالمين لا ريب فيه هو حال من يوم القيمة والهاء
يعود الى اليوم او صفة لمصدر محذوف اي جمعا لا ريب فيه والهاء يعود الى الجمع
ومن اصدق من الله حديثا تمييز وهو استفهام بمعنى النفي اي لا احد اصدق منه في
اخباره ووعده ووعيده لاستحالة الكذب عليه لقبحه لكونه اخبارا عن الشيء بخلاف
ما هو عليه فما لكم مبتدأ وخبره في المنافقين فئتين اي ما لكم اختلفتم في شان قوم
قد نافقوا نفاقا ظاهرا و تفرقتم فيهم فرقتين وما لكم لم تقطعوا القول بكفرهم وذلك
ان قوما من المنافقين استاذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج الى البدو معتلين
باجتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون
فيهم فقال بعضهم هم كفار وقال بعضهم هم مسلمون وفئتين حال كقولك مالك قايما قال
سيبويه اذا قلت مالك قايما فمعناه لم قمت ونصبه على تاويل اي شيء يستقر لك في هذه
الحال والله اركسهم ردهم الى حكم الكفار بما كسبوا من ارتدادهم ولحوقهم بالمشركين
فردوهم ايضا ولا تختلفوا في كفرهم اتريدون ان تهدوا اي تجعلوا من جملة المهتدين
من اضل الله من جعله الله ضالا او تريدون ان تسموهم مهتدين وقد اظهر الله ضلالهم
فيكون تعييرا لمن سماهم مهتدين والاية تدل على مذهبنا في اثبات الكسب للعبد والخلق
للرب جلت قدرته ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا طريقا الى الهداية ودوا لو تكفرون
كما كفروا الكاف نعت لمصدر محذوف وما مصدرية اي ودوا لو تكفرون كفرا مثل كفرهم
فتكونون عطف على تكفرون سواء اي مستوين انتم وهم في الكفر فلا تتخذوا منهم اولياء
حتى يهاجروا في سبيل الله فلا توالوهم حتى يؤمنوا لان الهجرة في سبيل الله بالاسلام
فان تولوا عن الايمان فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم كان حكم ساير المشركين

ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا وان بذلوا لكم الولاية والنصرة فلا تقبلوا منهم الا
الذين يصلون الى قوم اي ينتهون اليهم ويتصلون بهم والاستثناء من قوله فخذوهم
واقتلوهم دون الموالاة بينكم وبينهم ميثاق القوم هم الاسلميون كان بينهم و
بين رسول الله عليه الصلوة والسلام عهد وذلك انه وادع قبل خروجه الى مكة
هلال بن عويمر الاسلمي على ان لا يعينه ولا يعين عليه وعلى ان من وصل الى هلال
والتجا اليه فله من الجوار مثل الذي لهلال اي فاقتلوهم الا من اتصل بقوم بينكم
وبينهم ميثاقا او جاؤكم عطف على صفة قوم اي الا الذين يصلون الى قوم معاهدين
او قوم ممسكين عن القتال لا لكم ولا عليكم او على صلة الذين اي الا الذين يتصلون
بالمعاهدين او الذين لا يقاتلونكم حصرت صدورهم حال باضمار قد والحصر الضيق
والانقباض ان يقاتلوكم عن ان يقاتلوكم اي قتالكم او يقاتلوا قومهم معكم ولو شاء
الله لسلطهم عليكم بتقوية قلوبهم وازالة الحصر عنها فلقاتلوكم عطف على لسلطهم
ودخول اللام للتاكيد فان اعتزلوكم فان لم يتعرضوا لكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم
السلم اي الانقياد والاستسلام فما جعل الله لكم عليهم سبيلا طريقا الى القتال ستجدون
آخرين يريدون ان يامنوكم بالنفاق ويامنوا قومهم بالوفاق هم قوم من اسد وغطفان
كانوا اذا اتوا المدينة اسلموا وعاهدوا ليامنوا المسلمين فاذا رجعوا الى قومهم كفروا
ونكثوا عهودهم كلما ردوا الى الفتنة كلما دعاهم الى قتال المسلمين اركسوا فيها قلبوا
فيها اقبح قلب واشنعه وكانوا شرا فيها من كل عدو فان لم يعتزلوكم فان لم يعتزلوا
قتالكم ويلقوا اليكم السلم عطف على لم يعتزلوا اي ولم ينقادوا لكم بطلب الصلح ويكفوا
ايديهم عطف عليه ايضا اي ولم يمسكوا عن قتالكم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم
حيث تمكنتم منهم وظفرتم بهم واولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا حجة واضحة
لظهور عداوتهم وانكشاف حالهم في الكفر والغدر واضرارهم بالمسلمين او تسلطا ظاهرا
حيث اذنا لكم في قتلهم وما كان لمؤمن وما صح له ولا استقام ولا لاق بحاله ان يقتل
مؤمنا ابتداء من غير قصاص اي ليس المؤمن كالكافر الذي تقدم ذكره في اباحة دمه الا خطا

الا على وجه الخطاء وهو استثناء منقطع بمعنى لكن اى لكن ان وقع خطا ويحتمل ان يكون
صفة لمصدر محذوف اى الا قتلا خطا والمعنى ان من شان المومن ان ينتفى عنه وجود
قتل المومن ابتداء البتة الا اذا وجد منه خطأ من غير قصد بان يرمى كافرا فيصيب مسلما
او يرمى شخصا على انه كافر فاذا هو مسلم ومن قتل مؤمنا خطا صفة مصدر محذوف
اى قتلا خطاء فتحرير رقبة مبتداء والخبر محذوف اى فعليه تحرير رقبة والتحرير
الاعتاق والحر والعتيق الكريم لان الكرم فى الاحرار كما ان اللوم فى العبيد ومنه عتاق
الطير وعتاق الخيل لكرامهما والرقبة النسمة ويعبر عنها بالراس فى قولهم فلان يملك كذا
راسا من الرقيق مؤمنة قيل لما اخرج نفسا مؤمنة عن جملة الاحياء لزمه ان يدخل
نفسا مثلها فى جملة الاحرار لان اطلاقها من قيد الرق كاحيائها من قبل ان الرقيق
ملحق بالاموات اذ الرق اثر من اثار الكفر والكفر موت حكما او من كان ميتا فاحييناه
ولهذا منع من تصرف الاحرار وهذا مشكل اذ لو كان كذلك لوجب فى العمد ايضا لكن
يحتمل ان يقال انما وجب عليه ذلك لان الله تعالى ابقى للقاتل نفسا مؤمنة حيث لم يوجب
القصاص فاوجب عليه مثلها رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى اهله مؤداة الى ورثته
يقتسمونها كما يقتسمون الميراث لا فرق بينها وبين ساير التركة فى كل شيء فيقضى منها
الدين وينفذ الوصية واذا لم يبق وارث فهى لبيت المال وقد ورث رسول الله صلى الله
عليه وسلم امراة اشيم الضبابى من عقل زوجها اشيم لكن الدية على العاقلة والكفارة على
القاتل الا ان يصدقوا الا ان يتصدقوا عليه بالدية اى يعفوا عنه والتقدير فعليه دية
فى كل حال الا فى حال التصدق عليه بها فان كان من قوم كافرين عدو لكم فان كان المقتول
خطاء من قوم اعداء لكم اى كفرة فالعدو يطلق على الجمع وهو مؤمن اى المقتول
فتحرير رقبة مؤمنة يعنى اذا اسلم الحربى فى دار الحرب ولم يهاجر الينا فقتله مسلم خطأ
تجب الكفارة بقتله للعصمة المؤثمة وهو بالاسلام ولا تجب الدية لان العصمة المقومة
بالدار ولم توجد وان كان اى المقتول من قوم بينكم بين المسلمين وبينهم ميثاق عهد
فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة اى وان كان المقتول ذميا فحكمه حكم المسلم فى

الاحرار

دليل على ان دية الذمى كدية المسلم وهو قولنا فمن لم يجد رقبة اى لم يملكها ولا ما يتوصل
به اليها فصيام شهرين فعليه صيام شهرين متتابعين توبة من الله قبولا من الله
رحمة منه من تاب الله عليه اذا قبل توبته يعنى شرع ذلك توبة منه او فليتب توبة
فهى نصب على المصدر وكان الله عليما بما امر حكيما فيما قدر ومن يقتل مؤمنا متعمدا
حال من ضمير القاتل اى قاصدا قتله لايمانه وهو كفر او قتله مستحلا لقتله وهو كفر
ايضا فجزاؤه جهنم خالدا فيها اى ان جازاه قال عليه الصلوة والسلام جزاؤه ان جازاه
والخلود قد يراد به طول المقام وقول المعتزلة بالخروج من الايمان يخالف قوله تعالى
ياءيها الذين امنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى وغضب الله عليه ولعنه اى انتقم
منه وطرده من رحمته واعدله عذابا عظيما لارتكابه امرا عظيما وخطبا جسيما فى الحديث
لزوال الدنيا اهون على الله من قتل امرء مسلم يا ءيها الذين آمنوا اذا ضربتم فى سبيل الله
سرتم فى طريق الغزو فتبينوا فتثبتوا حمزة وعلى وهما من التفعل بمعنى الاستفعال
اى اطلبوا بيان الامر وثباته ولا تتهوكوا فيه ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام السلم
مدنى وشامى وحمزة وهما الاستسلام وقيل الاسلام وقيل التسليم الذى هو تحية
اهل الاسلام لست مؤمنا فى موضع النصب بالقول روى ان مرداس بن نهيك اسلم
ولم يسلم من قومه غيره فغزتهم سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فهربوا وبقى مرداس
لثقته باسلامه فلما راى الخيل الجاهم الى منعرج من الجبل وصعد فلما تلاحقوا
كبروا فكبر ونزل وقال لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله اسامة بن
زيد واستاق غنمه فاخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد وجدا شديدا وقال
قتلتموه ارادة ما معه ثم قراء الاية على اسامة تبتغون عرض الحيوة الدنيا تطلبون
الغنيمة التى هى حطام الدنيا سريع النفاد فهو الذى يدعوكم الى ترك التثبت وقلة البحث
عن حال من تقتلونه والعرض المال سمى به لسرعة فنائه وتبتغون حال من ضمير الفاعل
فى لا تقولوا فعند الله مغانم كثيرة يغنمكوها تغنيكم عن قتل رجل يظهر الاسلام و
يتعوذ به من التعرض له لتاخذوا ماله كذلك كنتم من قبل اول ما دخلتم فى الاسلام

سمعت من افواهكم كلمة الشهادة فحصنت دمائكم واموالكم من غير انتظار الاطلاع على
مواطاة قلوبكم لالسنتكم والكاف في كذلك خبر كان وقد تقدم عليها وعلى اسمها
فمن الله عليكم بالاستقامة والاشتهار بالايمان فافعلوا بالداخلين في الاسلام
كما فعل بكم فتبينوا كرر الامر بالتبين ليوكد عليهم ان الله كان بما تعملون خبيرا فلا تتهافتوا
في القتل وكونوا محترزين محتاطين في ذلك لا يستوي القاعدون عن الجهاد من
المومنين غير اولي الضرر بالنصب مدني وشامي وعلي لانه استثناء من القاعدين
او حال منهم وبالجر عن حمزة صفة للمومنين وبالرفع غيرهم صفة للقاعدين والضرر
المرض او العاهة من عمى او عرج او زمانة او نحوها والمجاهدون في سبيل الله باموالهم
وانفسهم عطف على القاعدون ونفي التساوي بين المجاهد والقاعد بغير عذر وان
كان معلوما توبيخا للقاعد عن الجهاد وتحريكا له عليه ونحوه هل يستوي الذين
يعلمون والذين لا يعلمون فهو تحريك لطلب العلم وتوبيخ على الرضى بالجهل فضل الله
المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين ذكر هذه الجملة بيانا للجملة الاولى موضحة
لما نفي من استواء القاعدين والمجاهدين كانه قيل ما لهم لا يستوون فاجيب بذلك
درجة نصب على المصدر لوقوعها موقع المرة من التفضيل كانه قيل فضلهم تفضيلة كقولك
ضربته سوطا ونصب وكلا اي وكل فريق من القاعدين والمجاهدين لانه مفعول اول
لقوله وعد الله والثاني الحسنى اي المثوبة الحسنى وهي الجنة وان كان المجاهدون
مفضلين على القاعدين درجة وفضل الله المجاهدين على القاعدين بغير عذر اجرا
عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة انتصب اجرا بفضل لانه في معنى اجرهم اجرا
ودرجات ومغفرة ورحمة بدل من اجرا او انتصب درجات نصب درجة كانه
قيل فضلهم تفضيلات كقولك ضربه اسواطا اي ضربات واجرا عظيما على انه حال
من النكرة التي هي درجات مقدمة عليها ومغفرة ورحمة باضمار فعلهما اي وغفر لهم
ورحمهم الله مغفرة ورحمة وحاصله ان الله فضل المجاهدين على القاعدين بعذر
درجة وعلى القاعدين بغير عذر بامر النبي عليه اكتفاء بغيرهم درجات لان الجهاد

فرض كفاية وكان الله غفورا بتكفير العذر رحيما بتوفير الاجر ونزل فيمن اسلم
ولم يهاجر حين كانت الهجرة فريضة وخرج مع المشركين الى بدر مرتدا فقتل كافرا ان
الذين توفيهم الملايكة يجوز ان يكون ماضيا كقراءة من قرا توفتهم ومضارعا
بمعنى تتوفيهم وحذفت التاء الثانية لاجتماع التايين والتا في قبض الروح والملايكة
ملك الموت واعوانه ظالمي انفسهم حال من ضمير المفعول في توفيهم اي حال ظلمهم انفسهم
بالكفر وترك الهجرة قالوا قال الملايكة للمتوفين فيم كنتم في اي شي كنتم من امر دينكم
ومعناه التوبيخ بانهم لم يكونوا في شيء من الدين قالوا كنا مستضعفين عاجزين عن
الهجرة في الارض ارض مكة فاخرجونا كارهين قالوا اي الملايكة موبخين لهم الم تكن
ارض الله واسعة فتهاجروا فيها ارادوا انكم كنتم قادرين على الخروج من مكة الى
بعض البلاد التي لا يمنعون فيها من اظهار دينكم ومن الهجرة الى رسول الله عليه الصلوة
والسلام ونصب فتهاجروا على جواب الاستفهام فاوليك ماويهم جهنم وساءت
مصيرا خبران فاولئك ودخول الفاء لما في الذين من الابهام المشابه للشرط او
قالوا فيم كنتم والعايد محذوف اي قالوا لهم والاية تدل على ان من لم يتمكن من اقامة
دينه في بلد كما يجب وعلم انه يتمكن من اقامته في غيره حقت عليه المهاجرة وفي الحديث
من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجبت له الجنة وكان
رفيق ابيه ابراهيم ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم الا المستضعفين من الرجال والنساء
والولدان وانما جاز ذلك والجمل نكرات لان الموصوف وان كان فيه حرف التعريف
فليس بشيء بعينه كقوله ولقد امر على اللئيم يسبني فاولئك عسى الله ان يعفو
عنهم وعسى وان كان للاطماع فهو من الله واجب لان الكريم اذا اطمع انجز وكان
الله عفوا غفورا لعباده قبل ان يخلقهم ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما
مهاجرا وطريقا يراغم وبسلوكه قومه اي يفارقهم على رغم انوفهم والرغم الذل و
الهوان واصله لصوق الانف بالرغام وهو التراب يقال راغمت الرجل اذا فارقته
وهو يكره مفارقتك لمذلة تلحقه بذلك كثيرا وسعة في الرزق او في اظهار الدين

استثنى من اهل الوعيد المستضعفين الذين

استثنى من اهل الوعيد المستضعفين الذين لا يستطيعون حيلة في الخروج منها
لفقرهم وعجزهم ولا يهتدون سبيلا ولا معرفة لهم بالمسالك ولا يستطيعون
صفة للمستضعفين اى الرجال والنساء والولدان وانما جاز ذلك والجمل نكرات
لان الموصوف وان كان فيه حرف التعريف فليس بشئ بعينه كقوله ولقد امر على
اللئيم يسبنى فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم وعسى وان كان للاطماع فهو من الله
واجب لان الكريم اذا اطمع انجز وكان الله عفوا غفورا لعباده قبل ان يخلقهم
ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الارض مراغما مهاجرا وطريقا يراغم وبسلوكه قومه
اى يفارقهم على رغم انوفهم الرغم الذل والهوان واصله لصوق الانف بالرغام وهو
التراب يقال راغمت الرجل اذا فارقته وهو يكره مفارقتك لمذلة تلحقه بذلك كثيرا
وسعة فى الرزق او فى اظهار الدين او فى الصدر لتبدل الخوف بالامن ومن يخرج من بيته
مهاجرا حال من الضمير فى يخرج الى الله ورسوله الى حيث امره الله ورسوله ثم يدركه
الموت قبل بلوغه مهاجره وهو عطف على يخرج فقد وقع اجره على الله اى حصل له
الاجر بوعد الله وهو تاكيد للوعد فلا شئ يجب على الله لاحد من خلقه وكان الله
غفورا رحيما قالوا كل هجرة لطلب علم او حج او جهاد او فرار الى بلد يزداد فيه طاعته
او قناعة او زهدا او ابتغاء رزق طيب فهى هجرة الى الله ورسوله وان ادركه
الموت فى طريقه فقد وقع اجره على الله واذا ضربتم فى الارض سافرتم فيها فالضرب
فى الارض هو السفر فليس عليكم جناح حرج ان تقصروا فى ان تقصروا من الصلوة من
اعداد ركعات الصلوة فتصلوا الرباعية ركعتين وظاهر الاية يقتضى ان القصر رخصة
فى السفر والاكمال عزيمة كما قال الشافعى رحمه الله لان لا جناح يستعمل فى موضع التخفيف
والرخصة لا فى موضع العزيمة وقلنا القصر عزيمة غير رخصة ولا يجوز الاكمال لقول عمر
رضى الله عنه صلوة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم صلى الله عليه وسلم واما الاية
فكانهم الفوا الاتمام وكانوا مظنة لان يخطر ببالهم ان عليهم نقصانا فى القصر فنفى عنهم
الجناح لتطيب انفسهم بالقصر وتطمئنوا اليه ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا ان خشيتم

ان يقصد

ان يقصدكم الكفار بقتل او جرح او اخذ والخوف شرط جواز القصر عند الخوارج بظاهر
النص وعند الجمهور ليس بشرط لما روى عن ثعلب بن امية انه قال لعمر ما بالنا نقصر وقد امنا
فقال عجبت مما عجبت منه فسالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال صدقة
تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته وفيه دليل على انه لا يجوز الاكمال فى السفر لان
التصدق بما لا يحتمل التمليك اسقاط محض لا يحتمل الرد لان المتصدق ممن لا يلزم طاعته
كولى القصاص اذا عفى فممن يلزم طاعته اولى وكان حالهم حين نزول الاية كذلك فنزلت
على وفق الحال وهو كقوله ان اردن تحصنا دليله قراءة عبد الله من الصلوة كراهة ان
يفتنكم اى لئلا يفتنكم على ان المراد بالاية قصر الاحوال وهو ان يومى على الدابة عند الخوف
او يخفف القراءة والركوع والسجود والتسبيح كما روى عن ابن عباس رض ان الكافرين
كانوا لكم عدوا مبينا فتحرزوا عنهم واذا كنت يا محمد فيهم فى اصحابك فاقمت لهم الصلوة
فاردت ان تقيم بهم الصلوة وبظاهره تعلق ابو يوسف رحمه الله فلا يرى صلوة الخوف
بعده عليه الصلوة والسلام وقالا الائمة نواب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كل عصر
فكان الخطاب له متناولا لكل امام كقوله خذ من اموالهم صدقة دليله فعل الصحابة
رضى الله عنهم بعده عليه الصلوة والسلام فلتقم طائفة منهم معك فاجعلهم طائفتين فلتقم
احديهما معك فصل بهم وتقوم طائفة تجاه العدو وليأخذوا اسلحتهم اى الذين تجاه
العدو عن ابن عباس رض وان كان المراد به المصلين فقالوا ياخذون من السلاح مالا يشغلهم
عن الصلوة كالسيف والخنجر ونحوهما فاذا سجدوا اى قيدوا ركعتهم بسجدتين فالسجود
على ظاهره عندنا وعند مالك بمعنى الصلوة فليكونوا من ورائكم اى اذا صلت هذه
الطائفة التى معك ركعة فليرجعوا ليقفوا بازاء العدو ولتات طائفة اخرى لم
يصلوا فى موضع رفع صفة لطائفة فليصلوا معك اى وليحضر الطائفة الواقفة بازاء
العدو فليصلوا معك الركعة الثانية وليأخذوا حذرهم ما يتحرزون به من العدو
كالدرع ونحوه واسلحتهم جمع سلاح وهو ما يقاتل به واخذ السلاح شرط عند الشافعى
وعندنا مستحب وكيفية صلوة الخوف معروفة ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم

واسعتكم اى تمنوا ان ينالوا منكم غرة فى صلوتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة فيشدون
عليكم شدة واحدة ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا
فى ان تضعوا اسلحتكم وخذوا حذركم رخص لهم فى وضع الاسلحة ان ثقل عليهم حملها
مايبلهم من مطر او يضعفهم من مرض وامرهم مع ذلك باخذ الحذر لئلا يغفلوا فيهجم
عليهم العدو ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا اخبر انه يهين عدوهم لتقوى قلوبهم
وليعلموا ان الامر بالحذر ليس لتوقع غلبتهم عليهم وانما هو تعبد من الله تعالى فاذا قضيتم
الصلوة فرغتم منها فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم اى دوموا على ذكر الله
فى جميع الاحوال او فاذا اردتم اداء الصلوة فصلوا قياما ان قدرتم عليه وقعودا ان
عجزتم من القيام ومضطجعين ان عجزتم عن القعود فاذا اطمأننتم سكنتم بزوال الخوف
فاقيموا الصلوة فاتموها بطايفة واحدة او اذا اقمتم فاتموا ولا تقصروا او اذا اطمأننتم
بالصحة فاتموا بالقيام والقعود والركوع والسجود ان الصلوة كانت على المؤمنين
كتابا موقوتا اى مكتوبا محدودا باوقات معلومة ولا تهنوا ولا تضعفوا ولا تتوانوا
فى ابتغاء القوم فى طلب الكفار بالقتال والتعرض به لهم ثم الزمهم الحجة بقوله ان تكونوا
تالمون فانهم يالمون كما تالمون وترجون من الله ما لا يرجون اى ليس ما تجدون
من الالم بالجرح والقتل مختصا بكم بل هو مشترك بينكم وبينهم يصيبهم كما يصيبكم
ثم انهم يصبرون عليه فما لكم لا تصبرون مثل صبرهم مع انكم اجدر منهم بالصبر
لانكم ترجون من الله ما لا يرجون من اظهار دينكم على ساير الاديان ومن الثواب العظيم
فى الاخرة وكان الله عليما بما يجد المؤمنون من الالم حكيما فى تدبير امورهم روى ان
طعمة ابن ابيرق احد بنى ظفر سرق درعا فى جار له اسمه قتادة بن النعمان فى جراب
دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق وخباها عند زيد بن السمين رجل من اليهود
فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف ما اخذها وما له بها علم فتركوه و
اتبعوا اثر الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهودى فاخذوها فقال دفعها الى طعمة وشهد له
ناس من اليهود فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه ان

ان يجادل عن صاحبهم وقالوا ان لم تفعل هلك صاحبنا وافتضح وبرئ اليهودى
فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفعل فنزل انا انزلنا اليك الكتاب بالحق اى محقا
لتحكم بين الناس بما اريك الله بما عرفك الله واوحى به اليك وقال ابو منصور رحمه الله
بما الهمك الله بما عرفك لا بنه بالنظر فى الاصول المنزلة وفيه دلالة جواز الاجتهاد فى
ولا تكن للخائنين لاجل الخائنين خصيما مخاصما اى ولا تخاصم اليهود لاجل بنى ظفر واستغفر الله
مما هممت به ان الله كان غفورا رحيما ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم يخونونها
بالمعصية جعلت معصية العصاة خيانة منهم لانفسهم لان الضرر راجع اليهم والمراد به
طعمة ومن عاونه من قومه وهم يعلمون انه سارقا وذكر بلفظ الجمع ليتناول طعمة وكل من
خان خيانته ان الله لا يحب من كان خوانا اثيما وانما قيل بلفظ المبالغة لانه تعالى عالم
من طعمة انه مفرط فى الخيانة وركوب المأثم وروى ان طعمة هرب الى مكة وارتد و
نقب حائطا بمكة ليسرق فسقط الحائط عليه فقتله وقيل اذا عثرت من رجل على
سيئة فاعلم ان لها اخوات وعن عمر رضى الله عنه انه امر بقطع يد سارق فجاءت
امه تبكى وتقول هذه اول سرقة سرقها فاعف عنه فقال كذبت ان الله لا يؤاخذ
عبده فى اول مرة يستخفون يستترون من الناس حياء منهم وخوفا من ضررهم
ولا يستخفون من الله ولا يستحيون منه وهو معهم وهو عالم بهم مطلع عليهم
لا يخفى عليه خاف من سرهم وكفى بهذه الاية ناعية على الناس ما هم فيه من قلة الحياء
والخشية من ربهم مع علمهم انهم فى حضرته لا سترة ولا غيبة اذ يبيتون يدبرون
واصله ان يكون ليلا ما لا يرضى من القول وهو تدبير طعمة ان يرمى بالدرع فى دار
زيد ليسرق دونه ويحلف انه لم يسرقها وهو دليل على ان الكلام هو المعنى القائم
بالنفس حيث سمى التدبير قولا وكان الله بما يعملون محيطا عالما علم احاطة ها انتم
هؤلاء ها للتنبيه فى انتم واولاء وهما مبتدا وخبر جادلتم خاصمتم وهى جملة
مبينة لوقوع اولاء خبرا كقولك لبعض الاسخياء انت حاتم تجود بمالك او اولاء اسم
موصول بمعنى الذين وجادلتم صلته والمعنى هبوا انكم خاصمتم عنهم عن طعمة وقومه

في الحيوة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيمة فمن يخاصم عنهم في الاخرة اذا اخذهم
الله تعالى بعذابه وقرى عنه اى عن طعمة ام من يكون عليهم وكيلا حافظا ومحاميا من
باس الله وعذابه ومن يعمل سوء ذنبا دون الشرك او يظلم نفسه بالشرك او سوء
قبيحا يتعدى ضرره الى الغير كما فعل طعمة بقتادة واليهودى او يظلم نفسه بما
يختص به كالحلف الكاذب ثم يستغفر الله يسال الله مغفرته يجد الله غفورا
رحيما له وهذا بعث لطعمة على الاستغفار والتوبة ومن يكسب اثما فانما يكسبه
على نفسه لان وباله عليها وكان الله عليما حكيما فلا يعاقب بالذنب غير فاعله
ومن يكسب خطيئة او اثما او كبيرة او الاول ذنب بينه وبين ربه والثاني ذنب
من مظالم العباد او اثما ثم يرم به بريا كما رمى طعمة زيدا فقد احتمل بهتانا كذبا عظيما
واثما مبينا ذنبا ظاهرا وهذا لانه بكسب الاثم اثم وبرمى البرى باهت فهو جامع
بين الامرين والبهتان كذب يبهت من قيل عليه ما لا علم له به ولولا فضل الله عليك
ورحمته اى عصمته ولطفه من الاطلاع على سرهم لهمت طايفة منهم من بنى ظفر والضمير
في منهم يعود الى الناس ان يضلوك عن القضاء بالحق وتوخى طريق العدل مع علمهم
بان الجاني صاحبهم وما يضلون الا انفسهم لان وباله عليهم وما يضرونك من شىء
لانك انما عملت بظاهر الحال وما كان يخطر ببالك ان الحقيقة على خلاف ذلك وانزل
الله عليك الكتاب القران والحكمة والسنة وعلمك ما لم تكن تعلم من امور الدين
والشرايع او من خفيات الامور وضماير القلوب وكان فضل الله عليك عظيما
فيما علمك وانعم عليك لا خير في كثير من نجويهم من تناجى الناس الا من امر بصدقة
النجوى من امر وهو مجرور بدل من كثير او من نجويهم او منصوب على الانقطاع بمعنى
لكن من امر بصدقة ففى نجويه الخير او معروف اى قرض او اغاثة ملهوف او كل جميل
او المراد بالصدقة الزكوة وبالمعروف التطوع او اصلاح بين الناس اى اصلاح ذات
البين ومن يفعل ذلك المذكور ابتغاء مرضات الله طلب رضاء الله وخرج عنه من فعل
ذلك رياء او ترؤسا وهو مفعول له والاشكال انه قال الا من امر ثم قال ومن يفعل

صغيرة م

ذلك

ذلك والجواب انه ذكر الامر بالخير ليدل به على فاعله لانه اذا دخل الامر به في زمرة الخيرين
كان الفاعل فيهم ادخل ثم قال ومن يفعل ذلك فذكر الفاعل وقرن به الوعد بالاجر
العظيم او المراد ومن يامر بذلك فعبر عن الامر بالفعل فسوف نؤتيه اجرا عظيما
يؤتيه ابو عمرو وحمزة ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ومن يخالف
الرسول من بعد وضوح الدليل وظهور الرشد ويتبع غير سبيل المؤمنين اى السبيل
الذى هم عليه من الدين الحنيفى وهو دليل على ان الاجماع حجة لا يجوز مخالفتها كما لا
يجوز مخالفة الكتاب والسنة لان الله تعالى جمع بين اتباع غير سبيل المؤمنين وبين
مشاقة الرسول في الشرط وجعل جزاءه الوعيد الشديد فكان اتباعهم واجبا كموالاة
الرسول نوله ما تولى نجعله واليا لما تولى من الضلال وندعه وما اختاره في الدنيا ونصله
جهنم في العقبى وساءت مصيرا قيل هى في طعمة وارتداده ان الله لا يغفر ان يشرك به
ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء مر تفسيره في هذه السورة ومن يشرك بالله فقد
ضل ضلالا بعيدا عن الصواب ان يدعون من دونه ما يعبدون من دون الله الا
اناثا جمع انثى وهى اللات والعزى ومنات ولم يكن حى من احياء العرب الا ولهم
صنم يعبدونه ويسمونه انثى فلان وقيل كانوا يقولون في اصنامهم هن بنات الله
وان يدعون ما يعبدون الا شيطانا لانه هو الذى اغراهم على عبادة الاصنام
فاطاعوه فجعلت طاعتهم له عبادة مريدا خارجا عن الطاعة عاريا عن الخير ومنه
الامرد لعنه الله وقال لاتخذن صفتان يعنى شيطانا مريدا جامعا بين لعنة
الله وهذا القول الشنيع من عبادك نصيبا مفروضا مقطوعا واجبا الى من كل الف
تسع مائة وتسعة وتسعون وواحدة ولاضلنهم بالدعاء الى الضلالة والتزيين
والوسوسة ولو كان انفاذ الضلالة اليه لاضل الكل ولامنينهم ولالقين في
قلوبهم الامانى الباطلة من طول الاعمار وبلوغ الامال ولامرنهم فليبتكن اذان الانعام
البتك القطع التبتيك للتكثير والتكرير اى لاحملنهم على ان يقطعوا اذان الانعام
وكانوا يشقون اذن الناقة اذا ولدت خمسة ابطن وجاء الخامس ذكرا وحرموا على

اغراهم

انفسهم لا انتفاع بها ولامرنهم فليغيرن خلق الله بفقاعين الحامي واعفائه عن الركوب او بالخصاء وهو مباح في البهائم محظور في بني ادم او بالوشم او بنفي الانساب واستحاقها او بتغيير الشيب بالسواد او بالتحريم والتحليل او بالتخنث او بتبديل فطرة الله التي هي دين الاسلام لقوله لا تبديل لخلق الله ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله واجاب الى ما دعاه اليه فقد خسر خسرانا مبينا في الدارين يعدهم يوسوسهم ان لا جنة ولا نار ولا بعث ولا حساب ويمنيهم ما لا ينالون وما يعدهم الشيطان الا غرورا الاخداعا هو ان يرى شيئا يظهر خلافه اولئك ماويهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا معدلا ومفرا والذين امنوا وعملوا الصالحات ولم يطيعوا الشيطان في الامر بالكفر سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وقراء النخعي سيدخلهم وعد الله حقا مصدران الاول مؤكد لنفسه والثاني مؤكد لغيره ومن اصدق من الله قيلا قولا وهو استفهام بمعنى النفي اي لا احد اصدق منه وهو تاكيد ثالث وفائدة هذه التوكيدات مقابلة مواعيد الشيطان الكاذبة لقرنائه بوعد الله الصادق لاوليائه ليس باما نيكم ليس الامر على شهواتكم واما نيكم ايها المشركون ان ينفعكم الاصنام ولا اماني اهل الكتاب ولا على شهوات اليهود والنصارى حيث قالوا نحن ابناء الله واحباؤه لن تمسنا النار الا اياما معدودة من يعمل سوء يجز به اي من المشركين واهل الكتاب بدليل قوله ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا وهذا وعيد الكفار ولانه قال بعده ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثى وهو مؤمن فقوله وهو مؤمن حال من الاولى للتبعيض والثانية لبيان الابهام في من يعمل وفيه اشارة الى ان الاعمال ليست من الايمان فاولئك يدخلون الجنة يدخلون مكي وابو عمرو وابو بكر ولا يظلمون نقيرا قدر النقير وهو نقرة في ظهر النواة والراجع في ولا يظلمون لعمال السوء وعمال الصالحات جميعا وجاز ان يكون ذكره عند احد الفريقين دليلا على ذكره عند الاخر وقوله من يعمل سوء يجز به وقوله من يعمل من الصالحات بعد ذكر تمني اهل الكتاب كقوله بلى من كسب سيئة واحاطت به خطيئته وقوله والذين

الايمان

امنوا

امنوا وعملوا الصالحات عقيب قوله وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله اخلص نفسه لله وجعلها سالمة له لا يعرف لها ربا ومعبودا سواه وهو محسن عامل الحسنات واتبع ملة ابراهيم حنيفا مائلا عن الاديان الباطلة وهو حال من المتبع او من ابراهيم واتخذ الله ابراهيم خليلا هو في الاصل المخال وهو الذي يخالك اي يوافقك في خلالك او يداخلك خلال منازلك او يسد خللك كما تسد خلله فالخلة صفاء مودة يوجب الاختصاص بتخلل الاسرار والمحبة اصفى لانها من حبة القلب وهي جملة اعتراضية لا محل لها من الاعراب كقوله والحوادث جمة وفائدتها تاكيد وجوب الاتباع ملته وطريقه لان من بلغ من الزلفى عند الله ان اتخذه خليلا كان جديرا بان يتبع ملته وطريقته ولو جعلتها معطوفة على ما قبلها لم يكن لها معنى وفي الحديث اتخذ الله ابراهيم خليلا لاطعامه الطعام وافشائه السلام وصلوته بالليل والناس نيام وقيل اوحى اليه انما اتخذتك خليلا لانك تحب ان تعطي ولا تعطى وفي رواية لانك تعطي الناس ولا تسالهم ولله ما في السموات وما في الارض دليل على ان اتخاذه خليلا لاحتياج الخليل اليه لا لاحتياجه تعالى اليه لانه منزه عن ذلك وكان الله بكل شيء محيطا عالما ويستفتونك في النساء ويسالونك الافتاء في النساء والافتاء تبيين المبهم قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء اي الله يفتيكم والمتلو في الكتاب اي القران في معنى اليتامى يعني قوله وان خفتم ان لا تقسطوا في اليتامى وهو من قولك اعجبني زيد وكرمه وما يتلى في محل الرفع بالعطف على الضمير في يفتيكم او على لفظ الله وفي يتامى النساء صلة يتلى اي يتلى عليكم في معناهن ويجوز ان يكون في يتامى النساء بدلا من فيهن والاضافة بمعنى من اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن ما فرض لهن من الميراث وكان الرجل منهم يضم اليتيمة الى نفسه ومالها فان كانت جميلة تزوجها واكل المال وان كانت ذميمة عضلها عن التزوج حتى تموت فيرثها وترغبون ان تنكحوهن في ان تنكحوهن لجمالهن او عن ان تنكحوهن لذمامتهن والمستضعفين من الولدان اي اليتامى وهو مجرور معطوف

علي يتامى النساء وكانوا في الجاهلية انما يورثون للرجال القوام بالامور دون الاطفال
والنساء وان تقوموا لليتامى مجرور كالمستضعفين بمعنى يفتيكم في يتامى النساء وفي
المستضعفين وفي ان تقوموا او منصوب بمعنى ويامركم ان تقوموا وهو خطاب
للائمة في ان ينظروا لهم ويستوفوا لهم حقوقهم بالقسط بالعدل في ميراثهم ومالهم
وما تفعلوا من خير شرط جوابه فان الله كان به عليما اي فيجازيكم عليه وان امراءة
خافت من بعلها نشوزا توقعت منه ذلك بما لاح لها من مخايله وامارته والنشوز
ان يتجافى عنها بان يمنعها نفسه ونفقته وان يوذيها بسب او ضرب او اعراضا عنها
بان يقل محادثتها ومؤانستها بسبب كبر سن او دمامة او سوء في خلق او خلق او ملال
او طموح عين الى اخرى او غير ذلك فلا جناح عليهما ان يصلحا بينهما كوفي يصالحا غيرهم
اي يتصالحا وهو اصله فابدلت التاء صادا وادغمت صلحا في معنى مصدر كل واحد من
الفعلين ومعنى الصلح ان يتصالحا على ان تطيب له نفسا من القسمة او عن بعضها او تهب
له بعض المهر او كله او النفقة والصلح خير من الفرقة او من النشوز او من الخصومة في كل
شئ او الصلح خير من الخيور كما ان الخصومة شر من الشرور وهذه الجملة اعتراض كقوله
واحضرت الانفس الشح اي جعل الشح حاضرا لها لا يغيب عنها ابدا ولا تنفك عنه يعني
انها مطبوعة عليه والمراد ان المراة لا تكاد تسمح بقسمتها والرجال لا تكاد نفسه تسمح بان
يقسم لها اذا رغب عنها فكل واحد منهما يطلب ما فيه راحة واحضرت يتعدى الى مفعولين
والاول الانفس ثم حث على مخالفة الطبع ومتابعة الشرع بقوله وان تحسنوا بالاقامة
على نسائكم وان كرهتموهن واحببتم غيرهن وتصبروا على ذلك مراعاة لحق الصحبة و
تتقوا النشوز والاعراض وما يؤدي الى الاذى والخصومة فان الله كان بما تعملون
من الاحسان والتقوى خبيرا فيثيبكم عليه وكان عمران الخارجي ادم بني آدم وامراءته
من اجملهم فنظرت اليه وقالت الحمد لله على اني وانك من اهل الجنة قال كيف فقالت
لانك رزقت مثلي فشكرت ورزقت مثلك فصبرت والجنة موعودة للشاكرين و
الصابرين ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولن تستطيعوا العدل بين النساء والتسوية

حتى لا يقع ميل البتة فتمام العدل ان يسوي بينهن في القسمة والنفقة والتعهد و
النظر والاقبال والممالحة والمفاكهة وغيرها وقيل معناه ان تعدلوا في المحبة وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه فيعدل ويقول هذه قسمتي فيما املك فلا تؤاخذني
فيما تملك ولا املك يعني المحبة لان عايشة رضي الله عنها كانت احب اليه ولو حرصتم
بالغتم في تحري ذلك فلا تميلوا كل الميل فلا تجوروا على المرغوب عنها كل الجور فتمنعوها
قسمتها من غير رضى منها يعني ان اجتناب كل الميل في حد اليسر فلا تفرطوا فيه ان وقع
منكم التفريط في العدل كله وفيه ضرب من التوبيخ وكل نصب على المصدر لان له حكم ما
يضاف اليه فتذروها كالمعلقة وهي التي ليست بذات بعل ولا مطلقة وان تصلحوا
بينهن وتتقوا الجور فان الله كان غفورا رحيما يغفر لكم ميل قلوبكم ويرحمكم فلا
يعاقبكم وان يتفرقا اي ان لم يصطلح الزوجان على شئ وتفرقا بالخلع او بتطليقه اياها
وايفائه مهرها ونفقة عدتها يغن الله كلا كل واحد منهما من سعته من غناه اي يرزقها
زوجا خيرا من زوجه وعيشا اهنا من عيشه وكان الله واسعا بتحليل النكاح حكيما
بالاذن في السراح فالسعة الغنى والقدرة والواسع الغني المقتدر ثم بين غناه وقدرته
بقوله ولله ما في السموات وما في الارض خلقا والمتملكون عبيده رقا ولقد وصينا
الذين اوتوا الكتاب اسم للجنس فيتناول الكتب السماوية من قبلكم من الامم السالفة
وهو متعلق بوصينا او باوتوا واياكم عطف على الذين اوتوا ان اتقوا الله بان
اتقوا الله او تكون ان المفسرة لان التوصية في معنى القول والمعنى ان هذه وصية
قديمة ما زال يوصي الله بها عباده ولستم بها مخصوصين لانهم بالتقوى يسعدون
عنده وان تكفروا عطف على ان اتقوا لان المعنى امرناهم وامرناكم بالتقوى وقلنا لهم
ولكم ان تكفروا فان لله ما في السموات وما في الارض وكان الله غنيا عن خلقه وعن
عباداتهم حميدا مستحقا لان يحمد لكثرة نعمه وان لم يحمده احد وتكرير قوله لله ما في
السموات وما في الارض تقرير لما هو موجب تقواه لان الخلق لما كان كله له وهو خالقهم
ومالكهم فحقه ان يكون مطاعا في خلقه غير معصي وفيه دليل على ان التقوى اصل الخير كله

وقوله وان تكفروا عقيب التقوى دليل على ان المراد بها اتقاء من الشرك ولله ما في
السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا فاتخذوه وكيلا ولا تتكلوا على غيره ثم خوفهم
وبين قدرته بقوله ان يشا يذهبكم ايها الناس ويات باخرين ويوجد انسا اخرين
مكانكم او خلقا اخرين غير الانس وكان الله على ذلك قديرا بليغ القدرة من كان يريد
ثواب الدنيا كالمجاهد يريدون بجهادهم الغنيمة فعند الله ثواب الدنيا والاخرة
فما له يطلب احدهما دون الاخر والذي يطلبه اخسهما وكان الله سميعا للاقوال
بصيرا بالافعال وهو وعيد ووعد يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط
مجتهدين في اقامة العدل حتى لا تجوروا شهداء خبر بعد خبر لله اي تقيمون شهادتكم
لوجه الله ولو على انفسكم ولو كانت الشهادة على انفسكم والشهادة على نفسه
هي الاقرار على نفسه لانه في معنى الشهادة عليها بالزام الحق وهذا لان الدعوى
والشهادة والاقرار يشترك جميعها في الاخبار عن حق لاحد على احد غير ان
الدعوى اخبار عن حق لنفسه على الغير والاقرار للغير على نفسه اخبار عن والشهادة
اخبار للغير على الغير او الوالدين والاقربين اي ولو كانت الشهادة على ابائكم
وامهاتكم واقاربكم ان يكن المشهود عليه غنيا فلا يمنع الشهادة عليه لغناه طلبا
لرضاه او فقيرا فلا يمنعها ترحما عليه فالله اولى بهما بالغني والفقير اي بالنظر لهما
والرحمة وانما ثنى الضمير في بهما وكان حقه ان يوحد لان المعنى ان يكن احد هذين
لانه يرجع الى ما دل عليه قوله ان يكن غنيا او فقيرا وهو جنس الغني والفقير كانه قيل
فالله اولى بجنسي الغني والفقير اي بالاغنياء والفقراء فلا تتبعوا الهوى كراهة
ان تعدلوا عن الحق من العدول او كراهة ان تعدلوا بين الناس من العدل وان تلووا
او تعرضوا بواو واحدة وضم اللام شامي وحمزة من الولاية وان تلووا اي وان
وليتم اقامة الشهادة او اعرضتم عن اقامتها غيرهما تلووا بواوين وسكون
اللام من اللي اي وان تلووا السنتكم عن شهادة الحق او حكومة العدل او تعرضوا
عن الشهادة بما عندكم وتمنعوها فان الله كان بما تعملون خبيرا فيجازيكم عليها

غيرهم

بواو

يا ايها الذين امنوا خطاب للمسلمين امنوا اثبتوا على الايمان وداوموا عليه او لاهل الكتاب
لانهم امنوا ببعض الكتب والرسل وكفروا ببعض او للمنافقين اي يا ايها الذين امنوا
نفاقا امنوا اخلاصا بالله ورسوله اي محمد صلى الله عليه وسلم والكتاب الذي نزل
على رسوله اي القران والكتاب الذي انزل من قبل اي جنس ما انزل على الانبياء
قبله من الكتب ويدل عليه قوله وكتبه نزل وانزل مكي وشامي وابو عمرو وعلى
البناء للفاعل فيهما غيرهم وانما قيل نزل على رسوله وانزل من قبل لان القران
نزل مفرقا منجما في عشرين سنة بخلاف الكتب قبله ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله
واليوم الاخر اي ومن يكفر بشيء من ذلك فقد ضل ضلالا بعيدا لان الكفر ببعضه كفر
بكله ان الذين امنوا بموسى ثم كفروا حين عبدوا العجل ثم امنوا بموسى عليه السلام
بعد عوده ثم كفروا بعيسى ثم ازدادوا كفرا بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم لم يكن الله
ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا الى النجاة او الى الجنة او هم المنافقون امنوا في الظاهر
وكفروا في السر مرة بعد اخرى وازدياد الكفر منهم ثباتهم عليه الى الموت يؤيده قوله
بشر المنافقين اي اخبرهم ووضع بشر مكان اخبر تهكما بهم بان لهم عذابا اليما الذين
نصب على الذم او رفع بمعنى اريد الذين او هم الذين يتخذون الكافرين اولياء من
دون المؤمنين ايبتغون عندهم العزة كان المنافقون يوالون الكفرة يطلبون منهم
المنعة والنصرة ويقولون لا يتم امر محمد صلى الله عليه وسلم فان العزة لله جميعا ولمن
اعزه كالنبي والمؤمنين كما قال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين وقد نزل عليكم
بفتح النون عاصم وبضمها غيره في الكتاب القران ان اذا سمعتم ايات الله يكفر
بها ويستهزء بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره حتى يشرعوا في كلام
غير الكفر والاستهزاء بالقران والخوض الشروع ان مخففة من الثقيلة اي انه اذا سمعتم
اي نزل عليكم ان الشان كذا والشان ما افادته الجملة بشرطها وجزائها وان مع ما في
حيزها في موضع الرفع بنزل او في موضع النصب بنزل والمنزل عليهم في الكتاب هو ما
نزل عليهم بمكة من قوله واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا

غيرهم

الذين

فى حديث حزه وذلك ان المشركين كانوا يخوضون فى ذكر القران فى مجالسهم فيستهزؤن
به فنهى المسلمون عن القعود معهم ماداموا خائضين فيه وكان المنافقون بالمدينة
يفعلون نحو فعل المشركين بمكة فنهوا ان يقعدوا معهم كما نهوا عن مجالسة المشركين
بمكة انكم اذا مثلهم اى فى الوزر اذا مكثتم معهم ولم يرد به التمثيل من كل وجه
فان خوض المنافقين فيه كفر ومكث هؤلاء معصية ان الله جامع المنافقين و
الكافرين فى جهنم جميعا لاجتماعهم فى الكفر والاستهزاء الذين بدل من الذين يتخذون
او صفة للمنافقين او نصب على الذم منهم يتربصون بكم ينتظرون بكم ما يتجدد لكم
من ظفر واخفاق فان كان لكم فتح من الله نصر وغنيمة قالوا الم نكن معكم متظاهرين
فاشركونا فى الغنيمة وان كان للكافرين نصيب سمى ظفر المسلمين فتحا تعظيما لشانهم لا
لحظة من الدنيا يصيبونها قالوا للكفار الم نستحوذ عليكم الم نغلبكم ونتمكن من قتلكم
فابقينا عليكم والاستحواذ الاستيلاء والغلبة ونمنعكم من المؤمنين بان ثبطناهم
عنكم وخيلنا لهم ما ضعفت قلوبهم به ومرضوا فى قتالكم وتوانينا فى مظاهرتهم
عليكم فهاتوا نصيبا لنا مما اصبتم فالله يحكم بينكم ايها المؤمنون والمنافقون يوم
القيمة فيدخل المنافقين النار والمؤمنين الجنة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين
سبيلا اى فى القيمة بدليل اول الاية كذا عن على رضى الله عنه او حجة كذا عن ابن عباس
ان المنافقين يخادعون الله اى يفعلون ما يفعل المخادع من اظهار الايمان وابطان
الكفر فالمنافق من اظهر الايمان وابطن الكفر واولياء الله وهم المؤمنون فاضاف
خداعهم الى نفسه تشريفا لهم وهو خادعهم وهو فاعل بهم ما يفعل الغالب فى
الخداع حيث تركهم معصومى الدماء والاموال فى الدنيا واعد لهم الدرك الاسفل
من النار فى العقبى والخادع اسم فاعل من خادعته فخدعته اذا غلبته وكنت اخدع
منه وقيل يجزيهم جزاء خداعهم واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى متثاقلين كراهة
اما الغفلة فقد يبتلى بها المؤمن وهو جمع كسلان كسكارى فى سكران يراؤن الناس
حال اى يقصدون بصلوتهم الرياء والسمعة والمراءة مفاعلة من الرؤية لان المرائى

فالمنافق

يريهم عمله وهم يرونه استحسانا ولا يذكرون الله الا قليلا ولا يصلون الا قليلا لانهم
لا يصلون قط غائبين من عيوب الناس او لا يذكرون الله بالتسبيح والتهليل الا ذكرا
قليلا نادرا قال الحسن لو كان ذلك القليل لله تعالى لكان كثيرا مذبذبين نصب على
الذم اى مترددين يعنى ذبذبهم الشيطان والهوى بين الايمان والكفر فهم مترددون
بينهما متحيرون وحقيقة المذبذب الذى يذب عن كلا الجانبين اى يدفع فلا يقر
فى جانب واحد الا ان الذبذبة فيها تكرير ليس فى الذب بين ذلك بين الكفر والايمان
لا الى هؤلاء لا منسوبين الى هؤلاء فيكونوا مؤمنين ولا الى هؤلاء ولا منسوبين
الى هؤلاء فيسموا مشركين ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا طريقا الى الهدى يا ايها
الذين امنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين اتريدون ان تجعلوا
لله عليكم سلطانا مبينا حجة بينة فى تعذيبكم ان المنافقين فى الدرك الاسفل
من النار فى الطبق الذى فى قعر جهنم وللنار سبع دركات سميت بذلك
لانها متداركة متتابعة بعضها فوق بعض وانما كان المنافق اشد عذابا من الكافر
لانه امن السيف فى الدنيا فاستحق الدرك الاسفل فى العقبى تعديلا ولانه مثله فى
الكفر وضم الى كفره الاستهزاء بالاسلام واهله الدرك بسكون الراء كوفى غير
الاعشى وبفتح الراء غيرهم وهما لغتان وذكر الزجاج ان الاختيار فتح الراء ولن
تجد لهم نصيرا يمنعهم من العذاب الا الذين تابوا من النفاق وهو استثناء من
الضمير المجرور فى ولن تجد لهم واصلحوا ما افسدوا من اسرارهم واحوالهم فى حال
النفاق واعتصموا بالله ووثقوا به كما يثق المؤمن المخلص واخلصوا دينهم لله
لا يبتغون بطاعتهم الا وجهه فاولئك مع المؤمنين فهم اصحاب المؤمنين و
رفقاؤهم فى الدارين وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما فيشاركونهم فيه
حذفت الياء فى الخط هنا اتباعا للفظ ثم استفهم مقررا انه لا يعذب المؤمن الشاكر
فقال ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم لله وامنتم به فما منصوبة بيفعل اى اى شئ
يفعل بعذابكم فالايمان معرفة المنعم والشكر الاعتراف بالنعمة والكفر الانكار بالمنعم

والنعمة هنادا فلذا استحق الكافر العذاب وقدم الشكر على الايمان لان العاقل ينظر الى
ماعليه من النعمة العظيمة في خلقه وتعريضه للمنافع فيشكر شكرا مبهما فاذا انتهى به النظر
الى معرفة المنعم آمن به ثم شكر شكرا مفصلا فكان الشكر متقدما على الايمان وكان
الله شاكرا يجزيكم على شكركم او يقبل اليسير من العمل ويعطي الجزيل من الثواب عليما
عالما بما تصنعون لا يحب الله الجهر بالسوء من القول ولا غير الجهر ولكن الجهر افحش
الا من ظلم الا من اي جهر من ظلم استثنى من الجهر الذي لا يحبه الله جهر المظلوم وهو
ان يدعو على الظالم ويذكره بما فيه من السوء وقيل الجهر بالسوء من القول هو الشتم
الا من ظلم فان له ان رد عليه مثله فلا جناح عليه مثله ولمن انتصر بعد ظلمه وكان الله
سميعا لشكوى المظلوم عليما بظلم الظالم ثم حث على العفو وان لا يجهر احد لاحد
بسوء وان كان على وجه الانتصار بعد ما اطلق الجهر به حثا على الافضل وذكر ابداء
الخير واخفاءه تسبيبا للعفو فقال ان تبدوا خيرا مكان جهر السوء او تخفوه تعملوه
سرا ثم عطف العفو عليهما فقال او تعفوا عن سوء ان تمحوه عن قلوبكم والدليل على
ان العفو عليهما هو المقصود بذكر ابداء الخير واخفائه قوله فان الله كان عفوا
قديرا اي انه لم يزل يعفو عن الاثام مع قدرته على الانتقام فعليكم ان تقتدروا
بسنته ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله
ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض كاليهود كفروا بعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم
والانجيل والقران والنصارى كفروا بمحمد والقران ويريدون ان يتخذوا بين
ذلك سبيلا اي دينا وسطا بين الايمان والكفر لان الكفر بواحد كفر بالكل حقا تاكيد
لمضمون الجملة كقولك هذا عبد الله حقا اي حق ذلك حقا وهو كونهم كاملين في
الكفر او هو صفة لمصدر الكافرين اي هم الذين كفروا كفرا حقا ثابتا يقينا لا شك
فيه واعتدنا للكافرين عذابا مهينا في الاخرة والذين امنوا بالله ورسله ولم
يفرقوا بين احد منهم وانما جاز دخول بين على احد لانه عام في الواحد المذكر و
المؤنث وتثنيتهما وجمعهما اولئك سوف يؤتيهم وبالياء حفص اجورهم اي الثواب

قوله واسطة بينهما اولئك هم الكافرون هم الكاملون في الكفر م

الموعود

الموعود لهم وكان الله غفورا يستر السيئات رحيما يقبل الحسنات والاية تدل على بطلان
قول المعتزلة في تخليد من ارتكب الكبيرة لانه اخبر ان من امن بالله ورسوله ولم
يفرق بين احد منهم يؤتيه اجره ومرتكب الكبيرة ممن امن بالله ورسله
ولم يفرق بين احد منهم فيدخل تحت الوعد وعلى بطلان قول من لا يقول بقدم
صفات الفعل من المغفرة والرحمة لانه قال وكان الله غفورا رحيما وهم يقولون
ما كان الله غفورا رحيما في الازل ثم صار غفورا رحيما ولما قال فنحاص واصحابه
للنبي صلى الله عليه وسلم ان كنت نبيا صادقا فاتنا بكتاب من السماء جملة كما اتى به
موسى نزل يسالك اهل الكتاب ان تنزل عليهم وبالتخفيف مكي وابو عمرو كتابا من
السماء اي جملة كما نزلت التوراة وانما اقترحوا ذلك على سبيل التعنت قال الحسن
ولو سالوه مسترشدين لاعطاهم لان انزال القران جملة ممكن فقد سالوا موسى
اكبر من ذلك هذا جواب شرط مقدر معناه ان استكبرت ما سالوه منك فقد
سالوا موسى اكبر من ذلك وانما اسند السؤال اليهم وان وجد من ابائهم في ايام موسى
عليه السلام وهم النقباء السبعون لانهم كانوا على مذهبهم وراضين بسؤالهم فقالوا
ارنا الله جهرة عيانا اي ارناه نره جهرة فاخذتهم الصاعقة العذاب الهائل
او النار المحرقة بظلمهم على انفسهم بسؤال شيء في غير موضعه او بالتحكم على نبيهم في
الايات وتعنتهم في سؤال الرؤية لا بسؤال الرؤية لانها ممكنة كانزال القران جملة و
لو كان ذلك بسبب سؤال الرؤية لكان موسى بذلك احق فانه قال رب ارني انظر
اليك وما اخذته الصاعقة بل الصعق وقيده بالممكن ولا يعلق بالممكن الا ما هو ممكن
الثبوت ثم احياهم ثم اتخذوا العجل الها من بعد ما جاءتهم البينات التوراة والمعجزات
التسع فعفونا عن ذلك تفضلا ولم نستاصلهم واتينا موسى سلطانا مبينا حجة ظاهرة
على من خالفه ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم بسبب ميثاقهم ليخافوا فلا ينقضوه و
قلنا لهم والطور مظل عليهم ادخلوا الباب سجدا اي ادخلوا باب ايليا مطاطئين عند
الدخول رؤسكم وقلنا لهم لا تعدوا اي لا تجاوزوا الحد تعدوا ورش تعدوا باسكان

العين وتشديد الدال مدنى غير ورش وهما مدغما تعتدوا وهى قراءة ابى الا انه ادغم التاء فى رواية
الدال وبقى العين ساكنة فى رواية وفى رواية نقل فتحة التاء الى العين فى السبت باخذ السمك
واخذنا منهم ميثاقا غليظا عهدا موكدا فبما نقضهم اى فبنقضهم وما مزيدة للتوكيد والباء
يتعلق بقوله حرمنا عليهم طيبات تقديره حرمنا عليهم طيبات بنقضهم ميثاقهم وقوله
فبظلم من الذين هادوا ابدل من قوله فبما نقضهم ميثاقهم ومعنى التوكيد تحقيق ان تحريم
الطيبات لم يكن الا بنقض العهد وما عطف عليه من الكفر وقتل الانبياء وغير ذلك وكفرهم
بايات الله اى بمعجزات موسى وقتلهم الانبياء كذكريا ويحيى وغيرهما بغير حق بغير سبب يستحقون
القتل وقولهم قلوبنا غلف جمع اغلف محجوبة لا يتوصل اليها شئ من الذكر والوعظ
بل طبع الله عليها بكفرهم هو رد وانكار لقولهم قلوبنا غلف فلا يومنون الا قليلا
كعبد الله بن سلام واصحابه وبكفرهم معطوف على فبما نقضهم او على ما يليه من قوله بكفرهم
ولما تكرر منهم الكفر لانهم كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد عليهم السلام عطف بعض كفرهم على
بعض وقولهم على مريم بهتانا عظيما هو النسبة الى الزنا وقولهم انا قتلنا المسيح سمى مسيحا
لان جبرئيل عليه السلام مسحه بالبركة فهو ممسوح او لانه كان يمسح المريض والاكمه و
الابرص فيبراء فسمى مسيحا بمعنى الماسح عيسى ابن مريم رسول الله صم لم يعتقدوه
رسول الله صلى الله عليه وسلم لكنهم قالوا استهزاء كقول الكفار لرسولنا يا ايها الذى نزل
عليه الذكر انك لمجنون ويحتمل ان الله وصفه به وان لم يقولوا ذلك وما قتلوه وما
صلبوه ولكن شبه لهم روى ان رهطا من اليهود سبوه وسبوا امه فدعا عليهم اللهم
انت ربى وبكلمتك خلقتنى اللهم العن من سبنى وسب والدتى فمسخ الله من سبهما قردة
وخنازير فاجتمعت اليهود على قتله فاخبره الله بانه يرفعه الى السماء ويطهره من صحبة
اليهود فقال لاصحابه ايكم يرضى ان يلقى عليه شبهى فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقال
رجل منهم انا فالقى عليه شبهه فقتل وصلب وقيل كان رجلا ينافق عيسى فلما ارادوا
قتله قال انا ادلكم عليه فدخل بيت عيسى ورفع عيسى والقى شبهه على المنافق فدخلوا
عليه فقتلوه وهم يظنون انه عيسى وجاز هذا على قوم متعنتين حكم الله بانهم لا يومنون

وشبه مسند الى الجار والمجرور وهو لهم كقولك خيل اليه كانه قيل ولكن وقع لهم التشبيه
او مسند الى ضمير المقتول لدلالة انا قتلنا عليه كانه قيل ولكن شبه لهم من قتلوه وان
الذين اختلفوا فيه فى عيسى يعنى اليهود قالوا ان الوجه وجه عيسى والبدن بدن
صاحبنا او اختلف النصارى قالوا اله وابن اله وثالث ثلثة لفى شك منه ما لهم به
من علم الا اتباع الظن استثناء منقطع لان اتباع الظن ليس من جنس العلم يعنى ولكنهم
يتبعون الظن وانما وصفوا بالشك وهو ان لا يترجح احد الجائزين احدهما لان
المراد انهم شاكون ما لهم به من علم ولكن ان لاحت لهم امارة وظنوا ذلك وقيل وان الذين
اختلفوا فيه اى فى قتله لفى شك منه اى من قتله لانهم كانوا يقولون ان كان هذا عيسى
فاين صاحبنا وان كان هذا صاحبنا فاين عيسى وما قتلوه يقينا اى قتلا يقينا اى ما
قتلوه مستيقنين او ما قتلوه حقا فيجعل يقينا تاكيدا لقوله وما قتلوه اى حق انتفاء
قتله حقا بل رفعه الله اليه الى حيث لا حكم فيه لغير الله او الى السماء وكان الله عزيزا
فى انتقامه من اليهود حكيما فيما دبر من رفعه اليه وان من اهل الكتاب الا ليومنن
به قبل موته ليومنن به جملة قسمية واقعة صفة لموصوف محذوف تقديره وان من
اهل الكتاب احد الا ليومنن به ونحوه وما منا الا له مقام معلوم والمعنى وما من اليهود
والنصارى احد الا ليومنن به قبل موته بعيسى وبانه عبد الله ورسوله يعنى
اذا عاين قبل ان تزهق روحه حين لا ينفعه ايمانه لانقطاع وقت التكليف او الضمير
ان يعنى يعنى وان منهم احد الا ليومنن بعيسى قبل موت عيسى وهم اهل الكتاب
الذين يكونون فى زمان نزوله روى انه ينزل من السماء فى اخر الزمان فلا يبقى احد من
اهل الكتاب الا ليومنن به حتى يكون الملة واحدة وهى ملة الاسلام او الضمير فى به
الى الله او الى محمد صلى الله عليه وسلم والثانى الى الكتابى ويوم القيمة يكون عليهم شهيدا
يشهد على اليهود بانهم كذبوه وعلى النصارى بانهم دعوه ابن الله فبظلم من الذين
هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وهى ما ذكر فى سورة الانعام وعلى الذين هادوا
حرمنا كل ذى ظفر الاية والمعنى ما حرمنا عليهم الطيبات الا بظلم عظيم ارتكبوه وهو

ما عدد قبل هذا وبصدهم عن سبيل الله ويمنعهم عن الايمان كثيرا خلقا كثيرا او صدا كثيرا
واخذهم الربوا وقد نهوا عنه كان محرما عليهم كما حرم علينا وكانوا يتعاطونه واكلهم
اموال الناس بالباطل بالرشوة وسائر الوجوه المحرمة واعتدنا للكافرين منهم دون
من امن عذابا اليما في الاخرة لكن الراسخون في العلم اى الثابتون فيه المتيقنون كابن
سلام واضرابه منهم من اهل الكتاب والمؤمنون اى المؤمنون من المهاجرين والانصار
وارتفع الراسخون على الابتداء يؤمنون خبره بما انزل اليك اى القران وما انزل من
قبلك اى ساير الكتب والمقيمين الصلوة منصوب على المدح لبيان فضل الصلوة وفى
مصحف عبد الله والمقيمون وهى قراءة مالك ابن دينار وغيره والمؤتون الزكوة مبتدأ
والمؤمنون بالله واليوم الاخر عطف عليه والخبر اولئك سنؤتيهم اجرا عظيما و
بالياء حمزة انا اوحينا اليك جواب لاهل الكتاب عن سوالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان ينزل عليهم كتابا من السماء واحتجاج عليهم بان شانه فى الوحى اليه كشان ساير الانبياء
الذين سلفوا كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده كهود وصالح وشعيب وغيرهم
واوحينا الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط اى اولاد يعقوب وعيسى
وايوب ويونس وهارون وسليمان واتينا داود زبورا زبورا حمزة مصدر بمعنى
مفعول سمى به الكتاب المنزل على داود عليه السلام ورسلا نصب بمضمر فى معنى اوحينا
اليك وهو ارسلنا ونبانا قد قصصناهم عليك من قبل من قبل هذه السورة ورسلا
لم نقصصهم عليك سال ابو ذر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الانبياء قال مائة الف
واربعة وعشرون الفا قال كم الرسل منهم قال ثلث مائة وثلثة عشر اول الرسل ادم و
اخرهم نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم واربعة من العرب هود وصالح وشعيب ومحمد
عليهم السلام والاية تدل على ان معرفة الرسل باعيانهم ليست بشرط الايمان بل من شرطه
ان يومن بهم جميعا اذ لو كان معرفة كل واحد منهم شرطا لقص علينا كل ذلك وكلم الله
موسى تكليما اى بلا واسطة رسلا مبشرين ومنذرين والاوجه ان ينتصب على المدح
اى اعنى رسلا ويجوز ان يكون بدلا من الاول مفعولا اى وارسلنا رسلا واللام فى لئلا

يكون للناس على الله حجة بعد الرسل يتعلق بمبشرين ومنذرين والمعنى ان ارسالهم ازاحة
للعلة وتتميم لالزام الحجة لئلا يقولوا لولا ارسلت الينا رسولا فيوقظنا من سنة الغفلة
وينبهنا لما وجب الانتباه له ويعلمنا ما سبيل معرفته السمع كالعبادات والشرائع اعنى فى
حق مقاديرها واوقاتها وكيفياتها دون اصولها فانها مما يعرف بالعقل وكان الله عزيزا
فى العقاب على الانكار حكيما فى بعث الرسل للانذار ولما نزل انا اوحينا اليك قالوا ما
نشهد لك بهذا فنزل لكن الله يشهد بما انزل اليك ومعنى شهادة الله بما انزل اليه اثباته
لصحته باظهار المعجزات كما تثبت الدعاوى بالبينات اذ الحكيم لا يؤيد الكاذب بالمعجزة
انزله بعلمه اى انزله وهو عالم بانك اهل لانزاله اليك وانك مبلغه او انزله بما علم
من مصالح العباد وفيه نفى قول المعتزلة فى انكار الصفات فانه اثبت لنفسه العلم والملائكة
يشهدون لك بالنبوة وكفى بالله شهيدا شاهدا وان لم يشهد غيره ان الذين كفروا
بتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وهم اليهود وصدوا عن سبيل الله ومنعوا الناس من
سبيل الحق بقولهم للعرب انا لا نجده فى كتابنا قد ضلوا ضلالا بعيدا عن الرشد ان الذين
كفروا بالله وظلموا محمدا صلى الله عليه وسلم بتغيير نعته وانكار نبوته لم يكن الله ليغفر لهم
ما داموا على الكفر ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم خالدين فيها ابدا وكان ذلك
على الله يسيرا وكان تخليدهم فى نار جهنم سهلا عليه والتقدير يعاقبهم خالدين
فهو حال مقدرة والايتان فى قوم علم الله انهم لا يؤمنون ويموتون على الكفر يا ايها
الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم اى بالاسلام او هو حال اى محقا فامنوا خيرا
لكم وكذلك انتهوا خيرا لكم وكذلك انتهوا خيرا لكم انتصابه بمضمر وذلك انه لما
بعثهم على الايمان وعلى الانتهاء عن التثليث علم انه يحملهم على امر فقال خيرا لكم اى
اقصدوا او ائتوا امرا خيرا لكم مما انتم فيه من الكفر والتثليث وهو الايمان به والتوحيد
وان تكفروا فان لله ما فى السموات والارض فلا يضره كفركم وكان الله عليما بمن يومن
وبمن يكفر حكيما لا يسوى بينهما فى الجزاء يا اهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم اى لا تجاوزوا
الحد فغلت اليهود فى حط المسيح عن منزلته حتى قالوا انه ابن الزنى وغلت النصارى

فى رفعه من مقداره حيث جعلوه ابن الله ولا تقولوا على الله الا الحق وهو تنزيهه
عن الشريك والولد انما المسيح عيسى ابن مريم لا ابن الله رسول الله خبر المبتدا وهو
المسيح وعيسى عطف بيان او بدل وكلمته عطف على رسول الله وقيل له كلمة لانه
يهتدى به كما يهتدى بالكلام القيها الى مريم حال وقد معه مرادة اى اوصلها
اليها وحصلها فيها وروح معطوف على الخبر ايضا وقيل له روح لانه كان يحيى
الموتى كما يحيى القران روحا بقوله وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا المانه
يحيى القلوب منه اى بتخليقه وتكوينه كقوله تعالى وسخر لكم ما فى السموات وما
فى الارض جميعا منه وبه اجاب على بن الحسين بن واقد غلاما نصرانيا كان للرشيد
فى مجلسه حيث زعم ان فى كتابكم حجة على ان عيسى ابن الله فامنوا بالله ورسله
ولا تقولوا ثلثة خبر مبتداء محذوف اى ولا تقولوا الالهة ثلثة انتهوا عن
التثليث خيرا لكم والذى يدل عليه القران التصريح منهم بان الله والمسيح ومريم
ثلثة الهة وان المسيح ولد الله من مريم الا ترى الى قوله انت للناس اتخذونى و
امى الهين من دون الله وقالت النصارى المسيح ابن الله انما الله مبتداء اله خبر
واحد توكيد سبحانه ان يكون له ولد اسبحه تسبيحا من ان يكون له ولد له ما فى
السموات وما فى الارض بيان لتنزهه عما نسب اليه يعنى ان كل ما فيهما خلقه وملكه
فكيف يكون بعض ملكه جزءا منه اذ البنوة والملك لا يجتمعان على ان الجزء انما
يصح فى الاجسام وهو يتعالى عن ان لا يكون جسما وكفى بالله وكيلا حافظا و
مدبرا لهما وما فيهما ومن عجز عن كفاية امر يحتاج الى ولد يعينه ولما قال وفد نجران
لرسول الله صلى الله عليه وسلم لم تعيب صاحبنا عيسى قال واى شئ اقول قالوا
تقول انه عبد الله ورسوله قال انه ليس بعار ان يكون عبد الله قالوا بلى لن يستنكف
المسيح اى لن يانف ان يكون عبد الله هو رد على النصارى ولا الملايكة ورد على من
يعبدهم من العرب وهو عطف على المسيح المقربون اى الكروبيون الذين هم حول
العرش كجبرئيل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل عليهم السلام ومن فى طبقتهم والمعنى ولا

شى

الملايكة المقربون ان يكونوا عبادا لله فحذف ذلك لدلالة عبد الله عليه ايجازا وتشبث
المعتزلة والقايلون بتفضيل الملك على البشر بهذه الاية وقالوا الارتقاء انما يكون الى الاعلى
يقال فلان لا يستنكف عن خدمتى ولا ابوه ولو قال ولا عبده لم يحسن وكان معنى
قوله ولا الملايكة المقربون ولا من هو اعلى منه قدرا واعظم منه خطرا ويدل عليه تخصيص
المقربين والجواب انا لا نسلم تفضيل الثانى على الاول لكن هذا لا يمس ما تنازعنا فيه لانه
الاية تدل على ان الملايكة المقربين اجمعهم افضل من عيسى ونحن نسلم بان جميع الملايكة
المقربين افضل من رسول واحد من البشر الى هذا ذهب بعض اهل السنة ولانه المراد
ان الملايكة مع ما بهم من القدرة الفائقة قدر البشر والعلوم اللوحية وتجردهم
عن التولد الازدوجى راسا لا يستنكفون عن عبادته فكيف بمن تولد من آخر لا يقدر
على ما يقدرون ولا يعلم ما يعلمون وهذا لان شدة البطش وسعة العلوم وغرابة
التكوين هى التى تورث الحمقى امثال النصارى وهم الترفع عن العبودية حيث راوا
المسيح ولد من غير اب وهو يبرئ الاكمه والابرص ويحيى الموتى وينبئ بما ياكلون
ويدخرون فى بيوتهم فبرؤه من العبودية فقيل لهم هذه الاوصاف فى الملايكة اتم
منها فى المسيح ومع هذا لم يستنكفوا من العبودية فكيف يستنكف المسيح والحاصل ان
خواص البشر وهم الانبياء عليهم السلام افضل من خواص الملايكة وهم الرسل ومنهم
كجبرئيل وميكائيل وعزرائيل ونحوهم وخواص الملايكة افضل من عوام المومنين من
البشر وعوام المؤمنين من البشر افضل من عوام الملايكة ودليله على تفضيل البشر على
الملك ابتداء انهم قهروا انواع الهوى فى ذات الله تعالى مع انهم جبلوا عليها فضاهت
الانبياء عليهم السلام الملايكة عليهم السلام فى العصمة وتفضلوا عليهم فى قهر البواعث
النفسانية والدواعى الجسمانية فكانت طاعتهم اشق لكونها مع الصوارف بخلاف طاعة
الملايكة لانهم جبلوا عليها فكانت ازيد ثوابا بالحديث ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر
يترفع ويطلب الكبرياء فسيحشرهم اليه جميعا فيجازيهم على استنكافهم واستكبارهم ثم
فصل فقال فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله

واما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا اليما ولا يجدون لهم من دون الله
وليا ولا نصيرا فان قلت التفصيل غير مطابق للمفصل لان التفصيل اشتمل على الفريقين
والمفصل على فريق واحد قلت هو مثل قولك جمع الامام الخوارج فمن لم يخرج عليه كساه
وحمله ومن خرج عليه نكل به وصحة ذلك لوجهين احدهما ان يحذف ذكر احد الفريقين
لدلالة التفصيل عليه وكان ذكر احدهما يدل على ذكر الثاني كما حذف احدهما في التفصيل
في قوله تعالى بعد هذا فاما الذين امنوا بالله واعتصموا به والثاني ان الاحسان الى غيرهم
مما يغمهم فكان داخلا في جملة التنكيل بهم فكانه قيل ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر
فسيعذب بالحسرة اذا رأى اجور العاملين وبما يصيبه من عذاب الله يا ايها الناس
قد جاءكم برهان من ربكم اي رسول يبهر المنكر بالاعجاز وانزلنا اليكم نورا مبينا قرانا
يستضاء به في ظلمات الحيرة فاما الذين امنوا بالله واعتصموا به بالله او بالقران
فسيدخلهم في رحمة منه اي جنة وفضل زيادة النعمة ويهديهم ويرشدهم اليه الى الله
او الى الفضل والرحمة صراطا مستقيما فصراطا حال من المضاف المحذوف يستفتونك
قل الله يفتيكم في الكلالة كان جابر بن عبد الله مريضا فعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال اني كلالة فكيف اصنع في مالي فنزلت ان امرؤ هلك ارتفع بفعل يفسره الظاهر
ومحل ليس له ولد الرفع على الصفة اي ان هلك امرؤ غير ذي ولد والمراد بالولد الابن
وهو مشترك يقع على الذكر والانثى لان الابن يسقط الاخت ولا تسقطها البنت وله
اخت اي لاب وام او لاب فلها نصف ما ترك اي الميت وهو يرثها اي الاخ يرث الاخت
جميع مالها ان قدر الامر على العكس من موتها وبقائه بعدها ان لم يكن لها ولد اي ابن
لان الابن يسقط الاخ دون البنت فان قلت الابن لا يسقط الاخ وحده فالاب
نظيره في الاسقاط فلم اقتصر على نفي الولد قلت بين حكم انتفاء الولد ووكل حكم
انتفاء الوالد الى بيان السنة وهو قوله عليه السلام الحقوا الفرائض باهلها فما بقي فلاولى
عصبة ذكر والاب اولى من الاخ فان كانتا اثنتين اي فان كانت الاختان اثنتين دل
على ذلك وله اخت فلهما الثلثان مما ترك وان كانوا اخوة اي وان كان من يرث بالاخوة

والمراد بالاخوة الاخوة والاخوات تغليبا لحكم الذكورة رجالا ونساء ذكورا واناثا
فللذكر منهم مثل حظ الانثيين يبين الله لكم الحق فهو مفعول يبين ان تضلوا كراهة
ان تضلوا والله بكل شيء عليم يعلم الاشياء بكنهها قبل كونها وبعده

سورة المائدة مدنية وهي مائة وعشرون آية كوفي

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود يقال وفى بالعهد واوفى به والعقد العهد الموثق
شبه بعقد الحبل ونحوه وهي عقود الله تعالى التي عقدها على عباده والزمها اياهم
من مواجب التكليف او ما عقد الله عليكم وما تعاقدتم بينكم والظاهر انه عقود
الله عليهم في دينه من تحليل حلاله وتحريم حرامه وانه كلام قدم مجملا ثم عقب
بالتفصيل وهو قوله احلت لكم بهيمة الانعام والبهيمة كل ذات اربع قوائم في البر
والبحر واضافتها الى الانعام للبيان وهي بمعنى من كخاتم فضة ومعناه البهيمة من
الانعام وهي الازواج الثمانية وقيل بهيمة الانعام الظباء وبقر الوحش ونحوهما الا
ما يتلى عليكم اية تحريمه وهو قوله حرمت عليكم الميتة الاية غير محلي الصيد حال من
الضمير في لكم اي احلت لكم هذه الاشياء لا محلين الصيد وانتم حرم حال من محلي الصيد
كانه قيل احللنا لكم بعض الانعام في حال امتناعكم من الصيد وانتم محرمون لئلا يضيق
عليكم والحرم جمع حرام وهو المحرم ان الله يحكم ما يريد من الاحكام او من التحليل
والتحريم وترك نهيا عن تحليل ما حرم يا ايها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله جمع شعيرة
وهي اسم ما اشعر اي جعل شعارا وعلما للنسك من مواقف الحج ومرامي الجمار والمطاف
والمسعى والافعال التي هي علامات الحاج يعرف بها من الاحرام والطواف والسعي
والحلق والنحر ولا الشهر الحرام اي اشهر الحج ولا الهدي وهو ما اهدي الى البيت وتقرب
به الى الله من النسائك وهي جمع هدية ولا القلائد جمع قلادة وهي ما قلد به الهدي
من نعل او عروة مزادة او لحاء شجر او غيره ولا آمين البيت الحرام ولا تحلوا قوما
قاصدين المسجد الحرام وهم الحجاج والعمار واحلال هذه الاشياء ان يتهاون بحرمة
الشعائر وان يحال بينها وبين المتنسكين بها وان يحدثوا في اشهر الحج ما يصدون به الناس

عن الحج وان يتعرض للهدى بالغصب او بالمنع من بلوغ محله واما القلائد فجاز ان يراد

بها ذوات القلايد وهى البدن وتعطف على الهدى للاختصاص لانها اشرف الهدى كقوله

وجبريل وميكائيل كانه قيل والقلائد منها خصوصا وجاز ان ينهى عن التعرض

لقلائد الهدى مبالغة للنهى عن التعرض للهدى اى ولا تحلوا قلايدها فضلا ان تحلوها

كما قال ولا يبدين زينتهن فنهى عن ابداء الزينة مبالغة فى النهى عن ابداء مواقعها

يبتغون حال من الضمير فى امين فضلا من ربهم اى ثوابا ورضوانا وان يرضى عنهم

اى لا تتعرضوا لقوم هذه صفتهم تعظيما لهم واذا حللتم خرجتم من الحرام فاصطادوا

امر اباحة للاصطياد بعد حظره عليهم لقوله غير محلى الصيد وانتم حرم ولا يجرمنكم

شنان قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا جرم مثل كسب فى تعديه الى

مفعول واحد والى اثنين تقول جرم ذنبا نحو كسبه وجرمته ذنبا نحو كسبته اياه و

اول المفعولين ضمير المخاطبين والثانى ان تعتدوا وان صدوكم متعلق بالشنان

بمعنى العلة وهو شدة البغض وسكون النون شامى وابو بكر والمعنى ولا يكسبنكم

بغض قوم لان صدوكم الاعتداء ولا يحملنكم عليه ان صدوكم على الشرط مكى وابو عمرو

ويدل على الجزاء ما قبله وهو لا يجرمنكم ومعنى صدهم اياهم عن المسجد الحرام منع

اهل مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمومنين يوم الحديبية عن العمرة ومعنى الاعتداء

الانتقام منهم بالحاق مكروه بهم وتعاونوا على البر والتقوى على العفو والاغضاء

ومعنى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان على الانتقام والتشفى او البر فعل المامور

والتقوى ترك المحظور والاثم ترك المامور والعدوان فعل المحظور ويجوز ان

يراد العموم لكل بر وتقوى وكل اثم وعدوان فيتناول بعمومه العفو والانتصار

واتقوا الله ان الله شديد العقاب لمن عصاه وما اتقاه ثم بين ما كان اهل الجاهلية

ياكلونه فقال حرمت عليكم الميتة اى البهيمة التى تموت حتف انفها والدم اى المسفوح

وهو السائل ولحم الخنزير وكله نجس وانما خص اللحم به لغير الله وهو قولهم باسم اللات

والعزى عند ذبحه والمنخنقة خنقوها حتى ماتت او انخنقت بالسكة او بغيرها

عن

منها

وما اهل لغير الله

والموقوذة

والموقوذة التى اثخنوها ضربا بعصى او حجر حتى ماتت والمتردية التى تردت

من جبل او فى بير فماتت والنطيحة المنطوحة وهى التى نطحتها اخرى فماتت بالنطح

وما اكل السبع بعضه ومات بجرحه الا ما ذكيتم الا ما ادركتم ذكاته وهو يضطرب

اضطراب المذبوح والاستثناء يرجع الى المنخنقة وما بعدها فانه اذا ادركها وبها

حيوة فذبحها وسمى عليها حلت وما ذبح على النصب كانت لهم حجارة منصوبة

حول البيت يذبحون عليها يعظمونها بذلك ويتقربون به اليها تسمى الانصاب

واحدها نصب او هو جمع والواحد نصاب وان تستقسموا بالازلام فى موضع

الرفع بالعطف على الميتة اى حرمت عليكم الميتة وكذا وكذا والاستقسام بالازلام

وهى القداح المعلمة واحدها زلم وزلم كان احدهم اذا اراد سفرا او غزوا او

تجارة او نكاحا او غير ذلك يعمد الى قداح ثلثة على واحد منها مكتوب امرنى ربى

وعلى الاخر نهانى ربى والثالث غفل فان خرج الامر مضى لحاجته وان خرج الناهى

امسك وان خرج الغفل اعاده فمعنى الاستقسام بالازلام طلب معرفة ما قسم له

مما لم يقسم له بالازلام قال الزجاج لا فرق بين هذا وبين قول المنجمين لا تخرج من

اجل نجم كذا واخرج لطلوع كذا وفى شرح التاويلات رد هذا وقال لا يقول المنجم

ان نجم كذا يامر كذا ونجم كذا ينهى عن كذا كما كان فعل اولئك ولكن المنجم جعل النجوم

دلالات وعلامات على احكام الله تعالى ويجوز ان يجعل الله تعالى فى النجوم معانى

واعلاما يدرك بها الاحكام ويستخرج بها الاشياء ولا لائمة فى ذلك انما اللائمة

عليه فيما يحكم على الله ويشهد عليه وقيل هو الميسر وقسمتهم الجزور على الانصباء

المعلومة ذلكم فسق اى الاستقسام بالازلام خروج عن الطاعة ويحتمل ان يعود الى

كل محرم فى الاية اليوم ظرف ليئس ولم يرد به يوم بعينه وانما معناه الان وهذا

كما تقول انا اليوم قد كبرت تريد الان وقيل اريد يوم نزولها وقد نزلت يوم الجمعة

وكان يوم عرفة بعد العصر فى حجة الوداع يئس الذين كفروا من دينكم ان يبطلوه

او ييئسوا من دينكم ان يغلبوه لان الله تعالى وفى بوعده من اظهاره على الدين كله

والاستثناء

فلا تخشوهم بعد اظهار الدين بعد ما كانوا غالبين واخشون بغير ياء في الوصل والوقف
اى اخلصوا الى الخشية اليوم اكملت ظرف لقوله اكملت لكم دينكم بان كفيتكم خوف عدوكم
فاظهرتكم عليهم كما يقول الملوك اليوم كمل لنا الملك اى كفينا من كنا نخافه او اكملت
لكم ما تحتاجون اليه في تكليفكم من تعليم الحلال والحرام والتوقيف على شرايع الاسلام
وقوانين القياس واتممت عليكم نعمتي بفتح مكة ودخولها امنين ظاهرين وهدم
منار الجاهلية ومناسكهم ورضيت لكم الاسلام دينا حال اى اخترته لكم من بين الاديان
واذنتكم بانه هو الدين المرضى وحده ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه
فمن اضطر متصل بذكر المحرمات وقوله ذلكم فسق اعتراض اكد به معنى التحريم وكذا
ما بعده لان تحريم هذه الخبائث من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والاسلام
المنعوت بالرضاء دون غيره من الملك ومعناه فمن اضطر الى الميتة او الى غيرها في مخمصة
مجاعة غير حال متجانف لاثم مايل الى اثم اى غير متجاوز سد الرمق فان الله غفور لا
يؤاخذه بذلك رحيم باباحة المحظور للمعذور يسالونك في السؤال معنى القول
فلذا وقع بعده ماذا احل لهم كانه قيل يقولون لك ماذا احل لهم وانما لم يقل ماذا
احل لنا حكاية لما قالوه لان يسالونك بلفظ الغيبة كقولك اقسم زيد ليفعلن ولو
قيل لافعلن واحل لنا لكان صوابا وماذا مبتداء واحل لهم خبره كقولك اى شيء احل
لهم ومعناه ماذا احل لهم من المطاعم لانهم حين تلى عليهم ما حرم عليهم من خبيثات
الماكل سالوا عما احل لهم منها فقال قل احل لكم الطيبات اى ما ليس بخبيث منها وهو
كل ما لم يات تحريمه في كتاب او سنة او اجماع او قياس وما علمتم عطف على الطيبات
اى احل لكم الطيبات وصيد ما علمتم فحذف المضاف او يجعل ما شرطية وجوابها فكلوا
من الجوارح اى الكواسب للصيد من سباع البهايم والطير كالكلب والفهد والعقاب
والصقر والبازى والشاهين وقيل هى من الجراحة فيشترط للحل الجرح مكلبين
حال من علمتم وفائدة هذه الحال مع انه استغنى عنها بعلمتم ان يكون من يعلم الجوارح
موصوفا بالتكليب والمكلب مؤدب الجوارح ومعلمها مشتق من الكلب لان التاديب

في الكلاب اكثر فاشتق من لفظه لكثرته في جنسه او لان السبع يسمى كلبا ومنه الحديث
اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فاكله الاسد تعلمونهن حال او استيناف ولا موضع
له وفيه دليل على ان كل آخذ علما ان لا ياخذه الا من اخرهم دراية فكم من آخذ عن
غير متقن قد ضيع ايامه وعض عند لقاء النحارير انامله مما علمكم الله من علم التكليب
فكلوا مما امسكن عليكم الامساك على صاحبه ان لا ياكل منه فان اكل منه لم يؤكل اذا
كان صيد كلب ونحوه فاما صيد البازى ونحوه فاكله لا يحرمه وقد عرف في
موضعه والضمير واذكروا اسم الله عليه يرجع الى ما امسكن على يعنى وسموا
عليه اذا ادركتم ذكاته او الى ما علمتم من الجوارح اى سموا عليه عند ارساله و
اتقوا الله واحذروا مخالفة امره في هذا كله ان الله سريع الحساب انه محاسبكم
على افعالكم ولا يلحقه فيه لبث اليوم الان احل لكم الطيبات كرره تاكيد اللمنة
وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم اى ذبايحهم لان ساير الاطعمة لا يختص حلها
بالملة وطعامكم حل لهم فلا جناح عليكم ان تطعموهم لانه لو كان حراما عليهم طعام
المؤمنين لما ساغ لهم اطعامهم والمحصنات من المؤمنات هى الحرائر والعفائف
وليس هنا بشرط لصحة النكاح بل هى الاستحباب لانه يصح نكاح الامة من المسلمات
ونكاح غير العفائف وليس وتخصيصهن بعث على تخير المؤمنين لنطفهم وهو
معطوف على الطيبات او مبتداء والخبر محذوف اى والمحصنات من المومنات
حل لكم والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم هى الحرائر الكتابيات و
العفائف الكتابيات اذا آتيتموهن اجورهن اعطيتموهن مهورهن محصنين
غير مسافحين متزوجين غير زانين ولا متخذى اخدان صدايق والخدن يقع
على الذكر والانثى ومن يكفر بالايمان بشرايع الاسلام وما احل الله وحرم فقد
حبط بطل عمله وهو في الاخرة من الخاسرين يا ايها الذين امنوا اذا قمتم الى
الصلوة فاغسلوا وجوهكم اى اذا اردتم القيام الى الصلوة كقوله فاذا قرات
القران اى اذا اردت ان تقراء القران فعبر عن ارادة الفعل بالفعل لان الفعل

مسبب من الارادة فاقيم المسبب مقام السبب للملابسة بينهما طلبا للايجاز ونحوه كما
تدين تدان عبر عن الفعل المبتداء الذى هو سبب الجزاء بلفظ الجزاء الذى هو
مسبب عنه وتقديره وانتم محدثون عن ابن عباس رضا ومن النوم لانه دليل
الحدث وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء يتوضون لكل صلوة وقيل كان
الوضوء لكل صلوة وقيل كان الوضوء لكل صلوة واجبا اولما فرض ثم نسخ وايديكم
الى المرافق الى تفيد معنى الغاية مطلقا فاما دخولها فى الحكم وخروجها فامر يدور
مع الدليل فمما فيه دليل على الخروج فنظرة الى ميسرة لان الاعسار علة الانظار
وبوجود الميسرة نزول العلة ولو دخلت الميسرة فيه لكان منظرا فى الحالتين معسرا
وموسرا وكذلك اتموا الصيام الى الليل لو دخل الليل لوجب الوصال ومما فيه دليل
على الدخول قولك حفظت القران من اوله الى اخره لان الكلام مسبوق لحفظ
القران كله ومنه قوله تعالى من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى لوقوع العلم بانه لايسرى
به الى بيت المقدس من غير ان يدخله وقوله الى المرافق لادليل فيه على احد الامرين
فاخذ الجمهور بالاحتياط فحكموا بدخولها فى الغسل واخذ داود وزفر بالمتيقن فلم
يدخلاها وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان يدير الماء على مرفقيه وامسحوا برؤسكم
المراد الصاق المسح بالراس وماسح بعضه ومستوعبه بالمسح كلاهما ملصق للمسح
براسه واخذ مالك بالاحتياط فاوجب الاستيعاب والشافعى باليقين فاوجب
اقل ما يقع عليه اسم المسح واخذنا ببيان النبى صلى الله عليه وسلم وهو ما روى انه
مسح على ناصيته وقدر الناصية بربع الراس وارجلكم الى الكعبين بالنصب شامى
ونافع وعلى وحفص والمعنى فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق وارجلكم الى الكعبين
وامسحوا برؤسكم على التقديم والتاخير وغيرهم بالجر بالعطف على الراس لان الارجل
من بين الاعضاء الثلثة المغسولة تغسل بصب الماء عليها فكانت مظنة للاسراف
المنهى عنه فعطفت على الممسوح لا لتمسح ولكن لينبه على وجوب الاقتصاد فى صب
الماء عليها وقيل الى الكعبين فجيء بالغاية اماطة لظن ظان يحسبها ممسوحة لان المسح

لم تضرب له غاية فى الشريعة وقال جامع العلوم انها مجرورة للجوار وقد صح انه
عليه الصلوة والسلام راى قوما يمسحون على ارجلهم فقال ويل للاعقاب من
النار وعن عطاء والله ما علمت ان احدا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
مسح على القدمين وانما امر بغسل هذه الاعضاء ليطهرها من الاوساخ التى
يتصل بها لانها تبدو كثيرا والصلوة خدمة الله تعالى والقيام بين يديه متطهرا من
الاوساخ اقرب الى التعظيم فكان اكمل فى الخدمة كما فى الشاهد اذا اراد ان يقوم بين
يدى الملك ولهذا قيل ان الاولى ان يصلى الرجل فى احسن ثيابه وان الصلوة متعمما
افضل من الصلوة مكشوف الراس لما ان ذلك ابلغ فى التعظيم وان كنتم جنبا فاطهروا
فاغتسلوا ابدانكم وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم قال الزازى معناه وجاء
حتى لا يلزم المريض والمسافر التيمم بلا حدث من الغائط المكان المطمئن وهو كناية
عن قضاء الحاجة او لامستم النساء جامعتم فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا
فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج فى باب الطهارة
حتى لا يرخص لكم فى التيمم ولكن يريد ليطهركم بالتراب اذا اعوزكم التطهر بالماء
وليتم نعمته عليكم وليتم برخصه انعامه عليكم بعزائمه لعلكم تشكرون نعمته فيثيبكم
واذكروا نعمة الله عليكم بالاسلام وميثاقه الذى واثقكم به اذ قلتم سمعنا واطعنا
اى عاقدكم به عقدا وثيقا وهو الميثاق الذى اخذه على المسلمين حين بايعهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالسمع والطاعة فى حال اليسر والعسر والمنشط والمكره فقبلوا و
قالوا سمعنا واطعنا وقيل هو الميثاق ليلة العقبة او فى بيعة الرضوان واتقوا
الله فى نقض الميثاق ان الله عليم بذات الصدور بسرائر الصدور من الخير والشر
وهو وعد ووعيد يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط بالعدل
ولا يجرمنكم شنان قوم على ان لا تعدلوا عدى يجرمنكم بحرف الاستعلاء مضمنا معنى
فعل يتعدى به كانه قيل ولا يحملنكم بغض قوم على ترك العدل فيهم اعدلوا هو اقرب للتقوى
اى العدل اقرب الى التقوى نهاهم اولا ان يحملهم البغضاء على ترك العدل ثم استانف

فصرح لهم الامر بالعدل تاكيدا وتشديدا ثم استانف فذكرهم وجه الامر بالعدل وهو قوله
هو اقرب للتقوى واذا كان وجوب العدل مع الكفار بهذه الصفة من القوة فما الظن
بوجوبه مع المومنين الذين هم اولياؤه واتقوا الله فيما امر ونهى ان الله خبير
بما تعملون وعد ووعيد ولذا ذكر بعدها آية الوعد وهو قوله وعد الله الذين امنوا
وعملوا الصالحات وعد يتعدى الى المفعولين فالاول الذين امنوا والثاني محذوف
واستغنى عنه بالجملة التي هي قوله لهم مغفرة واجر عظيم والوعيد وهو قوله والذين
كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم اى لا يفارقونها يا ايها الذين امنوا اذكروا
نعمة الله عليكم اذ هم قوم روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى بنى قريظة ومعه
الشيخان والختنان ان يستقرضهم دية مسلمين قتلهما عمرو بن امية الضمري خطا يحسبهما
مشركين فقالوا نعم يا ابا القسم اجلس حتى نطعمك ونقرضك فاجلسوه في صفة وهموا
بالقتل به وعمد عمرو بن جحاش الى رحى عظيمة يطرحها عليه فامسك الله يده ونزل
جبرئيل فاخبره بذلك فخرج النبي صلى الله عليه وسلم ونزلت الآية اذ ظرف للنعمة ان
يبسطوا بان يبسطوا اليكم ايديهم بالقتل يقال بسط اليه لسانه اذا شتمه وبسط اليه
يده اذا بطش به ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء ومعنى بسط اليد مدها الى
المبطوش به فكف ايديهم عنكم فمنعها ان تمد اليكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل
المؤمنون فانه الكافي والدافع والمانع ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم
اثني عشر نقيبا هو الذي ينقب عن احوال القوم ويفتش عنها ولما استقر بنو اسرائيل
بمصر بعد هلاك فرعون امرهم الله بالمسير الى اريحا ارض الشام وكان يسكنها الكنعانيون
الجبابرة وقال لهم اني كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا اليها وجاهدوا من فيها واني ناصركم
وامر الله موسى عليه السلام بان ياخذ من كل سبط نقيبا يكون كفيلا على قومه بالوفاء
بما امروا به فاختار النقباء واخذ الميثاق على بني اسرائيل وتكفل لهم به النقباء وسار
بهم فلما دنا من ارض كنعان بعث النقباء يتجسسون فراوا اجراما عظيمة وقوة وشوكة
فهابوا ورجعوا وحدثوا قومهم وقد نهاهم ان يحدثوهم فنكثوا الميثاق الا كالب

بن يوفنا وكانا من النقباء وقال الله اني معكم اى ناصركم ومعينكم وتقف هنا لابتدائك
بالشرط الداخل عليه اللام الموطئة للقسم وهو لئن اقمتم الصلوة وآتيتم الزكوة وكانتا
فريضتين عليهم وآمنتم برسلي من غير تفريق بين احد منهم وعزرتموهم عظمتموهم
او نصرتموهم بان تردوا عنهم اعداءهم والعزر في اللغة الردع يقال عزرت فلانا اى
ادبته يعني فعلت به ما يردعه عن القبيح كذا قال الزجاج واقرضتم الله قرضا حسنا
بلا من وقيل هو كل خير واللام في لاكفرن عنكم سياتكم جواب للقسم وهذا الجواب
ساد مسد جواب القسم والشرط جميعا ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار
فمن كفر بعد ذلك منكم اى بعد ذلك الشرط المؤكد المعلق بالوعد العظيم فقد ضل
سواء السبيل اخطا طريق الحق نعم من كفر قبل ذلك فقد ضل سواء السبيل ايضا ولكن
الضلال بعده اظهر واعظم فبما نقضهم ميثاقهم ما زائدة افادت تفخيم الامر لعناهم
طردناهم واخرجناهم من رحمتنا او مسخناهم او ضربنا عليهم الجزية وجعلنا قلوبهم
قاسية يابسة لا رحمة فيها ولا لين قسية حمزة وعلي اى ردية من قولهم درهم قسي
اى ردى يحرفون الكلم عن مواضعه يفسرونها على غير ما انزل وهو بيان لقسوة
قلوبهم لانه لا قسوة اشد من الافتراء على الله وتغيير وحيه ونسوا حظا
وتركوا نصيبا جزيلا وقسطا وافيا مما ذكروا به من التورية يعني ان تركهم و
اعراضهم عن التورية اغفال حظ عظيم او قست قلوبهم وفسدت فحرفوا التورية
وزلت اشياء منها عن حفظهم وعن ابن مسعود قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية
وتلا هذه الآية او تركوا نصيب انفسهم مما امروا به من الايمان بمحمد صلى الله
عليه وسلم وبيان نعته ولا تزال يا محمد تطلع على خائنة منهم اى هذه عادتهم وكان
عليها اسلافهم كانوا يخونون الرسل وهؤلاء يخونونك ويهمون بالفتك بك وقوله
على خائنة اى على خيانة او على فعلة ذات خيانة او على نفس او فرقة خائنة ويقال
رجل راوية للشعر للمبالغة الا قليلا منهم وهم الذين امنوا منهم فاعف عنهم بعث
على مخالفتهم او فاعف عن مومنهم ولا تؤاخذهم بما سلف منهم واصفح ان الله يحب

المحسنين ومن قوله ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم وهو الايمان بالله و
الرسل وافعال الخير يتعلق باخذنا اى واخذنا من الذين قالوا انا نصارى ميثاقهم فقدم
على الفعل الجار والمجرور وفصل بين الفعل والواو بالجار والمجرور وانما لم يقل من النصارى
لانهم انما سموا انفسهم بذلك ادعاء لنصرة الله وهم الذين قالوا لعيسى نحن انصار الله
ثم اختلفوا بعد نسطورية ويعقوبية وملكانية انصارا للشيطان فنسوا حظا مما ذكروا
به فاغرينا فالصقنا والزمنا من غرى بالشيء اذا لزمه ولصق به ومنه الغراء الذى
يلصق به بينهم بين فرق النصارى المختلفين العداوة والبغضاء الى يوم القيمة بالاهواء
المختلفة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون اى فى القيمة بالجزاء والعقاب يا اهل
الكتاب خطاب لليهود والنصارى والكتاب للجنس قد جاءكم رسولنا محمد عليه الصلوة
والسلام يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب من نحو صفة رسول الله صلى الله
عليه وسلم ومن نحو الرجم ويعفوا عن كثير مما تخفونه لا يبينه او يعفو عن كثير منكم لا
يؤاخذه قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يريد القران لكشفه ظلمات الشرك و
الشك ولابانته ما كان خافيا على الناس من الحق او لانه ظاهر الاعجاز او النور محمد
صلى الله عليه وسلم لانه يهتدى به كما سمى سراجا يهدى به الله اى بالقران من اتبع رضوانه
من آمن منهم سبل السلام طرق السلامة والنجاة من عذاب الله او سبل الله فالسلام
السلامة او الله ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه من ظلمات الكفر الى نور
الاسلام ويهديهم الى صراط مستقيم لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم
معناه بتوا القول على ان الله هو المسيح لا غير قيل كان فى النصارى قوم يقولون ذلك
او لان مذهبهم يؤدى اليه حيث اعتقدوا انه يخلق ويحيى ويميت قل فمن يملك من
الله شيئا فمن يمنع من قدرته ومشيته شيئا ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه
ومن فى الارض جميعا اى ان اراد ان يهلك من دعوه الها من المسيح وامه يعنى ان المسيح
عبد مخلوق كسائر العباد وعطف من فى الارض جميعا على المسيح وامه ابانة انهما من
جنسهم لا تفاوت بينهما وبينهم والمعنى ان من اشتمل عليه رحم الامومية متى يفارقه نقص

البشرية ومن لاحت عليه شواهد الحدثية انى يليق به نعت الربوبية ولو قطع
البقاء عن جميع ما اوجد ثم يعد نقص الى الصمدية ولله ملك السموات والارض
وما بينهما يخلق ما يشاء اى يخلق من ذكر وانثى ويخلق من انثى بلا ذكر كما خلق عيسى
ويخلق من غير ذكر وانثى كما خلق ادم ويخلق من ذكر بلا انثى كما خلق حوا من ادم او يخلق
ما يشاء كخلق الطير على يد عيسى معجزة له فلا اعتراض عليه لانه الفعال لما يريد والله
على كل شىء قدير وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه اى اعزة عليه
كالابن على الاب او اشياع ابنى الله عزيز والمسيح كما قيل لاشياع ابى خبيب وهو عبد الله
بن الزبير الخبيبون وكما كان يقول رهط مسيلمة نحن ابناء الله ويقول اقرباء الملك
وحشمه نحن ابناء الملوك او نحن ابناء رسل الله قل فلم يعذبكم بذنوبكم اى فان
صح انكم ابناء الله واحباءه فلم تعذبون بذنوبكم بالمسخ والنار اياما معدودة
على زعمكم وهل يمسخ الاب ولده وهل يعذب الوالد ولده بالنار ثم قال ردا عليهم
بل انتم بشر ممن خلق اى انتم خلق من خلقه فلا بنوة يغفر لمن يشاء لمن تاب عن الكفر
فضلا ويعذب من يشاء من مات عليه عدلا ولله ملك السموات والارض وما
بينهما واليه المصير فيه تنبيه على عبودية المسيح لان الملك والنبوة متنافيان
يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم يبين لكم اى الشرائع وحذف
لظهوره او ما كنتم تخفون وحذف لتقدم ذكره او لا يقدر المبين ويكون المعنى
يبذل لكم البيان وهو حال اى مبينا لكم على فترة من الرسل متعلق بجاءكم اى جاءكم
على حين فتور من ارسال الرسل وانقطاع من الوحى وكان بين عيسى ومحمد صلى الله
عليه وسلم ستمائة سنة او خمسمائة وستون سنة ان تقولوا كراهة ان تقولوا ما جاءنا
من بشير ولا نذير والفاء فى فقد جاءكم متعلق بمحذوف اى لا تعتذروا فقد جاءكم
بشير للمؤمنين ونذير للكافرين والمعنى الامتنان عليهم بان الرسول بعث اليهم حين
انطمست آثار الوحى احوج ما يكونون اليه ليهشوا اليه ويعدوه اعظم نعمة من الله
ويلزمهم الحجة فلا يعتلوا غدا بانه لم يرسل اليهم من ينبههم عن غفلتهم والله على

كل شيء قدير فكان قادرا على ارسال محمد صلى الله عليه وسلم ضرورة واذ قال موسى لقومه
يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء لانه لم يبعث في امة ما بعث في بني اسرائيل
من الانبياء وجعلكم ملوكا لانه ملكهم بعد فرعون ملكه وبعد الجبابرة ملكهم ولان
الملوك تكاثروا فيهم تكاثر الانبياء وقيل الملك من له مسكن واسع فيه ماء جار او
كانت منازلهم واسعة فيها مياه جارية وقيل من له بيت وخدم ولانهم كانوا مملوكين
في ايدي القبط فانقذهم الله فسمى انقاذهم ملكا واتيكم ما لم يؤت احدا من العالمين
من فلق البحر واغراق العدو وانزال المن والسلوى وتظليل الغمام ونحو ذلك
من الامور العظام او اراد عالمي زمانهم يا قوم ادخلوا الارض المقدسة اي المطهرة
او المباركة وهي ارض بيت المقدس او الشام التي كتب الله لكم قسمها لكم وسماها او
كتب في اللوح المحفوظ انها مساكن لكم ولا ترتدوا على ادباركم ولا ترجعوا على اعقابكم
مدبرين منهزمين من خوف الجبابرة جبنا او لا ترتدوا على ادباركم في دينكم فتنقلبوا
خاسرين فترجعوا خاسرين ثواب الدنيا والاخرة قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين
الجبار فعال من جبره على الامر بمعنى اجبره عليه وهو العاتي الذي يجبر الناس على ما
يريده وانا لن ندخلها بالقتال حتى يخرجوا منها بغير قتال فان يخرجوا منها بلا قتال
فانا داخلون بلادهم حينئذ قال رجلان كالب ويوشع من الذين يخافون الله
ويخشونه كانه قيل رجلان من المتقين وهو في محل الرفع صفة لرجلان وكذا انعم
الله عليهما بالخوف منه ادخلوا عليهم الباب اي باب المدينة فاذا دخلتموه فانكم
غالبون اي انهزموا وكانت الغلبة لكم وانما علما ذلك باخبار موسى عليه السلام
وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين اذ الايمان به يقتضي التوكل عليه وهو قطع
العلايق وترك التملق للخلايق قالوا يا موسى انا لن ندخلها هذا نفي لدخولهم في المستقبل
على وجه التاكيد ابدا تعليق للنفي المؤكد بالدهر المتطاول ما داموا فيها بيان للابد
فاذهب انت وربك من العلماء من حمله على الظاهر وقال انه كفر منهم وليس كذلك اذ
لو قالوا ذلك اعتقادا وكفرا به لحاربهم موسى ولم تكن مقاتلة الجبارين اولى من

مقاتلة الجبارين اولى من مقاتلة هؤلاء ولكن الوجه فيه ان يقال اذهب انت وربك
اي يعينك على قتالك او وربك اي وسيدك وهو اخوك الاكبر هارون اولم يرد
به حقيقة الذهاب ولكن كما تقول كلمته فذهب يجيبني تريد معنى الارادة كانهم قالوا
اريدا قتالهم فقاتلا انا هاهنا قاعدون ماكثون لا نقاتلهم لنصرة دينكم قال رب اني
لا املك الا نفسي واخي هو منصوب بالعطف على نفسي او على اسم ان اي اني لا املك
الا نفسي وان اخي لا يملك الا نفسه او مرفوع بالعطف على محل ان واسمها او على
الضمير في لا املك وجاز للفصل اي ولا يملك اخي الا نفسه او هو مبتدا والخبر
محذوف اي واخي كذلك وهذا من البث والشكوى الى الله ورقة القلب التي بمثلها
تستجلب الرحمة وتستنزل النصرة وكانه لم يثق بالرجلين المذكورين كل الوثوق فلم
يذكر الا النبي المعصوم او اراد ومن يواخي على ديني فافرق بيننا وبين القوم
الفاسقين فافصل بيننا وبينهم بان تحكم لنا بما وعدتنا وتحكم عليهم بما هم اهله وهو
في معنى الدعاء عليهم او فباعد بيننا وبينهم وخلصنا من صحبتهم كقوله ونجني من
القوم الظالمين قال فانها اي الارض المقدسة محرمة عليهم لا يدخلونها وهو تحريم
منع لا تحريم تعبد كقوله وحرمنا عليه المراضع والمراد بقوله كتب الله لكم اي بشرط
ان تجاهدوا اهلها فلما ابوا الجهاد قيل فانها محرمة عليهم او المراد فانها محرمة
عليهم اربعين سنة فاذا مضى الاربعون كان ما كتب فقد سار موسى عليه السلام بمن
بقي من بني اسرائيل وكان يوشع على مقدمته ففتحها واقام فيها ما شاء الله ثم قبض
واربعين ظرف التحريم والوقف على سنة او ظرف يتيهون في الارض اي يسيرون
فيها متحيرين لا يهتدون طريقا اربعين سنة والوقف على عليهم وانما عوقبوا بالحبس
لاختيارهم المكث فكانوا مع شدة سيرهم يصبحون حيث امسوا ويمسون حيث
اصبحوا في ستة فراسخ ولما ندم على الدعاء عليهم قيل له فلا تاس على القوم الفاسقين
فلا تحزن عليهم لانهم فاسقون قيل لم يكن موسى وهرون معهم في التيه لانه كان
عقابا وقد سال موسى ربه ان يفرق بينه وبينهم وقيل كانا معهم الا انه كان ذلك

روحا لهما وسلاما لا عقوبة ومات هارون فى التيه وموسى فيه بعده بسنة ومات
النقباء فى التيه الا كالب ويوشع ثم امر الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم ان يقص
على حاسديه ما جرى بسبب الحسد ليتركوه ويومنوا به بقوله واتل عليهم على اهل
الكتاب نبا ابنى آدم من صلبه هابيل وقابيل او هما رجلان من بنى اسرائيل بالحق نباء
ملتبسا بالصدق موافقا لما فى كتب الاولين او تلاوة ملتبسة بالحق والصحة او واتل
عليهم وانت محق صادق اذ قربا نصب بالنباء اى قصتهم وحديثهم فى ذلك الوقت
او بدل من النباء اى اتل عليهم نباء ذلك الوقت على تقدير حذف المضاف قربانا ما يتقرب
به الى الله من نسيكة او صدقة يقال قرب صدقة وتقرب بها لان التقرب مطاوع
قرب والمعنى اذ قرب كل واحد منهما قربانا دليله فتقبل من احدهما اى قربانه وهو
هابيل ولم يتقبل من الآخر قربانه وهو قابيل روى انه اوحى الله تعالى الى آدم ان يزوج
كل واحد منهما توءمة الاخر وكانت توءمة قابيل اجمل واسمها اقليما فحسد عليها اخاه
وسخط فقال لهما آدم قربا قربانا فمن ايكما قبل يتزوجها فتقبل قربان هابيل بان نزلت
نار فاكلته فازداد قابيل حسدا وسخطا وتوعده بالقتل وهو قوله قال لاقتلنك قال
اى هابيل انما يتقبل الله من المتقين وتقديره قال لم تقتلنى قال لان الله تعالى قبل قربانك
ولم يتقبل قربانى فقال انما يتقبل الله من المتقين وانت غير متق فانما اتيت من قبل
نفسك لانسلاخها من لباس التقوى لا من قبلى وعن عامر بن عبد الله انه بكى حين
حضرته الوفاة فقيل له ومايبكيك وقد كنت كيت وكيت قال انى اسمع الله يقول انما
يتقبل الله من المتقين قال لئن بسطت مددت الى يدك لتقتلنى ما انا بباسط بماد
يدى مدنى ابو عمرو وحفص والباقية يدى اليك لاقتلك انى اخاف الله رب
العالمين قيل كان اقوى من القاتل وابطش منه ولكن تحرج عن قتل اخيه واستسلم له
خوفا من الله تعالى لان الدفع لم يكن مباحا فى ذلك الوقت وقيل بل كان ذلك واجبا
فان فيه اهلاك نفسه ومشاركة للقاتل فى اثمه وانما معناه ما انا بباسط يدى اليك
مبتدئا بقصدك ذلك منى وكان عازما على انه فعله اذا قصد قتله وانما قتله فتكا على

منه انى اخاف حجازى وابو عمرو وانى اخاف اريد مدنى ابو عمرو ان تبوء ان تحتمل او ترجع باثمى باثم
قتلى اذا قتلتنى واثمك الذى لاجله لم يتقبل قربانك وهو عقوق الاب والحسد والحقد وانما
اراد ذلك لكفره برد قضية الله تعالى او كان ظالما وجزاء الظالم جائز ان يراد فتكون
من اصحاب النار وذلك جزاء الظالمين فطوعت له نفسه قتل اخيه فوسعته ويسرته
من طاع له المرتع اذا اتسع فقتله عند عقبة حراء او بالبصرة والمقتول ابن عشرين سنة
فاصبح من الخاسرين فبعث الله غرابا يبحث فى الارض ليريه اى الله او الغراب كيف
يوارى سوءة اخيه عورة اخيه وما لا يجوز ان ينكشف من جسده روى انه اول قتيل
قتل على وجه الارض من بنى آدم ولما قتله تركه بالعراء لا يدرى ما يصنع به فخاف عليه
السباع فحمله فى جراب على ظهره سنة حتى اروح وعكفت عليه السباع فبعث الله غرابين
فاقتتلا فقتل احدهما الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه ثم القاه فى الحفرة فـ قال يا ويلتى
اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب فاوارى عطف على اكون سوءة اخى فاصبح من النادمين
على قتله لما تعب فيه من حمله وتحيره فى امره ولم يندم ندم التائبين او كان الندم توبة
لنا خاصة او على حمله لا على قتله وروى انه لما قتله اسود جسده وكان ابيض فسأله
فسأله آدم عن اخيه فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذا اسود جسدك فالسود
فالسودان من ولده وشاع وكان آدم رثاه بشعر فلا يصح لان الانبياء عليهم السلام معصومون
من الشعر من اجل ذلك بسبب ذلك وبعلته وذلك اشارة الى القتل المذكور وقيل هو
متصل بالآية الاولى فيوقف على ذلك اى فاصبح من النادمين لاجل حمله او لاجل قتله
وقيل هو مستانف والوقف على النادمين ومن يتعلق بكتبنا لا بالنادمين كتبنا على
بنى اسرائيل خصهم بالذكر وان اشترك الكل فى ذلك لان التورية اول كتاب فيه الاحكام
انه من قتل نفسا الضمير للشان ومن شرطية بغير نفس بغير قتل نفس او فساد فى الارض
عطف على نفس اى بغير فساد فى الارض وهو الشرك او قطع الطريق او كل فساد يوجب
القتل فكانما قتل الناس جميعا اى فى الذنب عن الحسن لان قاتل النفس جزاؤه جهنم و
غضب الله عليه والعذاب العظيم ولو قتل الناس جميعا لم يزد على ذلك ومن احياها

ومن استنقذها من بعض اسباب الهلكة قتل او غرق او حرق او هدم او غير ذلك فكانما
احيا الناس جميعا جعل قتل الواحد كقتل الجميع وكذلك الاحياء ترغيبا وترهيبا لان
المتعرض لقتل النفس اذا تصور ان قتلها كقتل الناس جميعا عظم ذلك عليه فثبطه و
كذا الذى اراد احياءها اذا تصور ان حكمه كحكم احياء جميع الناس رغب فى احياءها
ولقد جاءتهم اى بنى اسرائيل رسلنا رسلنا ابو عمرو بالبينات بالايات الواضحات
ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك بعدما كتبنا عليهم وبعد مجئ الرسل بالايات فى الارض
لمسرفون فى القتل لا يبالون بعظمته انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله اى اولياء
الله فى الحديث يقول الله تعالى من اهان لى وليا فقد بارزنى بالمحاربة ويسعون فى
الارض فسادا مفسدين ويجوز ان يكون مفعولا له اى للفساد وخبر جزاء ان يقتلو
وما عطف عليه وافاد التشديد الواحد بعد الواحد ومعناه ان يقتلوا من غير صلب
ان افردوا القتل او يصلبوا مع القتل ان جمعوا بين القتل واخذ المال او تقطع ايديهم
وارجلهم ان اخذوا المال من خلاف حال من الايدى والارجل اى مختلفة او ينفوا من الارض
بالحبس اذا لم يزيدوا على الاخافة ذلك المذكور لهم خزى فى الدنيا ذل وفضيحة ولهم
فى الاخرة عذاب عظيم الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم فيسقط عنهم هذه الحدود
لا ما هو حق العباد فاعلموا ان الله غفور رحيم يغفر لهم بالتوبة ويرحمهم فلا يعذبهم
يا ايها الذين امنوا اتقوا الله فلا تؤذوا عباد الله وابتغوا اليه الوسيلة هى كل ما
يتوسل به اى يتقرب من قرابة او صنيعة او غير ذلك فاستعيرت لما يتوسل به الى الله
من فعل الطاعات وترك السيات وجاهدوا فى سبيله لعلكم تفلحون ان الذين كفروا
لو ان لهم ما فى الارض جميعا من صنوف الاموال ومثله معه وانفقوها ليفتدوا به
ليجعلوه فدية لانفسهم ولو مع ما فى حيزه خبر ان ووحد الراجع فى ليفتدوا به وقد
ذكر شيان لانه اجرى الضمير مجرى اسم الاشارة كانه قيل ليفتدوا بذلك من عذاب يوم
القيمة ما تقبل منهم ولهم عذاب اليم فلا سبيل لهم الى النجاة بوجه يريدون يطلبون او
يتمنون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم دايم والسارق

والسارقة

والسارقة ارتفعا بالابتداء والخبر محذوف تقديره وفيما يتلى عليكم السارق والسارقة
او الخبر فاقطعوا ايديهما اى يديهما والمراد اليمينان بدليل قراءة عبد الله ودخول الفاء
لتضمنها معنى الشرط لان المعنى والذى سرق والتى سرقت فاقطعوا ايديهما والاسم
الموصول تضمن معنى الشرط وبدا بالرجل لان السرقة من الجراءة وهى فى الرجال اكثر
واخر الزانى لان الزنى ينبعث من الشهوة وهى فى النساء اوفر وقطعت اليد لانها
الة السرقة ولم تقطع الة الزنى تفاديا عن قطع النسل جزاء بما كسبا مفعول له نكالا
من الله عقوبة منه وهو بدل من جزاء والله عزيز غالب لا يعارض فى حكمه حكيم
فيما حكم من قطع يد السارق والسارقة فمن تاب من السراق من بعد ظلمه سرقته واصلح
برد المسروق فان الله يتوب عليه يقبل توبته ان الله غفور رحيم يغفر ذنبه و
يرحمه الم تعلم يا محمد او يا مخاطب ان الله له ملك السموات والارض يعذب من يشاء
من مات على الكفر ويغفر لمن يشاء لمن تاب عن الكفر والله على كل شئ من التعذيب
والمغفرة وغيرها قدير قادر وقدم التعذيب على المغفرة هنا لتقدم السرقة على
التوبة يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر اى لا تهتم ولا تبال
بمسارعة المنافقين فى الكفر اى فى اظهاره بما يلوح منهم من اثار الكيد للاسلام ومن
موالاة المشركين فانى ناصرك عليهم وكافيك شرهم يقال اسرع فيه الشيب اى وقع
فيه سريعا فكذلك مسارعتهم فى الكفر ووقوعهم فيه اسرع شئ اذا وجدوا فرصة
لم يخطؤها من الذين قالوا تبيين لقوله الذين يسارعون فى الكفر امنا مفعول
قالوا بافواههم متعلق بقالوا اى قالوا بافواههم امنا ولم تؤمن قلوبهم فى محل النصب
على الحال ومن الذين هادوا معطوف على من الذين قالوا اى من المنافقين واليهود
ويرتفع سماعون للكذب على انه خبر مبتدا مضمر اى هم سماعون والضمير للفريقين
او سماعون مبتدا وخبره من الذين هادوا وعلى هذا يوقف على قلوبهم وعلى الاول
على هادوا ومعنى سماعون للكذب يسمعون منك ليكذبوا عليك بان يمسخوا ما سمعوه
منك بالزيادة والنقصان والتبديل والتغيير سماعون لقوم آخرين لم ياتوك اى سماعون

منك لاجل قوم اخرين من اليهود وجهوهم عيونا ليبلغوهم ما سمعوا منك يحرفون
الكلم من بعد مواضعه اى يميلونه ويميلونه عن مواضعه التى وضعها الله فيها
فيهملونه بغير مواضع بعد ان كان ذا مواضع يحرفون صفة لقوم كقوله لم ياتوك
او خبر لمبتداء محذوف اى هم يحرفون والضمير مردود على لفظ الكلم يقولون ان
اوتيتم هذا المحرف المزال عن مواضعه ويقولون مثل يحرفون وجاز ان يكون حالا
من الضمير فى يحرفون فخذوه واعلموا انه الحق واعملوا به وان لم تؤتوه واتاكم محمد
صلى الله عليه وسلم بخلافه فاحذروا وايّاكم واياه فهو الباطل روى ان شريفا زنى بشريفة
بخيبر وهما محصنان وحدهما الرجم فى التورية فكرهوا رجمهما لشرفهما فبعثوا رهطا منهم
ليسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقالوا ان امركم بالجلد والتحميم فاقبلوا
وان امركم بالرجم فلا تقبلوا فامرهم بالرجم فابوا ان ياخذوا به ومن يرد الله فتنته
ضلالته وهو حجة على من يقول يريد الله الايمان ولا يريد الكفر فلن تملك له من الله
شيئا وقطع رجاء محمد صلى الله عليه وسلم عن ايمان هؤلاء اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر
قلوبهم من الكفر لعلمه منهم اختيار الكفر وهو حجة لنا عليهم ايضا لهم فى الدنيا خزى للمنافق
فضيحة ولليهود جزية ولهم فى الاخرة عذاب عظيم اى التخليد فى النار سماعون للكذب
كرر للتاكيد اى هم سماعون ومثله اكالون للسحت هو كل ما لا يحل كسبه وهو من سحته
اذا استاصله لانه مسحوت البركة وفى الحديث هو الرشوة فى الحكم وكانوا ياخذون الرشا
على الاحكام وتحليل الحرام وبالتثقيل مكى وبصرى وعلى فان جاؤك فاحكم بينهم او اعرض
عنهم قيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مخيرا اذا تحاكم اليه اهل الكتاب بين ان يحكم بينهم
وبين ان لا يحكم وقيل نسخ التخيير بقوله وان احكم بينهم بما انزل الله وان تعرض عنهم فلن
يضروك شيئا فلن يقدروا على الاضرار بك لان الله يعصمك من الناس وان حكمت
فاحكم بينهم بالقسط بالعدل ان الله يحب المقسطين العادلين وكيف يحكمونك و
عندهم التورية فيها حكم الله تعجيب من تحكيمهم لمن لا يؤمنون به وبكتابه مع ان الحكم
منصوص فى كتابهم الذين يدعون الايمان به فيها حكم الله حال من التورية وهى مبتداء وخبره

عنهم ثم يتولون من بعد ذلك عطف على يحكمونك اى ثم امرضون من بعد تحكيمك
عن حكمك الموافق لما فى كتابهم لا يرضون به وما اولئك بالمؤمنين بك او بكتابهم
كما يدعون انا انزلنا التورية فيها هدى يهدى للحق ونور يبين ما استبهم من
الاحكام يحكم بها النبيون الذين اسلموا انقادوا لحكم الله فى التورية وهو صفة اجريت
للنبيين على سبيل المدح واريد باجرائها التعريض باليهود لانهم بعدا من ملة الاسلام التى
هى دين الانبياء كلهم عليهم السلام للذين هادوا تابوا من الكفر واللام يتعلق بيحكم والربا
والربانيون والاحبار معطوفان على النبيون اى الزهاد والعلماء بما استحفظوا استودعوا
استودعوا قيل يجوز ان يكون بدلا من بها فى يحكم بها من كتاب الله من للتبيين والضمير
فى استحفظوا للانبياء والربانيين والاحبار جميعا ويكون الاستحفاظ من الله اى كلفهم
الله حفظه او للربانيين والاحبار ويجوز ان يكون الاستحفاظ من الانبياء وكانوا
عليه شهداء رقباء لئلا يبدل فلا تخشوا الناس نهى للحكام عن خشيتهم غير الله فى
حكوماتهم وامضائها على خلاف ما امروا به من العدل لخشية سلطان ظالم او خيفة اذية
احد واخشون فى مخالفة امرى وبالياء فيهما سهل وافقه ابو عمرو فى الوصل ولا تشتروا
باياتى ولا تستبدلوا بآيات الله واحكامه ثمنا قليلا وهو الرشوة وابتغاء الجاه ورضى
الملك ومن لم يحكم بما انزل الله مستهينا به فاولئك هم الكافرون قال ابن عباس رضى الله عنهما
من لم يحكم بما انزل الله جاحدا فهو كافر وان لم يكن جاحدا فهو فاسق ظالم وقال ابن
مسعود رض هو عام فى اليهود وغيره وكتبنا عليهم فيها وفرضنا على اليهود فى التورية
ان النفس ماخوذة بالنفس مقتولة بها اذا قتلتها بغير حق والعين مفقوءة بالعين
والانف مجدوع بالانف والاذن مقطوعة بالاذن والسن مقلوعة بالسن والجروح
قصاص اى ذات قصاص وهو المقاصة ومعناه ما يمكن فيه القصاص والا فحكومة عدل
وعن ابن عباس رضى الله عنهما كانوا لا يقتلون الرجل بالمراة فنزلت وقوله ان النفس بالنفس
يدل على ان المسلم يقتل بالذمى والرجل بالمراة والحر بالعبد نصب نافع وعاصم وحمزة
المقطوعات كلها للعطف على ما عملت فيه ان ورفعها على للعطف على محل ان النفس لان المعنى

وكتبنا عليهم النفس بالنفس اجراء لكتبنا مجرى قلنا ونصب الباقون الكل ورفع الرا
الجروح والاذن بسكون الذال حيث كان نافع والباقون بضمها وهما لغتان كالسحت
والسحت فمن تصدق به من اصحاب الحق بالقصاص وعفا عنه فهو كفارة له فالتصدق
كفارة للمتصدق باحسانه قال عليه الصلوة والسلام من تصدق بدم فما دونه كان كفارة
له من يوم ولدته امه ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون بالامتناع من ذلك
وقفينا معنى قفيت الشئ بالشئ جعلته في اثره كانه جعل في قفاه يقال قفاه يقفوه
اذا تبعه على اثارهم النبيين الذين اسلموا بعيسى ابن مريم مصدقا هو حال من عيسى لما
بين يديه من التورية واتيناه الانجيل فيه هدى ونور ثابتا فيه هدى ونور ومصدقا
فنصب مصدقا بالعطف على ثابت الذى تعلق به فيه وارتفع هدى ونور بثابت
الذى قام مقامه فيه لما بين يديه من التورية وهدى وموعظة انتصبا على الحال اى
هاديا وواعظا للمتقين لانهم ينتفعون به وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه وقلنا لهم
احكموا بموجبه فاللام لام الامر واصله الكسر وانما سكن استثقالا لفتحة وكسرة وفتحة و
ليحكم بكسر اللام وفتح الميم حمزة على انها لام كى اى وقفينا ليؤمنوا به وليحكم ومن لم يحكم
بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون الخارجون عن الطاعة قال الشيخ ابو منصور رحمه الله
يجوز ان يحمل على الجحود في الثلاث فيكون كافرا ظالما فاسقا لان الفاسق المطلق والظالم
المطلق هو الكافر وقيل ومن لم يحكم بما انزل الله فهو كافر بنعمة الله ظالم في حكمه فاسق
في فعله وانزلنا اليك الكتاب اى القران فحرف التعريف فيه للعهد بالحق بسبب الحق
واثباته وتبيين الصواب من الخطاء مصدقا حال من الكتاب لما بين يديه لما تقدمه نزولا
وانما قيل لما قبل الشئ هو بين يديه لان ما تاخر عنه يكون وراءه وخلفه فما تقدم عليه يكون
قدامه وبين يديه من الكتاب المراد به جنس الكتب المنزلة لان القران مصدق لجميع كتب
الله فكان حرف التعريف فيه للجنس ومعنى تصديقه لكتب موافقتها في التوحيد والعبادة
وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه انه لا اله الا انا فاعبدون ومهيمنا عليه و
شاهدا لانه يشهد له بالصحة والثبات فاحكم بينهم بما انزل الله اى بما في القران ولا تتبع اهواءهم

عما جاءك من الحق نهى ان يحكم بما حرفوه وبدلوه اعتمادا على قولهم ضمن ولا تتبع معنى
ولا تنحرف فلذا عدى بعن فكانه قيل ولا تنحرف عما جاءك من الحق متبعا اهواءهم او
التقدير عادلا عما جاءك لكل جعلنا منكم ايها الناس شرعة شريعة ومنهاجا وطريقا
واضحا واستدل به من قال ان شريعة من قبلنا لا تلزمنا ذكر انزال التورية على موسى ثم
انزال الانجيل على عيسى ثم انزال القران على محمد صلى الله عليه وسلم وبين انه ليس للسماع فحسب
بل للحكم به فقال في الاول يحكم بها النبيون وفي الثاني وليحكم اهل الانجيل وفي الثالث
فاحكم بينهم بما انزل الله ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة جماعة متفقة على شريعة
واحدة ولكن اراد ليبلوكم ليعاملكم معاملة المختبر فيما اتيكم من الشرايع المختلفة
فتعبد كل امة بما اقتضته الحكمة فاستبقوا الخيرات فابتدروها وتسابقوا نحوها
قبل الفوات بالوفاة والمراد بالخيرات كل ما امر الله تعالى به الى الله مرجعكم استيناف
في معنى التعليل لاستباق الخيرات جميعا حال من الضمير المجرور والعامل المصدر المضاف
لانه في التقدير اليه ترجعون فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون فيخبركم بما لا تشكون معه
من الجزاء الفاصل وبين محقكم ومبطلكم وعاملكم ومفرطكم في العمل وان احكم معطوف
على بالحق اى انزلنا اليك الكتاب بالحق وبان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم
واحذرهم ان يفتنوك ان يصرفوك وهو مفعول له اى مخافة ان يفتنوك وانما
حذره وهو مامون لقطع اطماع القوم عن بعض ما انزل الله اليك فان تولوا عن الحكم
بما انزل الله اليك وارادوا غيره فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم اى بذنب
التولى عن حكم الله وارادة خلافه فوضع ببعض ذنوبهم موضع ذلك وهذا الابهام
لتعظيم التولى وفيه تعظيم الذنوب فان بعضها مهلك فكيف بكلها وان كثيرا من الناس
لفاسقون لخارجون عن امر الله افحكم الجاهلية يبغون يطلبون وبالتاء شامى يخاطب
بنى النضير في تفاضلهم على بنى قريظة وقد قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم القتلى سواء فقال
بنو النضير نحن لا نرضى بذلك فنزلت ويسئل طاوس عن الرجل يفضل بعض ولده على بعض
فقراء هذه الاية وناصب الحكم يبغون ومن احسن مبتداء وخبر وهو استفهام في معنى النفى

لا احد احسن من الله حكما هو تميز واللام فى لقوم يوقنون للبيان كاللام فى هيت لك
اى هذا الخطاب وهذا الاستفهام لقوم يوقنون فانهم هم الذين يتبينون ان لا اعدل من الله
ولا احسن حكما منه وقال ابو على معنى لقوم عند قوم لان اللام وعند يتقاربان فى المعنى
ونزل نهيا عن موالاة اعداء الدين يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء
اى لا تتخذوهم اولياء تنصرونهم وتستنصرونهم وتواخونهم وتعاشرونهم معاشرة المومنين
ثم علل النهى بقوله بعضهم اولياء بعض وكلهم اعداء للمومنين وفيه دليل على ان الكفر كله
ملة واحدة ومن يتولهم منكم فانه منهم من جملتهم وحكمه حكمهم وهذا تغليظ من الله وتشديد
فى وجوب مجانبة المخالف فى الدين ان الله لا يهدى القوم الظالمين لا يرشد الذين ظلموا
انفسهم بموالاة الكفرة فترى الذين فى قلوبهم مرض نفاق يسارعون حال او مفعول ثان
لاحتمال ان يكون فترى من رؤية العين او القلب فيهم فى معاونتهم على المسلمين وموالاتهم
يقولون اى فى انفسهم لقوله على ما اسروا نخشى ان تصيبنا دائرة اى حادثة تدور بالحال
التى يكونون عليها فعسى الله ان ياتى بالفتح لرسول الله صلى الله عليه وسلم على اعدائه واظهار
المسلمين او امر من عنده اى يومر النبى صلى الله عليه وسلم باظهار اسرار المنافقين وقتلهم
فيصبحوا اى المنافقون على ما اسروا فى انفسهم من النفاق نادمين خبر فيصبحوا ويقول
الذين امنوا اى يقول بعضهم لبعض عند ذلك ويقول بصرى عطفا على ان ياتى يقول بغير
واو شامى وحجازى على انه جواب قائل يقول فماذا يقول المومنون حينئذ فقيل يقول
الذين امنوا اهؤلاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم اقسموا لكم باغلظ الايمان
انهم اولياؤكم ومعاضدوكم على الكفار جهد ايمانهم مصدر فى تقدير الحال اى مجتهدين فى
توكيد ايمانهم حبطت اعمالهم ضاعت اعمالهم التى عملوها رياء وسمعة لا ايمان وعقيدة
وهذا من قول الله عز وجل شهادة لهم بحبوط الاعمال وتعجيبا من سوء حالهم فاصبحوا
خاسرين فى الدنيا والعقبى لفوات المعونة ودوام العقوبة يا ايها الذين امنوا من يرتد
منكم عن دينه من يرجع منكم عن دين الاسلام الى ما كان عليه من الكفر يرتدد مدنى وشامى
فسوف ياتى الله بقوم يحبهم ويحبونه يرضى عنهم اعمالهم ويثنى عليهم بها ويطيعونه و

ويوثرون رضاه وفيه دليل نبوته صلى الله عليه وسلم حيث اخبرهم بما لم يكن فكان واثبات
خلافة الصديق لانه جاهد المرتدين وفى صحة خلافة عمر رضى الله عنهما وسئل
النبى صلى الله عليه وسلم عنهم فضرب على عاتق سلمان وقال هذا وذووه لو كان الايمان معلقا
بالثريا لناله رجال من ابناء فارس والراجع من الجزاء الى الاسم المتضمن معنى الشرط محذوف
معنا فسوف ياتى الله بقوم مكانهم اذلة جمع ذليل واما ذلول فجمعه ذلل ومن زعم
انه من الذل الذى هو ضد الصعوبة فقد سها لان ذلولا لا يجمع على اذلة قال الجوهرى الذل
ضد العز ورجل ذليل بين الذل وقوم اذلاء واذلة والذل بكسر الذال اللين وهو ضد الصعوبة
يقال دابة ذلول ودواب ذلل على المومنين ولم يقل للمومنين لتضمن الذل معنى الحنو
والعطف كانه قيل عاطفين عليهم على وجه التذلل والتواضع اعزة على الكافرين اشداء
عليهم والعزاز الارض الصلبة فهم مع المومنين كالولد لوالده والعبد لسيده ومع الكافرين
كالسبع على فريسته يجاهدون فى سبيل الله يقاتلون الكفار وهو صفة لقوم كيحبهم
واذلة واعزة ولا يخافون لومة لائم الواو يحتمل ان يكون للحال اى يجاهدون وحالهم
فى المجاهدة خلاف حال المنافقين فانهم كانوا موالين لليهود فاذا خرجوا فى جيش المومنين
خافوا اولياءهم اليهود فلا يعملون شيئا مما يعلمون انه يلحقهم فيه لوم من جهتهم واما
المؤمنون فمجاهدتهم لله لا يخافون لومة لائم وان يكون للعطف اى من صفتهم المجاهدة
فى سبيل الله وهم صلاب فى دينهم اذا شرعوا فى امر من امور الدين لا ينزعهم لومة لائم
واللومة المرة من اللوم وفيها وفى التنكير مبالغات كانه قيل لا يخافون شيئا قط من لوم
احد من اللوام ذلك اشارة الى ما وصف به القوم من المحبة والذلة والعزة والمجاهدة
وانتفاء خوف اللومة فضل الله يوتيه من يشاء والله واسع كثير الفواضل عليم بمن
هو من اهلها عقب النهى عن موالاة من يجب معاداتهم ذكر من يجب موالاتهم بقوله
انما وليكم الله ورسوله والذين امنوا وانما يفيد اختصاصهم بالموالاة ولم يجمع الولى
وان كان المذكور جماعة تنبيها على ان الولاية لله اصل ولغيره تبع ولو قيل انما اولياؤكم
الله ورسوله والذين امنوا لم يكن فى الكلام اصل وتبع ومحل الذين يقيمون الصلوة الرفع

على البدل من الذين آمنوا او على هم الذين او النصب على المدح ويؤتون الزكوة والواو
في وهم راكعون للحال اى يؤتونها في حال ركوعهم في الصلوة قيل نزلت في على رضى الله عنه
حين سأله سائل وهو راكع في صلوته فطرح له خاتمه كانه كان مرجا في خنصره فلم يتكلف
لخلعه كثير عمل يفسد صلوته وورد بلفظ الجمع وان كان السبب فيه واحدا ترغيبا للناس
في مثل فعله لينالوا مثل ثوابه والآية تدل على جواز الصدقة في الصلوة وعلى ان الفعل
القليل لا يفسد الصلوة ومن يتول الله ورسوله والذين امنوا اى يتخذه وليا او يكن
وليا فان حزب الله هم الغالبون من اقامة الظاهر مقام المضمر اى فانهم هم الغالبون
او المراد بحزب الله الرسول والمؤمنون اى ومن يتولهم فقد تولى حزب الله واعتضد
بمن لا يغالب واصل الحزب القوم يجتمعون لامر حزبهم اى اصابهم وروى ان رفاعة بن
زيد وسويد بن الحارث قد اظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما
فنزل يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا يعني ان اتخاذهم
دينكم هزوا ولعبا لا يصح ان يقابل باتخاذكم اياهم اولياء بل يقابل ذلك بالبغضاء و
المنابذة من الذين اوتوا الكتاب من للبيان من قبلكم والكفار اى المشركين وهو عطف
على الذين المنصوبة والكفار بصرى وعلى عطف على الذين المجرور اى من الذين اوتوا
الكتاب من قبلكم ومن الكفار اولياء واتقوا الله في موالاة الكفار ان كنتم مؤمنين
حقا لان الايمان حقا يابى موالاة اعداء الدين واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها اى
الصلوة والمناداة هزوا ولعبا ذلك بانهم قوم لا يعقلون لان لعبهم وهزؤهم من
افعال السفهاء والجهلة فكانه لا عقل لهم وفيه دليل على ثبوت الاذان بنص الكتاب لا
بالمنام وحده قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا الا ان امنا بالله وما انزل الينا وما
انزل من قبل يعني تعيبون منا وتنكرون الا الايمان بالله وبالكتب المنزلة كلها وان
اكثركم فاسقون وهو معطوف على المجرور اى وما تنقمون منا الا الايمان بالله وبما
انزل وبان اكثركم فاسقون والمعنى عاديتمونا لانا اعتقدنا توحيد الله وصدق
انبيائه وفسقكم لمخالفتكم لنا في ذلك ويجوز ان يكون الواو بمعنى مع اى وما تنقمون منا

ذلكم

والجملة

الا الايمان بالله مع انكم فاسقون قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله اى ثوابا وهو
نصب على التمييز والمثوبة وان كانت مختصة بالاحسان ولكنها وضعت موضع العقوبة
كقوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم وكان اليهود يزعمون ان المسلمين مستوجبون للعقوبة
فقيل لهم من لعنه الله شر عقوبة في الحقيقة من اهل الاسلام في زعمكم وذلك اشارة الى
المنقوم اى الايمان اى بشر مما نقمتم من ايماننا ثوابا اى جزاء ولا بد من حذف مضاف
قبله او قبل من تقديره بشر من اهل ذلك او دين من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم
القردة يعني اصحاب السبت والخنازير اى كفار اهل مائدة عيسى وكل المسخين من اصحاب
السبت فشبابهم مسخوا قردة ومشايخهم مسخوا خنازير وعبد الطاغوت اى العجل او الشيطان
لان عبادتهم العجل بتزيين الشيطان وهو عطف على صلة من كانه قيل ومن عبد الطاغوت
وعبد الطاغوت حمزة جعله اسما موضوعا للمبالغة كقولهم رجل حذر وفطن للبليغ
في الحذر والفطنة وهو معطوف على القردة والخنازير اى جعل الله منهم عبد الطاغوت
اولئك الممسوخون الملعونون شر مكانا جعلت الشرارة للمكان وهي لاهله للمبالغة
واضل عن سواء السبيل عن قصد الطريق الموصل الى الجنة ونزل في ناس من اليهود كانوا
يدخلون على النبي صلى الله عليه وسلم ويظهرون له الايمان نفاقا واذا جاءوكم قالوا امنا
وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به الباء للحال اى دخلوا كافرين وخرجوا كافرين
وتقديره ملتبسين بالكفر وكذلك قد دخلوا وهم قد خرجوا ولذا دخلت قد تقريبا للماضي
من الحال وهو يتعلق بقالوا امنا اى قالوا ذلك وهذه حالهم والله اعلم بما كانوا يكتمون
من النفاق وترى كثيرا منهم من اليهود يسارعون في الاثم الكذب والعدوان الظلم
او الاثم ما يختص بهم والعدوان ما يتعداهم الى غيرهم والمسارعة في الشيء الشروع
فيه بسرعة واكلهم السحت الحرام لبئس ما كانوا يعملون لبئس شيئا عملوه لولا هلا وهو
تحضيض ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون
هذا ذم للعلماء والاول للعامة وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي اشد اية في القران حيث
انزل تارك النهي عن المنكر منزلة مرتكب المنكر بالوعيد وقالت اليهود يد الله مغلولة

غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان روى ان اليهود لعنهم الله لما كذبوا محمدا
صلى الله عليه وسلم كف الله ما بسط عليهم من السعة وكانوا من اكثر الناس مالا فعند ذلك
قال فنحاص يد الله مغلولة ورضى بقوله الاخرون فاشركوا فيه وغل اليد وبسطها مجاز
من البخل والجود ومنه قوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط
ولا يقصد المتكلم به اثبات يد ولا غل ولا بسط حتى انه يستعمل فى ملك يعطى ويمنع
بالاشارة من غير استعمال اليد ولو اعطى الاقطع المنكب عطاء جزيلا لقالوا ما ابسط
يده بالنوال وقد يستعمل حيث لا يصح اليد يقال بسط اليأس كفيه فى صدرى فجعل لليأس
الذى هو من المعانى كفان ومن لم ينظر فى علم البيان يتحير فى تاويل امثال هذه الاية و
قوله غلت ايديهم دعاء عليهم بالبخل ومن ثم كانوا ابخل خلق الله او تغل فى جهنم فهى
كانها غلت وانما تثنية اليد فى بل يداه مبسوطتان وهى مفردة فى يد الله
مغلولة ليكون رد قولهم وانكاره ابلغ وادل على اثبات غاية السخاء له ونفى البخل عنه
فغاية ما يبذله السخى ان يعطيه بيديه ينفق كيف يشاء تاكيد للوصف بالسخاء و
دلالة على انه لا ينفق الا على مقتضى الحكمة وليزيدن كثيرا منهم من اليهود ما انزل
اليك من ربك طغيانا وكفرا اى يزدادون عند نزول القران لحسدهم تماديا
فى الجحود وكفرا بايات الله وهذا من اضافة الفعل الى السبب كما قال فزادتهم رجسا
الى رجسهم والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة فكلهم ابدا مختلفة
وقلوبهم شتى لا يقع بينهم اتفاق ولا تعاضد كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله
كلما ارادوا محاربة احد غلبوا وقهروا لم يقم لهم نصر من الله على احد قط وقد اتاهم
الاسلام وهم فى ملك المجوس وكلما حاربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم نصر عليهم
عن قتادة لا تلقى يهوديا ببلدة الا وجدته من اذل الناس ويسعون فى الارض فسادا
ويجتهدون فى دفع الاسلام ومحو ذكر النبى صلى الله عليه وسلم من كتبهم والله لا يحب
المفسدين ولو ان اهل الكتاب امنوا برسول الله وبما جاء به مع عددنا من سيئاتهم
واتقوا اى وقرنوا ايمانهم بالتقوى لكفرنا عنهم سيئاتهم ولم نؤاخذهم بها ولادخلناهم

جنات النعيم مع المسلمين ولو انهم اقاموا التورية والانجيل اى اقاموا احكامهما وحدودها
وما فيهما من صفة محمد صلى الله عليه وسلم وما انزل اليهم من ربهم من ساير كتب الله لانهم
مكلفون الايمان بجميعها فكانها انزلت اليهم وقيل هو القران لاكلوا من فوقهم يعنى
الثمار من فوق رؤسهم ومن تحت ارجلهم يعنى الزروع او هذه عبارة عن التوسعة
كقولهم فلان فى النعمة من فرقه الى قدمه ودلت الاية على ان العمل بطاعة الله تعالى سبب
لسعة الرزق وهو كقوله ولو ان اهل القرى امنوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض
ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب فقلت استغفروا ربكم
انه كان غفارا الايات وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا منهم
امة مقتصدة طايفة حالها امم فى عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هى
الطايفة المؤمنة وهو عبد الله بن سلام واصحابه رضى الله عنهم وثمانية واربعون
من النصارى وكثير منهم ساء ما يعملون فيه معنى التعجب كانه قيل وكثير منهم ما اسوء
عملهم وقيل هم كعب بن الاشرف واصحابه وغيرهم يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك
من ربك جميع ما انزل واى شئ انزل اليك غير مراقب فى تبليغه احدا ولا خايف ان ينالك
مكروه وان لم تفعل وان لم تبلغ جميعه كما امرتك فما بلغت رسالته رسالاته مدنى و
شامى وابو بكر اى فلم تبلغ اذا ما كلفت من اداء الرسالات ولم تؤد منها شيئا قط
وذلك ان بعضها ليس باولى من بعض فاذا لم تؤد بعضها فكانك اغفلت اداءها
جميعها كما ان من لم يؤمن ببعضها كان كمن لم يؤمن بكلها لكونها فى حكم شئ واحد لدخولها
تحت خطاب واحد والشئ الواحد لا يكون مبلغا غير مبلغ مؤمنا به غير مؤمن به قالت
الملحدة لعنهم الله هذا كلام لا يفيد وهو كقولك لغلامك كل هذا الطعام فان لم تاكله
فانك ما اكلته قلنا هذا امر تبليغ الرسالة فى المستقبل اى بلغ ما انزل اليك فى المستقبل وان
لم تفعل اى وان لم تبلغ الرسالة فى المستقبل فكانك لم تبلغ الرسالة اصلا او بلغ ما انزل
اليك من ربك الان ولا تنتظر به كثرة الشوكة والعدة فان لم تبلغ كنت كمن لم يبلغ
اصلا او بلغ ذلك غير خايف احدا فان لم تبلغ على هذا الوصف فكانك لم تبلغ الرسالة اصلا

ثم قال سبحانه في التبليغ والله يعصمك من الناس يحفظك منهم قتلا فلم يقدروا عليه وان
شج في وجهه يوم احد وكسرت رباعيته او نزلت بعدما اصابه ما اصابه والناس الكفار
بدليل قوله ان الله لا يهدى القوم الكافرين لا يمكنهم بما يريدون انزل اليك من الهلاك
قل يا اهل الكتاب لستم على شيء على دين يعتد به حتى يسمى شيئا لبطلانه حتى تقيموا التورية
والانجيل وما انزل اليكم من ربكم يعنى القران وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك
طغيانا وكفرا اضافة زيادة الكفر والطغيان الى القران بطريق التسبب فلا تاس على القوم
الكافرين فلا تتاسف عليهم فان ضرر ذلك يعود اليهم لا اليك ان الذين آمنوا بالسنتهم
وهم المنافقون ودل عليه قوله لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا امنا
بافواههم ولم تؤمن قلوبهم والذين هادوا والصابئون والنصارى قال سيبويه و
جميع البصريين ارتفع الصابئون بالابتداء وخبره محذوف والنية به التاخير عما في
حيز ان من اسمها وخبرها كانه قيل ان الذين امنوا والذين هادوا والنصارى من آمن
بالله واليوم الاخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والصابئون كذلك وحذف
الخبر كقوله فمن يك امسى بالمدينة رحله فاني وقيار بها لغريب اى فاني لغريب وقيار
كذلك ودل اللام على انه خبر ان ولا يرتفع بالعطف على محل ان واسمها لان ذا لا يصح قبل
الفراغ من الخبر لا يقول ان زيدا وعمرو منطلقان وانما يجوز ان زيدا منطلق وعمرو
الصابئون مع خبره المحذوف جملة معطوفة على جملة قوله ان الذين امنوا الى اخره ولا محل
لها كما لا محل للتي عطفت عليها التنبيه وفائدة التقديم هي عليها على ان الصابئين وهم ابين هؤلاء
المعدودين ضلالا واشدهم غيا يتاب عليهم ان صح منهم الايمان فما الظن بغيرهم ومحل من
آمن الرفع على الابتداء وخبره فلا خوف عليهم والفاء لتضمن المبتدا معنى الشرط ثم الجملة كما هي
خبر ان والراجع الى الاسم ان محذوف تقديره من آمن منهم لقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل بالتوحيد
وارسلنا اليهم رسلا ليقفوهم على ما ياتون وما يذرون في دينهم كلما جاءهم رسول جملة شرطية
وقعت صفة لرسلا والراجع محذوف اى رسول منهم دل عليه بما لا تهوى انفسهم بما يخالف
هواهم ويضاد شهواتهم من مشاق التكليف والعمل بالشرايع وجواب الشرط محذوف

دل عليه فريقا كذبوا وفريقا يقتلون كانه قيل كلما جاءهم رسول ناصبوه وقوله فريقا كذبوا
جواب مستانف لقائل كانه يقول كيف فعلوا برسلهم وقال يقتلون بلفظ المضارع على حكاية
الحال الماضية استفظاعا للقتل وتنبيها على ان القتل من شانهم وانتصب فريقا وفريقا على
انه مفعول كذبوا ويقتلون وقيل التكذيب مشترك بين اليهود والنصارى والقتل مختص
باليهود فهم قتلوا زكريا ويحيى وحسبوا ان لا تكون بالرفع حمزة وعلي وابو عمرو وعلى ان
ان مخففة من الثقيلة اصله انه لا يكون فخففت ان وحذف ضمير الشان ونزل حسبانهم
لقوته في صدورهم منزلة العلم فلذا دخل فعل الحسبان على ان التي هي للتحقيق فتنة بلاء
وعذاب اى وحسب بنو اسرائيل انهم لا يصيبهم من الله عذاب بقتل الانبياء وتكذيب
الرسل وسد ما يشتمل عليه صلة ان وان من المسند والمسند اليه مسد مفعولي حسب
فعموا وصموا فلم يعملوا بما راوا ولا بما سمعوا او فعموا عن الرشد وصموا عن الوعظ ثم تاب
الله عليهم ورزقهم التوبة ثم عموا وصموا كثير منهم هو بدل من الضمير وهو الواو وهو
بدل البعض من الكل او خبر مبتدا محذوف اى اولئك كثير منهم والله بصير بما يعملون
فيجازيهم بحسب اعمالهم لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم وقال المسيح
يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم لم يفرق عيسى عليه السلام بينه وبينهم في انه عبد
مربوب فيكون حجة على النصارى انه من يشرك بالله في عبادته غير الله فقد حرم الله
عليه الجنة التي هي دار الموحدين اى حرمه دخولها ومنعه منه وماويه النار اى مرجعه
وما للظالمين اى للكافرين من انصار هو من كلام الله تعالى او من كلام عيسى عليه السلام
لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلثة اى ثالث ثلثة الهة والاشكال انه تعالى قال في
الاية الاولى لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم وقال في الثانية لقد كفر الذين
قالوا ان الله ثالث ثلاثة والجواب ان بعض النصارى كانوا يقولون كان المسيح بعينه
هو الله لان الله تعالى ربما تجلى في بعض الازمان في شخص فيتجلى في ذلك الوقت
في شخص عيسى ولهذا كان يظهر من شخص عيسى افعال لا يقدر عليها الا الله وبعضهم
ذهبوا الى الهية ثلثة الله ومريم والمسيح وانه ولد الله من مريم ومن في قوله وما من

اله الا اله واحد للاستغراق ای وما اله قط فی الوجود الا اله موصوف بالوحدانیة
لا ثانی له وهو الله وحده لا شریک له وفی قوله وان لم ینتهوا عما یقولون لیمسن الذین
کفروا منهم للبیان کالتی فی فاجتنبوا الرجس من الاوثان ولم یقل لیمسنهم لان فی
اقامة الظاهر مقام المضمر تکریر الشهادة علیهم بالکفر او للتبعیض ای لیمسن الذین
بقوا علی الکفر منهم لان کثیرا منهم تابوا عن النصرانیة عذاب الیم نوع شدید الالم من
العذاب افلا یتوبون الی الله ویستغفرونه الا یتوبون بعد هذه الشهادة المکررة
علیهم بالکفر وهذا الوعید الشدید مما هم علیه وفیه تعجیب من اصرارهم والله غفور
رحیم یغفر لهؤلاء ان تابوا ولغیرهم ما المسیح ابن مریم الا رسول فیه نفی الالوهیة
عنه قد خلت من قبله الرسل صفة لرسول ای ما هو الا رسول من جنس الرسل الذین
خلوا من قبله وابراءه الاکمه والابرص واحیاءه الموتی لم یکن منه لانه الله بل الله ابرأ
الاکمه والابرص واحیی الموتی علی یده کما احیی العصی وجعلها حیة تسعی علی ید موسی
وخلقه من غیر ذکر کخلق آدم من غیر ذکر وانثی وامه صدیقة وما امه ایضا الا کبعض
النساء المصدقات للانبیاء المومنات بهم ووقع اسم الصدیقة علیها لقوله تعالی
وصدقت بکلمات وکتبه ثم بعدهما عما نسب الیها بقوله کانا یاکلان الطعام لان من
من احتاج الی الاغتذاء بالطعام وما یتبعه من الهضم والنقض لم یکن الا جسما مرکبا من لحم
وعظم وعروق واعصاب وغیر ذلک مما یدل علی انه مصنوع مؤلف کغیره من الاجسام
انظر کیف نبین لهم الآیات ای الاعلام من الادلة الظاهرة علی بطلان قولهم ثم انظر
انی یؤفکون کیف یصرفون عن استماع الحق وتامله بعد هذا البیان وهذا تعجیب
من الله تعالی فی ذهابهم عن الفرق بین الرب وبین المربوب قل اتعبدون من دون الله
ما لا یملک لکم ضرا ولا نفعا هو عیسی علیه السلام ای شیئا لا یستطیع ان یضرکم بمثل ما
یضرکم به الله من البلایا والمصائب فی الانفس والاموال ولا ان ینفعکم بمثل ما ینفعکم
به من صحة الابدان والسعة والخصب ولان کل ما یستطیعه البشر من المضار والمنافع
فبتخلیقه تعالی فکانه لا یملک منه شیئا وهذا دلیل قاطع علی ان امره مناف للربوبیة
حیث جعله لا یستطیع ضرا ولا نفعا وصفة الرب ان یکون قادرا علی کل شیء لا یخرج
مقدور عن قدرته والله هو السمیع العلیم متعلق باتعبدون ای اتشرکون بالله و
لا تخشونه وهو الذی یسمع ما تقولونه ویعلم ما تعتقدون قل یا اهل الکتاب لا
تغلوا فی دینکم الغلو مجاوزة الحد فغلو النصاری فی حق عیسی علیه السلام رفعه
فوق قدره لاستحقاق الالوهیة وغلو الیهود وضعه عن استحقاق النبوة غیر الحق
صفة لمصدر محذوف ای غلوا غیر الحق یعنی غلوا باطلا ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا
من قبل ای اسلافکم وائمتکم الذین کانوا علی الضلال قبل مبعث النبی صلی الله علیه وسلم
واضلوا کثیرا ممن تابعهم وضلوا لما بعث رسول الله صلی الله علیه وسلم عن سواء السبیل
حین کذبوه وحسدوه وبغوا علیه لعن الذین کفروا من بنی اسرائیل علی لسان داود
وعیسی ابن مریم قیل ان اهل ایلة لما اعتدوا فی السبت قال داود اللهم العنهم واجعلهم
آیة فمسخوا قردة ولما کفر اصحاب عیسی بعد المائدة قال عیسی اللهم عذب من کفر
بعد ما اکل من المائدة عذابا لم تعذبه احدا من العالمین والعنهم کما لعنت اصحاب السبت
فاصبحوا خنازیر وکانوا خمسة آلاف رجل ذلک بما عصوا وکانوا یعتدون ذلک
اللعن بعصیانهم واعتدائهم ثم فسر المعصیة والاعتداء بقوله کانوا لا یتناهون
لا ینهی بعضهم بعضا عن منکر فعلوه عن قبیح فعلوه ونهیی وصف المنکر بفعلوه
ولا یکون النهی بعد الفعل انهم لا یتناهون عن معاودة منکر فعلوه او عن مثل منکر
فعلوه او عن منکر ارادوا فعله او المراد لا ینتهون عن منکر فعلوه لما یصرون علیه
یقال تناهی عن الامر وانتهی عنه اذا امتنع منه وترکه ثم عجب من سوء فعلهم مؤکدا
لذلک بالقسم بقوله لبئس ما کانوا یفعلون وفیه دلیل علی ان ترک النهی عن المنکر
من العظائم فیا حسرة علی المسلمین فی اعراضهم فیه تری کثیرا منهم یتولون الذین کفروا
هم منافقوا اهل الکتاب کانوا یوالون المشرکین ویصادقونهم لبئس ما قدمت
لهم انفسهم ان سخط الله علیهم لبئس شیئا قدموا لانفسهم سخط الله علیهم ای موجب
سخط الله وفی العذاب هم خالدون ای فی جهنم ولو کانوا یومنون بالله ایمانا

خالصا بلا نفاق والنبى اى محمد صلى الله عليه وسلم وما انزل اليه يعنى القران ما اتخذوهم اولياء
ما اتخذوا المشركين اولياء يعنى ان موالاة المشركين تدل على نفاقهم ولكن كثيرا منهم فاسقون
متمردون فى كفرهم ونفاقهم او معناه ولو كان هولاء اليهود يومنون بالله وبموسى وما
انزل اليه يعنى التورية ما اتخذوا المشركين اولياء يعنى كما لم يوالهم المسلمون ولكن كثيرا
منهم فاسقون خارجون عن دينهم فلا دين لهم اصلا لتجدن اشد الناس عداوة للذين
امنوا اليهود هو مفعول ثان لتجدن وعداوة تمييز والذين اشركوا عطف عليهم ولتجدن
اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى اللام يتعلق بعداوة ومودة وصف
اليهود بشدة الشكيمة والنصارى بلين العريكة وجعل اليهود قرناء المشركين فى شدة
عداوة المومنين ونبه على تقدم قدمهم فيها بتقديمهم على المشركين ذلك بان منهم
قسيسين ورهبانا اى علماء وعبادا وانهم لا يستكبرون علل سهولة ماخذ النصارى
وقرب مودتهم للمومنين بان منهم قسيسين ورهبانا وان فيهم تواضعا واستكانة
واليهود على خلاف ذلك وفيه دليل على ان العلم انفع شيء واهداه الى الخير وان كان علم
القسيسين وكذا علم الاخرة وان كان فى الراهب والبراءة من الكبر وان كانت فى النصرانى
واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق وصفهم
برقة القلوب وانهم يبكون عند استماع القران كما روى عن النجاشى انه قال لجعفر ابن
ابى طالب حين اجتمع فى مجلسه المهاجرون الى الحبشة والمشركون وهم يغرونه عليهم
هل فى كتابكم ذكر مريم قال جعفر فيه سورة تنسب الى مريم فقراها الى قوله ذلك عيسى
بن مريم وقراء طه الى قوله هل اتيك حديث موسى فبكا النجاشى وكذا فعل قومه
الذين وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم سبعون رجلا حين قراء عليهم
سورة يس فبكوا تفيض من الدمع تمتلئ من الدمع حتى تفيض لان الفيض ان يمتلئ
الاناء او غيره حتى يطلع ما فيه من جوانبه فوضع الفيض الذى هو من الامتلاء موضع
الامتلاء او قصدت المبالغة فى وصفهم بالبكاء فجعلت اعينهم كانها تفيض بانفسها
اى تسيل من اجل البكاء ومن فى مما عرفوا لابتداء الغاية على ان فيض الدمع ابتداء ونشاء

من معرفة الحق وكان من اجله ومن فى من الحق لتبيين الموصول الذى هو ما عرفوا او
للتبعيض على انهم عرفوا بعض الحق فابكاهم فكيف اذا عرفوا كله وقراوا القران واحاطوا
بالسنة يقولون حال من ضمير الفاعل فى عرفوا ربنا آمنا بمحمد عليه السلام والمراد انشاء
للانشاء الايمان والدخول فيه فاكتبنا مع الشاهدين مع امة محمد صلى الله عليه وسلم الذين
هم شهداء على ساير الامم يوم القيمة لتكونوا شهداء على الناس وقالوا ذلك لانهم وجدوا
ذكرهم فى الانجيل كذلك وما لنا لا نومن بالله انكار واستبعاد لانتفاء الايمان مع قيام
موجبه وهو الطمع فى انعام الله عليهم بصحبة الصالحين وقيل لما رجعوا الى قومهم
لاموهم فاجابوهم بذلك وما لنا مبتداء وخبر ولا نومن حال اى غير مومنين كقولك
ما لك قائما وما جاءنا وبما جاءنا من الحق يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم او القران ونطمع
ان يدخلنا ربنا الجنة مع القوم الصالحين الانبياء والمومنين فاثابهم الله بما قالوا اى
بقولهم ربنا امنا وتصديقهم كذلك جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك
جزاء المحسنين وفيه دليل على ان الاقرار داخل فى الايمان كما هو مذهب الفقهاء وتعلقت
الكرامية فى ان الايمان مجرد القول لقوله بما قالوا لكن الثناء بفيض الدمع فى السياق وبالاحسان
فى السياق يدفع ذلك وانى يكون مجرد القول ايمانا وقد قال الله تعالى ومن الناس من يقول
امنا بالله لعدم الاخر وما هم بمومنين نفى الايمان عنهم مع قولهم امنا بالله لعدم التصديق
بالقلب وقال اهل المعرفة الموجود منهم ثلثة اشياء البكاء على الجفاء والدعاء على العطاء
والرضاء بالقضاء فمن ادعى المعرفة ولم يكن فيه هذه الثلثة فليس بصادق فى دعواه والذين
كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم هذا اثر الرد فى حق الاعداء والاول اثر القبول
للاولياء ونزل فى جماعة من الصحابة رض حلفوا ان يترهبوا ويلبسوا المسوح ويقوموا
الليل ويصوموا النهار ويسيحوا فى الارض ويجبوا مذاكيرهم ولا ياكلوا اللحم والودك
ولا يقربوا النساء والطيب يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم ما طاب
ولذ من الحلال ومعنى لا تحرموا لا تمنعوها انفسكم كمنع التحريم او لا تقولوا حرمناها على انفسنا
مبالغة منكم فى العزم على تركها تزهدا منكم وتقشفا وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

كان ياكل الدجاج والفالوذ وكان يعجبه الحلواء والعسل وقال ان المومن حلو يحب
الحلاوة وعن الحسن انه دعي الى طعام ومعه فرقد السبخي واصحابه فقعدوا على المائدة
وعليها الالوان من الدجاج المسمن والفالوذ وغير ذلك فاعتزل فرقد ناحية فسال
الحسن اهو صائم قالوا لا ولكنه يكره هذه الالوان فاقبل الحسن عليه وقال يا فريقد اترى
لعاب النحل بلباب البر بخالص السمن يعيبه مسلم وعنه انه قيل له فلان لا ياكل الفالوذ
يقول لا اؤدي شكره قال افيشرب الماء البارد قالوا نعم قال انه جاهل ان نعمة الله عليه
في الماء البارد اكبر من نعمته في الفالوذ ولا تعتدوا ولا تجاوزوا الحد الذي حد عليكم
في تحريم او تحليل او ولا تعتدوا حدود ما احل الله لكم الى ما حرم عليكم او لا تسرفوا
في تناول الطيبات ان الله لا يحب المعتدين حدوده وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا
حال لا احال مما رزقكم الله واتقوا الله تاكيد للتوصية بما امر به وزاده تاكيدا بقوله الذي
انتم به مؤمنون لان الايمان به يوجب التقوى فيما امر به ونهى لا يؤاخذكم الله باللغو
في ايمانكم اللغو في اليمين الساقط الذي لا يتعلق به حكم وهو ان يحلف على شيء يرى انه
كذلك وليس كما ظن وكانوا حلفوا على تحريم الطيبات على ظن انه قربة فلما نزلت تلك
الاية قالوا فكيف بايماننا فنزلت وعند الشافعي رح ما يجري على اللسان بلا قصد ولكن
يؤاخذكم الايمان وهو تو ثيقها وبالتخفيف كوفي حبر حفص والعقد العزم على الوفا
وذا لا يتصور في الماضي فلا كفارة في الغموس وعند الشافعي رح القصد بالقلب ويمين
الغموس مقصودة فكانت معقودة فكانت الكفارة فيها مشروعة والمعنى ولكن يؤاخذكم
بما عقدتم اذا حنثتم فحذف وقت المواخذة لانه كان معلوما عندهم او بنكث ما عقدتم
فحذف المضاف فكفارته اي فكفارة نكثه تلشد او فكفارة معقود الايمان والكفارة
الفعلة التي من شانها ان تكفر الخطيئة اي تسترها اطعام عشرة مساكين هو ان يغديهم
ويعشيهم ويجوز ان يعطيهم بطريق التمليك وهو لكل واحد نصف صاع من بر او صاع من
شعير او صاع من تمر وعند الشافعي رح مد لكل مسكين من اوسط ما تطعمون اهليكم غداء
وعشاء من بر اذ الاوسع ثلث مرات مع الادام والادنى مرة من تمر او شعير او كسوتهم

عطف

عطف على اطعام او على محل من اوسط ووجهه ان من اوسط بدل من اطعام والبدل هو المقصود
في الكلام وهي ثوب يغطي العورة وعن ابن عمر رض ازار وقميص ورداء او كساء او تحرير
رقبة مؤمنة او كافرة لاطلاق النص وشرط الشافعي رح الايمان حملا للمطلق على المقيد
في كفارة القتل ومعنى او التخيير وايجاب احد الكفارات الثلث فمن لم يجد احديها فصيام
ثلثة ايام متتابعات لقراءة ابي وابن مسعود كذلك ذلك المذكور كفارة ايمانكم
اذا حلفتم وحنثتم فترك ذكر الحنث لوقوع العلم بان الكفارة لا تجب بنفس الحلف
وكذا لم يجز التكفير قبل الحنث واحفظوا ايمانكم فبروا فيها ولا تحنثوا اذا لم يكن الحنث
خيرا او ولا تحلفوا اصلا كذلك مثل ذلك البيان يبين الله لكم اياته اعلام شريعته
واحكامه لعلكم تشكرون نعمته فيما يعلمكم ويسهل عليكم المخرج منه يا ايها الذين آمنوا
انما الخمر والميسر اي القمار والانصاب الاصنام لانها تنصب وتعبد والازلام وهي القداح
التي امرت رجس نجس او خبيث او مستقذر من عمل الشيطان لانه يحمل عليه فكانه
عمله والضمير في فاجتنبوه يرجع الى الرجس او الى عمل الشيطان او الى المذكور او الى المضاف
المحذوف كانه قيل انما تعاطي الخمر والميسر ولذا قال رجس لعلكم تفلحون اكد تحريم الخمر
والميسر من وجوه حيث صدر الجملة بانما وقرنهما بعبادة الاصنام ومنه الحديث شارب
الخمر كعابد الوثن وجعلهما رجسا من عمل الشيطان ولا ياتي منه الا الشر البحت وامر بالاجتناب
وجعل الاجتناب من الفلاح واذا كان الاجتناب فلاحا كان الارتكاب خسارا
انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله
وعن الصلوة ذكر ما يتولد منهما من الوبال وهو وقوع التعادي والتباغض بين اصحاب
الخمر والقمر وما يؤديان اليه من الصد عن ذكر الله وعن مراعاة اوقات الصلوة وخص
الصلوة من بين الذكر لزيادة درجتها كانه قال وعن الصلوة خصوصا وانما جمع الخمر
والميسر مع الانصاب والازلام اولا ثم افردهما اخرا لان الخطاب مع المؤمنين وانما
نهاهم عما كانوا يتعاطونه من شرب الخمر واللعب بالميسر وذكر الانصاب والازلام لتاكيد
تحريم الخمر والميسر واظهار ان ذلك جميعا من اعمال اهل الشرك فكانه لا مباينة بين عابد الصنم

وشارب الخمر والمقامر ثم افردهما بالذكر ليعلم انهما المقصود بالذكر فهل انتم منتهون من ابلغ
ماينهى به كانه قيل قد تلى عليكم مافيهما من انواع الصوارف والزواجر فهل انتم مع هذه
الصوارف منتهون ام انتم على ماكنتم عليه كان لم توعظوا ولم تزجروا واطيعوا الله
واطيعوا الرسول واحذروا وكونوا حذرين خاشعين لانهم اذا حذروا دعاهم
الحذر الى اتقاء كل سيئة وعمل كل حسنة فان توليتم عن ذلك فاعلموا انما على رسولنا
البلاغ المبين اى فاعلموا انكم لم تضروا بتوليكم الرسول لانه ما كلف الا البلاغ المبين بالايات
وانما ضررتم انفسكم حين اعرضتم عما كلفتموه ونزل فيمن تعاطى شيئا من الخمر والميسر قبل
التحريم ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اى شربوا من الخمر
واكلوا من مال القمار قبل تحريمهما اذا ما اتقوا الشرك وآمنوا وعملوا الصالحات
بعد الايمان ثم اتقوا الخمر والميسر بعد التحريم وآمنوا بتحريمهما ثم اتقوا سائر المحرمات
او الاول عن الشرك والثانى عن المحرمات والثالث عن الشبهات واحسنوا الى الناس
والله يحب المحسنين ولما ابتلاهم الله بالصيد عام الحديبية وهم محرمون وكثر
عندهم حتى كان يغشاهم فى رحالهم فيستمكنون من صيده اخذا بايديهم وطعنا برماحهم
نزل يا ايها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشئ من الصيد تناله ايديكم ورماحكم ومعنى
يبلو يختبر وهو من الله تعالى لاظهار ما علم من العبد على ما علم لا ليعلم ما لم يعلم ومن
للتبعيض اذ لا يحرم كل صيد او لبيان الجنس ليعلم الله من يخافه بالغيب ليعلم الله
خوف الخائف منه بالامتناع عن الاصطياد موجودا كما كان يعلم قبل وجوده انه
يوجد ليثيبه على عمله لا على علمه فيه فمن اعتدى فصاد بعد ذلك الابتلاء فله عذاب اليم
قلل فى قوله بشئ من الصيد ليعلم انه ليس من الفتن العظام وتنكير الصفة لشئ يا ايها
الذين امنوا لا تقتلوا الصيد اى الصيد اذ القتل انما يكون فيه وانتم حرم اى محرمون
جمع حرام كردح جمع رداح فى محل النصب على الحال من ضمير الفاعل فى تقتلوا ومن
قتله منكم متعمدا حال من الضمير الفاعل اى ذاكرا لاحرامه او عالما ان ما يقتله مما يحرم
قتله عليه فان قتله ناسيا لاحرامه او رمى صيدا وهو يظن انه ليس بصيد فهو مخطى وانما

وانما شرط التعمد فى الاية مع ان محظورات الاحرام يستوى فيها العمد والخطاء لان مورد
الاية فيمن تعمد فقد روى انه عن لهم فى عمرة الحديبية حمار وحش فحمل عليه ابو اليسر فقتله
فقيل له انك قتلت الصيد وانت محرم فنزلت ولان الاصل فعل المتعمد والخطاء ملحق
به للتغليظ وعن الزهرى نزل الكتاب بالعمد ووردت السنة بالخطاء فجزاء مثل ما قتل
كوفى اى فعليه جزاء مماثل ما قتل من الصيد وهو قيمة الصيد يقوم حيث صيد فان بلغت
قيمته ثمن هدى خير بين ان يهدى من النعم ما قيمته قيمة الصيد وبين ان يشترى بقيمته
طعاما فيعطى كل مسكين نصف صاع من بر او صاعا من غيره وان شاء صام عن طعام
كل مسكين يوما وعند محمد والشافعى رحمهما الله مثله نظيره من النعم فان لم يوجد له
نظير فى النعم فكما مر فجزاء مثل على الاضافة غيرهم واصله فجزاء مثل ما قتل اى فعليه
ان يجزى مثل ما قتل ثم اضيف كما تقول عجبت من ضرب زيدا ثم من ضرب زيد من النعم
حال من الضمير فى قتل اذ المقتول يكون من النعم او صفة لجزاء يحكم به بمثل ما قتل ذوا
عدل منكم حكمان عادلان من المسلمين وفيه دليل على ان المثل القيمة لان التقويم مما
يحتاج الى النظر والاجتهاد دون الاشياء المشاهدة ولان المثل المطلق بالكتاب والسنة
والاجماع مقيد بالصورة والمعنى او بالمعنى لا بالصورة بلا معنى ولان القيمة اريدت
فيما لا مثل له صورة اجماعا فلم يبق غيرها مرادا اذ لا عموم للمشترك فان قلت قوله
من النعم بينا فى تفسير المثل بالقيمة قلت من اوجب القيمة خير بين ان يشترى بها هديا
او طعاما او يصوم كما خير الله تعالى فى الاية فكان من النعم بيانا للهدى المشترى بالقيمة
فى احد وجوه التخيير لان من قوم الصيد واشترى بالقيمة هديا فاهداه فقد جزاء بمثل
ما قتل من النعم على ان التخيير الذى فى الاية بين ان يجزى بالهدى او يكفر بالاطعام او الصوم
انما يستقيم اذا قوم ونظر بعد التقويم اى الثلاثة يختار فاما اذا عمد الى النظير وجعله
الواجب وحده من غير تخيير فاذا كان شيئا لا نظير له قوم حينئذ ثم تخير بين الاطعام
والصيام ففيه نبو عما فى الاية الا ترى الى قوله او كفارة طعام مساكين او عدل ذلك صياما
كيف خير بين الاشياء الثلاثة ولا سبيل الى ذلك الا بالتقويم هديا حال من الهاء فى به

في حال الهدى بالغ الكعبة صفة لهديا لان اضافته غير حقيقته ومعنى بلوغه الكعبة ان
يذبح بالحرم واما التصديق به فحيث يشئت وعند الشافعى رح فى الحرم او كفارة معطوف
على جزاء طعام بدل من كفارة او خبر مبتداء محذوف اى هى طعام او كفارة طعام على
الاضافة مدنى وشامى وهذه الاضافة لتبيين المضاف كانه قيل او كفارة من طعام
مساكين كما تقول خاتم فضة اى خاتم من فضة او عدل وقرى بكسر العين قال الفراء العدل
ما عادل من غير جنسه كالصوم والاطعام والعدل مثله من جنسه ومنه عدلا الحمل يقال
عندى غلام عدل عدل بالكسر اذا كان من جنسه فان اريد قيمته كقيمته ولم يكن من جنسه
قيل هو عدل غلامك بالفتح ذلك اشارة الى الطعام صياما تمييز نحو لى مثله رجلا و
الخيار فى ذلك الى القاتل وعند محمد رح الى الحكمين ليذوق وبال امره متعلق بقوله فجزاء
اى فعليه ان يجازى او يكفر ليذوق سوء عاقبته هتكه لحرمة الحرام والوبال المكروه و
الضرر الذى ينال فى العاقبة من عمل سوء لثقله عليه من قوله تعالى اخذناه اخذا وبيلا
اى ثقيلا شديدا والطعام الوبيل الذى يثقل على المعدة فلا يستمرء عفا الله عما سلف لكم
من الصيد قبل التحريم ومن عاد الى قتل الصيد بعد التحريم او فى ذلك الاحرام فينتقم الله
منه بالجزاء وهو خبر مبتداء محذوف تقديره فهو ينتقم الله منه والله عزيز بالزام
الاحكام ذو انتقام لمن جاوز حدود الاسلام احل لكم صيد البحر مصيد البحر مايوكل
ومما لا يوكل وطعامه وما يطعم من صيده والمعنى احل لكم الانتفاع بجميع ما يصاد فى البحر
واحل لكم اكل الماكول منه وهو السمك وحده متاعا لكم مفعول له اى احل لكم تمتيعا
لكم وللسيارة وللمسافرين والمعنى احل لكم طعامه تمتيعا لتنائيكم ياكلونه طريا ولسيارتكم
يتزودونه قديدا كما تزود موسى عليه السلام الحوت فى مسيره الى الخضر وحرم عليكم
صيد البر ما صيد فيه وهو ما يفرخ فيه وان كان يعيش فى الماء فى بعض الاوقات
كالبط فانه برى لانه يتولد فى البر والبحر له مرعى كما للناس متجر ما دمتم حرما محرمين
واتقوا الله فى الاصطياد فى الحرم او فى الاحرام الذى اليه تحشرون تبعثون فيجزيكم
على اعمالكم جعل الله الكعبة اى صير البيت الحرام بدلا وعطف بيان قياما مفعول ثان او

جعل بمعنى خلق وقياما حال للناس اى انتعاشا لهم فى امر دينهم ونهوضا الى اغراضهم
فى معاشهم ومعادهم لما يتم لهم من امر حجتهم وعمرتهم وتجارتهم وانواع منافعهم قيل
لو تركوه عاما لم ينظروا ولم يوخروا والشهر الحرام والشهر الذى يؤدى فيه الحج وهو
ذو الحجة لان لاختصاصه من بين الاشهر باقامة موسم الحج فيه شانا قد علمه الله او
اريد به جنس الاشهر الحرم وهو رجب وذو القعدة وذو الحجة ومحرم والهدى ما
يهدى الى مكة والقلائد والمقلد منه خصوصا وهو البدن فالثواب فيه اكثر وبهاء
الحج معه اظهر ذلك اشارة الى جعل الكعبة قياما او الى ما ذكر من حفظ حرمة الاحرام
بترك الصيد وغيره لتعلموا ان الله يعلم ما فى السموات وما فى الارض وان الله بكل شئ
عليم اى ليعلموا ان الله يعلم مصالح ما فى السموات والارض وكيف لا يعلم وهو بكل
شئ عليم اعلموا ان الله شديد العقاب لمن استخف بالحرم والاحرام وان الله غفور
لاثم من عظم المشاعر العظام رحيم بالجانى الملتجى الى البلد الحرام ما على الرسول الا البلاغ
تشديد فى ايجاب القيام بما امر به وان الرسول قد فرغ مما وجب عليه من التبليغ وقامت
عليكم الحجة ولزمتكم الطاعة فلا عذر لكم فى التفريط والله يعلم ما تبدون وما تكتمون
فلا يخفى عليه نفاقكم ووفاقكم قل لا يستوى الخبيث والطيب لما اخبر انه يعلم ما تبدون
وما تكتمون ذكر انه لا يستوى خبيثهم وطيبهم بل يميز بينهما فيعاقب الخبيث اى الكافر
ويثيب الطيب اى المسلم ولو اعجبك كثرة الخبيث فاتقوا الله واثروا الطيب وان قل
على الخبيث وان كثر وقيل هو عام فى حلال المال وحرامه وصالح العمل وطالحه وجيد الناس
ورديهم يا اولى الالباب اى العقول الخالصة لعلكم تفلحون كانوا يسالون النبى عليه الصلوة
والسلام عن اشياء امتحانا فنزل يا ايها الذين امنوا لا تسالوا عن اشياء قال الخليل وسيبويه
وجمهور البصريين اصله شيئاء بهمزتين بينهما الف وهى فعلاء من لفظ شئ وهمزتها الثانية
للتانيث ولذا لم ينصرف كحمراء وهى مفردة لفظا جمع معنى ولما استثقلت الهمزتان المجتمعتان
قدمت الاولى التى هى لام الكلمة فجعلت قبل الشين فصار لفظها لفعاء والجملة الشرطية و
المعطوفة عليها اى قوله ان تبد لكم تسؤكم وان تسالوا عنها حين ينزل القران تبد لكم صفة

لاشياء اى وان تسالوا عن هذه التكاليف فى زمان الوحى وهو ما دام الرسول عليه
الصلوة والسلام بين اظهركم تبد لكم تلك التكاليف التى تسؤكم اى تغمكم وتشق عليكم وتومروا
بتحملها فتعرضون انفسكم لغضب الله بالتفريط فيها عفا الله عنها عما سلف من مسائلتكم
فلا تعودوا الى مثلها والله غفور حليم لايعاقبكم الا بعد الانذار والضمير فى قد سالها
لا يرجع الى اشياء حتى يعدى بعن بل يرجع الى المسيلة التى دلت عليها لاتسالوا اى قد سال
هذه المسئلة قوم من قبلكم من الاولين ثم اصبحوا بها صاروا بسببها كافرين من الاولين ثم
اصبحوا بها صاكما عرف فى بنى اسرائيل ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام
كان اهل الجاهلية اذا نتجت الناقة خمسة ابطن آخرها ذكر بحروا اذنها اى شقوها و
امتنعوا من ركوبها وذبحها ولا تطرد عن ماء ولا مرعى واسمها البحيرة وكان يقول
الرجل اذا قدمت سفرى او برئت من مرضى فناقتى سائبة وجعلها كالبحيرة فى الانتفاع
بها وقيل كان الرجل اذا اعتق عبدا قال هو سائبة فلا عقل بينهما ولا ميراث وكانت
الشاة اذا ولدت سبعة ابطن فان كان السابع ذكرا اكله الرجال وان كان انثى ارسلت
فى الغنم وكذا ان كان ذكرا وانثى وقالوا وصلت اخاها فالوصيلة بمعنى الواصلة
واذا نتجت من صلب الفحل عشرة ابطن قالوا قد حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا
يمنع من ماء ولا مساعى ومعنى ما جعل ما شرع ذلك ولا امر به ولكن الذين كفروا
بتحريمهم ما حرموا يفترون على الله الكذب فى نسبتهم هذا التحريم اليه واكثرهم لايعقلون
ان الله لايحرم ذلك وهم عوامهم واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول
اى هلموا الى حكم الله ورسوله بان هذه الاشياء غير محرمة قالوا حسبنا ما وجدنا عليه
اباءنا اى كافينا ذلك حسبنا ابتداء والخبر ما وجدنا وما بمعنى الذى والواو فى اولو
كان اباؤهم للحال قد دخلت عليها همزة الانكار وتقديره احسبهم ذلك ولو كان اباؤهم
لا يعلمون شيئا ولا يهتدون اى الاقتداء وانما يصح بالعالم المهتدى وانما يعرف اهتداؤه
بالحجة يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم انتصب انفسكم بعليكم وهو من اسماء الفعل اى
الزموا اصلاح انفسكم بعليكم وهو من اسماء الفعل والكاف والميم فى عليكم فى موضع جر

برئت

فى

لان اسم

لان اسم الفعل هو الجار والمجرور لا على وحدها لايضركم رفع على الاستيناف او جزم
على جواب الامر وانما ضمت الراء اتباعا لضمة الضاد من ضل اذا اهتديتم كان المومنون
يذهب انفسهم حسرة على اهل العناد من الكفرة يتمنون دخولهم فى الاسلام فقيل لهم
عليكم انفسكم وما كلفتم من اصلاحها لايضركم الضلال من دينكم اذا كنتم مهتدين وليس
المراد ترك الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فان تركهما مع القدرة عليهما لايجوز الى الله
مرجعكم رجوعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون ثم يجزيكم على اعمالكم روى انه خرج
بديل مولى عمرو بن العاص وكان من المهاجرين مع عدى وتميم وكانا نصرانيين الى الشام
فمرض بديل وكتب كتابا فيه ما معه وطرحه فى متاعه ولم يخبر به صاحبيه واوصى
اليهما ان يدفعها متاعه الى اهله ومات ففتشا متاعه واخذا اناء من فضة فاصاب
اهل بديل الصحيفة فطالبوهما بالاناء فجحدا فرفعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل
يا ايها الذين امنوا شهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت حين الوصية اثنان ارتفع
اثنان لانه خبر المبتدا وهو شهادة بتقدير شهادة بينكم شهادة اثنين واتسع
فى بين فاضيف اليه المصدر واذا حضر ظرف للشهادة وحين الوصية بدل منه وفى
ابداله منه دليل على وجوب الوصية لان حضور الموت الامور الكائنة وحين الوصية
بدل منه فيدل على وجود الوصية ولو وجدت بدون الاختيار لسقط الابتلاء فنقل
الى الوجوب وحضور الموت مشارفته وظهور امارات بلوغ الاجل ذوا عدل
صفة لاثنين منكم من اقاربكم لانهم اعلم باحوال الميت او آخران عطف على اثنان
من غيركم من الاجانب ان انتم ضربتم فى الارض سافرتم فيها وانتم فاعل فعل يفسره
الظاهر فاصابتكم مصيبة الموت او منكم من المسلمين ومن غيركم من اهل الذمة وقيل
هى منسوخ اذ لايجوز شهادة الذمى على المسلم وانما جازت فى اول الاسلام لقلة
المسلمين تحبسونهما تقفونهما للحلف وهو استيناف كلام او صفة لقوله او آخران من
غيركم اى وآخران من غيركم محبوسان وانتم ضربتم فى الارض فاصابتكم مصيبة الموت
اعتراض بين الصفة والموصوف من بعد الصلوة من بعد صلوة العصر لانه وقت اجتماع

١٧ ان م

الناس وعن الحسن بعد العصر او الظهر لان اهل الحجاز كانوا يقعدون للحكومة بعدها
وفي حديث بديل انها لما نزلت صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوة العصر ودعا بعدي
وتميم فاستحلفهما عند المنبر فحلفا ثم وجد الاناء بمكة فقالوا انا اشتريناه من تميم و
عدي فيقسمان بالله فيحلفان به ان ارتبتم شككتم في امانتهما وهو اعتراض بين يقسمان
وجوابه وهو لا نشترى وجواب الشرط محذوف اغنى عنه معنى الكلام و ان
ارتبتم في شانهما فحلفوهما به بالله او بالقسم ثمنا عرضا من الدنيا ولو كان اى المقسم له
ذا قربى اى لا نحلف بالله كاذبين لاجل المال ولو كان من نقسم له قريبا منا ولا نكتم شهادة
الله اى الشهادة التي امر الله بحفظها وتعظيمها انا اذا انا ان كتمنا لمن الآثمين وقيل ان
اريد بهما الشاهدان فقد نسخ تحليف الشاهدين وان اريد الوصيان فلم ينسخ تحليفهما فان
عثر فان اطلع على انهما استحقا اثما فعلا ما اوجب اثما واستوجبا ان يقال انهما لمن الآثمين
فآخران فشاهدان آخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم اى من الذين استحق
عليهم الاثم ومعناه من الذين جنى عليهم وهم اهل الميت وعشيرته وفي قصة بديل انه لما
ظهرت خيانة الرجلين حلف رجلان من ورثته انه اناء صاحبهما وان شهادتهما احق من
شهادتهما الاوليان الاحقان بالشهادة لقرابتهما ومعرفتهما وارتفاعهما على هما الاوليان
كانه قيل ومن هما فقيل الاوليان او هما بدل من الضمير في يقومان او من آخران استحق
عليهم الاوليان حفص اى من الورثة الذين استحق عليهم مجرد الاوليان من بينهم با
من بينهم بالشهادة ان يجردوهما للقيام بالشهادة ويظهروا بهما كذب الكاذبين الاولين
حمزة وابو بكر مجرور على انه وصف للذين استحق عليهم او منصوب على المدح وسموا
الاولين بالله لشهادتنا احق من شهادتهما اى ليميننا احق بالقبول من يمين هذين الوصيين
الخائنين وما اعتدينا وما تجاوزنا الحق في يميننا انا اذا لمن الظالمين اى ان حلفنا كاذبين
ذلك الذي مر ذكره من بيان الحكم ادنى اقرب ان ياتوا اى الشهداء على نحو تلك الحادثة
بالشهادة على وجهها كما حملوها بلا خيانة فيها او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم اى تكرر
ايمان شهود آخرين بعد ايمانهم فيفتضحوا بظهور كذبهم واتقوا الله الخلق في الخيانة

لتقدمهم كانوا اولين في الذكر قوله شهادة بينكم فيقسمان

واليمين

واليمين الكاذبة واسمعوا سمع قبول واجابة والله لا يهدي القوم الفاسقين الخارجين
عن الطاعة فان قلت ما معنى او ههنا قلت معناه ذلك اقرب من ان يودي والشهادة
بالحق والصدق اما لله او الخوف العار والافتضاح برد الايمان وقد احتج به من يرى
رد اليمين على المدعي فالجواب الورثة قد ادعوا على النصرانيين انهما قد اختانا فحلفا
فلما ظهر كذبهما ادعيا الشراء فيما كتما فانكرت الورثة فكانت اليمين على الورثة لانكارهم
الشرى يوم منصوب باذكروا او احذروا يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم ما
الذي اجابتكم اممكم حين دعوتموهم الى الايمان وهذا السوال توبيخ لمن انكرهم ماذا
منصوب باجبتم نصب المصدر على معنى اى اجابة اجبتم قالوا لا علم لنا باخلاص قومنا
دليله انك انت علام الغيوب او بما احدثوا بعدنا دليله كنت انت الرقيب عليهم او
قالوا ذلك تاديا اى علمنا ساقط مع علمك ومغمور به فكانه لا علم لنا اذ قال الله بدل
من يوم الجمع يا عيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك حيث طهرتها و
اصطفيتها على نساء العالمين والعامل في اذ ايدتك اى قويتك لنعمتي بروح القدس
بجبريل عليه السلام ايده لتثبيت الحجة او بالكلام الذي يحيى به الدين واضافته الى
القدس لانه سبب الطهر من اوضار الآثام دليله تكلم الناس في المهد حال اى تكلمهم طفلا
اعجازا وكهلا تبليغا واذ علمتك معطوف على اذ ايدتك ونحوه واذ تخلق واذ تخرج
واذ كففت واذ اوحيت الكتاب الخط والحكمة الكلام المحكم للصواب والتورية و
الانجيل واذ تخلق تقدر من الطين كهيئة الطير هيئة مثل هيئة الطير باذني بتسهيلي
فتنفخ فيها الضمير للكاف لانها صفة الهيئة التي كان يخلقها عيسى وينفخ فيها ولا يرجع
الى الهيئة المضاف اليها لانها ليست من خلقه وكذا الضمير في فتكون طيرا باذني وعطف
وتبرئ الاكمه والابرص باذني على تخلق واذ تخرج الموتى من القبور احياء باذني قيل
اخرج سام بن نوح ورجلين وامراة وجارية واذ كففت بني اسرائيل عنك اى اليهود
حين هموا بقتله اذ جئتهم ظرف لكففت بالبينات فقال الذين كفروا منهم ان هذا
الا سحر مبين ساحر حمزة وعلي واذ اوحيت اى الهمت الى الحواريين الخواص والاصفياء

ان آمنوا اى اسنوا بى وبرسولى قالوا امنا واشهد باننا مسلمون اى اشهد باننا مخلصون
من اسلم وجهه اذ قال الحواريون اى اذكر اذ قال يا عيسى بن مريم نصب على اتباع حركته
حركة الابن نحو يا زيد بن عمرو هل يستطيع ربك هل يفعل او هل يطيع ربك ان سالته
فاستطاع واطاع بمعنى كاستجاب واجاب هل تستطيع ربك على اى هل تستطيع سوال
ربك فحذف المضاف والمعنى هل تسأله ذلك من غير صارف يصرفك عن سؤاله ان ينزل
علينا ينزل مكى وبصرى مايدة من السماء هى الخوان اذا كان عليه الطعام من ماده اذا اعطاه
كانها تميد من تقدم اليه قال اتقوا الله فى اقتراح المعجزات بعد ظهور الايات ان كنتم
مومنين اذ الايمان يوجب التقوى قالوا نريد ان ناكل منها تبركا به وتطمئن قلوبنا
ونزداد يقينا كقول ابراهيم ولكن ليطمئن قلبى ونعلم ان قد صدقتنا اى نعلم صدقك
عيانا كما علمناه استدلالا ونكون عليها من الشاهدين بما عاينا لمن بعدنا ولما كان السؤال
لزيادة العلم لا للتعنت قال عيسى بن مريم اللهم اصله يا الله فحذف يا وعوضت منه
الميم ربنا نداء ثان انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا اى يكون يوم نزولها عيدا
قيل هو يوم الاحد ومن ثم اتخذه النصارى عيدا او العيد السرور العايد ولذا يقال
يوم عيد فكان معناه تكون لنا سرورا وفرحا لاولنا واخرنا بدل من لنا بتكرير العامل
اى لمن فى زماننا من اهل ديننا ولمن ياتى بعدنا او ياكل منها آخر الناس كما ياكل اولهم
او للمتقدمين منا والاتباع وآية منك على صحة نبوتى ثم اكد ذلك بقوله وارزقنا
وانت خير الرازقين واعطنا ما سالناك وانت خير المعطين قال الله انى منزلها عليكم
وبالتشديد مدنى وشامى وعاصم وعدا بالانزال وشرط عليهم شرطا بقوله فمن يكفر بعد
اى بعد نزولها منكم فانى اعذبه عذابا اى تعذيبا كالسلام بمعنى التسليم والضمير فى
لا اعذبه للمصدر ولو اريد بالعذاب ما يعذب به لم يكن بد من الباء احدا من العالمين
عن الحسن ان المائدة لم تنزل ولو نزلت لكانت عيدا الى يوم القيمة لقوله واخرنا
والصحيح انها نزلت فعن وهب نزلت مائدة منكوسة تطير بها الملائكة عليها ما شاء
وقيل كانت تنزل حيث كانوا بكرة وعشيا واذ قال الله يا عيسى بن مريم ءانت قلت للناس

اتخذونى

اتخذونى وامى الهين من دون الله الجمهور على ان هذا السؤال يكون فى القيمة دليله سياق الاية
وسياقها وقيل خاطبه به حين رفعه الى السماء دليله لفظ اذ قال سبحانك من ان يكون لك
شريك ما يكون لى ما ينبغى لى ان اقول ما ليس لى بحق ان اقول قولا لا يحق لى ان اقوله ان
كنت قلته فقد علمته ان صح انى قلته فيما مضى فقد علمته والمعنى انى لا احتاج الى الاعتذار
لانك تعلم انى لم اقله ولو قلته علمته لانك تعلم ما فى نفسى ذاتى ولا اعلم ما فى نفسك ذاتك
ونفس الشىء ذاته وهويته والمعنى تعلم معلومى ولا اعلم معلومك انك انت علام
الغيوب تقرير للجملتين معا لان ما انطوت عليه النفوس من جملة الغيوب ولان ما يعلمه
علام الغيوب لا ينتهى اليه علم احد ما قلت لهم الا ما امرتنى به اى ما امرتهم الا بما امرتنى به
ثم فسر ما امر به فقال ان اعبدوا الله ربى وربكم فان مفسرة بمعنى اى وكنت عليهم شهيدا
رقيبا ما دمت فيهم مدة كونى فيهم فلما توفيتنى كنت انت الرقيب عليهم الحفيظ وانت
على كل شىء شهيد من قولى وفعلى وقولهم وفعلهم ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم
فانك انت العزيز الحكيم قال الزجاج علم عيسى عليه السلام ان منهم من امن ومنهم من اقام
على الكفر فقال فى جملتهم ان تعذبهم اى ان تعذب من كفر منهم فانهم عبادك الذين علمتهم
جاحدين لاياتك مكذبين لانبيائك وانت العادل فى ذلك فانهم قد كفروا بعد وجوب
الحجة عليهم وان تغفر لهم اى لمن اقلع منهم وامن فذلك تفضل منك وانت عزيز لا يمتنع
عليك ما تريد حكيم فى ذلك او عزيز قوى قادر على الثواب حكيم لا تعاقب الا عن حكمة وصواب
قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم برفع اليوم والاضافة على انه خبر هذا اى يقول
الله هذا يوم ينفع الصادقين فيه صدقهم المستمر فى دنياهم وآخرتهم والجملة من المبتدا
والخبر فى محل النصب على المفعولية كما تقول قال زيد عمرو منطلق وبالنصب نافع على الظرف
اى قال الله هذا لعيسى عليه السلام يوم ينفع الصادقين صدقهم وهو يوم القيمة لهم جنات
تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضى الله عنهم بالسعى المشكور ورضوا عنه بالجزاء
الموفور ذلك الفوز العظيم لانه باق بخلاف الفوز فى الدنيا فهو غير باق لله ملك السموات
والارض وما فيهن عظم نفسه عما قالت النصارى ان معه الها آخر وهو على كل شىء قدير

المنع والاعطاء والانجاء والافناء نسأله ان يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين

سورة الانعام مكية وهي مائة وستون وخمس آية بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله تعليم اللفظ والمعنى مع تعريض الاستغناء اى الحمد له وان لم يحمدوه الذى خلق
السموات والارض جمع السموات لانها طباق بعضها فوق بعض والارض وان
كانت سبعة عند الجمهور فليس بعضها فوق بعض بل بعضها موال البعض جعل يتعدى
الى مفعول واحد اذا كان بمعنى احدث وانشاء كقوله وجعل الظلمات والنور والى
مفعولين اذا كان بمعنى صير كقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا وفيه
رد قول الثنوية بقدم النور والظلمة وافرد النور لارادة الجنس ولان ظلمة كل شيء
تختلف باختلاف ذلك الشيء نظيره ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة الموضع المظلم يخالف
كل واحد منها صاحبها والنور ضرب واحد لا يختلف كما تختلف الظلمات وقدم الظلمات
لقوله عليه الصلوة والسلام خلق الله خلقه فى ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن اصابه النور
اهتدى ومن اخطاه ضل ثم الذين كفروا بعد هذا البيان بربهم يعدلون يسوون
به الاوثان تقول عدلت هذا بذا اى ساويته به والباء فى بربهم صلة للعدل لا للكفر
او ثم الذين كفروا بربهم يعدلون عنه اى يعرضون عنه فيكون الباء صلة للكفر
وصلة يعدلون اى عنه محذوفة وعطف ثم الذين كفروا على الحمد لله على معنى ان
الله حقيق بالحمد على ما خلق لانه ما خلقه الا نعمة ثم الذين كفروا به يعدلون فيكفرون
نعمته او على خلق السموات على معنى انه خلق ما خلق مما لا يقدر عليه احد سواه ثم هم
يعدلون به ما لا يقدر على شيء منه ومعنى ثم استبعاد ان يعدلوا به بعد وضوح
ايات قدرته هو الذى خلقكم من طين من الاولى لابتداء الغاية اى ابتداء خلق
اصلكم يعنى ادم منه ثم قضى اجلا اى حكم اجل الموت واجل مسمى عنده اجل القيمة او
الاول ما بين ان يخلق الى ان يموت والثانى ما بين الموت والبعث وهو البرزخ او الاول
النوم والثانى الموت او الثانى هو الاول وتقديره وهو اجل مسمى اى معلوم واجل مسمى
مبتداء والخبر عنده وقدم المبتداء وان كان نكرة والخبر ظرفا وحقه التاخير لانه

تخصص بالصفة فقارب المعرفة ثم انتم تمترون تشكون من المرية او تجادلون من
المراء ومعنى ثم استبعاد ان تمترو فيه بعد ما ثبت انه محييهم ومميتهم وباعثهم وهو
الله مبتداء وخبر فى السموات وفى الارض متعلق بمعنى اسم الله كانه قيل وهو المعبود
فيهما كقوله وهو الذى فى السماء اله وفى الارض اله او هو المعروف بالالهية فيهما او هو
الذى يقال له الله فيهما والاول تفريع على انه مشتق وغيره على انه غير مشتق يعلم
سركم وجهركم خبر بعد خبر او كلام مبتداء اى هو يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون
من الخير والشر ويثيب ويعاقب ومن فى وما تاتيهم من اية للاستغراق وفى من ايات
ربهم للتبعيض اى وما يظهر لهم دليل قط من الادلة التى يجب فيها النظر والاعتبار
الا كانوا عنها معرضين تاركين للنظر لا يلتفتون اليه لقلة خوفهم وتدبرهم فى
العواقب فقد كذبوا مردود على كلام محذوف كانه قيل ان كانوا معرضين عن الايات
فقد كذبوا بالحق لما جاءهم اى بما هو اعظم اية واكبرها وهو القران الذى تحدوا به
فعجزوا عنه فسوف ياتيهم انباء ما كانوا به يستهزؤن اى انباء الشيء الذى كانوا به
يستهزؤن وهو القران اى اخباره واحواله يعنى سيعلمون باى شيء استهزاوا و
ذلك عند ارسال العذاب عليهم فى الدنيا او يوم القيمة او عند الاسلام وعلو
كلمته الم يروا يعنى المكذبين كم اهلكنا من قبلهم من قرن لم هو مدة انقضاء اهل كل
عصر وهو ثمانون سنة او سبعون مكناهم فى موضع جر صفة لقرن وجمع على
المعنى فى الارض ما لم نمكن لكم التمكين فى البلاد اعطاء المكنة والمعنى لم نعط اهل
مكة نحو ما اعطينا عادا او ثمود او غيرهم من البسطة فى الاجسام والسعة فى
الاموال والاستظهار باسباب الدنيا وارسلنا السماء المطر عليهم مدرارا كثيرا
وهو حال من السماء وجعلنا الانهار تجرى من تحتهم من تحت اشجارهم والمعنى
عاشوا فى الخصب بين الانهار والثمار وسقيا الغيث المدرار فاهلكناهم بذنوبهم
ولم يغن ذلك عنهم شيئا وانشانا من بعدهم قرنا اخرين بدلا منهم ولو نزلنا عليك
كتابا مكتوبا فى قرطاس فى ورق فلمسوه بايديهم هو للتاكيد لئلا يقولوا سكرت

ابصارنا ومن المحتج عليهم الاعمى لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين تعنتا وعنادا للحق
بعد ظهوره وقالوا لولا هلا انزل عليه على النبي صلى الله عليه وسلم ملك يكلمنا انه نبي فقال
الله ولو انزلنا ملكا لقضي الامر لقضي امر هلاكهم ثم لا ينظرون لا يمهلون بعد نزوله
طرفة عين لانهم اذا شاهدوا ملكا في صورته زهقت من هول ما يشاهدون ومعنى ثم
بعد ما بين الامرين قضاء الامر وعدم الانظار جعل عدم الانظار اشد من قضاء الامر
لان مفاجاة الشدة اشد من نفس الشدة ولو جعلناه ملكا ولو جعلنا الرسول ملكا كما اقترحوا
لانهم كانوا تارة يقولون لولا انزل على محمد ملك وتارة يقولون ما هذا الا بشر مثلكم ولو
شاء ربنا لانزل ملائكة لجعلناه رجلا لارسلناه في صورة رجل كما كان ينزل جبرئيل
عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم في اعم الاحوال في صورة دحية لانهم لا يبقون
مع روية الملائكة في صورهم وللبسنا عليهم ما يلبسون ولخلطنا واشكلنا عليهم من امره
اذا كان سبيله كسبيلك يا محمد فانهم يقولون اذا راوا الملك في صورة الانسان هذا
انسان وليس بملك يقال لبست الامر على القوم البسه اذا شبهته واشكلته عليهم ثم سلى
نبيه على ما اصابه من استهزاء قومه بقوله ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين
سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن فاحاط بهم الشيء الذي كانوا يستهزؤن به وهو الحق
حيث اهلكوا من اجل الاستهزاء به ومنهم متعلق سخروا كقوله فيسخرون منهم و
الضمير للرسل والدال مكسور عند ابي عمرو وعاصم لالتقاء الساكنين وضمها غيرهما
اتباعا بضم التاء قل سيروا في الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين الفرق
بين فانظروا وبين ثم انظروا ان النظر جعل مسببا عن السير في فانظروا فكانه قيل
سيروا لاجل النظر ولا تسيروا سير الغافلين ومعنى سيروا في الارض ثم انظروا اباحة
السير في الارض للتجارة وغيرها وايجاب النظر في آثار الهالكين ونبه على ذلك بثم
لتباعد ما بين الواجب والمباح قل لمن ما في السموات والارض من استفهام وما بمعنى
الذي في موضع الرفع على الابتداء ولمن خبره قل لله تقرير لهم اي هو الله لا خلاف
بيني وبينكم ولا يقدرون ان تضيفوا شيئا منه الى غيره كتب على نفسه الرحمة اصل كتب

ابجر

160

اوجب ولكن لا يجوز الاجراء على ظاهره اذ لا يجب على الله شيء للعبد فالمراد انه وعد
ذلك وعدا موكدا فهو منجزه لا محالة وذكر النفس للاختصاص ورفع الوسائط
ثم اوعدهم على اغفالهم النظر واشراكهم به من لا يقدر على خلق شيء بقوله ليجمعنكم
الى يوم القيمة فيجازيكم على شرككم لا ريب فيه في اليوم وفي الجمع الذين خسروا
انفسهم نصب على الذم اي اريد الذين خسروا انفسهم باختيارهم الكفر فهم لا يؤمنون
وقال الاخفش الذين بدل من كم في ليجمعنكم اي ليجمعن هؤلاء الذين خسروا انفسهم
والاول الوجه لان سيبويه قال لا يجوز مررت بي المسكين ولا بك المسلمين فتجعل
المسكين بدلا من الياء ولا الكاف لانهما في غاية الوضوح فلا يحتاجان الى البدل والتفسير
وله عطف على الله ما سكن في الليل والنهار من السكنى حتى يتناول الساكن والمتحرك
او من السكون ومعناه ما سكن وتحرك فيهما فاكتفى باحد الضدين عن الآخر كقوله
تقيكم الحر اي الحر والبرد وذكر السكون لانه اكثر من الحركة وهو احتجاج على المشركين
لانهم لا ينكرون انه خالق الكل ومدبره وهو السميع العليم يسمع كل مسموع ويعلم
كل معلوم فلا يخفى عليه شيء مما يشتمل عليه الملوان قل اغير الله اتخذ وليا ناصرا و
معبودا وهو مفعول ثان لاتخذ والاول غيرا وانما ادخل همزة الاستفهام على مفعول
اتخذ لا عليه لان الانكار في اتخاذ غير الله وليا لا في اتخاذ الولي فكان احق بالتقديم
فاطر السموات والارض بالجر صفة الله اي مخترعهما وعن ابن عباس رض ما عرفت
معنى الفاطر حتى اختصم الي اعرابيان في بير فقال احدهما انا فطرتها اي ابتدأتها
وهو يطعم ولا يطعم وهو يرزق ولا يرزق اي المنافع كلها من عنده ولا يجوز عليه
الانتفاع قل اني امرت ان اكون اول من اسلم لان النبي صلى الله عليه وسلم سابق امته
في الاسلام كقوله وبذلك امرت وانا اول المسلمين ولا تكونن من المشركين وقيل لي لا
تكونن من المشركين ولو عطف على ما قبله لفظا لقيل وان لا اكون والمعنى امرت بالاسلام
ونهيت عن الشرك قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم اي اني اخاف عذاب
يوم عظيم وهو القيمة ان عصيت ربي فالشرط معترض بين الفاعل والمفعول به محذوف

الجواب من يصرف عنه العذاب يومئذ فقد رحمه الله الرحمة العظمى وهي النجاة من
يصرف بفتح الياء وكسر الراء حمزة وعلي وابو بكر اي من يصرف الله عنه العذاب وذلك
الفوز المبين النجاة الظاهرة وان يمسسك الله بضر من مرض وفقر او غير ذلك
من بلايا فلا كاشف له الا هو فلا قادر على كشفه الا هو وان يمسسك بخير من غنى
او صحة فهو على كل شيء قدير فكان قادرا على ادامته وازالته وهو القاهر مبتداء
وخبر اي الغالب المقتدر فوق عباده خبر بعد خبر اي عال عليهم بالقدرة والقهر
بلوغ المراد بمنع غيره من بلوغه وهو الحكيم في تنفيذ مراده الخبير باهل القهر من عباده
قل اي شيء اكبر شهادة اي شيء مبتداء واكبر خبره وشهادة تمييز واي كلمة يراد بها
بعض ما يضاف اليه فاذا كانت استفهاما كان جوابها مسمى باسم ما اضيف اليه وقوله
قل الله جواب اي الله اكبر شهادة فالله مبتداء والخبر محذوف فيكون دليلا على
انه يجوز اطلاق اسم الشيء على الله تعالى وهذا لانه اسم للموجود ولا يطلق على المعدوم
والله تعالى موجود فيكون شيئا ولذا نقول الله تعالى شيء لا كالاشياء ثم ابتدئ شهيد
بيني وبينكم اي هو شهيد بيني وبينكم ويجوز ان يكون الجواب الله شهيد بيني وبينكم
لانه اذا كان الله شهيدا بينه وبينهم فاكبر شيء شهادة شهيد له واوحي الي هذا وهذا
القران لانذركم به ومن بلغ اي ومن بلغه القران الى قيام الساعة في الحديث من
بلغه القران فكانما رأى محمدا صلى الله عليه وسلم من في محل النصب بالعطف على كم والمراد
به اهل مكة والعايد اليه محذوف اي ومن بلغه فاعل بلغ ضمير القران ائنكم لتشهدون
ان مع الله آلهة اخرى استفهام انكار وتبكيت قل لا اشهد بما تشهدون وكرر قل
توكيد انما هو اله واحد ما كافة لانه تكف من العمل وهو مبتداء واله خبره وواحد
صفة له او بمعنى الذي في محل النصب بان وهو مبتداء واله خبره والجملة صلة الذي
وواحد خبر ان وهذا الوجه اوقع واني بريء مما تشركون الذين آتيناهم الكتاب
يعني اليهود والنصارى والكتاب التوراة والانجيل يعرفونه اي رسول الله بحليته و
نعته الثابت في الكتابين كما يعرفون ابناءهم بحلاهم ونعوتهم وهذا استشهاد لاهل مكة

بمعرفة اهل الكتاب به وبصحة نبوته ثم قال الذين خسروا انفسهم من المشركين ومن
اهل الكتاب الجاحدين فهم لا يؤمنون به ومن اظلم استفهام يتضمن معنى النفي اي
لا احد اظلم لنفسه والظلم وضع الشيء في غير محله واشنعه اتخاذ المخلوق معبودا
ممن افترى اختلق على الله كذبا فيصفه بما لا يليق به او كذب بآياته بالقران والمعجزات
انه ان الامر والشان لا يفلح الظالمون جمعوا بين امرين باطلين فكذبوا على الله ما
لا حجة عليه وكذبوا بما ثبت بالحجة قالوا الملائكة بنات الله وسموا القران والمعجزات
سحرا ويوم نحشرهم هو مفعول به والتقدير واذكر يوم نحشرهم جميعا حال من
ضمير المفعول ثم نقول للذين اشركوا مع الله غيره توبيخا وبالياء فيهما يعقوب اين
شركاؤكم آلهتكم التي جعلتموها شركاء الله الذين كنتم تزعمون اي تزعمونهم شركاء
فحذف المفعولان ثم لم تكن وبالياء حمزة وعلي فتنتهم كفرهم الا ان قالوا والله
ربنا ما كنا مشركين يعني ثم لم تكن عاقبة كفرهم الذي لزموه اعمارهم وقاتلوا عليه
الا جحوده والتبرء منه والحلف على الانتفاء من التدين به او ثم لم تكن جوابهم الا ان
قالوا فسمي فتنة لانه كذب وبرفع الفتنة مكي وشامي وحفص فمن قرأ تكن وان قالوا
الخبر اي لم تكن فتنتهم الا مقالتهم ومن قرأ بالياء ونصب الفتنة جعل ان قالوا اسم يكن
فتنتهم الا قولهم ومن قرأ بالتاء ونصب الفتنة حمل على المقالة ربنا بالنصب حمزة و
علي على النداء اي يا ربنا وغيرهما بالجر على النعت من اسم الله انظر يا محمد كيف كذبوا
على انفسهم انفسهم بقولهم ما كنا مشركين قال مجاهد رض اذا جمع الله الخلائق ورأى
المشركون سعة رحمة الله وشفاعة الرسول للمؤمنين قال بعضهم لبعض تعالوا نكتم
الشرك لعلنا ننجو مع اهل التوحيد فاذا قال الله لهم اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون
قالوا والله ربنا ما كنا مشركين فيختم الله على افواههم فتشهد عليهم جوارحهم
وضل عنهم وغاب عنهم ما كانوا يفترون الهيته وشفاعته ومنهم من يستمع اليك
حين تتلو القران روي انه اجتمع ابو سفيان والوليد والنضر واضرابهم يستمعون تلاوة
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا للنضر ما يقول محمد صلى الله عليه وسلم فقال والله

ما ادرى ما يقول الا انه يحرك لسانه ويقول اساطير الاولين مثل ما حدثتكم عن القرون
الماضية فقال ابو سفيان انى لاراه حقا فقال ابو جهل كلا فنزلت وجعلنا على قلوبهم
اكنة اعطية جمع كنان وهو الغطاء مثل عنان واعنة ان يفقهوه وفى اذانهم وقرا ثقلا
يمنع من السمع ووحد الوقر لانه مصدر وهو عطف على اكنة وهو حجة لنا فى
الاصلح على المعتزلة وان يروا كل اية لا يؤمنوا بها حتى اذا جاؤك يجادلونك يقول
الذين كفروا حتى هى التى تقع بعدها الجمل والجملة قوله اذا جاؤك يقول الذين
كفروا ويجادلونك فى موضع الحال ويجوز ان تكون جارة ويكون اذا جاؤك فى موضع
الجر بمعنى وقت مجيئهم ويجادلونك حال يقول الذين كفروا تفسير له والمعنى انه بلغ
تكذيبهم الايات الى انهم يجادلونك ويناكرونك وفسر مجادلتهم بانهم يقولون
ان هذا ما القران الا اساطير الاولين فيجعلون كلام الله اكاذيب وواحد الاساطير
اسطورة وهم اى المشركون ينهون عنه ينهون الناس عن القران او عن الرسول
واتباعه والايمان به وينأون عنه ويبعدون عنه بانفسهم فيضلون ويضلون
وان يهلكون بذلك الا انفسهم وما يشعرون اى لا يتعداهم الضرر الى غيرهم و
ان كانوا يظنون انهم يضرون رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل عنى به ابو طالب
لانه كان ينهى قريشا عن التعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم وينأى عنه فلا يومن به
والاول اشبه ولو ترى اخذف جوابه اى ولو ترى لشاهدت امرا عظيما اذ وقفوا
على النار اروها حتى يعاينوها او حبسوا على الصراط فوق النار فقالوا يا ليتنا نرد الى
الدنيا تمنوا الرد الى الدنيا ليؤمنوا ثم يميتهم ثم ابتدؤا بقوله ولا نكذب بايات
ربنا ونكون من المومنين واعدين الايمان كانهم قالوا ونحن لا نكذب ونؤمن ولا
نكذب ونكون بالنصب فيهما حمزة وحفص على جواب التمنى بالواو باضمار ان و
معناه ان رددنا لم نكذب ونكن من المومنين وافقهما فى ونكون شامى بل للاضراب
عن الوفاء بما تمنوا بدا لهم ظهر لهم ما كانوا يخفون من الناس من قبل فى الدنيا من
قبائحهم وفضائحهم فى صحفهم وقيل هو فى المنافقين وانه يظهر نفاقهم الذى كانوا

يسرونه او فى اهل الكتاب وانه يظهر لهم ما كانوا يخفونه من صحة نبوة رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولو ردوا الى الدنيا بعد وقوفهم على النار لعادوا لما نهوا عنه
من الكفر وانهم لكاذبون فيما وعدوا من انفسهم لا يوفون به وقالوا عطف على
لعادوا اى ولو ردوا لكفروا ولقالوا ان هى الا حيوتنا الدنيا كما كانوا يقولون
قبل معاينة القيامة وهى كناية عن الحيوة او هو ضمير القصة وما نحن بمبعوثين
ولو ترى اذ وقفوا على ربهم مجاز عن الحبس للتوبيخ والسؤال كما يوقف العبد
الجانى بين يدى سيده ليعاتبه او وقفوا على جزاء ربهم قال جواب لسؤال مقدر
كانه قيل ماذا قال لهم ربهم اذ وقفوا عليه فقيل قال اليس هذا اى البعث بالحق بالكائن
الموجود وهذا تعيير لهم على التكذيب للبعث وقولهم لما كانوا يسمعون من حديث
البعث ما هو بحق قالوا بلى وربنا اقروا واكدوا الاقرار باليمين قال الله فذوقوا
العذاب بما كنتم تكفرون بكفركم قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله ببلوغ الاخرة وما
يتصل بها او هو مجرى على ظاهره لان منكر البعث منكر للروية حتى غاية لكذبوا
لا لخسر لان خسرانهم لا غاية له اذا جاءتهم الساعة اى القيامة لان مدة تأخرها مع
تابد ما بعدها كساعة بغتة فجاءة وانتصابها على الحال يعنى باغتة او على المصدر كانه
قيل بغتتهم الساعة بغتة وهى ورود الشئ على صاحبه من غير علم بوقته قالوا يا
حسرتنا نداء تفجع معناه يا حسرة احضرى وهذا اوانك على ما فرطنا قصرنا فيها
فى الحيوة الدنيا او فى الساعة اى قصرنا فى شانها وفى الايمان بها وهم يحملون
اوزارهم اثامهم على ظهورهم خص الظهر لان المعهود حمل الاثقال على الظهور كما
عهد الكسب بالايدى وهو مجاز عن اللزوم على وجه لا يفارقهم وقيل ان الكافر
اذا خرج من قبره استقبله عمله اقبح الشئ صورة واخبثه ريحا فيقول له انا عملك
السئ فطالما ركبتنى فى الدنيا وانا اركبك اليوم الا ساء ما يزرون بئس شيئا يحملون
وافاد الا تعظيم ما يذكر بعده وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو جواب لقولهم ان هى
الا حيوتنا الدنيا واللعب ترك ما ينفع بما لا ينفع واللهو الميل عن الجد الى الهزل

قيل ما اهل الحيوة الدنيا الا اهل لعب ولهو وقيل ما اعمال الحيوة الدنيا الا لعب وهو
لانها لا تعقب منفعة كما تعقب اعمال الاخرة المنافع العظيمة وللدار مبتداء الاخرة
صفتها ولدار الاخرة بالاضافة شامى اى ولدار الساعة الاخرة لان الشيء لا يضاف
الى صفته وخبر المبتداء على القرائتين خير للذين يتقون وفيه دليل على ان ما سوى
اعمال المتقين لعب ولهو افلا تعقلون بالتاء مدنى وحفص ولما قال ابو جهل ما
نكذبك يا محمد وانك عندنا المصدق وانما نكذب ما جئتنا به نزل قد نعلم انه الهاء
ضمير الشان ليحزنك الذى يقولون فانهم لا يكذبونك اى لا ينسبونك الى الكذب
وبالتخفيف نافع وعلى من اكذبه اذا وجده كاذبا ولكن الظالمين بايات الله يجحدون
من اقامة الظاهر مقام المضمر وفيه دلالة على انهم ظلموا فى جحودهم والباء يتعلق
بيجحدون او بالظالمين كقوله فظلموا بها والمعنى ان تكذيبك امر راجع الى الله لانك
رسوله المصدق بالمعجزات فهم لا يكذبونك فى الحقيقة وانما يكذبون الله لانه
لان تكذيب الرسول تكذيب المرسل ولقد كذبت رسل من قبلك تسلية لرسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو دليل على ان قوله فانهم لا يكذبونك ليس بنفى لتكذيبه وانما هو من
قولك لغلامك اذا اهانه بعض الناس انهم لم يهينوك وانما اهانونى فصبروا والصبر
حبس النفس على المكروه على ما كذبوا واوذوا على تكذيبهم وايذائهم حتى اتاهم نصرنا
ولا مبدل لكلمات الله لمواعيده من قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم
المنصورون انا لننصر رسلنا ولقد جاءك من نبأ المرسلين بعض انبائهم وقصصهم
وما كابدوا من مصابرة المشركين واجاز الاخفش ان يكون من زائدة والفاعل نبأ
المرسلين وسيبويه لا يجيزه لانها فى الموجب كان يكبر على النبى عليه الصلوة والسلام
كفر قومه واعراضهم ويحب مجيء الايات ليسلموا فنزل وان كان كبر عليك عظم
وشق اعراضهم عن الاسلام فان استطعت ان تبتغى نفقا منفذا تنفذ فيه الى ما تحت
الارض حتى تطلع لهم اية يؤمنون بها فى الارض صفة لنفقا او سلما فى السماء فتاتيهم
منها باية فافعل وهو جواب فان استطعت وهى وجوابها جواب وان كان كبر عليك

العظام

والمعنى

والمعنى انك لا تستطيع ذلك والمراد بيان حرصه على اسلام قومه وانه لو استطاع ان
ياتيهم باية من تحت الارض او من فوق السماء لاتى بها رجاء ايمانهم ولو شاء الله لجمعهم
على الهدى لجعلهم بحيث يختارون الهدى ولكن لما علم انهم يختارون الكفر لم يشاء
ان يجمعهم على ذلك كذا قاله الشيخ ابو منصور رح فلا تكونن من الجاهلين من الذين
يجهلون ذلك ثم اخبر ان حرصه على هدايتهم لا ينفع لعدم سمعهم كالموتى بقوله انما
يستجيب الذين يسمعون اى انما يجيب دعاءك الذين يسمعون دعاءك بقلوبهم
والموتى مبتداء اى الكفار يبعثهم الله ثم اليه يرجعون فحينئذ يسمعون واما قبل
ذلك فلا وقالوا لولا نزل عليه هلا نزل عليه اية من ربه كما تقترح من جعل الصفا ذهبا
وتوسيع ارض مكة وتفجير الانهار خلالها قل ان الله قادر على ان ينزل اية كما اقترحوا
ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الله قادر على ان ينزل تلك الاية او لا يعلمون ما عليهم فى
الاية من البلاء لو انزلت وما من دابة هى اسم لما يدب وتقع على المذكر والمؤنث
فى الارض فى موضع جر صفة للدابة ولا طائر يطير بجناحيه قيد الطيران بالجناح
لنفى المجاز لان غير الطاير قد يقال فيه طار اذا اسرع الا امم امثالكم فى الخلق والموت
والبعث والاحتياج الى مدبر يدبر امرها ما فرطنا ما تركنا فى الكتاب فى
اللوح المحفوظ من شيء من ذلك لم نكتبه ولم نثبت ما وجب ان يثبت او الكتاب
القران وقوله من شيء اى من شيء يحتاجون اليه فهو مشتمل على ما تعبدنا به عبارة واشارة
ودلالة واقتضاء ثم الى ربهم يحشرون يعنى الامم كلها من الدواب والطيور فينصف
بعضها من بعض كما روى انه ياخذ للجماء من القرناء ثم يقول كونى ترابا وانما قال الامم
مع افراد الدابة والطائر لمعنى الاستغراق فيهما ولما ذكر من خلائقه واثار قدرته ما
يشهد لربوبيته وينادى على عظمته قال والذين كذبوا باياتنا صم لا يسمعون كلام
المنبه وبكم لا ينطقون بالحق خابطون فى الظلمات اى ظلمة الجهل والحيرة والكفر غافلون
عن تامل ذلك والتفكر فيه صم وبكم خبر للذين ودخول الواو لا يمنع من ذلك فى الظلمات
خبر اخر ثم قال ايذانا بانه فعال لما يريد من يشاء الله يضلله اى من يشاء الله ضلالة

يضلله ومن يشاء يجعله على صراط مستقيم وفيه دلالة خلق الافعال وارادة المعاصي
ونفي الاصلح قل ارايتكم بتليين الهمزة مدنى وتركها على ومعناه هل علمتم ان الامر كما
يقال لكم فاخبروني بما عندكم والضمير الثاني لا محل له من الاعراب والتاء ضمير الفاعل
ومتعلق الاستخبار محذوف تقديره ارايتكم ان اتيكم عذاب الله او اتتكم الساعة
من تدعون ثم بكتهم بقوله اغير الله تدعون اى اتخلصون الهتكم بالدعوة فيما هو
عادتكم اذا اصابكم ضر ام تدعون الله دونها ان كنتم صادقين في ان الاصنام آلهة
فادعوها لتخلصكم بل اياه تدعون بل تخصونه بالدعاء دون الآلهة فيكشف ما تدعون
اليه اى ما تدعونه الى كشفه ان شاء ان اراد ان يتفضل عليكم وتنسون ما تشركون
وتتركون الهتكم او لا تذكرون الهتكم في ذلك الوقت لان اذهانكم مغمورة بذكر ربكم
وحده اذ هو القادر على كشف الضر دون غيره ويجوز ان يتعلق الاستخبار بقوله
اغير الله تدعون كانه قيل ارايتكم اغير الله تدعون ان اتيكم عذاب الله ولقد ارسلنا
الى امم من قبلك رسلا فالمفعول محذوف فكذبوهم فاخذناهم بالبأساء والضراء
بالبؤس والضر والاول القحط والجوع والثاني المرض ونقصان الانفس والاموال
لعلهم يتضرعون يتذللون ويتخشعون لربهم ويتوبون عن ذنوبهم فالنفوس
تتخشع عند نزول الشدائد فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا اى هلا تضرعوا بالتوبة
ومعناه نفي التضرع كانه قيل فلم يتضرعوا اذ جاءهم بأسنا ولكنه جاء بلولا ليفيد
انه لم يكن لهم عذر في ترك التضرع الا عنادا ولكن قست قلوبهم فلم ينزجروا بما ابتلوا
به وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون وصاروا معجبين باعمالهم التي زينها الشيطان
لهم فلما نسوا ما ذكروا به من البأساء والضراء اى تركوا الاتعاظ به ولم يزجرهم فتحنا
عليهم ابواب كل شيء من الصحة والسعة وصنوف النعمة فتحنا سامي حتى اذا فرحوا بما اوتوا من
الخير والنعم اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون آيسون متحسرون واصله الاطراق حزنا لما
اصابه اى ندما على ما فاته واذا للمفاجاة فقطع دابر القوم الذين ظلموا اى اهلكوا عن اخرهم
ولم يترك منهم احد والحمد لله رب العالمين ايذان لوجوب الحمد لله عند هلاك الظلمة

وانه من اجل النعم واجزل القسم او احمدوا الله على اهلاك من لم يحمد الله ثم دل على قدرته
وتوحيده بقوله قل ارايتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم بان اصمكم واعماكم وختم على
قلوبكم فسلب العقول والتمييز من اله غير الله يأتيكم به بما اخذ وختم عليه من رفع
بالابتداء واله خبره وغير صفة لاله وكذا يأتيكم والجملة في موضع مفعولي ارايتم و
جواب الشرط محذوف انظر كيف نصرف الآيات نكررها ثم هم يصدفون يعرضون عن
الآيات بعد ظهورها والصدوف الاعراض عن الشيء قل ارايتكم ان اتيكم عذاب الله
بغتة بان لم يظهر اماراته او جهرة بان ظهرت اماراته وعن الحسن ليلا ونهارا هل
يهلك الا القوم الظالمون ما يهلك هلاك تعذيب وسخط الا الذين ظلموا انفسهم
بكفرهم بربهم وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين بالجنان والنيران بعد وضوح
للمؤمنين والكفار ولم نرسلهم ليقترح عليهم الآيات بعد وضوح امرهم بالبراهين
القاطعة والادلة الساطعة فمن آمن واصلح اى دام على ايمانه فلا خوف عليهم ولا هم
يحزنون فلا خوف بعقوب والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب جعل العذاب
ماسا كانه حي يفعل بهم ما يريد من الآلام بما كانوا يفسقون بسبب فسقهم وخروجهم
عن طاعة الله تعالى بالكفر قل لا اقول لكم عندي خزائن الله اى قسمه بين الخلق
وارزاقه ومحل ولا اعلم الغيب النصب عطفا على محل عندي خزائن الله لانه من
جملة المقول كانه قال لا اقول لكم هذا القول ولا هذا القول ولا اقول لكم اني ملك
اى لا ادعي ما يستبعد في العقول ان يكون للبشر من ملك خزائن الله وعلم الغيوب
ودعوى الملكية وانما ادعي ما كان لكثير من البشر وهو النبوة ان اتبع الا ما يوحى الي
اى ما اخبركم الا بما انزل الله علي قل هل يستوي الاعمى والبصير مثل للضال والمهتدي
او لمن اتبع ما يوحى اليه ومن لم يتبع او لمن يدعي المستقيم وهو النبوة والمحال وهو
الالهية افلا تتفكرون فلا تكونوا ضالين اشباه العميان او فتعلموا اني ما ادعيت ما لا
يليق بالبشر او فتعلموا ان اتباع ما يوحى الي لا بد لي منه وانذر به بما يوحى الذين يخافون ان
يحشروا الى ربهم هم المسلمون المقرون بالبعث الا انهم مفرطون في العمل فينذرهم بما اوحي اليه

او اهل الكتاب لانهم مقرون بالبعث ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع في موضع الحال من يحشروا
اي يخافون ان يحشروا غير منصورين ولا مشفوعا لهم لعلهم يتقون يدخلون في زمرة اهل
التقوى ولما امر النبي صلى الله عليه وسلم بانذار غير المتقين ليتقوا امر بعد ذلك بتقريب المتقين
ونهى عن طردهم بقوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي واثنى عليهم بانهم
يواصلون دعاء ربهم اي عبادته يواظبون عليها والمراد بذكر الغداة والعشي الدوام او معناه
يصلون صلوة الصبح والعصر او الصلوة الخمس بالغدوة شامي ووسمهم بالاخلاص في عبادته
بقوله يريدون وجهه بالوجه يعبر به عن ذات الشيء وحقيقته نزلت في الفقراء بلال
وصهيب وعمار واضرابهم حين قال رؤساء المشركين لو طردت هؤلاء السقاط لجالسناك
وقال صلى الله عليه وسلم ما انا بطارد المؤمنين فقالوا اجعل لنا يوما ولهم يوما وطلبوا بذلك
كتابا فدعا عليا رضي الله عنه ليكتب فقام الفقراء وجلسوا ناحية فنزلت فرمى عليه السلام
بالصحيفة واتى الفقراء فعانقهم ما عليك من حسابهم من شيء كقوله ان حسابهم الا على
ربي وما من حسابك عليهم من شيء وذلك انهم طعنوا في دينهم واخلاصهم فقال الله حسابهم
عليهم لازم لهم لا يتعداهم اليك كما ان حسابك عليك لا يتعداك اليهم فتطردهم جواب
النفي وهو ما عليك من حسابهم فتكون من الظالمين جواب النهي وهو لا تطرد ويجوز
ان يكون عطفا على فتطردهم على وجه التسبيب لان كونه ظالما مسبب عن طردهم وكذلك
فتنا بعضهم ببعض ومثل ذلك الفتن العظيم ابتلينا الاغنياء بالفقراء ليقولوا اي الاغنياء
اهؤلاء من الله عليهم من بيننا اي انعم الله عليهم بالايمان ونحن المقدمون والرؤساء
وهم الفقراء انكارا لان يكون على الحق امثالهم على الحق وممنونا عليهم من بينهم بالخير
ونحوه لو كان خيرا ما سبقونا اليه اليس الله باعلم بالشاكرين بمن يشكر نعمته واذا جاءك
الذين يؤمنون باياتنا فقل سلام عليكم اما ان يكون امرا بتبليغ سلام الله تعالى اليهم
واما ان يكون امرا بان يبداهم بالسلام اكراما لهم وتطييبا لقلوبهم وكذا قوله كتب ربكم
على نفسه الرحمة من جملة ما يقول لهم ليبشرهم بسعة رحمة الله وقبوله التوبة منهم ومعناه
وعدكم بالرحمة وعدا موكدا انه الضمير للشان من عمل منكم سوءا بجهالة في موضع الحال

اي عمله وهو جاهل بما يتعلق به من المضرة او جعل جاهلا لايثاره المعصية على الطاعة
ثم تاب من بعده من بعد السوء او العمل واصلح واخلص توبته فانه غفور رحيم انه فانه
شامي وعاصم الاول بدل للرحمة والثاني خبر مبتدا محذوف اي فشانه انه غفور رحيم
انه فانه مدني الاول بدل للرحمة والثاني مبتدا وانه فانه غفور رحيم غيرهم على الاستيناف
كان الرحمة استفسرت فقيل انه من عمل منكم وكذلك نفصل الايات ولتستبين وبالياء حمزة
وعلي وابو بكر سبيل المجرمين مدني بالنصب وغيره بالرفع فرفع السبيل مع التاء والياء لانها
تذكر وتؤنث ونصب السبيل مع التاء على خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم يقال استبان الامر
وتبين واستبنته وتبينته والمعنى ومثل ذلك التفصيل المبين نفصل ايات القرآن ونلخصها
في صفة احوال المجرمين من هو مطبوع على قلبه ومن يرجى اسلامه ولتستوضح سبيلهم فتعامل
كلا منهم بما يجب ان يعامل به فصلنا ذلك التفصيل قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون
اي صرفت وزجرت بادلة العقل والسمع عن عبادة ما تعبدون من دون الله قل لا اتبع
اهواءكم اي لا اجري في طريقتكم التي سلكتموها في دينكم من اتباع الهوى دون اتباع الدليل
وهو بيان السبب الذي منه وقعوا في الضلال قد ضللت اذا اي ان اتبعت اهواءكم فانا
ضال وما انا من المهتدين في شيء وما انا من الهدى في شيء يعني انكم كذلك ولما نفى ان يكون الهوى
متبعا نبه على ما يجب اتباعه بقوله قل اني على بينة من ربي اي اني على معرفة ربي وانه لا
معبود سواه على حجة واضحة وكذبتم به حيث اشركتم به غيره وقيل على بينة من ربي على
حجة واضحة في جهة ربي وهي القرآن وكذبتم به بالبينة وذكر الضمير على تاويل البرهان او
البيان او القرآن ثم عقبه بما دل به على انهم احقاء بان يفاجؤا بالعذاب فقال ما عندي ما
تستعجلون به يعني العذاب الذي استعجلوه في قولهم فامطر علينا حجارة من السماء ان الحكم
الا لله في تاخير عذابكم يقص الحق حجازي وعاصم اي يتبع الحق والحكمة فيما يحكم به ويقدره من
قص اثره الباقون يقض الحق اي القضاء الحق في كل ما يقضي من التاخير والتعجيل فالحق صفة
لمصدر يقض وقوله وهو خير الفاصلين اي القاضين بالقضاء الحق اذ الفصل هو القضاء
وسقوط الياء من الخط لاتباع اللفظ وسقوطها في اللفظ لالتقاء الساكنين قل لو ان عندي

في قدرتي وامكاني ما تستعجلون به من العذاب لقضي الامر بيني وبينكم لاهلكتكم عاجلا غضبا
لربي والله اعلم بالظالمين فهو ينزل عليكم العذاب في وقت يعلم انه اردع وعنده مفاتح
الغيب لا يعلمها الا هو المفاتح جمع مفتح وهو المفتاح وهي خزائن العذاب والرزق او ما غاب
عن العباد من الثواب والعقاب والاجال والاحوال جعل للغيب مفاتح على طريق الاستعارة
لان المفاتح يتوصل بها الى ما في المخازن المستوثق منها بالاغلاق والاقفال ومن علم مفاتحها
وكيفية فتحها توصل اليها فاراد انه هو المتوصل الى المغيبات وحده لا يتوصل اليها غيره كمن
عنده مفاتح اقفال المخازن ويعلم فتحها فهو المتوصل الى ما في المخازن قيل عنده مفاتح الغيب
وعندك مفاتح العيب فمن اين يغيب اسبل الله الستر على عيبه ويعلم ما في البر والبحر من
النبات والدواب والبحر من الحيوان والجواهر وغيرهما وما تسقط من ورقة الا يعلمها
ما للنفي ومن للاستغراق اي يعلم عددها واحوالها قبل السقوط وبعده ولا حبة في
ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس عطف على ورقة وداخل في حكمها كانه قيل وما تسقط
من شيء من هذه الاشياء الا يعلمه وقوله الا في كتاب مبين كالتكرير لقوله الا يعلمها
لان معنى الا يعلمها ومعنى الا في كتاب مبين معنى واحد وهو علم الله او اللوح ثم خاطب
الكفرة بقوله وهو الذي يتوفيكم بالليل اي يقبض انفسكم عن التصرف بالمنام ويعلم
ما جرحتم بالنهار كسبتم فيه من الاثام ثم يبعثكم فيه يوقظكم في النهار او التقدير ثم يبعثكم
في النهار ويعلم ما جرحتم فيه فقدم الكسب لانه اهم وليس فيه انه لا يعلم ما جرحنا
بالليل ولا انه لا يتوفينا بالنهار فدل ان تخصيص الشيء بالذكر لا يدل على نفي ما عداه ليقضى
اجل مسمى ليوفى الاجال على الاستكمال ثم اليه مرجعكم رجوعكم بالبعث بعد الموت
ثم ينبئكم بما كنتم تعملون في ليلكم ونهاركم قال بعض اهل الكلام ان في الدنيا لكل حاسة
من هذه الحواس روحا يقبض عند النوم ثم يرد اليها اذا ذهب النوم فاما الروح التي
يحيى بها النفس فانه لا يقبض الا عند انقضاء الاجل والمراد بالارواح المعاني والقوى
التي تقوم بالحواس ويكون بها السمع والبصر والاخذ والمشي والشم ومعنى ثم يبعثكم فيه
اي يوقظكم ويرد اليكم ارواح الحواس فيستدل به على منكري البعث لانه بالنوم يذهب

ارواح هذه الحواس ثم يرد اليها فكذا يحيى الانفس بعد موتها وهو القاهر فوق عباده
ويرسل عليكم حفظة ملائكة حافظين لاعمالكم وهم الكرام الكاتبون ليكون ذلك ازجر
للعباد عن ارتكاب الفساد اذا تفكروا ان صحائفهم تعرض على رؤس الاشهاد حتى اذا
جاء احدكم الموت حتى لغاية حفظ الاعمال اي وذلك وان الملائكة مع المكلف مدة
الحيوة الى ان ياتيه الممات توفته رسلنا اي استوفت روحه وهم ملك الموت واعوانه
توفيه واستوفيه بالامالة حمزة رسلنا ابو عمرو وهم لا يفرطون لا يتوانون ولا يؤخرون
ثم ردوا الى الله الى حكمه وجزائه اي رد المتوفون برد الملائكة مولاهم مالكهم الذي يلي عليهم
امورهم الحق العدل الذي لا يحكم الا بالحق وهما صفتان لله الا له الحكم يومئذ لا
حكم فيه لغيره وهو اسرع الحاسبين لا يشغله حساب عن حساب يحاسب جميع الخلق
في مقدار حلب شاة وقيل المروالى بن رباك خير من البقاء مع ان اذاك قل من ينجيكم
ينجيكم ابن عباس من ظلمات البر والبحر مجاز عن مخاوفهما واهوالهما او ظلمات البر الصواعق
والبحر الامواج وكلاهما في الغيم والليل تدعونه من ضمير المفعول في ينجيكم تضرعا معلنين
الضراعة وهو مصدر في موضع الحال وكذا وخفية اي مسرين في انفسكم خفية حيث كان
ابو بكر وهما لغتان لئن انجينا عاصم وبالامالة حمزة وعلي والباقون انجيتنا والمعنى يقولون
لئن خلصنا من هذه الظلمات لنكونن من الشاكرين لله عز وجل قل الله ينجيكم بالتشديد
كوفي منها من الظلمات ومن كل كرب غم وحزن ثم انتم تشركون ولا تشكرون قل هو
القادر هو الذي عرفتموه قادرا وهو الكامل القدرة واللام يحتمل العهد والجنس على
ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم كما امطر على قوم لوط وعلى اصحاب الفيل الحجارة او من
تحت ارجلكم كما اغرق قوم فرعون وخسف بقارون او من قبل سلاطينكم وسفلتكم
او هو حبس المطر والنبات او يلبسكم شيعا او يخلطكم فرقا مختلفين على اهواء شتى كل
فرقة منكم متابعة لامام ومعنى خلطهم ان ينشب القتال بينهم فيختلطوا ويشتبكوا في ملاحم
القتال ويذيق بعضكم باس بعض يقتل بعضكم بعضا والباس السيف وعنه عليه الصلوة والسلام
سالت الله تعالى ان لا يبعث على امتي عذابا من فوقهم ومن تحت ارجلهم فاعطاني ذلك وسالته

ان لا يجعل باسهم بينهم فمنعني واخبرني جبريل عليه السلام ان فناء امتي بالسيف انظر كيف
نصرف الايات بالوعد والوعيد لعلهم يفقهون وكذب به بالقران او بالعذاب قومك
قريش وهو الحق اى الصدق او لا بد ان ينزل بهم قل لست عليكم بوكيل بحفيظ وكل الى امركم
انما انا منذر لكل نبا لكل شيء ينبأ به يعني انباءهم بانهم يعذبون وايعادهم به مستقر وقت
استقرار وحصول لا بد منه فسوف تعلمون تهديد واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا
اى القرآن يعني يخوضون في الاستهزاء بها والطعن فيها وكانت قريش في انديتهم يفعلون
ذلك فاعرض عنهم فلا تجالسهم وقم عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره غير القران مما يحل
فحينئذ يجوز ان تجالسهم واما ينسينك الشيطان ما نهيت عنه ينسينك شامي نسي وانسى
واحد فلا تقعد بعد الذكرى بعد ان تذكر النهي مع القوم الظالمين وما على الذين يتقون
من حسابهم من حساب هؤلاء الذين يخوضون في القران تكذيبا واستهزاء من شيء اى
وما يلزم المتقين الذين يجالسونهم شيء مما يحاسبون عليه من ذنوبهم ولكن عليهم ان يذكروهم
ذكرى اذا سمعوهم يخوضون بالقيام عنهم واظهار الكراهة لهم وموعظتهم ومحل ذكرى
نصب اى ولكن يذكرونهم ذكرى اى تذكيرا او رفع والتقدير ولكن عليهم ذكرى فذكرى
مبتدا والخبر محذوف لعلهم يتقون لعلهم يجتنبون الخوض حياء او كراهة لمساءتهم
وذر الذين اتخذوا دينهم الذي كلفوه ودعوا اليه وهو دين الاسلام لعبا ولهوا حيث
سخروا به واستهزؤا ومعنى ذرهم اعرض عنهم ولا تبال بتكذيبهم واستهزائهم واللهو ما يشغل
الانسان من هوى او طرب وغرتهم الحيوة الدنيا وذكر به وعظ بالقران ان تبسل عنهم
نفس بما كسبت مخافة ان تسلم الى الهلكة والعذاب وترتهن بسوء عملها واصل الابسال
المنع ليس لها من دون الله ولي ينصرها بالقوة ولا شفيع يدفع عنها بالمسالة والوقف
على كسبت في الصحيح لان قوله ليس لها صفة لنفس والمعنى وذكر بالقران كراهة ان تبسل نفس
عادمة وليا وشفيعا بكسبها وان تعدل كل عدل نصب على المصدر وان تفد كل فداء والعدل
الفدية لان الفادي يعدل المفدي بمثله وفاعل لا يؤخذ منها لا ضمير العدل لان العدل
ههنا مصدر فلا يسند اليه الاخذ واما في قوله ولا يؤخذ منها عدل فبمعنى المفدى به فصح

اسناده اليه اولئك اشارة الى المتخذين دينهم لعبا ولهوا وهو مبتدا والخبر الذين ابسلوا
بما كسبوا وقوله لهم شراب من حميم اى ماء سخين خبر ثان لاولئك والتقدير اولئك المبسلون
ثابت لهم شراب من حميم او مستانف وعذاب اليم بما كانوا يكفرون بكفرهم قل لابي بكر يقول
لابنه عبد الرحمن وكان يدعو اباه الى عبادة الاوثان اندعو انعبد من دون الله الضار
النافع ما لا ينفعنا ما لا يقدر على نفعنا ان دعوناه ولا يضرنا ان تركناه ونرد وانرد
على اعقابنا راجعين الى الشرك بعد اذ هدينا الله للاسلام وانقذنا من عبادة الاصنام
كالذي استهوته الشياطين كالذي ذهبت به الغيلان ومردة الجن والكاف في محل النصب
على الحال من الضمير في نرد على اعقابنا اننكص مشبهين من استهوته الشياطين وهو
استفعال من هوى في الارض اذا ذهب فيها كان معناه طلبت هويه في الارض في
المهمه حيران حال من مفعول استهوته اى تائها ضالا عن الجادة لا يدري كيف يصنع
له لهذا المستهوى اصحاب رفقة يدعونه الى الهدى الى ان يهدوه الطريق سمي الطريق
المستقيم بالهدى يقولون له ائتنا وقد اعتسف المهمه تابعا للجن لا يجيبهم ولا ياتيهم
وهذا مبني على ما يقال ان الجن تستهوي الانسان والغيلان تستولي عليه فشبه به الضال
عن طريق الاسلام التابع لخطوات الشيطان والمسلمون يدعونه اليه فلا يلتفت اليهم
قل ان هدى الله هو الاسلام هو الهدى وحده وما وراءه ضلال وامرنا محله نصب
بالعطف على محل ان هدى الله هو الهدى على انهما مقولان كانه قيل قل هذا القول وقل
امرنا لنسلم لرب العالمين وان اقيموا الصلوة التقدير وامرنا لان نسلم ولان اقيموا اى
للاسلام ولاقامة الصلوة واتقوه وهو الذي اليه تحشرون يوم القيمة وهو الذي
خلق السموات والارض بالحق بالحكمة او محقا ويوم يقول كن فيكون على الجزم دون
الجواب قوله الحق مبتدا ويوم يقول خبره مقدما عليه كما تقول يوم الجمعة قولك الصدق
اى قولك الصدق كائن يوم الجمعة واليوم بمعنى الحين والمعنى انه خلق السموات والارض
بالحق والحكمة وحين يقول لشيء من الاشياء كن فيكون ذلك الشيء قوله الحق والحكمة اى
لا يكون شيء من السموات والارض وسائر المكونات الا عن حكمة وصواب وله الملك

مبتداء وخبره مقدم عليه يوم ينفخ ظرف لقوله وله الملك في الصور هو الشعرى بلغة اليمن
او جمع صورة عالم والغيب هو عالم الغيب والشهادة اي السر والعلانية وهو الحكيم في الافناء
والاحياء الخبير بالحساب والجزاء واذ قال ابراهيم لابيه آزر هو اسم ابيه او لقبه لانه لا خلاف
بين النسابين ان اسم ابيه تارخ وهو عطف بيان لابيه وفتحه فاعل اتتخذ اصناما آلهة استفهام
توبيخ اي اتتخذها آلهة وهي لا تستحق الالهية اني اريك وقومك في ضلال مبين وكذلك اي كما
اريناه قبح الشرك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض اي نريه بصيرته لطائف خلق
السموات والارض ونري حكاية حال ماضية والملكوت ابلغ من الملك لان الواو والتاء تزاد
للمبالغة قال مجاهد فرجت له السموات السبع فنظر الى ما فيهن حتى انتهى نظره الى العرش
وفرجت له الارضون السبع حتى نظر الى ما فيهن وليكون من الموقنين فعلنا ذلك ليستدل
وليكون من الموقنين عيانا كما ايقن بيانا فلما جن عليه الليل اي اظلم وهو عطف على قال
ابراهيم لابيه وقوله وكذلك نري ابراهيم جملة اعتراضية بين المعطوف والمعطوف عليه
راى كوكبا اي الزهرة او المشتري وكان ابوه وقومه يعبدون الاصنام والشمس والقمر والكواكب
فاراد ان ينبههم على الخطاء في دينهم وان يرشدهم الى طريق النظر والاستدلال ويعرفهم ان
النظر الصحيح مؤده الى ان شيئا منها ليس باله لقيام دليل الحدوث فيها وان لها محدثا احدثها
ومدبرا دبر طلوعها وافولها وانتقالها ومسيرها وسائر احوالها فلما راى الكوكب الذي
كانوا يعبدون قال هذا ربي قال لهم هذا ربي في زعمكم او المراد استهزاء بهم وانكارا
عليهم والعرب تكتفي عن حرف الاستفهام بنغمة الصوت والصحيح ان هذا قول من ينصف
خصمه مع علمه انه مبطل فحكى قوله كما هو غير متعصب لمذهبه لانه ادعى الى الحق وانجى من
الشغب ثم يكر عليه بعد حكايته فيبطله بالحجة فلما افل غاب وغرب قال لا احب الآفلين
اي لا احب عبادة الارباب المتغيرين عن حال الى حال لان ذلك من صفات الاجسام فلما
راى القمر بازغا مبتدئا في الطلوع قال هذا ربي فلما افل قال لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم
الضالين نبه قومه على ان من اتخذ القمر الها فهو ضال وانما احتج عليهم بالافول دون البزوغ
وكلاهما انتقال من حال الى حال لان الاحتجاج به اظهر لانه انتقال مع خفاء واحتجاب فلما

راى الشمس بازغة قال هذا ربي وانما ذكره لانه اراد الطالع او لانه جعل المبتداء مثل الخبر لانهما
لانهما شيء واحد معنى وفيه صيانة الرب عن شبهة التانيث ولهذا قالوا في صفات الله تعالى
علام ولم يقولوا علامة وان كان الثاني ابلغ النصفة تفاديا من علامة التانيث هذا اكبر
من باب استعمال النصفة ايضا مع خصومه فلما افلت قال يا قوم اني بريء مما تشركون من الاجرام
التي تجعلونها شركاء لخالقها وقيل هذا كان نظره واستدلاله في نفسه فحكاه الله تعالى والاول
اظهر لقوله يا قوم اني بريء مما تشركون اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض
اي للذي دلت هذه المحدثات على انه منشئها حنيفا حال اي مائلا عن الاديان كلها الا الاسلام
وما انا من المشركين بالله شيئا من خلقه وحاجه قومه في توحيد الله تعالى ونفي الشركاء
عنه قال اتحاجوني في الله في توحيد الله تحاجوني مدني وابن ذكوان وقد هدان الى التوحيد
وبالياء في الوصل ابو عمرو ولما خوفوه ان معبوداتهم تصيبه بسوء قال ولا اخاف ما تشركون
به الا ان يشاء ربي اي لا اخاف معبوداتكم في وقت قط لانها لا تقدر على منفعة ولا مضرة
الا اذا شاء ربي ان يصيبني منها شيئا بضر فهو قادر على ان يجعل فيما شاء نفعا وفيما شاء
ضرا لا الاصنام وسع ربي كل شيء علما فلا يصيب عبدا شيئا من ضر او نفع الا بعلمه افلا تتذكرون
فتميزوا بين القادر والعاجز وكيف اخاف ما اشركتم معبوداتكم وهي مامونة الخوف
ولا تخافون انكم اشركتم بالله ما لم ينزل به باشراكه عليكم سلطانا حجة اذ الاشراك لا يكون
عليه حجة والمعنى وما لكم تنكرون على الامن في موضع الامن ولا تنكرون على انفسكم الامن
في موضع الخوف فاي الفريقين اي فريقي الموحدين والمشركين احق بالامن من العذاب
ان كنتم تعلمون ولم يقل فاينا احترازا عن تزكية نفسه ثم استانف الجواب عن السؤال بقوله
الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم بشرك والدليل عليه الآيات المتقدمة عن الصديق
رضي الله عنه اولئك لهم الامن وهم مهتدون تم كلام ابراهيم عليه السلام وتلك حجتنا اشارة
الى جميع ما احتج به ابراهيم عليه السلام على قومه من قوله فلما جن عليه الى وهم مهتدون
آتيناها ابراهيم على قومه وهو خبر بعد خبر نرفع درجات من نشاء في العلم والحكمة و
بالتنوين كوفي وفيه نقض قول المعتزلة في الاصلح ان ربك حكيم بالرفع عليم بالاهل وهنا

لاسحق ويعقوب كلا هدينا اى كلهم وانتصب كلا بهدينا ونوحا هدينا اى وهدينا نوحا
من قبل من قبل ابراهيم ومن ذريته الضمير لنوح او لابراهيم والاول اظهر لان يونس ولوطا
لم يكونا من ذرية ابراهيم داود وسليمان وايوب ويوسف وموسى وهارون والتقدير
وهدينا من ذريته هولاء وكذلك نجزى المحسنين ونجزى المحسنين جزاء مثل ذلك والكاف
فى موضع نصب نعت لمصدر محذوف وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل اى كلهم من
الصالحين وذكر عيسى معهم دليل على ان النسب يثبت من قبل الام ايضا لانه جعله من ذرية
نوح عليه السلام وهو لا يتصل به الا بالام وبذا اجيب للحجاج حين انكر ان يكون بنو فاطمة
اولاد النبى صلى الله عليه وسلم واسمعيل واليسع والليسع حيث كان كان بلامين حمزة وعلى
ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين بالنبوة والرسالة ومن اباءهم فى موضع النصب
عطفا على كلا اى وفضلنا بعض اباءهم وذرياتهم واخوانهم واجتبيناهم وهديناهم الى صراط
مستقيم ذلك اى ما دان به هولاء المذكورون هدى الله دين الله يهدى به من يشاء من
عباده فيه نقض قول المعتزلة لانهم يقولون ان الله شاء هداية الخلق كلهم لكنهم لم يهتدوا
ولو اشركوا مع فضلهم وتقدمهم وما رفع لهم من الدرجات لحبط عنهم ما كانوا يعملون
لبطلت اعمالهم كما قال لئن اشركت ليحبطن عملك اولئك الذين اتيناهم الكتاب يريد
الجنس والحكم الحكمة او فهم الكتاب والنبوة وهى اعلى مراتب البشر فان يكفر بها بالكتاب
والحكم والنبوة او بايات القرآن هولاء اى اهل مكة فقد وكلنا بها قوما هم الانبياء المذكورون
ومن تابعهم بدليل قوله اولئك الذين هدى الله فبهديهم اقتده او اصحاب النبى صلى الله
عليه وسلم او كل من امن به او العجم ومعنى توكيلهم بها انهم وفقوا للايمان بها والقيام بحقوقها
كما يوكل الرجل بالشئ ليقوم به ويتعهده ويحافظ عليه والباء فى ليسوا بها صلة كافرين وفى
بكافرين لتاكيد النفى اولئك الذين هدى الله اى الانبياء الذين من ذكرهم فبهديهم اقتده
فاختص هداهم بالاقتداء ولا تقتد الا بهم وهذا معنى تقديم المفعول والمراد بالله بهداهم
طريقتهم فى الايمان وتوحيده واصول الدين دون الشرايع فهى مختلفة والهاء فى اقتده للوقف
تسقط فى الوصل واستحسن ايثار الوقف لثبات الهاء فى المصحف ويحذفها حمزة وعلى فى الوصل

ويخلها

ويخلها شامى قل لا اسالكم عليه على الوحى او على تبليغ الرسالة والدعاء الى التوحيد اجرا
جعلا وفيه دليل على ان اخذ الاجر على تعليم القران ورواية الحديث لا يجوز ان هو الا ذكرى
للعالمين ما القران الا عظة للجن والانس وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله
على بشر من شئ اى ما عرفوه حق معرفته فى الرحمة على بشر من عباده حين انكروا بعثة الرسل
والوحى اليهم وذلك من اعظم رحمته وما ارسلناك الا رحمة للعالمين روى ان
جماعة من اليهود منهم مالك بن الضيف يجادلون النبى صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم
اليس فى التورية ان الله يبغض الحبر السمين قال نعم قال فانت الحبر السمين فغضب فقال
ما انزل الله على بشر من شئ وحق قدره منصوب نصب المصدر قل من انزل الكتاب
الذى جاء به موسى نورا حال من الضمير فى به او من الكتاب وهدى للناس تجعلونه قراطيس
تبدونها وتخفون كثيرا مما فيه نعت محمد صلى الله عليه وسلم اى بعضوه وجعلوه قراطيس
مقطعة وورقات مفرقة ليتمكنوا مما راموا من الابداء والاخفاء وبالياء فى الثلث
مكى وابو عمرو وعلمتم يا اهل الكتاب بالكتاب ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم من امور دينكم
ودنياكم قل الله جواب اى انزل الله فانهم لا يقدرون ان يناكروه ثم ذرهم فى خوضهم
فى باطلهم الذين يخوضون فيه يلعبون حال من ذرهم او من خوضهم وهذا كتاب انزلناه
على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مبارك كثير المنافع والفوائد مصدق الذى بين يديه من
الكتب ولتنذر وبالياء ابو بكر اى الكتاب وهو معطوف على ما دل عليه صفة الكتاب كانه
قيل انزلناه للبركات وتصديق ما تقدمه من الكتب والانذار ام القرى مكة وسميت ام القرى
لانها سرة الارض وقبلة اهل القرى واعظمها شانا ولان الناس يؤمونها ومن حولها
اهل الشرق والغرب والذين يؤمنون بالاخرة يصدقون بالعاقبة ويخافونها يؤمنون
به بهذا الكتاب فاصل الدين خوف العاقبة فمن حافظها لم يزل به الخوف حتى يؤمن وهم
على صلوتهم يحافظون خصت الصلوة بالذكر لانها علم الايمان وعماد الدين فمن حافظ عليها
يحافظ على اخواتها ظاهرا ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا هو مالك ابن الضيف او قال
اوحى الى ولم يوح اليه شئ وهو مسيلمة الكذاب ومن قال فى موضع جر عطف على من افترى

ومن قال سانزل مثل ما انزل الله اى سا قول واملى هو عبد الله بن سعيد بن ابى سرح كاتب الوحى
وقد املى عليه السلام عليه ولقد خلق الانسان الى خلق اخر فجرى على لسانه فتبارك الله احسن
الخالقين فقال عليه الصلوة والسلام اكتبها فكذلك نزلت فشك وقال ان كان محمد صادقا
فقد اوحى الى كما اوحى اليه وان كان كاذبا فقد قلت كما قال الله تعالى فارتد ولحق بمكة ثم
رجع مسلما قبل فتح مكة بمكة او النضر بن الحارث وكان يقول والطاحنات طحنا والعاجنات
عجنا فالخابزات خبزا كانه يعارض قوله ولو ترى جوابه محذوف اى لرايت امرا عظيما اذ الظالمون
يريد الذين ذكرهم من اليهود والمتنبئ فيكون اللام للعهد ويجوز ان يكون للجنس فيدخل
فيه هؤلاء لاشتماله فى غمرات الموت شدايده وسكراته والملايكة باسطوا ايديهم اخرجوا
انفسكم اى باسطون اليهم ايديهم ويقولون هاتوا ارواحكم اخرجوها الينا من اجسادكم
وهذا عبارة عن التشديد فى الازهاق من غير تنفيس واهال اليوم تجزون عذاب الهون
ارادوا وقت الاماتة وما يعذبون به من شدة النزع والهون الهوان الشديد و
اضافة العذاب اليه كقولك رجل سوء تريد العراقة فى الهوان والتمكن فيه بما كنتم
تقولون على الله من ان له شريكا وصاحبة وولدا غير الحق مفعول تقولون او وصف
لمصدر محذوف اى قولا غير الحق وكنتم عن اياته تستكبرون فلا تؤمنون بها ولقد جئتمونا
للحساب والجزاء فرادى منفردين بلا مال ولا معين وهو جمع فريد كاسير واسارى
كما خلقناكم فى محل النصب صفة لمصدر جئتمونا اى مجيئا مثل ما خلقناكم اول مرة على الهيئة
التى ولدتم عليها فى الانفراد وتركتم ما خولناكم ملكناكم وراء ظهوركم ولم تحملوا منه نقيرا
وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء فى استعبادكم لقد تقطع بينكم
وصلكم من التجاج والبين الوصل والهجر قال فوالله لولا البين لم يكن الهوى ولولا الهوى
ما جن للبين انق بينكم مدنى وعلى وحفص اى وقع التقطع بينكم وضل وضاع وبطل ما كنتم
تزعمون انها شفعاءكم الله ان الله فالق الحب والنوى بالنبات والشجر او فلق الحب عن
السنبلة والنواة عن النخلة والفلق الشق وعن مجاهد اراد الشقين اللذين فى النواة والحنطة
يخرج الحى من الميت اى النبات الغض النامى من الحب اليابس ومخرج الميت من الحى الحب اليابس

عنكم م

من النبات

من النبات النامى والانسان من النطفة والنطفة من الانسان او المومن من الكافر والكافر
من المومن فاحتج الله عليهم بما يشاهدونه من خلقه لانهم انكروا البعث فاعلمهم ان الذى خلق
هذه الاشياء فهو يقدر على بعثهم وانما قال ومخرج الميت بلفظ اسم الفاعل لانه معطوف على
فالق الحب لا على الفعل ويخرج الحى من الميت موقعه موقع الجملة المبنية لقوله فالق الحب و
النوى لان فلق الحب والنوى والنبات والشجر النا ميين من جنس اخراج الحى من الميت
لان النامى فى حكم الحيوان دليله قوله يحيى الارض بعد موتها ذلكم الله ذلكم المحيى والمميت
هو الله الذى يحق له الربوبية والعبادة لا الاصنام فانى تؤفكون فكيف تصرفون عنه
ومن تولية الى غيره بعد وضوح الامر بما ذكرنا فالق الاصباح وهو مصدر سمى به الصبح اى
شاق عمود الصبح عن سواد الليل او فالق نور النهار وجاعل الليل وجعل الليل كوفى لان اسم
الفاعل الذى قبله بمعنى المضى فلما كان فالق بمعنى فلق عطف عليه جعل لتوافقهما معنى سكنا
سكونا فيه من قوله لتسكنوا فيه اى ليسكن الخلق عن كد المعيشة الى نوم الغفلة او عن وحشة
الخلق الى الانس بالحق والشمس والقمر انتصبا باضمار فعل يدل عليه جاعل الليل اى وجعل
الشمس والقمر حسبانا اى جعلهما على حسبان لان حساب الاوقات يعلم بدورهما وسيرهما
والحسبان بالضم مصدر حسب كما ان الحسبان بالكسر مصدر حسب ذلك اشارة الى جعلهما
حسبانا اى ذلك التسيير بالحسبان المعلوم تقدير العزيز الذى قهرهما وسخرهما العليم
بتدبيرهما وتدويرهما وهو الذى جعل لكم النجوم خلقها لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر
فى ظلمات الليل بالبر والبحر اضافها اليهما لملابستها بهما او شبه مشتبهات الطريق بالظلمات
قد فصلنا الايات لقوم يعلمون قد بينا الايات الدالة على التوحيد لقوم يفقهون وهو
الذى انشاكم من نفس واحدة هى ادم عليه الصلوة والسلام فمستقر ومستودع فمستقر بالكسر
مكى وبصرى فمن فتح القاف كان المستودع اسم مكان مثله او مصدرا ومن كسرها كان اسم
فاعل والمستودع اسم مفعول يعنى فلكم مستقر فى الرحم ومستودع فى الصلب او مستقر فوق
الارض ومستودع تحتها او فمنكم مستقر ومنكم مستودع قد فصلنا الايات لقوم يفقهون
وانما قيل يعلمون ثم يفقهون هنا لان الدلالة ثم اظهر وهنا ادق لان انشاء الانس من نفس واحدة

وتصريفهم بين احوال مختلفة ادق فكان ذكر الفقه الدال على تدقيق النظر اوفق وهو الذى
انزل من السماء ماء من السحاب مطرا فاخرجنا به بالماء نبات كل شئ نبت كل صنف من
اصناف النامى اى السبب وهو الماء الواحد والمسببات صنوف مختلفة فاخرجنا منه من
النبات خضرا شيئا غضا اخضر فيقال وهو ما تشعب من اصل النبات الخارج من الحبة
نخرج منه من الخضر حبا متراكبا وهو السبل الذى تراكب حبه ومن النخل من طلعها قنوان
هو رفع بالابتداء ومن النخل خبره ومن طلعها بدل منه كانه قيل وحاصلة من طلع النخل
قنوان وهو جمع قنو وهو العذق ونظيره صنو وصنوان دانية من المجتنى لانحنائها
لثقل حملها او لقصر ساقها وفيه اكتفاء اى وغير دانية لطولها كقوله تعالى سرابيل تقيكم
الحر وجنات بالنصب عطفا على نبات كل شئ اى اخرجنا به جنات من اعناب وكذا و
الزيتون والرمان وجنات بالرفع الاعشى اى وثم جنات من اعناب اى مع النخيل
مشتبها وغير متشابه يقال اشتبه الشيئان وتشابها نحو استويا وتساويا والافتعال والتفاعل
يشتركان كثيرا وتقديره والزيتون مشابها وغير متشابه والرمان كذلك يعنى بعضه متشابها
وبعضه غير متشابه فى القدر واللون والطعم انظروا الى ثمره اذا اثمر اى اذا اخرج ثمره
كيف يخرجه ضعيفا لا ينتفع به وينعه ونضجه اى انظروا الى حال نضجه كيف يعود شيئا
جامعا للمنافع نظر اعتبار واستدلال على قدرة مقدره ومدبره وناقله من حال الى حال
ان فى ذلكم لايات لقوم يؤمنون ثمره وكذا ما بعده حمزة وعلى جمع ثمار فهو جمع الجمع
يقال ثمرة وثمر وثمار وثمر وجعلوا لله شركاء الجن ان جعلت لله شركاء مفعولى
مفعولى جعلوا كان الجن بدلا من شركاء وان كان شركاء الجن مفعولين قدم ثانيهما على
الاول وفائدة التقديم استعظام ان يتخذ لله شريك كائنا من كان ملكا او جنيا او غير ذلك
والمعنى انهم اطاعوا الجن فيما سولت لهم من شركهم فجعلوهم شركاء لله وخلقهم اى وقد
خلق الجن فكيف يكون المخلوق شريكا لخالقه والجملة حال او وخلق الجاعلين لله شركاء
فكيف يعبدونه وغيره وخرقوا له اى اختلقوا يقال خلق الافك وخرقه واختلقه واخترقه
بمعنى او هو من خرق الثوب اذا شقه اى اشتقوا له بنين كقول اهل الكتابين فى المسيح وعزير

وبنات

وبنات كقول بعض العرب فى الملائكة وخرقوا بالتشديد للتكثير مدنى لقوله بنين وبنات
بغير علم من غير ان يعلموا حقيقة ما قالوا من خطاء او صواب ولكن رميا بقول عن
جهالة وهو حال من فاعل خرقوا اى جاهلين بما قالوا سبحانه وتعالى عما يصفون من
الشرك بديع السموات والارض يقال بدع الشئ فهو بديع وهو من اضافة الصفة
المشبهة الى فاعلها يعنى بديع سمواته وارضه او هو بمعنى البديع اى مبدعهما وهو خبر
مبتداء محذوف او مبتداء خبره انى يكون له ولد او هو فاعل تعالى ولم تكن له صاحبة
اى من اين يكون له ولد والولد لا يكون الا من صاحبة ولا صاحبة له ولان الولادة من
صفات الاجسام ومخترع الاجسام لا يكون جسما حتى يكون والدا وخلق كل شئ وهو
بكل شئ عليم اى ما من شئ الا هو خالقه وعالمه ومن كان كذلك كان غنيا عن كل شئ
والولد انما يطلبه المحتاج ذلكم اشارة الى الموصوف بما تقدم من الصفات وهو مبتداء
وما بعده اخبار مترادفة وهى الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شئ وقوله فاعبدوه مسبب
عن مضمون الجملة اى من استجمعت له هذه الصفات كان هو الحقيق بالعبادة فاعبدوه
ولا تعبدوا من دونه من بعض خلقه وهو على كل شئ وكيل اى هو مع تلك الصفات مالك
كل شئ من الارزاق والاجال رقيب على الاعمال لا تدركه الابصار لا تحيط به او ابصار
من سبق ذكرهم وتشبث المعتزلة بهذه الاية لا تشبث لان المنفى هو الادراك لا الرؤية
والادراك هو الوقوف على جوانب الشئ وحدوده وما يستحيل عليه الحدود والجهات
يستحيل ادراكه لا رؤيته فنزل الادراك من الرؤية منزلة الاحاطة من العلم ونفى الاحاطة
التى تقتضى الوقوف على الجوانب والحدود لا يقتضى نفى العلم به فكذا هذا على ان مورد
الاية وهو المدح يوجب ثبوت الرؤية اذ نفى ادراك ما يستحيل رؤيته لا تمدح فيه لان كل
ما لا يرى لا يدرك وانما التمدح بنفى الادراك مع تحقق الرؤية اذ انتفاؤه مع تحقق الرؤية
دليل الارتفاع نقيصة التناهى والحدود عن الذات فكانت الاية حجة لنا عليهم ولو امعنوا
النظر فيها لاغتنموا التفصى من عهدتها ومن الرؤية يلزمه نفى انه معلوم موجود والا
فكما يعلم موجودا بلا كيفية وجهة بخلاف كل موجود لم يجز ان يرى بلا كيفية وجهة بخلاف

كل امرئ وهذا لان الروية تحقق الشئ بالبصر كما هو فان كان المرئ فى الجهة يرى فيها وان كان لا فى جهة يرى لا فيها وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير وهو للطف ادراكها للمدركات ويدرك الابصار وهو اللطيف العالم بدقايق الامور ومشكلاتها الخبير العليم بظواهر الاشياء وخفياتها او هو من قبيل اللف والنشر قد جاءكم بصاير من ربكم البصيرة نور القلب الذى به يستبصر القلب كما ان البصر نور العين الذى هو به تبصر اى جاءكم من الوحى والبينة ما هو للقلب كالبصاير فمن ابصر الحق وامن فلنفسه ابصر واياها نفع ومن عمى عنه وضل فعليها فعلى نفسه عمى واياها ضر بالعمى وما انا عليكم بحفيظ احفظ اعمالكم و اجازيكم عليها انما انا منذر والله هو الحفيظ عليكم والكاف فى وكذلك نصرف الايات فى موضع نصب صفة لمصدر محذوف اى نصرف الايات تصريفا مثل ما تلونا عليك و ليقولوا جوابه محذوف اى وليقولوا درست نصرفها ومعنى درست قرات كتب اهل الكتاب دارست مكى وابو عمرو اى دارست اهل الكتاب درست شامى قدمت هذه الايات ومضت كما قالوا اساطير الاولين ولنبينه اى القران وان لم يجر له ذكر لكونه معلوما او الايات لانها فى معنى القران قيل اللام الثانية حقيقة واللام الاولى لام العاقبة و الصيرورة اى لتصير عاقبة امرهم الى ان يقولوا درست وهو كقوله فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وهم لم يلتقطوه للعداوة وانما التقطوه ليكون لهم قرة عين ولكن صارت عاقبة امرهم الى العداوة وكذلك الايات صرفت للتبيين ولم تصرف ليقولوا درست ولكن حصل هذا القول بتصريف الايات كما حصل التبيين فشبه به وقيل ليقولوا كما قيل لنبينه وعندنا ليس كذلك لما عرف لقوم يعلمون الحق من الباطل اتبع ما اوحى اليك من ربك ولا تتبع اهواءهم لا اله الا هو اعتراض اكد به ايجاب اتباع الوحى لا محل له من الاعراب او حال من ربك موكدة واعرض عن المشركين فى الحال الى ان يرد الامر بالقتال ولو شاء الله اى ايمانهم فالمفعول محذوف ما اشركوا بين انهم لا يشركون على خلاف مشية الله ولو علم منهم اختيار الايمان لهداهم ولكن علم منهم اختيار الشرك فشاء شركهم فاشركوا بمشيته وما جعلناك عليهم حفيظا مراعيا لاعمالهم ماخوذا باجرامهم وما انت عليهم بوكيل بمسلط وكان

يستبصر

اجالكم

المسلمون يسبون الهتهم فنهوا لئلا يكون بهم سببا لسب الله تعالى بقوله ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله منصوب على جواب النهى عدوا وظلما وعدوانا بغير علم على جهالة بالله وبما يجب ان يذكر به كذلك مثل ذلك التزيين زينا لكل امة من امم الكفار عملهم وهو كقوله افمن زين له سوء عمله فراه حسنا فان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء وهو حجة لنا فى الاصلح ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون فيخبرهم بما عملوا ويجزيهم عليهم واقسموا بالله جهد ايمانهم جهد مصدر وقع موقع الحال اى جاهدين فى الايمان لئن جاءتهم اية من مقترحاتهم ليؤمنن بها قل انما الايات عند الله وهو قادر عليها لا عندى فكيف اتيكم بها وما يشعركم او ما يدريكم انها ان الاية المقترحة اذا جاءت لا يؤمنون بها يعنى انا اعلم انها اذا جاءت لا يؤمنون بها وانتم لا تعلمون ذلك وكان المؤمنون يطمعون فى ايمانهم اذا جاءت تلك الاية ويتمنون مجيئها فقال الله تعالى وما يدريكم انهم لا يؤمنون على معنى انكم لا تدرون ما سبق علمى به من انهم لا يؤمنون انها بالكسر مكى وبصرى وابو بكر على ان الكلام تم قبله اى وما يشعركم ما يكون منهم ثم اخبرهم بعلمه فقال انها اذا جاءت لا يؤمنون البتة ومنهم من جعل لا مزيدة فى قراءة الفتح لقوله وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون لا تؤمنون بالخطاب شامى و حمزة ونقلب افئدتهم عن قبول الحق وابصارهم عن روية الحق عند نزول الاية التى اقترحوها فلا يؤمنوا بها قيل هو عطف على لا يؤمنون داخل فى حكم وما يشعركم اى وما يشعركم انهم لا يؤمنون وما يشعركم انا نقلب افئدتهم وابصارهم فلا يفقهون ولا يبصرون الحق كما لم يؤمنوا به اول مرة كما كانوا عند نزول اياتنا اولا لا يؤمنون بها ونذرهم فى طغيانهم يعمهون قيل وما يشعركم انا نذرهم فى طغيانهم يتحيرون ولو اننا نزلنا اليهم الملايكة كما قالوا لولا انزل علينا الملايكة وكلمهم الموتى كما قالوا فاتوا باباينا وحشرنا عليهم كل شئ جمعنا قبلا كفلا بصحة ما بشرنا به وانذرنا جمع قبيل وهو الكفيل قبلا مدنى وشامى اى عيانا وكلاهما نصب على الحال ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله ايمانهم فيؤمنوا وهذا جواب لقول المؤمنين لعلهم يؤمنون بنزول الايات و

لكن اكثرهم يجهلون ان هؤلاء لا يؤمنون اذا جاءتهم الاية المقترحة وكذلك جعلنا
لكل نبي عدوا وكما جعلنا لك اعداء من المشركين جعلنا لمن تقدمك من الانبياء اعداء
لما فيه من الابتلاء الذي هو سبب ظهور الثبات والصبر وكثرة الثواب والاجر
وانتصب شياطين الانس والجن على البدل من عدوا او على انه المفعول الاول وعدوا مفعول
ثاني يوحي بعضهم الى بعض يوسوس شياطين الانس وكذلك بعض الجن الى بعض وبعض
الانس الى بعض وعن مالك بن دينار ان شيطان الانس اشد علي من شيطان الجن لاني اذا
تعوذت بالله ذهب شيطان الجن عني وشيطان الانس يجيئني فيجرني الى المعاصي عيانا
وقال النبي صلى الله عليه وسلم قرناء السوء اشر من شياطين الجن زخرف القول ما زينوه
من القول والوسوسة والاغراء على المعاصي غرورا خدعا واخذا على غرة وهو
مفعول له ولو شاء ربك ما فعلوه اي الايحاء يعني ولو شاء الله لمنع الشياطين من
الوسوسة ولكن امتحن بها ليعلم انها الاجزل في الثواب فذرهم وما يفترون عليك
وعلى الله فان الله يخزيهم وينصرك ويجزيهم ولتصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون
بالاخرة ولتميل الى زخرف القول قلوب الكفار وهي معطوفة على غرورا اي ليغروا
ولتصغى اليه وليرضوه لانفسهم وليقترفوا ما هم مقترفون من الاثام افغير الله
ابتغي حكما اي قل يا محمد افغير الله اطلب حاكما يحكم بيني وبينكم ويفصل المحق منا من
المبطل وهو الذي انزل اليكم الكتاب المعجز مفصلا حال من الكتاب اي مبينا فيه الفصل بين
الحق والباطل والشهادة لي بالصدق وعليكم بالافتراء ثم عضد الدلالة على ان القران حق بعلم
اهل الكتاب انه حق لتصديقه ما عندهم وموافقته له بقوله والذين آتيناهم الكتاب اي عبد الله
بن سلام واصحابه يعلمون انه منزل شامي وحفص من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين الشاكين
فيه ايها السامع او فلا تكونن من الممترين في ان اهل الكتاب يعلمون انه منزل بالحق ولا يريبك
جحود اكثرهم وكفرهم به وتمت كلمة ربك ما تكلم به كلمات ربك حجازي وشامي وابو بكر

وابو عمرو

اي تم كل ما اخبر به وامر ونهى ووعد واوعد وعدلا صدقا في وعده ووعيده وعدلا في امره ونهيه و
انتصبا على التمييز او على الحال لا مبدل لكلماته لا احد يبدل شيئا من ذلك وهو السميع لاقرار من

اقر العليم باصرار من اصر او السميع لما يقولون العليم بما يضمرون وان تطع اكثر من في الارض
اي الكفار لانهم الاكثرون يضلوك عن سبيل الله دينه ان يتبعون الا الظن وهو ظنهم ان اباءهم
كانوا على الحق فهم يقلدونهم وان هم الا يخرصون يكذبون في ان الله حرم كذا واحل كذا ان
ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين اي هو يعلم الكفار والمؤمنين من
رفع على الابتداء ولفظها لفظ الاستفهام والخبر يضل وموضع الجملة نصب بيعلم المقدر
لا باعلم لان افعل لا يعمل في الاسم الظاهر النصب وقيل تقديره اعلم بمن يضل بدليل ظهور
الباء بعده في المهتدين فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ان كنتم باياته مؤمنين هو مسبب عن
انكار اتباع المضلين الذين يحلون الحرام ويحرمون الحلال وذلك انهم كانوا يقولون للمسلمين
انكم تزعمون انكم تعبدون الله فما قتل الله احق ان تاكلوا مما قتلتم انتم فقيل للمسلمين ان كنتم
متحققين بالايمان فكلوا مما ذكر اسم الله عليه خاصة اي على ذبحه دون ما ذكر عليه اسم
غيره من الهتهم او مات حتف انفه وما لكم ان لا تاكلوا ما استفهام في موضع رفع بالابتداء
ولكم الخبر اي واي غرض لكم في ان لا تاكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم بين لكم ما حرم
عليكم مما لم يحرم بقوله حرمت عليكم الميتة فصل وحرم كوفي غير حفص وبفتحهما مدني وحفص
وبضمهما غيرهم الا ما اضطررتم اليه مما حرم عليكم فانه حلال لكم في حال الضرورة اي شدة
المجاعة اي اكله وان كثيرا ليضلون ليضلون كوفي باهوائهم بغير علم اي يضلون فيحرمون
ويحللون باهوائهم وشهواتهم من غير تعلق بشريعة ان ربك هو اعلم بالمعتدين
بالمجاوزين من الحق الى الباطل وذروا ظاهر الاثم وباطنه علانيته وسره او الزنى في الحوانيت
والصديقة في السر او الشرك الجلي والخفي ان الذين يكسبون الاثم سيجزون يوم القيامة
بما كانوا يقترفون يكتسبون في الدنيا ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه عند الذبح وانه
وان اكله لفسق وان الشياطين ليوحون ليوسوسون الى اوليائهم من المشركين ليجادلوكم
بقولهم لا تاكلون مما قتله الله وتاكلون مما تذبحون بايديكم والاية تحرم متروك التسمية
وخصت حالة النسيان بالحديث وان اطعتموهم في استحلال ما حرمه الله انكم لمشركون
لان من اتبع غير الله في دينه فقد اشرك به ومن حق المتدين ان لا ياكل مما لم يذكر اسم الله عليه

لما فی الآیة من التشدید العظیم ومن اول الآیة بالمیتة و بما ذکر غیر اسم الله علیه لقوله او
فسقا اهل لغیر الله به وقال ان الواو فی انه لفسق للحال لان عطف الجملة الاسمیة علی الفعلیة
لا یحسن فیکون التقدیر ولا تاکلوا منه حال کونه فسقا والفسق مجمل فبین بقوله او فسقا
اهل لغیر الله به فصار التقدیر ولا تاکلوا منه حال کونه مهلا بغیر الله فیکون ما سواه
حلالا بالعمومات المحلة منها قوله قل لا اجد الآیة فقد عدل عن ظاهر اللفظ او من کان
میتا فاحییناه ای کافرا فهدیناه لان الایمان حیوة القلب میتا بدلی وجعلنا له نورا
یمشی به فی الناس مستضیا به والمراد به الیقین کمن مثله صفته فی الظلمات ای خابط فیها لیس
بخارج منها لا یتفارقها ولا یتخلص منها وهو حال قیل المراد بهما حمزة وابو جهل والاصح ان
الآیة عامة لکل من هداه الله وکل من اضله الله فبین ان مثل المهتدی مثل المیت الذی
احیی وجعل مستضیا یمشی فی الناس بنور الحکمة والایمان ومثل الکافر مثل من هو فی الظلمات
التی لا یتخلص منها کذلک ای کما زین للمومنین ایمانهم زین للکافرین بتزیین الله تعالی
کقوله تعالی زینا لهم اعمالهم ما کانوا یعملون ای اعمالهم وکذلک ای وکما جعلنا فی مکة
صنادیدها لیمکروا فیها جعلنا صیرنا فی کل قریة اکابر مجرمیها لیمکروا فیها لیتجبروا علی
الناس فیها ویعملوا بالمعاصی واللام علی ظاهرها عند اهل السنة ولیست بلام العاقبة و
خص الاکابر وهم الرؤساء لان ما فیهم من الریاسة والسعة ادعی لهم الی المکر والکفر من
غیرهم دلیله ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فی الارض ثم سلی تعالی رسول الله صلی الله
علیه وسلم ووعده النصرة بقوله وما یمکرون الا بانفسهم لان مکرهم یحیق بهم وما یشعرون
انه یحیق بهم اکابر مفعول اول والثانی فی کل قریة ومجرمیها بدل من اکابر او الاول
مجرمیها والثانی اکابر والتقدیر مجرمیها اکابر ولما قال ابو جهل زاحمنا بنی عبد مناف
فی الشرف حتی اذا صرنا کفرسی رهان قالوا منا نبی یوحی الیه والله لا نرضی به الا ان یاتینا
وحی کما یاتیه نزل واذا جاءتهم ای الاکابر آیة معجزة او آیة من القرآن تامرهم بالایمان قالوا
لن نومن حتی نوتی مثل ما اوتی رسل الله ای نعطی من الآیات مثل ما اعطی الانبیاء فاعلم
الله تعالی انه اعلم بمن یصلح للنبوة فقال الله اعلم حیث یجعل رسالته مکی وحفص رسالاته

غیرهما حیث مفعول به والعامل محذوف والتقدیر یعلم موضع رسالته سیصیب الذین
اجرموا من اکابرها صغار ذل وهوان عند الله فی القیامة وعذاب شدید فی الدارین
من القتل والاسر وعذاب النار بما کانوا یمکرون فی الدنیا فمن یرد الله ان یهدیه یشرح
صدره للاسلام یوسعه وینور قلبه قال علیه الصلوة والسلام اذا دخل النور فی القلب
انشرح وانفسح قیل وما علامة ذلک قال الانابة الی دار الخلود والتجافی عن دار الغرور
والاستعداد للموت قبل نزول الموت ومن یرد ای الله ان یضله یجعل صدره ضیقا ضیقا
مکی حرجا بکسر الراء مدنی وابو بکر بالغا فی الضیق حرجا غیرهما وصفا بالمصدر کانما
یصعد فی السماء ای کانه کلف ان یصعد الی السماء اذا دعی الی الاسلام من ضیق صدره
عنه او ضاقت علیه الارض فطلب مصعدا فی السماء او کعادم الرای طائر القلب فی الهوی
یصعد مکی من صعد یصاعد ابو بکر واصله یتصاعد الباقون یصعد واصله یتصعد کذلک
یجعل الله الرجس العذاب فی الآخرة واللعنة فی الدنیا علی الذین لا یؤمنون والآیة حجة
لنا علی المعتزلة فی ارادة المعاصی وهذا صراط ربک ای طریقته التی اقتضته الحکمة وسنته
فی شرح صدر من اراد هدایته وجعله ضیقا لمن اراد ضلالته مستقیما عادلا مطردا وهو
حال موکدة قد فصلنا الآیات لقوم یذکرون یتعظون لهم ای لقوم یذکرون دار السلام
دار الله یعنی الجنة اضافها الی نفسه تعظیما لها او دار السلامة من کل آفة وکدر او السلام
التحیة وسمیت دار السلام لقوله تحیتهم فیها سلام الا قیلا سلاما سلاما عند ربهم
فی ضمانه وهو ولیهم نصب باضمار اذکر محبهم او ناصرهم علی اعدائهم بما کانوا یعملون
باعمالهم او متولیهم بجزاء ما کانوا یعملون او هو ولینا فی الدنیا بتوفیق الاعمال
وفی العقبی بتحقیق الآمال ویوم نحشرهم جمیعا وبالیاء حفص ای واذکر یوم یحشرهم
او ویوم نحشرهم قلنا یا معشر الجن قد استکثرتم من الانس اضللتم منهم کثیرا وجعلتموهم
اتباعکم کما تقول استکثر الامیر من الجنود وقال اولیاؤهم من الانس الذین اطاعوهم و
استمعوا الی وسوستهم ربنا استمتع بعضنا ببعض ای انتفع الانس بالشیاطین حیث دلوهم
علی الشهوات وعلی اسباب التوصل الیها وانتفع الجن بالانس حیث اطاعوهم وساعدوهم

على امراومم في اغوائهم وبلغنا اجلنا الذى اجلت لنا يعنون يوم البعث وهذا الكلام
اعتراف بما كان منهم من اطاعة الشياطين واتباع الهوى والتكذيب بالبعث وتحسرهم
على حالهم قال النار مثويكم منزلكم خالدين فيها حال والعامل معنى الاضافة كقوله ان
دابر هؤلاء مقطوع مصبحين فمصبحين حال من هؤلاء والعامل في الحال معنى الاضافة اذ
معناه الممازجة والمضامة والمثوى ليس بعامل لان المكان لا يعمل في شئ الا ماشاء الله
اى يخلدون في عذاب النار الابد كله الا ماشاء الله الا الاوقات التى ينقلون فيها من
عذاب السعير الى عذاب الزمهرير ان ربك حكيم فيما يفعل باوليائه واعدائه عليم
باعمالهم فيجزى كلا على وفق اعمالهم وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا نتبع بعضهم
بعضا في النار او يسلط بعضهم على بعض او يجعل بعضهم اولياء بعض بما كانوا يكسبون
بسبب ما كسبوا من الكفر والمعاصى يقال لهم يوم القيمة على جهة التوبيخ يامعشر الجن و
الانس الم ياتكم رسل منكم من الضحاك بعث الى الجن رسلا منهم كما بعث الى الانس رسلا
منهم لانهم به آنس وعليه ظاهر النص وقال اخرون الرسل من الانس خاصة وانما قيل
رسل منكم لانه لما جمع الثقلان في الخطاب صح ذلك وان كان من احدهما كقوله تعالى يخرج
منهما اللؤلؤ والمرجان او رسلهم رسل نبينا لقوله ولوا الى قومهم منذرين يقصون
عليكم اياتى يقرون كتبى وينذرونكم لقاء يومكم هذا يعنى يوم القيمة قالوا شهدنا
على انفسنا بوجوب الحجة علينا وتبليغ الرسل الينا وغرتهم الحيوة الدنيا وشهدوا على
انفسهم انهم كانوا كافرين بالرسل ذلك اشارة الى ما تقدم من بعثة الرسل اليهم وهو
خبر مبتداء محذوف اى الامر ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم واهلها غافلون
تعليل اى الامر ما قصصنا عليك لانتفاء كون ربك مهلك القرى بظلم على ان ان
مصدرية ويجوز ان يكون مخففة من الثقيلة والمعنى لان الشان والحديث لم يكن ربك
مهلك القرى بظلم بسبب ظلم اقدموا عليه او ظالما على انه لو اهلكهم وهم غافلون لم
ينبهوا برسل وكتاب لكان ظالما وهو متعال عنه ولكل من المكلفين درجات منازل
مما عملوا من جزاء اعمالهم وبه استدل ابو يوسف ومحمد رح على ان للجن الثواب بالطاعات

لانه ذكر عقيب ذكر الثقلين وما ربك بغافل عما يعملون بساه عنه وبالتاء شامى وربك الغنى
عن عباده وعن عبادتهم ذو الرحمة عليهم بالتكليف ليعرضهم للمنافع الدائمة ان يشاء يذهبكم
ايها الظلمة ويستخلف من بعدكم ما يشاء من الخلق المطيع كما انشاكم من ذرية قوم اخرين
من اولاد قوم اخرين لم يكونوا على مثل صفتكم وهم اهل سفينة نوح عليه السلام انما ما بمعنى
الذى توعدون من البعث والحساب والثواب والعقاب لآت خبر ان لكائن وما انتم
بمعجزين بفائتين رد لقولهم من مات فقد فات المكانة تكون مصدرا يقال مكن مكانة
اذا تمكن ابلغ التمكن وبمعنى المكان يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة وقوله قل ياقوم
اعملوا على مكانتكم يحتمل اعملوا على تمكنكم من امركم واقصى استطاعتكم وامكانكم او اعملوا
على جهتكم وحالكم التى انتم عليها يقال للرجل اذا امر ان يثبت على حاله على مكانتك يا
فلان اى اثبت على ما انت عليه انى عامل على مكانتى التى انا عليها اى اثبتوا على كفركم وعداوتكم
لى فانى ثابت على الاسلام وعلى مصابرتكم وهو امر تهديد ووعيد دليله قوله فسوف تعلمون
من تكون له عاقبة الدار فسوف تعلمون اينا تكون له العاقبة المحمودة وهذا طريق لطيف
في الانذار انه لا يفلح الظالمون الكافرون مكاناتكم حيث كان ابوبكر يكون حمزة وعلى و
موضع من رفع اذا كان بمعنى اى وعلق عنه فعل العلم او نصب اذا كان يعنى الذى وجعلوا
لله مما ذرء من الحرث والانعام نصيبا اى وللاصنام نصيبا فاكتفى بدلالة قوله فقالوا هذا
لله بزعمهم وهذا لشركائنا بزعمهم بالضم على وكذا ما بعده اى زعموا انه لله والله لم يامرهم
بذلك ولا شرع لهم تلك القسمة فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله اى لا يصل الى الوجوه
التى كانوا يصرفونه اليها من قرى الضيفان والتصدق على المساكين وما كان لله فهو يصل
الى شركائهم من الانفاق عليها والاجراء على سدنتها روى انهم كانوا يعينون اشياء من
حرث ونتاج لله واشياء منهما لالهتهم فاذا راوا ما جعلوا لله زاكيا ناميا رجعوا فجعلوه
للاصنام واذا زكى ما جعلوه للاصنام تركوه لها وقالوا ان الله غنى وانما ذلك لحبهم الهتهم
وايثارهم لها وفي قوله مما ذرأ اشارة الى ان الله تعالى كان اولى بان يجعل له الزاكى لانه
هو الذى ذراه ثم ذم صنيعهم بقوله ساء ما يحكمون في ايثار الهتهم على الله وعملهم على مالم

يشرع لهم وموضع ما رفع اى ساء الحكم حكمهم او نصب اى ساء حكما حكمهم وكذلك زين لكثير
من المشركين اى كما زين لهم تجزئة المال زين وادا البنيات قتل هو مفعول زين اولادهم شركاؤهم
بالجر شامى على اضافة القتل الى الشركاء اى الشياطين والفصل بينهما بغير الظرف وهو المفعول
وتقديره زين لكثير من المشركين قتل شركاءهم اولادهم ليردوهم ليهلكوهم بالاغواء و
ليلبسوا عليهم دينهم وليخلطوا عليهم ويشبهوه دينهم ما كانوا عليه من دين اسماعيل حتى زلوا
عنه الى الشرك ولو شاء الله ما فعلوه وفيه دليل على ان الكائنات كلها بمشية الله تعالى فذرهم
وما يفترون وما يفترونه من الافك او وافتراءهم لان ضرر ذلك الافتراء عليهم لا عليك
ولا علينا وقالوا هذه انعام وحرث للاوثان حجر حرام فعل بمعنى مفعول كالذبح والطحن
ويستوى فى الوصف به المذكر والمؤنث والواحد والجمع لان حكمه حكم الاسماء غير الصفات
وكانوا اذا عينوا شيئا من حرثهم وانعامهم لالهتهم قالوا لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم يعنون
خدم الاوثان والرجال دون النساء والزعم قول بالظن يشوبه الكذب وانعام حرمت ظهورها
هى البحائر والسوائب والحوامى وانعام لا يذكرون اسم الله عليها حالة الذبح وانما يذكرون
عليها اسماء الاصنام افتراء عليه هو مفعول له او حال اى قسموا انعامهم قسم حجر وقسم لا يركب
وقسم لا يذكر عليها اسم الله ونسبوا ذلك الى الله افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون وعيد
وقالوا ما فى بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا كانوا يقولون فى اجنة
البحائر والسوائب ما ولد منها حيا فهو خالص للذكور ولا ياكل منه الاناث وما ولد ميتا
اشترك فيه الذكور والاناث وانث خالصة وهو خبر ما للحمل على المعنى لان ما فى معنى الاجنة
وذكر محرم حملا على اللفظ او التاء للمبالغة كسابة وان يكن ميتة وان يكون ما فى بطونها
ميتة وان تكن ميتة ابو بكر اى وان تكن الاجنة ميتة وان تكن ميتة شامى على كان التامة
يكن ميتة مكى لتقدم الفعل وتذكير الضمير فى فهم فيه شركاء فلان الميتة اسم لكل ميت ذكر
او انثى فكانه قيل وان يكن ميت فهم فيه سواء سيجزيهم جزاء وصفهم الكذب على الله فى
التحليل والتحريم انه حكيم فى جزاءهم عليم باعتقادهم قد خسر الذين قتلوا اولادهم كانوا
يئدون بناتهم مخافة السبي والفقر قتلوا مكى وشامى سفها بغير علم لخفة احلامهم وجهلهم

بان الله هو رازق اولادهم لا هم وحرموا ما رزقهم الله من البحائر والسوائب وغيرها
افتراء على الله مفعول له قد ضلوا وما كانوا مهتدين الى الصواب وهو الذى انشا خلق
جنات من الكروم معروشات مسموكات وغير معروشات متروكات على وجه
الارض لم تعرش يقال عرشت الكرم اذا جعلت له دعائم وسمكا تعطف عليه القضبان
والنخل والزرع مختلفا فى اللون والطعم والحجم والرائحة وهو حال مقدرة لان النخل وقت
خروجه لا اكل فيه حتى يكون مختلفا وهو كقوله تعالى فادخلوها خالدين اكله
حجازى وهو ثمرة التى يوكل والضمير للنخل والزرع داخل فى حكمه لانه معطوف عليه او كل
واحد والزيتون والرمان متشابها فى اللون وغير متشابه فى الطعم كلوا من ثمره
من ثمر كل واحد وفايدة اذا اثمر ان يعلم ان اول وقت الاباحة وقت اطلاع الشجر
الثمر ولا يتوهم انه لا يباح الا اذا ادرك واتوا حقه عشره وهو حجة ابى حنيفة رض
فى تعميم العشر يوم حصاده بصرى وشامى وعاصم وبكسر الحاء غيرهم وهما لغتان ولا
تسرفوا باعطاء الكل وتضييع العيال وقوله كلوا الى انه لا يحب المسرفين اعتراض ومن الانعام
حمولة وفرشا عطف على جنات اى وانشا من الانعام ما يحمل الاثقال وما يفرش
للذبح او الحمولة الكبار التى تصلح للحمل والفرش الصغار كالفصلان والعجاجيل والغنم
لانها دانية من الارض مثل الفرش المفروش كلوا مما رزقكم الله ما احل الله لكم منها
فلا تحرموها كما فى الجاهلية ولا تتبعوا خطوات الشيطان طرقه فى التحليل والتحريم كفعل
اهل الجاهلية انه لكم عدو مبين فاتهموه على دينكم ثمانية ازواج بدل من حمولة وفرشا
من الضان اثنين ومن المعز اثنين زوجين اثنين يريد الذكر والانثى والواحد اذا كان
وحده فهو فرد واذا كان معه غيره من جنسه يسمى كل واحد منهما زوجا وهما زوجان
بدليل قوله خلق الزوجين الذكر والانثى ويدل عليه قوله ثمانية ازواج ثم فسرها بقوله
من الضان اثنين ومن المعز اثنين ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين والضان والمعز
جمع ضائن وماعز كتاجر وتجر وفتح عين المعز مكى وشامى وابو عمرو وهما لغتان و
الهمزة فى قل آلذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين للانكار و

المراد بالذكرين الذكر من الضان والذكر من المعز وبالانثيين الانثى من الضان والانثى من المعز
فالمعنى انكار ان يحرم الله من جنسى الغنم ضانها ومعزها شيئا من نوعى ذكورها واناثها
ولاما تحمل اناثها وذلك انهم كانوا يحرمون ذكورة الانعام تارة واناثها طورا واولادها
كيف ما كانت ذكورا او اناثا او مختلطة تارة وكانوا يقولون قد حرمها الله فانكر ذلك
عليهم وانتصب الذكرين بحرم وكذا ام الانثيين اى ام حرم الانثيين وكذا ما فى اما اشتملت
نبؤنى بعلم اخبرونى بامر معلوم من جهة الله يدل على تحريم ما حرمتم ان كنتم صادقين
فى ان الله حرمه ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل ء الذكرين منهما حرم ام الانثيين
منهما اما اشتملت عليه ارحام الانثيين ام ما تحتمل اناثها ام كنتم شهداء ام منقطعة اى
بل كنتم شهداء اذ وصيكم الله بهذا يعنى ام شاهدتم ربكم حين امركم بهذا التحريم ولما
كانوا لا يؤمنون برسول وهم يقولون الله حرم هذا الذى نحرمه فتهكم بهم فى قوله ام
كنتم شهداء اذ وصيكم الله بهذا يعنى ام شاهدتم ربكم حين امركم بهذا التحريم ولما كان
على معنى اعرفتم التوصية به مشاهدين لانكم لا تؤمنون بالرسل فمن اظلم ممن افترى
على الله كذبا فنسب اليه تحريم ما لم يحرم ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدى القوم
الظالمين اى الذين فى علمه انهم يختمون على الكفر فوقع الفاصل بين بعض المعدود و
بعضه اعتراضا غير اجنبى من المعدود وذلك ان الله تعالى من على عباده بانشاء الانعام
لمنافعهم وباباحتها لهم فالاعتراض بالاحتجاج على من حرمها يكون تاكيدا للتحليل و
الاعتراضات فى الكلام لا تساق الا للتوكيد قل لا اجد فيما اوحى الى اى فى ذلك الوقت
او فى وحى القران لان وحى السنة قد حرم غيره او من الانعام لان الاية فى رد البحيرة و
اخواتها واما الموقوذة والنطيحة فمن الميتة وفيه تنبيه على ان التحريم انما يثبت بوحى الله
وشرعه لا بهوى النفس محرما حيوانا حرم اكله على طاعم يطعم على اكل ياكله الا ان يكون
ميتة الا ان يكون الشئ المحرم ميتة ان تكون مكى وشامى وحمزة ميتة شامى بالرفع او دما
مسفوحا مصبوبا سائلا فلا يحرم الدم الذى فى اللحم والكبد والطحال او لحم خنزير فانه
رجس نجس او فسقا عطف على المنصوب قبله وقوله فانه رجس اعتراض بين المعطوف

تحتمل

والمعطوف عليه

والمعطوف عليه اهل لغير الله به منصوبة المحل صفة لفسقا اى رفع الصوت على ذبحه
باسم غير الله وسمى الفسق لتوغله فى باب الفسق فمن اضطر فمن دعته الضرورة الى كل شئ
من هذه المحرمات غير باغ على مضطر مثله تارك لمواساته ولا عاد متجاوز قدر حاجته
من تناوله فان ربك غفور رحيم لا يواخذه وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر
اى ما له اصبع من دابة او طائر فيدخل فيه الابل والنعام ومن البقر والغنم حرمنا
عليهم شحومهما اى حرمنا عليهم لحم كل ذى ظفر وشحمه وكل شئ منه ولم يحرم من البقر
والغنم الا الشحوم وهى الثروب وشحوم الكلى الا ما حملت ظهورهما الا ما اشتمل على الظهور
والجنوب من السحفة او الحوايا او ما اشتمل على الامعاء واحدها حاوياء او حوية او ما
اختلط بعظم وهو الالية او المخ ذلك مفعول ثان لقوله جزيناهم والتقدير جزيناهم
ذلك ببغيهم بسبب ظلمهم وانا لصادقون فيما اخبرنا به وكيف نشكر من سبب معصيتهم
لتحريم الحلال ومعصية سابقينا التحليل الحرام حيث قال وعفا عنكم فالان باشروهن فان
كذبوك فيما اوحيت اليك من هذا فقل ربكم ذو رحمة واسعة بامهال المكذبين ولا
يعاجلهم بالعقوبة ولا يرد باسه عذابه مع سعة رحمته عن القوم المجرمين اى اذا جاء
فلا تغتر بسعة رحمته عن خوف نقمته سيقول الذين اشركوا اخبار بما سوف يقولونه
لو شاء الله ان لا نشرك ما اشركنا ولا اباؤنا ولا حرمنا من شئ ولكن شاء فهذا عذرنا
يعنون ان شركهم وشرك اباءهم وتحريمهم ما احل الله بمشيته ولولا مشيته لم يكن شئ
من ذلك كذلك كذب الذين من قبلهم اى كتكذيبهم اياك كان تكذيب المتقدمين رسلهم
وتشبثوا بمثل هذا فلم ينفعهم ذلك اذ لم يقولوه عن اعتقاد بل قالوه ذلك استهزاء
ولانهم جعلوا مشيته حجة لهم على انهم معذورون به وهذا امر مردود ولا الاقرار بالمشية
او معنى المشية هنا الرضاء كما قال الحسين اى ما رضى الله منا ومن اباءنا الشرك والشرك
مراد لكنه غير مرضى الا ترى انه قال فلو شاء لهديكم اجمعين اخبر انه لو شاء منهم الهدى
لامن كلهم ولكن لم يشاء من الكل الايمان بل شاء من البعض الايمان ومن البعض الكفر فيجب
حمل المشية هنا على ما ذكرنا دفعا للتناقض حتى ذاقوا باسنا حتى انزلنا عليهم العذاب

قل هل عندكم من علم من امر معلوم يصح الاحتجاج به فيما قلتم فتخرجوه لنا فتظهروه
ان تتبعون الا الظن وان انتم الا تخرصون تكذبون قل فلله الحجة البالغة عليكم باوامره
ونواهيه ولا حجة لكم على الله بمشيئته فلو شاء لهديكم اجمعين اى فلو شاء هدايتكم
يبطل قول المعتزلة قل هلم شهداءكم هاتوا شهداءكم وقربوهم ويستوى فى هذه الكلمة
الواحد والجمع والمذكر والمؤنث عند الحجازيين وبنو تميم تذكر وتؤنث وتجمع الذين
يشهدون ان الله حرم هذا اى ما زعموا تحريمه فان شهدوا فلا تشهد معهم فلا تسلم
لهم ما شهدوا به ولا تصدقهم لانه اذا اسلم لهم فكانه شهد معهم مثل شهادتهم وكان
واحدا منهم ولا تتبع اهواء الذين كذبوا باياتنا من وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة
على ان من كذب بايات الله فهو متبع للهوى اذ لو اتبع الدليل لم يكن الا مصدقا
بالايات موحدا لله تعالى والذين لا يؤمنون بالاخرة هم المشركون وهم بربهم يعدلون
يسوون الاصنام قل للذين حرموا الحرث والانعام تعالوا هو من الخاص الذى صار
عاما فاصله ان يقوله من كان فى مكان عال لمن هو اسفل منه ثم كثر حتى عم اتل ما حرم ربكم
الذى حرمه ربكم عليكم من صلة حرم ان لا تشركوا به شيئا ان مفسرة لفعل التلاوة
ولا للنهى وبالوالدين احسانا واحسنوا بالوالدين احسانا ولما كان ايجاب الاحسان
تحريما لترك الاحسان ذكر فى المحرمات وكذا حكم ما بعده من الاوامر ولا تقتلوا اولادكم
من املاق من اجل فقر ومن خشية كقوله خشية املاق نحن نرزقكم واياهم لان رزق
العبيد على مولاهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها ما بينك وبين الخلق وما بطن
ما بينك وبين الله ما ظهر بدل من الفواحش ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق
كالقصاص والقتل على الردة والرجم ذلكم وصيكم به اى المذكور مفصلا امركم ربكم بحفظه
لعلكم تعقلون لتعقلوا عظمتها عند الله تعالى ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى احسن الا
بالخصلة التى هى احسن وهى حفظه وتثميره حتى يبلغ اشده حلمه فادفعوه اليه وواحده
شد كفلس وافلس واوفوا الكيل والميزان بالقسط بالسوية والعدل لا نكلف نفسا الا
وسعها الا ما يسعها ولا تعجز عنه وانما اتبع الامر بايفاء الكيل والميزان ذلك لان مراعاة الحد

من القسط

من القسط الذى لا زيادة فيه ولا نقصان مما فيه حرج فامر ببلوغ الوسع وان ما
وراءه معفو واذا قلتم فاعدلوا فاصدقوا ولو كان ذا قربى ولو كان المقول له او
عليه فى شهادة وغيرها من اهل قرابة القائل كقوله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين
وبعهد الله يوم الميثاق او فى الامر والنهى والوعد والوعيد والنذر واليمين اوفوا
ذلكم اى ما مر وصيكم به لعلكم تذكرون بالتخفيف حيث كان حمزة وعلى وحفص على حذف
احد التائين وغيرهم بالتشديد اصله تتذكرون فادغم اى امركم به لتتعظوا وان هذا
صراطى ولان هذا صراطى فهو علة للاتباع بتقدير اللام وان بالتخفيف شامى اصله وانه
على ان الهاء ضمير الشان والحديث وان على الابتداء حمزة وعلى مستقيما حال فاتبعوه ولا
تتبعوا السبل الطرق المختلفة فى الدين من اليهودية والنصرانية والمجوسية وسائر
البدع والضلال فتفرق بكم عن سبيله فتفرقكم ايادى سبا عن صراط الله المستقيم
وهو دين الاسلام روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خط خطا مستويا ثم قال هذا
سبيل الرشد وصراط الله فاتبعوه ثم خط على كل جانب ستة خطوط ممالة ثم قال هذه
سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه فاجتنبوها وتلا هذه الاية ثم يصير كل واحد
من ستة طرق اثنا عشر طرق فيكون اثنين وسبعين وعن ابن عباس رضى الله عنهما
هذه الايات محكمات لم ينسخهن شئ فى جميع الكتب وعن كعب رضى الله عنه ان هذه الايات اول
شئ فى التورية ذلكم وصيكم به لعلكم تتقون لتكونوا على رجاء اصابة التقوى ذكر
اولا تعقلون ثم تذكرون ثم تتقون لانهم اذا عقلوا تفكروا ثم تذكروا اى اتعظوا
فاتقوا المحارم ثم اتينا موسى الكتاب تماما اى ثم اخبركم انا اتينا او هو عطف على قل
اى ثم قل اتينا او ثم مع الجملة ياتى بمعنى الواو كقوله ثم الله شهيد على الذى احسن على
من كان محسنا صالحا يريد جنس المحسنين دليله قراءة عبد الله على الذين احسنوا او
اراد به موسى عليه السلام اى تتمة للكرامة على العبد الذى احسن الطاعة فى التبليغ
وفى كل ما امر به وتفصيلا لكل شئ وبيانا مفصلا لكل ما يحتاجون اليه فى دينهم وهدى
ورحمة لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون يصدقون اى بالبعث والحساب او بالرؤية وهذا

اى القران كتاب انزلناه مبارك كثير الخير فاتبعوه واتقوا مخالفته لعلكم ترحمون
لترحموا ان تقولوا كراهة ان تقولوا او لئلا تقولوا انما انزل الكتاب على طائفتين
من قبلنا اى اهل التورية واهل الانجيل وهذا دليل على ان المجوس ليسوا باهل ان مخففة
من المثقلة واللام فارقة بينها وبين النافية والاصل وانه كنا عن دراستهم غافلين
على ان الهاء ضمير الشان والخطاب لاهل مكة والمراد اثبات الحجة عليهم بانزال القرآن
على محمد عليه الصلوة والسلام كيلا يقولوا يوم القيمة ان التورية والانجيل انزلا على
طايفتين من قبلنا وكنا غافلين عما فيهما او تقولوا كراهة ان تقولوا لو انا انزل علينا
الكتاب لكنا اهدى منهم لحدة اذهاننا وثقابة افهامنا وغزارة حفظنا لايام العرب
فقد جاءكم بينة من ربكم اى ان صدقتم فيما كنتم تعدون من انفسكم فقد جاءكم ما
فيه البيان الساطع والبرهان القاطع فحذف الشرط وهو من احاسن الحذف وهدى
ورحمة فمن اظلم ممن كذب بايات الله بعدما عرف صحتها وصدقها وصدف عنها اى
اعرض سنجزى الذين يصدفون عن اياتنا سوء العذاب وهو النهاية فى النكاية بما كانوا
يصدفون باعراضهم هل ينتظرون اى ما ينتظرون الوحدانية ونبوة الرسالة وابطلنا
ما كانوا يعتقدون من الضلالة فما ينتظرون فى ترك الايمان بعدها الا ان تاتيهم
الملائكة اى ملائكة الموت لقبض ارواحهم ياتيهم حمزة وعلى او ياتى ربك اى امر ربك
وهو العذاب او القيمة وهذا لان الاتيان متشابه واتيان امر الله منصوص عليه
محكم فيرد اليه او ياتى بعض ايات ربك اى اشراط الساعة كطلوع الشمس من مغربها
وغير ذلك يوم ياتى بعض ايات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لانه ليس بايمان اختيار بل
هو ايمان دفع العذاب والباس عن انفسهم لم تكن امنت من قبل صفة نفسا او كسبت
فى ايمانها خيرا اخلاصا اى كما لا يقبل ايمان الكافر بعد طلوع الشمس من مغربها لا يقبل
اخلاص المنافق ايضا او توبة التائب وتقديره لا ينفع ايمان من لم يؤمن ولا توبة من لم
يتب قبل قل انتظروا احد الايات الثلاث انا منتظرون بكم احديها ان الذين فرقوا
دينهم اختلفوا فيه وصاروا فرقا كما اختلفت اليهود والنصارى وفى الحديث افترقت

الكتاب وان كنا عن دراستهم عن تلاوة كتبهم
لغافلين لا علم لنا بشىء من ذلك م

اليهود

اليهود على احدى وسبعين فرقة كلها فى الهاوية الا واحدة وهى الناجية وافترقت
النصارى على اثنتين وسبعين فرقة كلها فى الهاوية الا واحدة وتفرقت امتى على ثلث
وسبعين فرقة كلها فى الهاوية الا واحدة وهى السواد الاعظم وفى رواية وهى ما انا
عليه واصحابى فارقوا دينهم حمزة وعلى اى تركوه وكانوا شيعا فرقا كل فرقة تشيع اماما
لست منهم فى شىء اى من السوال عنهم وعن تفرقهم او من عقابهم انما امرهم الى الله ثم
ينبئهم بما كانوا يفعلون فيجازيهم على ذلك من جاء بالحسنة فله عشر امثالها تقديره
عشر حسنات امثالها الا انه اقيم صفة الجنس المميز مقام الموصوف ومن جاء بالسيئة
فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون بنقص الثواب وزيادة العقاب قل انى هدانى
ربى ربى ابو عمرو ومدنى الى صراط مستقيم دينا نصب على البدل من محل الى صراط لان
معناه هدانى صراطا بدليل قوله ويهديكم صراطا مستقيما قيما فيعل من قام كسيد من
ساد وهو ابلغ من القايم قيما كوفى وشامى وهو مصدر بمعنى القيام وصف به ملة
ابراهيم عطف بيان حنيفا حال من ابراهيم وما كان من المشركين بالله يا معشر قريش
قل ان صلوتى ونسكى اى عبادتى والناسك العابد او ذبحى او حجى ومحياى ومماتى و
ما اتيه فى حيوتى واموت عليه من الايمان والعمل الصالح لله رب العالمين خالصة
لوجهه محياى ومماتى بسكون الياء الاول وفتح الثانى مدنى وبعكسه غيره لا شريك له
فى شىء من ذلك وبذلك الاخلاص امرت وانا اول المسلمين لان اسلام كل نبى متقدم
على اسلام امته قل اغير الله ابغى ربا جواب عن دعائهم له الى عبادة الهتهم والهمزة
للانكار اى منكر ان اطلب ربا غيره وتقديم المفعول للاشعار بانه اهم وهو رب
كل شىء وكل من دونه مربوب ليس فى الوجود من له الربوبية غيره ولا تكسب كل نفس
الا عليها جواب عن قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم ولا تزر وازرة وزر اخرى
ولا تؤخذ نفس اثمة بذنب نفس اخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون
من الاديان التى فرقتموها وهو الذى جعلكم خلائف الارض لان محمدا صلى الله عليه وسلم
خاتم النبيين فامته قد خلفت سائر الامم او لان بعضهم يخلف بعضا او خلفاء الله

فی الارض یملکونها ویتصرفون فیها ورفع بعضکم فوق بعض فی الشرف والرزق
وغیر ذلک درجات مفعول ثان اذ التقدیر الی درجات او هی واقعة موقع المصدر
کانه قیل رفعة بعد رفعة لیبلوکم فیما اتیکم فیما اعطیکم من نعمة الجاه والمال کیف
تشکرون تلک النعمة وکیف یصنع الشریف بالوضیع والغنی بالفقیر والمالک بالمملوک
ان ربک سریع العقاب لمن کفر نعمته وانه لغفور رحیم لمن قام بشکرها ووصف
العقاب بالسرعة لان ما هو ات قریب وما امر الساعة الا کلمح البصر او هو اقرب عن
النبی صلی الله علیه وسلم من قرا ثلث آیات من اول الانعام حین یصبح وکل الله له
سبعین الف ملک یحفظونه وکتب له مثل اعمالهم الی یوم القیمة والله اعلم بالصواب

سورة الاعراف مکیة وهی مایتان وخمس آیات بصری وست کوفی ومدنی

بسم الله الرحمن الرحیم المص قال الزجاج المختار
فی تفسیره ما قال ابن عباس رضی الله عنهما انا الله اعلم وافصل کتاب خبر مبتداء محذوف
ای هو کتاب انزل الیک صفته والمراد بالکتاب السورة فلا یکن فی صدرک حرج
منه شک منه وسمی الشک حرجا لان الشاک ضیق الصدر حرجه کما ان المتیقن
منشرح الصدر منفسحه ای لا تشک فی انه منزل من الله او حرج من تبلیغه لانه کان
یخاف قومه وتکذیبهم له واعراضهم عنه واذاهم فکان یضیق صدره من الاذی و
لا ینشط له فآمنه الله ونهاه من المبالاة بهم والنهی متوجه الی الحرج وفیه من البلاغة
ما فیه والفاء للعطف ای هذا کتاب انزلناه الیک فلا یکن بعد انزاله الیک لانذار
به او بالنهی لانه اذا لم یخفهم انذرهم وکذا اذا ایقن انه من الله شجعه الیقین علی الانذار
لان صاحب الیقین جسور متوکل علی ربه وذکری للمؤمنین فی محل النصب باضمار
فعلها ای لتنذر به وتذکر تذکیرا فالذکری اسم بمعنی التذکیر او الرفع بالعطف علی کتاب
ای هو کتاب وهو ذکری للمؤمنین او بانه خبر مبتداء محذوف او الجر بالعطف علی محل
لتنذر ای للانذار والذکری اتبعوا ما انزل الیکم من ربکم ای القرآن والسنة ولا تتبعوا
من دونه من دون الله اولیاء ای ولا تتولوا من دونه من شیاطین الجن والانس لیحملوکم

حرج فی صدرک واللام فی لتنذر متعلق بانزل الیک ای انزل الیک ...

علی عبادة الاوثان والاهواء والبدع قلیلا ما تذکرون حیث تترکون دین الله وتتبعون
غیره وقلیلا نصب بتذکرون ای تذکرا قلیلا وما مزیدة لتوکید القلة یتذکرون شامی
وکم من قریة تبیین والخبر اهلکناها ای اردنا اهلاکها کقوله اذا قمتم الی الصلوة فجاءها
فجاء اهلها باسنا عذابنا بیاتا مصدر واقع موقع الحال بمعنی بایتین یقال بات بیاتا حسنا
او هم قائلون حال معطوفة علی بیاتا کانه قال فجاءهم باسنا بایتین او قایلین وانما قیل هم
قائلون بلا واو ولا یقال جاء نی زید هو فارس بغیر واو لانه لما عطفت علی حال قبلها حذفت
الواو استثقالا لاجتماع حرفی عطف لان واو الحال هی واو العطف استعیرت للوصل
وخص هذان الوقتان لانهما وقتا الغفلة فیکون نزول العذاب فیهما اشد وافظع وقوم
لوط اهلکوا باللیل وقت السحر وقوم شعیب علیه السلام وقت القیلولة وقیل بیاتا
لیلا وهم نائمون او نهارا وهم قائلون فما کان دعواهم دعاءهم وتضرعهم اذ جاءهم
باسنا ما جاءهم اوائل العذاب الا ان قالوا انا کنا ظالمین اعترفوا بالظلم علی انفسهم و
الشرک حین لم ینفعهم ذلک ودعواهم اسم کان وان قالوا الخبر ویجوز العکس فلنسئلن
الذین ارسل الیهم ارسل مسند الی الیهم ای فلنسئلن المرسل الیهم وهم الامم عما اجابوا به
رسلهم ولنسئلن المرسلین عما اجیبوا به فلنقصن علیهم ای علی الرسل والمرسل الیهم ما کان
منهم بعلم عالمین باحوالهم الظاهرة والباطنة واقوالهم وافعالهم وما کنا غائبین
عنهم وعما وجد منهم ومعنی السؤال التوبیخ والتقریع والتقریر اذا فاهوا به بالسنتهم وشهد
علیهم انبیاؤهم والوزن ای وزن الاعمال والتمیز بین راجحها وخفیفها وهو مبتداء و
خبره یومئذ ای یوم یسال الله الامم ورسلهم فحذف الجملة وعوض عنها التنوین الحق ای
العدل صفته ثم قیل توزن صحف الاعمال بمیزان له لسان وکفتان اظهارا للنصفة وقطعا
للمعذرة وقیل هو عبارة عن القضاء السوی والحکم العادل والله اعلم بکیفیته فمن ثقلت
موازینه جمع میزان او موزون ای فمن رجحت اعماله الموزونة التی لها وزن وقدر وهی
الحسنات او ما توزن به حسناتهم فاولئک هم المفلحون الفائزون ومن خفت موازینه
هم الکفار فانه لا ایمان لهم لیعتبر معه عمل فلا یکون فی میزانهم خیر فیخف موازینهم

علی عباس

فاولئك الذين انفسهم خسروا بما كانوا باياتنا يظلمون يجحدون فالايات الحجج والظلم بها
وضعها غير موضعها اي جحودها وترك الانقياد لها ولقد مكناكم في الارض وجعلنا لكم
فيها معايش مكاناً وقراراً او مكناكم فيها واقدرناكم على التصرف فيها وجعلنا لكم فيها
معايش جمع معيشة وهي ما يعاش به من المطاعم والمشارب وغيرها والوجه تصريح
الياء لانها اصلية بخلاف صحايف فالياء فيها زائدة وعن نافع انه همزه تشبيها بصحائف
قوله قليلا ما تشكرون مثل قليلا ما تذكرون ولقد خلقناكم ثم صورناكم اي خلقنا اباكم
آدم عليه السلام طينا غير مصور ثم صورناه بعد ذلك دليله ثم قلنا للملائكة اسجدوا
لآدم فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين ممن سجد لآدم عليه السلام قال ما منعك
الا تسجد ما رفع اي شيء منعك من السجود ولا زائدة بدليل ما منعك ان تسجد لما
خلقت بيدي ومثلها لئلا يعلم اهل الكتاب اي ليعلم اذ امرتك فيه دليل ان الامر للوجوب
والسؤال عن المانع من السجود مع علمه به للتوبيخ ولاظهار معاندته وكفره وكبره وافتخاره
باصله وتحقيره اصل آدم عليه السلام قال انا خير منه خلقتني من نار وهي جوهر نوراني
وخلقته من طين وهو ظلماني وقد اخطاء الخبيث بل الطين افضل منه لرزانته ووقاره
ومنه الحلم والحياء والصبر وذلك دعاه الى التوبة والاستغفار وفي النار الطيش و
الحدة والترفع وذلك دعاه الى الاستكبار والتراب عدة الممالك والنار عدة للمهالك
والنار مظنة الخيانة والافناء والتراب مئنة الامانة والانماء والطين يطفي النار
ويتلفها والنار لا تتلفه وهذه فضائل غفل عنها ابليس حتى زل بفاسد من المقاييس وقول
نا في القياس اول من قاس قاس ابليس قياس عن عناد على ان القياس عند مثبتيه
مردود عند وجود النصوص وقياس ابليس لتاكيد عناده للامر المنصوص وكان الجواب
لما منعك ان يقول منعني كذا وانما قال انا خير منه لانه لما استانف قصة اخبر فيها عن
نفسه بالفضل على آدم عليه السلام وبعلة فضله عليه فعلم منها الجواب كانه قال منعني
من السجود فضلي عليه وزيادتي عليه وهو انكار للامر واستبعاد ان يكون مثله مامورا
بالسجود لمثله اذ سجود الفاضل للمفضول خارج عن الصواب قال فاهبط منها من الجنة او من

السماء

السماء لانه كان فيها وهي مكان المطيعين المتواضعين والفاء في فاهبط جواب لقوله انا خير منه
اي ان كنت تتكبر فاهبط فما يكون لك فما يصح لك ان تتكبر فيها وتعصي فاخرج انك من الصاغرين
من اهل الصغار والهوان على الله وعلى اوليائه يذمك كل انسان ويلعنك كل لسان لتكبرك
وبه علم ان الصغار لازم للاستكبار قال انظرني الى يوم يبعثون امهلني الى يوم البعث
وهو النفخة الاخيرة قال انك من المنظرين الى النفخة الاولى وانما اجيب الى ذلك لما فيه
من الابتلاء وفيه تقريب لقلوب الاحباب اي هذا بري من يسبني فكيف بمن يحبني
وانما جسره على السؤال مع وجود الزلل منه في الحال علمه بحلم ذي الجلال قال فبما اغويتني
اضللتني اي فبسبب اغوايك اياي والباء يتعلق بفعل القسم المحذوف تقديره فبسبب
اغوايك اقسم او تكون الباء للقسم اي فاقسم باغوائك لاقعدن لهم صراطك المستقيم
لاعترضن لهم على طريق الاسلام مترصدا للرد متعرضا للصد كما يعترض العدو على الطريق
ليقطعه على السابلة وانتصابه على الظرف كقولك ضرب زيد الظهر اي على الظهر وعن
طاوس انه كان في المسجد الحرام فجاء رجل قدري فقال له طاوس تقوم او تقام فقام الرجل
فقيل له اتقول هذا الرجل فقيه فقال ابليس افقه منه قال رب بما اغويتني وهو يقول
انا اغوي نفسي ثم لآتينهم من بين ايديهم اشككهم في الآخرة ومن خلفهم ارغبهم في الدنيا
وعن ايمانهم من قبل الحسنات وعن شمائلهم من قبل السيآت وهي جمع شمال يعني ثم لآتينهم
من الجهات الاربع التي ياتي منها العدو في الاغلب وعن شقيق ما من صباح الا قعد لي
الشيطان على اربعة مراصد من بين يدي فيقول لا تخف فان الله غفور رحيم فاقرأ
واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ومن خلفي فيخوفني الضيعة على مخلفي فاقرأ وما
من دابة في الارض الا على الله رزقها وعن يميني فياتيني من قبل الثناء فاقرأ والعاقبة
للمتقين وعن شمالي فياتيني من قبل الشهوات فاقرأ وحيل بينهم وبين ما يشتهون ولم
يقل من فوقهم ومن تحتهم لمكان الرحمة والسجدة وقال في الاولين من لان منه لابتداء
الغاية وفي الاخرين عن لان عن يدل على الانحراف ولا تجد اكثرهم شاكرين مؤمنين قاله
ظنا فاصاب لقوله ولقد صدق عليهم ابليس ظنه او سمعه من الملائكة باخبار الله تعالى اياهم

قال اخرج منها من الجنة او من السماء مذؤما معيبا من ذامه اذا ذمه والذأم والذم العيب
مدحورا مطرودا مبعودا من رحمة الله واللام في لمن تبعك منهم موطئة للقسم وجوابه
لاملان جهنم وهو ساد مسد جواب الشرط منكم منك ومنهم فغلب ضمير المخاطب اجمعين
ويا ادم وقلنا يا آدم بعد اخراج ابليس من الجنة اسكن انت وزوجك الجنة اى اتخذاها
مسكنا فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا فتصيرا من الظالمين فوسوس
لهما الشيطان وسوس اذا تكلم كلاما خفيا يكرره وهو غير متعد رجل موسوس بكسر الواو
ولا يقال موسوس بالفتح ولكن موسوس له وموسوس اليه وهو الذى يلقى اليه الوسوسة
ومعنى وسوس له فعل الوسوسة لاجله ووسوس اليه القيها اليه ليبدى لهما ما
ورى عنهما من سوآتهما ليكشف لهما ما ستر عنهما من عوراتهما وفيه دليل على ان كشف
العورة من عظائم الامور وانه لم يزل مستقبحا فى الطباع والعقول فان قلت ما للواو المضمومة
فى ورى لم تقلب همزة كما فى اويصل تصغير واصل فاصله وويصل فقلبت الواو همزة
كراهة اجتماع الواوين قلت لان الثانية مدة كالف وارى فكما لم يجب همزها فى
ووعد لم يجب فى وورى وهذا لان الواوين اذا تحركتا ظهر فيهما من الثقل ما لا يكون
فيهما اذا كانت الثانية ساكنة وذا يدرك بالضرورة فالتزموا ابدالها فى موضع الثقل
لا فى غيره وقرأ عبد الله اورى بالقلب وقال ما نهيكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا
ملكين الا كراهة ان تكونا ملكين تعلمان الخير والشر وتستغنيان عن الغذاء وقرئ
ملكين لقوله وملك لا يبلى او تكونا من الخالدين من الذين لا يموتون ويبقون فى الجنة
ساكنين وقاسمهما واقسم لهما انى لكما لمن الناصحين واخرج قسم ابليس على زنة المفاعلة
لانه لما كان منه القسم ومنهما التصديق فكانهما من اثنين فدليهما فنزلهما الى الاكل من
الشجرة بغرور بما غرهما به من القسم بالله وانما يخدع المؤمن بالله وانما يخدع المؤمن عن
ابن عمر رضى الله عنه انه كان اذا رأى من عبيده طاعة وحسن صلوة اعتقه وكان عبيده
يفعلون ذلك طلبا للعتق فقيل له انهم يخدعونك فقال من خدعنا بالله انخدعنا له
فلما ذاقا الشجرة وجدا طعمها آخذين فى الاكل منها وهى السنبلة او الكرم بدت لهما سوآتهما

قرأ

ظهرت

ظهرت لهما عوراتهما لتهافت اللباس عنهما وكانا لا يريانها من انفسهما ولا احدهما من الاخر وقيل
كان لباسهما من جنس الاظفار اى كالظفر بياض فى غاية اللطف واللين فبقى عند الاظفار تذكيرا
للنعم وتجديدا للندم وطفقا وجعلا يقال طفق يفعل كذا اى جعل يخصفان عليهما من ورق الجنة
يجعلان على عوراتهما من ورق التين او الموز ورقة فوق ورقة ليستترا بهما كما تخصف
النعل وناديهما ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة هذا عتاب من الله وتحذير وتنبيه على
الخطاء وروى انه قال لآدم عليه السلام الم يكن لك فيما منحتك من شجرة الجنة مندوحة
عن هذه الشجرة فقال بلى ولكن ما ظننت ان احدا يحلف بك كاذبا قال فبعزتى لاهبطنك
الى الارض ثم لا تنال العيش الا بكد يمين وعرق جبين فاهبط وعلم صنعة الحديد وامر بالحرث
فحرث وسقى وحصد وداس وذرى وطحن وعجن وخبز واقل لكما ان الشيطان لكما عدو
مبين قالا ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين فيه دليل لنا على
المعتزلة لان الصغائر عندهم مغفورة قال اهبطوا الخطاب لآدم عليه السلام وحوا
بلفظ الجمع لان ابليس هبط من قبل ويحتمل انه هبط الى السماء الدنيا ثم هبطوا جميعا الى
الارض بعضكم لبعض عدو فى موضع الحال اى متعادين يعاديهما ابليس ويعاديانه ولكم
فى الارض مستقر استقرار او موضع استقرار ومتاع تمتع وانتفاع بعيش الى حين الى
انقضاء آجالكم وعن ثابت البنانى لما اهبط ادم عليه السلام وحضرته الوفاة فاحاطت
به الملائكة قبيلة فجعلت حواء تدور حولهم فقال لها خلى ملائكة ربى فانما اصابنى ما اصابنى
فيك فلما توفى غسلته الملائكة بماء وسدر وترا وحنطته وكفنته فى وتر من الثياب وحفروا
له قبرا ولحدوه ودفنوه بسرنديب بارض الهند وقالوا لبنيه هذه سنتكم بعده قال فيها
تحيون فى الارض وفيها تموتون ومنها تخرجون للثواب والعقاب تخرجون حمزة
وعلى يا بنى آدم قد انزلنا عليكم لباسا جعل ما فى الارض منزلا من السماء لان اصله من الماء وهو
منها يوارى سوآتكم يستر عوراتكم وريشا لباس الزينة استعير من ريش الطير لانه لباسه
وزينته اى انزلنا عليكم لباسين لباسا يوارى سوآتكم ولباسا يزينكم ولباس التقوى ولباس
الورع الذى يقى العقاب وهو مبتداء وخبره الجملة وهى ذلك خير كانه قيل ولباس التقوى

هو خير لان اسماء الاشارة تقرب من الضماير فيما يرجع الى عود الذكر او ذلك صفة للمبتداء
وخير خبر المبتداء كانه قيل ولباس التقوى المشار اليه خير او لباس التقوى خبر مبتداء محذوف
اى وهو لباس التقوى اى ستر العورة لباس المتقين ثم قال ذلك خير وقيل ولباس اهل
التقوى من الصوف والخشن ولباس التقوى مدنى وشامى وعلى عطفا على لباسا وريشا
اى وانزلنا عليكم لباس التقوى ذلك من ايات الله الدالة على فضله ورحمته على عباده
يعنى انزال اللباس لعلهم يذكرون فيعرفوا عظيم النعمة فيه وهذه الاية واردة على سبيل
الاستطراد عقيب ذكر بدو السوآت وخصف الورق عليهما اظهارا للمنة فيما خلق
من اللباس ولما فى العرى من الفضيحة واشعارا بان الستر من التقوى يا بنى ادم لا يفتننكم
الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة لا يخدعنكم ولا يضلنكم بان لا تدخلوا الجنة كما فتن
ابويكم بان اخراجهما منها ينزع عنهما لباسهما حال اى اخرجهما نازعا لباسهما بان كان سببا
فى ان ينزع عنهما والنهى فى الظاهر للشيطان وفى المعنى لبنى ادم اى لا تتبعوا الشيطان
فيفتنكم ليريهما سواتهما عوراتهما انه الضمير للشان والحديث يريكم هو تعليل للنهى وتحذير
من فتنته لانه بمنزلة العدو المداجى يكيدكم من حيث لا تشعرون وقبيله وذريته او جنوده
من الشياطين وهو عطف على الضمير فى يريكم المؤكد بهو ولم يعطف عليه لان معمول الفعل
هو المستكن دون هذا البارز وانما يعطف على ما هو معمول الفعل من حيث لا ترونهم قال
ذو النون ان كان هو يريك من حيث لا تريه فاستعن بمن يراه من حيث لا يراه وهو الله
الكريم الستار الرحيم الغفار انا جعلنا الشياطين اولياء الذين لا يؤمنون فيه دلالة لخلق
الافعال واذا فعلوا فاحشة ما يبالغ فى قبحه من الذنوب وهو طوافهم بالبيت عراة و
شركهم قالوا وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها اى اذا فعلوها اعتذروا بان اباءهم كانوا
يفعلونها فاقتدوا بهم وبان الله امرهم بان يفعلوها حيث اقرنا عليها اذ لو كرهها لنقلنا
عنها وهما باطلان لان احدهما تقليد للجهال والثانى افتراء على ذى الجلال قل ان الله لا يامر
بالفحشاء اذ المامور به لا بد ان يكون حسنا وان كان فيه علم مراتب على ما عرف فى اصول
الفقه اتقولون على الله ما لا تعلمون استفهام انكار وتوبيخ قل امر ربى بالقسط وبما هو حسن

بالعلم

عند كل عاقل فكيف يامر بالفحشاء واقيموا وجوهكم عند كل مسجد وقل اقيموا وجوهكم اى
اقصدوا عبادته مستقيمين اليها غير عادلين الى غيرها فى كل وقت سجود او فى كل مكان
سجود وادعوه واعبدوه مخلصين له الدين اى الطاعة مبتغين بها وجهه خالصا كما بداكم
تعودون كما انشاكم ابتداء يعيدكم احتج عليهم فى انكارهم الاعادة بابتداء الخلق والمعنى
انه يعيدكم فيجازيكم على اعمالكم فاخلصوا له العبادة فريقا هدى وهم المسلمون وفريقا
اى اضل فريقا حق عليهم الضلالة وهم الكافرون انهم ان الفريق الذين حق عليهم الضلالة
اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله اى انصارا ويحسبون انهم مهتدون والاية
حجة لنا على اهل الاعتزال فى الهداية والاضلال يا بنى آدم خذوا زينتكم لباس زينتكم عند
كل مسجد كلما صليتم وقيل الزينة المشط والطيب والسنة ان ياخذ الرجل احسن هيئته
للصلوة لان الصلوة مناجات الرب فيستحب له التزين والتعطر كما يجب التستر والتطهر
وكلوا من اللحم والدسم واشربوا ولا تسرفوا بالشروع فى الحرام او فى مجاوزة الشبع انه لا يحب
المسرفين وعن ابن عباس رضى الله عنهما كل ما شئت والبس ما شئت ما اخطاتك خصلتان
سرف ومخيلة وكان للرشيد طبيب نصرانى حاذق فقال لعلى بن الحسين بن واقد ليس فى
كتابكم من علم الطب شىء والعلم علمان علم الابدان وعلم الاديان فقال له على قد جمع الله الطب
كله فى نصف اية من كتابه وهو قوله وكلوا واشربوا ولا تسرفوا فقال النصرانى ولم يرو
من رسولكم شىء فى الطب فقال قد جمع رسولنا الطب فى الفاظ يسيرة وهى قوله عليه السلام
المعدة بيت الداء والحمية راس كل دواء واعط كل بدن ما عودته فقال النصرانى ما ترك كتابكم
ولا نبيكم لجالينوس طبا ثم استفهم انكارا على محرم الحلال بقوله قل من حرم زينة الله
من الثياب وكل ما يتجمل به التى اخرج لعباده اى اصلها يعنى القطن من الارض والقز من
الدود والطيبات من الرزق والمستلذات من الماكل والمشارب وقيل انها كانوا احرموا
حرموا الشاة وما يخرج منها من لحمها وشحمها ولبنها قل هى للذين امنوا فى الحيوة الدنيا
غير خالصة لهم لان المشركين شركاؤهم فيها خالصة يوم القيمة لا يشركهم فيها احد ولم يقل
للذين امنوا ولغيرهم لينبه على انها خلقت للذين امنوا على سبيل الاصالة والكفار تبع لهم

خالصة بالرفع نافع فهي مبتداء خبره للذين آمنوا وفي الحيوة الدنيا ظرف للخبر وخالصة خبر
ثان او خبر مبتداء محذوف اى هي خالصة وغيرها نصبها على الحال من الضمير الذى فى الظرف
الذى هو الخبر اى هى ثابتة للذين امنوا فى الحيوة الدنيا في حال خلوصها يوم القيمة كذلك
نفصل الايات نميز الحلال من الحرام لقوم يعلمون انه لا شريك له قل انما حرم ربى ربي حمزة
الفواحش ما تفاحش قبحه اى تزايد ما ظهر منها وما بطن سرها وعلانيتها والاثم اى شرب
الخمر او كل ذنب والبغي والظلم والكبر بغير الحق متعلق بالبغى ومحل وان تشركوا بالله ما
لم ينزل به سلطانا حجة النصب كانه قال حرم الفواحش وحرم الشرك ينزل بالتخفيف
مكى وبصرى وفيه تهكم اذ لا يجوز ان ينزل برهانا على ان يشرك به غيره وان تقولوا على
الله ما لا تعلمون وان تتقولوا عليه وتفتروا الكذب من التحريم وغيره ولكل امة اجل
وقت معين ياتيهم فيه عذاب الاستيصال ان لم يومنوا وهذا وعيد لاهل مكة بالعذاب
النازل فى اجل معلوم عند الله كما انزل بالامم فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا
يستقدمون قيد ساعة قيد ساعة لانها اقل ما يستعمل فى الامهال يا بنى ادم اما ياتينكم هى
ان الشرطية ضمت اليها ما موكدة لمعنى الشرط لان ما للشرط ولذا لزمت فعلها النون الثقيلة
او الخفيفة رسل منكم يقصون عليكم اياتى يقرؤن عليكم كتبى وهو فى موضع رفع صفة
لرسل وجواب الشرط فمن اتقى الشرك واصلح العمل منكم فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون
اصلا والذين كذبوا منكم باياتنا واستكبروا عنها فعظموا عن الايمان بها اولئك اصحاب
النار هم فيها خالدون فمن اظلم ممن اشنع ظلما ممن افترى على الله كذبا او كذب باياته
ممن تقول على الله ما لم يقله او كذب ما قاله اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب ما كتب لهم
من الارزاق والاعمار حتى اذا جاءتهم رسلنا ملك الموت واعوانه حتى غاية لنيلهم نصيبهم
واستيفاءهم له وهى حتى التى يبتدا بعدها الكلام والكلام هنا الجملة الشرطية وهى اذا جاءتهم
رسلنا يتوفونهم يقبضون الشرطية وهى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم ارواحهم وهو
حال من الرسل اى متوفيهم وما فى قالوا اينما كنتم تدعون ما موصولة باين فى خط المصحف
وحقها ان تكتب مفصولة لانها موصولة والمعنى اين الالهة الذين تعبدون من دون الله

ليعرفوا هنالكم العذاب قالوا ضلوا عنا غابوا عنا فلا نراهم وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين
اعترفوا بكفرهم بلفظ الشهادة التى هى لتحقيق الخبر قال ادخلوا اى يقول الله يوم القيمة
لهولاء الكفار ادخلوا فى امم موضع الحال اى كائنين فى جملة امم مصاحبين لهم قد خلت
مضت من قبلكم من الجن والانس من كفار الجن والانس فى النار متعلق بادخلوا
كلما دخلت امة النار لعنت اختها شكلها فى الدين اى التى ضلت بالاقتداء بها حتى
اذا اداركوا فيها اصلها تداركوا اى تلاحقوا واجتمعوا فى النار فابدلت التاء دالا
وسكنت للادغام ثم ادخلت همزة الوصل جميعا حال قالت اخريهم منزلة وهى الاتباع
والسفلة لاوليهم منزلة وهى القادة والرؤس ومعنى لاوليهم لاجل اوليهم لان خطابهم
مع الله لا معهم ربنا يا ربنا هؤلاء اضلونا فاتهم عذابا ضعفا مضاعفا من النار قال
لكل ضعف للقادة بالغواية والاغواء وللاتباع بالكفر والاقتداء ولكن لا تعلمون
ما لكل فريق منكم من العذاب لا يعلمون ابو بكر اى لا يعلم كل فريق مقدار عذاب
الفريق الاخر وقالت اوليهم لاخريهم فما كان لكم علينا من فضل عطفوا هذا الكلام
على قول الله تعالى للسفلة لكل ضعف اى فقد ثبت ان لا فضل لكم علينا وانا متساوون
فى استحقاق الضعيف فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون بكسبكم وكفركم وهو من قول
القادة للسفلة ولا وقف على فضل او من قول الله لهم جميعا والوقف على فضل ان
الذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم ابواب السماء اى لا يوذن لهم فى
صعود السماء ليدخلوا الجنة اذ هى فى السماء او لا يصعد ارواحهم اذا ماتوا كما يصعد
ارواح المومنين الى السماء او لا يصعد لهم عمل صالح او لا ينزل عليهم البركة وبالتاء
مع التخفيف ابو عمرو وبالياء معه حمزة وعلى ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم
الخياط حتى يدخل البعير فى ثقب الابرة اى لا يدخلون الجنة ابدا لانه علقه بما لا يكون
والخياط والمخيط ما يخاط به وهو الابرة وكذلك ومثل ذلك الجزاء الفظيع الذى وصفنا
نجزى المجرمين اى الكافرين بدلالة التكذيب بايات الله والاستكبار عنها لهم من جهنم مهاد
فراش ومن فوقهم غواش اغطية جمع غاشية وكذلك نجزى الظالمين انفسهم بالكفر والذين

امنوا وعملوا الصلحات لا نكلف نفسا الا وسعها طاقتها والتكليف الزام ما فيه كلفة اى
مشقة اولئك مبتداء والخبر اصحاب الجنة والجملة خبر الذين ولا نكلف نفسا الا وسعها
اعتراض بين المبتداء والخبر هم فيها خالدون ونزعنا ما فى صدورهم من غل من حقد
كان بينهم فى الدنيا فلم يبق بينهم الا التواد والتعاطف وعن على رضى الله عنه انى لارجوا ان
اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم تجرى من تحتهم الانهار حال من هم فى صدورهم و
العامل فيها معنى الاضافة وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا لما هو وسيلة الى هذا الفوز
العظيم وهو الايمان وما كنا ما كنا بغير واو شامى على انها جملة موضحة للاولى لنهتدى
لولا ان هدينا الله اللام لتوكيد النفى اى وما كان يصح ان نكون مهتدين لولا هداية
الله وجواب لولا محذوف دل عليه ما قبله لقد جاءت رسل ربنا بالحق فكان لنا لطفا
وتنبيها على الاهتداء فاهتدينا يقولون ذلك سرورا بما نالوا واظهارا بما اعتقدوه
ونودوا ان تلكم الجنة ان مخففة من المثقلة واسمها محذوف والجملة بعدها خبرها
تقديره ونودوا بانه تلكم الجنة والهاء ضمير الشان او بمعنى اى وكانه قيل وقيل لهم
تلكم الجنة اورثتموها اعطيتموها وهو حال من الجنة والعامل ما فى تلك من معنى الاشارة
بما كنتم تعملون سماها ميراثا لانها لا تستحق بالعمل بل هى محض فضل الله ووعده على
الطاعات كالميراث من الميت ليس بعوض عن شئ بل هو صلة خالصة وقال الشيخ ابو
منصور رحمه الله ان المعتزلة خالفوا الله فيما اخبروه ونوحا عليه السلام واهل الجنة
والنار وابليس لانه قال الله تعالى يضل من يشاء ويهدى من يشاء وقال نوح عليه السلام
لا ينفعكم نصحى ان اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم وقال اهل الجنة وما كنا
لنهتدى لولا ان هدينا الله وقال اهل النار لو هدينا الله لهديناكم وقال ابليس فيما اغويتنى
ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ان مخففة من الثقيلة او مفسرة وكذلك
ان لعنة الله على الظالمين ما وعدنا ربنا من الثواب حقا حال فهل وجدتم ما وعد ربكم
من العقاب حقا وتقديره وعدكم ربكم فحذف كم لدلالة ما وعدنا ربنا عليه وانما قال لهم
ذلك شماتة باصحاب النار واعترافا بنعمة الله تعالى قالوا نعم وبكسر العين حيث كان

على فاذن مؤذن بينهم نادى مناد وهو ملك يسمع اهل الجنة والنار ان لعنة الله على الظالمين
ان لعنة الله مكى وشامى وحمزة وعلى الذين يصدون يمنعون عن سبيل الله دينه ويبغونها
عوجا مفعول ثان ليبغون اى ويطلبون لها الاعوجاج والتناقض وهم بالاخرة بالدار
الاخرة كافرون وبينهما وبين الجنة والنار او بين الفريقين حجاب وهو السور المذكور
فى قوله فضرب بينهم بسور وعلى الاعراف وعلى اعراف الحجاب وهو السور المضروب بين
الجنة والنار وهى اعاليه جمع عرف استعير من عرف الفرس وعرف الديك رجال من
افاضل المسلمين او من آخرهم دخولا فى الجنة لاستواء حسناتهم وسيئاتهم او من لم يرض عنه
احد ابويه او اطفال المشركين يعرفون كلا من زمرة السعداء والاشقياء بسيماهم بعلامتهم
قيل سيماء المؤمنين بياض الوجوه ونضارتها وسيماء الكافرين سواد الوجوه وزرقة
العيون ونادوا اى اصحاب الاعراف اصحاب الجنة ان سلام عليكم انه سلام او اى سلام
وهو تهنية منهم لاهل الجنة لم يدخلوها اى اصحاب الاعراف ولا محل له لانه استيناف
كان سايلا سال عن اصحاب الاعراف فقيل لم يدخلوها وهم يطمعون فى دخولها او له محل
وهو صفة رجال واذا صرفت ابصارهم ابصار اصحاب الاعراف وفيه ان صارفا يصرف
ابصارهم لينظروا فيستعيذوا تلقاء ظرف اى ناحية اصحاب النار رأوا ما هم فيه من
العذاب قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين فاستعاذوا بالله وفزعوا الى رحمته
ان لا يجعلهم معهم ونادى اصحاب الاعراف رجالا من رؤس الكفرة يعرفونهم بسيماهم
قالوا ما اغنى عنكم جمعكم المال او كثرتكم واجتماعكم وما نافية وما كنتم تستكبرون و
استكباركم عن الحق وعلى الناس ثم يقولون لهم اهؤلاء مبتداء الذين خبر مبتداء
مضمر تقديره اهؤلاء هم الذين اقسمتم حلفتم فى الدنيا والمشار اليهم فقراء المؤمنين
كصهيب وسلمان ونحوهما لا ينالهم الله برحمة جواب اقسمتم لا حلفتم فى الدنيا والمشار
اليهم فقراء المؤمنين كصهيب وسلمان وهو داخل فى صلة الذين تقديره اقسمتم عليهم
بان لا ينالهم الله برحمة اى لا يدخلهم الجنة يحتقرونهم لفقرهم فيقال لاصحاب الاعراف
ادخلوا الجنة وذلك بعد ان نظروا الى الفريقين وعرفوهم بسيماهم وقالوا ما قالوا

لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من
الماء ان مفسرة وفيه دليل على ان الجنة فوق النار او مما رزقكم الله من غيره من الاشربة
لدخوله فى حكم الافاضة او اريد والقوا علينا مما رزقكم الله من الطعام والفاكهة كقوله
علفتها تبنا وماء باردا اى وسقيتها وانما سالوا ذلك مع ياسهم عن الاجابة لان المتحير
ينطق بما يفيد وبما لا يفيد قالوا ان الله حرمهما على الكافرين هو تحريم منع كما فى وحرمنا
عليه المراضع وتقف هنا ان رفعت او نصبت ما بعده ذما وان جررته وصفا للكافرين فلا
الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا فحرموا واحلوا ما شاءوا او دينهم عيدهم وغرتهم الحيوة
الدنيا اغتروا بطول البقاء فاليوم ننسيهم نتركهم فى العذاب كما نسوا لقاء يومهم هذا وما
كانوا باياتنا يجحدون اى كنسيانهم وجحودهم ولقد جئناهم بكتاب فصلناه ميزناه حرامه
وحلاله ومواعظه وقصصه على علم عالمين بكيفية تفصيل علم احكامه هدى ورحمة حال
من منصوب فصلناه كما ان على علم حال منه لقوم يومنون هل ينظرون ينتظرون
الا تاويله الا عاقبة امره وما يؤول اليه من تبيين صدقه وظهور صحة ما نطق من الوعد
والوعيد يوم ياتى تاويله يقول الذين نسوه من قبل تركوه واعرضوا عنه قد جاءت رسل
ربنا بالحق اى تبين وصح انهم جاؤا بالحق فاقروا حين لا ينفعهم فهل لنا من شفعاء
فيشفعوا لنا جواب الاستفهام او نرد جملة معطوفة على جملة قبلها داخلة معها فى حكم
الاستفهام كانه قيل فهل لنا من شفعاء او هل نرد ورافعه وقوعه موقعا يصلح للاسم كقولك
ابتداء هل يضرب زيدا او عطف على تقدير هل يشفع لنا شافع او هل نرد فنعمل جواب
الاستفهام ايضا غير الذى كنا نعمل قد خسروا انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ما كانوا
يعبدون من الاصنام ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام اراد السموات
والارض وما بينهما وقد فصلها فى حم السجدة اى من الاحد الى الجمعة لاعتبار الملائكة
شيئا فشيئا وللاعلام بالتانى فى الامور ولان لكل عمل يوما ولان انشاء شىء بعد شىء
ادل على عالم مدبر مريد يصرفه على اختياره ويجريه على مشيته ثم استوى استولى على العرش
اضاف الاستيلاء الى العرش وان كان سبحانه مستوليا على جميع المخلوقات لان العرش

اعظمها

اعظمها واعلاها وتفسير العرش بالسرير والاستواء بالاستقرار كما يقوله المشبهة باطل
لانه تعالى كان قبل العرش ولا مكان وهو الان كما كان جل عن التغير بصفات الاكوان و
المنقول عن الصادق والحسن وابى حنيفة ومالك رضى الله عنهم ان الاستواء معلوم
والتكييف فيه مجهول والايمان به واجب والجحود به كفر والسوال عنه بدعة يغشى الليل النهار
يغشى حمزة وعلى وابو بكر اى يلحق الليل بالنهار والنهار بالليل يطلبه حثيثا حال من الليل
اى سريعا والطالب هو الليل كانه لسرعة مضيه يطلب النهار والشمس والقمر والنجوم اى
وخلق الشمس والقمر والنجوم مسخرات حال اى مذللات والشمس والقمر والنجوم مسخرات
شامى فالشمس مبتداء والبقية معطوفة عليها والخبر مسخرات بامره وهو امر تكوين
ولما ذكر انه خلقهن مسخرات بامره قال الا له الخلق والامر اى هو الذى خلق الاشياء
وله الامر تبارك الله كثر خيره او دام بره من البركة والنماء او من البروك والثبات
ومنه البركة رب العالمين ادعوا ربكم تضرعا وخفية نصب على الحال اى ذوى تضرع
وخفية والتضرع تفعل من الضراعة وهى الذل اى تذللا وتملقا قال عليه الصلوة والسلام
انكم لا تدعون اصم ولا غائبا انما تدعون سميعا قريبا انه معكم اينما كنتم عن الحسن بين
دعوة السر والعلانية سبعون ضعفا انه لا يحب المعتدين المجاوزين ما امروا به فى
كل شىء من الدعاء وغيره وعن ابن جريج الرافعين اصواتهم بالدعاء وعنه الصياح فى
الدعاء مكروه وبدعة وقيل هو الاسهاب فى الدعاء وعن النبى صلى الله عليه وسلم سيكون
قوم يعتدون فى الدعاء وحسب المرء ان يقول اللهم انى اسالك الجنة وما قرب اليها
من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل ثم قرا انه لا يحب المعتدين
ولا تفسدوا فى الارض بعد اصلاحها بالمعصية بعد الطاعة او بالشرك بعد التوحيد او
بالظلم بعد العدل وادعوه خوفا وطمعا حالان اى خائفين من الرد طامعين فى الاجابة
او من النيران وفى الجنان او من الفراق وفى التلاق او من خائفين غيب العاقبة وفى
ظاهر الهداية او من العدل وفى الفضل طامعين ان رحمت الله قريب من المحسنين ذكر
قريب على تاويل الرحمة بالرحم او الترحم او لانه صفة موصوف محذوف اى شىء قريب او

على تشبيهه بفعيل الذي بمعنى مفعول كما شبه ذاك به فقيل قتلاء واسراء او على انه بمنزلة
المصدر الذي هو النقيض والضهيب او لان تانيث الرحمة غير حقيقي او للاضافة الى المذكر
وهو الذي يرسل الرياح الريح مكي وحمزة وعلي بشرا حمزة وعلي مصدر نشرا واما على
الحال اي منتشرات بشرا عاصم تخفيف بشر جمع بشير لان الرياح تبشر بالمطر نشرا شامي
تخفيف نشر جمع نشور لان الرياح تنشر كرسل ورسل وهو قراءة الباقين جمع نشور اي
ناشرات للمطر بين يدي رحمته امام نعمته وهو الغيث الذي هو من اجل النعم حتى
اذا اقلت حملت ورفعت واشتقاق الاقلال من القلة لان الرافع المطيق يرى ما يرفعه
قليلا سحابا ثقالا بالماء جمع سحابة سقناه الضمير للسحاب على اللفظ ولو حمل على المعنى
كالثقال لانث كما لو حمل الوصف على اللفظ لقيل ثقيلا لبلد ميت لاجل بلد ليس فيه مطر و
لسقيه ميت مدني وحمزة وحفص وعلي فانزلنا به الماء بالسحاب او بالسوق وكذلك
فاخرجنا به من كل الثمرات كذلك مثل ذلك الاخراج وهو اخراج الثمرات نخرج الموتى
لعلكم تذكرون فيؤديكم التذكر الى الايمان بالبعث اذ لا فرق بين الاخراجين لان كل
واحد منهما اعادة الشيء بعد انشائه والبلد الطيب الارض الطيبة التربة يخرج نباته
باذن ربه بتيسيره وهو في موضع الحال كانه قيل يخرج نباته حسنا وافيا لانه واقع في
مقابلة نكدا والذي خبث صفة البلد اي والبلد الخبيث لا يخرج اي نباته فحذف
للاكتفاء الا نكدا هو الذي لا خير فيه وهذا مثل لمن ينجع فيه الوعظ وهو المؤمن ولمن
لا يؤثر فيه شيء من ذلك وهو الكافر وهذا التمثيل واقع على اثر ذكر المطر وانزاله بالبلد
الميت واخراج الثمرات به على طريق الاستطراد كذلك مثل ذلك التصريف نصرف الايات
نرددها ونكررها لقوم يشكرون نعمة الله وهم المؤمنون ليتفكروا فيها ويعتبروا
بها لقد ارسلنا جواب قسم محذوف اي والله لقد ارسلنا نوحا الى قومه ارسل وهو ابن
خمسين سنة وكان نجارا وهو نوح بن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو اسم ادريس
فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره غيره بالخفض علي فالرفع على المحل كانه قيل ما لكم
اله غيره فلا تعبدوا معه غيره والجر على اللفظ اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم اي يوم القيمة

المومنون

او يوم نزول العذاب عليهم وهو الطوفان قال الملأ اي الاشراف والسادة من قومه
انا لنريك في ضلال مبين في ذهاب عن طريق الصواب والروية رؤية القلب قال يا قوم
ليس بي ضلالة ولم يقل ضلال كما قالوا لان الضلالة اخص من الضلال فكانت ابلغ في
في نفي الضلال عن نفسه كانه قيل ليس بي شيء من الضلال ثم استدرك لتاكيد نفي الضلالة
فقال ولكني رسول من رب العالمين لان كونه رسولا من الله مبلغا لرسالته في معنى كونه
على الصراط المستقيم فكان في غاية القصوى من الهدى ابلغكم رسالات ربي ما اوحي الي
في الاوقات المتطاولة او في المعاني المختلفة من الاوامر والنواهي والمواعظ والبشائر
والنذائر ابلغكم ابو عمرو وهو كلام مستانف بيان لكونه رسولا من رب العالمين
وانصح لكم واقصد صلاحكم باخلاص يقال نصحته ونصحت له وفي زيادة اللام مبالغة
ودلالة على امحاض النصيحة وحقيقة النصح ارادة الخير لغيرك مما تريده لنفسك او النهاية
في صدق العناية واعلم من الله ما لا تعلمون اي من صفاته يعني قدرته الباهرة وشدة بطشه
على اعدائه وان باسه لا يرد عن القوم المجرمين اوعجبتم الهمزة للانكار والواو للعطف و
المعطوف عليه محذوف كانه قيل اكذبتم وعجبتم ان جاءكم من ان جاءكم ذكر موعظة من ربكم
على رجل منكم على لسان رجل منكم وذلك انهم كانوا يتعجبون من نبوة نوح عليه السلام ويقولون
ما سمعنا بهذا في ابائنا الاولين يعنون ارسال البشر ولو شاء ربنا لانزل ملائكة لينذركم
ليحذركم عاقبة الكفر ولتتقوا ولتوجد منكم التقوى وهي الخشية بسبب الانذار ولعلكم
ترحمون ولترحموا بالتقوى وان وجدت منكم فكذبوه فنسبوه الى الكذب فانجيناه والذين
معه وكانوا اربعين رجلا واربعين امراة وقيل تسعة ثلثة بنوه سام وحام ويافث
وستة ممن امن به في الفلك يتعلق بمعه كانه قيل والذين صحبوه في الفلك واغرقنا الذين
كذبوا باياتنا انهم كانوا قوما عمين عن الحق يقال اعمى في البصر وعمي في البصيرة والى عاد و
ارسلنا الى عاد فهو عطف على نوح اخاهم واحدا منهم من قولك يا اخا العرب للواحد
منهم وانما جعل واحدا منهم لانهم عن رجل منهم افهم وكانت الحجة عليهم الزم هودا عطف
بيان لاخاهم وهو هود بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح عليه السلام قال يا قوم اعبدوا

الله مالكم من اله غيره افلا تتقون وانما لم يقل فقال كما فى قصة نوح عليه السلام لانه على
تقدير سؤال سائل قال فماذا قال لهم هود فقيل قال يا قوم اعبدوا الله وكذلك قال
الملاء الذين كفروا من قومه وانما وصف الملاء بالذين كفروا دون الملاء من قوم نوح
عليه السلام لان فى اشراف قوم هود من آمن به منهم مرثد بن سعد فاريدت التفرقة
بالوصف ولم يكن فى اشراف قوم نوح مؤمن انا لنريك فى سفاهة فى خفة حلم وسخافة
عقل حيث تهجر دين قومك الى دين آخر وجعلت السفاهة ظرفا مجازا يعنى انه متمكن
فيها غير منفك عنها وانا لنظنك من الكاذبين فى ادعايك الرسالة قال يا قوم ليس
بى سفاهة ولكنى رسول من رب العالمين ابلغكم رسالات ربى وانا لكم ناصح فيما ادعوكم
اليه امين على ما اقول لكم وانما قال هنا وانا لكم ناصح لقولهم وانا لنظنك من الكاذبين
اى ليقابل الاسم الاسم وفى اجابة الانبياء عليهم السلام من نسبهم الى الضلال والسفاهة
بما اجابوهم به من الكلام الصادر عن الحلم والاغضاء وترك المقابلة بما قالوا لهم مع علمهم
بان خصومهم اضل الناس واسفههم ادب حسن وخلق عظيم واخبار الله تعالى ذلك
تعليم لعباده كيف يخاطبون السفهاء وكيف يغضون عنهم ويسبلون اذيالهم على ما يكون
منهم اوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا اذ جعلكم خلفاء
من بعد قوم نوح اى خلفتموهم فى الارض او فى مساكنهم واذ مفعول به وليس بظرف
اى اذكروا وقت استخلافكم وزادكم فى الخلق بسطة طولا وامتدادا فكان اقصرهم ستين
ذراعا واطولهم مائة ذراع بصطة حجازى وعاصم وعلى فاذكروا الاء الله فى استخلافكم
وبسطة اجرامكم وما سواهما من عطاياه وواحد الالاء الى نحو انى واناء لعلكم تفلحون
ومعنى المجيئ فى قالوا اجئتنا ان يكون لهود عليه السلام مكان معتزل عن قومه يتحنث
فيه كما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بحراء قبل البعث فلما اوحى اليه جاء قومه
يدعوهم لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد اباؤنا انكروا واستبعدوا اختصاص الله
وحده بالعبادة وترك دين الاباء فى اتخاذ الاصنام شركاء معه حبا لما نشأوا عليه
فاتنا بما تعدنا من العذاب ان كنت من الصادقين ان العذاب نازل بنا قال قد وقع عليكم من

من ربكم اى قد نزل عليكم جعل المتوقع الذى لا بد من نزوله بمنزلة الواقع كقولك لمن طلب اليك
بعض المطالب قد كان رجس عذاب وغضب سخط اتجادلوننى فى اسماء سميتموها فى اشياء ما هى
الا اسماء ليس تحتها مسميات لانكم تسمون الاصنام آلهة وهى خالية عن معنى الالوهية انتم
واباؤكم ما نزل الله بها من سلطان حجة فانتظروا نزول العذاب انى معكم من المنتظرين ذلك
فانجيناه والذين معه اى من آمن به برحمة منا وقطعنا دابر القوم الذين كذبوا باياتنا الدابر
الاصل والكائن خلف الشئ وقطع دابرهم استيصالهم وتدميرهم عن اخرهم وما كانوا
مومنين فائدة نفى الايمان عنهم مع اثبات التكذيب بايات الله الاشعار بان الهلاك
خص المكذبين وقصتهم ان عادا قد تبسطوا فى البلاد ما بين عمان وحضرموت وكانت لهم
اصنام يعبدونها صداء وصمود والهباء فبعث الله اليهم هودا فكذبوه فامسك القطر
عنهم ثلث سنين وكانوا اذا نزل بهم بلاء طلبوا الى الله الفرج منه عند بيته الحرام فاوفدوا
اليه قيل بن عتر ونعيم بن هزال ومرثد بن سعد وكان يكتم ايمانه بهود عليه السلام واهل
مكة اذ ذاك العماليق اولاد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح وسيدهم معاوية بن بكر فنزلوا
عليه بظاهر مكة فقال لهم مرثد لن تسقوا حتى تؤمنوا بهود فخلفوا مرثدا وخرجوا فقال
قيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم فانشاء الله سحابات ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء
ثم ناداه مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك وقومك فاختار السوداء على ظن انها
اكثر ماء فخرجت على عاد من واد لهم فاستبشروا وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها
ريح عقيم فاهلكتهم ونجا هود والمؤمنون معه فاتوا مكة فعبدوا الله فيها حتى ماتوا
والى ثمود وارسلنا الى ثمود وقرئ والى ثمود بتاويل القبيلة وقيل سميت ثمود لقلة مائها
من الثمد وهو الماء القليل وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام اخاهم صالحا قال
يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم اية ظاهرة شاهدة على
صحة نبوتى فكانه قيل ما هذه البينة فقال هذه ناقة الله وهذه اضافة تخصيص وتعظيم
لانها بتكوينه تعالى بلا صلب ولا رحم لكم اية حال من الناقة والعامل معنى الاشارة واسوها
فذروها تاكل فى ارض الله اى الارض ارض الله والناقة ناقة الله فذروها تاكل فى ارض ربها من نبات

ربها فليس عليكم مؤنتها ولا تمسوها بسوء ولا تضربوها ولا تعقروها ولا تطردوها اكراما
لاية الله تم فياخذكم جواب النهى عذاب اليم واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد و
بوأكم ونزلكم والمباءة المنزلة فى الارض فى ارض الحجر بين الحجاز والشام تتخذون من
سهولها قصورا غرفا للصيف وتنحتون الجبال بيوتا للشتاء وبيوتا حال مقدرة نحو خط
هذا الثوب قميصا اذ الجبال لا يكون بيوتا فى حال النحت ولا الثوب قميصا فى حال الخياطة
فاذكروا الاء الله ولا تعثوا فى الارض مفسدين روى ان عادا لما اهلكت عمرت ثمود
بلادها وخلفوهم فى الارض وعمروا اعمارا طوالا فنحتوا البيوت من الجبال خشية الانهدام
قبل الممات وكانوا فى سعة من العيش فعتوا على الله وافسدوا فى الارض وعبدوا الاوثان
فبعث الله ثمود اليهم صالحا وكانوا قوما عربا وصالح من اوسطهم نسبا فدعاهم الى الله
فلم يتبعه الا قليل منهم مستضعفون فانذرهم فسالوه ان يخرج من صخرة بعينها ناقة
عشراء فصلى ودعا ربه فتمخضت تمخض النتوج بولدها فخرجت منها ناقة كما شاؤا
فامن به جندع ورهط من قومه قال الملاء الذين استكبروا من قومه وقال شامى للذين
استضعفوا الذين استضعفهم رؤساء الكفار لمن امن منهم بدل من الذين استضعفوا
باعادة الجار وفيه دليل على ان البدل حيث جاء كان فى تقدير اعادة العامل والضمير فى
منهم راجع الى قومه وهو يدل على ان استضعافهم كان مقصورا على المومنين او الى الذين
استضعفوا وهو يدل على ان المستضعفين كانوا مومنين وكافرين اتعلمون ان صالحا مرسل
من ربه قالوا على سبيل السخرية قالوا انا بما ارسل به مومنون وانما صار هذا جوابا عنهم لانهم
سألوهم عن العلم بارساله فجعلوا ارساله امرا معلوما مسلما كانهم قالوا العلم بارساله
وبما ارسل به لا شبهة فيه وانما الكلام فى وجوب الايمان به فنخبركم انا به مومنون ولذلك
قال الذين استكبروا انا بالذى امنتم به كافرون فوضعوا امنتم به موضع ارسل به ردا
لما جعله المومنون معلوما مسلما فعقروا الناقة اسند العقر الى جميعهم وان كان العاقر
قدار بن سالف لانه كان برضاهم وكان قدار احمر ازرق قصيرا كما كان فرعون كذلك وقال
عليه الصلوة والسلام يا على اشقى الاولين عاقر ناقة صالح واشقى الاخرين قاتلك وعتوا

عن امر ربهم وتولوا عنه واستكبروا وامر ربهم ما امر به على لسان صالح عليه السلام
من قوله فذروها تاكل فى ارض الله او شان ربهم وهو دينه وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا
من العذاب ان كنت من المرسلين فاخذتهم الرجفة الصيحة التى زلزلت لها الارض واضطربوا
لها فاصبحوا فى دارهم فى بلادهم او مساكنهم جاثمين ميتين قعودا يقال الناس جثم اى
قعود لا حراك بهم ولا يتكلمون فتولى عنهم لما عقروا الناقة وقال يا قوم عند فراقه اياهم
لقد ابلغتكم رسالة ربى ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين الامرين بالهدى لاستحلاء
الهوى والنصيحة منيحة تدرأ الفضيحة ولكنها وخيمة تورث السخيمة روى ان عقرهم
الناقة كان يوم الاربعاء فقال صالح تعيشون بعده ثلثة ايام تصفر وجوهكم اول يوم
وتحمر فى الثانى وتسود فى الثالث ويصيبكم العذاب فى الرابع وكان كذلك وروى انه خرج
فى مائة وعشرة من المسلمين وهو يبكى فلما علم انهم هلكوا رجع بمن معه فسكنوا ديارهم
ولوطا اذ قال لقومه اى واذكر لوطا اذ بدل منه اتاتون الفاحشة اتفعلون السيئة المتمادية
فى القبح ما سبقكم بها ما عملها قبلكم والباء للتعدية ومنه قوله عليه الصلوة والسلام سبقك
بها عكاشة من احد من زائدة لتاكيد النفى وافادة معنى الاستغراق من العالمين من
للتبعيض وهذه جملة مستانفة انكر عليهم اولا بقوله اتاتون الفاحشة ثم وبخهم عليها
فقال انتم اول من عملها او قوله ائنكم لتاتون الرجال بيان لقوله اتاتون الفاحشة والهمزة مثلها
فى اتاتون للانكار انكم على الاخبار مدنى وحفص يقال اتى المراءة اذا غشيها شهوة مفعول
له اى للاشتهاء لا حامل لكم عليه الا مجرد الشهوة ولا ذم اعظم منه لانه وصفهم بالبهيمة
من دون النساء اى لا من النساء بل انتم قوم مسرفون اضرب عن الانكار الى الاخبار عنهم بالحال
التى توجب ارتكاب القبائح وهو انهم قوم عادتهم الاسراف وتجاوز الحدود فى كل شىء فمن
ثم اسرفوا فى باب قضاء الشهوة حتى تجاوزوا المعتاد الى غير المعتاد وما كان جواب قومه
الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم اى لوطا ومن امن به يعنى ما اجابوا بما يكون جوابا عما كلمهم
به لوط من انكار الفاحشة ووصفهم بصفة الاسراف التى هى اصل الشر ولكنهم جاؤا بشىء
آخر لا يتعلق بكلامه ونصيحته من الامر باخراجه ومن معه من المومنين من قريتهم انهم اناس

يتطهرون يدعون الطهارة ويدعون فعلنا الخبيث دعابوهم بما يتمدح به فانجيناه واهله من
يختص به من ذويه او من المؤمنين الا امراته كانت من الغابرين من الباقين في العذاب والتذكير
لتغليب الذكور على الاناث وكانت كافرة موالية لاهل سدوم فروي انها التفتت فاصابها
حجر فماتت وامطرنا عليهم مطرا وارسلنا اليهم نوعا من المطر عجيبا قالوا امطر الله عليهم الكبريت
والنار وقيل خسف بالمقيمين منهم وامطرت الحجارة على مسافريهم قال ابو عبيدة امطر
في العذاب ومطر في الرحمة فانظر كيف كان عاقبة المجرمين الكافرين والى مدين وارسلنا
الى مدين وهو اسم قبيلة اخاهم شعيبا يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه
وكانوا اهل بخس للمكاييل والموازين قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم
بينة من ربكم اي معجزة وان لم تذكر في القران فاوفوا الكيل والميزان اتموهما والمراد فاوفوا
الكيل ووزن الميزان او يكون الميزان كالميعاد بمعنى المصدر ولا تبخسوا الناس اشياءهم
ولا تنقصوا حقوقهم بتطفيف الكيل ونقصان الوزن وكانوا يبخسون الناس كل شيء
في مبايعتهم وبخس يتعدى الى مفعولين وهما الناس واشياءهم تقول بخست زيدا حقه
اي نقصته اياه ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها بعد الاصلاح فيها اي لا تفسدوا
فيها بعد ما اصلح فيها الصالحون من الانبياء والاولياء واضافته كاضافة بل مكر الليل
والنهار اي بل مكرهم في الليل والنهار ذلكم اشارة الى ما ذكر من الوفاء بالكيل والميزان
وترك البخس والافساد في الارض خير لكم في الانسانية وحسن الاحدوثة ان كنتم مؤمنين
مصدقين لي في قولي ولا تقعدوا بكل صراط بكل طريق توعدون من امن بشعيب بالعذاب
وتصدون عن سبيل الله عن العبادة من امن به بالله وقيل كانوا يقطعون الطرق و
قيل كانوا عشارين وتبغونها وتطلبون لسبيل الله عوجا اي تصفونها للناس بانها
سبيل معوجة غير مستقيمة لتمنعوهم عن سلوكها ومحل توعدون وما عطف عليه النصب
على الحال اي لا تقعدوا موعدين وصادين عن سبيل الله وباغيها عوجا واذكروا اذ كنتم
قليلا اذ مفعول به غير ظرف اي واذكروا على جهة الشكر وقت كونكم قليلا عددكم
فكثركم الله ووفر عددكم وقيل ان مدين ابن ابراهيم تزوج بنت لوط فولدت فرمى الله

في نسلها بالبركة والنماء فكثروا وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين اخر امؤتفكة قبلكم
من الامم كقوم نوح وهود وصالح ولوط عليهم السلام وان كان طائفة منكم امنوا بالذي
ارسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا فانتظروا حتى يحكم الله بيننا اي بين الفريقين بان
ينصر المحقين على المبطلين ويظهرهم عليهم وهذا وعيد للكافرين بانتقام الله تعالى منهم او هو
حث للمؤمنين على الصبر واحتمال ما كان يلحقهم من المشركين الى ان يحكم الله بينهم وينتقم لهم
منهم او هو خطاب للفريقين اي ليصبر المؤمنون على اذى الكفار والكافرون على ما يسوءهم
من ايمان من امن منهم حتى يحكم الله فيهم فيميز الخبيث من الطيب وهو خير الحاكمين لان حكمه
حق وعدل لا يخاف فيه الجور قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب
والذين امنوا معك من قريتنا او لتعودن في ملتنا اي ليكونن احد الامرين اما اخراجكم
واما عودكم في الكفر قال شعيب اولو كنا كارهين الهمزة للاستفهام والواو للحال تقديره
اتعيدوننا في ملتكم في حال كراهتنا ومع كوننا كارهين قالوا نعم ثم قال شعيب قد
افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم وهو قسم على تقدير حذف اللام اي والله لقد
افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها خلصنا فان قلت كيف قال
شعيب ان عدنا في ملتكم والكفر على الانبياء محال قلت اراد عود قومه الا انه نظم نفسه
في جملتهم وان كان بريئا من ذلك اجراء لكلامه على حكم التغليب وما يكون لنا وما ينبغي
لنا وما يصح ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا الا ان يكون سبق في مشيته انا نعود فيها
اذ الكائنات كلها بمشيئة الله خيرها وشرها وسع ربنا كل شيء علما اي هو عالم بكل شيء
فهو يعلم احوال عباده كيف تتحول وقلوبهم كيف تتقلب على الله توكلنا في ان يثبتنا على
الايمان ويوفقنا لازدياد الايقان ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق اي احكم والفتاحة
الحكومة والقضاء بالحق بفتح الامر المغلق فلذا سمي فتحا ويسمي اهل عمان القاضي فتاحا
وانت خير الفاتحين كقوله وهو خير الحاكمين وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم
شعيبا انكم اذا لخاسرون مغبونون لفوات فوائد البخس والتطفيف باتباعه لانه ينهاكم
عنهما ويامركم على الايفاء والتسوية وجواب القسم الذي وطاته اللام في لئن اتبعتم وجواب

الشرط انكم اذا لخاسرون فهو ساد مسد الجوابين فاخذتهم الرجفة الزلزلة فاصبحوا في دارهم
جاثمين ميتين الذين كذبوا شعيبا مبتداء خبره كان لم يغنوا فيها لم يقيموا فيها غنى بالمكان
اقام الذين كذبوا شعيبا مبتداء خبره كانوا هم الخاسرين لا من قالوا لهم انكم اذا لخاسرون وفي
هذا الابتداء معنى الاختصاص كانه قيل الذين كذبوا شعيبا هم المخصوصون بان اهلكوا
كان لم يقيموا في دارهم لان الذين اتبعوا شعيبا قد انجاهم الله والذين كذبوا شعيبا هم
المخصوصون بالخسران العظيم دون اتباعه منهم الرابحون وفي هذا التكرار والاستيناف
والابتداء مبالغة واستعظام لتكذيبهم ولما جرى عليهم فتولى عنهم بعد ان نزل بهم
العذاب وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فكيف آسى احزن على
قوم كافرين اشتد حزنه على قومه ثم انكر على نفسه فقال كيف يشتد حزني على قوم
ليسوا باهل الحزن عليهم لكفرهم واستحقاقهم ما نزل بهم او اراد لقد اعزرت لكم في
الابلاغ والتحذير مما حل بكم فلم تصدقوني فكيف آسى عليكم وما ارسلنا في قرية من نبي
يقال لكل مدينة قرية وفيه حذف اى فكذبوه الا اخذنا اهلها بالباساء بالبوس الفقر
والضراء الضر والمرض لاستكبارهم عن اتباع نبيهم او هما نقصان النفس والمال لعلهم يضرعون
ليتضرعوا ويتذللوا ويحطوا اردية الكبر ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة اى اعطيناهم
بدل ما كانوا فيه من البلاء والمحنة الرخاء والسعة والصحة حتى عفوا كثروا ونموا في
انفسهم واموالهم من قولهم عفا النبات اذا كثر ومنه قوله عليه السلام واعفوا اللحى
وقالوا قد مس اباءنا الضراء والسراء اى قالوا هذه عادة الدهر يعاقب في الناس بين
السراء والضراء وقد مس اباءنا نحو ذلك وما هو بعقوبة الذنب فكونوا على ما انتم
عليه فاخذناهم بغتة فجاءة وهم لا يشعرون بنزول العذاب واللام في ولو ان اهل
القرى اشارة الى القرى التي دل عليها وما ارسلنا في قرية من نبي كانه قال ولو ان اهل
تلك القرى الذين كذبوا واهلكوا امنوا بدل كفرهم واتقوا الشرك مكان ارتكابه لفتحنا
عليهم لفتحنا شامي بركات من السماء والارض اراد المطر والنبات او لاتيناهم بالخير من
كل وجه ولكن كذبوا الانبياء فاخذناهم بما كانوا يكسبون بكفرهم وسوء كسبهم ويجوز ان

يكون

يكون اللام للجنس افامن اهل القرى يريد الكفار منهم ان ياتيهم باسنا عذابنا بياتا ليلا
اى وقت بيات يقال بات بياتا وهم نائمون اوامن اهل القرى ان ياتيهم باسنا ضحى
والضحى في الاصل ضوء الشمس اذا اشرقت الفاء والواو في افامن واوامن حرفا
عطف دخلت عليهما همزة الانكار والمعطوف عليه فاخذناهم بغتة وقوله ولو ان
اهل القرى الى يكسبون اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وانما عطفت بالفاء
لان المعنى فعلوا وضعوا فاخذتهم بغتة ابعد ذلك امن اهل القرى ان ياتيهم باسنا
بياتا وامنوا ان ياتيهم باسنا ضحى اوامن شامي وحجازي على العطف باو والمعنى
انكار الامن من احد هذين الوجهين من اتيان العذاب ليلا او ضحى فان قلت كيف
دخل الف الاستفهام على حرف العطف وهو ينافي الاستفهام قلت التنافي في
المفرد لا في عطف الجملة على الجملة لانه على استيناف جملة بعد جملة وهم يلعبون يشتغلون
بما لا يجدي لهم افامنوا تكرير لقوله افامن اهل القرى مكر الله اخذه العبد من حيث
لا يشعر وعن الشبلي مكره بهم تركه اياهم على ما هم عليه وقالت ابنة الربيع بن خثيم لابيها
مالي ارى الناس ينامون ولا اراك تنام قال يا بنتاه ان اباك يخاف البيات اراد قوله
تعالى ان ياتيهم باسنا بياتا فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون الا الكافرون
الذين خسروا انفسهم حتى صاروا الى النار اولم يهد يبين للذين يرثون الارض من
بعد اهلها ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم ان لو نشاء مرفوع بانه فاعل يهد وان مخففة
من الثقيلة اى اولم يهد للذين يخلفون من خلا قبلهم في ديارهم ويرثونهم ارضهم هذا
الشان وهو انا لو نشاء اصبناهم بذنوبهم كما اصبنا من قبلهم فاهلكنا الوارثين كما اهلكنا
الموروثين وانما عدى فعل الهداية باللام لانه بمعنى التبيين ونطبع مستانف اى و
نحن نختم على قلوبهم فهم لا يسمعون الوعظ تلك القرى نقص عليك من انباءها
كقوله هذا بعلي شيخا في انه مبتداء وخبر وحال او يكون القرى صفة لتلك ونقص خبرا
والمعنى تلك القرى المذكورة من قوم نوح الى قوم شعيب نقص عليك بعض انبائها
ولها انباء غيرها لم نقصها عليك ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات فما كانوا

ليومنوا عند مجيئ الرسل بالبينات بما كذبوا من قبل بما كذبوه من ايات الله من قبل مجيئ
الرسل او فما كانوا ليومنوا الى اخر اعمارهم بما كذبوا به اولا حين جاءتهم الرسل اى استمروا
على التكذيب من لدن مجيئ الرسل اليهم الى ان ماتوا مصرين مع تتابع الايات واللام لتاكيد
النفى كذلك مثل ذلك الطبع الشديد يطبع الله على قلوب الكافرين لما علم منهم انهم يختارون
الثبات على الكفر وما وجدنا لاكثرهم من عهد الضمير للناس على الاطلاق يعنى ان الاكثر
الناس نقضوا عهد الله وميثاقه فى الايمان والاية اعتراض او للامم المذكورين بانهم كانوا
اذا كان عاهدوا الله فى ضر ومخافة قالوا لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين ثم
لما انجاهم نكثوا وان وجدنا وان الشان والحديث وجدنا اكثرهم لفاسقين خارجين عن
الطاعة والوجود بمعنى العلم بدليل دخول ان المخففة واللام الفارقة ولا يجوز ذلك الا
فى المبتداء والخبر والافعال الداخلة عليهما ثم بعثنا من بعدهم الضمير للرسل فى قوله ولقد جاءتهم
رسلهم او للامم موسى باياتنا بالمعجزات الواضحة الى فرعون وملئه فظلموا بها فكفروا باياتنا اجرى
الظلم مجرى الكفر لانهما من واد واحد ان الشرك لظلم عظيم او فظلموا الناس بسببها حين
آذوا من آمن بها او لانه اذا وجب الايمان بها فكفروا بدل الايمان كان كفرهم بها ظلما حيث
وضعوا الكفر غير موضعه وهو موضع الايمان فانظر كيف كان عاقبة المفسدين حيث
ماتوا مغرقين وقال موسى يا فرعون يقال لملوك مصر الفراعنة كما يقال لملوك فارس
الاكاسرة فكانه قال يا ملك مصر واسمه قابوس او الوليد بن مصعب بن الريان انى رسول
من رب العالمين اليك قال فرعون كذبت فقال موسى حقيق على ان لا اقول على الله الا
الحق اى انا حقيق على قول الحق اى واجب على قول الحق ان اكون قائله والقائم به حقيق
على نافع اى واجب على ترك القول على الله الا الحق اى الصدق وعلى هذه القراءة تقف
على العالمين وعلى الاول يجوز الوصل على جعل حقيق وصف الرسول وعلى بمعنى الباء
كقراءة ابى اى رسول خليق بان لا اقول او يعلق على بمعنى الفعل فى الرسول اى انى رسول
حقيق جدير بالرسالة ارسلت على ان لا اقول على الله الا الحق قد جئتكم ببينة من ربكم بما
يبين رسالتى فارسل معى بنى اسرائيل فخلهم يذهبوا معى راجعين الى الارض المقدسة التى هى

وطنهم وذلك ان يوسف عليه السلام لما توفى غلب فرعون نسل الاسباط واستعبدهم فانقذهم
الله بموسى وكان بين اليوم الذى دخل يوسف مصر واليوم الذى دخل موسى اربعماية عام
معى حفص قال ان كنت جئت باية من عند من ارسلك فات بها ان كنت من الصادقين
فاتنى بها لتصح دعواك ويثبت صدقك فيها فالقى موسى عصاه من يده فاذا هى اذا هذه
للمفاجاة وهى من ظروف المكان بمنزلة ثم وهناك ثعبان حية عظيمة مبين ظاهر امره روى
انه كان ذكرا فغرفاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل فى الارض والاعلى
على سور القصر ثم توجه نحو فرعون فهرب واحدث ولم يكن احدث قبل ذلك وحمل
على الناس فمات منهم خمسة وعشرون الفا قتل بعضهم بعضا فصاح فرعون يا موسى خذه
وانا اومن بك فاخذه موسى فعاد عصا ونزع يده من جيبه فاذا هى بيضاء للناظرين اى
فاذا هى بيضاء للنظارة ولا تكون بيضاء للنظارة الا اذا كان بياضا عجيبا خارجا من العادة
ويجتمع الناس للنظر اليه روى انه ارى فرعون يده وقال ما هذه فقال يدك ثم ادخلها
فى جيبه ونزعها فاذا هى بيضاء غلب شعاعها شعاع الشمس وكان موسى عليه السلام ادم
شديد الادمة قال الملاء من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم عالم بالسحر ماهر فيه قد خيل
الى الناس العصا حية والادم ابيض وهذا الكلام قد عزى الى فرعون فى سورة الشعراء
وانه قال للملاء وهنا عزى اليهم فيحمل انه قاله هو وقالوه هم فحكى قوله ثم وقولهم هنا او
قاله ابتداء فتلقنه منه الملاء فقالوه لاعقابهم يريد ان يخرجكم من ارضكم يعنى مصر بسحره
فماذا تامرون تشيرون من امرته فامرنى بكذا اذا شاورته فاشار عليك براى وهو من
كلام فرعون قال الملاء لما قالوا له ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم قالوا ارجه بسكون
الهاء عاصم وحمزة اى اخره او احبسه اى اخر امره ولا تعجل وكانه هم بقتله فقالوه اخر
قتله واحبسه ولا تقتله ليتبين سحره عند الخلق واخاه هارون وارسل فى المداين
حاشرين جامعين ياتوك بكل ساحر عليم سحار حمزة وعلى اى ياتوك بكل ساحر مثله فى المهارة
او بخير منه وجاء السحرة فرعون يريد فارسل اليهم فحضروا قالوا ان لنا لاجرا على الخبر و
اثبات الاجر العظيم حجازى وحفص ولم يقل فقالوا لانه على تقدير سؤال سائل ما قالوا اذا

موسى

٧ قال م

جاؤه فاجيب بقوله قالوا لابد لنا لاجرا لجعلا على الغلبة والتنكير للتعظيم كانهم قالوا لا
بد لنا من اجر عظيم ان كنا نحن الغالبين قال نعم ان لكم لاجرا وانكم لمن المقربين عندي فتكونون
اول من يدخل واخر من يخرج وكانوا ثمانين الفا وسبعين الفا او بضعة وثلثين الفا قالوا
يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين ما معنا وفيه دلالة على ان رغبتهم في ان
يلقوا قبله حيث اكد ضميرهم المتصل بالمنفصل وعرف الخبر قال لهم موسى القوا تخييرهم
اياه ادب حسن راعوه معه كما يفعل المناظرون قبل ان يتخاوضوا في الجدال وقد سوغ
لهم موسى ما رغبوا فيه ازدراء لشانهم وقلة مبالات بهم واعتمادا على ان المعجزة لن يغلبها
سحر ابدا فلما القوا سحروا اعين الناس اروها بالحيل والشعوذة وخيلوا اليها ما
الحقيقة بخلافه روي انهم القوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا فاذا هي امثال الحيات قد
ملاءت الارض وركب بعضها بعضا واسترهبوهم وارهبوهم ارهابا شديدا كانهم
استدعوا رهبتهم بالحيلة وجاؤا بسحر عظيم في باب السحر او في عين من راه واوحينا
الى موسى ان الق عصاك فاذا هي تلقف تبلع تلقف حفص ما يافكون ما موصولة او
مصدرية بمعنى ما يافكونه اي يقلبونه عن الحق الى الباطل ويزورونه او افكهم تسمية
للمافوك باسم الافك روي انها لما تلقفت ملاء الوادي من الخشب والحبال ورفعها
موسى فرجعت عصا كما كانت واعدم الله بقدرته تلك الاجرام العظيمة او فرقها
اجزاء لطيفة قالت السحرة لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصينا فوقع الحق فحصل
وثبت وبطل ما كانوا يعملون من السحر فغلبوا هنالك اي فرعون وجنوده والسحرة
وانقلبوا صاغرين وصاروا اذلاء مبهوتين والقي السحرة ساجدين وخروا سجدا لله
كانهم القاهم ملق لشدة خرورهم اذ لم يتمالكوا مما راوا فكانهم القوا فكانوا اول
النهار كفار سحرة وفي اخره شهداء بررة قالوا امنا برب العالمين رب موسى وهارون
هو بدل من ما قبله قال فرعون امنتم به على الخبر حفص وهذا توبيخ منهم ولهم ءامنتم
كوفي غير حفص فالاولى همزة الاستفهام ومعناه الانكار والاستبعاد قبل ان اذن لكم
اي قبل اذني لكم ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها اهلها ان صنعكم هذا لحيلة

احتلتموها

احتلتموها انتم وموسى في مصر قبل ان تخرجوا الى الصحراء لغرض لكم وهو ان تخرجوا
من مصر القبط وتسكنوا بني اسرائيل فسوف تعلمون وعيد اجمله ثم فصله بقوله لاقطعن
ايديكم وارجلكم من خلاف من كل شق طرفا ثم لاصلبنكم اجمعين هو اول من قطع
من خلاف وصلب قالوا انا الى ربنا منقلبون فلا نبالي بالموت لانقلابنا الى لقاء
ربنا ورحمته وانا جميعا يعنون انفسهم وفرعون ننقلب الى الله فيحكم بيننا وما تنقم
منا الا ان امنا بايات ربنا لما جاءتنا وما تعيب منا الا الايمان بايات الله اراد وا
وما تعيب منا الا ما هو اصل المناقب والمفاخر وهو الايمان ومنه قوله ولا عيب فيهم
غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب ربنا افرغ علينا صبرا اي اصبب صبا
ذريعا والمعنى هب لنا صبرا واسعا واكثره علينا حتى يفيض علينا ويغمرنا كما يفرغ الماء
افراغا وتوفنا مسلمين ثابتين على الاسلام وقال الملاء من قوم فرعون اتذر موسى
وقومه ليفسدوا في الارض ارض مصر بالاستعلاء فيها وتغيير دين اهلها لانه وافق
السحرة على الايمان ستمائة الف نفر ويذرك والهتك عطف على ليفسدوا وقد صنع
فرعون لقومه اصناما وامرهم ان يعبدوها تقربا اليه كما يعبد عبدة الاصنام الاصنام
ويقولون ليقربونا الى الله زلفى ولذلك قال انا ربكم الاعلى قال فرعون مجيبا للملاء
سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم وانا فوقهم قاهرون سنقتل حجازي اي سنعيد
عليهم قتل الابناء ليعلموا انا على ما كنا عليه من الغلبة والقهر وانهم مقهورون تحت
ايدينا كما كانوا ولئلا يتوهم العامة انه هو المولود الذي تحدث المنجمون بذهاب
ملكنا على يده فيثبطهم ذلك من طاعتنا ويدعوهم الى اتباعه قال موسى لقومه استعينوا
بالله واصبروا قال لهم ذلك حين جزعوا من قول فرعون سنقتل ابناءهم تسلية لهم و
وعدا بالنصرة عليهم ان الارض اللام للعهد اي ارض مصر او للجنس فيتناول ارض مصر تناولا
اوليا لله يورثها من يشاء من عباده فيه تمنية اياهم ارض مصر والعاقبة للمتقين بشارة
بان الخاتمة المحمودة للمتقين منهم ومن القبط واخليت هذه الجملة عن الواو لانها جملة
مستانفة بخلاف قوله وقال الملاء لانها معطوفة على ما سبقها من قوله قال الملاء من قوم

فرعون قالوا اوذينا من قبل ان تاتينا ومن بعد ما جئتنا يعنون قتل ابناءهم قبل
مولد موسى الى ان استنبئ واعادته عليهم بعد ذلك وذلك اشتكاء من فرعون و
استبطاء لوعد النصر قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض تصريح بما رمز
اليه من البشارة قبل وكشف عنه وهو اهلاك فرعون واستخلافهم بعده في ارض مصر
فينظر كيف تعملون فيرى الكاين منكم من العمل حسنه وقبيحه وشكر النعمة وكفرانها
ليجازيكم على حسب ما يوجد منكم وعن عمرو بن عبيد انه دخل على المنصور قبل الخلافة
وعلى مائدته رغيف او رغيفان فطلب المنصور زيادة لعمرو فلم توجد فقرا عمرو
هذه الاية ثم دخل عليه بعد ما استخلف فذكر له ذلك وقال قد بقي فينظر كيف تعملون
ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين سني القحط وهي سبع سنين والسنة من الاسماء الغالبة
كالدابة والنجم ونقص من الثمرات قيل السنون لاهل البوادي ونقص الثمرات للا
لعلهم يذكرون ليتعظوا فينبهوا على ان ذلك لاصرارهم على الكفر ولان الناس في حال
الشدة اضرع خدودا وارق افئدة وقيل عاش فرعون اربعمائة سنة ولم ير مكروها
في ثلثمائة وعشرين سنة ولو اصابه في تلك المدة وجع او جوع او حمى لما ادعى الربوبية فاذا
جاءتهم الحسنة الصحة والخصب قالوا لنا هذه اي هذه التي نستحقها وان تصبهم سيئة
جدب ومرض يطيروا واصله يتطيروا فادغمت التاء في الطاء لانهما من طرف اللسان
واصول الثنايا بموسى ومن معه يتشاءموا بهم وقالوا هذه بشومهم ولولا مكانهم
لما اصابتنا وانما دخل اذا في الحسنة وعرفت الحسنة وان في السيئة ونكرت السيئة لان
جنس الحسنة وقوعه كالكاين لكثرته واما السيئة فلا يقع الا في الندرة ولا يقع الا
شيء منها الا انما طائرهم سبب خيرهم وشرهم عند الله في حكمه ومشيته والله هو
الذي يقدر ما يصيبهم من الحسنة والسيئة قل كل من عند الله ولكن اكثرهم لا يعلمون
ذلك وقالوا مهما تاتنا به من اية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين اصله ما ما فالاولى
للجزاء ضمت اليها ما المزيدة المؤكدة للجزاء في قولك متى ما تخرج اخرج اينما تكونوا فاما
تذهبن بك الا ان الالف قلبت هاء استثقالا لتكرير المتجانسين وهو المذهب السديد

٢ ان م

البصري

البصري وهو في موضع النصب بتاتنا اي اي ما شيء ومن اية تبيين لها والضمير في بها
راجع الى مهما الا ان الاول ذكر على اللفظ والثاني انث على المعنى لانها في معنى الاية وانما
سموها اية اعتبارا لتسمية موسى او قصدوا بذلك الاستهزاء فارسلنا عليهم الطوفان
ما طاف بهم وغلبهم من مطر او سيل قيل طغى الماء فوق حروثهم وذلك انهم مطروا ثمانية
ايام في ظلمة شديدة لا يرون شمسا ولا قمرا ولا يقدر احد ان يخرج من داره وقيل دخل
الماء في بيوت القبط حتى قاموا في الماء الى تراقيهم فمن جلس غرق ولم يدخل بيوت بني
اسرائيل من الماء قطرة او هو الجدري والطاعون والجراد فاكلت زروعهم وثمارهم
وسقوف بيوتهم ولم يدخل بيوت بني اسرائيل منها شيء والقمل هي الدبا وهو اولاد
الجراد قبل نبات اجنحتها او البراغيث او كبار القردان والضفادع وكانت تقع في
طعامهم وشرابهم حتى اذا تكلم الرجل وقع في فيه والدم اي الرعاف وقيل مياههم انقلبت
دما حتى ان القبطي والاسرائيلي اذا اجتمعا على اناء واحد فيكون ما يلي الاسرائيلي ماء
وما يلي القبطي دما وقيل سال عليهم النيل دما ايات حال من الاشياء المذكورة مفصلات
مبينات ظاهرات لا يشكل على عاقل انها من ايات الله او مفرقات بين كل ايتين شهر
فاستكبروا عن الايمان بموسى وكانوا قوما مجرمين ولما وقع عليهم الرجز العذاب الاخير
وهو الدم او العذاب المذكور واحدا بعد واحد قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك
ما مصدرية اي بعهده عندك وهو النبوة والباء يتعلق بادع اي ادع الله لنا متوسلا
اليه بعهده عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل
فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه الى حد من الزمان هم بالغوه لا محالة فمعذبون
فيه لا ينفعهم ما تقدم لهم من الامهال وكشف العذاب الى حلوله اذا هم ينكثون جواب
لما اي فلما كشفنا عنهم فاجاؤا النكث ولم يؤخروه فانتقمنا منهم هو ضد الانعام كما ان العقاب
ضد الثواب فاغرقناهم في اليم هو البحر الذي لا يدرك قعره او هو لجة البحر ومعظم مائه
واشتقاقه من التيمم لان المستنفعين به يقصدونه بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين
اي كان اغراقهم بسبب تكذيبهم بالايات وغفلتهم عنها وقلة فكرهم فيها واورثنا القوم الذين

كانوا يستضعفون هم بنو اسرائيل كان يستضعفهم فرعون وقومه بالقتل والاستخدام
مشارق الارض ومغاربها يعني ارض مصر والشام التي باركنا فيها بالخصب وسعة الارزاق
وكثرة الانهار والاشجار وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل هو قوله عسى ربكم ان
يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض الى ما
كانوا يحذرون والحسنى تانيث الاحسن صفة للكلمة وعلى صلة تمت اى مضت عليهم و
استمرت من قولك تم على الامر اذا مضى عليه بما صبروا بسبب صبرهم وحسبك به حثا على
الصبر ودالا على ان من قابل البلاء بالجزع وكله الله اليه ومن قابله بالصبر ضمن الله له الفرج
ودمرنا اهلكنا ما كان يصنع فرعون وقومه من العمارات وبناء القصور وما كانوا يعرشون
من الجنات او وما كانوا يرفعون من الابنية المشيدة في السماء كصرح هامان وغيره وبضم
الراء شامي وابو بكر وهذا اخر قصة فرعون والقبط وتكذيبهم بايات الله ثم اتبعه قصة
بني اسرائيل وما احدثوه بعد انقاذهم من فرعون ومعاينتهم الايات العظام ومجاوزتهم
البحر من عبادة البقر وغير ذلك ليتسلى رسول الله عليه السلام بما راى من بني اسرائيل بالمدينة
وجاوزنا ببني اسرائيل البحر روى انه عبر بهم موسى يوم عاشوراء بعد ما اهلك الله فرعون
وقومه فصاموا شكرا لله فاتوا فمروا عليهم على قوم يعكفون على اصنام لهم يواظبون
على عبادتها وكانت تماثيل بقر وبكسر الكاف حمزة وعلي قالوا يا موسى اجعل لنا الها صنما
نعكف عليه كما لهم الهة اصنام يعكفون عليها وما كافة للكاف ولذلك وقعت الجملة
بعدها قال يهودي لعلي رضي الله عنه اختلفتم بعد نبيكم قبل ان يجف ماؤه فقال قلتم
اجعل لنا الها ولم تجف اقدامكم قال انكم قوم تجهلون تعجب من قولهم على اثر ما راوا
من الاية العظمى فوصفهم بالجهل المطلق واكده ان هؤلاء يعني عبدة تلك التماثيل
متبر مهلك من التبار ما هم فيه اى يتبر الله ويهدم دينهم الذي هم عليه على يدي وفي ايقاع
هؤلاء اسما لان وتقديم خبر المبتدا من الجملة الواقعة خبرا لها وسم لعبدة الاصنام بانهم
هم المعرضون للتبار وانه لا يعدوهم البتة وباطل ما كانوا يعملون اى ما عملوا من عبادة الاصنام
باطل مضمحل قال اغير الله ابغيكم الها اى اغير المستحق للعبادة اطلب لكم معبودا وهو فضلكم

على العالمين حال اى عالمي زمانكم واذ انجيناكم من آل فرعون انجيكم شامي يسومونكم سوء
العذاب يبغونكم شدة العذاب من سام السلعة اذا طلبها وهو استيناف لا محل له او حال من
المخاطبين او من آل فرعون يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم يقتلون نافع وفي ذلكم
اى في الانجاء او في العذاب بلاء نعمة او محنة من ربكم عظيم وواعدنا موسى ثلثين ليلة
لاعطاء التورية واتممناها بعشر روى ان موسى وعد بني اسرائيل وهو بمصر ان اهلك الله
عدوهم اتاهم بكتاب من عند الله فلما اهلك فرعون سال موسى ربه الكتاب فامره بصوم
ثلثين وهو شهر ذي القعدة فلما اتم الثلثين انكر خلوف فيه فتسوك فاوحى الله تعالى اليه اما
علمت ان خلوف فم الصائم اطيب عندي من ريح المسك فامره ان يزيد عليها عشرة ايام من
ذي الحجة لذلك فتم ميقات ربه ما وقت له من الوقت وضربه له اربعين ليلة نصب
على الحال اى تم بالغا هذا العدد ولقد اجمل ذكر الاربعين في البقرة وفصل هنا وقال موسى
لاخيه هارون وهو عطف بيان لاخيه اخلفني في قومي كن خليفتي فيهم واصلح ما يجب
ان يصلح من امور بني اسرائيل ولا تتبع سبيل المفسدين ومن دعاك منهم الى الافساد فلا تتبعه
ولا تطعه ولما جاء موسى لميقاتنا لوقتنا الذي وقتنا له وحددنا ومعنى اللام الاختصاص
اى اختص مجيئه لميقاتنا وكلمه ربه بلا واسطة ولا كيفية روى انه عليه الصلوة والسلام كان
يسمع الكلام من كل جهة وذكر الشيخ في التاويلات ان موسى عليه الصلوة والسلام سمع صوتا
دالا على كلام الله وكان اختصاصه باعتبار انه اسمعه صوتا تولى تخليقه من غير ان يكون
ذلك الصوت مكتسبا لاحد من الخلق وغيره يسمع صوتا مكتسبا للعباد فيفهم منه كلام الله
تعالى فلما سمع كلامه طمع في رويته لغلبة شوقه فسال الروية بقوله قال رب ارني انظر
اليك ثاني مفعولي ارني محذوف اى ارني ذاتك انظر اليك يعني مكني من رويتك ان تتجلى
لي حتى اراك ارني مكي وبكسر الراء مختلسة ابو عمرو وبكسر الراء مشبعة غيرهما وهو دليل لاهل
السنة على جواز الروية فان موسى عليه الصلوة والسلام اعتقد ان الله تعالى مرئي حتى سالها
واعتقاد جواز ما لا يجوز على الله كفر قال لن تراني بالسوال بعين فانية بل بالعطاء والنوال
بعين باقية وهو دليل لنا ايضا لانه لم يقل لن ارى ليكون نفيا للجواز ولو لم يكن مرئيا لاخبر

بانه ليس بمرئي اذ الحالة حالة الحاجة الى البيان ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه بقي حاله فسوف
تراني وهو دليل لنا ايضا لانه علق باستقرار الجبل وهو ممكن وتعليق الشيء بما هو ممكن
يدل على امكانه كالتعليق بالممتنع يدل على امتناعه والدليل على انه ممكن قوله جعله دكا ولم
يقل اندك وما اوجده تعالى كان جائزا ان لا يوجد لو لم يوجده لانه مختار في فعله ولان الله
تعالى ما ايسه عن ذلك ولا عاتبه عليه ولو كان ذلك محالا لعاتبه كما عاتب نوحا عليه السلام
بقوله اني اعظك ان تكون من الجاهلين حيث سأل انجاء ابنه من الغرق فلما تجلى ربه
للجبل اي ظهر وبان ظهورا بلا كيف قال الشيخ ابو منصور رحمه الله معنى التجلي للجبل ما
قال الاشعري انه تعالى خلق في الجبل حيوة وعلما ورؤية حتى رأى ربه وهذا نص في اثبات
كونه مرئيا وبهذه الوجوه يتبين جهل منكري الرؤية وقولهم بان موسى عليه السلام كان
عالما بانه لا يرى ولكن طلب قومه ان يريهم ربهم كما اخبر الله تعالى عنهم بقوله لن نؤمن
لك حتى نرى الله جهرة وطلب الرؤية ليبين الله تعالى انه ليس بمرئي باطل اذ لو كان كما
زعموا لقال ارهم ينظروا اليك ثم يقول لهم لن يروني ولانها لو لم تكن جائزة لما اخر موسى
عليه السلام الرد عليهم بل كان يرد عليهم وقت قرع كلامهم سماعه لما فيه من التقرير على الكفر
وهو عليه السلام بعث لتغييره لا لتقريره الا ترى انهم لما قالوا له اجعل لنا الها كما لهم الهة
لم يمهلهم بل رد عليهم من ساعته لقوله انكم قوم تجهلون جعله دكا مدكوكا مصدر بمعنى
مفعول كضرب الامير والدك والدق اخوان دكاء حمزة وعلي اي مستوية بالارض لا اكمة
فيها وناقة دكاء لا سنام لها وخر موسى صعقا حال سقط مغشيا عليه فلما افاق من صعقته
قال سبحانك تبت اليك من السوال في الدنيا وانا اول المؤمنين بعظمتك وجلالك او بانك
لا تعطى الرؤية في الدنيا مع جوازها وقال الكعبي والاصم معنى قوله ارني انظر اليك ارني اية
اعلمك بها بطريق الضرورة كاني انظر اليك لن تراني لن تطيق معرفتي بهذه الصفة ولكن
انظر الى الجبل فاني اظهر له اية فان ثبت الجبل لتجليها واستقر مكانه فسوف تثبت لها و
تطيقها وهذا فاسد لانه قال رب انظر اليك ولم يقل اليها وقال لن تراني ولم يقل لن ترى ايتي
وكيف يكون معناه ان ترى ايتي وقد اراه اعظم الايات حيث جعل الجبل دكا قال يا موسى

اني اصطفيتك على الناس اخترتك على اهل زمانك برسالاتي وهي اسفار التورية وبرسالتي
حجازي وبكلامي وبتكليمي اياك فخذ ما اتيتك اعطيتك من شرف النبوة والحكمة وكن
من الشاكرين على النعمة في ذلك فهي من اجل النعم قيل خر موسى صعقا يوم عرفة
واعطي التورية يوم النحر ولما كان هارون وزيرا وتابعا لموسى تخصص الاصطفا
بموسى عليه السلام وكتبنا له في الالواح التورية جمع لوح وكانت عشرة الواح وقيل
سبعة وكانت من زمرد وقيل من خشب نزلت من السماء فيها التورية من كل شيء في
محل النصب على انه مفعول كتبنا موعظة وتفصيلا لكل شيء بدل منه والمعنى كتبنا له
كل شيء كان بنو اسرائيل محتاجين اليه في دينهم من المواعظ وتفصيل الاحكام وقيل
انزلت التورية وهي سبعون وقر بعير لم يقرأها كلها الا اربعة نفر موسى ويوشع و
عزير وعيسى عليهم السلام فخذها فقلنا له خذها عطفا على كتبنا والضمير للالواح او
لكل شيء لانه في معنى الاشياء بقوة بجد وعزيمة فعل اولي العزم من الرسل وامر قومك
يأخذوا باحسنها اي فيها ما هو حسن واحسن كالاقتصاص والعفو والانتصار
والصبر فمرهم ان يأخذوا بما هو ادخل في الحسن واكثر للثواب كقوله واتبعوا احسن
ما انزل اليكم من ربكم ساريكم دار الفاسقين دار فرعون وقومه وهي مصر ومنازل
عاد وثمود والقرون المهلكة كيف اقفرت منهم لتعتبروا فلا تفسقوا مثل فسقهم
فينكل بكم مثل نكالهم او جهنم ساصرف عن اياتي عن فهمها قال ذو النون ابى الله ان
يكرم قلوب الباطلين بمكنون حكمة القران الذين يتكبرون يتطاولون على الخلق
ويأنفون عن قبول الحق وحقيقته التكلف للكبرياء التي اختصت بالباري عزت
قدرته في الارض بغير الحق هو حال اي يتكبرون غير محقين لان الكبرياء بالحق لله وحده
وان يروا كل اية من الايات المنزلة عليهم لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشد صلاح الامر
او طريق الهدى الرشد حمزة وعلي كالسقم والسقم لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغي
الضلال يتخذوه سبيلا ومحل ذلك الرفع اي ذلك الصرف بانهم كذبوا باياتنا بسبب تكذيبهم
وكانوا عنها غافلين غفلة عناد واعراض لا غفلة سهو وجهل والذين كذبوا باياتنا

ولقاء الآخرة هو من اضافة المصدر الى المفعول به اى ولقائهم الآخرة ومشاهدتهم
احوالها حبطت اعمالهم خبر والذين هل يجزون الا ما كانوا يعملون وهو تكذيب الاخرا
تكذيب الارسال واتخذ قوم موسى من بعده من بعد ذهابه الى الطور من حليهم وانما
نسب اليهم مع انها كانت عوارى فى ايديهم لان الاضافة تكون بادنى ملابسة وفيه دليل
على ان من حلف ان لا يدخل دار فلان فدخل دارا استعارها يحنث على انهم قد ملكوها
بعد المهلكين كما ملكوا غيرها من املاكهم وفيه دليل على ان الاستيلاء على اموال الكفار يوجب
زوال ملكهم عنها نعم المتخذ هو السامرى ولكنهم رضوا به فاسند الفعل اليهم والحلى جمع
حلى وهو اسم ما يحسن به من الذهب والفضة حليهم حمزة وعلى للاتباع عجلا مفعول
اتخذ جسدا بدل منه اى بدنا ذا لحم ودم كسائر الاجساد له خوار هو صوت البقر والمفعول
الثانى محذوف اى الها ثم عجب من عقولهم الضعيفة فقال الم يروا حين اتخذوا الها انه لا
يكلمهم ولا يهديهم سبيلا لا يقدر على كلام ولا على هداية سبيل حتى لا يختاروه على من لو كان
البحر مدادا لكلماته لنفد البحر قبل ان تنفد كلماته وهو الذى هدى الخلق الى سبيل الحق بما
ركز فى العقول من الادلة وبما انزل فى الكتب ثم ابتداء فقال اتخذوه الها فاقدموا على هذا
الامر المنكر وكانوا ظالمين واضعين العبادة فى غير موضعه فلم يكن اتخاذ العجل بدعا منهم ولا
اول مناكيرهم ولما سقط فى ايديهم ولما اشتد ندمهم على عبادة العجل واصله ان من اشتد ندمه
ان يعض يده غما فيصير يده مسقوطا فيها لان فاه وقع فيها وسقط مسند الى فى ايديهم وهو
من باب الكناية وقال الزجاج معناه سقط الندم فى ايديهم اى فى قلوبهم وانفسهم كما يقال
حصل فى يده مكروه وان استحال ان يكون فى اليد تشبيها لما حصل فى القلب وفى النفس بما يحصل
فى اليد ويرى بالعين وراوا انهم قد ضلوا وتبينوا ضلالهم تبينا كانهم ابصروه بعيونهم قالوا
لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لئن لم ترحمنا وتغفر لنا حمزة وعلى وانتصاب ربنا على النداء
لنكونن من الخاسرين المغبونين فى الدنيا والآخرة ولما رجع موسى من الطور الى قومه بنى
اسرائيل غضبان حال من موسى اسفا حال ايضا اى حزينا قال بئسما خلفتمونى قمتم مقامى و
كنتم خلفائى من بعدى والخطاب لعبدة العجل من السامرى واشياعه او لهارون ومن معه

من المؤمنين ويدل عليه قوله اخلفنى فى قومى والمعنى بئسما خلفتمونى حيث عبدتم العجل
مكان عبادة الله او حيث لم تكفوا من عبادة من عبد غير الله وفاعل بئس مضمر يفسره
ما خلفتمونى والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونيها من بعدى
خلافتكم ومعنى من بعدى بعد قوله خلفتمونى من بعد ما رايتم منى من توحيد الله ونفى
الشركاء عنه او من قوله بعد ما كنت احمل بنى اسرائيل على التوحيد واكفهم عن عبادة البقر
حيث قالوا اجعل لنا الها كما لهم آلهة ومن حق الخلفاء ان يسيروا بسيرة المستخلف
اعجلتم امر ربكم اسبقتم بعبادة العجل امر ربكم وهو اتيانى لكم بالتورية بعد اربعين ليلة واصل
العجلة طلب الشئ قبل حينه وقيل اعجلتم بمعنى تركتم والقى الالواح ضجرا عند استماعه
حديث العجل غضبا لله وكان فى نفسه شديد الغضب وكان هارون الين منه جانبا و
لذلك كان احب الى بنى اسرائيل من موسى فتكسرت ورفعت ستة اسباعها وبقى
سبع واحد وكان فيما رفع تفصيل كل شئ وفيما بقى هدى ورحمة واخذ براس اخيه بشعر
راسه غضبا عليه حيث لم يمنعهم من عبادة العجل يجره اليه عتابا عليه لا هوانا به عليه
وهو حال من موسى قال يا ابن ام بنى الابن مع الام على الفتح كخمسة عشر وبكسر الميم
حمزة وعلى وشامى لان اصله امى فحذف الياء اجتزاء عنها بالكسر وكان ابن امه وابيه
وانما ذكر الام لانها كانت مؤمنة ولان ذكرها ادعى الى العطف ان القوم استضعفونى
وكادوا يقتلوننى اى انى لم آل جهدا فى كفهم بالوعظ والانذار ولكنهم استضعفونى و
هموا بقتلى فلا تشمت بى الاعداء الذين عبدوا العجل اى لا تفعل بى ما هو امنيتهم من
الاستهانة بى والاساءة الى ولا تجعلنى مع القوم الظالمين قرينا لهم بغضبك على
فلما اتضح له عذر اخيه قال رب اغفر لى ولاخى ليرضى اخاه وينفى الشماتة عنه باشراكه
معه فى الدعاء والمعنى اغفر لى ما فرط عنى فى حق اخى ولاخى ان فرط فى حسن الخلافة
وادخلنا فى رحمتك عصمتك فى الدنيا وجنتك فى الآخرة وانت ارحم الراحمين ان الذين
اتخذوا العجل الها سينالهم غضب من ربهم وهو ما امروا به من قتل انفسهم توبة وذلة
فى الحيوة الدنيا خروجهم من ديارهم فالغربة تذل الاعناق او ضرب الجزية عليهم وكذلك

نجزی المفترین المکذبین علی الله ولا فریة اعظم من قول السامری هذا الهکم واله موسی و
الذین عملوا السیات من الکفر والمعاصی ثم تابوا رجعوا الی الله من بعدها وامنوا اخلصوا
الایمان ان ربک من بعدها ای السیات او التوبة لغفور لستور علیهم محاء لما کان منهم
رحیم منعم علیهم بالجنة وان مع اسمها وخبرها خبر والذین وهذا حکم عام یدخل تحته
متخذوا العجل وغیرهم عظم جنایتهم اولا ثم اردفها بعظم رحمته لیعلم ان الذنوب وان
عظمت فعفوه اعظم ولما کان الغضب لشدته کانه الامر لموسی بما فعل قیل ولما سکت عن
موسی الغضب وقال الزجاج معناه سکن وقری به اخذ الالواح التی القیها وفی نسختها وفی
ما نسخ منها ای کتب فعلة بمعنی مفعول کالخطبة هدی ورحمة للذین هم لربهم یرهبون
دخلت اللام لتقدم المفعول وضعف عمل الفعل فیه باعتباره واختار موسی قومه ای من
قومه فحذف الجار واوصل الفعل سبعین رجلا قیل اختار من اثنی عشر سبطا من کل سبط
ستة فبلغوا اثنین وسبعین رجلا فقال لیتخلف منکم رجلان فقعد کالب ویوشع
لمیقاتنا لاعتذارهم من عبادة العجل فلما اخذتهم الرجفة الزلزلة الشدیدة قال رب لو شئت
اهلکتهم من قبل مما کان منهم من عبادة العجل وایای لقتلی القبطی اتهلکنا بما فعل السفهاء منا
عقوبة بما فعل الجهال منا وهم اصحاب العجل ان هی الا فتنتک ابتلاءک وهو راجع الی قوله
فانا قد فتنا قومک من بعدک قال موسی هی تلک الفتنة التی اخبرتنی بها وهی ابتلاء الله
تعالی عباده بما شاء ویبلوکم بالشر والخیر فتنة تضل بها بالفتنة من تشاء من علمت منهم اختیار
الهدایة انت ولینا مولینا القائم باموارنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خیر الغافرین واکتب لنا
واثبت لنا واقسم فی هذه الدنیا حسنة عافیة وحیوة طیبة وتوفقنا فی الطاعة وفی الاخرة
الجنة انا هدنا الیک وهاد الیه یهود اذا رجع وتاب والیهود جمع هاید وهو التایب قال
عذابی من صفته انی اصیب به من اشاء ان لا اعفو عنه ورحمتی وسعت کل شیء ای من صفة
رحمتی انها واسعة تبلغ کل شیء ما من مسلم ولا کافر الا وعلیه اثر رحمتی فی الدنیا فساکتبها ای
هذه الرحمة للذین یتقون الشرک من امة محمد علیه الصلوة والسلام ویؤتون الزکوة المفروضة
والذین هم بایاتنا بجمیع کتبنا یؤمنون لا یکفرون بشیء منها والذین یتبعون الرسول الذی نبی

الضلال الغوی ویهدی بها من تشاء من علمت منهم اختیارهم

الیه کتابا مختصا به وهو القران النبی صاحب المعجزات الامی الذی یجدونه ای یجدون نعته
اولیک الذین یتبعونه من بنی اسرائیل مکتوبا عندهم فی التوریة والانجیل یامرهم بالمعروف
بخلع الانداد وانصاف العباد وینهیهم عن المنکر عبادة الاصنام وقطیعة الارحام ویحل
لهم الطیبات ما حرم علیهم من الاشیاء الطیبة کالشحوم وغیرها او ما طاب فی الشریعة مما
ذکر اسم الله علیه من الذبایح وما خلا کسبه من السحت ویحرم علیهم الخبائث ما یستخبث
کالدم والمیتة ولحم الخنزیر وما اهل لغیر الله به او ما خبث فی الحکم کالربوا والرشوة
ونحوهما من المکاسب الخبیثة ویضع عنهم اصرهم هو الثقل الذی یاصر صاحبه ای یحبسه
من الحراک لثقله والمراد التکالیف الصعبة کقتل النفس فی توبتهم وقطع الاعضاء الخاطیة
اصارهم شامی علی الجمع والاغلال التی کانت علیهم وهی الاحکام الشاقة نحو بت القضاء
بالقصاص عمدا کان او خطاء من غیر شرع الدیة وقرض موضع النجاسة من الجلد والثوب
واحراق الغنایم وظهور الذنوب علی ابواب البیوت وشبهت بالغل لزومها لزوم الغل
فاما الذین امنوا به بمحمد علیه الصلوة والسلام وعزروه وعظموه او منعوه من العدو
حتی لا یقوی علیه عدو واصل العزر المنع ومنه التعزیر لانه منع عن معاودة القبیح کالحد
وهو المنع ونصروه واتبعوا النور الذی انزل معه ای القران ومع متعلق باتبعوا ای
اتبعوا القران المنزل مع اتباع النبی والعمل بالسنة اولیک هم المفلحون الفایزون بکل خیر و
الناجون من کل شر قل یا ایها الناس انی رسول الله الیکم یعنی بعث کل رسول الی قومه خاصة
وبعث محمد علیه الصلوة والسلام الی کافة الانس والجن جمیعا حال من الیکم الذی له ملک
السموات والارض فی محل النصب باضمار اعنی وهو نصب علی المدح لا اله الا هو بدل
من الصلة وهی له ملک السموات والارض وکذلک یحیی ویمیت وفی لا اله الا هو بیان
للجملة ما قبلها لان من ملک العالم کان هو الاله علی الحقیقة وفی یحیی ویمیت بیان لاختصاصه
بالالهیة اذ لا یقدر علی الاحیاء والاماتة غیره فامنوا بالله ورسوله النبی الامی الذی یؤمن
بالله وکلماته ای الکتب المنزلة واتبعوه لعلکم تهتدون ولم یقل فامنوا بالله وبی بعد قوله
انی رسول الله الیکم لیجری علیه الصفات التی اجریت علیه ولما فی الالتفات من مزیة البلاغة

وليعلم ان الذي وجب الايمان به هو هذا الشخص الموصوف بانه النبي الامي الذي يومن بالله
وكلماته كاينا من كان انا او غيري كاظهار النصفة وتفاديا عن العصبية لنفسه ومن قوم موسى
امة يهدون بالحق اي يهدون الناس محقين او بسبب الحق الذي هم فيه وبه يعدلون وبالحق
يعدلون بينهم في الحكم لا يجورون قيل هم قوم وراء الصين آمنوا بمحمد عليه الصلوة والسلام
ليلة المعراج او هم عبد الله بن سلام واضرابه وقطعناهم وصيرناهم قطعا قطعا اي فرقنا
وميزنا بعضهم من بعض اثنتي عشرة اسباطا كقوله اثنتي عشرة قبيلة والاسباط اولاد
الاولاد جمع سبط وكانوا اثني عشر قبيلة من اثني عشر ولدا من ولد يعقوب عليه السلام
نعم مميز ما عدا العشرة مفرد فكان ينبغي ان يقال اثني عشر سبطا لكن المراد وقطعناهم
اثني عشر قبيلة كل قبيلة اسباطا لا سبط فوضع اسباطا موضع قبيلة امما بدل من اثنتي عشرة
اي وقطعناهم امما لان كل اسباط كانت امة عظيمة فكل واحد كانت تام خلاف ما تام
الاخرى واوحينا الى موسى اذ استسقيه قومه ان اضرب بعصاك الحجر فضرب فانبجست
فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس مشربهم وهو اسم جمع غير تكسير وظللنا عليهم
الغمام وجعلناه ظليلا عليهم في التيه وانزلنا عليهم المن والسلوى وقلنا لهم كلوا من طيبات
ما رزقناكم وما ظلمونا اي ما رجع الينا ضرر ظلمهم اليهم بكفرانهم النعم ولكن كانوا انفسهم
يظلمون ولكن كانوا يضرون انفسهم ويرجع وبال ظلمهم اليهم واذ قيل لهم واذكروا اذ قيل
لهم اسكنوا هذه القرية بيت المقدس وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب
سجدا نغفر لكم خطيئاتكم تغفر لكم مدني وشامي خطيئتكم شامي خطيئاتكم خطاياكم ابو عمرو
سنزيد المحسنين فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم فارسلنا عليهم رجزا من
السماء بما كانوا يظلمون ولا تناقض بين قوله اسكنوا هذه القرية وكلوا منها وبين قوله
في البقرة ادخلوا هذه القرية فكلوا لوجود الدخول والسكنى وسواء قدموا الحطة على
دخول الباب او اخروها فهم جامعون بينهما وترك ذكر الرغد لا يناقض اثباته وقوله
نغفر لكم خطاياكم سنزيد المحسنين موعد بشيئين بالغفران والزيادة وطرح الواو لا يخل
ذلك لانه استيناف مرتب على تقدير قول القائل وماذا بعد الغفران فقيل له سنزيد المحسنين

وكذلك

وكذلك زيادة منهم زيادة بيان وارسلنا وانزلنا ويظلمون ويفسقون من واد واحد
واسالهم عن القرية واسال اليهود عن القرية ايلة او مدين وهذا السوال للتقريع بتقديم
كفرهم التي كانت حاضرة البحر قريبة منه اذ يعدون في السبت اذ يتجاوزون حد الله فيه
وهو اصطيادهم في يوم السبت وقد نهوا عنه اذ يعدون في محل الجر بدل من القرية و
المراد بالقرية اهلها كانه قيل واسالهم عن اهل القرية وقت عدوانهم في السبت وهو من
بدل الاشتمال اذ تاتيهم منصوب بيعدون او بدل بعد بدل حيتانهم جمع حوت ابدلت
الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها يوم سبتهم شرعا ظاهرة على وجه الماء جمع شارع حال
من الحيتان والسبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها بترك الصيد والاشتغال بالتعبد
والمعنى اذ يعدون في تعظيم هذا اليوم وكذا قوله يوم سبتهم معناه يوم تعظيمهم امر السبت
ويدل عليه ويوم لا يسبتون لا تاتيهم ويوم ظرف لا تاتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون
مثل ذلك البلاء الشديد نبلوهم بفسقهم واذ قالت معطوف على اذ يعدون وحكمه حكمه في
الاعراب امة منهم جماعة من صلحاء القرية الذين ايسوا من وعظهم بعد ما ركبوا الصعب
والذلول في موعظتهم لاخرين لا يقلعون عن وعظهم لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم
عذابا شديدا وانما قالوا ذلك لعلمهم ان الوعظ لا ينفع فيهم قالوا معذرة الى ربكم اي موعظتنا
ابلاء عذر الى الله لئلا ننسب في النهي عن المنكر الى التفريط معذرة حفص على انه مفعول
له اي وعظناهم للمعذرة ولعلهم يتقون ولطمعنا في ان يتقوا فلما نسوا اهل القرية لما تركوا
ما ذكروا به ما ذكرهم به الصالحون ترك الناسي لما ينساه انجينا الذين ينهون عن السوء
عن العذاب الشديد واخذنا الذين ظلموا الراكبين للمنكر والذين قالوا لم تعظون من الناحين
عن الحسن نجت فرقتان وهلكت فرقة وهم الذين اخذوا الحيتان بعذاب بئيس شديد
يقال باس يباس باسا اذا اشتد فهو بئيس على وزن فعيل بئس شامي بيس مدني بياس
على وزن فيعل ابو بكر غير حماد بما كانوا يفسقون فلما عتوا عما نهوا عنه عن ترك ما نهوا عنه
قلنا لهم كونوا قردة خاسئين اي جعلناهم قردة اذلاء مبعدين وقيل فلما عتوا تكرير
لقوله فلما نسوا والعذاب البئيس هو المسخ وقيل صار الشبان قردة والشيوخ خنازير

وكانوا يعرفون اقاربهم ويبكون ولا يتكلمون والجمهور على انها ماتت بعد ثلث و
قيل بقيت وتناسلت واذ تاذن ربك اى اعلم واجرى مجرى فعل القسم ولذا اجيب
بما يجاب به القسم وهو قوله ليبعثن عليهم اى كتب على نفسه ليسلطن على اليهود الى يوم
القيمة من يسومهم من يوليهم سوء العذاب وكانوا يودون الجزية الى المجوس الى ان
بعث محمد عليه الصلوة والسلام فضربها عليهم الى اخر الدهر ان ربك لسريع العقاب للكفار
وانه لغفور رحيم للمومنين وقطعناهم فى الارض امما منهم الصالحون الذين آمنوا
منهم بالمدينة او الذين وراء الصين ومنهم دون ذلك ومنهم ناس دون ذلك الوصف
منحطون عنه وهم الفسقة ومحل دون ذلك الرفع وهو صفة لموصوف محذوف اى
ومنهم ناس منحطون عن الصلاح وبلوناهم بالحسنات والسيآت بالنعم والنقم والخصب
والجدب لعلهم يرجعون ينتهون فينيبون فخلف من بعدهم من بعد المذكورين خلف
وهم الذين كانوا فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلف بدل السوء بخلاف الخلف
فهو الصالح ورثوا الكتاب التورية ووقفوا على ما فيها من الاوامر والنواهى والتحليل
والتحريم ولم يعملوا بها ياخذون عرض هذا الادنى هو حال من الضمير فى ورثوا والعرض
المتاع اى حطام هذا الشىء الادنى يريد الدنيا وما يتمتع به وهو من الدنو بمعنى القرب
لانه عاجل قريب والمراد ما ياخذونه من الرشاء فى الاحكام وعلى تحريف الكلم وفى قوله هذا
الادنى تخسيس وتحقير ويقولون سيغفر لنا لا يواخذنا الله بما اخذنا والفعل مسند
الى الاخذ او الى الجار والمجرور اى لنا وان ياتهم عرض مثله ياخذوه الواو للحال اى يرجون
المغفرة وهم مصرون عائدون الى مثل فعلهم غير تائبين الم يوخذ عليهم ميثاق الكتاب
اى الميثاق المذكور فى الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق اى قد اخذ عليهم الميثاق فى كتابهم
ان لا يقولوا على الله الا الصدق وهو عطف بيان لميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه وقرؤا
ما فى الكتاب وهو عطف على الم يوخذ عليهم لانه تقرير فكانه قيل اخذ عليهم ميثاق الكتاب
ودرسوا ما فيه والدار الاخرة خير من ذلك العرض الخسيس للذين يتقون الرشى والمحارم
افلا تعقلون انه كذلك وبالتاء مدنى وحفص والذين يمسكون بالكتاب يمسكون ابوبكر

والامساك

والامساك والتمسك والتمسيك الاعتصام والتعلق بشئ واقاموا الصلوة خص الصلوة
مع ان التمسك بالكتاب يشتمل على كل عبادة لانها عماد الدين والذين مبتداء وخبره
انا لا نضيع اجر المصلحين اى انا لا نضيع اجرهم وجاز ان يكون مجرورا عطفا على الذين
يتقون وانا لا نضيع اعتراض واذ نتقنا الجبل فوقهم واذكر اذ قلعناه ورفعناه لقوله
ورفعنا فوقكم الطور كانه ظلة هى كل ما اظلك من سقفة او سحاب وظنوا انه واقع
بهم وعلموا انه ساقط عليهم وذلك انهم ابوا ان يقبلوا احكام التورية لغلظها وثقلها
فرفع الله الطور على روسهم مقدار عسكرهم وكان فرسخا فى فرسخ وقيل لهم ان قبلتموها
بما فيها والا ليقعن عليكم فلما نظروا الى الجبل خر كل واحد منهم ساجدا على حاجبه الايسر
وهو ينظر بعينه اليمنى الى الجبل فرقا من سقوطه فلذلك لا ترى يهوديا يسجد الا على
حاجبه الايسر ويقولون هى السجدة التى رفعت عنا بها العقوبة وقلنا لهم خذوا
ما آتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزم على احتمال مشاقه وتكاليفه واذكروا ما فيه
من الاوامر والنواهى ولا تنسوه لعلكم تتقون ما انتم عليه واذ اخذ ربك من بنى آدم
اى واذكر اذ اخذ ربك من ظهورهم بدل من بنى ادم والتقدير واذ اخذ ربك من ظهور
بنى ادم ذريتهم ومعنى اخذ ذرياتهم من ظهورهم اخراجهم من اصلاب ابائهم و
اشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا وهذا من باب التمثيل ومعنى ذلك
انه نصب لهم الادلة على ربوبيته ووحدانيته وشهدت عقولهم التى ركبها فيهم وجعلها
مميزة بين الهدى والضلالة فكانه اشهدهم على انفسهم وقررهم وقال لهم الست بربكم
وكانهم قالوا بلى انت ربنا شهدنا على انفسنا واقررنا بوحدانيتك ان تقولوا مفعول
له اى فعلنا ذلك من نصب الادلة الشاهدة على صحتها العقول كراهة ان تقولوا يوم
القيمة انا كنا عن هذا غافلين لم ننبه عليه او تقولوا او كراهة ان تقولوا انما اشرك
اباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم فاقتدينا بهم لان نصب الادلة على التوحيد وما
نبهوا عليه قائم معهم فلا عذر لهم فى الاعراض عنه والاقتداء بالاباء كما لا عذر لابائهم
فى الشرك وادلة التوحيد منصوبة لهم افتهلكنا بما فعل المبطلون اى كانوا السبب فى شركنا

لتاسيهم الشرك وتركهم سنة لنا ولذلك ومثل ذلك التفصيل البليغ نفصل الايات لهم
ليتدبروا ولعلهم يرجعون عن شركهم تفصلها الى هنا ذهب المحققون من اهل التفسير
منهم الشيخ ابو منصور والزجاج والزمخشري وذهب جمهور المفسرين الى ان الله تع
اخرج ذرية ادم من ظهر آدم مثل الذر واخذ عليهم الميثاق وانه ربهم بقوله الست
بربكم فاجابوا ببلى قالوا وهي فطرة الله التي فطر الناس عليها وقال ابن عباس رض اخرج
الله تعالى من ظهر ادم ذريته واراه اياهم كهيئة الذر واعطاهم من العقل فقال هؤلاء
ولدك اخذ عليهم الميثاق ان يعبدوني قيل كان ذلك قبل الدخول في الجنة بين مكة و
الطايف وقيل بعد النزول من الجنة وقيل في الجنة والحجة للاولين انه قال من بني ادم من
ظهورهم ولم يقل من ظهر آدم ولانا لا نتذكر ذلك فانى يصير ذو حجة ذرياتهم مدني
وشامي ان يقولوا ويقولوا ابو عمرو واتل عليهم على اليهود نبا الذي اتيناه اياتنا هو
عالم من علماء بني اسرائيل وقيل هو بلعم بن باعوراء اوتي علم بعض كتب الله فانسلخ
منها فخرج من الايات بان كفر بها ونبذها وراء ظهره فاتبعه الشيطان فلحقه الشيطان
وادركه وصار قرينا له فكان من الغاوين فصار من الضالين الكافرين روى ان قومه
طلبوا اليه ان يدعو على موسى ومن معه فابى فلم يزالوا به حتى فعل وكان عنده اسم الله
الاعظم ولو شئنا لرفعناه الى منازل الابرار من العلماء بها بتلك الايات ولكنه اخلد
الى الارض مال الى الدنيا ورغب فيها واتبع هويه في ايثار الدنيا ولذاتها على الاخرة و
نعيمها فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه اي تزجره وتطرده يلهث او تتركه غير مطرود
يلهث والمعنى فصفته التي هي مثل في الخسة والضعة كصفة الكلب في اخس احواله
واذلها وهي حال دوام اللهث به سواء حمل عليه اي شد عليه وهيج فطرد او ترك غير
متعرض له بالحمل عليه وذلك ان ساير الحيوانات لا يكون منه اللهث الا اذا حرك واما
الكلب فيلهث في الحالين وكان مقتضى الكلام ان يقال ولكنه اخلد الى الارض فحططناه و
وضعناه منزلته فوضع هذا التمثيل موضع فحططناه ابلغ حط ومحل الجملة الشرطية نصب
على الحال كانه قيل كمثل الكلب ذليلا دائم الذلة لاهثا في الحالين وقيل لما دعا بلعم على موسى

خرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كما يلهث الكلب وقيل معناه هو ضال وعظ
او ترك وهو عطاء من علم ولم يعمل فهو كالكلب ينبح طردا وترك ذلك مثل القوم الذين
كذبوا باياتنا من اليهود بعد ما قرءوا نعت رسول الله عليه الصلوة والسلام في التورية
وذكر القران المعجز به وبشروا الناس باقتراب مبعثه فاقصص القصص اي قصص
بلعم الذي نحو قصصهم لعلهم يتفكرون فيحذرون مثل عاقبته اذا ساروا نحو سيرته
ساء مثلا القوم الذين كذبوا باياتنا اي مثل القوم فحذف المضاف وفاعل ساء مضمر
اي ساء المثل مثلا وانتصاب مثلا على التمييز وانفسهم كانوا يظلمون معطوف على كذبوا
فيدخل في حيز الصلة اي الذين جمعوا بين التكذيب بايات الله وظلم انفسهم او منقطع
عن الصلة وما ظلموا الا انفسهم بالتكذيب وتقديم المفعول به للاختصاص اي و
خصوا انفسهم بالظلم لم يتعد الى غيرها من يهدى الله فهو المهتدي حمل على اللفظ ومن
يضلل اي ومن يضلله فاولئك هم الخاسرون حمل على المعنى ولو كان الهدى من الله البيان
كما قالت المعتزلة لاستوى الكافر والمؤمن اذ البيان ثابت في حق الفريقين فدل انه من الله
تعالى التوفيق والعصمة والمعونة ولو كان ذلك للكافر لاهتدى كما اهتدى المؤمن
ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس هم الكفار من الفريقين المعرضون عن تدبر
ايات الله والله تعالى علم منهم اختيار الكفر فشاء منهم الكفر وخلق فيهم ذلك وجعل
مصيرهم جهنم لذلك ولا تنافي بين هذا وبين قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا
ليعبدون لانه انما خلق منهم للعبادة من علم انه يعبده واما من علم انه يكفر به فانما خلقه
لما علم انه يكون منه فالحاصل ان من علم منه في الازل انه يكون من العبادة خلقه للعبادة
ومن علم منه ان يكون للكفر خلقه للكفر لذلك وكم من عام يراد به الخصوص وقول المعتزلة
بان هذه لام العاقبة اي لما كان عاقبتهم جهنم جعلوا كانهم خلقوا لها فرارا عن ارادة
المعاصي عدول عن الظاهر لهم قلوب لا يفقهون بها الحق ولا يتفكرون ولهم اعين لا يبصرون
بها الرشد ولهم اذان لا يسمعون بها الوعظ اولئك كالانعام في عدم الفقه والنظر للاعتبار
والاستماع للتفكر بل هم اضل من الانعام لانهم كابروا العقول وعاندوا الرسول وارتكبوا

الفضول فالانعام تطلب منافعها وتهرب عن مضارها وهم لا يعلمون مضارها حيث اختاروا
النار وكيف يستوي المكلف المامور والمخلى المعذور فالادمي روحاني شهواني سماوي ارضي
فان غلب روحه شهواته فاق ملائكة السموات وان غلب هواه روحه فاقته بهائم الارض
اولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة ولله الاسماء الحسنى التي هي احسن الاسماء لانها
تدل على معان حسنة فمنها ما يستحق بحقائقه كالقديم قبل كل شيء والباقي بعد كل شيء و
القادر على كل شيء والعالم بكل شيء والواحد الذي ليس كمثله شيء ومنها ما يستحسنه الانفس
لاثارها كالغفور والرحيم والشكور والحليم ومنها ما يوجب التخلق به كالمفضل و
العفو ومنها ما يوجب مراقبة الاحوال كالسميع والبصير والمقتدر ومنها ما يوجب
الاجلال كالعظيم والجبار والمتكبر فادعوه بها فسموه بتلك الاسماء وذروا الذين يلحدون
في اسمائه واتركوا تسمية الذين يميلون عن الحق والصواب فيها فيسمونه بغير الاسماء
الحسنى وذلك ان يسموه بما لا يجوز عليه الله نحو ان يقولوا يا سخي يا رفيق لانه لم يسم
نفسه بذلك ومن الالحاد تسميته بالجسم والجوهر والعقل والعلة يلحدون حمزة لحد
والحد قال سيجزون ما كانوا يعملون وممن خلقنا للجنة لانه في مقابلة ولقد ذرانا لجهنم امة
يهدون بالحق وبه يعدلون في احكامهم قيل هم العلماء والدعاة الى الدين وفيه دلالة على
ان اجتماع كل عصر حجة والذين كذبوا باياتنا سنستدرجهم سنستدنيهم قليلا قليلا الى ما
يهلكهم من حيث لا يعلمون ما يراد بهم وذلك ان يواتر الله نعمه مع انهماكهم في الغي فكلما
جدد عليهم نعمة ازدادوا بطرا وجددوا معصية فيتدرجون في المعاصي بسبب ترادف النعم
ظانين ان مواترة النعم اثرة من الله وتقريب وانما هي خذلان منه وتبعيد وهو استفعال
من الدرجة بمعنى الاستصعاد والاستنزال درجة بعد درجة واملي لهم وهو داخل في
حكم السين عطف على سنستدرجهم اي امهلهم ان كيدي متين اخذي شديد سماه كيدا لانه
شبيه بالكيد من حيث انه في الظاهر احسان وفي الحقيقة خذلان ولما نسبوا النبي صلى الله
عليه وسلم الى الجنون نزل اولم يتفكروا ما بصاحبهم محمد صلى الله عليه وسلم وما نافية بعد وقف
اي اولم يتفكروا في قولهم ثم نفى عنه الجنون بقوله ما بصاحبهم من جنة من جنون ان هو

الا نذير مبين منذر من الله موضح انذاره اولم ينظروا نظر استدلال في ملكوت السموات
والارض الملكوت الملك العظيم وما خلق الله من شيء وفيما خلق الله مما يقع عليه اسم الشيء
من اجناس لا يحصرها العدد وان عسى ان مخففة من الثقيلة والاصل وانه عسى والضمير
ضمير الشان وهو في موضع الجر بالعطف على ملكوت والمعنى اولم ينظروا في ان الشان و
الحديث عسى ان يكون قد اقترب اجلهم ولعلهم يموتون عما قريب فيسارعوا الى النظر
وطلب الحق وما ينجيهم قبل مفاجاة الاجل وحلول العقاب فباي حديث بعده بعد القران
يؤمنون اذا لم يؤمنوا به وهو متعلق بعسى ان يكون قد اقترب اجلهم كانه قيل لعل اجلهم قد
اقترب فما لهم لا يبادرون الايمان بالقران قبل الفوت وماذا ينتظرون بعد وضوح الحق
وباي حديث احق منه يريدون ان يؤمنوا به من يضلل الله فلا هادي له اي يضلله الله
ويذرهم بالياء عراقي وبالجزم حمزة وعلي عطفا على محل فلا هادي له كانه قيل من يضلل الله
لا يهده احد ويذرهم وبالرفع على الاستئناف اي وهو يذرهم الباقون بالنون في طغيانهم
كفرهم يعمهون يتحيرون ولما سالت اليهود او قريش عن الساعة متى تكون القيامة نزل
يسالونك عن الساعة وهي من الاسماء الغالبة كالنجم للثريا وسميت القيامة بالساعة
متى تكون القيامة لوقوعها بغتة او لسرعة حسابها او لانها عند الله على طولها كساعة
من الساعات عند الخلق ايان متى واشتقاقه من اي فعلان منه لان معناه اي وقت مرساها
اي ارساؤها مصدر مثل المدخل بمعنى الادخال او وقت ارسائها اي اثباتها الساعة احدا
والمعنى متى يرسيها الله قل انما علمها عند ربي اي علم وقت ارسائها عنده وقد استاثر به
لم يخبر به احدا من ملك مقرب ولا نبي مرسل ليكون ذلك ادعى الى الطاعة وازجر عن المعصية
كما اخفى الاجل الخاص وهو وقت الموت لذلك لا يجليها لوقتها الا هو لا يظهر امرها ولا
يكشف خفاء علمها الا هو وحده ثقلت في السموات والارض اي كل من اهلها من الملائكة و
الثقلين اهمه شان الساعة ويتمنى ان يتجلى له علمها وشق عليه خفاؤها وثقل عليه او
ثقلت فيها لان اهلها يخافون شدائدها واهوالها لا تاتيكم الا بغتة فجاة اي على غفلة منكم
يسالونك كانك حفي عنها كانك عالم بها وحقيقته كانك بليغ في السوال عنها لان من بالغ

في المسألة من الشيء والتنقير عنه استحكم علمه فيها واصل هذا التركيب المبالغة ومنه احفاء الشارب
او عنها متعلق بيسألونك اي يسألونك عنها كانك حفي اي عالم بها قل انما علمها عند الله و
كرر يسألونك وانما علمها عند الله للتاكيد ولزيادة كانك حفي عنها وعلى هذا تكرير العلماء
في كتبهم لا يخلون المكرر من فايدة منهم محمد بن الحسن رحمة الله عليه ولكن اكثر الناس لا
يعلمون انه المختص بالعلم بها قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله هو اظهار
للعبودية وبراءة عما يختص بالربوبية من علم الغيب اي انا عبد ضعيف لا املك لنفسي اجتلاب
نفع ولا دفع ضرر كالمماليك الا ما شاء مالكي من النفع لي والدفع مني ولو كنت اعلم
الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء اي لكانت حالي على خلاف ما هي عليه من
استكثار الخير واجتناب السوء والمضار حتى لا يمسني شيء منها ولم اكن غالبا مرة ومغلوبا
اخرى في الحروب وقيل الغيب الاجل والخير العمل والسوء الوجل وقيل لاستكثرت لاعتدت
من الخصب للجدب والسوء الفقر وقد مرد ان انا الا نذير وبشير ان انا الا عبد ارسلت
نذيرا وبشيرا وما من شاني ان اعلم الغيب واللام في لقوم يؤمنون يتعلق بالنذير والبشير
لان النذارة والبشارة انما ينفعان فيهم او بالبشير وحده والمتعلق بالنذير محذوف اي
الا نذير للكافرين وبشير لقوم يؤمنون هو الذي خلقكم من نفس واحدة هي نفس ادم عم
وجعل منها زوجها حواء خلقها من جسد ادم من ضلع من اضلاعه ليسكن اليها ليطمئن
اليها ويميل لان الجنس الى الجنس اميل خصوصا اذا كانت بعضا منه كما يسكن الانسان الى ولده
ويحبه محبة نفسه لكونه بضعة منه وذكر ليسكن بعد ما انث في قوله واحدة منها زوجها
ذهابا الى معنى النفس ليبين ان المراد بها ادم عليه السلام فلما تغشيها جامعها حملت حملا خفيفا
خف عليها ولم تلق منه كما تلقى بعض الحبالى من حملهن من الكرب والاذى ولم تستثقله كما
يستثقلنه فمرت به فمضت به الى وقت ميلاده من غير اخراج ولا ازلاق وحملت حملا
خفيفا يعني النطفة فمرت به فقامت به وقعدت فلما اثقلت حان وقت ثقل حملها دعوا الله
ربهما دعا ادم وحواء ربهما ومالك امرهما الذي هو الحقيق بان يدعى ويلتجى اليه فقالا
لئن اتيتنا صالحا لئن وهبت لنا ولدا سويا قد صلح بدنه او ولدا ذكرا لان الذكورة من

الصلاح

الصلاح لنكونن من الشاكرين لك والضمير في اتيتنا ولنكونن لهما ولكل من يتناسل من
ذريتهما فلما اتيهما صالحا اعطاهما ما طلباه من الولد الصالح السوي جعلا له شركاء اي جعل
اولادهما له شركاء على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وكذلك فيما اتيهما
اي اي اولادهما دليله فتعالى الله عما يشركون حيث جمع الضمير وادم وحواء بريان من
الشرك ومعنى اشراكهم فيما اتيهم الله تسميتهم اولادهم بعبد العزى وعبد مناة وعبد
شمس ونحو ذلك مكان عبد الله وعبد الرحمن وعبد الرحيم او يكون الخطاب لقريش الذين
كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم آل قصي اي هو الذي خلقكم من نفس قصي
وجعل من جنسها زوجها عربية قرشية ليسكن اليها فلما اتيهما ما طلبا من الولد الصالح السوي
جعلا له شركاء فيما اتيهما حيث سميا اولادهما الاربعة بعبد مناف وعبد العزى وعبد قصي
وعبد الدار والضمير في يشركون لهما ولاعقابهما الذين اقتدوا بهما في الشرك شركا مدني و
ابي بكر اي ذوي شرك وهم الشركاء ايشركون ما لا يخلق شيئا يعني الاصنام وهم يخلقون
اجريت الاصنام مجرى اولي العلم بناء على اعتقادهم فيها وتسميتهم اياها آلهة والمعنى
ايشركون ما لا يقدر على خلق شيء وهم يخلقون لان الله تعالى خالقهم او الضمير في وهم
يخلقون للعابدين اي ايشركون ما لا يخلق شيئا وهم مخلوقو الله فليعبدوا خالقهم او للعابدين
والمعبودين وجمعهم كاولي العلم تغليبا للعابدين ولا يستطيعون لهم لعبدتهم نصرا ولا
انفسهم ينصرون فيدفعون عنها ما يعتريها من الحوادث كالكسر وغيره بل عبدتهم
هم الذين يدفعون عنهم وان تدعوهم وان تدعوا هؤلاء الاصنام الى الهدى اي الى ما هو هدى
ورشاد او الى ان يهدوكم اي وان تطلبوا منهم كما تطلبون من الله الخير والهدى لا
يتبعوكم الى مرادكم وطلبتكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله لا يتبعوكم نافع سواء عليكم
ادعوتموهم ام انتم صامتون عن دعائهم في انه لا فلاح معهم ولا يجيبونكم والعدول
عن الجملة الفعلية الى الاسمية لرؤوس الاي ان الذين تدعون من دون الله اي تعبدونهم
وتسمونهم آلهة عباد امثالكم مخلوقون مملوكون امثالكم فادعوهم لجلب نفع او دفع
ضرر فليستجيبوا لكم فليجيبوا ان كنتم صادقين في انهم آلهة ثم ابطل ان يكونوا عبادا امثالهم

فقال الهم ارجل يمشون بها مشيكم ام لهم ايد يبطشون بها يتناولون بها ام لهم اعين
يبصرون بها ام لهم اذان يسمعون بها اى فلم تعبدون ما هو دونكم قل ادعوا شركاءكم
واستعينوا بهم في عداوتي ثم كيدون جميعا انتم وشركاءكم وبالياء يعقوب وافقه
ابو عمرو في الوصل فلا تنظرون فانى لا ابالى بكم وكانوا قد خوفوه آلهتهم فامر ان يخاطبهم
بذلك وبالياء يعقوب ان وليى ناصرى عليكم الله الذى نزل الكتاب اوحى الى واعزنى
برسالته وهو يتولى الصالحين ومن سنته ان ينصر الصالحين من عباده ولا يخذلهم والذين
تدعون من دونه من دون الله لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون وان تدعوهم
الى الهدى لا يسمعوا وتريهم ينظرون اليك يشبهون الناظرين اليك لانهم صوروا
احداقهم بصورة من قلب حدقته الى الشيء ينظر اليه وهم لا يبصرون المرئى خذ
العفو وهو ضد الجهد اى ما عفا لك من اخلاق الناس وافعالهم ولا تطلب منهم الجهد
وما يشق عليهم حتى لا ينفروا لقوله عليه الصلوة والسلام يسروا ولا تعسروا وامر
بالعرف بالمعروف والجميل من الافعال وهو كل خصلة يرتضيها العقل ويقبلها الشرع
واعرض عن الجاهلين ولا تكافئ السفهاء بمثل سفههم ولا تمارهم واحلم عنهم وفسرها
جبرئيل عليه السلام بقوله صل من قطعك واعط من حرمك واعف عمن ظلمك وعن الصادق
امر الله نبيه عليه الصلوة والسلام بمكارم الاخلاق وليس في القران اية اجمع لمكارم
الاخلاق منها واما ينزغنك من الشيطان نزغ واما ينخسنك منه نخس بان يحملك بوسوسته
على خلاف ما امرت به فاستعذ بالله ولا تطعه والنزغ النخس كانه ينخس الناس حين
يغريهم على المعاصي وجعل النزغ نازغا كما قيل جد جده او اريد بنزغ الشيطان اعتراء
الغضب كقول ابى بكر رض ان لى شيطانا يعتريني انه لسميع لنزغه عليم بدفعه ان الذين
اتقوا اذا مسهم طايف من الشيطان طيف مكي وبصري وعلي اى لمة منه مصدر بمعنى من
قولهم طاف به الخيال يطيف طيفا وعن ابى عمرو هما واحد وهي الوسوسة وهذا تاكيد لما
تقدم من وجوب الاستعاذة بالله عند نزغ الشيطان وان عادة المتقين اذا اصابهم ادنى
نزغ من الشيطان والمام بوسوسته تذكروا ما امر الله به ونهى عنه فاذا هم مبصرون فابصروا

السداد ودفعوا وسوسته وحقيقته ان يفر منه الى الله تعالى فيزداد بصيرة من الله
بالله واخوانهم واما اخوان الشيطان من شياطين الانس فان الشياطين يمدونهم في الغي
اى يكونون مددا لهم فيه ويعضدونهم يمدونهم من الامداد مدني ثم لا يقصرون ثم لا
يمسكون من اغوائهم حتى يصروا ولا يرجعوا وجاز ان يراد بالاخوان الشياطين ويرجع الضمير
المتعلق به الى الجاهلين والاول اوجه لان اخوانهم في مقابلة الذين اتقوا وانما جمع الضمير
في اخوانهم والشيطان مفرد لان المراد به الجنس واذا لم تاتهم باية مقترحة قالوا لولا اجتبيتها
هلا اخترتها اى اختلقتها كما اختلقت ما قبلها قل انما اتبع ما يوحى الى من ربى ولست
بمقترح لها هذا بصاير من ربكم هذا القران دلايل تبصركم وجوه الحق وهدى ورحمة لقوم
يومنون به واذا قرئ القران فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون ظاهره وجوب
الاستماع والانصات وقت قراءة القران في الصلوة وغيرها وقيل معناه اذا تلا عليكم
الرسول القران عند نزوله فاستمعوا له وجمهور الصحابة رضى الله عنهم على انه في استماع
الموتم وقيل في استماع الخطبة وقيل فيهما وهو الاصح واذكر ربك في نفسك هو عام في
الاذكار من قراءة القران والدعاء والتسبيح والتهليل وغير ذلك تضرعا وخيفة متضرعا
وخايفا ودون الجهر من القول ومتكلما كلاما دون الجهر لان الاخفاء ادخل في الاخلاص
واقرب الى حسن التفكر بالغدو والاصال لفضل هذين الوقتين وقيل المراد ادامة الذكر
باستقامة الفكر ومعنى بالغدو باوقات الغدو وهي الغدوات والاصال جمع اصل و
الاصل جمع اصيل وهو العشي ولا تكن من الغافلين من الذين يغفلون عن ذكر الله و
يلهون عنه ان الذين عند ربك مكانة ومنزلة لا مكانا ومنزلا يعنى الملائكة لا يستكبرون
عن عبادته لا يتعظمون عنها ويسبحونه وينزهونه عما لا يليق به وله يسجدون و
يخصونه بالعبادة لا يشركون به غيره

سورة الانفال مدنية وهي خمس او ست او سبع وسبعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

يسالونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول النفل الغنيمة لانها من فضل الله و
عطائه والانفال الغنائم ولقد وقع اختلاف بين المسلمين في غنائم بدر وفي قسمتها

فسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يقسم ولمن الحكم في قسمتها للمهاجرين ام للانصار
ام لهم جميعا فقيل له قل لهم هي لرسول الله وهو الحاكم فيها خاصة يحكم فيها ما يشاء ليس لاحد
غيره فيها حكم ومعنى الجمع بين ذكر الله والرسول ان حكمها مختص بالله ورسوله يامر الله
بقسمتها على ما تقتضيه حكمته ويمتثل الرسول امر الله فيها والتحاكم فيها وليس الامر في قسمتها
مفوضا الى راى احد فاتقوا الله في الاختلاف والتخاصم وكونوا متاخين في الله واصلحوا
ذات بينكم احوال بينكم يعني ما بينكم من الاحوال حتى تكون احوال الفة ومحبة واتفاق
قال الزجاج معنى ذات بينكم حقيقة وصلكم والبين الوصل اي فاتقوا الله وكونوا مجتمعين
على ما امر الله ورسوله به قال عبادة بن الصامت نزلت فينا يا معشر اصحاب بدر حين
اختلفنا في النفل وساءت فيه اخلاقنا فنزعه الله من ايدينا فجعله لرسول الله صلى الله
عليه وسلم فقسمه بين المسلمين على السواء واطيعوا الله ورسوله فيما امرتم به في الغنائم
وغيرها ان كنتم مؤمنين كاملي الايمان انما المؤمنون انما كاملو الايمان الذين اذا ذكر الله
وجلت قلوبهم فزعت لذكره استعظاما له وتهيبا من جلاله وعزه وسلطانه واذا تليت
عليهم اياته اي القران زادتهم ايمانا ازدادوا بها يقينا وطمانينة لان تظاهر الادلة اقوى
للمدلول عليه واثبت لقدمه او زادتهم ايمانا بتلك الايات لانهم لم يؤمنوا باحكامها قبل
وعلى ربهم يتوكلون يعتمدون ولا يفوضون امورهم الى غير ربهم لا يخشون ولا يرجون
الا اياه الذين يقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون جمع بين اعمال القلوب من الوجل
والاخلاص والتوكل وبين اعمال الجوارح من الصلوة والصدقة اولئك هم المؤمنون حقا
هو صفة لمصدر محذوف اي اولئك هم المؤمنون ايمانا حقا او هو مصدر مؤكد للجملة
التي هي اولئك هم المؤمنون كقولك هو عبد الله حقا وعن الحسن رحمه الله ان رجلا
ساله امؤمن انت فقال ان كنت سالتني عن الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله و
اليوم الاخر والجنة والنار والبعث والحساب فانا مؤمن واذا كنت تسالني عن قوله
انما المؤمنون الاية فلا ادري امنهم انا ام لا وعن الثوري من زعم انه مؤمن بالله حقا
ثم لم يشهد انه من اهل الجنة فقد آمن قال بنصف الاية اي كما لا يقطع بانه من اهل الجنة فلا يقطع

ثواب المومنين

ثواب المومنين فلا يقطع بانه مؤمن حقا وبهذا يتشبث من يقول انا مؤمن ان شاء الله
وكان ابو حنيفة رح لا يقول ذلك وقال لقتادة لم تستثني في ايمانك قال اتباعا لابراهيم
عليه السلام في قوله والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين فقال له هلا اقتديت به
في قوله اولم تؤمن قال بلى وعن ابراهيم التيمي قل انا مؤمن حقا فان صدقت اثبت عليه
وان كنت كاذبا فكفرك اشد من كذبك وعن ابن عباس رض من لم يكن منافقا فهو مؤمن حقا
وقد احتج عبد الله على احمد فقال ايش اسمك فقال احمد فقال اتقول انا احمد حقا او انا
احمد ان شاء الله تعالى فقال انا احمد حقا فقال حيث سماك والداك لا تستثني وقد سماك
الله في القران مؤمن تستثني لهم درجات مراتب بعضها فوق بعض على قدر الاعمال عند
ربهم ومغفرة وتجاوز لسيئاتهم ورزق كريم صاف من كد الاكتساب وخوف الحساب
الكاف في كما اخرجك ربك في محل النصب على انه صفة مصدر الفعل المقدر والتقدير قل الانفال
استقرت لله والرسول وثبتت مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات اخراج ربك اياك من بيتك
وهم كارهون من بيتك يريد بيته بالمدينة او المدينة نفسها لانها مهاجره ومسكنه فهي
في اختصاصها به كاختصاص البيت بساكنه بالحق اخراجا ملتبسا بالحكمة والصواب وان فريقا
من المؤمنين لكارهون في موضع الحال اي اخرجك في حال كراهتهم وذلك ان عير قريش اقبلت
من الشام فيها تجارة عظيمة ومعها اربعون راكبا منهم ابو سفيان فاخبر جبرئيل عليه السلام
النبي عليه الصلوة والسلام فاخبر اصحابه فاعجبهم تلقي العير لكثرة الخير وقلة القوم فلما خرجوا
علمت قريش بذلك فخرج ابو جهل بجميع اهل مكة وهم النفير في المثل السائر لا في العير ولا
في النفير فقيل له ان العير اخذت طريق الساحل ونجت فابى وسار بمن معه الى بدر وهو
ماء كانت العرب يجتمع فيه لسوقهم يوما في السنة ونزل جبرئيل عليه السلام فقال يا محمد ان الله
وعدكم احدى الطائفتين اما العير واما قريشا فاستشار النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه وقال
النبي صلى الله عليه وسلم العير احب اليكم ام النفير قالوا بل العير احب الينا من لقاء العدو فتغير
وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رد عليهم فقال ان العير قد مضت على ساحل البحر وهذا
ابو جهل قد اقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فقام عند غضب النبي عم

ابوبكر وعمر رض فاحسنا ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر امرك فامض فوالله لو سرت الى عدن
ابين ما تخلف عنك رجل من الانصار ثم قال المقداد بن عمرو امض لما امرك الله فانا معك
حيثما احببت لا نقول لك كما قال بنو اسرائيل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا
قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون ما دامت عين منا تطرف
فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال سعد بن معاذ امض يا رسول الله كما اردت فوالذي
بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد فسر بنا
على بركة الله ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم وبسطه قول سعد ثم قال سيروا على بركة
الله وابشروا فان الله وعدني احدى الطائفتين والله لكاني الآن انظر الى مصارع القوم
وكانت الكراهة من بعضهم لقوله وان فريقا من المؤمنين لكارهون قال الشيخ ابو منصور رح
يحتمل انهم منافقون كرهوا ذلك اعتقادا ويحتمل ان يكونوا مخلصين ويكون ذلك كراهة
طبع لانهم غير متاهبين له يجادلونك في الحق الحق الذي جادلوا فيه رسول الله تلقي النفير
لانهم ايثارهم عليه تلقي العير بعد ما تبين لهم بعد اعلام رسول الله بانهم ينصرون وجدالهم
قولهم ما كان خروجنا الا للعير وهلا قلت لنا لنستعد وذلك لكراهتهم القتال كانما يساقون
الى الموت وهم ينظرون شبه حالهم في فرط فزعهم وهم يسار بهم الى الظفر والغنيمة بحال
من يعتل الى القتل ويساق على الصغار الى الموت وهو مشاهد لاسبابه ناظر اليها لا يشك
فيها وقيل كان فرقهم لقلة العدد وانهم كانوا رجالة وما كان فيهم الا فارسان واذ
يعدكم الله احدى الطائفتين اذ منصوب باذكر واحدى مفعول ثان ليعد انها لكم بدل من
احدى الطائفتين وهما العير والنفير والتقدير واذ يعدكم الله ان احدى الطائفتين لكم و
تودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم اي العير وذات الشوكة ذات السلاح والشوكة
كانت في النفير لعددهم وعدتهم اي تتمنون ان تكون لكم العير لانها الطائفة التي لا سلاح
لها ولا تريدون الطائفة الاخرى ويريد الله ان يحق الحق ان يثبته ويعليه بكلماته الله
باياته المنزلة في محاربة ذات الشوكة وبما امر الملائكة من نزولهم للنصرة وبما قضى من قتلهم
وطرحهم في قليب بدر ويقطع دابر الكافرين آخرهم والدابر الآخر فاعل من دبر اذا دبر وقطع

الدابر عبارة عن الاستيصال يعني انكم تريدون الفائدة العاجلة وسفساف الامور والله تع
يريد معالي الامور ونصرة الحق وعلو الكلمة وشتان ما بين المرادين ولذلك اختار لكم الطائفة
ذات الشوكة وكسر قوتهم بضعفكم واعزكم واذلهم ليحق الحق متعلق بيقطع او بمحذوف تقديره
ليحق الحق ويبطل الباطل فعل ذلك والمقدر مؤخر ليفيد الاختصاص اي ما فعله الا لهما وهو اثبات
الاسلام واظهاره وابطال الكفر ومحقه وليس هذا بتكرار لان الاول تمييز بين الارادتين وهذا
بيان لمراده فيما فعل من اختيار ذات الشوكة على غيرها لهم ونصرهم عليها ولو كره المجرمون
المشركون ذلك اذ تستغيثون ربكم بدل من اذ يعدكم او متعلق بقوله ليحق الحق ويبطل الباطل
واستغاثتهم انهم لما علموا انه لا بد من القتال طفقوا يدعون الله يقولون اي رب انصرنا على
عدوكم يا غياث المستغيثين اغثنا وهي طلب الغوث وهو التخليص من المكروه فاستجاب
لكم فاجاب واصل اني ممدكم باني ممدكم فحذف الجار وسلط عليه استجاب فنصب محله بالف
من الملائكة مردفين مدني غيره بكسر الدال فالكسر على انهم اردفوا غيرهم اردف كل ملك
ملكا آخر والفتح على انه اردف كل ملك ملكا اخر يقال ردفه اذا تبعه واردفته اذا اتبعته
٧ اياهم
وما جعله الله اي الامداد الذي دل عليه ممدكم الا بشرى الا بشارة لكم بالنصرة ولتطمئن به قلوبكم
يعني انكم استغثتم وتضرعتم لقلتكم فكان الامداد بالملائكة بشارة لكم بالنصرة وتسكينا
منكم وربطا على قلوبكم وما النصر الا من عند الله اي ولا تحسبوا النصر من الملائكة فان الناصر
هو الله لكم وللملائكة او وما النصر بالملائكة وغيرهم من الاسباب الا من عند الله والمنصور
من نصره الله واختلف في قتال الملائكة يوم بدر وقيل نزل جبريل في خمسماية ملك على الميمنة
وفيها ابو بكر وميكائيل في خمسماية ملك على الميسرة وفيها علي في صور الرجال عليهم ثياب
بيض وعمائم بيض قد ارخوا اذيالها بين اكتافهم فقاتلت حتى قال ابو جهل لابن مسعود من
اين كان ياتينا الضرب ولا نرى الشخص قال من قبل الملائكة قال فهم غلبونا لا انتم وقيل لم يقاتلوا
وانما كانوا يكثرون السواد ويثبتون المؤمنين والا فملك واحد كاف في اهلاك اهل الدنيا
ان الله عزيز بنصر اوليائه حكيم بقهر اعدائه اذ يغشيكم بدل ثان من اذ يعدكم او منصوب بالنصر
او باضمار اذكر يغشيكم مدني النعاس النوم والفاعل هو الله مكي القراءتين يغشيكم النعاس مكي

وابو عمرو امنة مفعول له اى اذ تغشون امنة بمعنى امنا اى لامنكم او مصدر اى فامنتم امنة
بمعنى امنا فالنوم يزيح الرعب ويريح النفس منه صفة لها اى امنة حاصلة لكم من الله وينزل
بالتخفيف مكى وبصرى وبالتشديد غيرهم عليكم من السماء ماء مطرا ليطهركم به بالماء
من الحدث والجنابة ويذهب عنكم رجز الشيطان وسوسته اليهم وتخويفه اياهم من العطش
او الجنابة من الاحتلام لانه من الشيطان ووسوس اليهم ان لا نصرة مع الجنابة وليربط على
قلوبكم بالصبر ويثبت به الاقدام اى بالماء اذ الاقدام كانت تسوخ فى الرمل او بالربط لان
القلب اذا تمكن فيه الصبر تثبت القدم فى مواطن القتال اذ يوحى بدل ثالث من اذ يعدكم او
منصوب بيثبت ربك الى الملائكة انى معكم بالنصرة فثبتوا الذين آمنوا بالبشرى فكان الملك
يسير امام الصف فى صورة رجل ويقول ابشروا فان الله ناصركم سالقى فى قلوب الذين
كفروا الرعب هو امتلاء القلب من الخوف والرعب شامى وعلى فاضربوا امر للمومنين او
للملائكة وفيه دليل على انهم قاتلوا فوق الاعناق اى اعالى الاعناق التى هى المذابح تطييرا للرؤس
او اراد الرؤس لانها فوق الاعناق يعنى ضرب الهام واضربوا منهم كل بنان هى الاصابع يريد
الاطراف والمعنى فاضربوا المقاتل والشوى لان الضرب اما ان يقع على مقتل او غير مقتل فامرهم
ان يجمعوا عليهم النوعين ذلك اشارة الى ما اصابهم من الضرب والقتل والعقاب العاجل
وهو مبتداء وخبره بانهم شاقوا الله ورسوله اى ذلك العقاب وقع عليهم بسبب مشاقتهم
اى مخالفتهم وهى مشتقة من الشق لان كلا المتعاديين فى شق خلاف شق صاحبه وكذا
المعاداة والمخاصمة لان هذا فى عدوة وخصم اى جانب وذا فى عدوة وخصم ومن يشاقق
الله ورسوله فان الله شديد العقاب والكاف فى ذلك لخطاب الرسول او لكل واحد
وفى ذلكم للكفرة على طريقة الالتفات ومحله الرفع على ذلكم العقاب او العقاب ذلكم فذوقوه
والواو فى وان للكافرين عذاب النار بمعنى مع اى ذوقوا هذا العذاب العاجل مع الآجل
الذى فى الآخرة فوضع الظاهر موضع الضمير يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا
زحفا حال من الذين كفروا والزحف الجيش الدهم الذى يرى لكثرته كانه يزحف اى يدب
دبيبا من زحف الصبى اذا دب على استه قليلا قليلا سمى بالمصدر فلا تولوهم الادبار فلا تنصرفوا

عنهم منهزمين اى اذا لقيتموهم للقتال وهم كثير وانتم قليل فلا تفروا فضلا ان تدانوهم
فى العدد او تساووهم او حال من المومنين او من الفريقين اى اذا لقيتموهم متزاحفين
هم وانتم ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا مايلا لقتال وهو الكر بعد الفر يخيل عدوه
انه منهزم ثم يعطف عليه وهو من خدع الحرب او متحيزا منضما الى فئة الى جماعة اخرى من
المسلمين سوى الفئة التى هو فيها وهما حالان من ضمير الفاعل فى يولهم فقد باء بغضب من
الله وماويه جهنم وبئس المصير ووزن متحيز متفيعل لا متفعل لانه من حاز يحوز فبناء
متفعل منه متحوز ولما كسروا اهل مكة وقتلوا واسروا وكان القاتل منهم يقول تفاخرا
قتلت واسرت قيل لهم فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم والفاء جواب شرط محذوف
تقديره ان افتخرتم بقتلهم فانتم لم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ولما قال جبريل للنبى عليه السلام
خذ قبضة من تراب فارمهم بها فرمى بها فى وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق من
مشرك الا اشتغل بعينه وانهزموا قيل وما رميت يا محمد اذ رميت ولكن الله رمى يعنى
ان الرمية التى رميتها انت لم ترمها انت على الحقيقة لانك لو رميتها لما بلغ اثرها الا ما يبلغه
اثر رمى البشر ولكنها كانت رمية الله حيث اثرت ذلك الاثر العظيم وفى الآية بيان ان
فعل العبد مضاف اليه كسبا والى الله تعالى خلقا لا كما يقول الجبرية والمعتزلة لانه اثبت
الفعل من العبد بقوله اذ رميت ثم نفى عنه واثبته لله تعالى بقوله وما رميت اذ رميت
ولكن الله رمى ولكن الله قتلهم بتخفيف لكن شامى وحمزة وعلى وليبلى المومنين و
ليعطيهم منه بلاء حسنا عطاء جميلا والمعنى وللاحسان الى المومنين فعل ما فعل وما
فعل الا لذلك ان الله سميع لدعائهم عليم باحوالهم ذلكم اشارة الى البلاء الحسن
ومحله الرفع اى الامر ذلكم وان الله موهن كيد الكافرين معطوف على ذلكم اى المراد ابلاء
المومنين وتوهين كيد الكافرين موهن كيد شامى وكوفى غير حفص موهن كيد حفص
موهن كيد غيرهم ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح ان تستنصروا فقد جاءكم النصر عليكم
وهو خطاب لاهل مكة لانهم حين ارادوا ان ينفروا تعلقوا باستار الكعبة وقالوا اللهم
ان كان محمد على حق فانصره وان كنا على حق فانصرنا وقيل ان تستفتحوا خطاب للمومنين وان

تنتهوا للكافرين اى وان انتهوا عن عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو اى الانتهاء
خير لكم واسلم وان تعودوا المحاربة نعد لنصرته عليكم ولن تغنى عنكم فئتكم جمعكم شيئا
ولو كثرت عددا وان الله مع المؤمنين بالفتح مدنى وشامى وحفص اى ولان الله مع المؤمنين
بالنصرة كان ذلك وبالكسر غيرهم يؤيد قراءة عبد الله رضى الله عنه والله مع المؤمنين
يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه عن رسول الله لان المعنى و
اطيعوا رسول الله كقوله والله ورسوله احق ان يرضوه ولان طاعة الرسول وطاعة الله
شىء واحد من يطع الرسول فقد اطاع الله فكان رجوع الضمير الى احدهما كرجوعه اليهما كقولك
الاحسان والاجمال لا ينفع فى فلان او يرجع الضمير الى الامر بالطاعة اى ولا تولوا عن هذا
الامر وامتثاله واصله ولا تتولوا فحذفت احدى التائين تخفيفا وانتم تسمعون اى
وانتم تسمعونه اى ولا تتولوا عن رسول الله ولا تخالفوه وانتم تسمعون اى تصدقون
لانكم مؤمنون لستم كالصم المكذبين من الكفرة ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا اى ادعوا
السماع وهم المنافقون واهل الكتاب وهم لا يسمعون لانهم ليسوا بمصدقين فكانهم غير
سامعين والمعنى انكم تصدقون بالقران والنبوة فاذا توليتم عن طاعة الرسول فى بعض
الامور من قسمة الغنائم وغيرها اشبه سماعكم سماع من لا يؤمن ثم قال ان شر الدواب
عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون اى ان شر من يدب على وجه الارض او ان شر البهائم
الذين هم صم عن الحق لا يعقلونه جعلهم من جنس البهائم ثم جعلهم شرها لانهم عاندوا
بعد الفهم وكابروا بعد العقل ولو علم الله فيهم فى هؤلاء الصم البكم خيرا صدقا ورغبة
لاسمعهم جعلهم سامعين حتى يسمعوا سماع المصدقين ولو اسمعهم لتولوا اى ولو اسمعهم
وصدقوا لارتدوا بعد ذلك ولم يستقيموا وهم معرضون عن الايمان يا ايها الذين امنوا
استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم وحد الضمير ايضا كما وحد فيما قبله لان استجابة رسول الله
كاستجابته والمراد بالاستجابة الطاعة والامتثال وبالدعوة البعث والتحريض لما يحييكم من
علوم الديانات والشرائع لان العلم حيوة كما ان الجهل موت قال الشاعر لا تعجبن الجهول
حلته فذلك ميت وثوبه كفنه او لمجاهدة الكفار لانهم لو رفضوها لغلبوهم وقتلوهم او

للشهادة

للشهادة لقوله تعالى بل احياء عند ربهم واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه اى يميته فتفوته
الفرصة التى هى واجدها وهى التمكن من اخلاص القلب فاغتنموا هذه الفرصة واخلصوا قلوبكم
لطاعة الله ورسوله او بينه وبين ما تمناه بقلبه من طول الحيوة فيفسخ عزايمه وانه اليه
تحشرون واعلموا انكم اليه تحشرون فيثيبكم على حسب سلامة القلوب واخلاص الطاعة
واتقوا فتنة عذابا لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة وهو جواب للامر اى ان اصابتكم
لا تصيبن الظالمين منكم خاصة ولكنها تعمكم وجاز ان تدخل النون المؤكدة فى جواب الامر
لان فيه معنى النهى كما اذا قلت انزل عن الدابة لا تطرحك وجاز لا تطرحنك ومن فى
منكم للتبعيض واعلموا ان الله شديد العقاب اذا عاقب واذكروا اذ انتم قليل اذ
مفعول به لا ظرف اى واذكروا وقت كونكم اقلة اذلة مستضعفون فى الارض ارض مكة
قبل الهجرة يستضعفكم قريش تخافون ان يتخطفكم الناس لان الناس كانوا لهم اعداء و
مضادين فاويكم الى المدينة وايدكم بنصره بمظاهرة الانصار وبامداد الملائكة يوم بدر
ورزقكم من الطيبات من الغنائم ولم تحل لاحد قبلكم لعلكم تشكرون هذه النعم يا ايها
الذين امنوا لا تخونوا الله بان تعطلوا فرايضه والرسول بان لا تستنوا به وتخونوا
جزم عطف على لا تخونوا اى ولا تخونوا اماناتكم فيما بينكم بان لا تحفظوها وانتم تعلمون
تبعة ذلك ووباله او وانتم تعلمون انكم تخونون يعنى ان الخيانة توجد منكم عن تعمد لا عن
سهو او وانتم علماء تعلمون حسن الحسن وقبح القبيح ومعنى الخون النقص كما ان معنى
الوفاء التمام ومنه تخونه اذا تنقصه ثم استعمل فى ضد الامانة والوفاء لانك اذا خنت الرجل
فى شىء فقد ادخلت عليه النقصان فيه واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة اى سبب الوقوع
فى الفتنة وهى الاثم والعذاب او محنة من الله ليبلوكم كيف تحافظون فيهم على حدوده وان
الله عنده اجر عظيم فعليكم ان تحرصوا على طلب ذلك وتزهدوا فى الدنيا ولا تحرصوا على
جمع الاموال وحب الاولاد يا ايها الذين امنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا نصرا لانه يفرق
بين الحق والباطل وبين الكفر باذلال حزبه والاسلام باعزاز اهله او بيانا وظهورا يشهر امركم
ويبث حيثكم واثاركم فى اقطار الارض من قولهم سطع الفرقان اى طلع الفجر او مخرجا من الشبهات

المال

وشرحا للصدور او تفرقة بينكم وبين غيركم من اهل الاديان وفضلا ومزية في الدنيا و
الاخرة ويكفر عنكم سياتكم اى الصغاير ويغفر لكم ذنوبكم اى الكباير والله ذو الفضل العظيم
على عباده واذ يمكر بك الذين كفروا لما فتح الله عليه ذكره مكر قريش به حين كان بمكة ليشكر
نعمة الله في نجاته من مكرهم واستيلايه عليهم والمعنى واذكر اذ يمكرون بك وذلك ان قريشا
لما اسلمت الانصار فرقوا ان يتفاقم امره فاجتمعوا في دار الندوة تشاورون في امره فدخل
عليهم ابليس في صورة شيخ وقال انا شيخ من نجد دخلت مكة فسمعت باجتماعكم فاردت
ان احضركم ولن تعدموا مني رايا ونصحا فقال ابو البختري رايي ان تحبسوه في بيت وتشدوا
وثاقه وتسدوا بابه غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها وتتربصوا به ريب حوادث
المنون فقال ابليس بئس الراى رايكم ياتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من ايديكم فقال
هشام بن عمرو رايي ان تحملوه على جمل وتخرجوه من بين اظهركم فلا يضركم ما صنع و
استرحتم فقال بئس الراى رايكم ياتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من ايديكم فقال هشام
بن عمرو رايي ان تحملوه على جمل وتخرجوه من بين اظهركم فلا يضركم ما صنع واسترحتم فقال
بئس الراى رايكم يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل انا ارى ان تاخذوا من كل بطن
غلاما وتعطوه سيفا فيضربوه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه في القبائل فلا يقوى بنو
هاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه واسترحنا فقال الشيخ صدق هذا
الفتى هو اجودكم رايا فتفرقوا على راى ابي جهل مجتمعين على قتله فاخبر جبريل عليه السلام
رسول الله صلى الله عليه وسلم وامره ان لا يبيت في مضجعه واذن له الله في الهجرة فامر عليا
رضي الله عنه فنام في مضجعه واذن له الله في الهجرة فامر عليا وقال له اتشح ببردي فانه
لن يخلص اليك امر تكرهه وباتوا مترصدين فلما اصبحوا ثاروا الى مضجعه فابصروا عليا
رضي الله عنه فبهتوا وخيب الله سعيهم واقتصوا اثره فابطل مكرهم ليثبتوك ليحبسوك
ويوثقوك او يقتلوك بسيوفهم او يخرجوك من مكة ويمكرون ويخفون بك المكايد و
يمكر الله ويخفي الله لهم ما اعد لهم حتى ياتيهم الله بغتة والله خير الماكرين اى مكره انفذ من
مكر غيره وابلغ تاثيرا كان عليه الصلوة والسلام يقرا القران ويذكر اخبار القرون الماضية

كل م ٢

في قراءته

في قراءته فقال النضر بن الحارث لو شئت لقلت مثل هذا وهو الذي جاء من بلاد فارس
بنسخة حديث رستم واحاديث العجم فنزل واذا تتلى عليهم اياتنا اى القران قالوا قد سمعنا
لو نشاء لقلنا مثل هذا ان هذا الا اساطير الاولين وهذا صلف ووقاحة لانهم دعوا
الى ان ياتوا بسورة من مثل القران فلم ياتوا به واذ قالوا اللهم ان كان هذا القران هو
الحق من عندك هذا اسم كان وهو فصل والحق خبر كان روى ان النضر لما قال ان هذا
الا اساطير الاولين قال له النبي صلى الله عليه وسلم ويلك ان هذا كلام الله فرفع النضر راسه
الى السماء وقال ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء اى ان كان
هذا القران هو الحق فعاقبنا على انكاره بالسجيل كما فعلت باصحاب الفيل او ائتنا بعذاب
اليم نوع اخر من جنس العذاب الاليم فقتل يوم بدر صبرا وعن معاوية انه قال لرجل
من سبا ما اجهل قومك حين ملكوا عليهم امراة قال اجهل من قومي قومك قالوا لرسول الله
حين دعاهم الى الحق ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء ولم
يقولوا ان كان هذا هو الحق فاهدنا له وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم اللام لتاكيد
النفي والدلالة على ان تعذيبهم وانت بين اظهرهم غير مستقيم لانك بعثت رحمة للعالمين
وسنة الله لا يعذب قوما عذاب استيصال ما دام نبيهم بين اظهرهم وفيه اشعار بانهم
مرصدون بالعذاب اذا هاجر عنهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون هو في موضع
الحال ومعناه نفي الاستغفار عنهم اى ولو كانوا ممن يومن ويستغفر من الكفر لما عذبهم
او معناه وما كان الله معذبهم وفيهم من يستغفر وهم المسلمون بين اظهرهم ممن تخلف
عن رسول الله من المستضعفين وما لهم ان لا يعذبهم الله اى وما كان الله ليعذبهم وانت
فيهم وهو معذبهم اذا فارقتهم وما لهم ان لا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد
الحرام وكيف لا يعذبون وحالهم انهم يصدون عن المسجد الحرام كما صدوا رسول الله عام
الحديبية واخراجهم رسول الله عليه الصلوة والسلام والمومنين من الصد وكانوا يقولون
نحن ولاة البيت الحرام فنصد من نشاء وندخل من نشاء فقيل وما كانوا اولياءه وما استحقوا
مع اشراكهم وعداوتهم للدين ان يكونوا ولاة امر الحرام ان اولياءه الا المتقون من

وقيل الضميران راجعان الى الله ولكن اكثرهم لا يعلمون ذلك كانه استثنى من كان يعلم وهو
يعاند او اراد بالاكثر الجميع كما يراد بالقلة العدم وما كان صلوتهم عند البيت الا مكاء و
تصدية صفيرا كصوت المكاء وهو طاير يليح الصوت وهو فعال من مكا يمكو اذا صفر
وتصديه وتصفيقا تفعلة من الصداء وذلك انهم كانوا يطوفون بالبيت عراة وهم مشبكون
بين اصابعهم يصفرون فيها ويصفقون وكانوا يفعلون نحو ذلك اذا قرا رسول الله
صلى الله عليه وسلم في صلوته يخلطون عليه فذوقوا العذاب عذاب القتل والاسر يوم بدر
بما كنتم تكفرون بسبب كفركم ونزل في المطعمين يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلا وكلهم من قريش
وكان يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزاير ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن
سبيل الله اى كان غرضهم في الانفاق الصد عن اتباع محمد وهو سبيل الله فسينفقونها ثم
تكون عليهم حسرة ثم تكون عاقبة انفاقها ندما وحسرة فكان ذاتها تصير ندما وتنقلب
حسرة ثم يغلبون آخر الامر وهو من دلايل النبوة لانه اخبر عنه قبل وقوعه فكان كما اخبر
والذين كفروا والكافرون منهم الى جهنم يحشرون لان منهم من اسلم وحسن اسلامه والله
في ليميز الله الخبيث الفريق الخبيث من الكفار من الطيب من الفريق الطيب من المومنين
متعلق بيحشرون ليميز حمزة وعلى ويجعل الخبيث الفريق الخبيث بعضه على بعض فيركمه
جميعا فيجمعه فيجعله في جهنم اى الفريق الخبيث اوليك اشارة الى الفريق الخبيث هم الخاسرون
انفسهم واموالهم قل للذين كفروا اى ابى سفيان واصحابه ان ينتهوا عما هم عليه من عداوة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتاله بالدخول في الاسلام يغفر لهم ما قد سلف لهم من العداوة
وان يعودوا لقتاله فقد مضت سنة الاولين بالاهلاك في الدنيا والعذاب في العقبى
او معناه ان الكفار اذا انتهوا عن الكفر واسلموا غفر لهم ما قد سلف من الكفر والمعاصي وبه
احتج ابو حنيفة رح في ان المرتد اذا اسلم لم يلزمه قضاء العبادات المتروكة وقاتلوهم حتى
لا تكون فتنة اى الى ان لا يوجد فيهم مشرك قط ويكون الدين كله لله ويضمحل عنهم كل دين باطل
ويبقى فيهم دين الاسلام وحده فان انتهوا عن الكفر واسلموا فان الله بما يعملون بصير يثيبهم
على اسلامهم وان تولوا اعرضوا عن الايمان ولم ينتهوا فاعلموا ان الله مولاكم ناصركم ومعينكم

فثقوا بولايته ونصرته نعم المولى لا يضيع من تولاه ونعم النصير لا يغلب من نصره والمخصوص
بالمدح محذوف واعلموا انما غنمتم ما بمعنى الذى ولا يجوز ان يكتب الا مفصولا اذ لو كتب
موصولا لوجب ان يكون ما كافة وغنمتم صلته والعايد محذوف والتقدير غنمتموه من
شئ بيانية قيل حتى الخيط والمخيط فان لله خمسه والفاء انما دخلت لما في الذى من معنى المجازاة
وان تماعلمت فيه في موضع رفع على انه خبر المبتدا وتقديره فحكمه ان لله خمسه وللرسول
ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل فالخمس كان في عهد رسول الله عليه
الصلوة والسلام يقسم على خمسة اسهم سهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقسمه وسهم
لذوى قرباه من بنى هاشم وبنى المطلب دون بنى عبد شمس وبنى نوفل استحقوا بالنصرة
لقصة عثمان وجبير بن مطعم وثلثة اسهم لليتامى والمساكين وابن السبيل واما بعد الرسول
عليه الصلوة والسلام فسهمه ساقط بموته وكذلك سهم ذوى القربى وانما يعطون لفقرهم
فلا يعطى اغنياءهم فيقسم على اليتامى والمساكين وابن السبيل وعن ابن عباس رضى الله عنهما
انه كان على ستة لله وللرسول سهمان وسهم لاقاربه فاجرى ابو بكر رضى الله عنه
الخمس على ثلاثة وكذا عمر ومن بعده من الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم ومعنى لله
وللرسول لرسول الله كقوله والله ورسوله احق ان يرضوه ان كنتم امنتم بالله فاعلموا
به وارضوا بهذه القسمة فالايمان يوجب الرضاء بالحكم والعمل بالعلم وما انزلنا
معطوف على بالله اى ان كنتم امنتم بالله وبالمنزل على عبدنا يوم الفرقان يوم بدر
يوم التقى الجمعان الفريقان من المسلمين والكافرين والمراد ما انزل عليه من الايات
والملايكة والفتح يومئذ وهو بدل من يوم الفرقان والله على كل شئ قدير يقدر على
ان ينصر القليل على الكثير كما فعل بكم يومئذ اذ انتم بدل من يوم الفرقان والتقدير
اذكروا اذ انتم بالعدوة شط الوادى وبالكسر فيهما مكى وابو عمرو الدنيا القربى الى جهة
المدينة تانيث الادنى وهم بالعدوة القصوى البعدى عن المدينة تانيث الاقصى وكلتاهما
فعلى من بنات الواو والقياس قلب الواو ياء كالعليا تانيث الاعلى واما القصوى فكالقود
في مجيئه على الاصل والركب اى العير وهو جمع راكب في المعنى اسفل منكم نصب على الظرف

اى مكانا اسفل من مكانكم يعنى فى اسفل الوادى بثلاثة اميال وهو مرفوع المحل لانه خبر المبتدا
ولو تواعدتم انتم واهل مكة وتواضعتم بينكم على موعد تلتقون فيه للقتال لاختلفتم فى
الميعاد لخالف بعضكم بعضا فثبطكم قلتكم وكثرتهم عن الوفاء بالموعد وثبطهم ما فى
قلوبهم من تهيب رسول الله عليه الصلوة والسلام والمسلمين فلم يتفق لكم من التلاقى
لكن جمع بينكم بلا ميعاد ليقضى الله امرا كان مفعولا من اعزاز دينه واعلاء كلمته
واللام يتعلق بمحذوف اى ليقضى الله امرا كان ينبغى ان يفعل وهو نصر اوليائه وقهر
اعدائه دبر ذلك قال الشيخ ابو منصور رح القضاء يحتمل الحكم اى يحكم ما قد علم انه يكون
كائنا او ليتم امرا كان قد اراده وما اراد كونه فهو مفعول لا محالة وهو عز الاسلام و
اهله وذل الكفر وحزبه ويتعلق بيقضى ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن
بينة وحيى نافع وابو بكر فالادغام لالتقاء المثلين والاظهار لان حركة الثانى غير لازمة
لانك تقول فى المستقبل يحيى والادغام اكثر استعير الهلاك والحيوة للكفر والاسلام اى
ليصدر كفر من كفر عن وضوح بينة لا عن مخالجة شبهة حتى لا يبقى له على الله حجة ويصدر
اسلام من اسلم ايضا عن يقين وعلم بانه دين الحق الذى يجب الدخول فيه والتمسك به و
ذلك ان وقعة بدر من الايات الواضحة التى من كفر بعدها كان مكابرا لنفسه مغالطا لها
ولذا ذكر فيها مراكز الفريقين وان العير كانت اسفل منهم مع انهم قد علموا ذلك كله شاهدوه
ليعلم الخلق ان النصر والغلبة لا يكون بالكثرة والاسباب بل بالله تعالى وذلك ان العدوة
القصوى التى اناخ بها المشركون كان فيها الماء وكانت ارضا لا باس بها ولا ماء بالعدوة الدنيا
وهى خبار تسوخ فيها الارجل ولا يمشى فيها الا بتعب وكان العير وراء ظهور العدو
مع كثرة عددهم وعدتهم وقلة المسلمين وضعفهم ثم كان ما كان وان الله لسميع لاقوالهم
عليم بكفر من كفر وعقابه وبايمان من آمن وثوابه اذ يريكهم الله نصب باضمار اذكر او هو
متعلق بقوله لسميع عليم اى يعلم المصالح اذ يقللهم فى عينك فى منامك قليلا اى رؤياك
وذلك ان الله عز وجل اراهم اياه فى رؤياه قليلا فاخبر بذلك اصحابه فكان ذلك
تشجيعا لهم على عدوهم ولو اراكهم كثيرا لفشلتم لجبنتم وهبتم الاقدام ولتنازعتم

فى الامر امر القتال وترددتم بين الثبات والفرار ولكن الله سلم عصم وانعم بالسلامة من
الفشل والتنازع والاختلاف انه عليم بذات الصدور يعلم ما سيكون فيها من الجراة والجبن
والصبر والجزع واذ يريكموهم الضميران مفعولان اى واذ يبصركم اياهم اذ التقيتم وقت اللقاء
فى اعينكم قليلا هو نصب على الحال وانما قللهم فى اعينهم تصديقا لرؤيا رسول الله صلى الله عليه
وسلم وليعاينوا ما اخبرهم به فيزداد يقينهم ويجدوا ويثبتوا قال ابن مسعود رض لقد قللوا
فى اعيننا حتى قلت لرجل الى جنبى اتراهم سبعين قال اراهم مائة وكانوا الفا ويقللكم فى اعينهم
حتى قال قائل منهم انما هم اكلة جزور قيل قد قللهم فى اعينهم قبل اللقاء ثم كثرهم فيها بعده
ليجترؤا عليهم قلة مبالاة بهم ثم تفجاءهم الكثرة فيبهتوا ويهابوا ويجوز ان يبصروا الكثير
قليلا بان يستر الله بعضهم بساتر او يحدث فى عيونهم ما يستقلون له الكثير كما احدث فى
اعين الحول ما يرون له الواحد اثنين قيل لبعضهم ان الاحول يرى الواحد اثنين وكان
بين يديه ديك واحد فقال فما لى لا ارى هذين الديكين اربعة ليقضى الله امرا كان مفعولا
والى الله ترجع الامور فيحكم فيها بما يريد ترجع شامى وحمزة وعلى يا ايها الذين امنوا اذا
لقيتم فئة اذا حاربتم جماعة من الكفار وترك وصفها لان المؤمنين ما كانوا يلقون الا
الكفار واللقاء اسم غالب القتال فاثبتوا لقتالهم ولا تفروا واذكروا الله كثيرا فى مواطن
الحرب مستظهرين بذكره مستنصرين به داعين له على عدوكم اللهم اخذلهم اللهم اقطع دابرهم
لعلكم تفلحون تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه اشعار بان على العبد ان لا يفتر عن
ذكر ربه اشغل ما يكون قلبا واكثر ما يكون هما وان يكون نفسه مجتمعة لذلك وان كانت
متوزعة عن غيره واطيعوا الله ورسوله فى الامر بالجهاد والثبات مع العدو وغيرهما
ولا تنازعوا فتفشلوا فتجبنوا وهو منصوب باضمار ان وتدل عليه وتذهب ريحكم اى
دولتكم يقال هبت رياح فلان اذا دالت له الدولة ونفذ امره شبهت فى نفوذ امرها و
تمشيه بالريح وهبوبها وقيل لم يكن نصر قط الا بريح يبعثها الله وفى الحديث نصرت بالصبا
واهلكت عاد بالدبور واصبروا فى القتال مع العدو وغيره ان الله مع الصابرين اى معينهم
وحافظهم ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس هم اهل مكة حين نفروا

لحماية العير فأتاهم رسول الله ابي سفيان ان ارجعوا فقد سلمت عيركم فابى ابو جهل وقال حتى
نقدم بدرا ونشرب بها الخمور وننحر الجزور وتعزف علينا القيان ونطعم بها العرب فذلك
بطرهم ورياؤهم الناس باطعامهم فوافوها فسقوا كوس المنايا مكان الخمر وناحت عليهم
النوائح مكان القيان فنهاهم ان يكونوا مثلهم بطرين طربين مرائين باعمالهم وان يكونوا
من اهل التقوى والكآبة والحزن من خشية الله مخلصين اعمالهم لله والبطر ان يشغله كثرة
النعمة عن شكرها ويصدون عن سبيل الله دين الله والله بما يعملون محيط عالم وهو وعيد
واذ زين لهم الشيطان اعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واذكروا اذ زين لهم الشيطان
اعمالهم التي عملوها في معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم ووسوس اليهم انهم لا يغلبون
لا غالب مبني نحو لا رجل ولكم في موضع رفع خبر لا تقديره لا غالب كائن لكم واني جار لكم اي
مجير لكم واوهمهم ان طاعة الشيطان مما يجيرهم فلما تراءت الفئتان فلما تلاقى الفريقان نكص
الشيطان هاربا على عقبيه اي رجع القهقرى وقال اني بريء منكم اي رجعت عما ضمنت لكم
من الامان روي ان ابليس تمثل لهم في صورة سراقة بن مالك بن جعشم في جند من الشياطين
معه رايته فلما راى الملائكة تنزل نكص وقال له الحارث بن هشام اتخذلنا في هذه الحال فقال
اني ارى ما لا ترون اي الملائكة وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغ
ذلك سراقة فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم فلما اسلموا علموا انه الشيطان
اني اخاف الله عقوبته والله شديد العقاب اذكروا اذ يقول المنافقون بالمدينة و
الذين في قلوبهم مرض هو من صفة المنافقين او اريد الذين هم على حرف ليسوا بثابتي الاقدام
في الاسلام غر هؤلاء دينهم ظرف يعنون ان المسلمين اغتروا بدينهم فخرجوا وهم ثلثمائة
وبضعة عشر الى زهاء الف ثم قال جوابا لهم ومن يتوكل على الله يكل اليه امره فان الله
عزيز غالب يسلط القليل الضعيف على الكثير القوي حكيم لا يسوي بين وليه وعدوه
ولو ترى ولو عاينت وشاهدت لان لو ترد المضارع الى معنى الماضي كما ترد ان الماضي الى
معنى الاستقبال اذ نصب على الظرف يتوفى الذين كفروا يقبض ارواحهم الملائكة فاعل
يضربون حال منهم وجوههم اذا اقبلوا وادبارهم ظهورهم واستاههم اذا ادبروا ووجوههم

عند

عند الاقدام وادبارهم عند الانهزام وقيل في يتوفى ضمير الله تعالى والملائكة مرفوعة بالابتداء
ويضربون خبر والاول الوجه لان الكفار لا يستحقون ان يكون الله متوفيهم بلا واسطة دليله
قراءة ابن عامر تتوفى بالتاء وذوقوا ويقولون لهم ذوقوا معطوف على يضربون عذاب
الحريق اي مقدمة عذاب النار اي وذوقوا عذاب الآخرة بشارة لهم به او يقال لهم يوم القيامة
ذوقوا عذاب وجواب لو محذوف اي لرايت امرا فظيعا ذلك بما قدمت ايديكم اي كسبت
وهو رد على الجبرية وهو من كلام الله تعالى او من كلام الملائكة وذلك رفع بالابتداء وبما قدمت
خبره وان الله عطف عليه اي ذلك العذاب بسببين بسبب كفركم وبسبب معاصيكم وبان الله
ليس بظلام للعبيد لان تعذيب الكفار من العدل وقيل ظلام للتكثير لاجل العبيد او لنفي
انواع الظلم الكاف في كداب آل فرعون في محل الرفع اي داب هؤلاء مثل داب آل فرعون و
دابهم عادتهم وعملهم الذي دابوا فيه اي داوموا عليه والذين من قبلهم من قبل هؤلاء او من
قبل آل فرعون كفروا تفسير كداب آل فرعون بآيات الله فاخذهم الله بذنوبهم ان الله
قوي شديد العقاب والمعنى جروا على عادتهم في التكذيب فاجرى عليهم مثل ما فعل بهم في
في التعذيب ذلك العذاب او الانتقام بان الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما
بانفسهم بسبب ان الله لا يصح في حكمته ان يغير نعمته عند قوم حتى يغيروا ما بهم من الحال نعم
لم يكن لآل فرعون ومشركي مكة حال مرضية فيغيروها الى حال مسخوطة لكن كما تغير الحال المرضية
الى المسخوطة تغير الحال المسخوطة الى اسخط منها واولئك كانوا قبل بعثة الرسول اليهم كفرة
عبدة اصنام فلما بعث اليهم بالآيات فكذبوه وسعوا في اراقة دمه غيروا حالهم الى اسوء
مما كانت فغير الله ما انعم به عليهم من الامهال وعاجلهم بالعذاب وان الله سميع لما يقول
مكذب الرسل عليم بما يفعلون كداب آل فرعون تكرير للتاكيد او لان في الاول الاخذ بالذنوب
بلا بيان ذلك وهنا بين ان ذلك هو الاهلاك والاستيصال والذين من قبلهم كذبوا بآيات
ربهم وفي قوله بآيات ربهم زيادة دلالة على كفران النعم وجحود الحق فاهلكناهم بذنوبهم
واغرقنا آل فرعون بماء البحر وكل كلهم من غرقى القبط وقتلى قريش كانوا ظالمين انفسهم
بالكفر والمعاصي ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون اي اصروا على الكفر

فلا يتوقع منهم ايمان الذين عاهدت منهم بدل من الذين كفروا اى الذين عاهدتهم من
الذين كفروا جعلهم شر الدواب لان شر الناس الكفار وشر الكفار المصرون وشر المصرين
الناكثون للعهد ثم ينقضون عهدهم فى كل مرة فى كل مجاهدة وهم لا يتقون لا يخافون عاقبة
الغدر ولا يبالون ما فيه من العار والنار فاما تثقفنهم فى الحرب فاما تصادفنهم وتظفرن
بهم فشرد بهم من خلفهم ففرق عن محاربتك ومناصبتك بقتلهم شر قتلة والنكاية
فيهم من وراءهم من الكفرة حتى لا يجسر عليك بعدهم احد اعتبارا بهم واتعاظا بحالهم
وقال الزجاج افعل بهم ما تفرق وتطرد به من عداهم لعلهم يذكرون لعل المشردين من
وراءهم يتعظون واما تخافن من قوم معاهدين خيانة نكثا بامارات تلوح لك فانبذ اليهم
فاطرح اليهم العهد على سواء على استواء منك ومنهم فى العلم بنقض العهد وهو حال من
النابذ والمنبوذ اليهم اى حاصلين على استواء فى علم ان الله لا يحب الخائنين الناقضين
للعهود ولا يحسبن بالياء وفتح السين شامى وحمزة ويزيد وحفص وبالتاء وفتح السين
ابو بكر وبالتاء وكسر السين غيرهم الذين كفروا سبقوا فاتوا وافلتوا من ان يظفر بهم انهم
لا يعجزون انهم لا يفوتون ولا يجدون طالبهم عاجزا عن ادراكهم انهم شامى اى لانهم وكل واحد
من المكسورة والمفتوحة تعليل غير ان المكسورة على طريقة الاستيناف والمفتوحة تعليل
غير ان المكسورة على طريقة الاستيناف والمفتوحة تعليل صريح فمن قرء بالتاء فالذين كفروا
مفعول اول والثانى سبقوا ومن قرا بالياء فالذين كفروا فاعل وسبقوا مفعول تقديره ان
سبقوا فحذف ان وان مخففة من الثقيلة اى انهم سبقوا فسد مسد المفعولين او يكون
الفاعل مضمرا اى ولا يحسبن محمد الكافرين سابقين ومن ادعى تفرد حمزة بالقراءة
ففيه نظر لما بينا من عدم تفرده بها وعن الزهرى انها نزلت فيمن افلت من فل المشركين
واعدوا ايها المومنون لهم لناقضى العهد او لجميع الكفار ما استطعتم من قوة من كل ما يتقوى
به فى الحرب من عددها وفى الحديث الا ان القوة الرمى قالها ثلثا على المنبر وقيل هى الحصون
ومن رباط الخيل هى اسم للخيل الذين تربط فى سبيل الله او هو جمع ربيط كفصيل وفصال
خص الخيل من بين ما يتقوى به كقوله جبرئيل وميكائيل ترهبون به بما استطعتم عدو الله

الفاعل مضمرا اى ولا يحسبن محمد الكافرين سابقين ومن ادعى تفرد حمزة بالقراءة ففيه نظر لما بينا
وعدوكم اى اهل مكة واخرين من دونهم غيرهم وهم اليهود والمنافقون او اهل فارس او
كفرة الجن فى الحديث ان الشيطان لا يقرب صاحب فرس ولا دارا فيها فرس عتيق وروى
ان صهيل الخيل يرهب الجن لا تعلمونهم لا تعرفونهم باعيانهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شئ
فى سبيل الله يوف اليكم يوفر عليكم جزاؤه وانتم لا تظلمون فى الجزاء بل تعطون على التمام و
ان جنحوا مالوا جنح له واليه مال للسلم للصلح وبكسر السين ابو بكر وهو مؤنث تانيث نقيضها
وهو الحرب فاجنح لها فمل اليها وتوكل على الله ولا تخف من ابطانهم المكر فى جنوحهم الى السلم
فان الله كافيك وعاصمك من مكرهم انه هو السميع لاقوالكم العليم باحوالكم وان يريدوا
ان يخدعوك بمكرهم ويغدروا فان حسبك الله كافيك الله هو الذى ايدك قواك
بنصره وبالمومنين جميعا او بالانصار والف بين قلوبهم قلوب الاوس والخزرج بعد
تماديهم مائة وعشرين سنة لو انفقت ما فى الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم اى بلغت
عداوتهم مبلغا لو انفق منفق فى اصلاح ذات بينهم ما فى الارض من الاموال لم يقدر عليه
ولكن الله الف بينهم بفضله ورحمته وجمع بين كلمتهم بقدرته واحدث بينهم التواد و
التحاب واماط عنهم التباغض والتماقت انه عزيز يقهر من يخدعونك حكيم ينصر من يتبعونك
يا ايها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين الواو بمعنى مع وما بعده منصوب و
المعنى كفاك وكفى تباعك من المومنين الله ناصرا او يجوز ان يكون فى محل الرفع اى كفاك الله
وكفاك المؤمنون قيل اسلم مع النبى عليه السلام ثلثة وثلثون رجلا وست نسوة ثم اسلم
عمر فنزلت يا ايها النبى حرض المومنين على القتال التحريض المبالغة فى الحث على الامر من الحرض
وهو ان ينهكه المرض حتى يشفى على الموت ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين
وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا هذه عدة من الله وبشارة بان الجماعة من
المومنين ان صبروا غلبوا عشر امثالهم من الكفار بعون الله وتاييده بانهم قوم لا يفقهون
بسبب ان الكفار قوم جهلة يقاتلون على غير احتساب وطلب ثواب كالبهائم فيقل ثباتهم
ويعدمون لجهلهم بالله نصرته خلاف من يقاتل على بصيرة وهو يرجو النصر من الله قيل

كان عليهم ان لا يفروا ويثبت الواحد للعشرة ثم ثقل عليهم ذلك فنسخ وخفف عنهم بمقاومة الواحد
كان عليهم ان لا يفروا ويثبت الواحد للعشرة ثم ثقل عليهم ذلك فنسخ وخفف عنهم بمقاومة
الواحد الاثنين بقوله الان خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا ضعفا عاصم وحمزة فان يكن
منكم مائة صابرة بالياء فيهما كوفي وافقه البصري في الاولى والمراد الضعف في البدن يغلبوا
مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله والله مع الصابرين وتكرير مقاومة الجماعة
لاكثر منها مرتين قبل التخفيف وبعده للدلالة على ان الحال مع القلة والكثرة لا تتفاوت اذ الحال
قد تتفاوت بين مقاومة العشرين المائتين والمائة الالف وكذلك بين مقاومة المائة المائتين
والالف الالفين ما كان لنبي ما صح له ولا استقام ان يكون له اسرى ان تكون بصري حتى
يثخن في الارض الاثخان كثرة القتل والمبالغة فيه من الثخانة وهي الغلظ والكثافة يعني حتى
يذل الكفر باشاعة القتل في اهله ويعز الاسلام بالاستيلاء والقهر ثم الاسر بعد ذلك روي
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتي بسبعين اسيرا فيهم العباس عمه وعقيل فاستشار ابا بكر فيهم
فقال قومك واهلك فاستبقهم لعل الله يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوى بها اصحابك فقال
عمر رضي الله عنه كذبوك واخرجوك فقدمهم واضرب اعناقهم فان هؤلاء ائمة الكفر وان الله
اغناك عن الفداء مكن عليا من عقيل وحمزة من العباس ومكني من فلان لنسيب له فلنضرب
اعناقهم فقال عليه السلام مثلك يا ابا بكر كمثل ابراهيم حيث قال ومن عصاني فانك غفور
رحيم ومثلك يا عمر كمثل ابراهيم حيث قال ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر
كمثل نوح حيث قال لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ثم قال لهم ان شئتم قتلتموهم وان
شئتم فاديتموهم واستشهد منكم بعدتهم فقالوا بل نأخذ الفداء فاستشهدوا باحد فلما اخذوا
الفداء نزلت الاية تريدون عرض الدنيا متاعها يعني الفداء سماه عرضا لقلة بقائه وسرعة
فنائه والله يريد الاخرة اي ما هو سبب الجنة هو من اعزاز الاسلام بالاثخان في القتل
والله عزيز يقهر الاعداء حكيم في عقاب الاولياء لولا كتاب من الله اي لولا حكم من الله
سبق ان لا يعذب احدا على العمل بالاجتهاد وكان هذا اجتهادا منهم لانهم نظروا في ان استبقاءهم
ربما كان سببا في اسلامهم وان فداءهم يتقوى به على الجهاد وخفي عليهم ان قتلهم اعز للاسلام

من

الكافرين

واهيب

واهيب لمن وراءهم او ما كتب الله في اللوح ان لا يعذب اهل بدر وان لا يؤاخذ قبل البيان
والاعذار وفيما ذكر من الاستشارة دلالة جواز الاجتهاد فيكون حجة على منكري القياس كتاب
مبتدا ومن الله صفته اي لولا كتاب ثابت من الله وسبق صفة اخرى له وخبر المبتدا
محذوف اي لولا كتاب بهذه الصفة في الوجود وسبق لا يجوز ان يكون خبرا لان لولا لا
يظهر خبرها ابدا لمسكم لنالكم واصابكم فيما اخذتم من فداء الاسرى عذاب عظيم روي ان
عمر رضي الله عنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو وابو بكر يبكيان فقال يا رسول الله
اخبرني فان وجدت بكاء بكيت وان لم اجد بكاء تباكيت فقال ابكي على اصحابك في اخذهم الفداء
ولقد عرض علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه روي انه قال لو نزل عذاب من
السماء لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ لقوله كان الاثخان في القتل احب الي فكلوا مما
غنمتم روي انهم امسكوا عن الغنائم ولم يمدوا ايديهم اليها فنزلت وقيل هو اباحة
للفداء لانه من جملة الغنائم والفاء للتسبيب والسبب محذوف ومعناه قد احللت
لكم الغنائم فكلوا حلالا مطلقا عن العقاب والعقاب من حل العقال وهو نصب على
الحال من المغنوم او صفة للمصدر اي اكلا حلالا طيبا لذيذا هنيئا او حلالا بالشرع طيبا
بالطبع واتقوا الله فلا تقدموا على شيء لم يعهد اليكم فيه ان الله غفور لما فعلتم رحيم
باحلال ما غنمتم يا ايها النبي قل لمن في ايديكم في ملكتكم كان ايديكم قابضة عليهم من
الاسرى جمع اسير من الاسارى ابو عمرو وجمع اسرى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا خلوص
ايمان وصحة نية يؤتكم خيرا مما اخذ منكم من الفداء اما ان يخلفكم في الدنيا اضعافه او
يثيبكم في الاخرة ويغفر لكم والله غفور رحيم روي انه قدم على رسول الله صلى الله
عليه وسلم مال البحرين ثمانون الفا فتوضأ لصلوة الظهر وما صلى حتى فرقه وامر العباس ان
ياخذ منه فاخذ منه ما قدر على حمله وكان يقول هذا خير مما اخذ مني وارجو المغفرة و
كان له عشرون عبدا ان ادناهم ليتجر في عشرين الفا وكان يقول انجز احد الوعدين وانا
على ثقة من الاخر وان يريدوا اي الاسرى خيانتك نكث ما بايعوك عليه من الاسلام بالردة
او منع ما ضمنوا من الفداء فقد خانوا الله من قبل في كفرهم به ونقض ما اخذ على كل عاقل

من ميثاقه فامكن منهم فامكنك منهم اى اظفرك بهم كما رايتم يوم بدر فيمكن منهم ان اعادوا
الخيانة والله عليم بالمال حكيم فيما امر فى الحال ان الذين امنوا وهاجروا من مكة حبا لله ولرسوله
وجاهدوا باموالهم وانفسهم فى سبيل الله وهم المهاجرون والذين اووا ونصروا اى آووهم
الى ديارهم ونصروهم على اعدائهم وهم الانصار اولئك بعضهم اولياء بعض اى يتولى بعضهم
بعضا فى الميراث وكان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة وبالنصرة دون ذوى القرابات
حتى نسخ ذلك بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض وقيل اراد به النصرة والمعاونة
والذين امنوا ولم يهاجروا من مكة ما لكم من ولايتهم من توليتهم فى الميراث ولايتهم حمزة
قيلهما واحد من شئ حتى يهاجروا فكان لا يرث المؤمن الذى لم يهاجر ممن آمن وهاجروا لما
ابقى للذين لم يهاجروا اسم الايمان وكانت الهجرة فريضة فصار وابتركها مرتكبين كبيرة
دل على ان صاحب الكبيرة لا يخرج من الايمان وان استنصروكم اى من اسلم ولم يهاجروا فى الدين
فعليكم النصر اى بان وقع بينهم وبين الكفار قتال وطلبوا معونتكم فواجب عليكم ان تنصروهم
على الكافرين الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق فانه لا يجوز لكم نصركم عليهم لانهم لا يبتدؤن
بالقتال اذ الميثاق مانع عن ذلك والله بما تعملون بصير تحذير عن تعدى حد الشرع والذين
كفروا بعضهم اولياء بعض ظاهره اثبات الموالاة بينهم ومعناه نهى المسلمين عن موالاة
الكفار وموارثتهم وايجاب مباعدتهم ومصارمتهم وان كانوا اقارب وان يتركوا
يتوارثون بعضهم بعضا ثم قال الا تفعلوه اى ان لا تفعلوا ما امرتكم به من تواصل المسلمين
وتولى بعضهم بعضا حتى فى التوارث تفضيلا لنسبة الاسلام على نسبة القرابة ولم يجعلوا
قرابة الكفار كلا قرابة تكن فتنة فى الارض وفساد كبير تحصل فتنة فى الارض ومفسدة
عظيمة لان المسلمين ما لم يصيروا يدا واحدة على الشرك كان الشرك ظاهرا والفساد
زايدا والذين امنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين اووا ونصروا اولئك هم
المؤمنون حقا لانهم صدقوا ايمانهم وحققوه بتحصيل مقتضياته من هجرة الوطن و
مفارقة الاهل والسكن والانسلاخ من المال والدنيا لاجل الدين والعقبى لهم مغفرة ورزق
كريم لا منة فيه ولا تنغيص ولا تكرار لان هذه الاية واردة للثناء عليهم مع الموعد الكريم و

والاولى للامر بالتواصل والذين امنوا من بعد يريد اللاحقين بعد السابقين الى الهجرة
وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم جعلهم منهم تفضلا وترغيبا واولوا الارحام
بعضهم اولى ببعض واولوا القرابات اولى بالتوارث وهو نسخ للتوارث بالهجرة و
النصرة فى كتاب الله فى حكمه وقسمته او فى اللوح او فى القران وهو آية المواريث وهو
دليل لنا على توريث ذوى الارحام ان الله بكل شئ عليم فيقضى بين عباده بما شاء من
احكامه قسم الناس اربعة اقسام قسم آمنوا وهاجروا وقسم امنوا ونصروا وقسم
امنوا ولم يهاجروا وقسم كفروا ولم يومنوا سورة التوبة مدنية وهى مائة وتسع
وعشرون آية كوفى وثلثون عند غيرهم لها اسماء براءة التوبة المقشقشة المبعثرة
المشردة المخزية الفاضحة المثيرة الحافرة المنكلة المدمدمة لان فيها التوبة على المؤمنين
وهى تقشقش من النفاق اى تبرئ منه وتبعثر عن اسرار المنافقين وتبحث عنها و
تثيرها وتحفر عنها وتفضحهم وتنكلهم وتشردهم وتخزيهم وتدمدم عليهم وفى ترك
التسمية فى ابتدائها اقوال فعن على وابن عباس رضى الله عنهم ان بسم الله امان وبراءة
نزلت لرفع الامان وعن عثمان رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزلت
عليه سورة او آية قال اجعلوها فى الموضع الذى يذكر فيه كذا وكذا وتوفى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا اين نضعها وكانت قصتها تشبه قصة الانفال لان فيها ذكر
العهود وفى براءة نبذ العهود فلذلك قرنت بينهما وكانتا تدعيان القرينتين وتعدان
السابعة من الطوال وهى سبع وقيل اختلف اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
بعضهم الانفال وبراءة سورة واحدة نزلت فى القتال وقال بعضهم هما سورتان فتركت
بينهما فرجة لقول من قال هما سورتان وتركت بسم الله لقول من قال هما سورة واحدة
براءة خبر مبتدا محذوف اى هذه براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين
من لابتداء الغاية متعلق بمحذوف وليس بصلة فى قولك برئت من الدين والمعنى هذه
براءة واصلة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم كما تقول كتاب من فلان الى فلان او مبتدا
لتخصصها بصفتها والخبر الى الذين عاهدتم كقولك رجل من بنى تميم فى الدار والمعنى ان الله

لدفع

الاولى

ورسوله قد برئا من العهد الذي عاهدتم به المشركين وانه منبوذ اليهم فسيحوا في الارض اربعة
اشهر فسيروا في الارض كيف شئتم والسيح السير على مهل وروي انهم عاهدوا المشركين من
اهل مكة وغيرهم من العرب فنكثوا الا ناسا وهم بنو ضمرة وبنو كنانة فنبذ العهد الى الناكثين
وامروا ان يسيحوا في الارض اربعة اشهر آمنين اين شاؤوا لا يتعرض لهم وهي الاشهر الحرم من القتل
في قوله فاذا انسلخ الاشهر الحرم وذلك لصيانة الاشهر الحرم من القتل والقتال فيها وكان نزولها
سنة تسع من الهجرة وفتح مكة سنة ثمان وكان الامير فيها عتاب بن اسيد فامر رسول الله عليه
الصلوة والسلام ابا بكر على موسم سنة تسع ثم اتبعه عليا راكب العضباء ليقراها على اهل الموسم
فقيل له لو بعثت بها الى ابي بكر رضي الله عنه فقال لا يؤدي عني الا رجل مني فلما دنا علي سمع ابو بكر
الرغاء فوقف وقال هذا رغاء ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما لحقه قال امير او مامور
قال مامور فلما كان قبل التروية خطب ابو بكر وحدثهم مناسكهم وقام علي رضي الله عنه يوم النحر
عند جمرة العقبة فقال يا ايها الناس اني رسول رسول الله اليكم فقالوا بماذا فقرا عليهم ثلثين
او اربعين اية ثم قال امرت باربع ان لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت
عريان ولا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة وان يتم الى كل ذي عهد عهده فقالوا عند ذلك يا علي
ابلغ ابن عمك انا قد نبذنا العهد وراء ظهورنا وانه ليس بيننا وبينه عهد الا طعن بالرماح
وضرب بالسيوف والاشهر الاربعة شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم او عشرون
من ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الاول وعشر من شهر ربيع الاخر وكانت حرما لانهم
امنوا فيها وحرم قتلهم وقتالهم او على التغليب لان ذي الحجة والمحرم منها والجمهور على اباحة
القتل في الاشهر الحرم وان ذلك قد نسخ واعلموا انكم غير معجزي الله لا تفوتونه وان امهلكم
وان الله مهلككم وان الله مخزي الكافرين مذلهم في الدنيا بالقتل وفي الاخرة بالعذاب
واذان من الله ورسوله الى الناس ارتفاعه كارتفاع براءة على الوجهين ثم الجملة معطوفة
على مثلها والاذان بمعنى الايذان وهو الاعلام كما ان الامان والعطاء بمعنى الايمان والاعطاء
والفرق بين الجملة الاولى والثانية ان الاولى اخبار بثبوت البراءة والثانية اخبار بوجوب
الاعلام بما ثبت وانما علقت البراءة بالذين عوهدوا من المشركين وعلق الاذان بالناس لان

البراءة مختصة بالمعاهدين والناكثين منهم واما الاذان فعام البراءة لجميع الناس من عاهد
ومن لم يعاهد ومن نكث من المعاهدين ومن لم ينكث يوم الحج الاكبر يوم عرفة لان الوقوف
بعرفة معظم افعال الحج او يوم النحر لان فيه تمام الحج من الطواف والنحر والحلق والرمي ووصف
الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر ان الله بريء من المشركين اي بان الله حذفت صلة الاذان
تخفيفا ورسوله عطف على المنوي في بريء او على الابتداء وحذف الخبر اي ورسوله بريء
وقرئ بالنصب عطفا على اسم ان وبالجر على الجوار او على القسم كقوله لعمرك وحكي ان اعرابيا
سمع رجلا يقراها فقال ان كان الله بريئا من رسوله فانا بريء منه فلبب الرجل الى عمر فحكى الاعرابي
قراءته فعندها امر عمر بتعليم العربية فان تبتم من الكفر والغدر فهو اي التوب خير لكم من
الاصرار على الكفر وان توليتم عن التوبة او ثبتم على التولي والاعراض عن الاسلام فاعلموا
انكم غير معجزي الله غير سابقين الله ولا فائتين اخذه وعقابه وبشر الذين كفروا بعذاب
اليم مكان بشارة المؤمنين بنعيم مقيم الا الذين عاهدتم من المشركين استثناء من قوله
فسيحوا في الارض والمعنى براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فقولوا
لهم سيحوا الا الذين عاهدتم منهم ثم لم ينقصوكم شيئا من شروط العهد اي وفوا بالعهد ولم
ينقضوه وقرئ لم ينقضوكم اي عهدكم وهو اليق لكن المشهورة ابلغ لانه في مقابلة التمام ولم
يظاهروا عليكم احدا ولم يعاونوا عليكم عدوا فاتموا اليهم عهدهم فادوا اليهم تاما كاملا الى مدتهم
الى تمام مدتهم والاستثناء بمعنى الاستدراك كانه قيل بعد ان امروا في الناكثين لكن الذين
لم ينكثوا فاتموا اليهم عهدهم ولا تجروهم مجراهم ولا تجعلوا الوفي كالغادر ان الله يحب
المتقين اي ان قضية التقوى ان لا يسوي بين القبيلتين فاتقوا الله في ذلك فاذا انسلخ
مضى وخرج الاشهر الحرم التي ابيح فيها للناكثين ان يسيحوا فاقتلوا المشركين الذين نقضوكم
وظاهروا عليكم حيث وجدتموهم من حل وحرم وخذوهم واسروهم والاخيذ الاسير
واحصروهم وقيدوهم وامنعوهم من التصرف في البلاد واقعدوا لهم كل مرصد كل ممر ومجتاز
ترصدونهم به وانتصابه على الظرف فان تابوا عن الكفر واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فخلوا سبيلهم
فاطلقوا عنهم بعد الاسر والحصر او فكفوا عنهم ولا تتعرضوا لهم ان الله غفور رحيم يستر الكفر والغدر

بالاسلام رحيم يدفع القتل قبل الاداء بالالتزام وان احد من المشركين استجارك فاجره
احد يرتفع بفعل الشرط مضمر يفسره الظاهر اى وان استجارك احد استجارك والمعنى وان
جارك احد من المشركين بعد انقضاء الاشهر لا عهد بينك وبينه واستامنك ليسمع ما تدعو
اليه من التوحيد والقران فامنه حتى يسمع كلام الله ويتدبره ويطلع على حقيقة الامر
ثم ابلغه بعد ذلك مامنه داره التى يامن فيها ان لم يسلم ثم قاتله ان شئت وفيه دليل على
ان المستامن لا يوذى وليس له الاقامة فى دارنا فيمكن من العود ذلك اى الامر بالاجارة
فى قوله فاجره بانهم قوم لا يعلمون بسبب انهم قوم جهلة لا يعلمون ما الاسلام وما حقيقة
ما تدعوا اليه فلا بد من اعطايهم الامان حتى يسمعوا ويفهموا الحق كيف يكون للمشركين
عهد عند الله وعند رسوله كيف استفهام فى معنى الاستنكار اى مستنكر ان يثبت لهؤلاء
عهد فلا تطمعوا فى ذلك ولا تحدثوا به نفوسكم ولا تفكروا فى قتلهم ثم استدرك ذلك
بقوله الا الذين عاهدتم اى ولكن الذين عاهدتم منهم عند المسجد الحرام ولم يظهر منهم نكث
كبنى كنانة وبنى ضمرة فتربصوا امرهم ولا تقاتلوهم فما استقاموا لكم فما اقاموا على وفاء العهد
فاستقيموا لهم على الوفاء وما شرطية اى فان استقاموا لكم فاستقيموا لهم ان الله يحب المتقين
يعنى ان التربص بهم من اعمال المتقين كيف وان يظهروا عليكم تكرار لاستبعاد ثبات المشركين
على العهد وحذف الفعل لكونه معلوما اى كيف يكون لهم عهد وحالهم انهم ان يظهروا عليكم
اى يظفروا بكم بعد ما سبق لهم من تاكيد الايمان والمواثيق لا يرقبوا فيكم الا لا يراعوا حلفا
او قرابة ولا ذمة عهدا يرضونكم بافواههم بالوعد بالايمان والوفاء بالعهد وهو كلام مبتدأ
فى وصف حالهم من مخالفة الظاهر الباطن مقرر لاستبعاد الثبات منهم على العهد وتابى
قلوبهم الايمان والوفاء بالعهد واكثرهم فاسقون ناقضون العهد او متمردون فى الكفر
لا مروة تزعجهم عن الكذب ولا شمائل تردعهم عن النكث كما يوجد ذلك فى بعض الكفرة من
التفادى عنهما اشتروا استبدلوا بايات الله بالقران ثمنا قليلا عوضا يسيرا وهو اتباع الاهواء
والشهوات فصدوا عن سبيله فعدلوا عنه او صرفوا غيرهم انهم ساء ما كانوا يعملون اى بئس
الصنيع صنيعهم لا يرقبون فى مومن الا ولا ذمة لا تكرار لان الاول على الخصوص حيث قال فيكم والثانى

على العموم

على العموم لانه قال فى مومن واولئك هم المعتدون المجاوزون الغاية فى الظلم والشرارة فان
تابوا عن الكفر واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فاخوانكم فهم اخوانكم على حذف المبتداء فى الدين
لا فى النسب ونفصل الايات ونبينها لقوم يعلمون يفهمون فيتفكرون فيها وهذا اعتراض
كانه قيل وان من تامل تفصيلها فهو العالم تحريضا على تامل ما فصل من احكام المشركين المعاهدين
وعلى المحافظة عليها وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم نقضوا العهد الموكدة بالايمان وطعنوا
فى دينكم وعابوه فقاتلوا ائمة الكفر فقاتلوهم فوضع ائمة الكفر موضع ضميرهم وهم روساء
الشرك او زعماء قريش الذين هموا باخراج الرسول وقالوا اذا طعن الذمى فى دين الاسلام
طعنا ظاهرا جاز قتله لان العهد معقود معه على ان لا يطعن فاذا طعن فقد نكث عهده
وخرج عن الذمة ائمة بهمزتين كوفى وشامى والباقون بهمزة واحدة غير ممدودة بعدها ياء
مكسورة واصلها اءممة لانها جمع امام كعماد واعمدة فنقلت حركة الميم الاولى الى الهمزة الساكنة
وادغمت فى الميم الاخرى فمن حقق الهمزتين اخرجها على الاصل ومن قلب الثانية ياء فلكسرتها
انهم لا ايمان لهم وانما اثبت لهم الايمان فى قوله وان نكثوا ايمانهم لانه اراد ايمانهم التى اظهروها
ثم قال لا ايمان لهم على الحقيقة وهو دليل لنا على ان يمين الكافر لا تكون يمينا ومعناه عند
الشافعى رح انهم لا يوفون بها لان يمينهم يمين عنده حيث وصفها بالنكث لا ايمان لهم شامى
اى لا اسلام لعلهم ينتهون متعلق بقاتلوا ائمة الكفر وما بينهما اعتراض اى ليكن غرضكم فى
مقاتلتكم انتهاءهم عما هم عليه بعد ما وجد منهم من العظائم وهذا من غاية كرمه على المسيئ ثم حرض
على القتال فقال الا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم التى حلفوها فى المعاهدة وهموا باخراج الرسول
من مكة وهم بدؤكم اول مرة بالقتال والبادى اظلم فما يمنعكم من ان تقاتلوهم وبخهم بترك
مقاتلتهم وحضهم عليها ثم وصفهم بما يوجب الحض عليها من نكث العهد واخراج الرسول
والبدء بالقتال من غير موجب اتخشونهم توبيخ على الخشية منهم فالله احق ان تخشوه بان
تخشوه فقاتلوا اعداءه ان كنتم مومنين فاخشوه اى ان قضية الايمان الكامل ان لا يخشى المومن
الا ربه ولا يبالى بمن سواه ولما وبخهم الله على ترك القتال جرد لهم الامر به بقوله قاتلوهم ووعدهم
النصر ليثبت قلوبهم ويصحح نياتهم بقوله يعذبهم الله بايديكم قتلا ويخزهم اسرا وينصركم عليهم

يغلبكم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين طائفة منهم وهم خزاعة عيبة رسول الله صلى الله
عليه وسلم ويذهب غيظ قلوبهم بما لقوا منهم من المكروه وقد حصل الله هذه المواعد كلها فكان
دليلا على صحة نبوته ويتوب الله على من يشاء ابتداء كلام واخبار بان بعض اهل مكة يتوب
من كفره وكان ذلك ايضا منهم فقد اسلم ناس منهم كابو سفيان وعكرمة بن ابي جهل
وسهل بن عمرو رضي الله عنهم وهي ترد على المعتزلة قولهم ان الله تعالى شاء ان يتوب
على جميع الكفرة لكنهم لا يتوبون باختيارهم والله عليم يعلم ما سيكون كما يعلم ما قد كان
حكيم في قبول التوبة ام حسبتم ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ام منقطعة
والهمزة فيها للتوبيخ على وجود الحسبان اي لا تتركون على ما انتم عليه حتى يتبين الخلص
منكم وهم الذين جاهدوا في سبيل الله لوجه الله ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله
ولا المؤمنين وليجة اي بطانة من الذين يضادون رسول الله والمؤمنين ولما معناها
التوقع وقد دلت على ان تبين ذلك متوقع كائن وان الذين لم يخلصوا دينهم لله يميز
بينهم وبين المخلصين ولم يتخذوا معطوف على جاهدوا داخل في حيز الصلة كانه قيل ولما
يعلم الله الجاهدين منكم والمخلصين غير المتخذين وليجة من دون الله والمراد بنفي العلم
نفي المعلوم كقولك ما علم الله مني ما قيل في تريد ما وجد ذلك مني والمعنى احسبتم ان
تتركوا بلا مجاهدة ولا براءة من المشركين والله خبير بما تعملون من خير او شر فيجازيكم
عليه ما كان للمشركين ما صح لهم وما استقام ان يعمروا مساجد الله مسجد الله مكي وبصري
يعني المسجد الحرام اما القراءة بالجمع ففيها الوجهان لانه قبلة المساجد وامامها فعامره كعامر
جميع المساجد ولان موضع سجود كل بقعة منه مسجد او اريد جنس المساجد واذا لم
يصلحوا لان يعمروا جنسها دخل تحت ذلك ان لا يعمروا المسجد الحرام الذي هو صدر الجنس
وهو اكد اذ طريقه طريق الكناية كما تقول فلان لا يقرأ كتب الله كنت انفى لقراءته القرآن
من تصريحك بذلك شاهدين على انفسهم بالكفر باعترافهم بعبادة الاصنام وهو حال من
الواو في يعمروا والمعنى ما استقام لهم ان يجمعوا بين امرين متضادين عمارة متعبدات الله
مع الكفر بالله وبعبادته اولئك حبطت اعمالهم وفي النار هم خالدون دائمون انما يعمر مساجد الله

عمارتها رم ما استرم منها وقمها وتنظيفها وتنويرها بالمصابيح وصيانتها مما لم تبن له المساجد
من احاديث الدنيا لانها بنيت للعبادة والذكر ومن الذكر درس العلم من آمن بالله واليوم
الآخر ولم يذكر الايمان بالرسول عليه الصلوة والسلام لما علم ان الايمان بالله قرينة الايمان
بالرسول لاقترانهما في الاذان والاقامة وكلمة الشهادة وغيرها او دل عليه بقوله واقام
الصلوة وآتى الزكوة وفي قوله ولم يخش الا الله تنبيه على الاخلاص والمراد الخشية في ابواب
الدين بان لا يختار على رضاء الله رضاء غيره لتوقع مخوف اذ المؤمن قد يخشى المحاذير ولا
يتمالك ان لا يخشاها وقيل كانوا يخشون الاصنام ويرجونها فاريد نفي تلك الخشية بذلك عنهم
فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين تبعيد للمشركين من مواقف الاهتداء وحسم لاطماعهم
في الانتفاع باعمالهم لان عسى كلمة اطماع والمعنى انما يستقيم عمارة هؤلاء وتكون معتدا بها
عند الله دون من سواهم اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم
الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين السقاية و
العمارة مصدران من سقى وعمر كالصيانة والوقاية ولا بد من مضاف محذوف تقديره اجعلتم
اهل سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله وقيل المصدر بمعنى الفاعل يصدقه قراءة
ابن الزبير سقاة الحاج وعمرة المسجد الحرام والمعنى انكار ان يشبه المشركون بالمؤمنين واعمالهم
المحبطة باعمالهم المثبتة وان يسوى بينهم وجعل تسويتهم ظلما بعد ظلمهم بالكفر لانهم وضعوا
المدح والفخر في غير موضعهما نزلت جوابا لقول العباس حين اسر وطفق علي رضي الله عنه
يوبخه بقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطيعة الرحم تذكر مساوينا وتدع محاسننا
فقيل اولكم محاسن فقال نعم نعمر المسجد ونسقي الحاج ونفك العاني وقيل افتخر العباس بالسقاية
وشيبة بالعمارة وعلي رضي الله عنه بالاسلام والجهاد فصدق الله تعالى عليا الذين آمنوا
وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم اولئك اعظم درجة عند الله من اهل
السقاية والعمارة واولئك هم الفائزون لا انتم والمختصون بالفوز دونكم يبشرهم
ربهم برحمة منه ورضوان وجنات تنكير المبشر به لوقوعه وراء صفة الواصف و
تعريف المعرف لهم فيها في الجنات نعيم مقيم دائم خالدين فيها ابدا ان الله عنده اجر عظيم لا

ينقطع لما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجرة فمنهم من يسرع الى ذلك ويعجبه ومنهم من يتعلق
به زوجته او ولده فيقول ترعنا بلا شئ فنضيع فيجلس معهم ويدع الهجرة فنزل يا ايها الذين امنوا
لا تتخذوا اباءكم واخوانكم اولياء ان استحبوا الكفر على الايمان اثروه واختاروه ومن يتولهم
منكم اى ومن يتول الكافرين فاولئك هم الظالمون قل ان كان اباءكم وابناءكم واخوانكم و
ازواجكم وعشيرتكم اقاربكم وعشيرتكم ابوبكر واموال اقترفتموها اكتسبتموها وتجارة
تخشون كسادها فوات وقت نفاقها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد
فى سبيله فتربصوا حتى ياتى الله بامره وهو عذاب عاجل وعقاب اجل او فتح مكة والله لا يهدى
القوم الفاسقين والاية تنعى على الناس ما هم عليه من رخاوة عقد الدين واضطراب حبل اليقين
اذ لا يجد عنده اورع الناس ما يستحب له دينه على الاباء والابناء والاموال وحظوظ الدنيا لقد
نصركم الله فى مواطن كثيرة كوقعة بدر وقريظة والنضير والحديبية وخيبر وفتح مكة وقيل
ان المواطن التى نصر الله فيها النبى والمومنين ثمانون موطنا ومواطن الحرب مقاماتها ومواقفها
ويوم اى واذكر يوم حنين واد بين مكة والطائف كانت فيه الواقعة بين المسلمين وهم اثنا
عشر الفا وبين هوازن وثقيف الواقعة بين المسلمين وهم اربعة الاف فلما التقوا قال رجل من
المسلمين لن نغلب اليوم من قلة فساءت رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ بدل من يوم اعجبتكم
كثرتكم فادرك المسلمين كلمة الاعجاب بالكثرة وزل عنهم ان الله هو الناصر لا كثرة الجنود
فانهزموا حتى بلغ فلهم مكة وبقى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده وهو ثابت فى مركزه
ليس معه الا عمه العباس اخذا بلجام دابته وابو سفيان بن حارث ابن عمه اخذا بركابه فقال
للعباس صح بالناس وكان صيتا فنادى يا اصحاب الشجرة فاجتمعوا وهم يقولون لبيك
لبيك ونزلت الملائكة عليهم البياض على خيول بلق فاخذ رسول الله عليه الصلوة والسلام
كفا من تراب فرماهم به ثم قال انهزموا ورب الكعبة فانهزموا وكان من دعائه عليه الصلوة
والسلام يومئذ اللهم لك الحمد واليك المشتكى وانت المستعان وبك المستغاث وعليك
التكلان ولا حول ولا قوة الا بك وهذا دعاء موسى عليه السلام يوم انفلاق البحر فلم تغن عنكم
شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ما مصدرية والباء بمعنى مع اى مع رحبها وحقيقته ملتبسة

رحبها

برحبها على ان الجار والمجرور فى موضع الحال كقولك دخلت عليه بثياب السفر اى ملتبسا بها
والمعنى لم تجدوا موضعا لفراركم عن اعدائكم فكانها ضاقت عليكم ثم وليتم مدبرين ثم انهزمتم
ثم انزل الله سكينته رحمته التى سكنوا بها وامنوا على رسوله وعلى المومنين وانزل جنودا لم تروها
يعنى الملائكة وكانوا ثمانية الاف وخمسة الاف او ستة عشر الفا وعذب الذين كفروا بالقتل و
الاسر وبسبى النساء والذرارى وذلك جزاء الكافرين ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء
وهم الذين اسلموا منهم والله غفور يستر كفر العدو بالاسلام رحيم ينصر الولى بعد الانهزام
يا ايها الذين امنوا انما المشركون نجس اى ذو نجس وهو مصدر يقال نجس نجسا وقذر قذرا
لان معهم الشرك التى هو بمنزلة النجس ولانهم لا يتطهرون ولا يغتسلون ولا يجتنبون النجاسات
فهى ملابسة لهم او جعلوا كانهم النجاسة بعينها مبالغة فى وصفهم بها فلا يقربوا المسجد الحرام
فلا يحجوا ولا يعتمروا كما كانوا يفعلون فى الجاهلية بعد عامهم هذا وهو عام تسع من الهجرة حين
امر ابوبكر رضى الله عنه على الموسم وهو مذهبنا ولا يمنعون عن دخول الحرم والمسجد الحرام
وساير المساجد عندنا وعند الشافعى رح يمنعون من المسجد الحرام خاصة وعند مالك رح يمنعون
منه ومن غيره وقيل نهى المشركين ان يقربوه راجع الى نهى المسلمين عن تمكينهم منه وان خفتم
عيلة اى فقرا بسبب منع المشركين من الحج وما كان لكم فى قدومهم عليكم من الارفاق والمكاسب
فسوف يغنيكم الله من فضله من الغنايم او المطر والنبات او من متاجر جميع الاسلام ان شاء
وهو تعليم لتعليق الامور بمشية الله تعالى لينقطع الامال اليه ان الله عليم باحوالكم حكيم
فى تحقيق امالكم او عليم بمصالح العباد حكيم فيما حكم واراد ونزلت فى اهل الكتاب قاتلوا الذين
لا يؤمنون بالله لان اليهود مثنية والنصارى مثلثة ولا باليوم الاخر لانهم فيه على خلاف
ما يجب حيث يزعمون ان لا اكل فيه ولا شرب ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله لانهم لا
يحرمون ما حرم فى الكتاب والسنة او لا يعملون بما فى التورية والانجيل ولا يدينون دين
الحق ولا يعتقدون دين الاسلام الذى هو الحق يقال فلان يدين بكذا اذا اتخذه دينه ومعتقده
من الذين اوتوا الكتاب بيان للذين قبله واما المجوس فملحقون باهل الكتاب فى قبول الجزية
وكذا الترك والهنود وغيرهما بخلاف مشركى العرب لما روى الزهرى رض ان النبى عليه السلام

صالح عبدة الاوثان على الجزية الا من كان من العرب حتى يعطوا الجزية الى ان يقبلوها وسميت
جزية لانه يجب على اهلها ان يجزوه اى يقضوه او هى جزاء على الكفر على التمهيل فى التذليل عن يد
اى عن يد مواتية غير ممتنعة ولذا قالوا اعطى بيده اذا انقاد لان من ابى وامتنع لم يعط يده
بخلاف المطيع المنقاد وقالوا نزع يده من الطاعة او حتى يعطوها عن يد الى يد نقدا غير نسيئة
لا مبعوثا على يد احد ولكن عن يد المعطى الى يد الآخذ وهم صاغرون اى تؤخذ منهم على
الصغار والذل وهو ان ياتى بها بنفسه ماشيا غير راكب ويسلمها وهو قايم والمتسلم
جالس وان يتلتل تلتلة وتؤخذ بتلبيبه ويقال له اد الجزية يا ذمى وان كان يؤديها ويزخ
فى قفاه وتسقط بالاسلام وقالت اليهود كلهم او بعضهم عزير ابن الله مبتداء وخبر كقوله
المسيح ابن الله وعزير اسم اعجمى وبعجمته وتعريفه امتنع صرفه ومن نونه وهم عاصم و على
فقد جعله عربيا وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بافواههم اى قول لا يعضده
برهان ولا يستند الى بيان فما هو الا لفظ يفوهون به فارغ من معنى تحته كالالفاظ المهملة
يضاهئون قول الذين كفروا من قبل لا بد فيه من حذف مضاف تقديره يضاهى قولهم
قولهم ثم حذف المضاف واقيم الضمير المضاف اليه مقامه فانقلب مرفوعا والمعنى ان
الذين كانوا فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى يضاهى قولهم قول
قدمائهم يعنى انه كفر قديم فيهم غير مستحدث او الضمير للنصارى اى يضاهى قولهم المسيح
ابن الله قول اليهود عزير ابن الله لانهم اقدم منهم يضاهيون عاصم واصل المضاهاة
المشابهة والاكثر لترك الهمزة واشتقاقه من قولهم امراة ضهياء وهى التى اشبهت الرجال
بانها لا تحيض كذا قاله الزجاج قاتلهم الله اى هم احقاء بان يقال لهم هذا انى يؤفكون كيف
يصرفون عن الحق بعد قيام البرهان اتخذوا اى اهل الكتاب احبارهم علماءهم ورهبانهم
نساكهم اربابا الهة من دون الله حيث اطاعوهم فى الامر بالمعاصى وتحليل ما حرم الله
وتحريم ما احل الله كما يطاع الارباب فى اوامرهم ونواهيهم والمسيح ابن مريم عطف على
احبارهم اى اتخذوه ربا حيث جعلوه ابن الله وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا يجوز
الوقف عليه لان ما بعده يصلح ابتداء ويصلح وصفا للواحد لا اله الا هو سبحانه عما يشركون

تنزيه له عن الاشراك يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم ويابى الله الا ان يتم نوره
ولو كره الكافرون مثل حالهم فى طلبهم ان يبطلوا نبوة محمد عليه الصلوة والسلام بالتكذيب
بحال من يريد ان ينفخ فى نور عظيم منبث فى الآفاق يريد الله ان يزيده ويبلغه غاية
القصوى من الاشراق والاضاءة فى ليطفئه بنفخه اجرى يابى الله مجرى لا يريد الله و
لذا وقع فى مقابلة يريدون والا لا يقال كرهت او ابغضت الا زيدا هو الذى ارسل رسوله
محمدا عليه الصلوة والسلام بالهدى بالقران ودين الحق الاسلام ليظهره ليغلبه على الدين
كله على اهل الاديان كلهم او ليظهر دين الحق على كل دين ولو كره المشركون يا ايها الذين آمنوا
ان كثيرا من الاحبار والرهبان لياكلون اموال الناس استعمال الاكل للاخذ بالباطل بالرشى
فى الاحكام ويصدون سفلتهم عن سبيل الله دينه والذين يكنزون الذهب والفضة
يجوز ان يكون اشارة الى الكثير من الاحبار والرهبان للدلالة على اجتماع خصلتين
ذميمتين فيهم اخذ الرشى وكنز الاموال والضن بها على الانفاق فى سبيل الخير ويجوز
ان يراد المسلمون الكافرون غير المنفقين ويقرن بينهم وبين المرتشين من اهل الكتاب
تغليظا وعن النبى صلى الله عليه وسلم ما ادى زكوته فليس بكنز وان كان باطنا وما بلغ ان
يزكى فلم يزك فهو كنز وان كان ظاهرا ولقد كان كثير من الصحابة رضى الله عنهم كعبد
الرحمن بن عوف وطلحة بن عبد الله يقتنون الاموال ويتصرفون فيها وما عابهم احد
ممن اعرض عن القنية لان الاعراض اختيار للافضل والاقتناء مباح لا يذم صاحبه ولا ينفقونها
فى سبيل الله الضمير راجع الى المعنى لان كل واحد منهما دنانير ودراهم فهو كقوله تعالى وان
طائفتان من المؤمنين اقتتلوا او اريد به الكنوز والاموال او معناه ولا ينفقونها
والذهب كما ان معنى قوله فانى وقيار بها لغريب اى انى لغريب وقيار كذلك وخصا
بالذكر من بين سائر الاموال لانهما قانون التمول واثمان الاشياء وذكر كنزهما دليل على
ما سواهما فبشرهم بعذاب اليم ومعنى قوله يوم يحمى عليها فى نار جهنم ان النار تحمى عليها اى
توقد وانما ذكر الفعل لانه مسند الى الجار والمجرور اصله يوم تحمى النار عليها فلما حذف النار
قيل يحمى لانتقال الاسناد عن النار الى عليها كما تقول رفعت القصة الى الامير فان لم تذكر القصة

قلت رفع الى الامين فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم وخصت هذه الاعضاء
لانهم كانوا اذا ابصروا الفقير عبسوا واذا ضمهم واياه مجلس ازوروا عنه وتولوا باركانهم وولوه ظهورهم او معناه يكوون على الجهات الاربع مقاديمهم وماخيرهم وعلى جنوبهم هذا ما كنزتم لانفسكم يقال لهم هذا ما كنزتموه لينتفع به نفوسكم وما علمتم انكم كنزتموه لتستقربه انفسكم وهو توبيخ لهم فذوقوا ما كنتم تكنزون اى وبال المال الذى كنتم تكنزونه او وبال كونكم كانزين ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا من غير زيادة والمراد بيان ان احكام الشرع تبتنى على الشهور القمرية المحسوبة بالاهلة دون الشمسية فى كتاب الله فيما اثبته واوجبه من حكمه او فى اللوح يوم خلق السموات والارض منها اربعة حرم ثلثة سرد ذو القعدة للقعود عن القتال وذو الحجة للحج والمحرم لتحريم القتال فيه وواحد فرد وهو رجب لترجيب العرب اياه اى تعظيمه ذلك الدين القيم اى الدين المستقيم لاما يفعله اهل الجاهلية يعنى ان تحريم الاشهر الاربعة هو الدين المستقيم دين ابراهيم واسماعيل عليهما السلام وكانت العرب تمسكت به وكانوا يعظمونها ويحرمون القتال فيها حتى احدثت النسئ فغيروا فلا تظلموا فيهن فى الحرم او فى الاثنى عشر انفسكم بارتكاب المعاصى وقاتلوا المشركين كافة حال من الفاعل او المفعول كما يقاتلونكم كافة جميعا واعلموا ان الله مع المتقين اى ناصرهم حثهم على التقوى بضمان النصر لاهلها انما النسئ بالهمزة فعيلة من نساه اذا اخره وهو تاخير حرمة الشهر الى شهر اخر وذلك انهم كانوا اصحاب حروب وغارات فاذا جاء الشهر الحرام وهم محاربون شق عليهم ترك المحاربة فيحلونه ويحرمون مكانه شهرا اخر حتى رفضوا تخصيص الاشهر الحرم بالتحريم فكانوا يحرمون من شهور العام اربعة اشهر زيادة فى الكفر اى هذا الفعل منهم زيادة فى كفرهم يضل كوفى غير ابى بكر به الذين كفروا بالنسئ والضمير فى يحلونه عاما ويحرمونه عاما للنسئ اى اذا احلوا شهرا من الاشهر الحرم عاما رجعوا فحرموه فى العام القابل ليواطئوا عدة ما حرم الله ليوافقوا العدة التى هى الاربعة ولا يخالفوها وقد خالفوا التخصيص الذى هو احد الواجبين واللام يتعلق بيحلونه ويحرمونه او بيحرمونه فحسب وهو الظاهر فيحلوا ما حرم الله اى فيحلوا بمواطاة العدة وحدها من غير تخصيص

ماحرم

ماحرم الله من القتال او من ترك الاختصاص للاشهر بعينها زين لهم سوء اعمالهم زين الشيطان اعمالهم ذلك فحسبوا اعمالهم القبيحة حسنة والله لا يهدى القوم الكافرين حال اختيارهم الثبات على الباطل يا ايها الذين امنوا اذا قيل لكم انفروا اخرجوا فى سبيل الله اثاقلتم تثاقلتم اصله الا ان التاء ادغمت فى الثاء فصارت ثاء ساكنة فدخلت الف الوصل ليلا يبتداء بالساكن اى تباطئتم الى الارض ضمن معنى الميل والاخلاد فعدى بالى والمعنى ملتم الى الدنيا وشهواتها وكرهتم مشاق السفر ومتاعبه او ملتم الى الاقامة بارضكم ودياركم وكان ذلك فى غزوة تبوك استنفروا فى وقت عسرة وقحط وقيظ مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم ذلك قيل ما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة الا ورى عنها بغيرها الا فى غزوة تبوك ليستعد الناس تمام العدة ارضيتم بالحيوة الدنيا من الاخرة بدل الاخرة فما متاع الحيوة الدنيا فى الاخرة فى جنب الاخرة الا قليل الا تنفروا الى الحرب يعذبكم عذابا اليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا سخط عظيم على المتثاقلين حيث اوعدهم بعذاب اليم مطلق يتناول عذاب الدارين وانه يهلكهم ويستبدل بهم قوما اخرين خيرا منهم واطوع وانه غنى عنهم فى نصرة دينه لا يقدح تثاقلهم فيها شيئا وقيل الضمير فى ولا تضروه للرسول لان الله تعالى وعده ان يعصمه من الناس وان ينصره ووعده ونصره كاين لا محالة والله على كل شئ قدير فيقدر على التعذيب والتبديل وغيرهما الا تنصروه فقد نصره الله ان لا تنصروه فسينصره من نصره حين لم يكن معه الا رجل واحد فدل بقوله فقد نصره الله على انه ينصره فى المستقبل كما نصره فى ذلك الوقت اذ اخرجه الذين كفروا اسند الاخراج الى الكفار لانهم حين هموا باخراجه اذن الله له بالخروج فكانهم اخرجوه ثانى اثنين احد اثنين كقوله ثالث ثلثة وهما رسول الله وابو بكر وانتصابه على الحال اذ هما بدل من اذ اخرجه فى الغار هو نقب فى اعلى ثور وهو جبل فى يمنى مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلاثا اذ يقول بدل ثان لصاحبه لا تحزن ان الله معنا بالنصرة والحفظ قيل طلع المشركون فوق الغار فاشفق ابو بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان تصب اليوم ذهب دين الله فقال عليه السلام ما ظنك باثنين الله ثالثهما وقيل لما دخل الغار بعث الله حمامتين فباضتا فى اسفله والعنكبوت فنسجت عليه وقال رسول الله اللهم اعم ابصارهم فجعلوا يترددون حول الغار

٢ مالكم م

٨ وهو م

ولا يفطنون قد اخذ الله بابصارهم عنه وقالوا من انكر صحبة ابي بكر فقد كفر لانكاره كلام الله
تعالى وليس ذلك لساير الصحابة فانزل الله سكينته ما القى في قلبه من الامنة التي سكن عندها
وعلم انهم لا يصلون اليه عليه على النبي صلى الله عليه وسلم او على ابي بكر رضي الله عنه لانه كان يخاف
وكان عليه الصلوة والسلام ساكن القلب وايده بجنود لم تروها هم الملايكة صرفوا وجوه
الكفار وابصارهم عن ان يروه او ايده بالملايكة يوم بدر والاحزاب وحنين وجعل كلمة
الذين كفروا اى دعوتهم الى الكفر السفلى وكلمة الله دعوته الى الاسلام هي فصل العليا وكلمة
الله بالنصب يعقوب بالعطف والرفع على الاستيناف اوجه اى هي لم تزل كانت عالية والله
عزيز يعز بنصره اهل كلمته حكيم يذل اهل الشرك بحكمته انفروا خفافا في النفور لنشاطكم
له وثقالا عنه لمشقته عليكم او خفافا لقلة عيالكم وثقالا لكثرتها او خفافا من السلاح
وثقالا منه او ركبانا ومشاة او شبابا وشيوخا او مهازيل وسمانا او صحاحا ومراضا
وجاهدوا باموالكم وانفسكم ايجاب للجهاد بهما ان امكن او باحدهما على حسب الحال و
الحاجة في سبيل الله ذلكم الجهاد خير لكم من تركه ان كنتم تعلمون ان ذلك خير فبادروا اليه
ونزل في المتخلفين من غزوة تبوك من المنافقين لو كان عرضا هو ما عرض لك من منافع الدنيا
يقال الدنيا عرض حاضر ياكل منه البر والفاجر اى لو كان ما دعوا اليه غنما قريبا سهل الماخذ
وسفرا قاصدا وسطا مقاربا والقاصد والقصد المعتدل لاتبعوك لوافقوك في الخروج
ولكن بعدت عليهم الشقة المسافة الشاطة الشاقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا
معكم من دلايل النبوة لانه اخبر بما سيكون بعد القفول من حلفهم فقالوا كما اخبر وبالله
متعلق بسيحلفون او هو من جملة كلامهم والقول مراد في الوجهين اى سيحلفون يعني المتخلفين
عند رجوعك من غزوة تبوك معتذرين يقولون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم او سيحلفون
بالله يقولون لو استطعنا وقوله لخرجنا معكم سد مسد جوابي القسم ولو جميعا ومعنى
الاستطاعة استطاعة العدة او استطاعة الابدان كانهم تمارضوا يهلكون انفسهم بدل من
سيحلفون او حال منه اى مهلكين والمعنى انهم يهلكونها بالحلف الكاذب او حال من لخرجنا
اى لخرجنا معكم وان اهلكنا انفسنا والقيناها في التهلكة بما نحملها في المسير في تلك الشقة

والله يعلم

والله يعلم انهم لكاذبون فيما يقولون عفا الله عنك كناية عن الزلة لان العفو رادف
لها وهو من لطف العتاب بتصدير العفو في الخطاب وفيه دلالة فضله على ساير الانبيا
حيث لم يذكر مثله لساير الانبياء عليهم السلام لم اذنت لهم بيان لما كني عنه بالعفو ومعناه
مالك اذنت لهم في القعود عن الغزو حين استاذنوك واعتلوا لك بعللهم وهلا استانيت
بالاذن حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين حتى يتبين لك الصادق في العذر من
الكاذب فيه وقيل شيآن فعلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يومر بهما اذنه للمنافقين
واخذه من الاسارى فعاتبه الله تعالى وفيه دليل جواز الاجتهاد للانبياء عليهم السلام
لانه عليه الصلوة والسلام انما فعل ذلك بالاجتهاد وانما عوتب مع ان له ذلك لتركه الافضل
وهم يعاتبون على ترك الافضل لا يستاذنك الذين يومنون بالله واليوم الاخر ان يجاهدوا
ليس من عادة المومنين ان يستاذنوك في ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم والله عليم
بالمتقين عدة لهم باجزل الثواب انما يستاذنك الذين لا يومنون بالله واليوم الاخر
يعني المنافقين وكانوا تسعة وثلثين رجلا وارتابت قلوبهم شكوا في دينهم واضطربوا
في عقيدتهم فهم في ريبهم يترددون يتحيرون لان التردد ديدن المتحير كما ان الثبات
ديدن المستبصر ولو ارادوا الخروج لاعدوا له للخروج او للجهاد عدة اهبة لانهم كانوا مياسير
ولما كان ولو ارادوا الخروج معطيا معنى نفي خروجهم واستعدادهم للغزو قيل ولكن كره
الله انبعاثهم نهوضهم للخروج كانه قيل ما خرجوا ولكن تثبطوا عن الخروج لكراهة انبعاثهم
فثبطهم فكسلهم وضعف رغبتهم في الانبعاث والتثبيط التوقيف عن الامر بالتزهيد
فيه وقيل اقعدوا اى قال بعضهم لبعض او قاله الرسول عليه الصلوة والسلام غضبا عليهم او
قاله الشيطان بالوسوسة مع القاعدين هو ذم لهم والحاق بالنساء والصبيان والزمنى الذين
شانهم القعود في البيوت لو خرجوا فيكم ما زادوكم بخروجهم معكم الا خبالا فسادا وشرا
والاستثناء متصل لان المعنى ما زادوكم شيئا الا خبالا والاستثناء المنقطع ان يكون المستثنى
من غير جنس المستثنى منه كقولك ما زادوكم خيرا الا خبالا والمستثنى منه في هذا الكلام غير مذكور
واذا لم يذكر وقع الاستثناء من الشيء فكان استثناء متصلا لان الخبال بعض ولاوضعوا خلالكم

وتسعين

ولسعوا بينكم بالتضريب والنمائم وافساد ذات البين يقال وضع البعير وضعا اذا اسرع و
اوضعته انا والمعنى ولااوضعوا ركائبهم بينكم والمراد الاسراع بالنمائم لان الراكب اسرع من
الماشي وخط في المصحف ولااوضعوا بزيادة الالف لان الفتحة كانت تكتب الفا قبل الخط
العربي والخط العربي اخترع قريبا من نزول القران وقد بقي من ذلك الالف اثر في الطباع
فكتبوا صورة الهمزة الفا وفتحتها الفا اخرى ونحوه اولااذبحنه يبغونكم حال من الضمير في اوضعوا
الفتنة اي يطلبون ان يفتنوكم بان يوقعوا الخلاف فيما بينكم ويفسدوا نياتكم في مغزاكم
اي مقصدكم وفيكم سماعون لهم اي نمامون يسمعون حديثكم فينقلونه اليهم والله عليم بالظالمين
بالمنافقين لقد ابتغوا الفتنة بصد الناس وبان يفتكوا به عليه الصلوة والسلام ليلة العقبة
او بالرجوع يوم احد من قبل من قبل غزوة تبوك وقلبوا لك الامور ودبروا لك الحيل
والمكايد ودوروا الاراء في ابطال امرك حتى جاء الحق وهو تأييدك ونصرك وظهر امر الله و
غلب دينه وعلا شرعه وهم كارهون اي على رغم منهم ومنهم من يقول ائذن لي ولاتفتني ولا توقعني
في الفتنة وهي الاثم بان لاتأذن لي فاني ان تخلفت بغير اذنك اثمت او ولاتلقني في الهلكة فاني اذا
خرجت معك هلك مالي وعيالي وقيل قال الجد بن قيس المنافق قد علمت الانصار اني مستهتر
بالنساء فلا تفتني ببنات الاصفر يعني نساء الروم ولكني اعينك بمال فاتركني الا في الفتنة سقطوا
يعني ان الفتنة هي التي سقطوا فيها وهي فتنة التخلف وان جهنم لمحيطة بالكافرين الان لان
اسباب الاحاطة معهم او هي تحيط بهم يوم القيمة ان تصبك في بعض الغزوات حسنة ظفر وغنيمة
تسؤهم وان تصبك مصيبة نكبة وشدة في بعضها نحو ما جرى يوم احد يقولوا قد اخذنا
امرنا الذي نحن متمسكون به من الحذر والتيقظ والعمل بالحزم من قبل من قبل ما وقع ويتولوا وهم
فرحون عن مقام التحدث بذلك الى اهاليهم وهم فرحون مسرورون قل لن يصيبنا الا ما كتب
الله لنا اي قضى من خير او شر هو مولينا اي الذي يتولانا ونتولاه وعلى الله فليتوكل المؤمنون
وحق المؤمنين ان لايتوكلوا على غير الله قل هل تربصون تنتظرون بنا الا احدى الحسنيين وهما
النصرة والشهادة ونحن نتربص بكم احدى السوأيين اما ان يصيبكم الله بعذاب من عنده وهو
قارعة من السماء كما نزلت على عاد وثمود او بعذاب بايدينا وهو القتل على الكفر فتربصوا بنا ما ذكرنا

انا معكم متربصون ما هو عاقبتكم قل انفقوا في وجوه البر طوعا او كرها طائعين او مكرهين نصب
على الحال كرها حمزة وعلي وهو امر في معنى الخبر ومعناه لن يتقبل منكم ما انفقتم طوعا او كرها ونحوه
استغفر لهم او لاتستغفر لهم وقوله اسيئي بنا او احسني لاملومة لدينا اي لن يغفر الله لهم استغفرت
لهم ام لم تستغفر لهم ولا نلومك اساءت الينا او احسنت وقد جاز عكسه في قولك رحم الله زيدا
ومعنى عدم القبول انه عليه الصلوة والسلام يردها عليهم ولايقبلها ولايثيبها الله وقوله طوعا
اي من غير الزام من الله ورسوله وكرها اي ملزمين وسمي الالزام الزاما اكراها لانهم منافقون
فكان الزامهم الانفاق شاقا عليهم كالاكراه انكم تعليل لرد انفاقهم كنتم قوما فاسقين متمردين
وعاتين وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم وبالياء حمزة وعلي الا انهم كفروا انهم فاعل منع وهم
وان تقبل مفعوله اي وما منعهم قبول نفقاتهم الا كفرهم بالله وبرسوله ولا يأتون الصلوة
الا وهم كسالى جمع كسلان ولا ينفقون الا وهم كارهون لانهم لا يريدون بها وجه الله تعالى
وصفهم بالطوع في قوله طوعا وسلبه منهم ههنا لان المراد بطوعهم انهم يبذلونه من غير الزام
من رسول الله صلى الله عليه وسلم او من رؤسائهم وما طوعهم ذلك الا عن كراهة واضطرار لا
عن رغبة واختيار فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا
الاعجاب بالشيء ان يسر به سرور راض به متعجب من حسنه والمعنى فلا تستحسن ما اوتوا من
زينة الدنيا فان الله تعالى انما اعطاهم ما اعطاهم ليعذبهم بالمصائب فيها او بالانفاق منه في
ابواب الخير وهم كارهون له او بنهب اموالهم وسبي اولادهم او بجمعها وحفظها وحبها
والبخل بها والخوف عليها وكل هذا عذاب وتزهق انفسهم وهم كافرون وتخرج ارواحهم و
اصل الزهوق الخروج بصعوبة ودلت الاية على بطلان القول بالاصلح لانه تعالى اخبر انه اعطاهم
الاموال والاولاد لهم للتعذيب والاماتة على الكفر وعلى ارادة الله تعالى المعاصي لان ارادة
العذاب بارادة ما يعذب عليه وكذا بارادة الاماتة على الكفر ويحلفون بالله انهم لمنكم لمن
جملة المسلمين وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون يخافون القتل وما يفعل بالمشركين فيتظاهرون
بالاسلام تقية لو يجدون ملجأ مكانا يلجؤون اليه متحصنين من رأس جبل او قلعة او جزيرة
او مغارات او غيرانا او مدخلا او نفقا يندسون فيه وهو مفتعل من الدخول لولوا اليه لاقبلوا

نحوه ومم يجمحون يسرعون اسراعا لا يردهم شئ كالفرس الجموح ومنهم ومن المنافقين من يلمزك في الصدقات يعيبك في قسمة الصدقات ويطعن عليك فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون اذ للمفاجات اي وان لم يعطوا منها فاجئوا السخط وصفهم بان رضاهم وسخطهم لانفسهم لا للدين وما فيه صلاح اهله لانه عليه الصلوة والسلام استعطف قلوب اهل مكة يومئذ بتوفير الغنائم عليهم فضج المنافقون منه ولو انهم رضوا ما اتيهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيوتينا الله من فضله ورسوله انا الى الله راغبون جواب لو محذوف تقديره ولو انهم رضوا لكان خيرا لهم والمعنى ولو انهم رضوا ما اصابهم به الرسول من الغنيمة وطابت به انفسهم وان قل نصيبهم وقالوا كفانا فضل الله وصنعه وحسبنا ما قسم لنا سيرزقنا غنيمة اخرى فيوتينا رسول الله اكثر مما اتانا اليوم انا الى الله في ان يغنمنا ويخولنا فضله لراغبون ثم بين مواضعها التي توضع فيها فقال انما الصدقات للفقراء والمساكين قصر جنس الصدقات على الاصناف المعدودة اي هي مختصة بهم لا يتجاوز الى غيرهم كانه قيل انما هي لهم لا لغيرهم كقولك انما الخلافة لقريش تريد لا تتعديهم ولا تكون لغيرهم فيحتمل ان تصرف الى الاصناف كلها وان تصرف الى بعضها كما هو مذهبنا وعن حذيفة وابن عباس وغيرهما من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم انهم قالوا في اي صنف منها وضعتها اجزاك وعند الشافعي رح لا بد من صرفها الى الاصناف وهو المروي عن عكرمة ثم الفقير الذي لا يسال لان عنده ما يكفيه للحال والمسكين الذي يسال لانه لا يجد شيئا فهو اضعف حالا منه وعند الشافعي رح على العكس والعاملين عليها هم السعاة الذي يقبضونها والمولفة قلوبهم على الاسلام اشراف من العرب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستالفهم على ان يسلموا وقوم منهم اسلموا فيعطيهم تقريرا لهم على الاسلام وفي الرقاب هم المكاتبون يعانون منها والغارمين الذين ركبتهم الديون ولا يملكون بعدها ما يبلغ النصاب وفي سبيل الله فقراء الغزاة والحجيج المنقطع بهم وابن السبيل المسافر المنقطع عن ماله فهو فقير حيث هو غني حيث ماله وانما عدل عن اللام الى في في الاربعة الاخيرة للايذان بانهم ارسخ في استحقاق التصدق عليهم ممن سبق ذكره لان في للوعاء فنبه على انهم احقاء بان توضع فيهم الصدقات ويجعلوا مظنة لها وتكرير في قوله وفي سبيل الله وابن السبيل فيه فضل ترجيح لهذين

على الرقاب

على الرقاب والغارمين وانما وقعت هذه الاية في تضاعيف ذكر المنافقين ليدل بكون هذه الاصناف مصارف الصدقات خاصة دون غيرهم على انهم ليسوا منهم حسما لاطماعهم واشعارا بانهم بعداء عنها وعن مصارفها فما لهم وما لها وما سلطهم على التكلم فيها ولمز قاسمها وسهم المولفة قلوبهم سقط باجماع الصحابة في صدر خلافة ابي بكر رضي الله عنهم لان الله اعز الاسلام واغنى عنهم والحكم متى ثبت معقولا بمعنى خاص يرتفع وينتهي بذهاب ذلك المعنى فريضة من الله في معنى المصدر المؤكد لان قوله انما الصدقات للفقراء معناه فرض الله الصدقات لهم والله عليم بالمصلحة حكيم في القسمة ومنهم الذين يوذون النبي ويقولون هو اذن الاذن الرجل الذي يصدق كل ما يسمع ويقبل قول كل احد سمي بالجارحة التي هي آلة السماع كان جملته اذن سامعة وايذاءهم له هو قولهم فيه هو اذن قصدوا به المذمة وانه من اهل سلامة القلوب والغرة ففسره الله تعالى بما هو مدح له وثناء عليه فقال قل اذن خير لكم كقولك رجل صدق تريد الجودة والصلاح كانه قيل نعم هو اذن ولكن نعم الاذن ويجوز ان يريد هو اذن في الخير والحق وفيما يجب سماعه وقبوله وليس باذن في غير ذلك ثم فسر كونه اذن خير بانه يومن بالله اي يصدق بالله بما قام عنده من الادلة ويومن للمومنين ويقبل من المومنين الخلص من المهاجرين والانصار وعدى فعل الايمان بالباء الى الله لانه قصد به التصديق بالله الذي هو ضد الكفر به والى المومنين باللام لانه قصد السماع من المومنين وان يسلم لهم ما يقولونه ويصدقه لكونهم صادقين عنده الا يرى الى قوله وما انت بمومن لنا كيف ينبو عن الباء ورحمة بالعطف على اذن ورحمة حمزة عطف على خير اي هو اذن خير واذن رحمة لا يسمع غيرها ولا يقبله للذين آمنوا منكم اي هو رحمة لمن آمن منكم اي اظهر الايمان ايها المنافقون حيث يقبل ايمانكم الظاهر ولا يكشف اسراركم ولا يفعل بكم ما يفعل بالمشركين او هو رحمة للمومنين حيث استنقذهم من الكفر الى الايمان ويشفع لهم في الاخرة بايمانهم في الدنيا والذين يوذون رسول الله لهم عذاب اليم في الدارين يحلفون بالله لكم ليرضوكم الخطاب للمسلمين وكان المنافقون يتكلمون بالمطاعن او يتخلفون عن الجهاد ثم ياتونهم فيعتذرون اليهم ويوكدون معاذيرهم بالحلف ليعذروهم ويرضوا عنهم فقيل لهم والله ورسوله احق ان يرضوه ان كانوا مومنين

ان كنتم مومنين كما تزعمون فما حق من ان ارضيتم الله ورسوله بالطاعة والوفاق وانما وحد الضمير
لانه لا تفاوت بين رضاء الله ورضاء رسوله فكانا في حكم شيء واحد كقولك احسان زيد واجماله
نفعني او والله احق ان يرضوه ورسوله كذلك الم يعلموا انه ان الامر والشان من يحادد الله
ورسوله يجاوز الحد بالخلاف وهي مفاعلة من الحد كالمشاقة من الشق فان له على حذف الخبراى
فحق ان له نار جهنم خالدا فيها ذلك الخزي العظيم يحذر المنافقون خبر بمعنى الامر اى ليحذر المنافقون
ان تنزل عليهم سورة تنزل بالتخفيف مكي وبصري تنبئهم بما في قلوبهم من الكفر والنفاق والضمائر
للمنافقين لان السورة اذا نزلت في معناهم فهي نازلة عليهم او الاولان للمومنين والثالث للمنافقين
وصح ذلك لان المعنى يعود اليه قل استهزؤا امر تهديد ان الله مخرج ما تحذرون مظهر ما
كنتم تحذرونه اى تحذرون اظهاره من نفاقكم وكانوا يحذرون ان يفضحهم الله بالوحي فيهم
وفي استهزائهم بالاسلام واهله حتى قال بعضهم وددت اني قدمت فجلدت مائة جلدة وانه
لا ينزل فينا شيء يفضحنا ولئن سالتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب بينا رسول الله عليه الصلوة
والسلام يسير في غزوة تبوك وركب من المنافقين يسيرون بين يديه فقالوا انظروا الى هذا
الرجل يريد ان يفتح قصور الشام وحصونه هيهات هيهات فاطلع الله نبيه على ذلك فقال
احبسوا على الركب فاتاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا يا نبي الله لا والله ما كنا في شيء من امرك
ولا من امر اصحابك ولكنا كنا في شيء مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر اى ولئن
سالتهم وقلت لهم لم قلتم ذلك لقالوا انما كنا نخوض ونلعب قل ابالله واياته ورسوله
كنتم تستهزؤن لم يعبا باعتذارهم لانهم كانوا كاذبين فيه فجعلوا كانهم معترفون باستهزائهم
وبانه موجود منهم حتى وبخوا باخطائهم موقع الاستهزاء حيث جعل المستهزء به
يلى حرف التقرير وذلك انما يستقيم بعد ثبوت الاستهزاء لا تعتذروا لا تشتغلوا باعتذاراتكم
الكاذبة فانها لا تنفعكم بعد ظهور سركم قد كفرتم قد اظهرتم كفركم باستهزائكم بعد ايمانكم بعد
اظهاركم الايمان ان نعف عن طائفة منكم بتوبتهم واخلاصهم الايمان بعد النفاق نعذب طائفة
بانهم كانوا مجرمين مصرين على النفاق غير تائبين منه ان نعف نعذب طائفة عاصم المنافقون
والمنافقات الرجال المنافقون كانوا ثلثمائة والنساء المنافقات مائة وسبعين بعضهم من بعض

اى كانهم نفس واحدة وفيه نفي ان يكونوا من المومنين وتكذيبهم في قوله ويحلفون بالله انهم
لمنكم وتقرير لقوله وما هم منكم ثم وصفهم بما يدل على مضادة حالهم بحال المومنين فقال
يامرون بالمنكر بالكفر والعصيان وينهون عن المعروف عن الطاعة والايمان ويقبضون
ايديهم شحا بالمبار والصدقات والانفاق في سبيل الله نسوا الله تركوا امره واغفلوا ذكره
فنسيهم فتركهم من رحمته وفضله ان المنافقين هم الفاسقون هم الكاملون في الفسق الذي
هو التمرد في الكفر والانسلاخ عن كل خير وكفى المسلم زاجرا ان يلم بما يكسبه هذا الاسم الفاحش
الذي وصف الله به المنافقين حتى بالغ في ذمهم وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار
نار جهنم خالدين فيها مقدرين الخلود فيها هي اى النار حسبهم فيه دلالة على عظم عذابها
وانه بحيث لا يزاد عليه ولعنهم الله واهانهم مع التعذيب وجعلهم مذمومين ملحقين
بالشياطين والملاعين ولهم عذاب مقيم دائم معهم في العاجل لا ينفكون عنه وهو ما يقاسونه
من تعب النفاق والظاهر المخالف للباطن خوفا من المسلمين وما يحذرونه ابدا من الفضيحة
ونزول العذاب ان اطلع على اسرارهم الكاف في كالذين من قبلكم كانوا اشد منكم قوة
واكثر اموالا واولادا فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم
بخلاقهم محلها رفع اى انتم مثل الذين من قبلكم او نصب على فعلتم مثل ما فعل الذين من
قبلكم وهو انكم استمتعتم بخلاقكم كما استمتعوا بخلاقهم اى تلذذوا بملاذ الدنيا والخلاق
النصيب مشتق من الخلق وهو التقدير اى ما خلق للانسان يعني قدر من خير وخضتم في الباطل
كالذي خاضوا كالفوج الذي خاضوا او كالخوض الذي خاضوا والخوض الدخول في الباطل
واللهو وانما قدم فاستمتعوا بخلاقهم وقوله كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم مغن عنه ليذم
الاولين بالاستمتاع بما اوتوا من حظوظ الدنيا والتهائهم بشهواتهم الفانية عن النظر في العاقبة
وطلب الفلاح في الاخرة ثم يشبه بعد ذلك حال المخاطبين بحالهم اولئك حبطت اعمالهم
في الدنيا والاخرة في مقابلة قوله واتيناه اجره في الدنيا وانه في الاخرة لمن الصالحين واولئك
هم الخاسرون ثم ذكر نبا الذين من قبلهم فقال الم ياتهم نبؤ الذين من قبلهم قوم نوح هو بدل
من الذين وعاد وثمود وقوم ابراهيم واصحاب مدين واهل مدين وهم قوم شعيب والمؤتفكات

مداين قوم لوط وايتفاكهن انقلاب احوالهن عن الخير الى الشر اتتهم رسلهم بالبينات فما كان
الله ليظلمهم فاصح منه ان يظلمهم باهلاكهم لانه حليم فلا يعاقبهم بغير جرم ولكن كانوا
انفسهم يظلمون بالكفر وتكذيب الرسل والمومنون والمومنات بعضهم اولياء بعض
في التناصر والتراحم يامرون بالمعروف بالطاعة والايمان وينهون عن المنكر عن الشرك
والعصيان ويقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة ويطيعون الله ورسوله اوليك سيرحمهم
الله السين مفيدة وجود الرحمة لا محالة فهي توكد الوعد كما توكد الوعيد في سانتقم منك
يوما ان الله عزيز غالب على كل شئ قادر عليه فهو يقدر على الثواب والعقاب حكيم
واضع كلا موضعه وعد الله المومنين والمومنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها ومساكن طيبة يطيب فيها العيش وعن الحسن قصورا من اللؤلؤ والياقوت الاحمر
والزبرجد في جنات عدن هو علم بدليل قوله جنات عدن التي وعد الرحمن وقد عرفت ان
الذي والتي وضعا لوصف المعارف بالجمل وهي مدينة في الجنة ورضوان من الله وشئ من
رضوان الله اكبر من ذلك كله لان رضاه سبب كل فوز وسعادة ذلك اشارة الى ما وعد
او الى الرضوان هو الفوز العظيم وحده دون ما يعده الناس فوزا ياءيها النبي جاهد الكفار
بالسيف والمنافقين بالحجة واغلظ عليهم في الجهادين جميعا ولا تحابهم وكل من وقف منه
على فساد في العقيدة فهذا الحكم ثابت فيه يجاهد بالحجة ويستعمل معه الغلظة ما امكن منها
وماويهم جهنم وبئس المصير جهنم اقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك
شهرين ينزل عليه القران ويعيب المنافقين المتخلفين فيسمع من معه منهم الجلاس بن سويد
فقال الجلاس والله لئن كان ما يقول محمد حقا لاخواننا الذين خلفناهم وهم سادتنا و
اشرافنا فنحن شر من الحمير فقال عامر بن قيس الانصاري للجلاس اجل والله ان محمدا صادق
وانت شر من الحمار وبلغ ذلك رسول الله فاستحضر فحلف بالله ما قال فرفع عامر يده
فقال اللهم انزل على عبدك ونبيك تصديق الكاذب وتكذيب الصادق فنزل يحلفون بالله
ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر يعني ان كان ما يقول محمد حقا فنحن شر من الحمير او هي استهزاؤهم
فقال الجلاس يا رسول الله والله لقد قلته وصدق عامر فتاب الجلاس وحسنت توبته و

وكفروا بعد اسلامهم واظهروا كفرهم بعد اظهارهم الاسلام وفيه دلالة على ان الايمان والاسلام
واحد لانه قال وكفروا بعد اسلامهم وهموا بما لم ينالوا من قتل محمد عليه الصلوة والسلام او قتل
عامر لرده على الجلاس وقيل ارادوا ان يتوجوا ابن ابي اسمه عبد الله وان لم يرض رسول الله
وما نقموا وما انكروا وما عابوا الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله وذلك انهم كانوا حين
قدم رسول الله المدينة في ضنك من العيش لا يركبون الخيل ولا يحوزون الغنيمة فاثروا
بالغنايم وقتل للجلاس مولى فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بديته اثني عشر الفا فان
يتوبوا من النفاق يك التوبة خيرا لهم وهي الاية التي تاب عندها الجلاس وان يتولوا يصروا
على النفاق يعذبهم عذابا اليما في الدنيا والاخرة بالقتل والنار وما لهم من ولي ولا نصير
ينجيهم من العذاب ومنهم من عاهد الله روي ان ثعلبة بن حاطب قال يا رسول الله ادع
الله ان يرزقني الله مالا فقال عليه الصلوة والسلام يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير
لا تطيقه فراجعه وقال والذي بعثك بالحق لئن رزقني مالا لاعطين كل ذي حق حقه فدعا له
فاتخذ غنما فنمت كما تنمى الدود حتى ضاقت به المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجماعة والجمعة
فسال عنه النبي عليه السلام فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث رسول الله
مصدقين لاخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسالاه الصدقة
فقال ما هذه الا جزية وقال ارجعا حتى ارى رايي فلما رجعا قال لهما رسول الله عليه السلام
قبل ان يكلماه يا ويح ثعلبة مرتين فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال ان الله منعني ان اقبل
منك فجعل التراب على راسه فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء بها الى ابي بكر فلم يقبلها
وجاء بها الى عمر في خلافته فلم يقبلها وهلك في زمن عثمان رضي الله عنهم لئن اتينا من
فضله اي ماله لنصدقن لنخرجن الصدقة الاصل لنتصدقن ولكن التاء ادغمت في الصاد
لقربها منها ولنكونن من الصالحين باخراج الصدقة فلما اتاهم من فضله اعطاهم الله المال
ونالوا مناهم بخلوا به منعوا حق الله ولم يفوا بالعهد وتولوا عن طاعة الله وهم معرضون
مصرون على اعراضهم فاعقبهم نفاقا في قلوبهم فاورثهم البخل نفاقا متمكنا في قلوبهم لانه كان
سببا فيه الى يوم يلقونه اي جزاء فعلهم وهو يوم القيمة بما اخلفوا الله ما وعدوه و

بما كانوا يكذبون بسبب اخلافهم ما وعدوا التصديق والصلاح وكونهم كاذبين ومنه
جعل خلف الوعد ثلث النفاق الم يعلموا يعني المنافقين ان الله يعلم سرهم ما اسروه
من النفاق والعزم على اخلاف ما وعدوه ونجويهم وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن
في الاسلام وتسمية الصدقة جزية وتدبير منعها وان الله علام الغيوب فلا يخفى عليه شيء
الذين محله النصب او الرفع على الذم او الجر على البدل من الضمير في سرهم ونجويهم يلمزون
المطوعين يعيبون المتطوعين المتبرعين من المؤمنين في الصدقات متعلق بيلمزون
المطوعين روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن
عوف باربعة آلاف درهم وقال كان لي ثمانية آلاف فاقرضت ربي اربعة وامسكت اربعة
لعيالي فقال عليه الصلوة والسلام بارك الله فيما اعطيت وفيما امسكت فبارك الله حتى صولحت
تماضر امراته عن ربع الثمن على ثمانين الفا وتصدق عاصم بمائة وسق من تمر والذين عطف على المطوعين
لا يجدون الا جهدهم طاقتهم وعن نافع جهدهم وهما واحد وقيل الجهد الطاقة والجهد المشقة وجاء
ابو عقيل بصاع من تمر فقال بت ليلتي اجر بالجرير على صاعين فتركت صاعا لعيالي وجئت بصاع
فلمزهم المنافقون وقالوا ما اعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء وان صاع ابي عقيل فالله غني عنه
فيسخرون منهم فيستهزؤن سخر الله منهم جازاهم على سخريتهم وهو خبر غير دعاء ولهم عذاب اليم
مولم ولما سال عبد الله بن ابي رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يستغفر لابيه في مرضه نزل
استغفر لهم او لا تستغفر لهم وقد مر ان هذا الامر في معنى الخبر كانه قيل لن يغفر الله لهم استغفرت
لهم ام لم تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم والسبعون جار مجرى المثل
في كلامهم للتكثير ليس على التحديد والغاية اذ لو استغفر لهم مدة حيوته لن يغفر لهم لانهم
كفار والله لا يغفر من كفر به والمعنى وان بالغت في الاستغفار فلن يغفر الله وقد وردت
الاخبار بذكر السبعين كلها يدل على الكثرة لا على التحديد والغاية ووجه تخصيص السبعين من
بين ساير الاعداد ان العدد قليل وكثير فالقليل ما دون الثلث والكثير الثلث فما فوقها
وادنى الكثير الثلثة وليس لاقصاه غاية والعدد ايضا نوعان شفع ووتر واول الاشفاع اثنان
واول الاوتار ثلثة والواحد ليس بعدد والسبعة اول الجمع الكثير من النوعين لان فيها اوتارا

ثلثة واشفاعا ثلثة والعشرة لقوة كمال الحساب لان ما جاوز العشرة فهو اضافة الاحاد الى العشرة
كقولك اثنا عشر وثلثة عشر الى عشرين والعشرون تكرير العشرة مرتين والثلثون تكريرها ثلث
مرات وكذلك الى مائة فالسبعون يجمع الكثرة والنوع والكثرة منه وكمال الحساب والكثرة
منه فصار السبعون ادنى الكثير من العدد من كل وجه ولا غاية لاقصاه فجاز ان يكون تخصيص
السبعين لهذا المعنى والله اعلم ذلك اشارة الى الياس بالمغفرة بانهم بسبب انهم كفروا بالله
ورسوله لا غفران للكافرين والله لا يهدي القوم الفاسقين الخارجين عن الايمان ما داموا
مختارين الكفر والطغيان فرح المخلفون المنافقون الذين استاذنوا رسول الله فاذن لهم و
خلفهم بالمدينة في غزوة تبوك او الذين خلفهم كسلهم ونفاقهم والشيطان بمقعدهم بقعودهم
عن الغزو خلاف رسول الله مخالفة له وهو مفعول له او حال اي قعدوا لمخالفته او مخالفين
له وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله اي لم يفعلوا ما فعله المؤمنون من بذل
اموالهم وارواحهم في سبيل الله وكيف لا يكرهونه وما فيهم ما في المؤمنين من باعث الايمان
ودواعي الايقان وقالوا لا تنفروا في الحر قال بعضهم لبعض او قالوا للمؤمنين قل نار جهنم
اشد حرا لو كانوا يفقهون استجهال لهم لان من تصون من مشقة ساعة فوقع بسبب ذلك
التصون في مشقة الابد كان اجهل من كل جاهل فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا اي فيضحكون
قليلا على فرحهم بتخلفهم في الدنيا ويبكون كثيرا جزاء في العقبى الا انه اخرج على لفظ الامر
للدلالة على انه حتم واجب لا يكون غيره يروى ان اهل النفاق يبكون في النار عمر الدنيا لا
يرقاء لهم دمع ولا يكتحلون بنوم جزاء بما كانوا يكسبون من النفاق فان رجعك الله
اي ردك من تبوك وانما قال الى طائفة منهم لان منهم من تاب من النفاق ومنهم من هلك
فاستاذنوك للخروج الى غزوة بعد غزوة تبوك فقل لن تخرجوا معي ابدا وبسكون الياء
حمزة وعلي وابو بكر ولن تقاتلوا معي عدوا معي حفص انكم رضيتم بالقعود اول مرة اول ما
دعيتم الى غزوة تبوك فاقعدوا مع الخالفين مع من تخلف بعذر سال ابن عبد الله بن ابي
كان مؤمنا ان يكفن النبي صلى الله عليه وسلم اباه في قميصه ويصلي عليه ففعل واعترض عمر رضه
في ذلك فقال عليه الصلوة والسلام ذلك لا ينفعه وكنت ارجو ان يؤمن به الف من قومه

فنزل ولا تصل على احد منهم من المنافقين يعنى صلوة الجنازة روى انه اسلم الف من الخزرج
لما راوه يطلب التبرك بثوب النبى صلى الله عليه وسلم مات صفة لاحد ابدا ظرف لتصل
وكان عليه الصلوة والسلام اذا دفن الميت وقف على قبره ودعا له فقيل ولا تقم على قبره
انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون تعليل للنهى اى انهم ليسوا باهل الصلوة عليهم
لانهم كفروا بالله ورسوله ولا تعجبك اموالهم واولادهم انما يريد الله ان يعذبهم بها
فى الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون التكرير للمبالغة والتاكيد وان يكون على بال من المخاطب
لا ينساه وان يعتقد ولانه مهم وكان كل اية فى فرقة غير الفرقة الاخرى واذا انزلت سورة
يجوز ان يراد سورة بتمامها وان يراد بعضها كما يقع القران والكتاب على كله وعلى بعضه ان
امنوا بالله بان امنوا او هى ان المفسرة وجاهدوا مع رسوله استاذنك اولوا الطول منهم
ذوو الفضل والسعة وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين مع الذين لهم عذر فى التخلف كالمرضى
والزمنى رضوا بان يكونوا مع الخوالف اى النساء جمع خالفة وطبع على قلوبهم ختم عليها
لاختيارهم الكفر والنفاق فهم لا يفقهون ما فى الجهاد من الفوز والسعادة وما فى التخلف
من الهلاك والشقاوة لكن الرسول والذين امنوا معه جاهدوا باموالهم وانفسهم اى ان
تخلف هولاء فقد نهض الى الغزو من هو خير منهم واولئك لهم الخيرات يتناول منافع الدارين
لاطلاق اللفظ وقيل الحور لقوله فيهن خيرات واولئك هم المفلحون الفائزون بكل مطلوب
اعد الله لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم قوله اعد دليل
على انها مخلوقة وجاء المعذرون من الاعراب ليوذن لهم هو من عذر فى الامر اذا قصر فيه
وتوانى او حقيقته ان يوهم ان له عذرا فيما فعل ولا عذر له او المعتذرون بادغام التاء فى
الذال ونقل حركتها الى العين وهم الذين يعتذرون بالباطل قيل هم اسد وغطفان قالوا ان
لنا عيالا وان بنا جهدا فاذن لنا فى التخلف وقعد الذين كذبوا الله ورسوله هم منافقو
الاعراب الذين لم يجيبوا ولم يعتذروا وظهر بذلك انهم كذبوا الله ورسوله فى ادعايهم الايمان
سيصيب الذين كفروا منهم من الاعراب عذاب اليم فى الدنيا بالقتل وفى الاخرة بالنار ليس على
الضعفاء الهرمى والزمنى ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون هم الفقراء من مزينة

وجهينة

وجهينة وبنى عذرة حرج اثم وضيق فى التاخر اذا نصحوا لله ورسوله بان امنوا فى السر والعلن
واطاعوا كما يفعل الناصح بصاحبه ما على المحسنين المعذورين الناصحين من سبيل اى لا جناح عليهم
ولا طريق للعاتب عليهم والله غفور يغفر لهم تخلفهم رحيم ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم
لتعطيهم الحمولة قلت حال من الكاف فى اتوك وقد قبله مضمرة اذا ما اتوك قائلا لا اجد ما
احملكم عليه تولوا هو جواب اذا واعينهم تفيض من الدمع اى تسيل كقولك تفيض دمعا وهو
ابلغ من تفيض دمعها لان العين جعلت كان كلها دمع فايض ومن للبيان كقولك افديك
من رجل ومحل الجار والمجرور النصب على التميز ويجوز ان يكون قلت لا اجد استينافا كانه
قيل اذا ما اتوك لتحملهم تولوا فقيل ما لهم تولوا باكين فقيل قلت لا اجد ما احملكم عليه الا انه
وسط بين الشرط والجزاء كالاعتراض حزنا مفعول له ان لا يجدوا ما ينفقون لئلا يجدوا ما
ينفقون ومحله النصب على انه مفعول له وناصبه حزنا والمتحملون ابو موسى الاشعرى واصحابه
او البكاؤون وهم ستة نفر من الانصار انما السبيل على الذين يستاذنونك فى التخلف وهم
اغنياء وقوله رضوا استيناف كانه قيل ما بالهم استاذنوا وهم اغنياء فقيل رضوا بان يكونوا
مع الخوالف اى بالانتظام فى جملة الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون يعتذرون اليكم
يقيمون لانفسهم عذرا باطلا اذا رجعتم اليهم من هذه السفرة قل لا تعتذروا بالباطل لن نومن
لكم لن نصدقكم وهو علة النهى عن الاعتذار لان غرض المعتذر ان يصدق فيما يعتذر به قد نبأنا
الله من اخباركم علة لانتفاء تصديقهم لانه تعالى اذا اوحى الى رسوله الاعلام باخبارهم وما فى
ضمايرهم لم يستقم مع ذلك تصديقهم فى معاذيرهم وسيرى الله عملكم ورسوله اتنيبون
ام تثبتون على كفركم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة اى تردون اليه وهو عالم كل سر
وعلانية فينبئكم بما كنتم تعملون فيجازيكم على حسب ذلك سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم
اليهم لتعرضوا عنهم لتتركوهم ولا توبخوهم فاعرضوا عنهم فاعطوهم طلبتهم انهم رجس
تعليل لترك معاتبتهم اى ان المعاتبة لا تنفع فيهم ولا تصلحهم لانهم ارجاس لا سبيل الى تطهيرهم
وماويهم جهنم ومصيرهم النار يعنى وكفتهم النار عتابا وتوبيخا فلا تتكلفوا عتابهم جزاء
بما كانوا يكسبون اى يجزون جزاء كسبهم يحلفون لكم لترضوا عنهم اى غرضهم بالحلف بالله طلب

رضاكم لينفعهم ذلك لدنياهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين اى بان
رضاكم وحلفكم لا ينفعهم اذا كان الله ساخطا عليهم وكانوا عرضة لعاجل عقوبته واصلها او انما قيل
ذلك لئلا يتوهم ان رضا المومنين يقتضى رضا الله عنهم الاعراب اهل البدو اشد كفرا و
نفاقا من اهل الحضر لجفائهم وقسوتهم وبعدهم عن العلم والعلماء واجدر ان لا يعلموا واحق
بان لا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله يعنى حدود الدين وما انزل الله من الشرايع والاحكام
ومنه قوله عليه الصلوة والسلام ان الجفاء والقسوة فى الفدادين يعنى الاكرة لانهم يفدون اى
يصيحون فى حروثهم والفديد الصياح والله عليم باحوالهم حكيم فى امهالهم ومن الاعراب من
يتخذ ما ينفق اى يتصدق مغرما غرامة وخسرانا لانه لا ينفق الا تقية من المسلمين ورياء لا لوجه
الله وابتغاء المثوبة عنده ويتربص بكم الدواير دواير الزمان وتبدل الاحوال بدور
الايام ليذهب غلبتكم عليه فيتخلص من اعطاء الصدقة عليهم دايرة السوء اى عليهم تدور المصائب
والحروب التى يتوقعون وقوعها فى المسلمين السوء مكى وابو عمرو وهو العذاب والسوء
بالفتح ذم للداير كقولك رجل سوء فى مقابلة قولك رجل صدق والله سميع لما يقولون
اذا توجهت عليهم الصدقة عليم بما يضمرونه ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الاخر و
يتخذ ما ينفق فى الجهاد والصدقات قربات اسبابا للقربة عند الله وهى مفعول ثان ليتخذ
وصلوات الرسول اى دعاءه لانه عليه الصلوة والسلام كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة
ويستغفر لهم كقوله اللهم صل على آل ابى اوفى بالخير والبركة الا انها ان النفقة وصلوات الرسول
قربة لهم قربة نافع وهذا شهادة من الله للمتصدقين بصحة ما اعتقده من كون نفقته قربات
وصلوات وتصديق لرجائه على طريق الاستيناف مع حرفى التنبيه والتحقيق المؤذنين بثبات
الامر وتمكنه وكذلك سيدخلهم الله فى رحمته جنته وما فى السين من تحقيق الوعد وما
ادل هذا الكلام على رضا الله عن المتصدقين وان الصدقة منه بمكان اذا خلصت النية من
صاحبها ان الله غفور يستر العيب الخلل رحيم يقبل جهد المقل والسابقون مبتدأ الاولون
صفة لهم من المهاجرين تبيين لهم وهم الذين صلوا الى القبلتين او الذين شهدوا بدرا او
بيعة الرضوان والانصار عطف على المهاجرين اى ومن الانصار وهم اهل بيعة العقبة الاولى

وكانوا سبعة نفر واهل العقبة الثانية وهم كانوا سبعين والذين اتبعوهم باحسان من المهاجرين
والانصار وكانوا ساير الصحابة وقيل هم الذين اتبعوهم بالايمان والطاعة الى يوم القيمة والخبر
رضى الله عنهم باعمالهم الحسنة ورضوا عنه لما افاض عليهم من نعمته الدينية والدنيوية واعد لهم
عطف على رضى جنات تجرى تحتها الانهار من تحتها مكى خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم
وممن حولكم اى حول بلدتكم وهى المدينة من الاعراب منافقون وهم جهينة واسلم واشجع
وغفار كانوا نازلين حولها ومن اهل المدينة عطف على خبر المبتدأ الذى هو ممن حولكم او المبتدأ
منافقون ويجوز ان يكون جملة معطوفة على المبتدأ والخبر اذا قدرت ومن اهل المدينة
قوم مردوا على النفاق اى تمهروا فيه على ان مردوا صفة موصوف محذوف وعلى الوجه الاول
لا يخلو من ان يكون كلاما مبتدأ او صفة لمنافقون فصل بينها وبينه بمعطوف على خبره ودل
على مهارتهم فيه بقوله لا تعلمهم اى يخفون عليك مع فطنتك وصدق فراستك لفرط
تنوقهم فى تحامى ما يشكك فى امرهم ثم قال نحن نعلمهم اى لا يعلمهم الا الله ولا يطلع على سرهم غيره
لانهم يبطنون الكفر فى سويداء قلوبهم ويبرزون لك ظاهرا كظاهر المخلصين من المومنين
سنعذبهم مرتين هما القتل وعذاب القبر او الفضيحة وعذاب القبر او اخذ الزكوة من اموالهم
ونهك ابدانهم ثم يردون الى عذاب عظيم اى عذاب النار واخرون اى قوم اخرون سوى
المذكورين اعترفوا بذنوبهم اى لم يعتذروا من تخلفهم بالمعاذير الكاذبة كغيرهم ولكن
اعترفوا على انفسهم بانهم بئس ما فعلوا نادمين وكانوا عشرة فسبعة منهم لما بلغهم ما نزل
فى المتخلفين اوثقوا انفسهم على سوارى المسجد فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل
المسجد فصلى ركعتين وكانت عادته كلما قدم من سفر فرآهم موثقين فسال عنهم فذكر له انهم
اقسموا ان لا يحلوا انفسهم حتى يكون رسول الله عليه الصلوة والسلام هو الذى يحلهم فقال و
انا اقسم ان لا احلهم حتى اومر فيهم فنزلت فاطلقهم فقالوا يا رسول الله هذه اموالنا التى
خلفتنا عنك فتصدق بها وطهرنا به فقال ما امرت ان آخذ من اموالكم شيئا فنزل خذ من اموالهم
صدقة خلطوا عملا صالحا خروجا الى الجهاد واخر سيئا تخلفا عنه او التوبة والاثم وهو من قولهم
بعت الشاء شاة ودرهما اى شاة بدرهم فالواو بمعنى الباء لان الواو للجمع والباء للالصاق

يتناسبان او المعنى خلط كل واحد منهما بالآخر فكل واحد منهما مخلوط ومخلوط به لقولك خلطت
الماء واللبن تريد خلطت كل واحد منهما بصاحبه بخلاف قولك خلطت الماء باللبن لانك جعلت
الماء مخلوطا واللبن مخلوطا به واذا قلته بالواو فقد جعلت الماء واللبن مخلوطين ومخلوطا بهما
كانك قلت خلطت الماء باللبن واللبن بالماء عسى الله ان يتوب عليهم ان الله غفور رحيم
ولم يذكر توبتهم لانه ذكر اعترافهم بذنوبهم وهو دليل على التوبة خذ من اموالهم صدقة كفارة
لذنوبهم وقيل هي الزكوة تطهرهم عن الذنوب وهو صفة لصدقة والتاء للخطاب او لغيبة
المؤنث والتاء في وتزكيهم للخطاب لا محالة بها بالصدقة والتزكية مبالغة في التطهير وزيادة
فيه او بمعنى الانماء والبركة في المال وصل عليهم واعطف عليهم بالدعاء لهم وترحم والسنة ان
يدعو المصدق لصاحب الصدقة اذا اخذها ان صلوتك صلواتك كوفي غير ابي بكر قيل الصلوة
اكثر من الصلوات لانها للجنس سكن لهم يسكنون اليه وتطمئن قلوبهم بان الله قد تاب عليهم
والله سميع لدعائك او يسمع اعترافهم بذنوبهم ودعائهم عليم بما في ضمائرهم من الندم والغم
لما فرط منهم الم يعلموا المراد المتوب عليهم اى الم يعلموا قبل ان يتاب عليهم وتقبل صدقاتهم
ان الله هو يقبل التوبة عن عباده اذا صحت ويأخذ الصدقات ويقبلها اذا صدرت عن خلوص
النية وهو للتخصيص اى ان ذلك ليس الى رسول الله انما الله هو الذى يقبل التوبة ويردها
فاقصدوه بها ووجهوها اليه وان الله هو التواب كثير قبول التوبة الرحيم يعفو الحوبة وقل
لهؤلاء التائبين اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون اى فان عملكم لا يخفى خيرا كان او
شرا على الله وعباده كما رايتم وتبين لكم او غير التائبين ترغيبا لهم في التوبة فقد روى انه لما
تيب عليهم قال الذين لم يتوبوا هؤلاء الذين تابوا كانوا بالامس معنا لا يكلمون ولا يجالسون
فما لهم فنزلت وقوله فسيرى الله وعيد لهم وتحذير من عاقبة الاصرار والذهول عن التوبة
وستردون الى عالم الغيب ما يغيب عن الناس والشهادة ما تشاهدونه فينبئكم بما كنتم تعملون
تنبيه تذكير ومجازاة عليه واخرون مرجون لامر الله بغير همز مدني وكوفي غير ابي بكر مرجون
غيرهم من ارجيته وارجايته اذا اخرته ومنه المرجئة اى واخرون من المتخلفين موقوفون
الى ان يظهر امر الله فيهم اما يعذبهم ان اصروا ولم يتوبوا واما يتوب عليهم ان تابوا وهم ثلثة

كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع ضابط مكة تخلفوا عن غزوة تبوك وهم الذين
ذكروا في قوله وعلى الثلثة الذين خلفوا والله عليم برجائهم حكيم في ارجائهم واما للشك وهو
راجع الى العباد اى خافوا عليهم العذاب وارجوا لهم الرحمة روى انه عليه الصلوة والسلام
امر اصحابه ان لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم ولم يفعلوا كما فعل ذلك الفريق من شد انفسهم على
السوارى واظهار الجزع والغم فلما علموا ان احدا لا ينظر اليهم فوضوا امرهم الى الله واخلصوا
نياتهم ونصحت توبتهم فرحمهم الله والذين اتخذوا مسجدا تقريره ومنهم الذين اتخذوا الذين
بغير واو مدني وشامي وهو مبتدا خبره محذوف اى جازيناهم روى ان بني عمرو بن
عوف لما بنوا مسجد قباء بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يأتيهم فاتاهم فصلى فيه
فحسدهم اخوتهم بنو غنم بن عوف وقالوا نبني مسجدا ونرسل الى رسول الله يصلي فيه و
يصلي فيه ابو عامر الراهب اذا قدم من الشام وهو الذى قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم احد لا اجد قوما تقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتلهم الى يوم حنين فلما انهزمت
هوازن خرج هاربا الى الشام وارسل الى المنافقين ان استعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح
فبنوا مسجدا الى جنب مسجد قباء وقالوا للنبي عليه الصلوة والسلام بنينا مسجدا لذى العلة
والحاجة ونحن نحب ان تصلي لنا فيه فقال اني على جناح سفر فاذا قدمنا من تبوك ان
شاء الله صلينا فيه فلما قفل من غزوة تبوك سألوه اتيان المسجد فنزلت عليه فقال
لوحشي قاتل حمزة ومعن بن عدى وغيرهما انطلقوا الى هذه المسجد الظالم اهله فاهدموه
واحرقوه ففعل وامر ان يتخذ مكانه كناسة تلقى فيه الجيف والقمامة ومات ابو عامر
بالشام ضرارا مفعول له وكذا ما بعده اى مضارة لاخوانهم اصحاب مسجد قباء وكفرا وتقوية
للنفاق وتفريقا بين المؤمنين لانهم كانوا يصلون مجتمعين في مسجد قباء فارادوا ان يتفرقوا
عنه وتختلف كلمتهم وارصادا لمن واعدادا لاجل من حارب الله ورسوله وهو الراهب
اعدوه له يصلي فيه ويظهر على رسول الله عليه الصلوة والسلام وقيل كل مسجد بني مباهاة
او رياء او سمعة او لغرض سوى ابتغاء وجه الله او بمال غير طيب فهو لاحق بمسجد الضرار
من قبل متعلق بحارب اى من قبل بناء هذا المسجد يعني يوم الخندق وليحلفن كاذبين ان اردنا

فوضوا

الا الحسنى ما اردنا ببناء هذا المسجد الا الخصلة الحسنى وهى الصلوة وذكر الله والتوسعة على
المصلين والله يشهد انهم لكاذبون فى حلفهم لا تقم فيه ابدا للصلواة لمسجد اسس على التقوى
اللام للابتداء واسس نعت له وهو مسجد قباء اسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى
فيه ايام مقامه بقباء وهو يوم الاثنين والثلثاء والاربعاء والخميس وخرج يوم الجمعة
او مسجد رسول الله بالمدينة من اول يوم من ايام وجوده قيل القياس فيه منذ لانه لابتداء
الغاية فى الزمان ومن لابتداء الغاية فى المكان والجواب ان من عام فى الزمان والمكان احق
ان تقوم فيه مصليا فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين قيل لما نزلت
مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه المهاجرون حتى وقفوا على باب مسجد قباء فاذا
الانصار جلوس فقال امؤمنون انتم فسكت القوم ثم اعادها فقال عمر يا رسول الله انهم
لمؤمنون وانا معهم فقال عليه الصلوة والسلام اترضون بالقضاء قالوا نعم قال اتصبرون
على البلاء قالوا نعم قال اتشكرون فى الرخاء قالوا نعم قال عليه الصلوة والسلام مؤمنون ورب
الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الانصار ان الله عز وجل قد اثنى عليكم فالذى تصنعون عند
الوضوء وعند الغائط فقالوا يا رسول الله نتبع الغائط الاحجار الثلثة ثم نتبع الاحجار
الماء فتلا النبى عليه الصلوة والسلام فيه رجال يحبون ان يتطهروا قيل هو عام فى التطهير
عن النجاسات كلها وقيل هو التطهر من الذنوب بالتوبة ومعنى محبتهم التطهر انهم يوثرونه
ويحرصون عليه حرص المحب للشئ ومعنى محبة الله اياهم انه يرضى عنهم ويحسن اليهم كما
يفعل المحب بمحبوبه افمن اسس بنيانه وضع اساس ما يبنيه على تقوى من الله خير ورضوان
خير امن اسس بنيانه على شفا جرف هار هذا سوال تقرير وجوابه مسكوت عنه لوضوحه
والمعنى افمن اسس بنيان دينه على قاعدة محكمة وهو تقوى الله ورضوانه خير امن اسس على
قاعدة هى اضعف القواعد وهو الباطل والنفاق الذى مثله مثل شفا جرف هار فى قلة الثبات
والاستمساك وضع شفا الجرف فى مقابلة التقوى لانه جعل مجازا عما ينافى التقوى والشفا
الحرف والشفير وجرف الوادى جانبه الذى يتحفر اصله بالماء وتجرفه السيول فيبقى واهيا
والهار الهاير وهو المتصدع الذى اشفى على التهدم والسقوط ووزنه فعل قصر من فاعل كالخلف

من خالف

من خالف والفه ليس بالف فاعل انما هى عينه واصله هور فقلبت الفا لحركتها وانفتاح ما قبلها
ولا ترى ابلغ من هذا الكلام ولا ادل على حقيقة الباطل وكنه امره افمن اسس بنيانه امن اسس شامى
ونافع جرف شامى وحمزة ويحيى هار بالامالة ابو عمرو وحمزة فى رواية يحيى فانهار به فى
نار جهنم فطاح به الباطل فى نار جهنم فلما جعل الجرف الهاير مجازا عن الباطل رشح المجاز فجئ بلفظ
الانهيار الذى هو للجرف وليصور ان المبطل كانه اسس بنيانا على شفا جرف من اودية جهنم فانهار
به ذلك الجرف فهوى فى قعرها قال جابر رايت الدخان يخرج فى مسجد الضرار حين انهار والله
لا يهدى القوم الظالمين لا يوفقهم للخير عقوبة لهم على نفاقهم لا يزال بنيانهم الذى بنوا ريبة
فى قلوبهم لا يزال هدمه بسبب شك ونفاق زايد على شكهم ونفاقهم لما غاظهم من ذلك وعظم
الا ان تقطع قلوبهم شامى وحمزة وحفص اى تتقطع غيرهم تقطع اى الا ان تقطع قلوبهم قطعا
وتفرق اجزاء فحينئذ يسلون عنه واما ما دامت الة مجتمعة فالريبة باقية متمكنة ثم يجوز ان يكون
ذكر التقطع تصويرا لحال زوال الريبة عنها ويجوز ان يراد حقيقة تقطيعها وما هو كائن منه
بقتلهم او فى القبور او فى النار او معناه الا ان يتوبوا توبة تتقطع بها قلوبهم ندما واسفا على
تفريطهم والله عليم بعزايمهم حكيم فى جزء جرائمهم ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم
بان لهم الجنة مثل الله اثابتهم بالجنة على بذلهم انفسهم واموالهم فى سبيله بالشرى وروى تاجرهم
فاغلى لهم الثمن وعن الحسن انفسا هو خلقها واموالا هو رزقها ومر برسول الله صلى الله عليه وسلم
اعرابى وهو يقرؤها فقال بيع والله مربح لا نقيله ولا نستقيله فخرج الى الغزو واستشهد يقاتلون
فى سبيل الله بيان محل التسليم فيقتلون ويقتلون اى تارة يقتلون العدو وطورا يقتلهم العدو
فيقتلون ويقتلون حمزة وعلى وعدا عليه مصدر اى وعدهم بذلك وعدا حقا صفته اخبر بان
هذا الوعد الذى وعده للمجاهدين فى سبيله وعد ثابت قد اثبته فى التورية والانجيل و
القران وهو دليل على ان كل ملة امروا بالقتال ووعدوا عليه ثم قال ومن اوفى بعهده من الله
لان اخلاف الميعاد قبيح لا يقدم عليه الكريم منا فكيف باكرم الاكرمين ولا ترى ترغيبا فى الجهاد
احسن منه وابلغ فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به فافرحوا به غاية الفرح فانكم تبيعون
فانيا بباق وذلك هو الفوز العظيم قال الصادق رضى الله عنه ليس لابدانكم ثمن الا الجنة فلا

سالته

تبيعوها الا ايها التائبون رفع على المدح اى هم التائبون يعنى المومنين المذكورين او هو مبتدأ
خبره العابدون اى الذين عبدوا الله وحده واخلصوا له العبادة وما بعده خبر بعد خبر
اى التائبون من الكفر على الحقيقة الجامعون لهذه الخصال وعن الحسن انهم الذين تابوا
من الشرك وتبرؤا من النفاق الحامدون على نعمة الاسلام السائحون الصائمون لقوله عليه
الصلوة والسلام سياحة امتى الصيام او طلبة العلم لانهم يسيحون فى الارض يطلبونه فى
مظانه والسايرون فى الارض للاعتبار الراكعون الساجدون المحافظون على الصلوات
الامرون بالمعروف بالايمان والمعرفة والطاعة والناهون عن المنكر عن الشرك والمعاصى
ودخلت الواو للاشعار بان السبعة عقد تام او لتضاد بين الامر والنهى كما فى قوله ثيبات
وابكارا والحافظون لحدود الله اوامره ونواهيه او معالم الشرع وبشر المومنين المتصفين
لهذه الصفات وهم عليه الصلوة والسلام ان يستغفر لابى طالب فنزل ما كان للنبى والذين
امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولى قربى اى ما صح له الاستغفار فى حكم الله وحكمته
من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم من بعد ما ظهر لهم انهم ماتوا على الشرك ثم ذكر عذر
ابراهيم عليه السلام فقال وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه اى
وعدها ابوه اياه ان يسلم او وعدها اياه ان يستغفر وهو قوله ساستغفر لك دليله قراءة
الحسن وعدها اباه ومعنى استغفاره سواله المغفرة بعد ما اسلم او سواله اعطاء الاسلام
الذى به يغفر له فلما تبين من جهة الوحى له لابراهيم انه ان اباه عدو لله بان يموت كافرا
وانقطع رجاؤه عنه تبرا منه وقطع استغفاره ان ابراهيم لاواه هو المتاوه شفقا
فرقا ومعناه انه لفرط ترحمه ورقته كان يتعطف على ابيه الكافر حليم هو الصبور على البلاء
الصفوح على الاذاء لانه كان يستغفر لابيه وهو يقول لارجمنك وما كان الله ليضل قوما
بعد اذ هديهم حتى يبين لهم ما يتقون اى ما امر الله باتقائه واجتنابه كالاستغفار
للمشركين وغيره مما نهى عنه وبين انه محظور لا يواخذ به عباده الذين هداهم الى الاسلام
ولا يخذلهم الا اذا اقدموا عليه بعد بيان حظره وعلمهم بانه واجب الاجتناب واما قبل العلم
والبيان فلا وهذا بيان لعذر من خاف المواخذة بالاستغفار للمشركين والمراد بما يتقو[ن]

ما يجب اتقاؤه للنهى فاما ما يعلم بالعقل فغير موقوف على التوفيق ان الله بكل شئ عليم ان الله
له ملك السموات والارض يحيى ويميت وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير لقد تاب
الله على النبى اى تاب عليه باذنه للمنافقين فى التخلف عنه كقوله عفا الله عنك والمهاجرين
والانصار فيه بعث للمومنين على التوبة وانه ما من مومن الا وهو محتاج الى التوبة والا
الاستغفار حتى النبى والمهاجرون والانصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة فى غزوة تبوك
ومعناه فى وقتها والساعة مستعملة فى معنى الزمان المطلق وكانوا فى عسرة من الظهر يعتقب
العشرة على بعير واحد ومن الزاد تزودوا التمر المدود والشعير المسوس والاهالة الزنخة و
بلغت بهم الشدة ان اقتسم التمرة اثنان وربما مصها الجماعة ليشربوا عليها الماء ومن الماء حتى
نحروا الابل وعصروا كرشه وشربوه وفى شدة زمان من حارة القيظ ومن الجدب والقحط
من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم عن الثبات على الايمان او عن اتباع الرسول فى تلك
الغزوة والخروج معه وفى كاد ضمير الشان والجملة بعده فى موضع النصب وهو كقولهم
ليس خلق الله مثله اى ليس الشان خلق الله مثله يزيغ حمزة وحفص ثم تاب عليهم تكرير
للتوكيد انه بهم رؤف رحيم وعلى الثلثة الذين اى وتاب على الثلثة وهم كعب بن مالك
ومرارة بن الربيع وهلال بن امية وهو عطف على النبى خلفوا عن الغزوة حتى اذا ضاقت
عليهم الارض بما رحبت برحبها اى مع سعتها وهو مثل للحيرة فى امرهم كانهم لا يجدون
فيها مكانا يقرون فيه قلقا وجزعا وضاقت عليهم انفسهم اى قلوبهم لا يسعها انس و
لا سرور لانها خرجت من فرط الوحشة والغم وظنوا ان لا ملجاء من الله الا اليه وعلموا
ان لا ملجاء من سخط الله الا الى استغفاره ثم تاب عليهم بعد خمسين يوما ليتوبوا ليكونوا
فى جملة التوابين ان الله هو التواب الرحيم عن ابى بكر الوراق رضى الله عنه انه قال
التوبة النصوح ان تضيق على التائب الارض بما رحبت وتضيق عليه نفسه كتوبة هذه
الثلثة يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين فى ايمانهم دون المنافقين او
مع الذين لم يتخلفوا او مع الذين صدقوا فى دين الله نية وقولا وعملا والاية تدل على ان
الاجماع حجة لانه امر بالكون مع الصادقين فلزم قبول قولهم ما كان لاهل المدينة ومن حولهم

من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله والمراد بهذا النفى النهى وخص هولاء بالذكر وان استوى
كل الناس فى ذلك لقربهم منه ولا يخفى عليهم خروجه ولا يرغبوا ولا ان نضوا بانفسهم عن
نفسه عما يصيب نفسه اى لا يختاروا ابقاء انفسهم فى الشدايد لا امروا بان يصحبوه فى الباساء
والضراء ويلقوا انفسهم بين يديه فى كل شدة ذلك النهى عن التخلف بانهم بسبب انهم لا يصيبهم
ظما عطش ولا نصب تعب ولا مخمصة مجاعة فى سبيل الله فى الجهاد ولا يطاءون موطا ولا
يدوسون مكانا من امكنة الكفار بحوافر خيولهم واخفاف رواحلهم وارجلهم يغيظ
الكفار يبغضهم ويضيق صدرهم ولا ينالون من عدو نيلا ولا يصيبون منهم اصابة بقتل
او اسر او جرح او كسر او هزيمة الا كتب لهم به عمل صالح عن ابن عباس رضى الله عنهما بكل روعة
سبعون الف حسنة يقال نال منه اذا رزاه ونقصه وهو عام فى كل ما يسوءهم وفيه دليل على
ان من قصد خيرا كان سعيه فيه مشكورا من قيام وقعود ومشى وكلام وغير ذلك وعلى
ان المدد يشارك الجيش فى الغنيمة بعد انقضاء الحرب لان وطاء ديارهم مما يغيظهم ولقد
اسهم النبى عليه الصلوة والصلوة لابنى عامر وقد قدما بعد تقضى الحرب والموطئ اما مصدر
كالمورد واما مكانا فان كان مكانا فمعنى يغيظ الكفار يغيظهم وطيه ان الله لا يضيع اجر المحسنين
اى انهم محسنون والله لا يبطل ثوابهم ولا ينفقون نفقة فى سبيل الله صغيرة ولو تمرا ولا كبيرة
مثل ما انفق عثمان رضى الله عنه فى جيش العسرة ولا يقطعون واديا اى ارضا فى ذهابهم ومجيئهم
وهو كل منعرج بين جبال واكام يكون منفذا للسيل وهو فى الاصل فاعل من ودى اذا سال
ومنه الودى وقد شاع فى الاستعمال بمعنى الارض الا كتب لهم ذلك من الانفاق وقطع الوادى
ليجزيهم الله متعلق بكتب اثبت فى صحايفهم لاجل الجزاء احسن ما كانوا يعملون اى يجزيهم كل واحد
جزاء احسن عمل كان لهم فيلحق ما دونه به توفيرا لاجرهم وما كان المومنون لينفروا كافة
اللام لتاكيد النفى اى ان نفير الكافة عن اوطانهم لطلب العلم غير صحيح للافضاء الى المفسدة فلو
لا نفر فحين لم يكن نفير الكافة فهلا نفر من كل فرقة منهم طايفة اى من كل جماعة كثيرة جماعة
قليلة منهم يكفونهم النفير ليتفقهوا فى الدين ليتكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا المشاق فى تحصيلها
ولينذروا قومهم وليجعلوا مرمى همتهم الى التفقه انذارهم قومهم وارشادهم اذا رجعوا اليهم

دون الاغراض الخسيسة من التصدر والترؤس والتشبه بالظلمة فى المراكب والملابس لعلهم يحذرون
ما يجب اجتنابه وقيل ان رسول الله عليه الصلوة والسلام كان اذا بعث بعثا بعد غزوة تبوك
بعدما انزل فى المتخلفين من الايات الشداد استبق المؤمنون عن آخرهم الى النفير وانقطعوا
جميعا عن التفقه فى الدين فامروا ان ينفر من كل فرقة منهم طايفة الى الجهاد ويبقى سايرهم
يتفقهون حتى لا ينقطعوا عن التفقه الذى هو الجهاد الاكبر اذ الجهاد بالحجاج اعظم اثرا من
الجهاد بالنصال والضمير فى ليتفقهوا للفرق الباقية بعد الطوايف النافرة من بينهم ولينذروا
قومهم ولينذر الفرق الباقية قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم بما حصلوا فى ايام غيبتهم من
العلوم وعلى الاول الضمير للطايفة النافرة الى المدينة للتفقه يا ايها الذين امنوا قاتلوا الذين
يلونكم يقربون منكم من الكفار القتال واجب مع جميع الكفرة قريبهم وبعيدهم ولكن الاقرب
فالاقرب اوجب وقد حارب النبى عليه السلام قومه ثم غيرهم من عرب الحجاز ثم الشام والشام
اقرب الى المدينة من العراق وغيره وهكذا المفروض على اهل كل ناحية ان يقاتلوا من وليهم
وليجدوا فيكم غلظة شدة وعنفا فى المقال قبل القتال واعلموا ان الله مع المتقين بالنصرة
والغلبة واذا ما انزلت سورة فاصلة مؤكدة فمنهم فمن المنافقين من يقول بعضهم لبعض ايكم
زادته هذه السورة ايمانا انكارا واستهزاء بالمؤمنين وايكم مرفوع بالابتداء وقيل هو قول
المومنين للحث والتنبيه فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا يقينا وثباتا او خشية او ايمانا
بالسورة لانهم لم يكونوا امنوا بها تفصيلا وهم يستبشرون يعدون زيادة التكليف بشارة
التشريف واما الذين فى قلوبهم مرض شك ونفاق فهو فساد يحتاج الى العلاج كالفساد
فى البدن فزادتهم رجسا الى رجسهم كفرا مضموما الى كفرهم وماتوا وهم كافرون هم
اخبار عن اصرارهم عليه الى الموت اولا يرون يعنى المنافقين وبالتاء حمزة خطاب للمومنين
انهم يفتنون يبتلون بالقحط والمرض وغيرهما فى كل عام مرة او مرتين ثم لا يتوبون عن
نفاقهم ولا هم يذكرون ولا يعتبرون او بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لا يتوبون
لما يرون من دولة الاسلام ولا هم يذكرون بما يقع بهم من الاصطلام واذا ما انزلت سورة
نظر بعضهم الى بعض يتغامزون بالعيون انكارا للوحى وسخرية به قائلين هل يريكم من احد

من المسلمين لننصرف فانا لا نصبر على استماعه ويغلبنا الضحك فنخاف الافتضاح بينهم او اذا
انزلت سورة في عيب المنافقين اشار بعضهم الى بعض هل يريكم من احد ان قمتم من حضرته
عليه السلام ثم انصرفوا عن حضرة النبي صلى الله عليه وسلم مخافة الفضيحة صرف الله قلوبهم
عن فهم القران بانهم بسبب انهم قوم لا يفقهون لا يتدبرون حتى يفقهوا لقد جاءكم رسول
محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم من انفسكم من جنسكم ومن نسبكم عربي مثلكم عزيز عليه ما عنتم
شديد عليه شاق لكونه بعضا منكم عنتكم ولقاءكم المكروه فهو يخاف عليكم الوقوع في العذاب
حريص عليكم على ايمانكم بالمؤمنين منكم ومن غيركم رؤف رحيم قيل لم يجمع الله اسمين من
اسمائه لاحد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم فان تولوا فان اعرضوا عن الايمان بك وناصبوك
فقل حسبي الله فاستعن بالله وفوض اليه فهو كافيك معرتهم وناصرك عليهم لا اله الا هو
عليه توكلت فوضت امري وهو رب العرش العظيم هو اعظم خلق الله خلق مطافا لاهل السماء
وقبلة للدعاء العظيم بالجر وقرئ بالرفع على نعت الرب جل جلال الرحمن اي رضي الله عنه اخر اية
نزلت لقد جاءكم رسول من انفسكم وكذا ما بعدها الى سورة النور سورة يونس مكية

وهي مائة وتسع ايات بسم الله الرحمن الرحيم

الر ونحوه ممال حمزة وعلي وابو عمرو وهو تعديد الحروف على طريق التحدي تلك ايات الكتاب
اشارة الى ما تضمنته السورة من الايات والكتاب السورة الحكيم ذي الحكمة لاشتماله عليها او
المحكم عن الكذب والاختلاف والهمزة في اكان للناس عجبا لانكار التعجب والتعجب منه ان اوحينا
اسم كان وعجبا خبره واللام في للناس يتعلق بمحذوف وهو صفة لعجبا فلما تقدم صار حالا
الى رجل منهم ان انذر الناس بان انذر او هي مفسرة اذ الايحاء فيه معنى القول وبشر الذين
امنوا ان لهم بان لهم ومعنى اللام في للناس انهم جعلوه لهم اعجوبة يتعجبون منه والذي تعجبوا
منه ان يوحى الى بشر وان يكون رجلا من افناء رجالهم دون عظيم من عظمائهم فقد كانوا يقولون
العجب ان الله لم يجد رسولا يرسله الى الناس الا يتيم ابي طالب وان يذكر لهم البعث وينذر
بالنيران ويبشر بالجنان وكل واحد من هذه الامور ليس بعجب لان الرسل المبعوثين الى الامم لم يكونوا
الا بشرا مثلهم وارسال اليتيم والفقير ليس بعجب ايضا لان الله تعالى انما يختار للنبوة من جمع اسبابها

والغنى والتقدم في الدنيا ليس من اسبابها والبعث للجزاء على الخير والشر هو الحكمة العظمى فكيف
يكون عجبا انما العجب والمنكر في العقول تعطيل الجزاء قدم صدق عند ربهم اي سابقة وفضلا
ومنزلة رفيعة ولما كان السعي والسبق بالقدم سميت المسعاة الجميلة والسابقة قدما
كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد وباعا لان صاحبها يبوع بها فقيل لفلان قدم في الخير
واضافته الى صدق دلالة على زيادة فضل وانه من السوابق العظيمة او مقام صدق او سبق
السعادة قال الكافرون ان هذا الكتاب لساحر مبين لسحر مبين مدني وبصري وشامي ومن
قرأ لساحر فهذا اشارة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو دليل عجزهم واعترافهم به وان
كانوا كاذبين في تسميته سحرا ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى
على العرش استولى فقد تقدس البيان جل جلال الرحمن عن المكان والمعبود عن الحدود يدبر يقضي و
يقدر على مقتضى الحكمة الامر امر الخلق كله وامر ملكوت السموات والارض والعرش ولما ذكر ما يدل
على عظمة شانه وملكه من خلق السموات والارض والاستواء على العرش اتبعها هذه الجملة لزيادة
الدلالة على العظمة وانه لا يخرج امر من الامور من قضائه وتقديره وكذلك قوله ما من شفيع
الا من بعد اذنه دليل على عزته وكبريائه ذلكم العظيم الموصوف بما وصف به الله ربكم وهو
الذي يستحق العبادة فاعبدوه وحدوه ولا تشركوا به بعض خلقه من انسان او ملك فضلا
عن جماد لا يضر ولا ينفع افلا تذكرون افلا تتدبرون فتستدلون بوجود المصالح والمنافع
على وجود المصلح النافع اليه مرجعكم جميعا حال اي لا ترجعون في العاقبة الا اليه فاستعدوا
للقائه والمرجع والرجوع او مكان الرجوع وعد الله مصدر موكد لقوله اليه مرجعكم حقا
مصدر موكد لقوله وعد الله انه يبدؤ الخلق ثم يعيده استيناف معناه التعليل لوجوب المرجع
اليه ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات اي الحكمة بابتداء الخلق واعادته هو جزاء المكلفين
على اعمالهم بالقسط بالعدل وهو متعلق بيجزي اي ليجزيهم بقسطه ويوفيهم اجورهم او بقسطهم
اي بما اقسطوا وعدلوا ولم يظلموا حين امنوا اذ الشرك ظلم قال الله تعالى ان الشرك لظلم عظيم
وهذا اوجه لمقابلة قوله والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون و تم
كلامه هو الذي جعل الشمس ضياء والياء فيه منقلبة عن واو ضوء لكسرة ما قبلها وقبلها قبل

همزة لانها للحركة احمل والقمر نورا والضياء اقوى من النور فلذا جعل للشمس وقدره وقدر القمر
اى قدر مسيره منازل او وقدره ذا منازل كقوله والقمر قدرناه منازل لتعلموا عدد السنين
عدد السنين والشهور فاكتفى بالسنين لاشتمالها على الشهور والحساب وحساب الاجال والمواقيت
المقدرة بالسنين والشهور ما خلق الله ذلك المذكور الا ملتبسا بالحق الذى هو الحكمة البالغة
ولم يخلقه عبثا يفصل الايات مكى وبصرى وحفص وبالنون غيرهم لقوم يعلمون فينتفعون
بالتامل فيها ان فى اختلاف الليل والنهار فى مجيء كل واحد منهما خلف الاخر وفى اختلاف
لونيهما وما خلق الله فى السموات والارض من الخلائق لايات لقوم يتقون خصهم بالذكر
لانهم يحذرون العاقبة فيدعوهم الحذر الى النظر ان الذين لا يرجون لقاءنا لا يتوقعونه
اصلا ولا يخطرونه ببالهم لغفلتهم عن التفطن للحقائق او لا يأملون حسن لقائنا كما يامله
السعداء او لا يخافون سوء لقائنا الذى يجب ان يخاف ورضوا بالحيوة الدنيا من الاخرة
واثروا القليل الفانى على الكثير الباقى واطمانوا بها وسكنوا فيها سكون من لا يزعج عنها فبنوا
شديدا واملوا بعيدا والذين هم عن اياتنا غافلون لا يتفكرون فيها ولا وقف عليه لان
خبر ان اوليك ماويهم النار فاوليك مبتدأ وماويهم مبتدأ ثان والنار خبره والجملة
خبر اوليك والباء فى بما كانوا يكسبون يتعلق بمحذوف دل عليه الكلام وهو جوزوا ان الذين
امنوا وعملوا الصلحات يهديهم ربهم بايمانهم يسددهم بسبب ايمانهم للاستقامة على سلوك
السبيل المودى الى الثواب ولذلك جعل تجرى من تحتهم الانهار بيانا له وتفسيرا اذ التمسك
بسبب السعادة كالوصول اليها او يهديهم فى الاخرة بنور ايمانهم الى طريق الجنة ومنه الحديث
ان المؤمن اذا خرج من قبره صور له عمله فى صورة حسنة فيقول انا عملك فيكون له نورا
وقائدا الى الجنة والكافر اذا خرج من قبره صور له عمله فى صورة سيئة فيقول له انا عملك
فينطلق به حتى يدخل النار وهذا دليل على ان الايمان المجرد تكفى حيث قال بايمانهم ولم يضم اليه
العمل الصلح فى جنات النعيم متعلق بتجرى او حال من الانهار دعويهم فيها سبحانك اللهم اى
دعاؤهم لان اللهم نداء لله ومعناه اللهم انا نسبحك اى يدعونه الله بقولهم سبحانك اللهم
تلذذا بذكره لا عبادة وتحيتهم فيها سلام اى يحيى بعضهم بعضا بالسلام او هى تحية الملائكة اياهم

واضيف

واضيف المصدر الى المفعول او تحية الله لهم واخر دعويهم وخاتمة دعائهم الذى هو التسبيح
ان الحمد لله رب العالمين ان يقولوا الحمد لله رب العالمين ان مخففة من الثقيلة واصله انه
الحمد لله والضمير للشان قيل اول كلامهم التسبيح واخره التحميد فيبتدؤن بتعظيم الله وتنزيهه
ويختمون بشكره والثناء عليه ويتكلمون بينهم بما ارادوا ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم
بالخير اصله ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله لهم الخير فوضع استعجالهم بالخير موضع تعجيله لهم
الخير اشعارا بسرعة اجابته لهم والمراد اهل مكة وقولهم فامطر علينا حجارة من السماء اى ولو
عجلنا لهم الشر الذى دعوا به كما نعجل لهم الخير ونجيبهم اليه لقضى اليهم اجلهم لاميتوا واهلكوا
لقضى اليهم اجلهم شامى على البناء للفاعل وهو الله عز وجل فنذر الذين لا يرجون لقاءنا فى
طغيانهم فى شركهم وضلالهم يعمهون يترددون ووجه اتصاله بما قبله ان قوله ولو يعجل الله
متضمن معنى نفى التعجيل كانه قيل ولا نعجل لهم الشر ولا نقضى اليهم اجلهم فنذرهم فى طغيانهم
فنمهلهم ونفيض عليهم النعمة مع طغيانهم الزاما للحجة عليهم واذا مس الانسان اصابه والمراد
به الكافر الضر دعانا الى دعا الله لازالته لجنبه فى موضع الحال بدليل عطف الحالين اى او قاعدا
او قائما عليه اى دعانا مضطجعا وفائدة ذكر هذه الاحوال ان الضر لا يزال داعيا لا يفتر عن
الدعاء حتى يزول عنه الضر فهو يدعونا فى حالاته كلها كان مضطجعا عاجزا عن النهوض او قاعدا
لا يقدر على القيام او قائما لا يطيق المشى فلما كشفنا عنه ضره ازلنا ما به مر كان لم يدعنا الى
ضر مسه مضى على طريقته الاولى قبل مس الضر ونسى حال الجهد او مر عن موقف الابتهال و
التضرع لا يرجع اليه كانه لا عهد له والاصل كانه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشان كذلك مثل
ذلك التزيين زين للمسرفين للمجاوزين الحد فى الكفر زين الشيطان بوسوسته ما كانوا يعملون
من الاعراض عن الذكر واتباع الكفر ولقد اهلكنا القرون من قبلكم يا اهل مكة لما ظلموا اشركوا
وهو ظرف لاهلكنا والواو فى وجاءتهم رسلهم للحال اى ظلموا بالتكذيب وقد جاءتهم رسلهم
بالبينات بالمعجزات وما كانوا ليؤمنوا ان بقوا ولم يهلكوا لان الله علم منهم انهم يصرون على
كفرهم وهو عطف على ظلموا او اعتراض واللام لتاكيد النفى يعنى ان السبب فى اهلاكهم تكذيبهم
الرسل وعلم الله انه لا فائدة فى امهالهم بعد ان الزموا الحجة ببعثة الرسل كذلك مثل ذلك

الجزاء يعنى الاهلاك نجزى القوم المجرمين وهو وعيد لاهل مكة على اجرامهم بتكذيب رسول
صلى الله عليه وسلم ثم جعلناكم خلايف فى الارض من بعدهم الخطاب للذين بعث اليهم محمد
عليه الصلوة والسلام اى استخلفناكم فى الارض بعد القرون التى اهلكناها لننظر كيف تعملون
اى لننظر اتعملون خيرا او شرا فنعاملكم على حسب عملكم وكيف فى محل النصب بتعملون
لا بننظر لان معنى الاستفهام فيه يمنع ان يتقدم عليه عامله والمعنى انتم بمنظر منا فانظروا
كيف تعملون بالاعتبار بماضيكم او الاغترار بما فيكم قال عليه الصلوة والسلام الدنيا حلوة
خضرة وان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون واذا تتلى عليهم اياتنا بينات حال
قال الذين لا يرجون لقاءنا لما غاظهم ما فى القرآن من ذم عبادة الاوثان والوعيد لاهل الطغيان
ائت بقرآن غير هذا ليس فيه ما يغيظنا من ذلك بنعتك او بدله بان تجعل مكان اية عذاب
اية رحمة وتسقط ذكر الالهة وذم عبادتها فامر بان يجيب عن التبديل لانه داخل تحت
قدرة الانسان وهو ان يضع مكان اية عذاب اية رحمة وان يسقط ذكر الالهة بقوله قل ما
يكون لى ما يحل لى ان ابدله من تلقاء نفسى من قبل نفسى ان اتبع الا ما يوحى الى لا اتبع الا وحى الله
من غير زيادة ولا نقصان ولا تبديل لان الذى اتيت به من عند الله لا من عندى فابدله
انى اخاف ان عصيت ربى بالتبديل من عند نفسى عذاب يوم عظيم اى يوم القيمة واما
الاتيان بقران آخر فلا يقدر عليه الانسان وقد ظهر لهم العجز منه الا انهم كانوا لا يعترفون بالعجز
ويقولون لو نشاء لقلنا مثل هذا ولا يحتمل ان يريدوا بقوله ايت بقرآن غير هذا او بدله من
جهة الوحى لانه لو كان من جهة الوحى لما خاف ولما قال انى اخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم
وغرضهم فى هذا الاقتراح الكيد اما اقتراح ابدال قران بقران ففيه انه من عندك وانك قادر
على مثله فابدل مكانه اخر واما اقتراح التبديل فلاختيار الحال وانه وان وجد منه تبديل فاما ان
يهلكه الله فينجوا منه او لا يهلكه فيسخروا منه فيجعلوا التبديل حجة عليه وتصحيحا لافترايه على الله
قل لو شاء الله ما تلوته عليكم يعنى ان تلاوته ليست الا بمشية الله تعالى واظهاره امرا عجيبا خارجا
عن العادات وهو ان يخرج رجلا امى لم يتعلم ولم يشاهد العلماء فيقراء عليكم كتابا فصيحا يغلب
كل كلام فصيح ويعلو على كل منثور ومنظوم مشحونا بعلوم الاصول والفروع والاخبار عن الغيوب

التى لا يعلمها الا الله ولا ادريكم به ولا اعلمكم الله بالقران على لسانى فقد لبثت فيكم عمرا من
قبله من قبل نزول القران اى فقد اقمت فيما بينكم اربعين سنة ولم تعرفونى متعاطيا شيا من
نحوه ولا قدرت عليه ولا كنت متواضعا بعلم وبيان فتتهمونى باختراعه افلا تعقلون
فتعلموا انه ليس الا من عند الله لا من مثلى وهذا جواب عما دسوه تحت قوله ائت بقران
غير هذا من اضافة الافتراء اليه فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا يحتمل ان يريد افتراء
المشركين على الله فى انه ذو شريك ذو ولد وان يكون تفاديا مما اضافوه اليه من الافتراء
او كذب باياته بالقران فيه بيان ان الكاذب على الله والمكذب باياته فى الكفر سواء انه لا يفلح
المجرمون ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ان تركوا عبادتها ولا ينفعهم ان عبدوها
ويقولون هؤلاء الاصنام شفعاؤنا عند الله اى فى امر الدنيا ومعيشتها لانهم كانوا لا يقرون
بالبعث واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت او يوم القيمة ان يكون بعث
ونشور قل اتنبئون الله بما لا يعلم اتخبرونه بكونهم شفعاء عند الله وهو انباء بما ليس بمعلوم
الله واذا لم يكن معلوما له وهو العالم بجميع المعلومات لم يكن شيئا وقوله فى السموات ولا
فى الارض تاكيد لنفيه لان ما لم يوجد فيهما فهو معدوم سبحانه وتعالى عما يشركون نزه ذاته
عن ان يكون له شريك وبالتاء حمزة وعلى وما موصولة او مصدرية اى عن الشركاء الذين
يشركونهم به او عن اشراكهم وما كان الناس الا امة واحدة حنفاء متفقين على ملة واحدة
من غير ان يختلفوا بينهم وذلك فى عهد آدم عليه السلام الى ان قتل قابيل هابيل او بعد
الطوفان حين لم يذر الله من الكافرين ديارا فاختلفوا فصاروا مللا ولولا كلمة سبقت من
ربك وهو تاخير الحكم بينهم الى يوم القيمة لقضى بينهم عاجلا فيما فيه يختلفون فيما اختلفوا
فيه وليتميز المحق من المبطل وسبق كلمته بالتاخير لحكمة وهى ان هذه الدار دار تكليف وتلك
دار ثواب وعقاب ويقولون لولا انزل عليه اية من ربه اى اية من الايات التى اقترحوها
فقل انما الغيب لله اى هو المختص بعلم الغيب فهو العالم بالصارف عن انزال الايات
المقترحة لا غير فانتظروا نزول ما اقترحتموه انى معكم من المنتظرين لما يفعل الله بكم لعنادكم
وجحودكم الايات واذا اذقنا الناس اهل مكة رحمة خصبا وسعة من بعد ضراء مستهم يعنى

القحط والجوع اذا لهم مكر فى اياتنا اى مكروا باياتنا بدفعها وانكارها روى ان الله تبارك
وتعالى سلط القحط سبع سنين على اهل مكة حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم بالحيا فلما رحمهم طفقوا
يطعنون فى ايات الله ويعادون رسول الله عليه الصلوة والسلام ويكيدونه فاذا الاولى للشرط
والثانية جوابها وهى المفاجاة وهو كقوله تعالى وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم اذا هم
يقنطون اى وان تصبهم سيئة فقنطوا واذا اذقنا الناس رحمة مكروا والمكر اخفاء الكيد
وطيه من الجارية الممكورة المطوية الخلق ومعنى مسهم خالطتهم حتى احسوا بسوء اثرها فيهم
وانما قال قل الله اسرع مكرا ولم يصفهم بسرعة المكر لان كلمة المفاجاة دلت على ذلك كانه قيل
واذا رحمناهم من بعد ضراء فاجاؤا وقوع المكر منهم وسارعوا اليه قبل ان يغسلوا رؤسهم
من مس الضراء ان رسلنا يعنى الحفظة يكتبون ما تمكرون اعلام بان ما تظنونه خافيا لا يخفى
على الله وهو منتقم منكم وبالياء اسهل هو الذى يسيركم فى البر والبحر يجعلكم قادرين على قطع
المسافات بالارجل والدواب والفلك الجارية فى البحار او يخلق فيكم السير ينشركم شامى حتى
اذا كنتم فى الفلك اى فى السفن وجرين اى السفن بهم بمن فيها رجوع من الخطاب الى الغيبة
للمبالغة بريح طيبة لينة الهبوب لا ضعيفة ولا عاصفة وفرحوا بها بتلك الريح للينها و
استقامتها جاءتها اى الفلك او الريح الطيبة اى تلقتها ريح عاصف ذات عصف اى شديدة
الهبوب وجاءهم الموج هو ما علا على الماء من كل مكان اى من البحر او من جميع امكنة الموج و
ظنوا انهم احيط بهم اهلكوا جعل احاطة العدو بالحى مثلا فى الاهلاك دعوا الله مخلصين
له الدين من غير اشراك به لانهم لا يدعون حينئذ معه غيره يقولون لئن انجيتنا من هذه
الاهوال او من هذه الريح لنكونن من الشاكرين لنعمتك مؤمنين بك متمسكين بطاعتك
ولم يجعل الكون فى الفلك غاية للتسيير فى البحر ولكن مضمون الجملة الشرطية الواقعة بعد حتى
بما فى حيزها كانه قيل يسيركم حتى اذا وقعت هذه الحادثة وكان كيت وكيت من مجئ الريح
العاصف وتراكم الامواج والظن للهلاك والدعاء للانجاء وجواب اذا جاءتها ودعوا
بدل من ظنوا لان دعاءهم من لوازم ظنهم الهلاك فهو ملتبس به فلما انجاهم اذا هم يبغون
فى الارض يفسدون فيها بغير الحق باطلا اى مبطلين يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم اى

ظلمكم

ظلمكم يرجع اليكم لقوله من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها متاع الحيوة الدنيا حفص
اى تتمتعون متاع الحيوة الدنيا وعلى انفسكم خبر لبغيكم غيره بالرفع على انه خبر بغيكم و
على انفسكم صلته كقوله فبغى عليهم ومعناه انما بغيكم على امثالكم او هو خبر ومتاع خبر
بعد خبر او متاع خبر مبتداء مضمر اى هو متاع الحيوة الدنيا وفى الحديث اسرع الخير ثوابا صلة
الرحم واعجل الشر عقابا البغى واليمين الفاجرة وروى فى الحديث ثنتان يعجلهما الله فى الدنيا
البغى وعقوق الوالدين وعن ابن عباس رضى الله عنهما لو بغى جبل على جبل لدك الباغى و
عن كعب بن محمد رضى الله عنهما لو بغى جبل ثلث من كن فيه كن عليه البغى والنكث والمكر
قال الله تعالى انما بغيكم على انفسكم ولا يحيق المكر السيئ الا باهله ومن نكث فانما ينكث على نفسه
ثم الينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون فنخبركم ونجازيكم عليه انما مثل الحيوة الدنيا
كماء انزلناه من السماء فاختلط به بالماء نبات الارض اى فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه
بعضا مما ياكل الناس يعنى الحبوب والثمار والبقول والانعام يعنى الحشيش حتى اذا اخذت
الارض زخرفها زينتها بالنبات واختلاف الوانه وازينت وتزينت به وهو اصله فادغمت
التاء فى الزاء وهو كلام فصيح جعلت الارض آخذة زخرفها على التمثيل بالعروس اذا اخذت
الثياب الفاخرة من كل لون فاكتستها وتزينت بغيرها من الوان الزين وظن اهلها اهل الارض
انهم قادرون عليها متمكنون من منفعتها محصلون لثمرتها رافعون لغلتها اتيها امرنا قد سلم ليلا
او نهارا فجعلناها فجعلنا زرعها حصيدا شبيها بما يحصد من الزرع فى قطعه واستيصاله كان لم
تغن زرعها اى لم تلبث على حذف المضاف فى هذه المواضع لا بد منه ليستقيم المعنى بالامس هو
مثل فى الوقت القريب كانه قيل كان لم تغن آنفا كذلك نفصل الايات لقوم يتفكرون فينتفعون
بضرب الامثال وهذا من التشبيه المركب شبهت حال الدنيا فى سرعة تقضيها وانقراض نعيمها بعد
الاقبال بحال نبات الارض فى جفافه وذهابه حطاما بعد ما التف وتكاثف وزين الارض بخضرته
ورفيفه والتنبيه على حكمة التشبيه ان الحيوة صفوها شبيبتها وكدرها شيبتها كما ان صفو الماء
فى اعلى الاناء وقال الشاعر الم تر ان العمر كاس سلافة فاوله صفو واخره كدر وحقيقته تزيين جنة
الطين بمصالح الدنيا والدين كاختلاط النبات على اختلاط التلوين فالطينة الطيبة تنبت بساتين

تزيين

الامن ورياحين الروح وزهرة الزهر وكروم الكرم وحبوب الحب وحدائق الحقيقة وشقائق
الطريقة والخبيثة تخرج خلاف الخلف وثمام الاثم وشوك الشرك وشيح الشح وخطب
العطب ولعاع اللعب ثم يدعوه معاده كما يجيف للحرث حصاده فتزايله الحيوة مفترا كما يهيج
النبات مصفرا فتغيب جثته في الرمس كان لم تغن بالامس الى ان يعوده ربيع البعث في
موعد العرض والبحث وكذلك مال الدنيا كالماء ينفع قليله ويهلك كثيره ولا بد من ترك
ما زاد كما لا بد من اخذ الزاد واخذ المال لا يصفو من زلة كما ان خائض الماء لا ينجو من بلة وجمعه
وامساكه تلف صاحبه واهلاكه فما دون النصاب كضحضاح ماء يجاوز بلا احتماء والنصاب
كنهر حايل بين المجتاز والجواز الى المفاز لا يمكن الا بقنطرة وهي الزكوة وعمارتها بذل الصلات
فمتى اختلت القنطرة غرقته امواج القناطير المقنطرة وعن هذا قال النبي صلى الله عليه وسلم
الزكوة قنطرة الاسلام وكذا المال يساعد الاوغاد دون الامجاد وكان الماء يجتمع في الوهاد
دون النجاد وكذلك المال لا يجتمع الا بكد البخيل كما ان الماء لا يجتمع الا بسد المسيل ثم يفنى او يتلف
ولا يبقى كالماء في الكف والله يدعو الى دار السلام هي الجنة اضافتها الى اسمه تعظيما لها او السلام
السلامة بان اهلها سالمون من كل مكروه وقيل لفشو السلام بينهم وتسليم الملائكة عليهم الا قيلا
سلاما سلاما ويهدي من يشاء ويوفق من يشاء الى صراط مستقيم الى الاسلام او طريق السنة فالدعوة
عامة على لسان الرسول بالدلالة والهداية خاصة من لطف المرسل بالتوفيق والعناية والمعنى يدعو
العباد كلهم الى دار السلام ولا يدخلها الا المهديون للذين احسنوا آمنوا بالله ورسله الحسنى
المثوبة الحسنى وهي الجنة وزيادة رؤية الرب عز وجل كذا عن ابي بكر وحذيفة وابن عباس و
ابي موسى الاشعري وعبادة بن الصامت رضي الله عنهم اجمعين وفي بعض التفاسير اجمع المفسرون
على ان الزيادة النظر الى الله تعالى وعن صهيب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل اهل الجنة
الجنة يقول الله تبارك وتعالى تريدون شيئا ازيدكم فيقولون الم تبيض وجوهنا الم تدخلنا الجنة
وتنجنا من النار قال فيرفع الحجاب فينظرون الى الله تعالى فما اعطوا شيئا احب اليهم من النظر
اليه ثم تلا للذين احسنوا الحسنى وزيادة والعجب من صاحب الكشاف انه ذكر هذا الحديث
لا بهذه العبارة وقال انه حديث مرفوع مع انه مرفوع قد اورده صاحب المصابيح في الصحاح وقيل

الزيادة المحبة في قلوب العباد وقيل الزيادة مغفرة من الله ورضوان ولا يرهق وجوههم ولا
يغشاها قتر غبرة فيها سواد ولا ذلة ولا اثر هوان والمعنى ولا يرهقهم ما يرهق اهل النار اولئك
اصحاب الجنة هم فيها خالدون والذين كسبوا عطف على الذين احسنوا اي والذين كسبوا السيئات
فنون الشرك جزاء سيئة بمثلها الباء زايدة لقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها او التقدير جزاء
مقدرة بمثلها وترهقهم ذلة وهوان ما لهم من الله من عقابه من عاصم اي لا يعصمهم احد من سخطه
وعقابه كانما اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما اي جعل عليها غطاء من سواد الليل اي هم
سود الوجوه قطعا جمع قطعة وهو مفعول ثان لاغشيت قطعا مكي وعلي من قوله بقطع
من الليل وعلى هذه القراءة مظلما صفة لقطع وعلى الاول حال من الليل والعامل فيه اغشيت
لان من الليل صفة لقطعا فكان افضاءه الى الموصوف كافضائه الى الصفة او معنى الفعل
في معنى الليل اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ويوم نحشرهم اي الكفار وغيرهم
جميعا حال ثم نقول للذين اشركوا مكانكم اي الزموا مكانكم لا تبرحوا حتى تنظروا ما يفعل بكم
انتم اكد به الضمير في مكانكم لسده مسد قوله الزموا وشركاؤكم عطف عليه فزيلنا ففرقنا بينهم
وقطعنا اقرانهم والوصل التي كانت بينهم في الدنيا وقال شركاؤهم من عبدوه من دون الله
من اولي العقل او الاصنام ينطقها الله عز وجل ما كنتم ايانا تعبدون اي انما كنتم تعبدون
الشيطان حيث امركم ان تتخذوا اندادا فاطعتموهم وهو كقوله تعالى ويوم يحشرهم جميعا
ثم يقول للملائكة الى قوله بل كانوا يعبدون الجن فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم اي كفى الله شهيدا
وهو تمييز ان كنا عن عبادتكم لغافلين ان مخففة من الثقيلة واللام فارقة بينها وبين النافية
هنالك في ذلك المكان او في ذلك الوقت على استعارة اسم المكان للزمان تبلو كل نفس تختبر
وتذوق ما اسلفت من العمل فتعرف كيف هو اقبيح ام حسن انافع ام ضار امقبول ام مردود
وقال الزجاج تعلم كل نفس ما قدمت تتلو حمزة وعلي اي تتبع ما اسلفت لان عمله هو الذي يهديه
الى طريق الجنة او النار او تقرا في صحيفتها ما قدمت من خير او شر كذا عن الاخفش وردوا الى الله
مولاهم الحق ربهم الصادق ربوبيته لانهم كانوا يتولون ما ليس لربوبيته حقيقة او الذين
يتولى حسابهم وثوابهم العدل الذي لا يظلم احدا وضل عنهم ما كانوا يفترون وضاع عنهم ما كانوا

يدعون انهم كانوا شركاء الله او بطل عنهم ما كانوا يختلقون من الكذب وشفاعة الالهة قل من
يرزقكم من السماء بالمطر والارض بالنبات امن يملك السمع والابصار من يستطيع خلقها
وتسويتها على الحد الذى سويا عليه من الفطرة العجيبة او من يحميها من الافات مع كثرتها
فى المدد الطوال وهما لطيفان يؤذيهما ادنى شئ ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى
اى الحيوان والفرخ والزرع والمؤمن والعالم من النطفة والبيضة والحب والكافر والجاهل
وعكسها ومن يدبر الامر ومن يلى تدبير امر العالم كله جاء بالعموم بعد الخصوص فسيقولون
الله اى فسيجيبونك عند سؤالك ان القادر على هذه هو الله فقل افلا تتقون الشرك
فى العبودية اذا اعترفتم بالربوبية فذلكم الله اى من هذه قدرته الله ربكم الحق الثابت
ربوبيته ثباتا لا ريب فيه لمن حقق النظر فماذا بعد الحق الا الضلال اى لا واسطة بين الحق
والضلال فمن تخطى الحق وقع فى الضلال فانى تصرفون عن الحق الى الضلال وعن التوحيد الى
الشرك كذلك مثل ذلك الحق حقت كلمة ربك كلمات مدنى وشامى اى كما حق وثبت ان
الحق بعده الضلال او كما حق انهم مصرفون عن الحق فكذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا
تمردوا فى كفرهم وخرجوا الى الحد الاقصى فيه انهم لا يؤمنون بدل من الكلمة اى حق عليهم انتفاء
الايمان او حق عليهم كلمة الله ان ايمانهم غير كائن او اراد بالكلمة العدة بالعذاب والهمزة
لا يؤمنون تعليل اى لانهم لا يؤمنون قل هل من شركائكم من يبدؤا الخلق ثم يعيده انما ذكر ثم
يعيده وهم غير مقرين بالاعادة لانه لظهور برهانها جعل امرا مسلما على ان فيهم من يقر
بالاعادة او يحتمل اعادة غير البشر كاعادة الليل والنهار واعادة الانزال والنبات قل الله
يبدؤا الخلق ثم يعيده امر نبيه بان ينوب عنهم فى الجواب يعنى انه لا يدعهم مكابرتهم ان
ينطقوا بكلمة الحق فكلم عنهم فانى تؤفكون فكيف تصرفون عن قصد السبيل قل هل من شركائكم
من يهدى الى الحق يرشد اليه قل الله يهدى للحق افمن يهدى الى الحق احق ان يتبع امن لا يهدى
الا ان يهدى يقال هداه للحق والى الحق فجمع بين اللغتين ويقال هدى بنفسه بمعنى اهتدى كما
يقال شرى بمعنى اشترى لا يهدى بفتح الهاء والياء وتشديد الدال مكى وشامى وورش و
باشمام الهاء فتحة ابو عمرو وبكسر الهاء وفتح الياء عاصم غير يحيى والاصل يهتدى وهو قراءة

تتقون

ذلك

عبدالله فادغم التاء فى الدال وفتحت الهاء بحركة التاء او كسرت لالتقاء الساكنين وبكسر الياء
والهاء وتشديد الدال يحيى لاتباع ما بعدها وبسكون الهاء وتشديد الدال مدنى غير ورش
والمعنى ان الله وحده هو الذى يهدى للحق بما ركب فى المكلفين من العقول واعطاهم من
التمكين للنظر فى الادلة التى نصبها لهم وبما وفقهم والهمهم ووقفهم على الشرايع بارسال
الرسل فهل من شركائكم الذى جعلتم اندادا لله احد يهدى الى الحق مثل هداية الله ثم قال افمن
يهدى الى الحق احق بالاتباع ام الذى لا يهدى اى لا يهتدى بنفسه اى او لا يهدى غيره الا
ان يهديه الله وقيل معناه ام من لا يهتدى من الاوثان الى مكان فينتقل اليه الا ان يهدى الا ان
ينقل او لا يهتدى ولا يصح منه الاهتداء الا ان ينقله الله من حاله الى ان يجعله حيا ناطقا
فيهديه فما لكم كيف تحكمون بالباطل حيث تزعمون انهم انداد الله وما يتبع اكثرهم فى قولهم
للاصنام انها الهة وانها شفعاء عند الله والمراد بالاكثر الجميع الا ظنا بغير دليل وهو اقتداؤهم
باسلافهم الا ظنا منهم بانهم مصيبون ان الظن لا يغنى من الحق وهو العلم شيئا فى موضع
المصدر اى اغناء ان الله عليم بما يفعلون من اتباع الظن وترك الحق وما كان هذا القران
ان يفترى من دون الله اى افتراء من دون الله والمعنى وما صح وما استقام ان يكون مثله
فى علو امره واعجازه مفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وهو ما تقدمه من الكتب المنزلة
وتفصيل الكتاب وتبيين ما كتب وفرض من الاحكام والشرايع من قوله كتاب الله
عليكم لا ريب فيه من رب العالمين داخل فى حيز الاستدراك كانه قال ولكن كان تصديقا
وتفصيلا منفيا عنه الريب كائنا من رب العالمين ويجوز ان يراد ولكن كان تصديقا من
رب العالمين وتفصيلا منه لا ريب فى ذلك فيكون من رب العالمين متعلقا بتصديقا و
تفصيلا ويكون لا ريب فيه اعتراضا كما تقول زيد لا شك كريم ام يقولون افتريه بل ايقولون
اختلقه قل ان كان الامر كما تزعمون فاتوا انتم على وجه الافتراء بسورة من مثله اى بشبيهة به
فى البلاغة وحسن النظم فانتم مثلى فى العربية وادعوا من استطعتم من دون الله اى وادعوا
من دون الله من استطعتم من تعلقه للاستعانة به على الاتيان بمثله ان كنتم صادقين انه افتراه
بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما ياتهم تاويله بل سارعوا الى التكذيب بالقران فى بديهة السماع قبل

ان يفقهوه ويعلموا كنه امره وقيل ان يتدبروه ويقفوا على تاويله ومعانيه وذلك لفرط نفورهم
عما يخالف دينهم وشرادهم عن مفارقة دين ابائهم ومعنى التوقع في ولما ياتهم تاويله انهم
كذبوا على البديهة قبل التدبر ومعرفة التاويل تقليدا للاباء وكذبوا بعد التدبر تمردا وعنادا
فذمهم بالتسرع الى التكذيب قبل العلم به وجاء بكلمة التوقع ليوذن انهم علموا بعد علو شانه
واعجازه لما كرر عليهم التحدي وجربوا قواهم في المعارضة وعرفوا عجزهم عن مثله فكذبوا به
بغيا وحسدا كذلك مثل ذلك التكذيب كذب الذين من قبلهم يعني كفار الامم الماضية كذبوا
رسلهم قبل النظر في معجزاتهم وقبل تدبرها عنادا وتقليدا للاباء ويجوز ان يكون في معنى
ولما ياتهم تاويله ولم ياتهم بعد تاويله ما فيه من الاخبار بالغيوب اي عاقبته حتى يتبين
لهم اهو كذب ام صدق يعني انه كتاب معجز من جهتين من جهة اعجاز نظمه ومن جهة ما فيه من
الاخبار بالغيوب فتسرعوا الى التكذيب قبل ان ينظروا في نظمه وبلوغه حد الاعجاز وقبل
ان تخربوا اخباره بالمغيبات وصدقه وكذبه فانظر كيف كان عاقبة الظالمين ومنهم من
يومن به بالنبي او بالقران اي يصدق به في نفسه ويعلم انه حق ولكن يعاند بالتكذيب ومنهم
من لا يومن به لا يصدق به ويشك فيه او يكون للاستقبال اي ومنهم من سيومن به ومنهم
من سيصر وربك اعلم بالمفسدين بالمعاندين والمصرين وان كذبوك وان تموا على تكذيبك
وياست من اجابتهم فقل لي عملي جزاء عملي ولكم عملكم جزاء اعمالكم انتم بريئون مما اعمل انا
وانا بريئ مما تعملون فكل يواخذ بعمله ومنهم من يستمعون اليك ومنهم ناس يستمعون اليك
اذا قرات القران وعلمت الشرايع ولكنهم لا يعونه ولا يقبلون فهم كالصم افانت تسمع الصم
ولو كانوا لا يعقلون اتطمع انك تقدر على اسماع الصم ولو انضم الى صممهم عدم عقولهم لان
الاصم العاقل ربما تفرس واستدل اذا وقع في صماخه دوي الصوت فاذا اجتمع سلب العقول
والسمع فقد تم الامر ومنهم من ينظر اليك ومنهم ناس ينظرون اليك ويعاينون ادلة الصدق
واعلام النبوة ولكنهم لا يصدقون افانت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون اتحسب انك
تقدر على هداية العمي ولو انضم الى فقد البصر فقد البصيرة لان الاعمى الذي له في قلبه بصيرة قد
يحدس واما العمي مع الحمق فجهد البلاء يعني انهم في الياس من ان يقبلوا ويصدقوا كالصم والعمي

الذين

الذين لا عقول لهم ولا بصاير ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون ولكن
الناس حمزة وعلي اي لم يظلمهم بسلب آلة الاستدلال ولكنهم ظلموا انفسهم بترك الاستدلال
حيث عبدوا جمادا وهم احياء ويوم نحشرهم وبالياء حفص كان لم يلبثوا الا ساعة
من النهار استقصروا مدة لبثهم في الدنيا او في قبورهم لهول ما يرون يتعارفون بينهم يعرف
بعضهم بعضا كانهم لم يتفارقوا الا قليلا وذلك عند خروجهم من القبور ثم ينقطع التعارف
بينهم لشدة الامر عليهم كان لم يلبثوا حال من هم اي نحشرهم مشبهين بمن لم يلبث الا ساعة
وكان مخففة من الثقيلة واسمها محذوف اي كانهم ويتعارفون بينهم حال بعد حال او
مستانف على تقدير هم يتعارفون بينهم قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله على ارادة القول
اي يتعارفون بينهم قايلين ذلك او هي شهادة من الله تعالى على خسرانهم والمعنى انهم
وضعوا في تجارتهم وبيعهم الايمان بالكفر وما كانوا مهتدين للتجارة عارفين بها وهو استيناف
فيه معنى التعجب كانه قيل ما اخسرهم واما نرينك بعض الذي نعدهم من العذاب او نتوفينك
قبل عذابهم فالينا مرجعهم جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف اي واما نرينك بعض
الذي نعدهم في الدنيا فذلك او نتوفينك قبل ان نريكه فنحن نريكه في الاخرة ثم الله شهيد
على ما يفعلون ذكرت الشهادة والمراد مقتضاها وهو العقاب كانه قيل ثم الله معاقب
على ما يفعلون وقيل ثم هنا بمعنى الواو ولكل امة رسول يبعث اليهم ينبههم على التوحيد و
يدعوهم الى دين الحق فاذا جاء رسولهم بالبينات فكذبوه ولم يتبعوه قضي بينهم بين النبي
ومكذبيه بالقسط بالعدل فانجي الرسول وعذب المكذبون او ولكل امة من الامم يوم القيمة رسول
تنسب اليه فتدعى به فاذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والايمان قضي بينهم
بالقسط وهم لا يظلمون لا يعذب احد بغير ذنبه ولما قال واما نرينك بعض الذي نعدهم من
العذاب استعجلوا ما وعدوا من العذاب نزل ويقولون متى هذا الوعد اي وعد العذاب
ان كنتم صادقين ان العذاب نازل وهو خطاب منهم للنبي والمومنين قل لا املك لنفسي
ضرا من مرض او فقر ولا نفعا من صحة او غنى الا ما شاء الله استثناء منقطع ولكن ما شاء الله
من ذلك كاين فكيف املك لكم الضرر وجلب العذاب لكل امة اجل اذا جاء اجلهم فلا يستاخرون

ساعة ولا يستقدمون لكل امة وقت معلوم للعذاب مكتوب في اللوح فاذا جاء وقت
عذابهم لا يتقدمون ساعة ولا يتاخرون فلا تستعجلوا قل ارايتم ان اتيكم عذابه الذي تستعجلون
بياتا نصب على الظرف اي وقت بيات وهو الليل وانتم ساهون نايمون لا تشعرون
او نهارا وانتم مشتغلون بطلب المعاش والكسب ماذا يستعجل منه المجرمون اي من العذاب
والمعنى ان العذاب كله مكروه موجب للنفور فاي شيء يستعجلون منه وليس شيء منه يوجب
الاستعجال والاستفهام فيما اذا يتعلق بارايتم لان المعنى اخبروني ماذا يستعجل منه المجرمون
وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال او تعرفوا الخطاء فيه ولم يقل ماذا
يستعجلون منه لانه اريدت الدلالة على موجب ترك الاستعجال وهو الاجرام او ماذا
يستعجل منه المجرمون جواب الشرط نحو ان اتيتك ماذا تطعمني ثم يتعلق الجملة بارايتم او اثم
اذا ما وقع العذاب امنتم به جواب الشرط وماذا يستعجل منه المجرمون اعتراض والمعنى ان
اتيكم عذابه امنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان ودخول حرف الاستفهام على ثم
كدخوله على الواو والفاء في افامن اهل القرى اوامن اهل القرى الآن على ارادة القول
اي قيل لهم اذا امنوا بعد وقوع العذاب الان امنتم به وقد كنتم تستعجلون اي بالعذاب
تكذيبا واستهزاء الان بحذف الهمزة التي بعد اللام والقاء حركتها على اللام نافع ثم قيل للذين
ظلموا عطف على قيل المضمر قبل الان ذوقوا عذاب الخلد اي الدوام هل تجزون الا بما كنتم
تكسبون من الشرك والتكذيب ويستنبئونك ويستخبرونك فيقولون احق هو استفهام
على جهة الانكار والاستهزاء والضمير للعذاب الموعود قل اي وربي اي نعم والله انه لحق
ان العذاب كاين لا محالة وما انتم بمعجزين بفايتين العذاب وهو لاحق بكم لا محالة ولو ان لكل
نفس ظلمت كفرت واشركت وهو صفة النفس اي ولو ان لكل نفس ظالمة ما في الارض ما في
الدنيا اليوم من خزاينها واموالها لافتدت به لجعلته فدية لها يقال فداه فافتدى ويقال
افتداه ايضا بمعنى فداه واسروا الندامة لما راوا العذاب واظهروها من قولهم اسر الشيء
اذا اظهره او اخفوها عجزا عن النطق لشدة الامر فاسروا من الاضداد وقضي بينهم بين الظالمين
والمظلومين دل على ذلك ذكر الظلم بالقسط وهم لا يظلمون ثم اتبع ذلك الاعلام بان له الملك

كله بقوله الا ان لله ما في السموات والارض فكيف يقبل الفداء وانه المثيب المعاقب وما وعده
من الثواب والعقاب فهو حق بقوله الا ان وعد الله بالثواب او بالعقاب حق كاين ولكن اكثرهم
لا يعلمون هو يحيي ويميت هو القادر على الاحياء والاماتة لا يقدر عليهما غيره واليه ترجعون
والى حسابه وجزايه المرجع فيخاف ويرجى يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم اي قد جاءكم
كتاب جامع لهذه الفوايد من موعظة وتنبيه على التوحيد والموعظة التي تدعوا الى كل مرغوب
وتزجر عن كل مرهوب فما في القران من الاوامر والنواهي داع الى كل مرغوب وزاجر عن
كل مرهوب اذ الامر يقتضي حسن المامور به فيكون مرغوبا وهو يقتضي النهي عن ضده وهو
قبيح وعلى هذا في النهي وشفاء لما في الصدور اي صدوركم من العقايد الفاسدة وهدى من
الضلالة ورحمة للمومنين لمن امن به منكم قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا اصل
بذلك فليفرحوا والتكرير للتاكيد والتقرير وايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح
دون ما عداهما من فوايد الدنيا فحذف احد الفعلين لدلالة المذكور عليه والفاء داخلة
لمعنى الشرط كانه قيل ان فرحوا بشيء فليخصوهما بالفرح او بفضل الله وبرحمته فليعتنوا فبذلك
فليفرحوا وهما كتاب الله والاسلام في الحديث من هداه الله الاسلام وعلمه القران ثم شكا
الفاقة كتب الله الفقر بين عينيه الى يوم يلقاه وقرا الاية هو خير مما يجمعون وبالتاء شامي
فلتفرحوا يعقوب قل ارايتم اخبروني ما انزل الله لكم من رزق ما منصوب بانزل او
بارايتم اي اخبرونيه فجعلتم منه حراما وحلالا فبعضتموه وقلتم هذا حلال وهذا حرام
كقوله ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا والارزاق تخرج من
الارض ولكن لما انيطت اسبابها بالسماء نحو المطر الذي به تنبت الارض النبات والشمس
التي بها نضج الانزال وينع الثمار اضيف انزالها الى السماء قل الله اذن لكم متعلق بارايتم و
قل تكرير للتاكيد والمعنى اخبروني الله اذن لكم في التحليل والتحريم فانتم تفعلون ذلك باذنه
ام على الله تفترون ام انتم تكذبون على الله في نسبة ذلك اليه او الهمزة للانكار وام منقطعة
بمعنى بل تفترون على الله تقرير للافتراء والاية زاجرة عن التجوز فيما يسال من الاحكام و
باعثة على وجوب الاحتياط فيه وان لا يقول احد في شيء جايز او غير جايز الا بعد ايقان واتقان

فالا فهو مفتر على الديان وما ظن الذين يفترون على الله الكذب ينسبون ذلك اليوم يوم
القيمة منصوب بالظن وهو ظن واقع فيه يعنى اى شئ ظن المفترين فى ذلك اليوم ما يضع
بهم فيه وهو يوم الجزاء بالاحسان والاساءة وهو وعيد عظيم حيث ابهم امره ان الله
لذو فضل على الناس حيث انعم عليهم بالعقل ورحمهم بالوحى وتعليم الحلال والحرام ولكن
اكثرهم لا يشكرون هذه النعمة ولا يتبعون ما هدوا اليه وما تكون فى شان ما نافية و
الخطاب للنبى عليه الصلوة والسلام والشان الامر وما تتلو منه من التنزيل كانه قيل وما تتلو
من التنزيل من قران لان كل جزء منه قران والاضمار قبل الذكر تفخيم له او من الله عز و
جل ولا تعملون انتم جميعا من عمل اى عمل الا كنا عليكم شهودا شاهدين رقباء نحصى عليكم
اذ تفيضون فيه تخوضون من افاض فى الامر اذا اندفع فيه وما يعزب عن ربك وما يبعد
وما يغيب وبكسر الزاء على حيث كان من مثقال ذرة وزن نملة صغيرة فى الارض ولا فى
السماء ولا اصغر من ذلك ولا اكبر رفعهما حمزة على الابتداء والخبر الا فى كتاب مبين يعنى
اللوح المحفوظ ونصبهما غيره على نفى الجنس وقدمت الارض على السماء هنا وفى سبا قدمت
السموات لان العطف بالواو وحكمه حكم التثنية الا ان اولياء الله هم الذين يتولونه بالطاعة
ويتولاهم بالكرامة او هم الذين يتولى هداهم بالبرهان الذى اتاهم فتولوا القيام بحقه
والرحمة لخلقه او هم المتحابون فى الله على غير ارحام بينهم ولا اموال يتعاطونها او هم المؤمنون
المتقون بدليل الاية الثانية لا خوف عليهم اذا خاف الناس ولا هم يحزنون اذا حزن
الناس الذين امنوا منصوب باضمار اعنى او لانه صفة للاولياء او مرفوع على انه خبر مبتدأ
محذوف اى هم الذين وكانوا يتقون الشرك والمعاصى لهم البشرى فى الحيوة الدنيا ما
بشر الله به المؤمنين المتقين فى غير موضع من كتابه وعن النبى صلى الله عليه وسلم هى الرويا
الصالحة يراها المسلم او ترى له وعنه عليه الصلوة والسلام ذهبت النبوة وبقيت المبشرات
والرويا الصالحة جزء من ستة واربعين جزء من النبوة وهذا لان مدة الوحى ثلاث وعشرون
سنة وكان ستة اشهر منها يوحى فى النوم بالانذار وستة اشهر من ثلاث وعشرين سنة جزء
من ستة واربعين جزء او هى محبة الناس له والذكر الحسن او لهم البشرى عند النزع بان يرى

مكانه فى الجنة وفى الاخرة هى الجنة لا تبديل لكلمات الله لا تغيير لاقواله ولا اخلاف لمواعيده
وذلك اشارة الى كونهم مبشرين فى الدارين هو الفوز العظيم وكلتا الجملتين اعتراض و
لا يجب ان ينفع بعد الاعتراض كلام كما تقول فلان ينطق بالحق والحق ابلج وتسكت ولا
يحزنك قولهم تكذيبهم وتهديدهم وتشاورهم فى تدبير هلاكك وابطال امرك ان العزة
لله استيناف بمعنى التعليل كانه قيل ما لى لا احزن فقيل ان العزة لله ان الغلبة والقهر فى ملكة
الله لا يملك احد شيئا منها لا هم ولا غيرهم فهو يغلبهم وينصرك عليهم كتب الله لاغلبن انا
ورسلى انا لننصر رسلنا ومن يتعزز بك لا عزيز فهو يعزك ودينك واهلك والوقف لازم
على قولهم لئلا يصير ان العزة مقول الكفار جميعا حال هو السميع لما يقولون العليم بما يدبرون
ويعزمون عليه وهو مكافيهم بذلك الا ان لله من فى السموات ومن فى الارض يعنى العقلاء
وهم الملائكة والثقلان وخصهم ليؤذن ان هؤلاء اذا كانوا له وفى ملكته فهم عبيد كلهم وهو
سبحانه وتعالى ربهم ولا يصلح احد منهم للربوبية ولا ان يكون شريكا له فيها فما وراءهم مما لا
يعقل احق ان لا يكون له ندا او شريكا وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ما نافية
اى وما يتبعون حقيقة الشركاء وان كانوا يسمونها شركاء لان شركة الله فى الربوبية محال
ان يتبعون الا الظن الا ظنهم انهم شركاء وان هم الا يخرصون يحزرون ويقدرون ان
تكون شركاء تقديرا باطلا واستفهامية اى واى شئ يتبعون وشركاء على هذا نصب بيدعون
وعلى الاول بيتبع وكان حقه وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء شركاء فاقتصر على احدهما
للدلالة والمحذوف مفعول يدعون او موصولة معطوفة على من كانه قيل ولله ما يتبعه
الذين يدعون من دون الله شركاء اى وله شركاؤهم ثم نبه على عظيم قدرته وشمول
نعمته على عباده بقوله هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه اى جعل لكم الليل مظلما لتستريحوا
فيه من تعب التردد فى النهار والنهار مبصرا مضيئا لتبصروا فيه مطالب ارزاقكم ومكاسبكم
ان فى ذلك لايات لقوم يسمعون سماع مذكر معتبر قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه تنزيه له
عن اتخاذ الولد وتعجب من كلمتهم الحمقاء هو الغنى علة لنفى الولد لانه انما يطلب الولد ضعيف
ليتقوى به او فقير ليستعين به او ذليل ليتشرف به والكل امارة الحاجة فمن كان غنيا غير محتاج

كان الولد عنه منفيا ولان الولد بعض الوالد فيستدعى ان يكون مركبا وكل مركب ممكن وكل
ممكن محتاج الى الغير فكان حادثا فاستحال للقديم ان يكون له ولد له ما فى السموات وما فى الارض
ملكا ولا يجتمع النبوة معه ان عندكم من سلطان بهذا ما عندكم من حجة بهذا القول والباء
ان تتعلق بقوله ان عندكم على ان يجعل القول مكانا للسلطان كقولك ما عندكم بارضكم موز كانه
قيل ان عندكم فيما تقولون سلطان ولما نفى عنهم البرهان جعلهم غير عالمين فقال اتقولون
على الله ما لا تعلمون قل ان الذين يفترون على الله الكذب باضافة الولد اليه لا يفلحون لا ينجون
من النار ولا يفوزون بالجنة متاع فى الدنيا اى افتراؤهم هذا منفعة قليلة فى الدنيا حيث
يقيمون به رياستهم فى الكفر ومناصبة النبى عليه الصلوة والسلام بالتظاهر به ثم الينا مرجعهم
ثم نذيقهم العذاب الشديد المخلد بما كانوا يكفرون بكفرهم واتل عليهم واقرا عليهم نبا نوح
خبره مع قومه والوقف عليه لازم اذ لو وصل لصار اذ ظرفا لقوله واتل بل التقدير واذكر اذ قال
لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم عظم وثقل كقوله وانها لكبيرة الا على الخاشعين مقامى مكانى
يعنى نفسه كقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان اى خاف ربه او قيامى ومكثى بين اظهركم
الف سنة الا خمسين عاما او مقامى وتذكيرى بآيات الله لانهم كانوا اذا وعظوا الجماعة قاموا
على ارجلهم يعظونهم ليكون مكانهم بينا وكلامهم مسموعا فعلى الله توكلت اى فوضت امرى
اليه فاجمعوا امركم من اجمع الامر ... مع شركائكم ثم لا يكن امركم عليكم غمة اى غما عليكم وهما والغم
والغمة كالكرب والكربة او ملتبسا فى خفية والغمة السترة من غمه اذا ستره ومنه الحديث ولا غمة
فى فرايض الله اى لا تستر ولكن تجاهر بها والمعنى ولا يكن قصدكم الى اهلاكى مستورا عليكم و
لكن مكشوف ومشهور تجاهروننى به ثم اقضوا الى ذلك الامر الذى تريدون بى اى ادوا
الى ما هو حق عندكم من هلاكى كما يقضى الرجل غريمه اى اصنعوا ما امكنكم ولا تنظرون ولا
تمهلونى فان توليتم فان اعرضتم عن تذكيرى ونصيحتى فما سالتكم من اجر فاوجب التولى او
فما سالتكم من اجر ففاتنى ذلك بتوليكم ان اجرى الا على الله وهو الثواب الذى يثيبنى به فى
الاخرة اى ما نصحتكم الا لله لا لغرض من اعراض الدنيا وفيه دلالة منع اخذ الاجرة على تعليم القران
والعلم الدينى وامرت ان اكون من المسلمين من المستسلمين لاوامره ونواهيه ان اجرى مدنى و

لم ار اذا او ... عليه وشركائهم الواو بمعنى مع اى فاجمعوا ام

شامی

وشامى وابو عمرو وحفص فكذبوه فداموا على تكذيبه فنجيناه من الغرق ومن معه فى الفلك
وجعلناهم خلائف يخلفون الهالكين بالغرق واغرقنا الذين كذبوا باياتنا فانظر كيف كان
عاقبة المنذرين هو تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن انذرهم رسول الله عن مثله وتسلية
له ثم بعثنا من بعده من بعد نوح رسلا الى قومهم اى هودا وصالحا وابراهيم ولوطا وشعيبا
فجاؤهم بالبينات بالحجج الواضحة المثبتة لدعواهم فما كانوا ليؤمنوا فاصروا على الكفر بعد المجئ
بما كذبوا من قبل مجيئهم يريد انهم كانوا قبل بعثة الرسل اهل جاهلية مكذبين بالحق
فما وقع فصل بين حالتهم بعد بعثة الرسل وقبلها كان لم يبعث اليهم احد كذلك نطبع مثل ذلك
الطبع نختم على قلوب المعتدين المجاوزين الحد فى التكذيب ثم بعثنا من بعدهم من بعد الرسل
موسى وهارون الى فرعون وملئه باياتنا بالايات التسع فاستكبروا عن قبولها واعظم الكبر ان
يتهاون العبيد برسالة ربهم بعد تبينها ويتعظموا عن قبولها وكانوا قوما مجرمين كفارا ذوى
اثام عظام فلذلك استكبروا عنها واجترؤا على ردها فلما جاءهم الحق من عندنا فلما عرفوا
انه هو الحق وانه من عند الله قالوا لحبهم الشهوات ان هذا السحر مبين وهم يعلمون ان الحق
ابعد شئ من السحر قال موسى اتقولون للحق لما جاءكم هو انكار ومقولهم محذوف اى هذا سحر
ثم استانف انكارا اخر فقال اسحر هذا خبر ومبتدا ولا يفلح الساحرون اى لا يظفر قالوا
اجئتنا لتلفتنا لتصرفنا عما وجدنا عليه اباءنا من عبادة الاصنام او عبادة فرعون وتكون لكما الكبرياء
اى الملك لان الملوك موصوفون بالكبرياء والعظمة والعلو فى الارض ارض مصر وما نحن لكما
بمؤمنين بمصدقين فيما جئتما ويكون حماد ويحيى وقال فرعون ائتونى بكل ساحر عليم
سحار حمزة وعلى فلما جاء السحرة قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون فلما القوا قال
موسى ما جئتم به السحر ما موصولة واقعة مبتداء وجئتم صلتها والسحر خبر اى
الذى جئتم به هو السحر لا الذى سماه فرعون وقومه سحرا من ايات الله السحر بعد
وقف ابو عمرو وعلى الاستفهام فعلى هذا القراءة ما استفهامية اى اى شئ جئتم به اهو
السحر ان الله سيبطله يظهر بطلانه ان الله لا يصلح عمل المفسدين لا يثبته بل يدمره ويحق
الله الحق ويثبته بكلماته باوامره وقضاياه او يظهر الاسلام بعداته بالنصرة ولو كره المجرمون

لتلفتنا

ذلك فما آمن لموسى في اول الامر الا ذرية من قومه على خوف من فرعون الا طايفة من ذراري
بني اسرائيل كانه قيل الا اولادا من اولاد قومه وذلك انه دعا الاباء فلم يجيبوه خوفا من
فرعون واجابته طايفة من ابنائهم مع الخوف او الضمير في قومه لفرعون والذرية مؤمن
من آل فرعون وآسية امرأته وخازنه وامرأة خازنه وماشطته والضمير في وملئهم يرجع
الى فرعون بمعنى آل فرعون كما يقال ربيعة ومضر او لانه ذو اصحاب يأتمرون له او الى الذرية
اي على خوف من فرعون وخوف من اشراف بني اسرائيل لانهم كانوا يمنعون اعقابهم خوفا
من فرعون عليهم وعلى انفسهم دليله قوله ان يفتنهم يريد ان يعذبهم فرعون وان فرعون
لعال في الارض لغالب فيها قاهر وانه لمن المسرفين في الظلم والفساد والكبر والعتو بادعائه
الربوبية وقال موسى يا قوم ان كنتم آمنتم بالله صدقتم به وبآياته فعليه توكلوا فاليه
اسندوا امركم في العصمة من فرعون ان كنتم مسلمين شرط في التوكل الاسلام وهو ان يسلموا
نفوسهم لله اي يجعلوها له سالمة خالصة لا حظ للشيطان فيها لان التوكل لا يكون مع
التخليط فقالوا على الله توكلنا انما قالوا ذلك لان القوم كانوا مخلصين لا جرم ان الله
قبل توكلهم واجاب دعاءهم ونجاهم واهلك من كانوا يخافونه وجعلهم خلفاء في ارضه
فمن اراد ان يصلح للتوكل على ربه فعليه رفض التخليط الى الاخلاص ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم
الظالمين موضع فتنة لهم اي عذاب يعذبوننا او يفتنوننا عن ديننا اي يضلوننا والفاتن
المضل عن الحق ونجنا برحمتك من القوم الكافرين اي من تعبيدهم وتسخيرهم واوحينا
الى موسى واخيه ان تبوءا لقومكما بمصر بيوتا تبوأ المكان اتخذه مباءة كقولك توطنه اذا
اتخذه وطنا والمعنى اجعلا بمصر بيوتا من بيوته مباءة لقومكما ومرجعا يرجعون اليه للعبادة
والصلوة فيه واجعلوا بيوتكم قبلة اي مساجد متوجهة نحو القبلة وهي الكعبة وكان موسى
ومن معه يصلون الى الكعبة وكانوا في اول الامر مأمورين بان يصلوا في بيوتهم في خفية
من الكفرة لان لا يظهروا عليهم فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم كما ان المسلمين على ذلك في
اول الاسلام بمكة واقيموا الصلوة في بيوتكم حتى تأمنوا وبشر المؤمنين يا موسى ثنى الخطاب
اولا ثم جمع ثم وحد آخرا لان اختيار مواضع العبادة مما يفوض الى الانبياء ثم جمع لان اتخاذ

المساجد

المساجد والصلوة فيها واجب على الجمهور ثم خص موسى عليه الصلوة والسلام بالبشارة تعظيما
لها وللمبشر بها وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة ما يتزين به من لباس او حلي او فراش
او اثاث او غير ذلك واموالا نقدا او نعما او ضيعة في الحيوة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ليضلوا
اي الناس عن طاعتك كوفي ولا وقف على الدنيا لان قوله ليضلوا متعلق بآتيت وربنا تكرار للدعاء
ذال الحاح في التضرع قال الشيخ ابو منصور رح اذ اعلم منهم انهم يضلون الناس عن سبيله آتاهم
ما آتاهم ليضلوا عن سبيله وهو كقوله انما نملي لهم ليزدادوا اثما فيكون حجة على المعتزلة ربنا
اطمس على اموالهم اي اهلكها واذهب آثارها لانهم يستعينون بنعمتك على معصيتك والطمس
المحو والاهلاك قيل صارت دراهمهم ودنانيرهم حجارة كهيآتها منقوشة كذلك وقيل سائر
اموالهم كذلك واشدد على قلوبهم اطبع على قلوبهم واجعلها قاسية فلا يؤمنوا جواب الدعاء
الذي هو اشدد حتى يروا العذاب الاليم الى ان يروا العذاب الاليم وكان كذلك فانهم لم
يؤمنوا الى الغرق وكان ذلك ايمان بأس فلم يقبل وانما دعا لهم بهذا لما ايس من ايمانهم وعلم
بالوحي انهم لا يؤمنون فاما قبل ان يعلم بانهم لا يؤمنون فلا يسع له ان يدعو بهذا الدعاء
لانه ارسل اليهم ليدعوهم الى الايمان وهو يدل على ان الدعاء على الغير بالموت على الكفر
لا يكون كفرا قال قد اجيبت دعوتكما قيل كان موسى عليه السلام يدعو وهارون يؤمن
فثبت ان التأمين دعاء فكان اخفاؤه اولى والمعنى ان دعاءكما مستجاب وما طلبتما كائن
ولكن في وقته فاستقيما فاثبتا على ما انتما عليه من الدعوة والتبليغ ولا تتبعان سبيل الذين
لا يعلمون ولا تتبعا طريق الجهلة الذين لا يعلمون صدق الاجابة وحكمة الامهال فقد كان
بين الدعاء والاجابة اربعون سنة ولا تتبعان بتخفيف النون وكسرها لالتقاء الساكنين
تشبيها بنون التثنية شامي وخطأه بعضهم لان النون الخفيفة واجبة السكون وقيل هو اخبار
عما يكونان عليه وليس بنهي او هو حال وتقديره فاستقيما غير متبعين وجاوزنا ببني اسرائيل
البحر هو دليل لنا على المعتزلة على خلق الافعال فاتبعهم فرعون وجنوده فلحقهم يقال تبعته
حتى اتبعته بغيا تطاولا وعدوا ظلما وانتصبا على الحال وعلى المفعول له حتى اذا ادركه الغرق
فلا وقف عليه لان قال آمنت جواب اذا انه حمزة وعلي على الاستيناف بدل من آمنت وبالفتح

غيرهما على حذف الباء التي هي صلة الايمان لا اله الا الذي امنت به بنو اسرائيل وانا من
المسلمين فيه دليل على ان الايمان والاسلام واحد حيث قال امنت ثم قال وانا من المسلمين كرر
فرعون المعنى الواحد ثلث مرات في ثلث عبارات حرصا على القبول ثم لم يقبل منه حيث
اخطاء وقته وكانت المرة الواحدة تكفي في حال الاختيار الان قال جبرئيل الان من الساعة
في وقت الاضطرار حين ادركك الغرق وايست من نفسك قيل قال ذلك حين الجمه الغرق
والعامل فيه الان وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين من الضالين المضلين عن الايمان
روى ان جبرئيل عليه السلام اتاه بفتيا وا قول الامير في عبد لرجل نشا في ماله ونعمته فكفر نعمته
وجحد حقه وادعى السيادة دونه فكتب فرعون يقول ابو العباس الوليد بن مصعب جزاء
العبد الخارج على سيده الكافر نعماءه ان يغرق في البحر فلما الجمه الغرق ناوله جبرئيل خطه
فعرفه فاليوم ننجيك نلقيك بنجوة من الارض فرماه الماء الى الساحل كانه ثور ببدنك
في موضع الحال اى في الحال الذي لا روح فيك وانما انت بدن او ببدنك كاملا سويا
لم ينقص منه شيء ولم يتغير او عريانا لست الا بدنا من غير لباس او بدرعك وكانت له درع
من ذهب يعرف بها وقرء ابو حنيفة رضي الله عنه بابدانك وهو مثل قولهم هوا باجرامه
اى ببدنك كله وافيا باجزائه او بدروعك لانه ظاهر بينها لتكون لمن خلفك اية لمن وراءك
من الناس علامة وهم بنو اسرائيل وكان في انفسهم ان فرعون اعظم شانا من ان يغرق
وقيل اخبرهم موسى بهلاكه فلم يصدقوه فالقاه الله على الساحل حتى عاينوه وقيل لمن
خلفك لمن ياتي بعدك من القرون ومعنى كونه اية ان يظهر للناس عبوديته وان ما
كان يدعيه من الربوبية محال وانه مع ما كان فيه من عظم الملك آل امره الى ما ترون لعصيانه
ربه فما الظن لغيره وان كثيرا من الناس عن اياتنا لغافلون ولقد بوانا بني اسرائيل مبوا
صدق منزلا صالحا مرضيا وهو مصر والشام ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا في
دينهم حتى جاءهم العلم اى التورية وهم اختلفوا في تاويلها كما اختلف امة محمد عليه
الصلوة والسلام في تاويل الايات في القران او المراد بالعلم محمد عليه الصلوة والسلام واختلاف
بني اسرائيل وهم اهل الكتاب اختلافهم في صفته انه هو ام ليس به بعد ما جاءهم العلم انه هو

ان ربك يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون يميز المحق من المبطل ويجزي كلا جزاءه
فان كنت في شك مما انزلنا اليك فسال الذين يقرؤن الكتاب من قبلك لما قدم ذكر بني اسرائيل
وهم قراء الكتاب ووصفهم بان العلم قد جاءهم لان امر رسول الله صلى الله عليه وسلم مكتوب
في التورية والانجيل وهم يعرفونه كما يعرفون ابناءهم اراد ان يوكد علمهم بصحة القران وبصحة
نبوة محمد عليه الصلوة والسلام ويبالغ في ذلك فقال فان وقع لك شك فرضا وتقديرا و
سبيل من خالجته شبهة ان يسارع الى حلها بالرجوع الى قوانين الدين وادلته او بمباحثة العلماء
فسال علماء اهل الكتاب فانهم من الاحاطة بصحة ما انزل اليك بحيث يصلحون لمراجعة مثلك
فضلا عن غيرك فالمراد وصف الاحبار بالرسوخ في العلم بصحة ما انزل الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا وصف رسول الله بالشك فيه ثم قال لقد جاءك الحق من ربك اى ثبت عندك
بالايات الواضحة والبراهين اللائحة ان ما اتاك هو الحق الذي لا مجال فيه للشك فلا
تكونن من الممترين شاكين ولا وقف عليه لعطف ولا تكونن من الذين كذبوا بايات الله فتكون
من الخاسرين اى فاثبت ودم على ما انت عليه من انتفاء المرية عنك والتكذيب بايات الله
او هو على طريقة التهييج والالهاب كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا يصدنك عن ايات الله
بعد اذ انزلت اليك ولزيادة التثبيت والعصمة ولذلك قال عليه الصلوة والسلام عند نزوله
لا اشك ولا اسال بل اشهد انه الحق او خوطب رسول الله والمراد امته اى وان كنتم في شك
مما انزلنا اليكم كقوله وانزلنا اليكم نورا مبينا او الخطاب لكل سامع يجوز عليه الشك كقول
العرب اذا عز اخوك فهن او ان للنفي اى فما كنت في شك فسل اى لا نامرك بالسوال لانك
شاك ولكن لتزداد يقينا كما ازداد ابراهيم عليه السلام بمعاينة احياء الموتى فان قلت انما
يجيء ان للنفي اذا كان بعده الا كقولك ان الكافرون الا في غرور قلت ذلك غير لازم الا ترى
الى قوله ان امسكهما من احد من بعده فان للنفي وليس بعده الا ان الذين حقت عليهم كلمة
ربك اى ثبت عليهم قول الله الذي كتبه في اللوح واخبر به الملايكة انهم يموتون كفارا او قوله
لاملان جهنم الاية فلا وقف على لا يؤمنون لان ولو جاءتهم كل اية يتعلق بما قبلها حتى يروا
العذاب الاليم اى عند الياس فيؤمنون ولا ينفعهم او عند القيمة ولا يقبل منهم فلولا كانت

قرية امنت فهلا كانت قرية واحدة من القرى التي اهلكناها تابت من الكفر واخلصت
الايمان قبل المعاينة ولم تؤخرها كما اخر فرعون الى ان اخذ بمخنقه فنفعها ايمانها بان يقبله
الله منها لوقوعه في وقت الاختيار الا قوم يونس استثناء من القرى وهو استثناء منقطع
بمعنى ولكن قوم يونس او متصل والجملة في معنى النفي كانه قيل ما آمنت قرية من القرى
الهالكة الا قوم يونس وانتصابه على اصل الاستثناء لما امنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي
في الحيوة الدنيا ومتعناهم الى حين الى اجالهم وكان يونس عليه السلام بعث الى نينوى
من ارض الموصل فكذبوه فذهب عنهم مغاضبا فلما فقدوه خافوا نزول العذاب فلبسوا المسوح
وعجوا اربعين ليلة وبرزوا الى الصعيد بانفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين
النساء والصبيان والدواب واولادها فحن بعضها الى بعض واظهروا الايمان والتوبة فرحمهم
وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة وبلغ من توبتهم ان ترادوا المظالم حتى ان الرجل
كان يقتلع الحجر وقد وضع عليه اساس بنائه فيرده وقيل خرجوا لما نزل العذاب الى شيخ من
بقية علمائهم فقال لهم قولوا يا حي حين لا حي يا حي محيي الموتى ويا حي لا اله الا انت فقالوها
فكشف عنهم وعن الفضيل قالوا اللهم ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وانت اعظم منها واجل فافعل بنا ما انت اهله ولا تفعل بنا ما نحن اهله ولو شاء ربك لامن من في الارض
كلهم على وجه الاحاطة والشمول جميعا مجتمعين على الايمان مطبقين عليه لا يختلفون فيه
اخبر عن كمال قدرته ونفوذ مشيته انه لو شاء لآمن من في الارض كلهم ولكنه شاء ان يؤمن
به من علم منه اختيار الايمان به وشاء الكفر ممن علم انه يختار الكفر ولا يؤمن به وقول
المعتزلة المراد بالمشية مشية القسر والالجاء اي لو خلق فيهم الايمان جبرا لآمنوا لكن قد شاء
ان يؤمنوا اختيارا فلم يؤمنوا وليلة افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين اي ليس اليك
مشية الاكراه والجبر في الايمان انما ذلك الى فاسد لان الايمان فعل العبد وفعله ما يحصل
بقدرته ولا يتحقق ذلك بدون الاختيار وتاويله عندنا ان لله لطفا لو اعطاهم لامنوا كلهم
عن اختيار ولكن علم انهم لا يؤمنون فلم يعطهم ذلك وهو التوفيق والاستفهام في
افانت بمعنى النفي اي لا تملك انت يا محمد ان تكرههم على الايمان لانه يكون بالتصديق والاقرار

ولا يمكن الاكراه على التصديق وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله بمشيته او بقضائه او
بتوفيقه وتسهيله او بعلمه ويجعل الرجس اي العذاب والسخط او الشيطان اي يسلط الشيطان
على الذين لا يعقلون لا ينتفعون بعقولهم ونجعل حماد ويحيى قل انظروا نظر استدلال
واعتبار ماذا في السموات والارض من الايات والعبر باختلاف الليل والنهار وخروج
الزروع والثمار وما تغني الايات والنذر ما نافية والنذر والرسل المنذرون او الانذارات
عن قوم لا يؤمنون لا يتوقع ايمانهم وهم الذين لا يعقلون فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين
خلوا من قبلهم يعني وقايع الله فيهم كما يقال ايام العرب لوقايعها قل فانتظروا اني معكم
من المنتظرين ثم ننجي رسلنا معطوف على كلام محذوف يدل عليه الا مثل ايام الذين
خلوا من قبلهم كانه قيل نهلك الامم ثم ننجي رسلنا على حكاية الاحوال الماضية والذين
امنوا ومن آمن معهم كذلك حقا علينا ننجي المؤمنين اي مثل ذلك الانجاء ننجي المؤمنين
منكم ونهلك المشركين وحقا علينا اعتراض اي حق ذلك علينا ننجي بالتخفيف علي وحفص
قل يا ايها الناس يا اهل مكة ان كنتم في شك من ديني وصحته وسداده فهذا ديني فاسمعوا
وصفه ثم وصف دينه فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله اي الاصنام ولكن اعبد
الله الذي يتوفيكم يميتكم وصفه بالتوفي ليريهم انه الحقيق بان يخاف ويتقى ويعبدون
ما لا يقدر على كل شيء وامرت ان اكون من المؤمنين اي بان اكون يعني ان الله امرني بذلك
بما ركب في من العقل او بما اوحى الي في كتابه وان اقم وجهك للدين اي واوحي الي ان اقم
ليشاكل قوله امرت اي استقم مقبلا بوجهك على ما امرك الله او استقم اليه ولا تلتفت يمينا
ولا شمالا حنيفا حال من الدين او الوجه ولا تكونن من المشركين ولا تدع من دون الله ما لا
ينفعك ان دعوته ولا يضرك ان خذلته فان فعلت فان دعوت من دون الله ما لا ينفعك
ولا يضرك فكني عنه بالفعل ايجازا فانك اذا من الظالمين اذا جزاء الشرط وجواب لسوال
مقدر كان سايلا سال عن تبعة عبادة الاوثان وجعل من الظالمين لانه لا ظلم اعظم من
الشرك وان يمسسك الله يصبك بضر مرض فلا كاشف له لذلك الضر الا هو الا الله
وان يردك بخير عافية فلا راد لفضله فلا راد لمراده يصيب به بالخير من يشاء من عباده قطع

بهذه الاية على عباده طريقة الرغبة والرهبة الا اليه ولا اعتماد الا عليه هو الغفور المكفر بالبلاء
الرحيم المعافى بالعطاء اتبع النهى عن عبادة الاوثان ووصفها بانها لا تنفع ولا تضر ان الله
هو الضار والنافع الذى ان اصابك بضر لم يقدر على كشفه الا هو وحده دون كل احد
فكيف بالجماد الذى لا شعور به وكذا ان ارادك بخير لم يرد احد ما يريده بك من الفضل
والاحسان فكيف بالاوثان وهو الحقيق اذن بان توجه اليه العبادة دونها وهو ابلغ من
قوله ان ارادنى الله بضر هل هن كاشفات ضره او ارادنى برحمة هل هن ممسكات رحمته وانما
ذكر المس فى احدهما والارادة فى الاخر لانه كانه اراد ان يذكر الامرين الارادة والاصابة
فى كل واحد من الضر والخير وانه لا راد لما يريد منهما ولا مزيل لما يصيب به منهما فاوجز الكلام
بان ذكر المس وهو الاصابة فى احدهما والارادة فى الاخر ليدل بما ذكر على ما ترك على انه قد ذكر
الاصابة بالخير فى قوله يصيب به من يشاء من عباده قل يا ايها الناس يا اهل مكة قد جاءكم
الحق القرآن او الرسول من ربكم فمن اهتدى اختار الهدى واتبع الحق فانما يهتدى لنفسه
فما نفع باختياره الا نفسه ومن ضل فانما يضل عليها ومن اثر الضلال فما ضر الا نفسه و
دل اللام وعلى معنى النفع والضر وما انا عليكم بوكيل بحفيظ موكول الى امركم انما انا بشير
ونذير واتبع ما يوحى اليك واصبر على تكذيبهم وايذائهم حتى يحكم الله لك بالنصرة
عليهم وبالغلبة وهو خير الحاكمين لانه المطلع على السرائر فلا يحتاج الى بينة وشهود و

الله اعلم واحكم

سورة هود مائة وثلث عشر اية بسم الله الرحمن الرحيم

الر كتاب اى هذا كتاب فهو خبر مبتداء محذوف احكمت اياته صفة له اى
نظمت نظما رصينا محكما لا يقع فيه نقض ولا خلل كالبناء المحكم ثم فصلت كما تفصل القلايد
بالفرايد من دلايل التوحيد والاحكام والمواعظ والقصص او جعلت فصولا سورة
سورة واية اية او فرقت فى التنزيل ولم تنزل جملة واحدة او فصل فيها ما يحتاج اليه
العباد اى بين ولخص وليس معنى ثم التراخى فى الوقت ولكن فى الحال من لدن حكيم خبير
صفة اخرى لكتاب او خبر بعد خبر او صلة لاحكمت او فصلت اى من عنده احكامها و
تفصيلها ان لا تعبدوا الا الله مفعول له اى لان لا تعبدوا او ان مفسرة لان فى تفصيل الايات

معنى القول كانه قيل قال لا تعبدوا الا الله او امركم ان لا تعبدوا الا الله اننى لكم منه نذير
وبشير اى من الله وان استغفروا ربكم اى امركم بالتوحيد والاستغفار ثم توبوا اليه
اى استغفروا من الشرك ثم ارجعوا اليه بالطاعة يمتعكم متاعا حسنا بطول نفعكم فى الدنيا
بمنافع حسنة مرضية من عيشة واسعة ونعمة متتابعة الى اجل مسمى الى ان يتوفيكم ويؤت
كل ذى فضل فضله ويعط فى الاخرة كل من كان له فضل فى العمل وزيادة فيه جزاء فضله
ولا يبخس منه وان تولوا وان تتولوا فانى اخاف عليكم عذاب يوم كبير وهو يوم القيمة
الى الله مرجعكم رجوعكم وهو على كل شئ قدير فكان قادرا على اعادتكم الا انهم يثنون
صدورهم يزورون عن الحق وينحرفون عنه لان من اقبل على الشئ استقبله بصدره ومن
ازور عنه وانحرف ثنى عنه صدره وطوى عنه كشحه ليستخفوا منه ليطلبوا الخفاء من الله
فلا يطلع رسوله والمؤمنين على ازورارهم الا حين يستغشون ثيابهم كراهة لاستماع
كلام الله كقول نوح عليه السلام جعلوا اصابعهم فى اذانهم واستغشوا ثيابهم يعلم ما يسرون
وما يعلنون اى لا تفاوت فى علمه بين اسرارهم واعلانهم فلا وجه لتوصلهم الى ما يريدون
من الاستخفاء والله مطلع على ثنيهم صدورهم واستغشائهم ثيابهم ونفاقهم غير نافق
عنده قيل نزلت فى المنافقين انه عليم بذات الصدور بما فيها وما من دابة فى الارض الا على الله
رزقها تفضلا لا وجوبا ويعلم مستقرها مكانه من الارض ومسكنه ومستودعها حيث
كان مودعا قبل الاستقرار من صلب او رحم او بيضة كل فى كتاب مبين كل واحد من الدواب
ورزقها ومستقرها ومستودعها فى اللوح يعنى ذكرها مكتوب فيه مبين وهو الذى
خلق السموات والارض اى وما بينهما فى ستة ايام من الاحد الى الجمعة تعليما للتانى وكان
عرشه على الماء فوقه يعنى ما كان تحته خلق قبل خلق السموات والارض قبل الا الماء وفيه
دليل على ان العرش والماء كانا مخلوقين قبل خلق السموات والارض قيل بدا بخلق ياقوتة
خضراء فنظر اليها بالهيبة فصارت ماء ثم خلق ريحا فاقر الماء على متنه ثم وضع عرشه على
الماء وفى وقوف العرش على الماء اعظم الاعتبار لاهل الافكار ليبلوكم اى خلق السموات والارض
وما بينهما للممتحن فيهما ولم يخلق هذه الاشياء لانفسها ايكم احسن عملا اكثر شكرا وعنه عليه السلام

احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع فى طاعة الله فمن شكر واطاع اثابه ومن كفر وعصى
عاقبه ولما اشبه ذلك اختبار المختبر قال ليبلوكم اى ليفعل بكم ما يفعل المبتلى لاحوالكم كيف
تعملون ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين
اشاروا بهذا الى القران لان القران هو الناطق بالبعث فاذا جعلوا سحرا فقد اندرج تحته
انكارها فيه من البعث وغيره ساحر حمزة وعلى يريدون الرسول والساحر كاذب مبطل
ولئن اخرنا عنهم العذاب عذاب الاخرة او عذاب يوم بدر الى امة الى جماعة من الاوقات
معدودة معلومة او قلائل والمعنى الى حين معلوم ليقولن ما يحبسه ما يمنعه من النزول
استعجالا له على وجه التكذيب والاستهزاء الا يوم ياتيهم العذاب ليس العذاب مصروفا عنهم
وهو منصوب بمصروفا اى ليس العذاب مصروفا عنهم يوم ياتيهم وحاق بهم واحاط بهم ما كانوا
به يستهزؤن العذاب الذى كانوا به يستعجلون وانما وضع يستهزؤن موضع يستعجلون لان
استعجالهم كان على جهة الاستهزاء ولئن اذقنا الانسان وهو للجنس منا رحمة نعمة من صحة وامن
وجدة واللام فى لئن لتوطية القسم ثم نزعناها منه ثم سلبناه تلك النعمة وجواب القسم انه
ليؤس شديد الياس من ان يعود اليه مثل تلك النعمة المسلوبة قاطع رجاءه من سعة فضل الله
من غير صبر ولا تسليم لقضائه كفور عظيم الكفران لما سلف له من التقلب فى نعمة الله نساء
له ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته وسعنا فى نعمة بعد الفقر الذى ناله ليقولن ذهب
السيات عنى اى المصايب التى ساءتنى انه لفرح اشر وبطر فخور على الناس بما اذاقه الله من نعمائه
قد شغله الفخر والفرح عن الشكر الا الذين صبروا فى المحنة والبلاء وعملوا الصالحات وشكروا
فى النعمة والرخاء اولئك لهم مغفرة لذنوبهم واجر كبير يعنى الجنة كانوا يقترحون عليه
ايات تعنتا لا استرشادا لانهم لو كانوا مسترشدين لكانت اية واحدة مما جاء به كافية فى
رشادهم ومن اقتراحاتهم لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك وكانوا لا يعتدون بالقران
ويتهاونون به فكان يضيق صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يلقى اليهم ما لا يقبلونه
ويضحكون منه فهيجه لاداء الرسالة وطرح المبالاة بردهم واستهزائهم واقتراحهم بقوله
فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك اى لعلك تترك ان تلقيه اليهم وتبلغه اياهم مخافة ردهم له

وتهاونهم به وضائق به صدرك بان تتلوه عليهم ولم يقل ضيق ليدل على انه ضيق عارض
غير ثابت لانه عليه الصلوة والسلام كان افسح الناس صدرا ولانه اشكل بتارك ان يقولوا
لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك هلا انزل عليه ما اقترحنا من الكنز لينفعه والملائكة
لتصدقه ولم انزل عليه ما لا نريده ولا نقترحه انما انت نذير اى ليس عليك الا ان تنذرهم
بما اوحى اليك وتبلغهم ما امرت بتبليغه ولا عليك ردوا او تهاونوا والله على كل شىء
وكيل يحفظ ما يقولون وهو فاعل بهم ما يجب ان يفعل فتوكل عليه وكل امرك اليه وعليك
بتبليغ الوحى بقلب فسيح وصدر منشرح غير ملتفت الى استكبارهم ولا مبال بسفههم و
استهزائهم ام يقولون ام منقطعة افتريه الضمير لما يوحى اليك قل فاتوا بعشر سور تحداهم
اولا بعشر سور ثم بسورة واحدة كما يقول المخاير فى الخط لصاحبه اكتب عشرة اسطر نحو
ما اكتب فاذا تبين له العجز عن ذلك قال قد اقتصرت منك على سطر واحد مثله فى الحسن و
الجزالة ومعنى مثله امثاله ذهابا الى مماثلة كل واحد منها له مفتريات صفة لعشر سور لما
قالوا افتريت القران واختلقته من عند نفسك وليس من عند الله ارخى معهم العنان و
قال هبوا انى اختلقته من عند نفسى فاتوا انتم ايضا بكلام مثله مختلق من عند انفسكم
وانتم عرب فصحاء مثلى وادعوا من استطعتم من دون الله الى المعاونة على المعارضة
ان كنتم صادقين انه مفترى فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا انما انزل بعلم الله وان لا اله
الا هو اى انزل ملتبسا بما لا يعلمه الا الله من نظم معجز للخلق واخبار بغيوب لا سبيل لهم
اليه واعلموا عند ذلك ان لا اله الا الله وحده وان توحيده واجب والاشراك به ظلم
عظيم وانما جمع الخطاب بعد افراده وهو قوله لكم فاعلموا بعد قوله قل لان الجمع لتعظيم
رسول الله او لان رسول الله والمومنين كانوا يتحدونهم او لان الخطاب للمشركين والضمير
فى لم يستجيبوا لمن استطعتم اى فان لم يستجب لكم من تدعونه من دون الله الى المظاهرة على المعارضة
لعلمهم بالعجز عنه فاعلموا انما انزل بعلم الله اى باذنه او بامره فهل انتم مسلمون مبايعون
بالاسلام بعد هذه الحجة القاطعة ومن جعل الخطاب للمسلمين فمعناه فاثبتوا على العلم الذى
انتم عليه وازدادوا يقينا على انه منزل من عند الله وعلى التوحيد فهل انتم مسلمون مخلصون

من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون نوصل
اليهم اجور اعمالهم وافية كاملة من غير بخس فى الدنيا وهو ما يرزقون فيها من الصحة و
الرزق وهم الكفار او المنافقون اوليك الذين ليس لهم فى الاخرة الا النار وحبط ما
صنعوا فيها وحبط فى الاخرة ما صنعوا او صنيعهم اى لم يكن لهم ثواب لانهم لم يريدوا به الاخرة
انما ارادوا به الدنيا وقد وفى اليهم ما ارادوا وباطل ما كانوا يعملون اى كان عملهم فى نفسه
باطلا لانه لم يعمل لغرض صحيح والعمل الباطل لا ثواب له ومعنى افمن كان على بينة من ربه امن
كان يريد الحيوة الدنيا كمن كان على بينة من ربه اى لا يعقبونهم فى المنزلة ولا يقاربونهم يعنى
ان بين الفريقين تباينا واراد بهم من آمن من اليهود كعبد الله بن سلام وغيره كان على بينة
من ربه على برهان من الله وبيان ان دين الاسلام حق فهو دليل العقل ويتلوه ويتبع
ذلك البرهان شاهد يشهد بصحته وهو القران منه من الله او من القران فقد مر ذكره
آنفا ومن قبله ومن قبل القران كتاب موسى وهو التورية اى ويتلو ذلك البرهان
ايضا من قبل القران كتاب موسى اماما كتابا مؤتما به فى الدين قدوة فيه ورحمة ونعمة
عظيمة على المنزل اليهم وهما حالان اوليك اى من كان على بينة يؤمنون به بالقران ومن
يكفر به بالقران من الاحزاب يعنى اهل مكة ومن ضامهم من المتحزبين على رسول الله ﷺ
فالنار موعده مصيره ومورده فلا تك فى مرية شك منه من القران او من الموعد انه الحق
من ربك ولكن اكثر الناس لا يؤمنون ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا اوليك يعرضون
على ربهم يحبسون فى الموقف وتعرض اعمالهم ويقول الاشهاد هولاء الذين كذبوا على ربهم
وتشهد عليهم الاشهاد من الملائكة والنبيين بانهم الكذابون على الله بانه اتخذ ولدا و
شريكا الا لعنة الله على الظالمين الكاذبين على ربهم والاشهاد جمع شاهد كاصحاب
وصاحب او شهيد كشريف واشراف الذين يصدون عن سبيل الله يصرفون الناس
عن دينه ويبغونها عوجا يصفونها بالاعوجاج وهى مستقيمة او يبغون اهلها ان يعوجوا
بالارتداد وهم بالاخرة هم كافرون هم الثانية لتاكيد كفرهم بالاخرة واختصاصهم به اوليك
لم يكونوا معجزين فى الارض اى ما كانوا يعجزون الله فى الدنيا ان يعاقبهم لو اراد عقابهم وما

كان

كان لهم من دون الله من اولياء من يتولاهم فينصرهم منه ويمنعهم من عقابه ولكنه اراد
انظارهم وتاخير عقابهم الى هذا اليوم وهو من كلام الاشهاد يضاعف لهم العذاب لانهم اضلوا
الناس عن دين الله يضعف مكى وشامى ما كانوا يستطيعون السمع اى استماع الحق وما كانوا
يبصرون الحق اوليك الذين خسروا انفسهم حيث اشتروا عبادة الالهة بعبادة الله وضل
عنهم وبطل عنهم وضاع ما اشتروه وهو ما كانوا يفترون من الالهة وشفاعتها لا جرم
انهم فى الاخرة هم الاخسرون بالصد والصدود وفى لا جرم اقوال احدها ان لا رد لكلام سابق
اى ليس الامر كما زعموا ومعنى جرم كسب وفاعله مضمر وانهم فى الاخرة فى محل النصب والتقدير
كسب قولهم خسرانهم فى الاخرة وثانيها ان لا جرم كلمتان ركبتا فصار معناهما حقا وان فى
موضع رفع بانه فاعل لحق اى حق خسرانهم وثالثها ان معناه لا محالة ان الذين امنوا وعملوا
الصالحات واخبتوا الى ربهم واطمانوا اليه وانقطعوا الى عبادته بالخشوع والتواضع من
الخبت وهى الارض المطمئنة اوليك اصحاب الجنة هم فيها خالدون مثل الفريقين كالاعمى و
الاصم والبصير والسميع شبه فريق الكافرين بالاعمى والاصم وفريق المومنين بالبصير والسميع
هل يستويان يعنى الفريقين مثلا تشبيها وهو نصب على التمييز افلا تذكرون فتنتفعوا بضرب
المثل ولقد ارسلنا نوحا الى قومه انى لكم نذير مبين اى بانى والمعنى ارسلناه ملتبسا بهذا
الكلام وهو قوله انى لكم نذير مبين بالكسر فلما اتصل به الجار فتح كما فتح فى كان والمعنى على الكسر
وبكسر الالف شامى ونافع وعاصم وحمزة على ارادة القول ان لا تعبدوا الا الله ان مفسرة
متعلقة بارسلنا او بنذير انى اخاف عليكم عذاب يوم اليم وصف اليوم باليم من الاسناد
المجازى لوقوع الالم فيه فقال الملا الذين كفروا من قومه يريد الاشراف لانهم يملؤون القلوب
هيبة والمجالس ابهة او لانهم ملاء بالاحلام والاراء الصائبة ما نريك الا بشرا مثلنا اراد وا
انه كان ينبغى ان يكون ملكا او ملكا وما نريك اتبعك الا الذين هم اراذلنا اخساونا جمع
الارذل بادى بالهمزة ابو عمرو والراى وبغير همزة ابو عمرو اى اتبعوك ظاهر الراى او اول
الراى من بدا يبدو اذا ظهر او بدا يبدا اذا فعل الشى اولا وانتصابه على الظرف اصله وقت
حدوث ظاهر رايهم او اول رايهم فحذف ذلك واقيم المضاف اليه مقامه ارادوا ان اتباعهم

شيء من لهم بديهة من غير روية ونظر ولو تفكروا ما اتبعوك وانما استرذلوا المؤمنين
بفقرهم وتاخرهم في الاسباب الدنيوية لانهم كانوا جهالا ما كانوا يعلمون الا ظاهرا من
الحيوة الدنيا فكان الاشراف عندهم من له جاه ومال كما ترى اكثر المتسمين بالاسلام
يعتقدون ذلك ويبنون عليه اكرامهم واهانتهم ولقد زل عنهم ان التقدم في الدنيا لا يقرب
احدا من الله وانما يبعده ولا يرفعه بل يضعه وما نرى لكم علينا من فضل في مال ورأى
عنوا نوحا واتباعه بل نظنكم كاذبين نوحا في الدعوة والاجابة تسبيبا للرياسة قال يا قوم
ارايتم ان كنت على بينة برهان من ربي وشاهد منه يشهد بصحة دعواى وآتاني رحمة من
عنده يعني النبوة فعميت عليكم خفيت فعميت حمزة وعلي وحفص اي اخفيت اي فعميت عليكم
البينة فلم تهدكم كما لو عمي على القوم دليلهم في المفازة بقوا بغير هاد وحقيقته ان الحجة
كما جعلت بصيرة ومبصرة جعلت عمياء لان الاعمى لا يهتدي ولا يهدي غيره انلزمكموها
اي الرحمة وانتم لها كارهون لا تريدونها والواو دخلت هنا تتمة للميم وعن ابي عمرو اسكان
الميم ووجهه ان الحركة لم تكن الا خلسة خفيفة اوظنها الراوي سكونا وهو لحن لان الحركة
الاعرابية لا يسوغ طرحها الا في ضرورة الشعر ويا قوم لا اسالكم عليه على تبليغ الرسالة لانه
مدلول قوله اني لكم نذير مالا اجرا يثقل عليكم ان اديتم او على ان ابيتم ان اجري مدني وشامي
وابو عمرو وحفص الا على الله وما انا بطارد الذين امنوا جواب لهم حين سالوا طردهم
ليؤمنوا به انفة من المجالسة معهم انهم ملاقوا ربهم فيشكونني اليه ان طردتهم ولكني
اريكم قوما تجهلون تتسافهون على المؤمنين وتدعونهم اراذل او تجهلون لقاء ربكم او
انهم خير منكم ويا قوم من ينصرني من الله من يمنعني من انتقامه ان طردتهم افلا تذكرون
تتعظون ولا اقول لكم عندي خزاين الله فادعي فضلا عليكم في الغنى حتى تجحدوا فضلي
بقولكم وما نرى لكم علينا من فضل ولا اعلم الغيب حتى اطلع على ما في نفوس اتباعي وضماير
قلوبهم وهو معطوف على عندي خزاين الله ولا اقول انا اعلم الغيب ولا اقول اني ملك
حتى تقولوا لي ما انت الا بشر مثلنا ولا اقول للذين تزدري اعينكم ولا احكم على من استرذلتم
من المؤمنين لفقرهم لن يؤتيهم الله خيرا في الدنيا والاخرة لهوانهم عليه مساعدة لكم ونزولا

على هواكم الله اعلم بما في انفسهم من صدق الاعتقاد وانما علي قبول الظاهر اقرارهم اذ لا اطلع
على خفي اسرارهم اني اذا لمن الظالمين ان قلت شيئا من ذلك والازدراء افتعال من زرى عليه
اذا عابه واصله تزترى فابدلت التاء دالا قالوا يا نوح قد جادلتنا خاصمتنا فاكثرت جدالنا
فاتنا بما تعدنا من العذاب ان كنت من الصادقين في وعيدك قال انما ياتيكم به الله ان شاء
اي ليس الاتيان بالعذاب الي وانما هو الى من كفرتم به وما انتم بمعجزين اي لم تقدروا على الهرب
منه ولا ينفعكم نصحي هو اعلام موضع الغي ليتقى والرشد ليقتفى ولكني اي نصحي مدني وابو عمرو
ان اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم اي يضلكم وهذا شرط دخل على شرط فيكون
الثاني مقدما في الحكم لما عرف تقديره ان كان الله يريد ان يغويكم لا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم
وهو دليل بين لنا في ارادة المعاصي هو ربكم فيتصرف فيكم على قضية ارادته واليه ترجعون
فيجازيكم على اعمالكم ام يقولون افتريه بل ايقولون افتريه قل ان افتريته فعلي اجرامي اي ان
صح اني افتريته فعلي عقوبة اجرامي اي افترائي يقال اجرم الرجل اذا اذنب وانا بريء اي ولم
يثبت ذلك وانا بريء منه ومعنى مما تجرمون من اجرامكم في اسناد الافتراء الي فلا وجه لاعراضكم
ومعاداتكم واوحي الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن اقناط من ايمانهم وانه
غير متوقع وفيه دليل على ان للايمان حكم التجدد لانه قال الا الذي آمن يؤمن في حادث
الوقت وعلى ذلك يخرج الزيادة التي ذكرت في الايمان في القران فلا تبتئس بما كانوا يفعلون
فلا تحزن حزن بائس مستكين والابتئاس افتعال من البؤس وهو الحزن والفقر والمعنى
فلا تحزن بما فعلوه من تكذيبك وايذائك فقد حان وقت انتقام اعدائك واصنع الفلك
باعيننا هو في موضع الحال اي اصنعها محفوظا وحقيقته ملتبسا باعيننا كان الله معه
اعيننا تكلؤه ان يزيغ في صنعته عن الصواب ووحينا وانا نوحي اليك ونلهمك كيف تصنع
عن ابن عباس رضي الله عنهما لم يعلم كيف صنعة الفلك فاوحى الله اليه ان يصنعها مثل جؤجؤ
الطاير ولا تخاطبني في الذين ظلموا ولا تدعني في شان قومك واستدفاع العذاب عنهم بشفاعتك
انهم مغرقون محكوم عليهم بالاغراق قد قضي به وجف القلم فلا سبيل الى كفه ويصنع الفلك
حكاية حال ماضية وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه ومن عمله السفينة وكان يعملها في برية

فى ابعد موضع من الماء فكانوا يتضاحكون ويقولون له يا نوح صرت نجارا بعدما كنت نبيا قال
ان تسخروا منا فانا نسخر منكم عند روية الهلاك كما تسخرون عند روية الفلك وروى ان نوحا
عليه السلام اتخذ السفينة من خشب الساج فى سنتين وكان طولها ثلثماية ذراع او الفا ومايتى ذراع
وعرضها خمسون ذراعا او ستماية ذراع وطولها فى السماء ثلثون ذراعا وجعل لها ثلثة بطون
فحمل فى البطن الاسفل الوحوش والسباع والهوام وفى بطن الاوسط الدواب والانعام و
ركب هو ومن معه فى البطن الاعلى مع ما يحتاج اليه من الزاد وحمل معه جسد ادم عليه السلام
وجعله معترضا بين الرجال والنساء فسوف تعلمون من ياتيه من فى محل النصب بتعلمون
اى فسوف تعلمون الذى ياتيه عذاب يخزيه ويعنى به اياهم ويريد به العذاب عذاب
الدنيا وهو الغرق ويحل عليه وينزل عليه عذاب مقيم وهو عذاب الاخرة حتى هى التى
يبتدا بعدها الكلام ادخلت على الجملة من الشرط والجزاء وهى غاية لقوله ويصنع الفلك اى
وكان يصنعها الى ان جاء وقت الموعد وما بينهما من الكلام حال من يصنع اى يصنعها والحال
انه كلما مر عليه ملاء قومه سخروا منه وجواب كلما سخروا وقال استيناف على تقدير سوال
سايل او قال جواب وسخروا بدل من مر او صفة ملا اذا جاء امرنا عذابنا وفار التنور هو
كناية عن اشتداد الامر وصعوبته وقيل معناه جاش الماء من تنور الخبز وكان الحجر من حجر
طواء فصار الى نوح عليه السلام وقيل التنور وجه الارض قلنا احمل فيها فى السفينة من كل
زوجين اثنين تفسيره فى سورة المومنين واهلك الا من سبق عليه القول عطف على اثنين
وكذا ومن امن اى واحمل اهلك والمومنين من غيرهم واستثنى من اهله من سبق عليه القول
انه من اهل النار وما سبق عليه القول بذلك الا للعلم بانه يختار الكفر وتقديره وارادته جل
خالق العباد من ان يقع فى الكون خلاف ما اراد وما امن معه الا قليل قال عليه السلام كانوا
ثمانية نوح واهله وبنوه الثلاثة ونساؤهم وكانوا عشرة خمسة رجال وخمسة نسوة وقيل كانوا
سبعين رجلا وقيل امراة واولاد نوح سام وحام ويافث ونساؤهم فالجميع ثمانية وسبعون نصفهم
رجال ونصفهم نساء وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرسيها بسم الله متصل باركبوا حالا
من الواو اى اركبوا فيها مسمين الله او قايلين بسم الله وقت اجرايها ووقت ارسايها

اما لان المجرى والمرسى للوقت واما لانهما مصدران كالاجراء والارساء حذف منهما الوقت
المضاف كقولهم خفوق النجم ويجوز ان يكون بسم الله مجريها ومرسيها جملة براسها غير متعلقة
بما قبلها وهى مبتداء وخبر يعنى ان نوحا عليه السلام امرهم بالركوب ثم اخبرهم بان مجريها ومرسيها
بذكر اسم الله اى بسم الله اجراءها وارساءها وكان اذا اراد ان تجرى قال بسم الله فجرت
وكان اذا اراد ان ترسو قال بسم الله فرست مجريها بفتح الميم وكسر الراء من جرى اما مصدر او
وقت حمزة وعلى وحفص ان ربى لغفور لمن امن رحيم حيث خلصهم وهى تجرى بهم متصل
بمحذوف دل عليه اركبوا فيها بسم الله كانه قيل فركبوا فيها يقولون بسم الله وهى تجرى
بهم اى تجرى وهم فيها فى موج كالجبال يريد موج الطوفان وهو جمع موجة كتمر وتمرة وهو
ما يرتفع من الماء عند اضطرابه بدخول الرياح الشديدة فى خلاله شبه كل موجة منه بالجبل
فى تراكمها وارتفاعها ونادى نوح ابنه كنعان وقيل يام والجمهور على انه ابنه الصلبى وقيل
كان ابن امراته وكان فى معزل عن ابيه وعن السفينة مفعل من عزله عنه اذا نحاه وابعده
او فى معزل عن دين ابيه يا بنى بفتح الياء عاصم اقتصارا عليه من الالف المبدلة من ياء الاضافة
من قولك يا بنيا غيره بكسر الباء اقتصارا عليه من ياء الاضافة اركب معنا فى السفينة اى
اسلم واركب ولا تكن مع الكافرين قال ساوى الجاء الى جبل يعصمنى من الماء يمنعنى من الغرق
قال لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم الا الراحم وهو الله تعالى او لا عاصم اليوم من الطوفان
الا من رحم الله اى الا مكان من رحم الله من المومنين وذلك انه لما جعل الجبل عاصما من الماء
قال له لا يعصمك اليوم معتصم قط من جبل ونحوه سوى معتصم واحد وهو مكان من رحمهم الله
ونجاهم يعنى السفينة او هو استثناء منقطع كانه قيل ولكن من رحمهم الله فهو المعصوم كقوله
ما لهم به من علم الا اتباع الظن وحال بينهما الموج بين ابنه والجبل او بين نوح وابنه فكان من
المغرقين فصار او فكان فى علم الله وقيل يا ارض ابلعى ماءك انشفى وتشربى والبلع النشف
ويا سماء اقلعى امسكى وغيض الماء نقص من غاضه اذا انقصه وهو لازم ومتعد وقضى الامر
وانجز ما وعد الله نوحا من اهلاك قومه واستوت واستقرت السفينة بعد ان طافت الارض
كلها ستة اشهر على الجودى وهو جبل بالموصل وقيل بعدا للقوم الظالمين اى سحقا للقوم نوح

الذين غرقوا يقال بعد بعدا وبعدا اذا ارادوا البعد البعيد من حيث الهلاك والموت ولذلك
اختص بدعاء السوء والنظر في هذه الاية من اربع جهات من جهة علم البيان وهو النظر فيما فيها
من المجاز والاستعارة والكناية وما يتصل بها فنقول انه تعالى لما اراد ان يبين معنى اردنا ان
نرد ما انفجر من الارض الى بطنها فارتد وان نقطع طوفان السماء فانقطع وان نغيض الماء
النازل من السماء فغيض وان نقضى امر نوح وهو انجاز ما كنا وعدنا من اغراق قومه فقضى
وان نسوى السفينة على الجودى فاستوت وابقينا الظلمة غرقى بنى الكلام على تشبيه المراد بالمأمور
الذى لا يتأتى منه لكمال هيبة العصيان وتشبيه تكوين المراد بالامر الجزم النافذ فى تكوين
المقصود تصويرا لاقتدار العظيم وان السموات والارض منقادة لتكوينه فيهما ما يشاء غير
ممتنعة لارادته فيها تغييرا وتبديلا كانها عقلاء مميزون قد عرفوه حق معرفته واحاطوا
علما بوجوب الانقياد لامره والاذعان لحكمه وتحتم بذل المجهود عليهم فى تحصيل مراده ثم بنى
على تشبيهه هذا نظم الكلام فقال عز وجل وقيل على سبيل المجاز عن الارادة الواقع بسببها
قول القايل وجعل قرينة المجاز الخطاب للجماد وهو يا ارض ويا سماء ثم قال مخاطبا لهما
يا ارض ويا سماء على سبيل الاستعارة للتشبيه المذكور ثم استعار لغور الماء فى الارض البلع
الذى هو اعمال الجاذبة فى المطعوم للشبه بينهما وهو الذهاب الى مقر خفى ثم استعار الماء
للغذاء تشبيها له بالغذاء لتقوى الارض بالماء فى الانبات تقوى الاكل بالطعام ثم قال ماءك
باضافة الماء الى الارض على سبيل المجاز لاتصال الماء بالارض كاتصال الملك بالمالك ثم اختار
لاحتباس المطر الاقلاع الذى هو ترك الفاعل الفعل للشبه بينهما فى عدم الثانى ثم قال وغيض
الماء وقضى الامر واستوت على الجودى وقيل بعدا ولم يصرح بمن غاض الماء ولا بمن قضى الامر
وسوى السفينة وقال بعدا كما لم يصرح بقايل يا ارض ويا سماء سلوكا فى كل واحد من ذلك
لسبيل الكناية ان تلك الامور العظام لا تكون الا بفعل فاعل قادر وتكوين مكون قاهر وان
فاعلها واحد لا يشارك فى فعله فلا يذهب الوهم الى ان يقول غيره يا ارض ابلعى ويا سماء
اقلعى ولا ان يكون الغايض والقاضى والمسوى غيره ثم ختم الكلام بالتعريض تنبيها لسالكى
مسالكهم فى تكذيب الرسل ظلما لانفسهم اظهارا لمكان السخط وان ذلك العذاب الشديد ما كان

الا الظلمهم ومن جهة علم المعانى وهو النظر فى فايدة كل كلمة فيها وجهة كل تقديم وتاخير
فيما بين جملها وذلك انه اختير يا دون اخواتها لكونها اكثر استعمالا ولدلالتها على بعد
المنادى الذى يستدعيه مقام اظهار العظمة والملكوت وابداء العزة والجبروت وهو تبعيد
المنادى المؤذن بالتهاون به ولم يقل يا ارضى لزيادة التهاون اذ الاضافة تستدعى القرب
ولم يقل يا ايتها الارض للاختصار واختير لفظ الارض والسماء لكونهما اخف وادور
اختير ابلعى على ابتلعى لكونه اخصر وللتجانس بينه وبين اقلعى وقيل اقلعى ولم يقل عن المطر
كذا ولم يقل يا ارض ابلعى ماءك فبلعت ويا سماء اقلعى فاقلعت اختصارا واختير غيض
على غيض وقيل الماء دون ان يقال ماء الطوفان والامر ولم يقل امر قوم نوح وقوله لقصد
الاختصار والاستغناء بحرف العهد عن ذلك ولم يقل وسويت على الجودى اى اقرت على نحو
قيل وغيض اعتبارا لبناء الفعل للفاعل مع السفينة فى قوله وهى تجرى بهم ارادة للمطابقة ثم قيل
بعدا للقوم ولم يقل ليبعد القوم طلبا للتاكيد مع الاختصار هذا من حيث النظر الى تركيب الكلم و
اما من حيث النظر الى ترتيب الجمل فذلك انه قدم النداء على الامر فقيل يا ارض ابلعى ويا سماء اقلعى
ولم يقل ابلعى يا ارض واقلعى يا سماء جريا على مقتضى الكلام فيمن كان مأمورا حقيقة من تقديم
التنبيه ليتمكن الامر الوارد عقيبه فى نفس المنادى قصدا بذلك لمعنى الترشيح ثم قدم امر الارض
على امر السماء وابتدى به لابتداء الطوفان منها ثم اتبع وغيض الماء لاتصاله بقصة الماء واخذه
بحجزتها ثم ذكر ما هو المقصود من القصة وهو قوله وقضى الامر اى انجز الموعود من اهلاك الكفرة
وانجاء نوح ومن معه فى الفلك وعلى هذا فاعتبر ومن جهة الفصاحة المعنوية وهى كما ترى
نظم للمعانى لطيف وتادية لها ملخصة مبينة لا تعقيد يعثر الفكر فى طلب المراد ولا التواء يشيك
الطريق الى المرتاد ومن جهة الفصاحة اللفظية فالفاظها على ما ترى عربية مستعملة سليمة عن التنافر
بعيدة عن البشاعة عذبة على العذبات سلسة على الاسلات كل منها كالماء فى السلاسة وكالعسل
فى الحلاوة وكالنسيم فى الرقة ومن ثم اطبق المعاندون على ان طوق البشر قاصر عن الاتيان بمثل
هذه الاية ولله در شان التنزيل لا يتامل العالم اية من اياته الا ادرك لطائف لا تسع الحصر
ولا تظنن الاية مقصورة على المذكور فلعل المتروك اكثر من المسطور ونادى نوح ربه فقال رب

نداءه ربه دعاءه له وهو قوله رب مع ما بعده من اقتضاء وعده في تنجية اهله ان ابني من اهلي
اي بعض اهلي لانه كان ابنه من صلبه او كان ربيبا له فهو بعض اهله وان وعدك الحق وان كل وعد
تعده فهو الحق الثابت الذي لا شك في انجازه والوفاء به وقد وعدتني ان تنجي اهلي فما بال ولدي
وانت احكم الحاكمين اي اعلم الحكام واعدلهم اذ لا فضل لحاكم على غيره الا بالعلم والعدل ورب
غريق في الجهل والجور من متقلدي الحكومة في زمانك قد لقب اقضى القضاة ومعناه احكم
الحاكمين فاعتبر واستعبر قال يا نوح انه ليس من اهلك ثم علل للانتفاء كونه من اهله بقوله
انه عمل غير صالح وفيه ايذان بان قرابة الدين غامرة لقرابة النسب وان نسيبك في دينك وان كان
حبشيا وكنت قرشيا لصيقك ومن لم يكن على دينك وان كان امس اقاربك رحما فهو ابعد
بعيد منك وجعلت ذاته عملا غير صالح مبالغة في ذمه كقوله فانما هي اقبال وادبار او التقدير
انه ذو عمل وفيه اشعار بانه انما انجى من انجى من اهله لصلاحهم لا لانهم اهله وهذا لما انتفى عنه
الصلاح لم ينفعه ابوته عمل غير صالح علي اي عملا غير صالح قال الشيخ ابو منصور رح كان عند نوح
عليه السلام ان ابنه كان على دينه لانه كان ينافق والا لا يحتمل ان يقول ان ابني من اهلي ويسأله نجاته
وقد سبق منه النهي عن سوال مثله بقوله ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون وكان يسأل
على الظاهر الذي عنده كما كان اهل النفاق يظهرون الموافقة لرسولنا عليه السلام ويضمرون
الخلاف له ولم يعلم بذلك حتى اطلعه الله عليه وقوله ليس من اهلك اي من الذين وعدت
النجاة لهم وهم المؤمنون حقيقة في السر والظاهر فلا تسألن اجتزاء بالكسرة من الياء كوفي
فلا تسألني بصري تسألنّ مدني تسألنّ شامي بحذف الياء واجتزاء بالكسرة والنون للتأكيد
تسألنّي مكي ما ليس لك به علم بجواز مسألته اني اعظك ان تكون من الجاهلين هو كما هي لرسولنا
صلى الله عليه وسلم بقوله فلا تكونن من الجاهلين قال رب اني اعوذ بك ان اسألك ما ليس لي
به علم اي ان اطلب منك في المستقبل ما لا علم لي بصحته تأدبا بادبك واتعاظا بموعظتك والا
تغفر لي ما فرط مني وترحمني بالعصمة عن العود الى مثله اكن من الخاسرين قيل يا نوح اهبط بسلام
منا بتحية منا او سلامة من الغرق وبركات عليك هي الخيرات النامية وهي في حقه بكثرة
ذريته واتباعه فقد جعل اكثر الانبياء من ذريته وايمة الدين في القرون الباقية من نسله وعلى

امم ممن معك من للبيان فتراد الامم الذين كانوا معه في السفينة لانهم كانوا جماعات او قيل لهم
امم لان الامم تتشعب منهم او لابتداء الغاية اي على امم ناشئة ممن معك وهي الامم الى اخر الدهر
وهو الوجه وامم رفع بالابتداء سنمتعهم في الدنيا بالسعة في الرزق والخفض في العيش صفة والخبر
محذوف تقديره وممن معك امم سنمتعهم وانما حذف لان ممن معك يدل عليه ثم يمسهم منا عذاب
اليم اي في الاخرة والمعنى ان السلام منا والبركات عليك وعلى امم مؤمنين ينشؤن ممن معك
وممن معك امم ممتعون بالدنيا منقلبون الى النار والخلق بعد الطوفان منه وممن كان معه
في السفينة وعن محمد بن كعب دخل في ذلك السلام كل مؤمن ومؤمنة الى يوم القيمة وفيما بعده
من المتاع والعذاب كل كافر تلك اشارة الى قصة نوح ومحلها الرفع على الابتداء والجمل بعدها
وهي من انباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك اخبار اي تلك القصة بعض
انباء الغيب موحاة اليك مجهولة عندك وعند قومك من قبل هذا الوقت او من قبل ايحائي
اليك واخبارك بها فاصبر على تبليغ الرسالة واذى قومك كما صبر نوح وتوقع في العاقبة
لك ولمن كذبك نحو ما كان لنوح وقومه ان العاقبة في الفوز والنصر والغلبة للمتقين عن الشرك
والى ثمود اخاهم صالحا وعادا اخاهم هودا واحدا منهم وانتصابه للعطف على ارسلنا نوحا اي و
ارسلنا الى عاد اخاهم هودا عطف بيان قال يا قوم اعبدوا الله وحده ما لكم من اله غيره
بالرفع صفة على محل الجار والمجرور وبالجر على على اللفظ ان انتم الا مفترون تفترون على الله الكذب
باتخاذكم الاوثان له شركاء يا قوم لا اسألكم عليه اجرا ان اجري الا على الذي فطرني ما من رسول
الا واجه قومه بهذا القول لان شأنهم النصيحة ولا يمحضها الا حسم المطامع وما دام يتوهم
شيء منها لم تنجع ولم تنفع افلا تعقلون اذ تردون نصيحة من لا يطالب على اجر الا من الله وهو
ثواب الاخرة ولا شيء انفى للتهمة من ذلك ويا قوم استغفروا ربكم امنوا به ثم توبوا اليه من
عبادة غيره يرسل السماء اي المطر عليكم مدرارا اي الكثيرة الدرور ويزدكم قوة الى قوتكم انما
قصد استمالتهم الى الايمان بكثرة المطر وزيادة المطر لانهم كانوا اصحاب زروع وبساتين فكانوا
احوج شيء الى الماء وكانوا مدلين بما اوتوا من شدة البطش والقوة قيل الى الملك وكانوا مدلين اراد
القوة في المال او على النكاح وقيل حبس عنهم القطر ثلث سنين وعقمت ارحام نسائهم فوعدهم هود

المطامع

عليه السلام المطر والاولاد على الايمان والاستغفار وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما انه وفد على
معاوية فلما خرج قال بعض حجابه انى رجل ذو مال ولا يولد لى علمنى شيئا لعل الله يرزقنى ولدا فقال عليك
بالاستغفار وكان يكثر الاستغفار حتى ربما استغفر في يوم واحد سبعماية مرة فولد له عشر بنين
فبلغ ذلك معاوية فقال هلا سالته مم قال ذلك فوفد وفدة اخرى فسأله الرجل فقال الم تسمع
قول هود ويزدكم قوة الى قوتكم وقول نوح ويمددكم باموال وبنين ولا تتولوا مجرمين ولا تعرضوا
عنى وعما ادعوكم اليه مجرمين مصرين على اجرامكم واثامكم قالوا يا هود ما جئتنا ببينة كذب منهم
وجحود كما قالت قريش لرسول الله عليه السلام لولا انزل عليه اية من ربه مع فوت ايات الحصر وما نحن
بتاركى الهتنا عن قولك هو حال من الضمير في تاركى الهتنا كانه قيل وما نترك الهتنا صادرين عن
قولك وما نحن لك بمؤمنين وما يصح من امثالنا ان يصدقوا مثلك فيما تدعوهم اليه اقناطا له
من الاجابة ان نقول الا اعتريك بعض الهتنا بسوء ان حرف نفى فنفى جميع القول الا قولا واحدا هو
قولهم اقول اعتراك اصابك بعض الهتنا بسوء بجنون وخبل وتقديره ما نقول قولا الا هذه المقالة
اى الا قولنا اعتراك بعض الهتنا بسوء قال انى اشهد الله واشهدوا انى برئ مما تشركون من دونه
اى من اشراككم الهة من دونه والمعنى انى اشهد الله انى برئ مما تشركون واشهدوا انتم ايضا انى
برئ من ذلك وجئ به على لفظ الامر بالشهادة كما يقول الرجل لمن يبس الشرى بينه وبينه اشهد
على انى لا احبك تهكما واستهانة بحاله فكيدونى جميعا انتم والهتكم ثم لا تنظرون لا تمهلون
فانى لا ابالى بكم وبكيدكم ولا اخاف معرتكم وان تعاونتم على فكيف تضرنى الهتكم وما هى الا جمادا
لا يضر ولا ينفع وكيف تنتقم منى اذا انلت منها وصددت عن عبادتها بان تخبلنى وتذهب بعقلى
انى توكلت على الله ربى وربكم ما من دابة الا هو اخذ بناصيتها اى مالكها ولما ذكر توكله على الله و
ثقته بحفظه وكلاءته من كيدهم وصفه بما يوجب التوكل عليه من اشتمال ربوبيته عليه وعليهم ومن
كون كل دابة في قبضته وملكته وتحت قهره وسلطانه والاخذ بالناصية تمثيل لذلك ان ربى على
صراط مستقيم ان ربى على الحق لا يعدل عنه او ان ربى يدل على صراط مستقيم فان تولوا فان تتولوا
فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم هو في موضع فقد بينت الحجة عليكم ويستخلف ربى قوما غيركم كلام
مستانف اى ويهلككم الله ويجئ بقوم آخرين يخلفونكم في دياركم واموالكم ولا تضرونه بتوليكم شيا

من ضرر قط اذ لا يجوز عليه المضار وانما تضرون انفسكم ان ربى على كل شئ حفيظ رقيب عليه مهيمن فما
يخفى عليه اعمالكم ولا يغفل عن مواخذتكم او من كان رقيبا على الاشياء كلها حافظا لها وكانت الاشياء
مفتقرة الى حفظه من المضار لم يضر مثله مثلكم ولما جاء امرنا نجينا هودا والذين امنوا معه وكانوا
اربعة آلاف برحمة منا اى بفضل منا لا بعملهم وبالايمان الذى انعمنا عليهم ونجيناهم من عذاب غليظ
وتكرار نجينا للتاكيد او الثانية من عذاب الاخرة ولا عذاب اغلظ منه وتلك عاد اشارة الى قبورهم
واثارهم كانه تعالى قال سيحوا في الارض فانظروا اليها واعتبروا ثم استانف وصف احوالهم فقال
جحدوا بايات ربهم وعصوا رسله لانهم اذا عصوا رسولهم فقد عصوا جميع رسل الله لا نفرق
بين احد من رسله واتبعوا امر كل جبار عنيد يريد رؤساءهم ودعاتهم الى تكذيب الرسل لانهم
الذين يجبرون الناس على الامور ويعاندون ربهم ومعنى اتباع امرهم طاعتهم واتبعوا في هذه الدنيا
لعنة ويوم القيمة لما كانوا تابعين لهم دون الرسل جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين الا ان عادا
كفروا ربهم الا بعدا لعاد وتكرار الا مع النداء على كفرهم والدعاء عليهم تهويل لامرهم وبعث على
الاعتبار بهم والحذر عن مثل حالهم والدعاء ببعدا بعد هلاكهم وهو دعاء بالهلاك للدلالة على
انهم كانوا مستاهلين له قوم هود عطف بيان لعاد وفيه فايدة لان عادا عادان الاولى القديمة التى
هى قوم هود والقصة فيهم والاخرى ارم والى ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله
غيره هو انشاكم من الارض لم ينشئكم منها الا هو وانشاؤهم منها خلق ادم من التراب ثم خلقهم من
ادم واستعمركم فيها وجعلكم عمارها واراد منكم عمارتها او استعمركم من العمر اى اطال اعماركم فيها وكانت
اعمارهم من الثلثماية الى الالف وكان ملوك فارس قد اكثروا من حفر الانهار وغرس الاشجار وعمروا
الاعمار الطوال مع ما فيهم من الظلم فسأل نبى من انبياء زمانهم ربه عن سبب تعميرهم فاوحى الله
اليه انهم عمروا بلادى فعاش فيها عبادى فاستغفروه فاسالوا مغفرته بالايمان ثم توبوا اليه ان
ربى قريب وانى الرحمة مجيب لمن دعاه قالوا يا صالح قد كنت فينا فيما بيننا مرجوا للسيادة والمشاورة
بالامور او كنا نرجوا ان تدخل في ديننا وتوافقنا على ما نحن عليه قبل هذا اتنهينا ان نعبد ما يعبد
اباؤنا حكاية حال ماضية واننا لفى شك مما تدعونا اليه من التوحيد مريب موقع في الريبة من ارابه
اذا اوقعه في الريبة وهى قلق النفس وانتفاء الطمانينة قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربى و

اتانی منه رحمة نبوة اتی بحرف الشك مع انه علی یقین انه علی بینة وان خطابه للجاحدین فكانه قال
قدروا انی علی بینة من ربی وانی نبی علی الحقیقة وانظروا ان تابعتكم وعصیت ربی فی اوامره فمن
ینصرنی من الله من یمنعنی من عذاب الله ان عصیته فی تبلیغ رسالته ومنعكم من عبادة الاوثان
فما تزیدوننی بقولكم اتنهینا ان نعبد ما یعبد اباؤنا غیر تخسیر نسبتكم ایای الی الخسار او نسبتی ایاكم
الی الخسران ویاقوم هذه ناقة الله لكم ایة نصب علی الحال قد عمل فیها ما دل علیه اسم الاشارة من معنی
الفعل ولكم یتعلق بایة حالا منها متقدمة لانها لو تاخرت لكانت صفة لها فلما تقدمت انتصبت
علی الحال فذروها تاكل فی ارض الله ای لیس علیكم رزقها مع ان لكم نفعها ولا تمسوها بسوء عقر او
نحر فیاخذكم عذاب قریب عاجل فعقروها یوم الاربعاء فقال صالح تمتعوا استمتعوا بالعیش فی داركم
فی بلدتكم وتسمی البلاد الدیار لانه یدار فیها ای یتصرف او فی دار الدنیا ثلثة ایام ثم تهلكون فهلكوا
یوم السبت ذلك وعد غیر مكذوب ای غیر مكذوب فیه فاتسع فی الظرف بحذف الحرف واجرائه
مجری المفعول به او وعد غیر كذب علی ان المكذوب مصدر كالمنعول فلما جاء امرنا بالعذاب او
عذابنا نجینا صالحا والذین امنوا معه برحمة منا قال الشیخ رح هذا یدل علی ان من نجا انما نجا برحمة
الله لا بعمله كما قال علیه الصلوة والسلام لا یدخل احد الجنة الا برحمة الله ومن خزی یومئذ باضافة
الخزی الی الیوم وانجراله الیوم بالاضافة وبفتحها مدنی وعلی لانه مضاف الی اذ وهو مبنی وظرف
الزمان اذا اضیفت الی الاسماء المبنیة والافعال الماضیة بنیت واكتسبت البناء من المضاف الیه كقوله
علی حین عاتبت المشیب علی الصبی والواو للعطف وتقدیره ونجینا هم من خزی یومئذ ای من ذله
وفضیحته ولا خزی اعظم من خزی من كان هلاكه بغضب الله وانتقامه وجاز ان یرید بیومئذ
یوم القیمة كما فسر العذاب الغلیظ بعذاب الاخرة ان ربك هو القوی ای القادر علی تنجیة اولیائه
العزیز الغالب باهلاك اعدائه واخذ الذین ظلموا الصیحة ای صیحة جبرئیل علیه السلام فاصبحوا فی دیارهم
منازلهم جاثمین میتین كان لم یغنوا فیها لم یقیموا فیها الا ان ثمود كفروا ربهم ثمود حمزة و
حفص الا بعدا لثمود علی فالصرف للذهاب الی الحی والاب الاكبر ومنعه للتعریف والتانیث بمعنی
القبیلة ولقد جاءت رسلنا جبرئیل ومیكائیل واسرافیل او جبرئیل مع احد عشر ملكا ابراهیم بالبشری
هی البشارة بالولد او بهلاك قوم لوط والاول اظهر قالوا سلاما سلمنا علیك سلاما قال سلام امركم سلام

سلم

سلم حسنة وعلی معنی السلام فما لبث ان جاء بعجل فما لبث فی المجیء به بل عجل فیه او فما لبث مجیئه والعجل
ولد البقرة وكان مال ابراهیم البقر حنیذ مشوی بالحجارة المحماة فلما رای ایدیهم لا تصل الیه نكرهم
نكروا انكر بمعنی وكانت عادتهم انه اذا مس من یطرقهم طعامهم امنوه والا خافوه والظاهر انه احس
بانهم ملائكة وانكرهم لانه تخوف ان یكون نزولهم لامر انكره الله علیه او لتعذیب قومه دلیله و
اوجس منهم خیفة ای اضمر منهم خوفا قالوا لا تخف انا ارسلنا الی قوم لوط بالعذاب وانما یقال هذا
لمن عرفهم ولم یعرف فیم ارسلوا وانما قالوا لا تخف لانهم راوا اثر الخوف والتغیر فی وجهه وامراته
قائمة وراء الستر تسمع تحاورهم او علی رؤسهم تخدمهم فضحكت سرورا بزوال الخیفة او بهلاك
الخبائث او من غفلة قوم لوط مع قرب العذاب او فحاضت فبشرناها باسحق وخصت بالبشارة
لان النساء اعظم سرورا بالولد من الرجال ولانه لم یكن لها ولد وكان لابراهیم ولد وهو اسمعیل
ومن وراء اسحاق ومن بعده یعقوب بالنصب شامی وحمزة وحفص بفعل مضمر دل علیه بشرناها
ای بشرناها باسحاق ووهبنا له یعقوب من وراء اسحق وبالرفع غیرهم علی الابتداء والظرف
قبله خبر كما تقول فی الدار زید قالت یا ویلتی الالف مبدلة من یاء الاضافة وقراء الحسن
یا ویلتی بالیاء علی الاصل االد وانا عجوز ابنة تسعین سنة وهذا بعلی شیخا ابن مائة وعشرین سنة
هذا مبتداء وبعلی خبره شیخا حال والعامل معنی الاشارة التی دلت علیه ذا او معنی التنبیه
الذی دل علیه ها ان هذا لشیء عجیب ان یولد من هرمین وهو استبعاد من حیث العادة قالوا
اتعجبین من امر الله قدرته وحكمته وانما انكرت الملائكة تعجبها لانها كانت فی بیت الایات ومهبط
المعجزات والامور الخارقة للعادات فكان علیها ان تتوقر ولا یزدهیها ما تزدهی سائر النساء
الناشئات فی غیر بیت النبوة وان تسبح الله وتمجده مكان التعجب والی ذلك اشارت الملائكة حیث
قالوا رحمت الله وبركاته علیكم اهل البیت ارادوا ان هذا وامثالها مما یكرمكم به رب العزة ویخصكم
بالانعام به یا اهل بیت النبوة فلیست بمكان عجب وهو كلام مستانف علل به انكار التعجب كانه قیل
ایاك والتعجب فان امثال هذه الرحمة والبركة متكاثرة من الله علیكم وقیل الرحمة النبوة والبركات
الاسباط من بنی اسرائیل لان الانبیاء منهم وكلهم من ولد ابراهیم واهل البیت نصب علی النداء او علی
الاختصاص انه حمید محمود بتعجیل النعم مجید ظاهر الكرم بتاجیل النقم فلما ذهب عن ابراهیم الروع الفزع

وهو ما اوجس من الخيفة حين نكر اضيافه وجاءته البشرى بالولد يجادلنا في قوم لوط اي لما
اطمان قلبه بعد الخوف وملئ سرورا بسبب البشرى فزع للمجادلة وجواب لما محذوف تقديره
اقبل يجادلنا او يجادلنا جواب لما وانما جيئ به مضارعا لحكاية الحال والمعنى يجادل رسلنا و
مجادلته اياهم انهم قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية فقال ارايتم لو كان فيها خمسون مؤمنا اتهلكونها
قالوا لا قال فاربعون قالوا لا قال فثلثون قالوا لا حتى بلغ العشرة قالوا لا قال ارايتم ان كان فيها
رجل واحد مسلم اتهلكونها قالوا لا فعند ذلك قال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه
واهله ان ابراهيم لحليم غير عجول على كل من اساء اليه او كثير الاحتمال ممن اذاه الصفوح عمن عصاه
اواه كثير التاوه من خوف الله منيب تائب راجع الى الله وهذه الصفات دالة على رقة القلب و
الرافة والرحمة فتبين ان ذلك مما حمله على الجدال لرجاء ان يرفع عنهم العذاب ويمهل لعلهم
يحدثون التوبة كما حمله على الاستغفار لابيه فقالت الملائكة يا ابراهيم اعرض عن هذا الجدال وان كانت
الرحمة دينك انه قد جاء امر ربك قضاؤه وحكمه وانهم آتيهم عذاب غير مردود لا يرد بجدال
او غير ذلك عذاب مرتفع باسم الفاعل وهو آتيهم تقديره وانهم يأتيهم عذاب ثم خرجوا من عند ابراهيم
متوجهين نحو قوم لوط وكان بين قرية ابراهيم وقوم لوط اربعة فراسخ ولما جاءت رسلنا لوطا
لما اتوه وراى هياتهم وجمالهم سيء بهم اغتم بمجيئهم لانه حسب انهم انس فخاف عليهم خبث قومه وان يعجز
عن مقاومتهم ومدافعتهم وضاق بهم ذرعا تمييز اي ضاق بمكانهم صدره وقال هذا يوم عصيب شديد
وروي ان الله تعالى قال لهم لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط اربع شهادات فلما مشى معهم منطلقا
بهم الى منزله قال لهم اما بلغكم امر هذه القرية قالوا وما امرهم قال اشهد بالله انها لشر قرية في الارض
عملا قال ذلك اربع مرات فدخلوا معه منزله ولم يعلم احد بذلك فخرجت امراته فاخبرت بهم قومها
وجاءه قومه يهرعون اليه يسرعون كانما يدفعون دفعا ومن قبل كانوا يعملون السيئات ومن قبل ذلك
الوقت كانوا يعملون الفواحش حتى مرنوا عليها وقل عندهم استقباحها فلذلك جاؤا يهرعون
مجاهرين لا يكفهم حياء قال يا قوم هؤلاء بناتي فتزوجوهن اراد ان يقي اضيافه ببناته وذلك غاية
الكرم وكان تزويج المسلمات من الكفار جائزا في ذلك الوقت كما جاز في الابتداء في هذه الامة فقد زوج
رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنتيه من عتبة بن ابي لهب وابي العاص وهما كافران وقيل كان لهم سيدان مطاعان

الصفوح

فارا

فاراد لوط ان يزوجهما ابنتيه هن اطهر لكم احل هؤلاء مبتداء وبناتي عطف بيان وهن فصل
واطهر خبر المبتداء او بناتي خبر وهن اطهر مبتداء وخبر فاتقوا الله بايثارهن عليهم ولا تخزون
ولا تهينوني ولا تفضحوني من الخزي او ولا تخجلوني من الخزاية وهي الحياء وبالياء ابو عمرو في الوصل
في ضيفي في حق ضيوفي فانه اذا اخزي ضيف الرجل او جاره فقد اخزي الرجل وذلك من عراقة
الكرم واصالة المروة اليس منكم رجل رشيد اي رجل واحد يهتدي الى سبيل اهل الحق وفعل الجميل
والكف عن السوء قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق حاجة لان نكاح الاناث امر خارج
من مذهبنا اتيان الذكران وانك لتعلم ما نريد عنوا اتيان الذكور وما لهم فيه من الشهوة قال
لو ان لي بكم قوة او آوي الى ركن شديد جواب لو محذوف اي لفعلت بكم وصنعت والمعنى لو
قويت عليكم بنفسي او اويت الى قوي استند اليه واتمنع به فيحميني منكم فشبه القوي العزيز بالركن
من الجبل في شدته ومنعته روي انه اغلق بابه حين جاؤا وجعل يرادهم على ما حكى الله عنه و
يجادلهم فتسوروا الجدار فلما رات الملائكة ما لقي لوط من الكرب قالوا يا لوط انا رسل ربك
ان ركنك لشديد فافتح الباب ودعنا واياهم ففتح الباب فدخلوا فاستاذن جبريل ربه
في عقوبتهم فاذن له فضرب بجناحه وجوههم فطمس اعينهم فاعماهم كما قال الله تعالى فطمسنا
اعينهم فصاروا لا يعرفون الطريق فخرجوا وهم يقولون ان في بيت لوط قوما سحرة لن يصلوا
اليك جملة موضحة للتي قبلها لانهم اذا كانوا رسل الله لم يصلوا اليه ولم يقدروا على ضرره
فاسر بالوصل حجازي من سرى باهلك بقطع من الليل طائفة منه او نصفه ولا يلتفت منكم
احد بقلبه الى ما خلفه او لا ينظر الى ما وراءه او لا يتخلف منكم احد الا امراتك مستثنى من فاسر باهلك
وبالرفع مكي وابو عمرو على البدل من احد وفي اخراجها مع اهله روايتان روي انه اخرجها معهم
وامران لا يلتفت منهم احد الا هي فلما سمعت هدة العذاب التفتت وقالت يا قوماه فادركها
حجر فقتلها وروي انه امر بان يخلفها مع قومها فان هواها اليهم فلم يسر بها واختلاف القرائتين
لاختلاف الروايتين انه مصيبها ما اصابهم اي ان الامر وروي انه قال لهم متى موعد هلاكهم قالوا
ان موعدهم الصبح فقال اريد اسرع من ذلك فقالوا اليس الصبح بقريب فلما جاء امرنا جعلنا عاليها
سافلها جعل جبريل عليه السلام جناحه في اسفلها اي في اسفل قراها ثم رفعها الى السماء حتى سمع

اهل السماء نباح الكلب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم واتبعوا الحجارة من فوقهم وذلك قوله وامطرنا
عليهم حجارة من سجيل هي كلمة معربة من سنك كل بدليل قوله حجارة من طين منضود نعت لسجيل اي
متتابع او مجموع معد للعذاب مسومة نعت للحجارة اي معلمة للعذاب قيل مكتوب على كل واحد
اسم من يرمى به عند ربك في خزائنه او في حكمه وما هي من الظالمين ببعيد بشيء بعيد وفيه وعيد
لاهل مكة فان جبرئيل عليه السلام قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعني ظالمي امتك ما من ظالم منهم
الا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة او الضمير للقرى اي هي قريبة من ظالمي مكة يمرون
بها في مسايرهم والى مدين اخاهم شعيبا هو اسم مدينتهم او اسم جدهم مدين بن ابراهيم اي و
ارسلنا شعيبا الى ساكني مدين او الى بني مدين قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ولا تنقصوا
المكيال المكيل بالمكيال والميزان والموزون بالميزان اني اريكم بخير بثروة وسعة تغنيكم عن التطفيف
او اريكم بنعمة من الله حقها ان يقابل بغير ما تفعلون واني اخاف عليكم عذاب يوم محيط مهلك من
قوله واحيط بثمره واصله من احاطة العدو والمراد عذاب الاستيصال في الدنيا او عذاب الاخرة
ويا قوم اوفوا المكيال والميزان اتموها بالقسط بالعدل نهوا اولا عن عين القبيح الذي كانوا عليه من نقص
المكيال والميزان ثم ورد الامر بالايفاء الذي هو حسن في العقول لزيادة الترغيب فيه وجيء به
مقيدا بالقسط اي ليكن الايفاء على وجه العدل والسوية من غير زيادة ولا نقصان ولا تبخسوا
الناس اشياءهم البخس النقص كانوا ينقصون من اثمان ما يشترون من الاشياء فنهوا عن ذلك
ولا تعثوا في الارض مفسدين العثي والعيث اشد الفساد نحو السرقة والمغارة وقطع السبيل
ويجوز ان يجعل البخس والتطفيف عيثا منهم في الارض بقية الله ما يبقى لكم من الحلال بعد التنزه
عما هو حرام عليكم خير لكم ان كنتم مؤمنين بشرط ان تؤمنوا نعم بقية الله خير للكفرة ايضا لانهم
يسلمون معها من تبعة البخس والتطفيف الا ان فايدتها تظهر مع الايمان من حصول الثواب
مع النجاة من العقاب ولا تظهر مع عدمه لانغماس صاحبها في غمرات الكفر وفي ذلك تعذيب
للكفار وتعظيم للايمان وتنبيه على جلالة شانه او المراد ان كنتم مصدقين لي فيما اقول لكم وانصح
به اياكم وما انا عليكم بحفيظ لنعمه عليكم فاحفظوها بترك البخس قالوا يا شعيب اصلاتك بالتوحيد
كوفي غير ابي بكر تامرك ان نترك ما يعبد اباؤنا او ان نفعل في اموالنا ما نشاء كان شعيب عليه السلام

كثير الصلوات وكان قومه يقولون له على وجه الاستهزاء ما تستفيد بهذا فكان يقول انها تامر بالمحاسن
وتنهى عن القبايح فقالوا له على وجه الاستهزاء اصلوتك تامرك ان تامرنا بترك عبادة ما كان يعبد
اباؤنا او ان نترك التبسط في اموالنا بما نشاء من ايفاء ونقص وجاز ان تكون الصلوة امرة مجازا كما
سماها الله ناهية مجازا انك لانت الحليم الرشيد اي السفيه الضال وهذه تسمية بالقلب استهزاء او
انك حليم رشيد عندنا ولست تفعل بنا ما تقتضيه حالك قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي
ورزقني منه من لدنه رزقا حسنا يعني النبوة والرسالة او مالا حلالا من غير بخس وتطفيف و
جواب ارايتم محذوف اي اخبروني ان كنت على حجة واضحة من ربي وكنت نبيا على الحقيقة ايصح
لي ان لا امركم بترك عبادة الاوثان والكف عن المعاصي والانبياء عليهم السلام لا يبعثون الا لذلك
يقال خالفني فلان الى كذا اذا قصده وانت مول عنه وخالفني عنه اذا ولى عنه وانت قاصده ويلقاك
الرجل صادرا عن الماء فتساله عن صاحبه فيقول خالفني الى الماء يريد انه قد ذهب اليه واردا و
انا ذاهب عنه صادرا ومنه قوله وما اريد ان اخالفكم الى ما انهيكم عنه يعني ان اسبقكم الى شهواتكم
التي نهيتكم عنها لاستبد بها دونكم ان اريد الا الاصلاح ما اريد الا ان اصلحكم بموعظتي ونصيحتي
وامري بالمعروف ونهيي عن المنكر ما استطعت ظرف اي مدة استطاعتي للاصلاح وما دمت متمكنا
منه لا آلو فيه جهدا وما توفيقي الا بالله وما كوني موفقا للاصابة للحق فيما آتي واذر الا بمعونته وتاييده
عليه توكلت اعتمدت واليه انيب ارجع في السراء والضراء جرم مثل كسب في تعديه الى مفعول
واحد والى مفعولين ومنه قوله ولا يجرمنكم شقاقي ان يصيبكم اي لا يكسبنكم خلافي اصابة العذاب
مثل ما اصاب قوم نوح او قوم هود او قوم صالح وهو الغرق والريح والرجفة وما قوم لوط منكم
ببعيد في الزمان فهم اقرب الهالكين منكم او في المكان فمنازلهم قريبة منكم او فيما يستحق به
الهلاك وهو الكفر والمساوي وسوى قريب وبعيد وقليل وكثير بين المذكر والمؤنث لورودها
على زنة المصادر التي هي الصهيل والنهيق ونحوهما واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه ان ربي رحيم يغفر
لاهل الجفاء من المؤمنين ودود يحب اهل الوفاء من الصالحين قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما
تقول اي لا نفهم صحة ما تقول والا كيف لا يفهم كلامه وهو خطيب الانبياء وانا لنريك فينا ضعيفا
لا قوة لك ولا عز فيما بيننا فلا تقدر على الامتناع منا ان اردنا بك مكروها ولولا رهطك لرجمناك

ولولا عشيرتك لقتلناك بالرجم وهو شر قتلة وكان رهطه من اهل ملتهم فلذلك اظهروا
الميل اليهم والاكرام لهم وما انت علينا بعزيز اى لا تعز علينا وتكرم حتى نكرمك من القتل
ونرفعك من الرجم وانما يعز علينا رهطك لانهم من اهل ديننا وقد دل ايلاء ضميره حرف
النفى على ان الكلام واقع فى الفاعل لا فى الفعل كانه قيل وما انت علينا بعزيز بل رهطك هم
الاعزة علينا ولذلك قال فى جوابهم يا قوم ارهطى اعز عليكم من الله والكلام واقع فيه و
فى رهطه وانهم الاعزة عليهم دونه لان تهاونهم به وهو نبى تهاون بالله وحين عز عليهم
رهطه دونه كان رهطه اعز عليهم من الله الا ترى الى قوله من يطع الرسول فقد اطاع الله واتخذتموه
وراءكم ظهريا ونسيتموه وجعلتموه كالشئ المنبوذ وراء الظهر لا يعبأ به والظهرى منسوب
الى الظهر والكسر من تغييرات النسب كقولهم فى النسبة الى الامس امسى ان ربى بما تعملون محيط
قد احاط باعمالكم علما فلا يخفى عليه شئ منها ويا قوم اعملوا على مكانتكم هى بمعنى المكان
يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة او مصدر من مكن مكانة فهو مكين اذا تمكن من الشئ
يعنى اعملوا قارين على جهتكم التى انتم عليها من الشرك والشنان لى او اعملوا متمكنين
من عداوتى مطيقين لها انى عامل على حسب ما يؤتينى الله من النصرة والتابيد ويمكننى
سوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب من استفهامية معلقة لفعل العلم
عن عمله فيها كانه قيل سوف تعلمون اينا ياتيه عذاب يخزيه اى يفضحه واينا هو كاذب
او موصولة قد عمل فيها كانه قيل سوف تعلمون الشقى الذى ياتيه عذاب يخزيه والذى
هو كاذب فى زعمكم ودعواكم وادخال الفاء فى سوف وصل ظاهر بحرف وضع للوصل
ونزعها وصل تقديرى بالاستئناف الذى هو جواب لسؤال مقدر كانهم قالوا فماذا يكون اذا عملنا نحن
على مكانتنا وعملت انت فقال سوف تعلمون والاتيان بالوجهين للتفنن فى البلاغة وابلغهما
الاستئناف وارتقبوا وانتظروا العاقبة وما اقول لكم انى معكم رقيب منتظر والرقيب
بمعنى الراقب من رقبه كالضريب بمعنى الضارب او بمعنى المراقب كالعشير او بمعنى المرتقب
كالرفيع بمعنى المرتفع ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين امنوا معه برحمة منا واخذت
الذين ظلموا الصيحة صاح بهم جبرئيل عليه السلام صيحة فهلكوا انما ذكر فى قصة عاد ومدين ولما

جاء وفى اخر قصة ثمود ولوط فلما جاء لانهما وقعا بعد ذكر الموعد وذلك قوله ان موعدهم
الصبح ذلك وعد غير مكذوب فجئ بالفاء الذى هو للتسبيب كقولك وعدته فلما جاء
الميعاد كان كيت وكيت واما الاخريان فقد وقعتا مبتدأتين فكان حقهما ان تعطفا بحرف
الجمع على ما قبلها كما تعطف قصة على قصة فاصبحوا فى ديارهم جاثمين الجاثم اللازم لمكانه لا
يريم يعنى ان جبرئيل عليه السلام صاح بهم صيحة فزهق روح كل واحد منهم بحيث هو بغتة
كان لم يغنوا فيها كان لم يقيموا فى ديارهم احياء متصرفين مترددين الا بعدا لمدين البعد
بمعنى البعد وهو الهلاك كالرشد بمعنى الرشد الا ترى الى قوله كما بعدت ثمود وقرئ بعدت
والمعنى فى البنائين واحد وهو نقيض القرب الا انهم فرقوا بين البعد من جهة الهلاك
وبين غيره فغيروا البناء كما فرقوا بين ضمانى الخير والشر فقالوا وعد واوعد ولقد ارسلنا
موسى باياتنا وسلطان مبين المراد به العصا لانها ابهرها الى فرعون وملئه فاتبعوا اى
الملأ امر فرعون وما امر فرعون برشيد هو تجهيل لمتبعيه حيث تابعوه على امره وهو
ضلال مبين وذلك انه ادعى الالوهية وهو بشر مثلهم وجاهر بالظلم والشر الذى لا ياتى
الا من شيطان ومثله بمعزل من الالهية وفيه انهم عاينوا الايات والسلطان المبين و
علموا ان مع موسى الرشد والحق ثم عدلوا عن اتباعه الى اتباع من ليس فى امره رشد قط
او المراد وما امره بصالح حميد العاقبة ويكون قوله يقدم قومه يوم القيمة اى يتقدمهم
وهم على عقبه تفسيرا له وايضاحا اى كيف يرشد امر من هذه عاقبته والرشد يستعمل
فى كل ما يحمد ويرتضى كما استعمل الغى فى كل ما يذم ويقال قدمه بمعنى تقدمه فاوردهم النار
ادخلهم وجئ بلفظ الماضى لان الماضى يدل على امر موجود مقطوع به فكانه قيل يقدمهم
فيوردهم النار لا محالة يعنى كما كان قدوة لهم فى الضلال كذلك يتقدمهم الى النار وهم
يتبعونه وبئس الورد المورود الذى وردوه شبه بالفارط الذى يتقدم الواردة
الى الماء وشبه اتباعه بالواردة ثم قال بئس الورد الذى يردونه النار لان الورد انما يراد
لتسكين العطش والنار ضده واتبعوا فى هذه لعنة ويوم القيمة اى يلعنون فى الدنيا ويلعنون
فى الاخرة بئس الرفد المرفود رفدهم اى بئس العون المعان او بئس العطاء المعطى ذلك

مبتداء من انباء القرى خبره نقصه عليك خبر بعد خبر اى ذلك النباء بعض انباء القرى
المهلكة مقصوص عليك منها من القرى قايم وحصيد اى بعضها باق وبعضها عافى الاثر
كالزرع القايم على ساقه والذى حصد والجملة مستانف لا محل لها من الاعراب وما ظلمناهم
باهلاكنا اياهم ولكن ظلموا انفسهم بارتكاب ما به اهلكوا فما اغنت عنهم الهتهم فما قدرت
ان ترد عنهم باس الله التى يدعون يعبدون هى حكاية حال ماضية من دون الله من شئ
لما جاء امر ربك عذابه ولما منصوب بما اغنت وما زادوهم غير تتبيب تخسير يقال
تب اذا خسر وتببه غيره اوقعه فى الخسران يعنى وما افادتهم عبادة غير الله شيئا بل اهلكتهم
اهلكتهم وكذلك محل الكاف الرفع اى ومثل ذلك الاخذ اخذ ربك اذا اخذ القرى
اى اهلها وهى ظالمة حال من القرى ان اخذه اليم موجع شديد اصعب على المأخوذ وهذا
تحذير لكل قرية ظالمة من كفار مكة وغيرها فعلى كل ظالم ان يبادر التوبة ولا تغتر
بالامهال ان فى ذلك فيما قص الله من قصص الامم الهالكة لاية لعبرة لمن خاف عذاب
الاخرة اى عتقد صحته ووجوده ذلك اشارة الى يوم القيمة لان عذاب الاخرة يدل
يوم مجموع له الناس وهو مرفوع بمجموع كما يرفع بفعله اذا قلت يجمع له الناس و
انما اوثر اسم المفعول على فعله لما فى اسم المفعول من دلالة على ثبات معنى الجمع لليوم
وانه اثبت ايضا لاسناد الجمع الى الناس وانهم لا ينفكون منه يجمعون للحساب والثواب
والعقاب وذلك يوم مشهود اى مشهود فيه فاتسع فى الظرف باجرايه مجرى
المفعول به اى يشهد فيه الخلايق الموقف لا يغيب عنه احد وما نؤخره اى اليوم المذكور
الا لاجل يطلق على مدة التاجيل كلها وعلى منتهاها والعد انما هو للمدة لا لغايتها ومنتهاها
فمعنى قوله وما نؤخره الا لاجل معدود الا لانتهاء مدة معدودة بحذف المضاف
او ما نؤخر هذا اليوم الا لينتهى المدة التى ضربناها لبقاء الدنيا يوم يات وبالياء مكى
وافقه ابو عمرو ونافع وعلى فى الوصل واثبات الياء هو الاصل اذ لا علة توجب حذفها
حذف الياء والاجتزاء عنها بالكسر كثير فى لغة هذيل ونظيره ما كنا نبغ وفاعل يات ضمير
يرجع الى قوله يوم مجموع له الناس لا اليوم المضاف الى يات ويوم منصوب باذكر او بقوله

لا تكلم اى لا تتكلم نفس الا باذنه اى لا يشفع احد الا باذنه من ذى الذى يشفع عنده الا باذنه
فمنهم الضمير لاهل الموقف لدلالة لا تكلم نفس عليه وقد مر ذكر الناس فى قوله مجموع له الناس شقى
معذب وسعيد اى ومنهم سعيد اى منعم فاما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وهو
اول نهيق الحمار وشهيق هو آخره اوهما اخراج النفس ورده والجملة فى موضع الحال والعامل
فيها الاستقرار الذى فى النار خالدين فيها حال مقدرة ما دامت السموات والارض فى
موضع النصب اى مدة دوام السموات والارض المراد سموات الاخرة وارضها وهى مخلوقة
دائمة للابد والدليل على ان لها سموات وارضا قوله يوم تبدل الارض غير الارض والسموات
وقيل ما دام فوق وتحت ولانه لا بد لاهل الاخرة مما يقلهم ويظلهم اما سماء او عرش وكل ما اظلك
فهو سماء او عبارة عن التابيد ونفى الانقطاع كقول العرب ما لاح كوكب وغير ذلك من كلمة
التابيد الا ما شاء ربك هو استثناء من الخلود فى عذاب النار وذلك لان اهل النار لا يخلدون
فى عذاب النار وحده بل يعذبون بالزمهرير وانواع من العذاب سوى عذاب النار او ما شاء
وهم قوم يخرجون من النار ويدخلون الجنة فيقال لهم الجهنميون وهم المستثنون من اهل
الجنة ايضا لمفارقتهم اياها بكونهم فى النار اياما فهؤلاء لم يشقوا شقاوة من يدخل النار على
التابيد ولا سعدوا سعادة من لا تمسه النار وهو مروى عن ابن عباس والضحاك وقتادة
ان ربك فعال لما يريد بالشقى والسعيد واما الذين سعدوا سعدوا حمزة وعلى وحفص سعدوا
لازم وسعده يسعده متعد ففى الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء
ربك هو استثناء من الخلود فى نعيم الجنة وذلك ان لهم بسوى الجنة ما هو اكبر منها وهو رؤية
الله تعالى ورضوانه او معناه الا من شاء ان يعذبه بقدر ذنبه قبل ان يدخل الجنة وعن ابى سعيد
رضى الله عنه عن النبى عليه الصلوة والسلام انه قال الاستثناء فى الايتين لاهل الجنة ومعناه
ما ذكرنا انه لا يكون للمسلم العاصى الذى دخل النار خلود فى النار حيث يخرج منه ولا يكون له
ايضا خلود الجنة لانه لم يدخل الجنة ابتداء والمعتزلة لما لم يروا خروج العصاة من النار ردوا
الاحاديث المروية فى هذا الباب وكفى به اثما مبينا عطاء غير مجذوذ غير مقطوع ولكنه ممتد الى
غير نهاية لقوله لهم اجر غير ممنون وهو نصب على المصدر اى اعطوا عطاء قيل كفرت الجهمية

باربع ايات عطاء غير مجذوذ اكلها دايم وما عند الله باق لا مقطوعة ولا ممنوعة لما قص قصص
عبدة الاوثان وذكر ما احل بهم من نقمه وما اعد لهم من عذابه قال فلا تك في مرية مما يعبد
هؤلاء فلا تشك بعد ما انزل من هذه القصص في سوء عاقبة عبادتهم لما اصاب امثالهم
قبلهم تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعدة بالانتقام منهم ووعيدا لهم ثم قال ما يعبدون
الا كما يعبد اباؤهم من قبل يريد ان حالهم في الشرك مثل حال ابائهم وقد بلغك ما نزل باباهم
فسينزل بهم مثله وهو استيناف معناه تعليل النهي عن المرية وما في مما وكما مصدرية او موصولة
اي من عبادتهم وكعبادتهم او مما يعبدون من الاوثان ومثل ما يعبدون منها وانا لموفوهم
نصيبهم حظهم من العذاب كما وفينا اباءهم انصباءهم غير منقوص حال من نصيبهم اي كاملا
ولقد اتينا موسى الكتاب التورية فاختلف فيه آمن به قوم وكفر به قوم كما اختلف في
القران وهو تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولولا كلمة سبقت من ربك انه لا يعاجلهم
بالعذاب لقضي بينهم بين قوم موسى او قومك بالعذاب المستاصل وانهم لفي شك منه من
القران او من العذاب مريب من اراب الرجل اذا كان ذا ريبة على الاسناد المجازي وان كلا التنوين
عوض عن المضاف اليه يعني وان كلهم اي وان جميع المختلفين فيه وان مشددة لما مخفف بصري
وعلى ما مزيدة جيء بها ليفصل بها بين لام ان ولام ليوفينهم وهو جواب قسم محذوف واللام
في لما موطية للقسم والمعنى وان جميعهم والله ليوفينهم ربك اعمالهم اي جزاء اعمالهم من ايمان
وجحود وحسن وقبيح بعكس الاول ابو بكر مخففتان مكي ونافع على اعمال المخففة عمل الثقيلة
اعتبارا لاصلها الذي هو الثقيلة ولان ان تشبه الفعل والفعل يعمل قبل الحذف وبعده نحو لم يكن
ولم يك فكذا المشبه به مشددتان غيرهم وهو مشكل واحسن ما قيل انه فيه من لمت الشيء
جمعته لما ثم وقف فصار لما ثم اجرى الوصل مجرى الوقف وجاز ان يكون مثل الدعوى و
الشروى وما فيه الف التانيث من المصادر وقراء الزهري وان كلا لما بالتنوين كقوله اكلا لما
وهو يؤيد ما ذكرناه والمعنى وان كلا ملمومين اي مجموعين كانه قيل وان كلا جميعا كقوله فسجد
الملايكة كلهم اجمعون وقال صاحب الايجاز لما فيه من معنى الظرف وقد دخل الكلام اختصار
كانه قيل وان كلا لما بعثوا ليوفينهم ربك اعمالهم وقال الكسائي ليس لي بتشديد لما علم انه بما يعملون

خبير فاستقم كما امرت فاستقم استقامة مثل الاستقامة التي امرت بها غير عادل عنها ومن تاب
معك معطوف على المستتر في استقم وجاز للفاصل يعني فاستقم انت وليستقم من تاب عن الكفر
ورجع الى الله مخلصا ولا تطغوا ولا تخرجوا عن حدود الله انه بما تعملون بصير فهو مجازيكم
فاتقوه قيل ما نزل على رسول الله عليه الصلوة والسلام اية كانت اشق عليه من هذه الاية و
لهذا قال شيبتني سورة هود ولا تركنوا الى الذين ظلموا ولا تميلوا قال الشيخ رحمة الله عليه
هذا خطاب لاتباع الكفرة اي لا تركنوا الى القادة والكبراء في ظلمهم وفيما يدعونكم اليه فتمسكم
النار وقيل الركون اليهم الرضى بكفرهم وقال قتادة لا تلحقوا بالمشركين وعن الموفق انه صلى
خلف الامام فلما قرا هذه الاية غشي عليه فلما افاق قيل له فقال هذا فيمن ركن الى من ظلم فكيف
بالظالم وعن الحسن جعل الله الدين بين لائين ولا تطغوا ولا تركنوا وقال سفيان في جهنم واد
لا يسكنه الا القراء الزائرون للملوك وعن الاوزاعي ما من شيء ابغض الى الله من عالم يزور
عاملا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دعا للظالم بالبقاء فقد احب ان يعصى الله في
ارضه ولقد سيل سفيان عن ظالم اشرف على الهلاك في برية هل يسقى شربة ماء قال لا فقيل له
يموت فقال دعه يموت وما لكم من دون الله من اولياء حال من قوله فتمسكم النار اي فتمسكم
النار وانتم على هذه الحالة ومعناه وما لكم من دون الله اولياء يقدرون على منعكم من عذابه
لا يقدر على منعكم منه غيره ثم لا تنصرون ثم لا ينصركم هو لانه حكم بتعذيبكم ومعنى ثم الاستبعاد
اي النصرة من الله مستبعدة واقم الصلوة طرفي النهار غدوة وعشية وزلفا من الليل وساعات
من الليل جمع زلفة وهي ساعته القريبة من اخر النهار من ازلفه اذا قربه وصلوة الغدوة
الفجر وصلوة العشية الظهر والعصر لان ما بعد الزوال عشي وصلوة الزلف المغرب والعشاء
وانتصاب طرفي النهار على الظرف لانهما مضافان الى الوقت كقولك اقمت عنده جميع النهار
واتيته نصف النهار واوله واخره ينصب هذا كله على اعطاء المضاف حكم المضاف اليه ان
الحسنات يذهبن السيات ان الصلوة الخمس يذهبن الذنوب في الحديث ان الصلوات الخمس تكفر
ما بينهما من الذنوب او الطاعات قال عليه الصلوة والسلام اتبع الحسنة السيئة تمحها او سبحان الله
والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ذلك اشارة الى فاستقم فما بعده او القران ذكرى للذاكرين

عظة للمتعظين نزلت في عمرو بن عزية بائع التمر قال لامراة في البيت تمر اجود فدخلت فقبلها ثم
ندم فجاء حاكيا باكيا فنزلت فقال عليه الصلوة والسلام هل شهدت معنا العصر قال نعم قال هي كفارة
لك فقيل اله خاص قال بل للناس واصبر على امتثال ما امرت به والانتهاء عما هيت عنه فلا يتم
شيء منه الا به فان الله لا يضيع اجر المحسنين جاء بما هو مشتمل على جميع الاوامر والنواهي من
قوله فاستقم الى قوله واصبر وغير ذلك من الحسنات فلولا كان من القرون من قبلكم فلولا كان وهو
موضوع للتخصيص ومخصوص بالفعل اولو بقية اولو فضل وخير وسمى الفضل والجودة بقية
لان الرجل يستبقي مما يخرجه اجوده وافضله فصار مثلا في الجودة والفضل ويقال فلان من
بقية القوم اي من خيارهم ومنه قولهم في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا ينهون عن الفساد
في الارض عجب محمدا عليه الصلوة والسلام وامته انه لم يكن في الامم التي ذكر الله اهلاكهم في هذه
السورة جماعة من اولي العقل والدين ينهون غيرهم عن الكفر والمعاصي الا قليلا ممن انجينا منهم
استثناء منقطع اي ولكن قليلا انجينا من القرون نهوا عن الفساد وسايرهم تاركون للنهي
ومن في ممن انجينا للبيان لا للتبعيض لان النجاة للناهين وحدهم بدليل قوله انجينا الذين
ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا واتبع الذين ظلموا اي التاركون للنهي عن المنكر ما
بالفهم وكان ذلك لا يقابا حرالهم اذ كانوا مستغرقين في عين الجمع كذا قيل وهو عطف على مضمر
اي الا قليلا ممن انجينا منهم نهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا شهواتهم فهو عطف على نهوا
ما اترفوا فيه اي اتبعوا ما عرفوا فيه التنعم والترف من حب الرياسة والثروة وطلب اسباب
العيش الهني ورفضوا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ونبذوه وراء ظهورهم وكانوا
مجرمين اعتراض وحكم عليهم بانهم قوم مجرمون وما كان ربك ليهلك القرى اللام لتاكيد
النفي بظلم حال من الفاعل اي لا يصح ان يهلك الله القرى ظالما لها واهلها قوم مصلحون
تنزيها لذاته عن الظلم وقيل الظلم الشرك اي لا يهلك القرى بسبب شرك اهلها وهم مصلحون
في المعاملات فيما بينهم لا يضمون الى شركهم فسادا اخر ولو شاء ربك لجعل الناس امة
واحدة اي متفقين على الايمان والطاعات عن اختيار ولكن لم يشا ذلك وقالت المعتزلة هي
مشية قسر وذلك رافع للابتلاء فلا يجوز ولا يزالون مختلفين في الكفر والايمان اي ولكن شاء

ان يكونوا

ان يكونوا مختلفين لما علم منهم اختيار ذلك الا من رحم ربك الا ناسا عصمهم الله من الاختلاف
فاتفقوا على دين الحق غير مختلفين فيه ولذلك خلقهم اي ولما هم عليه من الاختلاف فعندنا
خلقهم للذي علم انهم يصيرون ولم يخلقهم لغير الذي علم انهم يصيرون اليه من اختلاف و
اتفاق كذا في شرح التاويلات وتمت كلمة ربك وهي قوله للملايكة لاملان جهنم من الجنة
والناس اجمعين بعلمه بكثرة من يختار الباطل وكلا التنوين فيه عوض عن المضاف اليه كانه قيل
وكل نباء وهو منصوب بقوله نقص عليك وقوله من انباء الرسل بيان لكل وقوله ما نثبت
به فوادك بدل من كلا وجاءك في هذه الحق اي في هذه السورة او في هذه الانباء المقتصة ما
هو حق وموعظة وذكرى للمومنين ومعنى تثبيت فواده زيادة يقينه لان تكاثر الادلة اثبت
للقلب وقل للذين لا يومنون من اهل مكة وغيرهم اعملوا على مكانتكم على حالكم وجهتكم التي
انتم عليها انا عاملون على مكانتنا وانتظروا بنا الدواير انا منتظرون ان ينزل بكم نحو ما
اقتص الله تعالى من النقم النازلة باشباهكم ولله غيب السموات والارض لا يخفى عليه خافية
مما يجري فيهما فلا يخفى عليه اعمالكم واليه يرجع الامر كله فلا بد ان يرجع اليه امرهم وامرك
فينتقم لك منهم يرجع نافع وحفص فاعبده وتوكل عليه فانه كافيك وكافيهم وما ربك
بغافل عما تعملون وبالتاء مدني وشامي وحفص اي انت وهم على تغليب المخاطب قيل خاتم
التورية هذه الاية وفي الحديث من احب ان يكون اقوى الناس فليتوكل على الله

سورة يوسف عليه السلام مائة واحدى عشر آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الر تلك ايات الكتاب المبين تلك اشارة الى ايات السورة والكتاب المبين السورة اي
تلك الآيات التي انزلت اليك في هذه السورة ايات السورة الظاهر امرها في اعجاز العرب
او التي تبين لمن تدبرها انها من عند الله لا من عند البشر او الواضحة التي لا يشتبه على العرب
معانيها لنزولها بلسانهم او قد ابين فيها ما سالت عنه اليهود ومن قصة يوسف فقد روى
ان علماء اليهود ومن قصة يوسف قالوا للمشركين سلوا محمدا لم انتقل آل يعقوب من الشام
الى مصر وعن قصة يوسف انا انزلناه قرانا اي انزلنا هذا الكتاب الذي فيه قصة يوسف في
حال كونه قرانا عربيا وسمى بعض القرآن قرانا لانه اسم جنس يقع على كله وبعضه لعلكم تعقلون

لكى تفهموا معانيه ولو جعلناه قرانا اعجميا لقالوا لولا فصلت اياته نحن نقص عليك احسن
القصص نبين لك احسن البيان والقاص الذى ياتى بالقصة على حقيقتها من الزجاج وقيل
القصص يكون مصدرا بمعنى الاقتصاص تقول قص الحديث يقصه قصصا ويكون فعلا بمعنى
مفعول كالنقض فعلى الاول معناه نحن نقص عليك احسن الاقتصاص بما اوحينا اليك
هذا القران بايحائنا اليك هذه السورة على ان يكون احسن منصوبا نصب المصدر لاضافته
اليه والمقصوص محذوف لان بما اوحينا اليك هذا القران مغن عنه والمراد باحسن الاقتصاص
انه اقتص على ابدع طريقة واعجب اسلوب فانك لا ترى اقتصاصه فى كتب الاولين مقاربا
لاقتصاصه فى القران وان اريد بالقصص المقصوص فمعناه نحن نقص عليك احسن ما يقص
من الاحاديث وانما كان احسنه لما يتضمن من العبر والحكم والعجائب التى ليست فى غيرها
والظاهر انه احسن ما يقتص فى بابه كما يقال فلان اعلم الناس اى فى فنه واشتقاق القصص
من قص اثره اذا اتبعه لان الذى يقص الحديث يتبع ما حفظ منه شيئا فشيئا وان كنت
من قبله الضمير يرجع الى ما اوحينا لمن الغافلين عنه ان مخففة من الثقيلة واللام فارقة
بينها وبين النافية يعنى وان الشان والحديث كنت من قبل ايحائنا اليك من الجاهلين به اذ
قال بدل اشتمال من احسن القصص لان الوقت مشتمل على القصص او النقدير اذ قال يوسف
اسم عبرانى لا عربى اذ لو كان عربيا لانصرف لخلوه عن سبب اخر سوى التعريف لابيه
يعقوب يا ابت ابت شامى وهى تاء تانيث عوضت من ياء الاضافة لتناسبهما لان كل واحد
منهما زيادة فى اخر الاسم ولهذا تقلب هاء فى الوقف وجاز الحاق تاء التانيث بالمذكر كما
فى رجل ربعة وكسرت التاء لتدل على الياء المحذوف ومن فتح التاء فقد حذف الالف من يا
ابتا واستبقى الفتحة قبلها كما فعل من حذف الياء فى يا غلام انى رايت من الرؤيا لا من الروية
احد عشر كوكبا اسماها بيان النبى عليه الصلوة والسلام جريان والطارق والذيال وقابس
وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين والشمس والقمر
هما ابواه او ابوه وخالته والكواكب اخوته قيل الواو بمعنى مع اى رايت الكواكب مع الشمس
والقمر اجريت مجرى العقلاء رايتهم لى ساجدين لانه وصفها بما هو المختص بالعقلاء وهو السجود

وكررت

وكررت الروية لان الاولى يتعلق بالذات والثانية بالحال او الثانية كلام مستانف على تقدير
سوال وقع جوابا له كان اباه قال كيف رايتها فقال رايتهم لى ساجدين اى متواضعين وهو
حال وكان ابن ثنتى عشرة سنة يومئذ وكان بين رويا يوسف ومصر اخوته اليه اربعون
سنة او ثمانون قال يا بنى بفتح الياء حيث كان حفص لا تقصص رؤياك هى بمعنى الروية
الا انها مختصة بما كان منها فى المنام دون اليقظة فرق بينهما بحرفى التانيث كما فى القربة و
القربى على اخوتك فيكيدوا لك كيدا جواب النهى اى ان قصصتها عليهم كادوك عرف
يعقوب عليه السلام ان الله يصطفيه للنبوة وينعم عليه بشرف الدارين فخاف عليه
حسد الاخوة وانما لم يقل فيكيدوك كما قال فيكيدونى لانه ضمن معنى فعل يتعدى باللام
ليفيد معنى فعل الكيد مع افادة معنى الفعل المتضمن فيكون اكد وابلغ فى التخويف وذلك
نحو فيحتالوا لك الا ترى الى تاكيده بالمصدر وهو كيدا ان الشيطان للانسان عدو مبين
ظاهر العداوة فيحملهم على الحسد والكيد وكذلك ومثل ذلك الاجتباء الذى دل عليه
رؤياك يجتبيك ربك يصطفيك والاجتباء الاصطفاء افتعال من جبيت الشئ اذا
خلصته لنفسك وجبيت الماء فى الحوض اذا جمعته ويعلمك كلام مبتدا غير داخل فى حكم
التشبيه كانه قيل وهو يعلمك من تاويل الاحاديث اى تاويل الرؤيا وتاويلها عبارتها و
كان يوسف عليه السلام اعبر الناس للرؤيا او لتاويل احاديث الانبياء وكتب الله وهو
اسم جمع للحديث وليس بجمع احدوثة ويتم نعمته عليك وعلى ال يعقوب بان وصل لهم
نعمة الدنيا بنعمة الاخرة اى جعلهم انبياء فى الدنيا وملوكا ونقلهم عنها الى الدرجات العلى
فى الجنة وآل يعقوب اهله وهم نسله وغيرهم واصل آل اهل بدليل تصغيره على اهيل الا
انه لا يستعمل الا فيمن له خطر يقال آل النبى وآل الملك ولا يقال آل الحجام ولكن اهله وانما علم
يعقوب ان يوسف يكون نبيا واخوته انبياء استدلالا بضوء الكواكب فلذلك قال وعلى
ال يعقوب كما اتمها على ابويك من قبل اراد الجد وابا الجد ابراهيم واسحق عطف بيان لابويك
ان ربك عليم يعلم من يحق له الاجتباء حكيم يضع الاشياء مواضعها لقد كان فى يوسف واخوته
اى فى قصتهم وحديثهم ايات علامات ودلالات على قدرة الله وحكمته فى كل شئ اية مكى

للسايلين لمن سال عن قصتهم وعرفها او ايات على نبوة محمد عليه الصلوة والسلام الذين سالوه
من اليهود عنها فاخبرهم من غير سماع من احد ولا قراءة كتاب واساميهم يهوذا وروبيل
وشمعون ولاوى وزيالون ويشجر ودينة امهم ليا ودان ونيشالون وجاد واشر بن
سريتين زلفة وبلية فلما توفيت ليا تزوج اختها راحيل فولدت له بنيامين ويوسف
اذ قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا اللام لام الابتداء وفيها تاكيد وتحقيق لمضمون
الجملة اردوا ان زيادة محبته لهما امر ثابت لا شبهة فيه وانما قالوا اخوه وهم اخوته ايضا
لان امهما كانت واحدة وانما قيل احب فى الاثنين لان افعل من لا يفرق فيه بين الواحد وما
فوقه ولا بين المذكر والمؤنث ولا بد من الفرق مع لام التعريف واذا اضيف ساغ الامران
والواو فى ونحن عصبة للحال اى انه يفضلهما فى المحبة علينا وهما صغيران لا كفاية فيهما ونحن عشرة
رجال كفاة فقوم بمرافقه ونحن احق بزيادة المحبة منهما لفضلنا بالكثرة والمنفعة عليهما ان
ابانا لفى ضلال مبين غلط فى تدبير امر الدنيا ولو وصفوه بالضلالة فى الدين لكفروا والعصبة
العشرة فصاعدا اقتلوا يوسف من جملة ما حكى بعد قوله اذ قالوا كانهم اطبقوا على ذلك الا من
قال لا تقتلوا يوسف وقيل الامر بالقتل شمعون والباقون كانوا راضين فجعلوا امرين
او اطرحوه ارضا منكورة مجهولة بعيدا عن العمران وهو معنى تنكيرها واخلايها من الوصف
ولهذا الابهام نصبت نصب الظروف المبهمة يخل لكم وجه ابيكم يقبل عليكم اقبالة واحدة
لا يلتفت عنكم الى غيركم والمراد سلامة محبته لهم ممن يشاركهم فيها فكان ذكر الوجه لتصوير
معنى اقباله عليهم لان الرجل اذا اقبل على الشئ اقبل بوجهه وجاز ان يراد بالوجه الذات
كما قال ويبقى وجه ربك وتكونوا مجزوم عطف على يخل لكم من بعده من بعد يوسف اى من
بعد كفايته بالقتل والتغريب او من بعد قتله او طرحه فيرجع الضمير الى مصدر اقتلوا او اطرحوه
قوما صالحين تايبين الى الله مما جنيتم عليه او يصلح حالكم عند ابيكم قال قائل منهم هو يهوذا
وكان احسنهم فيه رايا لا تقتلوا يوسف فان القتل عظيم والقوه فى غيابت الجب فى قعر البير
وما غاب منه عن عين ناظر غيابات وكذا ما بعده مدنى يلتقطه بعض السيارة بعض الاقوام
الذين يسيرون فى الطريق ان كنتم فاعلين به شيئا قالوا يا ابانا ما لك لا تامنا بالاشام على

يوسف

يوسف وانا له لناصحون اى لم تخافنا عليه ونحن نريد له الخير ونشفق عليه واراد وا بذلك
لما عزموا على كيد يوسف استنزاله عن رايه وعادته فى حفظه منهم وفيه دليل على انه احس منهم
بما اوجب ان لا يامنهم عليه ارسله معنا غدا يرتع نتسع فى اكل الفواكه وغيرها والرتعة السعة
ويلعب نتفرج بما يباح كالصيد والرمى والركض وبالياء فيهما مدنى وكوفى وبالنون فيهما
مكى وشامى وابو عمرو وبكسر العين حجازى من ارتعى يرتعى افتعال من الرعى وانا له لحافظون
من ان يناله مكروه قال انى ليحزننى ان تذهبوا به اى يحزننى ذهابكم به واللام لام الابتداء
واخاف ان ياكله الذئب وانتم عنه غافلون اعتذر اليهم بان ذهابهم به مما يحزنه لانه كان
لا يصبر عنه ساعة وانه يخاف عليه من عدوة الذئب اذا غفلوا عنه برعيهم ولعبهم قالوا
لئن اكله الذئب اللام موطئة للقسم والقسم محذوف تقديره والله لئن اكله الذئب والواو
فى ونحن عصبة اى فرقة مجتمعة مقتدرة على الدفع للحال انا اذا لخاسرون جواب للقسم
مجزى عن جزاء الشرط اى ان لم نقدر على حفظ بعضنا فقد هلكت مواشينا اذا وخسرناها
واجابوا عن عذره الثانى دون الاول لان الاول كان يغيظهم فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه
فى غيابت الجب اى عزموا على القايه فى البير وهى بير على ثلثة فراسخ من منزل يعقوب و
جواب لما محذوف وتقديره فعلوا به ما فعلوا من الاذى فقد روى انهم لما برزوا به الى
البرية اظهروا له العداوة وضربوه وكادوا يقتلونه فمنعهم يهوذا فلما ارادوا القاءه فى الجب
تعلق بثيابهم فنزعوها من يديه فتعلق بحايط البير فربطوا يديه ونزعوا قميصه ليلطوه

ليلطخوه

بالدم فيحتالوا به على ابيهم وادلوه فى البير وكان فيها ماء فسقط فيه ثم آوى الى صخرة فقام
عليها وهو يبكى وكان يهوذا ياتيه بالطعام ويروى ان ابراهيم عليه السلام حين القى فى النار
جرد عن ثيابه فاتاه جبريل عليه السلام بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فدفعه ابراهيم
الى اسحق واسحق الى يعقوب فجعله يعقوب فى تميمة علقها فى عنق يوسف فاخرجه جبرئيل
عليه السلام والبسه اياه واوحينا اليه قيل اوحى اليه فى الصغر كما اوحى الى يحيى وعيسى وقيل كان
اذ ذاك مدركا لتنبئنهم بامرهم هذا لتحدثن اخوتك بما فعلوا بك وهم لا يشعرون انك
يوسف لعلو شانك وكبرياء سلطانك وذلك انهم حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم

له منكرون دعا بالصواع فوضعه على يده ثم نقره فطن فقال انه ليخبرني هذا الجام انه كان
لكم اخ من ابيكم يقال له يوسف وانكم القيتموه في غيابت الجب وقلتم لابيه اكله الذئب
وبعتموه بثمن بخس او يتعلق وهم لا يشعرون باوحينا اي آنسناه بالوحي وازلنا عن قلبه
الوحشة وهم لا يشعرون ذلك وجاؤا اباهم عشاء للاستتار والتجسر على الاعتذار بكون
حال عن الاعمش لا تصدق باكية بعد اخوة يوسف فلما سمع صوتهم فزع وقال مالكم يا بني هل
اصابكم في غنمكم شيء قالوا لا قال فما لكم واين يوسف قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق اي نتسابق
في العدو في الرمي والافتعال والتفاعل يشتركان كالارتماء والترامي وغير ذلك وتركنا يوسف
عند متاعنا فاكله الذئب وما انت بمؤمن لنا بمصدق لنا ولو كنا صادقين ولو كنا عندك
من اهل الصدق والثقة لشدة محبتك ليوسف فكيف وانت سيء الظن بنا غير واثق
بقولنا وجاؤا على قميصه بدم كذب ذي كذب او وصف بالمصدر مبالغة كانه نفس الكذب
وعينه كما يقال للكذاب هو الكذب بعينه والزور بذاته روي انهم ذبحوا سخلة ولطخوه
بدمها وذهلوا عن ان يمزقوه وروي ان يعقوب لما سمع بخبر يوسف صاح باعلى صوته و
قال اين القميص فاخذه والقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال تالله
ما رايت كاليوم ذئبا احلم من هذا اكل ابني ولم يمزق عليه قميصه وقيل كان في قميص يوسف
ثلث آيات كان دليلا ليعقوب على كذبهم والقاه على وجهه فارتد بصيرا ودليلا على
براءة يوسف حين قد من دبر ومحل على قميصه النصب على الظرف كانه قيل وجاؤا فوق
قميصه بدم قال يعقوب بل سولت زينت او سهلت لكم انفسكم امرا عظيما ارتكبتموه فصبر
جميل خبر او مبتدأ لكونه موصوفا اي فامري صبر جميل او فصبر جميل اجمل وهو ما لا شكوى
فيه الى الخلق والمستعان اي استعينه على احتمال ما تصفون من هلاك يوسف والصبر على
الرزء فيه وجاءت سيارة رفقة تسير من قبل مدين الى مصر وذلك بعد ثلثة ايام من القاء
يوسف في الجب فاخطؤا الطريق فنزلوا قريبا منه وكان الجب في قفرة بعيدة من العمران
كان ماؤه ملحا فعذب حين القي فيه يوسف فارسلوا واردهم هو الذي يرد الماء ليستقي للقوم
اسمه مالك ابن زعر بن خزاعي فادلى دلوه ارسل الدلو ليملاها فتشبث يوسف عليه السلام بالدلو

فنزعوه

فنزعوه قال يا بشرى كوفي نادى البشرى كانه يقول تعالى فهذا اوانك غيرهم بشراي على
الاضافة الى نفسه او هو اسم غلامه فناداه مضافا الى نفسه هذا غلام قيل ذهب به فلما
دنى من اصحابه صاح بذلك يبشرهم به واسروه الضمير للوارد واصحابه اخفوه من الرفقة
او لاخوة يوسف فانهم قالوا للرفقة هذا غلام لنا قد ابق فاشتروه منا فسكت يوسف
مخافة ان يقتلوه بضاعة حال اي اخفوه متاعا للتجارة والبضاعة ما بضع من المال للتجارة
اي قطع والله عليم بما يعملون بما يعمل اخوة يوسف بابيهم واخيهم من سوء الصنيع وشروه
باعوه بثمن بخس مبخوس ناقص عن القيمة نقصانا ظاهرا او زيف دراهم بدل من ثمن معدودة
قليلة تعد عدا ولا توزن لانهم كانوا يعدون ما دون الاربعين ويزنون الاربعين
وما فوقها وكانت عشرين درهما وكانوا فيه من الزاهدين ممن يرغب عما في يده فيبيعه بالثمن
الطفيف او معنى وشروه واشتروه يعني الرفقة من اخوته وكانوا فيه من الزاهدين اي
غير راغبين لانهم اعتقدوا انه آبق ويروى ان اخوة يوسف اتبعوهم وقالوا استوثقوا منه
لا يابق وفيه ليس من صلة الزاهدين لان الصلة لا تتقدم على الموصول وانما هو بيان كانه قيل
في اي شيء زهدوا فقال زهدوا فيه وقال الذي اشتراه من مصر هو قطفير وهو العزيز الذي
كان على خزائن مصر والملك يومئذ الريان ابن الوليد وقد آمن بيوسف ومات في حيوته
واشتريه العزيز بزنته ورقا وحريرا ومسكا وهو ابن سبع عشر سنة واقام في منزله ثلث عشر
سنة واستوزره ريان ابن الوليد وهو ابن ثلثين سنة وآتاه الله الحكمة والعلم وهو ابن ثلث
وثلثين سنة وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة لامرأته راعيل او زليخا واللام متعلقة بقال
لا باشتراه اكرمي مثويه اجعلي منزله ومقامه عندنا كريما اي حسنا مرضيا بدليل قوله انه
ربي احسن مثواي وعن الضحاك بطيب معاشه ولين رياشه ووطي فراشه عسى ان ينفعنا
لعله اذا تدرب وراض الامور وفهم مجاريها نستظهر به على بعض ما نحن بسبيله او نتخذه ولدا
او نتبناه ونقيمه مقام الولد وكان قطفير عقيما وقد تفرس علم فيه الرشد فقال ذلك وكذلك
اشارة الى ما تقدم من انجائه وعطف قلب العزيز عليه والكاف منصوب تقديره ومثل ذلك الانجاء
والعطف مكنا ليوسف اي كما انجيناه وعطفنا عليه العزيز كذلك مكنا له في الارض اي ارض

اضافتها

مصر وجعلناه ملكا يتصرف فيه بامره ونهيه ولنعلمه من تاويل الاحاديث كان ذلك الانجاء والتمكين
والله غالب على امره لا يمنع عما يشاء او على امر يوسف لتبليغه ما اراد له دون ما اراد اخوته
ولكن اكثر الناس لا يعلمون ذلك ولما بلغ اشده منتهى اشتداد قوته وهو ثماني عشرة سنة او احد
وعشرين اتيناه حكما وعلما حكمة وهو العلم مع العمل واجتناب ما يجهل فيه او حكما بين الناس
وفقها وكذلك نجزي المحسنين تنبيه على انه كان محسنا في عمله متقيا في عنفوان امره وراودته
التي هو في بيتها عن نفسه اي طلبت يوسف ان يواقعها والمراودة مفاعلة من راد يرود اذا
جاء وذهب كان المعنى خادعته عن نفسه اي فعلت فعل المخادع لصاحبه عن الشيء الذي لا
يريد ان يخرجه من يده يحتال ان يغلبه عليه وياخذه منه وهي عبارة عن التمحل لمواقعته
اياها وغلقت الابواب وكانت سبعة وقالت هيت لك هو اسم لتعال واقبل وهو مبني
على الفتح هيت مكي وبناؤه على الضم هيت هلم مدني وشامي واللام للبيان كانه قيل لك
اقول هذا كما تقول هلم لك قال معاذ الله اعوذ بالله معاذا انه ان الشان والحديث ربي سيدي
ومالكي يريد قطفير احسن مثواي اي حين قال لك اكرمي مثواه فما جزاؤه ان اخونه
في اهله انه لا يفلح الظالمون الخائنون او الزناة او اراد بقوله انه ربي الله تعالى لانه مسبب
الاسباب ولقد همت به هم عزم وهم بها هم الطباع مع الامتناع قاله الحسن وقال الشيخ
ابو منصور وهم بها هم خطرة ولا صنع للعبد فيما يخطر بالقلب ولا مؤاخذة عليه ولو كان
همه كهمها لما مدحه الله تعالى بانه من عبادنا الصالحين وقيل وهم بها وشارف ان يهم بها يقال
هم بالامر اذا قصده وعزم عليه وجواب لولا ان راى برهان ربه محذوف اي لكان ما كان
وقيل وهم بها جوابه ولا يصح لان جواب لولا لا يتقدم عليه لانه في حكم الشرط وله صدر الكلام
والبرهان الحجة ويجوز ان يكون خارجا من حق القارئ اذا قدر خروجه من حكم القسم و
جعله كلاما براسه ان يقف على به ويبتدئ بقوله وهم بها وفيه ايضا اشعار بالفرق بين
الهمين وفسر هم يوسف بانه حل هميان سراويله وقعد بين شعبها الاربع وهي مستلقية على قفاها
وفسر البرهان بانه سمع صوتا اياك واياها مرتين فسمع ثالثا اعرض عنها فلم ينجع فيه حتى
مثل يعقوب عاضا على انملته وهو باطل ويدل على بطلانه قوله هي راودتني عن نفسي ولو كان

ذلك منه ايضا لما برأ نفسه من ذلك وقوله كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء ولو كان كذلك
لم يكن السوء مصروفا عنه وقوله ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب ولو كان كذلك لخانه بالغيب
وقوله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق انا راودته عن نفسه وانه
لمن الصادقين ولانه لو وجد منه ذلك لذكرت توبته واستغفاره كما كان لآدم ونوح وذي
النون وداود عليهم السلام وقد سماه الله تعالى مخلصا فعلم بالقطع انه ثبت في ذلك المقام
وجاهد نفسه مجاهدة اولي العزم ناظرا في دلائل التحريم حتى استحق من الله تعالى الثناء
ومحل الكاف في كذلك نصب اي مثل ذلك التثبيت ثبتناه او رفع اي الامر مثل ذلك لنصرف
عنه السوء خيانة السيد والفحشاء الزنى انه من عبادنا المخلصين بفتح اللام حيث كان مدني
وكوفي اي الذين اخلصهم الله لطاعته وبكسرها غيرهم اي الذين اخلصوا دينهم لله ومعنى
من عبادنا بعض عبادنا اي هو مخلص من جملة المخلصين واستبقا الباب وتسابقا الى الباب
هي للطلب وهو للهرب على حذف الجار وايصال الفعل كقوله واختار موسى قومه او على
تضمين استبقا معنى ابتدرا ففر منها يوسف فاسرع يريد الباب ليخرج واسرعت وراءه لتمنعه
الخروج ووحد الباب وان كان جمعه في قوله وغلقت الابواب لانه اراد الباب البراني الذي
هو المخرج من الدار ولما هرب يوسف جعل فراش القفل يتناثر ويسقط حتى خرج وقدت
قميصه من دبر اجتذبته من خلفه فانقد اي انشق حين هرب منها الى الباب وتبعته تمنعه
والفيا سيدها لدى الباب وصادفا بعلها قطفير مقبلا يريد ان يدخل فلما راته احتالت لتبرئة
ساحتها عند زوجها من الريبة ولتخويف يوسف طمعا في ان يواتيها خيفة منها ومن مكرها
حيث قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن او عذاب اليم ما نافية اي ليس جزاؤه
الا السجن او عذاب اليم وهو الضرب بالسياط ولم تصرح بذكر يوسف وانه اراد بها سوءا لانها
قصدت العموم اي كل من اراد باهلك سوءا فحقه ان يسجن او يعذب لان ذلك ابلغ فيما قصدت
من تخويف يوسف ولما عرضته للسجن او العذاب وجب عليه الدفع عن نفسه قال هي راودتني
عن نفسي ولولا ذلك لكتم عليها ولم يفضحها وشهد شاهد من اهلها هو ابن عم لها وانما القى
الله الشهادة على لسان من هو من اهلها ليكون اوجب للحجة واوثق لبراءة يوسف وقيل كان ابن

خالها وكان صبيا في المهد وسمي قوله شهادة لانه ادى مودى الشهادة في ان ثبت به قول
يوسف وبطل قولها ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه
قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين والتقدير وشهد شاهد فقال ان كان قميصه وانما دل
قد قميصه من قبل على انها صادقة لانه يسرع خلفها ليلحقها فيعثر في مقادم قميصه فيشقه
ولانه يقبل عليها وهي تدفعه عن نفسها فيتخرق القميص من قبل واما تنكير قبل ودبر فمعناه
من جهة يقال لها قبل ومن جهة يقال لها دبر وانما جمع بين ان الذي هو للاستقبال وبين ذلك
لان المعنى ان يعلم انه كان قميصه قد فلما راى قطفير قميصه قد من دبر وعلم براءة يوسف
وصدقه قال انه ان قولك ما جزاء من اراد باهلك سوءا وان هذا الامر وهو الاحتيال
لنيل الرجال من كيدكن الخطاب لها ولامثالها ان كيدكن عظيم لانهن الطف كيدا واعظم حيلة
وبذلك يغلبن الرجال والقصريات منهن معهن ماليس مع غيرهن من البوائق وعن بعض
العلماء انا اخاف من النساء اكثر مما اخاف من الشيطان لان الله تعالى قال ان كيد الشيطان كان
ضعيفا وقال لهن ان كيدكن عظيم يوسف حذف منه حرف النداء لانه منادى قريب مفاطن
للحديث وفيه تقريب له وتلطيف بمحله اعرض عن هذا الامر واكتمه ولا تحدث به ثم قال
لراعيل واستغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين من جملة القوم المتعمدين للذنب يقال
خطئ الرجل اذا اذنب متعمدا للذنب وانما قال بلفظ التذكير تغليبا للذكور على الاناث و
كان العزيز رجلا حليما قليل الغيرة حيث اختصر على هذا القول وقال نسوة جماعة من
النساء وكن خمسا امراة الساقي وامراة الخباز وامراة صاحب الدوات وامراة صاحب
السجن وامراة الحاجب ونسوة اسم مفرد لجمع المراة وتانيثها غير حقيقي ولذا لم يقل قالت
وفيه لغتان كسر النون وضمها في المدينة في المصر امراة العزيز يريدن قطفير والعزيز الملك
بلسان العرب تراود فتاها غلامها يقال فتاي وفتاتي اي غلامي وجاريتي عن نفسه لتنال
شهوتها منه قد شغفها حبا تمييز اي قد شغفها حبه يعني خرق حبه شغاف قلبها حتى وصل
الى الفؤاد والشغاف حجاب القلب اي جلدة رقيقة يقال لها لسان القلب انا لنريها في ضلال
مبين في خطا وبعد عن طريق الصواب فلما سمعت راعيل بمكرهن باغتيابهن وقولهن امراة

العزيز

العزيز عشقت عبدها الكنعاني ومقتها وسمي الاغتياب مكرا لانه في خفية وحال غيبة
كما يخفي الماكر مكره وقيل كانت استكتمتهن سرها فافشينه عليها ارسلت اليهن دعتهن قيل
دعت اربعين امراة منهن الخمس المذكورات واعتدت لهن متكا وهيات افعلت من
العتاد لهن متكا وما يتكا عليه من نمارق قصدت بتلك الهيئة وهي قعودهن متكيات
والسكاكين في ايديهن ان يدهشن عند رؤيته ويشغلن عن نفوسهن فتقع ايديهن
على ايديهن فيقطعنها لان المتكئ اذا بهت بشيء وقعت يده على يده واتت كل واحدة منهن
سكينا وكانوا لا ياكلون في ذلك الزمان الا بالسكاكين كفعل الاعاجم وقالت اخرج عليهن
بكسر التاء بصري وعاصم وحمزة وبضمها غيرهم فلما راينه اكبرنه عظمنه وهبن ذلك الحسن
الرائع والجمال الفائق وكان فضل يوسف على الناس في الحسن كفضل القمر ليلة البدر على نجوم
السماء وكان اذا سار في ازقة مصر يرى تلالؤ وجهه على الجدران وكان يشبه ادم يوم
خلقه ربه وقيل ورث الجمال من جدته سارة وقيل اكبرن بمعنى حضن والهاء للسكت اذ لا يقال
النساء قد حضنه لانه لا يتعدى الى مفعول يقال اكبرت المراة اذا حاضت وحقيقته دخلت
في الكبر لانها بالحيض تخرج من حد الصغر وكان ابا الطيب اخذ من هذا التفسير قوله خف الله
واستر ذا الجمال ببرقع فان لحت حاضت في الخدور العواتق وقطعن ايديهن وجرحنها كما تقول
كنت اقطع اللحم فقطعت يدي تريد جرحتها اي اردن ان يقطعن الطعام الذي في ايديهن
فدهشن لما راينه فخدشن ايديهن وقلن حاش لله حاش كلمة تفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء
تقول اساء القوم حاشا زيد وهي حرف من حروف الجر فوضعت موضع التنزيه والبراءة
فمعنا حاشا الله براءة الله وتنزيها لله وقراءة ابي عمرو حاشا لله نحو قولك سقيا لك
كانه قال براءة ثم قال لله لبيان من يبرى وينزه وغير حاش لله بحذف الالف الاخيرة
والمعنى تنزيه الله من صفات العجز والتعجب عن قدرته على خلق جميل مثله ما هذا بشرا ان هذا
الا ملك كريم نفين عنه البشرية لغرابة جماله واثبتن له الملكية وبتتن بها الحكم لما ركز في الطباع
ان لا احسن من الملك كما ركز فيها ان لا اقبح من الشيطان قالت فذلكن الذي لمتنني فيه تقول
هو ذلك العبد الكنعاني الذي صورتن في انفسكن ثم لمتنني فيه يعني انكن لم تصورنه بحق صورته

والا لعذرتني في الافتتان به ولقد راودته عن نفسه فاستعصم الاستعصام بناء مبالغة يدل
على الامتناع البليغ والتحفظ الشديد كانه في عصمة وهو يجتهد في الاستزادة منها وهذا
بيان جلي على ان يوسف عليه السلام بريء مما فسر به اولئك الفريق الهم والبرهان ثم قلن
له اطع مولاتك فقالت راعيل ولئن لم يفعل ما آمره الضمير راجع الى ما وهي موصولة والمعنى
ما آمر به فحذف الجار كما في قوله امرتك الخير او ما مصدرية والضمير يرجع الى يوسف
اي ولئن لم يفعل امري اياه اي موجب امري ومقتضاه ليسجنن ليحبسن والالف في وليكونا
بدل من نون التاكيد الخفيفة من الصاغرين من السراق والسفاك والاباق كما سرق قلبي
وابق مني وسفك دمي بالفراق فلا يهنأ له الطعام والشراب والنوم هنالك كما منعني
ههنا كل ذلك ومن لم يرض بمثلي في الحرير على السرير امير احصل في الحصر على الحصير حسيرا
فلما سمع يوسف تهديدها قال رب السجن احب الي مما يدعونني اليه اسند الدعوة اليهن
لانهن قلن له ما عليك لو اجبت مولاتك او افتتنت كل واحدة فدعته الى نفسها سرا
فالتجأ الى ربه قال رب نزول السجن احب الي من ركوب المعصية والا تصرف عني كيدهن
فزع منه الى الله في طلب العصمة اصب اليهن امل اليهن والصبوة الميل الى الهوى ومنه
الصبا لان النفوس تصبو اليها لطيب نسيمها وروحها واكن من الجاهلين من الذين لا
يعملون بما يعلمون لان من لا جدوى بعلمه فهو ومن لا يعلم سواء او من السفهاء فلما كان
في قوله والا تصرف عني كيدهن معنى طلب الصرف والدعاء قال فاستجاب له ربه اي اجاب
الله دعاءه فصرف عنه كيدهن انه هو السميع بدعوات الملتجئين اليه العليم بحاله و
حالهن ثم بدا لهم فاعله مضمر لدلالة ما يفسره عليه وهو ليسجننه والمعنى بدا لهم بداء اي
ظهر لهم رأي والضمير في لهم للعزيز واهله من بعد ما رأوا الآيات وهي الشواهد على
براءته كقد القميص وشهادة الصبي وغير ذلك ليسجننه لابداء عذر الحال وارخاء الستر على
على القيل والقال وما كان ذلك الا باستنزال المراة لزوجها وكان مطواعا لها وجملا ذلولا
زمامه في يدها وقد طمعت ان يذلله السجن ويسخره لها او خافت عليه العيون وظنت فيه
الظنون فالجاها الخجل من الناس والوجل من الياس الى ان رضيت بالحجاب مكان خوف الذهاب

لتشقى

لتشقى بحجره اذا منعت من نظره حتى حين الى زمان كانها اقترحت ان يسجن زمانا حتى
تبصر ما يكون منه ودخل معه السجن فتيان عبدان للملك خبازه وشرابيه بتهمة السم فادخلا
السجن ساعة ادخل يوسف عليه السلام لان مع يدل على معنى الصحبة تقول خرجت مع الامير
تريد مصاحبا له فيجب ان يكون دخولهما السجن مصاحبين له قال احدهما اي شرابيه اني اراني
اي في المنام وهي حكاية حال ماضية اعصر خمرا اي عنبا تسمية العنب بما يؤول اليه او الخمر بلغة
عمان اسم للعنب وقال الآخر اي خبازه اني اراني احمل فوق رأسي خبزا تاكل الطير منه نبئنا
بتاويله بتاويل ما رأيناه انا نراك من المحسنين من الذين يحسنون عبارة الرؤيا او من المحسنين
الى اهل السجن فانك تداوي المريض وتعزي الحزين وتوسع على الفقير فاحسن الينا بتاويل
ما رأينا قيل انهما تحالما ليمتحناه فقال الشرابي اني رأيت كاني في بستان فاذا باصل حبلة عليها
ثلاثة عناقيد من عنب فقطفتها وعصرتها في كاس الملك وسقيته وقال الخباز اني رأيت
كان فوق رأسي ثلث سلال فيها انواع الاطعمة فاذا سباع الطير تنهش منها قال لا ياتيكما طعام
ترزقانه الا نباتكما بتاويله اي ببيان ماهيته وكيفيته لان ذلك يشبه تفسير المشكل قبل ان
ياتيكما لما استعبراه ووصفاه بالاحسان افترص ذلك فوصل به وصف نفسه بما فوق
علم العلماء وهو الاخبار بالغيب وانه ينبئهما بما يحمل اليهما من الطعام في السجن قبل ان ياتيهما
ويصفه لهما ويقول اليوم ياتيكما طعام من صفته كيت وكيت فيكون كذلك وجعل ذلك
تخلصا الى ان يذكر لهما التوحيد ويعرض عليهما الايمان ويزينه لهما ويقبح اليهما الشرك وفيه ان
العالم اذا جهلت منزلته في العلم فوصف نفسه بما هو بصدده وغرضه ان يقتبس منه لم يكن
من باب التزكية ذلكما اشارة الى التاويل اي ذلك التاويل والاخبار بالمغيبات مما علمني ربي
واوحى به الي ولم اقله عن تكهن وتنجم اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة
هم كافرون يجوز ان يكون كلاما مبتدأ وان يكون تعليلا لما قبله اي علمني ذلك واوحى به
الي لاني رفضت ملة اولئك وهم اهل مصر ومن كان الفتيان على دينهم واتبعت ملة آبائي
ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب وهي الملة الحنيفية وتكرير هم للتاكيد وذكر الآباء
ليريهما انه من بيت النبوة بعد ان عرفهما انه نبي بما ذكر من اخباره بالغيوب ليقوي رغبتهما في اتباع

قوله والمراد به ترك الابتداء لا انه كان فيه ثم ترك ما كان لنا ما صح لنا يعني معشر الانبياء ان نشرك
بالله من شيء اي اي شيء كان ضما او غيره ثم قال ذلك التوحيد من فضل الله علينا وعلى الناس
ولكن اكثر الناس لا يشكرون فضل الله فيشركون ولا يتنبهون يا صاحبي السجن يا ساكني السجن
كقوله اصحاب النار واصحاب الجنة ءارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار يريد
التفرق في العدد والكثرة اي أتكون ارباب شتى يستعبدكما هذا ويستعبدكما هذا خير لكما
ام ان تكون لكما رب واحد قهار لا يغالب ولا يشارك في الربوبية وهذا مثل ضربه لعبادة الله
وحده ولعبادة الاصنام ما تعبدون خطاب لهما ولمن على دينهما من اهل مصر من دونه من دون الله
الا اسماء سميتموها انتم واباؤكم اي سميتم ما لا يستحق الالهية آلهة ثم طفقتم تعبدونها فكانكم
لا تعبدون الا اسماء لا مسميات تحتها ومعنى سميتموها سميتم بها يقال سميته زيدا وسميته
بزيد ما انزل الله بها بتسميتها من سلطان حجة ان الحكم في امر العبادة والدين الا لله ثم بين ما
حكم فقال امر ان لا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم الثابت الذي دلت عليه البراهين ولكن
اكثر الناس لا يعلمون وهذا يدل على ان العقوبة تلزم العبد وان جهل اذا امكن له العلم بطريقه
ثم عبر الرويا فقال يا صاحبي السجن اما احدكما يريد الشرابي فيسقي ربه سيده خمرا اي يعود الى
عمله واما الآخر اي الخباز فيصلب فتاكل الطير من راسه روي انه قال للاول ما رايت من الكرمة
هو الملك وحسن حالك عنده واما القضبات الثلثة فانها ثلثة ايام تمضي في السجن ثم تخرج
وتعود الى ما كنت عليه وقال للثاني ما رايت من السلال ثلثة ايام ثم تخرج فتقتل ولما سمع الخباز
صلبه قال ما رايت شيئا فقال يوسف قضي الامر الذي فيه تستفتيان اي قطع وتم ما تستفتيان
فيه من امركما وشانكما اي ما يجر اليه من العاقبة وهو هلاك احدهما ونجاة الآخر وقال للذي
ظن انه ناج منهما الظان هو يوسف عليه السلام ان كان تاويله بطريقة الاجتهاد وان كان بطريق
الوحي فان الظان هو الشرابي ويكون الظن بمعنى اليقين اذكرني عند ربك صفني عند الملك
بصفتي وقص عليه قصتي لعله يرحمني ويخلصني من هذه الورطة فانسيه الشيطان فانسي الشرابي
ذكر ربه ان يذكره لربه يعني ذكره لربه او عند ربه او فانسي يوسف ذكر الله حين وكل امره الى
غيره وفي الحديث رحم الله اخي يوسف لو لم يقل اذكرني عند ربك لما لبث في السجن سبعا فلبث

في السجن بضع سنين اي سبعا عند الجمهور وهو ما بين الثلث الى التسع وقال الملك اني ارى سبع
بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات لما دنى فرج يوسف
عليه السلام راى ملك مصر الريان بن الوليد رويا عجيبة هايلة راى سبع بقرات سمان
خرجن من نهر يابس وسبع بقرات عجاف فابتلعت العجاف السمان وراى سبع سنبلات
خضر قد انعقد حبها وسبعا اخر يابسات قد استحصدت وادركت فالتوت اليابسات
على الخضر حتى غلبن عليها فاستعبرها فلم يجد في قومه من يحسن عبارتها قيل كان ابتداء
بلاء يوسف في الرويا ثم كان سبب نجاته ايضا الرويا سمان جمع سمين او سمينة والعجاف
المهازيل والعجف الهزال الذي ليس بعده سمانة والسبب في وقوع عجاف جمعا للعجفاء وافعل
وفعلاء لا يجمعان وعلى فعال حمله على نقيضه وهو سمان ومن دابهم حمل النظير على النظير
والنقيض على النقيض وفي الاية دلالة على ان السنبلات اليابسة كانت سبعا كالخضرة
فان الكلام مبني على انصبابه الى هذا العدد في البقرات السمان والعجاف والسنابل الخضر فوجب
ان يتناول معنى الآخر السبع ويكون قوله واخر يابسات بمعنى وسبعا اخر يا ايها الملأ كانه
اراد الاعيان من العلماء والحكماء افتوني في روياي ان كنتم للرويا تعبرون اللام في الرويا
للبيان وكقوله وكانوا فيه من الزاهدين او لان المفعول به اذا تقدم على الفعل لم يكن في
قوته على العمل فيه مثله اذا تاخر فيه فعضد بها تقول عبرت الرويا وللرويا عبرت او يكون
للرويا خبر كان كقولك كان فلان لهذا الامر اذا كان مستقلا به متمكنا منه وتعبرون خبر
آخر او حال وحقيقة عبرت الرويا ذكرت عاقبتها وآخر امرها كما تقول عبرت النهر اذا
قطعته حتى تبلغ آخر عرضه وهو عبره ونحوه اولت الرويا اذا ذكرت مآلها ومرجعها و
عبرت الرويا بالتخفيف هو الذي اعتمده الاثبات ورايتهم ينكرون عبرت بالتشديد
والتعبير والمعبر قالوا اضغاث احلام اي هي اضغاث احلام اي تخاليطها واباطيلها و
ما يكون منها من حديث نفس او وسوسة شيطان واصل الاضغاث ما جمع من اخلاط النبات
وحزم الواحد ضغث فاستعيرت لذلك والاضافة بمعنى من اي اضغاث من احلام وانما
جمع وهو حلم واحد تزيدا في وصف الحلم بالبطلان وجاز ان يكون قد قص عليهم مع هذه

الرويا رويا غيره وما نحن بتاويل الاحلام بعالمين اراد وا بالاحلام المنامات الباطلة فقالوا
ليس لها عندنا تاويل انما التاويل للمنامات الصحيحة او اعترفوا بقصور علمهم وانهم ليسوا في تاويل
الاحلام بنحارير وقال الذي نجا من القتل منهما من صاحبي السجن وادكر بالدال هو الفصيح و
اصله اذتكر فابدلت الذال دالا والتاء دالا وادغمت الاولى في الثانية لتقارب الحرفين و
عن الحسن واذكر ووجهه انه قلب التاء ذالا وادغمت اي تذكر يوسف وما شاهد منه
بعد امة بعد مدة طويلة وذلك انه حين استفتى الملك في روياه واعضل على الملاء
تاويلها فذكر الناجي يوسف وتاويله اعضل الامر اشتد واستغلق وامر معضل لا يهتدى
لوجهه ورويا صاحبه وطلبه اليه ان يذكره عند الملك انا انبئكم بتاويله انا اخبركم به عمن
عنده علمه فارسلون وبالياء يعقوب اي فابعثوني اليه لاسأله فارسلوه الى يوسف
فاتاه فقال يوسف ايها الصديق ايها البليغ في الصدق وانما قال له ذلك لانه ذاق احواله
وتعرف صدقه في تاويل روياه ورويا صاحبه حيث جاء كما تاول افتنا في سبع بقرات
سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات لعلي ارجع الى الناس الى الملك
واتباعه لعلهم يعلمون فضلك ومكانك من العلم فيطلبوك ويخلصوك من محنتك قال
تزرعون سبع سنين هو خبر في معنى الامر كقوله تومنون بالله واليوم الاخر وتجاهدون
دليله قوله فذروه في سنبله وانما يخرج الامر في صورة الخبر للمبالغة في وجود المامور به
فيجعل كانه موجود فهو مخبر عنه دابا بسكون الهمزة وحفص بحركة وهما مصدر داب
في العمل وهو حال من المامورين اي دائبين فما حصدتم فذروه في سنبله كيلا ياكله السوس
الا قليلا مما تاكلون في تلك السنين ثم ياتي من بعد ذلك سبع شداد ياكلن من الاسناد
المجازي جعل اكل اهلهن مسندا اليهن ما قدمتم لهن اي في السنين المخصبة الا قليلا مما تحصنون
تحرزون وتخباون ثم ياتي من بعد ذلك اي من اربعة عشر سنة عام فيه يغاث الناس من الغوث
اي يجاب مستغيثهم او من الغيث اي يمطرون يقال غيثت البلاد اذا امطرت وفيه يعصرون
العنب والزيتون والسمسم فيتخذون الاشربة والادهان تعصرون حمزة وعلي تاول
البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخاصيب والعجاف واليابسات بسنين مجدبة

ثم بشرهم بعد الفراغ من تاويل الرويا بان العام الثامن يجيئ مباركا كثير الخير غزير
النعم وذلك من جهة الوحي وقال الملك ايتوني به فلما جاءه الرسول ليخرجه من السجن
قال ارجع الى ربك الى الملك فسأله ما بال النسوة اي حال النسوة اللاتي قطعن ايديهن
انما تثبت وتانى من اجابة الملك وقدم سوال النسوة ليظهر براءة ساحته عما قرن به وسجن
فيه لئلا يتسلق به الحاسدون الى تقبيح امره عنده ويجعلوه سلما الى حط منزلته لديه و
لئلا يقولوا ما خلد في السجن سبع سنين الا لامر عظيم وجرم كبير وفيه دليل على ان
الاجتهاد في نفي التهم واجب وجوب اتقاء الوقوف في مواقفها وقال عليه السلام لقد
عجبت في يوسف وكرمه وصبره والله يغفر له حين سئل عن البقرات العجاف والسمان
ولو كنت مكانه ما اخبرتهم حتى اشترط ان يخرجوني ولقد عجبت منه حين اتاه الرسول
فقال ارجع الى ربك ولو كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبث لاسرعت الاجابة وبادرتهم
الباب ولما ابتغيت العذر ان كان لحليما ذا اناة ومن كرمه وحسن ادبه انه لم يذكر سيدته
مع ما صنعت به وتسببت فيه من السجن والعذاب واقتصر على ذكر المقطعات ايديهن
ان ربي بكيدهن عليم اي ان كيدهن عظيم لا يعلمه الا الله وهو يجازيهن عليه فرجع الرسول
الى الملك من عند يوسف برسالته فدعا الملك النسوة المقطعات ايديهن ودعا امراة
العزيز قال لهن ما خطبكن ما شانكن اذ راودتن يوسف عن نفسه هل وجدتن منه ميلا
لكن قلن حاش لله تعجبا من قدرته على خلق عفيف مثله ما علمنا عليه من سوء من ذنب
قالت امراة العزيز الان حصحص الحق ظهر واستقر انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين
في قوله هي راودتني عن نفسي ولا مزيد على شهادتهن له بالبراءة والنزاهة واعترافهن
على انفسهن بانه لم يتعلق بشيء مما قرف به ثم رجع الرسول الى يوسف واخبره بكلام
النسوة واقرار امراة العزيز وشهادتها على نفسها فقال يوسف ذلك اي امتناعي من
الخروج والتثبت لظهور البراءة ليعلم العزيز اني لم اخنه بالغيب بظهر الغيب في حرمته
وبالغيب حال من الفاعل او المفعول على معنى وانا غائب عنه او وهو غائب عني او ليعلم
الملك اني لم اخن العزيز وان الله ليعلم ان الله لا يهدي كيد الخائنين لا يسدده كانه تعريض

بامراته في خيانتها امانته زوجها ثم اراد ان يتواضع لله ويهضم نفسه لئلا يكون لها مزكيا ولبيان
ان ما فيه من الامانة بتوفيق الله وعصمته فقال وما ابرئ نفسي من الزلل وما اشهد لها بالبراءة
الكلية ولا ازكيها في عموم الاحوال او في هذه الحادثة لما ذكرنا من الهم الذي هو الخطرة
البشرية لا من طريق القصد والعزم ان النفس لامارة بالسوء اراد الجنس اي ان هذا الجنس
يامر بالسوء ويحمل عليه بما فيه من الشهوات الا ما رحم ربي الا البعض الذي رحمه ربي
بالعصمة ويجوز ان يكون ما رحم في معنى الزمان اي الا وقت رحمة ربي يعني انها امارة بالسوء
في كل وقت الا وقت العصمة او هو استثناء منقطع اي ولكن رحمة ربي هي تصرف الاساءة
وقيل هو من كلام امراة العزيز اي ذلك الذي قلت ليعلم يوسف اني لم اخنه ولم اكذب
عليه في حال الغيبة وجئت بالصدق فيما سئلت عنه وما ابرئ نفسي مع ذلك من الخيانة
فاني قد خنته حين قرفته وقلت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن واودعته السجن
تريد الاعتذار مما كان منها ان كل نفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي الا نفسا رحمها الله بالعصمة
كنفس يوسف ان ربي غفور رحيم استغفرت ربها واسترحمته مما ارتكبت وانما جعل من
كلام يوسف ولا دليل عليه ظاهر لان المعنى يقود اليه وقيل هذا من تقديم القران وتاخيره
اي قوله ليعلم متصل بقوله فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن وقال الملك ائتوني به
استخلصه لنفسي اجعله خالصا لنفسي فلما كلمه وشاهد منه ما لم يحتسب قال الملك ليوسف
انك اليوم لدينا مكين ذو مكانة ومنزلة امين مؤتمن على كل شيء روي ان الرسول جاءه و
معه سبعون حاجبا وسبعون مركبا وبعث اليه لباس الملوك فقال اجب الملك فخرج من
السجن ودعا لاهله اللهم اعطف عليهم قلوب الاخيار ولا تعم عليهم الاخبار فهم اعلم الناس
بالاخبار في الواقعات وكتب على باب السجن هذه منازل البلوى وقبور الاحياء وشماتة
الاعداء وتجربة الاصدقاء ثم اغتسل وتنظف من درن السجن ولبس ثيابا جددا فلما دخل
على الملك قال اللهم اني اسالك بخيرك من خيره واعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه
ودعا له بالعبرانية فقال ما هذا اللسان قال لسان ابائي وكان الملك يتكلم بسبعين لسانا
فكلمه بها فاجابه بجميعها فتعجب منه فقال ايها الصديق اني احب ان اسمع رؤياي منك قال

رايت سبع بقرات فوصف لونهن واحوالهن ومكان خروجهن ووصف السنابل وما
كان فيها على الهيئة التي راها الملك وقال له من حقك ان تجمع الطعام بالاهراء فياتيك
الخلق من النواحي ويمتارون عنك ويجتمع لك الكنوز ما لم يجتمع لاحد قبلك قال
الملك ومن لي بهذا ومن يجمعه قال يوسف اجعلني على خزائن الارض ولني خزائن
ارضك يعني مصر اني حفيظ امين احفظ ما تستحفظنيه عليم عالم بوجوه التصرف ووصف
نفسه بالامانة والكفاية وهما طلبة الملوك ممن يولونه وانما قال ذلك ليتوصل الى
امضاء احكام الله واقامة الحق وبسط العدل والتمكن مما لاجله بعث الانبياء الى
الانبياء الى العباد ولعلمه ان احدا غيره لا يقوم مقامه في ذلك فطلبه ابتغاء وجه الله
لا لحب الملك والدنيا في الحديث رحم الله اخي يوسف لو لم يقل اجعلني على خزائن الارض
لاستعمله في ساعته ولكن اخر ذلك سنة قالوا وفيه دليل على انه يجوز ان يتولى الانسان
عملا من يد سلطان جائر وقد كان السلف يتولون القضاء من جهة الظلمة واذا علم
النبي او العالم انه لا سبيل الى الحكم بامر الله ودفع الظلم الا بتمكين الملك الكافر او الفاسق فله
ان يستظهر به وقيل كان الملك يصدر عن رايه ولا يعترض عليه في كل ما راى فكان في حكم
التابع له وكذلك ومثل ذلك التمكين الظاهر مكنا ليوسف في الارض ارض مصر وكانت
اربعين فرسخا في اربعين والتمكين الاقدار واعطاء المكنة يتبوأ منها حيث يشاء اي
كل مكان اراد ان يتخذه منزلا لم يمنع منه لاستيلائه على جميعها ودخولها تحت سلطانه
نشاء مكي نصيب برحمتنا بعطائنا في الدنيا من الملك والغناء وغيرهما من النعم من نشاء من
اقتضت الحكمة ان نشاء له ذلك ولا نضيع اجر المحسنين في الدنيا ولاجر الاخرة خير للذين
امنوا يعني يوسف وغيره من المؤمنين الى يوم القيمة وكانوا يتقون الشرك والفواحش
قال سفيان بن عيينة المؤمن يثاب على حسناته في الدنيا والاخرة والفاجر يعجل له الخير
في الدنيا وما له في الاخرة من خلاق وقيل لا اثر وكان الملك توجه وختمه بخاتمه ورداه
بسيفه ووضع له سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت فقال له اما السرير فاشد
به ملكك واما الخاتم فادبر به امرك واما التاج فليس من لباسي ولا لباس ابائي فجلس على السرير ودانت

الملك

له الملوك وفوض الملك اليه امره وعزل قطفير ثم مات بعده فزوجه الملك امراته فلما دخل
عليها قال اليس هذا خيرا مما طلبت فوجدها عذراء فولدت له ولدين افرائيم ومنشاء
واقام العدل بمصر واحبه الرجال والنساء واسلم على يديه وكثير من الناس وباع من اهل
مصر في سني القحط الطعام بالدراهم والدنانير في السنة الاولى حتى لم يبق لهم شيء منها
ثم بالحلي والجواهر في الثانية ثم بالدواب في الثالثة ثم بالعبيد والاماء في الرابعة ثم بالدور
والعقار ثم في الخامسة ثم باولادهم في السادسة ثم برقابهم في السابعة حتى استرقهم
جميعا ثم اعتق اهل مصر عن آخرهم ورد عليهم املاكهم وكان لا يبيع لاحد من الممتارين
اكثر من حمل بعير واصاب ارض كنعان نحو ما اصاب مصر فارسل يعقوب بنيه ليمتاروا
وذلك قوله وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم بلا تعريف وهم له منكرون
لتبدل الزي ولانه كان من وراء حجاب ولطول المدة وهو اربعون سنة وروي انه لما
رآهم وكلموه بالعبرانية قال لهم اخبروني من انتم وما شانكم قالوا نحن قوم من اهل الشام
رعاة اصابنا الجهد فجئنا نمتار فقال لعلكم جئتم عيونا تنظرون عورة بلادي قالوا
معاذ الله نحن بنو ابي حزين لفقد ابن كان احبنا اليه وقد امسك اخا له من امه يستانس
به فقال ائتوني به ان صدقتم ولما جهزهم بجهازهم اعطى كل واحد حمل بعير وقرئ بكسر الجيم
شاذا قال ائتوني باخ لكم من ابيكم الا ترون اني اوفي الكيل اتمه وانا خير المنزلين كان قد
احسن انزالهم وضيافتهم رغبهم بهذا الكلام على الرجوع اليه فان لم تاتوني به فلا كيل
لكم عندي فلا ابيعكم طعاما ولا تقربون اي فان لم تاتوني به تحرموا ولا تقربوا فهو داخل
في حكم الجزاء مجزوم معطوف على محل فلا كيل لكم او هو بمعنى النهي قالوا سنراود عنه اباه
سنخادعه عنه ونحتال حتى ننتزعه من يده وانا لفاعلون ذلك لا محالة لا نفرط فيه ولا نتوانى
قال فدعوا بعضكم رهنا فتركوا عنده شمعون وكان احسنهم رايا في يوسف وقال لفتيانه
كوفي غير ابي بكر لفتيته غيرهم وهما جمع فتى كاخوة واخوان في اخ وفعلة للقلة وفعلان
للكثرة اي لغلمانه الكيالين اجعلوا بضاعتهم في رحالهم اوعيتهم وكانت نعالا وادما
او ورقا وهو اليق بالدس في الرحال لعلهم يعرفونها يعرفون حق ردها وحق التكرم باعطاء

البدلين

البدلين اذا انقلبوا الى اهلهم وفرغوا ظروفهم لعلهم يرجعون لعل معرفتهم بذلك تدعوهم الى
الرجوع الينا او ربما لا يجدون بضاعة بها يرجعون او ما فيهم من الديانة يعيدهم لرد الامانة
او لم ير من الكرم ان ياخذ من ابيه واخوته ثمنا فلما رجعوا الى ابيهم بالطعام واخبروه بما فعل
قالوا يا ابانا منع منا الكيل يريدون قول يوسف فان لم تاتوني به فلا كيل لكم عندي لانهم اذا
انذروا بمنع الكيل فقد منع الكيل فارسل معنا اخانا نكتل نرفع المانع من الكيل ونكتل من
الطعام ما نحتاج اليه يكتل حمزة وعلي اي يكتل اخونا فينضم اكتياله الى اكتيالنا وانا له لحافظون
عن ان يناله مكروه قال هل آمنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه من قبل يعني انكم قلتم في يوسف
ارسله معنا غدا يرتع ويلعب وانا له لحافظون كما تقولون في اخيه ثم خنتم بضمانكم فما
يؤمنني من مثل ذلك ثم قال فالله خير حافظا كوفي غير ابي بكر فتوكل على الله ودفعه اليهم
وهو حال تمييز ومن قرا حفظا فهو تمييز لا غير وهو ارحم الراحمين فارجو ان ينعم علي بحفظه
ولا يجمع علي مصيبتين قال كعب لما قال فالله خير حافظا قال الله تعالى بعزتي وجلالي لاردن
عليك كليهما ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم قالوا يا ابانا ما نبغي ما للنفي
اي ما نبغي في القول ولا نتجاوز الحق او ما نبغي شيئا وراء ما فعل بنا من الاحسان او ما نريد
منك بضاعة اخرى او للاستفهام اي اي شيء نطلب وراء هذا هذه بضاعتنا ردت الينا
جملة مستانفة موضحة لقوله ما نبغي والجمل بعدها معطوفة عليها اي ان بضاعتنا ردت
الينا فنستظهر بها ونمير اهلنا في رجوعنا الى الملك اي نجلب لهم الميرة وهو طعام يحمل من
غير بلدك ونحفظ اخانا في ذهابنا ومجيئنا فما يصيبه شيء مما تخافه ونزداد باستصحاب
اخينا كيل بعير وسق بعير ذلك كيل يسير سهل عليه متيسر لا يتعاظمه قال لن ارسله معكم
حتى تؤتون وبالياء مكي موثقا عهدا من الله والمعنى حتى تعطوني ما اتوثق به من عند الله
اراد ان يحلفوا له بالله وانما جعل الحلف بالله موثقا منه لان الحلف به مما يؤكد به العهود
وقد اذن الله في ذلك فهو اذن منه لتاتنني به جواب اليمين لان المعنى حتى تحلفوا لتاتنني
به الا ان يحاط بكم الا ان تغلبوا فلم تطيقوا الاتيان به فهو مفعول له والكلام المثبت وهو
قوله لتاتنني به في تاويل النفي اي لا تمتنعون من الاتيان به الا للاحاطة بكم يعني لا تمتنعون

منه لعلة من العلل الا لعلة واحدة وهو ان يحاط بكم فهو استثناء من اعم العام في
المفعول له والاستثناء من اعم العام لا يكون الا في النفي فلا بد من تاويله بالنفي فلما آتوه موثقهم
قيل حلفوا بالله رب محمد وقال بعضهم سكت عليه لان المعنى قال يعقوب الله على ما نقول
من طلب الموثق واعطائه وكيل رقيب مطلع غير ان السكتة تفصل بين القول والمقول
وذا لا يجوز فالاولى ان يفرق بينهما بالصوت فيقصد بقوة النغمة اسم الله وقال يا بني
لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة الجمهور على انه خاف عليهم العين
لجمالهم وجلالة امرهم ولم يامرهم بالتفرق في الكرة الاولى لانهم كانوا مجهولين في الكرة
الاولى فالعين حق عندنا ووجهه بان يحدث الله تعالى عند النظر الى الشيء والاعجاب به
نقصانا فيه وخللا وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسن والحسين فيقول اعيذكما بكلمات
الله التامة من كل شيطان هامة ومن كل عين لامة وانكر الجبائي العين وهو مردود بما
ذكرنا وقيل احب ان لا يفطن بهم اعداؤهم فلا يحتالون لاهلاكهم وما اغني عنكم من الله
من شيء اي ان كان الله اراد بكم سوءا لم ينفعكم ولم يدفع عنكم ما اشرت به عليكم من التفرق
وهو مصيبكم لا محالة ان الحكم الا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون التوكل تفويض
الامر الى الله تعالى والاعتماد عليه ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم اي متفرقين ما كان يغني
عنهم دخولهم من ابواب متفرقة من الله من شيء اي شيئا قط حيث اصابهم ما ساءهم
مع تفرقهم من اضافة السرقة اليهم وافتضاحهم بذلك واخذ اخيهم بوجدان الصواع في
رحله وتضاعف المصيبة على ابيهم الا حاجة استثناء منقطع اي ولكن حاجة في نفس يعقوب
قضيها وهي شفقته عليهم وانه لذو علم يعني قوله وما اغني عنكم وعلمه بان القدر لا يغني عنه
الحذر لما علمناه لتعليمنا اياه ولكن اكثر الناس لا يعلمون ذلك ولما دخلوا على يوسف آوى
اليه اخاه ضم اليه بنيامين فروي انهم قالوا له هذا اخونا قد جئناك به فقال لهم احسنتم
فانزلهم واكرمهم ثم اضافهم واجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقي بنيامين وحده فبكى وقال
لو كان اخي يوسف حيا لاجلسني معه فقال يوسف بقي اخوكم وحيدا فاجلسه معه على مائدته
وجعل يواكله وقال اتحب ان اكون اخاك بدل اخيك الهالك قال من يجد اخا مثلك ولكن

لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف وعانقه ثم قال اني انا اخوك يوسف فلا تبتئس
فلا تحزن بما كانوا يعملون بنا فيما مضى فان الله قد احسن الينا وجمعنا على خير ولا تعلمهم
بما اعلمتك وروي انه قال له فانا لا افارقك قال قد علمت اغتمام والدي بي فاذا حبستك
ازداد غمه ولا سبيل الى ذلك الا ان انسبك الى ما لا يحمل قال لا ابالي فافعل ما بدا لك قال لا ابالي
فافعل ما بدا لك قال فاني ادس صاعي في رحلك ثم انادي عليك بانك سرقته ليتهيا لي ردك
بعد تسريحك معهم فقال افعل فلما جهزهم بجهازهم هيا اسبابهم واوفى الكيل لهم جعل السقاية
هي مشربة يسقى بها وهي الصواع قيل كان يسقى بها الملك ثم جعلت صاعا يكال به لعزة الطعام
وكان يشبه الطاس من ذهب او فضة في رحل اخيه ثم اذن مؤذن ثم نادى مناد آذنه اي اعلمه
واذن اكثر الاعلام ومنه المؤذن لكثرة ذلك منه روي انهم ارتحلوا وامهلهم يوسف عليه السلام
حتى انطلقوا ثم امر بهم فادركوا وحبسوا ثم قيل لهم ايتها العير هي الابل التي عليها الاحمال لانها
تعير اي تذهب وتجيء والمراد اصحاب العير انكم لسارقون كناية عن سرقتهم اياه من ابيه قالوا
واقبلوا عليهم ماذا تفقدون قالوا نفقد صواع الملك هو الصاع ولمن جاء به حمل بعير
وانا به زعيم يقوله المؤذن يريد وانا بحمل البعير كفيل اوديه الى من جاء به واراد وسق
بعير من طعام جعلا لمن حصله قالوا تالله قسم فيه معنى التعجب مما اضيف اليهم لقد علمتم
ما جئنا لنفسد في الارض استشهدوا بعلمهم لما ثبت عندهم من دلائل دينهم وامانتهم حيث
دخلوا وافواه رواحلهم مشدودة لئلا تتناول زرعا او طعاما لاحد من اهل السوق ولانهم
ردوا بضاعتهم التي وجدوها في رحالهم وما كنا سارقين وما كنا نوصف قط بالسرقة قالوا
فما جزاؤه ان كنتم كاذبين الضمير للصواع اي فما جزاء سرقته ان كنتم كاذبين في جحودكم
وادعائكم البراءة منه قالوا جزاؤه من وجد في رحله اي جزاء سرقته اخذ من وجد في رحله
وكان حكم السارق في آل يعقوب ان يسترق سنة فلذلك استفتوا في جزائه وقولهم فهو جزاؤه
تقرير للحكم اي فاخذ السارق نفسه هو جزاؤه لا غير جزاؤه او مبتداء والجملة الشرطية كما هي
خبره كذلك نجزي الظالمين اي السراق بالاسترقاق فبدا باوعيتهم قبل وعاء اخيه بتفتيش
اوعيتهم قبل وعاء بنيامين لنفي التهمة حتى بلغ وعاءه فقال ما اظن هذا اخذ شيئا فقالوا

والله لا نترك حتى تنظر في رحله فانه اطيب لنفسك وانفسنا ثم استخرجها اي الصواع من وعاء في
اخيه ذكر ضمير الصاع مرات ثم انثه لان التانيث يرجع الى السقاية او لان الصاع يذكر ويؤنث كذا
في كذلك في محل النصب اي مثل ذلك الكيد العظيم كدنا ليوسف يعني علمناه اياه ما كان ليأخذ
اخاه في دين الملك تفسير للكيد وبيان لان الحكم في دين الملك اي في سيرته للسارق ان يغرم
مثلي ما اخذ لا ان يستعبد الا ان يشاء الله اي ما كان يأخذه الا بمشية الله وارادته فيه نرفع
درجات بالتنوين كوفي من نشاء اي في العلم كما رفعنا درجة يوسف فيه وفوق كل ذي علم
عليم فوقه ارفع درجة منه في علمه او فوق العلماء كلهم عليم هم دونه في العلم وهو الله عز وجل
قالوا ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل ارادوا يوسف قيل دخل كنيسة فاخذ تمثالا صغيرا
من ذهب كانوا يعبدونه فدفنه وقيل كانت في المنزل دجاجة فاعطاها السائل وقيل كانت
منطقة لابراهيم عليه السلام يتوارثها اكابر ولده فورثها اسحق ثم وقعت الى ابنته وكانت
اكبر اولاده فحضنت يوسف وهي عمته بعد وفات امه وكانت لا تصبر عنه فلما شب اراد
يعقوب ان ينتزعه منها فعمدت الى المنطقة فحزمتها على يوسف تحت ثيابه وقالت فقدت
منطقة اسحق فانظروا من اخذها فوجدوها محزومة على يوسف فقالت انه لي سلم افعل
به ما شئت فخلاه يعقوب عندها حتى ماتت وروي انهم لما استخرجوا الصاع من رحل بنيامين
نكس اخوته رؤسهم حياء واقبلوا عليه وقالوا فضحتنا وسودت وجوهنا يا بني راحيل ما
يزال لنا منكم بلاء متى اخذت هذا الصاع فقال بنو راحيل الذين لا يزال منكم عليهم بلاء ذهبتم
باخي فاهلكتموه ووضع هذا الصاع في رحلي الذي وضع البضاعة في رحالكم فاسرها اي مقالتهم
انه سرق كانه لم يسمعها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم قال انتم شر مكانا تميز اي انتم شر منزلة
في السرق لانكم سرقتم اخاكم يوسف من ابيه والله اعلم بما تصفون تقولون او تكذبون
قالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا في السن او في القدر فخذ احدنا مكانه بدله على وجه
الاسترهان او الاستعباد فان اباه يتسلى به عن اخيه المفقود انا نريك من المحسنين الينا فاتمم
احسانك او من عادتك الاحسان فاجر على عادتك ولا تغيرها قال معاذ الله ان ناخذ الا من
وجدنا متاعنا عنده اي نعوذ بالله معاذا من ان ناخذ فاضيف المصدر الى المفعول به وحذف

منطقة

من انا اذا لظالمون اذا جواب لهم وجزاء لان المعنى ان اخذنا بدله ظلمنا وهذا لانه وجب
على قضية فتواكم اخذ من وجد الصواع في رحله واستعباده فلو اخذنا غيره كان ذلك ظلما
في مذهبكم فلم تطلبون ما عرفتم انه ظلم فلما استيأسوا يئسوا وزيادة السين والتاء للمبالغة
كما مر في استعصم منه من يوسف واجابته اياهم خلصوا انفردوا عن الناس خالصين لا
يخالطهم سواهم نجيا ذوي نجوى او فوجا نجيا اي مناجيا المناجاة بعضهم بعضا اي تمحضوا
تناجيا لاجتماعهم لذلك وافاضتهم فيه بجدوا اهتمام كانهم في انفسهم صورة التناجي وحقيقته
فالنجي يكون بمعنى المناجي كالسمير بمعنى المسامر وبمعنى المصدر الذي هو التناجي وكان تناجيهم
في تدبير امرهم على اي صفة يذهبون وماذا يقولون لابيهم في شان اخيهم قال كبيرهم في السن
وهو روبيل او في العقل والراي وهو يهوذا او رئيسهم وهو شمعون الم تعلموا ان اباكم
قد اخذ عليكم موثقا من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف ما صلة اي ومن قبل هذا قصرتم في
شان يوسف ولم تحفظوا عهد ابيكم او مصدرية ومحل المصدر الرفع على الابتداء وخبره
الظرف وهو من قبل ومعناه ووقع من قبل تفريطكم في يوسف فلن ابرح الارض فلن افارق
ارض مصر حتى ياذن لي ابي في الانصراف اليه او يحكم الله لي بالخروج منها او بالموت او بقتالهم
وهو خير الحاكمين لانه لا يحكم الا بالعدل ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق
وقرئ سرق اي نسب الى السرقة وما شهدنا عليه بالسرقة الا بما علمنا من سرقته وتيقنا
اذ الصواع استخرج من وعائه وما كنا للغيب حافظين وما علمنا انه يسرق حين اعطيناك
الموثق واسأل القرية التي كنا فيها يعني مصر اي ارسل الى اهلها فاسألهم عن كنه القصة
والعير التي اقبلنا فيها واصحاب العير وكانوا قوما من كنعان من جيران يعقوب وانا لصادقون
في قولنا فرجعوا الى ابيهم فقالوا له ما قال لهم اخوهم قال بل سولت لكم انفسكم امرا اردتموه
والا فمن ادرى ذلك الرجل ان السارق يسترق لولا فتواكم وتعليمكم فصبر جميل عسى الله ان ياتيني
بهم جميعا بيوسف واخيه وكبيرهم انه هو العليم بحالي في الحزن والاسف الحكيم الذي لم يبتلني
بذلك الا لحكمة وتولى عنهم واعرض عنهم كراهة لما جاؤا به وقال يا اسفى على يوسف اضاف
الاسف وهو اشد الحزن والحسرة الى نفسه والالف بدل من ياء الاضافة والتجانس بين الاسف

ويوسف غير متكلف ونحوه أنا قلتم الى الارض رضيتم وهم ينهون عنه وينأون عنه ويحسبون
انهم يحسنون صنعا من سابنباء وانما تأسف على يوسف دون اخيه وكبيرهم لتمادى اسفه
على يوسف دون الآخرين وفيه دليل على ان الرزء فيه مع تقادم عهده كان غضا عنده
طريا وابيضت عيناه اذا كثر الاستعبار محقت العبرة سواد العين وقلبته الى بياض كدر قيل
قد عمي بصره وقيل كان يدرك ادراكا ضعيفا من الحزن كان الحزن سبب البكاء الذى حدث منه
البياض فكأنه حدث من الحزن قيل ما جفت عينا يعقوب من وقت فراق يوسف الى حين
لقائه ثمانين عاما وما على وجه الارض اكرم على الله من يعقوب ويجوز للنبى ان يبلغ به
الجزع ذلك المبلغ لان الانسان مجبول على ان لا يملك نفسه عند الحزن فلذلك حمد صبره
ولقد بكى رسول الله عليه الصلوة والسلام على ولده ابراهيم وقال القلب يجزع والعين
تدمع ولا نقول ما يسخط الرب به وانا عليك يا ابراهيم لمحزونون وانما المذموم الصياح
والنياحة ولطم الصدور والوجوه وتمزيق الثياب فهو كظيم مملوء من الغيظ على اولاده
ولا يظهر ما يسوءهم فعيل بمعنى مفعول بدليل قوله اذ نادى وهو مكظوم من كظم السقاء
اذا شده على ملئه قالوا تالله تفتؤ اى لا تفتؤ فحذف حرف النفى لانه لا يلتبس اذ لو كان اثباتا
لم يكن بد من اللام والنون ومعنى لا تفتؤ لا تزال تذكر يوسف حتى تكون حرضا مشفيا على
الهلاك مرضا او تكون من الهالكين قال انما اشكو بثى وحزنى الى الله البث اصعب الهم
الذى لا يصبر عليه صاحبه فيبثه الى الناس اى ينشره اى لا اشكو الى احد منكم ومن غيركم انما
اشكو الى ربى داعيا له وملتجاء اليه فخلونى وشكايتى وروى انه اوحى الى يعقوب انما وجدت
عليكم لانكم ذبحتم شاة فقام ببابكم مسكين فلم تطعموه وان احب خلقى الى الانبياء ثم
المساكين فاصنع طعاما وادع عليه المساكين وقيل اشترى جارية مع ولدها فباع ولدها
فبكت حتى عميت واعلم من الله ما لا تعلمون واعلم من رحمته انه يأتينى بالفرج من حيث
لا احتسب وروى انه راى ملك الموت فى منامه فسأله هل قبضت روح يوسف فقال والله
هو حى فاطلبه وعلمه هذا الدعاء يا ذا المعروف الدائم الذى لا ينقطع ابدا ولا يحصيه غيره فرج
عنى يا بنى اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه فتعرفوا منهما وتطلبوا اخبارهما وهو تفعل

من الاحساس وهو المعرفة ولا تيأسوا من روح الله ولا تقنطوا من رحمة الله وفرجه
انه ان الامر والشأن لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون لان من آمن يعلم انه متقلب
فى رحمة الله ونعمته واما الكافر فلا يعرف رحمة الله ولا تقلبه فى رحمته فييأس من رحمته
فخرجوا من عند ابيهم راجعين الى مصر فلما دخلوا عليه على يوسف قالوا يا ايها العزيز
مسنا واهلنا الضر الهزال من الشدة والجوع وجئنا ببضاعة مزجاة مدفوعة يدفعها
كل تاجر رغبة عنها واحتقارا لها من ازجيته اذا دفعته وطردته قيل كانت دراهم زيوفا
لا تؤخذ الا بوضيعة وقيل كانت صوفا وسمنا فأوف لنا الكيل الذى هو حقنا وتصدق
علينا وتفضل علينا بالمسامحة والاغماض عن رداءة البضاعة او زدنا على حقنا او هب لنا
اخانا ان الله يجزى المتصدقين ولما قالوا مسنا واهلنا الضر وتضرعوا اليه وطلبوا اليه
ان يتصدق عليهم ارفضت عيناه ولم يتمالك ان عرفهم نفسه حيث قال هل علمتم ما فعلتم اى
هل علمتم قبح ما فعلتم بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون لا تعلمون قبحه او اذ انتم فى حد السفه
والطيش وفعلهم باخيه تعريضهم اياه للغم بافراده عن اخيه لابيه وامه وايذاؤهم اى بانواع
الاذى قالوا ائنك لانت يوسف كوفى وشامى لانت يوسف اللام لام الابتداء وانت مبتدأ
ويوسف خبره والجملة خبر ان قال انا يوسف وهذا اخى وانما ذكر اخاه وهم قد سألوه عن
نفسه لانه كان فى ذكر اخيه بيان لما سألوه عنه قد من الله علينا بالالفة بعد الفرقة ذكر نعمة
الله بالسلامة والكرامة ولم يبدأ بالملامة انه من يتق الفحشاء ويصبر عن المعاصى وعلى
الطاعات فان الله لا يضيع اجر المحسنين اى اجرهم فوضع المحسنين موضع الضمير لاشتماله
على المتقين وقيل من يتق مولاه ويصبر على بلواه لا يضيع اجره فى دنياه وعقباه قالوا تالله
لقد آثرك الله علينا اختارك وفضلك علينا بالعلم والحلم والتقوى والصبر والحسن و
ان كنا لخاطئين وان شأننا وحالنا انا كنا خاطئين متعمدين للاثم لم نتق ولم نصبر لا جرم
ان الله اعزك بالملك واذلنا بالتمسكن بين يديك قال لا تثريب عليكم لا تعيير عليكم اليوم
متعلق بالتثريب او بيغفر والمعنى لا اثربكم اليوم وهو اليوم الذى هو مظنة التثريب فما
ظنكم بغيره من الايام ثم ابتدأ فقال يغفر الله لكم فبشرهم بمغفرة ما فرط منهم يقال غفر الله

لك ويغفر الله لكم على لفظ الماضي والمضارع او اليوم يغفر لكم بشارة بعاجل غفران الله
وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ بعضادتي باب الكعبة يوم الفتح فقال لقريش
ما ترونني فاعلا بكم قالوا نظن خيرا اخ كريم وابن اخ كريم وقد قدرت فقال اقول ما قال
اخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم وروى ان ابا سفيان لما جاء ليسلم قال له العباس اذا اتيت
الرسول فاتل عليه قال لا تثريب عليكم اليوم ففعل فقال رسول الله عليه الصلوة والسلام
غفر الله لك ولمن علمك وروى ان اخوته لما عرفوه ارسلوا اليه انك تدعونا الى طعامك
بكرة وعشيا ونحن نستحيي منك لما فرط منا فيك فقال يوسف ان اهل مصر وان ملكت
فيهم فانهم ينظرون الي بالعين الاولى ويقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما
ما بلغ ولقد شرفت الآن بكم حيث علم الناس اني من حفدة ابراهيم عليه السلام وهو ارحم
الراحمين اي اذا رحمتكم وانا الفقير القتور فما ظنكم بالغني الغفور ثم سالهم عن حال ابيه
فقالوا انه عمي من كثرة البكاء اذهبوا بقميصي هذا قيل هو القميص المتوارث الذي كان في
تعويذ يوسف وكان من الجنة امره جبرئيل ان يرسله اليه فان فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلى
ولا سقيم الا عوفي فالقوه على وجه ابي يأت بصيرا يصر بصيرا تقول جاء البناء فحكما اي
صار او يأت الي وهو بصير قال يهوذا انا احمل قميص الشفاء كما ذهبت بقميص الجفاء وقيل
حمله وهو حاف حاسر من مصر الى كنعان وبينهما مسيرة ثمانين فرسخا واتوني باهلكم اجمعين
لينعموا بآثار ملكي كما اغتموا باخبار هلكي ولما فصلت العير خرجت من عريش مصر يقال
فصل من البلد فصولا اذا انفصل منه وجاوز حيطانه قال ابوهم لولده ومن حوله من
قومه اني لاجد ريح يوسف اوجده الله ريح القميص حين اقبل من مسيرة ثمانية ايام لولا
ان تفندون التفنيد النسبة الى الفند وهو الخرف وانكار العقل من هرم يقال شيخ مفند
والمعنى لولا تفنيدكم اياي لصدقتموني قالوا اي اسباطه تالله انك لفي ضلالك القديم لفي ذهابك
عن الصواب قدما في افراط محبتك ليوسف او في خطائك القديم من حب يوسف وكان
عندهم انه قد مات فلما ان جاء البشير اي يهوذا القيه على وجهه طرح البشير القميص على وجه
يعقوب او القاه يعقوب فارتد فرجع بصيرا يقال رده فارتد وارتده اذا ارتجعه قال

الم اقل لكم يعني قوله اني لاجد ريح يوسف وقوله ولا تيأسوا من روح الله وقوله اني اعلم من
الله ما لا تعلمون كلام مبتدأ لم يقع عليه القول ووقع عليه والمراد قوله انما اشكو بثي وحزني
الى الله واعلم من الله ما لا تعلمون وروى انه سال البشير كيف يوسف فقال هو ملك مصر
قال ما اصنع بالملك على اي دين تركته قال على دين الاسلام قال الآن تمت النعمة قالوا يا ابانا
استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين سأل الله مغفرة ما ارتكبنا في حقك وحق ابنك انا
تبنا واعترفنا بالخطايا انا قال سوف استغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم اخر الاستغفار
الى وقت السحر او الى ليلة الجمعة او ليتعرف حالهم في صدق التوبة او الى ان يسال يوسف
هل عفا عنهم ثم ان يوسف وجه الى ابيه جهازا ومائتي راحلة ليتجهز اليه بمن معه فلما بلغ
قريبا من مصر خرج يوسف والملك في اربعة آلاف من الجند والعظماء واهل مصر باجمعهم
فتلقوا يعقوب وهو يمشي يتوكأ على يهوذا فلما دخلوا على يوسف اوى اليه ضم اليه ابويه
واعتنقهما قيل كانت امه باقية وقيل ماتت امه وتزوج خالته والخالة ام كما ان العم اب ومنه
قوله تعالى واله ابائك ابراهيم واسمعيل واسحق ومعنى دخولهم عليه قبل دخولهم مصر انه
حين استقبلهم نزل لهم في مضرب او قصر كان له ثم فدخلوا عليه وضم اليه ابويه وقال ادخلوا
مصر ان شاء الله آمنين من ملوكها وكانوا لا يدخلونها الا بجواز او من القحط وروى انه لما
لقيه قال يعقوب السلام عليك يا مذهب الاحزان وقال يوسف يا ابت بكيت علي حتى
ذهب بصرك الم تعلم ان القيامة تجمعنا فقال بلى ولكن خشيت ان يسلب دينك فيحال
بيني وبينك وقيل ان يعقوب وولده دخلوا مصر وهم اثنان وسبعون ما بين رجل وامراة
وخرجوا منها مع موسى ومقاتلتهم ستمائة الف وخمسمائة وبضعة وسبعون رجلا سوى
الذرية والهرمى وكانت الذرية الف الف ومائتي الف ورفع ابويه على العرش وخروا له
سجدا قيل لما دخلوا مصر وجلس في مجلسه مستويا على سريره واجتمعوا اليه اكرم ابويه
فرفعهما على السرير وخروا له يعني الاخوة الاحد عشر والابوين سجدا وكانت السجدة
عندهم جارية مجرى التحية والتكرمة كالقيام والمصافحة وتقبيل اليد وقال الزجاج سنة
التعظيم في ذلك الوقت ان يسجد للمعظم وقيل ما كانت الا انحناء دون تعفير الجباه وخرورهم

سجد اياباه وقيل خروا لاجل يوسف سجد الله شكرا وفيه نبوة ايضا واختلف في استنباهم
وقال يا ابت هذا تاويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا اى رؤياى صادقة وكان بين
الرؤيا وبين التاويل اربعون سنة او ثمانون او ست وثلثون او اثنتا وعشرون وقد
احسن بى يقال احسن اليه وبه وكذلك اساء اليه وبه اذ اخرجنى من السجن ولم يذكر
الجب عملا لقوله لا تثريب عليكم اليوم وجاء بكم من البدو من البادية لانهم كانوا اصحاب
مواش ينتقلون فى المياه والمناجع من بعد ان نزغ الشيطان بينى وبين اخوتى افسد بيننا
واغوى ان ربى لطيف لما يشاء اى لطيف التدبير انه هو العليم الحكيم بتاخير الآمال الى
الآجال وحكم بالايتلاف بعد الاختلاف رب قد اتيتنى من الملك ملك مصر وعلمتنى
من تاويل الاحاديث تفسير كتب الله او تعبير الرؤيا ومن فيهما للتبعيض اذ لم يوت الا
بعض ملك الدنيا وبعض التاويل فاطر السموات والارض انتصابه على النداء انت وليى
فى الدنيا والاخرة انت الذى تتولانى بالنعمة فى الدارين وتوصل الملك الفانى بالملك الباقى
توفنى مسلما طلب للوفاة على حال الاسلام كقول يعقوب لولده فلا تموتن الا وانتم مسلمون
وعن الضحاك مخلصا وعن التسترى مسلما اليك امرى وفى عصمة الانبياء انما دعى به يوسف
ليقتدى به قومه ومن بعده ممن ليس بآمن العاقبة لان ظواهر الانبياء لنظر الامم اليهم
والحقنى بالصالحين من آبائى او على العموم روى ان يوسف اخذ بيد يعقوب فطاف به
فى خزائنه فادخله خزائن الذهب والفضة وخزائن الثياب وخزائن السلاح حتى
ادخله خزانة القراطيس قال بنى ما اعقك عندك هذه القراطيس وما كتبت الى على ثمانى
مراحل قال امرنى جبرئيل قال او ما تساله قال انت ابسط اليه منى فاساله قال جبرئيل الله امرنى
بذلك لقولك واخاف ان ياكله الذئب فهلا خفتنى وروى ان يعقوب اقام معه اربعا
وعشرين سنة ثم مات واوصى ان يدفنه بالشام الى جنب ابيه اسحق فمضى بنفسه ودفنه
ثم ثم عاد الى مصر وعاش بعد ابيه ثلثا وعشرين سنة فلما تم امره طلبت نفسه الملك
الدائم فتمنى الموت وقيل ما تمناه نبى قبله ولا بعده فتوفاه الله طيبا طاهرا فتخاصم اهل
مصر وتشاحوا فى دفنه كل يحب ان يدفن فى محلتهم حتى هموا بالقتال فراوا ان يعملوا له صندوقا

من مرمر وجعلوه فيه ودفنوه فى النيل بمكان يمر عليه الماء ثم يصل الى مصر ليكونوا كلهم فيه شرعا
حتى نقل موسى عليه السلام بعد اربعمائة سنة تابوته الى بيت المقدس وولد له افرائيم وميشا
وولد لافرائيم نون ولنون يوشع فتى موسى ولقد توارثت الفراعنة من العماليق بعده
مصر ولم يزل بنو اسرائيل تحت ايديهم على بقايا دين يوسف وآبائه ذلك اشارة الى ما سبق
من نبا يوسف والخطاب لرسول الله وهو مبتدا من انباء الغيب نوحيه اليك خبران
وما كنت لديهم لدى بنى يعقوب اذ اجمعوا امرهم عزموا على ما هموا به من القاء يوسف فى
البئر وهم يمكرون بيوسف ويبغون له الغوائل والمعنى ان هذا النبا غيب لم يحصل
لك الا من جهة الوحى لانك لم تحضر بنى يعقوب حين اتفقوا على القاء اخيهم فى البئر وما اكثر
الناس ولو حرصت بمؤمنين اراد العموم او اهل مكة اى وما هم بمؤمنين ولو اجتهدت كل الاجتهاد
على ايمانهم وما تسالهم عليه على التبليغ او على القرآن من اجر جعل ان هو الا ذكر ما القرآن الا عظة
من الله للعالمين وحث على طلب النجاة على لسان رسول الله من رسله وكاين من آية من علامة
ودلالة على الخالق وصفاته وتوحيده فى السموات والارض يمرون عليها على الآيات او على
الارض ويشاهدونها وهم عنها عن الآيات معرضون لا يعتبرون بها والمراد ما يرون من
آثار الامم الهالكة وغير ذلك من العبر وما يومن اكثرهم بالله الا وهم مشركون اى وما يومن
اكثرهم فى اقراره بالله وبانه خلقه وخلق السموات والارض الا وهو مشرك بعبادته الوثن
والجمهور على انها نزلت فى المشركين لانهم مقرون بان الله خالقهم ورازقهم واذا حزبهم امر
شديد دعوا الله ومع ذلك يشركون به غيرهم ومن جملة الشرك ما يقوله القدرية من اثبات
قدرة التخليق للعبد والتوحيد المحض ما يقوله اهل السنة وهو ان لا خالق الا الله افامنوا
ان تاتيهم غاشية عقوبة تغشاهم وتشملهم من عذاب الله او تاتيهم الساعة بغتة حال اى فجاة
وهم لا يشعرون باتيانها قل هذه سبيلى هذه السبيل التى هى الدعوة الى الايمان والتوحيد سبيلى
والسبيل والطريق يذكران ويؤنثان ثم فسر سبيله بقوله ادعوا الى الله على بصيرة اى ادعو
الى دينه مع حجة واضحة غير عمياء انا تاكيد للمستتر فى ادعو ومن اتبعنى عطف عليه اى ادعو
الى الله انا ويدعو اليه من اتبعنى او انا مبتدا وعلى بصيرة خبره مقدم ومن اتبعنى عطف على

انا يخبر ابتداء بان من اتبعه على حجة وبرهان لا على هوى وسبحان الله وانزهه من الشركاء
وانا من المشركين مع الله غيره وما ارسلنا من قبلك الا رجالا لا ملايكة لانهم كانوا يقولون
لو شاء ربنا لانزل ملايكة اولیست فيهم امراة نوحي بالنون حفص اليهم من اهل القرى لانهم
اعلم واحلم واهل البوادي فيهم الجهل والجفاء افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة
الذين من قبلهم ولدار الاخرة والدار الساعة الاخرة خير للذين اتقوا الشرك وامنوا به افلا
تعقلون وبالياء مكي وابو عمرو وحمزة وعلي حتى اذا استياس الرسل يئسوا من ايمان القوم
وظنوا انهم قد كذبوا وايقن الرسل ان قومهم كذبوهم وبالتخفيف كوفي اي وظن المرسل اليهم
انهم كذبوا من جهة الرسل اي كذبتهم الرسل في انهم ينصرون عليهم ولم يصدقوهم فيه جاءهم
نصرنا للانبياء والمؤمنين بهم فجاءة من غير احتساب فنجي بنون واحدة وتشديد الجيم و
فتح الياء شامي وعاصم على لفظ الماضي المبني للمفعول والقايم مقام الفاعل من الياقوت
فنجي من نشاء النبي ومن امن ولا يرد باسنا عذابنا عن القوم المجرمين الكافرين لقد كان
في قصصهم في قصص الانبياء واممهم او في قصة يوسف واخوته عبرة لاولي الالباب حيث
نقل من غيابة الجب الى غابت الحب ومن الحصير الى السرير فصارت عاقبة الصبر سلامة
وكرامة ونهاية المكر وخامة وندامة ما كان حديثا يفترى ما كان القران حديثا مفترى كما
زعم الكفار ولكن تصديق الذي بين يديه ولكن كان تصديق الكتب تقدمته وتفصيل كل
شيء يحتاج اليه في الدين لانه القانون الذي يستند اليه السنة والاجماع والقياس وهدى
من الضلال ورحمة من العذاب لقوم يؤمنون بالله وانبيائه وما نصب بعد لكن معطوف
على خبر كان عن رسول الله علموا ارقائكم سورة يوسف فايما عبد تلاها وعلمها اهله
وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت واعطاه القوة ان لا يحسد مسلما قال الشيخ
ابو منصور رحمه الله في ذكر قصة يوسف عليه السلام واخوته تصبير لرسول الله صلى الله
عليه وسلم على اذى قريش كانه يقول ان اخوة يوسف مع موافقتهم اياه في الدين والنسب
مع الاخوة عملوا بيوسف ما عملوا من الكيد والمكر وصبر على ذلك فانت مع مخالفتهم اياك
في الدين احرى ان تصبر على اذاهم وقال وهب ان الله تعالى لم ينزل كتابا الا وفيه سورة

يوسف تامة كما هي في القران سورة الرعد ثلث او خمس واربعون اية مكية او مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم المر انا الله اعلم وارى عن ابن
عباس رضي الله عنهما تلك اشارة الى ايات السورة ايات الكتاب اريد بالكتاب السورة
اي تلك الايات ايات السورة الكاملة العجيبة في بابها والذي انزل اليك من ربك القران
كله الحق خبر والذي ولكن اكثر الناس لا يؤمنون يقولون تقوله محمد ثم ذكر ما يوجب
الايمان فقال الله الذي رفع السموات اي خلقها مرفوعة لا ان تكون موضوعة فرفعها والله
مبتداء وخبر الذي رفع السموات بغير عمد حال وهو جمع عماد او عمود ترونها الضمير يعود
الى السموات اي ترونها كذلك فلا حاجة الى البيان او الى عمد فيكون في موضع جر على انه
صفة لعمد اي بغير عمد مرئية ثم استوى على العرش استولى بالاقتدار ونفوذ السلطان وسخر
الشمس والقمر لمنافع عباده ومصالح بلاده كل يجري لاجل مسمى وهو انقضاء الدنيا يدبر الامر
امر ملكوته وربوبيته يفصل الايات يبين اياته في كتبه المنزلة لعلكم بلقاء ربكم توقنون
لعلكم توقنون بان هذا المدبر والمفصل لا بد لكم من الرجوع اليه وهو الذي مد الارض بسطها
وجعل فيها رواسي جبالا ثوابت وانهارا جارية ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين
اي الاسود والابيض والحلو والحامض والصغير والكبير وما اشبه ذلك يغشي الليل النهار
يلبسه مكانه فيصير اسود مظلما بعدما كان ابيض منيرا يغشي حمزة وعلي وابو بكر ان في
ذلك لايات لقوم يتفكرون فيعلمون ان لها صانعا عليما حكيما قادرا وفي الارض قطع
متجاورات بقاع مختلفة مع كونها متجاورة متصلا اصقة طيبة الى سبخة وكريمة الى زهيدة
وصلبة الى رخوة وذلك دليل على قادر مريد موقع لافعاله على وجه دون وجه وجنات
معطوفة على قطع من اعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان بالرفع مكي وبصري و حفص
عطف على قطع غيرهم بالجر عطف على اعناب والصنوان جمع صنو وهي النخلة لها راسان و
اصلهما واحد وعن حفص بضم الصاد وهما لغتان يسقى بماء واحد وبالياء عاصم وشامي و نفضل
بعضها على بعض وبالياء حمزة وعلي في الاكل في الثمرات وبسكون الكاف نافع ومكي ان في ذلك
لايات لقوم يعقلون عن الحسن مثل اختلاف القلوب في اثارها وانوارها واسرارها باختلاف

القطع فی انهارها وانهارها وثمارها وان تعجب یا محمد من قولهم من انکار البعث فعجب قولهم
خبر ومبتدا ای فقولهم حقیق بان یتعجب منه لان من قدر علی انشاء ما عدد علیک کانت
الاعادة اهون شیء علیه وایسر فکان انکارهم اعجوبة من الاعاجیب ائذا کنا ترابا ائنا لفی
خلق جدید فی محل الرفع بدل من قولهم قراء عاصم وحمزة کلاهما بالاستفهام اولئک الذین
کفروا بربهم اولئک الکاملون المتمادون فی کفرهم واولئک الاغلال فی اعناقهم وصف
لهم بالاصرار او من جملة الوعید واولئک اصحاب النار هم فیها خالدون دل تکرار اولئک
علی تعظیم الامر ویستعجلونک بالسیئة قبل الحسنة بالنقمة قبل العافیة وذلک انهم سالوا
رسول الله ان یاتیهم بالعذاب استهزاء منهم بانذاره وقد خلت من قبلهم المثلات ای
عقوبات امثالهم من المکذبین فما لهم لم یعتبروا بها فلا یستهزؤا والمثلة العقوبة لما بین
العقاب والمعاقب علیه من المماثلة وجزاء سیئة سیئة مثلها وان ربک لذو مغفرة للناس
علی ظلمهم ای مع ظلمهم انفسهم بالذنوب ومحله الحال ای ظالمین لانفسهم قال السدی یعنی المؤمنین
وهی ارجی آیة فی کتاب الله حیث ذکر المغفرة مع الظلم وهو بدون التوبة فان التوبة تزیلها
وترفعها وان ربک لشدید العقاب علی الکافرین او هما جمیعا فی المؤمنین لکنه معلق بالمشیة
فیهما ای یغفر لمن یشاء ویعذب من یشاء ویقول الذین کفروا لولا انزل علیه آیة من ربه
لم یعتدوا بالآیات المنزلة علی رسول الله صلی الله علیه وسلم عنادا فاقترحوا نحو آیات
موسی وعیسی علیهما السلام من انقلاب العصا حیة واحیاء الموتی فقیل لرسول الله انما انت
منذر انما انت رجل ارسلت منذرا مخوفا لهم من سوء العاقبة ناصحا کغیرک من الرسل
وما علیک الا الاتیان بما یصح به انک رسول منذر وصحة ذلک حاصل بای آیة کانت
والآیات کلها سواء فی حصول الدعوی بها ولکل قوم هاد من الانبیاء یهدیهم الی الدین ویدعوهم
الی الله بآیة خص بها لا بما یریدون ویتحکمون الله یعلم ما تحمل کل انثی وما تغیض الارحام وما
تزداد ما فی هذه المواضع الثلثة موصولة ای یعلم ما تحمله من الولد علی ای حال هو من ذکورة
او انوثة وتمام وخداج وحسن وقبح وطول وقصر وغیر ذلک وما تغیضه الارحام ای ویعلم
ما تنقصه یقال غاض الماء وغضته انا وما تزداده والمراد عدد الولد فانه تشتمل علی واحد واثنین

وثلثة واربعة او جسد الولد فانه یکون تاما ومخدجا او مدة الولادة فانها تکون اقل من
سبعة اشهر وازید علیها الی سنتین عندنا والی اربع عند الشافعی رح والی خمس عند مالک رح
او مصدریة ای یعلم حمل کل انثی ویعلم غیض الارحام وازدیادها وکل شیء عنده بمقدار ای
بقدر وحد لا یجاوزه ولا ینقص عنه کقوله انا کل شیء خلقناه بقدر عالم الغیب ما غاب عن
الخلق والشهادة تشاهدونه الکبیر العظیم الشان الذی کل شیء دونه المتعال المستعلی علی کل شیء
بقدرته او الذی کبر علی صفات المخلوقین وتعالی عنها وبالیاء فی الحالین مکی سواء منکم
منکم من اسر القول ومن جهر به ای فی علمه ومن هو مستخف باللیل متوار وسارب بالنهار ذاهب
فی سربه ای فی طریقه ووجهه یقال سرب فی الارض سروبا وسارب عطف علی من هو مستخف
او علی مستخف غیر ان من فی معنی الاثنین والضمیر فی له مردود علی من کانه قیل لمن اسر ومن
جهر ومن استخفی ومن سرب معقبات جماعات من الملائکة تعتقب فی حفظه والاصل معتقبات
فادغمت التاء فی القاف او هو مفعلات من عقبه اذا جاء علی عقبه لان بعضهم یعقب بعضا
او لانهم یعقبون ما یتکلم به فیکتبونه من بین یدیه ومن خلفه ای قدامه ووراءه یحفظونه
من امر الله هما صفتان جمیعا ولیس من امر الله بصلة للحفظ کانه قیل له معقبات من امر الله
ویحفظونه من اجل الله ای من اجل ان الله امرهم بحفظه او یحفظونه من باس الله ونقمته
اذا اذنب بدعائهم له ان الله لا یغیر ما بقوم من العافیة والنعمة حتی یغیروا ما بانفسهم
من الحال الجمیلة بکثرة المعاصی واذا اراد الله بقوم سوءا عذابا فلا مرد له فلا یدفعه
شیء وما لهم من دونه من وال من دون الله ممن یلی امرهم ویدفع عنهم هو الذی یریکم البرق
خوفا وطمعا انتصبا علی الحال من البرق کانه فی نفسه خوف وطمع او علی ذا خوف وذا
طمع او من المخاطبین ای خائفین وطامعین والمعنی یخاف من وقوع الصواعق عند لمع
البرق ویطمع فی الغیث قال ابو الطیب فتی کالسحاب الجون یخشی ویرتجی یرجی الحیا منها
ویخشی الصواعق او یخاف المطر من له فیه ضرر کالمسافر ومن له بیت یکف ومن البلاد ما لا
ینتفع اهله بالمطر کاهل مصر ویطمع فیه من له فیه نفع وینشی السحاب هو اسم جنس والواحد
سحابة الثقال بالماء وهو جمع ثقیلة تقول سحابة ثقیلة وسحاب ثقال ویسبح الرعد بحمده قیل

يسبح سامعوا الرعد من العباد الراجين للمطر اى يصيحون بسبحان الله والحمد لله وعن
النبى صلى الله عليه وسلم انه قال الرعد ملك موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها
السحاب والصوت الذى يسمع زجره السحاب حتى ينتهى الى حيث امر والملائكة من خيفته
ويسبح الملائكة من هيبته واجلاله ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء الصاعقة نار
تسقط من السماء لما ذكر علمه النافذ فى كل شىء واستواء الظاهر والخفى عنده وما دل على
قدرته الباهرة ووحدانيته قال وهم يجادلون فى الله يعنى الذين كذبوا رسول الله
يجادلون فى الله حيث ينكرون على رسوله ما يصفه به من القدرة على البعث واعادة
الخلايق بقولهم من يحيى العظام وهى رميم ويردون الوحدانية باتخاذ الشركاء ويجعلون
بعض الاجسام بقولهم الملائكة بنات الله او الواو للحال اى فيصيب بها من يشاء فى حال
جدالهم وذلك ان اربد اخا لبيد بن ربيعة العامرى قال لرسول الله حين وفد عليه
مع عامر بن الطفيل قاصدين لقتله فرمى الله عامرا بغدة كغدة البعير وموت فى بيت
سلولية وارسل على اربد صاعقة فقتله اخبرنى عن ربنا امن نحاس هو ام من حديد وهو
شديد المحال اى المماحلة وهى شدة المماكرة والمكايدة ومنه تمحل لكذا اذا تكلف استعمال
الحيلة واجتهد فيه ومحل بفلان اذا كاده وسعى به الى السلطان والمعنى انه شديد المكر و
الكيد لاعدائه ياتيهم بالهلكة من حيث لا يحتسبون له دعوة الحق اضيفت الدعوة الى الحق
الذى هو ضد الباطل للدلالة على ان الدعوة ملابسة للحق وانها بمعزل من الباطل والمعنى
ان الله سبحانه يدعى فيستجيب الدعوة ويعطى الداعى سؤله فكانت دعوة ملابسة للحق
لكونه حقيقا بان يوجه اليه الدعاء لما فى دعوته من الجدوى والنفع بخلاف ما لا ينفع
ولا يجدى دعاؤه واتصال شديد المحال وله دعوة الحق بما قبله على قصة اربد ظاهر لان
اصابته بالصاعقة محال من الله ومكر به من حيث لا يشعر وقد دعا رسول الله صلى الله
عليه وسلم عليه وعلى صاحبه بقوله اللهم اخسفهما بما شئت فاجيبت فيهما فكانت الدعوة دعوة
حق وعلى الاول وعيد للكفرة على مجادلتهم رسول الله بحلول محاله بهم واجابة دعوة
رسول الله فيهم ان دعا عليهم والذين يدعون والآلهة الذين يدعوهم الكفرة من دونه

اربد

من دون الله

من دون الله لا يستجيبون لهم بشىء من طلباتهم الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه الا استجابة
من المصدر اى من الاستجابة التى دل عليها لا يستجيبون لان الفعل بحروفه يدل على المصدر
وبصيغته على الزمان وبالضرورة على المكان والحال فجاز استثناء كل منها من الفعل فصار
التقدير لا يستجيبون استجابة الا استجابة كاستجابة باسط كفيه اى كاستجابة الماء من بسط كفيه
اليه يطلب منه ان يبلغ فاه والماء جماد لا يشعر ببسط كفيه ولا بعطشه وحاجته اليه ولا يقدر
ان يجيب دعاءه ويبلغ فاه وكذلك ما يدعونه جماد لا يحس بدعائهم ولا يستطيع اجابتهم
ولا يقدر على نفعهم واللام فى ليبلغ متعلق بباسط كفيه وما هو ببالغه وما الماء ببالغ فاه
وما دعاء الكافرين الا فى ضلال فى ضياع لا منفعة فيه لانهم ان دعوا الله لم يجبهم وان دعوا
الاصنام لم تستطع اجابتهم ولله يسجد من فى السموات والارض يسجد سجود تعبد وانقياد طوعا
حال يعنى الملائكة والمؤمنين وكرها يعنى المنافقين والكافرين فى حال الشدة والضيق وظلالهم
معطوف على من جمع ظل بالغدو جمع غداة كقنى وقناة والآصال جمع اصل جمع اصيل
قيل ظل كل شىء يسجد لله بالغدو والآصال وظل الكافر يسجد طوعا وهو كاره وظل المؤمن
يسجد طوعا وهو طائع قل من رب السموات والارض قل الله حكاية لاعترافهم لانه اذا
قال لهم من رب السموات والارض لم يكن له بد من ان يقولوا الله دليله قراءة ابن مسعود
وابى قالوا الله او هو تلقين اى فان لم يجيبوا فلقنهم فانه لا جواب الا هذا قل افاتخذتم
من دونه اولياء ابعد ان علمتموه رب السموات والارض اتخذتم من دونه آلهة لا يملكون
لانفسهم نفعا ولا ضرا لا يستطيعون لانفسهم ان ينفعوها او يدفعوا ضررا عنها فكيف
يستطيعونه لغيرهم وقد آثرتموهم على الخالق الرازق المثيب المعاقب فما ابين ضلالتكم
قل هل يستوى الاعمى والبصير اى الكافر والمؤمن او من لا يبصر شيئا ومن لا يخفى عليه شىء ام
هل تستوى الظلمات والنور ملل الكفر والايمان يستوى كوفى غير حفص ام جعلوا لله شركاء بل اجعلوا
ومعنى الهمزة الانكار خلقوا كخلقه خلقا مثل خلقه وهو صفة لشركاء اى انهم لم يتخذوا لله
شركاء خالقين قد خلقوا مثل خلق الله فتشابه الخلق عليهم فاشتبه عليهم مخلوق الله بمخلوق
الشركاء حتى يقولوا قدر هؤلاء على الخلق كما قدر الله عليه فاستحقوا العبادة فنتخذهم له شركاء

ونعبدهم كما يعبد لكنهم اتخذوا له شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلا
ان يقدروا على ما يقدر عليه الخالق قل الله خالق كل شيء اي خالق الاجسام والاعراض
لا خالق غيره ولا يستقيم ان يكون له شريك في الخلق فلا يكون له شريك في العبادة ومن
قال ان الله لم يخلق افعال العباد وهم خلقوها فقد شابه الخلق على قولهم وهو الواحد المتوحد
بالربوبية القهار لا يغالب وما عداه مربوب ومقهور انزل اي الواحد القهار وهو
الله سبحانه من السماء من السحاب ماء مطرا فسالت اودية جمع واد وهو الموضع الذي
يسيل فيه الماء بكثرة وانما نكرها لان المطر لا ياتي الا على طريق المناوبة بين البقاع فيسيل بعض
الاودية دون بعض بقدرها بقدرها اي الذي علم الله انه نافع للممطور عليهم غير ضار
فاحتمل السيل فحمل زبدا وهو ما على وجه الماء من الرغوة والمعنى علاه زبد رابيا منتفخا
مرتفعا على وجه السيل ومما يوقدون عليه وبالياء كوفي غير ابي بكر ومن لابتداء الغاية
اي ومنه ينشا زبد مثل زبد البحر او للتبعيض اي وبعضه زبد في النار حال من الضمير في عليه
اي ومما يوقدون عليه ثابتا في النار ابتغاء حلية مبتغين حلية فهو مصدر في موضع الحال
من الضمير في يوقدون او متاع من الحديد والنحاس والرصاص يتخذ منها الاواني وما يتمتع
به في الحضر والسفر وهو معطوف على حلية اي زينة من الذهب والفضة زبد خبيث وهو
مبتدا ومثله نعت له ومما توقدون خبر اي لهذه الفلزات اذا اغليت زبد مثل زبد الماء
كذلك يضرب الله الحق والباطل اي مثل الحق والباطل فاما الزبد فيذهب جفاء حال
اي متلاشيا وهو ما يقذفه القدر عند الغليان والبحر عند الطغيان والجفو الرمي و
جفات الرجل صرعته واما ما ينفع الناس من الماء والحلي والاواني فيمكث في الارض فيثبت
الماء في العيون والابار والحبوب والثمار وكذلك الجواهر تبقى في الارض مدة طويلة كذلك
يضرب الله الامثال ليظهر الحق من الباطل قيل هذا مثل ضربه الله للحق واهله والباطل وحزبه
فمثل الحق واهله بالماء الذي ينزله من السماء فتسيل به اودية الناس فيحيون به وينفعهم انواع
المنافع وبالفلز الذي ينتفعون به في صوغ الحلي منه واتخاذ الاواني والالات المختلفة ولو
ان ذلك ماكث في الارض باق بقاء ظاهرا اي يثبت الماء في منافعه وكذا الجواهر تبقى ازمنة

متطاولة وشبه الباطل في سرعة اضمحلاله ووشك زواله بزبد السيل الذي يرمي به وبزبد الفلز
الذي يطفو فوقه اذا اذيب وقال الجمهور هذا مثل ضربه الله تعالى للقران والقلوب والحق
والباطل فالماء القران نزل لحيوة الجنان كالماء للابدان والاودية القلوب ومعنى بقدرها
بقدر سعة القلب وضيقه والزبد هواجس النفس ووساوس الشيطان والماء الصافي
المنتفع به مثل الحق فكما يذهب هواجس النفس ووساوس الشيطان ويبقى الحق كما هو واما
حلية الذهب والفضة فمثل للاحوال السنية والاخلاق الزكية واما متاع الحديد والنحاس
والرصاص فمثل للاعمال الممدة بالاخلاص المعدة للخلاص فان الاعمال جالبة للثواب دافعة
للعقاب كما ان تلك الجواهر بعضها اداة النفع بالكسب وبعضها الة الدفع في الحرب و
اما الزبد فالرياء والخلل والملل والكسل واللام في للذين استجابوا اي اجابوا متعلقة
بيضرب اي كذلك يضرب الله الامثال للمومنين الذين استجابوا لربهم الحسنى وهو صفة
لمصدر استجابوا اي استجابوا الاستجابة الحسنى والذين لم يستجيبوا اي وللكافرين الذين لم
يستجيبوا اي هما مثلا للفريقين وقوله لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به
كلام مبتدا في ذكر ما اعد لغير المستجيبين اي لو ملكوا اموال الدنيا وملكوا معها مثلها
لبذلوه ليدفعوا عن انفسهم عذاب الله والوجه ان الكلام قد تم على الامثال وما بعده
مستانف والحسنى مبتدا خبره الذين استجابوا والمعنى لهم المثوبة الحسنى وهي الجنة والذين
لم يستجيبوا مبتدا وخبره لو مع ما في خبره اولئك لهم سوء الحساب المناقشة فيه في الحديث
من نوقش في الحساب عذب وماويهم جهنم ومرجعهم بعد المحاسبة النار وبئس المهاد
المكان الممهد والمذموم محذوف اي جهنم ودخلت همزة الانكار على الفاء في افمن يعلم
لانكار ان تقع شبهة بعد ما ضرب من المثل في ان حال من علم انما انزل اليك من ربك الحق
فاستجاب بمعزل من حال الجاهل الذي لم يستبصر فيستجيب وهو المراد بقوله كمن هو اعمى كبعد
ما بين الزبد والماء والخبث والابريز انما يتذكر اولوا الالباب اي الذين عملوا على قضايا
عقولهم فنظروا واستبصروا الذين يوفون بعهد الله مبتدا والخبر اولئك لهم عقبى الدار
كقوله والذين ينقضون عهد الله اولئك لهم اللعنة وهو قيل هو صفة لاولي الالباب والاول

اوجه وعهد الله ما عقدوه على انفسهم من الشهادة بربوبيته واشهدهم على انفسهم الست بربكم
قالوا بلى ولا ينقضون الميثاق ما وثقوه على انفسهم وتقبلوه من الايمان بالله وغيره من المواثيق
بينهم وبين الله تعالى وبين العباد تعميم بعد تخصيص والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل
من الارحام والقرابات ويدخل فيه وصل قرابة النبي صلى الله عليه وسلم وقرابة المومنين
الثابتة بسبب الايمان انما المومنون اخوة بالاحسان اليهم على حسب الطاقة ونصرتهم
والذب عنهم والشفقة عليهم وافشاء السلام عليهم وعيادة مرضاهم ومنه مراعاة حق
الاصحاب والخدم والجيران والرفقاء في السفر ويخشون ربهم اي وعيده كله ويخافون
سوء الحساب خصوصا فيحاسبون انفسهم قبل ان يحاسبوا والذين صبروا مطلق فيما يصبر
عليه من المصائب في النفوس والاموال ومشاق التكاليف ابتغاء وجه ربهم لا ليقال ما
اصبره واحمله للنوازل وا وقره عند الزلازل ولا لان يعاب بالجزع واقاموا الصلوة داوموا
على اقامتها وانفقوا مما رزقناهم اي من الحلال وان كان الحرام رزقا عندنا سرا وعلانية
يتناول النوافل لانها في السر افضل والفرايض لان المجاهرة بها افضل نفيا للتهمة ويدرءون
بالحسنة السيئة ويدفعون بالحسن من الكلام ما يرد عليهم من سيئ غيرهم او اذا حرموا اعطوا
واذا ظلموا عفوا واذا قطعوا وصلوا واذا اذنبوا تابوا واذا هربوا انابوا واذا
راوا منكرا امروا بتغييره فهذه ثمانية اعمال تشير الى ثمانية ابواب الجنة اولئك لهم
عقبى الدار عاقبة الدنيا وهي الجنة لانها التي اراد الله ان تكون عاقبة الدنيا ومرجع
اهلها جنات عدن بدل من عقبى الدار يدخلونها ومن صلح من ابائهم وازواجهم وذرياتهم
وقرئ صلح والفتح افصح ومن في محل الرفع بالعطف على الضمير في يدخلونها وساغ ذلك وان
لم يؤكد لان ضمير المفعول صار فاصلا وجاز ان يكون مفعولا معه ووصفهم بالصلاح ليعلم
ان الانساب لا تنفع بنفسها والمراد ابو كل واحد منهم فكانه قيل من ابائهم وامهاتهم والملائكة
يدخلون عليهم من كل باب في قدر كل يوم وليلة ثلث مرات بالهدايا وبشارة الرضا سلام
عليكم في موضع الحال اذ المعنى قائلين سلام عليكم او مسلمين بما صبرتم متعلق بمحذوف تقديره
هذا بما صبرتم اي هذا الثواب بسبب صبركم عن الشهوات او على امر الله او بسلام اي نسلم عليكم

ونكرمكم بصبركم والاول اوجه فنعم عقبى الدار الجنات والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه
من بعد ما اوثقوه به من الاعتراف والقبول ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون
في الارض بالكفر والظلم اولئك لهم اللعنة الابعاد من الرحمة ولهم سوء الدار يحتمل ان
يراد سوء عاقبة الدنيا لانه في مقابلة عقبى الدار وان يراد بالدار جهنم وسوء عاقبتها
الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر اي ويضيق من يشاء والمعنى الله وحده هو يبسط الرزق
ويقدره دون غيره وفرحوا بالحيوة الدنيا بما بسط لهم من الدنيا فرح بطر واشر لا فرح
سرور بفضل الله وانعامه ولم يقابلوه بالشكر حتى يوجروا بنعيم الاخرة وما الحيوة
الدنيا في الاخرة الا متاع وخفي عليهم ان لا نعيم الدنيا في جنب نعيم الاخرة ليس الا شيا
نذرا يتمتع به كعجالة الراكب وهو ما يتعجله من تميرات او شربة سويق ويقول الذين كفروا
لولا انزل عليه اية من ربه اي الاية المقترحة قل ان الله يضل من يشاء باقتراح الايات
بعد ظهور المعجزات ويهدي اليه من اناب ويرشد الى دينه من رجع اليه بقلبه الذين امنوا
منهم الذين او محله نصب بدل من من وتطمئن قلوبهم تسكن بذكر الله على الدوام او بالقران
او بوعده الا بذكر الله تطمئن القلوب بسبب ذكره تطمئن قلوب المومنين الذين امنوا و
عملوا الصالحات مبتداء طوبى لهم خبره وهو مصدر من طاب كبشرى ومعنى طوبى لك اصبت
خيرا وطيبا ومحلها النصب او الرفع كقولك طيبا لك وطيب لك وسلاما لك والام
في لك للبيان مثلها في سقيا لك والواو في طوبى منقلبة عن ياء لضمة ما قبلها كموقن والقراءة
في وحسن ماب مرجع بالرفع والنصب تدلك على محليها كذلك ارسلناك مثل ذلك
الارسال ارسلناك يعني ارسلناك ارسالا له شان وفضل على ساير الارسالات ثم فسر
كيف ارسله فقال في امة قد خلت من قبلها امم اي ارسلناك في امة قد تقدمتها امم كثيرة
فهي اخر الامم وانت خاتم الانبياء لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك لتقرا عليهم الكتاب
العظيم الذي اوحينا اليك وهم يكفرون وحال هولاء انهم يكفرون بالرحمن بالبليغ الرحمة
الذي وسعت رحمته كل شيء قل هو ربي لا اله الا هو اي هو ربي الواحد المتعالي عن الشركاء
عليه توكلت في نصرتي عليكم واليه متاب مرجعي فيثيبني على مصابرتكم متابي وعقابي ومآبي

في الجاثين يعقوب ولو ان قرانا سيرت به الجبال عن مقارها او قطعت به الارض حتى
تتصدع وتتزايل قطعا او كلم به الموتى فتسمع وتجيب لكان هذا القران لكونه غاية في التذكير
ونهاية في الانذار والتخويف فجواب لو محذوف او معناه ولو ان قرانا وقع به تسيير الجبال و
تقطيع الارض وتكليم الموتى وتنبيههم لما آمنوا به ولما تنبهوا عليه كقوله ولو اننا نزلنا اليهم
الملائكة وكلمهم الموتى الاية بل لله الامر جميعا بل لله القدرة على كل شيء وهو قادر على الآيات التي
اقترحوها افلم ييأس الذين آمنوا افلم يعلم وهي لغة قوم من النخع وقيل انما استعمل اليأس
بمعنى العلم لتضمنه معناه لان اليائس عن الشيء عالم بانه لا يكون كما استعمل النسيان في معنى الترك
لتضمنه ذلك دليله قراءة علي رضي الله عنه افلم يتبين وقيل انما كتبه الكاتب وهو ناعس
مستوي السينات وهذه والله فرية ما فيها مرية ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولا يزال
الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا من كفرهم وسوء اعمالهم قارعة داهية تقرعهم بما يحل الله
بهم في كل وقت من صنوف البلايا والمصائب في نفوسهم واولادهم واموالهم او تحل قريبا
من دارهم او تحل القارعة قريبا منهم فيفزعون ويتطاير اليهم شرارها ويتعدى اليهم
شرورها حتى ياتي وعد الله اي موتهم او القيامة او ولا يزال كفار مكة تصيبهم بما صنعوا
برسول الله صلى الله عليه وسلم من العداوة والتكذيب قارعة لان جيش رسول الله تغير
حول مكة وتختطف منهم او تحل انت يا محمد قريبا من دارهم بجيشك يوم الحديبية حتى ياتي
وعد الله اي فتح مكة ان الله لا يخلف الميعاد لا خلف في موعده ولقد استهزئ برسل من
قبلك فامليت للذين كفروا الاملاء الامهال وان يترك ملاوة من الزمان في خفض وامن
ثم اخذتهم فكيف كان عقاب وهذا وعيد لهم وجواب عن اقتراحهم الآيات على رسول الله
استهزاء به وتسلية له افمن هو قائم احتجاج عليهم في اشراكهم بالله يعني افالله الذي هو رقيب
على كل نفس صالحة او طالحة بما كسبت يعلم خيره وشره ويعد لكل جزاء كمن ليس كذلك ثم استانف
فقال وجعلوا لله شركاء اي الاصنام قل سموهم اي سموهم له من هم ونبئوه باسمائهم ثم
قال ام تنبئونه بما لا يعلم في الارض على ام المنقطعة اي بل اتنبئونه بشركاء لا يعلمهم في الارض
وهو العالم بما في السموات والارض فاذا لم يعلمهم علم انهم ليسوا بشيء والمراد نفي ان يكون

شركاء ام بظاهر من القول بل انه تسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير ان يكون لذلك حقيقة
كقوله ذلك قولهم بافواههم ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها بل زين للذين كفروا
مكرهم كيدهم للاسلام بشركهم وصدوا عن السبيل عن سبيل الله بضم الصاد كوفي وبفتحها غيرهم
ومعناه وصدوا المسلمين عن سبيل الله ومن يضلل الله فما له من هاد من احد يقدر على هدايته لهم
عذاب في الحيوة الدنيا بالقتل والاسر وانواع المحن ولعذاب الآخرة اشق اشد لدوامه وما لهم
من الله من واق من حافظ من عذابه مثل الجنة التي وعد المتقون صفتها التي في غرابة المثل
وارتفاعه بالابتداء والخبر محذوف اي فيما يتلى عليكم مثل الجنة او الخبر تجري من تحتها الانهار
كما تقول صفة زيد اسمر اكلها دائم ثمرها دائم الوجود لا ينقطع وظلها دائم لا ينسخ في الدنيا
بالشمس تلك عقبى الذين اتقوا اي الجنة الموصوفة عقبى تقواهم يعني منتهى امرهم وعقبى الكافرين
النار والذين آتيناهم الكتاب يريد من اسلم من اليهود كابن سلام ونحوه ومن النصارى
بارض الحبشة يفرحون بما انزل اليك ومن الاحزاب اي ومن احزابهم وهم كفرتهم الذين
تحزبوا على رسول الله بالعداوة ككعب بن الاشرف واصحابه والسيد والعاقب واشياعهما
من ينكر بعضه لانهم كانوا لا ينكرون الاقاصيص وبعض الاحكام والمعاني مما هو ثابت في كتبهم
وكانوا ينكرون نبوة محمد عليه الصلوة والسلام وغير ذلك مما حرفوه وبدلوه من الشرائع
قل انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به هو جواب للمنكرين اي قل انما امرت فيما انزل الي
بان اعبد الله ولا اشرك به فان انكاركم له انكار لعبادة الله تعالى وتوحيده فانظروا
ماذا تنكرون مع ادعائكم وجوب عبادة الله وان لا تشرك به اليه ادعو خصوصا لا
ادعو الى غيره واليه لا الى غيره مآب مرجعي وانتم تقولون مثل ذلك فلا معنى لانكاركم
وكذلك انزلناه ومثل ذلك الانزال انزلناه مامورا فيه بعبادة الله وتوحيده والدعوة
اليه والى دينه والانذار بدار الجزاء حكما عربيا حكمة عربية مترجمة بلسان العرب وانتصابه
على الحال كانوا يدعون رسول الله الى امور يشاركهم فيها فقيل ولئن اتبعت اهواءهم
بعدما جاءك من العلم اي بعد ثبوت العلم بالحجج القاطعة والبراهين الساطعة ما لك من الله
من ولي ولا واق اي لا ينصرك ناصر ولا يقيك منه واق وهذا من باب التهييج والبعث

كما ينسخ م

للسامعين على الثبات في الدين وانه لا يزل نزال عند الشبهة بعد استمساكه بالحجة والا فكان رسول الله
من شدة الثبات بمكان وكانوا يعيبونه بالزواج والاولاد ويقترحون عليه الآيات وينكرون
النسخ ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية نساء واولادا وما كان
لرسول ان يأتي بآية الا باذن الله اي ليس في وسعهم اتيان الآيات على ما يقترحه قومه
وانما ذلك الى الله لكل اجل كتاب لكل وقت حكم يكتب على العباد اي يفرض عليهم ما يقتضيه
حكمته يمحوا الله ما يشاء ينسخ ما يشاء نسخه ويثبت بدله ما يشاء او يتركه غير منسوخ او يمحو
من ديوان الحفظة ما يشاء ويثبت غيره او يمحو كفر التائبين ويثبت ايمانهم او يميت من حان
اجله وعكسه ويثبت مكي وشامي وحمزة وعلي وعنده ام الكتاب اصل كل كتاب وهو اللوح
المحفوظ لان كل كائنة مكتوب فيه واما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك وكيفما
دارت الحال اريناك مصارعهم وما وعدناهم من انزال العذاب عليهم او توفيناك قبل
ذلك فانما عليك البلاغ فما عليك الا تبليغ الرسالة فحسب وعلينا الحساب وعلينا
حسابهم وجزاؤهم على اعمالهم لا عليك فلا يهمنك اعراضهم ولا تستعجل بعذابهم اولم يروا
انا نأتي الارض ارض الكفرة ننقصها من اطرافها بما يفتح على المسلمين من بلادهم فتنقص دار الحرب
ونزيد في دار الاسلام وذلك من آيات النصرة والغلبة والمعنى عليك البلاغ الذي حملته
ولا تهتم بما وراء ذلك فنحن نكفيه ونتم ما وعدناك من الظفر والله يحكم لا معقب
لحكمه لا راد لحكمه والمعقب الذي يكر على الشيء فيبطله وحقيقته الذي يعقبه اي يقفيه
بالرد والابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يقفي غريمه بالاقتضاء والطلب والمعنى
انه يحكم للاسلام بالغلبة والاقبال وعلى الكفر بالادبار والانتكاس ومحل لا معقب لحكمه النصب
على الحال كانه قيل والله يحكم نافذا حكمه كما تقول جاءني زيد لا عمامة على رأسه ولا قلنسوة
له تريد حاسرا وهو سريع الحساب فعما قليل يحاسبهم في الآخرة بعد عذاب الدنيا وقد مكر
الذين من قبلهم اي كفار الامم الخالية بانبيائهم والمكر ارادة المكروه في خفية ثم جعل مكرهم كلا
مكر بالاضافة الى مكره فقال فلله المكر جميعا ثم فسر ذلك بقوله يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم
الكفار لمن عقبى الدار يعني العاقبة المحمودة لان من علم ما تكسب كل نفس واعد لها جزاءها فهو

المكر كله لانه يأتيهم من حيث لا يعلمون وهم في غفلة مما يراد بهم الكافر على ارادة الجنس حجازي
وابو عمرو ويقول الذين كفروا لست مرسلا المراد بهم كعب بن الاشرف رؤساء اليهود قالوا
لست مرسلا ولهذا قال عطاء هي مكية الا هذه الآية قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم لما اظهر من
الادلة على رسالتي والباء دخلت على الفاعل وشهيدا تمييز ومن عنده علم الكتاب قيل هو الله
عز وجل والكتاب اللوح المحفوظ دليله قراءة من قرأ ومن عنده علم الكتاب اي ومن لدنه
علم الكتاب لان علم من علمه من فضله ولطفه وقيل ومن هو من علماء اهل الكتاب الذين
اسلموا لانهم يشهدون بنعته في كتبهم وقال ابن سلام فيّ نزلت هذه الآية وقيل هو جبرئيل
عليه السلام ومن في موضع الجر بالعطف على لفظ الله او في موضع الرفع بالعطف على محل الجار
والمجرور اذ التقدير كفى الله وعلم الكتاب يرتفع بالمقدر في الظرف فيكون فاعلا لان الظرف
صلة لمن ومن هنا بمعنى الذي والتقدير من ثبت عنده علم الكتاب وهذا لان الظرف اذا وقع
صلة يعمل عمل الفعل نحو مررت بالذي في الدار اخوه باخوه فاعل كما تقول بالذي استقر في الدار
اخوه وفي القراءة بكسر ميم من يرتفع العلم بالابتداء

سورة ابراهيم عليه السلام وهي اثنان وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الر كتاب هو خبر مبتدأ
محذوف اي هذا كتاب يعني السورة والجملة التي هي انزلناه اليك في موضع الرفع صفة للنكرة
لتخرج الناس بدعائك اياهم من الظلمات الى النور من الضلالة الى الهدى باذن ربهم بتيسيره
وتسهيله مستعار من الاذن الذي هو تسهيل الحجاب وذلك ما يمنحهم من التوفيق الى صراط
بدل من الى النور بتكرير العامل العزيز الغالب بالانتقام الحميد المحمود على الانعام الله بالرفع
مدني وشامي على هو الله وبالجر غيرهما على انه عطف بيان للعزيز الحميد الذي له ما في السموات
وما في الارض خلقا وملكا ولما ذكر الخارجين من ظلمات الكفر الى نور الايمان توعد الكافرين
بالويل وهو نقيض الوأل وهو النجاة وهو اسم معنى كالهلاك فقال وويل للكافرين من عذاب
شديد وهو مبتدأ وخبر وصفة الذين يستحبون يختارون ويؤثرون الحياة الدنيا
على الآخرة ويصدون عن سبيل الله دينه ويبغونها عوجا ويطلبون لسبيل الله زيغا واعوجاجا
والاصل ويبغون لها فحذف الجار واوصل الفعل الذين مبتدأ خبره اولئك في ضلال

بعيد عن الحق ووصف الضلال بالبعيد من الاسناد المجازي والبعد في الحقيقة للضال لانه
هو الذي يتباعد عن طريق الحق فوصف به فعله كما تقول جد جده او مجرور صفة الكافرين او
منصوب على الذم او مرفوع على اعني الذين او هم الذين وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه
الا متكلما بلغتهم ليبين لهم ما هو مبعوث به وله فلا يكون لهم حجة على الله ولا يقولوا لم
تفهم ما خوطبنا به فان قلت ان رسولنا عليه الصلوة والسلام بعث الى الناس جميعا لقوله
قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا بل الى الثقلين وهم على السنة مختلفة فان
لم تكن للعرب حجة فلغيرهم الحجة قلت لا يخلو اما ان ينزل بجميع الالسنة او بواحد منها
فلا حاجة الى نزوله بجميع الالسنة لان الترجمة تنوب عن ذلك وتكفي التطويل فتعين ان ينزل
بلسان واحد وكان لسان قومه اولى بالتعيين لانهم اقرب اليه ولانه ابعد من التحريف
والتهويل فيضل الله من يشاء من اثر سبب الضلال ويهدي من يشاء من آثر سبب الاهتداء

والتبديل

وهو العزيز فلا يغالب على مشيته الحكيم فلا يخذل الا اهل الخذلان ولقد ارسلنا موسى باياتنا
التسع ان اخرج بان اخرج او اي اخرج لان الارسال فيه معنى القول كانه قيل ارسلناه
وقلنا له اخرج قومك من الظلمات الى النور وذكرهم بايام الله وانذرهم بوقائعه التي
وقعت على الامم قبلهم قوم نوح وعاد وثمود ومنه ايام العرب لحروبها وملاحمها او
ايام الانعام حيث ظلل عليهم الغمام وانزل عليهم المن والسلوى وفلق لهم البحر ان في ذلك
لايات لكل صبار على البلايا شكور على العطايا كانه قال لكل مؤمن اذ الايمان نصفان نصفه
صبر ونصفه شكر واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ انجيكم من آل فرعون
يسومونكم سوء العذاب اذ ظرف للنعمة بمعنى الانعام اي انعامه عليكم ذلك الوقت
او بدل اشتمال من نعمة الله اي اذكروا وقت انجائكم ويذبحون ابناءكم ذكر في البقرة يذبحون
وفي الاعراف يقتلون بلا واو وهنا مع الواو والحاصل ان التذبيح حيث طرح الواو جعل
تفسيرا للعذاب وبيانا له وحيث اثبت جعل التذبيح من حيث انه زاد على جنس العذاب
كانه جنس آخر ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم الاشارة الى العذاب والبلاء
المحنة او الى الانجاء والبلاء النعمة ونبلوكم بالشر والخير فتنة واذ تاذن ربكم اي آذن ونظير

تاذن

تاذن وآذن توعد واوعد ولابد في تفعل من زيادة معنى ليس في افعل كانه قيل واذ اذن ربكم
ايذانا بليغا ينتفي عنده الشكوك والشبه وهو من جملة ما قال موسى لقومه وانتصابه للعطف
على نعمة الله عليكم كانه قيل واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم واذكروا حين تاذن
ربكم والمعنى واذ تاذن ربكم فقال لئن شكرتم يا بني اسرائيل ما خولتكم من نعمة الانجاء وغيرها
لازيدنكم نعمة الى نعمة فالشكر قيد للموجود صيد للمفقود وقال ابن عباس رضي الله عنهما لئن شكرتم بالجد
في الطاعة لازيدنكم بالجد في المثوبة ولئن كفرتم وغمطتم ما انعمت به عليكم ان عذابي لشديد
لمن كفر نعمتي اما في الدنيا فسلب النعم واما في العقبى فتوالي النقم وقال موسى ان تكفروا انتم
يا بني اسرائيل ومن في الارض جميعا والناس كلهم فان الله لغني عن شكركم حميد وان لم يحمده
الحامدون وانتم ضررتم لانفسكم حيث حرمتموها الخير الذي لابد لكم منه الم ياتكم نبؤ
الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود من كلام موسى لقومه او ابتداء خطاب لاهل عصر محمد
رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جملة من مبتداء وخبر وقعت
اعتراضا او عطف الذين من بعدهم على قوم نوح ولا يعلمهم الا الله اعتراض والمعنى انهم
من الكثرة بحيث لا يعلم عددهم الا الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما بين عدنان واسمعيل
ثلثون ابا لا يعرفون وروي انه عليه الصلوة والسلام قال عند نزول هذه الاية كذب النسابون
جاءتهم رسلهم بالبينات بالحجج بالمعجزات فردوا ايديهم في افواههم الضميران يعودان
الى الكفرة اي اخذوا اناملهم باسنانهم تعجبا او عضوا عليها تغيظا او الثاني يعود الى الانبياء
اي رد القوم ايديهم في افواه الرسل كيلا يتكلموا بما ارسلوا به وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم
به وانا لفي شك مما تدعوننا اليه من الايمان بالله تعالى والتوحيد مريب موقع في الريبة
قالت رسلهم افي الله شك ادخلت همزة الانكار على الظرف لان الكلام ليس في الشك انما
هو في المشكوك فيه وانه لا يحتمل الشك لظهور الادلة وهو جواب قولهم وانا لفي شك
فاطر السموات والارض يدعوكم الى الايمان ليغفر لكم من ذنوبكم اذا آمنتم ولم يجيء بمن
الا في خطاب الكافرين كقوله واتقوه واطيعون يغفر لكم من ذنوبكم يا قومنا اجيبوا داعي
الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم وقال في خطاب المؤمنين هل ادلكم على تجارة الى ان قال

يغفر لكم ذنوبكم وغير ذلك مما يعرف بالاستقراء وكان ذلك للتفرقة بين الخطابين ولئلا
يستوي بين الفريقين في الميعاد ويؤخركم الى اجل مسمى الى وقت قد سماه وبين مقداره قالوا
اي القوم ان انتم ما انتم الا بشر مثلنا لا فضل بيننا وبينكم ولا فضل لكم علينا فلم تخصون
بالنبوة دوننا تريدون ان تصدونا عما كان يعبد اباؤنا يعني الاصنام فاتونا بسلطان مبين
بحجة بينة وقد جاءتهم رسلهم بالبينات وانما ارادوا بالسلطان المبين اية قد اقترحوها
تعنتا ولجاجا قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم تسليم لقولهم انهم بشر مثلهم ولكن الله
يمن على من يشاء من عباده بالايمان والنبوة كما من علينا وما كان لنا ان ناتيكم بسلطان الا باذن
الله جواب لقولهم فاتونا بسلطان مبين والمعنى ان الاتيان بالاية التي اقترحتموها ليس
الينا ولا في استطاعتنا وانما هو امر يتعلق بمشية الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون امر منهم
للمومنين كافة بالتوكل وقصدوا به انفسهم قصدا اوليا كانهم قالوا ومن حقنا ان نتوكل على الله
في الصبر على معاندتكم ومعاداتكم وايذائكم الى يرى الى قوله وما لنا ان لا نتوكل على الله معناه
واي عذر لنا في ان لا نتوكل عليه وقد هدينا سبلنا وقد فعل بنا ما يوجب توكلنا عليه وهو
التوفيق لهداية كل منا سبيله الذي يجب عليه سلوكه في الدين قال ابو تراب التوكل طرح البدن
في العبودية وتعليق القلب بالربوبية والشكر عند العطاء والصبر على البلاء ولنصبرن على ما
اذيتمونا جواب قسم مضمر اي حلفوا على الصبر على اذاهم وان لا يسكتوا عن دعائهم وعلى الله
فليتوكل المتوكلون اي فليثبت المتوكلون على توكلهم حتى لا يكون تكرارا وقال الذين كفروا
لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا من ديارنا او لتعودن في ملتنا اي ليكونن
احد الامرين اخراجكم او عودكم وحلفوا على ذلك والعود بمعنى الصيرورة وهو كثير في كلام
العرب او خاطبوا به كل رسول ومن آمن معه فغلبوا في الخطاب الجماعة على الواحد فاوحى اليهم
ربهم لنهلكن الظالمين القول مضمر او اجرى الايحاء مجرى القول لانه ضرب منه ولنسكننكم الارض
من بعدهم اي ارض الظالمين وديارهم في الحديث من آذى جاره ورثه الله داره ذلك الاهلاك
والاسكان اي ذلك الامر حق لمن خاف مقامي موقفي وهو موقف الحساب او المقام مقحم او
خاف قيامي عليه بالعلم كقوله افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت والمعنى ان ذلك حق للمتقين و

خاف

خاف وعيد عذابي وبالياء يعقوب واستفتحوا واستنصروا الله على اعدائهم وهو معطوف على
اوحى اليهم وخاب كل جبار وخسر كل متكبر بطر عنيد مجانب للحق معناه فنصروا وظفروا وافلحوا
وخاب كل جبار عنيد وهم قومهم وقيل الضمير للكفار ومعناه واستفتح الكفار على الرسل
ظنا منهم بانهم على الحق والرسل على الباطل وخاب كل جبار عنيد منهم ولم يفلح باستفتاحه
من ورائه من بين يديه جهنم وهذا وصف حاله وهو في الدنيا لانه مرصد بجهنم فكانها بين
يديه وهو على شفيرها او وصف حاله في الاخرة حيث يبعث ويوقف ويسقى معطوف
على محذوف تقديره من ورائه جهنم ويلقى فيها ما يلقى ويسقى من ماء صديد ما يسيل من
جلود اهل النار وصديد عطف بيان لماء لانه ابهمه فبين بقوله صديد يتجرعه يشربه جرعة
جرعة ولا يكاد يسيغه ولا يقارب ان يسيغه فكيف ان يكون الاساغة كقوله لم يكد يريها اي
لم يقرب من رؤيتها فكيف يريها ويأتيه الموت من كل مكان اي اسباب الموت من كل جهة او من
كل مكان من جسده وهذا تفظيع لما يصيبه من الآلام اي لو كان ثم موت لكان واحد منها مهلكا
وما هو بميت لانه لو مات لاستراح ومن ورائه ومن بين يديه عذاب غليظ اي في كل وقت
يستقبله يتلقى عذابا اشد مما قبله واغلظ وعن الفضيل هو قطع الانفاس وحبسها في الاجساد
مثل الذين مبتدأ محذوف الخبر اي فيما يتلى عليكم مثل الذين كفروا بربهم والمثل مستعار
للصفة التي فيها غرابة وقوله اعمالهم كرماد جملة مستانفة على تقدير سؤال سائل يقول كيف
مثلهم فقيل اعمالهم كرماد اشتدت به الريح الرياح مدني في يوم عاصف جعل العصف لليوم
وهو لما فيه وهو الريح كقوله يوم ماطر واعمال الكفرة المكارم التي كانت لهم من صلة الارحام
وعتق الرقاب وفداء الاسرى وعقر الابل للاضياف وغير ذلك شبهها في حبوطها لبنائها
على غير اساس وهو الايمان بالله تعالى برماد طيرته الريح العاصف لا يقدرون يوم القيمة
مما كسبوا من اعمالهم على شيء لا يرون له اثرا من ثواب كما لا يقدر من الرماد المطير في الريح على شيء
ذلك هو الضلال البعيد اشارة الى بعد ضلالهم عن طريق الحق وعن الثواب الم تر الم تعلم
الخطاب لكل احد ان الله خلق السموات والارض خالقهما فاحمزة وعلي بالحق بالحكمة والامر
العظيم ولم يخلقها عبثا ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد اي هو قادر على ان يعدم الناس

ويخلق مكانهم خلقا اخر على شكلهم او خلاف شكلهم اعلاما بانه قادر على اعدام الموجود وايجاد
المعدوم وما ذلك على الله بعزيز بمتعذر وبرزوا لله جميعا ويبرزون يوم القيمة وانما جيء
بلفظ الماضي لان ما اخبر به عز وجل لصدقه كانه قد كان ووجد ونحوه ونادى اصحاب الجنة
ونادى اصحاب النار وغير ذلك ومعنى بروزهم لله والله تعالى لا يتوارى عنه شيء حتى يبرز لهم
انهم كانوا يستترون من العيون عند ارتكاب الفواحش ويظنون ان ذلك خاف على الله
فاذا كان يوم القيمة انكشفوا لله عند انفسهم وعلموا ان الله لا يخفى عليه خافية او خرجوا
من قبورهم فبرزوا لحساب الله وحكمه فقال الضعفاء في الراي وهم السفلة والاتباع
وكتب الضعفؤا بواو قبل الهمزة على لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة فيميلها الى الواو للذين
استكبروا وهم السادة والرؤساء الذين استغووهم وصدوهم عن الاستماع الى الانبياء و
اتباعهم انا كنا لكم تبعا تبعا جمع تابع على تبع كخادم وخدم وغايب وغيب او ذوي تبع و
التبع الاتباع يقال تبعه تبعا فهل انتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء فهل تقدرون
على دفع شيء مما نحن فيه ومن الاولى للتبيين والثانية للتبعيض كانه قيل فهل انتم مغنون
عنا بعض الشيء الذي هو عذاب الله او هما للتبعيض اي فهل انتم مغنون عنا بعض شيء هو
بعض عذاب الله اي بعض بعض عذاب الله ولما كان قول الضعفاء توبيخا لهم وعتابا على
استغوائهم لانهم علموا انهم لا يقدرون على الاغناء منهم قالوا لهم مجيبين معتذرين لو
هدينا الله لهديناكم اي لو هدينا الله الى الايمان في الدنيا لهديناكم اليه او لو هدانا الله طريق
النجاة من العذاب لهديناكم اي لاغنينا عنكم وسلكنا بكم طريق النجاة كما سلكنا بكم سبيل الهلكة
سواء علينا اجزعنا ام صبرنا مستويان علينا الجزع والصبر والهمزة وام للتسوية وروي
انهم يقولون في النار تعالوا نجزع فيجزعون خمسماية عام فلا ينفعهم الجزع فيقولون تعالوا
نصبر فيصبرون خمسماية عام فلا ينفعهم الصبر ثم يقولون سواء علينا اجزعنا ام صبرنا
واتصاله بما قبله من حيث ان عتابهم لهم كان جزعا مما هم فيه فقالوا لهم سواء علينا اجزعنا
ام صبرنا يريدون انفسهم واياهم لاجتماعهم في عقاب الضلالة التي كانوا مجتمعين فيها يقولون
ما هذا الجزع والتوبيخ ولا فائدة في الجزع كما لا فائدة في الصبر ما لنا من محيص منجى ومهرب

جزعنا

جزعنا ام صبرنا ويجوز ان يكون هذا من كلام الضعفاء والمستكبرين جميعا وقال الشيطان
لما قضي الامر حكم بالجنة والنار لاهليهما وفرغ من الحساب ودخل اهل الجنة الجنة واهل النار
النار روي ان الشيطان يقوم عند ذلك خطيبا على منبر من نار ويقول يا اهل النار ان الله وعدكم
وعد الحق وهو البعث والجزاء على الاعمال فوفى لكم بما وعدكم ووعدتكم بان لا بعث ولا
حساب ولا جزاء فاخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان من تسلط واقتدار الا ان دعوتكم
لكني دعوتكم الى الضلالة بوسوستي وتزييني والاستثناء منقطع لان الدعاء ليس من
جنس السلطان فاستجبتم لي فاسرعتم اجابتي فلا تلوموني لان من تجرد للعداوة لا يلام
اذا دعا الى امر قبيح مع ان الرحمن قد قال لكم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة
ولوموا انفسكم حيث اتبعتموني بلا حجة وبرهان وقول المعتزلة هذا دليل على ان الانسان
هو الذي يختار الشقاوة او السعادة ويحصلها لنفسه وليس من الله الا التمكين ولا من
الشيطان الا التزيين باطل لقوله لو هدينا الله اي الى الايمان لهديناكم كما مر ما انا بمصرخكم
وما انتم بمصرخي لا ينجي بعضنا بعضا من عذاب الله ولا يغيثه والاصراخ الاغاثة
بمصرخي حمزة اتباعا للخاء غيره بفتح الياء لئلا يجتمع الكسرة والياء ان بعد كسرتين
وهو جمع مصرخ فالياء الاولى ياء الجمع والثانية ضمير المتكلم اني كفرت بما اشركتمون
بالياء بصري وما مصدرية من قبل متعلق باشركتمون اي كفرت اليوم باشراككم اياي
مع الله من قبل هذا اليوم اي في الدنيا كقوله ويوم القيمة يكفرون بشرككم ومعنى كفره
باشراككم اياه تبرؤه منه واستنكاره له كقوله انا برءؤا منكم ومما تعبدون من دون الله
كفرنا بكم او من قبل متعلق بكفرت وما موصولة اي كفرت من قبل حين ابيت السجود
لادم بالذي اشركتمونيه وهو الله تعالى تقول اشركنيه فلان اي جعلني له شريكا ومعنى
اشراكهم الشيطان بالله طاعتهم له فيما كان يزينه لهم من عبادة الاوثان وهذا اخر
قول الشيطان وقوله ان الظالمين لهم عذاب اليم قول الله عز وجل وقيل هو من تمام كلام
ابليس وانما حكى الله عز وجل ما سيقوله في ذلك الوقت ليكون لطفا للسامعين وادخل
الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها عطف على

باشراكهم

بربهم واباذن ربهم متعلق بادخل اى ادخلتهم الملايكة الجنة باذن الله وامره تحيتهم فيها
سلام هو تسليم بعضهم على البعض فى الجنة او تسليم الملايكة عليهم الم تر كيف ضرب الله
مثلا اى وصفه وبينه كلمة طيبة نصب بمضمر اى جعل كلمة طيبة كشجرة طيبة وهو تفسير
لقوله ضرب الله مثلا نحو شرف الامير زيدا كساه حلة وحمله على فرس او انتصب مثلا
وكلمة طيبة بضرب اى ضرب كلمة طيبة مثلا يعنى جعلها مثلا ثم قال كشجرة طيبة على انها
خبر مبتدا محذوف اى هى كشجرة طيبة اصلها ثابت اى فى الارض ضارب بعروقه فيها
وفرعها واعلاها وراسها فى السماء والكلمة الطيبة كلمة التوحيد اصلها تصديق بالجنان
وفرعها اقرار باللسان واكلها عمل الاركان وكما ان الشجرة شجرة ان لم يكن حاملا فالمؤمن
مؤمن وان لم يكن عاملا ولكن الاشجار لا تراد الا للثمار فما اقوات النار الا من الاشجار
اذا اعتادت الاخفار فى عهد الاثمار والشجرة كل شجرة مثمرة طيبة الثمار كالنخلة وشجرة
التين ونحو ذلك والجمهور على انها النخلة فعن ابن عباس رضى الله عنهما ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم ان الله تعالى ضرب مثل المومن بشجرة فاخبرونى ما هى
فوقع الناس فى شجر البوادى وكنت صبيا فوقع فى قلبى انها النخلة فهبت رسول الله
ان اقولها وانا اصغر القوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انها النخلة وذكرت
ذلك لابيه فقال عمر يا بنى لو كنت قلتها لكانت احب الى من حمر النعم تؤتى اكلها كل حين
تعطى ثمرها كل وقت وقته الله لاثمارها باذن ربها بتيسير خالقها وتكوينه ويضرب الله
الامثال للناس لعلهم يتذكرون لان فى ضرب الامثال زيادة افهام وتذكير وتصوير
للمعانى ومثل كلمة خبيثة هى كلمة الكفر كشجرة خبيثة هى كل شجرة لا يطيب ثمرها فى الحديث
انها شجرة الحنظل اجتثت من فوق الارض استوصلت جثته وحقيقة الاجتثاث اخذ
الجثة كلها وهو فى مقابلة اصلها ثابت ما لها من قرار اى استقرار يقال قر الشيء قرارا
كقولك ثبت ثباتا شبه بها القول الذى لم يعضد بحجة فهو داحض غير ثابت يثبت الله
الذين آمنوا اى يديمهم عليهم بالقول الثابت هو قول لا اله الا الله محمد رسول الله فى الحيوة
الدنيا حتى اذا فتنوا فى دينهم لم يزلوا كما ثبت الذين فتنهم اصحاب الاخدود وغيرهم وفى

الاخرة

الاخرة الجمهور ان المراد فى القبر بتلقين الجواب وتمكين الصواب فعن البراء ان رسول الله
عليه الصلوة والسلام ذكر قبض روح المومن فقال ثم يعاد روحه فى جسده فياتيه ملكان
فيجلسانه فى قبره فيقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربى الله ودينى
الاسلام ونبيى محمد عليه الصلوة والسلام فينادى مناد من السماء ان صدق عبدى فذلك
قوله يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت ثم يقول الملكان عشت سعيدا ومت حميدا
ونم نومة العروس ويضل الله الظالمين فلا يثبتهم على القول الثابت فى مواقف الفتن
وتزل اقدامهم اول شىء وهم فى الاخرة اضل وازل ويفعل الله ما يشاء فلا اعتراض
عليه فى تثبيت المومنين واضلال الظالمين الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله اى شكر نعمة الله
كفرا لان شكرها الذى وجب عليهم وضعوا مكانه كفرا فكانهم غيروا الشكر الى الكفر
وبدلوه تبديلا وهم اهل مكة اكرمهم بنبيهم محمد عليه الصلوة والسلام فكفروا نعمة
الله بدلا لزمهم من الشكر واحلوا قومهم الذين اتبعوهم على الكفر دار البوار دار الهلاك
جهنم عطف بيان يصلونها يدخلونها وبئس القرار وبئس المقر جهنم وجعلوا لله اندادا
امثالا فى العبادة او فى التسمية ليضلوا عن سبيله وبفتح الياء مكى وابو عمرو قل تمتعوا فى الدنيا
والمراد به الخذلان والتخلية قال ذو النون التمتع ان يقضى العبد ما استطاع من شهوته فان
مصيركم الى النار مرجعكم اليها قل لعبادى الذين آمنوا خصهم بالاضافة اليه تشريفا وبسكون
الياء شامى وحمزة وعلى والاعشى يقيموا الصلوة وينفقوا مما رزقناهم المقول محذوف لان قل
يقتضى مقولا وهو اقيموا وتقديره قل لهم اقيموا الصلوة وانفقوا يقيموا ولينفقوا فحذف اللام
لدلالة قل عليه ولو قيل يقيموا الصلوة وينفقوا ابتداء بحذف اللام لم يجز سرا وعلانية
انتصبا على الحال اى ذوى سر وعلانية يعنى مسرين ومعلنين او على الظرف اى وقتى سر
وعلانية او على المصدر اى انفاق سر وانفاق علانية والمعنى اخفاء التطوع واعلان
الواجب من قبل ان ياتى يوم لا بيع فيه ولا خلال اى لا انتفاع فيه بمبايعة ولا مخالة و
الخلال المخالة وانما ينتفع فيه بالانفاق لوجه الله وبفتحهما مكى وبصرى الباقون بالرفع
والتنوين الله مبتداء الذى خلق السموات والارض خبره وانزل من السماء ماء من السحاب

مطرا فاخرج به من الثمرات رزقا لكم من الثمرات بيان للرزق اى اخرج به رزقا هو
ثمرات او من الثمرات مفعول اخرج ورزقا حال من المفعول وسخر لكم الفلك لتجرى
فى البحر بامره وسخر لكم الانهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين دائمين وهو حال من
الشمس والقمر اى يدابان فى سيرهما وانارتهما ودرءهما الظلمات واصلاحهما ما يصلحان
من الارض والابدان والنبات وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان خلفة لمعاشكم وسباتكم
واتيكم من كل ما سالتموه من للتبعيض اى اتيكم بعض جميع ما سالتموه او اتيكم من كل شئ
ما سالتموه ولم تسئلوه فما موصولة والجملة صفة لها وحذفت الجملة الثانية لان
الباقى يدل على المحذوف كقوله سرابيل تقيكم الحر من كل بالتنوين غير ابى عمرو وما سالتموه
نفى ومحله غير سائليه او ما موصولة اى واتيكم من كل ذلك ما احتجتم اليه فكانكم
سالتموه النصب على الحال اى واتيكم من جميع ذلك او طلبتموه بلسان الحال وان تعدوا
نعمت الله لا تحصوها لا تطيقوا عدها وبلوغ اخرها هذا اذا اراد وان يعدوها على الاجمال
واما التفصيل فلا يعلمه الا الله ان الانسان لظلوم يظلم النعمة باغفال شكرها كفار شديد
الكفران لها او ظلوم فى الشدة يشكو ويجزع كفار فى النعمة يجمع ويمنع والانسان للجنس
فيتناول الاخبار بالظلم والكفران من يوجدان منه واذ قال ابراهيم واذكر اذ قال
ابراهيم رب اجعل هذا البلد اى البلد الحرام امنا ذا امن والفرق بين هذه وبين ما فى
البقرة انه قد سال فيهما ان يجعله من جملة البلاد التى يامن اهلها وفى الثانى ان يخرجه
من صفة الخوف الى الامن كانه قال هو بلد مخوف فاجعله امنا واجنبنى وبعدنى اى ثبتنى
وادمنى على اجتناب عبادتها كما قال واجعلنا مسلمين لك اى ثبتنا على الاسلام وبنى اراد
بنيه من صلبه ان نعبد الاصنام من ان نعبد رب انهن اضللن كثيرا من الناس جعلن مضلات
على طريق التسبيب لان الناس ضلوا بسببهن فكانهن اضللنهم فمن تبعنى على ملتى وكان حنيفا
مسلما مثلى فانه منى اى هو بعضى لفرط اختصاصه بى ومن عصانى فيما دون الشرك فانك غفور
رحيم او ومن عصانى عصيان شرك فانك غفور رحيم ان تاب وامن ربنا انى اسكنت
من ذريتى بعض اولادى وهم اسماعيل ومن ولد منه بواد وهو وادى مكة غير ذى زرع

لا يكون فيه شئ من زرع قط عند بيتك المحرم هو بيت الله سمى به لان الله تعالى حرم
التعرض له والتهاون به وجعل ما حوله حرما لمكانه او لانه لم يزل ممنعا يهابه كل جبار
او لانه محترم عظيم دايم الحرمة لا يحل انتهاكها او لانه حرم على الطوفان اى منع منه كما سمى
عتيقا لانه اعتق منه ربنا ليقيموا الصلوة اللام متعلق باسكنت اى ما اسكنتهم بهذا الوادى
البلقع الا ليقيموا الصلوة عند بيتك المحرم ويعمروه بذكرك وعبادتك فاجعل افئدة
من الناس من فئدة الناس ومن للتبعيض لما روى عن مجاهد لو قال افئدة الناس لزحمتكم
عليه فارس والروم والترك والهند او للابتداء كقولك القلب منى سقيم تريد قلبى فكانه
قيل افئدة ناس ونكر المضاف اليه فى هذا التمثيل لتنكر افئدة لانها فى الاية نكرة ليتناول بعض
الافئدة تهوى اليهم تسرع اليهم وتطير نحوهم شوقا وارزقهم من الثمرات مع سكناهم واديا
ما فيه شئ منها بان يجلب اليهم من البلاد الشاسعة لعلهم يشكرون النعمة فى ان يرزقوا انواع
الثمرات فى واد ليس فيه شجر ولا ماء ربنا النداء المكرر دليل التضرع واللجاء الى الله انك
تعلم ما نخفى وما نعلن تعلم السر كما تعلم العلن وما يخفى على الله من شئ فى الارض ولا فى السماء
من كلام الله عز وجل تصديقا لابراهيم عليه السلام او من كلام ابراهيم ومن للاستغراق كانه
قيل وما يخفى عليه شئ ما الحمد لله الذى وهب لى على الكبر على بمعنى مع وهو فى موضع الحال
اى وهب لى وانا كبير اسمعيل واسحق روى ان اسمعيل ولد له وهو ابن تسع وتسعين سنة و
ولد له اسحق وهو ابن مائة وثنتى عشرة سنة وروى انه ولد له اسمعيل لاربع وستين واسحق
لتسعين وانما ذكر حال الكبر لان المنة بهبة الولد فيها اعظم لانها حال وقوع الياس من الولادة و
الظفر بالحاجة على عقيب الياس من اجل النعم ولان الولادة فى تلك السن العالية كانت اية
لابراهيم ان ربى لسميع الدعاء مجيب الدعاء من قولك سمع الملك قول فلان اذا تلقاه
بالاجابة والقبول ومنه سمع الله لمن حمده وكانه قد دعاه وسال الولد فقال رب هب لى
من الصالحين فشكر الله ما اكرمه به من اجابته واضافة السميع الى الدعاء اضافة الصفة الى مفعولها
واصله لسميع الدعاء وقد ذكر سيبويه فعيلا فى جملة ابنية المبالغة العاملة عمل الفعل كقولك
هذا رحيم اباه رب اجعلنى مقيم الصلوة ومن ذريتى وبعض ذريتى عطفا على المنصوب فى اجعلنى

وانما بعض لانه علم باعلام الله انه يكون فى ذريته كفار وعن ابن عباس رضى الله عنه لا يزال من ولد
ابراهيم ناس على الفطرة الى ان تقوم الساعة ربنا وتقبل دعائى بالياء فى الوصل والوقف
مكى وافقه ابو عمرو وحمزة فى الوصل الباقون بلا ياء اى استجب دعائى او عبادتى و
اعتزلكم وما تدعون من دون الله ربنا اغفر لى ولوالدى اى ادم وحوا او قاله قبل النهى
واليأس عن ايمان ابويه وللمؤمنين يوم يقوم الحساب اى يثبت او اسند الى الحساب قيام
اهله اسنادا مجازيا مثل واسأل القرية ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون تسلية للمظلوم
وتهديد للظالم والخطاب لغير الرسول عليه الصلوة والسلام وان كان للرسول فالمراد تثبيته
عليه الصلوة والسلام على ما كان عليه ومن انه لا يحسب الله غافلا كقوله ولا تكونن من المشركين
ولا تدع مع الله الها آخر وكما جاء فى الامر يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله وقيل
المراد به الايذان بانه عالم بما يفعل الظالمون لا يخفى عليه منه شئ وانه معاقبهم على قليله و
كثيره على سبيل الوعيد والتهديد كقوله والله بما تعملون عليم انما يؤخرهم اى عقوبتهم
ليوم تشخص فيه الابصار اى ابصارهم ولا تقر فى اماكنها من هول ما ترى مهطعين مسرعين
الى الداعى مقنعى رؤسهم رافعيها لا يرتد اليهم طرفهم لا يرجع اليهم نظرهم فينظروا الى انفسهم
وافئدتهم هواء صفر من الخير لا تعى شيئا من الخوف والهواء الخلاء الذى لم يشغله الاجرام
فوصف به فقيل قلب فلان هواء اذا كان جبانا لا قوة فى قلبه ولا جراءة وقيل جوف
لا عقول لهم وانذر الناس يوم يأتيهم العذاب اى يوم القيمة ويوم مفعول ثان لانذر لا ظرف
اذ لا انذار لا يكون فى ذلك اليوم فيقول الذين ظلموا اى الكفار ربنا اخرنا الى اجل قريب
نجب دعوتك ونتبع الرسل اى ردنا الى الدنيا وامهلنا الى اجل وحد من الزمان قريب
نتدارك ما فرطنا فيه من اجابة دعوتك واتباع رسلك فيقال لهم اولم تكونوا اقسمتم
من قبل ما لكم من زوال اى حلفتم فى الدنيا انكم اذا متم لا تزالون عن تلك الحالة ولا تنتقلون
الى دار اخرى يعنى كفرهم بالبعث كقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت
وما لكم جواب القسم وانما جاء بلفظ الخطاب لقوله اقسمتم ولو حكى لفظ المقسمين لقيل ما لنا
من زوال او اريد باليوم يوم هلاكهم بالعذاب العاجل او يوم موتهم معذبين بشدة السكرات

واعتزلكم

ولقاء الملائكة بلا بشرى فانهم يسألون يومئذ ان يؤخرهم ربهم الى اجل قريب يقال سكن الدار
وسكن فيه ومنه وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا انفسهم بالكفر لان السكن من السكون وهو
اللبث والاصل تعديه بفى نحو قر فى الدار واقام فيها ولكنه لما نقل الى سكون خاص تصرف
فيه فقيل سكن الدار كما قيل تبوءها ويجوز ان يكون سكنوا من السكون اى قروا فيها واطمأنوا
طيبى النفوس سائرين سيرة من قبلهم فى الظلم والفساد ولا يحدثونها بما لقى الاولون من ايام
الله وكيف كان عاقبة ظلمهم فيعتبروا ويرتدعوا وتبين لكم بالاخبار والمشاهدة وفاعل
تبين مضمر دل عليه الكلام اى تبين لكم حالهم وكيف ليس بفاعل لان الاستفهام لا يعمل فيه ما
قبله وانما نصب كيف بقوله فعلنا بهم اى اهلكناهم وانتقمنا منهم وضربنا لكم الامثال اى صفات
ما فعلوا وما فعل بهم وهى فى الغرابة كالامثال المضروبة لكل ظالم وقد مكروا مكرهم اى
مكرهم العظيم الذى استفرغوا فيه جهدهم وهو ما فعلوا فى تأييد الكفر وبطلان الاسلام
وعند الله مكرهم هو مضاف الى الفاعل كالاول والمعنى ومكتوب عند الله مكرهم فهو مجازيهم
عليه بمكر هو اعظم منه او الى المفعول اى وعند الله مكرهم الذى يمكرهم به وهو عذابهم
الذى يأتيهم من حيث لا يشعرون وان كان مكرهم لتزول منه الجبال بكسر اللام الاولى و
نصب الثانى والتقدير وان وقع مكرهم لزوال امر النبى فعبر عن امر النبى عليه الصلوة والسلام
بالجبال لعظم شأنه وكان تامة وان نافية واللام مؤكدة لها كقوله وما كان الله ليعذبهم
والمعنى محال ان تزول منه الجبال بمكرهم على ان الجبال مثل لآيات الله وشرايعه لانها بمنزلة
الجبال الراسية ثباتا وتمكنا دليله قراءة ابن مسعود وما كان مكرهم وبفتح اللام الاولى
ورفع الثانية على اى وان كان مكرهم من الشدة بحيث تزول منه الجبال وتنقلع عن اماكنها
فان مخففة من ان واللام مؤكدة فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله يعنى قوله انا لننصر
رسلنا كتب الله لاغلبن انا ورسلى مخلف مفعول ثان لتحسبن واضاف مخلف الى وعده
وهو المفعول الثانى له والاول رسله والتقدير مخلف رسله وعده وانما قدم المفعول
الثانى على الاول ليعلم انه لا يخلف الوعد اصلا كقوله ان الله لا يخلف الميعاد ثم قال رسله
ليؤذن انه اذا لم يخلف وعده احدا فكيف يخلف رسله الذين هم خيرته وصفوته ان الله

عزيز غالب لا يماكر ذو انتقام لاوليائه من اعدائه وانتصاب يوم تبدل الارض غير الارض
والسموات على الظرف للانتقام او على اضمار اذكر والمعنى يوم تبدل هذه الارض التي تعرفونها
ارضا اخرى غير هذه المعروفة وتبدل السموات غير السموات وانما حذف لدلالة ما قبله
عليه والتبديل التغيير وقد يكون في الذات كقوله بدلت الدراهم دنانير وفي الاوصاف
كقولك بدلت الحلقة خاتما اذا اذبتها وسويتها خاتما فنقلتها من شكل الى شكل واختلف
في تبديل السموات والارض فقيل تبدل اوصافها فتسير عن الارض جبالها وتفجر بحارها و
تسوى فلا يرى فيها عوج ولا امت وعن ابن عباس رض هي تلك الارض وانما تغير وتبدل
السماء بانتثار كواكبها وكسوف شمسها وخسوف قمرها وانشقاقها وكونها ابوابا وقيل
تخلف بدلها ارض وسموات اخر وعن ابن مسعود رض يحشر الناس على ارض بيضاء لم يخطئ
عليها احد خطيئة وعن على رض تبدل ارض من فضة وسموات من ذهب وبرزوا وخرجوا
من قبورهم لله الواحد القهار هو كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار لان الملك
اذا كان لواحد غلاب لا يغالب فلا مستغاث لاحد الى غيره كان الامر في غاية الشدة وترى
المجرمين الكافرين يومئذ مقرنين قرن بعضهم مع بعض او مع الشياطين او قرنت ايديهم
الى ارجلهم مغللين في الاصفاد متعلق بمقرنين اى يقرنون في الاصفاد او غير متعلق به
والمعنى مقرنين مصفدين والاصفاد القيود او الاغلال سرابيلهم قميصهم من قطران
هو ما يتحلب من شجر يسمى الابهل فيطبخ فتهنأ به الابل الجربى فيحرق الجرب بحره وحدته
ومن شانه ان يسرع فيه اشتعال النار وهو اسود اللون منتن الريح فيطلى به جلود اهل النار
حتى يعود طلاؤه لهم كالسرابيل ليجتمع عليهم لذع القطران وحرقته واسراع النار في جلودهم
واللون الوحش ونتن الريح على ان التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين وكل ما
وعده الله او اوعد به في الاخرة فبينه وبين ما نشاهد من جنسه ما لا يقادر قدره وكانه ما
عندنا منه الا الاسامي والمسميات ثمة نعوذ بالله من سخطه وعذابه من قطران زيد عن يعقوب
نحاس فذاب بلغ حره اناه وتغشى وجوههم النار تعلوها باشتعالها وخص الوجه لانه
اعز موضع في ظاهر البدن كالقلب في باطنه ولذا قال تطلع على الافئدة ليجزي الله كل نفس ما

كسبت اى يفعل بالمجرمين ما يفعل ليجزى كل نفس مجرمة ما كسبت او كل نفس مجرمة او مطيعة
لانه اذا عاقب المجرمين لاجرامهم علم انه يثيب المومنين لطاعتهم ان الله سريع الحساب
يحاسب جميع العباد في اسرع من لمح البصر هذا اى ما وصفه من قوله ولا تحسبن الله الى قوله
سريع الحساب بلاغ للناس اى كفاية في التذكير والموعظة ولينذروا به بهذا البلاغ وهو
معطوف على محذوف اى لينصحوا ولينذروا وليعلموا انما هو اله واحد لانهم اذا خافوا ما
انذروا به دعتهم المخافة الى النظر حتى يتوصلوا الى التوحيد لان الخشية ام الخير كله وليذكر
اولوا الالباب ذوو العقول

سورة الحجر مكية وهي تسع وتسعون اية بسم الله الرحمن الرحيم

الر تلك ايات الكتاب وقران مبين تلك اشارة الى ما تضمنته السورة من الايات والكتاب
والقران المبين السورة وتنكير القران للتفخيم والمعنى تلك ايات الكتاب الكامل في كونه كتابا
واى قران مبين كانه قيل الكتاب الجامع للكمال والغرابة في البيان ربما بالتخفيف مدنى و
عاصم وبالتشديد غيرهما وما هي الكافة لانها حرف تجر ما بعدها الفعل الماضي والاسم وانما
جاز يود الذين كفروا لان المترقب في اخبار الله بمنزلة الماضي المقطوع به في تحققه فكانه
قيل ربما ود وودادتهم يكون عند النزع او يوم القيمة اذا عاينوا حالهم وحال المسلمين
او اذا راوا المسلمين يخرجون من النار فيتمنى الكافر لو كان مسلما كذا روى عن ابن عباس رض
لو كانوا مسلمين حكاية ودادتهم وانما جيء بها على لفظ الغيبة لانهم مخبر عنهم كقولك حلف
بالله ليفعلن ولو قيل حلف بالله لا فعلن به ولو كنا مسلمين لكان حسنا وانما قلل بربما لان
اهوال القيمة تشغلهم عن التمنى فاذا افاقوا من سكرات العذاب ودوا لو كانوا مسلمين و
قول من قال ان رب يعنى بها الكثيرة سهو لانه ضد ما يعرفه اهل اللغة لانها وضعت للتقليل
ذرهم امر اهانة اى اقطع طمعك من ارعوائهم ودعهم عن النهى عما هم عليه بالتذكرة والنصيحة
ونخلهم ياكلوا ويتمتعوا بدنياهم ويلههم الامل ويشغلهم املهم واما نيتهم عن الايمان فسوف
يعلمون سوء صنيعهم وفيه تنبيه على ان ايثار التلذذ والتنعم مما يودى اليه طول الامل ليس من
اخلاق المومنين وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم ولها كتاب جملة واقعة صفة لقرية
والقياس ان لا يتوسط الواو بينهما كما في وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون وانما توسطت

لتاكيد لصوق الصفة بالموصوف اذ الصفة ملتصقة بالموصوف بلا واو فجيء بالواو تاكيدا
لذلك والوجه ان يكون هذه الجملة حالا لقرية لكونها في حكم الموصوف كانه قيل وما اهلكنا قرية
من القرى الا وصفا وقوله كتاب معلوم اي مكتوب معلوم وهو اجلها الذي كتب في اللوح
المحفوظ وبين الا ترى الى قوله ما تسبق من امة اجلها في موضع كتابها وما يستاخرون اي عنه
وحذف لانه معلوم وانث الامة اولا وذكرها اخرا حملا على اللفظ والمعنى وقالوا اي الكفار
يا ايها الذي نزل عليه الذكر اي القران انك لمجنون يعنون محمدا عليه السلام وكان هذا النداء
منهم على وجه الاستهزاء كما قال فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون وكيف يقرون
بنزول الذكر عليه وينسبونه الى الجنون والتعكيس في كلامهم للاستهزاء والتهكم شائع ومنه
فبشرهم بعذاب اليم انك لانت الحليم الرشيد والمعنى انك لتقول قول المجانين حيث تدعي
ان الله نزل عليك الذكر لو ما تاتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين لو ركب مع لا وما لامتناع
الشيء لوجود غيره او للتحضيض وهل ركبت مع لا للتحضيض فحسب والمعنى هلا تاتينا بالملائكة
يشهدون بصدقك او هلا تاتينا بالملائكة للعقاب على تكذيبنا لك ان كنت صادقا ما ننزل
الملائكة كوفي غير ابي بكر تنزل الملائكة ابو بكر تنزل الملائكة اي تتنزل غيرهم الا بالحق الا تنزيلا
ملتبسا بالحكمة وما كانوا اذا منظرين اذا جواب لهم وجزاء لشرط مقدر تقديره ولو نزلنا
الملائكة ما كانوا منظرين وما اخرنا عذابهم انا نحن نزلنا الذكر القران وانا له للقران
لحافظون وهو رد لانكارهم واستهزائهم في قولهم يا ايها الذي نزل عليه الذكر ولذلك
قال انا نحن فاكد عليهم انه هو المنزل على القطع وانه هو الذي نزله محفوظا من الشيطان وهو
حافظه في كل وقت من الزيادة والنقصان والتحريف والتبديل بخلاف الكتب المقدمة
فانه لم يتول حفظها وانما استحفظها الربانيون والاحبار فاختلفوا فيما بينهم بغيا فوقع
التحريف ولم يكل القران الى غيره حفظه وقد جعل قوله وانا له لحافظون دليلا على انه منزل
من عنده اية اذ لو كان من قول البشر او غير اية لتطرق عليه الزيادة والنقصان كما يتطرق
على كل كلام سواه او الضمير فيه لرسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله والله يعصمك ولقد
ارسلنا من قبلك في شيع الاولين اي ولقد ارسلنا من قبلك رسلا في الفرق الاولين و الشيعة

الفرق

اذا اتفقوا على مذهب وطريقة وما ياتيهم حكاية حال ماضية لان ما لا يدخل على مضارع الا وهو
في معنى الحال ولا على ماض الا وهو قريب من الحال من رسول الا كانوا به يستهزءون يعزي
نبيه عليه الصلوة والسلام كذلك نسلكه في قلوب المجرمين اي كما اسلكنا الاستهزاء في شيع
الاولين نسلكه اي الكفر او الاستهزاء في قلوب المجرمين من امتك من اختار ذلك يقال سلكت
الخيط في الابرة واسلكته اذا ادخلته فيها وهو حجة على المعتزلة في الاصلح وخلق الافعال
لا يؤمنون به بالله او بالذكر وهو حال وقد خلت سنة الاولين مضت طريقتهم التي سنها
الله في اهلاكهم حين كذبوا رسله وهو وعيد لاهل مكة على تكذيبهم ولو فتحنا عليهم بابا من
السماء ولو اظهرنا لهم اوضح اية وهو فتح باب من السماء فظلوا فيه يعرجون يصعدون
لقالوا انما سكرت ابصارنا حيرت او حبست من الابصار من السكر او السكر سكرت مكي اي
حبست كما يحبس النهر من الجري والمعنى ان هؤلاء المشركين بلغ من غلوهم في العناد ان لو فتح
لهم باب من ابواب السماء ويسر لهم معراج يصعدون فيه اليها ورأوا من العيان ما رأوا
لقالوا هو شيء نتخايله لا حقيقة له ولقالوا بل نحن قوم مسحورون قد سحرنا محمد بذلك او
الضمير للملائكة اي لو اريناهم الملائكة يصعدون في السماء عيانا لقالوا ذلك وذكر الظلول
ليجعل عروجهم بالنهار ليكونوا مستوضحين لما يرون وقالوا انما ليدل على انهم يبتون القول بان
ذلك ليس الا تسكيرا للابصار ولقد جعلنا في السماء اي خلقنا فيها بروجا نجوما او قصورا
فيها الحرس او منازل النجوم وزيناها اي السماء للناظرين وحفظناها السماء من كل شيطان
رجيم ملعون او مرمي بالنجوم الا من استرق السمع اي المسموع ومن في محل النصب على الاستثناء
فاتبعه شهاب نجم ينقض فيعود مبين ظاهر للمبصرين قيل كانوا لا يحجبون عن السموات
كلها فلما ولد عيسى منعوا من ثلث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات
كلها والارض مددناها بسطناها من تحت الكعبة والجمهور على انه تعالى مدها على وجه الماء و
القينا فيها رواسي في الارض جبالا ثوابت وانبتنا فيها من كل شيء موزون وزن بميزان الحكمة
وقدر بمقدار يقتضيه لا تصلح فيه زيادة ولا نقصان او له وزن وقدر في ابواب المنفعة
والنعمة او ما يوزن كالزعفران والذهب والفضة والنحاس والحديد وغيرها وخص ما ينبت

لانتهاء الكيل الى الوزن وجعلنا لكم فيها فى الارض معايش مايعاش به من الطعام جمع معيشة
وهى بياء صريحة بخلاف الخبائث ونحوها فان تصريح الباء فيه خطاء ومن لستم له برازقين
من فى محل النصب بالعطف على معايش وما على محل لكم كانه قيل وجعلنا لكم فيها معايش و
جعلنا لكم من لستم له برازقين او وجعلنا لكم فيها معايش ولمن لستم له برازقين واراد بهم العيال
والمماليك والخدم الذين يظنون انهم يرزقونهم ويخطئون فان الله هو الرازق يرزقهم
واياهم ويدخل فيه الانعام والدواب ونحو ذلك ولايجوز ان يكون محل من جوابا العطف
على الضمير المجرور فى لكم لانه لايعطف على الضمير المجرور الاباعادة الجار وان من شئ الا عندنا
خزائنه وماننزله الابقدر معلوم ذكر الخزائن تمثيل والمعنى ومامن شئ ينتفع به العباد
الا ونحن قادرون على ايجاده وتكوينه والانعام به وما نعطيه الابمقدار معلوم فضرب الخزائن
مثلا لاقتداره على كل مقدور وارسلنا الرياح لواقح جمع لاقحة اى وارسلنا الرياح حوامل
بالسحاب لانها تحمل السحاب فى جوفها كانها لاقحة بها من لقحت الناقة حملت وضدها العقيم
الريح حمزة فانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه فجعلنا لكم سقيا وما انتم له بخازنين نفى
عنهم ما اثبته لنفسه فى قوله وان من شئ الا عندنا خزائنه كانه قال نحن خازنون للماء على
معنى نحن القادرون على خلقه فى السماء وانزاله منها وما انتم عليه بقادرين دلالة على عظم
قدرته وعجزهم وانا لنحن نحيى بالايجاد ونميت بالافناء او نميت عند انقضاء الاجال ونحيى
لجزاء الاعمال على التقديم والتاخير اذ الواو للجمع المطلق ونحن الوارثون الباقون بعد هلاك
الخلق كله وقيل للباقى الوارث استعارة من وارث الميت لانه يبقى بعد فنائه ولقد علمنا
المستقدمين منكم ولقد علمنا المستاخرين من تقدم ولادة وموتا ومن تاخر او من خرج من
اصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد او من تقدم فى الاسلام او فى الطاعة او فى صف الجماعة او فى
صف الحرب ومن تاخر وان ربك هو يحشرهم اى هو وحده يقدر على حشرهم ويحيط بحصرهم
انه حكيم عليم باهر الحكمة واسع العلم ولقد خلقنا الانسان اى ادم من صلصال طين يابس غير
مطبوخ من حماء صفة لصلصال اى خلقه من صلصال كاين من حماء اى طين اسود متغير مسنون
مصور وفى الاول كان ترابا فعجن بالماء فصار طينا فمكث فصار حماء فخلص فصار سلالة فصور

ويبس فصار صلصالا فلا تناقض والجان ابا الجن كادم للناس او هو ابليس وهو منصوب
بفعل مضمر يفسره خلقناه من قبل من قبل ادم من نار السموم من نار الحر الشديد النافذ فى المسام
قيل هذه السموم جزء من سبعين جزء من سموم النار التى خلق الله منه الجان واذ قال ربك
واذكر وقت قوله للملايكة انى خالق بشرا من صلصال من حماء مسنون فاذا سويته اتممت
خلقته وهياتها لنفخ الروح فيها ونفخت فيه من روحى وجعلت فيه الروح واحييته
وليس ثم نفخ وانما هو تمثيل والاضافة للتخصيص فقعوا له ساجدين هو امر من وقع يقع
اى اسقطوا على الارض يعنى اسجدوا له ودخل الفاء لانه جواب اذا وهو دليل على انه يجوز
تقدم الامر عن وقت الفعل فسجد الملايكة كلهم اجمعون فالملايكة جمع عام محتمل للتخصيص
فقطع باب التخصيص كلهم وذكر الكل احتمل تاويل التفرق فقطعه بقوله اجمعون الا ابليس
ظاهر الاستثناء يدل على انه كان من الملايكة لان المستثنى يكون من جنس المستثنى منه وعن الحسن ان
الاستثناء منقطع ولم يكن من الملايكة قلنا غير المامور لايصير بالترك ملعونا وقال فى الكشاف
كان بينهم مامورا بالسجود فغلب اسم الملايكة ثم استثنى بعد التغليب كقولك رايتهم الا
هندا ابى ان يكون مع الساجدين امتنع ان يكون معهم وابى استيناف على تقدير قول قايل يقول
هلا سجد فقيل ابى ذلك واستكبر عنه وقيل معناه ولكن ابليس ابى قال يا ابليس مالك الا تكون
مع الساجدين حرف الجر مع ان محذوف تقديره مالك فى ان لا تكون مع الساجدين اى
اى غرض لك فى ابايك السجود قال لم اكن لاسجد اللام لتاكيد النفى اى لايصح منى ان اسجد لبشر
خلقته من صلصال من حما مسنون قال فاخرج منها من السماء او من الجنة او من جملة الملايكة
فانك رجيم مطرود من رحمة الله ومعناه ملعون فان اللعن هو الطرد من الرحمة والابعاد
منها وان عليك اللعنة الى يوم الدين ضرب يوم الدين حدا للعنة لانه ابعد غاية يضربها الناس
فى كلامهم او المراد به انك مذموم مدعو عليك باللعنة فى السموات والارض الى يوم الدين
من غير ان تعذب فاذا جاء ذلك اليوم عذبت بما ينسى اللعن معه قال رب فانظرنى فاخرنى
الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم يوم الدين ويوم يبعثون
ووقت المعلوم فى معنى واحد ولكن خولف بين العبارات سلوكا بالكلام طريقة البلاغة

وقيل انما سال الانظار الى يوم الذى فيه يبعثون ليلا يموت لانه لا يموت يوم البعث احد فلم
يجب الى ذلك وانظر الى آخر ايام التكليف قال رب بما اغويتنى الباء للقسم وما مصدرية و
جواب القسم لازينن لهم والمعنى اقسم باغوايك اياى لازينن لهم المعاصى ونحو قوله بما اغويتنى
لازينن لهم فبعزتك لاغوينهم اجمعين فى انه اقسام الا ان احدهما اقسام بصفة الذات والثانى
بصفة الفعل وقد فرق الفقهاء بينهما فقال العراقيون الحلف بصفة الفعل كالرحمة والسخط
ليس بيمين والاصح ان الايمان مبنية على العرف فما تعارف الناس الحلف به يكون يمينا وما لا
فلا والاية حجة على المعتزلة فى خلق الافعال وحملهم على التسبب عدول عن الظاهر فى الارض
فى الدنيا التى هى دار الغرور او اراد انى اقدر على الاحتيال لآدم والتزيين له الاكل من الشجرة
وهو فى السماء فانا على التزيين لاولاده فى الارض اقدر ولاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم
المخلصين وبكسر اللام بصرى ومكى وشامى استثنى المخلصين لانه علم ان كيده لا يعمل فيهم ولا يقبلون
منه قال هذا صراط على مستقيم ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين
اى هذا طريق حق على ان اراعيه وهو ان لا يكون لك سلطان على عبادى الا من اختار اتباعك
منهم لغوايته وقيل معنى على الى على يقرب من علو الشرف والفضل وان جهنم لموعدهم
اجمعين الضمير للغاوين لها سبعة ابواب لكل باب منهم من اتباع ابليس جزء مقسوم نصيب
معلوم مفرز قيل ابواب النار اطباقها وادراكها فاعلاها للموحدين يعذبون بقدر ذنوبهم
ثم يخرجون والثانى لليهود والثالث للنصارى والرابع للصابيين والخامس للمجوس و
السادس للمشركين والسابع للمنافقين ان المتقين فى جنات وعيون وبضم العين مدنى وبصرى
وحفص المتقى على الاطلاق من يتقى ما يجب اتقاؤه مما نهى عنه وقال فى الشرح ان دخل اهل
الكبائر فى قوله لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم فالمراد بالمتقين الذين اتقوا
الكبائر والا فالمراد الذين اتقوا الشرك ادخلوها اى يقال لهم ادخلوها بسلام حال اى سالمين
او مسلما عليكم تسلم عليكم الملايكة آمنين من الخروج منها والافات وهو حال اخرى ونزعنا
ما فى صدورهم من غل هو الحقد الكامن فى القلب اى ان كان لاحد غل فى الدنيا على آخر نزع الله
ذلك فى الجنة من قلوبهم وطيب نفوسهم وعن على رضى الله عنه ارجو ان اكون انا وعثمان

وطلحة والزبير منهم وقيل معناه طهر الله قلوبهم من ان يتحاسدوا على الدرجات فى الجنة ونزع
منها كل غل والقى فيها التواد والتحاب اخوانا حال على سرر متقابلين كذلك قيل تدور بهم
الاسرة حيثما داروا فيكونون فى جميع احوالهم متقابلين يرى بعضهم بعضا لا يمسهم فيها نصب
فى الجنة تعب وما هم منها بمخرجين فتمام النعمة بالخلود ولما اتم ذكر الوعد والوعيد اتبعه
نبئ عبادى انى انا الغفور الرحيم وان عذابى هو العذاب الاليم تقريرا لما ذكر وتمكينا له
فى النفوس قال عليه الصلوة والسلام لو يعلم العبد قدر عفو الله لما تورع عن حرام ولو
يعلم قدر عذابه لبخع نفسه فى العبادة ولما اقدم على ذنب وعطف ونبئهم واخبر امتك
على نبئ عبادى ليتخذوا ما احل من العذاب بقوم لوط عبرة يعتبرون بها سخط الله وانتقا
من المجرمين ويتحققوا عنده ان عذابه هو العذاب الاليم عن ضيف ابراهيم
اى اضيافه وهو جبريل مع احد عشر ملكا والضيف يجيئ واحدا وجمعا لانه مصدر ضافه
اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما اى نسلم عليك سلاما او سلمنا سلاما قال ابراهيم انا منكم
وجلون خائفون لامتناعهم من الاكل او لدخولهم بغير اذن وبغير وقت قالوا
لا توجل لا تخف انا نبشرك استيناف فى معنى التعليل للنهى عن الوجل اى انك مبشر آمن
فلا توجل وبالتخفيف وفتح النون حمزة بغلام عليم هو اسحق لقوله فى سورة هود
فبشرناه باسحق قال ابشرتمونى على ان مسنى الكبر اى ابشرتمونى مع مس الكبر بان يولد لى
ان الولادة امر مستنكر عادة مع الكبر فبم تبشرون هى ما الاستفهامية دخلها معنى التعجب
كانه قيل فباى اعجوبة تبشرونى وبكسر النون والتشديد مكى والاصل تبشروننى فادغم
نون الجمع فى نون العماد ثم حذفت الياء وبقى الكسرة دليلا عليها تبشرون بالتخفيف
نافع والاصل تبشروننى فحذفت الياء اجتزاء بالكسرة وحذفت نون الجمع لاجتماع النونين
الباقون بفتح النون وحذف المفعول والنون نون الجمع قالوا بشرناك بالحق باليقين الذى
ليس فيه شك فلا تكن من القانطين من الآيسين من ذلك قال اى ابراهيم ومن يقنط وبكسر
النون بصرى وعلى من رحمة ربه الا الضالون الا المخطئون طريق الصواب او الا القوم
الكافرون كقوله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون اى لم استنكر ذلك قنوطا

من رحمته ولكن استبعادا له فى العادة التى اجراها الله قال فما خطبكم فما شانكم ايها المرسلون
قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين اى قوم لوط الا آل لوط يريد اهل المؤمنين والاستثناء
منقطع لان القوم موصوفون بالاجرام والمستثنى ليس كذلك او متصل فيكون استثناء من
الضمير فى مجرمين كانه قيل الى قوم قد اجرموا كلهم الا آل لوط وحدهم والمعنى يختلف باختلاف
الاستثنائين لان آل لوط مخرجون فى المنقطع من حكم الارسال يعنى انهم ارسلوا الى القوم
المجرمين خاصة ولم يرسلوا الى آل لوط اصلا ومعنى ارسالهم الى قوم مجرمين كارسال
السهم الى المرمى فانه فى معنى التعذيب والاهلاك كانه قيل انا اهلكنا قوما مجرمين ولكن
آل لوط انجيناهم واما فى المتصل فهم داخلون فى حكم الارسال يعنى ان الملائكة ارسلوا اليهم
جميعا ليهلكوا هؤلاء وينجوا هؤلاء واذا انقطع الاستثناء جرى انا لمنجوهم اجمعين مجرى
خبر لكن فى الاتصال بآل لوط لان المعنى لكن آل لوط منجون واذا اتصل كان كلاما مستانفا
كان ابراهيم عليه السلام قال لهم فما حال آل لوط فقالوا انا لمنجوهم الا امراته مستثنى من
الضمير المجرور فى لمنجوهم وليس باستثناء من الاستثناء لان الاستثناء من الاستثناء
انما يكون فيما اتحد الحكم فيه بان يقول اهلكناهم الا آل لوط الا امراته وهنا قد اختلف
الحكمان لان الا آل لوط متعلق بارسلنا او بمجرمين والا امراته متعلق بمنجوهم فكيف يكون
استثناء من استثناء لمنجوهم بالتخفيف حمزة وعلى قدرنا وبالتخفيف ابو بكر انها لمن
الغابرين الباقين فى العذاب قيل لو لم يكن اللام فى خبرها لوجب فتح ان لانه مع اسمه
خبره مفعول قدرنا ولكنه كقوله ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون وانما اسند الملائكة فعل
التقدير الى نفسهم ولم يقولوا قدر الله لقربهم كما يقول خاصة الملك امرنا بكذا والآمر
هو الملك فلما جاء آل لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون اى لا اعرفكم اى ليس عليكم
زى السفر ولا انتم من اهل الحضر فاخاف ان تطرقونى بشر قالوا بل جئناك بما كانوا
فيه يمترون اى ما جئناك بما تنكرنا لاجله بل جئناك بما فيه سرورك وتشفيك من عدوك وهو
العذاب الذى كنت تتوعدهم بنزوله فيمترون فيه اى يشكونك ويكذبونك واتيناك
بالحق باليقين من عذابهم وانا لصادقون فى الاخبار بنزوله بهم فاسر باهلك بقطع

من الليل فى اخر الليل او بعد ما يمضى شىء صالح من الليل واتبع ادبارهم وسر خلفهم لتكون مطلعا
عليهم وعلى احوالهم ولا يلتفت منكم احد لئلا يروا ما ينزل بقومهم من العذاب فيرقوا لهم او
جعل النهى عن الالتفات كناية عن مواصلة السير وترك التوانى والتوقف لان من يلتفت
لا بد له فى ذلك من ادنى وقفة وامضوا حيث تؤمرون حيث امركم الله بالمضى اليه وهو
الشام او مصر وقضينا اليه ذلك الامر عدى قضينا بالى لانه ضمن معنى اوحينا اليه كانه
قيل واوحينا مقضيا بالى مبتوتا وفسر ذلك الامر بقوله ان دابر هؤلاء مقطوع وفى ابهامه
وتفسيره تفخيم للامر ودابرهم آخرهم اى يستاصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم مصبحين
وقت دخولهم فى الصبح وهو حال عن هؤلاء وجاء اهل المدينة اهل سدوم التى ضرب بقاضيها
المثل فى الجور يستبشرون بالملائكة طمعا منهم فى ركوب الفاحشة قال لوط ان هؤلاء ضيفى
فلا تفضحون بفضيحة ضيفى لان من اسىء الى ضيفه فقد اسىء اليه واتقوا الله ولا تخزون
ولا تذلون باذلال ضيفى من الخزى وهو الهوان وبالياء فيهما يعقوب قالوا اولم ننهك
عن العالمين عن ان تجير منهم احدا وتدفع عنهم فانهم كانوا يتعرضون لكل احد وكان
عليه الصلوة والسلام يقوم بالنهى عن المنكر والحجز بينهم وبين المتعرض له فاوعدوه
قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين او عن ضيافة الغرباء قال هؤلاء بناتى
فانكحوهن وكان نكاح المؤمنات من الكفار جائزا ولا تتعرضوا لهم ان كنتم فاعلين ان
كنتم تريدون قضاء الشهوة فيما احل الله دون ما حرم فقالت الملائكة للوط عليه السلام
لعمرك انهم لفى سكرتهم اى غوايتهم التى اذهبت عقولهم وتمييزهم بين الخطاء الذى
هم عليه وبين الصواب الذى تشير عليهم به من ترك البنين الى البنات يعمهون يتحيرون
فكيف يقبلون قولك ويصغون الى نصيحتك او الخطاب لرسول الله عليه الصلوة والسلام
وهو قسم بحياته وما اقسم بحياة احد قط تعظيما له والعمر والعمر واحد وهو البقاء
الا انهم خصوا القسم بالمفتوح ايثارا للاخف فيه لكثرة دور الحلف على السنتهم ولذا
حذفوا الخبر وتقديره لعمرك قسمى فاخذتهم الصيحة صيحة جبرئيل عليه السلام مشرقين داخلين
فى الشروق وهو بزوغ الشمس فجعلنا عاليها سافلها رفعها جبرئيل عليه السلام ثم قلبها

والضمير لقرى قوم لوط وامطرنا عليهم حجارة من سجيل ان في ذلك لايات للمتوسمين
للمتفرسين المتاملين كانهم يعرفون باطن الشيء بسمة ظاهرة وانها وان هذه القرى يعني
اثارها لبسبيل مقيم ثابت يسلكه الناس لم يندرس بعد وهم يبصرون تلك الاثار وهو
تنبيه لقريش كقوله وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل ان في ذلك لاية للمومنين لانهم
المنتفعون بذلك وان كان اصحاب الايكة وان الامر والشان كان اصحاب الايكة اي الغيضة
لظالمين لكافرين وهم قوم شعيب عليه السلام فانتقمنا منهم فاهلكناهم لما كذبوا شعيبا
على نبينا وعليه السلام وانهما يعني قرى قوم لوط والايكة لبامام مبين لبطريق واضح
والامام اسم ما يؤتم به وسمي به الطريق ومطر البناء لانهما مما يوتم به ولقد كذب
اصحاب الحجر ثمود والحجر واديهم وهو بين المدينة والشام المرسلين يعني بتكذيبهم صالحا
لان كل رسول يدعو الى الايمان بالرسل جميعا فمن كذب واحدا منهم فكانما كذبهم جميعا
او اراد صالحا ومن معه من المومنين كما قيل الخبيبون في ابن الزبير واصحابه واتيناهم
اياتنا فكانوا عنها معرضين اي اعرضوا منها ولم يومنوا بها وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا
اي ينقبون في الجبال ويبنون من الحجارة آمنين لوثاقة البيوت واستحكامها من ان تنهدم
ومن نقب اللصوص والاعداء او امنين من عذاب الله يحسبون ان الجبال تحميهم منه
فاخذتهم الصيحة العذاب مصبحين في اليوم الرابع وقت الصبح فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون
من بناء البيوت الوثيقة واقتناء الاموال النفيسة وما خلقنا السموات والارض وما بينهما
الا بالحق الا خلقا ملتبسا بالحق لا باطلا او عبثا او بسبب العدل والانصاف يوم الجزاء على الاعمال
وان الساعة اي القيمة لتوقعها كل ساعة لاتية وان الله ينتقم لك فيها من اعدائك ويجازيك
واياهم على حسناتك وسياتهم فانه ما خلق السموات والارض وما بينهما الا لذلك فاصفح
الصفح الجميل فاعرض عنهم اعراضا جميلا بحلم واغضاء قيل هو منسوخ باية السيف وان اريد
به المخالفة فلا يكون منسوخا ان ربك هو الخلاق الذي خلقك وخلقهم العليم بحالك و
حالهم فلا يخفى عليه ما يجرى بينكم وهو يحكم بينكم ولقد اتيناك سبعا اي سبع ايات وهي
الفاتحة او سبع سور وهي الطوال واختلف في السابعة فقيل الانفال وبراءة لانهما في حكم سورة

بدليل

بدليل عدم التسمية بينهما وقيل سورة يونس او اسباع القران من المثاني هي من التثنية وهي
التكرير لان الفاتحة مما تكرر في الصلوة او من الثناء لاشتمالها على ما هو ثناء على الله
الواحدة مثناة او مثنية صفة للاية واما السور والاسباع فلما وقع فيهما من تكرير
القصص والمواعظ والوعد والوعيد ولما فيها من الثناء كانها تثني على الله واذا جعلت
السبع مثاني فمن للتبيين واذا جعلت القران مثاني فمن للتبعيض والقران العظيم هذا
ليس بعطف الشيء على نفسه لانه اذا اريد بالسبع الفاتحة او الطول فما وراءهن ينطلق
عليه اسم القران لانه اسم يقع على البعض كما يقع على الكل دليله قوله بما اوحينا اليك
هذا القران يعني سورة يوسف واذا اريد به الاسباع فالمعنى ولقد اتيناك ما يقال
له السبع المثاني والقران العظيم اي الجامع لهذين النعتين وهو التثنية او الثناء والعظم
ثم قال لرسوله لا تمدن عينيك لا تطمح ببصرك طموح راغب فيه متمن له الى ما متعنا
به ازواجا منهم اصنافا من الكفار كاليهود والنصارى والمجوس يعني قد اوتيت النعمة
العظمى التي كل نعمة وان عظمت فهي اليها حقيرة وهي القران العظيم فعليك ان تستغني
به ولا تمدن عينيك الى متاع الدنيا ومنه الحديث ليس منا من لم يتغن بالقران وحديث
ابي بكر رضي الله عنه من اوتي القران فراى ان احدا اوتي من الدنيا افضل مما اوتي فقد
صغر عظيما وكبر صغيرا ولا تحزن عليهم اي لا تتمن اموالهم ولا تحزن عليهم انهم لا يومنون
فيتقوى بمكانهم الاسلام والمسلمون واخفض جناحك للمومنين وتواضع لمن معك
من فقراء المومنين وطب نفسا من ايمان الاغنياء وقل لهم اني انا النذير المبين انذركم
ببيان وبرهان ان عذاب الله نازل بكم كما انزلنا متعلق بقوله ولقد اتيناك اي انزلنا
عليك مثل ما انزلنا على المقتسمين وهم اهل الكتاب الذين جعلوا القران عضين اجزاء
جمع عضة واصلها عضوة فعلة من عضى الشاة اذا جعلها اعضاء حيث قالوا بعنادهم
بعضه حق موافق للتورية والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما فاقتسموه الى حق وباطل
وعضوه وقيل كانوا يستهزؤن به فيقول بعضهم سورة البقرة لي ويقول الاخر سورة
ال عمران لي او اريد بالقران ما يقرؤنه من كتبهم وقد اقتسموه فاليهود اقرت ببعض التورية

وكذبت ببعض والنصارى اوقرت ببعض الانجيل وكفرت ببعض ويجوز ان يكون الذين
جعلوا القران عضين منصوبا بالنذير اى انذر المعضين الذين يجزون القران الى
سحر وشعر واساطير مثل ما انزلنا على المقتسمين وهم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل
مكة ايام الموسم فقعدوا فى كل مدخل متفرقين لينفروا الناس عن الايمان برسول الله
عليه الصلوة والسلام يقول بعضهم لا تغتروا بالخارج منا فانه ساحر ويقول الاخر
كذاب والاخر شاعر فاهلكهم الله ولا تمدن عينك على الوجه الاول اعتراض بينهما
لانه لما كان ذلك تسلية لرسول الله عن تكذيبهم وعداوتهم اعترض بما هو مدد لمعنى
التسلية من النهى عن الالتفات الى دنياهم والتاسف على كفرهم ومن الامر بان يقبل بكليته
على المومنين فوربك لنسالنهم اجمعين عما كانوا يعملون اقسم بذاته وربوبيته لنسالن يوم
القيمة واحدا واحدا من هولاء المقتسمين عما قالوه فى رسول الله او فى القران او فى
كتب الله فاصدع بما تومر فاجهر به واظهره يقال صدع بالحجة اذ اتكلم بها جهارا من
الصديع وهو الفجر او فاصدع فافرق بين الحق والباطل من الصدع فى الزجاجة وهو
الابانة بما تومر به والمعنى بما تومر به من الشرايع فحذف الجار كقولك امرتك الخير فافعل
ما امرت به واعرض عن المشركين هو امر استهانة بهم انا كفيناك المستهزءين الجمهور على
انها نزلت فى خمسة نفر كانوا يبالغون فى ايذاء رسول الله عليه الصلوة والسلام والاستهزا
فاهلكهم الله وهم الوليد بن المغيرة مر بنبال فتعلق بثوبه سهم فاصاب عرقا فى عنقه
فقطعه فمات والعاص بن وايل دخل فى اخمصه شوكة فانتفخت رجله ومات والاسود
بن عبد المطلب فعمى والاسود بن عبد يغوث جعل ينطح راسه بالشجرة ويضرب وجهه
بالشوك حتى مات والحارث بن قيس امتخط قيحا ومات الذين يجعلون مع الله الها
آخر فسوف يعلمون عاقبة امرهم يوم القيمة ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون
فيك او فى القران او فى الله فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين فافزع فيما نابك الى الله
والفزع الى الله هو الذكر العظيم الدايم وكثرة السجود ويكفك ويكشف عنك الغم واعبد
ربك ودم على عبادة ربك حتى ياتيك اليقين اى الموت يعنى ما دمت حيا فاشتغل

بالعبادة

بالعبادة وكان النبى عليه الصلوة والسلام اذا حزبه امر فزع الى الصلوة والله اعلم

سورة النحل مائة وثمان وعشرون اية بسم الله الرحمن الرحيم

كانوا يستعجلون ما وعدوا من قيام الساعة او نزول العذاب بهم يوم بدر استهزاء و
تكذيبا بالوعد فقيل لهم اتى امر الله اى هو بمنزلة الاتى الواقع وان كان منتظرا لقرب
وقوعه فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون تبرأ وجل عن ان يكون له شريك او
عن اشراكهم فما موصولة او مصدرية واتصاله باستعجالهم من حيث ان استعجالهم
استهزاء وتكذيب وذلك من الشرك ينزل الملايكة وبالتخفيف مكى وابو عمرو بالروح
بالوحى او بالقران لان كلا منهما يقوم فى الدين مقام الروح فى الجسد او يحيى القلوب الميتة
بالجهل من امره على من يشاء من عباده ان انذروا ان مفسرة لان تنزيل الملايكة بالوحى
فيه معنى القول ومعنى انذروا انه لا اله الا انا فاتقون اعلموا بان الامر ذلك من نذرت
بكذا اذا اعلمته والمعنى اعلموا الناس قولى لا اله الا انا فاتقون فخافون وبالياء يعقوب
ثم دل على وحدانيته وان لا اله الا هو بما ذكر مما لا يقدر عليه غيره من خلق السموات
والارض وهو قوله خلق السموات والارض بالحق تعالى عما يشركون وبالتاء فى الموضعين
حمزة وعلى وخلق الانسان وما يكون منه وهو قوله خلق الانسان من نطفة فاذا هو
خصيم مبين اى فاذا هو منطيقا مجادل عن نفسه مكافح لخصومه مبين للحجة بعد ما كان
نطفة لا حس به ولا حركة او فاذا هو خصيم لربه منكر على خالقه قايل من يحيى العظام
وهى رميم وهو وصف للانسان بالوقاحة والتمادى فى كفران النعمة وخلق ما لا بد له
منه من خلق البهايم لاكله وركوبه وجر اثقاله وساير حاجاته وهو قوله والانعام
خلقها لكم هى الازواج الثمانية واكثر ما يقع على الابل وانتصابها بمضمر يفسره الظاهر
كقوله والقمر قدرناه او بالعطف على الانسان اى خلق الانسان والانعام ثم قال خلقها لكم
اى ما خلقها الا لكم يا جنس الانسان فيها دفء هو اسم ما يدفأ به من لباس معمول من صوف
او وبر او شعر ومنافع وهى نسلها ودرها ومنها تاكلون وقدم الظرف وهو يوذن
بالاختصاص وقد يوكل من غيرها لان الاكل منها هو الاصل الذى يعتمده الناس فى معايشهم

واما الاكل من غيرها كالدجاج والبط وصيد البر والبحر فكغير المعتد به وكالجاري مجرى
التفكه ولكم فيها جمال حين تريحون تردونها من مراعيها الى مراحها بالعشي وحين تسرحون
ترسلونها بالغداة الى مسارحها من الله تعالى بالتجمل بها كما من بالانتفاع بها لانه من اغراض
اصحاب المواشي لان الرعيان اذا روحوها بالعشي وسرحوها بالغداة تزينت باراحتها
وتسريحها الافنية وفرحت اربابها وكسبتهم الجاه والحرمة عند الناس وانما قدمت الاراحة
على التسريح لان الجمال في الاراحة اظهر اذا اقبلت ملاء البطون حافلة الضروع وتحمل اثقالكم
احمالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس وبفتح الشين ابو جعفر وهما لغتان في معنى
المشقة وقيل المفتوح مصدر شق الامر عليه شقا وحقيقته راجعة الى الشق الذي هو
الصدع واما الشق فالنصف كانه يذهب نصف قوته لما يناله من الجهد والمعنى وتحمل
اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه لو لم يخلق الابل الا بجهد ومشقة فضلا ان تحملوا على ظهوركم
اثقالكم او معناه لم تكونوا بالغيه بها الا بشق الانفس وقيل اثقالكم ابدانكم ومنه الثقلان
للجن والانس ومنه واخرجت الارض اثقالها اي بني آدم ان ربكم لرؤف رحيم حيث رحمكم
بخلق هذه الحوامل وتيسير هذه المصالح والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة عطف
على الانعام اي وخلق هؤلاء للركوب والزينة وقد احتج ابو حنيفة رضي الله عنه على حرمة
اكل لحم الخيل لانه علل خلقها للركوب والزينة ولم يذكر الاكل بعد ما ذكره في الانعام ومنفعة
الاكل اقوى والاية سيقت لبيان النعمة ولا يليق بالحكيم ان يذكر في موضع المنة ادنى النعمتين
ويترك اعلاهما وانتصاب زينة على المفعول له عطفا على محل لتركبوها ويخلق ما لا تعلمون
من اصناف خلائقه وهو قوله ويخلق ما لا تعلمون ومن هذا وصفه يتعالى ان يشرك به غيره
وعلى الله قصد السبيل المراد به الجنس ولذا قال ومنها جائر والقصد مصدر بمعنى الفاعل وهو
القاصد يقال سبيل قصد وقاصد اي مستقيم كانه يقصد الوجه الذي يؤمه السالك لا يعدل
عنه ومعناه ان هداية الطريق الموصل الى الحق عليه كقوله ان علينا للهدى وليس ذلك للوجوب
اذ لا يجب على الله شيء ولكن يفعل ذلك تفضلا وقيل معناه والى الله وقال الزجاج معناه
وعلى الله تبيين الطريق الواضح المستقيم والدعاء اليه بالحجج ومنها جائر ومن السبيل مائل عن

الاستقامة ولو شاء لهداكم اجمعين اراد هداية اللطف بالتوفيق والانعام بعد الهدى العام
هو الذي انزل من السماء ماء لكم منه شراب لكم متعلق بانزل او خبر لشراب وهو ما يشرب
ومنه شجر يعني الشجر الذي ترعاه المواشي فيه تسيمون من سامت الماشية اذا رعت فهي
سائمة واسامها صاحبها وهو من السومة وهي العلامة لانها تؤثر بالرعي علامات في الارض
ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات ولم يقل كل الثمرات
لان كلها لا يكون الا في الجنة وانما انبت في الارض بعض من كلها للتذكرة ان في ذلك لاية
لقوم يتفكرون فيستدلون بها عليه تعالى وعلى قدرته وحكمته والاية الدالة الواضحة و
سخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره بنصب الكل على وجعل النجوم
مسخرات والنجوم مسخرات فقط حفص والشمس والقمر والنجوم مسخرات فقط شامي على
الابتداء والخبر ان في ذلك لايات لقوم يعقلون جمع الاية وذكر العقل لان الاثار العلوية
اظهر دلالة على القدرة الباهرة وابين شهادة الكبرياء والعظمة وما ذرأ لكم في الارض
معطوف على الليل والنهار اي ما خلق فيها من حيوان وشجر وثمر وغير ذلك مختلفا
الوانه ان في ذلك لاية لقوم يذكرون يتعظون وهو الذي سخر البحر لتاكلوا منه لحما طريا
هو السمك ووصفه بالطراوة لان الفساد يسرع اليه فيؤكل سريعا طريا خيفة الفساد
وانما لا يحنث باكله اذا حلف لا ياكل لحما لان مبنى الايمان على العرف ومن قال لغلامه اشتر
بهذا الدرهم لحما فجاء بالسمك كان حقيقا بالانكار وتستخرجوا منه حلية هي اللؤلؤ والمرجان
تلبسونها المراد بلبسهم لبس نسائهم ولكنهن انما يتزين بها من اجلهم فكانها زينتهم ولباسهم
وترى الفلك مواخر جواري تجري جريا وتشق الماء شقا والمخر شق الماء بحيزومها فيه
في البحر ولتبتغوا من فضله وهو معطوف على محذوف اي لتعتبروا ولتبتغوا وابتغاء
الفضل التجارة ولعلكم تشكرون الله على ما انعم به عليكم والقى في الارض رواسي جبالا ثوابت
ان تميد بكم كراهة ان تميد بكم وتضطرب او لئلا تميد بكم لكن حذف المضاف اكثر قيل خلق
الله الارض فجعلت تمور فقالت الملائكة ما هي بمقر احد على ظهرها فاصبحت وقد ارسيت
بالجبال لم تدر الملائكة مم خلقت وانهارا وجعل فيها انهارا لان القى فيه معنى جعل وسبلا

طرقا لعلكم تهتدون الى مقاصدكم او الى توحيد ربكم وعلامات هي معالم الطرق وكل ما يستدل
به السابلة من جبل وغير ذلك وبالنجم هم يهتدون المراد بالنجم الجنس او هو الثريا والفرقدان
وبنات نعش والجدي فان قلت وبالنجم هم يهتدون مخرج عن سنن الخطاب مقدم فيه
النجم مقحم فيه هم كانه قيل وبالنجم خصوصا هؤلاء خصوصا يهتدون فمن المراد بهم قلت كانه
اراد قريشا فلهم اهتداء بالنجوم في مسايرهم ولهم بذلك علم لم يكن مثله لغيرهم فكان
الشكر اوجب عليهم والاعتبار الزم لهم فخصصوا أفمن يخلق اي الله تعالى كمن لا يخلق اي
الاصنام وجيء بمن الذي هو لاولي العلم لزعمهم حيث سموها آلهة وعبدوها فاجروها
مجرى اولي العلم او لان المعنى ان من يخلق ليس كمن لا يخلق من اولي العلم فكيف بما لا علم
عنده وانما لم يقل أفمن لا يخلق كمن يخلق مع اقتضاء المقام بظاهره اياه لكونه الزاما للذين
عبدوا الاوثان وسموها آلهة تشبيها بالله لانهم حين جعلوا غير الله مثل الله في تسميته
باسمه والعبادة له فقد جعلوا الله من جنس المخلوقات وشبيها بها فانكر عليهم ذلك بقوله
أفمن يخلق كمن لا يخلق وهو حجة على المعتزلة في خلق الافعال أفلا تذكرون فتعرفوا فساد
ما انتم عليه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها لا تضبطوا عددها ولا تبلغه طاقتكم فضلا
ان تطيقوا القيام بحقها من اداء الشكر وانما اتبع ذلك ما عدد من نعمه تنبيها على ان
وراءها ما لا يحصر ولا يتعدد ان الله لغفور رحيم يتجاوز عن تقصيركم في اداء شكر
النعمة ولا يقطعها عنكم لتفريطكم والله يعلم ما تسرون وما تعلنون من اقوالكم وافعالكم
وهو وعيد والذين يدعون والآلهة الذين يدعوهم الكفار من دون الله وبالتاء غير
عاصم لا يخلقون شيئا وهم يخلقون اموات اي هم اموات غير احياء وما يشعرون
ايان يبعثون نفى عنهم خصائص الالهية بنفي كونهم خالقين واحياء لا يموتون وعالمين
بوقت البعث واثبت لهم صفات الخلق بانهم مخلوقون اموات جاهلون بالبعث
ومعنى اموات غير احياء انهم لو كانوا آلهة على الحقيقة لكانوا احياء غير اموات
اي غير جائز عليها الموت وامرهم بالعكس من ذلك والضمير في يبعثون للداعين اي لا
يشعرون متى تبعث عبدتهم وفيه تهكم بالمشركين وان آلهتهم لا يعلمون وقت بعثهم فكيف

يكون لهم علم بوقت جزاء منهم على عبادتهم وفيه دلالة على انه لا بد من البعث الهكم اله واحد
اي ثبت بما مر ان الالهية لا تكون لغير الله وان معبودكم واحد فالذين لا يؤمنون بالآخرة
قلوبهم منكرة للوحدانية وهم مستكبرون عنها وعن الاقرار بها لا جرم حقا ان الله يعلم
ما يسرون وما يعلنون اي سرهم وعلانيتهم فيجازيهم وهو وعيد انه لا يحب المستكبرين
عن التوحيد يعني المشركين واذا قيل لهم لهؤلاء الكفار ماذا انزل ربكم قالوا اساطير الاولين
ماذا منصوب بانزل اي اي شيء انزل ربكم او مرفوع بالابتداء اي اي شيء انزله ربكم و
اساطير خبر مبتدا محذوف قيل هو قول المقتسمين الذين اقتسموا مداخل مكة ينفرون
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سألهم وفود الحاج عما انزل على رسول الله قالوا اساطير
الاولين اي احاديث الاولين واباطيلهم واحدتها اسطورة واذا رأوا اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم يخبرونهم بصدقه وانه نبي لهم فهم الذين قالوا خيرا ليحملوا اوزارهم
كاملة يوم القيمة ومن اوزار الذين يضلونهم اي قالوا ذلك اضلالا للناس فحملوا اوزار
ضلالتهم كاملة وبعض اوزار من ضل بضلالتهم وهو وزر الاضلال لان المضل والضال
شريكان واللام للتعليل بغير علم حال من المفعول اي يضلون من لا يعلم انهم ضلال الا ساء
ما يزرون محل ما رفع قد مكر الذين من قبلهم فاتى الله بنيانهم من القواعد اي من جهة
القواعد وهي الاساطين وهذا تمثيل يعني انهم سووا منصوبات ليمكروا بها رسول الله فجعل
الله هلاكهم في تلك المنصوبات كحال قوم بنوا بنيانا وعمدوه بالاساطين فاتى البنيان
من الاساطين بان ضعضعت فسقط عليهم السقف وهلكوا والجمهور على ان المراد به نمرود
بن كنعان حين بنى الصرح ببابل طوله خمسة آلاف ذراع وقيل فرسخان فاهب الله الريح
فخر عليه وعلى قومه فهلكوا فاتى الله اي امره بالاستيصال فخر عليهم السقف من فوقهم
واتيهم العذاب من حيث لا يشعرون من حيث لا يحتسبون ولا يتوقعون ثم يوم القيمة
يخزيهم يذلهم بعذاب الخزي سوى ما عذبوا به في الدنيا ويقول اين شركاي على الاضافة
الى نفسه حكاية لاضافتهم ليوبخهم بها على طريق الاستهزاء الذين كنتم تشاقون فيهم تعادون
وتخاصمون المؤمنين في شأنهم تشاقون نافع اي تشاقونني لان مشاقة المؤمنين كانها

مشاقة الله قال الذين اوتوا العلم اى الانبياء والعلماء من اممهم الذين كانوا يدعونهم الى الايمان
ويعظمونهم فلا يلتفتون اليهم ويشاقونهم ويقولون ذلك شماتة بهم او هم الملائكة ان
الخزى اليوم الفضيحة والسوء العذاب على الكافرين الذين تتوفيهم الملائكة وبالياء حمزة
وكذا ما بعده ظالمى انفسهم بالكفر بالله فالقوا السلم اى الصلح او الاستسلام اى اخبتوا
وجاؤا بخلاف ما كانوا عليه فى الدنيا من الشقاق وقالوا ما كنا نعمل من سوء وجحدوا ما
وجد منهم من الكفران والعدوان فرد عليهم اولوا العلم وقالوا بلى ان الله عليم بما كنتم
تعملون فهو يجازيكم عليه وهذا ايضا من الشماتة وكذلك فادخلوا ابواب جهنم خالدين
فيها فلبئس مثوى المتكبرين جهنم وقيل للذين اتقوا الشرك ماذا انزل ربكم قالوا خيرا و
انما نصب هذا ورفع اساطير الاولين لان التقدير هنا انزل خيرا فاطبقوا الجواب على
السؤال وثم التقدير هو اساطير الاولين فعدلوا بالجواب عن السؤال للذين احسنوا فى هذه
الدنيا اى امنوا وعملوا الصالحات او قالوا لا اله الا الله حسنة بالرفع اى ثواب وامن
وغنيمة وهو بدل من خيرا حكاية لقول الذين اتقوا اى قالوا هذا القول فقدم عليه
تسمية خيرا ثم حكاه او هو كلام مستانف عدة للقائلين وجعل قولهم من جملة احسانهم
ولدار الاخرة خير اى لهم فى الاخرة ما هو خير منها كقوله فاتيهم الله ثواب الدنيا وحسن
ثواب الاخرة ولنعم دار المتقين دار الاخرة فحذف المخصوص بالمدح لتقدم ذكره جنات
عدن خبر مبتداء محذوف او هى المخصوص بالمدح يدخلونها حال تجرى من تحتها الانهار
لهم فيها ما يشاؤن كذلك يجزى الله المتقين الذين تتوفيهم الملائكة طيبين طاهرين
من ظلم انفسهم بالكفر لانه فى مقابلة ظالمى انفسهم يقولون سلام عليكم قيل اذا اشرف العبد
المؤمن من الموت جاءه ملك فيقول السلام عليك يا ولى الله الله يقرؤ عليك السلام
وبشره بالجنة ويقال لهم فى الاخرة ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون بعملكم هل ينظرون
ما ينتظر هؤلاء الكفار الا ان تاتيهم الملائكة لقبض ارواحهم وبالياء حمزة وعلى او ياتى
امر ربك اى العذاب المستاصل او القيمة كذلك مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب
فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم الله بتدميرهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث فعلوا

ما استحقوا

ما استحقوا به التدمير فاصابهم سيات ما عملوا اى جزاء سيات اعمالهم وحاق بهم ما كانوا به
يستهزؤن واحاط بهم جزاء استهزائهم وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه
من شئ نحن ولا اباؤنا هذا الكلام صدر منهم استهزاء ولو قالوه اعتقادا لكان صوابا و
لا حرمنا من دونه من شئ يعنى البحيرة والسائبة ونحوهما كذلك فعل الذين من قبلهم اى كذبوا
اى كذبوا الرسل وحرموا الحلال وقالوا مثل قولهم استهزاء فهل على الرسل الا البلاغ المبين
الا ان يبلغوا الحق ويطلعوا على بطلان الشرك وقبحه ولقد بعثنا فى كل امة رسولا ان
اعبدوا الله بان وحدوه واجتنبوا الطاغوت الشيطان يعنى طاعته فمنهم من هدى الله
لاختياره الهدى ومنهم من حقت عليه الضلالة اى لزمت لاختياره اياها فسيروا
فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين حيث اهلكهم الله واخلا ديارهم عنهم
ثم ذكر عناد قريش وحرص رسول الله على ايمانهم واعلمه عليه الصلوة والسلام بانهم من قسم
من حقت عليه الضلالة فقال ان تحرص على هداهم فان الله لا يهدى من يضل بفتح الياء
وكسر الدال كوفى والباقون بضم الياء وفتح الدال والوجه فيه ان من يضل مبتداء ولا يهدى
خبره وما لهم من ناصرين يمنعونهم من جريان حكم الله عليهم ويدفعون عنهم عذابه
الذى اعد لهم واقسموا بالله جهد ايمانهم معطوف على وقال الذين اشركوا لا يبعث الله
من يموت بلى هو اثبات لما بعد النفى اى بلى يبعثهم وعدا عليه حقا هو مصدر مؤكد لما دل
عليه بلى لان يبعث موعد من الله وبين ان الوفاء بهذا الموعد حق ولكن اكثر الناس
لا يعلمون ان وعده حق او انهم يبعثون ليبين لهم متعلق بما دل عليه بلى اى يبعثهم ليبين
لهم والضمير لمن يموت وهو يشتمل المؤمنين والكافرين الذين يختلفون فيه هو الحق
وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين فى قولهم لا يبعث الله من يموت انما قولنا لشئ
اذا اردناه ان نقول له كن فيكون اى فهو يكون وبالنصب شامى وعلى على جواب كن قولنا
مبتداء وان نقول خبره وكن فيكون من كان التامة التى بمعنى الحدوث والوجود اى اذا
اردنا وجود شئ فليس الا ان نقول له احدث فهو يحدث بلا توقف وهذه عبارة عن
سرعة الايجاد يبين ان مراده لا يمتنع عليه وان وجوده عند ارادته غير متوقف كوجود

المامور به عند امر الامر المطاع اذا ورد على المامور المطيع الممتثل ولا قول ثم والمعنى ان ايجاد
كل مقدور على الله تعالى بهذه السهولة فكيف يمتنع عليه البعث الذى هو من بعض المقدورات
والذين هاجروا فى الله فى حقه ولوجهه من بعد ما ظلموا هم الرسول واصحابه ظلمهم
اهل مكة ففروا بدينهم الى الله منهم من هاجر الى الحبشة ثم الى المدينة فجمع بين الهجرتين و
منهم من هاجر الى المدينة لنبوئنهم فى الدنيا حسنة صفة للمصدر اى تبوية حسنة او
لنبوئنهم مباءة حسنة وهى المدينة حيث آواهم اهلها ونصروهم ولاجر الاخرة اكبر
الوقف لازم عليه لان جواب لو كانوا يعلمون محذوف والضمير للكفار اى لو علموا ذلك
لرغبوا فى الدين او للمهاجرين اى لو كانوا يعلمون لزادوا فى اجتهادهم وصبرهم الذين
صبروا وكلاهما اى صبروا على مفارقة الوطن الذى هو حرم الله المحبوب فى كل قلب
فكيف بقلوب قوم هو مسقط راسهم وعلى المجاهدة وبذل الارواح فى سبيل الله و
على ربهم يتوكلون اى يفوضون الامر الى ربهم ويرضون بما اصابهم فى دين الله ولما
قالت قريش الله اعظم من ان يكون رسوله بشرا نزل وما ارسلنا من قبلك الا رجالا
نوحى اليهم على السنة الملايكة نوحى حفص فسئلوا اهل الذكر اى اهل الكتاب ليعلموكم
ان الله لم يبعث الى الامم السالفة الا بشرا وقيل للكتاب الذكر لانه موعظة وتنبيه للغافلين
ان كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر اى بالمعجزات والكتب والباء يتعلق برجالا صفة
له اى رجالا ملتبسين بالبينات او بارسلنا مضمرا كانه قيل بم ارسلوا فقيل بالبينات
او بيوحى اى يوحى اليهم بالبينات او بلا تعلمون وقوله فسئلوا اهل الذكر اعتراض
على الوجوه المتقدمة وانزلنا اليك الذكر القران لتبين للناس ما نزل اليهم فى الذكر
مما امروا به ونهوا عنه ووعدوا واوعدوا ولعلهم يتفكرون فى تنبيهاته فيتنبهوا افامن
الذين مكروا السيات اى المكرات السيات وهم اهل مكة وما مكروا به رسول الله ان
يخسف الله بهم الارض كما فعل لمن تقدم او ياتيهم العذاب من حيث لا يشعرون اى
بغتة او ياخذهم فى تقلبهم متقلبين فى مسايرهم ومتاجرهم فما هم بمعجزين او ياخذهم
على تخوف متخوفين وهو ان يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فياخذهم العذاب وهم

متخوفون

متخوفون متوقعون وهو خلاف قوله من حيث لا يشعرون فان ربكم لرؤف رحيم
حيث يحلم عنكم ولا يعاجلكم مع استحقاقكم والمعنى انه اذا لم ياخذكم مع ما فيكم فانما رافته
تقيكم ورحمته تحميكم اولم يروا وبالتاء حمزة وعلى وابو بكر الى ما خلق الله ما موصولة
بخلق الله وهو مبهم بيانه من شىء يتفيؤ ظلاله اى يرجع من موضع الى موضع وبالتاء
بصرى عن اليمين اى الايمان والشمايل جمع شمال سجدا لله حال من الظلال عن مجاهد اذا
زالت الشمس سجد كل شىء وهم داخرون صاغرون وهو حال من الضمير فى ظلاله لانه
فى معنى الجمع وهو ما خلق الله من كل شىء له ظل وجمع بالواو والنون لان الدخور من
اوصاف العقلاء او لان فى جملة ذلك من يعقل فغلب والمعنى اولم يروا الى ما خلق
الله من الاجرام التى لها ظلال متفيئة عن ايمانها وشمايلها اى يرجع الظلال من جانب
الى جانب منقادة لله غير ممتنعة عليه فيما سخرها له من التفيؤ والاجرام فى انفسها داخرة
ايضا صاغرة منقادة لافعال الله فيها غير ممتنعة ولله يسجد ما فى السموات وما
فى الارض من دابة من بيان لما فى السموات وما فى الارض جميعا على ان فى السموات خلقا
يدبون فيها كما تدب الاناسى فى الارض او بيان لما فى الارض والمراد بما فى السموات ملايكتهن
وبقوله والملايكة ملايكة الارض من الحفظة وغيرهم انقياده لارادة الله ومعنى
الانقياد يجمعهما فلم يختلفا فاذا جاز ان يعبر عنهما بلفظ واحد وجىء بما لانه هو صالح
للعقلاء وغيرهم ولو جىء بمن لتناول العقلاء خاصة وهم لا يستكبرون يخافون ربهم
حال من الضمير فى لا يستكبرون اى لا يستكبرون خايفين من فوقهم ان علقته بيخافون
فمعناه يخافونه ان يرسل عليهم عذابا من فوقهم وان علقته بربهم حالا منه فمعناه يخافون
ربهم غالبا لهم قاهرا كقوله وهو القاهر فوق عباده ويفعلون ما يؤمرون وفيه
دليل على ان الملايكة مكلفون مدارون على الامر والنهى وانهم بين الخوف والرجاء وقال
الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد فان قلت انما جمعوا بين العدد والمعدود
فيما وراء الواحد والاثنين فقالوا عندى رجال ثلاثة لان المعدود عار عن الدلالة على
العدد الخاص فاما رجل ورجلان فمعدودان فيهما دلالة على العدد فلا حاجة الى ان

يقال رجل واحد ورجلان اثنين فما وجه قوله تعالى الهين اثنين قلت الاسم الحامل لمعنى
الافراد والتثنية دال على شيئين على الجنسية والعدد المخصوص فاذا اريدت الدلالة على
ان المعنى به منهما هو العدد شفع بما يؤكده فدل به على القصد اليه والعناية به الا ترى انك
لو قلت انما هو اله ولم تؤكده بواحد لم يحسن وخيل انك تثبت الالهية لا الوحدانية فاياى
فارهبون نقل الكلام عن الغيبة الى التكلم وهو من طريق الالتفات وهو ابلغ في الترهيب
من قوله واياه فارهبوه فارهبوني يعقوب وله ما في السموات والارض وله الدين
اى الطاعة واصبا واجبا ثابتا لان كل نعمة منه فالطاعة واجبة له على كل منعم عليه وهو
حال عمل فيه الظرف او وله الجزاء دايما يعني الثواب والعقاب افغير الله تتقون وما
بكم من نعمة واى شيء اتصل بكم من نعمة عافية وغنى وخصب فمن الله فهو من الله
ثم اذا مسكم الضر المرض والفقر والجدب فاليه تجارون فما تتضرعون الا اليه و
الجوار رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم
يشركون الخطاب في وما بكم من نعمة ان كان عاما فالمراد بالفريق الكفرة وان كان
الخطاب للمشركين فقوله منكم للبيان لا للتبعيض كانه قال واذا فريق كافر وهم انتم
ويجوز ان يكون فيهم من اعتبر كقوله فلما نجيهم الى البر فمنهم مقتصد ليكفروا بما اتيناهم
من نعمة الكشف عنهم لانهم جعلوا غرضهم في الشرك كفران النعمة ثم اوعدهم فقال
فتمتعوا فسوف تعلمون هو عدول الى الخطاب على التهديد ويجعلون لما لا يعلمون
نصيبا مما رزقناهم اى لالهتهم ومعنى لا يعلمونها انهم يسمونها الهة ويعتقدون فيها
انها تضر وتنفع وتشفع عند الله وليس كذلك لانها جماد لا تنفع ولا تضر او الضمير في لا
يعلمون للالهة اى لاشياء غير موصوفة بالعلم ولا تشعر اجعلوا لها نصيبا في انعامهم و
زروعهم ام لا وكانوا يجعلون لهم ذلك تقربا اليهم تالله لتسالن وعيد عما كنتم تفترون
انها الهة وانها اهل للتقرب اليها ويجعلون لله البنات كانت خزاعة وكنانة تقول
الملايكة بنات الله سبحانه تنزيه لذاته من نسبة الولد اليه او تعجب من قولهم ولهم ما يشتهون
يعني البنين ويجوز في ما الرفع على الابتداء ولهم الخبر والنصب على العطف على البنات و سبحانه

اعتراض

اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه اى وجعلوا لانفسهم ما يشتهون من الذكور واذا
بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا اى صار وظل وامسى واصبح وبات تستعمل بمعنى الصيرورة
ولان اكثر الوضع يتفق بالليل فيظل نهاره مغتما مسود الوجه من الكآبة والحياء من الناس
وهو كظيم مملو حنقا على المراة يتوارى من القوم من سوء ما بشر به يستخفي منهم من اجل
سوء المبشر به ومن اجل تعييرهم ويحدث نفسه وينظر ايمسكه على هون ايمسك ما
بشر به على هوان وذل ام يدسه في التراب يئده الا ساء ما يحكمون حيث يجعلون
الولد الذى هذا محله عندهم لله ويجعلون لانفسهم من هو على عكس هذا الوصف للذين
لا يؤمنون بالاخرة مثل السوء صفة السوء وهي الحاجة الى الاولياء الذكور وكراهة
الاناث ووادهن خشية املاق ولله المثل الاعلى وهو الغنى عن العالمين والنزاهة
عن صفات المخلوقين وهو العزيز الغالب في تنفيذ ما اراد الحكيم في امهال العباد ولو
يؤاخذ الله الناس بظلمهم بكفرهم ومعاصيهم ما ترك عليها على الارض من دابة قط ولا
مهلكها كلها بشوم ظلم الظالمين وعن ابي هريرة ان الحبارى لتموت في وكرها بظلم الظالم
وعن ابن مسعود رضي الله عنه كاد الجعل يهلك في جحره بذنب ابن ادم وعن ابن عباس رض
من دابة من مشركة يدب عليها ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى الى اجل كل واحد او وقت يقتضيه
الحكمة او القيامة فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون ويجعلون لله ما
يكرهون ما يكرهونه لانفسهم من البنات ومن شركاء في رياستهم ومن الاستخفاف برسلهم
ويجعلون له ارذل اموالهم ولاصنامهم اكرمها وتصف السنتهم الكذب مع ذلك اى ويقولون
الكذب ان لهم الحسنى عند الله وهي الجنة ان كان البعث حقا لقوله ولين رجعت الى ربي ان
لي عنده للحسنى وان لهم الحسنى بدل من الكذب لا جرم ان لهم النار وانهم مفرطون مفرطون
نافع مفرطون ابو جعفر فالمفتوح بمعنى مقدمون الى النار معجلون اليها من افرطت فلانا
وفرطته في طلب الماء اذا قدمته منسيون متروكون من افرطت فلانا خلفي اذا خلفته ونسيته
والمكسور المخفف من الافراط في المعاصي والمشدد من التفريط في الطاعات اى التقصير فيها
تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك اى ارسلنا رسلا الى من تقدمك من الامم فزين لهم الشيطان

اعمالهم من الكفر والتكذيب بالرسل فهو وليهم اليوم اى قرينهم فى الدنيا تولى اضلالهم بالغرور
او الضمير لمشركى قريش اى زين للكفار قبلهم اعمالهم فهو ولى هولاء لانه منهم او هو على حذف
المضاف اى فهو ولى امثالها امثالهم اليوم ولهم عذاب اليم فى القيامة وما انزلنا عليك
الكتاب القران الا لتبين لهم للناس الذى اختلفوا فيه هو البعث لانه كان فيهم من
يومن به وهدى ورحمة معطوفان على محل لتبين الا انهما انتصبا على انهما مفعول لهما لانهما
فعلا الذى انزل الكتاب ودخل اللام على لتبين لانه فعل المخاطب لا فعل المنزل لقوم
يومنون والله انزل من السماء ماء فاحيا به الارض بعد موتها ان فى ذلك لاية لقوم
يسمعون سماع انصاف وتدبر لان من لم يسمع بقلبه فكانه لا يسمع وان لكم فى الانعام
لعبرة نسقيكم مما فى بطونه وبفتح النون نافع وشامى وابو بكر وقال الزجاج سقيته
واسقيته بمعنى واحد ذكر سيبويه الانعام فى الاسماء المفردة الواردة على افعال ولذا
رجع الضمير اليه مفردا واما فى بطونها فى سورة المومنين فلان معناه الجمع وهو
استئناف كانه قيل كيف العبرة فقال نسقيكم مما فى بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا
اى يخلق الله اللبن وسيطا بين الفرث والدم يكتنفانه وبينه وبينهما برزخ لا يبغى احدهما
عليه بلون ولا طعم ولا رائحة بل هو خالص من ذلك كله وقيل اذا اكلت البهيمة العلف
فاستقر فى كرشها طبخته فكان اسفله فرثا واوسطه لبنا واعلاه دما والكبد مسلطة على
هذه الاصناف الثلثة تقسمها فتجرى الدم فى العروق واللبن فى الضروع وتبقى الفرث
فى الكرش ثم ينحدر فى ذلك عبرة لمن اعتبر وسئل شقيق عن الاخلاص فقال تميز العمل
من العيوب كتميز اللبن من بين فرث ودم سائغا للشاربين سهل المرور فى الحلق
ويقال لم يغص احد باللبن قط ومن الاولى للتبعيض لان اللبن بعض ما فى بطونها و
الثانية لابتداء الغاية ويتعلق ومن ثمرات النخيل والاعناب بمحذوف تقديره ونسقيكم
من ثمرات النخيل والاعناب اى من عصيرها وحذف لدلالة نسقيكم قبله عليه وقوله
تتخذون منه سكرا بيان وكشف عن كنه الاسقاء او تتخذون ومنه من تكرير الظرف
التوكيد والضمير فى منه يرجع الى المضاف المحذوف الذى هو العصير والسكر الخمر سميت

بالمصدر

بالمصدر والسكر من سكر سكرا وسكرا نحو رشد رشدا ورشدا ثم فيه وجهان احدهما ان تكون
الاية سابقة على تحريم الخمر فتكون منسوخة وثانيهما ان يجمع بين العتاب والمنة وقيل السكر
النبيذ وهو عصير العنب والزبيب والتمر اذا طبخ حتى يذهب ثلثاه ثم يترك حتى يشتد
وهو حلال عند ابى حنيفة رح وابى يوسف رح الى حد السكر ويحتجان بهذه الاية وبقوله
عليه الصلوة والسلام الخمر حرام بعينها والسكر من كل شراب وباخبار جمة ورزقا حسنا
هو الخل والدبس والتمر والزبيب وغير ذلك ان فى ذلك لاية لقوم يعقلون واوحى
ربك الى النحل والهمها ان اتخذى من الجبال بيوتا هى ان المفسرة لان الايحاب فيه معنى القول
قال الزجاج واحد النحل نحلة كنخل ونخلة والتانيث باعتبار هذا ومن فى من الجبال ومن
الشجر ومما يعرشون يرفعون من سقوف البيت او ما يبنون للنحل فى الجبال والشجر و
البيوت من الاماكن التى تعسل فيها للتبعيض لانها لا تبنى بيوتها فى كل جبل وكل شجر وكل
ما يعرش والضمير فى يعرشون للناس وبضم الراء شامى وابو بكر ثم كلى من كل الثمرات
اى ابنى البيوت ثم كلى كل ثمرة تشتهيها واذا اكلتها فاسلكى سبل ربك فادخلى الطرق
التى الهمك وافهمك فى عمل العسل او اذا اكلت الثمار فى المواضع البعيدة من بيوتك
فاسلكى الى بيوتك راجعة سبل ربك لا تضلين فيها ذللا جمع ذلول وهو حال من
السبل لان الله تعالى ذللها وسهلها او من الضمير فى فاسلكى اى وانت ذلل منقادة لما
امرت به غير ممتنعة يخرج من بطونها شراب يريد العسل لانه مما يشرب يلقيه من فيها
مختلف الوانه منه ابيض واصفر واحمر من الشباب والكهول والشيب او على الوان
اغذيتها فيه شفاء للناس لانه من جملة الادوية النافعة وقل معجون من المعاجين لم
يذكر الاطباء فيه العسل وليس الغرض انه شفاء لكل مريض كما ان كل دواء كذلك وتنكيره
لتعظيم الشفاء الذى فيه او لان فيه بعض الشفاء لان النكرة فى الاثبات تخص وشكى رجل
استطلاق بطن اخيه فقال عليه الصلوة والسلام اسقه عسلا فجاء وقال زاده شرا فقال عم
صدق الله وكذب بطن اخيك اسقه عسلا فسقاه فصح وعن ابن مسعود رضى الله عنه
العسل شفاء من كل داء والقران شفاء لما فى الصدور فعليكم بالشفائين القران والعسل ومن

بدع الروافض ان المراد بالنحل علي و قومه وعن بعضهم انه قال عند المهدي انما النحل بنو هاشم
يخرج من بطونهم العلم فقال له رجل جعل الله طعامك وشرابك مما يخرج من بطونهم فضحك
المهدي وحدث المنصور فاتخذوه اضحوكة من اضاحيكهم ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون
في عجيب امرها فيعلم ان الله اودعها علما بذلك وفطنها كما اولي اولي العقول عقولهم
والله خلقكم ثم يتوفيكم بقبض ارواحكم من ابدانكم ومنكم من يرد الى ارذل العمر الى اخسه
واحقره وهو خمس وسبعون سنة او ثمانون او تسعون لكيلا يعلم بعد علم شيئا لينسى
ما يعلم وليلا يعلم زيادة علم على علمه ان الله عليم بحكم التحويل الى الارذل من الاكمل والى
الافناء من الاحياء قدير على تبديل ما يشاء كما يشاء من الاشياء والله فضل بعضكم على بعض
في الرزق اي جعلكم متفاوتين في الرزق فرزقكم افضل مما رزق واليكم وهم بشر مثلكم
فما الذين فضلوا في الرزق يعني الملاك برادي بمعطي رزقهم على ما ملكت ايمانهم فكان
ينبغي ان تردوا فضل ما رزقتموه عليهم حتى تتساووا في الملبس والمطعم فهم فيه سواء
جملة اسمية وقعت في موضع جملة فعلية في موضع النصب لانه جواب النفي بالفاء و
تقديره فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت ايمانهم فيستووا مع عبيدهم في
الرزق وهو مثل ضربه للذين جعلوا له شركاء فقال لهم انتم لا تسوون بينكم وبين عبيدكم
فيما انعمت به عليكم ولا تجعلونهم فيه شركاء ولا ترضون ذلك لانفسكم فكيف رضيتم
ان تجعلوا عبيدي لي شركاء افبنعمة الله يجحدون وبالتاء ابو بكر فجعل ذلك من جملة جحود
النعمة والله جعل لكم من انفسكم ازواجا اي من جنسكم وجعل لكم من ازواجكم بنين
وحفدة جمع حافد وهو الذي يحفد اي يسرع في الطاعة والخدمة ومنه قول القانت
واليك نسعى ونحفد واختلف فيه فقيل هم الاختان على البنات وقيل اولاد الاولاد
او المعنى وجعل لكم حفدة اي خدما يحفدون في مصالحكم ويعينونكم ورزقكم من الطيبات
يريد بعضها لان كل الطيبات في الجنة وطيبات الدنيا انموذج منها افبالباطل يؤمنون
هو ما يعتقدون من منفعة الاصنام وشفاعتها وبنعمة الله اي الاسلام هم يكفرون
او الباطل الشيطان والنعمة محمد عليه الصلوة والسلام او الباطل ما يسول لهم الشيطان والنعمة

من تحريم البحيرة والسائبة وغيرهما ونعمة الله ما احل لهم ويعبدون من دون الله ما لا يملك
لهم رزقا من السموات والارض شيئا اي الصنم وهو جماد لا يملك ان يرزق شيئا فالرزق
يكون بمعنى المصدر وبمعنى ما يرزق فان اردت المصدر نصبت به شيئا اي لا يملك ان
يرزق شيئا وان اردت المرزوق كان شيئا بدلا منه اي قليلا ومن السموات والارض صلة
للرزق ان كان مصدرا اي لا يرزق من السموات مطرا ولا من الارض نباتا وصفة ان كان
اسما لما يرزق والضمير في ولا يستطيعون لما لانه في معنى الالهة بعد ما قال لا يملك على
اللفظ والمعنى لا يملكون الرزق ولا يمكنهم ان يملكوه ولا يتاتى ذلك منهم فلا تضربوا لله
الامثال فلا تجعلوا لله مثلا فانه لا مثل له اي فلا تجعلوا له شركاء ان الله يعلم انه لا مثل
له من الخلق وانتم لا تعلمون ذلك او ان الله يعلم كيف يضرب الامثال وانتم لا تعلمون
ذلك في الوجه الاول ثم ضرب المثل فقال ضرب الله مثلا عبدا هو بدل من مثلا مملوكا لا
يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا مصدران في
موضع الحال اي مثلكم في اشراككم بالله الاوثان مثل من سوى بين عبد مملوك عاجز عن
التصرف وبين حر مالك قد رزقه الله مالا فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف يشاء
وقيد بالمملوك ليميزه من الحر لان اسم العبد يقع عليهما جميعا اذ هما من عباد الله وبلا يقدر
على شيء ليمتاز من المكاتب والماذون فهما يقدران على التصرف ومن موصوفة اي وحرا
رزقناه ليطابق عبدا او موصولة هل يستوون جمع الضمير لارادة الجمع اي لا يستوي القبيلان
الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون ان الحمد والعبادة لله ثم زاد في البيان فقال وضرب الله
مثلا رجلين احدهما ابكم لا يقدر على شيء الابكم الذي ولد اخرس فلا يفهم ولا يفهم وهو كل
على مولاه اي ثقل وعيال على من يلي امره ويعوله اينما يوجهه لا يات بخير حيثما يرسله و
يصرفه في مطلب حاجة او كفاية مهم لم ينفع ولم يات بنجح هل يستوي هو ومن يامر بالعدل
اي وهو من هو سليم الحواس نفاع ذو كفايات مع رشد وديانة فهو يامر الناس بالعدل و
الخير وهو في نفسه على صراط مستقيم على سيرة صالحة ودين قويم وهذا مثل ثان ضربه لنفسه ولما
يفيض على عباده من اثار رحمته ونعمته وللاصنام التي هي اموات لا تضر ولا تنفع ولله غيب السموات

والارض اى يختص به علم ما غاب فيهما من العباد وخفي عليهم علمه او اراد بغيب السموات
والارض يوم القيمة على ان علم غايب من اهل السموات والارض لم يطلع عليه احد منهم
وما امر الساعة فى قرب كونها او سرعة قيامها الا كلمح البصر كرجع طرف واغاضرب به
المثل لانه لا يعرف زمان اقل منه او هو اى الامر اقرب وليس هذا الشك للمخاطب ولكن
المعنى كونوا فى كونها على هذا الاعتبار وقيل بل هو اقرب ان الله على كل شيء قدير فهو يقدر
على ان يقيم الساعة ويبعث الخلق لانه بعض المقدورات ثم دل على قدرته بما بعده فقال
والله اخرجكم من بطون امهاتكم وبكسر الالف وفتح الميم على اتباعا لكسرة النون وبكسرها
حمزة والهاء مزيدة فى امات للتوكيد كما زيدت فى اراق فقيل اهراق وشذت زيادتها
فى الواحدة لا تعلمون شيئا حال اى غير عالمين شيئا من حق المنعم الذى خلقكم فى البطون وجعل
لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون اى وما ركب فيكم هذه الاشياء الا آلات
لازالة الجهل الذى ولدتم عليه واجتلاب العلم والعمل به من شكر المنعم وعبادته والقيام
بحقوقه والافئدة فى فؤاد كالاغربة فى غراب وهو من جموع القلة التى جرت مجرى جموع
الكثرة لعدم السماع فى غيرها الم يروا وبالتاء شامي وحمزة الى الطير مسخرات مذللات
للطيران بما خلق لها من الاجنحة والاسباب المواتية لذلك فى جو السماء هو الهواء المتباعد
من الارض فى سمت العلو ما يمسكهن فى قبضهن وبسطهن ووقوفهن الا الله بقدرته
وفيه نفى لما يصوره الوهم من خاصية القوى الطبيعية ان فى ذلك لايات لقوم يؤمنون
لان الخلق لا غنى له عن الخالق والله جعل لكم من بيوتكم سكنا هو فعل بمعنى مفعول اى
ما يسكن اليه وينقطع اليه من بيت او الف وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا هى قباب الادم
تستخفونها ترونها خفيفة المحمل فى الضرب والنقض والنقل يوم ظعنكم بسكون العين كوفي
وشامي وبفتح العين غيرهم والظعن بفتح العين وسكونها الارتحال ويوم اقامتكم قراركم
فى منازلكم والمعنى انها خفيفة عليكم فى اوقات السفر والحضر على ان اليوم بمعنى الوقت و
من اصوافها اى اصواف الضان واوبارها اوبار الابل واشعارها اشعار المعز اثاثا متاع
البيت ومتاعا شيئا ينتفع به الى حين مدة من الزمان والله جعل لكم مما خلق ظلالا كالاشجار

والسقوف

والسقوف وجعل لكم من الجبال اكنانا جمع كن وهو ما ستر من كهف وغار وجعل لكم
سرابيل هى القمصان والثياب من الصوف والكتان والقطن تقيكم الحر وهو تقى البرد ايضا
الا انه اكتفى باحد الضدين او لان الوقاية من الحر اهم عندهم لكون البرد يسيرا محتملا وسرابيل
تقيكم باسكم ودروعا من الحديد ترد عليكم سلاح عدوكم فى قتالكم والباس شدة الحرب و
السربال عام يقع على كل ما كان من حديد او غيره كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون اى
تنظرون فى نعمه الفائضة فتؤمنون به وتنقادون فان تولوا اعرضوا عن الاسلام فانما
عليك البلاغ المبين اى فلا تبعة عليك فى ذلك لان الذى عليك هو التبليغ الظاهر وقد
فعلت يعرفون نعمة الله التى عددناها باقوالهم فانهم يقولون انها من الله ثم ينكرونها
بافعالهم حيث عبدوا غير المنعم او فى الشدة ثم فى الرخاء واكثرهم الكافرون اى الجاحدون
غير المعترفين او نعمة الله نبوة محمد عليه الصلوة والسلام كانوا يعرفونها ثم ينكرونها عنادا
واكثرهم الجاحدون المنكرون بقلوبهم وثم تدل على ان انكارهم امر مستبعد بعد حصول
المعرفة لان حق من عرف النعمة ان يعترف لا ان ينكر ويوم انتصابه باذكر نبعث نحشر من
كل امة شهيدا نبيا يشهد لهم وعليهم بالتصديق والتكذيب والايمان والكفر ثم لا يؤذن
للذين كفروا فى الاعتذار والمعنى لا حجة لهم فدل بترك الاذن على انه لا حجة لهم ولا عذر
ولا هم يستعتبون ولا هم يسترضون اى لا يقال لهم ارضوا ربكم لان الاخرة ليست بدار عمل
ومعنى ثم انهم يمنون بعد شهادة الانبياء عليهم السلام بما هو اطم منها وهو انهم يمنعون
الكلام فلا يؤذن لهم فى القاء معذرة ولا ادلاء بحجة واذا راى الذين ظلموا كفروا العذاب
فلا يخفف عنهم اى العذاب بعد الدخول ولا هم ينظرون يمهلون قبله واذا راى الذين
اشركوا شركاءهم اوثانهم التى عبدوها قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا اى الهتنا التى جعلناها
شركاء الذين كنا ندعو نعبد من دونك فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون اى اجابوهم بالتكذيب
لانها كانت جمادا لا تعرف من عبدها ويحتمل انهم كذبوهم فى تسميتهم شركاء وآلهة تنزيها لله
عن الشرك والقوا يعنى الذين ظلموا الى الله يومئذ السلم القاء السلم الاستسلام لامر الله و
حكمه بعد الاباء والاستكبار فى الدنيا وضل عنهم وبطل عنهم ما كانوا يفترون من ان لله شركاء

وانهم ينصرونهم ويشفعون لهم حين كذبوهم وتبرؤا منهم الذين كفروا في انفسهم وصدوا
عن سبيل الله وحملوا غيرهم على الكفر زدناهم عذابا فوق العذاب اي عذابا بكفرهم وعذابا
بصدهم عن سبيل الله بما كانوا يفسدون بكونهم مفسدين الناس بالصد ويوم نبعث
في كل امة شهيدا عليهم من انفسهم يعني نبيهم لانه كان يبعث انبياء الامم فيهم منهم و
جئنا بك يا محمد شهيدا على هولاء على امتك ونزلنا عليك الكتاب تبيانا بيانا بليغا
لكل شيء من امور الدين اما في الاحكام المنصوصة فظاهر وكذا فيما ثبت بالسنة او بالاجماع
او بقول الصحابي او بالقياس لان مرجع الكل الى الكتاب حيث امرنا فيه باتباع رسوله
وطاعته بقوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول وحثنا على الاجماع فيه بقوله ويتبع غير
سبيل المؤمنين وقد رضي رسول الله صلى الله عليه وسلم لامته باتباع اصحابه بقوله اصحابي
كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وقد اجتهدوا وقاسوا ووطئوا طرق الاجتهاد والقياس
مع انه امرنا به بقوله فاعتبروا يا اولي الابصار فكانت السنة والاجماع وقول الصحابي و
القياس مستندة الى تبيان الكتاب فتبين انه كان تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى
للمؤمنين ودلالة الى الحق ورحمة لهم وبشارة بالجنة لهم ان الله يامر بالعدل بالتسوية
في الحقوق فيما بينكم وترك الظلم وايصال كل حق الى ذي حقه والاحسان الى من اساء اليكم
او هما الفرض والندب لان الفرض لا بد من ان يقع فيه تفريط فيجبره الندب وايتاء ذي
القربى واعطاء ذي القرابة وهو صلة الرحم وينهى عن الفحشاء عن الذنوب المفرطة في
القبح والمنكر ما تنكره العقول والبغي طلب التطاول بالظلم والكبر يعظكم حال او مستانف
لعلكم تذكرون تتعظون بمواعظ الله وهذه الاية سبب اسلام عثمان بن مظعون فانه
قال ما كنت اسلمت الا حياء منه عليه الصلوة والسلام لكثرة ما كان يعرض علي الاسلام ولم يستقر
الايمان في قلبي حتى نزلت هذه الاية وانا عنده فاستقر الايمان في قلبي فقراتها على الوليد
بن المغيرة فقال والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق
وما هو بقول البشر وقال ابو جهل ان الهه ليامره بمكارم الاخلاق وهي اجمع اية في القران للخير
والشر ولذا يقرؤها كل خطيب على المنبر في اخر خطبته لتكون عظة جامعة لكل مامور ومنهي

للمسلمين

واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم هي البيعة لرسول الله عليه الصلوة والسلام ان الذين يبايعونك
انما يبايعون الله ولا تنقضوا الايمان ايمان البيعة بعد توكيدها بعد توثيقها باسم الله
واكد ووكد لغتان فصيحتان والاصل الواو والهمزة بدل منها وقد جعلتم الله عليكم
كفيلا شاهدا ورقيبا لان الكفيل مراع لحال المكفول به مهيمن عليه ان الله يعلم ما تفعلون
من البر والحنث فيجازيكم به ولا تكونوا في نقض الايمان كالتي نقضت غزلها من بعد
قوة كالمراة التي انحت على غزلها بعد ان احكمته وابرمته فجعلته انكاثا جمع نكث وهو
ما ينكث فتله قيل هي ريطة وكانت حمقاء تغزل هي وجواريها من الغداة الى الظهر ثم
تامرهن فينقضن ما غزلن تتخذون ايمانكم حال دخلا احد مفعولي تتخذوا اي ولا تنقضوا
ايمانكم متخذيها دخلا بينكم اي مفسدة وخيانة ان تكون امة بسبب ان تكون امة يعني
جماعة قريش هي اربى ازيد عددا واوفر مالا من امة من جماعة المؤمنين هي اربى مبتدأ
وخبر في موضع الرفع صفة لامة وامة فاعل تكون وهي تامة وهي ليست بفصل لوقوعها
بين نكرتين انما يبلوكم الله به الضمير للمصدر اي انما يختبركم بكونهم اربى لينظر اتمسكون
بحبل الوفاء بعهد الله وما وكدتم من ايمان البيعة لرسول الله ام تغترون بكثرة
قريش وثروتهم وقلة المؤمنين وفقرهم وليبينن لكم يوم القيمة ما كنتم فيه تختلفون
اذا جازاكم على اعمالكم بالثواب والعقاب وفيه تحذير عن مخالفة ملة الاسلام ولو
شاء الله لجعلكم امة واحدة حنيفية مسلمة ولكن يضل من يشاء من علم منه اختيار الضلالة
ويهدي من يشاء من علم منه اختيار الهداية ولتسألن عما كنتم تعملون يوم القيمة فتجزون
به ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم كرر النهي عن اتخاذ الايمان دخلا بينهم تاكيدا عليهم
واظهارا لعظم فتزل قدم بعد ثبوتها فتزل اقدامكم عن محجة الاسلام بعد ثبوتها
عليها وانما وحدت القدم ونكرت لاستعظام ان تزل قدم واحدة عن طريق الحق
بعد ان ثبتت عليه فكيف باقدام كثيرة وتذوقوا السوء في الدنيا بما صددتم بصدودكم
عن سبيل الله وخروجكم من الدين وبصدكم غيركم لانهم لو نقضوا ايمان البيعة وارتدوا
لاتخذوا نقضها سنة لغيرهم يستنون بها ولكم عذاب عظيم في الاخرة ولا تشتروا ولا

غزلها

بينكم

بعهد الله وبيعة رسول الله ثمنا قليلا عرضا من الدنيا يسيرا كان قوم ممن اسلم بمكة
زين لهم الشيطان لجزعهم مما راوا من غلبة قريش واستضعافهم المسلمين ولما كانوا يعدونهم
ان رجعوا من المواعيد ان ينقضوا ما بايعوا عليه رسول الله عليه الصلوة والسلام
فثبتهم الله انما عند الله انما عند الله من ثواب الاخرة هو خير لكم ان كنتم تعلمون
ما عندكم من اعراض الدنيا ينفد وما عند الله من خزاين رحمته باق لا ينفد ولنجزين
بالنون مكي وشامي الذين صبروا على اذى المشركين ومشاق الكلام اجرهم باحسن ما
كانوا يعملون من عمل صالحا من ذكر او انثى من مبهم يتناول النوعين الا ان ظاهر للذكور
فبين بقوله من ذكر او انثى ليعم الموعد النوعين جميعا وهو مؤمن شرط الايمان لان اعمال
الكفار غير معتد بها وهو يدل على ان العمل ليس من الايمان فلنحيينه حيوة طيبة اى في
الدنيا لقوله ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون وعد الله ثواب الدنيا والاخرة
كقوله واتيهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الاخرة وذلك ان المومن مع العمل الصالح
موسرا كان او معسرا يعيش عيشا طيبا ان كان موسرا فظاهر وان كان معسرا فمعه ما يطيب
عيشه وهو القناعة والرضاء بقسمة الله تعالى واما الفاجر فامره بالعكس ان كان معسرا
فظاهر وان كان موسرا فالحرص لا يدعه ان يتهنا بعيشه وقيل الحيوة الطيبة القناعة او
حلاوة الطاعة او المعرفة بالله وصدق المقام مع الله تعالى وصدق الوقوف على امر الله
والاعراض عما سوى الله فاذا قرات القران فاذا اردت قراءة القرآن فاستعذ بالله
فعبر عن ارادة الفعل بلفظ الفعل لانها سبب له والفاء للتعقيب ان القراءة المحرزة
بالاستعاذة من العمل الصالح المذكور من الشيطان يعني ابليس الرجيم المطرود الملعون قال
ابن مسعود رضي الله عنه قرات على رسول الله فقلت اعوذ بالسميع العليم من الشيطان
الرجيم فقال لي قل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا اقرانيه جبريل عليه السلام انه ليس
له لابليس سلطان تسلط وولاية على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون فالمؤمن المتوكل
لا يقبل منه وساوسه انما سلطانه على الذين يتولونه يتخذونه وليا ويتبعون وساوسه
والذين هم به مشركون الضمير يعود الى ربهم او الى الشيطان اى بسببه واذا بدلنا اية مكان اية

تبديل الاية مكان الاية هو النسخ والله تعالى ينسخ الشرايع بالشرايع لحكمة راها وهو معنى قوله
والله اعلم بما ينزل وبالتخفيف مكي وابو عمرو قالوا انما انت مفتر هو جواب اذا وقوله والله
اعلم بما ينزل اعتراض كانوا يقولون ان محمدا يسخر من اصحابه يامرهم اليوم بامر وينهاهم عنه
فياتيهم بما هو اهون ولقد افتروا فقد كان ينسخ الاشق بالاهون والاهون بالاشق بل
اكثرهم لا يعلمون الحكمة في ذلك قل نزله روح القدس اى جبريل عليه السلام اضيف الى
القدس وهو الطهر كما يقال حاتم الجود والمراد الروح المقدس وحاتم الجواد والمقدس المطهر
من الماثم من ربك من عنده وامره بالحق حال اى نزله ملتبسا بالحكمة ليثبت الذين امنوا ليبلوهم
بالنسخ حتى اذا قالوا فيه هو الحق من ربنا والحكمة لانه حكيم لا يفعل الا ما هو حكمة وصواب
حكم لهم بثبات القدم وصحة اليقين وطمانينة القلوب وهدى وبشرى مفعول لهما معطوفان
على محل ليثبت والتقدير تثبيتا لهم وارشادا وبشارة للمسلمين وفيه تعريض بحصول اضداد
هذه الخصال لغيرهم ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر ارادوا به غلاما كان لحويطب
قد اسلم وحسن اسلامه اسمه عايش او يعيش وكان صاحب كتب او هو جبر غلام رومي
او عبدان جبر ويسار كانا يقرآن التورية والانجيل وكان رسول الله عليه الصلوة والسلام
يسمع ما يقرآن او سلمان الفارسي لسان الذي يلحدون اليه وبفتح الياء والحاء حمزة
وعلي اعجمي وهذا لسان عربي مبين اى لسان الرجل الذي يميلون قولهم من الاستقامة اليه
لسان اعجمي غير بين وهذا القران لسان عربي مبين ذو بيان وفصاحة رد القولهم وابطال
لطعنهم وموضع الجملة اعني قوله لسان الذي يلحدون اليه اعجمي لا محل لها لانها مستانفة
جواب لقولهم واللسان اللغة ويقال الحد القبر ولحد وهو ملحد وملحود اذا امال
حفره عن الاستقامة فحفر في شق منه ثم استعير لكل امالة من استقامته فقالوا الحد فلان
في قوله والحد في دينه ومنه الملحد لانه امال مذهبه عن الاديان كلها ان الذين لا يؤمنون
بايات الله اى القران لا يهديهم الله ما داموا مختارين للكفر ولهم عذاب اليم في الاخرة
على كفرهم انما يفترى الكذب على الله الذين لا يؤمنون بايات الله اى انما يليق افتراء الكذب
بمن لا يؤمن لانه لا يترقب عقابا عليه وهو رد لقولهم انما انت مفتر واولئك اشارة

الى الذين لا يؤمنون اى واولئك هم الكاذبون على الحقيقة الكاملون فى الكذب لان تكذيب
ايات الله اعظم الكذب او اولئك هم الكاذبون فى قولهم انما انت مفتر جوز وان
يكون من كفر بالله من بعد ايمانه شرطا مبتداء وحذف جوابه لان جواب من شرح
دال عليه كانه قيل من كفر بالله فعليهم غضب الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان ساكن
به ولكن من شرح بالكفر صدرا اى طاب به نفسا واعتقده فعليهم غضب من الله
ولهم عذاب عظيم وان يكون بدلا من الذين لا يؤمنون بايات الله على ان يجعل واولئك
هم الكاذبون اعتراضا بين البدل والمبدل منه والمعنى انما يفترى الكذب من كفر بالله
من بعد ايمانه واستثنى منهم المكره فلم يدخل تحت حكم الافتراء ثم قال ولكن من شرح
بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله وان يكون بدلا من المبتداء الذى هو اولئك اى
ومن كفر بالله من بعد ايمانه اولئك هم الكاذبون او من الخبر الذى هم الكاذبون
اى واولئك هم من كفر بالله من بعد ايمانه وان ينتصب على الذم روى ان ناسا
من اهل مكة فتنوا وارتدوا وكان فيهم من اكره فاجرى كلمة الكفر على لسانه وهو معتقد
للايمان منهم عمار واما ابواه ياسر وسمية فقد قتلا وهما اول قتيلين فى الاسلام
فقيل لرسول الله عليه الصلوة والسلام ان عمارا كفر فقال كلا ان عمارا رسول الله عليه السلام
ملى ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فاتى عمار رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو يبكى فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه وقال ما لك
ان عادوا لك فعد لهم بما قلت وما فعل ابوا عمار افضل لان فى الصبر على القتل اعزاء
للاسلام ذلك اشارة الى الوعيد وهو لحوق الغضب والعذاب العظيم بانهم استحبوا
الحيوة الدنيا على الاخرة اى بسبب ايثارهم الدنيا على الاخرة وان الله لا يهدى القوم
الكافرين ما داموا مختارين الكفر اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم
فلا يتدبرون ولا يصغون الى المواعظ ولا يبصرون طريق الرشاد واولئك هم الغافلون
الكاملون فى الغفلة لان الغفلة عن تدبر العواقب هى غاية الغفلة ومنتهاها لا جرم
انهم فى الاخرة هم الخاسرون ثم ان ربك ثم يدل على تباعد احوال هؤلاء من حال اولئك

للذين

للذين هاجروا من مكة اى انه لهم لا عليهم يعنى انه وليهم وناصرهم لا عدوهم وخاذلهم
كما يكون الملك للرجل لا عليه فيكون محميا منفوعا غير مضرور من بعد ما فتنوا بالعذاب
والاكراه على الكفر فتنوا شامى اى بعد ما عذبوا المؤمنين ثم اسلموا ثم هاجروا المشركين ثم جاهدوا
بعد الهجرة وصبروا على الجهاد ان ربك من بعدها من بعد هذه الافعال وهى الهجرة والجهاد
والصبر لغفور لهم ما كان منهم من تكلم بكلمة الكفر تقية رحيم لا يعذبهم على ما قالوا
فى حالة الاكراه يوم تاتى منصوب برحيم او باذكر كل نفس تجادل عن نفسها وانما اضيفت
النفس الى النفس لانه يقال لعين الشئ وذاته نفسه وفى نقيضه غيره والنفس الجملة كما هى
فالنفس الاولى هى الجملة والثانية عينها وذاتها وكانه قيل يوم ياتى كل انسان يجادل عن
ذاته لا يهمه شان غيره كل يقول نفسى نفسى ومعنى المجادلة عنها الاعتذار عنها
كقولهم هؤلاء اضلونا ربنا اطعنا سادتنا وكبراءنا الاية والله ربنا ما كنا مشركين
وتوفى كل نفس ما عملت تعطى جزاء عملها وافيا وهم لا يظلمون فى ذلك وضرب الله مثلا
قرية اى جعل القرية التى هذه حالها مثلا لكل قوم انعم الله عليهم فابطرتهم النعمة فكفروا
وتولوا فانزل الله بهم نقمة فيجوز ان تراد قرية مقدرة على هذه الصفة وان تكون نقمة
فى قرى الاولين قرية كانت هذه حالها فضرب الله مثلا لمكة انذارا من مثل عاقبتها
كانت امنة من القتل والسبى مطمئنة لا يزعجها خوف لان الطمانينة مع الامن والانزعاج
والقلق مع الخوف ياتيها رزقها رغدا واسعا من كل مكان من كل بلد فكفرت اهلها
بانعم الله جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وادرع او جمع نعم كبوس وابؤس
فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون والاذاقة واللباس استعارتان
والاذاقة المستعارة موقعة على اللباس المستعار ووجه صحة ذلك ان الاذاقة جارية
عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها فى البلايا والشدائد وما يمس الناس منها فيقولون
ذاق فلان البوس والضر واذاقه العذاب شبه ما يدرك من اثر الضرر والالم بما
يدرك من طعم المر والبشع واما اللباس فقد شبه به لاشتماله على اللابس ما غشى الانسان
والتبس من بعض الحوادث واما ايقاع الاذاقة على لباس الجوع والخوف فلانه لما وقع

عبارة عما يغشى منهما ويلابس فكانه قيل فاذاقهم ما غشيهم من الجوع والخوف ولقد جاءهم
رسول منهم اى محمد عليه الصلوة والسلام فكذبوه فاخذهم العذاب وهم ظالمون اى في حال
التباسهم بالظلم وقالوا انه القتل بالسيف يوم بدر روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
وجه الى اهل مكة في سني القحط بطعام ففرق فيهم فقال الله تعالى لهم بعد ان اذاقهم الجوع
فكلوا مما رزقكم الله على يدى محمد حلالا طيبا بدلا عما كنتم حراما خبيثا من الاموال الملحقة
بالغارات والمغصوب وخبائث الكسوب واشكروا نعمت الله ان كنتم اياه تعبدون
تطيعون او ان صح زعمكم انكم تعبدون الله بعبادة الالهة لانها شفعاؤكم عنده ثم عدد
عليهم محرمات الله ونهاهم من تحريمهم وتحليلهم باهوائهم فقال انما حرم عليكم الميتة
والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم
انما للحصر اى المحرم هذا دون البحيرة واخواتها وباقى الاية قدم تفسيره ولا تقولوا لما
تصف السنتكم الكذب هو منصوب بلا تقولوا اى ولا تقولوا الكذب لما تصفه السنتكم
من البهائم بالحل والحرمة في قولكم ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على
ازواجنا من غير اسناد ذلك الوصف الى الوحى او الى القياس المستنبط منه واللام مثلها
في قولك ولا تقولوا لما احل الله هو حرام وقوله هذا حلال وهذا حرام بدل من الكذب
ولك ان تنصب الكذب بتصف وتجعل ما مصدرية وتعلق هذا حلال وهذا حرام بلا تقولوا
اى ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لوصف السنتكم الكذب اى لا تحللوا ولا تحرموا لاجل
قول تنطق به السنتكم ويجول في افواهكم لا لاجل حجة وبينة ولكن قول ساذج ودعوى بلا
برهان وقوله وتصف السنتكم الكذب من فصيح الكلام جعل قولهم كانه عين الكذب فاذا نطقت
به السنتهم فقد حلت الكذب بحليته وصورته بصورته كقولهم وجهها يصف الجمال وعينها
تصف السحر واللام في لتفتروا على الله الكذب من التعليل الذى لا يتضمن معنى الغرض ان
الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع قليل ولهم عذاب اليم هو خبر مبتدا محذوف
اى منفعتهم فيما هم عليه من افعال الجاهلية منفعة قليلة وعذابها عظيم وعلى الذين هادوا
حرمنا ما قصصنا عليك من قبل في سورة الانعام يعني وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر

نطقت

وما ظلمناهم بالتحريم ولكن كانوا انفسهم يظلمون فحرمنا عليهم عقوبة على معاصيهم ثم ان ربك
للذين عملوا السوء بجهالة في موضع الحال اى عملوا السوء جاهلين غير متدبرين للعاقبة
لغلبة الشهوة عليهم ومرادهم لذة الهوى لا عصيان المولى ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا
ان ربك من بعدها من بعد التوبة لغفور بتكفير ما كانوا والقبول التوبة من الجرائم رحيم بتوفيق
ما وتفقوا بعدها الغرائم ان ابراهيم كان امة انه كان وحده امة من الامم لكماله في جميع
صفات الخير كقوله ليس من الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد وعن مجاهد كان مؤمنا وحده
والناس كلهم كفار او كان امة بمعنى مأموم اى يامه الناس لياخذوا منه الخير قانتا لله هو القائم
بما امره الله وقال ابن مسعود رضى الله عنه ان معاذا كان امة قانتا لله فقيل له انما هو
ابراهيم عليه السلام فقال الامة الذى يعلم الخير والقانت المطيع لله ولرسوله وكان معاذ
كذلك وقال عمر رضى الله عنه لو كان معاذ حيا لاستخلفته فانى سمعت رسول الله عليه السلام
يقول ابو عبيدة امين هذه الامة ومعاذ امة لله قانت لله ليس بينه وبين يوم القيمة
الا المرسلون حنيفا مائلا عن الاديان الى ملة الاسلام ولم يك من المشركين نفى عنه الشرك
تكذيبا لكفار قريش لزعمهم انهم على ملة ابيهم وحذف النون للتشبيه بحروف اللين شاكرا
لانعمه روى انه كان لا يتغدى الا مع الضيف فلم يجد ذات يوم ضيفا فاخر غداءه فاذا
هو بفوج من الملائكة في صورة البشر فدعاهم الى الطعام فخيلوا له ان بهم جذاما فقال الان
وجبت مواكلتكم شكرا لله على انه عافانى وابتلاكم اجتبيه اختصه واصطفاه للنبوة و
هداه الى صراط مستقيم الى ملة الاسلام وآتيناه في الدنيا حسنة نبوة او اموالا واولادا
او تنويه الله بذكره فكل اهل دين يتولونه او قول المصلى منا كما صليت على ابراهيم وانه
في الاخرة لمن الصالحين لمن اهل الجنة ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان
من المشركين في ثم في تعظيم منزلة نبينا عليه الصلوة والسلام واجلال محله والايذان بان
اشرف ما اوتى خليل الله من الكرامة اتباع رسولنا ملته انما جعل السبت على الذين اختلفوا
فيه اى فرض عليهم تعظيمه وترك الاصطياد فيه وان ربك ليحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا
فيه يختلفون روى ان موسى عليه الصلوة والسلام امرهم ان يجعلوا في الاسبوع يوما للعبادة

وان يكون يوم الجمعة فابوا عليه وقالوا نريد اليوم الذى فرغ الله من خلق السموات والارض
وهو السبت الا شرذمة منهم قد رضوا بالجمعة وهذا اختلافهم فى السبت لان بعضهم اختاروه
وبعضهم اختاروا عليه الجمعة فاذن الله لهم فى السبت وابتلاهم بتحريم الصيد فيه فاطاع
امر الله الراضون بالجمعة فكانوا لا يصيدون واعقابهم لم يصبروا من الصيد فمسخهم الله دون
اوليك وهو يحكم بينهم يوم القيمة فيجازى كل واحد من الفريقين بما هو اهله ادع الى سبيل
ربك الى الاسلام بالحكمة بالمقالة الصحيحة المحكمة وهى الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة والموعظة
الحسنة وهى التى لا يخفى عليهم انك تناصحهم بها وتقصد ما ينفعهم فيها او بالقران اى ادعهم
بالكتاب الذى هو حكمة وموعظة حسنة او الحكمة المعرفة لمراتب الافعال والموعظة الحسنة
ان تخلط الرغبة بالرهبة والانذار بالبشارة وجادلهم بالتى هى احسن بالطريقة التى هى احسن
طرق المجادلة من الرفق واللين من غير فظاظة او بما هو يوقظ القلوب ويعظ النفوس
ويجلو العقول وهو رد على من يابى المناظرة فى الدين ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله
وهو اعلم بالمهتدين اى هو اعلم بهم فمن كان فيه خير كفاه الوعظ القليل ومن لا خير فيه عجزت
عنه الحيل وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به سمى الفعل الاول عقوبة والعقوبة هى الثانية
لازدواج الكلام لقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها فالثانية ليست بسيئة والمعنى ان صنع
بكم صنيع سوء من قتل او نحوه فقابلوه بمثله ولا تزيدوا عليه روى ان المشركين مثلوا بالمسلمين
يوم احد وبقروا بطونهم وقطعوا مذاكيرهم فراى النبى صلى الله عليه وسلم حمزة مبقور
البطن فقال اما والذى احلف به لامثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وكف
عما اراده ولا خلاف فى تحريم المثلة لورود الاخبار بالنهى عنها حتى بالكلب العقور ولئن
صبرتم لهو خير للصابرين الضمير فى لهو يرجع الى مصدر صبرتم والمراد بالصابرين المخاطبون
اى ولئن صبرتم لصبركم خير لكم فوضع الصابرون موضع الضمير ثناء من الله عليهم بانهم
صابرون على الشدائد ثم قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم واصبر انت فعزم عليه بالصبر
وما صبرك الا بالله اى بتوفيقه وتثبيته ولا تحزن عليهم على الكفار ان لم يؤمنوا او على
المؤمنين وما فعل بهم الكافرون فانهم وصلوا الى مطلوبهم ولا تك فى ضيق مما يمكرون ضيق

مكى والضيق تخفيف الضيق اى فى امر ضيق ويجوز ان يكونا مصدرين كالقيل والقال
والمعنى ولا يضيقن صدرك من مكرهم فانه لا ينفذ عليك ان الله مع الذين اتقوا والذين
هم محسنون اى هو ولى الذين اجتنبوا السيآت وولى العاملين بالطاعات وقيل من اتقى
فى افعاله واحسن فى اعماله كان الله معه فى احواله ومعيته نصرته فى المامور وعصمته
عن المحظور

سورة بنى اسرائيل مكية وهى مائة واحدى عشرة آية كوفى وبصرى

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحان تنزيه الله عن السوء هو علم للتسبيح كعثمان للرجل وانتصابه بفعل مضمر متروك
اظهاره تقديره اسبح الله سبحان ثم نزل سبحان منزلة الفعل فسد مسده ودل على التنزيه
البليغ الذى اسرى بعبده محمد عليه الصلوة والسلام وسرى واسرى لغتان ليلا نصب
على الظرف وقيده بالليل والاسراء لا يكون الا بالليل للتاكيد او ليدل بلفظ التنكير على
تقليل مدة الاسراء وانه اسرى به فى بعض الليل من مكة الى الشام مسيرة اربعين ليلة من
المسجد الحرام قيل اسرى به من دار ام هانى بنت ابى طالب والمراد بالمسجد الحرام الحرم لاحاطته
بالمسجد والتباسه به وعن ابن عباس رضى الله عنه الحرم كله مسجد وقيل هو المسجد الحرام فى الحجر
عند البيت بعينه وهو الظاهر فقد قال عليه الصلوة والسلام بينا انا فى المسجد الحرام فى
الحجر عند البيت بين النايم واليقظان اذ اتانى جبريل بالبراق وقد عرج بى الى السماء
فى تلك الليلة وكان العروج من بيت المقدس وقد اخبر قريشا عن عيرهم وعدد
جمالها واحوالها واخبرهم ايضا بما راى فى السماء من العجايب وانه لقى الانبياء وبلغ البيت
المعمور وسدرة المنتهى وكان الاسراء قبل الهجرة بسنة وكان فى اليقظة وعن عايشة رضى
انها قالت والله ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن عرج بروحه وعن
معاوية مثله وعلى الاول الجمهور اذ لا فضيلة للحالم ولا مزية للنايم الى المسجد الاقصى
هو بيت المقدس لانه لم يكن حينئذ وراءه مسجد الذى باركنا حوله يريد بركات الدين
والدنيا لانه متعبد الانبياء ومهبط الوحى وهو محفوف بالانهار الجارية والاشجار
المثمرة لنريه اى محمدا عليه الصلوة والسلام من اياتنا الدالة على وحدانية الله وصدق نبوته
برؤية السموات وما فيهما من الايات انه هو السميع للاقوال البصير بالافعال ولقد

تصرف الكلام على لفظ الغائب والمتكلم فقيل اسرى ثم باركنا ثم انه هو وهي طريقة الالتفات
التي هي من طرق البلاغة واتينا موسى الكتاب وجعلناه اى الكتاب وهو التورية هدى
لبني اسرائيل الا تتخذوا اى لا تتخذوا وبالياء ابو عمرو اى لئلا يتخذوا من دوني وكيلا ربا
تكلون اليه اموركم ذرية من حملنا مع نوح نصب على الاختصاص او على النداء فيمن
قرا لا تتخذوا بالتاء على النهي اى قلنا لهم لا تتخذوا من دوني وكيلا يا ذرية من حملنا
مع نوح انه ان نوحا عليه السلام كان عبدا شكورا في السراء والضراء والشكر مقابلة النعمة
بالثناء على المنعم روى انه كان لا ياكل ولا يشرب ولا يلبس الا قال الحمد لله وانتم من ذرية
من آمن به وحمل معه فاجعلوه اسوتكم كما جعله اباؤكم اسوتهم وآية رشد الابناء صحة
الاقتداء بسنة الاباء فقد عرفتم حال الاباء هنالك فكونوا ايها الابناء كذلك و
قضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الارض واوحينا اليهم وحيا مقضيا اى
مقطوعا مبتوتا بانهم يفسدون في الارض لا محالة والكتاب التورية ولتفسدن جواب
قسم محذوف او جرى القضاء المبتوت مجرى القسم فيكون لتفسدن جوابا له فانه
قال واقسمنا لتفسدن مرتين اولهما قتل زكريا عليه السلام وحبس ارميا عليه السلام
حين انذرهم بسخط الله والاخرى قتل يحيى بن زكريا وقصد قتل عيسى عليهم السلام
ولتعلن علوا كبيرا ولتستكبرن من طاعة الله من قوله ان فرعون علا في الارض والمراد
به البغي والظلم وغلبة المفسدين على المصلحين فاذا جاء وعد اوليهما اى وعد عقاب
اوليهما بعثنا عليكم سلطنا عليكم عبادا لنا اولي باس شديد اشداء في القتال يعني بختنصر
وجنوده او بختنصر او جالوت قتلوا علماءهم واحرقوا التورية وخربوا المسجد وسبوا منهم
سبعين الفا فجاسوا خلال الديار ترددوا للغارة فيها وقال الزجاج الجوس طلب الشي بالاستقصا
وكان وعدا مفعولا وكان وعد العقاب ووعد الابدان يفعل ثم رددنا لكم الكرة اى الدولة
والغلبة عليهم على الذين بعثوا عليكم حين تبتم ورجعتم عن الفساد والعلو قيل هي قتل بخت
نصر واستنقاذ بني اسرائيل اسراءهم واموالهم ورجوع الملك اليهم وقيل اعدنا لكم الدولة
بملك طالوت وقتل داود جالوت وامددناكم باموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا عددا مما كنتم

وهو تمييز جمع نفر وهو من ينفر مع الرجل من قومه ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان
اساتم فلها قيل اللام بمعنى على كقوله وعليها ما اكتسبت والصحيح انها على بابها لان اللام
للاختصاص والعامل مختص بجزاء عمله حسنة كانت او سيئة يعني ان الاحسان والاساءة
مختصو انفسكم لا يتعدى النفع والضر الى غيركم وعن علي رضي الله عنه ما احسنت
الى احد ولا اساءت اليه وتلاها فاذا جاء وعد المرة الاخرة بعثناهم ليسوءوا اى
هؤلاء وجوهكم وحذف لدلالة ذكره عليه اى ليجعلوها بادية آثار المساءة والكآبة
فيها كقوله سيئت وجوه الذين كفروا ليسوء شامي وحمزة وابو بكر والضمير لله عز
وجل او للوعد او للبعث لنسوء علي وليدخلوا المسجد بيت المقدس كما دخلوه اول مرة
وليتبروا واعلى ما علوا تتبيرا ما علوا مفعول ليتبروا اى ليهلكوا كل شيء غلبوه واستولوا
عليه او بمعنى مدة علوهم عسى ربكم ان يرحمكم بعد المرة الثانية ان تبتم توبة اخرى
وانزجرتم عن المعاصي وان عدتم مرة ثالثة عدنا الى عقوبتكم وقد عادوا فاعاد الله عليهم
النقمة بتسليط الاكاسرة وضرب الاتاوة عليهم وعن ابن عباس رض سلط عليهم المؤمنون
الى يوم القيمة وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا محبسا يقال للسجن محصر وحصير ان هذا
القران يهدي للتي هي اقوم للحالة التي هي اقوم الحالات واسدها وهي توحيد الله والايمان
برسله والعمل بطاعته او للملة والطريقة ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات و
يبشر حمزة وعلي ان لهم بان لهم اجرا كبيرا اى الجنة وان الذين وبان الذين لا يؤمنون
بالاخرة اعتدنا اى اعددنا قلبت تاء لهم عذابا اليما يعني النار والاية ترد القول بالمنزلة
بين المنزلتين حيث ذكر المؤمنين وجزاءهم والكافرين وجزاءهم ولم يذكر الفسقة ويدع
الانسان بالشر دعاءه بالخير اى ويدعو الله عند غضبه بالشر استعجالهم على نفسه واهله
وماله وولده كما يدعوه لهم بالمغفرة لخير او يطلب النفع العاجل وان قل بالضر الآجل وان
جل وكان الانسان عجولا يتسرع الى طلب كل ما يقع في قلبه ويخطر بباله لا يتانى فيه تاني المتبصر
او اريد بالانسان الكافر وانه يدعو بالعذاب استهزاء ويستعجل به كما يدعو بالخير اذا مسته
الشدة وكان الانسان عجولا يعني ان العذاب آتيه لا محالة فما هذا الاستعجال وعن ابن عباس

هو النضر بن الحارث قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الاية فاجيب له فضربت عنقه
صبرا او بسقوط الواو من يدع في الخط على موافقة اللفظ وجعلنا الليل والنهار ايتين فمحونا
اية الليل وجعلنا اية النهار مبصرة اى الليل والنهار آيتان في انفسهما فيكون الاضافة
في اية الليل واية النهار كاضافة العدد الى المعدود اى فمحونا الاية التى هي الليل وجعلنا
الاية التى هي النهار مبصرة او وجعلنا نيرى الليل والنهار ايتين يريد الشمس والقمر فمحونا
اية الليل التى هي القمر حيث لم نخلق له شعاعا كشعاع الشمس فترى الاشياء به رؤية بينة
وجعلنا الشمس ذات شعاع يبصر في ضوءها كل شيء لتبتغوا فضلا من ربكم لتتوصلوا
ببياض النهار الى التصرف في معايشكم ولتعلموا باختلاف الجديدين عدد السنين و
الحساب يعنى حساب الاجال ومواسم الاعمال ولو كانا مثلين لما عرف الليل من النهار
ولا استراح حراص المكتسبين والتجار وكل شيء ما تفتقرون اليه في دينكم ودنياكم فصلناه
تفصيلا بيناه بيانا غير ملتبس فازحنا عللكم وما تركنا لكم حجة علينا وكل انسان الزمناه
طايره عمله في عنقه يعنى ان عمله لازم له لزوم القلادة او الغل للعنق لا ينفك عنه و
نخرج له يوم القيمة كتابا يلقيه هو صفة لكتابا يلقيه شامي منشورا حال من يلقاه يعنى
غير مطوى يمكنه قراءته او هما صفتان لكتاب ونقول له اقرأ كتابك اى كتاب اعمالك
وكل يبعث قارئا كفى بنفسك اليوم عليك الباء زايدة اى كفى نفسك حسيبا تميز وهو
بمعنى حاسب وعلى متعلق به من قولك حسب عليه كذا او بمعنى الكافي وضع موضع الشهيد
فعدى بعلى لان الشاهد يكفي المدعى ما اهمه وانما ذكر حسيبا لانه بمنزلة الشهيد والقاضي
والامير اذ الغالب ان يتولى هذا الامر الرجال فكانه قيل كفى بنفسك رجلا حسيبا او يول
النفس بالشخص من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها اى فلها ثواب
الاهتداء وعليها وبال الضلال ولا تزر وازرة وزر اخرى اى كل نفس حاملة وزرا فانما تحمل
وزرها لا وزر نفس اخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وما صح منا ان نعذب قوما
عذاب استيصال في الدنيا الا بعد ان نبعث اليهم رسولا فتلزمهم الحجة واذا اردنا ان نهلك
قرية اهل قرية امرنا مترفيها متنعميها وجبابرتها بالطاعة عن ابى عمرو والزجاج ففسقوا فيها

خرجوا من الامر كقولك امرته فعصى او امرنا كثرنا دليله قراءة يعقوب آمرنا ومنه الحديث
خير المال سكة مابورة ومهرة مامورة اى كثيرة النسل فحق عليها القول فوجب عليها الوعيد
فدمرناها تدميرا فاهلكناها اهلاكا وكم مفعول اهلكنا من القرون بيان لكم من بعد نوح يعنى
عادا وثمود وغيرها وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا وان اخفوها في الصدور بصيرا وان
ارخوا عليها الستور من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لا ما يشاؤه لمن نريد بدل
من له باعادة الجار وهو بدل البعض من الكل اذ الضمير يرجع الى من اى من كانت العاجلة همه
ولم يرد غيرها كالكفرة تفضلنا عليه من منافعها بما نشاء لمن نريد فقيد المعجل بمشية والمعجل
له بارادته وهكذا الحال ترى كثيرا من هؤلاء يتمنون ما يتمنون ولا يعطون الا بعضا منه
وكثيرا منهم يتمنون ذلك البعض وقد حرموه فاجتمع عليهم فقر الدنيا وفقر الاخرة و
اما المؤمن التقى فقد اختار غنى الاخرة فان اوتى حظا من الدنيا فبها والا فربما كان الفقر
خيرا له ثم جعلنا له جهنم في الاخرة يصليها يدخلها مذموما ممقوتا مدحورا مطرودا من
رحمة الله ومن اراد الاخرة وسعى لها سعيها هو مفعول به اى حقها من السعى وكفاءها من
الاعمال الصالحة وهو مؤمن مصدق لله في وعده ووعيده فاولئك كان سعيهم مشكورا
مقبولا عند الله ومثابا عليه عن بعض السلف من لم يكن معه ثلث لم ينفعه عمله ايمان ثابت
ونية صادقة وعمل مصيب وتلا الاية فانه شرط فيها ثلث شرايط في كون السعى مشكورا ارادة
الاخرة والسعى فيما كلف والايمان الثابت كلا كل واحد من الفريقين والتنوين عوض من
المضاف اليه وهو منصوب بقوله نمد هؤلاء بدل من كلا اى نمد هؤلاء وهؤلاء اى من
اراد العاجلة ومن اراد الاخرة من عطاء ربك رزقه ومن يتعلق بنمد والعطاء اسم للمعطى
اى نزيدهم من عطائنا ونجعل الانف منه مددا للسالف لا نقطعه فنرزق المطيع والعاصى
جميعا على وجه التفضل وما كان عطاء ربك محظورا ممنوعا عن عباده وان عصوا انظر
بعين الاعتبار كيف فضلنا بعضهم على بعض في الاول والجاه والسعة والكمال وللاخرة اكبر
درجات واكبر تفضيلا روى ان قوما من الاشراف ومن دونهم اجتمعوا بباب عمر رض
فخرج الاذن لبلال وصهيب فشق على ابى سفيان فقال سهيل بن عمرو وانما اوتينا من قبلنا

انهم دعوا ودعينا يعنى الى الاسلام فاسرعوا وابطانا وهذا باب عمر فكيف التفاوت فى الاخرة
ولين حسد تموهم على باب عمر فلما اعد الله لهم فى الجنة اكثر لا تجعل مع الله الها اخر الخطاب
للنبى عليه الصلوة والسلام والمراد امته فتقعد مذموما مخذولا فتصير جامعا على
نفسك الذم والخذلان وقيل مشتوما بالاهانة محروما من الاعانة اذ الخذلان ضد
النصر والعون ودليله قوله تعالى ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذى
ينصركم من بعده حيث ذكر الخذلان بمقابلة النصر وقضى ربك وامر امرا مقطوعا به
ان لا تعبدوا الا اياه ان مفسرة ولا تعبدوا نهى او بان تعبدوا وبالوالدين احسانا
واحسنوا بالوالدين احسانا او بان تحسنوا بالوالدين احسانا اما ان يبلغن عندك
الكبر اما هى ان الشرطية زيدت عليها ما تاكيدا لها ولذا دخلت النون الموكدة فى الفعل
ولو افردت ان لم يصح دخولها لا تقول ان تكرمن زيدا يكرمك ولكن اما تكرمن احدهما
فاعل يبلغن وهو فى قراءة حمزة وعلى يبلغان بدل من الف الضمير الراجع الى الوالدين
او كلاهما عطف على احدهما فاعلا او بدلا فلا تقل لهما اف مدنى وحفص اف مكى و
شامى اف غيرهم وهو صوت يدل على تضجر فالكسر على اصل التقاء الساكنين والفتح
للتخفيف والتنوين لارادة التنكير اى تضجر تضجرا وتركه لقصد التعريف اى التضجر
التضجر المعلوم ولا تنهرهما ولا تزجرهما عما يتعاطيان مما لا يعجبك والنهى والنهر اخوان
وقل لهما بدل التافيف والنهر قولا كريما جميلا لينا كما يقتضيه حسن الادب او هو ان يقول
يا ابتاه يا اماه ولا يدعوهما باسمائهما فانه من الجفاء ولا باس به فى غير وجههما كما قالت عائشة
رضى الله عنها نحلنى ابو بكر كذا وفايدة عندك انهما اذا صارا كلا على ولدهما ولا كافل لهما
غيره فهما عنده فى بيته وكنفه وذلك اشق عليه فهو مامور بان يستعمل معهما لين الخلق
حتى لا يقول لهما اذا اضجره ما يستقذر منهما اف فضلا عما يزيد عليه ولقد بالغ سبحانه
فى التوصية بهما حيث افتتحها بان شفع الاحسان اليهما بتوحيده ثم ضيق الامر فى مراعاتهما
حتى لم يرخص فى ادنى كلمة تنفلت من المتضجر مع موجبات الضجر ومع احوال لا يكاد يصبر
الانسان معها واخفض لهما جناح الذل اى اخفض لهما جناحك كما قال واخفض جناحك

للمومنين

للمومنين فاضافه الى الذل كما اضيف حاتم الى الجود والمعنى واخفض جناحك الذليل
من الرحمة من فرط رحمتك لهما وعطفك عليهما لكبرهما وافتقارهما اليوم الى من كان
افقر خلق الله اليهما بالامس وقال الزجاج والن جانبك متذللا لهما من مبالغتك
فى الرحمة لهما وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا ولا تكتف برحمتك عليهما التى لا بقاء
لها وادع الله بان يرحمهما رحمته الباقية واجعل ذلك جزاء لرحمتهما عليك فى صغرك
وتربيتهما لك والمراد بالخطاب غيره عليه الصلوة والسلام والدعاء مختص بالابوين
المسلمين وقيل اذا كانا كافرين له ان يسترحم لهما بشرط الايمان وان يدعو الله لهما بالهداية
وعن النبى صلى الله عليه وسلم رضى الله فى رضى الوالدين وسخطه فى سخطهما وروى
يفعل البار ما يشاء ان يفعل فلن يدخل النار ويفعل العاق ما يشاء فلن يدخل الجنة
وعنه عليه الصلوة والسلام اياكم وعقوق الوالدين فان الجنة توجد ريحها من مسيرة
الف عام ولا يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم ولا شيخ زان ولا جار ازاره خيلاء ان
الكبرياء لله رب العالمين ربكم اعلم بما فى نفوسكم بما فى ضمايركم من قصد البر الى الوالدين
ومن النشاط والكراهة فى خدمتهما ان تكونوا صالحين قاصدين الصلاح والبر ثم فرطت
منكم فى حال الغضب وعند حرج الصدر هنة تودى الى اذاهما ثم اتيتم الى الله واستغفرتم منها
فانه كان للاوابين غفورا الاواب الذى اذا اذنب بادر الى التوبة فجاز ان يكون هذا
عاما لكل من فرطت منه جناية ثم تاب منها ويندرج تحته الجانى على ابويه التايب من جنايته
لوروده على اثره وات ذى القربى منك حقه اى النفقة اذا كانوا محارم فقراء والمسكين
وابن السبيل اى وات هولاء حقهم من الزكوة ولا تبذر تبذيرا ولا تسرف اسرافا قيل التبذير
تفريق المال فى غير المحل والمحل فعن مجاهد لو انفق مدا فى باطل كان تبذيرا وقد انفق بعضهم
نفقة فى خير فاكثر فقال له صاحبه لا خير فى السرف فقال لا سرف فى الخير ان المبذرين
كانوا اخوان الشياطين امثالهم فى الشرارة وهى غاية المذمة لانه لا اشر من الشيطان او هم
اخوانهم واصدقاؤهم لانهم يطيعونهم فيما يامرونهم به من الاسراف وكان الشيطان
لربه كفورا فما ينبغى ان يطاع لانه لا يدعوا الا الى مثل فعله واما تعرضن وان اعرضت

٧ عنهم م

من ذى القربى والمساكين وابن السبيل حياء من الرد ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم
قولا ميسورا اى وان اعرضت عنهم لفقد رزق من ربك ترجو ان يفتح لك فسمى الرزق
رحمة فردهم ردا جميلا فوضع الابتغاء موضع الفقد لان فاقد الرزق مبتغ له فكان
الفقد سبب الابتغاء والابتغاء مسبب عنه فوضع المسبب موضع السبب يقال يسر الامر
وعسر مثل سعد الرجل ونحس فهو مفعول وقيل معناه فقل لهم رزقنا الله واياكم
من فضله على انه دعاء لهم ييسر عليهم فقرهم كان معناه قولا ذا ميسور وهو اليسر اى
دعاء فيه يسر وابتغاء مفعول له او مصدر فى موضع الحال وترجوها حال ايضا ولا تجعل
يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط كل نصب على المصدر لاضافته اليه وهذا
تمثيل لمنع الشحيح واعطاء المسرف امر بالاقتصاد الذى هو بين الاسراف والتقتير فتقعد
ملوما فتصير ملوما عند الله لان المسرف غير مرضى عنده وعند الناس يقول الفقير
اعطى فلانا وحرمنى ويقول الغنى ما يحسن تدبير امر المعيشة وعند نفسك اذا احتجت
فندمت على ما فعلت محسورا منقطعا بك لا شىء عندك من حسره السفر اذا اثر فيه
اثرا بليغا او عاريا من حسر راسه وقد تخاطرت مسلمة ضرتها اليهودية فى انه يعنى محمدا
عليه الصلوة والسلام اجود من موسى عليه السلام فبعثت ابنتها تسأله قميصه الذى هو
عليه فدفعه وقعد عريانا فاقيمت الصلوة فلم يخرج للصلوة فنزلت ثم سلى رسول الله عليه
الصلوة والسلام بان ذلك ليس لهوان منك عليه ولا لبخل به عليك ولكن لان بسط
الارزاق وقدرها مفوض الى الله تعالى فقال ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء فليس البسط
اليك ويقدر اى هو يضيق فلا لوم عليك انه كان بعباده خبيرا بصالحهم فيمضيها بصيرا
بحوائجهم فيقضيها ولا تقتلوا اولادكم قتلهم اولادهم وادهم بناتهم خشية املاق فقر نحن
نرزقهم واياكم نهاهم عن ذلك وضمن ارزاقهم ان قتلهم كان خطأ كبيرا اثما عظيما يقال
خطى خطأ كاثم اثما وخطاء وهو ضد الصواب اسم من اخطا وقيل هو والخطأ كالحذر والحذر
خطاء مكى ولا تقربوا الزنى بالقصر فيه اكثر والمد لغة وقد قرى به وهو نهى عن دواعى الزنى
كالمس والقبلة ونحوها ولو اريد النهى عن نفس الزنى لقال ولا تزنوا انه كان فاحشة معصية

مجاوزة

مجاوزة حد الشرع والعقل وساء سبيلا وبئس طريقا طريقه ولا تقتلوا النفس التى حرم الله
الا بالحق الا بارتكاب ما يبيح الدم ومن قتل مظلوما غير مرتكب ما يبيح الدم فقد جعلنا
لوليه سلطانا تسلطا على القاتل فى الاقتصاص منه فلا يسرف فى القتل الضمير للولى اى فلا
يقتل غير القاتل ولا اثنين والقاتل واحد كعادة الجاهلية او الاسراف المثلة او الضمير للقاتل
الاول فلا تسرف حمزة وعلى على خطاب الولى او قاتل المظلوم انه كان منصورا الضمير للولى
اى حسبه ان الله قد نصره بان اوجب له القصاص فلا يستزد على ذلك او للمظلوم اى الله
ناصره حيث اوجب القصاص بقتله وينصره فى الاخرة بالثواب او للذى يقتله الولى بغير
حق ويسرف فى قتله فانه منصور بايجاب القصاص على المسرف وظاهر الاية يدل على ان
القصاص يجرى بين الحر والعبد وبين المسلم والذمى لان انفس اهل الذمة والعبيد داخلة
فى الاية لكونها محرمة ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى احسن بالخصلة او بالطريقة التى هى
احسن وهى حفظه عليه وتثميره حتى يبلغ اشده اى ثمانى عشرة سنة واوفوا بالعهد بما امر الله
وبنهيه ان العهد كان مسئولا مطلوبا يطلب من المعاهد ان لا يضيعه ويفى به او ان صاحب
العهد كان مسئولا واوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس بكسر القاف حمزة وعلى وحفص
وهو كل ميزان صغر او كبر من موازين الدراهم وغيرها وقيل هو القرسطون المستقيم
المعتدل ذلك خير فى الدنيا واحسن تاويلا عاقبة وهو تفعيل من آل اذا رجع وهو ما يؤل
اليه ولا تقف ما ليس لك به علم ولا تتبع ما لا تعلم اى لا تقل رايت ما رايت وسمعت
وما سمعت وعن ابن الحنيفة لا تشهد بالزور وعن ابن عباس رضى الله عنهما لا ترم احدا
بما لا تعلم ولا يصح التشبث به لمبطل الاجتهاد لان ذا نوع من العلم فان علمتموهن مؤمنات
واقام الشرع غالب الظن مقام العلم وامر بالعمل به كما فى الشهادات ولنا فى العمل بخبر الواحد
لما ذكرنا ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا اولئك اشارة الى السمع والبصر
والفؤاد لان اولئك كما تكون اشارة الى العقلاء يكون اشارة الى غيرهم كقول جرير ذم
المنازل بعد منزلة اللوى والعيش بعد اولئك الايام وعنه فى موضع الرفع بالفاعلية اى كل
واحد منها كان مسئولا عنه فمسئول مسند الى الجار والمجرور كالمغضوب فى غير المغضوب عليهم

يقال للانسان لم سمعت ما لا يحل لك سماعه ولم نظرت الى ما لم يحل لك النظر اليه ولم عزمت
على ما لم يحل لك العزم عليه كذا في الكشاف وفيه نظر لبعضهم لان الجار والمجرور انما يقوم
مقام الفاعل اذا تأخر عن الفعل فاما اذا تقدما فلا ولا تمش في الارض مرحا هو حال
اي ذا مرح انك لن تخرق الارض لن تجعل فيها خرقا بدوسك لها وشدة وطأتك ولن
تبلغ الجبال طولا بتطاولك وهو تهكم بالمختال او لا تحاذيها قوة وهو حال من الفاعل
او المفعول كل ذلك كان سيئه كوفي وشامي على اضافة سيئ الى الضمير كل سيئة غيرهم عند ربك
مكروها ذكر مكروها لان السيئة في حكم الاسماء بمنزلة الذنب والاثم زال عنه حكم الصفات
فلا اعتبار بتانيثه الا ترى انك تقول الزنى سيئة كما تقول السرقة سيئة فان قلت الخصال المذكورة
بعضها سيئ وبعضها حسن ولذا قرأ من قرأ سيئه بالاضافة اي ما كان من المذكور سيئا فلم
كل ذلك احاطة ما نهي عنه خاصة لا بجميع الخصال المعدودة ذلك اشارة الى ما تقدم من قوله
ولا تجعل مع الله الها آخر هذه الاية مما اوحى اليك ربك من الحكمة مما يحكم العقل بصحته و
تصلح النفس باسوته ولا تجعل مع الله الها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا مطرودا من
الرحمة عن ابن عباس رضي الله عنهما هذه الثماني عشرة آية كانت في الواح موسى عليه السلام اولها لا
تجعل مع الله الها آخر وآخرها مدحورا ولقد جعلت فاتحتها وخاتمتها النهي عن الشرك
لان التوحيد رأس كل حكمة وملاكها ومن عدمه لم ينفعه حكمه وان بذ فيها الحكماء وحك
بيافوخه السماء وما اغنت من الفلاسفة اسفار الحكم وهم عن دين الله اضل من النعم
ثم خاطب الذين قالوا الملائكة بنات الله بقوله افاصفاكم ربكم بالبنين الهمزة للانكار
يعني افخصكم ربكم على وجه الخلوص والصفاء بافضل الاولاد وهم البنون واتخذ من
الملائكة اناثا واتخذ ادونهم وهي البنات وهذا خلاف الحكمة وما عليه معقولكم فالعبيد
لا يؤثرون باجود الاشياء واصفيها ويكون اردأها وادونها للسادات انكم لتقولون
قولا عظيما حيث اضفتم اليه الاولاد وهي من خواص الاجسام ثم فضلتم عليه انفسكم حيث
تجعلون له ما تكرهون ولقد صرفنا في هذا القرآن اي التنزيل والمراد ولقد صرفناه اي هذا
المعنى في مواضع من التنزيل فترك الضمير لانه معلوم ليذكروا وبالتخفيف حمزة وعلي

واصفاها

اي كررناه ليتعظوا وما يزيدهم الا نفورا عن الحق وكان الثوري اذا قرأها يقول زادني
خضوعا ما زاد اعداءك نفورا قل لو كان معه آلهة كما يقولون وبالياء مكي وحفص اذا
لابتغوا الى ذي العرش سبيلا لطلبوا الى من له الملك والربوبية سبيلا بالمغالبة كما يفعل الملوك
بعضهم مع بعض او لتقربوا اليه كقوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة
واذن دالة على ان ما بعدها وهو لابتغوا جواب عن مقالة المشركين وجزاء للو سبحانه
وتعالى عما يقولون وبالتاء حمزة وعلي علوا اي تعاليا والمراد البراءة من ذلك والنزاهة
كبيرا وصف العلو بالكبر مبالغة في معنى البراءة والبعد عما وصفوه تسبح وبالتاء عراقي
غير ابي بكر له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده اي يقولون
سبحان الله وبحمده عن السدي قال عليه الصلوة والسلام ما اصطيد حوت في البحر ولا
طير يطير الا بما يضيع من تسبيح الله تعالى ولكن لا تفقهون تسبيحهم لاختلاف اللغات
او لتعسر الادراك او بسبب لتسبيح الناظر اليه والدال على الخير كفاعله والوجه الاول
انه كان حليما عن جهل العباد غفورا لذنوب المؤمنين واذا قرأت القرآن جعلنا بينك
وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا ذا ستر او حجابا لا يرى فهو مستور و
جعلنا على قلوبهم اكنة جمع كنان وهو الذي يستر الشيء ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه
وفي اذانهم وقرا ثقلا يمنع عن الاستماع واذا ذكرت ربك في القرآن وحده يقال وحد
يحد وحدا وحدة نحو وعد يعد وعدا وعدة فهو مصدر ساد مسد الحال اصله يحد
وحده بمعنى واحدا وحده ولوا على ادبارهم نفورا رجعوا على اعقابهم نفورا مصدر بمعنى
التولية او جمع نافر كقاعد وقعود اي يحبون ان تذكر آلهتهم لانهم مشركون فاذا سمعوا
بالتوحيد نفروا نحن اعلم بما يستمعون به اي نحن اعلم بالحال والطريقة التي يستمعون
القرآن بها فالقرآن هو المستمع وهو محذوف وبه حال وبيان لما يستمعون اي يستمعون
القرآن هازئين لا جادين والواجب عليهم ان يستمعوه جادين اذ يستمعون اليك نصب
باعلم اي اعلم وقت استماعهم بما به يستمعون واذ هم نجوى وبما يتناجون به اذ هم ذوو نجوى
اذ يقول الظالمون بدل من اذ هم ان تتبعون الا رجلا مسحورا سحر فجن انظر كيف ضربوا لك

الامثال مثلوك بالشاعر والساحر والمجنون فضلوا فلا يستطيعون سبيلا اى فضلوا فى جميع
ذلك ضلال من يطلب فى التيه طريقا يسلكه فلا يقدر عليه فهو متحير فى امره لا يدرى ما يصنع
وقالوا اى منكروا البعث ائذا كنا عظاما ورفاتا ائنا لمبعوثون خلقا جديدا اى مجددا او خلقا
حال اى مخلوقين قل كونوا حجارة او حديدا او خلقا مما يكبر فى صدوركم اى السموات والارض
فانها تكبر عندكم عن قبول الحيوة فسيقولون من يعيدنا قل يعيدكم الذى فطركم اول مرة و
المعنى انكم تستبعدون ان يجدد الله خلقكم ويرده الى حال الحيوة بعدما كنتم عظاما يابسة
مع ان العظام بعض اجزاء الحى بل هى عمود خلقه الذى يبنى عليه سايره فليس ببدع ان يردها
الله بقدرته الى الحالة الاولى ولكن لو كنتم ابعد شى من الحيوة وهو ان تكونوا حجارة او
حديدا لكان قادرا على ان يردكم الى حال الحيوة فسينغضون اليك رؤسهم فيحركونها نحوك
تعجبا واستهزاء ويقولون متى هو اى البعث استبعادا له ونفيا قل عسى ان يكون قريبا
اى هو قريب وعسى للوجوب يوم يدعوكم الى المحاسبة وهو يوم القيمة فتستجيبون بحمده
اى تجيبون حامدين والباء للحال عن سعيد بن جبير فينفضون التراب عن رؤسهم
ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك وتظنون ان لبثتم الا قليلا فى الدنيا او فى القبر وقل
لعبادى وقل للمؤمنين يقولوا للمشركين الكلمة التى هى احسن والين ولا تخاشنوهم وهى
ان يقولوا يهديكم الله ان الشيطان ينزغ بينهم يلقى بينهم الفساد ويغرى بعضهم على بعض
ليقع بينهم المشاقة والنزغ ايقاع الشر وافساد ذات البين وقرء طلحة ينزغ بالكسر و
هما لغتان ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا ظاهر العداوة او فسر التى هى احسن بقوله
ربكم اعلم بكم ان يشاء يرحمكم بالهداية والتوفيق او ان يشاء يعذبكم بالخذلان اى يقولوا
لهم هذه الكلمة ونحوها ولا يقولوا لهم انكم من اهل النار وانكم معذبون وما اشبه ذلك مما
يغيظهم ويسجهم على الشر وقوله ان الشيطان ينزغ بينهم اعتراض وما ارسلناك عليهم وكيلا
حافظا لاعمالهم وموكولا اليك امرهم وانما ارسلناك بشيرا ونذيرا فدارهم ومر اصحابك
بالمداراة وربك اعلم بمن فى السموات والارض وباحوالهم وبما يستاهل كل واحد منهم و
لقد فضلنا بعض النبيين على بعض فيه اشارة الى تفضيل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله

يهيجهم

وآتينا

وآتينا داود زبورا دلالة على وجه تفضيله وانه خاتم الانبياء وان امته خير الامم لان ذلك
مكتوب فى زبور داود قال الله تعالى ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادى
الصالحون وهم محمد وامته ولم يعرف الزبور هنا وعرفه فى قوله ولقد كتبنا فى الزبور لانه
كالعباس وعباس والفضل وفضل قل ادعوا الذين زعمتم انها الهتكم من دون الله وهم الملائكة
او عيسى وعزير او نفر من مردة الجن عبدهم ناس من العرب ثم اسلم الجن ولم يشعروا فلا
يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا اى ادعوهم فلا يستطيعون ان يكشفوا عنكم الضر من
مرض او فقر او عذاب ولا ان يحولوه من واحد الى آخر اولئك مبتدأ الذين يدعون
صفته اى يدعونهم الهة او يعبدونهم والخبر يبتغون الى ربهم الوسيلة يعنى ان الهتهم اولئك
يبتغون الوسيلة وهى القربة الى الله عز وجل ايهم بدل من واو يبتغون الوسيلة وهى القربة
الى الله عز وجل واى موصولة اى يبتغى من هو اقرب منهم الوسيلة الى الله فكيف بغير
الاقرب او ضمن يبتغون الوسيلة معنى يحرصون فكانه قيل يحرصون ايهم يكون اقرب
الى الله وذلك بالطاعة وازدياد الخير ويرجون رحمته ويخافون عذابه كغيرهم من عباد الله
فكيف تزعمون انهم آلهة ان عذاب ربك كان محذورا حقيقا بان يحذره كل واحد من ملك
مقرب ونبى مرسل فضلا عن غيرهم وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيمة او معذبوها
عذابا شديدا قيل الهلاك للصالحة والعذاب للطالحة كان ذلك فى الكتاب فى اللوح
المحفوظ مسطورا مكتوبا وعن مقاتل وجدت فى كتب الضحاك فى تفسيرها اما مكة فتخربها
الحبشة وتهلك المدينة بالجوع والبصرة بالغرق والكوفة بالترك والجبال بالصواعق والرواجف
واما خراسان فعذابها ضروب اما بلخ فيصيبهم هدة فيهلك اهلها واما بدخشان فيخربها
اقوام واما ترمذ فاهلها يموتون بالطاعون واما صغانيان اى واسجرد فيقتلون بقتل
ذريع واما سمرقند فيغلب عليها بنو قنطوراء فيقتلون اهلها قتلا ذريعا وكذا فرغانة
والشاش واسبيجاب وخوارزم واما بخارى فهى ارض الجبابرة فيموتون قحطا وجوعا
واما مرو فيغلب عليها الرمل ويهلك بها العلماء والعباد واما هراة فيمطرون بالحيات
فيأكلهم اكلا واما نيسابور فيصيب اهلها رعد وبرق وظلمة فيهلك اكثرهم واما الرى فيغلب

من دونه

الخبر ايهم يكون اقرب الى الله وذلك بالطاعة وازدياد

عليها الطبرية والديلم فيقتلونهم واما ارمينية واذربيجان فيهلكها سنابك الخيول والجيوش
والصواعق والرواجف واما همدان فالديلم يدخلها ويخربها واما حلوان فيمر بها ريح ساكنة وهم
نيام فيصبح اهلها قردة وخنازير ثم يخرج رجل من جهينة فيدخل مصر فويل لاهل مصر وويل
لاهل دمشق وويل لاهل افريقية وويل لاهل الرملة ولا يدخل بيت المقدس واما سجستان
فيصيبهم ريح عاصف اياما ثم هدة تاتيهم ويموت فيها العلماء واما كرمان واصفهان وفارس
فياتيهم عدو وصاحوا صيحة تخلع القلوب ويموت الابدان وما منعنا ان نرسل بالايات الا
ان كذب بها الاولون استعير المنع لترك الارسال الايات وان الاولى مع صلتها في موضع النصب
لانه مفعول ثان لمنعنا والثانية في موضع الرفع لانه فاعل منعنا والتقدير وما منعنا ارسال
الايات الا تكذيب الاولين والمراد بالايات التي اقترحتها قريش من قلب الصفا ذهبا ومن
احياء الموتى وغير ذلك وسنة الله في الامم ان من اقترح عنهم اية فاجيب اليها ثم لم يومن
ان يعاجل بعذاب الاستيصال والمعنى وما منعنا عن ارسال ما يقترحونه من الايات الا ان كذب
بها الاولون من امثالهم من المطبوع على قلوبهم كعاد وثمود وانها لو ارسلت لكذبوا بها
تكذيب اوليك وعذبوا العذاب المستاصل وقد حكمنا ان نوخر امر من بعثت اليهم الى يوم
القيمة ثم ذكر من تلك الايات التي اقترحها الاولون ثم كذبوا بها لما ارسلت فاهلكوا
واحدة وهي ناقة صالح لان اثار هلاكهم قريبة من حدودهم يبصرها صادرهم وواردهم
فقال واتينا ثمود الناقة باقتراحهم مبصرة اية بينة فظلموا بها فكفروا بها وما نرسل بالايات
ان اراد بها الايات المقترحة فالمعنى لا نرسلها الا تخويفا من نزول العذاب العاجل
كالطليعة والمقدمة فان لم يخافوا وقع عليهم وان اراد غيرها فالمعنى وما نرسل من الايات
كايات القران وغيرها الا تخويفا وانذارا بعذاب الاخرة وهو مفعول له واذ قلنا لك
ان ربك احاط بالناس وما جعلنا الرويا التي اريناك الا فتنة للناس واذكر اذ اوحينا
اليك ان ربك احاط بقريش علما وقدرة فكلهم في قبضته فلا تبال بهم وامض لامرك وبلغ
ما ارسلت به او بشرناك بوقعة بدر والنصرة عليهم وذلك قوله سيهزم الجمع ويولون الدبر
قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون فجعله كان قد كان ووجد فقال احاط بالناس على سنته

في اخباره ولعل الله تعالى اراه مصارعهم في منامه فقد كان يقول حين ورد ماء بدر والله
لكاني انظر الى مصارع القوم وهو يومي الى الارض ويقول هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان
فتسامعت قريش بما اوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من امر بدر وما اري في منامه في
مصارعهم فكانوا يضحكون ويسخرون ويستعجلون به استهزاء والشجرة الملعونة في القران
اي وما جعلنا الشجرة الملعونة في القران الا فتنة للناس فانهم حين سمعوا بقوله ان شجرة الزقوم
طعام الاثيم جعلوها سخرية وقالوا ان محمدا يزعم ان الجحيم يحرق الحجارة ثم يقول تنبت فيها
الشجرة وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ذلك فانه لا يمتنع ان يجعل الله الشجرة من جنس
ما لا تاكله النار فوبر السمندل وهو دويبة ببلاد الترك يتخذ منه مناديل اذا اتسخت طرحت
في النار فذهب الوسخ وبقي المنديل سالما لا تعمل فيه النار وترى النعامة تبتلع الجمر فلا
تضرها وخلق في كل شجرة نارا فلا يحرقها فجاز ان يخلق في النار شجرة لا تحرقها والمعنى ان
الايات انما نرسل تخويفا للعباد وهولاء قد خوفوا بعذاب الدنيا وهو القتل يوم بدر وخوفوا
بعذاب الاخرة وبشجرة الزقوم فما اثر فيهم ثم قال ونخوفهم اي بمخاوف الدنيا والاخرة
فما يزيدهم التخويف الا طغيانا كبيرا فكيف يخاف قوم هذه حالتهم بارسال ما يقترحون
من الايات وقيل الرويا هي الاسراء والفتنة ارتداد من استعظم ذلك وبه تعلق من يقول
كان الاسراء في المنام ومن قال كان في اليقظة فسر الرويا بالروية او انما سماها رويا على قول
المكذبين حين قالوا له لعلها رويا رايتها استبعادا منهم كما سمى اشياء باساميها عند الكفرة
كقوله فراغ الى الهتهم اين شركائي او هي روياه انه سيدخل مكة والفتنة الصد بالحديبية فان قلت
ليس في القران ذكر لعن شجرة الزقوم قلت معناه والشجرة الملعونة اكلوها وهم الكفرة لانه
قال فانهم لاكلون منها فمالئون منها البطون فوصفت بلعن اهلها على المجاز ولان العرب تقول
لكل طعام مكروه ضار ملعون ولان اللعن هو الابعاد من الرحمة وهي في اصل الجحيم في ابعد مكان
من الرحمة واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس قال ءاسجد لمن خلقت طينا هو تمييز
او حال من الموصول والعامل فيه اسجد على اسجد له وهو طين اي اصله طين قال ارايتك هذا الذي كرمت علي
قال ارايتك الكاف لا موضع لها لانها ذكرت للخطاب تاكيدا هذا مفعول به والمعنى اخبرني عن هذا

الذی کرمت علی ای فضلته لم کرمته علی وانا خیر منه خلقتنی من نار وخلقته من طین فحذف
ذلک اقتصارا لدلالة ما تقدم علیه ثم ابتداء فقال لئن اخرتنی وبلا یاء کوفی وشامی واللام
موطیة للقسم المحذوف الی یوم القیمة لاحتنکن ذریته لاستاصلنهم باغوائهم الا قلیلا هم
المخلصون قیل من کل الف واحد وانما علم الملعون ذلک بالاعلام او لانه رای انه خلق شهوانی
قال اذهب لیس من الذهاب الذی هو ضد المجیئ وانما معناه امض لشانک الذی اخترته خذلانا
وتخلیته ثم عقبه بذکر ما جره سوء اختیاره فقال فمن تبعک منهم فان جهنم جزاؤکم والتقدیر
فان جهنم جزاؤهم وجزاؤک ثم غلب المخاطب علی الغایب فقیل جزاؤکم جزاء موفورا موفرا
بإضمار تجازون واستفزز استزل واستخف استفزه ای استخفه والفز الخفیف من استطعت
منهم بصوتک بالوسوسة او بالغناء او بالمزمار واجلب علیهم اجمع وصح بهم من الجلبة وهی
الصیاح بخیلک ورجلک بکل راکب وماش من اهل العبث فالخیل الخیالة والرجل اسم جمع
للراجل ونظیره الرکب والصحب ورجلک حفص علی ان فعلا بمعنی فاعل کتعب وتاعب
ومعناه وجمعک الرجل وهذا لان اقصی ما یستطاع فی طلب الامور الخیل والرجل وقیل یجوز
ان یکون لابلیس خیل ورجال وشارکهم فی الاموال والاولاد وقال الزجاج کل معصیة فی مال
وولد فابلیس شریکهم فیها کالربوا والمکاسب المحرمة والبحیرة والسایبة والانفاق فی الفسوق
والاسراف ومنع الزکوة والتوصل الی الاولاد بالسبب الحرام والتسمیة بعبد العزی وعبد شمس
وعدهم المواعید الکاذبة من شفاعة الالهة والکرامة علی الله بالانساب الشریفة وایثار العاجل
علی الاجل ونحو ذلک وما یعدهم الشیطان الا غرورا هو تزیین الخطاء بما یوهم انه صواب ان عبادی
الصالحین لیس لک علیهم سلطان بتبدیل الایمان ولکن بتسویل العصیان وکفی بربک وکیلا لهم
یتوکلون به فی الاستعاذة منک او حافظا لهم عنک فالکلام تهدید فیعاقب به او اهانة
ای لا یحل ذلک بملکی ربکم الذی یزجی یجری ویسیر لکم الفلک فی البحر لتبتغوا من فضله یعنی الربح
فی التجارة انه کان بکم رحیما واذا مسکم الضر فی البحر ای خوف الغرق ضل من تدعون الا ایاه ذهب
عن اوهامکم کل من تدعونه فی حوادثکم الا ایاه وحده فانکم لا تذکرون سواه او ضل من تدعون من
الالهة عن اغاثتکم ولکن الله وحده هو الذی ترجونه علی الاستثناء المنقطع فلما نجیکم الی البر اعرضتم

ممک

عن الخلاص

عن الخلاص بعد الخلاص وکان الانسان ای الکفار کفورا للنعم افا منتم الهمزة للانکار والفاء
للعطف علی محذوف تقدیره انجوکم فامنتم فحملکم ذلک علی الاعراض ان یخسف بکم جانب البر
انتصب جانب بیخسف مفعولا به کالارض فی قوله فخسفنا به وبداره الارض وبکم حال والمعنی
ان یخسف جانب البر ای یقلبه وانتم علیه والحاصل ان الجوانب کلها فی قدرته سواء وله فی کل
جانب برا کان او بحرا سبب من اسباب الهلاک لیس جانب البحر وحده مختصا به بل ان کان
الغرق فی جانب البحر ففی جانب البر الخسف وهو تغییب تحت التراب والغرق تغییب تحت
الماء فعلی العاقل ان یستوی خوفه من الله فی جمیع الجوانب وحیث کان او یرسل علیکم حاصبا
هو الریح التی تحصب ای ترمی بالحصباء یعنی او ان لم یصبکم بالهلاک من تحتکم بالخسف اصابکم
به من فوقکم بریح یرسلها علیکم فیها الحصباء ثم لا تجدوا لکم وکیلا یصرف ذلک منکم ام امنتم
ان یعیدکم فیه تارة اخری فیرسل علیکم ای ام امنتم ان یقوی دواعیکم ویوفر حوائجکم الی
ان ترجعوا فترکبوا البحر الذی نجاکم منه فاعرضتم فینتقم منکم بان یرسل علیکم قاصفا من الریح
وهو الریح التی لها قصیف وهو الصوت الشدید وهو الکاسر الفلک فیغرقکم بما کفرتم بکفرانکم
النعمة وهو اعراضکم حین نجاکم ثم لا تجدوا لکم علینا به تبیعا مطالبا من قوله فاتباع بالمعروف
ای مطالبة والمعنی انا نفعل ما نفعل بهم ثم لا تجد احدا یطالبنا بما فعلنا انتصارا منا ودرکا
للثار من جهتنا ان نخسف او نرسل ان نعیدکم فنرسل فنغرقکم بالنون مکی وابو عمرو
لقد کرمنا بنی ادم بالعقل والنطق والخط والصورة الحسنة والقامة المعتدلة وتدبیر امر المعاش
والمعاد والاستیلاء وتناول الطعام بالایدی وعن الرشید انه احضر طعاما فدعا بالملاعق و
عنده ابو یوسف رح فقال له جاء فی تفسیر جدک ابن عباس رضی الله عنهما قوله تعالی ولقد
کرمنا بنی ادم جعلنا لهم اصابع یاکلون بها فاحضرت الملاعق فردها واکل باصابعه وحملناهم
فی البر علی الدواب والبحر علی السفن ورزقناهم من الطیبات باللذیذات او بما کسبت ایدیهم
وفضلناهم علی کثیر ممن خلقنا تفضیلا ای علی الکل کقوله واکثرهم کاذبون قال الحسن ای کلهم
وقوله وما یتبع اکثرهم الا ظنا ذکر فی الکشاف ان المراد بالاکثر الجمیع وعنه علیه الصلوة والسلام
المؤمن اکرم علی الله من الملایکة وهذا لانهم مجبولون علی الطاعة ففیهم عقل بلا شهوة وفی

البهايم شهوة بلا عقل وفي الادمي كلاهما فمن غلب عقله شهوته فهو اكرم من الملايكة ومن غلب
شهوته عقله فهو شر من البهايم ولانه خلق الكل لهم وخلقهم لنفسه يوم ندعو منصوب
باذكر كل اناس بامامهم الباء للحال والتقدير مختلطين بامامهم اى بمن ايتموا به من نبي او مقدم
في الدين او كتاب او دين فيقال يا اتباع فلان يا اهل دين كذا او كتاب كذا وقيل بكتاب اعمالهم
فيقال يا اصحاب كتاب الخير ويا اصحاب كتاب الشر فمن اوتي من هولاء المدعوين كتابه
بيمينه فاوليك يقرءون كتابهم وانما قيل اوليك لان من في معنى الجمع ولا يظلمون فتيلا
ولا ينقصون من ثوابهم ادنى شيء ولم يذكر الكفار روايتاء كتبهم شمالهم اكتفاء بقوله ومن
كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى كذلك واضل سبيلا من الاعمى اى اضل طريقا والاعمى مستعار
ممن لا يدرك المبصرات لفساد حاسته لمن لا يهتدى الى طريق النجاة اما في الدنيا فلفقد النظر
واما في الاخرة فلانه لا ينفعه الاهتداء اليه وقد جوزوا ان يكون الثاني بمعنى التفضيل بدليل
عطف واضل ومن ثم قرأ ابو عمرو الاول ممالا والثاني مفخما لان افعل التفضيل تمامه بمن فكانت
الفه في حكم الواقعة في وسط الكلمة فلا تقبل الامالة واما الاول فلم يتعلق به شيء فكانت الفه
واقعة في حكم الطرف فقبلت الالف الامالة واما لهما حمزة وعلي وفخمهما الباقون ولما قالت
قريش اجعل اية رحمة اية عذاب واية عذاب اية رحمة حتى نؤمن بك وان كادوا ليفتنونك
ان مخففة من الثقيلة واللام فارقة بينها وبين النافية والمعنى ان الشان قاربوا ان يفتنوك
اى يخدعوك فاتنين عن الذي اوحينا اليك من اوامرنا ونواهينا ووعدنا ووعيدنا
لتفتري علينا غيره لتتقول علينا ما لم نقل يعني ما اقترحوه من تبديل الوعد وعيدا والوعيد وعدا
واذا لاتخذوك خليلا اى لو اتبعت مرادهم لاتخذوك خليلا ولكنت لهم وليا ولخرجت
من ولايتي ولولا ان ثبتناك لولا تثبيتنا لك وعصمتنا لقد كدت تركن اليهم لقاربت ان تميل
الى مكرهم شيا قليلا ركونا قليلا وهذا تهييج من الله له وفضل تثبيت اذا لو قاربت تركن
اليهم ادنى ركنة لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات لاذقناك عذاب الاخرة
وعذاب القبر مضاعفين لعظم ذنبك بشرف منزلتك ونبوتك كما قال يا نساء النبي من يات
منكن بفاحشة مبينة الاية واصل الكلام لاذقناك عذاب الحيوة وعذاب الممات لان العذاب

عذابان عذاب في الممات وهو عذاب القبر وعذاب في الحيوة وهو عذاب النار والعذاب
يوصف بالضعف كقوله فاتهم عذابا ضعفا من النار اى مضاعفا فكان اصل الكلام لاذقناك
عذابا ضعفا في الحيوة وعذابا ضعفا في الممات ثم حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه وهو
الضعف ثم اضيف الصفة اضافة الموصوف فقيل ضعف الحيوة وضعف الممات ويجوز ان
يراد بضعف الحيوة عذاب الحيوة وبضعف الممات ما يعقب الموت من عذاب القبر وعذاب
النار وفي ذكر الكيدودة وتقليلها مع اتباعها الوعيد الشديد بالعذاب المضاعف في الدارين
دليل على ان القبيح يعظم قبحه بمقدار عظم شان فاعله ولما نزلت كان عليه الصلوة والسلام
يقول اللهم لا تكلني الى نفسي طرفة عين ثم لا تجد لك علينا نصيرا معينا لك يمنع عذابنا عنك
وان كادوا اى اهل مكة ليستفزونك ليزعجونك بعداوتهم ومكرهم من الارض من ارض
مكة ليخرجوك منها واذا لا يلبثون لا يبقون خلافك بعدك اى بعد اخراجك خلافك
كوفي غير ابي بكر وشامي بمعناه الا قليلا زمانا قليلا فان الله مهلكهم وكان كما قال فقد
اهلكوا ببدر بعد اخراجه بقليل ومعناه ولو اخرجوك لاستوصلوا عن بكرة ابيهم ولم يخرجوه
بل هاجر بامر ربه وقيل من ارض العرب او من ارض المدينة سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا
يعني ان كل قوم اخرجوا رسولهم من بين ظهرانيهم فسنة الله ان يهلكهم ونصب نصب
المصدر المؤكد اى سن الله ذلك سنة ولا تجد لسنتنا تحويلا تبديلا اقم الصلوة لدلوك الشمس
لزوالها وعلى هذا الاية جامعة للصلوات الخمس او لغروبها وعلى هذا يخرج الظهر والعصر
الى غسق الليل هو الظلمة وهو وقت صلوة العشاء وقران الفجر صلوة الفجر سميت قرانا وهو
القراءة لكونها ركنا كما سميت ركوعا وسجودا وهو حجة على الاصم حيث زعم ان القراءة
ليست بركن او سميت قرانا لطول قراءتها وهو عطف على الصلوة ان قران الفجر كان مشهودا تشهده
ملايكة الليل والنهار ينزل هولاء ويصعد هولاء فهو اخر ديوان الليل واول ديوان
النهار او يشهده الكثير المصلين في العادة ومن الليل وعليك بعض الليل فتهجد والتهجد ترك
الهجود للصلوة ويقال في النوم ايضا تهجد به بالقران نافلة لك عبادة زايدة لك على الصلوات
الخمس وضع نافلة لك موضع تهجدا لان التهجد عبادة زايدة فكان التهجد والنافلة يجمعهما

معنى واحد والمعنى ان التهجد زيادة لك على الصلوات المفروضة غنيمة لك او فريضة عليك خاصة
دون غيرك لانه تطوع لهم عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا نصب على الظرف اى عسى ان
يبعثك يوم القيمة فيقيمك مقاما محمودا او ضمن يبعثك معنى يقيمك وهو مقام الشفاعة
عند الجمهور ويدل عليه الاخبار وعن ابى حنيفة قال حدثنى ابو سعيد الخدرى ان ذلك المقام
مقام الشفاعة او هو مقام يعطى فيه لواء الحمد وقل رب ادخلنى مدخل صدق هو مصدر اى
ادخلنى القبر ادخالا مرضيا على طهارة من الزلات واخرجنى مخرج صدق اى اخرجنى منه عند البعث
اخراجا مرضيا ملقى بالكرامة امنا من الملامة دليله ذكره على اثر ذكر البعث وقيل نزلت حين
امرنا بالهجرة يريد ادخال المدينة والاخراج من مكة او هو عام فى كل ما يدخل فيه ويلابسه من امر
او مكان واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا حجة تنصرنى على من خالفنى او ملكا او عزا قويا ناصرا
للاسلام على الكفر مظهرا له عليه وقل جاء الحق الاسلام وزهق ذهب وهلك الباطل الشرك
او جاء القران وهلك الشيطان ان الباطل كان زهوقا كان مضمحلا فى كل اوان وننزل وبالتخفيف
ابو عمرو من القران من للتبيين ما هو شفاء من امراض القلوب ورحمة وتفريج للكروب
وتطهير للعيوب وتكفير للذنوب للمومنين وفى الحديث من لم يستشف بالقران فلا شفاه الله
ولا يزيد الظالمين الكافرين الا خسارا لتكذيبهم به وكفرهم واذا انعمنا على الانسان بالصحة
والسعة اعرض عن ذكر الله او انعمنا بالقران اعرض ونا بجانبه تاكيدا للاعراض لان الاعراض
عن الشئ ان يوليه عرض وجهه والنأى بالجانب ان يلوى عنه عطفه ويوليه ظهره او
اراد الاستكبار لان ذلك من عادة المستكبرين وناء بامالة حمزة وبكسرها على واذا مسه
الشر الفقر والمرض او نازلة من النوازل كان يؤسا شديد الياس من روح الله قل كل اى
كل واحد يعمل على شاكلته على مذهبه او طريقته التى تشاكل حاله فى الهدى والضلالة فربكم اعلم
بمن هو اهدى سبيلا ارشد مذهبا وطريقة ويسالونك عن الروح قل الروح من امر ربى
الجمهور على انه الروح الذى فى الحيوان سالوه عن حقيقته فاخبر انه من امر الله اى مما استاثر
بعلمه وعن ابى بريدة لقد مضى النبى عليه الصلوة والسلام وما يعلم الروح وقد عجزت الاوائل
عن ادراك ماهيته بعد انفاق الاعمار الطويلة على الخوض فيه والحكمة فى ذلك تعجيز العقل عن

ادراك معرفة مخلوق مجاور له ليدل على انه عن ادراك خالقه اعجز ولذا رد ما قيل فى حده
انه جسم رقيق هوائى فى كل جزء من الحيوان وقيل هو خلق عظيم روحانى اعظم من
الملك وعن ابن عباس رضى هو جبرئيل عليه السلام دليله نزل به الروح الامين على قلبك
وعن الحسن القران دليله وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ولانه به حيوة القلب
ومن امر ربى اى من وحيه وكلامه ليس من كلام البشر وروى ان اليهود بعثت الى قريش
ان سلوه عن اصحاب الكهف وعن ذى القرنين وعن الروح فان اجاب عن الكل او سكت
عن الكل فليس بنبى وان اجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبى فبين لهم القصتين وابهم
امر الروح وهو مبهم فى التورية فندموا على سوالهم وقيل كان السوال عن خلق الروح يعنى
اهو مخلوق ام لا وقوله من امر ربى دليل خلق الروح فكان هذا جوابا وما اوتيتم من العلم
الا قليلا الخطاب عام فقد روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قال لهم ذلك قالوا نحن
مختصون بهذا الخطاب ام انت معنا فيه فقال بل نحن وانتم لم توتوا من العلم الا قليلا وقيل
هو خطاب لليهود خاصة لانهم قالوا للنبى عليه الصلوة والسلام فقد اوتينا التورية و
فيها الحكمة وقد تلوت ومن يوت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا فقيل لهم ان علم التورية
قليل فى جنب علم الله فالقلة والكثرة من الامور الاضافية فالحكمة التى اوتيها العبد
خير كثير فى نفسها الا انها اذا اضيفت الى علم الله فهى قليلة ثم نبه على نعمة الوحى وعزاه
بالصبر على اذى الجدال فى السوال بقوله ولئن شئنا لنذهبن بالذى اوحينا اليك لنذهبن
جواب قسم محذوف مع نيابته عن جزاء الشرط واللام الداخلة على ان موطئة للقسم
والمعنى ان شئنا ذهبنا بالقران ومحوناه عن الصدور والمصاحف فلم نترك له
اثرا ثم لا تجد لك به علينا وكيلا اى ثم لا تجد لك بعد الذهاب به من يتوكل علينا باسترداده
واعادته محفوظا مستورا الا رحمة من ربك اى فضله كان عليك كبيرا اى الا ان يرحمك
ربك فيرده عليك كان رحمته يتوكل عليه بالرد او يكون على الاستثناء المنقطع اى ولكن
رحمة من ربك تركته غير مذهوب به وهذا امتنان من الله تعالى ببقاء القران محفوظا
بعد المنة العظيمة فى تنزيله وتحفيظه ونزل جوابا لقول النضر لو نشاء لقلنا مثل هذا قل

لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم
لبعض ظهيرا معينا ولا ياتون جواب قسم محذوف ولولا اللام الموطية لجاز ان يكون
جوابا للشرط كقوله يقول لا غايب مالى ولا حرم لان الشرط وقع ماضيا اى لو تظاهروا
على ان ياتوا بمثل هذا القران فى بلاغته وحسن نظمه وتاليفه لعجزوا عن الاتيان بمثله
ولقد صرفنا رددنا وكررنا للناس فى هذا القران من كل مثل من كل معنى كالمثل فى
غرابته وحسنه فابى اكثر الناس الا كفورا جحودا وانما جاز فابى اكثر الناس الا كفورا
ولم يجز ضربت الا زيدا لان ابى متاول بالنفى كانه قيل فلم يرضوا الا كفورا ولما تبين
اعجاز القران وانضمت اليه المعجزات الاخر ولزمتهم الحجة وغلبوا اقترحوا الايات
فعل المبهوت المحجوج المتحير وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا وبالتخفيف كوفى من الارض
اى مكة ينبوعا عينا غزيرة من شانها ان تنبع بالماء لا تقطع يفعول من نبع الماء او تكون
لك جنة من نخيل وعنب فتفجر والتشديد ههنا مجمع عليه لقوله الانهار خلالها وسطها
تفجيرا او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا بفتح السين مدنى وعاصم اى قطعا يقال
اعطنى كسفة من هذا الثوب وبسكون السين غيرهما جمع كسفة كسدرة وسدر يعنون
قوله ان نشا نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء او تاتى بالله والملايكة
قبيلا كفيلا بما تقول شاهدا بصحته والمعنى او تاتى بالله قبيلا وبالملايكة قبيلا كقوله
كنت منه ووالدى بريا او مقابلا كالعشير بمعنى المعاشر ونحوه لولا انزل علينا الملايكة
او نرى ربنا او جماعة حالا من الملايكة او يكون لك بيت من زخرف من ذهب او ترقى
فى السماء تصعد اليها ولن نؤمن لرقيك لاجل رقيك حتى تنزل علينا وبالتخفيف ابو عمرو
كتابا اى من السماء فيه تصديقك نقروه صفة كتابا قل قال مكى وشامى اى قال الرسول
سبحان ربى تعجب من اقتراحاتهم عليه هل كنت الا بشرا رسولا اى انا رسول كساير الرسل
بشر مثلهم وكان الرسل لا ياتون قومهم الا بما يظهره الله عليهم من الايات فليس امر الايات
الى انما هو الى الله فما بالكم تقترحونها على وما منع الناس يعنى اهل مكة ومحل ان يومنوا
نصب بانه مفعول ثان لمنع اذ جاءهم الهدى اى النبى والقران الا ان قالوا فاعل منع والتقدير

وما منعهم الايمان بالقران وبنبوة محمد صلى الله عليه وسلم الا قولهم ابعث الله بشرا رسولا
اى الا شبهة تمكنت فى صدورهم وهى انكارهم ان يرسل الله البشر والهمزة فى ابعث للانكار
وما انكروه فهى قضية حكمته خلافه منكر ثم رد الله تعالى عليهم بقوله قل لو كان فى الارض
ملايكة يمشون على اقدامهم كما يمشى الانس ولا يطيرون باجنحتهم الى السماء فيسمعوا
من اهلها ويعلموا ما يجب علمه مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا يعلمهم
الخير ويهديهم المراشد فاما الانس فانما يرسل الملك الى مختار منهم للنبوة فيقوم ذلك
المختار بدعوتهم وارشادهم وبشرا وملكا حالان من رسولا قل كفى بالله شهيدا
بينى وبينكم على انى بلغت ما ارسلت به اليكم وانكم كذبتم وعاندتم شهيدا تمييز او حال
انه كان بعباده المنذرين والمنذرين خبيرا عالما باحوالهم بصيرا بافعالهم فهو مجازيهم
وهذه تسلية لرسول الله ووعيد للكفرة ومن يهد الله فهو المهتد وبالياء يعقوب
وسهل ووافقهما ابو عمرو ومدنى فى الوصل اى من وفقه الله لقبول ما كان من الهدى
فهو المهتدى عند الله ومن يضلل اى ومن يخذله ولم يعصمه حتى قبل وساوس
الشيطان فلن تجد لهم اولياء من دونه اى انصارا ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم
اى يسحبون عليها كقوله يوم يسحبون فى النار على وجوههم وقيل لرسول الله كيف يمشون
على وجوههم قال ان الذى امشاهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم
عميا وبكما وصما كما كانوا فى الدنيا لا يستبصرون ولا ينطقون بالحق ويتصامون من استماعه
فى الاخرة كذلك لا يبصرون ما يقر اعينهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم ولا ينطقون
بما يقبل منهم ماويهم جهنم كلما خبت طفى لهبها زدناهم سعيرا توقدا ذلك جزاوهم
بانهم كفروا باياتنا وقالوا اءذا كنا عظاما ورفاتا اءنا لمبعوثون خلقا جديدا اى
ذلك العذاب بسبب انهم كذبوا بالاعادة بعد الافناء فجعل الله جزاءهم ان سلط
النار على اجزايهم تاكلها ثم يعيدها لا يزالون على ذلك ليزيد فى تحسرهم على تكذيبهم
البعث اولم يروا اولم يعلموا ان الله الذى خلق السموات والارض قادر على ان يخلق
مثلهم من الانس وجعل لهم اجلا لا ريب فيه وهو الموت او هو القيمة فابى الظالمون

يسحبون

الا كفورا جحودا مع وضوح الدليل قل لو انتم تملكون تقديره لو تملكون انتم تملكون لان
لو تدخل على الافعال دون الاسماء فلا بد من فعل بعدها فاضمر تملك على شريطة التفسير
وابدل من الضمير المتصل وهو الواو ضمير منفصل وهو انتم لسقوط ما يتصل به من اللفظ
فانتم فاعل الفعل المضمر وتملكون تفسيره وهذا هو الوجه الذي يقتضيه علم الاعراب
فاما ما يقتضيه علم البيان فهو ان انتم تملكون فيه دلالة على الاختصاص وان الناس
هم المختصون بالشح المتبالغ خزاين رحمة ربي رحمته ورزقه وسائر نعمه على خلقه
اذا لامسكتم خشية الانفاق اي لبخلتم خشية ان يفنيه الانفاق وكان الانسان قتورا
بخيلا ولقد اتينا موسى تسع ايات بينات عن ابن عباس رض هي العصا واليد والجراد
والقمل والضفادع والدم والحجر والبحر والطور الذي نتقه على بني اسرائيل
وعن الحسن الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكان الحجر والبحر والطور فسال بني اسرائيل
فقلنا له سلهم اي سلهم من فرعون وقل له ارسل معي بني اسرائيل وقوله اذ جاءهم متعلق
بالقول المحذوف اي فقلنا له سلهم حين جاءهم فقال له فرعون اني لاظنك يا موسى
مسحورا سحرت فخولط عقلك قال اي موسى لقد علمت يا فرعون ما انزل هؤلاء الايات
الا رب السموات والارض خالقها بصائر حال اي بينات مكشوفات ولكنك معاند
ونحوه وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا علمت على اي انى لست بمسحور كما
وصفتني بل انا عالم بصحة الامر وان هذه الايات منزلها رب السموات والارض
ثم قارع ظنه بظنه بقوله واني لاظنك يا فرعون مثبورا كانه قال ان ظننتني مسحورا فانا
اظنك مثبورا وظني اصح من ظنك لان له امارة كالماهي وهي انكارك ما عرفت صحته
ومكابرتك لايات الله بعد وضوحها واما ظنك فكذب بحت لان قولك مع علمك
بصحة امري اني لاظنك مسحورا قول كذاب وقال الفراء مثبورا مصروفا عن الخير من
قولهم ما ثبرك عن هذا اي ما منعك وصرفك فاراد فرعون ان يستفزهم يخرجهم اي
موسى وقومه من الارض ارض مصر او ينفيهم عن ظهر الارض بالقتل والاستيصال
فاغرقناه ومن معه جميعا فحاق به مكروه بان استفزه الله باغراقه مع قبطه وقلنا

ظاهرة

من بعده من بعد فرعون لبني اسرائيل اسكنوا الارض التي اراد فرعون ان يستفزكم منها
فاذا جاء وعد الاخرة اي القيمة جئنا بكم لفيفا جميعا مختلطين اياكم واياهم ثم نحكم بينكم و
نميز بين سعدائكم واشقيائكم واللفيف الجماعات من قبايل شتى وبالحق انزلناه وبالحق نزل
وما انزلنا القران الا بالحكمة وما نزل الا ملتبسا بالحق والحكمة لاشتماله على الهداية الى كل خير
او وما انزلناه من السماء الا بالحق محفوظا بالرصد من الملايكة وما نزل على الرسول الا محفوظا
بهم من تخليط الشياطين قال الراوي اشتكى محمد بن السماك فاخذنا ماءه وذهبنا به الى
طبيب نصراني فاستقبلنا رجل حسن الوجه طيب الرايحة نقي الثوب فقال لنا الى اين
فقلنا الى فلان الطبيب نريد ماء ابن السماك فقال سبحان الله تستعينون على ولي الله
بعدو الله اضربوه على وجه الارض وارجعوا الى ابن السماك وقولوا له ضع يدك على موضع
الوجع وقل وبالحق انزلناه وبالحق نزل ثم غاب عنا فلم نره فرجعنا الى ابن السماك فاخبرناه
بذلك فوضع يده موضع الوجع وقال ما قال الرجل وعوفي في الوقت وقال كان ذلك الخضر
عليه السلام وما ارسلناك الا مبشرا بالجنة ونذيرا من النار وقرانا منصوب بفعل يفسره
فرقناه اي فصلناه او فرقنا فيه الحق من الباطل لتقراه على الناس على مكث على تؤدة وتثبت
ونزلناه تنزيلا على حسب الحوادث قل امنوا به او لا تؤمنوا اي اختاروا لانفسكم النعيم
المقيم او العذاب الاليم ثم علل بقوله ان الذين اوتوا العلم من قبله اي التورية من قبل القران
اذا يتلى عليهم القران يخرون للاذقان سجدا حال ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد
ربنا لمفعولا لقوله امنوا به او لا تؤمنوا اي اعرض عنهم فانهم ان لم يومنوا ولم يصدقوا
بالقران فان خيرا منهم وهم العلماء الذين قرؤا الكتب قد امنوا وصدقوه فاذا يتلى عليهم
خروا سجدا وسبحوا الله تعظيما لامره ولانجازه ما وعده في الكتب المنزلة وبشر به من بعثة
محمد صلى الله عليه وسلم وانزال القران عليه وهو المراد بالوعد المذكور ان بمعنى انه وهي تؤكد
الفعل كما ان ان تؤكد الاسم وكما اكدت ان باللام في انهم لمحضرون اكدت ان باللام في
لمفعول ويخرون للاذقان يبكون ومعنى الخرور للذقن السقوط على الوجه وانما خص الذقن
لان اقرب الاشياء الى الارض عند السجود الذقن يقال خر على وجهه وعلى ذقنه وخر لذقنه

ولوجهه اما معنى على فظاهر واما معنى اللام فكانه جعل ذقنه ووجهه للخرور واختصه به
اذ اللام للاختصاص وكرر يخرون للاذقان لاختلاف الحالين وهما خرورهم في حال
كونهم ساجدين وخرورهم في حال كونهم باكين ويزيدهم القران خشوعا لين قلب و
رطوبة عين قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن لما سمعه ابو جهل يقول يا الله يا رحمن قال
انه ينهانا ان نعبد الهين وهو يدعو الها اخر نزلت وقيل ان اهل الكتاب قالوا انك لتقل
ذكر الرحمن وقد اكثر الله في التورية هذا الاسم فنزلت والدعاء بمعنى التسمية لا بمعنى
النداء او للتخيير اى سموا بهذا الاسم او بهذا او اذكروا اما هذا واما هذا والتنوين
في ايا ما تدعوا عوض من المضاف اليه وما زيدت للتوكيد وايا نصب بتدعوا وهو مجزوم
باى اى هذين الاسمين ذكرتم وسميتم فله الاسماء الحسنى والضمير في فله يرجع الى
ذات الله تعالى والفاء لانه جواب الشرط اى ايا ما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه قوله
فله الاسماء الحسنى لانه اذا حسنت اسماؤه كلها حسن هذان الاسمان لانهما منها ومعنى
كونها احسن الاسماء انها مستقلة بمعانى التمجيد والتقديس والتعظيم ولا تجهر بصلوتك
بقراءة صلوتك على حذف المضاف لانه لا يلبس اذ الجهر والمخافتة يعتقبان على الصوت
لا غير والصلوة افعال واذكار وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفع صوته لقراءته
فاذا سمعها المشركون لغوا وسبوه فامر بان يخفض من صوته والمعنى ولا تجهر حتى
يسمع المشركون ولا تخافت بها حتى لا تسمع من خلفك وابتغ بين ذلك بين الجهر و
المخافتة سبيلا وسطا ومعناه ولا تجهر بصلوتك كلها ولا تخافت بها كلها وابتغ
بين ذلك سبيلا بان تجهر بصلوة الليل وتخافت بصلوة النهار او بصلواتك بدعائك
وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا كما زعمت اليهود والنصارى وبنو مليح ولم يكن له
شريك في الملك كما زعم المشركون ولم يكن له ولى من الذل اى لم يذل فيحتاج الى ناصر او
لم يوال احدا من اجل مذلة به ليدفعها بموالاته وكبره تكبيرا وعظمه وصفه بانه اكبر
من ان يكون له ولد او شريك وسمى النبي عليه الصلوة والسلام الاية اية العز وكان اذا
افصح الغلام من بنى عبد المطلب علمه هذه الاية سورة الكهف مكية مائة واحدى عشر اية بصرى و كوفى

بسم الله

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي انزل على عبده
محمد عليه الصلوة والسلام الكتاب القران لقن الله عباده وفقههم كيف يثنون عليه و
يحمدونه على اجزل نعمائه عليهم وهي نعمة الاسلام وما انزل على محمد عليه الصلوة والسلام
من الكتاب الذي هو سبب نجاتهم ولم يجعل له عوجا اى شيئا من العوج والعوج في
المعاني كالعوج في الاعيان يقال في رايه عوج وفي عصاه عوج والمراد نفي الاختلاف
والتناقض عن معانيه وخروج شيء منه من الحكمة قيما مستقيما وانتصابه بمضمر وتقديره
جعله قيما لانه اذا نفى عنه العوج فقد اثبت له الاستقامة وفائدة الجمع بين نفي العوج
واثبات الاستقامة وفي احدهما اغناء من الاخر التاكيد فرب مستقيم مشهود له بالاستقامة
لا يخلو من ادنى عوج عند التصفح او قيما على ساير الكتب مصدقا لها شاهدا بصحتها
لينذر انذر متعد الى مفعولين كقوله انا انذرناكم عذابا قريبا فاقتصر على احدهما و
اصله لينذر الذين كفروا باسا عذابا شديدا وانما اقتصر على احد مفعولي انذر لان المنذر
به هو الغرض المسوق اليه فاقتصر عليه من لدنه صادرا من عنده ويبشر المؤمنين الذين
يعملون الصالحات ان لهم اى بان لهم اجرا حسنا اى الجنة ويبشر حمزة وعلى ماكثين حال
منهم في لهم فيه في الاجر وهو الجنة ابدا وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ذكر المنذرين
دون المنذر به بعكس الاول استغناء بتقديم ذكره ما لهم به من علم اى بالولد او باتخاذه
يعني ان قولهم هذا لم يصدر عن علم ولكن عن جهل مفرط فان قلت اتخاذ الله ولدا في
نفسه محال فكيف قيل ما لهم به من علم قلت معناه ما لهم به من علم لانه ليس مما يعلم لا
لاستحالته وانتفاء العلم بالشيء اما للجهل بالطريق الموصل اليه او لانه في نفسه محال ولا لابائهم
المقلدين كبرت كلمة نصب على التميز وفيه معنى التعجب كانه قيل ما اكبرها كلمة والضمير
في كبرت يرجع الى قولهم اتخذ الله ولدا وسميت كلمة كما يسمون القصيدة بها تخرج من
افواههم صفة لكلمة يفيد استعظاما لاجترائهم على النطق بها واخراجها من افواههم فان
كثيرا مما يوسوسه الشيطان في قلوب الناس من المنكرات لا يتمالكون ان يتفوهوا به بل يكظمون
عليه فكيف بمثل هذا المنكر ان يقولون الا كذبا ما يقولون ذلك الا كذبا هو صفة لمصدر

محذوف اى قوما كذبا فلعلك باخع قاتل نفسك على آثارهم اى آثار الكفار شبهه واياهم
حين تولوا عنه ولم يومنوا به وما تداخله من الاسف على توليهم برجل فارقه احبته فهو
يتساقط حسرات على آثارهم ويبخع نفسه وجدا عليهم وتلهفا على فراقهم ان لم يومنوا
بهذا الحديث بالقرآن اسفا مفعول له اى لفرط الحزن والاسف المبالغة فى الحزن و
الغضب انا جعلنا ما على الارض زينة لها اى ما يصلح ان يكون زينة لها ولاهلها من زخارف
الدنيا وما يستحسن منها لنبلوهم ايهم احسن عملا وحسن العمل الزهد فيها وترك الاغترار
بها ثم زهد فى الميل اليها بقوله وانا لجاعلون ما عليها من هذه الزينة صعيدا ارضا ملساء
جرزا يابسا لا نبات فيها بعد ان كانت خضراء معشبة والمعنى نعيدها بعد عمارتها خرابا
باماتة الحيوان وتجفيف النبات والاشجار وغير ذلك ولما ذكر من الآيات الكلية تزيين
الارض بما خلق فوقها من الاجناس التى لا حصر لها وازالة ذلك كله كان لم يكن قال ام
حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم يعنى ان ذلك اعظم من قصة اصحاب الكهف وابقاء
حيوتهم مدة طويلة والكهف الغار الواسع فى الجبل والرقيم اسم كلبهم او قريتهم او اسم
كتاب كتب فيه اساميهم او اسم الجبل الذى فيه الكهف كانوا من آياتنا عجبا اى كانوا آية
عجبا من آياتنا وصفا بالمصدر او على ذات عجب اذ اى اذكر اذ اوى الفتية الى الكهف
فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة اى رحمة من خزاين رحمتك وهى المغفرة والرزق والامن
من الاعداء وهيئ لنا من امرنا الذى نحن فيه من مفارقة الكفار رشدا حتى نكون بسببه
راشدين مهتدين او اجعل امرنا رشدا كله كقولك رايت منك اسدا او يسر لنا طريق رضاك
فضربنا على آذانهم فى الكهف اى ضربنا عليها حجابا من ان تسمع يعنى انمناهم انامة ثقيلة لا تنبههم
فيها الاصوات فحذف المفعول الذى هو الحجاب سنين عددا ذوات عدد فهو صفة
لسنين قال الزجاج اى تعد عددا لكثرتها لان القليل يعلم مقداره من غير عد فاذا كثر عد
فاما دراهم معدودة فهى على القلة لانهم كانوا يعدون القليل ويزنون الكثير ثم بعثناهم
ايقظناهم من نومهم لنعلم اى الحزبين اى المختلفين منهم فى مدة لبثهم لانهم لما انتبهوا اختلفوا
فى ذلك وذلك قوله تعالى قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم قالوا ربكم اعلم

بما لبثتم وكان الذين قالوا ربكم اعلم بما لبثتم هم الذين علموا ان لبثهم قد تطاول او اى الحزبين
المختلفين من غيرهم احصى لما لبثوا امدا غاية واحصى فعل ماض وامدا ظرف لاحصى او مفعول
له والفعل الماضى خبر المبتدا وهو اى والمبتدا مع خبره سد مسد مفعولى نعلم والمعنى
ايهم ضبط امد الاوقات لبثهم واحاط علما بامد لبثهم ومن قال احصى افعل من الاحصاء
وهو العد فقد زل لان بناءه من غير الثلاثى المجرد ليس بقياس وانما قال لنعلم مع انه تعالى
لم يزل عالما بذلك لان المراد ما تعلق به العلم من ظهور الامر ليزدادوا ايمانا واعتبارا و
ليكون لطفا لمومنى زمانهم وآية بينة لكفاره او المراد لنعلم اختلافهم موجودا كما علمناه
قبل وجوده نحن نقص عليك نباهم بالحق بالصدق انهم فتية جمع فتى والفتوة بذل
الندى وكف الاذى وترك الشكوى واجتناب المحارم واستعمال المكارم وقيل الفتى
من لا يدعى قبل الفعل ولا يزكى نفسه بعد الفعل آمنوا بربهم وزدناهم هدى يقينا وكانوا
من خواص دقيانوس قد قذف فى قلوبهم الايمان وخاف بعضهم بعضا وقالوا ليخل
اثنان اثنان منا فيظهر كل منهما ما يضمر لصاحبه ففعلوا فحصل اتفاقهم على الايمان وربطنا
على قلوبهم وقويناها بالصبر على هجران الاوطان والفرار بالدين الى بعض الغيران و
جسرناهم على القيام بكلمة الحق والتظاهر بالاسلام اذ قاموا بين يدى الجبار وهو
دقيانوس من غير مبالاة به حين عاتبهم على ترك عبادة الاصنام فقالوا ربنا رب السموات
والارض مفتخرين لن ندعو من دونه الها ولين سميناهم آلهة لقد قلنا اذا شططا قولا
ذا شطط وهو الافراط فى الظلم والابعاد فيه من شط اذا بعد هولاء مبتدا قومنا
عطف بيان اتخذوا من دونه آلهة خبره وهو اخبار فى معنى انكار لولا يأتون عليهم هلا
يأتون على عبادتهم فحذف المضاف بسلطان بين بحجة ظاهرة وهو تبكيت لان الاتيان
بالسلطان على عبادة الاوثان محال فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا بنسبة الشريك اليه واذ
اعتزلتموهم خطاب من بعضهم لبعض حين صممت عزيمتهم على الفرار بدينهم وما يعبدون
نصب عطف على الضمير اذ واذا اعتزلتموهم واعتزلتم معبوديهم الا الله استثناء متصل
لانهم كانوا يقرون بالخالق ويشركون معه غيره كاهل مكة او منقطع اى واذا اعتزلتم الكفار

لبثتم

الأذى

والاصنام التي يعبدونها من دون الله او هو كلام معترض اخبار من الله تعالى عن الفتية
انهم لم يعبدوا غير الله فأووا الى الكهف صيروا اليه واجعلوا الكهف ماويكم ينشر لكم
ربكم من رحمته من رزقه ويهيئ لكم من امركم مرفقا مرفقا مدني وشامي وهو ما يرتفق
به اي ينتفع وانما قالوا ذلك ثقة بفضل الله وقوة في رجائهم لتوكلهم عليه ونصوح
يقينهم او اخبرهم به نبي في عصرهم وترى الشمس اذا طلعت تزاور وبتخفيف الزاء كوفي
تزور شامي تزاور غيرهما واصله تتزاور فخفف بادغام التاء في الزاء او حذفها والكل
من الزور وهو الميل ومنه زاره اذا مال اليه والزور الميل عن الصدق عن كهفهم اي تميل عنه
ولا يقع شعاعها عليهم ذات اليمين جهة اليمين وحقيقتها الجهة المسماة باليمين واذا غربت
تقرضهم تقطعهم اي تتركهم وتعدل عنهم ذات الشمال وهم في فجوة منه في متسع من
الكهف والمعنى انهم في ظل نهارهم كله لا تصيبهم الشمس في طلوعها ولا غروبها مع انهم
في مكان واسع منفتح معرض لاصابة الشمس لولا ان الله يحجبها عنهم وقيل في متسع من
غارهم ينالهم فيه روح الهواء وبرد النسيم ولا يحسون كرب الغار ذلك من آيات الله اي
ما صنعه الله بهم من ازورار الشمس وقرضها طالعة وغاربة آية من آيات الله يعني ان ما
كان في ذلك السمت تصيبه الشمس ولا تصيبهم اختصاصا لهم بالكرامة وقيل باب الكهف
شمالي مستقبل لبنات نعش فهم في مقنأة ابدا ومعنى ذلك من آيات الله ان شأنهم وحديثهم
من آيات الله من يهد الله فهو المهتد مثل ما مر في سبحان الذي وهو ثناء عليهم بانهم جاهدوا
في سبيل الله واسلموا له وجوههم فارشدهم الى نيل تلك الكرامة السنية ومن يضلل
فلن تجد له وليا مرشدا اي من اضله فلا هادي له وتحسبهم بفتح السين شامي وحمزة و
عاصم غير الاعشى وهبيرة وهو خطاب لكل احد ايقاظا جمع يقظ وهم رقود نيام قيل
عيونهم مفتحة وهم نيام فيحسبهم الناظر لذلك ايقاظا ونقلبهم ذات اليمين وذات
الشمال قيل لهم تقلبتان في السنة وقيل تقلبة واحدة في يوم عاشوراء وكلبهم باسط
ذراعيه حكاية حال ماضية لان اسم الفاعل لا يعمل اذا كان في معنى المضي بالوصيد بالفناء
او العتبة لو اطلعت عليهم لو اشرفت عليهم فنظرت اليهم لوليت منهم لاعرضت عنهم وهربت

منهم فرارا منصوب على المصدر لان معنى وليت منهم فررت منهم ولملئت منهم وبتشديد
اللام حجازي للمبالغة رعبا تمييز وبضم العين شامي وعلي وهو الخوف الذي يرعب الصدر
اي يملؤه وذلك لما البسهم الله من الهيبة او لطول اظفارهم وشعورهم وعظم اجرامهم
وعن معاوية انه غزا الروم فمر بالكهف فقال اريد ان ادخل فقال ابن عباس رض لقد قيل
لمن هو خير منك لوليت منهم فرارا فدخلت جماعة بامره فاحرقتهم ريح وكذلك بعثناهم وكما
انمناهم تلك النومة كذلك ايقظناهم اظهارا للقدرة على الاماتة والبعث جميعا ليتساءلوا بينهم
ليسأل بعضهم بعضا ويتعرفوا حالهم وما صنع الله بهم فيعتبروا ويستدلوا على عظم قدرة الله
ويزدادوا يقينا ويشكروا ما انعم به عليهم قال قائل منهم رئيسهم كم لبثتم كم مدة لبثتم قالوا
لبثنا يوما او بعض يوم جواب مبني على غالب الظن وفيه دليل على جواز الاجتهاد والقول
بالظن الغالب قالوا ربكم اعلم بما لبثتم بمدة لبثكم انكار عليهم من بعضهم كانهم قد علموا
بالادلة او بالالهام ان المدة متطاولة وان مقدارها لا يعلمه الا الله وروي انهم دخلوا
الكهف غدوة وكان انتباههم بعد الزوال فظنوا انهم في يومهم فلما نظروا الى طول اظفارهم
واشعارهم قالوا ذلك وقد استدل ابن عباس رض على ان الصحيح ان عددهم سبعة لانه
قال في الآية قال قائل منهم كم لبثتم وهذا واحد وقالوا في جوابه لبثنا يوما او بعض يوم وهو
جمع واقله ثلثة ثم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم وهذا قول جمع آخرين فصاروا سبعة فابعثوا
احدكم كانهم قالوا ربكم اعلم بذلك لا طريق لكم الى علمه فخذوا في شيء آخر مما يهمكم فابعثوا
احدكم اي يمليخا بورقكم هو الفضة مضروبة كانت او غير مضروبة وبسكون الراء ابو عمرو
وحمزة وابو بكر هذه الى المدينة هي طرسوس وحملهم الورق عند فرارهم دليل على ان
حمل النفقة وما يصلح للمسافر هو راي المتوكلين على الله دون المتكلين على الانفاقات و
على ما في اوعية القوم من النفقات وعن بعض العلماء انه كان شديد الحنين الى بيت الله
ويقول ما لهذا السفر الا شيئان شد الهميان والتوكل على الرحمن فلينظر ايها اي اهلها فحذف
كما في واسأل القرية واي مبتدأ وخبره ازكى احل واطيب او اكثر وارخص طعاما تمييز
فليأتكم برزق منه وليتلطف وليتكلف اللطف فيما يباشره من امر المبايعة حتى لا يغبن

اوفى امر التخفي حتى لا يعرف ولا يشعرن بكم احدا ولا يفعلن ما يؤدي الى الشعور بنا من
غير قصد منه فسمى ذلك اشعارا منه بهم لانه سبب فيه والضمير في انهم راجع الى الاهل
المقدر في ايهاان يظهروا عليكم يطلعوا عليكم يرجموكم يقتلوكم اخبث القتلة او يعيدوكم
في ملتهم بالاكراه والعود بمعنى الصيرورة كثير في كلامهم ولن تفلحوا اذا ابدا اذا يدل
على الشرط اي ولن تفلحوا اذ دخلتم في دينهم ابدا وكذلك اعثرنا عليهم وكما انمناهم و
بعثناهم لما في ذلك من الحكمة اطلعنا عليهم ليعلموا اي الذين اطلعناهم على حالهم ان وعد الله
وهو البعث حق كاين لان حالهم في نومهم وانتباههم بعدها كحال من يموت ثم يبعث
وان الساعة لا ريب فيها فانهم يستدلون بامرهم على صحة البعث اذ يتنازعون متعلق
باعثرنا اي اعثرناهم عليهم حين يتنازع اهل ذلك الزمان بينهم امرهم امر دينهم و
يختلفون في حقيقة البعث فكان بعضهم يقول تبعث الارواح دون الاجساد مع
الارواح وبعضهم يقول تبعث الاجساد مع الارواح ليرتفع الاختلاف وليتبين
ان الاجساد مع الارواح تبعث حية حساسة فيها ارواحها كما كانت قبل الموت فقالوا
حين توفى الله اصحاب الكهف ابنوا عليهم بنيانا اي على باب كهفهم لئلا يتطرق اليهم
الناس ضنا بتربتهم ومحافظة عليها كما حفظت تربة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحظيرة
ربهم اعلم بهم من كلام المتنازعين كانهم تذاكروا امرهم وتناقلوا الكلام في انسابهم واحوالهم
ومدة لبثهم فلما لم يهتدوا الى حقيقة ذلك قالوا ربهم اعلم بهم او هو من كلام الله
عز وجل رد القول الخائضين في حديثهم قال الذين غلبوا على امرهم من المسلمين وملكهم
وكانوا اولى بهم وبالبناء عليهم لنتخذن عليهم على باب الكهف مسجدا يصلي فيه المسلمون
ويتبركون بمكانهم روي ان اهل الانجيل عظمت فيهم الخطايا وطغت ملوكهم حتى
عبدوا الاصنام واكرهوا على عبادتها وممن شدد في ذلك دقيانوس فاراد فتية من
اشراف قومه على الشرك وتوعدهم بالقتل فابوا الا الثبات على الايمان والتصلب فيه
ثم هربوا الى الكهف ومروا بكلب فتبعهم فطردوه فانطقه الله تعالى فقال ما تريدون
مني انا احب احباء الله فناموا وانا احرسكم وقيل مروا براع معه كلب فتبعهم على دينهم

ودخلوا

ودخلوا الكهف وضرب الله على اذانهم وقيل ان يبعثهم الله ملك مدينتهم رجل صالح مؤمن
وقد اختلف اهل مملكته في البعث معترفين وجاحدين فدخل الملك بيته واغلق بابه و
لبس مسحا وجلس على رماد وسال ربه ان يبين لهم الحق فالقى الله تعالى في نفس رجل من
رعيانهم فهدم ما سد به فم الكهف ليتخذه حظيرة لغنمه ولما دخل المدينة من بعثوه لابتياع
الطعام واخرج الورق وكان من ضرب دقيانوس اتهموه بانه وجد كنزا فذهبوا به الى الملك
فقص عليه القصة فانطلق الملك واهل المدينة معه وابصروهم وحمدوا الله على الاية
الدالة على البعث ثم قال الفتية للملك نستودعك الله ونعيذك به من شر الجن والانس ثم
رجعوا الى مضاجعهم وتوفى الله انفسهم فالقى الملك عليهم ثيابه وامر فجعل لكل واحد تابوت
من ذهب فراهم في المنام كارهين للذهب فجعلها من الساج وبنى على باب الكهف مسجدا
سيقولون ثلثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة
وثامنهم كلبهم الضمير في سيقولون لمن خاض في قصتهم في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من المؤمنين واهل الكتاب سالوا رسول الله عنهم فاخر الجواب الى ان يوحى اليه فيهم فنزلت
اخبارا بما سيجري بينهم من اختلافهم في عددهم وان المصيب منهم من يقول سبعة وثامنهم
كلبهم ويروى ان السيد والعاقب واصحابهما من اهل نجران كانوا عند النبي صلى الله عليه وسلم
فجرى ذكر اصحاب الكهف فقال السيد وكان يعقوبيا كانوا ثلثة رابعهم كلبهم وقال العاقب
وكان نسطوريا كانوا خمسة سادسهم كلبهم وقال المسلمون كانوا سبعة ثامنهم كلبهم
فحقق الله قول المسلمين وانما عرفوا ذلك باخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم او بما ذكرنا
من قبل وعن علي رضي الله عنه هم سبعة نفر اسماؤهم يمليخا ومكشلمينا ومشلينيا هولاء
اصحاب يمين الملك وكان عن يساره مرنوش ودبرنوش وشاذنوش وكان يستشير
هولاء الستة في امره والسابع الراعي الذي وافقهم حين هربوا من ملكهم دقيانوس واسم
مدينتهم افسوس واسم كلبهم قطمير والسين للاستقبال وان دخل في الاول دون الاخرين
فهما داخلان في حكم السين كقولك فذا كرم وانعم تريد معنى التوقع في الفعلين جميعا
او اريد بيفعل معنى الاستقبال الذي هو صالح له ثلثة خبر مبتداء محذوف اي هم ثلثة

وكذلك خمسة وسبعة ورابعهم كلبهم جملة من مبتدا وخبر واقعة صفة لثلثة وكذلك
سادسهم كلبهم وثامنهم كلبهم رجما بالغيب رميا بالخبر الخفي واتيانا به كقوله ويقذفون
بالغيب اي ياتون به او وضع الرجم موضع الظن فكانه قيل ظنا بالغيب لانهم اكثروا
ان يقولوا رجم بالظن مكان قولهم ظن حتى لم يبق عندهم فرق بين العبارتين والواو
الداخلة على الجملة الثالثة هي الواو التي تدخل على الجملة الواقعة صفة للنكرة كما تدخل على
الواقعة حالا عن المعرفة في قولك جاءني رجل ومعه آخر ومررت بزيد وفي يده سيف
وفايدتها توكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على ان اتصافه بها امر ثابت مستقر
وهذه الواو هي التي اذنت بان الذين قالوا سبعة وثامنهم كلبهم قالوه عن ثبات علم ولم
يرجموا بالظن كما رجم غيرهم دليله ان الله تعالى اتبع القولين الاولين قوله رجما بالغيب
واتبع القول الثالث قل ربي اعلم بعدتهم اي قل ربي اعلم بعدتهم وقد اخبركم بها بقوله
سبعة وثامنهم كلبهم ما يعلمهم الا قليل قال ابن عباس رض انا من ذلك القليل وقيل الا قليلا
من اهل الكتاب والضمير في سيقولون على هذا لاهل الكتاب خاصة اي سيقول اهل الكتاب
فيهم كذا كذا ولا علم بذلك الا في قليل منهم واكثرهم على ظن وتخمين فلا تمار فيهم فلا تجادل
اهل الكتاب في شان اصحاب الكهف الا مراء ظاهرا الا جدالا ظاهرا غير متعمق فيه وهو
ان تقص عليهم ما اوحى الله اليك فحسب ولا تزيد من غير تجهيل لهم او يشهد من الناس
ليظهر صدقك ولا تستفت فيهم منهم احدا ولا تسال احدا منهم عن قصتهم سوال متعنت
له حتى يقول شيئا فترده عليه وتزيف ما عنده ولا سوال لمسترشد لان الله تعالى قد
ارشدك بان اوحى اليك قصتهم ولا تقولن لشيء لاجل شيء تعزم عليه اني فاعل ذلك الشيء
غدا اي فيما يستقبل من الزمان ولم يرد الغد خاصة الا ان يشاء الله ان تقوله بان ياذن
لك فيه او ولا تقولنه الا بان يشاء الله اي الا بمشية وهو في موضع الحال اي الا ملتبسا بمشية الله
قايلا ان شاء الله وقال الزجاج ولا تقولن اني فاعل ذلك الا بمشية الله لان قول القايل انا
افعل ذلك ان شاء الله معناه لا افعله الا بمشية الله وهذا نهي تاديب من الله لنبيه عليه
الصلوة والسلام حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح وعن اصحاب الكهف وذي

أفعل

القرنين

القرنين فسالوه فقال ايتوني غدا اخبركم ولم يستثن فابطا عليه الوحي حتى شق عليه و
اذكر ربك اي مشية ربك وقل ان شاء الله اذا نسيت اذا فرط منك نسيان لذلك
والمعنى اذا نسيت كلمة الاستثناء ثم تنبهت عليها فتداركها بالذكر عن الحسن ما دام
في مجلس الذكر وعن ابن عباس رض ولو بعد سنة وهذا محمول على تدارك التبرك
بالاستثناء فاما الاستثناء المغير حكما فلا يصح الا متصلا وحكي انه بلغ المنصور ان ابا
حنيفة رض خالف ابن عباس رض في الاستثناء المنفصل فاستحضره لينكر عليه فقال له
ابو حنيفة رض هذا يرجع عليك انك تاخذ البيعة بالايمان افترضى ان يخرجوا من
عندك فيستثنوا فيخرجوا عليك فاستحسن كلامه وامر الطاعن فيه باخراجه من عنده
او معناه واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت كلمة الاستثناء تشديدا في
البعث على الاهتمام بها او صل صلوة نسيتها اذا ذكرتها او اذا نسيت شيئا فاذكره ليذكرك
المنسي وقل عسى ان يهدين ربي لاقرب من هذا رشدا يعني اذا نسيت شيئا فاذكر ربك
وذكر ربك عند نسيانه ان تقول عسى ربي ان يهديني لشيء آخر بدل هذا المنسي اقرب منه
رشدا وادنى خيرا ومنفعة آن يهديني اذ ترلي ان يوتيني ان تعلمني مكي في الحالين
وافقه ابو عمرو ومدني في الوصل ولبثوا في كهفهم ثلثماية سنين يريد لبثهم فيه احياء
مضروبا على آذانهم هذه المدة وهو بيان لما اجمل في قوله فضربنا على اذانهم في الكهف
سنين عددا وسنين عطف بيان لثلثماية ثلثماية سنين بالاضافة حمزة وعلي على
وضع الجمع موضع الواحد في التميز كقوله بالاخسرين اعمالا وازدادوا تسعا اي
تسع سنين لدلالة ما قبله عليه وتسعا مفعول به لان زاد يقتضي مفعولين فازداد
يقتضي مفعولا واحدا قل الله اعلم بما لبثوا اي هو اعلم من الذين اختلفوا فيهم
بمدة لبثهم والحق ما اخبرك به او هو حكاية لكلام اهل الكتاب وقل الله اعلم رد
عليهم والجمهور على ان هذا اخبار من الله تعالى سبحانه انهم لبثوا في كهفهم كذا مدة له غيب
السموات والارض ذكر اختصاصه بعلم ما غاب في السموات والارض وخفي فيهما من احوال
اهلها ومن غيرها ابصر به واسمع اي وا سمع به والمعنى ما ابصره بكل موجود وما اسمعه

لكل مسموع ما لهم لاهل السموات والارض من دونه من ولي من متول لامورهم ولا يشرك
في حكمه في قضائه احدا منهم ولا تشرك على النهي شامي كانوا يقولون له ايت بقران غير
هذا او بدله فقيل له واتل ما اوحي اليك من كتاب ربك اي من القران ولا تسمع لما يهذون
به من طلب التبديل فانه لا مبدل لكلماته اي لا يقدر احد على تبديلها وتغييرها انما يقدر
على ذلك هو وحده ولن تجد من دونه ملتحدا ملتجا تعدل اليه ان هممت بذلك ولما
قال قوم من رؤسا الكفرة لرسول الله نح هؤلاء الموالي وهم صهيب وعمار وخباب و
سلمان وغيرهم من فقراء المسلمين حتى نجالسك نزل واصبر نفسك مع الذين يدعون
ربهم واحبسها معهم وثبتها بالغداة والعشي دائبين على الدعاء في كل وقت او بالغداة
لطلب التوفيق والتيسير والعشي لطلب عفو التقصير او هما صلوة الفجر والعصر بالغدوة
شامي يريدون وجهه رضى الله عنه ولا تعد عيناك عنهم ولا تجاوزهم عداه اذا جاوزه
وعدي بعن لتضمين عدا معنى نبا في قولك نبت عنه عينه وفائدة التضمين اعطاء مجموع
معنيين وذلك اقوى من اعطاء معنى فذ تريد زينة الحيوة الدنيا في موضع الحال ولا
تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا من جعلنا قلبه غافلا عن الذكر وهو دليل لنا على انه خالق
افعال العباد واتبع هوىه وكان امره فرطا مجاوزا عن الحق وقل الحق من ربكم اي الاسلام
او القران والحق خبر مبتدا محذوف اي هو فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر اي جاء
الحق وزاحت العلل فلم يبق الا اختياركم لانفسكم ما شئتم من الاخذ في طريق النجاة او في
طريق الهلاك وجيء بلفظ الامر والتخيير لانه لما مكن من اختيار ايهما شاء فكانه مخير ما
بان يتخير ما شاء من النجدين ثم ذكر جزاء من اختار الكفر فقال انا اعتدنا هيئنا للظالمين
للكافرين فقيد بالسباق كما تركت حقيقة الامر والتخيير بالسياق وهو قوله انا اعتدنا
للظالمين نارا احاط بهم سرادقها شبه ما يحيط بهم من النار بالسرادق وهو الحجرة التي تكون
حول الفسطاط او هو دخان يحيط بالكفار قبل دخولهم النار او حائط من نار يطيف بهم
وان يستغيثوا من العطش يغاثوا بماء كالمهل هو دردي الزيت او ما اذيب من جواهر الارض
ويغاث لهم يشوي الوجوه اذا قدم ليشرب انشوى الوجه من حرارته بئس الشراب ذلك وساءت

الموالي

شاء

بالسيئات

النار مرتفقا متكا من المرفق وهذا للمشاكلة لقوله وحسنت مرتفقا والا فلا ارتفاق لاهل النار
وبين جزاء من اختار الايمان فقال ان الذين امنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن
عملا اولئك لهم جنات عدن كلام مستانف بيان للاجر المبهم ولك ان تجعل انا لا نضيع
واولئك خبرين معا والمراد من احسن عملا منهم كقولك السمن منوان بدرهم ولان من احسن عملا
والذين امنوا وعملوا الصالحات ينتظمها معنى واحد فقام من احسن عملا مقام الضمير تجري
من تحتهم الانهار يحلون فيها من اساور من للابتداء وتنكير اساور وهي جمع اسورة جمع
سوار لابهام امرها في الحسن من ذهب للتبيين ويلبسون ثيابا خضرا من سندس ما رق من الديباج
واستبرق ما غلظ منه اي يجمعون بين النوعين متكئين فيها على الارائك نص لان الاتكاء
هيئة المتنعمين والملوك على اسرتهم نعم الثواب الجنة وحسنت الجنة والارائك مرتفقا متكا
واضرب لهم مثلا رجلين ومثل حال الكافرين والمومنين بحال رجلين وكانا اخوين في بني
اسرائيل احدهما كافر اسمه قطروس والاخر مؤمن اسمه يهوذا وقيل هما المذكوران في
والصافات في قوله قال قائل منهم اني كان لي قرين ورثا من ابيهما ثمانية الاف دينار فجعلاها
شطرين فاشترى الكافر ارضا بالف فقال المومن اللهم ان اخي اشترى ارضا بالف
دينار وانا اشتري منك ارضا في الجنة بالف فتصدق به ثم بنى اخوه دارا بالف فقال
اللهم اني اشتري منك دارا في الجنة بالف فتصدق به ثم تزوج اخوه امراة بالف فقال
اللهم اني جعلت الفا صداقا للحور ثم اشترى اخوه خدما ومتاعا بالف دينار فقال
اللهم اني اشتريت منك الولدان المخلدون بالف فتصدق به ثم اصابته حاجة فجلس
لاخيه على طريقه فمر به في حشمه فتعرض له فطرده ووبخه على التصدق بماله جعلنا لاحدهما
جنتين من اعناب بستانين من كروم وحففناهما بنخل وجعلنا النخل محيطا بالجنتين
وهذا مما يوثره الدهاقين في كرومهم ان يجعلوها مؤزرة بالاشجار المثمرة يقال حفوه اذا
طافوا به وحففته بهم اي جعلتهم حافين حوله هو متعد الى مفعول واحد فتزيده الباء
مفعولا ثانيا وجعلنا بينهما زرعا جعلها ارضا جامعة للاقوات والفواكه ووصف العمارة
بانها متواصلة متشاكلة لم يتوسطها ما يقطعها الشكل الحسن والترتيب الانيق كلتا الجنتين

المتنعمين

متشابكة

انت اعطت حمل على اللفظ لان لفظ كلتا مفرد ولو قيل اتتا على المعنى لجاز اكلها ثمرها
ولم تظلم منه ولم تنقص من اكلها شيئا وفجرنا خلالهما نهرا نفعهما ابو فاء الثمار وتمام الاكل
من غير نقص ثم بما هو اصل الخير ومادته من امر الشرب فجعله افضل ما يسقى به وهو النهر
الجاري فيهما وكان له لصاحب الجنتين ثمر انواع من المال من ثمر ماله اذا كثره اى كانت
له من الجنتين الموصوفتين الاموال الكثيرة من الذهب والفضة وغيرهما له ثم ثمرو
بثمره بفتح الميم والثاء عاصم وبضم الثاء وسكون الميم ابو عمرو وبضمهما غيرهما
فقال لصاحبه وهو يحاوره يراجعه الكلام من حار يحور اذا رجع يعني قطروس اخذ
بيد المسلم يطوف به في الجنتين ويريه ما فيهما ويفاخره بما ملك من المال معه انا اكثر
منك مالا واعز نفرا انصارا وحشما وقيل اولادا ذكورا لانهم ينفرون معه دون
الاناث ودخل جنته احدى جنتيه او سماها جنة لاتحاد الحائط وجنتين للنهر الجاري
بينهما وهو ظالم لنفسه ضار لها بكفره قال ما اظن ان تبيد هذه ابدا اى ان تهلك هذه
الجنة شك في بيدودة جنته لطول امله وتمادي غفلته واغتراره بالمهلة وترى اكثر
الاغنياء من المسلمين ينطق السنة احوالهم بذلك وما اظن الساعة قائمة كائنة ولئن
رددت الى ربي لاجدن خيرا منها اقسام منه على انه ان رد الى ربه على سبيل الفرض كما يزعم
صاحبه ليجدن في الاخرة خيرا من جنته في الدنيا ادعاء لكرامته عليه ومكانته عنده
منقلبا تميز اى مرجعا وعاقبة قال له صاحبه وهو يحاوره اكفرت بالذي خلقك من تراب
اى خلق اصلك لان خلق اصله سبب في خلقه فكان خلقه خلقا له ثم من نطفة اى خلقك
من نطفة ثم سويك رجلا عدلك وكملك انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال جعله كافرا
بالله لشكه في البعث لكنا بالالف في الوصل شامي الباقون بغير الالف وبالالف في الوقف
اتفاقا واصله لكن انا فحذفت الهمزة والقت حركتها على نون لكن فتلاقت النونان
فادغمت الاولى في الثانية بعد ان سكنت هو الله ربي هو ضمير الشان والشان الله ربي
والجملة خبر انا والراجع منها اليه ياء الضمير وهو استدراك لقوله اكفرت قال لاخيه
انت كافر بالله لكني مؤمن موحد كما تقول زيد غايب لكن عمرا حاضر وفيه حذف اى اقول

هو الله بدليل عطف ولا اشرك بربي احدا ولولا وهلا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله
ما موصولة مرفوعة المحل على انه خبر مبتدا محذوف تقديره الامر ما شاء الله او شرطية
منصوبة الموضع والجزاء محذوف يعني اى شي شاء الله كان والمعنى هلا قلت عند دخولها
والنظر الى ما رزقك الله منها الامر ما شاء الله اعترافا بانها وكل ما فيها انما حصل بمشية
الله وان امرها بيده ان شاء تركها عامرة وان شاء خربها وقلت لا قوة الا بالله اقرارا بان
ما قويت به على عمارتها وتدبير امرها هو بمعونته وتاييده من قران ترن انا اقل منك
مالا بنصب اقل فقد جعل انا فصلا ومن رفع وهو الكسائي جعله مبتدا واقل خبره و
الجملة مفعولا ثانيا لترن وقوله وولدا يبصر من فسر النفر بالاولاد في قوله واعز نفرا فعسى
ربي ان يؤتين خيرا من جنتك في الدنيا او في العقبى ويرسل عليها حسبانا عذابا من السماء
فتصبح صعيدا زلقا ارضا بيضاء يزلق عليها لملاستها او يصبح ماؤها غورا غائرا اى
ذاهبا في الارض فلن تستطيع له طلبا فلا يتاتى منك طلبه فضلا عن الوجود والمعنى ان ترن
افقر منك فانا اتوقع من صنع الله ان يقلب ما بي وما بك من الفقر والغنى فيرزقني
لايماني جنة خيرا من جنتك ويسلبك لكفرك نعمته ويخرب بستانك واحيط بثمره هو
عبارة عن اهلاكه واصله من احاطة العدو لانه اذا احاط به فقد ملكه واستولى عليه ثم استعمل
في كل اهلاك فاصبح اى الكافر يقلب كفيه يضرب احدهما على الاخر ندما وتحسرا وانما صار تقليب
الكفين كناية عن الندم والتحسر لان النادم يقلب كفيه ظهرا لبطن كما كني عن ذلك بعض الكف
والسقوط في اليد ولانه في معنى الندم عدى تعديته بعلى كانه قيل فاصبح يندم على ما انفق فيها اى
في عمارتها وهي خاوية على عروشها يعني ان كرومها المعرشة سقطت عروشها على الارض و
سقطت فوقها الكروم ويقول يا ليتني لم اشرك بربي احدا تذكر موعظة اخيه فعلم انه اتي من
جهة كفره وطغيانه فتمنى لو لم يكن مشركا حتى لا يهلك الله بستانه حين لم ينفعه التمني ويجوز
ان يكون توبة من الشرك وندما على ما كان منه ودخولا في الايمان ولم تكن له فئة ينصرونه
يقدرون على نصرته من دون الله اى هو وحده القادر على نصرته لا يقدر احد غيره ان ينصره
الا انه لم ينصره للحكمة وما كان منتصرا وما كان ممتنعا بقوته انتقام الله هنالك الولاية لله الحق

يكون بالياء والولاية بكسر الواو حمزة وعلي فهي بالفتح النصرة والتولي وبالكسر السلطان والملك
والمعنى هنالك اي في ذلك المقام وتلك الحال النصرة لله وحده لا يملكها غيره ولا يستطيعها
احد سواه تقرير لقوله ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله او هنالك السلطان والملك
لله لا يغلب وفي مثل تلك الحال الشديدة يتولى الله ويؤمن به كل مضطر يعني ان قوله يا ليتني
لم اشرك بربي احدا كلمة الجئ اليها فقالها جزعا مما دهاه من شؤم كفره ولولا ذلك لم يقلها
او هنالك الولاية لله ينصر فيها اولياءه المؤمنين على الكفرة وينتقم لهم يعني انه نصر فيما فعل
بالكافر اخاه المؤمن وصدق قوله فعسى ربي ان يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا
من السماء ويؤيده قوله هو خير ثوابا وخير عقبا اي لاوليائه او هنالك اشارة الى الآخرة
اي في تلك الدار الولاية لله كقوله لمن الملك اليوم الحق بالرفع ابو عمرو وعلي صفة للولاية
او خبر مبتدا محذوف اي هي الحق او هو الحق غيرهما وفي الشواذ عقبى على وزن فعلى وكلها
بمعنى العاقبة واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء اي هو كماء انزلناه فاختلط
به نبات الارض فالتف بسببه وتكاثف حتى خالط بعضه بعضا او اثر في النبات الماء
فاختلط به حتى روي فاصبح هشيما يابسا متكسرا الواحدة هشيمة تذروه الرياح تنسفه
الرياح وتطيره الريح حمزة وعلي وكان الله على كل شيء من الانشاء والافناء مقتدرا قادرا
شبه حال الدنيا في نضرتها وبهجتها وما يتعقبها من الهلاك والفناء بحال النبات يكون اخضر
ثم يهيج فتطيره الرياح كان لم يكن المال والبنون زينة الحيوة الدنيا لا زاد القبر وعدة
العقبى والباقيات الصالحات اعمال الخير تبقى ثمرتها للانسان او الصلوات الخمس او سبحان الله
والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر خير عند ربك ثوابا جزاء وخير املا لانه وعد صادق
واكثر الآمال كاذبة يعني ان صاحبها يامل في الدنيا ثواب الله ويصيبه في الآخرة ويوم
واذكر يوم نسير الجبال تسير الجبال مكي وشامي وابو عمرو اي نسيرها في الجو او يذهب بها بان
يجعل هباء منبثا وترى الارض بارزة ليس عليها ما يسترها مما كان عليها من الجبال والاشجار
وحشرناهم اي الموتى فلم نغادر منهم احدا اي فلم نترك غادره اي تركه ومنه الغدر ترك
الوفاء والغدير ما غادره السيل وعرضوا على ربك صفا مصطفين ظاهرين ترى جماعتهم كما

يرى كل واحد لا يحجب احد احدا شبهت حالهم بحال الجند المعروضين على السلطان لقد
جئتمونا اي قلنا لهم لقد جئتمونا وهذا المضمر يجوز ان يكون عاملا النصب في يوم
نسير كما خلقناكم اول مرة اي لقد بعثناكم كما انشاناكم اول مرة او جئتمونا عراة لا شيء
معكم كما خلقناكم اولا وانما قال وحشرناهم ماضيا بعد نسير وترى للدلالة على ان حشرهم
قبل التسيير وقبل البروز ليعاينوا تلك الاهوال كانه قيل وحشرناهم قبل ذلك بل زعمتم
ان لن نجعل لكم موعدا وقتا لانجاز ما وعدتم على السنة الانبياء عليهم السلام من البعث
والنشور او مكان وعد للمحاسبة ووضع الكتاب اي صحف الاعمال فترى المجرمين
مشفقين خائفين مما فيه من الذنوب ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر
صغيرة ولا كبيرة اي لا يترك شيئا من المعاصي الا احصيها حصرها وضبطها ووجدوا
ما عملوا حاضرا في الصحف عتيدا او جزاء ما عملوا ولا يظلم ربك احدا فيكتب عليه
ما لم يعمل او يزيد في عقابه المستحق او يعذبه بغير جرم واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم
سجود تحية او سجود انقياد فسجدوا الا ابليس كان من الجن هو مستانف كان قائلا
قال ما له لم يسجد فقيل كان من الجن ففسق عن امر ربه خرج عما امره به ربه من السجود
وهو دليل على انه كان مامورا بالسجود مع الملائكة افتتخذونه وذريته اولياء من
دوني وتستبدلونهم بي ومن ذريته لاقيس موسوس الطهارة وولهان موسوس
الطهارة وكذا الصلوة والاعور صاحب الزنا وبتر صاحب المصائب ومسوط صاحب
الاراجيف وداسم يدخل وياكل مع من لم يسم اسم الله تعالى وهم لكم عدو اعداء بئس
للظالمين بدلا بئس البدل من الله ابليس لمن استبدله فاطاعه بدل طاعته ما اشهدتهم اي
ابليس وذريته خلق السموات والارض يعني انكم اتخذتموهم شركاء لي في العبادة و
انما يكونون شركاء فيها لو كانوا شركاء في الالوهية فنفى مشاركتهم في الالوهية بقوله
ما اشهدتهم خلق السموات والارض لاعتضد بهم في خلقها ولا شاورتهم اي تفردت
بخلق الاشياء فافردوني في العبادة ولا خلق انفسهم ولا اشهدت بعضهم خلق بعض
كقوله ولا تقتلوا انفسكم وما كنت متخذ المضلين عضدا اي وما كنت متخذهم اعوانا

فوضع المضلين موضع الضمير ذما لهم بالاضلال فاذا لم يكونوا عضدا لى فى الخلق فما لكم
تتخذونهم شركاء لى فى العبادة ويوم يقول الله للكفار وبالنون حمزة نادوا ادعوا
بصوت عال شركائى الذين زعمتم انها شركائى ليمنعوكم من عذابى واراد الجن واضاف
الشركاء اليه على زعمهم توبيخا لهم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موبقا مهلكا
من وبق يبق وبوقا اذا هلك او يكون مصدرا كالموعد اى وجعلنا بينهم واديا من
اودية جهنم هو مكان الهلاك والعذاب الشديد مشتركا يهلكون فيه جميعا او الملائكة
وعزيرا وعيسى او الموبق البرزخ البعيد اى جعلنا بينهم امدا بعيدا لانهم فى قعر جهنم
وهم فى اعلى الجنان ورأى المجرمون النار فظنوا فايقنوا انهم مواقعوها مخالطوها
واقعون فيها ولم يجدوا عنها عن النار مصرفا معدلا ولقد صرفنا فى هذا القران
للناس من كل مثل يحتاجون اليه وكان الانسان اكثر شىء جدلا تمييز اى اكثر الاشياء
التى يتاتى منها الجدل ان فصلتها واحدا بعد واحد خصومة ومماراة بالباطل يعنى ان
جدل الانسان اكثر من جدل كل شىء وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى اى سبب
وهو الكتاب والرسول ويستغفروا ربهم الا ان تاتيهم سنة الاولين او ياتيهم العذاب
ان الاولى نصب والثانية رفع وقبلها مضاف محذوف تقديره وما منع الناس الايمان
والاستغفار الا انتظار ان تاتيهم سنة الاولين وهى الاهلاك وانتظار ان ياتيهم
العذاب يعنى عذاب الاخرة قبلا كوفى اى انواعا جمع قبيل الباقون قبلا اى عيانا وما نرسل
المرسلين الا مبشرين ومنذرين يوقف عليه ويستانف بقوله ويجادل الذين كفروا
بالباطل هو قولهم للرسل وما انتم الا بشر مثلنا ولو شاء الله لانزل ملائكة ونحو ذلك
ليدحضوا به الحق ليزيلوا ويبطلوا بالجدال النبوة واتخذوا اياتى القران وما انذروا
ما موصولة والراجع من الصلة محذوف اى وما انذروه من العقاب او مصدرية
اى وانذارهم هزوا موضع استهزاء بسكون الزاء والهمزة حمزة وبابدال الهمزة واوا حفص
وبضم الزاء والهمزة غيرهما ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه بالقران ولذلك رجع الضمير
اليها مذكرا فى قوله ان يفقهوه فاعرض عنها فلم يتذكر حين ذكر ولم يتدبر ونسى عاقبته

ماقدمت يداه من الكفر والمعاصى غير متفكر فيها ولا ناظر فى ان المسىء والمحسن لابد لهما
من جزاء ثم علل اعراضهم ونسيانهم بانهم مطبوع على قلوبهم بقوله انا جعلنا على قلوبهم اكنة
اغطية جمع كنان وهو الغطاء ان يفقهوه وفى اذانهم وقرا ثقلا من استماع الحق وجمع بعد
الافراد حملا على لفظ من ومعناه وان تدعهم الى الهدى الى الايمان فلن يهتدوا فلا يكون
منهم اهتداء البتة اذا جزاء وجواب على انتفاء اهتدائهم لدعوة الرسول بمعنى انهم
جعلوا ما يجب ان يكون سبب وجود الاهتداء سببا فى انتفائه وعلى انه جواب للرسول
عن تقدير قوله مالى لا ادعوهم حرصا على اسلامهم فقيل وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا
اذا ابدا مدة التكليف كلها وربك الغفور البليغ المغفرة ذو الرحمة الموصوف بالرحمة
لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب اى ومن رحمته ترك مؤاخذته اهل مكة عاجلا
مع فرط عداوتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم بل لهم موعد وهو يوم بدر لن يجدوا
من دونه موئلا منجا ولا ملجا يقال وال اذا نجا ووال اليه اذا لجا اليه وتلك مبتداء
القرى صفة لان اسماء الاشارة توصف باسماء الاجناس والخبر اهلكناهم او تلك
القرى نصب باضمار اهلكنا على شريطة التفسير والمعنى وتلك اصحاب القرى اهلكناهم
والمراد قوم نوح وعاد وثمود لما ظلموا مثل ظلم اهل مكة وجعلنا لمهلكهم موعدا وضربنا
لاهلاكهم وقتا معلوما لا يتاخرون عنه كما ضربنا لاهل مكة يوم بدر والمهلك الاهلاك
ووقته وبفتح الميم وكسر اللام حفص وبفتحهما ابو بكر اى لوقت هلاكهم او لهلاكهم و
الموعد وقت او مصدر واذ واذكر اذ قال موسى لفتيه هو يوشع بن نون وانما قيل
لفتاه لانه كان يخدمه ويتبعه ويأخذ منه العلم لا ابرح لا ازال وقد حذف الخبر لدلالة
الحال والكلام عليه اما الاول فلانها كانت حال سفر واما الثانى فلان قوله حتى ابلغ
مجمع البحرين غاية مضروبة يستدعى ما هى غاية فلا بد ان يكون المعنى لا ابرح اسير حتى ابلغ
مجمع البحرين وهو المكان الذى وعد فيه موسى لقاء الخضر وهو ملتقى بحرى فارس
والروم وسمى خضرا لانه اينما يصلى يخضر ما حوله او امضى حقبا او اسير زمانا طويلا قيل ثمانون
سنة روى انه لما ظهر موسى عليه السلام على مصر مع بنى اسرائيل واستقروا بها بعد هلاك

القبط سال ربه اى عبادك احب اليك قال الذى يذكرنى ولا ينسانى قال فاى عبادك اقضى
قال الذى يقضى بالحق ولا يتبع الهوى قال فاى عبادك اعلم قال الذى يبتغى علم الناس
الى علمه عسى ان يصيب كلمة تدله على هدى او ترده عن ردى فقال ان كان فى عبادك
من هو اعلم منى فادللنى عليه قال اعلم منك الخضر قال اين اطلبه قال على الساحل عند الصخرة
قال يا رب كيف لى به قال تاخذ حوتا فى مكتل فحيث فقدته فهو هناك فقال لفتيه اذا فقدت
الحوت فاخبرنى فذهبا يمشيان فرقد موسى فاضطرب الحوت ووقع فى البحر فلما جاء وقت
الغداء طلب موسى الحوت فاخبره فتاه بوقوعه فى البحر فاتيا الصخرة فاذا رجل مسجى
بثوبه فسلم عليه موسى فقال وانى بارضنا السلام فعرفه نفسه فقال يا موسى فقال
وانى بارضنا السلام انا على علم علمنيه الله لا تعلمه وانت على علم علمكه الله لا اعلمه انا
فلما بلغا مجمع بينهما مجمع البحرين نسيا حوتهما اى نسى احدهما وهو يوشع لانه كان صاحب
الزاد دليله فانى نسيت الحوت وهو كقولهم نسوا زادهم وانما ينساه متعهد الزاد قيل
كانت الحوت سمكة مملوحة فنزلا ليلة على شاطئ عين الحيوة ونام موسى فلما اصاب
السمكة روح الماء وبرده عاشت ووقعت فى الماء فاتخذ سبيله فى البحر اى اتخذ طريقا
من البر الى البحر سربا نصب على المصدر اى سرب فيه سربا يعنى دخل فيه واستتر به فلما
جاوزا مجمع البحرين ثم نزلا وقد سارا ما شاء الله قال موسى لفتيه اتنا غداءنا لقد
لقينا من سفرنا هذا نصبا تعبا ولم يتعب ولا جاع قبل ذلك قال ارايت اذ اوينا الى
الصخرة هو موضع الموعد فانى نسيت الحوت ثم اعتذر فقال وما انسانيه وبضم الهاء
حفص الا الشيطان بالقاء الخواطر فى القلب ان اذكره بدل من الهاء فى انسانيه اى وما
انسانى ذكره الا الشيطان واتخذ سبيله فى البحر اتخاذا عجبا وهو ان اثره بقى الى حيث
سار قال ذلك ما كنا نبغ نطلب وبالياء مكى ووافقه ابو عمرو وعلى ومدنى فى الوصل
بغير ياء فيهما غيرهم اتباعا لخط المصحف وذلك اشارة الى اتخاذه سبيلا اى ذلك الذى
كنا نطلب لان ذهاب الحوت كان علما على لقاء الخضر فارتدا على آثارهما فرجعا فى الطريق
الذى جاءا فيه قصصا يقصان قصصا اى يتبعان آثارهما اتباعا قال الزجاج القصص اتباع

الاثر فوجدا عبدا من عبادنا هى الوحى والنبوة او العلم وطول الحيوة اى الخضر راقدا تحت
ثوب او جالسا فى البحر آتيناه رحمة من عندنا هى النبوة والوحى او العلم او طول الحيوة وعلمناه
من لدنا علما يعنى الاخبار بالغيوب وقيل العلم اللدنى ما حصل للعبد بطريق الالهام قال
له موسى هل اتبعك على ان تعلمن مما علمت رشدا اى علما ذا رشد ارشد به فى دينى رشدا
ابو عمرو وهما لغتان كالبخل والبخل وفيه دليل على انه لا ينبغى لاحد ان يترك طلب العلم وان كان
قد بلغ نهايته وان يتواضع لمن هو اعلم منه قال انك لن تستطيع معى بفتح الياء حفص وكذا ما بعده
فى هذه السورة صبرا اى عن الانكار والسؤال وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا تمييز نفى استطاعة
الصبر معه على وجه التاكيد وعلل ذلك بانه يتولى امورا هى فى ظاهرها مناكير والرجل الصالح
لا يتمالك ان يجزع اذا راى ذلك فكيف اذا كان نبيا قال ستجدنى ان شاء الله صابرا عن
الانكار والاعتراض ولا اعصى لك امرا فى محل النصب على صابرا اى ستجدنى صابرا وغير عاص
او هو عطف على ستجدنى ولا محل له قال فان اتبعتنى فلا تسالنى بفتح اللام وتشديد النون
مدنى وشامى وبسكون اللام وتخفيف النون غيرهما والياء ثابتة فيهما اجماعا عن شئ
حتى احدث لك منه ذكرا اى فمن شرط اتباعك لى اذا رايت منى شيئا وقد علمت انه صحيح
الا انه خفى عليك وجه صحته فانكرت فى نفسك ان لا تفاتحنى بالسؤال ولا تراجعنى فيه
حتى اكون انا الفاتح عليك وهذا من ادب المتعلم مع العالم والمتبوع مع التابع فانطلقا
حتى اذا ركبا فى السفينة خرقها فانطلقا على ساحل البحر يطلبان السفينة فلما ركباها قال
اهلها هما من اللصوص وقال صاحب السفينة ارى وجوه الانبياء فحملوها بغير نول فلما
لججوا اخذ الخضر الفاس فخرق السفينة بان قلع لوحين من الواحها مما يلى الماء فجعل موسى
يسد الخرق بثيابه ثم قال اخرقتها لتغرق اهلها ليغرق اهلها حمزة وعلى لقد جئت
شيئا امرا اتيت شيئا عظيما من امر الامر اذا عظم قال الم اقل انك لن تستطيع معى صبرا
فلما راى موسى ان الخرق لا يدخله الماء ولم يخرج من السفينة قال لا تؤاخذنى بما نسيت بالذى
نسيته او بشئ نسيته او بنسيانى اراد انه نسى وصيته ولا مؤاخذة على الناسى او اراد بالنسيان
الترك اى لا تؤاخذنى بما تركت من وصيتك اول مرة ولا ترهقنى من امرى عسرا رهقه اذا

وارهقه اياه اى ولا تغشنى عسرا من امرى وهو اتباعه اياه اى ولا تعسر على متابعتك ويسرها على
بالاغضاء وترك المناقشة فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما فقتله قيل ضرب براسه الحائط وقيل اضجعه
ثم ذبحه بالسكين وانما قال فقتله بالفاء وقال خرقها بغير الفاء لان خرقها جعل جزاء للشرط
وجعل قتله من جملة الشرط بعطفه عليه والجزاء قال اقتلت نفسا وانما خولف بينهما لان خرق
السفينة لم يتعقب الركوب وقد تعقب القتل لقاء الغلام زكية زاكية حجازى وابو عمرو وهى
الطاهرة من الذنوب اما لانها طاهرة عنده لانه لم يرها قد اذنبت او لانها صغيرة لم تبلغ الحنث
بغير نفس اى لم تقتل نفسا فتقتص منها وعن ابن عباس رضى ان نجدة الحرورى كتب اليه كيف جاز
قتله وقد نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن قتل الولدان فكتب اليه ان علمت من حال الولدان ما
علمه عالم موسى فلك ان تقتل لقد جئت شيئا نكرا وبضم الكاف حيث كان مدنى وابو بكر
وهو المنكر قيل النكر اقل من الامر لان قتل نفس واحدة اهون من اغراق اهل السفينة او
معناه جئت شيئا انكر من الاول لان الخرق يمكن تداركه بالسد ولا يمكن تدارك القتل
قال الم اقل لك انك لن تستطيع معى صبرا زاد لك هنا لان النكير فيه اكثر قال ان سالتك
عن شئ بعدها بعد هذه الكرة او المسالة فلا تصاحبنى قد بلغت من لدنى عذرا اعذرت
فيما بينى وبينك فى الفراق وبتخفيف النون مدنى وابو بكر فانطلقا حتى اذا اتيا
اهل قرية هى انطاكية او الابلة وهى ابعد ارض الله من السماء استطعما اهلها استضافا
فابوا ان يضيفوهما اضافه انزله وجعله ضيفه قال عليه الصلوة والسلام كانوا اهل قرية
لئاما وقيل شر القرى التى تبخل بالقرى فوجدا فيها فى القرية جدارا طوله مائة ذراع
يريد ان ينقض يكاد يسقط استعيرت الارادة للمداناة والمشارفة كما استعير الهم و
العزم لذلك فاقامه بيده او مسحه بيده فقام واستوى او نقضه وبناه كانت الحال
حال اضطرار وافتقار الى المطعم وقد لزتهما الحاجة الى آخر كسب المرء وهو المسالة فلم
يجدا مواسيا فلما اقام الجدار لم يتمالك موسى لما راى من الحرمان ومساس الحاجة ان
قال لو شئت لاتخذت عليه اجرا اى لطلبت على عملك جعلا حتى نستدفع به الضرورة
لتخذت بتخفيف التاء وكسر الخاء وادغام الذال بصرى وباظهارها مكى وبتشديد التاء

وفتح الخاء واظهار الذال حفص وبتشديد التاء وفتح الخاء وادغام الذال فى التاء غيرهم
والتاء فى تخذ اصل كما فى تبع افتعل منه كاتبع من تبع وليس من الاخذ فى شئ قال هذا فراق
بينى وبينك هذا اشارة الى السؤال الثالث اى هذا الاعتراض سبب الفراق والاصل هذا
فراق بينى وبينك وقد قرئ به فاضيف المصدر الى الظرف كما يضاف الى المفعول به سانبئك
بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا اما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر قيل كانت لعشرة
اخوة خمسة منهم زمنى وخمسة يعملون فى البحر فاردت ان اعيبها اجعلها ذات عيب وكان
وراءهم ملك امامهم او خلفهم وكان طريقهم فى رجوعهم عليه وما كان عندهم خبره
فاعلم الله به الخضر وهو جلندى ياخذ كل سفينة غصبا اى ياخذ كل سفينة صالحة لا
عيب فيها غصبا وان كانت معيبة تركها وهو مصدر او مفعول له فان قلت قوله فاردت
ان اعيبها مسبب عن خوف الغصب عليها وكان حقه ان يتاخر عن السبب قلت المراد به
التاخير وانما قدم للعناية واما الغلام وكان اسمه الحسين فكان ابواه مؤمنين فخشينا
ان يرهقهما طغيانا وكفرا فخفنا ان يغشى الوالدين المؤمنين طغيانا عليهما وكفرا لنعمتهما
بعقوقه وسوء صنيعه ويلحق بهما شرا وبلاء او يعديهما بدائه ويضلهما بضلاله فيرتدا
بسببه هو كلام الخضر وانما خشى منه ذلك لانه تعالى اعلمه بحاله واطلعه على سر امره وان كان
من قول الله عز وجل فمعنى فخشينا فعلمنا ان عاش ان يصير سببا لكفر والديه فاردنا ان
يبدلهما ربهما يبدلهما مدنى وابو عمرو خيرا منه زكوة طهارة ونقاء من الذنوب واقرب
رحما رحمة وعطفا زكوة فرحما شامى وروى انه ولدت لهما جارية تزوجها نبى فولدت نبيا
او سبعين نبيا او ابدلهما ابنا مؤمنا مثلهما رحما شامى وهما لغتان واما الجدار فكان لغلامين
اصرم وصريم يتيمين فى المدينة هى القرية المذكورة وكان تحته كنز لهما اى لوح من ذهب
مكتوب فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب
وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف
الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله او مال مدفون من ذهب
وفضة او صحف فيها علم والاول اظهر وعن قتادة احل الكنز لمن قبلنا وحرم علينا وحرمت

الغنيمة عليهم واحلت لنا وكان ابوهما صالحا قيل جدهما السابع صالحا من يصحبني وعن الحسين
بن علي رضي الله عنهما انه قال لبعض الخوارج في كلام جرى بينهما بم حفظ الله الغلامين قال
بصلاح ابيهما قال فابي وجدي خير منه فاراد ربك ان يبلغا اشدهما اي الحلم ويستخرجا كنزهما
رحمة مفعول له او مصدر منصوب باراد ربك لانه في معنى رحمهما من ربك وما فعلته
وما فعلت ما رايت من امري عن اجتهادي وانما فعلته بامر الله والهاء يعود الى الكل
او الى الجدار ذلك اي الاجوبة الثلثة تاويل ما لم تسطع عليه صبرا بحذف التاء تخفيفا وقد زل اقدام اقوام من الضلال في تفضيل الولي على النبي وهو كفر جلي حيث امر موسى
بالتعلم من الخضر وهو ولي والجواب ان الخضر قالوا كان نبيا وان لم يكن كما زعم البعض فهذا
ابتلاء في حق موسى عليه السلام على ان اهل الكتاب يقولون ان موسى هذا ليس موسى بن
عمران انما هو موسى بن ماهان ومن المحال ان يكون الولي وليا الا بايمانه بالنبي ثم يكون النبي
دون الولي ولا غضاضة في طلب موسى العلم لان الزيادة في العلم مطلوبة وانما ذكر اولا فاردت
لانه افساد في الظاهر وهو فعله وثالثا فاراد ربك لانه انعام محض وغير مقدور البشر
وثانيا فاردنا لانه افساد من حيث القتل واحسان من حيث التبديل وقال الزجاج معنى
فاردنا فاراد الله عز وجل ومثله في القران كثير ويسالونك اي اليهود على جهة الامتحان
او ابو جهل واشياعه عن ذي القرنين هو الاسكندر الذي ملك الدنيا وقيل ملكها
مومنان ذو القرنين وسليمان وكافران نمرود وبخت نصر وكان بعد نمرود فقيل كان
عبدا صالحا ملكه الله الارض واعطاه العلم والحكمة وسخر له النور والظلمة فان سرى
يهديه النور من امامه وتحوطه الظلمة من ورائه وقيل كان نبيا وقيل ملكا من الملائكة وعن
علي رضي الله عنه انه قال ليس بملك ولا نبي ولكن كان عبدا صالحا ضرب على قرنه الايمن
في طاعة الله فمات ثم بعثه الله فضرب على قرنه الايسر فمات فبعثه الله فسمي ذا القرنين
وفيكم مثله اراد نفسه قيل كان يدعوهم الى التوحيد فيقتلونه فيحييه الله وقال عليه السلام
سمي ذا القرنين لانه طاف قرني الدنيا يعني جانبيها شرقها وغربها وقيل كان له قرنان اي
ضفيرتان او انقرض في وقته قرنان من الناس او لانه ملك الروم وفارس او الروم والترك

ما ثان

قيل م

اوكان لتاجه قرنان او لانه ملك الروم وفارس او الروم وعلى راسه ما يشبه القرنين
او كان كريم الطرفين ابا واما وكان من الروم قل ساتلو عليكم منه ذكرا من ذي القرنين
ذكرا انا مكنا له في الارض جعلنا له فيها مكانة واستيلاء واتيناه من كل شيء اراده من اغراضه
ومقاصده في ملكه سببا طريقا موصلا اليه فاتبع سببا والسبب ما يتوصل به الى المقصود
من علم او قدرة فاراد بلوغ المغرب فاتبع سببا يوصله اليه حتى بلغ وكذلك اراد المشرق
فاتبع سببا واراد بلوغ السدين فاتبع سببا ثم اتبع كوفي وشامي الباقون بوصل الالف و
تشديد التاء وعن الاصمعي اتبع لحق واتبع اقتفى وان لم يلحق حتى اذا بلغ مغرب الشمس
منتهى العمارة نحو المغرب وكذا المطلع قال عليه الصلوة والسلام بدء امره انه وجد في الكتب
ان احدا من ولد سام بن نوح على نبينا وعليه الصلوة والسلام يشرب من عين الحيوة
فيخلد فجعل يسير في طلبها والخضر وزيره وابن خالته فظفر فشرب ولم يظفر ذو القرنين وجدها
تغرب في عين حمئة ذات حماة من حمئت البير اذا صارت فيها الحماة حامية شامي
وكوفي غير حفص بمعنى حارة وعن ابي ذر كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم
على جمل فراى الشمس حين غابت فقال اتدري يا ابا ذر اين تغرب هذه قلت الله ورسوله
اعلم قال فانها تغرب في عين حمئة وكان ابن عباس عند معاوية فقرا معاوية حامية
فقال ابن عباس حمئة فقال معاوية لعبد الله بن عمرو كيف تقرا قال كما يقرا امير المومنين
ثم وجه الى كعب الاحبار كيف تجد الشمس تغرب قال في ماء وطين كذلك نجده في التورية
فوافق قول ابن عباس ولا تنافي فجاز ان تكون العين جامعة للوصفين جميعا ووجد عندها
عند تلك العين قوما عراة من الثياب لباسهم جلود الصيد وطعامهم ما لفظ البحر
كانوا كفارا قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب واما ان تتخذ فيهم حسنا ان كان نبيا فقد
اوحى الله اليه بهذا والا فقد اوحى الى نبي فامره النبي به او كان الهاما خيره بين ان يعذبهم
بالقتل ان اصروا على امرهم وبين ان يتخذ فيهم حسنا باكرامهم وتعليم الشرائع ان امنوا
او التعذيب بالقتل واتخاذ الحسن الاسر لانه بالنظر الى القتل احسان قال اي ذو القرنين
اما من ظلم فسوف نعذبه بالقتل ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا في القيمة اما من دعوته

حامية

الى الاسلام فابى الا البقاء على الظلم العظيم وهو الشرك فذلك هو المعذب فى الدارين
واما من امن وعمل صالحا اى عمل ما يقتضيه الايمان فله جزاء الحسنى فله جزاء الفعلة
الحسنى التى هى كلمة الشهادة جزاء كوفى غير ابى بكر اى فله فعلة الحسنى جزاء وسنقول
له من امرنا يسرا اى ذا يسر اى لا نامره بالصعب الشاق ولكن بالسهل المتيسر من الزكوة
والخراج وغير ذلك ثم اتبع سببا حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم
هم الزنج لم نجعل لهم من دونها من دون الشمس سترا اى ابنية عن كعب ارضهم لا
تمسك الابنية فيها اسراب فاذا طلعت الشمس دخلوها فاذا ارتفع الشمس خرجوا الى
معاشهم او الستر اللباس عن مجاهد من لا يلبس الثياب من السودان عند مطلع الشمس
اكثر من جميع اهل الارض كذلك اى امر ذى القرنين كذلك اى كما وصفناه تعظيما لامره
وقد احطنا بما لديه من الجنود والآيات واسباب الملك خبرا نصب على المصدر لان فى
احطنا معنى خبرنا او بلغ مطلع الشمس مثل ذلك اى كما بلغ مغربها او تطلع على قوم مثل
ذلك القبيل الذى تغرب عليهم يعنى انهم كفرة مثلهم وحكمهم مثل حكمهم فى تعذيبه لمن بقى
منهم على الكفر واحسانه الى من آمن منهم ثم اتبع سببا حتى اذا بلغ بين السدين بين الجبلين
وهما جبلان سد ذو القرنين ما بينهما السدين وسدا مكى وابو عمرو وحفص والسدين
وسدا حمزة وعلى بضمهما غيرهم وقيل ما كان مسدودا خلقة فهو مضموم وما كان
من عمل العباد فهو مفتوح وانتصب بين على انه مفعول به ببلغ كما انجر بالاضافة فى هذا
فراق بينى وبينك وكما ارتفع فى تقطع بينكم لانه من الظروف التى تستعمل اسماء وظروفا
وهذا المكان فى منقطع ارض الترك مما يلى المشرق وجد من دونهما من ورائهما قوما هم
الترك لا يكادون يفقهون قولا لا يكادون يفقهونه الا بجهد ومشقة من اشارة ونحوها
يفقهون حمزة وعلى اى لا يفهمون السامع كلامهم ولا يبينونه لان لغتهم غريبة مجهولة
قالوا يا ذا القرنين ان ياجوج وماجوج هما اسمان اعجميان بدليل منع الصرف وهمزهما
عاصم فقط وهما من ولد يافث او ياجوج من الترك وماجوج من الجيل والديلم مفسدون
فى الارض قيل كانوا ياكلون الناس وقيل كانوا يخرجون ايام الربيع فلا يتركون شيئا اخضر

الا اكلوه ولا يابسا الا احتملوه ولا يموت احدهم حتى ينظر الى الف ذكر من صلبه كلهم قد
حمل السلاح وقيل هم على صنفين طوال مفرطوا الطول وقصار مفرطوا القصر فهل نجعل
لك خرجا خراجا حمزة وعلى اى جعلا نخرجه من اموالنا ونظيرهما النول والنوال على ان
تجعل بيننا وبينهم سدا قال ما مكنى بالادغام وبفكه مكى فيه ربى خير اى ما جعلنى فيه
مكينا من كثرة المال واليسار خير مما تبذلون لى من الخراج فلا حاجة لى اليه فاعينونى بقوة
بفعلة وصناع يحسنون البناء والعمل والالات اجعل بينكم وبينهم ردما جدارا وحاجزا
حصينا موثقا والردم اكبر من السد اتونى زبر الحديد قطع الحديد والزبرة القطعة الكبيرة
قيل حفر للاساس حتى بلغ الماء وجعل الاساس من الصخرة والنحاس المذاب والبنيان
من زبر الحديد بينها الحطب والفحم حتى سد ما بين الجبلين الى اعلاهما ثم وضع المنافخ
حتى اذا صارت كالنار صب النحاس المذاب على الحديد المحمى فاختلط والتصق بعضه
ببعض وصار جبلا صلدا وقيل بعد ما بين السدين مائة فرسخ حتى اذا ساوى
بين الصدفين بفتحتين جانبى الجبلين لانهما يتصادفان اى يتقابلان الصدفين مكى وبصرى
وشامى الصدفين ابو بكر قال ابو بكر قال انفخوا اى قال ذو القرنين للعملة انفخوا فى الحديد حتى
اذا جعله اى المنفوخ فيه وهو الحديد نارا كالنار قال اتونى اعطونى افرغ اصب عليه قطرا
نحاسا مذابا لانه يقطر وهو منصوب بافرغ وتقديره اتونى قطرا افرغ عليه قطرا فحذف
الاول لدلالة الثانى عليه قال ايتونى بوصل الالف حمزة واذا ابتدأ كسر الالف اى جيئونى فما
اسطاعوا بحذف التاء للخفة لان التاء قريبة المخرج من الطاء ان يظهروه ان يعلوا السد وما
استطاعوا له نقبا اى لا حيلة لهم فيه من صعود لارتفاعه ولا نقب لصلابته قال هذا رحمة من
ربى اى هذا السد نعمة من الله ورحمة على عباده او هذا الاقدار والتمكين من تسويته فاذا
جاء وعد ربى فاذا دنى مجئ يوم القيمة وشارف ان ياتى جعله اى السد دكا اى مدكوكا
مبسوطا مستويا بالارض وكل ما انبسط بعد ارتفاع فقد اندك دكاء كوفى اى ارضا مستوية
وكان وعد ربى حقا آخر قول ذى القرنين وتركنا وجعلنا بعضهم بعض الخلق يومئذ يموج
يختلط فى بعض اى يضربون ويختلطون انسهم وجنهم حيارى ويجوز ان يكون الضمير لياجوج

انهم يموج حين يخرجون فما وراء السد مزدحين فى البلاد وروى انهم ياتون البحر فيشربون
ماءه ويأكلون دوابه ثم يأكلون الشجر ومن ظفروا به من الناس ولا يقدرون ان ياتوا مكة
والمدينة وبيت المقدس ثم يبعث الله نغفا فى اقفائهم فيدخل اذانهم فيموتون ونفخ
فى الصور لقيام الساعة فجمعناهم اى جميع الخلايق للثواب والعقاب جمعا وعرضنا جهنم
يومئذ للكافرين عرضا اى واظهرناها لهم فراوها وشاهدوها الذين كانت اعينهم فى
غطاء عن ذكرى عن اياتى ينظر اليها فاذكر بالتعظيم او عن القرآن وتامل معانيه وكانوا
لا يستطيعون سمعا اى وكانوا اصما عنه الا انه ابلغ اذ الاصم قد يستطيع السمع اذا يصح به و
هولاء كانهم اصمت اسماعهم فلا استطاعة بهم للسمع افحسب الذين كفروا ان يتخذوا عبادى
من دونى اولياء اى افظن الكفار اتخاذهم عبادى يعنى الملايكة وعيسى عليه السلام اولياء
نافعهم بيئس ما ظنوا وقيل انه بصلتها سد مسد مفعولى افحسب وعبادى واولياء
مفعولا ان يتخذوا هذا اوجه يعنى انهم لا يكون لهم اولياء انا اعتدنا جهنم للكافرين
نزلا هو ما يقام للنزيل وهو الضيف ونحوه فبشرهم بعذاب اليم قل هل ننبئكم بالاخسرين
اعمالا تميز وانما جمع والقياس ان يكون مفردا لتنوع الا هولاء وهم اهل الكتاب
او الرهبان الذين ضل سعيهم ضاع وبطل وهو فى محل الرفع اى هم الذين فى الحيوة
الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا اولئك الذين كفروا بايات ربهم ولقائه فحبطت
اعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا فلا يكون لهم عندنا وزن ومقدار ذلك جزاؤهم جهنم
وهى عطف بيان لجزاؤهم بما كفروا واتخذوا اياتى ورسلى هزوا اى جزاؤهم جهنم بكفرهم
واستهزائهم بايات الله ورسله ان الذين امنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات
الفردوس نزلا خالدين فيها لا يبغون عنها حولا تحولا الى غيرها رضى بما اعطوا يقال
حال من مكانه حولا اى لا مزيد عليها حتى تنازعتهم انفسهم الى اجمع لاغراضهم وامانيهم و هذه
غاية الوصف لان الانسان فى الدنيا فى اى نعيم كان فهو طامح الى ارفع منه او المراد نفى التحول
وتاكيد الخلود قل لو كان البحر اى ماء البحر مدادا لكلمات ربى قال ابن عيينة للمداد ما يكتب به
اى لو كتب كلمات علم الله وحكمته وكان البحر مدادا لها والمراد بالبحر الجنس لنفد البحر قبل ان

تنفد

تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله اى بمثل البحر مددا لنفد ايضا والكلمات غير نافذة ومددا
تمييز نحو لى مثله رجلا والمدد مثل المداد فهو ما يمد به ينفد حمزة وعلى قال حيى بن اخطب
فى كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا ثم تقرؤن وما اوتيتم من العلم الا قليلا
فنزلت يعنى ان ذلك خير كثير ولكنه قطرة من بحر كلمات الله قل انما انا بشر مثلكم يوحى
الى انما الهكم اله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فمن كان يامل حسن لقاء ربه وان يلقاه
لقاء رضى وقبول او فمن كان يخاف سوء لقاء ربه والمراد باللقاء القدوم عليه وقيل
رؤيته كما هو حقيقة اللفظ والرجاء على هذا مجرى على حقيقته فليعمل عملا صالحا خالصا
لا يريد به الا وجه ربه ولا يخلط به غيره وعن يحيى بن معاذ هو ما لا يستحيى منه ولا يشرك
بعبادة ربه احدا هو نهى عن الشرك وعن الرياء قال عليه الصلوة والسلام اتقوا الشرك
الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال الرياء وقال عليه الصلوة والسلام من قرأ سورة
الكهف فهو معصوم ثمانية ايام من كل فتنة تكون فيها فان خرج الدجال فى تلك الثمانية
عصمه الله من فتنة الدجال وعنه عليه الصلوة والسلام من قرأ قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى
الى آخرها عند مضجعه كان له نور يتلألأ من مضجعه الى مكة وحشو ذلك النور ملايكة
يصلون عليه حتى يقوم من مضجعه وان كان مضجعه بمكة فتلاها كان له نور يتلألأ
من مضجعه الى بيت المعمور وحشو ذلك النور ملايكة يصلون عليه ويستغفرون له
حتى يستيقظ

سورة مريم عليها السلام مكية وهى ثمان او تسع وتسعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم كهيعص قال السدى
هو اسم الله الاعظم وقيل هو اسم للسورة قرأ على ويحيى بكسر الهاء والياء ونافع بين
الفتح والكسر والى الفتح اقرب وابو عمرو بكسر الهاء وفتح الياء وحمزة بعكسه وغيرهم
بفتحهما ذكر رحمة ربك خبر مبتدا اى هذا ذكر عبده مفعول الرحمة زكريا بالقصر حمزة وعلى
وحفص بدل من عبده اذ ظرف للرحمة نادى ربه نداء خفيا دعاه دعاء سرا كما هو المامور به
وهو ابعد من الرياء واقرب الى الصفا او اخفاه لئلا يلام على طلب الولد فى اوان الكبر
لانه كان ابن خمس وسبعين او ثمانى سنة قال رب هذا تفسير الدعاء واصله يا ربى فحذف حرف

النداء والمضاف اليه اختصارا انى وهن العظم منى ضعف وخص العظم لانه عمود البدن وبه
قوامه فاذا وهن تداعى وتساقطت قوته ولانه اشد ما فيه واصلبه فاذا وهن كان ماوراءه
اوهن ووحده لان الواحد هو الدال على معنى الجنسية والمراد ان هذا الجنس الذى هو العمود
والقوام واشد ما تركب منه الجسد قد اصابه الوهن واشتعل الراس شيبا تمييز اى فشا فى
راسى الشيب واشتعل النار اذا تفرقت فى التهابها وصارت شعلا فشبه الشيب بشواظ
النار فى بياضه وانتشاره فى الشعر واخذه منه كل ماخذ باشتعال النار ولا ترى كلاما
افصح من هذا الا ترى ان اصل الكلام يا ربى قد شخت اذ الشيخوخة تشتمل على ضعف البدن
وشيب الراس المتعرض لهما واقوى منه ضعف بدنى وشاب راسى ففيه مزيد التقرير للتفصيل
واقوى منه وهنت عظام بدنى ففيه عدول عن التصريح الى الكناية فهى ابلغ منه واقوى منه
انى وهنت عظام بدنى واقوى منه انى وهنت العظام من بدنى ففيه سلوك طريقى الاجمال
والتفصيل واقوى منه انى وهن العظام منى ففيه ترك توسيط البدن واقوى منه انى وهن
العظم منى لشمول الوهن العظام فردا فردا باعتبار ترك جمع العظام الى الافراد لصحة حصول
وهن المجموع بالبعض دون كل فرد فرد وهكذا تركت الحقيقة فى شاب راسى شيبا الاسناد
الاشتعال شيب راسى الى ابلغ وهى الاستعارة فحصل اشتعل شيب راسى وابلغ منه اشتعل
راسى شيبا لاسناد الاشتعال الى مكان الشعر ومنبته وهو الراس لافادة شمول الاشتعال
الراس اذ وزان اشتعل شيب راسى واشتعل راسى شيبا وزان اشتعل النار فى بيتى واشتعل
بيتى نارا والفرق نير ولان فيه الاجمال والتفصيل كما عرف فى طريقى التمييز وابلغ منه واشتعل
الراس منى شيبا لما مر وابلغ منه واشتعل الراس شيبا ففيه اكتفاء بعلم المخاطب انه راس زكريا
بقرينة العطف على وهن العظم منى ولم اكن بدعائك مصدر مضاف الى المفعول اى بدعائى
اياك رب شقيا اى كنت مستجاب الدعوة قبل اليوم سعيدا به غير شقى فيه يقال سعد فلان
بحاجته اذا ظفر بها وشقى اذا خاب ولم ينلها وعن بعضهم ان محتاجا سال وقال انا الذى
احسنت الى وقت كذا فقال مرحبا بمن توسل بنا الينا وقت حاجة وانى خفت الموالى هم عصبته
اخوته وبنو عمه وكانوا شرار بنى اسرائيل فخافهم ان يغيروا الدين وان لا يحسنوا الخلافة على امته

فطلب

فطلب عقبا صالحا من صلبه يقتدى به فى احياء الدين من وراءى بعد موتى وبالقصر وفتح
الياء كهداى مكى وهذا الظرف لا يتعلق بخفت لان وجود خوفه بعد موته لا يتصور ولكن
بمحذوف او بمعنى الولاية فى الموالى اى خفت فعل الموالى وهو تبديلهم وسوء خلافتهم من ورائى
او خفت الذين يلون الامر من ورائى وكانت امراتى عاقرا عقيما لا تلد فهب لى من لدنك اختراعا
منك بلا سبب لانى وامراتى لا تصلح للاولاد وليا ابنا يلى امرك بعدى يرثنى ويرث برفعهما
صفة لوليا اى هب لى ولدا وارثا منى العلم ومن ال يعقوب النبوة ومعنى وراثة النبوة انه
يصلح لان يوحى اليه ولم يرد ان نفس النبوة تورث وبجزمهما ابو عمرو وعلى على انه جواب الدعاء
يقال ورثته وورثت منه من ال يعقوب بن اسحاق واجعله رب رضيا مرضيا ترضاه او
راضيا عنك وبحكمك فاجاب الله دعاءه وقال يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى تولى
الله تعالى تسميته تشريفا له نبشرك بالتخفيف حمزة لم نجعل له من قبل سميا اى لم يسم وبيحيى
قبله وهذا دليل على ان الاسم الغريب جدير بالاثرة وقيل مثلا وشبيها ولم يكن له مثل فى
انه لم يعص ولم يهم بمعصية قط وانه ولد بين شيخ وعجوز وانه كان حصورا فلما بشرته
الملائكة قال رب انى يكون لى غلام وليس هذا باستبعاد بل هو استكشاف انه باى طريق
يكون اتوهبه له وهو وامراته بتلك الحال ام يحولان شابين وكانت امراتى عاقرا وقد
بلغت من الكبر عتيا اى بلغت عتيا وهو اليبس والجساوة فى المفاصل والعظام كالعود اليابس
من اجل الكبر والطعن فى السن العالية عتيا وصليا وجثيا وبكيا بكسر الاول حمزة وعلى
وحفص الا فى بكيا قال كذلك الكاف رفع اى الامر كذلك تصديق له ثم ابتدا قال
ربك او نصب بقال وذلك اشارة الى مبهم يفسره هو على هين اى خلق يحيى كبرين
سهل وقد خلقتك من قبل اوجدتك من قبل يحيى خلقناك حمزة وعلى ولم تك شيئا
لان المعدوم ليس بشئ قال رب اجعل لى اية علامة اعرف بها حبل امراتى قال ايتك
الا تكلم الناس ثلث ليال سويا حال من ضمير تكلم اى حال كونك سوى الاعضاء واللسان
يعنى علامتك ان تمنع الكلام فلا تطيقه وانت سليم الجوارح ما بك خرس ولا بكم ودل
ذكر الليالى هنا والايام فى ال عمران على ان المنع من الكلام استمر به ثلاثة ايام ولياليهن اذ ذكر الايام

يتناول بازايها من الايام هو فخرج على قومه من المحراب من موضع صلوته وكانوا
ينظرونه ولم يقدر ان يتكلم فاوحى اليهم اشار باصبعه ان سبحوا صلوا ان هى للمفسرة بكرة
وعشيا صلوة الفجر والعصر يا يحيى اى وهبنا له يحيى وقلنا له بعد ولادته او ان الخطاب
خذ الكتاب التورية بقوة حال اى بجد واستظهار بالتوفيق والتائيد واتيناه الحكم وهو
فهم التورية والفقه فى الدين صبيا قيل دعاه الصبيان الى اللعب وهو صبى فقال ما للعب
خلقنا وحنانا شفقة ورحمة لابويه وغيرهما عطف على الحكم من لدنا من عندنا وزكوة طهارة
وصلاحا فلم يعمل بذنب وكان تقيا مسلما مطيعا وبرا بوالديه وبارا بهما لا يعصيهما ولم
يكن جبارا متكبرا عصيا عاصيا لربه وسلام عليه امان من الله له يوم ولد من ان يناله الشيطان
ويوم يموت من فتان القبر ويوم يبعث حيا من الفزع الاكبر قال ابن عيينة انها اوحش
المواطن واذكر يا محمد فى الكتاب القران مريم اى اقرا عليهم فى القران قصة مريم ليقفوا
عليها ويعلموا ما جرى عليها اذ بدل من مريم بدل اشتمال اذ الاحيان مشتملة على ما فيها
وفيه ان المقصود بذكر مريم ذكر وقتها هذا الوقوع هذه القصة العجيبة فيه انتبذت
من اهلها اعتزلت مكانا ظرف شرقيا اى تخلت للعبادة فى مكان مما يلى شرقى بيت المقدس
او من دارها معتزلة عن الناس وقيل قعدت فى مشرقة للاغتسال من الحيض فاتخذت
من دونهم حجابا جعلت من بينها وبين اهلها حجابا يسترها المغتسل وراء فارسلنا اليها
روحنا اى جبرئيل عليه السلام والاضافة للتشريف وانما سمى روحا لان الدين يحيى به
وبوحيه فتمثل لها بشرا اى تمثل لها جبرئيل فى صورة آدمى شاب امرد وضئ الوجه جعد
الشعر سويا مستوى الخلق وانما مثل لها فى صورة الانسان لتستانس بكلامه ولا تنفر عنه
ولو بدا لها فى صورة الملايكة لنفرت عنه ولم تقدر على استماع كلامه قالت انى اعوذ
بالرحمن منك ان كنت تقيا اى ان كان يرجى منك ان تتقى الله فانى عايذة به منك قال
جبرئيل انما انا رسول ربك امنها مما خافت واخبر انه ليس بادمى تخاف بل هو رسول من
استعانت به لاهب لك باذن الله تعالى او لان اكون سببا فى هبة الغلام بالنفخ فى الدرع
ليهب لك اى الله ابو عمرو ونافع غلاما زكيا طاهرا من الذنوب او ناميا على الخير والبركة قالت

حالم

تطلب

انى يكون لى غلام ابن ولم يمسسنى بشر زوج بالنكاح ولم اك بغيا فاجرة تبغى الرجال اى
تطلب الشهوة من اى رجل كان ولا يكون الولد عادة الا من احد هذين والبغى فعول عند
المبرد اصله بغوى فقلبت الواو ياء وادغمت وكسرت الغين اتباعا ولذا لم تلحق تاء التانيث
كما لم يلحق فى امراة صبور وشكور وعند غيره هى فعيل ولم يلحقها الهاء لانها بمعنى مفعولة
وان كانت بمعنى فاعلة فهو قد يشبه به مثل ان رحمة الله قريب من المحسنين قال جبرئيل
كذلك الامر كما قلت لم يمسسك رجل نكاحا او سفاحا قال ربك هو على هين اى اعطاء
الولد بلا اب على سهل ولنجعله تعليل مقدر محذوف اى ولنجعله اية للناس فعلنا ذلك
او هو معطوف على تعليل مضمر اى لنبين به قدرتنا ولنجعله اية اى عبرة وبرهانا على قدرتنا
ورحمة منا لمن امن به وكان خلق عيسى امرا مقضيا مقدرا مسطورا فى اللوح فلما اطمانت
الى قوله دنى منها فنفخ فى جيب درعها فوصلت النفخة الى بطنها فحملته اى الموهوب و
كان سنها ثلث عشرة سنة او عشرا او عشرين فانتبذت به اعتزلت وهو فى بطنها والجار
والمجرور فى موضع الحال عن ابن عباس رضه كانت مدة الحمل ساعة واحدة كما حملته ولدته
وقيل ستة اشهر وقيل سبعة اشهر وقيل ثمانية اشهر ولم يعش مولود وضع لثمانية الا عيسى
وقيل حملته فى ساعة وصور فى ساعة ووضعته فى ساعة مكانا قصيا بعيدا من اهلها من
وراء الجبل وذلك لانها لما احست بالحمل هربت من قومها مخافة اللائمة فاجاءها
جاء بها وقيل الجاها وهو منقول من جاء الا ان استعماله قد تغير بعد النقل الى معنى
الالجاء الا تراك لا تقول جئت المكان واجاءنيه زيد المخاض وجع الولادة الى جذع النخلة
اصلها وكانت يابسة وكان الوقت شتاء وتعريفها مشعر بانها كانت نخلة معروفة وجاز
ان يكون التعريف للجنس اى جنس جذع هذه الشجرة كانه تعالى ارشدها الى النخلة ليطعمها
منها الرطب لانها خرسة النفساء اى طعامها ثم قالت جزعا مما اصابها يا ليتنى مت قبل هذا
اليوم مدنى وكوفى غير ابى بكر بكسر وغيرهم بالضم يقال مات يموت ومات يمات وكنت
نسيا منسيا شيئا متروكا لا يعرف ولا يذكر بفتح النون حمزة وحفص وبالكسر غيرهما ومعناهما
واحد وهو الشئ الذى حقه ان يطرح وينسى لحقارته فناديها من تحتها اى الذى تحتها

فمن فاعل وهو جبرئيل عليه السلام لانه كان بمكان منخفض عنها او عيسى عليه السلام لانه خاطبها
من تحت ذيلها من تحتها مدنى وكوفى سوى ابى بكر والفاعل مضمر وهو عيسى عليه السلام او
جبرئيل والهاء فى تحتها للنخلة ولشدة ما لقيت سليت بقوله ان لا تحزنى اى لا تهتمى بالوحدة
وعدم الطعام والشراب ومقالة الناس وان بمعنى اى قد جعل ربك تحتك بقربك
او تحت امرك ان امرته ان يجرى جرى وان امرته ان يقف وقف سريا نهرا صغيرا عند
الجمهور وسئل النبى صلى الله عليه وسلم فقال هو الجدول وعن الحسن سيدا كريما يعنى عيسى
عليه السلام وروى ان خالد بن صفوان قال له ان العرب تسمى الجدول سريا فقال الحسن
صدقت ورجع الى قوله وقال ابن عباس رضى الله عنهما ضرب عيسى عليه السلام او جبرئيل
بعقبه الارض فظهرت عين ماء عذب فجرى النهر اليابس فاخضر النخلة واثمرت واينعت
ثمرتها فقيل لها وهزى وحركى اليك الى نفسك بجذع النخلة قال ابو على الباء زائدة اى هزى
جذع النخلة تساقط عليك بادغام التاء الثانية فى السين مكى ومدنى وشامى وابو عمرو و
على وابو بكر وتتساقط باظهار التائين وتساقط بفتح التاء والقاف وبطرح التاء الثانية
وتخفيف السين حمزة ويساقط بفتح الياء والقاف وتشديد السين يعقوب وسهل
وحماد ونصير وتساقط حفص من المفاعلة وتسقط وتُسقط ويسقط ويُسقط التاء للنخلة
والياء للجذع فهى تسع قراءات رطبا تمييز او مفعول به على حسب القراءة جنيا طريا وقالوا التمر
للنفساء عادة من ذلك الوقت وقيل ما للنفساء خير من الرطب ولا للمريض من العسل فكلى
من الجنى واشربى من السرى وقرى عينا بالولد المرضى وعينا تمييز اى طيبى نفسا بعيسى عليه السلام
وارفضى عنك ما احزنك فاما اصله ان ما فضمت ان الشرطية الى ما وادغمت فيها ترين
من البشر احدا فقولى انى نذرت للرحمن صوما اى فان رايت ادميا يسالك عن حالك
فقولى له انى نذرت للرحمن صوما وامساكا عن الكلام كما يصومون عن الاكل والشرب وقيل
صياما حقيقة وكان صومهم فيه الصمت فكان التزامه التزامه وقد نهى رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن صوم الصمت فصار ذلك منسوخا فينا وانما امرت ان تنذر السكوت لان عيسى عم
يكفيها الكلام بما يبرئ به ساحتها ولئلا تجادل السفهاء وفيه ان السكوت عن السفيه واجب

وما قدح سفيه بمثل الاعراض ولا اطلق عنانه بمثل العراض وانما اخبرتهم بانها نذرت الصوم
بالاشارة وقد تسمى الاشارة كلاما وقولا الا ترى الى قول الشاعر فى وصف القبور وتكلمت
عن اوجه تبلى وقيل كان وجوب الصمت بعد هذا الكلام وسوغ لها هذا القدر بالنطق
فلن اكلم اليوم انسيا ادميا فاتت به بعيسى عليه السلام قومها بعدما طهرت من نفاسها
تحمله حال منها اى اقبلت نحوهم حاملة اياه فلما راوه معها قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا
بديعا عجيبا والفرى القطع كانه تقطع العادة يا اخت هرون وكان اخاها من ابيها وكان
من افضل بنى اسرائيل وقيل هو اخو موسى عليه السلام وكانت من اعقابه وبينهما الف سنة
وهذا كما يقال يا اخا همدان اى يا واحدا منهم او رجل صالح منهم او طالح فى زمانها شبهوها
فى الصلاح او شتموها به فى الطلاح ما كان ابوك عمران امرا سوء زانيا وما كانت امك
حنة بغيا زانية فاشارت اليه الى عيسى ان يجيبهم وذلك ان عيسى عليه السلام قال لها
لا تحزنى واحيلى بالجواب على وقيل امرها جبرئيل بذلك ولما اشارت اليه غضبوا وتعجبوا
قالوا كيف نكلم من كان حدث ووجد فى المهد المعهود صبيا حال قال انى عبد الله ولما
بامر الله تعالى لسانها الناطق انطق الله تعالى لها اللسان الساكت حتى اعترف بالعبودية
وهو ابن اربعين ليلة او ابن يوم روى انه اشار بسبابته وقال بصوت رفيع انى عبد الله
وفيه رد لقول النصارى اتانى الكتاب الانجيل وجعلنى نبيا عن الحسن كان فى المهد نبيا و
كلامه معجزته وقيل معناه ان ذلك سبق فى قضائه او جعل الاتى لا محالة كانه وجد وجعلنى
مباركا اينما كنت نفاعا حيث كنت او معلما للخير واوصانى وامرنى بالصلوة والزكوة ان
ملكت مالا وقيل صدقة الفطر او تطهير البدن ويحتمل واوصانى بان امركم بالصلوة و
الزكوة ما دمت حيا نصب على الظرف اى مدة حيوتى وبرا بوالدتى عطفا على مباركا اى
بارا بها اكرمها واعظمها ولم يجعلنى جبارا متكبرا شقيا عاقا والسلام على يوم ولدت يوم
ظرف والعامل فيه الخبر وهو على ويوم اموت ويوم ابعث حيا اى ذلك السلام الموجه
الى يحيى فى المواطن الثلثة موجه الى ان كان حرف التعريف للعهد وان كان للجنس فالمعنى
وجنس السلام على وفيه تعريض باللعنة على اعداء مريم وابنها لانه اذا قال وجنس السلام

على فقد تعرض بان ضده عليكم اذ المقام مقام مناكرة وعناد فكان مئنة بمثل هذا التعريض ذلك
مبتداء عيسى خبره ابن مريم نعته او خبر ثان اى ذلك الذى قال انى عبد الله كذا وكذا عيسى
ابن مريم لا كما قالت النصارى انه اله او ابن الله قول الحق كلمة الله فالقول الكلمة والحق الله وقيل
له كلمة الله لانه ولد بقوله كن بلا واسطة اب وارتفاعه على انه خبر بعد خبر او خبر مبتداء محذوف
او بدل ونصبه شامى وعاصم على المدح او على المصدر اى اقول قول الحق وهو ابن مريم وليس باله
كما تدعون الذى فيه يمترون يشكون من المرية وهو الشك او يختلفون من المراء فقالت اليهود
ساحر كذاب وقالت النصارى ابن الله وثالث ثلثة ما كان لله ما ينبغى له ان يتخذ من
ولد جئ بمن لتاكيد النفى سبحانه نزه ذاته عن اتخاذ الولد اذا قضى امرا فانما يقول له كن
فيكون بالنصب شامى اى كما قال لعيسى كن فكان من غير اب ومن كان متصفا بهذا كان منزها
ان يشبه الحيوان الوالد وان الله ربى وربكم فاعبدوه بالكسر شامى وكوفى على الابتداء
وهو من كلام عيسى عليه السلام يعنى كما انا عبده فانتم عبيده فعلى وعليكم ان نعبده ومن فتح
عطف على بالصلوة اى اوصانى بالصلوة وبالزكوة وبان الله ربى وربكم او علقه بما بعده اى
ولان الله ربى وربكم فاعبدوه هذا الذى ذكرته صراط مستقيم فاعبدوه ولا تشركوا به شيئا
فاختلف الاحزاب الحزب الفرقة المنفردة برايها عن غيرها وهم ثلث فرق نسطورية
ويعقوبية وملكائية من بينهم من بين اصحاب عيسى عليه السلام ومن بين قومه او من بين
الناس وذلك ان النصارى اختلفوا فى عيسى عليه السلام حين رفع ثم اتفقوا على ان يرجعوا
الى قول ثلثة كانوا عندهم اعلم اهل زمانهم وهم يعقوب ونسطور وملكاء فقال يعقوب
هو الله هبط الى الارض ثم صعد الى السماء وقال نسطور كان ابن الله اظهره ما شاء ثم رفعه
اليه وقال الثالث كذبوا كان عبدا مخلوقا نبيا فتبع كل واحد منهم قوم فويل للذين كفروا
من الاحزاب اذ الواحد منهم على الحق من مشهد يوم عظيم هو يوم القيمة اى من شهودهم
هول الحساب والجزاء فى يوم القيمة او مكان الشهود فيه وهو الموقف او من وقت الشهود
او من شهادة ذلك اليوم عليهم وان تشهد عليهم الملائكة والانبياء وجوارحهم بالكفر او مكان
الشهادة او وقتها او المراد يوم اجتماعهم للتشاور فيه وجعلهم عظيما لفظاعة ما شهدوا به

فى عيسى عليه السلام اسمع بهم وابصر يوم ياتوننا الجمهور على ان لفظه امر ومعناه التعجب والله
تعالى لا يوصف بالتعجب ولكن المراد ان اسماعهم وابصارهم جدير بان يتعجب منهما بعد
ما كانوا صما وعميا فى الدنيا قال قتادة ان عموا وصموا عن الحق فى الدنيا فما اسمعهم وما ابصرهم
بالهدى يوم لا ينفعهم وبهم مرفوع المحل على الفاعلية كاكرم بزيد فمعناه كرم زيد جدا لكن
الظالمون اليوم اقيم الظاهر مقام الضمير اى لكنهم اليوم فى الدنيا بظلمهم انفسهم حيث تركوا
الاستماع والنظر حين يجدى عليهم ووضعوا العبادة فى غير موضعها فى ضلال عن الحق مبين
ظاهر وهو اعتقادهم ان عيسى عليه السلام الها معبودا مع ظهور اثار الحدث فيه اشعارا
بان لا ظلم اشد من ظلمهم وانذرهم اى خوفهم يوم الحسرة يوم القيمة لانه يقع فيه الندم على
ما فات وفى الحديث اذا راوا منازلهم فى الجنة ان لو آمنوا اذ بدل من يوم الحسرة او ظرف للحسرة
وهو مصدر قضى الامر فرغ من الحساب وتصادر الفريقان الى الجنة والنار وهم فى غفلة
هنا من الاهتمام لذلك المقام وهم لا يؤمنون اى لا يصدقون به وهم حالان اى وانذرهم
على هذا الحال غافلين غير مؤمنين انا نحن نرث الارض ومن عليها اى ننفرد بالملك والبقاء
عند تعميم الهلك والفناء وذكر من لتغليب العقلاء والينا يرجعون بضم الياء وفتح الياء
يعقوب اى يردون فيجازون جزاء وفاقا واذكر لقومك يا محمد فى الكتاب القران ابراهيم
قصته مع ابيه انه كان صديقا نبيا بغير همزة نافع قيل الصادق المستقيم فى الافعال و
الصديق المستقيم فى الاحوال فالصديق من ابنية المبالغة ونظيره الضحيك والمراد فرط صدقه
وكثرة ما صدق به من غيوب الله واياته وكتبه ورسله اى كان مصدقا لجميع الانبياء
وكتبهم وكان نبيا فى نفسه وهذه الجملة وقعت اعتراضا بين ابراهيم وبين ما هو بدل منه
وهو اذ قال او جاز ان يتعلق اذ بكان او بصديقا نبيا اى كان جامعا لخصايص الصديقين و
الانبياء حين خاطب اباه تلك المخاطبات والمراد بذكر الرسول اياه وقصته فى الكتاب ان
يتلو ذلك على الناس ويبلغه اياهم كقوله واتل عليهم نبا ابراهيم والا فالله عز وجل هو ذاكره
ومورده فى تنزيله لابيه يا ابت بكسر التاء وفتحها ابن عامر والتاء عوض من ياء الاضافة
ولا يقال يا ابتى لئلا يجمع بين العوض والمعوض منه لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر المفعول فيهما

مثنى غير منوى ويجوز ان يقدر اى لا يسمع شيئا ولا يبصر شيئا ولا يغنى عنك شيئا يحتمل ان يكون
شيئا فى موضع المصدر اى شيئا من الغنى وان يكون مفعولا به من قولك اغن عنى وجهك اى ابعد
يا ابت انى قد جاءنى من العلم الوحى او معرفة الرب ما لم يأتك ما فى ما لا يسمع وما لم يأتك يجوز
ان يكون موصولة او موصوفة فاتبعنى اهدك ارشدك صراطا سويا مستقيما يا ابت
لا تعبد الشيطان اى لا تطعه فيما سول من عبادة الصنم ان الشيطان كان للرحمن عصيا اى عاصيا
يا ابت انى اخاف قيل اعلم ان يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا قرينا فى النار
تليه ويليك فانظر فى نصيحته اياه كيف راعى المجاملة والرفق والخلق الحسن كما امر فى الحديث
اوحى الله تعالى الى ابراهيم انك خليلى حسن خلقك ولو مع الكفار تدخل مداخل الابرار فطلب
منه اولا العلة فى خطائه طلب منبه على تماديه موقظ لافراطه وتناهيه لان من يعبد الله اشرف
الخلق منزلة وهم الانبياء كان محكوما بالغى المبين فكيف بمن يعبد شجرا او حجرا لا يسمع ذكر
عابده ولا يرى هيئات عبادته ولا يدفع عنه بلاء ولا يقضى له حاجة ثم ثنى بدعوته الى الحق
مترفقا به متلطفا فلم يسم اباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق ولكنه قال ان شيئا من العلم
ليس معك وذا من علم الدلالة على الطريق السوى فهب انى واياك فى مسير وعندى معرفة
بالهداية دونك فاتبعنى انجك من ان تضل وتتيه ثم ثلث بنهيه عما كان عليه بان الشيطان
الذى عصى الرحمن الذى جميع النعم منه اوقعك فى عبادة الصنم وزينها لك فانت عابده
فى الحقيقة ثم ربع بتخويفه سوء العاقبة وما يجره ما هو فيه مع مراعاة الادب حيث لم يصرح
بان العقاب لاحق به وان العذاب لاصق به بل قال اخاف ان يمسك عذاب بالتنكير المشعر
بالتقليل كانه قال انى اخاف ان يصيبك نفيان من عذاب الرحمن وجعل ولاية الشيطان ودخوله
فى جملة اشياعه واوليائه اكبر من العذاب كما ان رضوان الله اكبر من الثواب نفسه وصدر
كل نصيحة بقوله يا ابت توسلا اليه واستعطافا واشعارا بوجوب احترام الاب وان كان
كافرا ثم قال آزر توبيخا اراغب انت عن آلهتى يا ابراهيم اى اترغب عن عبادتها فناداه باسمه
ولم يقابل يا ابت بيا بنى وقدم الخبر على المبتدا لانه اهم عنده لئن لم تنته عن شتم الاصنام لارجمنك
لاقتلنك بالرجام او لاضربنك بها حتى تتباعد او لاشتمنك واهجرنى عطف على محذوف يدل

عليه لارجمنك تقديره فاحذرنى واهجرنى مليا ظرف اى زمانا طويلا من الملاوة قال سلام عليك
سلام توديع ومتاركة او تقريب وملاطفة ولذا وعده بالاستغفار بقوله ساستغفر لك
ربى اى ساسال الله تعالى ان يجعلك من اهل المغفرة بان يهديك للاسلام انه كان بى حفيا
بعموم النعم او رحيما او مكرما والحفاوة الرافة والكرامة واعتزلكم اراد بالاعتزال المهاجرة
من ارض بابل الى الشام وما تدعون من دون الله اى ما تعبدون من اصنامكم وادعوا واعبد
ربى ثم قال تواضعا وهضما للنفس ومعرضا بشقاوتهم بدعاء الهتهم فى قوله عسى الا اكون
بدعاء ربى شقيا اى كما شقيتم انتم بعبادة الاصنام فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله
اى فلما اعتزل الكفار ومعبوديهم وهبنا له اسحاق ولدا ويعقوب نافلة ليستانس بهما وكلا
اى وكلا واحد منهما جعلنا نبيا اى لما ترك الكفار الفجار لوجهه تعالى عوضه اولادا مومنين
انبياء ووهبنا لهم من رحمتنا هى المال والولد وجعلنا لهم لسان صدق ثناء حسنا وهو الصلوة
على ابراهيم وعلى آل ابراهيم فى الصلوة وعبر باللسان عما يوجد باللسان كما عبر باليد عما يطلق
باليد وهو العطية عليا رفيعا مشهورا واذكر فى الكتاب موسى انه كان مخلصا كوفى غير المفضل
اى اخلصه الله واصطفاه ومخلصا غيرهم اى اخلص هو العبادة لله تعالى فهو مخلص بما له فى
من السعادة باصل الفطرة ومخلص فيما عليه من العبادة بصدق الهمة وكان رسولا نبيا الرسول
الذى معه كتاب من الانبياء والنبى الذى ينبئ عن الله عز وجل وان لم يكن معه كتاب كيوشع
وناديناه دعوناه وكلمناه ليلة الجمعة من جانب الطور وهو جبل بين مصر ومدين الايمن من
اليمن اى من ناحيته اليمنى والجمهور على ان المراد ايمن موسى عليه السلام لان الجبل لا يمين له والمعنى
انه حين اقبل من مدين يريد مصر نودى من الشجرة وكانت من جانب الجبل على يمين موسى عم
وقربناه تقريب منزلة ومكانة دون منزل ومكان نجيا حال اى مناجيا كنديم بمعنى منادم
ووهبنا له من رحمتنا من اجل رحمتنا وترؤفنا عليه اخاه مفعول هارون بدل منه نبيا حال
اى وهبنا له نبوة اخيه والا فهارون كان اكبر منه سنا واذكر فى الكتاب اسمعيل هو ابن
ابراهيم فى الاصح انه كان صادق الوعد وافيه واعده رجل ان يقيم مكانه حتى يعود اليه
فانتظره سنة فى مكانه حتى عاد وناهيك عنه انه وعد من نفسه الصبر على الذبح فوفى وقيل لم

تشريفا

يعد ربه موعدا الا انجزه وانما خص بصدق الوعد وان كان موجودا في غيره من الانبياء تشريفا له وكان المشهور من خصاله وكان رسولا الى جرهم نبيا مخبرا منذرا وكان يامر اهله امته كان النبي صلى الله عليه وسلم امته او اهل بيته وفيه دليل على انه لم يداهن غيره بالصلوة والزكوة يحتمل انه انما خصت هاتان العبادتان لانهما اما العبادات البدنية والمالية وكان عند ربه مرضيا قرئ مرضوا على الاصل واذكر في الكتاب ادريس هو اخنوخ اول مرسل بعد آدم عليه السلام واول من خط بالقلم وخاط اللباس ونظر في علم النجوم والحساب واتخذ الموازين والمكائيل والاسلحة فقاتل بني قابيل وقولهم سمي به لكثرة دراسة كتاب الله لا يصح لانه لو كان افعيلا من الدرس لم يكن فيه الا سبب واحد وهو العلمية فكان منصرفا فامتناعه من الصرف دليل العجمة انه كان صديقا نبيا انزل الله عليه ثلثين صحيفة ورفعناه مكانا عليا هو شرف النبوة والزلفى عند الله وقيل معناه رفعته الملايكة الى السماء الرابعة وقد رآه النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج فيها وعن الحسن الى الجنة لا شيء اعلى من الجنة وذلك انه حبب لكثرة عبادته الى الملايكة فقال لملك الموت اذقني الموت يهون علي ففعل باذن الله تعالى فحيي وقال ادخلني النار ازدد رهبة ففعل ثم قال ادخلني الجنة ازدد رغبة ففعل فقال له اخرج فقال قد ذقت الموت ووردت النار فما انا بخارج من الجنة فقال الله عز وجل باذني فعل وباذني دخل فدعه اولئك اشارة الى المذكورين في السورة من زكريا الى ادريس الذين انعم الله عليهم من النبيين من للبيان لان جميع الانبياء منعم عليهم من ذرية آدم من للتبعيض وكان ادريس من ذرية آدم لقربه منه لانه جد ابي نوح وممن حملنا مع نوح ابراهيم من ذرية من حمل مع نوح لانه من ولد سام ابن نوح ومن ذرية ابراهيم اسماعيل واسحاق ويعقوب واسرائيل اي ومن ذرية اسرائيل اي يعقوب وهم موسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى لان مريم من ذريته وممن يحتمل العطف على من الاولى والثانية هدينا لمحاسن الاسلام واجتبينا من الانام او لشرح الشريعة وكشف الحقيقة اذا تتلى عليهم آيات الرحمن اي اذا تليت عليهم كتب الله المنزلة وهو كلام مستانف ان جعلت الذين خبرا لاولئك وان جعلته صفة له كان خبرا تتلى بالتاء قتيبة لوجود الفاصل مع ان التانيث غير حقيقي

خروا سجدا سقطوا على وجوههم ساجدين رغبة وبكيا باكين رهبة جمع باك كسجود وقعود في جمع ساجد وقاعد وفي الحديث اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا وعن صالح المري قرات القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي يا صالح هذا القراءة فاين البكاء ويقول في سجدة التلاوة سبحان ربي الاعلى ثلثا فخلف من بعدهم فجاء بعد هؤلاء المفضلين خلف اولاد سوء وبفتح اللام لعقب الخير عن ابن عباس رضي الله عنهما هم اليهود اضاعوا الصلوة تركوا الصلوة المفروضة واتبعوا الشهوات ملاذ النفوس وعن علي رضي من بني الشديد وركب المنظور ولبس المشهور وعن قتادة هو في هذه الامة فسوف يلقون غيا جزاء غي وكل شر عند العرب غي وكل خير رشاد وعن ابن عباس وابن مسعود رضي هو واد في جهنم اعد للمصر على الزنا وشرب الخمر واكل الربوا والعاق وشاهد الزور الا من تاب رجع عن كفره وآمن بشرطه وعمل صالحا بعد ايمانه فاولئك يدخلون الجنة بضم الياء وفتح الخاء مكي وبصري وابو بكر ولا يظلمون شيئا اي لا ينقصون شيئا من جزاء اعمالهم ولا يمنعونه بل يضاعف لهم او لا يظلمون شيئا من الظلم جنات بدل من الجنة لان الجنة تشتمل على جنات عدن لانها جنس او نصب على المدح عدن معرفة لانها علم لمعنى العدن وهو الاقامة او هو علم لارض الجنة لكونها مكان الاقامة التي وعد الرحمن عباده اي عباده التائبين المومنين الذين يعملون الصالحات كما سبق ذكرهم ولانه اضافهم اليه وهو للاختصاص بالغيب اي وعدها وهي غائبة عنهم غير حاضرة وهم غائبون عنها لا يشاهدونها انه ضمير الشان او ضمير الرحمن كان وعده اي موعوده وهو الجنة ماتيا اي هم ياتونها لا يسمعون فيها في الجنة لغوا فحشا او كذبا او ما لا طائل تحته من الكلام وهو المطرح منه وفيه تنبيه على وجوب تجنب اللغو واتقائه حيث نزه الله عنه داره التي لا تكليف فيها الا سلاما اي لكن يسمعون سلاما من الملايكة او من بعضهم على بعض او لا يسمعون فيها الا قولا يسلمون فيه من العيب والنقيصة فهو استثناء منقطع عند الجمهور وقيل معنى السلام هو الدعاء بالسلامة ولما كان اهل دار السلام اغنياء عن الدعاء بالسلامة كان ظاهره من باب اللغو وفضول الحديث لولا ما فيه من فائدة الاكرام ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا اي يوتون

بارزاقهم على مقدار طرفي النهار من الدنيا اذ لا ليل ولا نهار ثمة لانهم في النور ابدا وانما يعرفون
مقدار النهار برفع الحجب ومقدار الليل بارخائها والرزق بالبكرة والعشي افضل العيش
عند العرب فوصف الله جنته بذلك وقيل اراد دوام الرزق كما تقول انا عند فلان بكرة
وعشيا تريد الدوام تلك الجنة التي نورث من عبادنا اي نجعلها ميراث اعمالهم يعني ثمرتها
وعاقبتها وقيل يورثون المساكن التي كانت لاهل النار لو امنوا لان الكفر موت حكما من كان
تقيا عن الشرك عن ابن عباس رضه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يا جبرئيل ما منعك ان
تزورنا باكثر مما تزورنا فنزل وما نتنزل الا بامر ربك والتنزل على معنيين معنى النزول
على مهل ومعنى النزول على الاطلاق والاول اليق هنا يعني ان نزولنا في الاحايين وقتا غب
وقت ليس الا بامر الله له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا اي
له ما قدامنا وما خلفنا من الاماكن وما نحن فيها فلا نتمالك ان ننتقل من مكان الى مكان
الا بامر الملك ومشيته وهو الحافظ العالم بكل حركة وسكون وما يحدث من الاحوال لا يجوز عليه
والنسيان فاني لنا ان نتقلب في ملكوته الا اذا اذن لنا فيه رب السموات والارض وما بينهما
بدل من ربك او خبر مبتدا محذوف اي هو رب السموات والارض ثم قال لرسوله لما عرفت
انه متصف بهذه الصفات فاعبده فاثبت على عبادته واصطبر لعبادته اي اصطبر من كافة
الحسود لعبادة المعبود او اصطبر على المشاق لاجل عبادة الخلاق لتتمكن من الاتيان بها هل
تعلم له سميا شبيها ومثلا وهل يسمى احد باسم الله غيره لانه مخصوص بالمعبود بالحق اي
اذا صح ان لا معبود يوجه اليه العبادة الا هو وحده لم يكن بد من عبادته والاصطبار على
مشاقها فقال ابي بن خلف عظما وقال انبعث من القبر بعد ما صرنا كذا فنزل ويقول الانسان
ائذا ما مت لسوف اخرج حيا والعامل في اذا ما دل عليه الكلام وهو ابعث اي اذا ما مت
ابعث وانتصابه باخرج ممتنع لان ما بعد لام الابتداء لا يعمل فيما قبلها فلا تقول اليوم لزيد
قائم ولام الابتداء الداخلة على المضارع تعطي معنى الحال وتؤكد مضمون الجملة فلما جامعت حرف
الاستقبال خلصت للتوكيد واضمحل معنى الحال وما اذا ما للتوكيد ايضا فكانه قال احقا انا سنخرج
من القبور احياء حين يتمكن فينا الموت والهلاك على وجه الاستنكار والاستبعاد وتقديم الظرف

وايلاؤه حرف الانكار من قبل ان ما بعد الموت هو وقت كون الحيوة منكرة ومنه جاء
انكارهم او لا يذكر الانسان خفيف شامي ونافع وعاصم من الذكر والاستار بتشديد
الذال والكاف واصله يتذكر كقراءة ابي فادغمت التاء في الذال اي او لا يتدبر والواو عطفت
لا يذكر على يقول ووسطت همزة الانكار بين المعطوف والمعطوف عليه وحرف العطف يعني
ايقول ذلك ولا يتذكر حال النشاة الاولى حتى لا ينكر النشاة الاخرى فان تلك ادل
على قدرة الخالق حيث يخرج الجواهر والاعراض من العدم الى الوجود واما الثانية فليس
فيها الا تاليف الاجزاء الموجودة وردها الى ما كانت عليه مجموعة بعد التفريق انا خلقناه
من قبل من قبل الحالة التي هو فيها وهي حالة بقائه ولم يك شيئا هو دليل على ما بينا وعلى
ان المعدوم ليس بشيء خلافا للمعتزلة فوربك لنحشرنهم اي الكفار المنكرين للبعث و
الشياطين الواو للعطف او بمعنى مع وهو اوقع اي يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين
اغووهم يقرن كل كافر مع شيطان في سلسلة وفي اقسام الله باسمه مضافا الى رسوله
تفخيم لشان رسوله ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا حال جمع جاث اي بارك على الركب
ووزنه فعول لان اصله جثوو كسجود وساجد اي يعتلون من المحشر الى شاطئ جهنم عتلا
على حالهم التي كانوا عليها في الموقف جثاة على ركبهم غير مشاة على اقدامهم ثم لننزعن
من كل شيعة طائفة شاعت اي تبعت غاويا من الغواة ايهم اشد على الرحمن عتيا جراءة او
فجورا اي لنخرجن من كل طائفة من طوائف الغي اعتاهم فاعتاهم فاذا اجتمعوا طرحناهم
في النار على الترتيب نقدم اولاهم بالعذاب فاولاهم وقيل المراد باشدهم عتيا الرؤساء
لتضاعف جرمهم لكونهم ضلالا ومضلين قال سيبويه ايهم مبني على الضم لسقوط صدر
الجملة التي هي صلته وهو من هو اشد حتى لو جيء به لاعرب بالنصب وقيل ايهم هو اشد
وهذا لان الصلة توضح الموصول وتبينه كما ان المضاف اليه يوضح المضاف ويخصصه فكما
ان حذف المضاف اليه في من قبل يوجب بناء المضاف وجب ان يكون حذف الصلة او
شيء منها موجبا للبناء وموضعها نصب بننزعن وقال الخليل هي معربة وهي مبتدا واشد
خبره وهو رفع على الحكاية تقديره لننزعن الذين يقال فيهم ايهم اشد على الرحمن عتيا ثم لنحن

ان يكون الفزع واقعا على كل شيعة كقوله ووهبنا لهم من رحمتنا اى لننزعن بعض كل شيعة فكان

قايلا قال من هم فقيل ايهم اشد على الرحمن عتيا وعلى يتعلق بافعل اى عتوهم اشد على الرحمن

ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها احق بالنار صليا تميز اى دخولا والباء يتعلق باولى وان منكم

احد الا واردها داخلها والمراد النار والورود الدخول عند على وابن عباس رض وعليه

جمهور اهل السنة لقوله تعالى فاوردهم النار ولقوله لو كان هؤلاء الهة ما وردوها ولقوله

ثم ننجى الذين اتقوا اذ النجاة انما تكون بعد الدخول ولقوله عليه الصلوة والسلام الورود الدخول

لا يبقى بر ولا فاجر الا دخلها فيكون على المومنين بردا وسلاما كما كانت على ابراهيم وتقول

النار للمؤمن جز يا مؤمن فان نورك اطفا لهبى وقيل الورود بمعنى الدخول لكنه يختص بالكفار

لقراءة ابن عباس رض وان منهم وتحمل القراءة المشهورة على الالتفات وعن عبد الله

الورود الحضور لقوله تعالى ولما ورد ماء مدين وقوله اولئك عنها مبعدون واجيب

عنه بان المراد عن عذابها وعن الحسن وقتادة الورود المرور على الصراط لان الصراط ممدود

عليها فيسلم اهل الجنة ويتقاذف اهل النار وعن مجاهد ورود المؤمن النار هو مس الحمى

جسده فى الدنيا لقوله عليه الصلوة والسلام الحمى حظ كل مومن من النار وقال رجل من

الصحابة لاخر ايقنت بالورود قال نعم وايقنت بالصدر قال لا قال ففيم الضحك وفيم التثاقل

كان على ربك حتما مقضيا اى كان ورودهم واجبا كاينا محكوما به والحتم مصدر حتم الامر

اذا اوجبه فسمى به الموجب كقولهم ضرب الامير ثم ننجى وعلى بالتخفيف الذين اتقوا عن الشرك

وهم المومنون ونذر الظالمين فيها جثيا فيه دليل على دخول الكل لانه قال ونذر ولم يقل

ندخل والمذهب ان صاحب الكبيرة قد يعاقب بقدر ذنبه ثم ينجو لا محالة وقالت المرجئة

الخبيثة لا يعاقب لان المعصية لا تضر مع الاسلام عندهم وقالت المعتزلة يخلد واذا تتلى

عليهم اياتنا اى القران بينات ظاهرات الاعجاز او حججا وبراهين حال موكدة كقوله تعالى وهو

الحق مصدقا قال ان ايات الله لا تكون الا واضحة وحججا قال الذين كفروا اى مشركوا قريش وقد

رجلوا شعورهم وتكلفوا فى زيهم للذين امنوا للفقراء ورؤسهم شعثة وثيابهم خشنة

اى الفريقين نحن ام انتم خير مقاما بالفتح وهو موضع القيام والمراد المكان والمساكن

وبالضم

وبالضم مكى وهو موضع الاقامة والمنزل واحسن نديا اى مجلسا يجتمع القوم فيه للمشاورة

ومعنى الاية ان الله تعالى يقول اذا انزلنا اية فيها دلايل وبراهين اعرضوا عن التدبر فيها

الى الافتخار بالثروة والمال وحسن المنزل والحال فقال تعالى وكم اهلكنا قبلهم من قرن فكم مفعول

اهلكنا ومن للتبيين لابهامها اى كثيرا من القرون اهلكنا وكل اهل عصر قرن لمن بعدهم هم

احسن فى محل النصب صفة لكم الا ترى انك لو تركت هم كان احسن نصبا على الوصفية اثاثا

هو متاع البيت او ما جد من الفرش ورئيا منظرا وهيئة فعل بمعنى مفعول من رايت و

ريا بغير همز مشددا نافع وابن عامر على قلب الهمزة ياء لسكونها وانكسار ما قبلها ثم الادغام او

من الرى الذى هو النعمة قل من كان فى الضلالة الكفر فليمدد له الرحمن مدا جواب من لانها

شرطية وهذا الامر بمعنى الخبر اى من كفر مده الرحمن يعنى امهله واملى له فى العمر ليزداد طغيانا

وضلالا كقوله انما نملى لهم ليزدادوا اثما وانما خرج على لفظ الامر ايذانا بوجوب ذلك وانه

مفعول لا محالة كالمامور به الممتثل ليقطع معاذير الضلال حتى اذا راوا ما يوعدون هى متصلة

بقوله خير مقاما واحسن نديا وما بينهما اعتراض اى لا يزالون يقولون هذا القول الى ان يشاهدوا

الموعود راى عين اما العذاب فى الدنيا وهو تعذيب المسلمين اياهم بالقتل والاسر واما الساعة

اى القيمة وما ينالهم من الخزى والنكال فهما بدلان من ما يوعدون فسيعلمون من هو شر مكانا

منزلا واضعف جندا اعوانا وانصارا اى فحينئذ يعلمون ان الامر على عكس ما قدروه وانهم

شر مكانا واضعف جندا لا خير مقاما واحسن نديا وان المومنين على خلاف صفتهم و

جاز ان يكون متصلا بما يليها والمعنى ان الذين فى الضلالة ممدود لهم فى ضلالتهم لا ينفكون

عن ضلالتهم الى ان يعاينوا نصرة الله المومنين او يشاهدوا الساعة وحتى هى التى يحكى بعدها

الجمل الا ترى ان الجملة الشرطية واقعة بعدها وهى قوله اذا راوا ما يوعدون فسيعلمون

ويزيد الله الذين اهتدوا هدى معطوف على موضع فليمدد لوقوعه موقع الخبر تقديره

من كان فى الضلالة مد او يمد له الرحمن ويزيد اى يزيد فى ضلال الضال بخذلانه ويزيد المهتدين

اى المومنين هداية ثباتا على الاهتداء او يقينا وبصيرة بتوفيقه والباقيات الصالحات اى

اعمال الاخرة كلها او الصلوات الخمس او سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر خير

عند ربك ثوابا مما يفتخر به الكفار وخير مردا اى مرجعا وعاقبة وفى التفضيل تهكم بالكفار
لانهم قالوا للمومنين اى الفريقين خير مقاما واحسن نديا افرايت الذى كفر باياتنا
وقال لاوتين مالا وولدا ثم وبضم الواو وسكون اللام فى اربعة مواضع هنا وفى الزخرف
ونوح حمزة وعلى جمع ولد كاسد فى اسد او بمعنى الولد كالعرب ولما كانت روية الاشيا
طريقا الى العلم بها وصحة الخبر عنها استعملوا ارايت فى معنى اخبر والفاء افادت التعقيب
كانه قال اخبر ايضا بقصة هذا الكافر واذكر حديثه عقيب حديث اوليك وقوله لاوتين
جواب قسم مضمر اطلع الغيب من قولهم اطلع الجبل اذا ارتقى الى اعلاه الهمزة للاستفهام
وهمزة الوصل محذوفة اى انظر فى اللوح المحفوظ فراى هنيته ام اتخذ عند الرحمن عهدا
موثقا ان يؤتيه ذلك او العهد وكلمة الشهادة عن الحسن نزلت فى الوليد بن المغيرة والمشهور
انها فى العاص بن وائل فقد روى ان خباب ابن الارث صاغ للعاص بن وايل حليا فاقتضاه
الاجر فقال انكم تزعمون انكم تبعثون وان فى الجنة ذهبا وفضة فانا اقضيك ثم فانى اوتى
مالا وولدا حينئذ كلا ردع وتنبيه على الخطاء اى هو مخطئ فيما يصوره لنفسه فليرتدع عنه
سنكتب ما يقول اى قوله والمراد سنظهر له ونعلمه انا كتبنا قوله لانه كما قاله كتب من غير تاخير
قال الله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وهو كقوله اذا ما انتسبنا لم تلدنى
لئيمة اى علم وتبين بالانتساب انى لست بابن لئيمة ونمد له من العذاب مدا نزيده من العذاب
كما يزيد فى الافتراء والاجتراء من المدد يقال مده وامده بمعنى واحد مدا اكد بالمصدر لفرط
غضبه تعالى ونرثه ما يقول اى نزوى عنه ما زعم انه يناله فى الاخرة والمعنى يسمى ما يقول
وهو المال والولد ويأتينا فردا حال بلا مال ولا ولد كقوله ولقد جئتمونا فرادا فما يجدى
عليه تمنيه وتاليه واتخذوا من دون الله الهة اى اتخذ هولاء المشركون اى اهل مكة اصناما
يعبدونها ليكونوا لهم عزا ليتعززوا بالهتهم ويكونون لهم شفعاء وانصارا ينقذونهم
من العذاب كلا ردع لهم عما ظنوا سيكفرون بعبادتهم الضمير للالهة اى يجحدون عبادتهم
وينكرونها ويقولون والله ما عبدتمونا وانتم كاذبون او للمشركين اى ينكرون ان يكونوا
قد عبدوها كقوله والله ربنا ما كنا مشركين ويكونون اى المعبودون عليهم على المشركين

ولدا

ضدا

ضدا خصماء لان الله تعالى ينطقهم فيقولوا يا رب عذب هولاء الذين عبدونا من دونك و
الضد يقع على الواحد والجمع وهو فى مقابلة لهم عزا والمراد ضد العز وهو الذل والهوان اى يكونون
عليهم ضدا لما قصدوه اى يكونون عليهم ذلا لا لهم عزا وان رجع الضمير فى سيكفرون ويكونون
الى المشركين فالمعنى ويكونون عليهم اى اعدائهم ضدا اى كفرة بهم بعد ان كانوا يعبدونها ثم عجب
نبيه عليه الصلوة والسلام بقوله الم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين خليناهم واياهم من
ارسلت البعير اطلقته او سلطناهم عليهم بالاغواء تؤزهم ازا تغريهم على المعاصى اغراء والاز
والهز اخوان ومعناهما التهييج وشدة تزعجهم الازعاج فلا تعجل عليهم بالعذاب انما نعد لهم
عدا اى اعمالهم للجزاء وانفاسهم للفناء وقراها ابن السماك عند المامون فقال اذا كانت الانفاس
بالعدد ولم يكن لها مدد فما اسرع ما ينفد يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا اى ركبانا على نوق
رحالها ذهب وعلى نجائب سروجها ياقوت ونسوق المجرمين الكافرين سوق الانعام لانهم
كانوا اضل من الانعام الى جهنم وردا عطاشا لان من يرد الماء لا يرده الا للعطش وحقيقة الورد
المسير الى الماء فسمى به الواردون قالوا الوفد جمع وافد كركب وراكب والورد جمع وارد ونصب
يوم بضمير اى يوم نحشر ونسوق نفعل بالفريقين ما لا يوصف او اذكر يوم نحشر المتقين ذكر المتقون
بانهم يجمعون الى ربهم الذى غمرهم برحمته كما يفد الوفود على الملوك بتبجيلهم والكافرون بانهم
يساقون الى النار كانهم نعم عطاش يساقون الى الماء استخفافا بهم لا يملكون الشفاعة حال والواو
ان جعل ضميرا فهو للعباد ودل عليه ذكر المتقين والمجرمين لانهم على هذه القسمة ويجوز ان
يكون علامة للجمع كالتى فى اكلونى البراغيث والفاعل من اتخذ لانه فى معنى الجمع ومحل من اتخذ
رفع على البدل من واو يملكون او على الفاعلية او نصب على تقدير حذف المضاف اى الا شفاعة
من اتخذ والمراد لا يملكون ان يشفع لهم الا من اتخذ عند الرحمن عهدا بان امن فى الحديث من قال
لا اله الا الله كان له عند الله عهد وعن ابن مسعود رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه
ذات يوم ايعجز احدكم ان يتخذ كل صباح ومساء عند الله عهدا قالوا وكيف ذلك قال يقول
كل صباح ومساء اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انى اعهد اليك بانى اشهد
ان لا اله الا انت وحدك لا شريك لك وان محمدا عبدك ورسولك وانك ان تكلنى الى نفسى

تقربني من الشر وتباعدني من الخير واني لا اثق الا برحمتك فاجعل لي عندك عهدا توفينيه
يوم القيمة انك لا تخلف الميعاد فاذا قال ذلك طبع عليه بطابع ووضع تحت العرش
فاذا كان يوم القيمة نادى مناد اين الذين كان لهم عند الرحمن عهد فيدخلون الجنة او
يكون من عهد الامير الى فلان بكذا اذا امره به اى لا يشفع الا المامور بالشفاعة الماذون له
فيها وقالوا اتخذ الرحمن ولدا اى النصارى واليهود ومن زعم ان الملائكة بنات الله لقد
جئتم شيئا ادا خاطبهم بهذا الكلام بعد الغيبة وهو التفات او امر لنبيه عليه الصلوة والسلام
بان يقول لهم بذلك الاد التعجب او العظيم المنكر والادة الشدة وادني الامر اثقلني وعظم
على ادا تكاد السموات يتفطرن وبالياء نافع وعلي ينفطرن وبالنون بصري وشامي وحمزة
وخلف وابو بكر الانفطار من فطره اذا شقه والتفطر من فطره اذا شققه منه من عظم
هذا القول وتنشق الارض تخسف وتنفصل اجزاؤها وتخر الجبال تسقط هدا كسرا او قطعا
او هدما والهدة صوت الصاعقة من السماء وهو مصدر اى تهد هدا من سماع قولهم او مفعول له
او حال اى مهدودة ان دعوا لان سموا او محله جر بدل من الهاء في منه او نصب مفعول له
علل الخرور بالهد والهد بدعاء الولد للرحمن او رفع فاعل هدا اى هدها دعاؤهم للرحمن ولدا
وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا انبغى مطاوع بغى اذا طلب اى ما يتاتى له اتخاذ الولد وما ينطلب
لو طلب مثلا لانه محال غير داخل تحت الصحة وهذا لان اتخاذ الولد لحاجة ومجانسة وهو منزه
عنهما وفي اختصاص الرحمن وتكريره مرات بيان انه الرحمن وحده لا يستحق هذا الاسم غيره لان
اصول النعم وفروعها منه فلينكشف عن بصرك غطاؤه فانت وجميع ما عندك عطاؤه
فمن اضاف اليه ولدا فقد جعله كبعض خلقه واخرجه بذلك عن استحقاق اسم الرحمن ان كل
من نكرة موصوفة صفتها في السموات والارض وخبر كل الا اتي الرحمن ووحد اتي واتيه حملا
على لفظ كل وهو اسم فاعل من اتى وهو مستقبل اى ياتيه عبدا حال اى خاضعا ذليلا منقادا و
المعنى ما كل من في السموات والارض من الملائكة والناس الا وهو ياتي الله يوم القيمة مقرا له
بالعبودية والعبودية والبنوة تتنافيان حتى لو ملك الاب ابنه يعتق عليه ونسبة الجميع اليه
نسبة العبد الى المولى فكيف يكون البعض ولدا والبعض عبدا وقرأ ابن مسعود رض اتي الرحمن

على اصله

على اصله قبل الاضافة لقد احصيهم وعدهم عدا اى حصرهم بعلمه واحاط بهم وكلهم اتيه يوم القيمة
فردا اى كل واحد منهم ياتيه يوم القيمة منفردا بلا مال ولا ولد او بلا معين ولا ناصر ان الذين امنوا
وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا مودة في قلوب العباد وقال الربيع يحبهم الله ويحببهم
الى الناس وفي الحديث يعطى المؤمن مقة في صدور الابرار ومهابة في قلوب الفجار وعن قتادة
وهرم ما اقبل العبد الى الله الا اقبل الله بقلوب العباد اليه وعن كعب ما يستقر لعبد ثناء في
الارض حتى يستقر له في السماء فانما يسرناه سهلنا القران بلسانك بلغتك لتبشر به المتقين
المؤمنين وتنذر به قوما لدا شدادا في الخصومة بالباطل اى الذين ياخذون في كل لديد اى
من المراء والجدال جمع الد يريد اهل مكة وكم اهلكنا قبلهم من قرن تخويف لهم وانذار هل تحس
منهم من احد اى هل تجد او ترى او تعلم والاحساس الادراك بالحاسة او تسمع لهم ركزا صوتا
خفيا ومنه الركاز اى لما اتاهم عذابنا لم يبق شخص يرى ولا صوت يسمع يعني هلكوا كلهم
فكذا هؤلاء ان اعرضوا عن تدبر ما انزل عليك فعاقبتهم الهلاك فليهن عليك امرهم والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة طه مائة وخمس وثلثون اية كوفية

طه فخم الطاء لاستعلائها وامال الهاء ابو عمرو وامالهما حمزة وعلي وخلف وابو بكر وفخمهما
على الاصل غيرهم وما روي عن مجاهد والحسن والضحاك وعطاء وغيرهم ان معناه
يا رجل فان صح فظاهر والا فالحق ما هو المذكور في سورة البقرة ما انزلنا عليك القران
ان جعلت طه تعديدا للاسماء والحروف فهو ابتداء كلام وان جعلتها اسما للسورة احتمل
ان يكون خبرا عنها وهي في موضع المبتداء والقران ظاهر اوقع موقع المضمر لانها قران
وان تكون جوابا لها وهي قسم لتشقى لتتعب لفرط تاسفك عليهم وعلى كفرهم وتحسرك
على ان يؤمنوا او لقيام الليل فانه روي عليه الصلوة والسلام انه صلى بالليل حتى تورمت
قدماه فقال له جبرئيل ابق على نفسك فان لها عليك حقا اى ما انزلناه لتنهك نفسك بالعبادة
وما بعثت الا بالحنيفية السمحة الا تذكرة استثناء منقطع اى لكن انزلناه تذكرة او حال
لمن يخشى لمن يخاف الله او لمن يؤل امره الى الخشية تنزيلا بدل من تذكرة اذا جعل حالا ويجوز
ان ينتصب بنزل مضمرا او على المدح او بيخشى مفعولا به اى انزل الله تذكرة لمن يخشى تنزيل

ممن خلق الارض والسموات من يتعلق بتنزيلا صلة له العلى جمع العليا تانيث الاعلى ووصف
السموات بالعلى دليل ظاهر على عظم قدرة خالقها الرحمن رفع على المدح اى هو الرحمن على العرش
خبر مبتداء محذوف استوى استولى عن الزجاج وخص بذكر العرش وهو اعظم المخلوقات
على غيره وقيل لما كان الاستواء على العرش وهو سرير الملك مما يردف الملك جعلوه كناية عن
الملك فقالوا استوى فلان على العرش اى ملك وان لم يقعد على السرير البتة وهذا كقولك
يد فلان مبسوطة اى جواد وان لم يكن له يد راسا والمذهب قول على رضى الله عنه الاستواء
غير مجهول والتكييف غير معقول والايمان به واجب والسوال عنه بدعة لانه تعالى كان
ولا مكان فهو على ما كان قبل خلق المكان لم يتغير عما كان له ما فى السموات وما فى الارض
خبر مبتداء او معطوف وما بينهما اى ذلك كله ملكه وما تحت الثرى ما تحت الارضين السبع
او هو الصخرة التى تحت الارض السابعة وان تجهر بالقول ترفع صوتك به فانه يعلم
السر ما اسررته الى غيرك واخفى منه وهو ما اخطرته ببالك او ما اسررته فى نفسك وما
سترته فيها الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى اى هو واحد بذاته وان افترقت عبارات
صفاته رد لقولهم انك تدعو الهة حين سمعوا اسمائه تعالى والحسنى تانيث الاحسن
وهل اى وقد اتيك حديث موسى خبره قفاه بقصة موسى ليتاسى به فى تحمل اعباء النبوة
والصبر على المكاره لينال الدرجة العليا كما نالها موسى عليه السلام اذ راى نارا ظرف للمضمر اى حين
راى نارا كان كيت وكيت او مفعول به لاذكر روى ان موسى عليه السلام استاذن شعيبا
فى الخروج الى امه وخرج باهله فولد له فى الطريق ابن فى ليلة مظلمة مثلجة وقد ضل الطريق
وتفرقت ماشيته ولا ماء عنده وقدح فصلد زنده فراى عند ذلك نارا فى زعمه وكان نورا
فقال لاهله امكثوا فى مكانكم انى انست ابصرت نارا والايناس رؤية شئ يونس به لعلى اتيكم
منها بنى الامر على الرجاء لئلا يعد ما ليس بمستيقن الوفاء به بقبس نار مقبسة فى راس عود
او فتيلة او اجد على النار هدى ذوى هدى او قوما يهدوننى الطريق ومعنى الاستعلاء
فى على النار ان اهل النار يستعلون المكان القريب منها فلما اتيها اى النار وجد نارا
بيضاء تتوقد فى شجرة من اسفلها الى اعلاها وكانت شجرة العناب او العوسج ولم يجد

عندها

عندها احدا وروى انه كلما طلبها بعدت عنه فاذا تركها قربت منه فثم نودى موسى يا موسى
انى بكسر الهمزة اى نودى فقيل يا موسى او لان النداء ضرب من القول فعومل معاملته وبالفتح
مكى وابو عمرو اى نودى بانى انا ربك انا مبتداء او توكيد او فصل وكرر الضمير لتحقق المعرفة و
اماطة الشبهة روى انه لما نودى يا موسى قال من المتكلم فقال الله عز وجل انا ربك فعرف انه
كلام الله عز وجل بانه سمعه من جميع الجهات الست وسمع بجميع اعضائه فاخلع نعليك انزعهما
لتصيب قدميك بركة الوادى المقدس او لانهما كانتا من جلد حمار ميتة غير مدبوغ او لان الحفوة
تواضع لله ومن ثم طاف السلف بالكعبة حافين والقران يدل على ان ذلك احترام للبقعة
وتعظيم لها فخلعهما والقاهما من وراء الوادى انك بالواد المقدس المطهر او المبارك طوى
حيث كان منونه شامى وكوفى لانه اسم علم للوادى وهو بدل منه وغيرهم بغير تنوين بتاويل
البقعة وقراء ابو زيد بكسر الطاء بلا تنوين وانا اخترتك اصطفيتك للنبوة وانا اخترناك
حمزة فاستمع لما يوحى اليك للذى يوحى او للوحى واللام يتعلق باستمع او باخترتك اننى انا الله
لا اله الا انا فاعبدنى وحدنى واطعنى واقم الصلوة لذكرى لتذكرنى فيها لاشتمال الصلوة على الاذكار
او لانى ذكرتها فى الكتب وامرت بها او لان اذكرك بالمدح والثناء او لذكرى خاصة لا تشوبه بذكر
غيرى او لتكون لى ذاكرا غير ناس او لاوقات ذكرى وهى مواقيت الصلوة كقوله ان الصلوة كانت
على المومنين كتابا موقوتا وقد حمل على ذكر الصلوة بعد نسيانها وذا يصح بتقدير حذف المضاف
اى لذكر صلوتى وهذا دليل على انه لا فريضة بعد التوحيد اعظم منها ان الساعة آتية لا محالة اكاد
اى اريد عن الاخفش وقيل صلة اخفيها قيل هو من الاضداد اى اظهرها او استرها عن العباد فلا
اقول هى اتية لارادتى اخفاها ولولا ما فى الاخبار باتيانها مع تعمية وقتها من الحكمة وهو انهم اذا لم
يعلموا متى تقوم كانوا على وجل منها فى كل وقت لما اخبرت به لتجزى متعلقة باتية كل نفس بما
تسعى اى بسعيها من خير او شر فلا يصدنك عنها فلا يصرفنك عن العمل للساعة او عن اقامة الصلوة
او عن الايمان بالقيامة فالخطاب لموسى عليه السلام والمراد امته من لا يومن بها لا يصدق بها واتبع هويه
فى مخالفة امره فتردى فتهلك وما تلك بيمينك يا موسى ما مبتداء وتلك خبره وهى بمعنى هذه
وبيمينك حال عمل فيها معنى الاشارة اى قارة او ماخوذة بيمينك او تلك موصولة صلتها بيمينك

والسؤال للتنبيه ليقع المعجزة بها بعدما تثبت فيها او للتوطين لئلا يهوله انقلابها حية او للايناس
ورفع الهيبة في المكالمة قال هي عصاي اتوكأ عليها اعتمد عليها اذا اعييت او وقفت على راس
القطيع وعند الطفرة واهش بها على غنمي اخبط بها ورق الشجر على غنمي لتاكله ولي فيها مارب
جمع مأربة بالحركات الثلث وهي الحاجة اخرى والقياس اخر وانما قال اخرى ردا الى الجماعة
او لنسق الاي وكذلك الكبرى ولما ذكر بعضها شكرا اجمل الباقي حياء من التطويل او ليسأل عنها
الملك العلام فيزيد في الاكرام والمارب الاخر انها كانت تماشيه وتحدثه وتحارب العدو
السباع وتصير رشاء فتطول بطول البير وتصير شعبتاها دلوا وتكونان شمعتين بالليل وتحمل
زاده فيركزها فتثمر بثمرة يشتهيها ويركزها فينبع الماء فاذا رفعها نضب وكانت تقيه الهوام
والزيادة على الجواب لتعداد النعم شكرا او لانها جواب سؤال مقدر آخر كانه لما قال هي عصاي
قيل له ما تصنع بها فاخذ يعدد منافعها قال القها يا موسى اطرح عصاك لتفرغ مما تتكأ
عليه فلا تسكن اليها وتتركنه مافيها من المارب فتعتمد علينا في المطالب فالقيها فطرحها
فاذا هي حية تسعى تمشي سريعا قيل انقلبت ثعبانا تبتلع الصخر والشجر فلما راها يبتلع كل شيء
خاف وانما وصف بالحية هنا وبالثعبان في موضع آخر وهو العظيم من الحيات وبالجان
وهو الدقيق في غيرها لان الحية اسم جنس يقع على الذكر والانثى والصغير والكبير وجاز
ان ينقلب حية صفراء دقيقة ثم تتزايد جرمها حتى تصير ثعبانا فاريد بالجان اولها
وبالثعبان مآلها او لانها كانت في عظم الثعبان وسرعة الجان وقيل كان بين لحييها اربعون
ذراعا ولما قال له ربه خذها ولا تخف بلغ من ذهاب خوفه ان ادخل يده في فمها واخذ بلحييها
سنعيدها اي سنردها سيرتها الاولى تانيث الاول والسيرة الحالة التي يكون عليها الانسان غريزية
كانت او مكتسبة وهي في الاصل فعلة من السير كالركبة من الركوب ثم استعملت بمعنى الحالة او
الطريقة وانتصب على الظرف اي سنعيدها في طريقتها الاولى اي في حال ما كانت عصا او المعنى
نردها عصا كما كانت واري ذلك موسى عند المخاطبة لئلا يفزع منها اذا انقلبت حية عند فرعون
ثم نبه على آية اخرى فقيل واضمم يدك الى جناحك اي جنبك تحت العضد وجناحا الانسان
جنباه والاصل المستعار منه جناحا الطائر سميا جناحين لانه يجنحهما عند الطيران والمعنى ادخلها تحت

فالقيها

العشير

عضدك

عضدك تخرج بيضاء لها شعاع كشعاع الشمس تغشي البصر من غير سوء اي برص آية اخرى لنريك
بيضاء وآية حالان ومن غير سوء من صلة بيضاء لقولك ابيضت من غير سوء وجاز ان ينتصب
آية بفعل محذوف يتعلق به لام لنريك من آياتنا الكبرى اي خذ هذه الاية ايضا بعد قلب
العصا حية لنريك بهاتين الايتين بعض آياتنا الكبرى العظمى او لنريك بهما الكبرى من آياتنا او
المعنى فعلنا ذلك لنريك من آياتنا الكبرى اذهب الى فرعون انه طغى جاوز حد العبودية
الى دعوى الربوبية ولما امره بالذهاب الى فرعون الطاغي وعرف انه كلف امرا عظيما يحتاج
الى فسيح صدر قال رب اشرح لي صدري وسعه ليحتمل الوحي والمشاق وردي الاخلاق من فرعون
واشرح لي صدري آكد من اشرح صدري لانه تكرير للمعنى وجنده ويسر لي امري وسهل علي ما امرتني
به من تبليغ الرسالة الى فرعون واشرح لي صدري آكد من اشرح صدري لانه تكرير للمعنى الواحد
من طريقي الاجمال والتفصيل لانه بقوله اشرح لي ويسر لي علم ان ثمة مشروحا وميسرا ثم رفع
الابهام بذكر الصدر والامر واحلل عقدة افتح من لساني وكان في لسانه رتة للجمرة التي وضعها
على لسانه في حال صباه وذلك لان موسى اخذ لحية فرعون ولطمه لطمة شديدة في صغره
فاراد قتله فقالت آسية ايها الملك انه صغير لا يعقل فجعلت في طست نارا وفي طست يواقيت
ووضعتهما لدى موسى فقصد اليواقيت فامال الملك يده الى النار فرفع جمرة فوضعها على
لسانه فاحترقت لسانه فصار لكنة منها وروي ان يده احترقت واجتهد فرعون في علاجها
فلم تبرأ ولما دعاه قال الى اي رب تدعوني قال الى الذي ابرأ يدي وقد عجزت عنها ومن لساني
صفة لعقدة كانه قيل عقدة من عقد لساني وهذا يشعر بانه لم تزل العقدة بكمالها واكثرهم
على ذهاب جميعها يفقهوا قولي عند تبليغ الرسالة واجعل لي وزيرا ظهيرا اعتمد عليه واصله
الوزر الحبل من الوزر الثقل لانه يتحمل ما اخوذ من الملك اوزاره ومؤنته او من الوزر الوزر
الملجأ لان الملك يعتصم برأيه ويلتجئ اليه في اموره او معينا من الموازرة وهي المعاونة فوزيرا
مفعول اول لاجعل والثاني من اهلي او لي ووزيرا مفعولا وقوله هارون عطف بيان لوزيرا
وقوله اخي بدل او عطف بيان آخر او وزيرا وهارون مفعولاه وقدم ثانيهما على اولهما عناية
بامر الوزارة اشدد به ازري اي قوّ به ظهري وقيل الازر القوة واشركه في امري اجعله شريكي

في النبوة والرسالة واشدد واشركه على حكاية النفس شامي على الجواب والباقون على الدعا
والسوال كي نسبحك نصلي لك وننزهك تسبيحا كثيرا او نذكرك كثيرا في الصلوة وخارجها انك كنت
بنا بصيرا عالما باحوالنا فاجابه الله تعالى حيث قال قد اوتيت سولك يا موسى اعطيت
مسولك فالسول الطلبة فعل بمعنى مفعول كالخبز بمعنى مخبوز سولك بلا همزة ابو عمرو ولقد
مننا انعمنا عليك مرة كرة اخرى قبل هذه ثم فسرها فقال اذ اوحينا الى امك ما يوحى الهاما
او مناما حين ولدت وكان فرعون يقتل امثالك واذ ظرف لمننا ثم فسر ما يوحى بقوله
ان اقذفيه اي القيه في التابوت وان هي مفسرة لان الوحي بمعنى القول فاقذفيه في اليم النيل
فليلقه اليم بالساحل الجانب وسمي ساحلا لان الماء سحله اي قشره والصيغة امر لتناسب
ما تقدم ومعناه الاخبار اي يلقيه اليم بالساحل ياخذه عدو لي وعدو له يعني فرعون
والضماير كلها راجعة الى موسى ورجوع بعضها اليه وبعضها الى التابوت يفضي الى تنافر النظم
والمقذوف في البحر والملقى الى الساحل وان كان هو التابوت روي انها جعلت في التابوت قطنا
محلوجا فوضعته فيه وقيرته ثم القته في اليم وكان يشرع منه الى بستان فرعون نهر كبير فبينا هو
جالس على راس بركة مع آسية اذا بالتابوت فامر به فاخرج ففتح فاذا هو صبي اصبح
الناس وجها فاحبه فرعون حبا شديدا فذلك قوله والقيت عليك محبة مني يتعلق مني بالقيت
يعني احببتك ومن احبه الله احبته القلوب فما راه احد الا احبه قال قتادة كانت في عيني موسى
ملاحة ما رآه احد الا احبه ولتصنع معطوف على محذوف تقديره والقيت عليك محبة و
لتحب ولتصنع على عيني اي لتربى بمرامي واصله من صنع الفرس اي احسن القيام عليه يعني انا
مراعيك ومراقبك كما يراعي الرجل الشيء بعينه اذا اعتنى والتصنع بسكون اللام والجزم يزيد
على انه امر اذ تمشي بدل من اذ اوحينا لان مشي اخته كان منة عليه اختك فتقول هل ادلكم
على من يكفله روي ان اخته مريم جاءت متعرفة خبره فصادفتهم يطلبون له مرضعة يقبل
ثديها وكان لا يقبل ثدي امراة فقالت هل ادلكم على من يضمه الى نفسه فيربيه واردت بذلك
المرضعة وتذكير الفعل للفظ من فقالوا نعم فجاءت بالام فقبل ثديها فذلك قوله فرجعناك
فرددناك الى امك كما وعدناها بقولنا انا رادوه اليك كي تقر عينها بلقايك ولا تحزن

على فراقك

على فراقك وقتلت نفسا قبطيا كافرا فنجيناك من الغم من القود وقيل الغم القتل بلغة قريش وقيل
اغتم بسبب القتل خوفا من عقاب الله تعالى ومن اقتصاص فرعون فغفر الله له باستغفاره
حين قال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي ونجاه من فرعون بان ذهب به من مصر الى مدين
وفتناك فتونا ابتليناك ابتلاء بايقاعك في المحن وتخليصك منها والفتون مصدر
كالقعود وجمع فتن اي فتناك ضروبا من الفتن والفتنة المحنة وكل ما يبتلي الله عباده فتنة
ونبلوكم بالشر والخير فتنة فلبثت سنين في اهل مدين هي بلدة شعيب عليه السلام على ثماني
مراحل من مصر قال وهب لبث عند شعيب ثمانيا وعشرين سنة عشر منها مهر لصفورا واقام
عنده ثماني عشرة سنة بعدها حتى ولد له موسى اولادا ثم جئت على قدر يا موسى اي موعد وقد
للرسالة وهو اربعون سنة واصطنعتك لنفسي اخترتك واصطفيتك لوحيي ورسالتي
لتتصرف على ارادتي ومحبتي قال الزجاج اخترتك لامري وجعلتك القايم بحجتي والمخاطب
بيني وبين خلقي كاني اقمت عليهم الحجة وخاطبتهم اذهب انت واخوك باياتي بمعجزاتي ولا تنيا
تفترا من الونى وهو الفتور والتقصير في ذكري اي اتخذا ذكري جناحا تطيران به او اريد
بالذكر تبليغ الرسالة فالذكر يقع على ساير العبادات وتبليغ الرسالة من اعظمها اذهبا الى
فرعون كرر لان الاول مطلق والثاني مقيد انه طغى جاوز الحد بادعاء الربوبية فقولا له قولا
لينا الطفا له في القول لما له من حق تربية موسى او كنياه وهو من ذوي الكنى الثلث ابو العباس
وابو الوليد وابو مرة او عداه شبابا لا يهرم بعده وملكا لا ينزع منه الا بالموت او هو قوله هل لك
الى ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى وظاهره الاستفهام والمشورة لعله يتذكر اي يتعظ ويتامل
فيذعن للحق او يخشى او يخاف ان يكون الامر كما تصفان فيجره انكاره الى الهلكة وانما قال لعله يتذكر
مع علمه انه لا يتذكر لان الترجي لهما اي اذهبا على رجايكما وطمعكما وباشرا الامر مباشرة من يطمع
ان يثمر عمله وجدوى ارسالهما اليه مع العلم بانه لن يؤمن الزام الحجة وقطع المعذرة وقيل معناه
لعله يتذكر متذكر او يخشى خاش وقد كان ذلك من كثير من الناس وقيل لعل من الله واجب وقد
تذكر ولكن حين لم ينفعه التذكر وقيل تذكر فرعون وخشي واراد اتباع موسى فمنعه هامان وكان
لا يقطع امرا دونه وتليت هذه الاية عند يحيى بن معاذ فبكى وقال هذا رفقك بمن يقول انا الاله فكيف

بمن قال انت الاله او هذا ارفقك بمن قال انا ربكم الاعلى فكيف بمن قال سبحان ربي الاعلى قالا ربنا
اننا نخاف ان يفرط علينا يعجل علينا بالعقوبة ومنه الفارط يقال فرط عليه اي عجل او ان يطغى
يجاوز الحد في الاساءة الينا قال لا تخافا انني معكما اي حافظكما وناصركما اسمع اقوالكم وارى
افعالكم قال ابن عباس رض اسمع دعائكما فاجيبه وارى ما يراد بكما فامنع لست بغافل عنكما
فلا تهتما فاتياه اي فرعون فقولا انا رسولا ربك اليك فارسل معنا بني اسرائيل اي اطلقهم من
الاستعباد والاسترقاق ولا تعذبهم بتكليف المشاق قد جئناك باية بحجة من ربك على
صدق ما ادعيناه وهذه الجملة جارية من الجملة الاولى وهي انا رسولا ربك مجرى البيان
والتفسير لان دعوى الرسالة لا يثبت الا ببينتها وهي المجيء بالاية فقال فرعون وما هي فاخرج
يده لها شعاع كشعاع الشمس والسلام على من اتبع الهدى اي سلم من العذاب من اسلم وليس
بتحية وقيل وسلام الملائكة الذين هم خزنة الجنة على المهتدين انا قد اوحي الينا ان العذاب
في الدنيا والاخرة على من كذب بالرسل عليهم السلام وتولى اعرض عن الايمان وهي ارجى اي
القران لانه جعل جنس السلام للمومن وجنس العذاب على المكذب وليس وراء الجنس شيء
فاتياه واديا الرسالة وقالا له ما امرا به قال فمن ربكما يا موسى خاطبهما ثم نادى احدهما لان
موسى هو الاصل في النبوة وهارون تابعه قال ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه خلقه اول
مفعولي اعطى اي اعطى خليقته كل شيء يحتاجون اليه ويرتفقون به او ثانيهما اي اعطى كل
شيء صورته وشكله الذي يطابق الابصار وللاذن الشكل الذي يوافق الاستماع وكذا الانف
والرجل واليد كل واحد منها مطابق للمنفعة المنوطة بها وقرئ نصير خلقه صفة للمضاف
او للمضاف اليه اي اعطى كل شيء مخلوق عطاء ثم هدى عرف كيف يرتفق بما اعطي للمعيشة
في الدنيا والسعادة في العقبى قال فما بال القرون الاولى فما حال الامم الخالية والرمم البالية
سال عن حال من تقدم من القرون وعن شقاء من شقي منهم وسعادة من سعد قال موسى
مجيبا له علمها عند ربي مبتدأ وخبر في كتاب اي اللوح خبر ثان اي هذا سؤال عن الغيب
وقد استاثر الله به لا يعلمه الا هو وما انا الا عبد مثلك لا اعلم منه الا ما اخبرني به علام الغيوب
وعلم احوال القرون مكتوب عند الله في اللوح المحفوظ لا يضل ربي اي لا يخطئ شيئا يقال ضللت

الشيء

الشيء اذا اخطاته في مكانه فلم تهتد له اي لا يخطئ في سعادة الناس وشقاوتهم ولا ينسى ثوابهم وعقابهم
وقيل لا ينسى ما علم فيذكره الكتاب ولكن ليعلم الملائكة ان معمول الخالق يوافق معلومه الذي مرفوع
صفة لربي او خبر مبتدأ محذوف او منصوب على المدح جعل لكم الارض مهدا كوفي وغيرهم
مهادا وهما لغتان لما يبسط ويفرش وسلك اي حصل لكم فيها سبلا طرقا وانزل من السماء ماء
مطرا فاخرجنا به اي بالماء نقل الكلام من الغيبة الى لفظ المتكلم المضارع للافتنان وقيل تم كلام
موسى ثم اخبر الله تعالى عن نفسه بقوله فاخرجنا به وقيل هذا كلام موسى اي فاخرجنا نحن
بالحراثة والغرس ازواجا اصنافا من نبات هو مصدر سمي به النابت فاستوى فيه الواحد والجمع
شتى صفة للازواج او للنبات جمع شتيت كمريض ومرضى اي انها مختلفة النفع والطعم و
اللون والرائحة والشكل بعضها يصلح للناس وبعضها للبهائم ومن نعمته تعالى ان ارزاقنا يحصل
بعمل الانعام وقد جعل الله تعالى علفها مما يفضل عن حاجتنا مما لا نقدر على كله قائلين كلوا
وارعوا انعامكم حال من الضمير في فاخرجنا والمعنى اخرجنا اصناف النبات اذنين في الانتفاع
بها مبيحين ان تاكلوا بعضها وتعلفوا بعضها ان في ذلك في الذي ذكرت لايات لدلالات
لاولي النهى لذوي العقول واحدها نهية لانها تنهى عن المحظور او ينتهى اليها في الامور منها
اي من الارض خلقناكم اي اباكم ادم عليه السلام وقيل يعجن كل نطفة بشيء من تراب مدفنه
فيخلق من التراب والنطفة معا ولان النطفة من الاغذية وهي من الارض وفيها نعيدكم
اذا متم فدفنتم ومنها نخرجكم عند البعث تارة مرة اخرى فالمراد باخراجهم انه يولف اجزاءهم
المتفرقة المختلطة بالتراب ويردهم كما كانوا احياء ويخرجهم الى المحشر عدد الله عليهم ما
علق بالارض من مرافقهم حيث جعلها لهم فراشا ومهادا ينقلبون عليها وسوى لهم فيها مسالك
يترددون فيها كيف شاؤوا وانبت فيها اصناف النبات التي منها اقواتهم وعلوفات بها
ئمهم وهي اصلهم الذي منه تفرعوا وامهم التي منها ولدوا وهي كفاتهم اذا ماتوا ولقد اريناه اي فرعون
اياتنا كلها وهي تسع ايات العصا واليد وفلق البحر والحجر والجراد والقمل والضفادع والدم
ونتق الجبل فكذب الايات وابى قبول الحق قال فرعون اجئتنا لتخرجنا من ارضنا مصر بسحرك يا
موسى فيه دليل على انه خاف منه خوفا شديدا وقوله بسحرك تعلل والا فاي ساحر يقدر ان يخرج

ملكا من ارضه فلناتينك بسحر مثله فلنعارضنك بسحر مثل سحرك فاجعل بيننا وبينك موعدا هو مصدر بمعنى الوعد ويقدر مضاف اى مكان موعد والضمير فى لا نخلفه للوعد قراء يزيد بالجزم على جواب الامر وغيره بالرفع على الوصف للموعد نحن ولا انت مكانا هو بدل من المكان المحذوف ويجوز ان لا يقدر مضاف ويكون المعنى اجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه وانتصب مكانا بالمصدر او بفعل يدل عليه المصدر سوى بالكسر حجازى وابو عمرو وعلى وغيرهم بالضم وهو نعت لمكان اى منصفا بيننا وبينك وهو من الاستواء لان المسافة من الوسط الى الطرفين مستوية قال موعدكم يوم الزينة مبتداء وخبره وهو يوم عيد كان لهم او يوم النيروز او يوم عاشورا وانما استقام الجواب بالزمان وان كان السوال على المكان على التاويل الاول لان اجتماعهم يوم الزينة يكون فى مكان لا محالة فبذكر الزمان علم المكان وعلى الثانى تقديره وعدكم وعد يوم الزينة وان يحشر الناس اى ما يجمع فى موضع رفع او جر عطفا على يوم او الزينة ضحى اى وقت الضحوة ليكون ابعد عن الريبة وابين لكشف الحق وليشيع فى جميع اهل الوبر والمدر فتولى فرعون ادبر عن موسى معرضا فجمع كيده مكره وسحرته وكانوا اثنين وسبعين او اربع مائة او سبعين الفا ثم اتى الموعد قال لهم موسى اى للسحرة ويلكم لا تفتروا على الله كذبا لا تدعوا اياته ومعجزاته سحرا فيسحتكم كوفى غير ابى بكر يهلككم وغيرهم بفتح الياء والحاء والسحت والاسحات بمعنى الاعدام وانتصب على جواب النهى بعذاب عظيم وقد خاب من افترى من كذب على الله فتنازعوا اختلفوا اى السحرة فقال بعضهم هو ساحر مثلنا وقال بعضهم ليس هذا بكلام السحرة اى لا تفتروا على الله الكذب بالايات امرهم بينهم واسروا النجوى اى تشاوروا فى السر وقالوا ان كان ساحرا فسنغلبه وان كان من السماء فله امر والنجوى يكون مصدرا او اسما ثم لعمل هذا الكلام يعنى قالوا ان هذان لساحران يعنى موسى وهارون قراء ابو عمرو ان هذين لساحران وهو ظاهر ولكنه مخالف للامام وابن كثير وحفص والخليل وهو اعرف بالنحو واللغة ان هذان لساحران بتخفيف ان مثل قولك ان زيد لمنطلق واللام هى الفارقة بين ان النافية والمخففة من الثقيلة وقيل هى بمعنى ما واللام بمعنى الا اى ما هذان الا ساحران دليله قراءة ابى ان ذان الا ساحران وغيرهم ان هذان لساحران قيل هى لغة بلحارث بن كعب وخثعم ومراد كنانة فالتثنية فى لغتهم بالالف ابدا فلم يقلبوها ياء

وعدا

الزينة

فى الجر والنصب كعصا وسعدا قال ان اباها واباها قد بلغا فى المجد غاياها وقال الزجاج ان بمعنى نعم قال الشاعر ويقلن شيب قد علاك وقد كبرت فقلت انه اى نعم والهاء للوقف وهذان مبتداء وساحران خبر مبتداء محذوف واللام داخلة على المبتداء المحذوف تقديره هذان لهما ساحران فيكون دخولها فى موضعها الموضوع لها وهو الابتداء وقد تدخل اللام فى الخبر لاجل الخل فى المبتداء قال خالى لانت ومن جرير خاله قال الزجاج وعرضته على المبرد فرضيه وقد زيفه ابو على يريدان ان يخرجاكم من ارضكم مصر بسحرهما ويذهبا بطريقتكم بدينكم وشريعتكم المثلى الفضلى تانيث الامثل وهو الافضل فاجمعوا فاحكموا اى اجعلوه مجمعا عليه حتى لا تختلفوا فاجمعوا ابو عمرو ويعضده فجمع كيده كيدكم هو ما يكاد به ثم ائتوا صفا مصطفين حال امروا بان ياتوا صفا لانه اهيب فى صدور الرائين وقد افلح اليوم من استعلى وقد فاز من غلب وهو اعتراض قالوا اى السحرة يا موسى اما ان تلقى عصاك اولا واما ان نكون اول من القى ما معنا وموضع ان مابعده فيهما نصب بفعل مضمر او رفع بانه خبر مبتداء محذوف معناه اختر احد الامرين او الامر القاءك او القاءنا وهذا التخيير منهم استعمال ادب حسن معه وكانه تعالى الهمهم ذلك وقد وصل اليهم بركته وعلم موسى اختيار القائهم اولا حتى قال بل القوا انتم اولا ليبرزوا ما معهم من مكايد السحر ويظهر الله سلطانه ويقذف بالحق على الباطل فيدمغه ويسلط المعجزة على السحر فيمحقه فيصير اية نيرة للناظرين وعبرة للمعتبرين فالقوا فاذا حبالهم وعصيهم يقال فى اذا هذه اذا المفاجاة والتحقيق انها اذا الكائنة بمعنى الوقت الطالبة ناصبا لها وجملة تضاف اليها خصت فى بعض المواضع بان يكون ناصبها فعلا مخصوصا وهو فعل المفاجات والجملة ابتدائية لا غير والتقدير ففاجاء موسى وقت تخييل سعى حبالهم وعصيهم والمعنى على المفاجات حبالهم وعصيهم مخيلة اليه السعى يخيل وبالتاء ابن ذكوان اليه الى موسى من سحرهم انها تسعى رفع بدل الاشتمال من الضمير فى يخيل اى يخيل الملقى وروى انهم لطخوها بالزيبق فلما ضربت عليها الشمس اضطربت واهتزت فخيلت ذلك فاوجس فى نفسه خيفة موسى اضمر فى نفسه خوفا ظنا منه انها تقصده للجبلة البشرية او خاف ان يخالج الناس شك فلا يتبعوه قلنا لا تخف انك انت الاعلى الغالب القاهر وفى ذكران وانت وحرف التعريف ولفظ العلو وهو الغلبة

الظاهرة مبالغة بينة والق ما في يمينك تلقف بسكون اللام والفاء وتخفيف القاف حفص تلقف
ابن ذكوان الباقون تلقف ما صنعوا زوروا وافتعلوا اى اطرح عصاك تبتلع عصيهم و
حبالهم ولم يقل عصاك تعظيما لها اى لا تحتفل بما صنعوا فان ما في يمينك اعظم منها او تحقيرا
اى لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم والق العويد الفرد الذى في يمينك فانه بقدرتنا يتلقفها
على وحدته وكثرتها انما صنعوا كيد ساحر سحر كوفى غير عاصم بمعنى ذى سحر او ذوى سحر او سمو
لتوغلهم في سحرهم كانهم السحر وكيد بالرفع على القراءتين وما موصولة او مصدرية وانما
وحد ساحر ولم يجمع لان القصد في هذا الكلام الى معنى الجنسية لا الى معنى العدد فلو جمع لخيل
ان المقصود هو العدد الا يرى الى قوله ولا يفلح الساحر اى هذا الجنس حيث اتى اينما كان فالقى
موسى عصاه فتلقفت ما صنعوا فلما عظم ما راوا من الاية وقعوا الى السجود فذلك قوله
فالقى السحرة سجدا قال الاخفش من سرعة ما سجدوا كانهم القوا فما اعجب امرهم قد القوا
حبالهم وعصيهم الكفر والجحود ثم القوا رؤسهم بعد ساعة للشكر والسجود فما اعظم
الفرق بين الالقائين روى انهم راوا الجنة ومنازلهم فيها في السجود فرفعوا رؤسهم ثم قالوا
امنا برب هرون وموسى وانما قدم هارون هنا واخر في الشعراء محافظة للفاصلة ولان
الواو لا توجب ترتيبا قال امنتم بغير مد حفص وبهمزة ممدودة بصرى وشامى وحجازى
وبهمزتين غيرهم له قبل ان اذن لكم اى لموسى يقال آمن له وامن به انه لكبيركم الذى علمكم
السحر لعظيمكم او لعلمكم يقول اهل مكة للمعلم امرنى كبيرى فلاقطعن ايديكم وارجلكم من
خلاف القطع من خلاف ان تقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى لان كل واحد من العضوين
يخالف الاخر بان هذا يد وذاك رجل وهذا يمين وذاك شمال ومن لابتداء الغاية لان
القطع مبتداء وناشئ من مخالفة العضو العضو ومحل الجار والمجرور النصب على الحال اى
لاقطعنها مختلفات لانها اذا خالف بعضها بعضا فقد اتصفت بالاختلاف وشبه تمكن
المصلوب في الجذع بتمكن المظروف في الظرف فلذا قال ولاصلبنكم في جذوع النخل وخص
النخل لطول جذوعها ولتعلمن اينا اشد عذابا انا على ايمانكم به او رب موسى على ترك الايمان
به وقيل يريد نفسه لعنه الله وموسى عليه السلام بدليل قوله امنتم له واللام مع الايمان

فكان

في كتاب الله لغير الله كقوله يومن بالله ويومن للمومنين وابقى ادوم قالوا لن نؤثرك لن نختارك
على ما جاءنا من البينات القاطعة الدالة على صدق موسى والذى فطرنا عطف على ما جاءنا
ولا على الذى خلقنا او قسم وجوابه لن نؤثرك مقدم على القسم فاقض ما انت قاض فاصنع ما انت
صانع من القطع والصلب قال معليها مسرور تان قضاها اى صنعهما او احكم ما انت حاكم انما
تقضى هذه الحيوة الدنيا اى في هذه الحيوة فانتصب على الظرف اى انما تحكم فينا مدة حيوتنا
انا امنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما اكرهتنا عليه ما موصولة منصوبة بالعطف على خطايانا
من السحر حال بن ما روى انهم قالوا لفرعون ارنا موسى نايما ففعل فوجده تحرسه عصاه فقالوا
ما هذا بسحر الساحر اذا نام بطل سحره فكرهوا معارضة خوف الفضيحة فاكرههم فرعون على
الاتيان بالسحر انظر كيف نفعهم علمهم بالسحر وضر فرعون جهله به فكيف بعلم الشريعة والله
خير ثوابا للمطيع وابقى عقابا للعاصى وهو رد لقول فرعون ولتعلمن اينا اشد عذابا
وابقى انه هو ضمير الشان من يات ربه مجرما كافرا فان له جهنم لا يموت فيها فيستريح
بالموت ولا يحيى حيوة ينتفع بها ومن ياته مومنا مات على ايمانه قد عمل الصالحات بعد الايمان
فاولئك لهم الدرجات العلى في الجنة جمع العليا جنات عدن بدل من الدرجات تجرى من
تحتها الانهار خالدين فيها دائمين فيها وذلك جزاء من تزكى تطهر من الشرك بقول لا اله الا
الله قيل هذه الايات الثلث حكاية قولهم وقيل خبر من الله تعالى لا على وجه الحكاية وهو الظهر
ولقد اوحينا الى موسى ان اسر بعبادى لما اراد الله تعالى اهلاك فرعون وقومه امر موسى
ان يخرج بهم من مصر ليلا ويأخذ بهم طريقا في البحر فاضرب لهم طريقا في البحر اى اجعل لهم من
قولهم ضرب له في ماله سهما يبسا اى يابسا وهو مصدر وصف به يقال يبس يبسا ويبسا لا
تخاف حال من الضمير في فاضرب اى اضرب لهم طريقا غير خائف لا تخف حمزة على الجواب دركا
هو اسم من الادراك اى لا يدركك فرعون وجنوده ولا يلحقونك ولا تخشى اى الغرق وعلى
قراءة حمزة ولا تخشى استيناف اى وانت لا تخشى او يكون الالف للاطلاق كما في قوله وتظنون
بالله الظنونا فاخرج بهم موسى من اول الليل وكانوا سبعين الفا وقد استعاروا حليهم فركب
فرعون في ستماية الف من القبط فقص اثرهم فذلك قوله فاتبعهم فرعون بجنوده وهو حال

اى خرج خلفهم ومعه جنوده فغشيهم من اليم اصابهم من البحر ما غشيهم هو من جوامع الكلم التى
تستقل مع قلتها بالمعانى الكثيرة اى غشيهم ما لا يعلم كنهه الا الله عز وجل واضل فرعون قومه
عن سبيل الرشاد وما هدى وما ارشدهم الى الحق والسداد وهذا رد لقوله وما اهديكم الا
سبيل الرشاد ثم ذكر منته على بنى اسرائيل بعدما انجيهم من البحر واهلك فرعون وقومه بقوله
يا بنى اسرائيل اى واوحينا الى موسى ان اسر بعبادى وقلنا يا بنى اسرائيل قد انجيناكم من عدوكم
اى فرعون وواعدناكم بايتاء الكتاب جانب الطور الايمن وذلك لان الله وعد موسى
ان ياتى هذا المكان ويختار سبعين رجلا يحضرون معه لنزول التورية وانما نسب اليهم المواعدة
لانها كانت لنبيهم ونقبائهم واليهم رجعت منافعها التى قام بها شرعهم ودينهم والايمن نصب
لانه صفة جانب وقرى بالجر على الجوار ونزلنا عليكم المن والسلوى فى التيه وقلنا لكم كلوا من
طيبات حلالات ما رزقناكم انجيتكم وواعدتكم ورزقتكم كوفى غير عاصم ولا تطغوا فيه
ولا تتعدوا حدود الله فيه بان تكفروا النعم وتنفقوها فى المعاصى او لا يظلم بعضكم بعضا
فيه فيحل عليكم غضبى عقوبتى ومن يحلل عليه غضبى فقد هوى هلك او سقط سقوطا لا
نهوض بعده واصله ان يسقط من جبل فهلك وتحقيقه سقط من شرف الايمان الى حفرة من
حفر النيران قراء على فيحل ويحلل والباقون بكسرهما فالمكسور فى معنى الوجوب من حل الدين
يحل اذا وجب اداءه والمضموم فى معنى النزول وانى لغفار لمن تاب عن الشرك وآمن وحد الله
تعالى وصدقه فيما انزل وعمل صالحا ادى الفرايض ثم اهتدى ثم استقام وثبت على الهدى
المذكور وهو التوبة والايمان والعمل الصلح وما اعجلك واى شئ عجل بك عن قومك
يا موسى اى عن السبعين الذين اختارهم وذلك انه مضى الى الطور على الموعد المضروب
ثم تقدمهم شوقا الى كلام ربه وامرهم ان يتبعوه فقال الله تعالى وما اعجلك اى اى شئ اوجب
عجلتك استفهام انكار وما مبتداء واعجلك الخبر قال هم اولاء على اثرى اى هم خلفى يلحقون
بى وليس بينى وبينهم الا مسافة يسيرة ثم ذكر موجب العجلة فقال وعجلت اليك رب اى
الى الموعد الذى وعدت لترضى لتزداد عنى رضا وهذا دليل على جواز الاجتهاد قال
فانا قد فتنا قومك ابتليناهم فى فتنة من بعدك من بعد خروجك من بينهم والمراد بالقوم

الذين

الذين خلفهم مع هارون واضلهم السامرى بدعائه اياهم الى عبادة العجل واجابتهم له وهو
منسوب الى قبيلة من بنى اسرائيل يقال لها السامرة وقيل كان علجا من كرمان فاتخذ عجلا
واسمه موسى بن ظفر وكان منافقا فرجع موسى من مناجات ربه الى قومه غضبان اسفا
شديد الغضب وحزينا قال يا قوم الم يعدكم ربكم وعدا حسنا وعدهم الله ان يعطيهم التورية
التى هو فيها هدى ونور وكانت الف سورة كل سورة الف آية يحمل اسفارها سبعون
جملا وكلا وعد احسن من ذلك افطال عليكم العهد اى مدة مفارقتى اياكم والعهد الزمان يقال
طال عهدى بك اى طال زمانى بسبب مفارقتك ام اردتم ان يحل عليكم غضب من ربكم
اى اردتم ان تفعلوا فعلا يجب الغضب عليكم من ربكم فاخلفتم موعدى وعدى ان تقيموا
على امرى وما تركتكم عليه من الايمان فاخلفوا موعده باتخاذ العجل قالوا ما اخلفنا موعدك
بملكنا بفتح الميم مدنى وعاصم وبضمها حمزة وعلى وبكسرها غيرهم اى ما اخلفنا موعدك
بان ملكنا امرنا اى لو ملكنا امرنا وخلينا وراينا لما اخلفنا موعدك ولكنا غلبنا من جهة السامرى
وكيده ولكنا حملنا بالضم والتشديد حجازى وشامى وحفص وبفتح الحاء والميم مع التخفيف
غيرهم اوزارا من زينة القوم اثقالا من حلى القبط او ارادوا بالاوزار انها آثام وتبعات
لانهم قد استعاروها ليلة الخروج من مصر بعلة ان غدا لنا عيدا فقال السامرى انما حبس موسى
لشوم حرمتها لانهم كانوا معهم فى حكم المستامنين فى دار الحرب وليس للمستامن ان ياخذ مال
الحربى على ان الغنايم لم تكن تحل حينئذ فاحرقوها فجاء فى حفرة النار قالب عجل فانصاغت
عجلا مجوفا لخار بدخول الريح فى مجار منه اشباه العروق وقيل نفخ فيه تراب موضع قوائم
فرس جبرئيل عليه السلام يوم الغرق وهو فرس حيوة فيجئ فخار وما لطباعهم الى الذهب
فعبدوه فقذفناها فى نار السامرى التى اوقدها فى الحفرة وامرنا ان نطرح فيها الحلى فكذلك
القى السامرى ما معه من الحلى فى النار او ما معه من التراب الذى اخذه من اثر حافر فرس
جبرئيل عليه السلام فاخرج لهم السامرى من الحفرة عجلا خلقه الله تعالى من الحلى التى سبكها
النار ابتلاء جسدا مجسدا له خوار صوت وكانوا يحرون العجاجيل فقالوا اى السامرى واتباعه
هذا الهكم واله موسى فاجاب عامتهم الا اثنى عشر الفا فنسى اى فنسى موسى ربه هنا وذهب

بطلبه عند الطور او هو ابتداء كلام من الله عز وجل اى نسى السامرى ربه وترك ما كان عليه
من الايمان الظاهر او نسى السامرى الاستدلال على ان العجل لا يجوز ان يكون الها بدليل قوله
افلا يرون ان لا يرجع اى انه لا يرجع فان مخففة من الثقيلة اليهم قولا اى لا يجيبهم ولا يملك
لهم ضرا ولا نفعا اى هو عاجز عن الخطاب والضر والنفع فكيف يتخذونه الها وقيل انه ما خار
الا مرة ولقد قال لهم لمن عبدوا العجل هرون من قبل من قبل رجوع موسى اليهم يا قوم انما فتنتم
به ابتليتم بالعجل فلا تعبدوه وان ربكم الرحمن لا العجل فاتبعونى كونوا على دينى الذى هو الحق
واطيعوا امرى فى ترك عبادة العجل قالوا لن نبرح عليه عاكفين اى لن نزال مقيمين على العجل
وعبادته حتى يرجع الينا موسى فينظر هل يعبده كما عبدنا وهل صدق السامرى ام لا فلما رجع
موسى قال يا هرون ما منعك اذ رايتهم ضلوا بعبادة العجل الا تتبعن بالياء فى الوصل والوقف
مكى ووافقه ابو عمرو ونافع فى الوصل وغيرهم بلا ياء اى ما دعاك الى ان لا تتبعنى لوجود التعلق
بين الصارف عن فعل الشئ وبين الداعى الى تركه وقيل لا مزيدة والمعنى اى شئ منعك ان
تتبعنى حين لم يقبلوا قولك وتلحق بى وتخبرنى وما منعك ان تتبعنى فى الغضب لله وهلا
قاتلت من كفر بمن آمن وما لك لم تباشر الامر كما كنت اباشره انا لو كنت شاهدا افعصيت امرى
الذى امرتك به من القيام بمصالحهم ثم اخذ شعر راسه بيمينه ولحيته بشماله غضبا وانكارا عليه
لان الغيرة فى الله ملكته قال يا ابن ام بفتح الميم شامى وكوفى غير حفص وكان اخاه لابيه وامه
عند الجمهور ولكنه ذكر الام استعطافا وترقيقا لا تاخذ بلحيتى ولا براسى ثم ذكر عذره فقال
انى خشيت ان تقول اذا قاتلت بعضهم ببعض فرقت بين بنى اسرائيل انى خفت ان تقول ان فارقتهم
واتبعتك ولحق بى فريق وتبع السامرى فريق فرقت بين بنى اسرائيل ولم ترقب ولم تحفظ
قولى واخلفنى فى قومى واصلح وفيه دليل على جواز الاجتهاد ثم اقبل موسى على السامرى منكرا
عليه حيث قال فما خطبك ما امرك الذى تخاطب عليه يا سامرى قال بصرت بما لم يبصروا به
وبالتاء حمزة وعلى قال الزجاج بصر علم وابصر نظر اى علمت ما لم يعلمه بنو اسرائيل قال موسى وما
ذاك قال رايت جبريل على فرس الحيوة فالقى فى نفسى ان اقبض من اثره فما القيته على شئ الا صار
له روح ولحم ودم فقبضت قبضة القبضة المرة من القبض واطلاقها على المقبوض من تسمية المفعول

بالمصدر

بالمصدر كضرب الامير وقرئ فقبضت قبصة فالضاد بجميع الكف والصاد باطراف الاصابع من
اثر الرسول اى من اثر فرس الرسول وقرئ بها فنبذتها فطرحتها فى جوف العجل وكذلك سولت
لى زينت لى نفسى ان افعله ففعلته اتباعا للهوى وهو اعتراف بالخطاء واعتذار منه قال له موسى
فاذهب من بيننا طريدا فان لك فى الحيوة ما عشت ان تقول لمن اراد مخالطتك جاهلا بحالك
لا مساس اى لا يمسنى احد ولا امسه فمنع من مخالطة الناس منعا كليا وحرم عليهم ملاقاته
ومكالمته ومبايعته واذا اتفق ان يماس احدا حم الماس والممسوس وكان يهيم فى البرية
يصيح لا مساس ويقال ان ذلك موجود فى اولاده الى الان وقيل اراد موسى عليه السلام ان يقتله
فمنعه الله منه لسخائه وان لك موعدا لن تخلفه لن يخلفك الله موعده الذى وعدك على الشرك
والفساد فى الارض ينجزه لك فى الاخرة بعد ما عاقبك بذلك فى الدنيا لن تخلفه مكى وابو عمرو
وهذا من اخلفت الموعد اذا وجدته خلفا وانظر الى الهك الذى ظلت عليه واصله ظللت فحذف
اللام الاولى تخفيفا عاكفا مقيما لنحرقنه بالنار ثم لننسفنه لنذرينه فى اليم نسفا فحرقه وذراه
فى البحر فشرب بعضهم من مائه حبا له فظهرت على شفاههم صفرة الذهب انما الهكم الله الذى
لا اله الا هو وسع كل شئ علما تمييز اى وسع علمه كل شئ ومحل الكاف من كذلك نصب اى مثل ما
قصصنا عليك قصة موسى وفرعون نقص عليك من انباء ما قد سبق من اخبار الامم الماضية
تكثيرا لبيناتك وزيادة فى معجزاتك وقد اتيناك اعطيناك من لدنا من عندنا ذكرا قرآنا
فهو ذكر عظيم وقرآن كريم فيه النجاة لمن اقبل عليه وهو مشتمل على الاقاصيص والاخبار
الحقيقة بالتفكر والاعتبار من اعرض عنه عن هذا الذكر وهو القرآن ولم يؤمن به فانه
يحمل يوم القيمة وزرا عقوبة ثقيلة سماها وزرا تشبيها فى ثقلها على المعاقب وصعوبة
احتمالها بالحمل الثقيل الذى ينقض ظهره ويلقى عليه بهره او لانها جزاء الوزر وهو الاثم
خالدين حال من الضمير فى يحمل وانما جمع على المعنى ووحد فى فانه حملا على اللفظ فيه فى الوزر
اى فى جزاء الوزر وهو العذاب وساء لهم يوم القيمة حملا ساء فى حكم بئس وفيه ضمير مبهم
يفسره حملا وهو تمييز واللام فى لهم للبيان كما فى هيت لك والمخصوص بالذم محذوف لدلالة
الوزر السابق عليه تقديره ساء الحمل حملا وزرهم يوم ينفخ بدل من يوم القيمة ننفخ ابو عمرو

في الصور في القران او هو جمع صورة اي تنفخ الارواح فيها دليله قراءة قتادة في الصور بفتح
الواو جمع صورة ونحشر المجرمين يومئذ زرقا حال اي عميا كما قال ونحشرهم يوم القيمة على
وجوههم عميا وهذا لان حدقة من يذهب نور بصره تزرق يتخافتون يتسارون بينهم اي يقول
بعضهم لبعض سرا لهول ذلك اليوم ان لبثتم ما لبثتم في الدنيا الا عشرا اي عشر ليال يستقصرون
مدة لبثهم في القبور او في الدنيا لما يعاينون من الشدائد التي تذكرهم ايام النعمة والسرور فيا
فيتاسفون عليها ويصفونها بالقصر لان ايام السرور قصار او لانها ذهبت عنهم والذاهب
وان طالت مدته قصير بالانتهاء او لاستطالتهم الاخرة لانها ابد يستقصر اليها عمر الدنيا و
يقلل لبث اهلها فيها بالقياس الى لبثهم في الاخرة وقد رجح الله قول من يكون اشد تقالا
منهم بقوله نحن اعلم بما يقولون اذ يقول امثلهم طريقة اعدلهم قولا ان لبثتم الا يوما وهو
كقوله قالوا لبثنا يوما او بعض يوم فسال العادين ويسالونك عن الجبال سالوا النبي صلى الله
عليه وسلم ما تصنع بالجبال يوم القيمة وقيل لم يسال وتقديره ان سالوك فقل ولذا قرن
بالفاء بخلاف ساير السوالات مثل قوله ويسالونك عن المحيض قل هو اذى ويسالونك
عن اليتامى قل اصلاح لهم خير يسالونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير يسالونك عن الساعة
ايان مرسيها قل انما علمها يسلونك عن الروح قل الروح يسالونك عن ذي القرنين قل
سا تلوا لانها سوالات تقدمت فورد جوابها ولم يكن فيها معنى الشرط فلم يذكر الفاء
ينسفها ربي نسفا يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها كما يذرى الطعام وقال
الخليل يقلعها فيذرها فيذر مقارها او يجعل الضمير للارض للعلم بها كقولك ما ترك على
ظهرها قاعا صفصفا مستوية ملساء لا ترى فيها عوجا انخفاضا ولا امتا ارتفاعا والعوج
بالكسر وان كان في المعاني كما ان المفتوح في الاعيان والارض عين ولكن لما استوت الارض
استواء لا يمكن ان يوجد فيها اعوجاج بوجه ما وان دقت الحيلة ولطفت جرت مجرى المعاني
يومئذ اضاف اليوم الى وقت نسف الجبال اي يوم اذ نسفت وجاز ان يكون بدلا بعد بدل
من يوم القيمة يتبعون الداعي الى المحشر اي صوت الداعي وهو اسرافيل حين ينادي على صخرة
بيت المقدس ايتها العظام البالية والجلود المتمزقة واللحوم المتفرقة هلمي الى عرض الرحمن فيقبلون

من كل اوب الى صوته لا يعدلون عنه لا عوج له اي لا يعوج له مدعو بل يستوون اليه من غير انحراف
او متبعين لصوته وخشعت وسكنت الاصوات للرحمن هيبة واجلالا فلا تسمع الا همسا صوتا
خفيا كتحريك الشفاه وقيل هو من همس الابل وهو صوت اخفافها اذا مشت اي لا تسمع الا خفق
الاقدام ونقلها الى المحشر يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن محل من رفع على البدل
من الشفاعة بتقدير حذف المضاف اي لا تنفع الشفاعة الا شفاعة من اذن له الرحمن اي اذن
للشافع في الشفاعة ورضي له قولا اي رضي قوله لاجله بان يكون المشفوع له مسلما او نصب على انه
مفعول تنفع يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم اي يعلم ما تقدمهم من الاحوال وما يستقبلونه
ولا يحيطون به علما اي بما احاط به علم الله فيرجع الضمير الى ما او يرجع الضمير الى الله تعالى لانه تعالى
ليس بمحاط وعنت خضعت وذلت ومنه قيل للاسير عان الوجوه اي اصحابها للحي الذي لا يموت
وكل حيوة يتعقبها الموت فهي كان لم تكن القيوم الدايم القائم على كل نفس بما كسبت او القائم بتدبير
الخلق وقد خاب ويئس من رحمة الله من حمل ظلما من حمل الى موقف القيامة شركا لان الظلم
وضع شيء في غير موضعه ولا ظلم اشد من جعل المخلوق شريك من خلقه ومن يعمل من الصالحات
الطاعات وهو مؤمن مصدق بما جاء به محمد عليه الصلوة والسلام وفيه دليل انه يستحق
اسم الايمان بدون الاعمال الصالحات وان الايمان شرط قبولها فلا يخاف اي فهو لا يخاف
فلا يخف على النهي مكي ظلما ان يزاد في سيات ولا هضما ولا ينقص من حسناته واصل الهضم
النقص والكسر وكذلك عطف كذلك نقصا اي ومثل ذلك الانزال انزلناه قرانا عربيا
بلسان العرب وصرفنا كررنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون يجتنبون الشرك او يحدث
لهم الوعيد او القران ذكرا عظة او شرفا بايمانهم به وقيل او بمعنى الواو فتعالى الله ارتفع
عن فنون الظنون واوهام الافهام وتنزه عن مضاهات الانام ومشابهة الاجسام
الملك الذي يحتاج اليه الملوك الحق المحق في الالوهية ولما ذكر القران وانزاله قال استطرادا
واذا لقنك جبرئيل ما يوحى اليك من القران فتان عليك ريثما يسمعك ويفهمك ولا
تعجل بالقران بقراءته من قبل ان يقضى اليك وحيه من قبل ان يفرغ جبرئيل من الابلاغ وقل
رب زدني علما بالقران ومعانيه وقيل ما امر الله رسوله بطلب الزيادة في شيء الا في العلم ولقد

عهدنا الى آدم اى اوصينا اليه ان لا ياكل من الشجرة يقال فى اوامر الملوك ووصاياهم تقدم الملك
الى فلان واوصى اليه وعزم اليه وعهد اليه فعطفت قصة آدم على وصرفنا فيه من الوعيد
المعنى واقسم قسما لقد امرنا اباهم آدم ووصيناه ان لا يقرب الشجرة من قبل اى قبل وجودهم
فخالف الى ما نهى عنه كما انهم يخالفون يعنى ان اساس امر بنى آدم على ذلك وعرقهم راسخ فيه
فنسى العهد اى النهى والانبياء عليهم السلام يواخذون بالنسيان الذى لو تكلفوه لحفظوه
ولم نجد له عزما قصدا الى الخلاف لامره اولم يكن آدم من اولى العزم والوجود بمعنى العلم
ومفعولاه له وعزما او بمعنى نقيض العدم وحدهما له عزما وله متعلق بنجد واذ منصوب
باذكر قلنا للملائكة اسجدوا لآدم قيل هو السجود اللغوى الذى هو الخضوع والتذلل او كان
آدم كالقبلة لضرب تعظيم له فيه فسجدوا الا ابليس عن ابن عباس رض ان ابليس كان ملكا
من جنس المستثنى منهم وقال الحسن ره الملائكة لباب الخليقة من الارواح لا يتناسلون وابليس
من نار السموم وانما صح استثناوه منهم لانه كان يصحبهم ويعبد الله معهم ابى جملة مستانفة
كانه جواب لمن قال لم لم يسجد والوجه ان لا يقدر له مفعول وهو السجود المدلول عليه بقوله
فسجدوا وان يكون معناه اظهر الاباء وتوقف فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك حيث
لم يسجد لك ولم يرض بك فلا يخرجنكما من الجنة فلا يكونن سببا لاخراجكما فتشقى فتتعب
فى طلب القوت ولم فتشقيا اكتفاء لرؤس الآى او دخلت تبعا لان الرجل هو الكافل النفقة
المراة وروى انه اهبط الى آدم ثور احمر فكان يحرث عليه ويمسح العرق من جبينه ان لك الا
تجوع فيها فى الجنة ولا تعرى عن الملابس لانها معدة ابدا فيها وانك بالكسر نافع وابو بكر عطفا
على ان الاولى وغيرها بالفتح عطفا على ان لا تجوع ومحله نصب بانه وجاز الفصل كما تقول ان فى
على انك جالس لا تظمأ فيها لا تعطش لوجود الاشربة فيها ولا تضحى لا يصيبك حر الشمس اذ ليس
فيها شمس واهلها فى ظل ممدود فوسوس اليه الشيطان اى انهى اليه الوسوسة كاسر اليه قال يا
آدم هل ادلك على شجرة الخلد اضاف الشجرة الى الخلد وهو الخلود لان من اكل منها خلد بزعمه
ولا يموت وملك لا يبلى لا يفنى فاكلا اى آدم وحوا منها فبدت لهما سوآتهما عوراتهما وطفقا
طفق يفعل كذا مثل جعل يفعل وهو كاد فى وقوع الخبر فعلا مضارعا الا انه للشروع فى اول الامر

النهى

٢ ادم

وكاد للدنو منه يخصفان عليهما من ورق الجنة اى يلزقان الورق بسوآتهما للتستر وهو ورق
التين وعصى آدم ربه فغوى ضل عن الراى وعن ابن عيسى المراد منه خاب والحاصل ان العصيان
وقوع الفعل على خلاف الامر والنهى وقد يكون عمدا فيكون ذنبا وقد لا يكون عمدا فيكون زلة
ولما وصف فعله بالعصيان خرج فعله من ان يكون رشدا فكان غيا لان الغى خلاف الرشد
وفى التصريح بقوله وعصى آدم ربه فغوى والعدول عن قوله وزل آدم مزجرة بليغة وموعظة
كافة للمكلفين كانه قيل لهم انظروا واعتبروا كيف نعيت على النبى المعصوم حبيب الله زلته
بهذه الغلظة فلا تتهاونوا بما يفرط منكم من الصغائر فضلا عن الكبائر ثم اجتبيه ربه قربه
اليه واصطفيه وقربه به واصل الكلمة الجمع يقال جبى الى كذا فاجتبيته فتاب عليه قبل
توبته وهدى وهداه الى الاعتذار والاستغفار قال اهبطا منها جميعا يعنى آدم وحوا
بعضكم يا ذرية آدم لبعض عدو بالتحاسد فى الدنيا والاختلاف فى الدين فاما ياتينكم منى هدى
كتاب وشريعة فمن اتبع هداى فلا يضل فى الدنيا ولا يشقى فى العقبى وعن ابن عباس رض ضمن الله
لمن اتبع القرآن ان لا يضل فى الدنيا ولا يشقى فى العقبى قال ابن عباس يعنى ان الشقاء فى الاخرة
هو عقاب من ضل فى الدنيا عن طريق الدين فمن اتبع كتاب الله وامتثل اوامره وانتهى عن
نواهيه نجا من الضلال ومن عقابه ومن اعرض عن ذكرى عن القرآن فان له معيشة ضنكا ضيقا
وهو مصدر يستوى فى الوصف به المذكر والمونث عن ابن جبير سلبه القناعة حتى لا يشبع
فمع الدين التسليم والقناعة والتوكل فيكون حيوة طيبة ومع الاعراض الحرص والشح فعيشه
ضنك وحاله مظلمة كما قال بعض المتصوفة لا يعرض احد عن ذكر ربه الا اظلم عليه وقته وتشوش
عليه رزقه ونحشره يوم القيمة اعمى عن الحجة وعن ابن عباس رض اعمى البصر وهو كقوله ونحشرهم
يوم القيمة على وجوههم عميا وهو الوجه قال رب لم حشرتنى اعمى وقد كنت بصيرا فى الدنيا قال
كذلك اى مثل ذلك فعلت انت ثم فسر فقال اتتك اياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى اى اتتك
اياتنا واضحة فلم تنظر اليها بعين المعتبر وتركتها وعميت عنها فكذلك اليوم نتركك على عماك
ولا نزيل غطاءه عن عينيك وكذلك نجزى من اسرف ولم يومن بآيات ربه ولعذاب الآخرة
اشد وابقى لما توعد المعرض عن ذكره بعقوبتين المعيشة الضنك فى الدنيا وحشره اعمى فى العقبى

ختم ايات الوعيد بقوله ولعذاب الاخرة اشد وابقى اى والحشر على العمى الذى لا يزول ابدا اشد من ضيق
العيش المنقضى افلم يهد لهم اى الله بدليل قراءة زيد عن يعقوب بالنون كم اهلكنا قبلهم من القرون
حال من الضمير المجرور فى لهم فى مساكنهم يريدان قريشا يمشون فى مساكن عاد وثمود وقوم لوط و
يعاينون آثار اهلاكهم ان فى ذلك لايات لاولى النهى لذوى العقول اى اذا تفكروا وعلموا ان استيصالهم
لكفرهم فلا يفعلون مثل ما فعلوا ولولا كلمة سبقت من ربك اى الحكم بتاخير العذاب عن امة محمد
صلى الله عليه وسلم لكان لزاما لازما فاللزام مصدر لازم فوصف به واجل مسمى القيامة وهو
معطوف على كلمة والمعنى ولولا حكم سبق بتاخير العذاب عنهم واجل مسمى وهو القيمة لكان العذاب
لازما لهم فى الدنيا كما لزم القرون الماضية الكافرة فاصبر على ما يقولون فيك وسبح وصل
بحمد ربك فى موضع الحال اى وانت حامد لربك على ان وفقك للتسبيح واعانك عليه قبل طلوع
الشمس يعنى صلوة الفجر وقبل غروبها يعنى الظهر والعصر لانهما واقعتان فى النصف الاخير من
النهار بين زوالها وغروبها ومن اناء الليل فسبح واطراف النهار اى وتعمد اناء الليل اى ساعاته
واطراف النهار مختصا لها بصلوتك وقد تناول التسبيح فى اناء الليل صلوة العتمة وفى اطراف
النهار صلوة المغرب وصلوة الفجر على التكرار ارادة الاختصاص كما اختصت فى قوله وصلوة
الوسطى عند البعض وانما جمع واطراف النهار وهما طرفان لامن الالباس وهو عطف على قبل
لعلك ترضى لعلك للمخاطب اى اذكروا الله فى هذه الاوقات رجاء ان تنال عند الله بابه
ترضى نفسك ويسر قلبك وترضى على وابو بكر اى ويرضيك ربك ولا تمدن عينيك اى نظر
عينيك ومد النظر تطويله وان لا يكاد يرده استحسانا للمنظور اليه واعجابا به وفيه ان النظر
غير الممدود معفو عنه وذلك ان يباده الشئ بالنظر ثم يغض الطرف ولقد شدد المعمون
فى وجوب غض البصر عن ابنية الظلمة وعدد الفسقة فى ملابسهم ومراكبهم حتى قال الحسن رح
لا تنظروا الى دقدقة هماليج الفسقة ولكن انظروا كيف يلوح ذل المعصية من تلك الرقاب
وهذا لانهم انما اتخذوا هذه الاشياء لعيون النظارة فالناظر اليها محصل لغرضهم ومغرلهم
على اتخاذها الى ما متعنا به ازواجا منهم اصنافا من الكفرة ويجوز ان ينتصب حالا من هاء الضمير
فالفعل واقع على منهم كانه قال الى الذى متعنا به وهو اصناف بعضهم وناسا منهم زهرة الحيوة

الدنيا زينتها وبهجتها وانتصب على الذم او على ابداله من محل به او على ابداله من ازواجا على تقدير ذوى
زهرة لنفتنهم فيه لنبلوهم حتى يستوجبوا العذاب لوجود الكفران منهم او لنعذبهم فى الاخرة
بسببه ورزق ربك ثوابه وهو الجنة او الحلال الكافى خير وابقى مما رزقوا وامر اهلك امتك او
اهل بيتك بالصلوة واصطبر انت دوام عليها لا نسالك رزقا اى لا نسالك ان ترزق نفسك
ولا اهلك نحن نرزقك واياهم فلا تهتم لامر الرزق وفرغ بالك لامر الاخرة لان من كان
فى عمل الله كان الله فى عمله وعن عروة بن الزبير انه كان اذا راى ما عند السلاطين قرا ولا تمدن
عينيك الاية ثم ينادى الصلوة رحمكم الله وكان بكر بن عبد الله المزنى اذا اصاب اهله خصاصة قال
قوموا فصلوا بهذا امر الله ورسوله وعن مالك بن دينار مثله وفى بعض المسانيد انه عليه الصلوة
والسلام كان اذا اصاب اهله ضر امرهم بالصلوة وتلا هذه الاية والعاقبة للتقوى اى وحسن العاقبة
لاهل التقوى بحذف المضافين وقالوا اى الكافرون لولا ياتينا باية من ربه هلا ياتينا محمد باية
من ربه يدل على صحة النبوة اولم تاتهم مدنى وبصرى وحفص كما كانوا بينة ما فى الصحف الاولى
اى الكتب المتقدمة يعنى انهم اقترحوا على عادتهم فى التعنت اية على النبوة فقيل لهم اولم تاتكم آية
هى ام ايات واعظمها فى ايات الاعجاز يعنى القران من قبل ان القرآن برهان ما فى سائر الكتب
المنزلة ودليل صحته لانه معجزة وتلك ليست بمعجزات فهى مفتقرة الى شهادته على صحة ما فيها ولو انا
اهلكناهم بعذاب من قبله من قبل الرسول او القران لقالوا ربنا لولا هلا ارسلت الينا رسولا
فنتبع بالنصب لانه جواب الاستفهام بالفاء اياتك من قبل ان نذل بالنزول العذاب ونخزى فى
العقبى قل كل اى كل واحد منا ومنكم متربص منتظر للعاقبة ولما يؤل اليه امرنا وامركم فتربصوا انتم
فستعلمون اذا جاءت القيمة من اصحاب مبتداء وخبر ومحلها نصب الصراط السوى المستقيم
ومن اهتدى الى النعيم المقيم قال عليه الصلوة لا تقرا اهل الجنة الا طه ويس سورة الانبياء مائة و
اثنا عشر آية كوفى وعشر مدنى وبصرى

بسم الله الرحمن الرحيم

اقترب للناس اللام صلة لاقترب عن ابن عباس رض ان المراد بالناس المشركون لان ما يتلوه
بعده من صفات المشركين حسابهم وقت محاسبة اياهم ومجازاته على اعمالهم يعنى يوم القيمة وانما
وصفه بالاقتراب لقلة ما بقى بالاضافة الى ما مضى ولان كل آت قريب وهم فى غفلة عن حسابهم

وعما يفعل بهم ثم معرضون من التاهب لذلك اليوم فالاقتراب عام والغفلة والاعراض يتفاوتان
بتفاوت المكلفين فرب غافل عن حسابه لاستغراقه في دنياه واعراضه عن مولاه ورب غافل عن
حسابه لاستهلاك في مولاه واعراضه عن دنياه فهو لا يفيق الا برؤية المولى والاول انما يفيق في سكر
الموت فالواجب عليك ان تحاسب نفسك قبل ان تحاسب وتتنبه للعرض قبل ان تنبه وتعرض عن
الغافلين وتشتغل بذكر خالق الخلق اجمعين لتفوز بلقاء رب العالمين ما ياتيهم من ذكر من ربهم شيء
من القران محدث في التنزيل اتيانه مبتداء تلاوته قريب عهده باستماعهم والمراد به الحروف
المنظومة ولا خلاف في حدوثه الا استمعوه من النبي صلى الله عليه وسلم او غيره ممن يتلوه وهم يلعبون
يستهزون به لاهية حال من الضمير يلعبون او وهم يلعبون ولاهية حالان من الضمير في استمعوه
ومن قرأ لاهية بالرفع يكون خبرا بعد خبر لقوله وهم وارتفعت قلوبهم بلاهية وهي من لهى عنه
اذا ذهل وغفل والمعنى قلوبهم غافلة عما يراد بها ومنها وقال ابو بكر الوراق القلب اللاهي المشغول
بزينة الدنيا وزهرتها الغافل عن الآخرة واهوالها واسروا عبالغوا في اخفاء النجوى وهي اسم من
التناجي ثم ابدل الذين ظلموا من واو واسروا ايذانا بانهم الموسومون بالظلم فيما اسروا به او جاء
على لغة من قال اكلوني البراغيث او هو مجرور المحل لكونه صفة او بدلا عن الناس او هو منصوب
المحل على الذم او هو مبتداء خبره اسروا النجوى فقدم عليه اي والذين ظلموا اسروا النجوى هل
هذا الا بشر مثلكم افتاتون السحر وانتم تبصرون هذا الكلام كله في نصب بدلا من النجوى اي و
اسروا هذا الحديث فيجوز ان يتعلق بقالوا مضمرا والمعنى انهم اعتقدوا ان الرسول لا يكون الا ملكا
وان كل من ادعى الرسالة من البشر وجاء بالمعجزة فهو ساحر ومعجزته سحر ولذلك قالوا على سبيل
الانكار افتحضرون السحر وانتم تشاهدون وتعاينون انه سحر قل قال ربي حمزة وعلي وحفص اي
قال محمد وغيرهم قل ربي اي قل يا محمد للذين اسروا النجوى ربي يعلم القول في السماء والارض
اي يعلم قول كل قائل في السماء والارض سرا كان او جهرا وهو السميع لاقوالهم العليم بما في ضمائرهم
بل قالوا اضغاث احلام بل افتريه بل هو شاعر اضربوا عن قولهم هو سحر الى انه تخاليط احلام
راها في نومه فتوهمها وحيا من الله اليه ثم الى انه كلام مفترى من عنده ثم الى انه قول شاعر وهكذا
الباطل لجلج والمبطل رجاع غير ثابت على قول واحد ثم قالوا ان كان صادقا في دعواه وليس الامر كما نظن

فليأتنا باية بمعجزة كما ارسل الاولون كما ارسل من قبله باليد البيضاء والعصا وابراء الاكمه واحياء
الموتى وصحة التشبيه في قوله كما ارسل الاولون من حيث انه في معنى كما اوتي الاولون بالايات لان
ارسال الرسل متضمن للاتيان بالايات الا ترى انه لا فرق بين قولك ارسل محمد وبين قولك
اتى محمد بالمعجزة فرد الله عليهم قولهم بقوله ما امنت قبلهم من قرية من اهل قرية اهلكناها
صفة لقرية عند مجيء الايات المقترحة لانهم طلبوها تعنتا افهم يؤمنون اي فاولئك
لم يؤمنوا بالايات لما اتتهم افيؤمنون هؤلاء المقترحون لو اتيناهم بما اقترحوا مع انهم
اعتى منهم والمعنى ان اهل القرى المهلكة اقترحوا على انبيائهم الايات وعهدوا انهم يؤمنون
عندها فلما جاءتهم نكثوا وخالفوا فاهلكهم الله فلو اعطينا هؤلاء ما يقترحون لنكثوا ايضا
وما ارسلنا قبلك الا رجالا هذا جواب قولهم هل هذا الا بشر مثلكم نوحي اليهم نوحي حفص
فاسألوا اهل الذكر العلماء بالكتابين فانهم يعرفون ان الرسل الموحى اليهم كانوا بشرا ولم يكونوا
ملائكة وكان اهل مكة يعتمدون على قولهم ان كنتم لا تعلمون ذلك ثم بين انه كمن تقدمه
من الانبياء بقوله وما جعلناهم جسدا والجسد لارادة الجنس لا ياكلون الطعام صفة لجسدا
يعني وما جعلنا الانبياء قبله ذوي جسد غير طاعمين وما كانوا خالدين كانهم قالوا هلا كان
ملكا لا يطعم ويخلد معتقدين ان الملائكة لا يموتون او يسمين بقاءهم الممتد وحياتهم المتطاولة
خلودا ثم صدقناهم الوعد بانجائهم والاصل في الوعد مثل واختار موسى قومه اي من قومه
فانجيناهم ما حل بقومهم ومن نشاء هم المؤمنون بهم واهلكنا المسرفين المجاوزين الحد
بالكفر ودل الاخبار باهلاك المسرفين على ان من نشاء غيرهم لقد انزلنا اليكم يا معشر قريش
كتابا فيه ذكركم شرفكم ان عملتم به او لانه بلسانكم او فيه ذكر دينكم ودنياكم والجملة اي فيه ذكركم
صفة لكتابا افلا تعقلون ما فضلتكم به على غيركم فتؤمنون وكم نصب بقوله قصمنا اي اهلكنا
من قرية اي اهلها بدليل قوله كانت ظالمة كافرة وهي واردة عن غضب شديد وسخط عظيم
لان القصم افظع الكسر وهو الكسر الذي يبين تلاؤم الاجزاء بخلاف الفصم فانه كسر بلا ابانة
وانشانا خلقنا بعدها قوما اخرين فسكنوا مساكنهم فلما احسوا اي المهلكون باسنا عذابنا
اي علموا علم حس ومشاهدة اذا هم منها من القرية واذا للمفاجاة وهم مبتداء والخبر يركضون

يهربون مسرعين والركض ضرب الدابة بالرجل فيجوز ان يركبوا دوابهم يركضونها هاربين
من قريتهم لما ادركتهم مقدمة العذاب او شبهوا في سرعة عدوهم على ارجلهم بالراكبين الراكضين
لدوابهم فقيل لهم لا تركضوا والقائل بعض الملائكة وارجعوا الى ما اترفتم فيه نعمتم فيه من الدعة
والبطر العيش قال الخليل المترف المتوسع عليه معيشة القليل فيه هم ومساكنكم لعلكم تسالون
اى يقال لهم استهزاء بهم ارجعوا الى نعيمكم ومساكنكم لعلكم تسالون غدا عما جرى عليكم ونزل
باموالكم فتجيبوا السايل عن علم ومشاهدة او ارجعوا واجلسوا كما كنتم في مجالسكم حتى يسالكم
عبيدكم ومن ينفذ فيه امركم ونهيكم ويقولوا لكم بم تامرون وكيف ناتى ونذر كعادة المتنعمين
المخدمين او يسالكم الناس في انديتكم المعاونة في نوازل الخطوب او يسالكم الوافدون عليكم
والطماع ويستمطرون سحائبكم او قال بعضهم لبعض لا تركضوا وارجعوا الى منازلكم واموالكم
لعلكم تسالون مالا وخراجا فلا تقتلون فنودي من السماء بالثارات الانبياء واخذتهم
السيوف فثم قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين اعترفوا حين لا ينفعهم الاعتراف فما زالت تلك
هي اشارة الى يا ويلنا دعواهم دعاءهم وتلك مرفوع على انه اسم زالت ودعواهم الخبر ويجوز
العكس حتى جعلناهم حصيدا مثل الحصيد اى الزرع المحصود ولم يجمع كما لم المصدر خامدين
ميتين خمود النار وحصيدا خامدين مفعول ثان لجعل اى جعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد
والخمودية كقولك جعلته حلوا حامضا اى جعلته جامعا للطعمين وما خلقنا السماء والارض
وما بينهما لاعبين اللعب فعل يروق اوله ولا ثبات له ولاعبين حال من فاعل خلقنا والمعنى
وما سوينا هذا السقف المرفوع وهذا المهاد الموضوع وما بينهما من اصناف الخلق للهو
اللعب وانما سويناها ليستدل بها على قدرة مدبرها ولنجازي المحسن والمسيء على ما تقتضيه حكمتنا
ثم نزه ذاته عن سمات الحدوث بقوله لو اردنا ان نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا من الولد
او الحور ان كنا فاعلين اى ان كنا ممن يفعل ذلك ولسنا ممن يفعله لاستحالته في حقنا وقيل هو
نفي كقوله وان ادري اى ما كنا فاعلين بل نقذف بل اضراب عن اتخاذ اللهو واللعب وتنزيه
منه لذاته كانه قال سبحاننا ان نتخذ اللهو بل من سنتنا ان نقذف اى نرمي ونسلط بالحق بالقران
على الباطل الشيطان او بالاسلام على الشرك او بالجد على اللعب فيدمغه فيكسره فيدحضه

الحق

للحق بالباطل وهذه استعارة لان اصل استعمال القذف والدمغ في الاجسام ثم استعير القذف
لايراد الحق على الباطل والدمغ لاذهاب الباطل فالمستعار منه حسي والمستعار له عقلي فكانه قيل بل
نورد الحق الشبيه بالجسم القوي على الباطل الشبيه بالجسم الضعيف فيبطله ابطال الجسم القوي
الضعيف فاذا هو اي الباطل زاهق هالك ذاهب ولكم الويل مما تصفون الله من الولد ونحوه وله
من في السموات والارض خلقا وملكا فانى يكون شيء منه ولدا له وبينهما تناف ولم يوقف على الرحمن
لان عنده منزلة ومكانة لا منزلا ومكانا يعني الملائكة مبتداء وخبره لا يستكبرون لا يتعظمون
عن عبادته ولا يستحسرون ولا يعيون يسبحون الليل والنهار لا يفترون حال من فاعل يسبحون
تسبيحهم متصل دائم في جميع اوقاتهم لا يتخلل فترة بفراغ او بشغل اخر فتسبيحهم جار مجرى التنفس منا
ثم اضرب عن المشركين منكرا عليهم وموبخا فجاء بام التي بمعنى بل والهمزة فقال ام اتخذوا الهة من
الارض هم ينشرون يحيون الموتى ومن الارض صفة لالهة لان الهتهم كانت متخذة من جواهر
الارض كالذهب والفضة والحجر وتعبد في الارض فنسبت اليها كقولك فلان من المدينة اى مدني
او متعلق باتخذوا ويكون فيه بيان ابتداء غاية لاتخاذ وفي قولهم هم ينشرون زيادة توبيخ
وان لم يدعوا ان اصنامهم يحيي الموتى وكيف يدعون ومن اعظم المنكرات ان ينشر الموتى
بعض الموات لانه يلزم من دعوى الالوهية لها دعوى الانشار لها لان العاجز عنه لا يصح ان
يكون الها اذ لا يستحق هذا الاسم الا القادر على كل مقدور والانشار من جملة المقدور وقرء الحسن
ينشرون بفتح الياء وهما لغتان انشر الله الموتى ونشرها احياها لو كان فيهما الهة الا الله اى غير الله
وصفت الهة بالا كما وصفت بغير الله لو قيل الهة غير الله ولا يجوز رفعه على البدل لان لو بمنزلة
ان في ان الكلام معه موجب والبدل لا يسوغ الا في الكلام غير الموجب كقوله تعالى ولا يلتفت
منكم احد الا امراتك ولا يجوز نصبه استثناء لان الجمع اذا كان منكرا لا يجوز ان يستثنى منه عند
المحققين لانه لا عموم له بحيث يدخل فيه المستثنى لولا الاستثناء والمعنى لو كان يدبر امر السموات
والارض الهة شتى غير الواحد الذي هو فاطرهما لفسدتا لخرجتا لوجود التمانع وقد قررناه في
اصول الكلام ثم نزه ذاته فقال فسبحان الله رب العرش عما يصفون من الولد والشريك لا يسال
عما يفعل لانه المالك على الحقيقة ولو اعترض على السلطان بعض عبيده مع وجود التجانس وجواز

ومن م[7]

الخطاء عليه لعدم الملك الحقيقي لا يستقبح ذلك وعدلا منها فمن هو مالك الملوك ورب الارباب
وفعله صواب كان او لا بانه لا يعترض عليه وهم يسالون لانهم مملوكون خطاؤن فما اخلقهم
بان يقال لهم لم فعلتم في كل شيء فعلوه وقيل وهم يسالون يرجع الى المسيح والملايكة اي هم
مسئولون فكيف يكونون الهة والالوهية تنافي المسئولية ام اتخذوا من دونه الهة اعاده
لزيادة الافادة فالاولى للانكار من حيث العقل والثاني من حيث النقل اي وصفتم الله تعالى
بان له شريكا فقيل لمحمد صلى الله عليه وسلم قل هاتوا برهانكم حجتكم على ذلك وذا عقلي وهو
يا باه كما مر او نقلي وهو الوحي وهو ايضا يا باه فانكم لا تجدون كتابا من الكتب السماوية
الا فيه توحيده وتنزيهه عن الانداد هذا ذكر من معي يعني امته وذكر من قبلي يعني امم الانبياء
من قبلي وهو وارد في توحيد الله ونفي الشركاء عنه معي حفص فلما لم يمتنعوا عن كفرهم
اضرب عنهم فقال بل اكثرهم لا يعلمون الحق اي القران وهو نصب بيعلمون وقرئ الحق اي
هو الحق فهم لاجل ذلك معرضون عن النظر فيما يجب عليهم وما ارسلنا من قبلك من
رسول الا نوحي اليه الا يوحى كوفي غير ابي بكر وحماد انه لا اله الا انا فاعبدون وحدوني
فهذه الاية مقررة لما سبقها من اي التوحيد وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه نزلت في خزاعة
حيث قالوا الملايكة بنات الله فنزه ذاته عن ذلك ثم اخبر عنهم بانهم عباد بقوله بل عباد
مكرمون اي بل هم عباد مكرمون مشرفون مقربون وليسوا باولاد اذ العبودية تنافي
الولادة لا يسبقونه بالقول اي بقولهم فانيب اللام مناب الاضافة والمعنى انهم يتبعون
قوله فلا يسبق قولهم قوله ولا يتقدمون قوله بقولهم وهم بامره يعملون اي كما ان قولهم تابع
له فعلهم ايضا مبني على امره لا يعملون عملا في ما لم يؤمروا به يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم
اي ما قدموا واخروا من اعمالهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى اي لمن رضي الله عنه وان قال
لا اله الا الله وهم من خشيته مشفقون خايفون ومن يقل منهم من الملايكة اني اله
من دونه من دون الله اني مدني وابو عمرو فذلك مبتدا اي فذلك القايل خبره نجزيه
جهنم وهما جواب الشرط كذلك نجزي الظالمين الكافرين الذين وضعوا الالهية في غير
موضعها وهذا على سبيل الفرض والتمثيل لتحقق عصمتهم وقال ابن عباس وقتادة والضحاك

قد تحقق الوعيد في ابليس فانه ادعى الالهية لنفسه ودعا الى طاعة نفسه وعبادته اولم ير
الذين كفروا الم ير مكي ان السموات والارض كانتا اي جماعة السموات وجماعة الارض
فلذا لم يقل كن رتقا بمعنى المفعول اي كانتا مرتوقتين وهو مصدر فلذا صلح ان يقع موقع
مرتوقتين ففتقناهما فشققناهما والفتق الفصل بين الشيئين والرتق ضد الفتق فان قيل
متى راوهما رتقا حتى جاء تقريرهم بذلك قلنا انه وارد في القران الذي هو معجز فقام
مقام المرئي المشاهد ولان الروية بمعنى العلم وتلاصق الارض والسماء وتباينهما جايزان
في العقل فلا اختصاص بالتباين دون التلاصق لا بد له من مخصص وهو القديم جل جلاله
ثم قيل ان السماء كانت لاصقة بالارض لا فضاء بينهما ففتقناهما اي فصلنا بينهما بالهواء
وقيل كانت السموات مرتفعة طبقة واحدة ففتقها الله وجعلها سبع سماوات وكذلك
الارض كانت مرتفعة طبقة واحدة ففتقها وجعلها سبع ارضين وقيل كانت السماء
رتقا لا تمطر والارض رتقا لا تنبت ففتق السماء بالمطر والارض بالنبات وجعلنا من
الماء كل شيء حي اي خلقنا من الماء كل حيوان كقوله والله خلق كل دابة من ماء او كانما
خلقناه من الماء لفرط احتياجه اليه وحبه له وقلة صبره عنه كقوله خلق الانسان
من عجل افلا يؤمنون يصدقون بما يشاهدون وجعلنا في الارض رواسي اي جبالا ثوابت
من رسا اذا ثبت ان تميد بهم لئلا تضطرب بهم فحذف لا واللام وانما جاز حذف لا
لعدم الالتباس كما يزاد لذلك في لئلا يعلم اهل الكتاب وجعلنا فيها فجاجا طرقا واسعة
جمع فج وهو الطريق الواسع ونصبت على الحال من سبلا متقدمة فان قلت اي فرق
بين قوله تعالى لتسلكوا منها سبلا فجاجا وبين هذه قلت الاول للاعلام بانه جعل فيها
طرقا مختلفة واسعة والثاني لبيان انه حين خلقها على تلك الصفة فهو بيان لما ابهم ثم
لعلهم يهتدون اي ليهتدوا بها الى البلاد المقصودة وجعلنا السماء سقفا محفوظا في
موضعه عن السقوط كما قال ويمسك السماء ان تقع على الارض الا باذنه او محفوظا بالشهب
عن الشياطين كما قال وحفظناها من كل شيطان رجيم وهم اي الكفار عن اياتها عن الادلة التي
فيها كالشمس والقمر والنجوم معرضون غير متفكرين فيها فيؤمنون وهو الذي خلق الليل

لتسكنوا فيه والنهار لتتصرفوا فيه والشمس لتكون سراج النهار والقمر ليكون سراج الليل كل التنوين
فيه عوض عن المضاف اليه اى كلهم والضمير للشمس والقمر والمراد جنس الطوالع وجمع جمع
العقلاء للموصف بفعلهم وهو السباحة فى فلك عن ابن عباس رض الفلك السماء والجمهور
على ان الفلك موج مكفوف تحت السماء وتجرى فيه الشمس والقمر والنجوم وكل مبتداء خبره
يسبحون يسيرون او يدورون والجملة فى محل النصب على الحال من الشمس والقمر وما جعلنا لبشر
من قبلك الخلد البقاء الدائم افائن مت بكسر الميم مدنى وكوفى غير ابى بكر فهم الخالدون
والفاء الاول لعطف جملة على جملة والثانى لجزاء الشرط كانوا يقدرون انه سيموت فنفى
عنه الشماتة بهذا اى قضى الله ان لا يخلد فى الدنيا بشرا فاين انت ابقى هؤلاء كل نفس ذائقة
الموت ونبلوكم ونختبركم سمى ابتلاء وان كان عالما بما سيكون من اعمال العاملين قبل وجودهم
لانه فى صورة الاختبار بالشر بالفقر والضر والخير الغنى والنفع فتنة مصدر مؤكد لنبلوكم
من غير لفظه والينا ترجعون فيجازيكم على حسب ما يوجد منكم من الصبر والشكر وعن ابن
ذكوان يرجعون واذا راءك الذين كفروا ان يتخذونك ما يتخذونك الا هزوا مفعول
ثان ليتخذونك نزلت فى ابى جهل مر به النبى صلى الله عليه وسلم فضحك وقال هذا نبى بنى
عبد مناف اهذا الذى يذكر يعيب الهتكم والذكر يكون بخير وبخلافه فان كان الذاكر صديقا
فهو ثناء وان كان عدوا فذم وهم بذكر الرحمن اى بذكر الله وما يجب ان يذكر به من الوحدانية
هم كافرون لا يصدقون به اصلا فهم احق بان يتخذوا هزوا منك وانك محق وهم مبطلون
وقيل بذكر الرحمن اى بما انزل عليك من القران هم كافرون جاحدون والجملة فى موضع الحال
اى يتخذونك هزوا وهم على حال هى اصل الهزؤ والسخرية وهى الكفر بالله وكرر هم للتاكيد
او لان الصلة حالت بينه وبين الخبر فاعيد المبتدا خلق الانسان من عجل فسر بالجنس وقيل
نزلت حين كان نضر ابن الحارث يستعجل بالعذاب والعجل والعجلة مصدران وهو تقديم
الشئ على وقته والظاهر ان المراد الجنس وانه ركب فيه العجلة فكانه خلق من العجل ولانه يكثر
منه والعرب يقول لمن يكثر منه الكرم خلق من الكرم فقدم اولا ذم الانسان على افراط العجلة
وانه مطبوع عليها ثم منع وزجر كانه قال ليس ببدع منه ان يستعجل فانه مجبول على ذلك وهو

وهو طبعه وسجيته وقد ركب فيه وقيل العجل الطين بلغة حمير قال شاعرهم والنبع فى الصخرة
الصماء منبته والنخل تنبت بين الماء والعجل وانما منع عن الاستعجال وهو مطبوع عليه كما امره
بقمع الشهوة وقد ركبها فيه لانه اعطاه القدرة التى يستطيع بها قمع الشهوة وترك العجلة ومن
عجل حال اى عجلا ساريكم اياتى نقماتى فلا تستعجلون بالاتيان بها وهو بالياء عند يعقوب وافقه
سهيل وعباس فى الوصل ويقولون متى هذا الوعد اتيان العذاب او القيامة ان كنتم صادقين
قيل هو احد وجهى استعجالهم لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن
ظهورهم ولا هم ينصرون جواب لو محذوف وحين مفعول به ليعلم اى لو يعلمون الوقت
الذى يستعجلونه بقولهم متى هذا الوعد وهو وقت يحيط فيه النار من وراء وقدام فلا
يقدرون على دفعها ومنعها من انفسهم ولا يجدون ناصرا ينصرهم لما كانوا بتلك الصفة
من الكفر والاستهزاء والاستعجال ولكن جهلهم به هو الذى هونه عندهم بل تاتيهم الساعة
بغتة فجاة فتبهتهم فتحيرهم اى لا يكفونها بل تفجاهم فتغلبهم فلا يستطيعون ردها فلا
يقدرون على دفعها ولا هم ينظرون يمهلون ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق فحل
ونزل بالذين سخروا منهم جزاء ما كانوا به يستهزؤن سلى رسول الله عليه الصلوة والسلام
عن استهزائهم به بان له فى الانبياء اسوة وان ما يفعلونه به يحيق بهم كما حاق بالمستهزئين
بالانبياء ما فعلوا قل من يكلؤكم يحفظكم بالليل والنهار من الرحمن من عذابه ان اتيكم ليلا او نهارا
بل هم عن ذكر ربهم معرضون اى بل هم معرضون عن ذكره لا يخطرونه ببالهم فضلا ان يخافوا
باسه حتى اذا رزقوا الكلاءة منه عرفوا من الكالئ وصلحوا للسوال عنه والمعنى انه امر رسوله
بسوالهم عن الكالئ ثم بين انهم لا يصلحون لذلك لاعراضهم عن ذكر من يكلؤهم ثم اضرب عن
ذلك بقوله ام لهم الهة تمنعهم من دوننا الميم فى ام من معنى بل وقال الهم الهة تمنعهم من العذاب
تتجاوز منعنا وحفظنا ثم استانف بقوله لا يستطيعون نصر انفسهم ولا هم منا يصحبون
فبين ان ما ليس بقادر على نصر نفسه ومنعها ولا بمصحوب من الله بالنصر والتاييد كيف يمنع غيره
وينصره ثم قال بل متعنا هؤلاء واباءهم حتى طال عليهم العمر اى ما هم فيه من الحفظ والكلاءة
انما هو منا لا من مانع يمنعهم من اهلاكنا وما كلاءناهم واباءهم الماضين الا تمتيعا لهم بالحيوة

الدنيا ولهذا لكما متعنا غيرهم من الكفار وامهلناهم حتى طال عليهم الامد فقست قلوبهم وظنوا
انهم دائمون على ذلك وهو امل كاذب افلا يرون انا نات الارض ننقصها من اطرافها اى
ننقص ارض الكفر ونحذف اطرافها بتسليط المسلمين عليها واظهارهم على اهلها وردها على
دار اسلام وذكر نات يشير بان الله يجريه على ايدى المسلمين وان عساكرهم كانت تغزوا ارض
المشركين وتاتيها غالبة عليها ناقصة من اطرافها افهم الغالبون افكفار مكة يغلبون
يغلبون بعد ان نقصاهن اطراف اراضيهم اى ليس كذلك بل يغلبهم رسول الله واصحابه صلى الله
عليه وسلم ينصرنا قل انما انذركم بالوحى اخوفكم من العذاب بالقرآن ولا يسمع الصم الدعاء بفتح
الياء والميم ورفع الصم ولا تسمع الصم شامى على خطاب النبى صلى الله عليه وسلم اذا ما ينذرون
يخوفون واللام فى الصم للعهد وهو اشارة الى هؤلاء المنذرين والاصل ولا يسمعون
اذا ما ينذرون فوضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على تصامهم وسدهم اسماعهم اذا انذروا
ولئن مستهم نفحة دفعة يسيرة من عذاب ربك صفة لنفحة ليقولن يا ويلنا انا كنا ظالمين
اى ولئن مستهم من هذا الذى ينذرون به ادنى شئ لذلوا ودعوا بالويل على انفسهم و
اقروا بانهم ظلموا انفسهم واقرحين تصاموا واعرضوا وقد بولغ حيث ذكر المس والنفحة
لان النفح يدل على القلة يقال نفحته بعطية رضخه بها مع ان بناها للمرة ونضع الموازين جمع
ميزان وهو ما يوزن به الشئ فيعرف كيته وعن الحسن هو ميزان له كفتان ولسان وانما
جمع الموازين لتعظيم شانها كما فى قوله يا ايها الرسل والوزن لصحايف الاعمال فى قول القسط
وضعت للموازين بالقسط وهو العدل مبالغة كانها فى انفسها قسط او على حذف المضاف اى ذوات
القسط ليوم القيمة لاهل يوم القيمة اى لاجلهم فلا تظلم نفس شيئا من الظلم وان كان مثقال
حبة اى وان كان الشئ مثقال حبة مثقال بالرفع مدنى وكذا فى لقمان على كان التامة من خردل
صفة لحبة اتينا بها احضرناها وانث ضمير المثقال لاضافته الى الحبة كقولهم ذهبت بعض اصابعه
وكفى بنا حاسبين عالمين حافظين عن ابن عباس رض لان من حسب شيئا علمه وحفظه ولقد اتينا
موسى وهارون الفرقان وضياء وذكرا وقيل هذه الثلثة هى التورية فهى فرقان بين الحق
والباطل وضياء يستضاء به ويتوصل به الى سبيل النجاة وذكر اى شرف او وعظ وتنبيه اى ذكرا

يحتاج الناس اليه فى مصالح دينهم ودخلت الواو على الصفات كما فى قوله وسيدا وحصورا
ونبيا وتقول مررت بزيد الكريم والعالم والصالح ولما انتفع بذلك المتقون خصهم الله
بقوله للمتقين ومحل الذين جر على الوصفية او نصب على المدح او رفع عليه يخشون ربهم
يخافونه بالغيب حال اى يخافونه فى الخلاء وهم من الساعة القيامة واهوالها مشفقون خائفون
وهذا اى القرآن ذكر مبارك كثير الخير غزير النفع انزلناه على محمد افانتم له منكرون استفهام
توبيخ اى جاحدون انه منزل من عند الله ولقد اتينا ابراهيم رشده هداه من قبل من قبل موسى
وهارون او من قبل محمد عليه الصلوة والسلام وكنا به بابراهيم او برشده عالمين اى
علمنا انه اهل لما اتيناه اذ قال اما ان يتعلق باتيناه او برشده قال لابيه وقومه ما هذه
التماثيل اى الاصنام المصورة على صورة السباع والطيور والانسان وفيه تجاهل لهم
لتحقير الهتهم مع علمه بتعظيمهم لها التى انتم لها عاكفون لاجل عبادتها مقيمون فلما عجزوا
عن الاتيان بالدليل على ذلك قالوا وجدنا اباءنا لها عابدين فقلدناهم قال ابراهيم لقد كنتم
انتم واباؤكم فى ضلال مبين اراد ان المقلدين والمقلدين منخرطون فى سلك ضلال ظاهر
لا يخفى على عاقل واكد بانتم ليصح العطف لان العطف على ضمير هو فى حكم بعض الفعل ممتنع
قالوا اجئتنا بالحق بالجد ام انت من اللاعبين اى اجاد انت فيما تقول ام لاعب استعظاما
منهم انكاره عليهم واستبعادا ان يكون ما هم عليه ضلالا ثم اضرب عنهم مخبرا بانه جاد
فيما قال غير لاعب مثبتا للربوبية للملك العلام وحدوث الاصنام بقوله قال بل ربكم رب
السموات والارض الذى فطرهن اى التماثيل فانى يعبد المخلوق ويجحد الخالق وانا على ذلكم
المذكور من التوحيد شاهدين من الشاهدين وتالله اصله والله وفى التاء معنى التعجب كانه
تعجب من تسهل الكيد على يده مع صعوبته وتعذره لقوة سلطنة نمرود لاكيدن اصنامكم
لاكسرنها بعد ان تولوا مدبرين بعد ذهابكم عنها الى عيدكم قال ذلك سرا من قومه فسمعه رجل
واحد فمرض بقوله انى سقيم اى ساسقم ليتخلف فرجع الى بيت الاصنام فجعلهم جذاذا قطعا
من الجذ وهو القطع جمع جذاذة كزجاج وزجاجة جذاذا بالكسر على جمع جذيذ اى مجذوذ
كخفيف وخفاف الا كبيرا لهم اى للاصنام او للكفار اى فكسرها كلها بفاس فى يده الا كبيرها

تعلق الناس فو صنعه لعلهم اليه الى الكبير يرجعون فيسالونه من كاسرها فيتبين لهم عجزه او الى ابراهيم ليحتج عليهم او الى الله لما راوا عجز الهتهم قالوا اى الكفار حين رجعوا من عيدهم وراوا ذلك من فعل هذا بالهتنا انه لمن الظالمين اى ان من فعل هذا الكسر لشديد الظلم لجراته على الالهة الحقيقة عندهم بالتوقير والتعظيم قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم الجملتان صفتان لفتى الا ان الاول وهو يذكرهم اى يعيبهم لا بد منه لسمع لانك لا تقول سمعت زيدا وتسكت حتى تذكر شيئا مما يسمع بخلاف الثانى وارتفاع ابراهيم بانه فاعل يقال فالمراد الاسم لا المسمى اى الذى يقال له هذا الاسم قالوا اى نمرود واشراف قومه فاتوا به فاحضروا ابراهيم على اعين الناس فى محل الحال بمعنى معاينا مشاهدا اى بمراى منهم ومنظر لعلهم يشهدون عليه بما سمع منه او بما فعله كانهم كرهوا عقابه بلا بينة او يحضرون عقوبتنا له فلما احضروه قالوا ءانت فعلت هذا بالهتنا يا ابراهيم قال ابراهيم بل فعله عن الكسائى انه يقف عليه اى فعله من فعله وفيه حذف الفاعل وانه لا يجوز وجاز ان يكون الفعل مسندا الى الفتى المذكور فى قوله سمعنا فتى يذكرهم اى الى ابراهيم فى قوله يا ابراهيم ثم قال كبيرهم هذا وهو مبتدا وخبره والاكثر على انه لا وقف والفاعل كبيرهم وهذا وصف او بدل ونسب الفعل الى كبيرهم وقصده تقرير لنفسه واثباته لها على اسلوب تعريضى بتبكيتهم والزاما للحجة عليهم لانهم اذا نظروا النظر الصحيح علموا عجز كبيرهم و انه لا يصلح الها وهذا كما لو قال لك صاحبك وقد كتبت كتابا بخط رشيق وانت شهير بحسن الخط اانت كتبت هذا وصاحبك امى فقلت له بل كتبته انت كان قصدك بهذا الجواب تقريره لك مع الاستهزاء به لا نفيه عنك واثباته للامى لان اثباته للعاجز منكما والامر دائر بينكما استهزاء به واثبات للقادر ويمكن ان يقال غاظته تلك الاصنام حين ابصرها مصطفة وكان غيظ كبيرها اشد لما راى من زيادة تعظيمهم له فاسند الفعل اليه لان الفعل كما يسند الى مباشره يسند الى الحامل عليه ويجوز ان يكون حكاية لما يقود الى تجويزه مذهبهم كانه قال لهم ما تنكرون ان يفعله كبيرهم فان من حق من يعبد ويدعى الها ان يقدر على هذا ويحكى انه قال غضب ان تعبد هذه الصغار معه وهو اكبر منها فكسرهن او هو معلق بشرط لا يكون وهو نطق الاصنام فيكون نفيا للمخبر اى بل فعله كبيرهم ان كانوا ينطقون وقوله فاسالوهم اعتراض وقيل عرض بالكبير نفسه وانما اضاف نفسه اليهم

لاشتراكهم

لاشتراكهم فى الحضور فاسالوهم عن حالهم ان كانوا ينطقون وانتم تعلمون عجزهم عنه فرجعوا الى انفسهم فرجعوا الى عقولهم وتفكروا بقلوبهم لما اخذ بمخانقهم فقالوا انكم انتم الظالمون على الحقيقة بعبادة ما لا ينطق لا من ظلمتموه حين قلتم من فعل هذا بالهتنا انه لمن الظالمين وان من لا يدفع عن راسه الفاس كيف يدفع عن عابديه الباس ثم نكسوا على رءوسهم قال اهل التفسير اجرى الله الحق على لسانهم فى القول الاول ثم ادركتهم الشقاوة اى ردوا الى الكفر بعد ان اقروا على انفسهم بالظلم يقال نكسته قلبته فجعلت اسفله اعلاه اى استقاموا حين رجعوا الى انفسهم وجاءوا بالفكرة الصالحة ثم انقلبوا على تلك الحالة فاخذوا فى المجادلة بالباطل والمكابرة وقالوا لقد علمت ما هؤلاء ينطقون فكيف تامرنا بسؤالها والجملة سدت مسد مفعولى علمت والمعنى لقد علمت عجزهم عن النطق فكيف نسالهم قال محتجا عليهم افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا هو فى موضع المصدر اى نفعا ما ولا يضركم ان لم تعبدوه اف لكم ولما تعبدون من دون الله اف صوت اذا صوت به علم ان صاحبه متضجر اضجره ما راى من ثباتهم على عبادتها بعد انقطاع عذرهم وبعد وضوح الحق فتافف واللام لبيان المتافف به اى لكم ولالهتكم هذا التافف اف مدنى وحفص اف مكى وشامى اف غيرهم افلا تعقلون ان من هذا وصفه لا يجوز ان يكون الها فلما الزمتهم الحجة وعجزوا عن الجواب قالوا حرقوه بالنار لانها اهول ما يعاقب به وافظع وانصروا الهتكم بالانتقام منه ان كنتم فاعلين اى ان كنتم ناصرين الهتكم نصرا مؤزرا فاختاروا له اهول المعاقبات وهو الاحراق بالنار والا فرطتم فى نصرتها والذى اشار باحراقه نمرود او رجل من اكراد فارس وروى انهم حين هموا باحراقه حبسوه ثم بنوا بيتا بكوثى وجمعوا شهرا اصناف الخشب واشعلوا نارا عظيمة كادت الطير تحترق فى الجو من وهجها ثم وضعوه فى المنجنيق مقيدا مغلولا فرموا به فيها وهو يقول حسبى الله ونعم الوكيل وقال له جبريل هل لك حاجة فقال اما اليك فلا قال فسل ربك قال حسبى من سؤالى علمه بحالى وما احرقت النار الا وثاقه وعن ابن عباس انما نجى بقوله حسبى الله ونعم الوكيل قلنا يا نار كونى بردا وسلاما اى ذات برد وسلام وبولغ فى ذلك كان ذاتها برد وسلام على ابراهيم اراد ابردى فيسلم منك ابراهيم عن ابن عباس رضى لو لم يقل ذلك لاهلكته بردها والمعنى ان الله تعالى نزع عنها طبعها الذى طبعها عليه من الحر

نكستم

عبادتها

والاحراق وابقاها على الاضاءة والاشراق كما كانت وهو على كل شيء قدير وارادوا به كيدا
احراقا فجعلناهم الاخسرين وارسل على نمرود وقومه البعوض فاكلت لحومهم وشربت دماءهم
ودخلت بعوضة في دماغ نمرود فاهلكته ونجيناه اى ابراهيم ولوطا ابن اخيه هارون من
العراق الى الارض التي باركنا فيها للعالمين اى ارض الشام وبركتها ان اكثر الانبياء منها فانتشرت
في العالمين آثارهم الدينية وهي ارض خصب يطيب فيه عيش الغني والفقير وقيل ما من ماء عذب
في الارض الا وينبع اصله من صخرة بيت المقدس وروى انه نزل بفلسطين ولوطا بالموتفكة وبينهما
مسيرة يوم وليلة وقال عليه الصلوة والسلام انها ستكون هجرة بعد هجرة فخيار الناس الى مهاجر
ابراهيم ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة قيل هو مصدر كالعاقبة من غير لفظ الفعل السابق
اى وهبنا له هبة وقيل ولد الولد وقد سال ولدا فاعطيه واعطى يعقوب نافلة اى زيادة
وفضلا من غير سوال وهي حال من يعقوب وكلا اى ابراهيم واسحاق ويعقوب وهو المفعول
الاول لقوله جعلنا والثاني صالحين في الدين او للنبوة وجعلناهم ايمة يقتدى بهم في الدين
يهدون الناس بامرنا بوحينا واوحينا اليهم فعل الخيرات وهي جمع الاعمال الصالحة اصله ان
تفعل الخيرات ثم فعل الخيرات كذلك قوله واقام الصلوة وايتاء الزكوة والاصل اقام الصلوة
الا ان المضاف اليه جعل بدلا من الهاء وكانوا لنا عابدين لا للاصنام فانتم يا معشر العرب
اولاد ابراهيم فاتبعوه في ذلك ولوطا انتصب بفعل يفسره آتيناه حكما حكمة وهي ما يجب
فعله او فصلا بين الخصوم او نبوة وعلما فقها ونجيناه من القرية من اهلها وهي سدوم التي
كانت تعمل الخبائث اللواطة وحذف المارة بالحصى وغيرها انهم كانوا قوم سوء فاسقين خارجين
عن طاعة الله تعالى وادخلناه في رحمتنا في اهل رحمتنا او في الجنة انه من الصالحين اى جزاه
له على صلاحه كما اهلكنا قومه عقابا على فسادهم ونوحا اى واذكر نوحا اذ نادى اى دعا
على قومه بالهلاك من قبل من قبل هولاء المذكورين فاستجبنا له اى دعاءه فنجيناه واهله اى
المومنين به من ولده وقومه من الكرب العظيم من الطوفان وتكذيب اهل الطغيان ونصرناه
من القوم الذين كذبوا باياتنا منعناه منهم اى من اذاهم انهم كانوا قوم سوء فاغرقناهم اجمعين
صغيرهم وكبيرهم ذكرهم وانثاهم وداود وسليمان اى واذكرهما اذ بدل منهما يحكمان في الحرث

الزرع

الزرع او الكرم اذ ظرف ليحكمان نفشت دخلت فيه غنم القوم ليلا فاكلته وافسدته والنفش
انتشار الغنم ليلا بلا راع وكنا لحكمهم ارادهما والمتحاكمين اليهما شاهدين اى كان بعلمنا ومرءانا
ففهمناها اى الحكومة او الفتوى سليمان وفيه دليل على ان الصواب كان مع سليمان صلوات الله
عليه وقصته ان الغنم رعت الحرث وافسدته بلا راع ليلا فتحاكما الى داود فحكم بالغنم لاهل
الحرث وقد استوت قيمتاهما اى قيمة الغنم كانت على قدر النقصان في الحرث فقال سليمان
وهو ابن احدى عشرة سنة غير هذا ارفق بالفريقين فعزم عليه ليحكمن فقال ارى ان تدفع
الغنم الى اهل الحرث ينتفعون بالبانها واولادها واصوافها والحرث الى رب الغنم حتى
يصلح الحرث ويعود كهيئته يوم افسد ثم يترادان فقال القضاء ما قضيت وامضى الحكم
بذلك وكان ذلك باجتهاد منهما وهذا كان في شريعتهم واما في شريعتنا فلا ضمان عند
ابي حنيفة واصحابه رضي الله عنهم بالليل او بالنهار الا ان يكون مع البهيمة سائق او قائد
وعند الشافعي رح يجب الضمان بالليل وقال الجصاص انما ضمنوا لانهم ارسلوها او نسخ الضمان
بقوله عليه الصلوة والسلام العجماء جبار وقال مجاهد كان هذا صلحا وما فعله داود حكما والصلح
وكلا من داود وسليمان آتينا حكما نبوة وعلما معرفة بموجب الحكم وسخرنا وذللنا مع داود
الجبال يسبحن هو حال بمعنى مسبحات او استيناف كان قائلا قال كيف سخرهن فقال يسبحن والطير
معطوف الجبال او مفعول معه وقدمت الجبال على الطير لان تسخيرها وتسبيحها اعجب واغرب
وادخل في الاعجاز لانها جماد روى انه كان يمر بالجبال مسبحا وهي تجاوبه وقيل كانت تسير معه
حيث سار وكنا فاعلين بالانبياء مثل ذلك وان كان عجبا عندكم وعلمناه صنعة لبوس لكم
اى عمل الدروع واللبوس اللباس والمراد الدرع لتحصنكم شامي وحفص اى صنعه وبالنون
ابو بكر وحماد اى الله عز وجل وبالياء غيرهم اى اللبوس او الله عز وجل من باسكم من حرب
عدوكم فهل انتم شاكرون استفهام بمعنى الامر اى فاشكروا الله على ذلك ولسليمان الريح
اى وسخرنا الريح عاصفة حال اى شديدة الهبوب ووصفت في موضع آخر بالرخاء لانها
تجري باختياره فكانت في وقت رخاء وفي وقت عاصفة لهبوبها على حكم ارادته تجري بامره
بامر سليمان الى الارض التي باركنا فيها بكثرة الانهار والاشجار والثمار والمراد الشام وكان

منزله بها وتحمله الريح من نواحي الارض اليها وكنا بكل شيء عالمين وقد احاط علمنا بكل شيء فنجري الاشياء كلها على ما يقتضيه علمنا ومن الشياطين اي وسخرنا منهم من يغوصون له في البحار بامره لاستخراج الدرر وما يكون فيها ويعملون عملا دون ذلك اي دون الغوص وهو بناء المحاريب والتماثيل والقصور والقدور والجفان وكنا لهم حافظين اي ان يزيغوا عن امره او يبدلوا او يوجد منهم فساد فيما هم مسخرون فيه وايوب اي واذكر ايوب اذ نادى ربه اني اي دعاه باني مسني الضر بالفتح الضر في كل شيء وبالضم الضر في النفس من مرض وهزال وانت ارحم الراحمين الطف في السوال حيث ذكر نفسه بما يوجب الرحمة وذكر ربه بغاية الرحمة ولم يصرح بالمطلوب فكان قال انت اهل ان ترحم وايوب اهل ان يرحم فارحمه واكشف عنه الضر الذي مسه عن انس رض اخبر عن ضعفه حين لم يقدر على النهوض للصلوة ولم يشتك وكيف يشكو من قيل له انا وجدناه صابرا نعم العبد وقيل انما اشتكى اليه تلذذا بالنجوى لا منه تضررا بالشكوى والشكاية اليه غاية القرب كما ان الشكاية منه غاية البعد فاستجبنا له اجبنا نداءه فكشفنا ما به من ضر فكشفنا ضره انعاما عليه واتيناه اهله ومثلهم معهم روي ان ايوب عليه السلام كان روميا من ولد اسحق بن ابراهيم عليه السلام وله سبعة بنين وسبع بنات وثلثة آلاف بعير وسبعة آلاف شاة وخمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد امراة وولد فابتليه الله تعالى بذهاب ماله وولده وبمرض في بدنه ثماني عشرة سنة او ثلث عشرة سنة او ثلث سنين وقالت له امراته يوما لو دعوت الله عز وجل فقال كم كانت مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة فقال انا استحيي من الله ان ادعوه وما بلغت مدة بلائي مدة رخائي فلما كشف الله عنه احيى ولده باعيانهم ورزق مثلهم معهم رحمة من عندنا هو مفعول له وكذلك وذكرى للعابدين يعني رحمة منا لايوب وذكرى لغيره من العابدين ليصبروا كصبره فيثابوا كثوابه واسماعيل بن ابراهيم وادريس بن شيث بن ادم وذا الكفل اي اذكرهم وهو الياس او زكريا او يوشع بن نون وسمي به لانه ذو الحظ من الله والكفل الحظ كل من الصابرين اي هؤلاء المذكورون كلهم موصوفون بالصبر وادخلناهم في رحمتنا بنبوتنا او النعمة في الاخرة انهم لمن الصالحين اي ممن لا يشوب صلاحهم كدر الفساد وذا النون اي اذكر صاحب الحوت والنون الحوت فاضيف اليه اذ ذهب مغاضبا حال اي مراغما لقومه

ومعنى

ومعنى مغاضبته لقومه انه اغضبهم بمفارقته لخوفهم حلول العقاب عليهم عندها روي انه برم بقومه لطول ما ذكرهم فلم يتعظوا واقاموا على كفرهم فراغمهم وظن ان ذلك يسوغ حيث لم يفعله الا غضبا لله وبغضا للكفر واهله وكان عليه ان يصابر وينتظر الاذن من الله في المهاجرة عنهم فابتلي ببطن الحوت فظن ان لن نقدر نضيق عليه وعن ابن عباس رض انه دخل على معاوية فقال لقد ضربتني امواج القران البارحة فغرقت فيها فلم اجد لنفسي خلاصا الا بك قال وما هي يا معاوية فقرا الاية وقال او يظن نبي الله ان لا يقدر عليه قال هذا من القدر لا من القدرة فنادى في الظلمات اي في الظلمة الشديدة المكاثفة في بطن الحوت كقوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات او ظلمة الليل والبحر وبطن الحوت ان اي انه لا اله الا انت او بمعنى اي سبحانك اني كنت من الظالمين لنفسي في خروجي من قومي قبل ان تاذن لي ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء الا استجيب له وعن الحسن ما نجاه والله الا اقراره على نفسه بالظلم فاستجبنا له ونجيناه من الغم غم الزلة والوحشة والوحدة وكذلك ننجي المومنين اذا دعونا واستغاثوا بنا نجي شامي وابو بكر بادغام النون في الجيم عند البعض لكن النون لا تدغم في الجيم وقيل تقديره نجي النجاء المومنين فسكن الياء تخفيفا واسند الفعل الى المصدر ونصب المومنين بالنجاة لكن فيه اقامة المصدر مقام الفاعل مع وجود المفعول وهذا لا يجوز وفيه تسكين الياء وبابه الضرورات وقيل اصله ننجي من التنجية فحذف النون الثانية لاجتماع النونين كما حذفت احدى التائين في تنزل الملائكة وزكريا اذ نادى ربه رب لا تذرني فردا سال ربه ان يرزقه ولدا يرثه ولا يدعه وحيدا بلا وارث ثم رد امره الى الله مسلما فقال وانت خير الوارثين اي فان لم ترزقني من يرثني فلا ابالي فانك خير وارث اي باق فاستجبنا له ووهبنا له يحيى ولدا واصلحنا له زوجه جعلناها صالحة للولادة بعد عقرها او حسنة الخلق وكانت سيئة الخلق انهم اي الانبياء المذكورين كانوا يسارعون في الخيرات اي انهم انما استحقوا الاجابة الى طلباتهم لمبادرتهم ابواب الخير ومسارعتهم في تحصيلها ويدعوننا رغبا ورهبا اي طمعا وخوفا كقوله يحذر الاخرة ويرجوا رحمة ربه وهما مصدران في موضع الحال او المفعول له اي للرغبة فينا والرهبة منا وكانوا لنا خاشعين متواضعين خائفين والتي واذكر التي احصنت فرجها

خطة من الحلال والحرام فنفخنا فيها من روحنا اى اجرينا فيها روح المسيح او امرنا جبرئيل
فنفخ فى جيب درعها فاحدثنا بذلك النفخ عيسى فى بطنها واضافة الروح اليه تعالى لتشريف
عيسى عليه السلام وجعلناها وابنها اية مفعول ثان للعالمين وانما لم يقل ايتين كما قال وجعلنا
الليل والنهار ايتين لان حالهما بمجموعهما اية واحدة وهى ولادتها اياه من غير فحل والتقدير
وجعلناها اية وابنها كذلك فاية مفعول المعطوف عليه ويدل عليه قراءة من قرا ايتين ان
هذه امتكم امة واحدة الامة الملة وهذه اشارة الى ملة الاسلام وهى ملة جميع الانبياء
وامة حال اى متوحدة غير متفرقة والعامل ما دل عليه اسم الاشارة اى ان ملة الاسلام
هى ملتكم التى يجب ان تكونوا عليها لا تنحرفون عنها يشار اليها بملة واحدة غير مختلفة و
انا ربكم فاعبدون اى ربيتكم اختيارا فاعبدونى شكرا وافتخارا والخطاب للناس كافة و
تقطعوا امرهم بينهم اصل الكلام وتقطعتم الا ان الكلام صرف الى الغيبة على طريقة الالتفات
والمعنى وجعلوا امر دينهم فيما بينهم قطعا فصاروا فرقا واحزابا ثم توعدهم بان هؤلاء
الفرق المختلفة كل الينا راجعون فنجازيهم على اعمالهم فمن يعمل من الصالحات شيئا وهو مؤمن
بما يجب الايمان به فلا كفران لسعيه اى فان سعيه مشكور مقبول والكفران مثل فى حرمان
الثواب كما ان الشكر مثل فى اعطائه وقد نفى نفى الجنس ليكون ابلغ وانا له لسعيه كاتبون اى حفظة
با مرنا كاتبون فى صحيفة عمله فنثيبه به وحرام وحرم كوفى غير حفص وخلف وهما لغتان كحل
وحلال وعزنا وضده معنى والمراد بالحرام الممتنع وجوده على قرية اهلكناها اى اهلها انهم
لا يرجعون والمعنى وممتنع على كل مهلك غير ممكن ان لا يرجع الى الله بالبعث او وحرام على
قرية اهلكناها اى قدرنا اهلاكهم او حكمنا باهلاكهم ذلك وهو المذكور فى الاية المتقدمة
من العمل الصالح او السعى المشكور غير المكفور انهم لا يرجعون اى لانهم لا يرجعون من الكفر الى
الاسلام حتى هى التى تحكى بعدها الكلام والكلام المحكى الجملة من الشرط والجزاء اعنى اذا وما فى
حيزها فتحت ياجوج وماجوج اى فتح سدهما فحذف المضاف كما حذف المضاف الى القرية
فتحت شامى وهما قبيلتان من جنس الانس يقال الناس عشرة اجزاء تسعة منها ياجوج و
ماجوج وهم راجع الى الناس المسوقين الى المحشر وقيل هم ياجوج وماجوج يخرجون حين

يفتح السد من كل حدب نشز من الارض اى ارتفاع ينسلون يسرعون واقترب الوعد الحق اى القيامة
وجواب اذا فاذا هى وهى اذا المفاجات وهى تقع فى المجازاة سادة مسد الفاء كقوله اذا هم يقنطون
فاذا جاءت الفاء معها تعاونتا على وصل الجزاء بالشرط فيتاكد ولو قيل فهى شاخصة او اذا هى
شاخصة كان سديدا وهى ضمير مبهم توضحه الابصار وتفسره شاخصة ابصار الذين كفروا اى
مرتفعة الاجفان لا تكاد تطرف من هول ما هم فيه يا ويلنا متعلق بمحذوف تقديره يقولون
يا ويلنا ويقولون حال من الذين كفروا قد كنا فى غفلة من هذا اليوم بل كنا ظالمين لوضعنا
العبادة فى غير موضعها انكم وما تعبدون من دون الله يعنى الاصنام وابليس واعوانه
لانهم بطاعتهم لهم واتباعهم خطواتهم فى حكم عبدتهم حصب حطب وقرئ حطب جهنم
انتم لها واردون فيها داخلون لو كان هؤلاء الهة كما زعمتم ما وردوها ما دخلوا النار وكل
اى العابد والمعبود فيها فى النار خالدون لهم للكفار فيها زفير انين وبكاء وعويل وهم فيها
لا يسمعون شيئا ما لانهم صاروا صما وفى السماع نوع انس فلم يعطوا ان الذين سبقت لهم
منا الحسنى الخصلة المفضلة فى الحسن تانيث الاحسن وهى السعادة والبشرى بالثواب او التوفيق
للطاعة نزلت جوابا لقول ابن الزبعرى عند تلاوته عليه الصلوة والسلام على صناديد قريش
انكم وما تعبدون من دون الله الى قوله خالدون اليس اليهود عبدوا عزيرا والنصارى المسيح وبنو مليح
الملايكة على ان قوله وما تعبدون لا يتناولهم لان ما لمن لا يعقل الا انهم اهل عناد فزيد فى البيان
اوليك يعنى عزيرا والمسيح والملايكة عنها عن جهنم مبعدون لانهم لم يرضوا بعبادتهم قيل المراد بقوله
ان الذين سبقت لهم منا الحسنى جميع المومنين لما روى ان عليا رضى الله عنه قرا هذه الاية ثم قال
انا منهم وابوبكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف وقال الجنيد رحمه الله
سبقت لهم منا العناية فى البداية فظهرت لهم الولاية فى النهاية لا يسمعون حسيسها صوتها الذى
يحس وحركة تلهبها وهذه مبالغة فى الابعاد عنها اى لا يقربونها حتى يسمعون صوتها وصوت
من فيها وهم فيما اشتهت انفسهم من النعيم خالدون مقيمون والشهوة طلب النفس اللذة لا يحزنهم
الفزع الاكبر اى النفخة الاخيرة وتتلقيهم الملايكة اى تستقبلهم الملايكة مهنئين على ابواب الجنة
يقولون هذا يومكم الذى كنتم توعدون اى هذا وقت ثوابكم الذى وعدكم ربكم فى الدنيا العامل

يوم نطوى السماء لا يحزنهم او تتلقيهم تطوى السماء يزيد وطيها تكوير نجومها ومحو رسومها او
ضد النشر بجمعها ونطوى كطى السجل اى الصحيفة للكتب حمزة وعلى وحفص اى المكتوبات التى
اى لما يكتب فيه من المعانى الكثيرة وغيرهم للكتاب اى كما يطوى الطومار للكتابة اى ليكتب فيه اولما
يكتب فيه لان الكتاب اصله المصدر كالبناء ثم يوقع على المكتوب وقيل السجل ملك يطوى كتب
بنى آدم اذا رفعت اليه وقيل كاتب كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم والكتاب على هذا اسم الصحيفة
المكتوب فيها وطى مضاف الى الفاعل وعلى الاول الى المفعول كما بدانا اول خلق نعيده انتصب الكاف
بفعل مضمر يفسره نعيده وما موصولة اى نعيد مثل الذى بدأناه نعيده واول خلق ظرف لبدانا
اى اول ما خلق او حال من ضمير الموصول الساقط من اللفظ الثابت فى المعنى واول الخلق ايجاده اى فكما
اوجده اولا نعيده ثانيا تشبيها للاعادة بالابداء فى تناول القدرة لهما على السواء والتنكير فى خلق
مثله فى قولك هو اول رجل جاءنى تريد اول الرجال ولكنك وحدته ونكرته ارادة تفصيلهم رجلا
رجلا فكذلك معنى اول خلق اول الخلق بمعنى اول الخلائق لان الخلق مصدر لا يجمع وعدا مصدر
موكد لان قوله نعيده عدة للاعادة علينا اى وعدا كائنا لا محالة انا كنا فاعلين ذلك اى محققين
هذا الوعد فاستعدوا له وقدموا صالح الاعمال للخلاص من هذه الاهوال ولقد كتبنا فى الزبور
كتاب داود عليه السلام من بعد الذكر اى التورية ان الارض اى الشام يرثها عبادى ساكنة الياء
حمزة وغيره بفتح الياء الصالحون اى امة محمد صلى الله عليه وسلم او الزبور بمعنى المزبور اى المكتوب
يعنى ما انزل على الانبياء من الكتب والذكر ام الكتاب يعنى اللوح لان الكل اخذ منه دليله قراءة
حمزة وخلف بضم الزاء على جمع الزبر بمعنى المزبور والارض ارض الجنة ان فى هذا فى القرآن
او فى المذكور فى هذه السورة من الاخبار والوعد والوعيد والمواعظة لبلاغا لكفاية واصله
ما تبلغ به البغية لقوم عابدين موحدين وهم امة محمد صلى الله عليه وسلم وما ارسلناك الا رحمة
قال عليه السلام انما انا رحمة مهداة للعالمين لان ما جاء به يسعدهم ان اتبعوه ومن لم يتبع فانما
اتى من عند نفسه حيث ضيع نصيبه منها وقيل هو رحمة للمؤمنين فى الدارين وللكافرين فى الدنيا
بتاخير عذاب الاستيصال والمسخ والخسف ورحمة مفعول له او حال اى ذا رحمة قل انما انما لقصر الحكم
على شئ او لقصر الشئ على حكم نحو انما زيد قائم وانما يقوم زيد وفاعل يوحى الى انما الهكم اله واحد والتقدير

يوحى الى وحدانية الهى ويجوز ان يكون المعنى ان الذى يوحى الى فتكون ما موصولة فهل انتم مسلمون
استفهام بمعنى الامر اى اسلموا فان تولوا عن الاسلام فقل آذنتكم اعلمتكم ما امرت به على سواء حال اى مستوين
فى الاعلام به ولم اخصص بعضكم وفيه دليل بطلان مذهب الباطنية وان ادرى اقريب ام بعيد ما
توعدون اى لا ادرى متى يكون يوم القيمة لان الله تعالى لم يطلعنى عليه ولكنى اعلم بانه كائن لا محالة او لا
ادرى متى يحل بكم العذاب ان لم تؤمنوا انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون اى انه عالم بكل شئ
يعلم ما تجاهرون من الطعن فى الاسلام وما تكتمونه فى صدوركم من الاحقاد للمسلمين وهو مجازيكم
عليه وان ادرى لعله فتنة لكم وما ادرى لعل تاخير العذاب عنكم فى الدنيا امتحان لكم لينظر كيف
تعملون ومتاع الى حين وتمتيع لكم الى الموت ليكون ذلك حجة عليكم قال رب احكم بالحق اقض بيننا
وبين اهل مكة بالعدل او بما يحق عليهم من العذاب ولا تحابهم وشدد عليهم كما قال اشدد وطأتك على
مضر قال رب حفص على حكاية قول رسول الله صلى الله عليه وسلم رب احكم يزيد رب احكم يزيد
عن يعقوب وربنا الرحمن العاطف على خلقه المستعان المطلوب منه المعونة على ما تصفون وعن
ابن ذكوان بالياء وكانوا يصفون الحال على خلاف ما جرت عليه وكانوا يطمعون ان تكون لهم
الشوكة والغلبة فكذب الله ظنونهم وخيب آمالهم ونصر رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين
وخذلهم

سورة الحج مكية وهى خمس وسبعون آية بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الناس اتقوا ربكم امر بنى آدم بالتقوى ثم علل وجوبها عليهم بذكر الساعة ووصفها باهول
صفة بقوله ان زلزلة الساعة شئ عظيم لينظروا الى تلك الصفة ببصائرهم ويتصوروها بعقولهم
حتى يبقوا على انفسهم ويرحموها من شدائد ذلك اليوم بامتثال ما امرهم به ربهم من التردى
بلباس التقوى الذى يومنهم من تلك الافزاع والزلزلة شدة التحريك والازعاج واضافة
الزلزلة الى الساعة اضافة المصدر الى فاعله وكانها هى التى تزلزل الارض على المجاز الحكمى او الى الظرف
لانها تكون فيها كقوله بل مكر الليل والنهار ووقتها اما تكون يوم القيمة او عند طلوع الشمس
من مغربها ولا حجة فيها للمعتزلة فى تسمية المعدوم شيئا فان هذا اسم لها حال وجودها وانتصب
يوم ترونها اى الزلزلة والساعة بقوله تذهل تغفل والذهول الغفلة كل مرضعة عما ارضعت عن
ارضاعها او عن الذى ارضعته وهو الطفل وقيل مرضعة ليدل على ان ذلك الهول اذا حدث وقد

التقمت الرضيع ثديها نزعته عن فيه لما يلحقها من الدهشة اذ المرضعة هي التي في حال الارضاع ملقمة
ثديها الصبي والمرضع التي شانها ان ترضع وان لم تباشر الارضاع في حال وضعها به وتضع كل ذات
حمل اي حبلى حملها ولدها قبل تمامه من الحس تذهل المرضعة عن ولدها بغير فطام وتضع الحامل
ما في بطنها بغير تمام وترى الناس ايها الناظر سكارى على التشبيه لما شاهدوا بساط العزة وسلطنة
الجبروت وسرادق الكبرياء حتى قال كل نبي نفسي نفسي وما هم بسكارى على التحقيق ولكن عذاب الله
شديد فخوف عذاب الله هو الذي اذهب بعقولهم وطير تمييزهم وردهم في نحو حال من
يذهب السكر بعقله وعن الحس وترى الناس سكارى من الخوف وما هم بسكارى من الشراب
سكرى فيهما بالامالة حمزة وعلي وهو كعطشى في عطشان روي انه نزلت الايتان ليلا في غزوة
بني المصطلق فقراءهما النبي صلى الله عليه وسلم فلم ير اكثر باكيا من تلك الليلة ومن الناس من
يجادل في الله في دين الله بغير علم حال نزلت في النضر بن الحارث وكان جدلا يقول الملائكة
بنات الله والقران اساطير الاولين والله غير قادر على احياء من بلي او هي عامة في كل من
يخاصم بالدين بالهوى ويتبع في ذلك كل شيطان مريد عات مستمر في الشر ولا وقف على مريد
لان ما بعده صفته كتب عليه قضي على الشيطان انه من الامر والشان وهو فاعل كتب من تولاه
اي تبعه اي تبع الشيطان فانه فان الشيطان يضله عن سواء السبيل ويهديه الى عذاب السعير
النار قال الزجاج الفاء في فانه للعطف وان مكررة للتاكيد ورد عليه ابو علي وقال ان من ان كان
للشرط فالفاء دخل لجزاء الشرط وان كان بمعنى الذي فالفاء دخل على خبر المبتداء والتقدير فالامر
انه يضله قال والعطف والتاكيد يكون بعد تمام الاول والمعنى كتب على الشيطان اضلال من تولاه
وهدايته الى النار ثم الزم الحجة على منكر البعث فقال يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث
فمزيل ريبكم ان تنظروا في بدء خلقكم وقد كنتم في الابتداء ترابا وماء فانا خلقناكم اي اباكم ادم
عليه السلام من تراب ثم خلقتم من نطفة ثم من علقة اي قطعة دم جامدة ثم من مضغة اي لحمة
صغيرة قدر ما يمضغ مخلقة وغير مخلقة المخلقة المسواة الملساء من النقصان والعيب كان
الله عز وجل يخلق المضغ متفاوتة منها ما هو كامل الخلقة املس من العيوب ومنها ما هو على
عكس ذلك فيتبع ذلك التفاوت تفاوت الناس في خلقهم وصورهم وطولهم وقصرهم وتمامهم

ونقصانهم

ونقصانهم وانما نقلناكم من حال الى حال ومن خلقة الى خلقة لنبين لكم بهذا التدريج كمال قدرتنا وحكمتنا
وان من قدر على خلق البشر من تراب اولا ثم من نطفة ثانيا ولا تناسب بين التراب والماء وقدر ان
يجعل النطفة علقة والعلقة مضغة والمضغة عظاما قادر على اعادة ما ابداه ونقر بالرفع عند غير
المفضل مستانف بعد وقف اي نحن نثبت في الارحام ما نشاء ثبوته الى اجل مسمى اي وقت الولادة
وما لم نشأ ثبوته اسقطته الارحام ثم نخرجكم من الرحم طفلا حال واريد به الجنس فلالم يجمع
او اريد به ثم نخرج كل واحد منكم طفلا ثم لتبلغوا تقديره ثم نربيكم لتبلغوا اشدكم كمال عقلكم
وقوتكم وهو من الفاظ الجموع التي لم يستعمل لها واحد ومنكم من يتوفى عند بلوغ الاشد او قبله
او بعده ومنكم من يرد الى ارذل العمر اخسه يعني الهرم والخرف لكيلا يعلم من بعد علم شيئا اي
لكيلا يعلم شيئا من بعد ما كان يعلمه او لكيلا يستفيد علما وينسى ما كان عالما به ثم ذكر دليلا اخر
على البعث فقال وترى الارض هامدة ميتة يابسة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت تحركت بالنبات
وربت وانتفخت وربأت حيث كان يزيد ارتفعت وانبتت من كل زوج صنف بهيج حسن
سار للناظر اليه ذلك مبتداء وخبره بان الله هو الحق اي ذلك الذي ذكرنا من خلق بني ادم واحياء
الارض مع ما في تضاعيف ذلك من اصناف الحكم حاصل بهذا وهو ان الله هو الحق اي الثابت الموجود
وانه يحيي الموتى كما احيى الارض وانه على كل شيء قدير قادر وان الساعة اتية لا ريب فيها وان الله
يبعث من في القبور اي وانه حكيم لا يخلف ميعاده وقد وعد الساعة والبعث فلا بد ان
يفي بما وعد ومن الناس من يجادل في الله في صفات الله فيصفه بغير ما هو له نزلت في ابي جهل
بغير علم اي ضروري ولا هدى استدلالي لانه يهدي الى المعرفة ولا كتاب منير اي وحي والعلم
للانسان من احد هذه الوجوه الثلثة ثاني عطفه حال اي لاويا عنقه عن طاعة الله كبرا وخيلاء
ليضل تعليل للمجادلة ليضل مكي وابو عمرو عن سبيل الله دينه له في الدنيا خزي اي القتل يوم بدر
ونذيقه يوم القيمة عذاب الحريق اي جمع له عذاب الدارين ذلك بما قدمت يداك اي
السبب في عذاب الدارين ما قدمت نفسه من الكفر والتكذيب وكنى عنها باليدان اليد آلة
الكسب وان الله ليس بظلام للعبيد فلا ياخذ احدا بغير ذنب ولا بذنب غيره وهو عطف
على بما اي بانه الله وذكر الظلام بلفظ المبالغة لاقترانه بلفظ الجمع وهو العبيد ولان قليل

الظلم منه مع علمه بقبحه واستغنائه كالكثير منا ومن الناس من يعبد الله على حرف على طرف من الدين لا في وسطه وقلبه وهذا مثل لكونهم على قلق واضطراب في دينهم لا على سكون وطمانينة وهو حال اى مضطربا فان اصابه خير صحة في جسمه وسعة في معيشته اطمان سكن واستقر به بالخير الذى اصابه او بالدين فيعبد الله وان اصابته فتنة بلاء في جسده وضيق في معيشته انقلب على وجهه جهته اى ارتد ورجع الى الكفر كالذى يكون على طرف من العسكر فان احس بظفر وغنيمة قر واطمان والا فر وطار على وجهه قالوا نزلت في اعاريب قدموا المدينة مهاجرين وكان احدهم اذا صح بدنه ونتجت فرسه مهرا سويا وولدت امراته غلاما سويا وكثر ماله وماشيته قال ما اصبت منذ دخلت في ديني هذا الا خيرا واطمان وان كان الامر بخلافه قال ما اصبت الا شرا وانقلب عن دينه خسر الدنيا والاخرة حال وقد مقدرة دليله قراءة روح ويزيد خاسر الدنيا والاخرة هذا الخسران في الدنيا بالقتل فيهما وفي الاخرة بالخلود في النار ذلك اى خسران الدارين هو الخسران المبين الظاهر الذى لا يخفى على احد يدعوا من دون الله يعنى الصنم فانه بعد الردة يفعل كذلك ما لا يضره ان لم يعبده وما لا ينفعه اى عبده ذلك هو الضلال البعيد عن الصواب يدعو لمن ضره اقرب من نفعه والاشكال انه تعالى نفى الضر والنفع عن الاصنام قبل هذه الاية واثبتهما هاهنا والجواب ان المعنى اذا فهم ذهب هذا الوهم وذلك ان الله تعالى سفه الكافر بانه يعبد جمادا لا يملك ضرا ولا نفعا وهو يعتقد فيه انه يشفعه ثم قال يوم القيمة يقول هذا الكافر بدعاء وصراخ حين يرى استضراره بالاصنام ولا يرى اثر الشفاعة لمن ضره اقرب من نفعه لبئس المولى الناصر ولبئس العشير الصاحب وكرر يدعو كانه قال يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ثم قال لمن ضره بكونه معبودا اقرب من نفعه بكونه شفيعا ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار ان الله يفعل ما يريد هذا وعد لمن عبد الله بكل حال لا لمن عبده على حرف من كان يظن ان لن ينصره الله في الدنيا والاخرة المعنى ان الله ناصر رسوله في الدنيا والاخرة فمن ظن من اعاديه غير ذلك فليمدد بسبب بحبل الى السماء الى سماء بيته ثم ليقطع ثم ليختنق به وسمى الاختناق قطعا لان المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه وبكسر اللام بصري وشامى فلينظر

هل يذهبن

هل يذهبن كيده ما يغيظ الذى يغيظه او ما مصدرية اى غيظه والمعنى فليتصور في نفسه انه ان فعل ذلك هل يذهب نصر الله الذى يغيظه وسمى فعله كيدا على سبيل الاستهزاء لانه لم يكد به محسوده انما كاد به نفسه والمراد ليس في يده الا ما ليس بمذهب لما يغيظ وكذلك انزلناه ومثل ذلك الانزال انزلنا القران كله ايات بينات واضحات وان الله يهدى من يريد اى ولان الله يهدى به الذى يعلم انهم يؤمنون او يثبت الذين امنوا ويزيدهم هدى انزله كذلك مبينا ان الذين امنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا قيل الاديان خمسة اربعة للشيطان وواحد للرحمن والصابئون نوع من النصارى فلا تكون ستة ان الله يفصل بينهم يوم القيمة في الاحوال والاماكن فلا يجازيهم جزاء واحدا ولا يجمعهم في موطن واحد وخبر ان الذين امنوا ان الله يفصل بينهم كما تقول ان زيدا ان اباه قائم ان الله على كل شيء شهيد عالم به حافظ له فلينظر كل امرء معتقده وقوله وفعله وهو ابلغ وعيد الم تر الم تعلم يا محمد علما يقوم مقام العيان ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب قيل ان الكل يسجد له ولكنا لا نقف عليه كما لا نقف على تسبيحها قال الله تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم وقيل سميت مطاوعته غير المكلف له فيما يحدث فيه من افعاله وتسخيره له سجودا له تشبيها لمطاوعته بسجود المكلف الذى كل خضوع دونه وكثير من الناس اى ويسجد له كثير من الناس سجود طاعة وعبادة او هو مرفوع على الابتداء ومن الناس صفة والخبر محذوف وهو مثاب ويدل عليه قوله وكثير حق عليه العذاب وكثير منهم حق عليه العذاب بكفره وابائه السجود ومن يهن الله بالشقاوة فما له من مكرم بالسعادة ان الله يفعل ما يشاء من الاكرام والاهانة وغير ذلك فظاهر هذه الاية والتى قبلها ينقض على المعتزلة قولهم لانهم يقولون شاء اشياء ولم يفعل وهو يقول يفعل ما يشاء هذان خصمان اى فريقان مختصمان فالخصم صفة وصف بها الفريق وقوله اختصموا للمعنى وهذان للفظ والمراد المؤمنون والكافرون قال ابن عباس رضى رجع الى اهل الاديان المذكورة فالمؤمنون خصم وسائر الخمسة خصم في ربهم في دينه وصفاته ثم بين جزاء كل خصم بقوله فالذين كفروا وهو فصل الخصومة المعنى بقوله ان الله يفصل بينهم يوم القيمة قطعت لهم ثياب من نار كان الله يقدر لهم نيرانا

على مقادير جثتهم تشتمل عليهم كما يقطع الثياب الملبوسة واخبر بلفظ الماضي لانه كائن لا محالة
فهو كالثابت المتحقق يصب من فوق رؤسهم بكسر الهاء والميم بصري وبضمهما حمزة وعلي وخلف و
بكسر الهاء وضم الميم غيرهم الحميم الماء الحار وعن ابن عباس رضه لو سقطت منه نقطة على جبال
الدنيا لاذابها يصهر يذاب به بالحميم ما في بطونهم والجلود اي يذيب امعاءهم واحشاءهم
كما يذيب جلودهم فيؤثر في الظاهر والباطن ولهم مقامع سياط مختص بهم من حديد يضربون
بها كلما ارادوا ان يخرجوا منها من النار من غم بدل الاشتمال من منها باعادة الجار او الاولى لابتداء
الغاية والثانية بمعنى من اجل يعني كلما ارادوا الخروج من النار من اجل غم يلحقهم فخرجوا والعامل
في كلما اعيدوا فيها بالمقامع ومعنى الخروج عند الحسن ان النار تضربهم بلهبها فتلقيهم الى
اعلاها فضربوا بالمقامع فهووا فيها سبعين خريفا فالمراد اعادتهم الى معظم النار لا انهم عنها
بالكلية ثم يعودون اليها وذوقوا اي قيل لهم ذوقوا عذاب الحريق وهو الغليظ من النار المنتشر
العظيم الاهلاك ثم ذكر جزاء الخصم الآخر فقال ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات
جنات تجري من تحتها الانهار يحلون فيها من اساور جمع اسورة جمع سوار من ذهب و
لؤلؤا بالنصب مدني وعاصم وعلي ويؤتون لولوا بالجر غيرهم عطفا على من ذهب ويترك
الهمزة الاولى في كل القران ابوبكر ولباسهم فيها حرير ابريشم وهدوا الى الطيب من القول
وهدوا الى الطيب من القول وهدوا الى صراط الحميد اي ارشدوا في الدنيا الى كلمة التوحيد
والى صراط الحميد اي الاسلام او هداهم الله في الاخرة والهمهم ان يقولوا الحمد لله الذي صدقنا
وعده وهداهم الى طريق الجنة والحميد الله المحمود بكل لسان ان الذين كفروا ويصدون عن
سبيل الله اي يمنعون عن الدخول في الاسلام ويصدون حال من فاعل كفروا اي وهم يصدون
اي الصدود منهم مستمر دايم كما يقال فلان يحسن الى الفقراء فانه يراد به استمرار وجود الاحسان
منه لا الحال والاستقبال والمسجد الحرام اي ويصدون عن المسجد الحرام والدخول فيه الذي جعلناه
للناس مطلقا من غير فرق بين حاضر وباد فان اريد بالمسجد الحرام مكة ففيه دليل على انه
لا يباع دور مكة وان اريد به البيت فالمعنى انه قبلة لجميع الناس سواء بالنصب حفص مفعول
ثان لجعلناه اي جعلناه مستويا العاكف المقيم فيه والباد وغير المقيم بالياء مكي وافقه ابو عمرو

في الوصل

في الوصل وغيره بالرفع على انه خبر والمبتداء مؤخر اي العاكف فيه والباد سواء والجملة مفعول
ثان وللناس حال ومن يرد فيه في المسجد الحرام بالحاد بظلم حالان مترادفان ومفعول يرد متروك
ليتناول كل متناول كانه قال ومن يرد فيه مرادا ما عادلا عن القصد ظالما فالالحاد العدول
عن القصد نذقه من عذاب اليم في الاخرة وخبر ان محذوف لدلالة جواب الشرط عليه تقديره
ان الذين كفروا ويصدون عن المسجد الحرام نذيقهم من عذاب اليم وكل من ارتكب فيه ذنبا
فهو كذلك واذ بوانا لابراهيم مكان البيت واذكر يا محمد حين جعلنا لابراهيم مكان البيت
مباءة اي مرجعا يرجع اليه للعمارة والعبادة ورفع البيت الى السماء ايام الطوفان وكان
من ياقوتة حمراء فاعلم الله تعالى لابراهيم مكانه بريح ارسلها فكنست مكان البيت فبناه
على اسه القديم ان هي المفسرة للقبول المقدر اي قائلين له لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي من
الاصنام والاقذار وبفتح الياء مدني وحفص للطائفين لمن يطوف به والقائمين والمقيمين
بمكة والركع السجود اي المصلين جمع راكع وساجد واذن في الناس بالحج نادفيهم والحج هو
القصد البليغ الى مقصد منيع روي انه صعد ابا قبيس فقال يا ايها الناس حجوا البيت ربكم فاجاب
من قدر له ان يحج من الاصلاب والارحام بلبيك اللهم لبيك وعن الحسن انه خطاب لرسول
الله صلى الله عليه وسلم امر ان يفعل ذلك في حجة الوداع والاول اظهر وجواب الامر ياتوك
رجالا مشاة جمع راجل كقائم وقيام وعلى كل ضامر حال معطوفة على حال كانه قال رجالا و
ركبانا والضامر البعير المهزول وقدم الرجال على الركبان اظهارا لفضيلة المشاة كما ورد
في الحديث يأتين صفة لكل ضامر لانه في معنى الجمع وقرا عبد الله ياتون صفة الرجال والركبان
من كل فج طريق عميق بعيد قال محمد بن ياسين قال لي شيخ في الطواف من اين انت قلت خراسان
قال كم بينكم وبين البيت قلت مسيرة شهرين او ثلثة قال فانت جيران البيت فقلت انت
من اين جئت قال من مسيرة خمس سنوات خرجت وانا شاب فاكتهلت قلت هذه والله هي
الطاعة الجميلة والمحبة الصادقة فضحك وقال زر من هويت وان شطت بك الدار و
حال من دونه حجب واستار لا يمنع عنك بعده بامر تران المحب لمن يهواه زوار واللام
في ليشهدوا ليحضروا متعلق باذن او بياتوك منافع لهم نكرها لانه اراد منافع مختصة بهذه

العبادة دينية لا توجد في غيرها من العبادات وهذا لان العبادة شرعت للابتلاء بالنفس كالصلوة
والصوم او بالمال كالزكوة وقد اشتمل الحج عليهما مع ما فيه من تحمل الاثقال وركوب الاهوال وخلع
الاسباب وقطيعة الاصحاب وهجرة البلاد والاوطان وفرقة الاولاد والخلان والتنبيه على
ما يسير عليه اذا انتقل من دار الفناء الى دار البقاء فالحاج اذا دخل البادية لا يتكل فيها الا على عتاده
ولا ياكل الا من زاده فكذا المرء اذا خرج من شاطئ الحيوة وركب بحر الوفاة لا ينفع وحدته الا
ما سعى في معاشه لمعاده ولا يونس وحشته الا ما كان يانس به من اوراده وغسل من يحرم وتاهبه
ولبسه غير المخيط وطيبه مراده لما سياتي عليه من صنعه وتجهيزه مطيبا بالحنوط ملففا في كفن غير مخيط
ثم المحرم يكون اشعث حيران فكذا يوم الحشر يخرج من القبر لهفان ووقوف الحجيج بعرفات ملبين
رغبا ورهبا سائلين خوفا وطمعا وهم من بين مقبول ومخذول كموقف العرصات لا تكلم نفس
الا باذنه فمنهم شقي وسعيد والافاضة الى المزدلفة بالمساء وهو السوق لفصل القضاء ومنى هو
موقف المنى للمذنبين الى شافعة الشافعين وحلق الراس والتنظيف كالخروج من السيئات بالرحمة
والتخفيف والبيت الحرام الذي من دخله كان امنا من الايذاء والقتال انموذج لدار الاسلام التي
من نزلها بقي سالما من الفناء والزوال غير ان الجنة حفت بمكاره النفس العادية كما ان الكعبة حفت
بمتالف البادية فمرحبا بمن جاوز مهالك البوادي شوقا الى اللقاء يوم التنادي ويذكروا اسم
الله عند الذبح في ايام معلومات هي عشر ذي الحجة عند ابي حنيفة رض واخرها يوم النحر وهو قول
ابن عباس رض واكثر المفسرين رح وعند صاحبيه هي ايام النحر وهو قول ابن عمر رض على ما رزقهم
من بهيمة الانعام اي على ذبحه وهو يؤيد قولهما والبهيمة مبهمة في كل ذات اربع في البر والبحر
فبينت بالانعام وهي الابل والبقر والضان والمعز فكلوا منها من لحومها والامر للاباحة ويجوز
الاكل من هدي التطوع والمتعة والقران لانه دم نسك فاشبه الاضحية ولا يجوز الاكل من بقية
الهدايا واطعموا البائس الذي اصابه بوس اي شدة الفقير الذي اضعفه الاعسار ثم ليقضوا تفثهم
ثم ليزيلوا عنهم ادرانهم كذا قاله نفطويه وقيل قضاء التفث قص الشارب والاظفار ونتف الابط
والاستحداد والتفث الوسخ والمراد قضاء ازالة التفث وقال ابن عمر وابن عباس رض قضاء التفث
مناسك الحج كلها وليوفوا نذورهم مواجب حجهم والعرب تقول لكل من خرج عما وجب عليه

وفي بنذره وان لم ينذر او ما ينذرونه من اعمال البر في حجهم وليوفوا بسكون اللام والتشديد ابو بكر
وليطوفوا طواف الزيارة الذي هو ركن الحج يقطع به تمام التحلل اللامات الثلثة ساكنة عند غير ابن
عامر وابي عمرو بالبيت العتيق القديم لانه اول بيت وضع للناس بناه آدم ثم جدده ابراهيم او
الكريم ومنه عتاق الخيل لكرائمها وعتاق الرقيق الخروج من ذل العبودية الى كرم الحرية او لانه
اعتق من الغرق لانه رفع زمن الطوفان او من ايدي الجبابرة كم من جبار سار اليه ليهدمه فمنعه
الله او من الملاك فلم يملك قط وهو مطاف اهل الغبراء كما ان العرش مطاف اهل السماء فان الطالب
اذا هاجته سيعة الطرب وجذبته جواذب الطلب جعل يقطع مناكب الارض مراحل ويتخذ
مسالك المهالك منازل فاذا عاين البيت لم يزده التسلي به الا اشتياقا ولم يقدر التشفي باستلام
الحجر الا احتراقا فيذبر به الاسف لهفان ويرده اللهف حوله في الدوران وطواف الزيارة
اخر فرائض يشبه الاعتصام بعروة الاسلام حتى الخير تنقض بارتكاب ما هو محظور فيه ويبقى
عقده مع ما يفسده ويناقيه كما ان عقد الاسلام لا يختل بازدحام الاثام فيرتفع الف حربة بتوبة
وثانيها الوقوف بعرفات بسمة الابتهال في صفة الاهتبال وصدق الاعتزال عن دفع الاتكال
على مراتب الاعمال ونشوا هذا الاحوال ذلك خبر مبتداء محذوف اي الامر ذلك او تقديره
ليفعلوا ذلك ومن يعظم حرمات الله الحرمة ما لا يحل هتكه وجميع ما كلفه الله عز وجل
بهذه الصفة من مناسك الحج وغيرها فيحتمل ان يكون عاما في جميع تكاليفه ويحتمل ان يكون
خاصا فيما يتعلق بالحج حرمات الله البيت الحرام والمشعر الحرام والشهر الحرام والبلد الحرام
والمسجد الحرام فهو اي التعظيم خير له عند ربه ومعنى التعظيم العلم بانها واجبة المراعاة و
الحفظ والقيام بمراعاتها واحلت لكم الانعام اي اكلها الا ما يتلى عليكم اية تحريمه وذلك قوله
حرمت عليكم الميتة الاية والمعنى ان الله قد احل لكم الانعام الا ما بين في كتابه فحافظوا على
حدوده ولا تحرموا شيئا مما احل كتحريم البعض البحيرة ونحوها ولا تحلوا مما حرم كاحلالهم اكل
الموقوذة والميتة وغيرها ولما حث على تعظيم حرماته اتبعه الامر باجتناب الاوثان وقول
الزور بقوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور لان ذلك من اعظم الحرمات
واسبقها ومن الاوثان بيان للرجس لان الرجس مبهم يتناول غير شيء كانه قيل فاجتنبوا الرجس الذي

مطاف

هو الاوثان وسمى الاوثان رجسا على طريق التشبيه يعنى انكم كما تنفرون بطباعكم عن الرجس فعليكم
ان تنفروا عنها وجمع بين الشرك وقول الزور اى الكذب والبهتان او شهادة وهو من الزور
وهو الانحراف بان الشرك من باب الزور اذ المشرك زاعم ان الوثن تحق له العبادة حنفاء
لله مسلمين غير مشركين به حال كحنفاء ومن يشرك بالله فكانما خر سقط من السماء الى الارض
فتخطفه الطير اى تسلبه بسرعة فتخطفه اى تختطفه مدنى او تهوى به الريح اى تسقطه والهوى
السقوط فى مكان سحيق بعيد يجوز ان يكون هذا تشبيها مركبا ويجوز ان يكون مفرقا فان كان
تشبيها مركبا فكانه قال من اشرك بالله فقد اهلك نفسه اهلاكا ليس بعده بان صور حاله بصورة
حال من خر من السماء فاختطفته الطير فتفرق قطعا فى حواصلها او عصفت به الريح حتى هوت
به فى بعض المهالك البعيدة وان كان مفرقا فقد شبه الايمان فى علوه بالسماء والذى اشرك بالله
بالساقط من السماء والاهواء المردية بالطير المختطفة والشيطان الذى يوقعه فى الضلالة بالريح
التى تهوى بما عصفت به فى بعض المهاوى المتلفة ذلك اى الامر ذلك ومن يعظم شعاير الله تعظيم
الشعاير وهى الهدايا لانها من معالم الحج ان يختارها عظام الاجرام حسانا سمانا غالية الاثمان
فانها تقوى القلوب اى فان تعظيمها من افعال ذوى تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات وانما
ذكرت القلوب لانها مراكز التقوى لكم فيها منافع من الركوب عند الحاجة وشرب البانها عند
الضرورة الى اجل مسمى الى ان تنحر ثم محلها وقت وجوب نحرها منتهية الى البيت العتيق والمراد
نحرها فى الحرم الذى هو فى حكم البيت اذ الحرم حريم البيت ومثله فى الاتساع قولك بلغت
البلد وانما اتصل مسيرك بحدوده وقيل الشعائر المناسك كلها وتعظيمها اتمامها ومحلها الى
البيت العتيق باباه ولكل امة جماعة مؤمنة قبلكم جعلنا منسكا حيث كان بكسر السين بمعنى الموضع
على وحمزة اى موضع قربان وغيرهما بالفتح على المصدر اى اراقة الدماء وذبح القرابين ليذكروا
اسم الله دون غيره على ما رزقهم من بهيمة الانعام اى عند نحرها وذبحها فالهكم اله واحد اى
اذكروا على الذبائح اسم الله وحده فان الهكم اله واحد وفيه دليل ان ذكر اسم الله شرط الذبح يعنى
ان الله عز وجل شرع لكل امة ان ينسكوا له اى يذبحوا له على وجه التقرب وجعل العلة فى ذلك
ان يذكر اسمه تقدست اسماؤه على المناسك فله اسلموا اى اخلصوا له الذكر خاصة واجعلوه له

سالما

سالما اى خالصا لا تشوبوه باشراك وبشر المخبتين المطمئنين بذكر الله او المتواضعين الخاشعين من
الخبت وهو المطمئن من الارض وعن ابن عباس رض الذين لا يظلمون واذا ظلموا لم ينتصروا وقيل
تفسيره ما بعده اى الذين اذا ذكر الله وجلت خافت قلوبهم منه هيبة والصابرين على ما اصابهم من
المحن والمصائب والمقيمى الصلوة فى اوقاتها ومما رزقناهم ينفقون يتصدقون والبدن جمع بدنة
سميت لعظم بدنها وفى الشريعة يتناول الابل والبقر وقرئ برفعها وهو كقوله والقمر قدرناه
جعلناها لكم من شعاير الله اى من اعلام الشريعة التى شرعها الله واضافتها الى اسمه تعظيم لها ومن
شعاير الله ثانى مفعولى جعلنا لكم فيها خير النفع فى الدنيا والاجر فى العقبى فاذكروا اسم الله عليها
عند نحرها صواف حال من الهاء اى قايمات اى قد صففن ايديهن وارجلهن فاذا وجبت جنوبها
وجوب الجنوب وقوعها على الارض من وجب الحائط وجبة اى اذا سقط اذا سقطت جنوبها
على الارض بعد نحرها وسكنت حركتها فكلوا منها ان شئتم واطعموا القانع اى السائل من قنعت اليه
اذا خضعت له وسألته قنوعا والمعتر الذى يريك نفسه ويتعرض ولا يسأل وقيل القانع الراضى
بما عنده وبما يعطى من غير سوال من قنعت قنعا وقناعة والمعتر المعترض بالسوال كذلك سخرناها
لكم اى كما امرناكم بنحرها سخرناها لكم او هو كقوله ذلك ومن يعظم شعاير الله ثم استانف فقال
سخرناها لكم للنافع لكم مع قوتها وعظم اجرامها لتتمكنوا من نحرها لعلكم تشكرون لكى تشكروا
انعام الله عليكم لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم اى لن يتقبل الله اللحم
والدماء المراقة ولكن يتقبل الله التقوى او لن يصيب رضى الله تعالى اللحوم المتصدق بها
ولا الدماء المراقة بالنحر والمراد اصحاب اللحوم والدماء والمعنى لن يرضى المضحون والمقربون
ربهم الا بمراعاة النية والاخلاص ورعاية شروط التقوى وقيل كان اهل الجاهلية اذا نحروا البدن
نضحوا الدماء حول البيت ولطخوا بالدم فلما حج المسلمون ارادوا مثل ذلك فنزلت كذلك سخرها
لكم اى البدن لتكبروا الله لتسموا الله عند الذبح او لتعظموا الله على ما هديكم على ما ارشدكم اليه
وبشر المحسنين اى الممتثلين اوامره بالثواب ان الله يدافع يدفع مكى وبصرى وغيرها يدافع اى يبالغ
فى الدفع عنهم عن الذين امنوا اى يدفع غائلة المشركين عن المؤمنين ونحوه انا لننصر رسلنا و
الذين امنوا ثم علل ذلك بقوله ان الله لا يحب كل خوان فى امانة الله كفور لنعمة الله اى لانه لا يحب

اضدادهم وهم الخونة الكفرة الذين يخونون الله والرسول ويخونون اماناتهم ويكفرون
نعم الله ويغمطونها اذن مدني وبصري وعاصم للذين يقاتلون بفتح التاء مدني وشامي
وحفص والمعنى اذن لهم في القتال فحذف المأذون فيه لدلالة يقاتلون عليه بانهم ظلموا
بسبب كونهم مظلومين وهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مشركوا مكة يؤذونهم
اذى شديدا وكانوا ياتون رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين مضروب ومشجوج يتظلمون
اليه فيقول لهم اصبروا فاني لم اومر بالقتال حتى هاجر فانزلت هذه الآية وهي اول اية
اذن فيها بالقتال بعدما نهي عنه في نيف وسبعين اية وان الله على نصرهم على نصر المؤمنين
لقدير وهي بشارة للمؤمنين بالنصرة وهو مثل قوله ان الله يدافع عن الذين امنوا الذين
في محل جر بدل من الذين او نصب باعني او رفع باضمارهم اخرجوا من ديارهم بمكة بغير حق
الا ان يقولوا ربنا الله اي بغير موجب سوى التوحيد الذي ينبغي ان يكون موجب التمكين
لا موجب الاخراج ومثله هل تنقمون منا الا ان امنا بالله ومحل ان يقولوا جر بدلا من
حق والمعنى ما اخرجوا من ديارهم الا بسبب قولهم ولولا دفع الله دفاع مدني ويعقوب الناس
بعضهم ببعض لهدمت وبالتخفيف حجازي صوامع وبيع وصلوات ومساجد اي لولا اظهاره
وتسليطه المسلمين على الكافرين بالمجاهدة لاستولى المشركون على اهل الملل المختلفة في
ازمنتهم وعلى متعبداتهم فهدموها ولم يتركوا النصارى بيعا ولا لرهبانهم صوامع ولا
لليهود صلوات اي كنائس وسميت الكنيسة صلوات لانهم يصلى فيها ولا للمسلمين مساجد او
لغلب المشركون في امة محمد صلى الله عليه وسلم على المسلمين وعلى اهل الكتاب الذين في ذمتهم
وهدموا متعبدات الفريقين وقدم غير المساجد عليها لتقدمها وجودا او لقربها من التهديم
يذكر فيها اسم الله كثيرا في المساجد او في جميع ما تقدم ولينصرن الله من ينصره اي ينصر دينه واولياءه
ان الله لقوي على نصر اوليائه عزيز على انتقام اعدائه الذين محله نصب بدل من من ينصره او جر تابع
للذين اخرجوا ان مكناهم في الارض اقاموا الصلوة واتوا الزكوة وامروا بالمعروف ونهوا عن
المنكر هو اخبار من الله عما سيكون عليه سيرة المهاجرين ان مكنهم في الارض وبسط لهم في الدنيا
وكيف يقومون بامر الدين وفيه دليل صحة خلافة الخلفاء الراشدين لان الله تعالى اعطاهم التمكين

ونفاذ

ونفاذ الامر مع السيرة العادلة وعن الحسن هم امة محمد عليه الصلوة والسلام ولله عاقبة الامور اي مرجعها
الى حكمه وتقديره وفيه تاكيد لما وعده من اظهار اوليائه واعلاء كلمتهم وان يكذبوك هذا تسلية لمحمد
صلى الله عليه وسلم من تكذيب اهل مكة اياه اي لست باوحدي في التكذيب فقد كذبت قبلهم قبل قومك
قوم نوح وعاد هودا وثمود صالحا وقوم ابرهيم وقوم لوط لوطا واصحاب مدين شعيبا وكذب
موسى كذبه فرعون والقبط ولم يقل وقوم موسى لان موسى ما كذبه قومه واسرائيل وانما كذبه غير قومه
او كانه قيل بعد ما ذكر تكذيب كل قوم رسولهم وكذب موسى ايضا مع وضوح اياته وظهور معجزاته
فما ظنك بغيره فامليت للكافرين امهلتهم واخرت عقوبتهم ثم اخذتهم عاقبتهم على كفرهم فكيف
كان نكير انكاري وتغييري حيث ابدلتهم بالنعم فقراء وبالحيوة هلاكا وبالعمارة خرابا نكيري بالياء
في الوصل والوقف يعقوب وكاين من قرية اهلكناها اهلكتها بصري وهي ظالمة حال اي واهلها
مشركون فهي خاوية فهي خاوية ساقطة من خوى النجم اذا سقط على عروشها يتعلق بخاوية والمعنى
انها ساقطة على سقوفها اي خرت سقوفها على الارض ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف
والجملة في فهي خاوية من الاعراب انها معطوفة على اهلكناها وهذا الفعل ليس له محل وهذا اذا اعرب
كاين منصوب المحل على تقدير كثيرا من القرى اهلكناها وبئر معطلة اي متروكة لفقد دلوها و
رشائها او رفض تفقدها او هي عامرة فيها الماء ومعها آلة الاستقاء الا انها عطلت اي تركت
لا يستقى منها لهلاك اهلها وقصر مشيد مجصص من الشيد وهو الجص او مرفوع البنيان من شاد البناء
رفعه والمعنى كم من قرية اهلكناها وكم من بئر عطلناها عن سقاتها وقصر مشيد اخليناه عن ساكنيه اي
اهلكنا البادية والحاضرة جميعا فخلت القصور عن اربابها والابار عن ورادها والاظهر ان البير
والقصر على العموم افلم يسيروا في الارض هذا حث على السفر ليروا مصارع من اهلكهم الله بكفرهم
ويشاهدوا اثارهم فيعتبروا فتكون لهم قلوب يعقلون بها او اذان يسمعون بها اي يعقلون ما
يجب ان يعقل من التوحيد ونحوه ويسمعون ما يجب سماعه من الوحي فانها لا تعمى الابصار ولكن
تعمى القلوب التي في الصدور الضمير في انها ضمير القصة او ضمير مبهم يفسره الابصار اي فما عميت ابصارهم
عن الابصار بل قلوبهم عن الاعتبار ولكل انسان اربع اعين عينان في راسه وعينان في قلبه
فان ابصرتا في القلب وعمي ما في الراس لم يضره وان ابصر ما في الراس وعمي ما في القلب لم ينفعه و

ذكر الصدور لبيان ان محل العلم القلب وليلا يقال ان القلب يعني به غير هذا العضو كما يقال القلب
لب كل شيء ويستعجلونك بالعذاب الاجل استهزاء ولن يخلف الله وعده كانه قال ولم يستعجلون
به كانهم يجوزون الفوت وانما يجوز ذلك على ميعاد من يجوز عليه الخلف والله لا يخلف
الميعاد وما وعده ليصيبهم ولو بعد حين وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون تعدون مكي
وكوفي غير عاصم اي كيف يستعجلون بعذاب من يوم واحد من ايام عذابه في طول الف سنة من
سنينكم لان ايام الشدايد طوال وكاين من قرية امليت لها وهي ظالمة اي وكم من قرية كانوا مثلكم
ظالمين قد انظرتهم حينا ثم اخذتها بالعذاب والي المصير الي المرجع الي فلا يفوتني شيء وانما كانت
الاولى اي فكاين معطوفة بالفاء وهذه اي وكاين بالواو لان الاولى وقعت بدلا عن فكيف
كان نكير واما هذه فحكمها حكم ما تقدمها من الجملتين المعطوفتين بالواو وهما ولن يخلف الله وعده
وان يوما عند ربك قل يا ايها الناس انما انا لكم نذير مبين وانما لم يقل بشير ونذير لذكر الفريقين
بعده لان الحديث مسوق الى المشركين ويا ايها الناس نداء لهم وهم الذين قيل فيهم افلم يسيروا
ووصفوا بالاستعجال وانما اقحم المومنون وثوابهم ليغاظوا او تقديره نذير مبين وبشير فبشر
اولا فقال فالذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة لذنوبهم ورزق كريم اي حسن ثم
انذر فقال والذين سعوا سعى في امر فلان اذا افسده بسعيه في اياتنا اي القران معاجزين
حال معجزين حيث كان مكي وابو عمرو عاجزه سابقه لان كل واحد منهما في طلب اعجاز الاخر
عن اللحاق به فاذا سبقه قيل اعجزه وعجزه والمعنى سعوا في معناها بالفساد من الطعن فيها
حيث سموها سحرا وشعرا واساطير مسابقين في زعمهم وتقديرهم طامعين ان كيدهم للاسلام
يتم لهم اوليك اصحاب الجحيم اي النار الموقدة وما ارسلنا من قبلك من لابتداء الغاية من رسول
من زيادة لتاكيد النفي ولا نبي هذا دليل بين على ثبوت التغاير بين الرسول والنبي بخلاف ما
يقوله البعض انهما واحد وسيل النبي صلى الله عليه وسلم عن الانبياء فقال مائة الف واربعة وعشرون
الفا قيل فكم الرسل منهم فقال ثلث مائة وثلثة عشر والفرق بينهما ان الرسول من جمع الى المعجزة
الكتاب المنزل عليه والنبي من لم ينزل كتاب وانما امر ان يدعو الى شريعة من قبله وقيل الرسول
واضع شرع والنبي حافظ شرع غيره الا اذا تمنى قراء قال تمنى كتاب الله اول ليلة تمنى داود

الزبور على رسل القى الشيطان في امنيته تلاوته قالوا انه عليه الصلوة والسلام في نادي قومه يقرا
والنجم فلما بلغ قوله ومنات الثالثة الاخرى جرى على لسانه تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن
لترتجى ولم يفطن له حتى ادركته العصمة فتنبه عليه وقيل نبهه جبريل عليه السلام فاخبرهم
ان ذلك كان من الشيطان وهذا القول غير مرضي لانه لا يخلوا اما ان تكلم النبي عليه الصلوة والسلام
بها عمدا وانه لا يجوز لانه كفر ولانه بعث طاعنا للاصنام لا مادحا لها او اجرى الشيطان ذلك
على لسان النبي صلى الله عليه وسلم جبرا بحيث لم يقدر على الامتناع عنه وهو ممتنع لان الشيطان
لا يقدر على ذلك في حق غيره لقوله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان ففي حقه اولى
او اجرى على لسانه سهوا وغفلة وهو مردود ايضا لانه لا يجوز مثل هذا الغفلة عليه في حال
تبليغ الوحي ولو جاز ذلك لبطل الاعتماد على قوله ولانه يقال قال في صفة المنزل عليه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه وقال انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون فلما بطلت هذه الوجوه
لم يبق الا وجه واحد وهو انه عليه الصلوة والسلام سكت عند قوله ومناة الثالثة الاخرى
فتكلم الشيطان بهذه الكلمات متصلا بقراءة النبي عليه الصلوة والسلام فوقع عند بعضهم انه
عليه الصلوة والسلام هو الذي تكلم بها ويكون هذا القاء في قراءة النبي صلى الله عليه وسلم وكان
الشيطان يتكلم في زمن النبي عليه الصلوة والسلام ويسمع كلامه فقد روى انه نادى يوم احد
الا ان محمدا قد قتل وقد قال يوم بدر لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم فينسخ الله ما
يلقي الشيطان اي يذهب به ويبطله ويخبر انه من الشيطان ثم يحكم الله اياته اي يثبتها ويحفظها
عن لحوق الزيادة من الشيطان والله عليم بما اوحى الى نبيه وبقصد الشيطان حكيم لا يدعه
حتى يكشفه ويزيله ثم ذكر ان ذلك ليفتن الله تعالى به قوما بقوله ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة
محنة وابتلاء للذين في قلوبهم مرض شك ونفاق والقاسية قلوبهم هم المشركون المكذبون
فيزدادوا به شكا وظلمة وان الظالمين اي المنافقين والمشركين واصله وانهم فوضع الظاهر
موضع الضمير قضاء عليهم بالظلم لفي شقاق خلاف بعيد عن الحق وليعلم الذين اوتوا العلم بالله
وبدينه وبالايات انه اي القران الحق من ربك فيومنوا به القران فتخبت فتطمئن له قلوبهم
وان الله لهادي الذين امنوا الى صراط مستقيم فيتاولوا ما يتشابه في الدين بالتاويلات الصحيحة و

ويطلبوا لما اشكل منه المحمل الذي يقتضيه الاصول المحكمة حتى لا يلحقهم حيرة ولا تعتريهم شبهة ولا يزال
الذين كفروا في مرية شك منه من القران او من الصراط المستقيم حتى تاتيهم الساعة بغتة فجاءة او
ياتيهم عذاب يوم عقيم يعني يوم بدر فهو عقيم عن ان يكون للكافرين فيه فرج او راحة كالريح
العقيم لا ياتي بخير او شديد لا رحمة فيه او لا مثل له في عظم امره لقتال الملائكة فيه وعن الضحاك
انه يوم القيمة وان المراد بالساعة مقدماته الملك يومئذ اي يوم القيمة والتنوين عوض من
الجملة اي يوم يؤمنون او يوم يزول مريتهم لله فلا منازع له فيه يحكم بينهم اي يقضي ثم بين حكمه
فيهم بقوله فالذين امنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا باياتنا
فاولئك لهم عذاب مهين ثم خص قوما من الفريق الاول بفضيلة فقال والذين هاجروا
في سبيل الله خرجوا من اوطانهم مجاهدين ثم قتلوا في الجهاد قتلوا شامي او ماتوا ليرزقنهم
الله رزقا حسنا قيل الرزق الحسن الذي لا ينقطع ابدا وان الله لهو خير الرازقين لانه
المخترع للخلق بلا مثال المتكفل للرزق بلا ملال ليدخلنهم مدخلا وبفتح الميم مدني والمراد
الجنة يرضونه لان فيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين وان الله لعليم باحوال من قضى نحبه
مجاهدا وامال من مات وهو ينتظر معاهدا حليم بامهال من قاتلهم معاندا روي ان طوائف
من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا يا نبي الله هؤلاء الذين قتلوا قد علمنا ما اعطاهم الله من
الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا ان متنا معك فانزل الله هاتين الايتين ذلك اي
الامر ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به سمي الابتداء بالجزاء للملابسة له من حيث انه سبب
وذلك مسبب عنه ثم بغي عليه لينصرنه الله اي من جازى بمثل ما فعل به من الظلم ثم ظلم بعد ذلك
فحق على الله ان ينصره ان الله لعفو يمحو اثار الذنوب غفور يستر انواع العيوب وتقريب الوصفين
بسياق الاية ان المعاقب مبعوث من عند الله على العفو وترك العقوبة بقوله فمن عفى و
اصلح فاجره على الله وان تعفوا اقرب للتقوى فحين لم يؤثر ذلك وانتصر فهو تارك
للافضل فكانه مذنب فمعنى المغفرة انه لا يلومه على ترك الافضل وهو ضامن لنصرته في الكرة
الثانية اذا ترك العفو وانتقم من الباغي عليه وعرض مع ذلك بما كان اولى به من العفو بذكر
هاتين الصفتين او دل بذكر العفو والمغفرة على انه قادر على العقوبة اذ لا يوصف بالعفو

الا القادر على ضده كما قيل العفو عند القدرة ذلك بان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في
الليل وان الله سميع بصير اي ذلك النصر للمظلوم بسبب انه قادر على ما يشاء ومن ايات قدرته انه يولج
الليل في النهار ويولج النهار في الليل اي يزيد من هذا في ذلك ومن ذلك في هذا او بسبب انه خالق الليل
والنهار ومصرفهما فلا يخفى عليه ما يجري فيهما على ايدي عباده من الخير والشر والبغي والانصاف وانه
سميع بما يقولون لا يشغله سمع عن سمع وان اختلفت في النهار الاصوات بفنون اللغات
بصير بما يفعلون ولا يستتر عنه شيء بشيء في الليالي وان توالت الظلمات ذلك بان الله هو
الحق وان ما يدعون عراقي غير ابي بكر من دونه هو الباطل وان الله هو العلي الكبير اي ذلك الوصف
بخلقه الليل والنهار واحاطته بما يجري فيهما وادراكه كل قول وفعل بسبب انه الله الحق الثابت الوهيته
وان كل ما يدعى الها دونه باطل الدعوة وانه لا شيء اعلى منه شانا واكبر سلطانا الم تر ان الله
انزل من السماء ماء مطرا فتصبح الارض مخضرة بالنبات بعد ان كانت مسودة يابسة وانما صرف
الى لفظ المضارع ولم يقل فاصبحت ليفيد بقاء اثر المطر زمانا بعد زمان كما تقول انعم علي فلان فاروح
واغدو شاكرا ولو قلت فرحت وغدوت لم يقع ذلك الموقع وانما رفع فتصبح ولم ينصب جوابا
للاستفهام لانه لو نصب لبطل الغرض وهذا لان معناه اثبات الاخضرار فينقلب بالنصب الى
نفي الاخضرار كما تقول لصاحبك الم تر اني انعمت عليك فتشكر ان نصبته نفيت شكره وشكوت
من تفريطه فيه وان رفعته اثبت شكره ان الله لطيف واصل علمه او فضله الى كل شيء خبير بمصالح
الخلق ومنافعهم او اللطيف المختص بدقيق التدبير الخبير المحيط بكل قليل وكثير له ما في السموات
وما في الارض ملكا وملكا وان الله لهو الغني المستغني بكمال قدرته بعد فناء ما في السموات
وما في السموات الارض الحميد المحمود بنعمته قبل ثناء من في السموات ومن في الارض الم تر ان الله
سخر لكم ما في الارض من البهائم مذللة للركوب في البر والفلك تجري في البحر بامره اي ومن
المراكب جارية في البحر ونصب الفلك عطفا على ما وتجري حال لها اي سخر لكم الفلك في حال
جريها ويمسك السماء ان تقع على الارض اي يحفظها من ان تقع الا باذنه بامره او بمشيته ان الله
بالناس لرءوف بتسخير ما في الارض رحيم بامساك السماء لئلا تقع على الارض عدد الاءه مقرونة
باسمائه ليشكروه على الائه ويذكروه باسمائه وعن ابي حنيفة رحمه الله ان اسم الله الاعظم في الايات

الثماني يستجاب لقاريها البتة وهو الذي احياكم في ارحام امهاتكم ثم يميتكم عند انقضاء اجالكم
ثم يحييكم لايصال جزاءكم ان الانسان لكفور لجحود لما افاض عليه من ضروب النعم ودفع عنه
صنوف النقم او لا يعرف نعمة الانشاء المبلغ للوجود ولا الفناء المقرب الى الموعود ولا الاحياء
الموصل الى المقصود لكل امة اهل دين جعلنا منسكا هم ناسكوه وهو رد لقول من يقولون ان الذبح
ليس شريعة الله اذ هو شريعة كل امة ناسكوه هم عاملون به فلا ينازعنك فلا يجادلنك و
المعنى فلا تلتفت الى قولهم ولا تمكنهم من ان ينازعوك في الامر امر الذبايح او الدين نزلت
حين قال المشركون للمسلمين ما لكم تاكلون ما قتلتم ولا تاكلون ما قتله الله يعني الميتة وادع الناس
الى ربك الى عبادة ربك انك لعلى هدى مستقيم طريق قويم ولم يذكر الواو في لكل امة بخلاف
ما تقدم لان تلك وقعت مع ما يناسبها من الاى الواردة في امر نسايك فعطفت على اخواتها
وهذه وقعت مع اباعد عن معناها فلم تجد معطفا وان جادلوك مراء وتعنتا كما يفعله
السفهاء بعد اجتهادك ان لا يكون بينك وبينهم تنازع وجدال فقل الله اعلم بما تعملون
اي فلا تجادلهم وادفعهم بهذا القول والمعنى ان الله اعلم باعمالكم وبما تستحقون عليها من الجزاء
فهو مجازيكم به وهذا وعيد وانذار ولكن برفق ولين تاديب يجاب به كل متعنت الله
يحكم بينكم يوم القيمة فيما كنتم فيه تختلفون هذا خطاب من الله للمومنين والكافرين اي
يفصل بينكم بالثواب والعقاب ومسلاة لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما كان يلقى منهم الم تر ان
الله يعلم ما في السماء والارض اي كيف يخفى عليه ما تعملون ومعلوم عند العلماء بالله انه يعلم
كل شيء ما يحدث في السموات والارض ان ذلك الموجود فيهما في كتاب في اللوح المحفوظ ان
ذلك على الله يسير اي علم جميع ذلك عليه يسير ثم اشار الى جهالة الكفار بعبادتهم غير المستحق
لها بقوله ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به ينزل مكي وبصري سلطانا حجة وبرهانا و
ما ليس لهم به علم اي لم يتمسكوا في عبادتهم لها ببرهان سماوي من جهة الوحي ولا حملهم عليها
دليل عقلي وما للظالمين من نصير وما للذين ارتكبوا مثل هذا الظلم من احد ينصرهم ويصوب
مذهبهم واذا تتلى عليهم اياتنا بينات يعني القران تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر الانكار
بالعبوس والكراهة والمنكر مصدر يكادون يسطون يبطشون والسطو الوثب والبطش بالذين

يتلون عليهم اياتنا هم النبي عليه الصلوة والسلام واصحابه قل افانبئكم بشر من ذلكم من غيظكم
على التالين وسطوكم عليهم او مما اصابكم من الكراهة والضجر بسبب ما تلي عليكم النار خبر مبتدأ
محذوف كان قايلا قال ما هو فقيل النار اي هو النار وعدها الله الذين كفروا استيناف
كلام وبئس المصير النار ولما كانت دعواهم بان الله تعالى شريكا جارية في الغرابة والشهرة
مجرى الامثال المسيرة قال الله تعالى يا ايها الناس ضرب بين مثل فاستمعوا له لضرب هذا المثل
ان الذين تدعون يدعون سهل ويعقوب من دون الله الهة لن يخلقوا ذبابا لن لتاكيد نفي
المستقبل وتاكيده هنا الدلالة على ان خلق الذباب منهم مستحيل كانه قال محال ان يخلقوا وتخصيص
الذباب لمهانته وضعفه واستقذاره ويسمى ذبابا لانه كلما ذب لاستقذاره اب لاستكباره
ولو اجتمعوا له لخلق الذباب ومحله النصب على الحال كانه قال مستحيل منهم ان يخلقوا الذباب
مشروطا عليهم اجتماعهم جميعا لخلقه وتعاونهم عليه وهذا من ابلغ ما انزل في تجهيل قريش
حيث وصفوا بالالهية التي تقتضي الاقتدار على المقدورات كلها والاحاطة بالمعلومات
عن اخرها صورا وتماثيل يستحيل منها ان تقدر على اقل ما خلقه الله واذله ولو اجتمعوا
لذلك وان يسلبهم الذباب شيئا ثاني مفعولي يسلبهم لا يستنقذوه منه اي هذا الخلق الاقل الاذل
لو اختطف منهم شيئا فاجتمعوا على ان يستخلصوه منه لم يقدروا وعن ابن عباس رض انهم كانوا
يلطخونها بالزعفران ورؤسها بالعسل فاذا سلبه الذباب عجز الاصنام عن اخذه ضعف
الطالب اي الصنم يطلب ما سلب منه والمطلوب الذباب يطلب ما سلب وهذا كالتسوية
بينهم وبين الذباب في الضعف ولو حققت وجدت الطالب اضعف واضعف فالذباب
حيوان وهو جماد وهو غالب وذاك مغلوب ما قدروا الله حق قدره ما عرفوه حق معرفته
حيث جعلوا الصنم الضعيف شريكا له ان الله لقوي عزيز اي ان الله قادر غالب فكيف يتخذ
العاجز المغلوب شبيها به او القوي ينصر اولياءه عزيز ينتقم من اعدائه الله يصطفي يختار
من الملايكة رسلا كجبريل وميكائيل واسرافيل وغيرهم ومن الناس رسلا كابراهيم وموسى
وعيسى ومحمد وغيرهم عليهم السلام هذا رد لما انكروه من ان يكون الرسول من البشر وبيان
ان رسل الله على ضربين ملك وبشر وقيل نزلت حين قالوا اانزل عليه الذكر من بيننا ان الله سميع

لقولهم بصير بمن يختاره لرسالته او سميع لاقوال الرسل فيما يقبله العقول بصير باحوال الامم
فى الرد والقبول يعلم ما بين ايديهم ما مضى وما خلفهم ما لم يات او ما عملوه وما سيعملوه او
امر الدنيا وامر الاخرة والى الله ترجع الامور اى اليه مرجع الامور كلها والذى هو بهذه
الصفات لا يسال عما يفعل وهم لا يسالون وليس لاحد ان يعترض عليه فى حكمه وتدابيره
واختيار رسله ترجع شامى وحمزة وعلى يا ايها الذين امنوا اركعوا واسجدوا فى صلوتكم
وكانوا اول ما اسلموا يصلون بلا ركوع وسجود فامروا ان تكون صلوتهم بركوع وسجود
وفيه دليل على ان الاعمال ليست من الايمان وان هذه السجدة للصلوة لا للتلاوة واعبدوا
ربكم واقصدوا بركوعكم وسجودكم وجه الله لا الصنم وافعلوا الخير قيل لما كان للذكر مزية
على غيره من الطاعات دعا المومنين اولا الى الصلوة التى هى ذكر خالص لقوله اقم الصلوة
لذكرى ثم الى العبادة بغير الصلوة كالصوم والحج وغيرهما ثم عم بالحث على ساير الخيرات وقيل
اريد به صلة الارحام ومكارم الاخلاق لعلكم تفلحون اى كى تفوزوا اى افعلوا هذا كله و
انتم راجعون للفلاح غير مستيقنين ولا تتكلوا على اعمالكم وجاهدوا امر بالغزو وبجهاد
النفس والهوى وهو الجهاد الاكبر او هو كلمة حق عند امير جاير فى الله اى فى ذات الله و من
اجله حق جهاده وهو ان لا يخاف فى الله لومة لايم يقال هو حق عالم وجد عالم اى هو
عالم حقا وجدا ومنه حق جهاده وكان القياس حق الجهاد فيه او حق جهادكم فيه لكن
الاضافة تكون بادنى ملابسة واختصاص فلما كان الجهاد مختصا بالله من حيث انه مفعول
لوجهه ومن اجله صحت اضافته اليه ويجوز ان يتسع فى الظرف كقوله ويوما شهدناه
سليما وعامرا هو اجتبيكم اختاركم لدينه ولنصرته وما جعل عليكم فى الدين من حرج ضيق
بل رخص لكم فى جميع ما كلفكم من الطهارة والصلوة والصوم والحج بالتيمم والايماء والقصر و
الافطار بعذر السفر والمرض وعدم الراحلة ملة ابيكم ابراهيم اى اتبعوا ملة ابيكم او
نصب على الاختصاص اى اعنى بالدين ملة ابيكم وسماه ابا وان لم يكن ابا للامة كلها لانه ابو
رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان ابا للامة لان امة الرسول فى حكم اولاده قال عليه الصلوة
والسلام فكان انما انا لكم مثل الوالد هو سماكم المسلمين اى الله بدليل قراءة ابى الله سماكم من قبل

فى الكتب المتقدمة وفى هذا اى فى القران اى فضلكم على ساير الامم وسماكم بهذا الاسم الاكرم ليكون
الرسول شهيدا عليكم انه قد بلغكم رسالة ربكم وتكونوا شهداء على الناس بتبليغ الرسل رسالات
الله اليهم واذ خصكم بهذه الكرامة والاثرة فاقيموا الصلوة بواجباتها واتوا الزكوة بشرايطها
واعتصموا بالله وثقوا بالله وتوكلوا عليه لا بالصلوة والزكوة هو موليكم مالككم وناصركم
ومتولى اموركم فنعم المولى حيث لم يمنعكم رزقكم بعصيانكم ونعم النصير اى الناصر هو حيث
اعانكم على طاعته وقد افلح من هو مولاه وناصره سورة المومنون مائة وثمان عشرة اية
بسم الله الرحمن الرحيم قد افلح المومنون قد نقيضة لما هى تثبت
المتوقع ولما تنفيه وكان المومنون يتوقعون لمثل هذه البشارة وهى الاخبار بثبات الفلاح
لهم فخوطبوا بما دل على ثبات ما توقعوا والفلاح الظفر بالمطلوب والنجاة من المرهوب اى
فازوا بما طلبوا ونجوا عما هربوا والايمان فى اللغة التصديق والمومن المصدق لغة وفى الشرع
كل من نطق بالشهادتين مواطيا قلبه لسانه فهو مومن قال عليه الصلوة والسلام خلق الله الجنة
فقال لها تكلمى فقالت قد افلح المومنون ثلثا انا حرام على كل بخيل مراء لانه بالرياء يبطل العبادات
البدنية وليس له عبادة مالية الذين هم فى صلوتهم خاشعون خايفون بالقلب ساكنون
بالجوارح وقيل الخشوع فى الصلوة جمع الهمة لها والاعراض عما سواها وان لا يجاوز بصره
مصلاه وان لا يلتفت ولا يعبث ولا يسدل ولا يفرقع اصابعه ولا يقلب الحصى ونحو ذلك
وعن ابى الدرداء هو اخلاص المقال واعظام المقام واليقين التام وجمع الاهتمام واضيفت
الصلوة الى المصلين لا الى المصلى له لانتفاع المصلى بها وحده وهى عدته وذخيرته واما المصلى
له فغنى عنها والذين هم عن اللغو معرضون عن كل ما لا يحل فى الشرع من قول وفعل اللغو
كل كلام ساقط حقه ان يلغى كالكذب والشتم والهزل يعنى بهم من الجد ما شغلهم عن الهزل
ولما وصفهم بالخشوع فى الصلوة اتبعه الوصف بالاعراض عن اللغو ليجمع لهم الفعل والترك
الشاقين على الانفس اللذين هما قاعدتا بناء التكليف والذين هم للزكوة فاعلون مودون و
لفظ فاعلون يدل على مداومة بخلاف مودون وقيل الزكوة اسم مشترك يطلق على العين
وهو القدر الذى يخرجه المزكى من النصاب الى الفقير وعلى المعنى وهو فعل المزكى الذى هو

التزكية وهو المراد هنا فجعل المزكين فاعلين له لان لفظ الفعل يعم جميع الافعال كالضرب و
القتل ونحوهما فيقول للضارب والقاتل والمزكي فاعل الضرب والقتل والتزكية ويجوز ان
يراد بالزكوة العين ويقدر مضاف محذوف وهو الاداء ودخل اللام لتقدم المفعول وضعف
اسم الفاعل في العمل فانك تقول هذا ضارب لزيد ولا تقول ضرب لزيد والذين هم لفروجهم
حافظون الفرج يشتمل سوءة الرجل والمراة الا على ازواجهم في موضع الحال اي الا والين
على ازواجهم او قوامين عليهن من قولك كان زيد على البصرة اي واليا عليها والمعنى انهم لفروجهم
في جميع الاحوال الا في حال تزوجهم او تسريهم او تعلق على بمحذوف يدل عليه غير ملومين كانه قيل
يلامون الا على ازواجهم اي يلامون على كل مباشرة الا على ما اطلق لهم فانهم غير ملومين عليه
قال الفراء الا من ازواجهم من زوجاتهم او ما ملكت ايمانهم اي امائهم ولم يقل من لان المملوك
يجري مجرى غير العقلاء ولهذا يباع كما يباع البهائم فانهم غير ملومين اي لا لوم عليهم ان لم يحفظوا
فروجهم عن نسائهم فمن ابتغى وراء ذلك طلب قضاء الشهوة من غير هذين فاولئك هم
العادون الكاملون في العدوان وفيه دليل على تحريم المتعة والاستمتاع باليد لارادة الشهوة
والذين هم لاماناتهم وعهدهم لامانتهم مكي سمي الشيء المؤتمن عليه والمتعاهد عليه امانة و
عهدا ومنه قوله تعالى ان الله يامركم ان تودوا الامانات الى اهلها وانما تود العيون لا المعاني والمراد
به العموم في كل ما ائتمنوا عليه وعوهدوا من جهة الله عز وجل ومن جهة الخلق راعون حافظون
والراعي القائم على الشيء بحفظ واصلاح كراعي الغنم والذين هم على صلواتهم صلوتهم كوفي غير
عاصم يحافظون يداومون في اوقاتها واعادة ذكر الصلوة لانها اهم ولان الخشوع فيها غير
المحافظة عليها او لانها وحدت اولا ليفاد الخشوع في جنس الصلوة صلوة كانت وجمعت اخر
ليفاد المحافظة على انواعها من الفرائض والواجبات والسنن والنوافل اولئك الجامعون لهذه
الاوصاف هم الوارثون الاحقاء بان يسموا وراثا دون من عداهم ثم ترجم الوارثين بقوله
الذين يرثون من الكفار في الحديث ما منكم من احد الا وله منزلان منزل في الجنة
ومنزل في النار فان مات ودخل الجنة ورث اهل النار منزله وان مات ودخل النار ورث اهل
الجنة منزله الفردوس هو البستان الواسع الجامع لاصناف الثمر وقال قطرب هو اعلى الجنان هم

فيها خالدون انث الفردوس بتاويل الجنة ولقد خلقنا الانسان اي ادم عليه السلام من سلالة
من للابتداء والسلالة الخلاصة لانها تسل من بين الكدر وقيل انما سمي التراب الذي خلق
آدم منه سلالة لانه سل من كل تربة من طين من للبيان كقوله من الاوثان ثم جعلناه اي نسله
فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه لان آدم عليه السلام لم يصر نطفة وهو كقوله وبدأ
خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين وقيل الانسان بنو آدم والسلالة
النطفة والعرب تسمي النطفة سلالة اي ولقد خلقنا الانسان من سلالة يعني من نطفة مسلولة
من طين اي من مخلوق من طين وهو آدم عليه السلام نطفة ماء قليلا في قرار مستقر يعني الرحم
مكين حصين ثم خلقنا النطفة اي صيرناها بدلالة تعديته الى مفعولين والخلق يتعدى الى
مفعول واحد علقة قطعة دم والمعنى احلنا النطفة البيضاء علقة حمراء فخلقنا العلقة
مضغة لحما قدر ما يمضغ فخلقنا المضغة عظاما فصيرناها عظاما فكسونا العظام لحما
فانبتنا عليها اللحم فصار لها كاللباس عظما العظم شامي وابو بكر عظما العظام زيد عن يعقوب
عظام العظم عن ابي زيد وضع الواحد موضع الجمع لعدم اللبس اذ الانسان ذو عظام كثيرة
ثم انشأناه الضمير يعود الى الانسان او الى المذكور خلقا آخر اي خلقا مباينا للخلق الاول حيث
جعله حيوانا وكان جمادا او ناطقا وسميعا وبصيرا وكان بضد هذه الصفات ولهذا قلنا
اذا غصب بيضة فافرخت عنده يضمن البيضة ولا يرد الفرخ لانه خلق آخر سوى البيضة
فتبارك الله فتعالى امره في قدرته وعلمه احسن بدل او خبر مبتدأ محذوف وليس بصفة
لانه نكرة وان اضيف لان المضاف اليه عوض من الخالقين المقدرين اي احسن المقدرين تقديرا
فترك ذكر المميز لدلالة الخالقين عليه وقيل ان عبد الله بن سعد بن ابي سرح كاتب النبي
صلى الله عليه وسلم كان يكتب للنبي عليه الصلوة والسلام فنطق بذلك قبل املائه فقال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم اكتب هكذا نزلت فقال عبد الله ان كان محمد نبيا يوحى اليه فانا نبي يوحى الي
فارتد ولحق بمكة ثم اسلم يوم الفتح وقيل هذه الحكاية غير صحيحة لان ارتداده كان بمدينة
وهذه السورة مكية وقيل القائل عمر او معاذ رضي الله عنهما ثم انكم بعد ذلك بعد ما ذكرنا من امركم لميتون
عند انقضاء آجالكم ثم انكم يوم القيمة تبعثون تحيون للجزاء ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق

خلقا

جمع طريقة وهي سموات لانها طرق الملايكة ومتقلباتهم وما كنا عن الخلق غافلين اراد بالخلق
السموات كانه قال خلقناها فوقكم وما كنا عنها غافلين وعن حفظها او اراد به الناس وانه
انما خلقها فوقهم ليفتح عليهم الارزاق والبركات منها وما كان غافلا عنهم وعما يصلحهم
وانزلنا من السماء ماء مطرا بقدر بتقدير يسلمون معه من المضرة ويصلون الى المنفعة او
بمقدار ما علمنا من حاجاتهم فاسكناه في الارض كقوله فسلكه ينابيع في الارض وقيل جعلناه
ثابتا في الارض فماء الارض كله من السماء ثم استادى شكرهم بقوله وانا على ذهاب به لقادرون
اى كما قدرنا على انزاله فقدرنا على ذهابه فقيدوا هذه النعمة بالشكر فانشانا لكم به بالماء
جنات من نخيل واعناب لكم فيها في الجنات فواكه كثيرة سوى النخيل والاعناب ومنها
تاكلون اى من الجنات اى من ثمارها ويجوز ان يكون هذا من قولهم فلان ياكل من حرفة
يحترفها ومن ضيعة يستغلها اى انها طعمته وجهته التى يحصل رزقه كانه قال وهذه الجنات
وجوه ارزاقكم ومعايشكم ترزقون وتتعيشون وشجرة عطف على جنات وهي شجرة الزيتون
طور سيناء تخرج من طور سيناء طور سيناء وطور سينين لا يخلو اما ان يضاف الطور الى بقعة
اسمها سيناء وسينون واما ان يكون اسما للجبل مركبا من مضاف ومضاف اليه كامرء القيس
وهو جبل فلسطين وسيناء غير منصرف بكل حال مكسور السين كقراءة الحجازية وابي عمرو
للتعريف والعجمة او مفتوحها لان الالف للتانيث كصحراء تنبت بالدهن قال الزجاج
الباء للحال اى تنبت ومعها الدهن تنبت مكي وابو عمرو اما لان انبت بمعنى نبت كقوله حتى
اذا انبت البقل او لان مفعوله محذوف اى تنبت زيتونها وفيه الدهن وصبغ للآكلين
اى ادام لهم قال مقاتل جعل الله تعالى في هذه اداما ودهنا فالادام الزيتون والدهن
الزيت وقيل هي اول شجرة تنبت بعد الطوفان وخص هذه الانواع الثلثة لانها اكرم
الشجرة وافضلها واجمعها للمنافع وان لكم في الانعام جمع نعم وهو الابل والبقر والغنم
لعبرة نسقيكم وبفتح النون شامي ونافع وابو بكر سقى واسقى لغتان مما في بطونها اى نخرج
لكم من بطونها لبنا سائغا ولكم فيها منافع كثيرة سوى الالبان وهي منافع الاصواف
والاوبار والاشعار ومنها تاكلون اى لحومها وعليها وعلى الانعام في البر وعلى الفلك في البحر

تحملون

تحملون في اسفاركم وهذا يشير الى ان المراد بالانعام الابل لانها هي المحمول عليها في العادة ولذا
قرنها بالفلك التى هي السفاين لانها سفاين البر قال ذو الرمة سفينة بر تحت خدي زمامها يريد
ناقته ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله وحده ما لكم من اله معبود
غيره بالرفع على المحل وبالجر على اللفظ والجملة استيناف تجري مجرى التعليل للامر بالعبادة
افلا تتقون افلا تخافون عقوبة الله الذي هو ربكم وخالقكم اذا عبدتم غيره مما ليس
من استحقاق العبادة في شيء فقال الملاء الذين كفروا من قومه اى اشرافهم لعوامهم ما هذا
الا بشر مثلكم ياكل ويشرب يريد ان يتفضل عليكم اى يطلب الفضل عليكم ويترأس ولو شاء
الله ارسال رسول لانزل ملايكة لارسل ملايكة ما سمعنا بهذا اى بارسال بشر رسولا
او بما يامرنا به من التوحيد وسب الهتنا والعجب منهم انهم رضوا بالالوهية للحجر ولم يرضوا
بالنبوة للبشر في اباينا الاولين ان هو الا رجل به جنة جنون فتربصوا به حتى حين
فانتظروا واصبروا عليه الى زمان حتى ينجلي امره فان افاق من جنونه والا قتلتموه قال
رب انصرني بما كذبون فلما ايس من ايمانهم دعا الله بالانتقام منهم والمعنى اهلكهم بسبب تكذيبهم
اياي اذ في نصرته اهلاكهم وانصرني بدل ما كذبوني كقولك هذا بذاك اى بدل ذلك والمعنى
ابدلني من غم تكذيبهم سلوة النصرة عليهم فاوحينا اليه اى اجبنا دعاءه فاوحينا اليه ان
اصنع الفلك باعيننا اى تصنعه وانت واثق بحفظ الله لك ورويته اياك او بحفظنا
وكلاءتنا كان معك من الله حفاظا يكلونك بعيونهم ليلا يتعرض لك ولا يفسد عليك
مفسد عملك ومنه قولهم عليه من الله عين كالية ووحينا امرنا وتعليمنا اياك صنعتها روى
انه اوحى اليه ان يصنعها على مثال جؤجؤ الطاير فاذا جاء امرنا اى عذابنا بامرنا وفار التنور
اى فار الماء من تنور الخبز اى اخرج سبب الغرق من موضع الحرق ليكون ابلغ في الانذار
والاعتبار روى انه قيل لنوح اذا رايت يفور من التنور فاركب انت ومن معك في
السفينة فلما نبع الماء من التنور اخبرته امراته فركب وكان تنور آدم فصار الى نوح وكان
من حجارة واختلف في مكانه فقيل في مسجد الكوفة وقيل بالشام وقيل بالهند فاسلك فيها
فادخل في السفينة من كل زوجين من كل امتين زوجين وهما امة الذكر وامة الانثى كالجمال

والنوق والحصن والرماك اثنين واحدين من زوجين كالجمل والناقة والحصان والرمكة
وروى انه لم يحمل الا ما يلد ويبيض من كل حصر والمفضل اى من كل امة زوجين واثنين تاكيد
وزيادة بيان واهلك نساءك واولادك الا من سبق عليه القول من الله باهلاكه وهو ابنه ولحد
زوجته فجيئ بعلى مع سبق الضار كما جيئ باللام بسبق النافع فى قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا
المرسلين ونحوها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت منهم ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا انهم مغرقون
ولا تسالنى نجاة الذين كفروا فانى اغرقهم فاذا استويت انت ومن معك على الفلك فاذا
تمكنتم عليها راكبين فقل الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين امر بالحمد على اهلاكهم و
النجاة منهم ولم يقل فقولوا وان كان فاذا استويت انت ومن معك فى معنى فاذا استويتم
لانه نبيهم وامامهم فكان قوله قولهم مع ما فيه من الاشعار بفضل النبوة وقل حين ركبت
على السفينة او حين خرجت منها رب انزلنى منزلا اى انزالا او موضع انزال منزلا ابو بكر
اى مكانا مباركا وانت خير المنزلين فالبركة فى السفينة النجاة فيها وبعد الخروج منها
كثرة النسل وتتابع الخيرات ان فى ذلك فيما فعل بنوح وقومه لايات لعبر ومواعظ
وان هى المخففة من المثقلة واللام هى الفارقة بين النافية وبينها والمعنى وان الشان
والقصة كنا لمبتلين لمصيبين قوم نوح ببلاء عظيم وعقاب شديد او مختبرين بهذه الايات
عبادنا لننظر من يعتبر ويذكر كقوله ولقد تركناها اية فهل من مدكر ثم انشانا خلقنا من
بعدهم من بعد قوم نوح قرنا قوما اخرين هم عاد قوم هود ويشهد له قول هود واذكروا
اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح ومجيئ قصة هود على اثر قصة نوح فى الاعراف وهود
والشعراء فارسلنا فيهم الارسال يعدى بالى ولم يعد بالى هنا وفى قوله كذلك ارسلناك
فى امة وما ارسلنا فى قرية ولكن الامة او القرية جعلت موضعا للارسال كقول رؤبة
ارسلت فيها مصعبا ذا اقحام رسولا هودا منهم من قومهم ان اعبدوا الله ما لكم من اله
غيره افلا تتقون ان مفسرة لارسلنا اى قلنا لهم على لسان الرسول اعبدوا الله وقال الملا
من قومه ذكر مقام قوم هود فى جوابه فى الاعراف وهود بغير واو لانه على تقدير سوال سائل
قال فما قال قومه فقيل له قالوا كيت وكيت وههنا مع الواو لانه عطف لما قالوه على ما قاله

ونحوه

الرسول

الرسول ومعناه انه اجتمع فى الحصول هذا الحق وهذا الباطل وليس بجواب للنبى متصل بكلامه
فلم يكن بالفاء وجيئ بالفاء فى قصة نوح لانه جواب لقوله واقع عقيبه الذين كفروا صفة
للملا او لمن قومه وكذبوا بلقاء الاخرة اى بلقاء ما فيها من الحساب والثواب والعقاب
وغير ذلك واترفناهم وانعمناهم فى الحيوة الدنيا بكثرة الاموال والاولاد ما هذا اى النبى الا بشر
مثلكم ياكل مما تاكلون منه ويشرب مما تشربون اى منه فحذف لدلالة ما قبله عليه اى من اين
يدعى رسالة الله من بينكم وهو مثلكم ولئن اطعتم بشرا مثلكم فيما يامركم به وينهاكم عنه انكم
اذا اذن وقع فى جزاء الشرط وجواب للذين قاولوهم من قومه لخاسرون بالانقياد لمثلكم
ومن حمقهم انهم ابوا اتباع مثلهم وعبدوا اعجز منهم ايعدكم انكم اذا متم بالكسر نافع وحمزة
وعلى وحفص وغيرهم بالضم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون مبعوثون للسوال والحساب
والثواب والعقاب وثنى انكم للتوكيد وحسن ذلك لفصل ما بين الاول والثانى بالظرف و
مخرجون خبر عن الاول والتقدير ايعدكم انكم مخرجون اذا متم وكنتم ترابا وعظاما هيهات
هيهات وبكسر التاء يزيد وروى عنه بالكسر والتنوين فيهما والكسائى يقف بالهاء وغيره بالتاء
وهو اسم للفعل واقع موقع بعد وفاعلها مضمر اى بعد التصديق او الوقوع لما توعدون
من العذاب او فاعلها ما توعدون واللام زائدة اى بعد ما توعدون من البعث ان هى هذا
ضمير لا يعلم ما يعنى به الا بما يتلوه من بيانه واصله ان الحيوة الا حيوتنا الدنيا ثم وضع هى
موضع الحيوة لان الخبر يدل عليها ويبينها والمعنى لا حيوة الا هذه الحيوة التى نحن فيها او دنت
منها وهذا لان ان النافية دخلت على هى التى فى معنى الحيوة الدالة على الجنس فنفتها فوازنت
لا التى لنفى الجنس نموت ونحيا اى يموت بعض ويولد بعض ينقرض قرن ويأتى قرن آخر او
فيه تقديم وتاخير اى نحيا ونموت وهو قراءة ابى وابن مسعود رضى وما نحن بمبعوثين
بعد الموت ان هو الا رجل افترى على الله كذبا اى ما هو الا مفترى على الله كذبا فيما
يدعيه من استنبائه له وفيما يعدنا من البعث وما نحن له بمؤمنين بمصدقين قال رب انصرنى
بما كذبون فاجاب الله دعاء الرسول بقوله قال عما قليل ما زائدة او بمعنى شئ او زمن وقليل
بدل منها وجواب القسم المحذوف ليصبحن نادمين اذا عاينوا ما يحل بهم فاخذتهم الصيحة اى

صيحة جبريل صاح عليهم فدمرهم بالحق بالعدل من الله تعالى يقال فلان يقضي بالحق اى بالعدل
فجعلناهم غثاء شبههم في دمارهم بالغثاء وهو حميل السيل مما بلي واسود من الورق والعيدان
فبعدا فهلاكا يقال بعد بعدا وبعدا اى هلك وهو من المصادر المنصوبة بافعال لا يستعمل
اظهارها للقوم الظالمين بيان لمن دعي عليه بالبعد نحو هيت لك ثم انشأنا من بعدهم
قرونا آخرين قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم ما تسبق من امة من صلة اى ما تسبق
امة اجلها المكتوب لها اى الوقت الذي حد لهلاكها وكتب وما يستأخرون لا يستأخرون
عنه ثم ارسلنا رسلنا تترى فعلى والالف للتأنيث كسكرى لان الرسل جماعة ولذا لا ينون
لانه غير منصرف تترى مكي وابو عمرو ويزيد على ان الالف للالحاق كارطى وهو نصب على
الحال في القراءتين اى متتابعين واحدا بعد واحد وتاؤها فيهما بدل من الواو والاصل
وترى من الوتر وهو الفرد فقلبت الواو تاء كتراث كلما جاء امة رسولها كذبوه الرسول
يلابس المرسل والمرسل اليه والاضافة تكون بالملابسة فتصح اضافته اليهما فاتبعنا الامم
والقرون بعضهم بعضا في الاهلاك وجعلناهم احاديث اخبارا يسمر بها ويتعجب منها
والاحاديث يكون اسم جمع للحديث ومنه احاديث النبي عليه الصلوة والسلام ويكون
جمعا للاحدوثة وهي ما يتحدث به الناس تلهيا وتعجبا وهو المراد هنا فبعدا لقوم
لا يؤمنون ثم ارسلنا موسى واخاه هرون بدل من اخاه باياتنا التسع وسلطان مبين
وحجة ظاهرة الى فرعون وملئه فاستكبروا عن قبول الايمان ترفعا وتكبرا وكانوا قوما
عالين متكبرين مترفعين فقالوا انؤمن لبشرين مثلنا البشر يكون واحدا وجمعا ومثل
وغير يوصف بهما الاثنان والجمع والمذكر والمؤنث وقومهما اى بنو اسرائيل لنا عابدون
خاضعون مطيعون وكل من دان للملك فهو عابد له عند العرب فكذبوهما فكانوا من
المهلكين بالغرق ولقد آتينا موسى اى قوم موسى الكتاب التورية لعلهم يهتدون يعملون
بشرايعها ومواعظها وجعلنا ابن مريم وامه آية تدل على قدرتنا على ما نشاء لانه خلق من غير
نطفة ووحده لان الاعجوبة فيهما واحدة او المراد وجعلنا ابن مريم آية وامه آية فحذفت
الاولى لدلالة الثانية عليها وآويناهما جعلنا مأويهما اى منزلهما الى ربوة شامي وعاصم ربوة

غيرهما اى ارض مرتفعة وهي بيت المقدس او دمشق او الرملة او مصر ذات قرار مستقر من ارض
مستوية منبسطة او ذات ثمار وماء يعني انه لاجل الثمار يستقر فيها ساكنوها ومعين وماء
ظاهر جار على وجه الارض وانه مفعول اى مدرك بالعين لظهوره وجريه من الماعون وهي
المنفعة يا ايها الرسل كلوا من الطيبات هذا النداء والخطاب ليسا على ظاهرهما لانهم ارسلوا
متفرقين في ازمنة مختلفة وانما المعنى الاعلام بان كل رسول في زمانه نودي بذلك ووصى
به ليعتقد السامع ان امرا نودي له جميع الرسل ووصوا به حقيق ان يوخذ به ويعمل عليه
او هو خطاب لمحمد عليه الصلوة والسلام لفضله وقيامه مقام الكل في زمانه وكان يأكل من الغنائم
او لعيسى عليه السلام لاتصال الآية بذكره وكان يأكل من غزل امه وهو اطيب الطيبات والمراد
بالطيبات ما حل والامر للتكليف او ما يستطاب ويستلذ والامر للترفيه والاباحة واعملوا
صالحا موافقا للشريعة اني بما تعملون عليم فاجازيكم على اعمالكم وان هذه كوفي على الاستيناف
وان حجازي وبصري بمعنى ولان اى فاتقون لان هذه او هو معطوف على ما قبله اى بما تعملون
عليم وبان هذه او تقديره واعلموا ان هذه امتكم اى ملتكم وشريعتكم التي انتم عليها امة
واحدة ملة واحدة وهي شريعة الاسلام وانتصاب امة على الحال والمعنى وان الدين دين
واحد وهو الاسلام ومثله ان الدين عند الله الاسلام وانا ربكم وحدي فاتقون
فخافوا عقابي في مخالفتكم امري فتقطعوا امرهم بينهم تقطع بمعنى قطع اى قطعوا امر دينهم
زبرا جمع زبور اى كتبا مختلفة يعني جعلوا دينهم اديانا وقيل تفرقوا في دينهم فرقا
كل ينتحل كتابا وعن الحسن قطعوا كتاب الله قطعا وحرفوه وقرئ زبرا جمع زبرة اى قطعا
كل حزب كل فرقة من فرق هؤلاء المختلفين المتقطعين دينهم بما لديهم من الكتاب والدين
او من الهوى والرأي فرحون مسرورون معتقدون انهم على الحق فذرهم في غمرتهم
جهالتهم وغفلتهم حتى حين الى ان يقتلوا او يموتوا ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين
ما بمعنى الذي وخبر ان نسارع لهم في الخيرات والعائد من خبر ان الى اسمها محذوف
اى نسارع لهم به والمعنى ان هذا الامداد ليس الا استدراجا لهم الى المعاصي وهم يحسبونه
مسارعة لهم في الخيرات ومعاجلة بالثواب جزاء على حسن صنيعهم وهذه الآية حجة على

المعتزلة فى مسئلة اصلح لانهم يقولون ان الله تعالى لا يفعل باحد من الخلق الا ما هو اصلح له
فى الدين وقد اخبر ان ذلك ليس بخير لهم فى الدين ولا اصلح بل لا يشعرون بل استدراك
لقوله ايحسبون اى بلهم اشباه البهايم لا شعور لهم حتى يتاملوا فى ذلك انه استدراج
او مسارعة فى الخيرات ثم بين ذكر اوليائه فقال ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون
خايفون والذين هم بايات ربهم يومنون اى بكتب الله كلها لا يفرقون بين كتبه
كالذين تقطعوا امرهم بينهم وهم اهل الكتاب والذين هم بربهم لا يشركون كمشركى العرب
والذين يوتون ما اتوا يعطون ما اعطوا من الزكوة والصدقات وقرى ياتون ما اتوا
بالقصر اى يفعلون ما فعلوا وقلوبهم وجلة خايفة ان لا تقبل منهم لتقصيرهم انهم
الى ربهم راجعون الجمهور على ان التقدير لانهم وخبر ان الذين اوليك يسارعون فى الخيرات
يرغبون فى الطاعات فيبادرونها وهم لها سابقون اى لاجل الخيرات سابقون للجنان
او لاجلها سبقوا الناس ولا نكلف نفسا الا وسعها اى طاقتها يعنى ان الذين وصف
به الصالحون غير خارج من حد الوسع والطاقة وكذلك كل ما كلفه عباده وهو رد
على من جوز تكليف ما لا يطاق ولدينا كتاب اى اللوح او صحيفة الاعمال ينطق بالحق
وهم لا يظلمون لا يقرؤن منه يوم القيمة الا ما هو صدق وعدل لا زيادة فيه ولا نقصان
ولا يظلم منهم احد بزيادة عقاب او نقصان ثواب او بتكليف ما لا وسع له ثم عاد الى
ذكر المشركين فقال بل قلوبهم فى غمرة من هذا بل قلوب الكفرة فى غفلة غامرة لها مما عليه
هولاء الموصوفون من المومنين ولهم اعمال من دون ذلك اى ولهم اعمال خبيثة متجاوزة
متخطية لذلك اى لما وصف به المومنون هم لها عاملون وعليها مقيمون لا يفطمون
عنها حتى ياخذهم الله بالعذاب حتى اذا اخذنا مترفيهم متنعميهم بالعذاب عذاب الدنيا
وهو القحط سبع سنين حين دعا عليهم النبى صلى الله عليه وسلم او قتلهم يوم بدر او القيمة وحتى
هى التى يبتدا بعدها الكلام والكلام الجملة الشرطية اذا هم يجارون يصرخون استغاثة
والجوار الصراخ باستغاثة فيقال لهم حينئذ لا تجاروا اليوم فان الجوار غير نافع لكم انكم
منا لا تنصرون اى من جهتنا لا يلحقكم نصر ومعونة قد كانت اياتى تتلى عليكم اى القران فكنتم
على اعقابكم تنكصون ترجعون القهقرى والنكوص ان يرجع القهقرى وهو اقبح مشية
لانه لا يرا ما وراءه مستكبرين متكبرين على المسلمين حال من تنكصون به بالبيت الحرام او
بالحرم لانهم يقولون لا يظهر علينا احد لانا اهل الحرم والذى سوغ هذا الاضمار شهرتهم
بالاستكبار بالبيت او باياتى لانها فى معنى كتابى ومعنى استكبارهم بالقران تكذيبهم به
استكبارا ضمن مستكبرين معنى مكذبين فعدى تعديته او يتعلق الباء بقوله سامرا اى تسمرون
بذكر القران وبالطعن فيه وكانوا يجتمعون حول البيت يسمرون فكانت عامة سمرهم ذكر
القران وتسميته سحرا او شعرا والسامر نحو الحاضر فى الاطلاق على الجمع وقرى سمارا او بقوله
تهجرون وهو من الهجر الهذيان تهجرون نافع من اهجر فى منطقه اذا افحش افلم يدبروا القول
افلم يتدبروا القران ليعلموا انه الحق المبين فيصدقوا به وبمن جاء به ام جاءهم ما لم يات
اباءهم الاولين بل اجاءهم ما لم يات اباءهم الاولين فلذلك انكروه واستبدعوه
ام لم يعرفوا رسولهم محمدا عليه الصلوة والسلام بالصدق والامانة ووفور العقل
وصحة النسب وحسن الاخلاق اى عرفوه بهذه الصفات وهم له منكرون بغيا وحسدا
ام يقولون به جنة جنون وليس كذلك لانهم يعلمون انه ارجحهم عقلا واثقبهم ذهنا
بل جاءهم بالحق الابلج والصراط المستقيم وبما خالف شهواتهم واهواءهم وهو التوحيد
والاسلام ولم يجدوا له مردا ولا مدفعا فلذلك نسبوه الى الجنون واكثرهم للحق كارهون
وفيه دليل على ان اقلهم ما كان كارها للحق بل كان تاركا للايمان به انفة واستنكافا
من توبيخ قومه وان يقولوا صبا وترك دين ابائه كابى طالب ولو اتبع الحق اهواءهم
فيما يعتقدون من الالهة لفسدت السموات والارض كما قال لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا
ومن فيهن خص العقلاء بالذكر لان غيرهم تبع بل اتيناهم بذكرهم بالكتاب الذى هو
ذكرهم اى وعظهم او شرفهم لان الرسول منهم والقران بلغتهم او بالذكر الذى كانوا يتمنونه
ويقولون لو ان عندنا ذكرا من الاولين فهم عن ذكرهم معرضون بسوء اختيارهم ام
تسالهم خرجا فخراج ربك خير حجازى وبصرى وعاصم خرجا فخرج شامى خراجا على
وحمزة وهو ما تخرجه الى الامام من زكوة ارضك والى كل عامل من اجرته وجعله والخراج

اخص من الخراج يقولون خراج القرية وخرج الكردة فزيادة اللفظ لزيادة المعنى ولذا حسنت
القراءة الاولى يعنى ام تسالهم على هدايتك لهم قليلا من عطاء الخلق فالكثير من عطاء الخالق
خير وهو خير الرازقين افضل المعطين وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم وهو دين الاسلام
فحقيق ان يستجيبوا لك وان الذين لا يؤمنون بالاخرة عن الصراط لناكبون لعادلون عن
هذا الصراط المذكور وهو الصراط المستقيم ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر لما اخذهم الله
بالسنين حتى اكلوا العلهز جاء ابو سفيان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له انشدك
الله والرحم الست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى فقال قتلت الاباء بالسيف و
الابناء بالجوع فنزلت الاية والمعنى لو كشف الله عنهم هذا الضر وهو القحط الذى اصابهم
برحمته عليهم ووجدوا الخصب للجوا لتمادوا فى طغيانهم يعمهون يترددون يعنى لعادوا
الى ما كانوا عليه من الاستكبار وعداوة رسول الله والمؤمنين ولذهب عنهم هذا التملق بين
يديه ولقد اخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون استشهد على ذلك بانا
اخذناهم اولا بالسيوف وبما جرى عليهم يوم بدر من قتل صناديدهم واسرهم فما وجدت
بعد ذلك منهم استكانة اى خضوع ولا تضرع وقوله وما يتضرعون عبارة عن دوام حالهم
اى وهم على ذلك بعد ولذا لم يقل وما تضرعوا ووزن استكان استفعل من الكون اى انتقل
من كون الى كون كما قيل استحال اذا انتقل من حال الى حال حتى اذا فتحنا فتحنا يزيد عليهم بابا ذا
عذاب شديد اى باب الجوع الذى هو اشد من الاسر والقتل اذا هم فيه مبلسون متحيرون
ايسون من كل خير وجاء اغناهم واشدهم شكيمة فى العناد ليستعطفك او محناهم بكل محنة
من القتل والجوع فما رأى فيهم لين مقادة وهم كذلك حتى اذا عذبوا بنار جهنم فحينئذ يبلسون
كقوله ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون وهو الذى انشأ لكم السمع والابصار والافئدة
خصها بالذكر لانه يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية ما لا يتعلق بغيرها قليلا ما تشكرون
اى تشكرون شكرا قليلا وما مزيدة للتاكيد بمعنى حقا والمعنى انكم لم تعرفوا عظم هذه النعم
وضيعتموها عن مواضعها فلم تعملوا ابصاركم واسماعكم فى ايات الله وافعاله ولم تستدلوا
بقلوبكم فتعرفوا ولا تشركوا به شيئا وهو الذى ذرأكم خلقكم وبثكم بالتناسل فى الارض واليه

تحشرون تجمعون يوم القيمة بعد تفرقكم وهو الذى يحيى ويميت اى يحيى النسم بالانشاء
ويميتها بالافناء وله اختلاف الليل والنهار اى مجيئ احدهما عقيب الاخر او اختلافهما
فى الظلمة والنور او فى الزيادة والقصور وهو مختص به ولا يقدر على تصريفهما غيره
افلا تعقلون فتعرفوا قدرتنا على البعث او فتستدلوا بالصنع على الصانع فتؤمنوا بل قالوا
اى اهل مكة مثل ما قال الاولون اى الكفار قبلهم ثم بين ما قالوا بقوله قالوا ائذا متنا وكنا
ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون متنا نافع وحمزة وعلى وحفص لقد وعدنا نحن واباؤنا
هذا اى البعث من قبل مجيئ محمد عليه الصلوة والسلام ان هذا الا اساطير الاولين
جمع اسطار جمع سطر وهى ما كتبه الاولون مما لا حقيقة له وجمع اسطورة اوفق ثم
امر نبيه صلى الله عليه وسلم باقامة الحجة على المشركين قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون
فانهم سيقولون لله لانهم مقرون بانه الخالق فاذا قالوها قل لهم افلا تذكرون فتعلموا
ان من فطر الناس ومن فيها كان قادرا على اعادة الخلق وكان حقيقا بان لا يشرك به
بعض خلقه فى الربوبية افلا تذكرون بالتخفيف حمزة وعلى وحفص بالتشديد غيرهم
قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل افلا تتقون افلا
تخافونه فلا تشركوا به او افلا تتقون فى جحودكم قدرته على البعث مع اعترافكم بقدرته
على خلق هذه الاشياء قل من بيده ملكوت كل شيئ الملكوت الملك والواو والتاء للمبالغة
فينبئ عن عظم الملك وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون اجرت فلانا على فلان
اذا اغثته منه ومنعته يعنى وهو يغيث من يشاء عن يشاء ولا يغيث احد منه احدا
سيقولون لله قل فانى تسحرون تخدعون عن الحق او عن توحيده وطاعته والخادع هو
الشيطان والهوى الاول لله بالاجماع اذ السؤال لمن وكذلك الثانى والثالث عند غير اهل
البصرة على المعنى لانك اذا قلت من رب هذا فمعناه لمن هذا فيجاب لفلان كقول الشاعر
اذا قيل من رب المزالف والقرى ورب الجياد والجرد قيل لخالد اى لمن المزالف ومن قرى بحذفه
فعلى الظاهر لانك اذا قلت من رب هذا فجوابه فلان بل اتيناهم بالحق بان نسبة الولد اليه
محال والشرك باطل وانهم لكاذبون فى قولهم اتخذ الله ولدا وادعائهم للشرك ثم اكذبهم

بقوله ما اتخذ الله من ولد لانه منزه عن النوع والجنس وولد الرجل من جنسه وما كان
معه من اله وليس معه شريك في الالوهية اذا لذهب كل اله بما خلق لانفرد كل واحد من
الالهة بالذي خلقه واستبد به ويتميز ملك واحد منهم عن الاخر ولعلى بعضهم على بعض
ولغلب بعضهم على بعضا كما ترون حال ملوك الدنيا ممالكهم متمايزة وهم متغالبون وحين
لم تروا اثر التمايز الممالك والتغالب فاعلموا انه اله واحد بيده ملكوت كل شيء ولا يقال
اذا لا يدخل الا على كلام هو جزاء وجواب وههنا وقع لذهب جزاء وجوابا ولم يتقدمه
شرط ولا سوال سائل لان الشرط محذوف تقديره ولو كان معه الهة لذلك وما كان معه
من اله عليه وهو جواب لمن حاجه من المشركين سبحان الله عما يصفون من الانداد والاولاد
عالم بالجر صفة لله وبالرفع مدني وكوفي غير حفص خبر مبتداء محذوف الغيب والشهادة
السر والعلانية فتعالى عما يشركون من الاصنام وغيرها قل رب اما تريني ما يوعدون ما
والنون مؤكدتان اي ان كان لا بد من ان تريني ما تعدهم من العقاب في الدنيا او في الاخرة
رب فلا تجعلني في القوم الظالمين اي فلا تجعلني قرينا لهم ولا تعذبني بعذابهم عن الحسن
اخبره الله تعالى ان له في امته نقمة ولم يخبره وقتها فامره ان يدعو بهذا الدعاء ويجوز
ان يسال النبي المعصوم ربه ما علم انه يفعله وان يستعيذ به مما علم ان لا يفعله اظهارا
للعبودية وتواضعا لربه واستغفاره عليه الصلوة والسلام اذا قام من مجلسه سبعين مرة
لذلك والفاء في فلا لجواب الشرط ورب اعتراض بينهما للتاكيد وانا على ان نريك ما نعدهم
لقادرون كانوا ينكرون الموعد بالعذاب ويضحكون منه فقيل لهم ان الله قادر على انجاز
ما وعد ان تاملتم فما وجه هذا الانكار ادفع بالتي بالخلة التي هي احسن السيئة هو ابلغ من ان
يقال ادفع بالحسنة السيئة لما فيه من التفضيل كانه قال ادفع بالحسنى السيئة والمعنى الصفح عن
اساءتهم ومقابلتها بما امكن من الاحسان وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي شهادة ان لا اله الا الله
والسيئة الشرك او الفحش بالسلام والمنكر بالموعظة وقيل هي منسوخة باية السيف وقيل
محكمة اذ المداراة محثوث عليها ما لم تؤد الى ثلم دين نحن اعلم بما يصفون من الشرك او بوصفهم
لك وسوء ذكرهم فنجازيهم عليه وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين من وساوسهم

وبخساتهم والهمز النخس والهمزات جمع الهمزة ومنه مهماز الرائض والمعنى ان الشياطين يحثون
الناس على المعاصي كما يهمز الراضة الدواب حثا لها على المشي واعوذ بك رب ان يحضرون
امر بالتعوذ من نخساتهم بلفظ المبتهل الى ربه المكرر لندائه وبالتعوذ من ان يحضروه اصلا
او عند تلاوة القران او عند النزع حتى اذا جاء احدهم الموت حتى يتعلق بيصفون اي
لا يزالون يشركون الى مجيء وقت الموت او لا يزالون على سوء الذكر الى هذا الوقت وما
بينهما مذكور على وجه الاعتراض والتاكيد للاغضاء عنهم مستعينا بالله على الشيطان ان
يستزله عن الحلم ويغريه على الانتصار منهم قال رب ارجعون ردوني الى الدنيا خاطب الله
بلفظ الجمع للتعظيم كخطاب لعلي اعمل صالحا فيما تركت في الموضع التي تركت وهو الدنيا لانه ترك
الدنيا وصار الى العقبى قال قتادة ما تمنى ان يرجع الى الاهل ولا الى العشيرة ولكن ليتدارك ما
فرط لعلي ساكنة الياء كوفي وسهل ويعقوب كلا ردع عن طلب الرجعة وانكار واستبعاد
انها كلمة المراد بالكلمة الطائفة من الكلام المنتظم بعضها مع بعض وهو قوله رب ارجعون
رب لعلي اعمل صالحا فيما تركت هو قائلها لا محالة لا يخليها ولا يسكت عنها لاستيلاء الحسرة
والندم عليه ومن ورائهم اي امامهم والضمير للجماعة برزخ حائل بينهم وبين الرجوع الى
الدنيا الى يوم يبعثون ولم يرد انهم يرجعون الى الدنيا يوم البعث وانما هو اقناط كلي لما
علم ان لا رجوع بعد البعث لها الى الاخرة فاذا نفخ في الصور قيل انها النفخة الثانية فلا
انساب بينهم يومئذ وبالادغام ابو عمرو لاجتماع المثلين وان كانا من كلمتين يعني يقع
التقاطع بينهم حيث يتفرقون متاببين ومعاقبين ولا يكون التواصل بينهم بالانساب
اذ يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه وانما يكون بالاعمال ولا يتساءلون سوال
تواصل كما كانوا يتساءلون في الدنيا لان كلا مشغول عن سوال صاحبه بحاله ولا تناقض بين
هذا وبين قوله واقبل بعضهم على بعض يتساءلون وفي مواطن يفيقون فيتساءلون فمن
ثقلت موازينه جمع موزون وهي الموزونات من الاعمال الصالحة التي لها وزن وقدر
عند الله تعالى من قوله فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا فاولئك هم المفلحون ومن خفت
موازينه بالسيئات والمراد الكفار فاولئك الذين خسروا انفسهم غبنوها في جهنم خالدون

بدل من خسروا انفسهم ولا محل للبدل والمبدل منه لان الصلة لا محل لها او خبر بعد خبر لاولئك
او خبر مبتدا محذوف تلفح اى تحرق وجوههم النار وهم فيها كالحون عابسون فيقال لهم
الم تكن اياتى اى القران تتلى عليكم فى الدنيا فكنتم بها تكذبون وتزعمون انها ليست من الله
قالوا ربنا غلبت علينا فى الدنيا فكنتم بها تكذبون وتزعمون اى ملكتنا شقوتنا شقاوتنا
حمزة وعلى وكلاهما مصدران اى شقيتنا باعمالنا السيئة التى عملناها وقول اهل التاويل غلب
علينا ما كتب علينا من الشقاوة لا يصح لانه انما يكتب ما يفعل العبد وما يعلم انه يختاره
ولا يكتب غير الذى علم انه يختاره فلا يكون مغلوبا ومضطرا فى الفعل وهذا لانهم انما يقولون
ذلك القول اعتذارا لما كان منهم من التفريط فى امره فلا يحتمل ان يطلبوا لانفسهم عذرا
فيما كان منهم وكنا قوما ضالين عن الحق والصواب ربنا اخرجنا منها من النار فان عدنا
اى الكفر والتكذيب فانا ظالمون لانفسنا قال اخسؤا فيها اى اسكتوا سكوت ذلة وهوان
ولا تكلمون فى دفع العذاب عنكم فانه لا يرفع ولا يخفف قيل هو اخر الكلام يتكلمون به ثم لا كلام
بعد ذلك الا الشهيق والزفير ان يحضرون ارجعون ولا تكلمونى بالياء فى الوصل والوقف
يعقوب وغيره بلا ياء انه اى الامر والشان كان فريق من عبادى يقولون ربنا امنا فاغفر لنا
وارحمنا وانت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا مفعول ثان وبالضم مدنى وحمزة وعلى
وكلاهما مصدر سخر كالسخر الا ان فى ياء النسبة مبالغة قيل هم الصحابة رضى وقيل اهل
الصفة خاصة ومعناه اتخذتموهم هزوا وتشاغلتم بهم ساخرين حتى انسوكم بتشاغلكم
بهم على تلك الصفة ذكرى فتركتموه اى كان التشاغل بهم سبب النسيان فنسيتم ذكرى وكنتم
منهم تضحكون استهزاء بهم انى جزيتهم اليوم بما صبروا بصبرهم انهم اى لانهم هم الفائزون
ويجوز ان يكون مفعولا ثانيا اى جزيتهم اليوم فوزهم لان جزى يتعدى الى اثنين و
جزاهم بما صبروا جنة انهم حمزة وعلى على الاستيناف اى انهم هم الفائزون لا انتم قال الله كم اى
والمامور بسؤالهم من الملائكة قل مكى وحمزة وعلى امر لمالك ان يسالهم كم لبثتم فى الارض
الدنيا عدد سنين اى كم عدد سنين لبثتم فكم نصب بلبثتم وعدد بكم قالوا لبثنا يوما او بعض
يوم استقصروا مدة لبثهم فى الدنيا بالاضافة الى خلودهم لما هم فيه من عذابها ولان الممتحن

يستطيل

يستطيل ايام محنته ويستقصر ما مر عليه من ايام الدعة فاسال العادين الحساب او الملائكة الذين
يعدون اعمار العباد واعمالهم فسل بلا همزة مكى وعلى قال ان لبثتم الا قليلا اى ما لبثتم الا
زمنا قليلا او لبثا قليلا لو انكم كنتم تعلمون صدقهم الله تعالى فى تقالهم لسنى لبثهم فى الدنيا
ووبخهم على غفلتهم التى كانوا عليها قال ان حمزة وعلى افحسبتم انما خلقناكم عبثا حال اى عابثين
او مفعول له للعبث وانكم الينا لا ترجعون وبفتح التاء وكسر الجيم حمزة وعلى ويعقوب
وهو معطوف على انما خلقناكم او على عبثا اى للعبث ولترككم غير مرجوعين بل خلقناكم
للتكليف ثم للرجوع من دار التكليف الى دار الجزاء فيثاب المحسن ويعاقب المسيء فتعالى
الله عن ان يخلق عبثا الملك الحق الذى يحق له الملك لان كل شيء منه واليه او الثابت
الذى لا يزول ولا يزول ملكه لا اله الا هو رب العرش الكريم وصف العرش بالكرم لان
الرحمة تنزل منه او النسبة الى اكرم الاكرمين وقرئ شاذا برفع الكريم صفة للرب ومن يدع
مع الله الها اخر لا برهان لا حجة له به اعتراض بين الشرط والجزاء كقولك من احسن الى زيد
لا احق بالاحسان منه فالله مثيبه او صفة لازمة جيء بها للتوكيد كقوله يطير بجناحيه
لا ان يكون فى الالهة ما يجوز ان يقوم عليه برهان فانما حسابه اى جزاؤه وهذا جزاء الشرط
عند ربه اى فهو يجازيه لا محالة انه لا يفلح الكافرون جعل فاتحة السورة قد افلح المؤمنون
وخاتمتها انه لا يفلح الكافرون فشتان ما بين الفاتحة والخاتمة ثم علمنا سؤال المغفرة
والرحمة بقوله وقل رب اغفر وارحم ثم قال وانت خير الراحمين لان رحمته اذا ادركت
احدا اغنته من رحمة غيره ولا تغنيه عن رحمته

سورة النور مكية وهى مائة وسبعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم سورة خبر مبتدا محذوف
اى هذه السورة انزلناها صفة لها وقرا طلحة سورة على زيدا ضربته او على اتل سورة و
السورة الجامعة لجملة ايات بفاتحة لها وخاتمة واشتقاقها من سور المدينة وفرضناها اى
فرضنا احكامها التى فيها واصل الفرض القطع اى جعلناها مقطوعا بها وبالتشديد مكى و
ابو عمرو للمبالغة فى الايجاب وتوكيده او لان فيها فرائض شتى او لكثرة المفروض عليهم من
السلف ومن بعدهم وانزلنا فيها ايات بينات اى دلائل واضحات لعلكم تذكرون لكى تتعظوا

وبتخفيف الذال المعجمة حمزة وعلى وخلف وحفص ثم فصل احكامها فقال الزانية والزانى و
رفعهما على الابتداء والخبر محذوف اى فيما يفرض عليكم الزانية والزانى اى جلدهما او الخبر واجلدوا
ودخلت الفاء لكون الالف واللام بمعنى الذى وتضمينه معنى الشرط تقديره التى زنت والذى
زنى فاجلدوهما كما تقول من زنى فاجلدوه وكقوله والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا
باربعة شهداء فاجلدوهم وقراء عيسى بن عمر بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر وهو
احسن من سورة انزلناها لاجل الامر فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة جلد ضرب الجلد
وفيه اشارة الى انه لا يبالغ ليصل الالم الى اللحم والخطاب للائمة لان اقامة الحد من الدين
وهى على الكل الا انه لا يمكنهم الاجتماع فينوب الامام منابهم وهذا حكم حر ليس بمحصن اذ
حكم المحصن الرجم وشرايط احصان الرجم الحرية والعقل والبلوغ والاسلام والتزوج
بنكاح صحيح والدخول وهذا دليل على ان التغريب غير مشروع لان الفاء انما تدخل على
الجزاء وهو اسم للكافى والتغريب المروى منسوخ بالاية كما نسخ الحبس والاذى فى قوله فا
مسكوهن فى البيوت وقوله فاذوهما بهذه الاية ولا تاخذكم بهما رافة رحمة والفتح لغة
وهو قراءة مكى وقيل الرافة فى دفع المكروه الرحمة فى ايصال المحبوب والمعنى ان الواجب
على المومنين ان يتصلبوا فى دين الله ولا ياخذكم اللين فى استيفاء حدوده فيعطلوا الحدود
او يخففوا الضرب فى دين الله اى فى طاعته او فى حكمه ان كنتم تومنون بالله واليوم الاخر
من باب التهيج والهاب الغضب لله ولدينه وجواب الشرط مضمر اى فاجلدوا ولا تعطلوا
الحدود وليشهد عذابهما وليحضر موضع حدهما وتسميته عذابا دليل على انه عقوبة طائفة من المؤمنين
فرقة يمكن ان يكون جماعة ليعتبروا وينزجروا واقله ثلثة او اربعة وهى صفة غالبة كانها
الجماعة الحافة حول الشئ وعن ابن عباس رض اربعة الى اربعين رجلا من المومنين المصدقين
بالله الزانى لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك اى الخبيث الذى
من شانه الزنى لا يرغب فى نكاح الصوالح من النساء وانما يرغب فى خبيثة
من شكله او فى مشركة والخبيثة المسافحة كذلك لا يرغب فى نكاحها الصلحاء من الرجال و
انما يرغب فيها من هو من شكلها من الفسقة او المشركين فالاية ترهيب فى نكاح البغايا اذ

الزانى عديل المشرك فى القبح والايمان قرين العفاف والتحصن وهو نظير قوله الخبيثات
للخبيثين وقيل كان نكاح الزانية محرما فى اول الاسلام ثم نسخ بقوله وانكحوا الايامى منكم
وقيل المراد بالنكاح الوطى لان غير الزانى يستقذر الزانية ولا يشتهيها وهو صحيح لكنه يفضى
الى قولك الزانى لا يزنى الا بزانية والزانية لا يزنى بها الا زان وسئل النبى صلى الله عليه وسلم عمن
زنى بامراة ثم تزوجها فقال اوله سفاح واخره نكاح ومعنى الجملة الاولى صفة للزانى بكونه
غير راغب فى العفائف ولكن فى الفواجر ومعنى الثانية صفة للزانية بكونها غير مرغوب
فيها للاعفاء ولكن للزناة وهما معنيان مختلفان وقدمت الزانية على الزانى فى الاولى لان
تلك الاية سيقت لعقوبتهما على ما جنيا والمراة هى المادة التى منها نشات تلك الجناية
لانها لو لم تطمع الرجل ولم تومض له ولم تمكنه لم يطمع ولم يتمكن فلما كانت اصلا واولا فى ذلك
بدئ بذكرها واما الثانية فمسوقة لذكر النكاح والرجل اصل فيه لانه الخاطب ومنه مبدا
الطلب وقرى لا ينكح بالجزم على النهى وفى المرفوع ايضا معنى النهى ولكن ابلغ واكد ويجوز
ان يكون خبرا محضا على معنى ان عادتهم جارية على ذلك وعلى المومن ان يدخل نفسه تحت
هذه العادة ويتصون عنها وحرم ذلك على المؤمنين اى الزنى او نكاح البغايا لقصد التكسب
بالزنى او لما فيه من التشبه بالفساق وحضور مواقع التهمة والسبب لسوء المقالة فيه
والغيبة ومجالسة الخاطئين كم فيها من التعرض لاقتراف الاثام فكيف بمزاوجة الزوانى
والقحاب والذين يرمون المحصنات وبكسر الصاد على اى يقذفون بالزنى الحرائر العفائف
المسلمات المكلفات والقذف يكون بالزنى وبغيره والمراد هنا قذفهن بالزنى بان يقول
يا زانية لذكر المحصنات عقيب الزوانى ولاشتراط اربعة شهداء بقوله ثم لم ياتوا
باربعة شهداء اى ثم لم ياتوا باربعة شهود يشهدون على الزنى لان القذف بغير الزنى بان
يقول يا فاسق يا اكل الربا يكفى فيه شاهدان وعليه التعزير وشروط احصان القذف الحرية
والعقل والبلوغ والاسلام والعفة عن الزنى والمحصن كالمحصنة فى وجوب حد القذف
فاجلدوهم ثمانين جلدة ان كان القاذف حرا ونصب ثمانين نصب المصادر كما نصب مائة
جلدة وجلدة نصب على التمييز ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا نكر شهادة فى موضع النفى فيعم كل

شهادة وجلدة نصب على التمييز ولا تقبلوا رد الشهادة من الحد عندنا ويتعلق باستيفاء الحد
او بعضه على ما عرف وعند الشافعي رح يتعلق رد الشهادة بنفس القذف فعندنا جزاء
الشرط الذي هو الرمي الجلد ورد الشهادة على التابيد وهو مدة حيوتهم واوليك هم الفاسقون
كلام مستانف غير داخل في حيز جزاء الشرط كانه حكاية حال الرامين عند الله تعالى بعد انقضاء
الجملة الشرطية وقوله الا الذين تابوا من بعد ذلك اى القذف واصلحوا احوالهم استثناء
من الفاسقين ويدل عليه فان الله غفور رحيم اى يغفر ذنوبهم ويرحمهم وحق الاستثناء
ان يكون منصوبا عندنا لانه عن موجب وعند من جعل الاستثناء متعلقا بالجملة الثانية
ان يكون مجرورا بدلا من هم في لهم ما ذكر حكم قذف الاجنبيات وهذا بيان حكم قذف
الزوجات فقال والذين يرمون ازواجهم اى يقذفون زوجاتهم بالزنى ولم يكن لهم
شهداء اى لم يكن لهم على تصديق قولهم من يشهد لهم به الا انفسهم ترفع على البدل من شهداء
فشهادة احدهم اربع بالرفع كوفي غير ابى بكر على انه خبر والمبتدء فشهادة احدهم وغيرهم
بالنصب لانه في حكم المصدر بالاضافة الى المصدر والعامل فيه المصدر الذى هو فشهادة
احدهم وعلى هذا خبر محذوف تقديره فواجب شهادة احدهم اربع شهادات بالله
انه لمن الصادقين فيما رماها به من الزنى والخامسة لا خلاف في رفع الخامسة هنا هو
المشهور والتقدير والشهادة الخامسة ان لعنة الله عليه فهى مبتداء وخبر ان كان من
الكاذبين فيما رماها به من الزنى ويدرء عنها العذاب ويدفع عنها الحبس وفاعله
ان تشهد اربع شهادات بالله انه ان الزوج لمن الكاذبين فيما رماني به من الزنى والخامسة
ان غضب الله عليها ان كان الزوج من الصادقين فيما رماني به من الزنى نصب حفص
الخامسة عطفا على اربع وغيره رفعها بالابتداء وان غضب الله خبره وخفف نافع ان
لعنة الله وان غضب الله بكسر الضاد وهما في حكم المثقلة ومن غضب الله سهل ويعقوب
وخص الغضب في جانبها لان النساء يستعملن اللعنة كثيرا كما روى به الحديث فربما يجترين على
الاقدام لكثرة جرى اللعن على السنتهن وسقوط وقعه عن قلوبهن فذكر الغضب في جانبهن
ليكون رادعا لهن والاصل ان اللعان عندنا شهادات مؤكدات بالايمان مقرونة باللعن

قايمة مقام حد القذف في حقه ومقام حد الزنى في حقها لان الله تعالى سماه شهادة فاذا قذف
الزوج زوجته بالزنى وهما من اهل الشهادة صح اللعان بينهما واذا التعنا كما بين في النص لا تقع الفرقة
حتى يفرق القاضي بينهما وعند زفر رح يقع بتلاعنهما والفرقة تطليقة باينة وعند ابى يوسف
وزفر والشافعي رحمهم الله تحريم موبد ونزلت اية اللعان في هلال ابن امية او عويمر حيث
قال وجدت على بطن امراتي خولة شريك بن سحماء فكذبته فلاعن النبي صلى الله عليه وسلم بينهما
ولولا فضل الله تفضله عليكم ورحمته نعمته وان الله تواب حكيم جواب لولا محذوف اى
لفضحكم او لعاجلكم بالعقوبة ان الذين جاؤا بالافك هو ابلغ ما يكون من الكذب والافتراء
واصله من الافك وهو القلب لانه قول مافوك عن وجهه والمراد ما افك به على عايشة رض
قالت عايشة رض فقدت عقدا في غزوة بني المصطلق فتخلفت ولم يعرف خلو الهودج لخفتي
فلما ارتحلوا اناخ لي صفوان بن معطل بعيره وساقه حتى اتاهم بعد ما نزلوا فهلك في من
هلك فاعتللت شهرا وكان عليه الصلوة والسلام يسال كيف انت ولا ارى منه لطفا كنت
اراه حتى اى اطلعت خالة ابى ام مسطح فقالت تعس مسطح فانكرت عليها فاخبرتني بالافك
فلما سمعت ازددت مرضا وبت عند ابوى لا يرقاء لي دمع ولا اكتحل بنوم وهما يظنان ان
الدمع فالق كبدي حتى قال عليه الصلوة والسلام ابشري يا حميراء فقد انزل الله براءتك فقلت
بحمد الله لا بحمدك عصبة جماعة من العشرة الى الاربعين واعصوصبوا اجتمعوا وهم عبد الله
بن ابى راس المنافق وزيد بن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش
ومن ساعدهم منكم من جماعة المسلمين وهم ظنوا ان الافك وقع من الكفار دون من كان
من المومنين لا تحسبوه اى الافك شرا لكم عند الله بل هو خير لكم لان اثابكم عليه وانزل في
البراءة عنه ثماني عشرة آية والخطاب لرسول الله وابى بكر وعايشة وصفوان ومن ساءه
ذلك من المومنين لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم اى على كل امرئ من العصبة جزاء اثمه على
مقدار خوضه فيه وكان بعضهم ضحك وبعضهم تكلم فيه وبعضهم سكت والذى تولى كبره
اى عظمه عبد الله بن ابى منهم من العصبة له عذاب عظيم اى جهنم يحكى ان صفوان مر بهودجها
عليه وهو في ملاء من قومه فقال من هذا فقالوا عايشة فقال ما نجت منه ولا نجا منها ثم وبخ

للخايضين فقال لولا هلا اذ سمعتموه اى الافك ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم بالذى
منهم فالمؤمنون كنفس واحدة وهو كقوله ولا تلمزوا انفسكم خيرا عفافا وصلاحا وذلك
نحو ما يروى ان عمر رض قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم انا قاطع بكذب المنافقين لان الله
عصمك عن وقوع الذباب على جلدك لانه يقع على النجاسات فيتلطخ بها فلما عصمك الله عن
ذلك القدر من القذر فكيف لا يعصمك عن صحبة من تكون متلطخة بمثل هذه الفاحشة
وقال عثمان رض ايضا ان الله تعالى ما اوقع ظلك على الارض لئلا يضع انسان قدمه على
ذلك الظل فلما لم يمكن احدا من وضع القدم على ظلك كيف يمكن احدا من تلويث عرض
زوجتك وكذا قال على رض ان جبرئيل اخبرك ان على نعلك قذرا وامرك باخراج النعل
عن رجلك بسبب ما التصق بها من القذر فكيف لا يامرك باخراجها بتقدير ان يكون متلطخة
بشئ من الفواحش وروى ان ابا ايوب الانصارى قال لامرأته الا ترين ما يقال فقالت لو كنت
بدل صفوان اكنت تظن بحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم سوءا قال لا قالت ولو كنت انا بدل
عايشة ما خنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعايشة خير منى وصفوان خير منك وانما
عدل عن الخطاب الى الغيبة وعن الضمير الى الظاهر ولم يقل ظننتم بانفسكم خيرا وقلتم ليبالغ
فى التوبيخ بطريقة الالتفات وليدل التصريح بلفظ الايمان على ان الاشتراك فيه يقتضى ان
لا يصدق مومن على اخيه ولا مؤمنة على اختها قول غايب ولا طاعن وهذا من الادب الحسن
الذى قل القائم به وليتك تجد من يسمع فيسكت ولا يشيع باخوات وقالوا هذا افك
مبين كذب ظاهر لا يليق به لولا جاؤا عليه باربعة شهداء هلا جاؤا على القذف لو كانوا
صادقين باربعة شهداء فاذ لم ياتوا بالشهداء الاربعة فاولئك عند الله اى فى حكمه و
شريعته هم الكاذبون اى القاذفون لان الله تعالى جعل التفصلة بين الرمى الصادق و
الكاذب ثبوت شهادة الشهود الاربعة وانتفاءها والذين رموا عايشة رض لم يكن
لهم بينة على قولهم فكانوا كاذبين ولولا فضل الله عليكم ورحمته فى الدنيا والاخرة لمسكم
فيما افضتم فيه عذاب عظيم لولا هذه لامتناع الشئ لوجود غيره بخلاف ما تقدم اى
ولولا انى قضيت ان اتفضل عليكم فى الدنيا بضروب النعم التى من جملتها الامهال للتوبة وان

ارحم

ارحم عليكم فى الاخرة بالعفو والمغفرة لعاجلتكم بالعقاب على ما خضتم فيه من حديث الافك
يقال افاض فى الحديث وخاض اذ ظرف لمسكم او لافضتم تلقونه باحدة بعضكم من بعض يقال
تلقى القول وتلقفه بالتكلم اى ان بعضكم كان يقول لبعض هل بلغك حديث عايشة حتى شاع
فيما بينهم وانتشر فلم يبق بيت ولا ناد الا طار فيه وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم انما
قيد بالافواه مع ان القول لا يكون الا بالفم لان الشئ المعلوم يكون علمه فى القلب ثم يترجم
اللسان وهذه الافك ليس الا قولا يدور فى افواههم من غير ترجمة عن علم به فى القلب كقوله
يقولون بافواههم ما ليس فى قلوبهم وتحسبونه اى خوضكم فى عايشة رض هينا صغيرة وهو
عند الله عظيم كبيرة وجزع بعضهم عند الموت فقيل له فى ذلك فقال اخاف ذنبا لم يكن منى
على بال وهو عند الله عظيم ولولا وهلا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا فصل
بين لولا وقلتم بالظرف لان للظروف شانا وهو تنزلها من الاشياء منزلة انفسها لوقوعها
فيها وانها لا تنفك عنها فلذا يتسع فيها ما لا يتسع فى غيرها وفائدة تقديم الظرف انه كان
الواجب عليهم ان يتفادوا اول ما سمعوا بالافك عن التكلم به فلما كان ذكر الوقت اهم قدم
والمعنى هلا قلتم اذ سمعتم الافك ما يصح لنا ان نتكلم بهذا سبحانك للتعجب من عظم الامر
ومعنى التعجب فى كلمة التسبيح ان الاصل ان يسبح الله تعالى عند رؤية العجب من صنايعه
ثم كثر حتى يستعمل فى كل متعجب منه او لتنزيه الله تعالى من ان يكون حرم نبيه فاجرة
وانما جاز ان يكون امراءة النبى كافرة كامراءة نوح ولوط ولم يجز ان يكون فاجرة لان النبى
مبعوث الى الكفار ليدعوهم فيجب ان يكون معه ما ينفرهم عنه والكفر غير منفر عندهم واما
الكشخنة فمن اعظم المنفرات هذا بهتان زور هبت من يسمع عظيم وذكر فيما تقدم هذا افك
مبين فيجوز ان يكونوا امروا بهما مبالغة فى التبرى يعظكم الله ان تعودوا فى ان تعودوا لمثله
لمثل هذا الحديث من القذف واستماع حديثه ابدا ما دمتم احياء مكلفين ان كنتم مؤمنين
فيه تهييج لهم ليتعظوا وتذكير بما يوجب ترك العود وهو الايمان الصاد من كل قبيح ويبين
الله لكم الايات الدلالات الواضحات والاحكام والشرايع والاداب الجميلة والله عليم بكم و
باعمالكم حكيم يجزى على وفق اعمالكم او علم صدق نزاهتها وحكم ببراءتها ان الذين يحبون

ان تشيع الفاحشة اى ما قبح جدا والمعنى يشيعون الفاحشة عن قصد الى الاشاعة ومحبة لها
فى الذين امنوا لهم عذاب اليم فى الدنيا بالحد ولقد ضرب النبى صلى الله عليه وسلم عبد الله بن
ابى وحسانا ومسطحا الحد والاخرة بالنار وغيرها ان لم يتوبوا والله يعلم بواطن الامور
وسر الصدور وانتم لا تعلمون اى انه قد علم محبة من احب الاشاعة وهو معاقبه عليها
ولولا فضل الله عليكم ورحمته لعجل لكم العذاب وكرر المنة بترك المعاجلة بالعقاب مع
حذف الجواب فى المنة عليهم والتوبيخ لهم وان الله رءوف رحيم حيث اظهر براءة
المقذوف واثاب رحيم بغفرانه جناية القاذف اذا تاب يا ايها الذين امنوا لا تتبعوا
خطوات الشيطان فانه فان الشيطان يامر بالفحشاء ما افرط قبحه والمنكر ما تنكره النفوس
فتنفر عنه ولا ترتضيه ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا ولولا
ان الله تفضل عليكم بالتوبة الممحصة لما طهر منكم احد اخر الدهر من دنس اثم الافك
ولكن الله يزكى من يشاء يطهر التائبين توبتهم اذا محضوها والله سميع لقولهم عليم
بضمائرهم واخلاصهم ولا ياتل ولا يحلف من ائتلى اذا حلف فتعال من الالية او لا يقصر من
الالو اولوا الفضل منكم فى الدين والسعة فى الدنيا ان يؤتوا اى ان لا يؤتوا ان كان من الالية
اولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله اى لا يحلفوا على ان لا يحسنوا الى المستحقين
للاحسان او لا يقصروا فى ان يحسنوا اليهم وان كانت بينهم وبينهم شحناء لجناية اقترفوها
وليعفوا وليصفحوا العفو الستر والصفح الاعراض اى وليتجاوزوا عن الجفاء وليعرضوا
عن العقوبة الا تحبون ان يغفر الله لكم فليفعلوا بهم ما يرجون ان يفعل بهم ربهم مع
كثرة خطاياهم والله غفور رحيم فتادبوا بادب الله واغفروا وارحموا نزلت
فى ابى بكر رض حين حلف ان لا ينفق على مسطح بن خالته لخوضه فى عايشة رض وكان مسكينا
بدريا مهاجرا ولما قراها النبى صلى الله عليه وسلم على ابى بكر قال بلى احب ان يغفر الله لى
ورد الى مسطح نفقته ان الذين يرمون المحصنات العفائف الغافلات السليمات الصدور
النقيات القلوب اللاتى ليس فيهن دهاء ولا مكر لانهن لم يجربن الامور المؤمنات بما يجب
الايمان به عن ابن عباس رض هن ازواجه عليه الصلوة والسلام وقيل هن جميع المؤمنات

تتبعوا
اى آثاره ووساوسه بالاصغاء الى الافك والقول فيه ومن يتبع خطوات الشيطان فانه

اذ العبرة

اذ العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب وقيل اريدت عايشة وحدها وانما جمع لان من قذف
واحدة من نساء النبى صلى الله عليه وسلم فكانه قد قذفهن لعنوا فى الدنيا والاخرة ولهم عذاب
عظيم جعل القذفة ملعونين فى الدارين وتوعدهم بالعذاب العظيم فى الاخرة ان لم يتوبوا
والعامل فى يوم تشهد عليهم يعذبون وبالياء حمزة وعلى السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا
يعملون اى افكوا وبهتوا والعامل فى يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق بالنصب صفة للدين وهو
الجزاء اى يوفيهم جزاءهم الحق الثابت الذى هم اهله وقرا مجاهد بالرفع صفة لله كقراءة
ابى يوفيهم الحق دينهم وعلى قراءة النصب يجوز ان يكون الحق وصفا لله بان ينتصب على المدح
ويعلمون عند ذلك ان الله هو الحق المبين لارتفاع الشكوك وحصول العلم الضرورى
ولم يغلظ الله تعالى فى القرآن فى شئ من المعاصى تغليظه فى افك عايشة فاوجز فى ذلك
واشبع وفصل واجمل واكد وكرر وما ذاك الا لامر وعن ابن عباس رض من اذنب ذنبا ثم تاب
منه قبلت توبته الا من خاض فى امر عايشة رض وهذا منه مبالغة وتعظيم لامر الافك ولقد
برا الله تعالى اربعة باربعة برا يوسف عليه السلام بشاهد من اهلها وموسى من قول اليهود
فيه بالحجر الذى ذهب بثوبه ومريم بانطاق ولدها وعايشة بهذه الاى العظام فى كتابه
المعجز المتلو على وجه الدهر بهذه المبالغات فانظر كم بينها وبين تبرئة اولئك وما ذاك
الا لاظهار علو منزلة رسوله والتنبيه على اناقة محله صلى الله عليه وسلم الخبيثات من القول
تقال للخبيثين من الرجال والنساء والخبيثون منهم يتعرضون للخبيثات من القول وكذلك
والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات اولئك مبرؤن مما يقولون اى فيهم و
اولئك اشارة الى الطيبين وانهم مبرؤن مما يقول الخبيثون من خبيثات الكلم وهو
كلام جار مجرى المثل لعايشة رض وما رميت به من قول لا يطابق حالها فى النزاهة والطيب
ويجوز ان يكون اولئك اشارة الى اهل البيت وانهم مبرؤن مما يقول اهل الافك وان يراد
بالخبيثات والطيبات النساء اى الخبائث يتزوجن الخباث والخباث للخبائث وكذلك
اهل الطيب لهم مغفرة مستانف او خبر بعد خبر ورزق كريم فى الجنة ودخل ابن عباس رض
على عايشة رض فى مرضها وهى خائفة من القدوم على الله فقال لا تخافى فانك لا تقدمين

الا على مغفرة ورزق كريم وتلا الاية فغشي عليها فرحا بما تلا وقالت عايشة رض لقد اعطيت
تسعا ما اعطيتهن امراة نزل جبرئيل عليه السلام بصورتي حين امر عليه السلام ان يتزوجني
ويتزوجني بكرا وما تزوج بكرا غيري وتوفي عليه الصلوة والسلام وراسه في حجري وقبر في بيتي
وتنزل عليه الوحي وانا في لحافه وانا ابنة خليفته وصديقه ونزل عذري من السماء وخلقت
طيبة عند طيب ووعدت مغفرة ورزقا كريما وقال حسان معتذرا في حقها حصان رزان
ما تزن بريبة وتصبح غرثى من لحوم الغوافل خليلة خير الناس دينا ومنصبا نبي الهدى و
المكرمات الفواضل عقيلة حي من لوي بن غالب كرام المساعي مجدها غير زائل مهذبة قد
طيب الله خيرها وطهرت من شين وباطل يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم
اي بيوتا لستم تملكونها ولا تسكنونها حتى تستانسوا تستاذنوا عن ابن عباس رض وقد قرا
به والاستيناس في الاصل الاستعلام والاستكشاف استفعال من انس الشيء اذا ابصره ظاهرا
مكشوفا اي حتى تستعلموا ايطلق لكم الدخول ام لا وذاك بتسبيحة او تكبيرة او تحميدة او تنحنح
وتسلموا على اهلها والتسليم ان يقول السلام عليكم ادخل ثلث مرات فان اذن له والا رجع
وقيل ان تلاقيا يقدم التسليم والا فالاستيذان ذلكم اي الاستيذان والتسليم خير لكم من تحية
الجاهلية والدمور وهو الدخول بغير اذن كان الرجل من اهل الجاهلية اذا دخل بيت غيره
يقول حييتم صباحا وحييتم مساء ثم يدخل فربما اصاب الرجل مع امراته في لحاف واحد
لعلكم تذكرون اي قيل لكم هذا لكي تذكروا وتتعظوا وتعملوا بما امرتم به في باب الاستيذان
فان لم تجدوا فيها في البيوت احدا من الاذنين فلا تدخلوها حتى يوذن لكم حتى تجد
من ياذن لكم اي فان لم تجدوا فيها احدا من اهلها ولكم فيها حاجة فلا تدخلوها الا باذن
اهلها لان التصرف في ملك الغير لا بد من ان يكون برضاه وان قيل لكم ارجعوا اي اذا كان
فيها قوم فقالوا ارجعوا فارجعوا ولا تلحوا في اطلاق الاذن ولا تلحوا في تسهيل الحجاب
ولا تقفوا على الابواب لان هذا مما يجلب الكراهة واذا نهي عن ذلك لادائه الى الكراهة وجب
الانتهاء عن كل ما يودي اليها من قرع الباب بعنف والتصيح بصاحب الدار وغير ذلك ومن
الى عبيد ما قرعت بابا على عالم قط هو ازكى لكم اي الرجوع اطيب لكم واطهر لما فيه من سلامة

الصدور

الصدور والبعد عن الريبة او انفع وانمى خيرا والله بما تعملون عليم وعيد للمخاطبين بانه عالم
بما يأتون وما يذرون مما خوطبوا به فموف جزاءه عليه ليس عليكم جناح ان تدخلوا في ان
تدخلوا بيوتا غير مسكونة استثنى من البيوت التي يجب الاستيذان على داخلها ما ليس بمسكون
منها كالخانات والربط وحوانيت التجار فيها متاع لكم اي منفعة كالاستكنان من الحر
والبرد وايواء الرجال والتبليغ والشرى والبيع وقيل خربات يتبرز فيها والمتاع التبرز
والله يعلم ما تبدون وما تكتمون وعيد للذين يدخلون الخربات والدور الخالية من
اهل الريبة قل للمومنين يغضوا من ابصارهم من للتبعيض والمراد غض البصر عما يحرم و
الاقتصار به على ما يحل ويحفظوا فروجهم عن الزنى ولم يدخل من هنا لان الزنى لا رخصة
فيه بوجه ويجوز النظر الى وجه الاجنبية وكفيها وقدميها في رواية والى راس المحارم
والصدر والساقين والعضدين ذلك اي غض البصر وحفظ الفرج ازكى لهم اي اطهر من دنس
الاثم ان الله خبير بما يصنعون فيه ترغيب وترهيب يعني انه خبير باحوالهم وافعالهم
وكيف يجيلون ابصارهم ويعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور فعليهم اذا عرفوا ذلك
ان يكونوا منه على تقوى وحذر في كل حركة وسكون وقل للمومنات يغضضن من ابصارهن
ويحفظن فروجهن امرن بغض الابصار فلا يحل للمراة ان تنظر من الاجنبي الى ما تحت
سرته الى ركبته وان اشتهت غضت بصرها راسا ولا تنظر المراة الا الى مثل ذلك وغضها
بصرها من الاجانب اصلا اولى بها وانما قدم غض الابصار على حفظ الفروج لان النظر بريد الزنى
ورايد الفجور فبذر الهوى طموح نظر العين ولا يبدين زينتهن الزينة ما تزينت به المراة
من حلي او كحل او خضاب والمعنى ولا يظهرن مواضع الزينة اذ اظهار عين الزينة وهي الحلي و
نحوها مباح فالمراد بها مواضعها لا اظهارها ايمانها ومواضعها الراس والاذن والعنق و
الصدر والعضدان والذراع والساق فهي للاكليل والقرط والقلادة والوشاح و
الدملج والسوار والخلخال الا ما ظهر منها الا ما جرت العادة والجبلة على ظهوره وهو الوجه
والكفان والقدمان ففي سترها حرج بين فان المراة لا تجد بدا من مزاولة الاشياء بيدها
ومن الحاجة الى كشف وجهها خصوصا في الشهادة والمحاكمة والنكاح وتضطر الى المشي في

الطرقات وظهور قدميها وخاصة الفقيرات منهن وليضربن وليضعن من قولك ضربت
بيدي على الحائط اذا وضعتها عليه بخمرهن جمع خمار على جيوبهن بضم الجيم مدني وبصري
وعاصم كانت جيوبهن واسعة تبدو منها صدورهن وما حواليها وكن يسدلن الخمر من
ورائهن فتبقى مكشوفة فامرن بان يسدلنها من قدامهن حتى يغطينها ولا يبدين زينتهن
اى مواضع الزينة الباطنة كالصدر والساق والراس ونحوها الا لبعولتهن لازواجهن
جمع بعل او ابائهن ويدخل فيهم الاجداد او اباء بعولتهن فقد صاروا محارم ايضا او
ابنائهن ويدخل فيهم النوافل او ابناء بعولتهن فقد صاروا محارم ايضا او اخوانهن او
بني اخوانهن او بني اخواتهن ويدخل فيهم النوافل وساير المحارم كالاعمام والاخوال
وغيرهم دلالة او نسائهن اى الحرائر لان مطلق هذا اللفظ يتناول الحرائر او ما ملكت
ايمانهن اى امائهن ولا يحل لعبدها ان ينظر الى هذه المواضع منها خصيا كان او فحلا وقال
سعيد بن المسيب لا يغرنكم سورة النور فانها في الاماء دون الذكور وعن عايشة رض
انها اباحت النظر اليها لعبدها او التابعين غير بالنصب شامي ويزيد وابو بكر على الا
او الحال وغيرهم بالجر على البدل او على الصفة اولى الاربة الحاجة اى الى النساء وهم
الذين يتبعونكم ليصيبوا من فضل طعامكم ولا حاجة لهم الى النساء لانهم بله لا يعرفون
شيا من امرهن او شيوخ صلحاء او العنين او الخصي او المخنث وفي الاثر انه المجبوب و
الاول الوجه من الرجال حال او الطفل الذين هو جنس فصلح ان يراد به الجمع لم يظهروا
على عورات النساء اى لم يطلعوا لعدم الشهوة من ظهر على الشئ اذا اطلع عليه او لم يبلغوا
اوان القدرة على الوطي من ظهر فلان اذا قوي عليه وقدر عليه ولا يضربن بارجلهن ليعلم
ما يخفين من زينتهن كانت المرءة تضرب الارض برجلها اذا مشت لتسمع قعقعة خلخالها
فيعلم انها ذات خلخال فنهين عن ذلك اذ اسماع صوت الزينة كاظهارها ومنه سمي صوت
الحلي وسواسا وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون ايه المؤمنون شامي اتباعا للضمة
قبلها بعد حذف الالف لالتقاء الساكنين وغيره على فتح الهاء لان بعدها الفا في التقدير
لعلكم تفلحون العبد لا يخلو عن سهو وتقصير في اوامره ونواهيه وان اجتهد فلذا وصى

المؤمنين

المؤمنين جميعا بالتوبة وبتاميل الفلاح اذا تابوا وقيل احوج الناس الى التوبة من توهم انه
ليس له حاجة الى التوبة فظاهر الاية تدل على ان العصيان لا ينافي الايمان وانكحوا الايامى منكم
الايامى جمع ايم وهو من لا زوج له رجلا كان او امراة بكرا كان او ثيبا واصله ايايم
فقلبت والصالحين اى الخيرين او المومنين والمعنى زوجوا من تايم منكم من الاحرار و
الحرائر ومن كان فيه صلاح من عبادكم وامائكم اى من غلمانكم وجواريكم والامر للندب
اذ النكاح مندوب اليه ان يكونوا فقراء من المال يغنهم الله من فضله بالكفاية والقناعة
او باجتماع الرزقين وفي الحديث التمسوا الرزق بالنكاح وعن عمر رض مثله والله واسع
غني ذو وسعة لا يرزؤه لا ينتقص اغناء الخلايق عليم يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر
وقيل في الاية دليل على ان تزويج النساء والايامى الى الاولياء كما ان تزويج العباد والاماء
الى الموالي قلنا الرجل لا يلي على الرجل الايم الا باذنه فكذا لا يلي على المراءة الا باذنها لان الايم
ينتظمهما وليستعفف الذين وليجتهد في العفة كان المستعفف طالب من نفسه العفاف لا
يجدون نكاحا استطاعة تزوج من المهر والنفقة حتى يغنيهم الله من فضله حتى يقدرهم على
المهر والنفقة قال عليه الصلوة والسلام يا معشر الشبان من استطاع منكم الباءة فليتزوج
فانه اغض واحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فان له وجاء فانظر كيف رتب هذه
الاوامر فامر اولا بما يعصم من الفتنة ويبعد من مواقعة المعصية وهو غض البصر ثم بالنكاح
الذي يحصن به الدين عن الحرام ثم يعرف الامارة بالسوء عن الطموح الى الشهوة عند العجز
عن النكاح الى ان يقدر عليه والذين يبتغون الكتاب مما ملكت ايمانكم اى والذين
يطلبون الكتاب فالذين مرفوع بالابتداء او منصوب بفعل يفسره فكاتبوهم وهو للندب
ودخل الفاء لتضمن معنى الشرط والكتاب والمكاتبة كالعتاب والمعاتبة وهو ان يقول
المملوكه كاتبتك على الف درهم فان اداها عتق ومعناه كتبت لك على نفسي ان تعتق مني اذا
اوفيت بالمال وكتبت لي على نفسك ان تفي بذلك او كتبت عليك الوفاء بالمال وكتبت على العتق
ويجوز حالا ومؤجلا ومنجما وغير منجم لاطلاق الامر ان علمتم فيهم خيرا قدرة على الكسب او امانة
وديانة والندبية متعلقة بهذا الشرط واتوهم من مال الله الذي اتيكم امر للمسلمين على وجه الوجوب

باعانة المكاتبين واعطاهم سهمهم من الزكوة لقوله تعالى وفي الرقاب وعند الشافعي رح معناه
حطوا من بدل الكتابة ربعا وهذا عندنا على وجه الندب والاول الوجه لان الايتاء هو التمليك
فلا يقع على الحط سال صبيح مولاه حويطبا ان يكاتبه فابى فنزلت واعلم ان العبيد اربعة
قن يقتنى للخدمة وماذون في التجارة ومكاتب وآبق فمثال الاول ولي العزلة الذي حصل لي
العزلة بايثار الخلوة وترك العشرة والثاني ولي العشرة فهي بحر الحضرة يخالط الناس للخير و
ينظر اليهم بالعبرة ويامرهم بالغيرة فهو خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكم بحكم الله
وياخذ لله ويعطي في دين الله ويفهم عن الله ويتكلم مع الله فالدنيا سوق تجارته
والعقل راس بضاعته والعدل في الغضب والرضاء ميزانه والقصد في الفقر والغنى
عنوانه والعلم مفزعه ومنجاه والقران كتاب الماذون من مولاه فهو كاين
في الناس بظاهره باين منهم بسرائره فقد هجرهم فيما له عليهم في الله بالمنائم وصلهم
فيما لهم عليه لله ظاهرا وما هو منهم بالعيش فيهم ولكن معدن الذهب الرغام ياكلون
ياكلون ويشرب ما يشربون وما يدريهم انه صنف الله يرى السموات والارض قايمات
بامره وكانه قيل فيه فان تفق الانام وانت منهم فان المسك بعض دم الغزال فحال
ولي العزلة اصفى واحلى وحال ولي العشرة اوفى واعلى ومنزل الاول من الثاني في حضرة
الرحمن منزلة النديم من الوزير عند السلطان واما النبي فهو كريم الطرفين ومعدن الشرفين
ومجمع الحالين ومنبع الكمالين فباطن احواله مهتدى ولي العزلة وظاهر اعماله مقتدى
ولي العشرة والثالث المجاهد المحاسب العامل المطالب بالضرائب كنجوم المكاتب في اليوم
والليلة خمس وفي الهايين خمسة وفي السنة شهر وفي العمر زورة فكانه اشترى نفسه من ربه
بهذه النجوم المرتبة فيسعى في فكاك رقبته خوفا من البقاء في ربقة العبودية وطمعا في فسحة
الحرية ليسرع في رياض الجنة فيتمتع بمناه ويفعل ما يشاء ويهواه والرابع الآبق فما اكثرهم
فمنهم القاضي الجائر والعالم غير العامل والقراء المرائي والواعظ الذي لا يفعل ما يقول
ويكون اكثر اقواله الفضول وعلى كل من لا ينفقه يصول فضلا عن السارق والزاني و
الغاصب فعنهم اخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى لينصر هذا الدين بقوم لا خلاق

لهم في الآخرة ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء كان لابن ابي ست جوار معاذة ومسيكة واميمة
وعمرة واروى قتيلة يكرههن على البغاء وضرب عليهن الضرائب فشكت ثنتان منهن الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت ويكنى بالفتى والفتاة عن العبد والامة والبغاء الزنى
للنساء خاصة وهو مصدر بغى ان اردن تحصنا تعففا عن الزنى وانما قيده بهذه الشرط
لان الاكراه لا يكون الا مع ارادة التحصن فامر الطيعة للبغاء لا يسمى مكرهها ولا امره اكراها
ولانها نزلت على سبب فوقع النهي على تلك الصفة وفيه توبيخ اذا رغبن في التحصن
فانتم احق بذلك لتبتغوا عرض الحيوة الدنيا اي لتبتغوا باكراههن على الزنى اجورهن
واولادهن ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم اي لهن وفي مصحف ابن
مسعود كذلك وكان الحسن يقول لهن والله ولعل الاكراه كان ما اعتبرته الشريعة وهو
الذي يخاف منه التلف وكانت امة اولهما اذ اتابوا ولقد انزلنا اليكم آيات مبينات بفتح
الياء حجازي وبصري وابوبكر وحماد والمراد بالايات التي بينت في هذه السورة واوضحت
في معاني الاحكام والحدود وجاز ان يكون الاصل مبينا فيها فاتسع في الظرف وبكسرها
غيرهم اي بينت هي الاحكام والحدود جعل الفعل لها مجازا ومن بين بمعنى تبين ومنه المثل
قد بين الصبح لذي عينين ومثلا من الذين خلوا من قبلكم ومثلا من امثال من قبلكم او قصة
عجيبة من قصصهم كقصة يوسف ومريم يعني قصة عايشة رض وموعظة ما وعظ به من
الايات والمثل من نحو قوله ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله لولا اذ سمعتموه يعظكم الله
ان تعودوا لمثله ابدا للمتقين اي للمنتفعين بها وان كانت موعظة للكل نظيره قوله الله نور
السموات والارض مع قوله مثل نوره ويهدي الله لنوره من يشاء قولك زيد كرم
وجود ثم تقول ينعش الناس بكرمه وجوده والمعنى ذو نور السموات والارض الحق شبهه
بالنور في ظهوره وبيانه كقوله الله ولي الذين امنوا يخرجهم من الظلمات الى النور اي من
الباطل الى الحق واضاف النور اليهما للدلالة على سعة اشراقه وفشو اضاءته حتى تضيء له
السموات والارض وجاز ان يراد اهل السموات والارض وانهم يستضيئون به مثل نوره اي
صفة نوره العجيبة الشان في الاضاءة كمشكاة كصفة مشكاة وهي الكوة في الجدار غير النافذة

فيها مصباح سراج ضخم ثاقب المصباح فى زجاجة فى قنديل من زجاج شامى ازهر الزجاجة

كانها كوكب درى مضى بضم الدال وتشديد الياء منسوب الى الدر لفرط ضيائه وصفائه وبالكسر

والهمزة ابو عمرو وعلى كانه يدرء الظلام بضوءه وبالضم والهمز ابو بكر وحمزة شبهه فى زهرته

باحد الكواكب الدرارى كالمشترى والزهرة ونحوهما يوقد بالتخفيف حمزة وعلى وابو بكر

اى الزجاجة ويوقد بالتخفيف شامى ونافع وحفص وتوقد بصرى ومكى اى هذا المصباح

من شجرة اى ابتداء ثقوبه من زيت شجرة الزيتون يعنى رويت ذبالته بزيتها مباركة

كثيرة المنافع او لانها تنبت فى الارض التى بارك فيها للعالمين وقيل بارك فيها سبعون

نبيا ابراهيم عليه السلام زيتونة بدل من شجرة نعتها لا شرقية ولا غربية اى منبتها الشام

يعنى ليست من المشرق ولا من المغرب بل فى الوسط منهما وهو الشام واجود الزيتون

زيتون الشام وقيل ليست مما تطلع عليه الشمس فى وقت شروقها او غروبها فقط بل

تصيبها بالغداة والعشى جميعا فهى شرقية وغربية يكاد زيتها داهنها يضئ ولو لم تمسسه

نار وصف الزيت بالصفاء والوميض وانه لتلألؤه يكاد يضئ من غير نار نور على نور اى هذا

النور الذى شبه به الحق نور متضاعف قد تناصر فيه المشكاة والزجاجة والمصباح والزيت

حتى لم يبق مما يقوى النور وهذا لان المصباح اذا كان فى مكان متضائق كالمشكاة كان اجمع

لنوره بخلاف المكان الواسع فان الضوء ينتشر فيه والقنديل اعون على زيادة الانارة وكذلك

الزيت وصفاءه وضرب المثل يكون بدنى محسوس معهود لعلى غير معاين ولا مشهود فابو

تمام لما قال فى المامون شعر اقدام عمرو فى سماحة حاتم فى حلم احنف فى ذكاء اياس قيل له

فوق من مثلته بهم فقال مرتجلى شعر لا تنكروا ضربى له من دونه مثلا شرودا فى الندا والباس

فالله قد ضرب الاقل لنوره مثلا من المشكاة والنبراس يهدى الله لنوره اى لهذا النور

الثاقب من يشاء من عباده اى يوفق لاصابة الحق من يشاء من عباده بالهام من الله

او ينظره فى الدليل ويضرب الله الامثال للناس تقريبا الى افهامهم ليعتبروا فيؤمنوا

والله بكل شئ عليم فيبين كل شئ بما يمكن ان يعلم به وقال ابن عباس رض مثل نوره اى نور الله

الذى هدى به المؤمن وقراء ابن مسعود مثل نوره فى قلب المومن كمشكوة وقراء ابى مثل

نور المومن فى بيوت يتعلق بمشكوة اى كمشكوة فى بعض بيوت الله وهى المساجد كانه قيل مثل

نوره كما ترى فى مسجد نور المشكوة التى من صفتها كيت كيت او بتوقد اى توقد فى بيوت او

بيسبح اى يسبح له رجال فى بيوت وفيها تكرير فيه توكيد نحو زيد فى الدار جالس فيها او بمحذوف

اى سبحوا فى بيوت اذن الله اى امر ان ترفع تبنى كقوله بنيها رفع سمكها فسويها واذ يرفع ابراهيم

القواعد او تعظم من الرفعة وعن الحسن ما امر الله ان ترفع بالبناء ولكن بالتعظيم ويذكر

فيها اسمه يتلى فيها كتابه او هو عام فى كل ذكر يسبح له فيها بالغدو والاصال اى يصلى له فيها

بالغداة صلوة الفجر وبالاصال صلوة الظهر والعصر والعشائين وانما وحد الغدو لان صلوته

واحدة وفى الاصال صلوات والاصال جمع اصل جمع اصيل وهو العشى رجال فاعل يسبح شامى

وابو بكر ويسند الى احد الظروف الثلثة اعنى له فيها بالغدو ورجال مرفوع بما دل عليه يسبح

اى يسبح له لا تلهيهم اى لا تشغلهم تجارة فى السفر ولا بيع فى الحضر وقيل التجارة الشراء اطلاقا

لاسم الجنس على النوع وخص البيع بعد ما عم لانها ادخل فى الالهاء من الشراء لان الربح فى البيع

الرابح يقين وفى الشراء مظنون عن ذكر الله باللسان والقلب واقام الصلوة اى وعن

اقامة الصلوة التاء فى اقامة عوض من العين الساقط للاعلال اذ الاصل اقوام فلما قلبت

الواو الفا اجتمع الفان فحذف احديهما لالتقاء الساكنين فبقى اقاما فادخلت التاء عوضا

عن المحذوف فلما اضيفت اقيمت الاضافة مقام التاء فاسقطت وايتاء الزكوة اى وعن

ايتاء الزكوة والمعنى لا تجارة لهم حتى تلهيهم كاولياء العزلة او يبتغون ويشترون ويذكرون

الله مع ذلك واذا حضرت الصلوة قاموا اليها غير متثاقلين كاولياء العشرة يخافون يوما

اى يوم القيمة ويخافون حال من الضمير فى تلهيهم او صفة اخرى لرجال تتقلب فيه القلوب

بلوغها الى الحناجر والابصار بالشخوصة والزرقة او تتقلب القلوب الى الايمان بعد الكفر

والابصار الى العيان بعد انكاره للطغيان كقوله فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد

ليجزيهم الله احسن ما عملوا ويزيدهم من فضله اى يسبحون ويخافون ليجزيهم الله احسن

جزاء اعمالهم اى ليجزيهم ثوابهم مضاعفا ويزيدهم فى الثواب الموعود على العمل تفضلا

والله يرزق من يشاء بغير حساب اى يثيب من يشاء ثوابا لا يدخل فى حساب الخلق هذه صفات

المهتدين بنور الله فاما الذين ضلوا عنه فالمذكورون في قوله والذين كفروا اعمالهم كسراب
هو ما يرى في الفلوات من ضوء الشمس وقت الظهيرة يسرب على وجه الارض كانه ماء السراب
الذي يراه نصف النهار كانه ماء يجري بقيعة بقاع او جمع قاع وهو المنبسط المستوي من
الارض كجيرة من جار يحسبه الظمآن يظنه العطشان ماء حتى اذا جاءه الى ما توهم انه ماء لم يجده
شيئا اي لم يجده كما ظنه ووجد الله اي جزاء الله كقوله يجد الله غفورا رحيما اي مغفرته و
رحمته عنده عند الكافر فوفيه حسابه اي اعطاه جزاء عمله وافيا كاملا ووحد بعد تقدم الجمع
حملا على كل واحد من الكفار والله سريع الحساب لانه لا يحتاج الى عد وعقد ولا يشغله
حساب عن حساب او قريب حسابه لان ما هو آت قريب شبه ما يعمله من لا يعتقد الايمان
ولا يتبع الحق من الاعمال الصالحة التي يحسبها تنفعه عند الله تعالى وتنجيه من عذابه ثم تخيب
في العاقبة امله ويلقى خلاف ما قدر بسراب يراه الكافر بالساهرة قد غلبه عطش يوم القيمة
فيحسبه ماء فياتيه ولا يجد ماء رجا ويجد زبانية الله ياخذونه فيعتلونه الى جهنم فيسقونه
الحميم والغساق وهم الذين قال الله فيهم عاملة ناصبة ويحسبون انهم يحسنون صنعا قيل
نزلت في عتبة بن ربيعة بن امية كان يترهب ملتمسا الدين في الجاهلية فلما جاء الاسلام
كفر او كظلمات في بحر او هنا كالواو في كصيب لجي عميق كثير الماء منسوب الى اللج وهو معظم ماء
البحر يغشيه يغشى البحر او من فيه اي يعلوه ويغطيه موج هو ما ارتفع من الماء من فوقه
موج اي من فوق الموج آخر من فوقه سحاب من فوق الموج الاعلى سحاب ظلمات اي هذه
ظلمات ظلمة الموج وظلمة السحاب وظلمة البحر بعضها فوق بعض ظلمة الموج على ظلمة البحر وظلمة
السحاب على الموج وظلمة الموج على الموج اذا اخرج يده اي الواقع فيه لم يكد يريها مبالغة
في لم يرها اي لم يقرب ان يراها فضلا عن ان يراها شبه اعمالهم اولا في فوات نفعها وحضور
ضررها بسراب لم يجد من خدعه من بعيد شيئا ولم يكفه خيبة وكمدا ان لم يجده شيئا كغيره من
السراب حتى وجد عنده الزبانية تعتله الى النار وشبهها ثانيا في ظلمتها وسوادها لكونها
باطلة وفي خلوها عن نور الحق بظلمات متراكمة من لج البحر والامواج والسحاب ومن لم يجعل
الله له نورا فما له من نور اي من لم يهده الله لم يهتد عن الزجاج في الحديث خلق الله الخلق

في ظلمة

في ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن اصابه من ذلك النور اهتدى ومن اخطاءه ضل الم تر الم تعلم
يا محمد علما يقوم مقام العيان في الايقان ان الله يسبح له من في السموات والارض والطير
عطف على من صافات حال من الطير اي يصففن اجنحتهن في الهواء كل قد علم صلوته وتسبيحه
الضمير في علم لكل او لله وكذا في صلوته وتسبيحه والصلوة الدعاء ولا يبعد ان يلهم الله الطير
دعاءه وتسبيحه كما الهمها ساير العلوم الدقيقة لا يكاد العقلاء يهتدون اليها والله عليم بما
يفعلون لا يعزب عن علمه شيء ولله ملك السموات والارض لانه خالقهما ومن ملك شيئا
فبتمليكه اياه والى الله المصير مرجع الكل الم تر ان الله يزجي يسوقه الى حيث يريد سحابا
جمع سحابة دليله ثم يؤلف بينه وتذكيره للفظ اي يضم بعضه الى بعض ثم يجعله ركاما متراكما
بعضه فوق بعض فترى الودق المطر يخرج من خلاله من فتوقه ومخارجه جمع خلل كجبال
في جبل وينزل وينزل مكي وبصري من السماء من لابتداء الغاية لان ابتداء الانزال من السماء
من جبال من للتبعيض لان ما ينزله الله بعض تلك الجبال التي في السماء فيها من برد للبيان
او الاوليان للابتداء والاخرة للتبعيض ومعناه انه ينزل البرد من السماء من جبال فيها
وعلى الاول مفعول ينزل من جبال اي بعض جبال وبمعنى من جبال فيها من برد ان يخلق الله
في السماء جبال برد كما خلق في الارض جبال حجر او يريد الكثرة بذكر الجبال كما يقال ان فلانا
يملك جبالا من ذهب فيصيب به بالبرد من يشاء اي يصيب الانسان وزرعه ويصرفه
عن من يشاء فلا يصيبه او يعذب به يكاد سنا برقه ضوءه يذهب بالابصار يخطفها يذهب
يزيد على زيادة الباء يقلب الله الليل والنهار يصرفهما في الاختلاف طولا وقصرا او التعاقب
ان في ذلك في ازجاء السحاب وانزال الودق والبرد وتقليب الليل والنهار لعبرة لاولي
الابصار لذوي العقول وهذا من تعديد الدلايل على ربوبيته حيث ذكر تسبيح من في السموات
والارض وما يطير بينهما ودعاءهم له وتسخير السحاب الى آخر ما ذكر فهي براهين لايحة
على وجوده ودلايل واضحة على صفاته لمن نظر وتدبر ثم بين دليلا آخر فقال والله خلق
خالق كل حمزة وعلي دابة كل حيوان يدب على وجه الارض من ماء اي من نوع من الماء مختص بتلك
الدابة او من ماء مخصوص وهو النطفة ثم خالف بين المخلوقات من النطفة فمنها هوام ومنها

اناسی

بهایم ومنها انسی وهو کقوله یسقی بماء واحد ونفضل بعضها علی بعض فی الاکل وهذا دلیل
علی ان لها خالقا مدبرا والا لم تختلف لاتفاق الاصل وانما عرف الماء فی قوله وجعلنا من الماء
کل شیء حی لان المقصود ثم ان اجناس الحیوان مخلوقة من جنس الماء وانه هو الاصل وان
تخللت بینه وبینها وسایط قالوا ان اول ما خلق الله الماء فخلق منه النار والریح والطین
فخلق من النار الجن ومن الریح الملائکة ومن الطین آدم ودواب الارض فلما کانت الدابة
تشتمل الممیز وغیره غلب الممیز فاعطی ما وراءه حکمه کان الدواب کلهم ممیزون ومنهم ثم قیل فمنهم
من یمشی علی بطنه کالحیة والحوت وسمی الزحف علی البطن مشیا استعارة کما یقال فی الامر
المستمر قد مشی هذا الامر او علی طریق المشاکلة لذکر الزاحف مع الماشین ومنهم من یمشی علی
رجلین کالانسان والطیر ومنهم من یمشی علی اربع کالبهایم وقدم ما هو اعرف فی القدرة وهو
الماشی بغیر آلة مشی من ارجل وغیرها ثم الماشی علی رجلین ثم الماشی علی اربع یخلق الله ما
یشاء کیف یشاء ان الله علی کل شیء قدیر لا یتعذر علیه شیء لقد انزلنا ایات مبینات والله
یهدی من یشاء بلطفه ومنته الی صراط مستقیم دین الاسلام الذی یوصل الی الجنة والایات
الالزام حجة لما ذکر انزال الایات ذکر بعدها افتراق الناس الی ثلث فرق فرقة صدقت
ظاهرا وکذبت باطنا وهم المنافقون وفرقة صدقت ظاهرا وباطنا وهم المخلصون
وفرقة کذبت ظاهرا وباطنا وهم الکافرون علی هذا الترتیب وبدا بالمنافقین فقال و
یقولون امنا بالله وبالرسول بالسنتهم واطعنا الله والرسول ثم یتولی یعرض عن الانقیاد
لحکم الله ورسوله فریق منهم من بعد ذلک ای من بعد قولهم امنا بالله وبالرسول واطعنا
وما اولیک بالمومنین ای المخلصین وهو اشارة الی القائلین امنا واطعنا لا الی الفریق
المتولی وحده وفیه اعلام من الله بان جمیعهم منتف عنهم الایمان لاعتقادهم ما یعتقد هولاء
والاعراض وان کان من بعضهم فالرضی بالاعراض من کلهم واذا دعوا الی الله ورسوله الی
رسول الله کقولک اعجبنی زید وکرمه ترید کرم زید لیحکم بینهم الرسول اذا فریق منهم
معرضون ای فاجاء فریق منهم الاعراض نزلت فی بشر المنافق وخصمه الیهودی حین اختصما
فی ارض فجعل الیهودی یجره الی رسول الله صلی الله علیه وسلم والمنافق الی کعب ابن اشرف و

ویقول ان محمدا یحیف علینا وان یکن لهم الحق اذا کان الحق لهم غیرهم یاتوا الیه الی الرسول
علیه الصلوة والسلام مذعنین حال ای مسرعین فی الطاعة طلبا لحقهم لا رضی بحکم رسولهم قال
الزجاج الاذعان الاسراع مع الطاعة والمعنی انهم لمعرفتهم انه لیس معک الا الحق المر والعدل
البحت یمتنعون عن المحاکمة الیک اذا رکبهم الحق لیلا تنزعه من احداقهم بقضائک علیهم
لخصومهم وان ثبت لهم حق علی خصم اسرعوا الیک ولم یرضوا الا بحکومتک لتاخذ لهم ما
وجب لهم فی ذمة الخصم افی قلوبهم مرض ام ارتابوا ام یخافون ان یحیف الله علیهم ورسوله
تسم الامر فی صدودهم عن حکومته اذا کان الحق علیهم بان یکونوا مرضی القلوب منافقین
او مرتابین فی امر نبوته او خایفین الحیف فی قضائه ثم ابطل خوفهم حیف بقوله بل اولیک
هم الظالمون ای لا یخافون ان یحیف علیهم لمعرفتهم بحالهم وانما هم ظالمون یریدون
ان یظلموا من له الحق علیهم وذلک شیء لا یستطیعونه فی مجلس رسول الله صلی الله
علیه وسلم ثم یاتون المحاکمة الیه انما کان قول المومنین وعن الحسن قول بالرفع والنصب
اقوی لان اولی الاسمین بکونه اسما لکان اوغلهما فی التعریف وان یقولوا اوغل بخلاف قول
المومنین اذا دعوا الی الله ورسوله لیحکم النبی علیه الصلوة والسلام لیحکم یرید ای لیفعل
بینهم بحکم الله الذی انزل علیه ان یقولوا سمعنا قوله واطعنا امره واولیک هم المفلحون
الفایزون ومن یطع الله فی فرایضه ورسوله فی سننه ویخش الله علی ما مضی من ذنوبه و یتقه
فیما یستقبل فاولیک هم الفایزون وعن بعض الملوک انه سال عن آیة کافیة فتلیت له هذه
الایة وهی جامعة لاسباب الفوز ویتقه بسکون الهاء ابو عمرو وابو بکر بسه الوقف و
بسکون القاف وکسر الهاء مختلسة حفص وبکسر القاف والهاء غیرهم واقسموا بالله
جهد ایمانهم ای حلف المنافقون بالله وهو جهد الیمین لانهم بذلوا فیها مجهودهم و
جهد یمینه مستعار من جهد نفسه اذا ابلغ اقصی وسعها وذلک اذا بالغ فی الیمین
وبلغ غایة شدتها ووکادتها وعن ابن عباس رض من قال بالله فقد جهد یمینه واصل
اقسم بجهد الیمین اقسم بجهد الیمین جهدا فحذف الفعل وقدم المصدر فوضع موضعه
مضافا الی مفعوله کقوله فضرب الرقاب وحکم هذا المنصوب حکم الحال کانه قال جاهدین

ايمانهم لئن امرتهم ليخرجن اى لئن امرنا محمد بالخروج الى الغزو لغزونا او بالخروج من
ديارنا لخرجنا قل لا تقسموا لا تحلفوا كاذبين لانه معصية طاعة معروفة امثل واولى من هذه
الايمان الكاذبة مبتدا محذوف الخبر او خبر مبتدا محذوف اى الذى يطلب منكم طاعة
معروفة معلومة لا يشك فيها ولا يرتاب كطاعة الخلص من المومنين لا ايمان يقسمون
بها بافواههم وقلوبكم على خلافها ان الله خبير بما تعملون يعلم ما فى ضمائركم ولا يخفى عليه
شىء من سرائركم وانه فاضحكم لا محالة ومجازيكم على نفاقكم قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول
صرف الكلام عن الغيبة الى الخطاب على طريق الالتفات وهو ابلغ فى تبكيتهم فان تولوا
فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم فان تتولوا فما ضررتموه وانما ضررتم انفسكم فان الرسول
ليس عليه الا ما حمله الله تعالى وكلفه من اداء الرسالة فاذا ادى فقد خرج عن عهدة تكليفه
واما انتم فعليكم ما كلفتم من التلقى بالقبول والاذعان فان لم تفعلوا وتوليتم فقد عرضتم
نفوسكم لسخط الله وعذابه وان تطيعوه تهتدوا اى وان اطعتموه فيما امركم ونهاكم فقد
احرزتم نصيبكم من الهدى فالضرر والنفع عايدان اليكم وما على الرسول الا البلاغ المبين
وما على الرسول الا ان يبلغ ما له نفع فى قبولكم ولا عليه ضرر فى توليكم والبلاغ بمعنى
التبليغ كالاداء بمعنى التادية والمبين الظاهر لكونه مقرونا بالايات والمعجزات ثم ذكر
المخلصين فقال وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات الخطاب للنبى عليه الصلوة
والسلام ولمن معه ومنكم للبيان وقيل المراد به المهاجرون ومن للتبعيض ليستخلفنهم فى
الارض اى ارض الكفار وقيل ارض المدينة والصحيح انه عام لقوله عليه الصلوة والسلام ليدخلن
هذا الدين على ما دخل عليه كما استخلف ابو بكر الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم
الذى ارتضى لهم وليبدلنهم بالتخفيف مكى وابو بكر من بعد خوفهم امنا وعدهم
الله ان ينصر الاسلام على الكفر ويورثهم الارض ويجعلهم فيها خلفاء كما فعل ببنى اسرائيل حين
اورثهم مصر والشام بعد اهلاك الجبابرة وان يمكن الدين المرتضى وهو دين الاسلام
وتمكينه تثبيته وتوطيده وان يؤمن سربهم ويزيل عنهم الخوف الذى كانوا عليه وذلك ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه مكثوا بمكة عشر سنين خائفين ولما هاجروا كانوا

بالمدينة يصبحون فى السلاح ويمسون فيه حتى قال رجل ما ياتى علينا يوم نامن فيه ونضع
السلاح فنزلت فقال عليه الصلوة والسلام لا تغبرون الا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم فى الملأ
العظيم محتبيا ليس فيه حديدة فانجز الله وعده واظهرهم على جزيرة العرب وافتتحوا بعده
بلاد المشرق والمغرب ومزقوا ملك الاكاسرة وملكوا خزائنهم واستولوا على الدنيا والقسم
المتلقى باللام والنون فى ليستخلفنهم محذوف تقديره وعدهم الله واقسم ليستخلفنهم او نزل
وعد الله فى تحققه منزلة القسم فتلقى بما يتلقى به القسم كانه اقسم الله ليستخلفنهم يعبدوننى
ان جعلته استينافا فلا محل له كانه قيل ما لهم يستخلفون ويومنون فقال يعبدوننى وان جعلته
حالا عن وعدهم اى وعدهم الله ذلك فى حال عبادتهم فمحله النصب لا يشركون بى شيئا حال
من فاعل يعبدوننى موحدين ويجوز ان يكون حالا بدلا من الحال الاولى ومن كفر بعد ذلك
اى بعد الوعد والمراد كفران النعمة كقوله تعالى فكفرت بانعم الله فاولئك هم الفاسقون
هم الكاملون فى فسقهم حيث كفروا تلك النعمة الجسيمة وجسروا على غمطها قالوا اول
من كفر هذه النعمة الجسيمة قتلة عثمان رضى الله عنه فاقتتلوا بعدما كانوا اخوانا وزال
عنهم الخوف والاية اوضح دليل على صحة خلافة الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم لان
المستخلفين الذين امنوا وعملوا الصالحات هم هم واقيموا الصلوة معطوف على اطيعوا الله
واطيعوا الرسول ولا يضر الفصل وان طال واتوا الزكوة واطيعوا الرسول فيما يدعوكم
اليه كررت طاعة الرسول تاكيدا لوجوبها لعلكم ترحمون لكى ترحموا فانها من مستجلبات
الرحمة ثم ذكر الكافرين فقال لا تحسبن الذين كفروا معجزين فى الارض اى فائتين الله بان
يقدر عليهم فيها فالتاء خطاب للنبى عليه الصلوة والسلام وهو الفاعل والمفعولان
الذين كفروا معجزين وبالياء شامى وحمزة والفاعل النبى صلى الله عليه وسلم لتقدم ذكره
والمفعولان الذين كفروا معجزين وماويهم النار معطوف على لا تحسبن الذين كفروا
معجزين كانه قيل الذين كفروا لا يفوتون الله وماويهم النار ولبئس المصير المرجع
النار يا ايها الذين امنوا ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم امر بان يستاذن العبيد
والاماء والذين لم يبلغوا الحلم منكم والاطفال الذين لم يحتلموا من الاحرار وقرئ بسكون

اللام تخفيفا ثلث مرات في اليوم والليلة وهي من قبل صلوة الفجر لانه وقت القيام من المضاجع
وطرح ما ينام فيه من الثياب ولبس ثياب اليقظة وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة وهي
نصف النهار في اليقظة لانها وقت وضع ثياب اليقظة للقيلولة ومن بعد صلوة العشاء
لانه وقت التجرد من ثياب اليقظة والالتحاف بثياب النوم ثلث عورات لكم اي هي اوقات
ثلث عورات لكم فحذف المبتداء والمضاف وبالنصب كوفي غير حفص بدلا عن ثلث مرات
اي اوقات ثلث عورات وسمي كل واحدة من هذه الاحوال عورة لان الانسان يختل تستره
فيها والعورة الخلل ومنها الاعور المختل العين دخل غلام من الانصار يقال له مدلج بن عمرو
على عمر رضي الله عنه وقت الظهيرة وهو نائم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر رض وددت ان الله
تعالى نهى عن الدخول في هذه الساعات الا باذن فانطلق الى النبي عليه الصلوة والسلام وقد
نزلت عليه الاية ثم عذرهم في ترك الاستيذان وراء هذه المرات بقوله ليس عليكم ولا
عليهم جناح بعدهن اي لا اثم عليكم ولا على المذكورين في الدخول بغير استيذان بعدهن
ثم بين العلة في ترك الاستيذان في هذه الاوقات بقوله طوافون عليكم اي هم طوافون
لحوائج البيت بعضكم مبتداء خبره على بعض تقديره بعضكم طائف على بعض فحذف لدلالة
طوافون عليه ويجوز ان يكون الجملة بدلا من التي قبلها وان يكون مبنية مؤكدة يعني ان بكم و
بهم حاجة الى المخالطة والمداخلة يطوفون عليكم للخدمة وتطوفون عليهم للاستخدام فلو
جزم الامر بالاستيذان في كل وقت لافضى الى الحرج وهو مدفوع في الشرع بالنص كذلك
يبين الله لكم الايات اي كما بين حكم الاستيذان بين لكم غيره من الايات التي احتجتم الى بيانها
والله عليم بمصالح عباده حكيم في بيان مراده واذا بلغ الاطفال منكم اي من الاحرار دون
المماليك الحلم الاحتلام اذا بلغوا وارادوا الدخول عليكم فليستاذنوا في جميع الاوقات كما استاذن
الذين من قبلهم اي الذين بلغوا الحلم من قبلهم وهم الرجال او الذين ذكروا من قبلهم في قوله تعالى
يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا وتسلموا الاية والمعنى ان الاطفال
ماذون لهم في الدخول بغير اذن الا في العورات الثلاث فاذا اعتاد الاطفال ذلك ثم بلغوا
بالاحتلام او بالسن وجب ان يفطموا عن تلك العادة ويحملوا على ان يستاذنوا في جميع الاوقات

كالرجال الكبار الذين لم يعتادوا الدخول عليكم الا باذن والناس عن هذا غافلون وعن
ابن عباس رض ثلث ايات جحدهن الناس الاذن كله وقوله ان اكرمكم عند الله اتقيكم
وقوله واذا حضر القسمة الخ وعن سعيد بن جبير يقولون هي منسوخة والله ما هي منسوخة
كذلك يبين الله لكم اياته والله عليم فيما بين من الاحكام حكيم بمصالح الانام والقواعد
جمع قاعد لانها من الصفات المختصة بالنساء وكالطالق والحايض اي اللاتي قعدن عن الحيض
والولد لكبرهن من النساء حال اللاتي لا يرجون نكاحا لا يطمعن فيه وهي في محل الرفع صفة
للمبتداء وهي القواعد والخبر فليس عليهن جناح اثم ودخلت الفاء لما فيه في المبتداء من معنى
الشرط بسبب الالف واللام ان يضعن في ان يضعن ثيابهن اي الظاهرة كالملحفة والجلباب
الذي فوق الخمار غير متبرجات بزينة حال اي غير مظهرات زينة يريد الزينة الخفية كالشعر
والنحر والساق ونحو ذلك اي لا يقصدون بوضعها التبرج ولكن التخفف وحقيقة التبرج
تكلف اظهار ما يجب اخفاؤه وان يستعففن اي يطلبن العفة عن وضع الثياب فيسترن
وهو مبتداء خبره خير لهن والله سميع لما يقلن عليم بما يقصدن ليس على الاعمى حرج ولا
على الاعرج حرج ولا على المريض حرج قال سعيد بن المسيب كان المسلمون اذا خرجوا الى
الغزو مع النبي صلى الله عليه وسلم وضعوا مفاتيح بيوتهم عند الاعمى والمريض والاعرج وعند
اقاربهم ويأذنونهم ان ياكلوا من بيوتهم فكانوا يتحرجون من ذلك ويقولون نخشى
ان لا تكون انفسهم بذلك طيبة فنزلت الاية رخصة لهم ولا على انفسكم اي حرج ان تاكلوا
من بيوتكم اي بيوت اولادكم لان ولد الرجل بعضه وحكمه حكم نفسه ولذا لم يذكر الاولاد
في الاية وقد قال عليه الصلوة والسلام انت ومالك لابيك او بيوت ازواجكم لان الزوجين
صارا كنفس واحدة فصار بيت المراة كبيت الزوج او بيوت ابائكم او بيوت امهاتكم او
بيوت اخواتكم او بيوت اخوانكم او بيوت اعمامكم او بيوت عماتكم او بيوت اخوالكم او
بيوت خالاتكم لان الاذن من هؤلاء ثابت دلالة او ما ملكتم مفاتحه جمع مفتح وهو ما
يفتح به الغلق قال ابن عباس رض هو وكيل الرجل وقيمه في ضيعته وماشيته له ان ياكل من
ثمر ضيعته ويشرب من لبن ماشيته واريد بملك المفاتيح كونها في يده وحفظه وقيل اريد به

بيت عبده لان العباد وما فى يده لمولاه او صديقكم يعنى او بيوت اصدقائكم والصديق يكون
واحدا وجمعا وهو من يصدقك فى مودته وتصدقه فى مودتك وكان الرجل من السلف يدخل دار
صديقه وهو غايب فيسال جاريته كيسه فياخذ ما شاء فاذا حضر مولاها اعتقها سرورا بذلك
فاما الآن فقد غلب الشح على الناس فلا يوكل الا باذن ليس عليكم جناح ان تاكلوا جميعا
مجتمعين او اشتاتا متفرقين جمع شت فنزلت فى بنى ليث بن عمرو كانوا يتحرجون ان ياكل
الرجل وحده فربما قعد منتظرا نهاره الى الليل فان لم يجد من يواكله اكل ضرورة او فى قوم من
الانصار اذا نزل بهم ضيف لا ياكلون الا مع ضيفهم او تحرجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف
الناس فى الاكل وزيادة بعضهم على بعض فاذا دخلتم بيوتا من هذه البيوت لتاكلوا فسلموا
على انفسكم اى فابتدؤا بالسلام على اهلها الذين هم منكم دينا وقرابة او بيوتا فارغة
او مسجدا فقولوا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين تحية نصب بسلموا لانها فى معنى
تسليما نحو قعدت جلوسا من عند الله اى ثابتة بامره مشروعة من لدنه او لان التسليم
والتحية طلب سلامة وحيوة للمسلم عليه والمحيا من عند الله مباركة طيبة وصفها بالبركة
والطيب لانها دعوة مؤمن لمؤمن يرجى بها من الله زيادة الخير وطيب الرزق كذلك يبين
الله لكم الايات لعلكم تعقلون لكى تعقلوا وتفهموا انما المومنون الذين امنوا بالله و
رسوله واذا كانوا معه على امر جامع اى الذى يجمع له الناس نحو الجهاد والتدبير فى الحرب
وكل اجتماع فى الله حتى الجمعة والعيدين لم يذهبوا حتى يستاذنوه اى وياذن لهم ولما اراد
عز وجل ان يريهم عظم الجناية فى ذهاب الذاهب عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم
بغير اذنه اذا كانوا معه على امر جامع جعل ترك ذهابهم حتى يستاذنوه ثالث الايمان بالله
والايمان برسوله وجعلها كالتشبيب له والبساط لذكره وذلك مع تصدير الجملة بانما و
ايقاع المومنين مبتداء مخبرا عنه بموصول احاطت صلته بذكر الايمانين ثم عقبه بما يزيده توكيدا
وتشديدا حيث اعاده على اسلوب آخر وهو قوله ان الذين يستاذنونك اولئك الذين
يؤمنون بالله ورسوله وضمنه شيئا آخر وهو انه جعل الاستيذان كالمصداق لصحة الايمانين
وعرض بحال المنافقين وتسللهم لواذا فاذا استاذنوك فى الانصراف لبعض شانهم امرهم فاذن

لمن شئت منهم فيه رفع شانه عليه الصلوة والسلام واستغفر لهم الله ان الله غفور رحيم
وذكر الاستغفار للمستاذنين دليل على ان الافضل ان لا يستاذنوه قالوا وينبغى ان يكون
الناس كذلك مع ائمتهم ومقدميهم فى العلم والدين يظاهرونهم ولا يتفرقون عنهم الا باذن
قيل نزلت يوم الخندق كان المنافقون يرجعون الى منازلهم بغير استيذان لا تجعلوا
دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا اى اذا احتاج رسول الله الى اجتماعكم عنده لامر
فدعاكم فلا تفرقوا الا باذنه ولا تقيسوا دعاءه اياكم على دعاء بعضكم بعضا ورجوعكم عن
الجمع بغير اذن الداعى او لا تجعلوا تسميته ونداءه بينكم كما يسمى بعضكم بعضا ويناديه باسمه
الذى سماه ابواه ولا تقولوا يا محمد ولكن يا نبى الله ويا رسول الله مع التوقير والتعظيم
والصوت المخفوض قد يعلم الله الذين يتسللون يخرجون قليلا قليلا منكم لواذا حال
اى ملاوذين واللواذ الملاوذة وهو ان يلوذ هذا بذاك وذاك بهذا اى يتسللون عن
الجماعة فى الخفية على سبيل الملاوذة واستتار بعضهم ببعض فليحذر الذين يخالفون عن
امره اى الذين يصدون عن امره دون المومنين وهم المنافقون يقال خالفه الى الامر اذا
ذهب اليه دونه ومنه وما اريد ان اخالفكم الى ما انهيكم عنه وخالفه عن الامر اذا صد عنه
دونه والضمير فى امره لله سبحانه او للرسول عليه الصلوة والسلام والمعنى عن طاعته ودينه
ومفعول يحذر ان تصيبهم فتنة محنة فى الدنيا او قتل او زلازل واهوال او تسليط سلطان
جاير او قسوة القلب عن معرفة الرب واسباغ النعم استدراجا او يصيبهم عذاب اليم فى الاخرة
والاية تدل على ان الامر للايجاب الا ان لله ما فى السموات والارض الا تنبيه على ان لا يخالفوا
امر من له ما فى السموات والارض قد يعلم ما انتم عليه ادخل قد ليؤكد علمه بما هم عليه من المخالفة
عن الدين والنفاق ومرجع توكيد العلم الى توكيد الوعيد والمعنى ان جميع ما فى السموات و
الارض مختصة به خلقا وملكا وعلما فكيف يخفى عليه احوال المنافقين وان كانوا يجتهدون
فى سترها ويوم يرجعون اليه وبفتح الياء وكسر الجيم يعقوب اى ويعلم يوم يردون الى جزائه
وهو يوم القيمة والخطاب والغيبة فى قوله قد يعلم ما انتم عليه عاما ويرجعون للمنافقين
فينبئهم يوم القيمة بما عملوا بما ابطنوا من سوء اعمالهم ويجازيهم حق جزائهم والله بكل شىء عليم

فلا يخفى عليه خافية روى ان ابن عباس رض قرأ سورة النور على المنبر في الموسم وفسرها
على وجه لو سمعته الروم لاسلمت سورة الفرقان مكية وهي سبع وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم تبارك تفاعل من البركة

وهي كثرة الخير وزيادته ومعنى تبارك الله تزايد خيره وتكاثر او تزايد عن كل شيء وتعالى
عنه في صفاته وافعاله وهي كلمة تعظيم لم تستعمل الا لله وحده والمستعمل منه الماضي فحسب
الذي نزل الفرقان هو مصدر فرق بين الشيئين اذا فصل بينهما وسمي به القرآن لفصله بين
الحق والباطل والحلال والحرام او لانه لم ينزل جملة ولكن مفروقا مفصولا بين بعضه وبعض
في الانزال الا ترى الى قوله وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا
على عبده محمد صلى الله عليه وسلم ليكون العبد او الفرقان للعالمين للجن والانس وعموم
الرسالة من خصائصه صلى الله عليه وسلم نذيرا منذرا اي مخوفا او انذارا كالنكير بمعنى
الانكار ومنه قوله تعالى فكيف كان عذابي ونذر الذي رفع على انه خبر مبتدأ محذوف
او على الابدال من الذي نزل وجوز الفصل بين البدل والمبدل منه بقوله ليكون لان المبدل
منه صلته نزل وليكون تعليل له فكان المبدل منه لم يتم الا به او نصب على المدح له ملك
السموات والارض على الخصوص ولم يتخذ ولدا كما زعم اليهود والنصارى في عزير والمسيح
عليهما السلام ولم يكن له شريك في الملك كما زعمت الثنوية وخلق كل شيء اي احدث كل شيء
وحده لا كما يقوله المجوس والثنوية من النور والظلمة ويزدان واهرمن ولا شبهة فيه
لمن يقول ان الله شيء ولا لمن يقول بخلق القرآن لان الفاعل بجميع صفاته لا يكون مفعولا له
على ان لفظ شيء اختص بما يصح ان يخلق بقرينة وخلق وهذا اوضح دليل لنا على المعتزلة
في خلق افعال العباد فقدره تقديرا فهيأه لما يصلح له بلا خلاف فيه كما انه خلق الانسان
على هذا الشكل الذي تراه فقدره للتكاليف والمصالح المنوطة به في الدين والدنيا او فقدره
للبقاء الى اجل معلوم واتخذوا الضمير للكافرين لاندراجهم تحت العالمين او لدلالة
نذيرا عليهم لانهم هم المنذرون من دونه آلهة اي الاصنام لا يخلقون شيئا وهم يخلقون
اي انهم آثروا على عبادة من هو متفرد بالالوهية والملك والخلق والتقدير عبادة عجزة

لا يقدرون على خلق شيء وهم يخلقون ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا يستطيعون لانفسهم
دفع ضرر عنها ولا جلب نفع اليها ولا يملكون موتا اماتة ولا حيوة احياء ولا نشورا احياء
بعد الموت وجعلها كالعقلاء لزعم عابديها وقال الذين كفروا ان هذا ما هذا القرآن الا افك
كذب افتراه اختلقه فاخترعه محمد من عند نفسه واعانه عليه قوم آخرون اي اليهود او
عداس ويسار وابو فكيهة الرومي قال ذلك النضر بن الحارث فقد جاؤا ظلما وزورا هذا
اخبار من الله ردا للكفرة فيرجع الضمير الى الكفار وجاء يستعمل في معنى فعل فيعدى تعديته
او حذف الجار واوصل الفعل اي بظلم وجور وظلمهم ان جعلوا العربي يتلقن من العجمي الرومي
كلاما عربيا اعجز بفصاحته جميع فصحاء العرب والزور ان بهتوه بنسبة ما هو بريء منه
وقالوا اساطير الاولين اي هو احاديث المتقدمين وما سطروه كرستم وغيره جمع اسطار
واسطورة كاحدوثة اكتتبها كتبها لنفسه فهي تملى عليه اي تلقى عليه من كتابه بكرة اول
النهار واصيلا آخره فيحفظ ما يملى عليه ثم يتلوه علينا قل يا محمد انزله اي القرآن الذي
يعلم السر في السموات والارض اي يعلم كل سر خفي في السموات والارض يعني ان القرآن
لما اشتمل على علم الغيوب التي يستحيل عادة ان يعلمها محمد من غير تعليم دل ذلك على انه
من عند علام الغيوب انه كان غفورا رحيما فيمهلهم ولا يعاجلهم بالعقوبة وان استوجبوها
بمكابرتهم وقالوا مال هذا الرسول وقعت اللام في المصحف مفصولة عن الهاء وخط
المصحف سنة لا تغير وتسميتهم اياه بالرسول سخرية منهم كأنهم قالوا اي شيء لهذا الزاعم
انه رسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق حال والعامل فيها هذا لولا انزل اليه ملك
فيكون معه نذيرا او يلقى اليه كنز او تكون له جنة يأكل منها اي ان صح انه رسول الله
صلى الله عليه وسلم فما باله يأكل الطعام كما نأكل ويتردد في الاسواق لطلب المعاش كما نتردد
ويعنون انه كان يجب ان يكون ملكا مستغنيا عن الاكل والتعيش ثم نزلوا عن ذلك
الاقتراح الى ان يكون انسانا معه ملك حتى يتساندا في الانذار والتخويف ثم نزلوا
الى ان يكون موفورا بكنز يلقى اليه من السماء يستظهر به ولا يحتاج الى تحصيل المعاش
ثم نزلوا الى ان يكون رجلا له بستان يأكل منه كالمياسير او نأكل نحن كقراءة علي وحمزة

وحسن عطف المضارع وهو يلقى وتكون على انزل وهو ماض لدخول المضارع وهو فيكون بينهما وانتصب فيكون على القراءة المشهورة لانه جواب لولا بمعنى هلا وحكمه حكم الاستفهام واراد بالظالمين بقوله وقال الظالمون اياهم باعيانهم غير انه وضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا عليهم بالظلم فيما قالوا وهم كفار قريش ان تتبعون الا رجلا مسحورا سحر فجن اوذا سحر وهو الرية عنوا انه بشر لا ملك انظر كيف ضربوا بينوا لك الامثال الاشباه اى قالوا فيك تلك الاقوال واخترعوا لك تلك الصفات والاحوال من المفترى والمملى عليه والمسحور فضلوا عن الحق فلا يستطيعون سبيلا فلا يجدون طريقا اليه تبارك الذى ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجرى من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا اى تكاثر خير الذى ان شاء وهب لك فى الدنيا خيرا مما قالوا وهو ان يعجل لك مثل ما وعدك فى الاخرة من الجنات والقصور وجنات بدل من خيرا ويجعل بالرفع مكى وشامى وابو بكر لان الشرط اذا وقع ماضيا جاز فى جزائه الرفع والجزم بل كذبوا بالساعة عطف على ما حكى عنهم يقول بل اتوا باعجب من ذلك كله وهو تكذيبهم بالساعة او متصل بما يليه كانه قال بل كذبوا بالساعة فكيف يلتفتون الى هذا الجواب وكيف يصدقون بتعجيل مثل ما وعدك فى الاخرة وهم لا يؤمنون بها واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا وهيانا للمكذبين بها نارا شديدة الاستعار اذا راتهم الى النار اى قابلتهم من مكان بعيد اى اذا كانت منهم بمراى الناظر فى البعد سمعوا لها تغيظا وزفيرا اى سمعوا صوت غليانها وشبه ذلك بصوت الغيظ والزفير واذا راتهم زبانيتها تغيظوا وزفروا غضبا على الكفار واذا القوا منها من النار مكانا ضيقا ضيقا مكى الكرب مع الضيق كما ان الروح مع السعة ولذا وصفت الجنة فان عرضها السموات والارض وعن ابن عباس رض انه يضيق عليهم كما يضيق الزج فى الرمح مقرنين اى وهم مع ذلك الضيق مسلسلون مقرنون فى السلاسل قرنت ايديهم الى اعناقهم فى الاغلال او يقرن مع كل كافر شيطانه فى كل سلسلة وفى ارجلهم الاصفاد دعوا هنالك حينئذ ثبورا هلاكا اى قالوا واثبوراه اى تعال يا ثبور فهذا حينك فيقال لهم لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا اى انكم وقعتم فيما ليس ثبوركم فيه واحدا انما هو ثبور كثير قل اذلك خير اى المذكور من صفة

النار خير ام جنة الخلد التى وعد المتقون اى وعدها فالراجع الى الموصول محذوف وانما قال ذلك خير ولا خير فى النار توبيخا للكفار كانت لهم جزاء ثوابا ومصيرا مرجعا وانما قيل كانت لان ما وعده الله تعالى كانه كان لتحققه او كان ذلك مكتوبا فى اللوح قبل ان خلقهم لهم فيها ما يشاؤن اى ما يشاؤنه خالدين حال من ضمير يشاؤن والضمير فى كان لما يشاؤن على ربك وعدا مسؤلا مطلوبا او حقيقا ان يسال او قد سأله المؤمنون والملائكة فى دعواتهم ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الاخرة حسنة ربنا وادخلهم جنات عدن التى وعدتهم ويوم نحشرهم للبعث عند الجمهور وبالياء مكى ويزيد ويعقوب وحفص وما يعبدون من دون الله يريد المعبودين من الملائكة والمسيح وعزير وعن الكلبى يعنى الاصنام ينطقها الله تعالى وقيل عام وما يتناول العقلاء وغيرهم لانه اريد به الوصف كانه قيل ومعبوديهم فيقول وبالنون شامى ءانتم اضللتم عبادى هؤلاء بدل من عبادى اى المشركين ام هم ضلوا السبيل والقياس ضلوا عن السبيل الا انهم ترك الجار كما تركوه فى هداه الطريق والاصل الى الطريق وللطريق وضل مطاوع اضله والمعنى ءانتم اوقعتموهم فى الضلال عن طريق الحق بادخال الشبه ام هم ضلوا عنه بانفسهم وانما لم يقل ءاضللتم عبادى هؤلاء ام هم ضلوا السبيل عنه بدانتم وهم لان السؤال ليس عن الفعل ووجوده لانه لولا وجوده لما توجه هذا العتاب وانما هو عن متوليه فلا بد من ذكره وايلاءه حرف الاستفهام ليعلم انه المسؤل عنه وفائدة سؤالهم مع علمه تعالى بالمسؤل عنه ان يجيبوا بما اجابوا به حتى يبكت عبدتهم بتكذيبهم اياهم فتزيد حسرتهم قالوا سبحانك تعجب منهم بما قيل لهم او قصدوا به تنزيهه من الاضداد والانداد وان يكون له نبى او ملك او غيرهما ندا ثم قالوا ما كان ينبغى لنا ان نتخذ من دونك من اولياء اى ما كان يصح لنا ولا يستقيم لنا ان نتولى احدا دونك فكيف يصح لنا ان نحمل غيرنا على ان يتولونا دونك نتخذ يزيد واتخذ يتعدى الى مفعول واحد نحو اتخذ وليا والى مفعولين نحو اتخذ فلانا وليا قال الله تعالى ام اتخذوا الهة من الارض وقال واتخذ الله ابراهيم خليلا فالقراءة الاولى من المتعدى الى مفعول واحد وهو من اولياء والاصل ان نتخذ اولياء والاصل ان نتخذ اولياء فزيدت من لتاكيد النفى والقراءة الثانية من المتعدى الى

مفعولين فالمفعول الاول ما بنى له الفعل والمفعول الثاني من اولياء ومن للتبعيض اى لا نتخذ
بعض اولياء لان من لا تزاد فى المفعول الثانى بل فى الاول تقول ما اتخذت من احد وليا ولا
تقول ما اتخذت احدا من ولى ولكن متعتهم واباءهم بالاموال والاولاد وطول العمر
والسلامة من العذاب حتى نسوا الذكر اى ذكر الله والايمان به او القران والشرايع وكانوا
عند الله قوما بورا هلكى جمع بائر كعائذ وعوذ ثم يقال للكفار بطريق الخطاب عدولا
عن الغيبة اليه فقد كذبوكم وهذه المفاجاة بالاحتجاج والالزام حسنة رائعة وخاصة
اذا انضم اليها الالتفات وحذف القول ونظيرها قول القائل قالوا خراسان اقصى ما
يراد بنا ثم القفول فقد جئنا خراسان بما تقولون بقولكم فيهم انهم آلهة والباء على هذا
كقوله بل كذبوا بالحق والجار والمجرور بدل من الضمير كانه قيل فقد كذبوكم بما تقولون و
عن قنبل بالياء ومعناه فقد كذبوكم بقوله سبحانك ما كان ينبغى لنا ان نتخذ من دونك
من اولياء والباء على هذا كقولك كتبت بالقلم فما تستطيعون صرفا ولا نصرا اى فما
يستطيع الهتكم ان يصرفوا عنكم العذاب وينصروكم وبالتاء حفص اى فما تستطيعون انتم
يا كفار صرف العذاب عنكم ولا نصر انفسكم ثم خاطب المكلفين على العموم ومن يظلم منكم
اى يشرك لان الظلم وضع الشئ فى غير موضعه ومن جعل المخلوق شريك خالقه فقد ظلم
يؤيده قوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم نذقه عذابا كبيرا فسر بالخلود فى النار وهو يليق
بالمشرك دون الفاسق الا على قول المعتزلة والخوارج وما ارسلنا قبلك من المرسلين
الا انهم لياكلون الطعام ويمشون فى الاسواق كسرت ان لاجل اللام فى الخبر والجملة بعد
الا صفة لموصوف محذوف والمعنى وما ارسلنا قبلك احدا من المرسلين الا آكلين وماشين
وانما حذف اكتفاء بالجار والمجرور اى من المرسلين ونحوه وما منا الا له مقام معلوم اى
وما منا احد قيل هو احتجاج على من قال ما لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشى فى الاسواق و
تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم وجعلنا بعضكم لبعض فتنة اى محنة وابتلاء وهذا تصبير لرسول الله
صلى الله عليه وسلم عما عيروه به من الفقر ومشيه فى الاسواق يعنى انه جعل الاغنياء فتنة للفقراء
فيغنى من يشاء ويفقر من يشاء اتصبرون على هذه الفتنة فتوجروا ام لا تصبروا فيزداد غمكم

ويحكى ان بعض الصالحين تبرم بضنك عيشه فخرج ضجرا الى الصحراء فراى خصيا فى مراكب
ومواكب فخطر بباله شئ فاذا بمن يقرأ هذه الاية فقال بلى نصبر ربنا او وجعلناك فتنة
لهم لانك لو كنت صاحب كنوز وجنان لكان طاعتهم لك للدنيا او ممزوجة بالدنيا فانما
بعثناك فقيرا ليكون طاعة من يطيعك خالصة لنا وكان ربك بصيرا عالما بالصواب فيما
يبتلى به او بمن يصبر ويجزع وقال الذين لا يرجون لا يأملون لقاءنا بالخير لانهم كفرة لا يؤمنون
بالبعث او لا يخافون عقابنا اما لان الراجى قلق فيما يرجوه كالخائف او لان الرجاء فى لغة
تهامة الخوف لولا هلا انزل علينا الملائكة رسلا دون البشر او شهودا على نبوته ودعوى
رسالته او نرى ربنا جهرة فيخبرنا برسالته واتباعه لقد استكبروا فى انفسهم اى اضمروا
الاستكبار عن الحق وهو الكفر والعناد فى قلوبهم وعتوا وتجاوزوا الحد فى الظلم عتوا كبيرا
وصف العتو بالكبير فبالغ فى افراطه اى انهم لم يجسروا على هذا القول العظيم الا انهم بلغوا
غاية الاستكبار واقصى العتو واللام جواب قسم محذوف يوم يرون الملائكة اى يوم
الموت او يوم البعث ويوم منصوب بما دل عليه لا بشرى اى يوم يرون الملائكة يمنعون
البشرى وقوله يومئذ مؤكد ليوم يرون او باضمار اذكر اى اذكر يوم يرون الملائكة ثم اخبر
فقال لا بشرى بالجنة يومئذ ولا ينصب بيرون لان المضاف اليه لا يعمل فى المضاف ولا ببشرى
لانها مصدر والمصدر لا يعمل فيما قبله ولان النفى بلا لا يعمل فيما قبل لا للمجرمين ظاهر فى موضع
ضمير او عام يتناوله بعمومه وهم الذين اجترموا الذنوب والمراد الكافرون لان مطلق
الاسماء يتناول اكمل المسميات ويقولون اى الملائكة حجرا محجورا حراما محرما عليكم البشرى
اى جعل الله ذلك حراما عليكم انما البشرى للمؤمنين والحجر مصدر والكسر والفتح لغتان وقرئ
بهما وهو من حجره اذا منعه وهو من المصادر المنصوبة بافعال متروك اظهارها ومحجورا لتاكيد
معنى الحجر كما قالوا موت مائت وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا هو صفة
لها ولا قدوم هنا ولكن مثلت حال هؤلاء واعمالهم التى عملوها فى كفرهم من صلة رحم واغاثة
ملهوف وقرى ضيف ونحو ذلك بحال من خالف سلطانه وعصاه فقدم الى اشيائه وقصد
الى ما تحت يديه فافسدها ومزقها كل ممزق ولم يترك لها اثرا والهباء ما يخرج من الكوة مع

ضوء الشمس بشبيه بالغبار والمنثور المفرق وهو استعارة عن جعله بحيث لا يقبل الاجتماع
ولا يقع به الانتفاع ثم بين فضل اهل الجنة على اهل النار فقال اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا
تميز والمستقر المكان الذى يكونون فيه فى اكثر اوقاتهم مستقرين يتجالسون ويتحادثون
واحسن مقيلا مكانا يأوون اليه للاسترواح الى ازواجهم ولا نوم فى الجنة ولكنه سمى مكان
استرواحهم الى الحور مقيلا على طريق التشبيه وروى انه يفرغ من الحساب فى نصف ذلك
اليوم فيقيل اهل الجنة فى الجنة واهل النار فى النار وفى لفظ الاحسن تهكم بهم ويوم واذكر
يوم تشقق السماء فالاصل تتشقق فحذف كوفى وابو عمرو والتاء غيرهم ادغمها فى الشين
بالغمام لما كان انشقاق السماء بسبب طلوع الغمام منها جعل الغمام كانه الذى تشقق به
السماء كما تقول تشق السنام بالشفرة وانشقها ونزل الملائكة تنزيلا وننزل الملائكة مكى
وتنزيلا على هذا مصدر غير لفظ الفعل والمعنى ان السماء تتفتح بغمام ابيض يخرج منها وفى
الغمام الملائكة ينزلون وفى ايديهم صحايف اعمال العباد والملك مبتداء يومئذ ظرف الحق
نعته ومعناه الثابت لان كل ملك يزول يومئذ ولا يبقى الا ملكه للرحمن خبره وكان ذلك
اليوم يوما على الكافرين عسيرا شديدا يقال عسر عليه فهو عسير وعسر فهو عسر ويفهم منه
يسره على المؤمنين حتى يكون عليهم اخف من صلوة مكتوبة صلوها فى الدنيا ويوم يعض الظالم
على يديه عض اليدين كناية عن الغيظ والحسرة لانه من روادفهما فتذكر الرادفة ويدل بها على
المردوف فيرتفع الكلام به فى طبقة الفصاحة ويجد السامع عنده فى نفسه من الروعة ما لا يجد
عند لفظ المكنى عنه واللام فى الظالم للعهد واريد به عقبة لما تبين او للجنس فيتناول عقبة و
غيره من الكفار يقول يا ليتنى اتخذت فى الدنيا مع الرسول محمد عليه الصلوة والسلام سبيلا
طريقا الى النجاة او الجنة وهو الايمان يا ويلتى وقرئ يا ويلتى بالياء وهو الاصل لان الرجل ينادى
ويلته وهى هلكته يقول لها تعالى فهذا اوانك وانما قلبت الياء الفا كما فى صحارى ومدارى ليتنى
لم اتخذ فلانا خليلا فلان كناية عن الاعلام فان اريد بالظالم عقبة لما روى انه اتخذ ضيافة
فدعا اليها رسول الله فابى ان ياكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل فقال له ابى بن خلف
وهو خليله وجهى من وجهك حرام الا ان ترجع فارتد فالمعنى ليتنى لم اتخذ ابيا خليلا فكنى عن

اسمه وان اريد به الجنس فكل من اتخذ من المضلين خليلا كان لخليله اسم علم لا محالة فجعله كناية
عنه وقيل هو كناية عن الشيطان لقد اضلنى عن الذكر عن ذكر الله او القران او الايمان بعد
اذ جاءنى من الله وكان الشيطان اى خليله سماه شيطانا لانه اضله كما يضله الشيطان او ابليس
لانه الذى حمله على المضلة ومخالفة الرسول للانسان المطيع له خذولا هو مبالغة من الخذلان
اى من عادته ترك من يواليه وهذا حكاية كلام الله عز وجل او كلام الظالم وقال الرسول اى
محمد عليه الصلوة والسلام فى الدنيا يا رب ان قومى قريشا اتخذوا هذا القران مهجورا متروكا
اى تركوه ولم يؤمنوا به من الهجران وهو مفعول ثان لاتخذوا وفى هذا تعظيم للشكاية وتخويف
لقومه لان الانبياء اذا شكوا اليه قومهم حل بهم العذاب ولم ينظروا ثم اقبل عليه مسليا وواعد
النصرة عليهم فقال وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا من المجرمين وكفى بربك هاديا ونصيرا
اى وكذلك كان كل نبى قبلك مبتلى بعداوة قومه وكفاك بى هاديا الى طريق قهرهم و
الانتصار منهم وناصرا لك عليهم والعدو يجوز ان يكون واحدا وجمعا والباء زايدة و
كفى ربك هاديا وهو تميز وقال الذين كفروا اى قريش او اليهود لولا نزل عليه القران
جملة حال من القران اى مجتمعا واحدة يعنى هلا انزل عليه دفعة واحدة فى وقت واحد
كما انزلت الكتب الثلثة وماله انزل على التفاريق وهو فضول من القول ومماراة بما لا طايل تحته
لان امر الاعجاز والاحتجاج به لا تختلف بنزوله جملة واحدة او متفرقا ونزل هنا بمعنى انزل
ولما كان متدافعا بدليل جملة واحدة وهذا اعتراض فاسد لانهم تحدوا بالاتيان بسورة واحدة
من اصغر السور فابرزوا صفحة عجزهم حتى لاذوا بالمناصبة وفزعوا الى المحاربة وبذلوا المهج
وما لوا الى الحجج كذلك جواب لهم اى كذلك انزل مفرقا فى عشرين سنة او فى ثلث وعشرين وذلك
فى كذلك اشارة الى مدلول قوله لولا انزل عليه القران جملة لان معناه لم انزل عليه القران مفرقا
فاعلم ان ذلك لنثبت به فؤادك لتقوى بتفريقه فؤادك حتى تعيه وتحفظه لان المتلقن
انما يقوى قلبه على حفظ العلم شيئا بعد شئ وجزءا عقيب جزء ولو القى عليه جملة واحدة لعجز عن
حفظه او لنثبت به فؤادك عن الضجر بتواتر الوصول وتتابع الرسول لان قلب المحب يسكن هو
اصل كتب المحبوب ورتلناه ترتيلا معطوف على الفعل الذى تعلق به كذلك كانه قال كذلك فرقناه

ورتلناه اى قدرناه اية بعد اية ووقفة عقيب وقفة او امرنا بترتيل قراءته وذلك قوله تع
ورتل القران ترتيلا اى اقراه بترتيل وتثبت او بيناه تبيينا والترتيل التبيين فى ترسل وتثبت
ولا ياتونك بمثل بسوال عجيب من سوالاتهم الباطلة كانه مثل فى البطلان الا جئناك بالحق
الا اتيناك بالجواب الحق الذى لا محيد عنه واحسن تفسيرا وبما هو احسن معنى ومودى من مثلهم
اى من سوالهم وانما حذف من مثلهم لان فى الكلام دليلا عليه كما لو قلت رايت زيدا وعمروا
كان عمرو احسن وجها فيه دليل على انك تريد من زيد ولما كان التفسير هو التكشيف عما يدل
عليه الكلام وضع موضع معناه فقالوا تفسير هذا الكلام كيت وكيت كما قيل معناه كذا وكذا
او لا ياتونك بحال وصفة عجيبة يقولون هلا انزل عليك القران جملة الا اعطيناك من الاحوال
ما يحق لك فى احوالك ان تعطاه وما هو احسن تكشيفا لما بعثت عليه ودلالة على صحته يعنى ان
تنزيله مفرقا وتحديهم بان ياتوا ببعض تلك التفاريق كما نزل شئ منها ادخل فى الاعجاز من ان
ينزل كله جملة الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم اولئك شر الذين مبتداء واولئك
مبتداء ثان وشر خبر اولئك واولئك مع شر خبر الذين او التقدير هم الذين او اعنى الذين
واولئك مستانف مكانا اى مكانة ومنزلة او مسكنا ومنزلا واضل سبيلا واخطاء طريقا
وهو من الاسناد المجازى والمعنى ان حاملكم على هذه السوالات انكم تضللون سبيله وتحتقرون
مكانته ومنزلته ولو نظرتم بعين الانصاف وانتم من المسحوبين على وجوههم الى جهنم لعلمتم ان مكانكم
شر من مكانه وسبيلكم اضل من سبيله وفى طريقته قوله قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله
من لعنه الله وغضب عليه الاية وعن النبى صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيمة على ثلثة اصناف
صنف على الدواب وصنف على ارجلهم وصنف على وجوههم قيل يا رسول الله كيف يمشون
على وجوههم فقال عليه الصلوة والسلام الذى مشاهم على اقدامهم يمشيهم على وجوههم ولقد اتينا
موسى الكتاب التورية كما اتيناك الفرقان وجعلنا معه اخاه هرون بدلا او عطف بيان وزيرا
هو من فى اللغة من يرجع اليه ويتحصن برايه من الوزر وهو الملجاء والوزارة لا تنافى النبوة فقد
كان يبعث فى الزمن الواحد انبياء ويومرون بان يوازر بعضهم بعضا فقلنا اذهبا الى القوم
الذين كذبوا باياتنا اى فرعون وقومه تعقيبا فذهبا اليهم وانذرا فكذبوهما فدمرناهم تدميرا

التدمير

التدمير الاهلاك بامر عجيب اراد اختصار القصة فذكر اولها واخرها لانهما المقصود من القصة
اعنى الزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم وقوم نوح اى ودمرنا قوم نوح لما كذبوا
الرسل يعنى نوحا وادريس وشيثا او كان تكذيبهم لواحد منهم تكذيبا للجميع اغرقناهم بالطوفان
وجعلناهم وجعلنا اغراقهم او قصتهم للناس اية عبرة يعتبرون بها واعتدنا لهم وهيأنا للظالمين
لقوم نوح واصله واعتدنا لهم الا انه اراد تظليمهم فاظهر او هو عام لكل من ظلم ظلم شرك ويتناولهم
بعمومه عذابا اليما اى النار وعادا او دمرنا عادا وثمود حمزة وحفص على تاويل القبيلة وغيرهما
وثمودا على تاويل الحى او لانه اسم الاب الاكبر واصحاب الرس هم قوم شعيب يعبدون الاصنام
فكذبوا شعيبا فبيناهم حول الرس وهو البير غير المطوية انهارت بهم فخسف بهم وبديارهم
وقيل الرس قرية قتلوا نبيهم فهلكوا او هم اصحاب الاخدود والرس الاخدود وقرونا
اهلكنا امما بين ذلك المذكور كثيرا لا يعلمها الا الله ارسل اليهم الرسل فكذبوهم فاهلكوا
وكلا ضربنا له الامثال بينا له القصص العجيبة من قصص الاولين وكلا تبرنا تتبيرا اى اهلكنا
اهلاكا وكلا منصوب بما دل عليه ضربنا له الامثال وهو انذرنا او حذرنا والثانى تبرنا لانه
فارغ له ولقد اتوا يعنى اهل مكة على القرية سدوم وهى اعظم قرى قوم لوط وكانت خمسا اهلك
الله اربعا مع اهلها وبقيت واحدة التى امطرت مطر السوء اى امطر الله عليها الحجارة يعنى
ان قريشا مروا مرارا كثيرة فى متاجرهم الى الشام على تلك القرية اهلكت بالحجارة من السماء
ومطر السوء مفعول ثان والاصل امطرت القرية مطرا او مصدر محذوف الزوائد اى امطار
السوء افلم يكونوا يرونها اما شاهدوا ذلك بانه اياهم عند سفرهم الى الشام فيتفكرون
فيومنون بل كانوا لا يرجون نشورا يعنى بل كانوا قوما كفرة بالبعث لا يخافون بعثا فلا
يومنون او لا يأملون نشورا كما امله المومنون لطمعهم فى الوصول الى ثواب اعمالهم واذا راوك
ان يتخذونك ان نافية الا هزوا اتخذوه هزوا فى معنى استهزاء والاصل التخذ موضع هزوا
ومهزوا به اهذا محكى بعد القول المضمر وهذا استصغار واستهزاء اى قايلين اهذا الذى بعث الله
رسولا والمحذوف حال والعائد الى الذى محذوف اى بعثه ان كاد ليضلنا عن الهتنا لولا ان صبرنا
عليها ان مخففة من الثقيلة واللام فارقة وهو دليل على فرط مجاهدة رسول الله صلى الله عليه وسلم

في دعوتهم وعرض المعجزات عليهم حتى شارفوا بزعمهم ان يتركوا دينهم الى دين الاسلام لولا
فرط لجاجهم واستمساكهم بعبادة آلهتهم وسوف يعلمون حين يرون العذاب وهو وعيد
ودلالة على انهم لا يفوتونه وان طالت مدة الامهال من اضل سبيلا وهو كالجواب عن قولهم
ان كاد ليضلنا لانه نسبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم الى الضلال اذ لا يضل غيره الا من ضال في نفسه
ارايت من اتخذ الهه هواه اي من اطاع هواه فيما ياتي ويذر فهو عابد هواه وجاعله الهه فيقول
لرسوله هذا الذي لا يرى معبودا الا هواه كيف تستطيع ان تدعوه الى الهدى يروى ان الواحد من
اهل الجاهلية كان يعبد الحجر فاذا مر بحجر احسن منه ترك الاول وعبد الثاني وعن الحسن هو في كل متبع
هواه افانت تكون عليه وكيلا اي حفيظا تحفظه من متابعة هواه وعبادة ما يهواه اوافانت
تكون عليه موكلا فتصرفه عن الهوى الى الهدى عرفه ان اليه التبليغ فقط ام تحسب ان اكثرهم
يسمعون او يعقلون ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا ام منقطعة معناه بل اتحسب كان هذه
المذمة اشد من التي تقدمتها حتى حقت بالاضراب عنها اليها وهي كونهم مسلوبي الاسماع
والعقول لانهم لا يلقون الى استماع الحق اذنا ولا الى تدبره عقلا ومشبهين بالانعام التي هي مثل
في الغفلة والضلالة فقد ركبهم الشيطان بالاستذلال لتركهم الاستدلال ثم ارجح ضلالتهم على
لان الانعام تسبح ربها وتسجد له وتطيع من يعلفها وتعرف من يحسن اليها ممن يسيء اليها وتطلب
ما ينفعها وتجتنب ما يضرها وتهتدي لمراعيها ومشاربها وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا يعرفون
احسانه اليهم من اساءة الشيطان الذي هو عدوهم ولا يطلبون الثواب الذي هو اعظم
المنافع ولا يتقون العقاب الذي هو اشد المضار والمهالك ولا يهتدون للحق الذي هو المشرع
المهني والعذب الروي وقالوا للملائكة روح وعقل وللبهائم نفس وهوى والآدمي مجمع الكل
ابتلاء فان غلبته النفس والهوى فضلته الانعام وان غلبه الروح والعقل فضل الملائكة الكرام
وانما ذكر الاكثر لان فيهم من لم يصده عن الاسلام الا حب الرياسة وكفى به داء عضالا ولان
فيهم من آمن الم تر الى ربك الم تنظر الى صنع ربك وقدرته كيف مد الظل اي بسطه فعم الارض
وذلك من حين طلوع الفجر الى وقت طلوع الشمس في قول الجمهور لانه ظل ممدود لا شمس معه
ولا ظلمة وهو كما قال في ظل الجنة وظل ممدود لا شمس معه ولا ظلمة ولو شاء لجعله ساكنا اي دائما

لا يزول ولا تذهب الشمس ثم جعلنا الشمس عليه على الظل دليلا لانه بالشمس يعرف الظل ولولا الشمس
لا يعرف الظل والاشياء تعرف باضدادها ثم قبضناه اي اخذنا ذلك الظل الممدود الينا الى حيث اردنا
قبضا يسيرا سهلا غير عسير او قليلا قليلا اي جزءا فجزءا بالشمس التي تاتي عليه وجاء بثم لتفاضل ما
بين الامور فكان الثاني اعظم من الاول والثالث من الثاني شبه تباعد ما بينهما في الفضل بتباعد ما
بين الحوادث في الوقت وهو الذي جعل لكم الليل لباسا جعل الظلام الساتر كاللباس والنوم سباتا
راحة لابدانكم وقطعا لاعمالكم والسبت القطع والنائم مسبوت لانه انقطع عمله وحركته وقيل
السبات الموت والمسبوت الميت لانه مقطوع حياته وهو كقوله وهو الذي يتوفيكم بالليل
ويعضده ذكر النشور في مقابلته وجعل النهار نشورا اذ النشور اي انبعاث من النوم كنشور
الميت او ينشر فيه الخلق للمعاش وهذه الآية مع دلالتها على قدرة الخالق فيها اظهار النعمة
على خلقه لان في الاحتجاب بستر الليل فوائد دينية ودنيوية وفي النوم واليقظة المشبهين
بالموت والحيوة عبرة لمن اعتبر وقال لقمان لابنه كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشر وهو الذي
ارسل الرياح الريح مكي والمراد به الجنس بشرا تخفيف بشر جمع بشور بين يدي رحمته
قدام المطر لانه ريح ثم سحاب ثم مطر وهذه استعارة مليحة وانزلنا من السماء ماء طهورا
بليغا في طهارته والطهور صفة كقولك ماء طهور اي طاهر واسم كقولك لما يتطهر به طهور
كالوضوء والوقود لما يتوضا به وتوقد به النار ومصدر بمعنى التطهر كقولك تطهرت طهورا
حسنا ومنه قوله عليه الصلوة والسلام لا صلوة الا بطهور اي بطهارة وما حكي عن ثعلب هو
كان طاهرا في نفسه مطهرا لغيره وهو مذهب الشافعي ان كان هذا زيادة بيان لطهارته
فحسن ويعضده قوله تعالى وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به والا فليس فعول من التفعيل
في شيء وقياسه على ما هو مشتق من الافعال المتعدية كقطوع ومنوع غير سديد لان بناء
الفعول للمبالغة فان كان الفعل متعديا فالفعول متعد وان كان لازما فلازم لنحيي به
بالمطر بلدة ميتا ذكر ميتا على ارادة البلد والمكان ونسقيه مما خلقنا انعاما واناسي كثيرا
اي ونسقي الماء البهائم والناس ومما خلقنا حال من انعاما واناسي اي انعاما مما خلقنا وسقى
واسقى لغتان وقرا المفضل والبرجمي ونسقيه والاناسي جمع انسي على القياس ككرسي وكراسي

او انسان واصله اناسين كسرحان وسراحين فابدلت النون ياء وادغمت وقدم احياء الارض
على سقي الانعام والاناسي لان حيوتها سبب لحيوتهما فقدم ما هو سبب حيوتهما على سقيهما
وتخصيص الانعام من بين الحيوان الشارب لان عامة منافع الاناسي متعلقة بها فكان
الانعام بسقي الانعام كالانعام بسقيهم وتنكير الانعام والاناسي ووصفهما بالكثرة لان اكثر
الناس مستحون بالقرب من الاودية والانهار فبهم غنية عن سقي الماء واعقابهم وهم كثير
يعيشون بما ينزل الله من رحمته وتنكير البلدة لانه يريد بعض بلاد هؤلاء المتبعدين عن
مظان الماء ولما كان سقي الاناسي من جملة ما انزل له الماء وصفه بالطهورية شرط للاحياء
ولقد صرفناه بينهم ليذكروا ليذكروا حمزة وعلي يريد ولقد صرفنا هذا القول بين الناس في القرآن
وفي ساير الكتب المنزلة على الرسل وهو ذكر انشاء السحاب وانزل المطر ليتفكروا ويعتبروا او
يعرفوا حق النعمة فيه ويشكروا فابى اكثر الناس الا كفورا فابى اكثرهم الا كفران النعمة و
جحودها وقلة الاكتراث لها او صرفنا المطر بينهم في البلدان المختلفة والاوقات المتغايرة
وعلى الصفات المتفاوتة من وابل وطل وجود ورزاد وديمة فابوا الا كفورا وان يقولوا
مطرنا بنوء كذا ولا يذكروا صنع الله ورحمته وعن ابن عباس رض ما من عام اقل مطرا من
عام ولكن يصرفه حيث يشاء والاية وروى ان الملائكة يعرفون عدد المطر ومقداره في كل
عام لانه لا يختلف ولكن يختلف فيه البلاد وينتزع من هنا جواب في تنكير البلدة و
الانعام والاناسي ومن نسب الامطار الى الانواء وجحد ان تكون هي والانواء من خلق الله كفر
وان راى ان الله تعالى خالقها وقد نصب الانواء امارات ودلالات عليها لم يكفر ولو شئنا
لبعثنا في كل قرية نذيرا فلا تطع الكافرين اي لو شئنا لخففنا عنك اعباء نذارة جميع القرى
ولبعثنا في كل قرية نبيا ينذرها ولكن شئنا ان نجمع لك فضائل جميع المرسلين بالرسالة الى
كافة العالمين فقصرنا الامر عليك وعظمناك به فتكون وحدك كلهم ولذا خوطب بالجمع يا ايها
الرسل فقابل ذلك بالشكر والتشدد والتصبر ولا تطع الكافرين فيما يدعونك اليه من موافقتهم
ومداهنتهم وكما اثرتك على جميع الانبياء فاثر رضائي على جميع الاهواء واريد بهذا تهييج
وتهييج المومنين وتحريكهم وجاهدهم به اي بالله يعني بعونه وتوفيقه او بالقرآن اي جادلهم

وقرعهم

وقرعهم بالعجز عنه جهادا كبيرا عظيما موقعه عند الله لما يحتمل فيه من المشاق ويجوز ان يرجع
الضمير في به الى ما دل عليه ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا من قرية فاجتمعت على رسول الله صلى الله
عليه وسلم تلك المجاهدات فكبر جهاده من اجل ذلك وعظم فقال له وجاهدهم بسبب كونك
نذير كافة القرى جهادا كبيرا جامعا لكل مجاهدة وهو الذي مرج البحرين خلاهما متجاورين
متلاصقين تقول مرجت الدابة اذا خليتها ترعى وسمى الماءين الكثيرين الواسعين بحرين
هذا اي احدهما عذب فرات صفة لعذب اي شديد العذوبة حتى يقرب الى الحلاوة
وهذا ملح اجاج صفة لملح اي شديد الملوحة وجعل بينهما برزخا حايلا من قدرته يفصل
الى بينهما ويمنعهما التمازج فهما في الظاهر مختلطان وفي الحقيقة منفصلان وحجرا محجورا
وسترا ممنوعا عن الاعين كقوله حجابا مستورا وهو الذي خلق من الماء بشرا انسانا فجعله
نسبا وصهرا اراد تقسيم البشر قسمين ذوي نسب اي ذكورا ينسب اليهم فيقال فلان بن فلان
وفلانة بنت فلان وذوات صهر اي اناثا يصاهر بهن هو كقوله فجعل منه الزوجين الذكر
والانثى وكان ربك قديرا حيث خلق من النطفة الواحدة بشرا زوجين ذكرا وانثى وقيل
فجعله نسبا اي قرابة وصهرا اي مصاهرة يعني الوصلة بالنكاح من باب الانساب لان التواصل
يقع بها وبالمصاهرة لان التوالد يكون بها ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ان عبدوه
ولا يضرهم ان تركوه وكان الكافر على ربه على معصية ربه ظهيرا معينا ومظاهرا وفعيل بمعنى
مفاعل غير عزيز والظهير والظاهر كالعوين والمعاون والمظاهرة المعاونة والمعنى
ان الكافر بعبادة الصنم يتابع الشيطان ويعاهد على معصية الرحمن وما ارسلناك الا
مبشرا للمومنين ونذيرا منذرا للكافرين قل ما اسالكم عليه على التبليغ من اجر جعل شال
الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا والمراد الا فعل من شاء واستثناؤه عن الاجر قول ذي
شفقة عليك قد سعى لك في تحصيل مال ما اطلب منك ثوابا على ما سعيت الا ان
تحفظ هذا المال ولا تضيعه فليس حفظك المال لنفسك من جنس الثواب ولكن صوره
بصورة الثواب كانه يقول ان حفظت مالك اعد حفظك بمنزلة الثواب لي ورضاي
به كرضى المثاب بالثواب ولعمري انه عليه الصلوة والسلام مع امته بهذا الصدد ومعنى

اتخاذهم الى الله سبيلا تقربهم اليه بالايمان والطاعة او بالصدقة والنفقة وقيل المراد ولكن من يشاء
ان يتخذ بالانفاق الى رضاء ربه سبيلا فليفعل وقيل تقديره لا اسالكم على ما ادعوكم اليه اجرا الا اتخاذ
المدعو سبيلا الى ربه بطاعته فذلك اجرى لان الله تعالى ياجرنى عليه وتوكل على الحى الذى لا يموت
اتخذ من لا يموت وكيلا لا يكلك الى من يموت ذليلا يعنى ثق به واسند امرك اليه فى استكفاء شرورهم
ولا تتكل على حى يموت وقرءها بعض الصالحين فقال لا يصح لذى عقل ان يثق بعدها بمخلوق
والتوكل الاعتماد عليه فى كل امر وسبح ونزهه عن ان يكل الله الى غيره من توكل عليه الله بحمده
بتوفيقه الذى يوجب او قل سبحان الله وبحمده او نزهه عن كل العيوب بثناء يثنى عليه و
كفى به بذنوب عباده خبيرا اى كفى الله خبيرا بذنوب عباده يعنى انه خبير باحوالهم كاف فى جزاء
اعمالهم الله الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة ايام اى فى مدة مقدارها هذه المدة
لانه لم يكن حينئذ ليل ولا نهار وروى عن مجاهد اولها يوم الاحد واخرها يوم الجمعة وانما
خلقها فى ستة ايام وهو يقدر على ان يخلقها فى لحظة تعليما لخلقه الرفق والتثبت ثم استوى
على العرش الرحمن اى هو الرحمن فالرحمن خبر مبتداء محذوف او بدل عن الضمير فى استوى
او الذى خلق مبتداء محذوف والرحمن خبره فاسال بلا همزة مكى وعلى به صلة سل كقوله
سال سائل بعذاب واقع كما يكون عن صلته فى قوله ثم لتسالن يومئذ عن النعيم فسال به
كقولك اهتم به واشتغل واسال عنه كقولك بحث عنه وفتش عنه او صلة خبيرا او
يكون خبيرا مفعول سل اى فسال عنه رجلا عارفا يخبرك برحمته او فسال رجلا خبيرا به
وبرحمته او الرحمن اسم من اسماء الله مذكور فى الكتب المتقدمة ولم يكونوا يعرفونه فقيل
فسال بهذا الاسم من يخبرك من اهل الكتاب حتى يعرف من ينكره ومن ثمة كانوا يقولون
ما نعرف الرحمن الا الذى باليمامة يعنى مسيلمة وكان يقال له رحمن اليمامة واذا قيل لهم
اى اذا قال محمد عليه الصلوة والسلام للمشركين اسجدوا للرحمن صلوا لله واخضعوا قالوا و
ما الرحمن اى لا نعرف الرحمن فنسجد له فهذا سوال عن المسمى به لانهم ما كانوا يعرفونه بهذا
الاسم والسوال عن المجهول بما او عن معناه لانه لم يكن مستعملا فى كلامهم كما استعمل الرحيم والراحم
والمرحوم انسجد لما تامرنا للذى تامرنا بالسجود له او لامرك بالسجود يا محمد من غير علم منا به

يامرنا على وحمزة كان بعضهم قال لبعض انسجد لما يامرنا محمد او يامرنا المسمى بالرحمن ولا نعرف
ما هو وقد عاندوا لان معناه عند اهل اللغة ذو الرحمة التى لا غاية بعدها فى الرحمة لان فعلان
من المبالغة تقول رجل عطشان اذا كان فى نهاية العطش وزادهم قول اسجدوا للرحمن نفورا
تباعدا عن الايمان تبارك الذى جعل فى السماء بروجا هى منازل الكواكب السبعة السيارة
لكل كوكب بيتان يقوى حاله فيهما وللشمس بيت وللقمر بيت فالحمل والعقرب بيتا المريخ
والثور والميزان بيت الزهرة والجوزا والسنبلة بيت العطارد والسرطان بيت القمر والاسد
بيت الشمس والقوس والحوت بيتا المشترى والجدى والدلو بيتا الزحل وهذه البيوت
والبروج مقسومة على الطبائع الاربع فيصيب كل واحد منها ثلثة بروج فالحمل والاسد
والقوس مثلثة نارية والثور والسنبلة والجدى مثلثة ارضية والجوزا والميزان والدلو
مثلثة هوائية والسرطان والعقرب والحوت مثلثة مائية سميت بالبروج التى هى القصور
العالية لانها لهذه الكواكب كالمنازل لسكانها واشتقاق البروج من التبرج لظهوره وعنه
قال الحسن وقتادة ومجاهد البروج هى النجوم الكبار لظهورها وجعل فيها فى السماء سراجا
يعنى الشمس لتوقدها سرجا حمزة وعلى اى نجوما وقمرا منيرا مضيئا بالليل وهو الذى جعل
الليل والنهار خلفة فعلة من خلف كالركبة من ركب وهى الحالة التى تخلف عليها الليل و
النهار كل واحد منهما الاخر والمعنى جعلهما ذوى خلفة يخلف احدهما الاخر عند مضيه و
يخلفه فى قضاء ما فاته من الورد لمن اراد ان يذكر يتدبر فى تسخيرهما واختلافهما فيعرف مدبرهما
يذكر حمزة وخلف اى يذكر الله فيقضى اوراده او اراد شكورا اى يشكر نعمة ربه عليه فيهما وعباد
الرحمن مبتداء خبره الذين يمشون وما بعده صفة والاضافة الى الرحمن للتخصيص والتفضيل
وصف اولياءه بعد وصف اعداءه على الارض هونا حال او صفة للمشى اى هينين او مشيا
هينا والهون الرفق واللين اى يمشون بسكينة ووقار وتواضع دون مرح واختيال وتكبر
فلا يضربون باقدامهم ولا يخفقون بنعالهم اشرا وبطرا ولذا كره بعض العلماء الركوب فى
الاسواق ولقوله ويمشون فى الاسواق واذا خاطبهم الجاهلون اى السفهاء بما يكرهون قالوا
سلاما سدادا من القول يسلمون فيه من الايذاء والاثم او تسلما منكم نتارككم ولا نجاهلكم

فاقيم السلام مقام التسليم وقيل نسختها اية القتال ولا حاجة الى ذلك فالاغضاء عن السفهاء مستحسن
شرعا ومروة هذا وصف نهارهم ثم وصف ليلهم بقوله والذين يبيتون لربهم سجدا جمع ساجد
وقياما جمع قايم والبيتوتة خلاف الظلول وهي ان يدركك الليل نمت اولم تنم وقالوا من قرا
شيا من القران في صلوة وان قل فقد بات ساجدا وقايما وقيل هما الركعتان بعد المغرب والركعتان بعد
العشاء والظاهر انه وصفهم باحياء الليل او اكثره والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم
ان عذابها كان غراما هلاكا لازما ومنه الغريم لملازمته وصفهم باحياء الليل ساجدين وقايمين
ثم عقبه بذكر دعوتهم هذه ايذانا بانهم مع اجتهادهم خايفون مبتهلون الى الله في صرف العذاب
عنهم انها ساءت مستقرا ومقاما اى جهنم وساءت في حكم بئست وفيها ضمير مبهم يفسره مستقرا
والمخصوص بالذم محذوف معناه ساءت مستقرا ومقاما هي وهذا الضمير هو الذي ربط
الجملة باسم ان وجعلها خبرا لها او بمعنى احزنت وفيها ضمير اسم ان ومستقرا حال او تمييز ويصح
ان يكون التعليلان متداخلين ومترادفين وان يكونا من كلام الله تعالى وحكاية لقولهم والذين
اذا انفقوا لم يسرفوا لم يجاوزوا الحد في النفقة او لم ياكلوا للتنعم ولم يلبسوا للتصلف وعن
ابن عباس رض لم ينفقوا في المعاصي فالاسراف مجاوزة حد الامر لا مجاوزة القدر وسمع رجل
رجلا يقول لا خير في الاسراف فقال لا اسراف في الخير وقال عليه الصلوة والسلام من منع حقا فقد
قتر ومن اعطى في غير حق فقد اسرف ولم يقتروا بضم التاء كوفي وبضم الياء وكسر التاء مدني
وشامي وبفتح الياء وكسر التاء مكي وبصري والقتر والاقتار والتقتير التضييق الذي هو
نقيض الاسراف وكان اى انفاقهم بين ذلك اى الاسراف والتقتير قواما عدلا بينهما فالقوام
العدل بين الشيئين والمنصوبان اى بين ذلك قواما خبران وصفهم بالقصد الذي هو بين
الغلو والتقصير وبمثله امر عليه الصلوة والسلام ولا تجعل يدك مغلولة الاية وسال عبد الملك
بن مروان عمر بن عبد العزيز عن نفقته حين زوجه ابنته فقال الحسنة بين السيئتين فعرف عبد الملك
انه اراد ما في هذه الاية وقيل اولئك اصحاب محمد عليه الصلوة والسلام كانوا لا ياكلون طعاما
للتنعم واللذة ولا يلبسون ثيابا للجمال والزينة ولكن لسد الجوعة وستر العورة ودفع الحر
والبرد وقال عمر رض كفى سرفا ان لا يشتهي رجل شيئا الا اكله والذين لا يدعون مع الله الها

اخر اى لا يشركون ولا يقتلون النفس التي حرم الله اى حرمها يعني حرم قتلها الا بالحق بقود
او رجم او ردة او شرك او سعي في الارض بالفساد وهو متعلق بالقتل المحذوف اى بلا يقتلون
ولا يزنون ونفي هذه الكبائر عن عباده الصالحين تعريض لما كان عليه اعداءهم من قريش وغيرهم
كانه قيل والذين طهرهم الله مما انتم عليه ومن يفعل ذلك اى المذكور يلق اثاما جزاء الاثم يضاعف
بدل من يلق لانهما في معنى واحد اذ مضاعفة العذاب هي لقي الاثام كقوله متى تاتنا تلمم بنا في
ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تاججا فجزم تلمم لانه بمعنى تاتنا اذ الاتيان هو الالمام يضعف
مكي ويزيد ويعقوب يضعف شامي يضاعف ابو بكر على الاستيناف او على الحال ومعنى يضاعف
له العذاب يوم القيمة اى يعذب على مرور الايام في الاخرة عذابا على عذاب وقيل اذا ارتكب
المشرك معاصي مع الشرك عذب على الشرك وعلى المعاصي جميعا فتضاعف العقوبة لمضاعفة
المعاقب عليه ويخلد جزم جازم يضاعف ورفعه رافعه لانه معطوف عليه فيه في العذاب
فيهي مكي وحفص بالاشباع وانما خص حفص الاشباع بهذه الكلمة مبالغة في الوعيد والعرب
تمد للمبالغة مع ان الاصل في هاء الكناية الاشباع مهانا اى ذليلا الا من تاب عن الشرك وهو
الاستثناء من الجنس في موضع النصب وامن بمحمد عليه الصلوة والسلام وعمل عملا صالحا بعد
توبته فاولئك يبدل الله سيأتهم حسنات اى يوفقهم للمحاسن بعد القبايح او يمحوها بالتوبة
ويثبت مكانها الحسنات الايمان والطاعة ولم يرد به ان السيئة بعينها تصير حسنة ولكن
المراد ما ذكرنا يبدل مخففا البرجمي وكان الله غفورا يكفر السيات رحيما يبدلها بالحسنات
ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا اى ومن تاب وحقق التوبة بالعمل الصالح
فانه بذلك تايب الى الله متابا مرضيا عنده مكفرا للخطايا محصلا للثواب والذين لا يشهدون
الزور اى الكذب يعني ينفرون عن محاضر الكذابين ومجالس الخطائين فلا يقربونها تنزها
عن مخالطة الشر واهله اذ مشاهدة الباطل شركة فيه ولذلك قيل في النظارة الى ما لم تسوغه
الشريعة هم شركاء فاعليه في الاثم لان حضورهم ونظرهم دليل الرضا به وسبب وجود
الزيادة فيه وفي مواعظة عيسى عليه السلام اياكم ومجالسة الخطائين او لا يشهدون شهادة
الزور على حذف المضاف وعن قتادة المراد مجالس الباطل وعن ابن الحنفية لا يشهدون اللهو

والغناء واذا مروا باللغو بالفحش وكل ما ينبغي ان يلغى ويطرح والمعنى واذا مروا باهل اللغو و
المشتغلين به مروا كراما معرضين عنه مكرمين انفسهم عن التلوث به كقوله واذا سمعوا
اللغو اعرضوا عنه وعن الباقر اذا ذكروا الفروج كفوا عنها والذين اذا ذكروا بايات ربهم
اى قرئ عليهم القران او وعظوا بالقران لم يخروا عليها صما وعميانا ليس هذا نفي للخرور بل هو
اثبات له ونفي للصمم والعمى ونحوه لا يلقاني زيد مسلما هو نفي السلام لا اللقاء والمعنى انهم اذا ذكروا
بها سجدوا وبكوا سامعين باذان واعية مبصرين بعيون راعية لما امروا به ونهوا عنه
كالمنافقين واشباههم دليله قوله وممن هدينا واجتبينا اذا تتلى عليهم ايات الرحمن خروا
سجدا وبكيا والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا من للبيان كانه قيل هب لنا قرة اعين
ثم بينت القرة وفسرت بقوله من ازواجنا وذرياتنا ومعناه ان يجعلهم الله لهم قرة اعين
وهو من قولهم رايت منك اسدا اى انت اسد او للابتداء على معنى هب لنا من جهتهم ما
تقر به عيوننا من طاعة وصلاح وذريتنا ابو عمرو وكوفي غير حفص لارادة الجنس وغيرهم
ذرياتنا قرة اعين انما نكر لاجل تنكير القرة لان المضاف لا سبيل الى تنكيره الا بتنكير المضاف
اليه كانه قال هب لنا منهم سرورا وفرحا وانما قيل اعين على القلة دون عيون لان المراد
اعين المتقين وهي قليلة بالاضافة الى عيون غيرهم قال الله تعالى وقليل من عبادى الشكور
ويجوز ان يقال في اعين انها اعين خاصة وهي اعين المتقين والمعنى انهم سالوا ربهم ان
يرزقهم ازواجا واعقابا عمالا لله يسرون بمكانهم وتقر بهم عيونهم وقيل ليس شيء اقر
بعين المؤمن ان يرى زوجته واولاده مطيعين لله وعن ابن عباس رض هو الولد اذا راه
يكتب واجعلنا للمتقين اماما اى ائمة يقتدى بنا في الدين فاكتفى بالواحد لدلالته على الجنس
ولعدم اللبس او وجعل كل واحد منا اماما وقيل في الاية ما يدل على ان الرياسة في الدين
يجب ان يطلب ويرغب فيها اولئك يجزون الغرفة اى الغرفات وهي العلالي في الجنة فوحد
اقتصارا على الواحد الدال على الجنس دليله قوله وهم في الغرفات آمنون بما صبروا بصبرهم
على الطاعات وعن الشهوات وعلى اذى الكفار ومجاهدتهم وعلى الفقر وغير ذلك ويلقون
فيها ويلقون كوفي غير حفص تحية دعاء بالتعمير وسلاما ودعاء بالسلامة يعني ان الملائكة

يحيونهم

يحيونهم ويسلمون عليهم او يحيي بعضهم بعضا ويسلم عليه خالدين فيها حسنت اى الغرفة مستقرا
ومقاما موضع قرار واقامة وهي في مقابلة ساءت مستقرا ومقاما قل ما يعبؤ بكم ربي لولا
دعاؤكم ما بمعنى الاستفهام وهي في محل النصب ومعناه ما يصنع بكم ربي لولا دعاؤه اياكم الى الاسلام
او لولا عبادتكم له اى انه خلقكم لعبادته لقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اى
الاعتبار عند ربكم بعبادتكم او ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه آلهة وهو كقوله ما يفعل الله
بعذابكم ان شكرتم فقد كذبتم رسولي يا اهل مكة فسوف يكون العذاب لزاما اى ذا لزام او
ملازما وضع مصدر لزم موضع اسم الفاعل قال الضحاك ما يعبأ بالى بمغفرتكم لولا
دعاؤكم معه الها آخر سورة الشعرى مكية الا والشعراء يتبعهم الغاوون الى آخر السورة وهي مائتان

وسبع وعشرون او وست وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

طسم طس ويس وحم ممال كوفي غير الاعشى والبرجمي وحفص ويظهر النون عند الميم يزيد
وحمزة وغيرهما يدغمها تلك ايات الكتاب المبين الظاهر اعجازه وصحته انه من عند الله و
المراد به السورة او القران والمعنى ايات هذا المؤلف من الحروف المبسوطة تلك ايات
الكتاب المبين لعلك باخع قاتل لعل للاشفاق من الحزن يعني اشفق على نفسك ان تقتلها
حسرة وحزنا على ما فاتك من اسلام قومك الا يكونوا مؤمنين لئلا يؤمنوا او لامتناع ايمانهم
او خيفة ان لا يؤمنوا ان نشا ايمانهم ننزل عليهم من السماء آية دالة واضحة اى ملجئة الى الايمان
وعطف على ننزل فظلت اى فتظل لان الجزاء يقع فيه بلفظ الماضي في معنى المستقبل تقول
ان زرتني اكرمتك اكرمك كذا قاله الزجاج اعناقهم رؤساؤهم ومقدموهم او جماعاتهم
يقال جاءنا عنق من الناس لفوج منهم لها خاضعين منقادين وعن ابن عباس رض نزلت
فينا وفي بني امية فتكون لنا عليهم الدولة فتذل لنا اعناقهم بعد صعوبة ويلحقهم هوان
بعد عزة وما ياتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين اى وما يجدد لهم الله
بوحيه موعظة وتذكيرا الا جددوا اعراضا عنه وكفرا به فقد كذبوا محمدا فيما اتيهم به
فسياتيهم فسيعلمون انباء اخبار ما كانوا به يستهزؤون وهذا وعيد لهم وانذار بانهم سيعلمون
اذا مسهم عذاب الله يوم بدر او يوم القيمة ما الشيء الذي كانوا يستهزؤون به وهو القران

وسيايتهم انباءه واحواله التى كانت حافية عليهم ولم يروا الى الارض كم انبتنا كم نصب باببنتنا
فيها من كل زوج صنف من النبات كريم محمود كثير المنفعة ياكل منه الناس والانعام كالرجل الكريم
الذى نفعه عام وفائدة الجمع بين كلمتى الكثرة والاحاطة ان كلمة كل تدل على الاحاطة بازواج
النبات على سبيل التفصيل وكم تدل على ان هذا المحيط متكاثر بفرط الكثرة وبه ينبه على كمال قدرته
ان فى ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين اى ان فى ذلك انبات تلك الاصناف لاية على ان منبتها
قادر على احياء الموتى وقد علم الله تعالى ان اكثرهم مطبوع على قلوبهم غير مرجو ايمانهم وان
ربك لهو العزيز فى انتقامه من الكفرة الرحيم لمن امن منهم ووحدانية مع الاخبار بكثرتها لان
ذلك مشار به الى مصدر انبتنا والمراد ان فى كل واحد من تلك الازواج لاية اى آية واذ منصوب
به اى اذكر اذ نادى دعا ربك موسى ان ائت ان بمعنى اى القوم الظالمين انفسهم بالكفر وبنى
اسرائيل بالاستعباد وذبح الاولاد سجل عليهم بالظلم ثم عطف قوم فرعون عطف البيان
كان معنى القوم الظالمين وترجمة قوم فرعون فكانهما عبارتان تعتقبان على مؤدى واحد
الا يتقون اى سهم راجزا فقال لهم ان يتقوا وهى كلمة حث واغراء ويحتمل انه حال من الضمير
فى الظالمين اى يظلمون غير متقين الله وعقابه فادخلت همزة الانكار على الحال قال رب
انى اخاف الخوف غم يلحق الانسان لامر سيقع ان يكذبون ويضيق صدرى بتكذيبهم اياى
مستانف او عطف على اخاف ولا ينطلق لسانى بان تغلبنى الحمية على ما ارى من المحال واسمع
من الجدال وبنصبهما يعقوب عطفا على يكذبون فالخوف متعلق بهذه الثلثة على هذا التقدير
وبالتكذيب وحده بتقدير الرفع فارسل الى هرون فارسل اليه جبرئيل واجعله نبيا يعيننى
على الرسالة وكان هارون بمصر حين بعث موسى نبيا بالشام ولم يكن هذا التماس من موسى
عليه السلام توقفا فى الامتثال بل التماس عون فى تبليغ الرسالة وتمهيدا لعذر فى التماس
المعين على تنفيذ الامر بتوقف فى امتثال الامر وكفى بطلب العون دليلا على التقبل لا على التعلل
ولهم على ذنب وليس اى تبعة ذنب بقتل القبطى فحذف المضاف او سمى تبعة الذنب ذنبا
كما سمى جزاء السيئة سيئة فاخاف ان يقتلون ان يقتلونى به قصاصا وليس هذا تعللا ايضا
بل استدفاع للبلية المتوقعة وفرق من ان يقتل قبل اداء الرسالة ولذا وعده بالكلاءة والدفع

بكلمة الردع وجمع له الاستجابتين معا فى قوله قال كلا فاذهبا لانه استدفعه بلاءهم فوعده
الدفع بردعه عن الخوف والتمس منه رسالة اخيه فاجابه بقوله اذهبا اى جعلته رسولا
معك فاذهبا وعطف فاذهبا على الفعل الذى يدل عليه كلا كانه قيل ارتدع يا موسى عما
تظن فاذهب انت وهارون باياتنا مع اياتنا وهى اليد والعصا وغير ذلك انا معكم اى معكما
بالعون والنصرة ومع من ارسلتما اليه بالعلم والقدرة مستمعون خبر لان ومعكم لغوا وهما
خبر لان اى سامعون فالاستماع فى غير هذا الاصغاء للسماع يقال استمع الى حديثه اى اصغى اليه
ولا يجوز حمله ههنا على ذلك فحمل على السماع فاتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين
ولم يثن الرسول كما ثنى فى قوله انا رسولا ربك لان الرسول يكون بمعنى المرسل وبمعنى الرسالة
فجعل ثمة بمعنى المرسل فلم يكن بد من تثنيته وجعل ههنا بمعنى الرسالة فيستوى فى الوصف
به الواحد والتثنية والجمع ولانهما لاتحادهما واتفاقهما على شريعة واحدة كانهما رسول
واحد او اريد ان كل واحد منهما ان ارسل بمعنى اى ارسل لتضمن الرسول معنى الارسال وفيه
معنى القول معنا بنى اسرائيل يريد خلهم يذهبوا معنا الى فلسطين وكانت مسكنهما فاتيا بابه
فلم يؤذن لهما سنة حتى قال البواب ان ههنا انسانا يزعم انه رسول رب العالمين
فقال ائذن له لعلنا نضحك منه فاديا اليه الرسالة فعرف فرعون موسى فعند ذلك قال الم
نربك فينا وليدا وانما حذف فاتيا فرعون فقولا له ذلك اختصارا والوليد الصبى لقرب
عهده من الولادة اى الم تكن صغيرا فربيناك ولبثت فينا من عمرك سنين قيل ثلثين سنة
وفعلت فعلتك التى فعلت يعنى قتل القبطى فعرض اذ كان ملكا وانت من الكافرين
بنعمتى حيث قتلت خبازى او كنت على ديننا الذى تسميه كفرا وهذا افتراء منه عليه لانه
معصوم من الكفر وكان يعايشهم بالتقية قال فعلتها اذا اى اذ ذاك وانا من الضالين
من الجاهلين بانها تبلغ القتل والضال على الشئ هو الذاهب عن معرفته او الناسين من قوله
ان تضل احديهما فتذكر احديهما الاخرى فدفع وصف الكفر عن نفسه ووضع الضالين
موضع الكافرين واذا جواب وجزاء وهذا الكلام وقع جوابا لفرعون وجزاء له
لان قول فرعون وفعلت فعلتك التى معناه انك جازيت نعمتى بما فعلت فقال له موسى

نعم فعلتها مجازيا لك تسليما لقوله لان نعمته كانت جديرة بان يجازى بنحو ذلك الجزاء ففررت
منكم الى مدين لما خفتكم ان تقتلوني وذلك حين قال له مؤمن من آل فرعون ان الملاء يأتمرون
بك ليقتلوك فاخرج الآية فوهب لي ربي حكما نبوة وعلما او ازال العمى الجهل والضلالة وجعلني
من المرسلين من جملة رسله وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرائيل كر على امتنانه عليه
بالتربية فابطله من اصله وابى ان تسمى نعمته الا نقمة حيث بين ان حقيقة انعامه عليه تعبيد
بني اسرائيل لان تعبيدهم وقصدهم بذبح ابنائهم هو السبب في حصوله عنده وتربيته ولو
تركهم لرباه ابواه فكان فرعون امتن على موسى بتعبيد قومه واخراجه من حجر ابويه
اذا حققت وتعبيدهم تذليلهم واتخاذهم عبيدا ووحد الضمير في تمنها وعبدت وجمع
في منكم وخفتكم لان الخوف والفرار لم يكونا منه وحده ولكن منه ومن ملائه المؤتمرين
بقتله بدليل قوله ان الملاء يأتمرون بك ليقتلوك واما الامتنان فمنه وحده وكذا
التعبيد وتلك اشارة الى خصلة شنعاء مبهمة لا تدرى ما هي الا بتفسيرها ومحل ان عبدت
الرفع عطف بيان لتلك اى تعبيدك بني اسرائيل نعمة تمنها علي قال فرعون وما رب العالمين
اى انك تدعي انك رسول رب العالمين فما صفته لانك اذا اردت السؤال عن صفة زيد
تقول ما زيد يعني اطويل ام قصير افقيه ام طبيب نص عليه صاحب كشاف وغيره قال موسى
مجيبا له على وفق سؤاله رب السموات والارض وما بينهما اى وما بين الجنسين ان كنتم
موقنين اى ان كنتم تعرفون الاشياء بالدليل فكفى خلق هذه الاشياء دليلا او ان كان يرجى
منكم الايقان الذي يؤدي اليه النظر الصحيح نفعكم هذا الجواب والا لم ينفع والايقان
العلم الذي يستفاد بالاستدلال ولذا لا يقال الله موقن قال اى فرعون لمن حوله من اشراف
قومه وهم خمسمائة رجل عليهم الاساور وكانت للملوك خاصة الا تستمعون معجبا قومه
من جوابه لانهم يزعمون قدمهما وينكرون ان لهما ربا فاحتاج موسى الى ان يستدل بما شاهدوا
حدوثه وفناءه فاستدل حيث قال ربكم ورب ابائكم الاولين اى هو خالقكم وخالق ابائكم
فان لم تستدلوا بغيركم فبانفسكم وانما قال ورب ابائكم لان فرعون كان يدعي الربوبية على
الربوبية على اهل عصره دون من تقدمهم قال اى فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون

حيث يزعم ان في الوجود الها غيري وكان ينكر الهية غيره قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم
تعقلون فتستدلون بما اقول فتعرفون ربكم وهذا غاية الارشاد حيث عمم اولا بخلق السموات
والارض وما بينهما ثم خصص من العام للبيان انفسهم واباءهم لان اقرب المنظور فيه من
العاقل نفسه ومن ولد منه وما شاهد من احواله من وقت ميلاده الى وقت وفاته ثم خص
المشرق والمغرب لان طلوع الشمس من احد الخافقين وغروبها في الاخر على طريق مستقيم في فصول
السنة وحساب مستو من اظهر ما استدل به ولظهوره انتقل الى الاحتجاج به خليل الرحمن عن
الاحتجاج بالاحياء والاماتة على نمرود بن كنعان وقيل ساله فرعون عن المائية جاهلا
عن حقيقة سؤاله فلما اجاب موسى بحقيقة الجواب وقع عنده ان موسى حاد عن الجواب
حيث ساله عن المائية وهو يجيب عن ربوبيته واثار صنعه فقال معجبا لهم من جواب
موسى الا تستمعون فعاد موسى مثل قوله الاول فحسبه فرعون زاعما انه حائد عن الجواب فعاد
ثالثا الى مثل كلامه الاول مبينا ان الفرد الحقيقي انما تعرف بالصفات وان الصفات وان
السؤال عن المائية محال واليه الاشارة في قوله ان كنتم تعقلون اى ان كان لكم عقل علمتم انه
لا يمكن معرفته الا بهذا الطريق فلما تحير فرعون ولم يتهيأ له ان يدفع ظهور اثار صنعته قال
لئن اتخذت الها غيري اى غيرى الها لاجعلنك من المسجونين واحدا ممن عرفت حالهم في
سجوني وكان من عادته ان ياخذ من يريد سجنه فيطرحه في هوية ذاهبة في الارض بعيدة
العمق فردا لا ينصرف فيها ولا يسمع وكان ذلك اشد من القتل واشد ولو قيل لاسجننك
لم يؤد هذا المعنى وان كان اخصر قال اولو جئتك الواو للحال دخلت عليها همزة الاستفهام
اى اتفعل بي ذلك ولو جئتك بشيء مبين اى جائيا بالمعجزة قال فأت به بالذي يبين صدقك
ان كنت من الصادقين ان لك بينة وجواب الشرط مقدر اى فاحضره فالقى عصاه فاذا هي ثعبان
مبين ظاهر الثعبانية لا شيء يشبه الثعبان كما يكون الاشياء المزورة بالشعوذة والسحر وروي
انها ارتفعت في السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة الى فرعون وجعلت تقول يا موسى مرني بما
شئت ويقول فرعون اسألك بالذي ارسلك الا اخذتها فاخذها فعادت عصا ونزع يده
فاذا هي بيضاء للناظرين فيه دليل على ان بياضها كان شيئا يجتمع النظارة على النظر اليه لخروجه

عن العادة وكان بياضها نوريا يروى ان فرعون لما ابصر الاية الاولى قال فهل غيرها فاخرج
يده فقال لفرعون ما هذه قال فرعون يدك فادخلها في ابطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد
يغشي الابصار ويسد الافق قال اى فرعون للملاء حوله هو منصوب نصبين نصب في اللفظ
والعامل فيه ما يقدر في الظرف ونصب في المحل على الحال من الملاء اى كائنين حوله والعامل فيه
قال ان هذا الساحر عليم بالسحر ثم اغرى قومه على موسى بقوله يريد ان يخرجكم من ارضكم
بسحره فماذا منصوب لانه مفعول به من قولك امرتك الخير تامرون تشيرون في امره من جنس
او فعل من المؤامرة وهي المشاورة او من الامر الذي هو ضد النهي لما تحير فرعون برؤية الايتين
وزال عنه ذكر دعوى الالهية وحط عن منكبيه كبرياء الربوبية وارتعدت فرائصه خوفا طفق
يوامر قومه الذين هم من جملة عبيده وهو الههم وجعلهم امرين ونفسه مامورا قالوا ارجه
واخاه اخر امرهما ولا تباعنت قتلهما خوفا من الفتنة وابعث في المداين حاشرين شرطا يحشرون
السحرة وعارضوا قوله ان هذا الساحر عليم بقولهم ياتوك بكل سحار عليم فجاؤا بكلمة الاحاطة
وصفة المبالغة ليسكنوا بعض قلقه فجمع السحرة لميقات يوم معلوم اى يوم الزينة وميقاته
وقت الضحى لانه الوقت الذي وقته لهم موسى عليه السلام من يوم الزينة في قوله تعالى موعدكم
يوم الزينة وان يحشر الناس ضحى والميقات ما وقت به اى حدد من زمان او مكان ومنه
مواقيت الاحرام وقيل للناس هل انتم مجتمعون اى اجتمعوا وهو استبطاء لهم في الاجتماع
والمراد منه استعجالهم لعلنا نتبع السحرة في دينهم ان كانوا هم الغالبين اى ان غلبوا موسى
عليه السلام ولا نتبع موسى في دينه وليس غرضهم اتباع السحرة وانما الغرض الكلي ان لا يتبعوا
موسى عليه السلام فساقوا الكلام مساق الكناية لانهم اذا اتبعوهم لم يكونوا متبعين لموسى
عليه السلام فلما جاء السحرة قالوا لفرعون ائن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وبكسر العين
على وهما لغتان وانكم اذا لمن المقربين اى قال فرعون نعم لكم اجر عندي وتكونون مع ذلك
من المقربين عندي في المرتبة والجاه فتكونون اول من يدخل علي واخر من يخرج ولما كان
قوله ائن لنا لاجرا في معنى جزاء الشرط لدلالته عليه وكان قوله وانكم اذا لمن المقربين معطوفا
عليه دخلت اذا قارة في مكانها الذي يقتضيه من الجواب والجزاء قال لهم موسى القوا ما انتم

ملقون من السحر فسوف ترون عاقبته فالقوا حبالهم سبعين الف حبل وعصيهم سبعين
الف عصا وقيل كانت الحبال اثنين وسبعين الفا وكذا العصي وقالوا بعزة فرعون انا لنحن
الغالبين اقسموا بعزته وقوته وهي من الايمان الجهر فالقى موسى عصاه فاذا هي تلقف تبلع
ما يافكون ما يقلبون عن وجهه وحقيقته بسحرهم ويزورونه فيخيلون في حبالهم و
عصيهم انها حيات تسعى فالقى السحرة ساجدين عبر عن الخرور بالالقاء بطريق المشاكلة لانه
ذكر مع الالقاءات ولانهم لسرعة ما سجدوا صاروا كانهم القوا قالوا امنا برب العالمين
عن عكرمة اصبحوا سحرة وامسوا شهداء رب موسى وهارون عطف بيان لرب العالمين
لان فرعون يدعي الربوبية فارادوا ان يعزلوه وقيل ان فرعون لما سمع منهم امنا برب
العالمين قال اياى عنيتم قالوا رب موسى وهارون عطف بيان لرب العالمين لان فرعون
يدعي الربوبية فارادوا ان يعزلوه وقيل ان فرعون لما سمع منهم امنا برب العالمين قال
اياى عنيتم قالوا رب موسى وهارون قال امنتم له قبل ان اذن لكم بذلك انه لكبيركم
الذي علمكم السحر وقد تواطاتم على امر ومكر فلسوف تعلمون وبال ما فعلتم ثم صرح فقال
لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف من اجل خلاف ظهر منكم ولاصلبنكم اجمعين كانه
اراد بربوبيته عامة لئلا يتبعوهم في الايمان قالوا لا ضير لا ضرر وخبر لا محذوف اى
في ذلك او علينا انا الى ربنا منقلبون انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا اول المؤمنين
من اهل المشهد ومن رعية فرعون ارادوا لا ضرر علينا في ذلك بل لنا فيه اعظم النفع
لما يحصل لنا في الصبر عليه لوجه الله من كفر الخطايا او لا ضير علينا فيما نتوعدنا به انه
لا بد لنا من الانقلاب الى ربنا بسبب من الاسباب الموت والقتل اهون اسبابه و
ارجاها او لا ضير علينا في قتلك انك ان قتلتنا انقلبنا الى ربنا انقلاب من يطمع في
مغفرة ويرجو رحمته لما رزقنا من السبق الى الايمان واوحينا الى موسى ان اسر بوصل
الهمزة وقطعها بعبادي بني اسرائيل وسماهم عباده لايمانهم بنبيه اى سر بهم ليلا وهذا بعد
سنين من ايمان السحرة انكم متبعون يتبعكم فرعون وقومه علل الامر بالاسراء باتباع فرعون
وجنوده اثارهم يعني اني بنيت تدبير امركم وامرهم على ان تتقدموا ويتبعوكم حتى يدخلوا

مدخلكم من طريق البحر فاهلكهم وروى انه مات في تلك الليلة في كل بيت من بيوتهم ولد فاشتغلوا
بموتاهم حتى خرج موسى بقومه وروى ان الله تعالى اوحى الى موسى ان اجمع بني اسرائيل كل اربعة
ابيات في بيت ثم اذبحوا اجداء واضربوا بدمائها على ابوابكم فاني سامر الملائكة ان لا يدخلوا بيتا
على بابه دم وسامرهم بقتل ابكار القبط واخبزوا خبزا فطيرا فانه اسرع لكم ثم اسر بعبادي حتى
تنتهي الى البحر فياتيك امري فارسل فرعون في المداين حاشرين جامعين الناس بعنف يقودهم
ياتوك بكل سحار عليم فجاؤا بكلمة الاحاطة وصفة المبالغة ليسكنوا بعض قلقه فجمع السحرة لميقات
يوم معلوم اي يوم الزينة وميقاته وقت الضحى لانه الوقت الذي وقته لهم موسى عليه السلام
من يوم الزينة في قوله تعالى موعدكم يوم فلما اجتمعوا قال ان هؤلاء لشرذمة قليلون الشرذمة
الطائفة القليلة ذكرهم بالاسم الدال على القلة ثم جعلهم قليلا بالوصف ثم جمع القليل فجعل كل
حزب منهم قليلا واختار جمع السلامة الذي هو للقلة او اراد بالقلة الذلة لا قلة العدد اي انهم
لقلتهم لا يبالى بهم ولا يتوقع غلبتهم وانما استقل قوم موسى وكانوا ستمائة الف وسبعون
الفا لكثرة من معه وعن الضحاك كانوا سبعة الاف الف وانهم لنا لغائظون اي انهم يفعلون
افعالا تغيظنا وتضيق صدورنا وهو خروجهم من مصرنا وحملهم حلينا وقتلهم ابكارنا وانا
لجميع حاذرون شامي وكوفي وغيرهم حذرون فالحذر اليقظ والحاذر الذي يجدده وقيل
المودي اي في السلاح وانما يفعل ذلك حذرا واحتياطا لنفسه يعني فنحن قوم من عادتنا التيقظ
والحذر واستعمال الحزم في الامور فاذا خرج علينا خارج سارعنا الى حسم فساده وهذه معاذير
اعتذر بها الى اهل المداين لئلا يظن به العجز والفتور فاخرجناهم من جنات بساتين وعيون
وانهار جارية وكنوز واموال ظاهرة من الذهب والفضة وسماها كنوزا لانهم لم ينفقوا منها
في طاعة الله تعالى ومقام ومنزل كريم بهي بهيج وعن ابن عباس رض المنابر كذلك يحتمل النصب
على اخرجناهم مثل ذلك الاخراج الذي وصفنا والرفع على انه خبر مبتدا محذوف اي الامر كذلك
واورثناها بني اسرائيل عن الحسن لما عبروا النهر رجعوا واخذوا ديارهم واموالهم فاتبعوهم
فلحقوا فاتبعوهم زيد مشرقين حال اي داخلين في وقت شروق الشمس وهو طلوعها اي ادرك
قوم فرعون موسى وقومه وقت طلوع الشمس فلما تراء الجمعان اي تقابلا بحيث يرى كل فريق

صاحبه والمراد بنو اسرائيل والقبط قال اصحاب موسى انا لمدركون اي قرب ان يلحقنا عدونا
وامامنا البحر قال موسى ثقة بوعد الله اياه كلا ارتدعوا عن سوء الظن بالله فلن يدركوكم ان
معي ربي سيهدين اي سيهديني طريق النجاة من ادراكهم واضرارهم سيهديني بالياء يعقوب
فاوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر اي القلزم او النيل فانفلق اي فضرب فانفلق فانشق
فصار اثني عشر فرقا على عدد الاسباط فكان كل فرق اي كل جزء تفرق منه كالطود كالجبل
المنطاد في السماء العظيم وازلفنا ثم حيث انفلق البحر الاخرين قوم فرعون اي قربناهم من
بني اسرائيل او من البحر وانجينا موسى ومن معه اجمعين من الغرق ثم اغرقنا الاخرين فرعون
وقومه وفيه ابطال القول بتاثير الكواكب في الاجال وغيرها من الحوادث فانهم اجتمعوا في
الهلاك مع الاختلاف طوالعهم وروى ان جبرئيل عليه السلام كان بين بني اسرائيل وبين ال فرعون
فكان يقول لبني اسرائيل ليلحق اخركم باولكم ويستقبل القبط فيقول رويدكم يلحق اخركم فلما
انتهى موسى الى البحر قال يوشع لموسى اين امرت فهذا البحر امامك وقد غشيك ال فرعون وقال
موسى ههنا فخاض يوشع الماء فضرب موسى بعصاه البحر فدخلوا وروى ان موسى عليه السلام
قال عند ذلك يا من كان قبل كل شيء والمكون لكل شيء والكائن بعد كل شيء ان في ذلك اي
فيما فعلنا بموسى وفرعون لاية لعبرة عجيبة لا يوصف وما كان اكثرهم المغرقين مؤمنين
قالوا لم يؤمن منهم الا آسية وحزبيل مؤمن من ال فرعون ومريم التي دلت موسى على قبر يوسف
وان ربك لهو العزيز بالانتقام من اعدائه الرحيم بالانعام على اوليائه واتل عليهم على مشركي
قريش نبا ابراهيم خبره اذ قال لابيه وقومه قوم ابراهيم وقوم الاب ما تعبدون اي شيء
تعبدون وابراهيم عليه السلام يعلم انهم عبدة اصنام ولكن سالهم ليريهم ان ما يعبدونه
ليس بمستحق للعبادة قالوا نعبد اصناما وجواب ما تعبدون اصناما كيسالونك ماذا ينفقون
قل العفو ماذا قال ربكم قالوا الحق لانه سؤال عن المعبود لا عن العبادة وانما زادوا نعبد في الجواب
افتخارا ومباهاة بعبادتها ولذا عطفوا على نعبد فنظل لها عاكفين فنقيم على عبادتها طول النهار
وانما قال فنظل لانهم كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل او معناه الدوام قال يا ابراهيم هل
يسمعونكم هل يسمعون دعاءكم على حذف المضاف فحذف لدلالة اذ تدعون عليه او ينفعونكم

ان عبدتموها او يضرون ان تركتم عبادتها قالوا بل اضراب اى لا تسمع ولا تنفع ولا تضر ولا نسمع
الشئ منذ لك ولكن وجدنا اباءنا كذلك يفعلون تقليدا لهم قال افرايتم ما كنتم تعبدون انتم و
اباؤكم الاقدمون اولون فانهم اى اصنام عدو لى العدو والصديق يجيئان فى معنى الواحد والجماعة
يعنى لو عبدتهم لكانوا اعداء لى يوم القيمة كقوله سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا وقال
الفراء هو من المقلوب اى فانى عدو لهم وفى قوله عدو لى دون لكم زيادة تصح ليكون ادعى لهم الى
القبول ولو قال فانهم عدو لكم لم يكن بتلك المثابة الا رب العالمين استثناء منقطع لانه لم يدخل
تحت الاعداء كانه قال لكن رب العالمين الذى خلقنى بالتكوين فى القرار المكين فهو يهدين
لمناهج الدنيا ولمصالح الدين والاستقبال فى يهدين مع سبق العناية بالهداية لانه يحتمل يهدينى
للاسم الافضل والاتم الاكمال او الذى خلقنى الاسباب خدمته فهو يهدينى الى اداب خلته و
الذى هو يطعمنى اضاف الاطعام الى ولى الانعام لان الركون الى الاسباب عادة الانعام ويسقين
قال ابن عطاء هو الذى يحيينى بطعامه ويرينى بشرابه واذا مرضت وانما لم يقل امرضنى
لانه قصد الذكر بلسان الشكر فلم يضف اليه ما يقتضى الصبر ابن عطاء اذا مرضت برؤية
الخلق فهو يشفين بمشاهدة الحق الصادق اذا مرضت برؤية الافعال فهو يشفينى بكشف
منة الافضال والذى يميتنى ثم يحيين ولم يقل اذا مت لان الخروج من حبس البلاء ووارد
روضة البقاء لوعد اللقاء وادخلتم فى الاحياء لتراخيه عن الافناء وادخل الفاء فى الهداية
والشفاء لانهما يعقبان الخلق والمرض لا معا والذى اطمع طمع العبيد فى الموالى بالافضال لا على
الاستحقاق بالسوال ان يغفر لى خطيئتى قيل هى قوله انى سقيم بل فعله كبيرهم هذا ربى للبازغ
اختى لسارة وماهى الا معاريض جائزة وليست بخطايا يطلب لها الاستغفار واستغفار
الانبياء تواضع منهم لربهم وهضم لانفسهم وتعليم امم فى طلب المغفرة يوم الدين يوم الجزاء
رب هب لى حكما حكمة او حكما بين الناس بالحق ونبوة لان النبى ذو حكمة وذو حكم بين
عباد الله والحقنى بالصالحين اى الانبياء ولقد اجاب حيث قال وانه فى الاخرة لمن الصالحين
واجعل لى لسان صدق فى الاخرين اى ثناء حسنا وذكرا جميلا فى الامم التى تجيئ بعدى فاعطى
ذلك وكل اهل دين يتولونه ويثنون عليه ووضع اللسان موضع القول لان القول يكون به

واجعلنى

واجعلنى من يتعلق بمحذوف اى وارثا من ورثة جنة النعيم اى من الباقين فيها واغفر لابى
اجعله من اهل المغفرة باعطاء الاسلام وكان وعده الاسلام يوم فارقه انه كان من الضالين
اى الكافرين ولا تخزنى لا تخزله من الخزى وهو الهوان او من الخزاية وهى الحياء وهذا نحو
الاستغفار ربنا بينا يوم يبعثون الضمير فيه للعباد لانه معلوم او الضالين وان يجعل من جملة
الاستغفار لابيه اى ولا تخزنى يوم يبعث الضالون وابى فيهم يوم لا ينفع مال هو بدل من
يوم الاول ولا بنون احد الا من اتى الله بقلب سليم عن الكفر والنفاق فقلب الكافر و
المنافق مريض لقوله تعالى فى قلوبهم مرض اى ان المال اذا صرف فى وجوه البر وبنوه صالحون
فانه ينفع به وسليم القلب او جعل المال والبنون فى معنى الغنى كانه قيل يوم لا ينفع غنى الا غنى
من اتى الله بقلب سليم لان غنى الرجل فى دينه بسلامة قلبه كما ان غناه فى دنياه بماله وبنيه
وقد جعل من مفعولا لينفع اى لا ينفع مال ولا بنون الا رجلا سليم قلبه مع ماله حيث انفقه
فى طاعة الله ومع بنيه حيث ارشدهم الى الدين وعلمهم الشرائع ويجوز على هذا الا من اتى الله
بقلب سليم من فتنة المال والبنين وقد صوب الجليل استثناء الخليل اكراما له ثم جعله صفة
له فى قوله وان من شيعته لابراهيم اذ جاء ربه بقلب سليم وما احسن ما رتب عليه السلام
كلامه مع المشركين حين سالهم اولا عما يعبدون سوال مقرر لا مستفهم ثم اقبل على الهتهم
فابطل امرها بانها لا تضر ولا تنفع ولا تسمع وعلى تقليدهم اباءهم الاقدمين فاخرجه من
ان يكون شبهة فضلا ان يكون حجة ثم صور المسئلة فى نفسه دونهم حتى تخلص منهم الى ذكر الله
تعالى فعظم شانه وعدد نعمة من حين انشائه الى وقت وفاته مع ما يرجى فى الاخرة من رحمته
ثم اتبع ذلك ان دعاه بدعوات المخلصين وابتهل اليه ابتهال الاوابين ثم فصله بذكر يوم
القيمة وثواب الله وعقابه وما يدفع اليه المشركون يومئذ من الندم والحسرة على ما كانوا فيه
من الضلالة وتمنى الكرة الى الدنيا ليؤمنوا ويطيعوا وازلفت الجنة للمتقين اى قربت
عطف على جملة اى ما تزلف من موقف السعداء فينظرون اليها وبرزت الجحيم اى اظهرت
حتى تكاد تاخذهم لهيبها للغاوين للكافرين وقيل لهم اينما كنتم تعبدون من دون الله هل
ينصرونكم او ينتصرون ينجون على اشراكهم فيقال لهم اين الهتكم هل ينفعونكم بنصرتهم لكم او

ينفعون

هل ينفعونكم انفسهم بانتصارهم لانهم ولهم وقود النار فكبكبوا نكسوا وطرح بعضهم على بعض
فيها في الجحيم هم اى الالهة والغاوون وعبدتهم الذين برزت لهم الجحيم والكبكبة تكرير
الكب جعل التكرير في اللفظ دليلا على التكرير كانه اذا القى في جهنم ينكب مرة بعد مرة حتى
يستقر في قعرها نعوذ بالله منها وجنود ابليس اجمعون شياطينه او متبعوه من عصاة
الانس والجن قالوا وهم فيها يختصمون يجوز ان ينطق الله الاصنام حتى يصح التقاول والتخاصم
ويجوز ان يجرى ذلك بين العصاة والشياطين تالله ان كنا لفى ضلال مبين اذ نسويكم نعدلكم
ايها الاصنام برب العالمين في العبادة وما اضلنا الا المجرمون اى رؤساؤهم الذين اضلوهم
او ابليس وجنوده ومن سن الشرك فما لنا من شافعين كما للمومنين من الانبياء والاولياء و
الملائكة ولا صديق حميم كما نرى لهم اصدقاء اذ لا يتصادق في الاخرة الا المؤمنون واما اهل
النار فبينهم التعادى قوله الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين او فما لنا من شافعين
ولا صديق حميم من الذين كنا نعدهم شفعاء واصدقاء لانهم كانوا يعتقدون في اصنامهم
انهم شفعاء عند الله وكان لهم الاصدقاء من شياطين الانس والجن والحميم من الاحتمام
وهو الاهتمام وهو الذى يهمه ما يهمك او من الحامة بمعنى الخاصة وهو الصديق الخاص وجمع
الشافع ووحد الصديق لكثرة الشفعاء في العادة واما الصديق وهو الصادق في ودادك
الذى يهمه ما اهمك فقليل وسئل حكيم عن الصديق فقال اسم لا معنى له وجاز ان يراد بالصديق
الجمع فلو ان لنا كرة رجعة الى الدنيا فنكون من المومنين وجواب لو محذوف وهو لفعلنا
كيت وكيت او لو في مثل هذا للتمنى كانه قيل فليت لنا كرة لما بين معنيين لو وليت من التلاقى
ان في ذلك اى فيما ذكر من الانبياء لاية لعبرة لمن اعتبر وما كان اكثرهم مومنين فيه ان فريقا
منهم امنوا وان ربك لهو العزيز المستقيم ممن كذب ابراهيم بنار الجحيم الرحيم المسلم كل ذى
قلب سليم الى جنة النعيم كذبت قوم نوح المرسلين القوم يذكر ويؤنث قيل ولد نوح في زمن
آدم عليه السلام ونظير قوله المرسلين والمراد نوح عليه السلام قولك فلان يركب الدواب
ويلبس البرود وما له الا دابة او برد او كانوا ينكرون بعث الرسل اصلا فلذا جمع ولان
من كذب واحدا منهم فقد كذب الكل لان كل رسول يدعو الناس الى الايمان بجميع الرسل وكذا

ما في هذه السورة اذ قال لهم اخوهم نسبا لا دينا نوح الا تتقون خالف الانام فتتركوا عبادة
الاصنام انى لكم رسول امين كان مشهورا بالامانة فيهم كمحمد عليه الصلوة والسلام في قريش
فاتقوا الله واطيعون فيما امركم به وادعوكم اليه من الحق وما اسالكم عليه على هذا الامر من
اجر ان اجرى بالفتح مدنى وشامى وابو عمرو وحفص الا على رب العالمين فذلك اريد
فاتقوا الله واطيعون كرر ليقرره في نفوسهم مع تعليق كل واحد منهما بعلة فعلة الاول
كونه امينا فيما بينهم وعلة الثانى حسم طمعه منهم كانه قال اذا عرفتم رسالتى وامانتى فاتقوا
ثم اذا عرفتم احترازى عن الاجر فاتقوا الله قالوا انؤمن لك واتبعك الواو للحال
وقد مضمرة بعدها دليله قراءة يعقوب واتباعك جمع تابع كشاهد واشهاد وتبع كبطل
وابطال الارذلون السفلة والرذالة الخسة والدناءة وانما استرذلوهم لاتضاع نسبهم و
قلة نصيبهم من الدنيا وقيل كانوا من اهل الصناعات الدنية والصناعة لا تزرى بالديانة
فالغنى غنى الدين والنسب نسب التقوى ولا يجوز ان يسمى المومن رذلا وان كان افقر الناس
واوضعهم نسبا وما زالت اتباع الانبياء كذلك قال وما علمى واى شئ علمى بما كانوا يعملون من
الصناعات انما اطلب منهم الايمان وقيل انهم طعنوا مع استرذالهم في ايمانهم وقالوا
ان الذين امنوا بك ليس في قلوبهم ما يظهرونه فقال وما على الا اعتبار الظاهر دون
التفتيش عن السرائر ان حسابهم الا على ربى لو تشعرون ان الله يحاسبهم على ما في قلوبهم
وما انا بطارد المومنين اى ليس من شانى ان اتبع شهواتكم بطرد المومنين طمعا في ايمانكم
ان انا الا نذير مبين ما على الا ان انذركم انذارا بينا بالبرهان الصحيح الذى يتميز به الحق
من الباطل ثم انتم اعلم بشانكم قالوا لئن لم تنته يا نوح عما تقول لتكونن من المرجومين من
المقتولين بالحجارة قال رب ان قومى كذبون ليس هذا باخبار بالتكذيب لعلمه ان عالم
الغيوب اعلم ولكنه اراد انهم كذبونى في وحيك ورسالتك فافتح بينى وبينهم فتحا فاحكم
بينى وبينهم حكما والفتاحة الحكومة والفتاح الحاكم لانه يفتح المنغلق كما سمى فيصلا لانه
يفصل بين الخصومات ونجنى ومن معى من المومنين من عذاب عملهم فانجيناه ومن معه
في الفلك المشحون السفينة وجمعه فلك فالواحد بوزن قفل والجمع بوزن اسد والمشحون

المومن رذلا

المملوء ومنه شحنة البلد اى الذى يملاه كناية ثم اغرقنا بعد انجاء نوح ومن آمن معه الباقين
من قومه ان فى ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز المنتقم باهانة
من جحد واصر الرحيم المنعم باعانة من وحد واقر كذبت عاد ن المرسلين هى قبيلة وفى الاصل
اسم رجل هو ابو القبيلة اذ قال لهم اخوهم نسبا هود الا تتقون انى لكم رسول امين فاتقوا الله
فى تكذيب الرسول الامين واطيعون وما اسالكم عليه من اجران اجرى الا على رب العالمين
اتبنون بكل ريع مكان مرتفع اية برج حمام او بناء ويكون لارتفاعه كالعلامة يسخرون
لمن مر بهم تعبثون تلعبون وتتخذون مصانع ماخذ الماء او قصورا مشيدة او حصونا
لعلكم تخلدون ترجون الخلود فى الدنيا واذا بطشتم اخذتم اخذ العقوبة بطشتم جبارين
قتلا بالسيف وضربا بالسوط والجبار الذى يقتل ويضرب على الغضب فاتقوا الله فى البطش
واطيعون فيما ادعوكم اليه واتقوا الذى امدكم بما تعلمون من النعم ثم عددها عليهم فقال
امدكم بانعام وبنين قرن البنين بانعام لانهم يعينونهم على حفظها والقيام عليها وجنات
وعيون انى اخاف عليكم عذاب يوم عظيم ان عصيتمونى قالوا سواء علينا اوعظت ام لم
تكن من الواعظين اى لا نقبل كلامك ودعوتك وعظت ام سكت ولم يقل ام لم تعظ لرعاية
لروس الاى ان هذا الا خلق الاولين ما هذا الذى نحن عليه من الحيوة والموت واتخاذ
الابنية الا عادة الاولين وما نحن عليه دين الاولين الا خلق الاولين مكى وبصرى ويزيد
وعلى اى ما جئت به اختلاق الاولين وكذب المتنبين قبلك كقولهم اساطير الاولين
او خلقنا كخلق الاولين نموت ونحيا وما نحن بمعذبين فى الدنيا ولا بعث ولا حساب
فكذبوه اى هودا فاهلكناهم بريح صرصر عاتية ان فى ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين
وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم اخوهم صالح الا تتقون
انى لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسالكم عليه من اجران اجرى الا على رب
العالمين اتتركون انكار ان يتركوا مخلدين فى نعيم لا يزالون عنه فيما ههنا فى الذى
استقر فى هذا المكان من النعيم امنين من العذاب والزوال والموت ثم فسره بقوله
فى جنات وعيون وهذا ايضا اجمال ثم تفصيل وزروع ونخل وعطف نخل على جنات مع ان الجنة

يتناول اوليتبع تفصيلا للنخل على ساير الشجر طلعها هو ما يخرج من النخل كنصل السيف هضيم
لين نضيج كانه قال ونخل قد ارطب ثمره وتنحتون تنقبون من الجبال بيوتا فارهين شامى وكوفى
حاذقين حال وغيرهم فرهين اشرين والفراهة الكبر والنشاط فاتقوا الله واطيعون و
لا تطيعوا امر المسرفين الكافرين او التسعة التى عقروا الناقة جعل الامر مطاعا على المجاز الحكمى
والمراد الامر وهو كل جملة اخرجت للحكم المفاد بها عن موضعه فى العقل لضرب من التاول
كقولهم انبت الربيع البقل الذين يفسدون فى الارض بالظلم والكفر ولا يصلحون بالايمان
والعدل والمعنى ان فسادهم فساد مصمت ليس معه من الصلاح كما تكون حال بعض المفسدين
مخلوطة ببعض الصلاح قالوا انما انت من المسحرين المسحر الذى سحر كثيرا حتى غلب على عقله و
قيل هو من السحر الرية وانه بشر ما انت الا بشر مثلنا فات باية ان كنت من الصادقين فى دعوى
الرسالة قال هذه ناقة لها شرب نصيب من الماء فلا تزاحموها فيه ولكم شرب يوم معلوم
لا تزاحمكم فيه روى انهم قالوا نريد ناقة عشراء تخرج من هذه الصخرة فتلد سقبا فقعد
صالح يتفكر فقال له جبرئيل صل ركعتين وسل ربك الناقة ففعل فخرجت الناقة ونتجت
سقبا مثلها فى العظم وصدرها ستون ذراعا واذا كان يوم شربها شربت ماءهم كله واذا
كان يوم شربهم لا تشرب فيه الماء وهذا دليل على جواز المهاياة لان قوله لها شرب ولكم شرب
يوم معلوم من المهاياة ولا تمسوها بسوء بضرب او عقر او غير ذلك فيأخذكم عذاب يوم عظيم
عظم اليوم لحلول العذاب فيه ووصف اليوم به ابلغ من وصف العذاب لان الوقت اذا
عظم بسببه كان موقعه من العظم اشد فعقروها عقروها قذار ولكنهم راضون به فاضاف
اليهم روى ان عاقرها قال لا اعقرها حتى ترضوا اجمعين وكانوا يدخلون على المرأة فى خدرها
فيقولون اترضين فتقول نعم وكذلك صبيانهم فاصبحوا نادمين على عقرها خوفا من نزول
العذاب لا ندم توبة او ندموا حين لا ينفع الندم وذلك عند معاينة العذاب او على ترك الولد
فاخذهم العذاب المقدم ذكره ان فى ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز
الرحيم كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم اخوهم لوط الا تتقون انى لكم رسول امين فاتقوا الله
واطيعون وما اسالكم عليه من اجران اجرى الا على رب العالمين اراد بالعالمين الناس اى تطؤن

الذكران من الناس مع كثرة الاناث او تطؤن انتم من بين من عداكم من العالمين الذكران
اى انتم مختصون بهذه الفاحشة والعالمين على هذا كل ما ينكح من الحيوان وتذرون ما
خلق لكم ربكم من ازواجكم من تبيين لما خلق او تبعيض والمراد بما خلق العضو المباح
منهن وكانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم وفيه دليل تحريم ادبار الزوجات والمملوكات
ومن اجاز ذلك فقد اخطأ خطاء عظيما بل انتم قوم عادون العادى المتعدى فى
ظلمه المتجاوز فيه الحد اى بل انتم قوم احقاء بان توصفوا بالعدوان حيث ارتكبتم مثل
هذه العظيمة قالوا لئن لم تنته يا لوط عن انكارك علينا وتقبيح امرنا لتكونن من المخرجين
من جملة من اخرجناه من بين اظهرنا وطردناه من بلدنا ولعلهم كانوا يخرجون من اخرجوه
على اسوء حال قال انى لعملكم من القالين هو ابلغ من ان يقول قال فقولك فلان من العلماء
ابلغ من قولك فلان عالم لانك تشهد بانه مساهم لهم فى العلم والقلى البغض الشديد كانه
بغض يقلى الفؤاد والكبد وفيه دليل على عظم المعصية لان القلى من حيث الدين رب نجنى
واهلى مما يعملون من عقوبة عملهم فنجيناه واهله اجمعين يعنى بناته ومن امن به الا عجوزا هى امرأة
لوط وكانت راضية بذلك والراضى بالمعصية فى حكم العاصى واستثناء الكافرة من الاهل
وهم مؤمنون للاشتراك فى هذا الاسم وان لم تشاركهم فى الايمان فى الغابرين صفة لها
اى فى الباقين فى العذاب فلم تنج منه والغابر فى اللغة الباقى كانه قيل الا عجوزا غابرة
اى مقدرا غبورها اذ الغبور لم تكن صفتها وقت تنجيتهم ثم دمرنا الاخرين والمراد
بتدميرهم الائتفاك بهم وامطرنا عليهم مطرا عن قتادة امطر الله على شذاذ القوم
حجارة من السماء واهلكهم وقيل لم يرض بالائتفاك حتى اتبعه مطرا من حجارة فساء
مطر المنذرين والمخصوص بالمدح بالذم وهو مطرهم محذوف ولم يرد بالمنذرين قوما
باعيانهم بل المراد جنس الكافرين ان فى ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك
لهو العزيز الرحيم كذب اصحاب الايكة بالهمزة والجر هى غيضة تنبت ناعم الشجر عن الخليل
ليكة حجازى وشامى وكذا فى ص علم البلد قيل اصحاب الايكة هم اهل مدين النجا والى غيضة اذا
الح عليهم الوهج والاصح انهم غيرهم نزلوا غيضة بعينها بالبادية واكثر شجرهم المقل بدليل

انه لم يقل هنا اخوهم شعيب لانه لم يكن من نسبهم بل كان من نسب اهل مدين ففى الحديث ان شعيبا
اخا مدين ارسل اليهم والى اصحاب الايكة المرسلين اذ قال لهم شعيب الا تتقون انى لكم رسول
امين فاتقوا الله واطيعون وما اسالكم عليه من اجر ان اجرى الا على رب العالمين اوفوا
الكيل اتموه ولا تكونوا من المخسرين وتنقصوا حقوقهم فالكيل واف وهو مامور به و
طفيف وهو منهى عنه وزائد وهو مسكوت فتركه دليل على انه ان فعله فقد احسن وان لم يفعله
فلا عليه وزنوا بالقسطاس المستقيم وبكسر القاف كوفى غير ابى بكر وهو الميزان او القبان فان
كان من القسط وهو العدل وجعلت العين مكررة فوزنه فعلاس والا فهو رباعى ولا تبخسوا
الناس يقال بخسته حقه اذا نقصته اياه اشياءهم دراهمهم ودنانيرهم بقطع اطرافها ولا
تعثوا فى الارض مفسدين ولا تبالغوا فيها فى الافساد وذلك نحو قطع الطريق والغارة واهلاك
الزروع وكانوا يفعلون ذلك فنهوا عن ذلك يقال عثى فى الارض اذا افسد وعثى فى الارض
لغة فى عثا واتقوا الذى خلقكم والجبلة الخلق عطف على كم اى واتقوا الذى خلقكم وخلق
الجبلة الاولين قالوا انما انت من المسحرين وما انت الا بشر مثلنا ادخال الواو هنا ليفيد معنيين
كلاهما مناف للرسالة عندهم التسخير والبشرية وتركها فى قصة ثمود ليفيد معنى واحدا وهو
كونه مسحرا ثم قرر بكونه بشرا مثلهم وان نظنك لمن الكاذبين ان مخففة من الثقيلة واللام دخلت
للفرق بينها وبين النافية وانما تفرقتا على فعل الظن وثانى مفعوليه لان اصلهما ان يتفرقا
على المبتدأ والخبر كقولك ان زيد المنطلق فلما كان بابا كان وظننت من جنس باب المبتدأ و
الخبر فعل ذلك فى البابين فقيل ان كان زيد لمنطلقا وان ظننته لمنطلقا فاسقط علينا كسفا
كسفا حفص وهما جمع كسفة وهى القطعة وكسفا قطعة من السماء اى السحاب او المظلة
ان كنت من الصادقين اى ان كنت من الصادقين انك نبى فادع الله ان يسقط علينا
كسفا من السماء اى قطعة من السماء عقوبة قال ربى بفتح الياء حجازى وابو عمرو وبسكونها
غيرهم اعلم بما تعملون اى ان الله اعلم باعمالكم وبما تستحقون عليها من العقاب فان اراد ان
يعاقب باسقاط كسف من السماء فعل وان اراد عقابا اخر فاليه الحكم والمشية فكذبوه فاخذهم عذاب
يوم الظلة هى سحابة اظلتهم بعد ما حبس عنهم الريح وعذبوا بالحر سبعة ايام واجتمعوا تحتها

مستحرين بها فاتاهم من الحر فامطرت عليهم نارا فاحترقوا انه كان عذاب يوم عظيم ان في ذلك
لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم وقد كرر في هذه السورة في اول
كل قصة وآخرها ما كرر تقريرا لمعانيها في الصدور وليكون ابلغ في الوعظ والزجر ولان كل

قصة

قصة منها كتنزيل براسه وفيها من الاعتبار مثل ما في غيرها فكانت جديرة بان تفتح بما افتتحت
به صاحبتها وان تختتم بما اختتمت وانه يعني القران لتنزيل رب العالمين منزل منه نزل به
مخفف الفاعل الروح الامين اي جبرئيل لانه امين على الوحي الذي فيه الحيوة حجازي وابو عمرو
زيد وحفص وغيرهم بالتشديد ونصب الروح هو الله تعالى اي جعل الله الروح نازلا به
والباء على القراءتين للتعدية على قلبك حفظك وفهمك اياه واثبته في قلبك اثبات ما
لا ينسى كقوله سنقريك فلا تنسى لتكون من المنذرين بلسان عربي بلغة قريش وجرهم
مبين فصيح مصحح عما صحفته العامة والباء اما ان يتعلق بالمنذرين اي لتكون من الذين
انذروا بهذا اللسان وهم هود وصالح وشعيب واسمعيل عليهم السلام او بنزل اي نزله بلسان
عربي لتنذر به لانه لو نزله بلسان اعجمي لتجافوا عنه اصلا ولقالوا ما تصنع بما لا نفهمه فيتعذر
الانذار به في هذا الوجه ان تنزيله بالعربية التي هي لسانك ولسان قومك تنزيل له على قلبك
لانك تفهمه وتفهمه قومك ولو كان اعجميا لكان نازلا على سمعك دون قلبك بل تسمع اجراس
حروف لا تسمع معانيها ولا تعيها وقد يكون الرجل عارفا بعدة لغات فاذا كلم بلغته التي عليها
لم يكن قلبه الا الى معاني الكلام وان كلم كان نظره اولا في الفاظها ثم في معانيها وان كان ماهرا بمعرفتها
فهذا تقرير انه نزل على قلبك لسان عربي وانه وان القرآن لفي زبر الاولين يعني ذكره مثبت
في ساير الكتب السماوية وقيل ان معانيه فيها وفيه دليل على ان القران قرآن اذا ترجم بغير
العربية فيكون دليلا على جواز قراءة القرآن بالفارسية في الصلوة اولم يكن لهم آية شامي
جعلت آية اسم كان وخبره ان يعلمه اي القرآن لوجود ذكره في التورية وقيل في تكن ضمير القصة
وآية خبر مقدم والمبتدا ان يعلمه والجملة خبر كان وقيل كان تامة والفاعل آية وان يعلمه بدل
منها او خبر مبتدا محذوف اي اولم يحصل لهم آية وغيره يكن بالتذكير وآية بالنصب على انها
خبره وان يعلمه هو الاسم وتقديره اولم يكن لهم علم علماء بني اسرائيل آية وعلماء بني اسرائيل كعبد الله

بن سلام

بن سلام وغيره قال الله تعالى واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين
وخط في المصحف علمؤا بواو قبلها ولو نزلناه على بعض الاعجمين جمع اعجم الذي لا يفصح وكذلك
الاعجمي الا ان فيه لزيادة ياء النسبة تاكيدا ولما كان من يتكلم بلسان غير لسانهم لا يفقهون كلامه قالوا له اعجم
واعجمي شبهوه بمن لا يفصح ولا يتكلم والعجمي الذي من جنس العجم افصح اولم يفصح وقرا الحسن الاعجميين وقيل

الاحكام

اعجمين تخفيف الاعجميين كما قالوا الاشعرون اي الاشعريون بحذف ياء النسبة ولولا هذا
التقدير لم يجز ان يجمع جمع السلامة لان مؤنثه عجماء فقراه عليهم ما كانوا به مؤمنين والمعنى انا
انزلنا القرآن على رجل بلسان عربي مبين فسمعوه وفهموه وعرفوا فصاحته وانه معجز وانضم الى ذلك
اتفاق علماء اهل الكتاب قبله على ان البشارة بانزاله وصفته في كتبهم وقد تضمنت معانيه
وقصصه وصح بذلك انها من عند الله وليست باساطير كما زعموا فلم يؤمنوا به وسموه شعرا
تارة وسحرا اخرى وقالوا هذا من افتراء محمد ولو نزلناه على بعض الاعاجم الذي لا يحسن العربية
فضلا ان يقتدر على نظم مثله فقراه عليهم هكذا معجزا لكفروا به كما كفروا ولتمحلوا الجحودهم
عذرا ولسموه سحرا ثم قال كذلك سلكناه اي ادخلنا التكذيب او الكفر وهو مدلول قوله
ما كانوا به مؤمنين في قلوب المجرمين اي الكافرين الذين علمنا منهم اختيار الكفر والاصرار
عليه يعني مثل هذا السلك سلكناه في قلوبهم وقررناه فيها فكيف ما فعل بهم وعلى اي وجه
دبر امرهم فلا سبيل الى ان يتغيروا عما هم عليه من الكفر به والتكذيب له كما قال ولو نزلنا عليك
كتابا في قرطاس فلمسوه بايديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين وهو حجتنا على المعتزلة
في خلق افعال العباد خيرها وشرها وموقع قوله لا يؤمنون به بالقران من قوله سلكناه
في قلوب المجرمين موقع الموضح والملخص لانه مسوق لثباته مكذبا مجحودا في قلوبهم فاتبع
ما يقرر هذا المعنى من انهم لا يزالون على التكذيب به وجحوده حتى يعاينوا الوعيد ويجوز
ان يكون حالا اي سلكناه فيها غير مؤمن به حتى يروا العذاب الاليم والمراد به معاينة العذاب
عند الموت ويكون ذلك ايمان ياس فلا ينفعهم فياتيهم بغتة فجاءة وهم لا يشعرون باتيانه
فيقولوا وفياتيهم معطوفان على يروا هل نحن منظرون يسالون النظرة والامهال طرفة
عين فلا يجابون اليها افبعذابنا يستعجلون تبكيت لهم وانكار عليهم قولهم فامطر علينا حجارة

من السماء او ائتنا بعذاب اليم ونحو ذلك قال يحيى بن معاذ اشد الناس غفلة من اغتر بحيوته
والتذ بمراداته وسكن الى مالوفاته والله تعالى يقول افرايت ان متعناهم سنين قيل هي
سنو مدة الدنيا ثم جاءهم ما كانوا يوعدون من العذاب ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون
في تلك سنين والمعنى ان استعجالهم بالعذاب انما كان لاعتقاد انه غير كائن ولا لاحق بهم
ممتعون باعمار طوال في سلامة وامن فقال الله تعالى افبعذابنا يستعجلون اشرا وبطرا
واستهزاء على الامل الطويل ثم قال هب ان الامر كما يعتقدون من تمتعهم وتعميرهم فاذا
لحقهم الوعيد بعد ذلك ما ينفعهم حينئذ ما مضى من طول اعمارهم وطيب معايشهم وعن
ميمون بن مهران انه لقي الحسن في الطواف وكان يتمنى لقاءه فقال له عظني فلم يزده على تلاوة
هذه الاية فقال ميمون لقد وعظت فابلغت وعن عمر بن عبد العزيز انه كان يقراها عند جلوسه
للحكم وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون رسل ينذرونهم ولم يدخل الواو على الجملة بعد الا كما
اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم لان الاصل عدم الواو اذ الجملة صفة لقرية واذا زيدت
فلتاكيد وصل الصفة بالموصوف ذكرى منصوبة بمعنى تذكرة لان انذر وذكر متقاربان فكانه
قيل مذكرون تذكرة او حال من الضمير في منذرون اى منذرونهم ذوى تذكرة او مفعول
له اى ينذرون لاجل التذكرة والموعظة او مرفوعة على انها خبر مبتدا محذوف بمعنى هذه
ذكرى والجملة اعتراضية او صفة بمعنى منذرون ذوو ذكرى او تكون ذكرى متعلقة باهلكنا
مفعولا له والمعنى وما اهلكنا من اهل قرية ظالمين الا بعد ما الزمناهم الحجة بارسال المنذرين
اليهم ليكون اهلاكهم تذكرة وعبرة لغيرهم فلا يعصوا مثل عصيانهم وما كنا ظالمين فنهلك
قوما غير ظالمين ولما قال المشركون ان الشياطين تلقى القران على محمد صلى الله عليه وسلم نزل وما
تنزلت به بالقران الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون وما تسهل لهم ولا يقدرون عليه
انهم عن السمع عن استراقه لمعزولون لممنوعون بالشهب فلا تدع مع الله الها اخر فتكون
من المعذبين لهتييج لغيره على التعريض وتحريك له على زيادة الاخلاص وانذر عشيرتك
الاقربين خصهم لنفي التهمة اذ الانسان يساهل قرابته او ليعلموا انه لا يغني عنهم من الله شيئا وان
النجاة في اتباعه دون قربه لما نزلت صعد الصفا ونادى الاقرب فالاقرب وقال يا بني عبد المطلب

يا بني هاشم يا بني عبد مناف يا عباس عم النبي يا صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لا املك
لكم من الله شيئا واخفض جناحك والن جانبك وتواضع واصله ان الطائر اذا اراد ان يحط
للوقوع كسر جناحيه وخفضه واذا اراد ان ينهض للطيران رفع جناحيه فجعل خفض جناحه
عند الانحطاط مثلا في التواضع ولين الجانب لمن اتبعك من المومنين من عشيرتك وغيرهم
فان عصوك فقل اني بريء مما تعملون يعني انذر قومك فان اتبعوك واطاعوك فاخفض
لهم جناحك وان عصوك ولم يتبعوك فتبرا منهم ومن اعمالهم من الشرك بالله وغيره و
توكل على العزيز الرحيم على الذي يقهر اعداءك بعزته وينصرك عليهم برحمته يكفك شر من
يعصيك منهم ومن غيرهم والتوكل تفويض الرجل امره الى من يملك امره ويقدر على نفعه وضره
وقالوا المتوكل من اذا دهمه امر لم يحاول ان تقبل بالكلية على ربك وتعرض بالكلية عما دونه فانه
حاجك اليه في الدارين فتوكل مدني وشامي عطف على فقل او فلا تدع الذي يريك حين تقوم
متهجدا وتقلبك اي ويرى تقلبك في الساجدين في المصلين اتبع كونه رحيما على رسوله ما هو
من اسباب الرحمة وهو ذكر ما كان يفعله في جوف الليل قيامه للتهجد وتقلبه في تصفح احوال
المجتهدين من اصحابه ليطلع عليهم من حيث لا يشعرون وليعلم انهم كيف يعبدون الله ويعملون
لاخرتهم وقيل معناه يراك حين تقوم للصلوة بالناس جماعة وتقلبه في الساجدين تصرفه
فيما بينهم بقيامه وركوعه وسجوده وقعوده اذا امهم وعن مقاتل انه سال ابا حنيفة رح هل
تجد الصلوة بالجماعة فقال لا يحضرني فتلا له هذه الاية انه هو السميع لما تقوله العليم بما
تنويه وتعمله هون عليه معاناة مشاق العبادات حيث اخبر برؤيته له اذ لا مشقة على
من يعلم انه من يعمل بمراى مولاه وكقوله بعيني يتحمل المتحملون من اجلي ونزل جوابا لقول
المشركين ان الشياطين تلقي السمع على محمد هل انبئكم هل اخبركم ايها المشركون على من تنزل
الشياطين ثم بناه فقال تنزل على كل افاك كذاب اثيم مرتكب للاثام وهم الكهنة والمتنبئة
كسطيح وطليحة ومسيلمة ومحمد صلى الله عليه يشتم الافاكين ويذمهم فكيف تنزل الشياطين عليه
يلقون السمع وهم الشياطين كانوا قبل ان يحجبوا بالرجم يستمعون الى الملا الاعلى فيختطفون
بعض ما يتكلمون به مما اطلعوا عليه من الغيوب ثم يوحون به الى اوليائهم ويلقون حال اى

المتهجدين

فيختطفون

تنزل بلقين السمع او صفة لكل افاك لانه فى معنى الجمع فيكون فى محل الجر او استيناف فلا يكون له
محل كانه قيل لم تنزل على الافاكين فقيل يفعلون كيت وكيت واكثرهم كاذبون فيما يوحون به
اليهم لانهم يستمعون منهم ما لم يسمعوا وقيل يلقون الى اوليائهم السمع اى المسموع من الملائكة و
قيل الافاكون يلقون السمع الى الشياطين ويتلقون وحيهم اليهم او يلقون المسموع من الشياطين
الى الناس واكثر الافاكين كاذبون يفترون على الشياطين ما لم يوحوا اليهم والافاك الذى يكثر
الافك ولا يدل ذلك على انهم لا ينطقون الا بالافك فاراد ان هؤلاء الافاكين قل من يصدق
منهم فيما يحكى عن الجن واكثرهم مفترى عليهم وعن الحسن وكلهم وانما فرق بين وانه لتنزيل رب
العالمين وما تنزلت به الشياطين هل انبئكم على من تنزل الشياطين وهن اخوات لانه اذا فرق
بينهن بايات ليست منهن ثم رجع اليهن مرة بعد مرة دل ذلك على شدة العناية بهن كما اذا
حدثت بحديث وفى صدرك اهتمام شئ فتعيد ذكره ولا تنفك عن الرجوع اليه ونزل فيمن
كان يقول الشعر ويقول نحن نقول كما يقول محمد عليه السلام واتبعهم غواة من قومهم يستمعون
اشعارهم والشعراء مبتدا وخبره يتبعهم الغاوون اى لا يتبعهم على باطلهم وكذبهم وتمزيق
الاعراض والقدح فى الانسان ومدح من لا يستحق المدح والهجاء ولا يستحسن ذلك منهم
الا الغاوون اى السفهاء او الراوون او الشياطين او المشركون او الشياطين قال الزجاج اذا
مدح او هجا شاعر بما لا يكون واحب ذلك قوم وتابعوه فهم الغاوون يتبعهم نافع
الم تر انهم فى كل واد من الكلام يهيمون حيران اى فى كل فن من الكذب يتحدثون او فى كل لغو
وباطل يخوضون والهائم الذاهب على وجهه لا مقصد له وهو تمثيل لذهابهم فى كل شعب من
القول واعتسافهم حتى يفضلوا اجبن الناس على عنترة وابخلهم على حاتم عن الفرزدق ان سليمان
بن عبد الملك سمع قوله فبتن بجانبى مصرعات وبت افض اغلاق الختام فقال قد وجب عليك
الحد فقال قد درأ الله عنى الحد بقوله وانهم يقولون ما لا يفعلون حيث وصفهم بالكذب
والخلف فى الوعد ثم استثنى الشعراء المؤمنين الصالحين بقوله الا الذين امنوا وعملوا الصالحات
كعبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت وكعب بن زهير وكعب بن مالك وذكروا الله كثيرا
اى كان ذكر الله وتلاوة القرآن اغلب عليهم من الشعر واذا قالوا شعرا قالوا فى توحيد الله

والثناء عليه والحكمة والموعظة والزهد والاداب ومدح رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة
وصلحاء الامة ونحو ذلك مما ليس فيه ذنب وقال ابو يزيد الذكر الكثير ليس بالعدد والغفلة
لكنه بالحضور وانتصروا وهجوا من بعد ما ظلموا هجوا اى ردوا هجاء من هجاء رسول الله صلى الله
عليه وسلم والمسلمين واحق الخلق بالهجاء من كذب رسول الله وهجاه وعن كعب بن مالك ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اهجهم فوالذى نفسى بيده لهو اشد عليهم من النبل وكان
يقول لحسان قل وروح القدس معك ختم السورة بما يقطع اكباد المتدبرين وهو قوله وسيعلم
وما فيه من الوعيد البليغ من قوله الذين ظلموا واطلاقه وقوله اى منقلب ينقلبون وابهامه
وقد تلاها ابو بكر لعمر رضى الله عنهما حين عهد اليه وكان السلف يتواعظون بها قال ابن عطاء
سيعلم المعرض عنا ما الذى فاته منا واى منصوب بينقلبون على المصدر لا بسيعلم لان اسماء
الاستفهام لا يعمل فيها ما قبلها اى ينقلبون اى انقلاب

سورة النمل وهى ثلث وتسعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم طس تلك ايات القرآن وكتاب
مبين اى وايات كتاب مبين وتلك اشارة الى ايات السورة والكتاب المبين اللوح وابانته
انه قد خط فيه ما هو كائن فهو يبينه للناظرين فيه ابانة او القرآن وابانته انه يبين ما
اودع فيه من العلوم وعلى هذا عطف على القرآن كعطف احدى الصفتين على الاخرى نحو
هذا فعل السخى والجواد وتكرار الكتاب ليكون الفخر له وقيل انما نكر الكتاب هنا وعرفه فى
الحجر وعرف القرآن هنا ونكره ثم لان القرآن والكتاب اسمان علمان للمنزل على محمد صلى الله عليه وسلم
ووصفان له لانه يقرأ ويكتب فحيث جاء بلفظ التعريف فهو العلم وحيث جاء بلفظ
التنكير فهو الوصف هدى وبشرى فى محل النصب على الحال من ايات اى هادية ومبشرة
والعامل فيها ما فى تلك من معنى الاشارة او الجر على انه بدل من كتاب او صفة له او الرفع
على هى هدى وبشرى او على البدل من ايات او على ان يكون خبرا بعد خبر تلك اى تلك ايات و
هادية من الضلالة ومبشرة بالجنة وقيل هدى لجميع الخلق وبشرى للمؤمنين خاصة الذين
يقيمون الصلوة يداومون على فرائضها وسننها ويؤتون الزكوة يؤدون زكوة اموالهم وهم
بالاخرة هم يوقنون من جملة صلة الموصول ويحتمل ان يتم الصلة عنده وهو استيناف كانه قيل

وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات من اقامة الصلوة وايتاء الزكوة هم الموقنون
بالاخرة ويدل عليه انه عقد جملة اسمية وكرر فيها المبتداء الذى هو هم حتى صار معناها وما
يوقن بالاخرة حق الايقان الا هؤلاء الجامعون بين الايمان والعمل الصالح لان خوف
العاقبة يحملهم على تحمل المشاق ان الذين لا يؤمنون بالاخرة زينا لهم اعمالهم بخلق الشهوة
فيهم حتى راوا ذلك حسنا كما قال افمن زين له سوء عمله فراه حسنا فهم يعمهون يترددون
فى ضلالتهم كما يكون حال الضال عن الطريق اولئك الذين لهم سوء العذاب القتل والاسر
يوم البدر بما كانوا منهم من سوء الاعمال وهم فى الاخرة هم الاخسرون اشد الناس
خسرانا لانهم لو امنوا لكانوا من الشهداء على جميع الامم فخسروا ذلك مع خسران النجاة
وثواب الله وانك لتلقى القران لتؤتاه وتلقنه من لدن حكيم عليم من عند اى حكيم
واى عليم وهذا معنى تنكيرهما وهذه الاية بساط وتمهيد لما يريد ان يسوق بعدها من
الاقاصيص وما فى ذلك من لطائف حكمته ودقايق علمه اذ منصوب باذكر كانه قال على اثر
ذلك خذ من اثار حكمته وعلمه قصة موسى قال موسى لاهله لزوجته ومن معه عند مسيره
من مدين الى مصر انى انست ابصرت نارا سايتكم منها بخبر عن حال الطريق لانه كان قد ضله
او اتيكم بشهاب بالتنوين كوفى اى شعلة مضيئة قبس نار مقبوس بدل او صفة وغيرهم
بشهاب قبس على الاضافة لانه يكون قبسا وغير قبس ولا تدافع بين قوله سايتكم هنا
ولعلى اتيكم فى القصص مع ان احدهما ترج والاخر تيقن لان الراجى اذا قوى رجاءه تقول
سافعل كذا وسيكون كذا مع تجويزه الخيبة وجمع بين التنوين عصمة لاهله انه ياتيهم به
وان ابطاء او كانت المسافة بعيدة باو لانه بنى الرجاء على انه ان يظفر بحاجتيه جميعا لم
يعدم واحدة منهما اما هداية الطريق واما اقتباس النار ولم يدر انه ظافر على النار بحاجتيه
كليتين وهما عز الدنيا والاخرة واختلاف الالفاظ فى هاتين السورتين والقصة واحدة
دليل على جواز نقل الحديث بالمعنى وجواز الصلوة بالفارسية وجواز النكاح بغير لفظ
النكاح والتزويج لعلكم تصطلون تستدفئون بالنار من البرد الذى اصابكم والطاء بدل
من تاء افتعل لاجل الصاد فلما جاءها اى النار التى ابصرها نودى موسى ان بورك مخففة

من المتقلة وتقديره نودى موسى بانه بورك والضمير للشان وجاز ذلك من غير عوض وان منعه
الزمخشرى لان قوله بورك دعاء والدعاء مخالف فى احكام كثيرة او مفسرة لان فى النداء معنى
القول اى قيل له بورك اى قدس او جعل فيه البركة والخير من فى النار ومن حولها اى بورك
من فى مكان النار وهم الملايكة ومن حول مكانها اى موسى لحدوث امر دينى فيها وهو تكليم
الله تعالى موسى عليه السلام واستنباؤه له واظهار المعجزاة عليه وسبحان الله رب العالمين
هو من جملة ما نودى فقد نزه ذاته عما لا يليق به من التشبيه وغيره يا موسى انه انا الله العزيز
الحكيم الضمير فى انه للشان والشان انا الله مبتداء وخبر والعزيز الحكيم صفتان للخبر او
يرجع الى ما دل عليه ما قبله اى ان مكلمك انا والله بيان لانا والعزيز الحكيم صفتان للمبين
وهو تمهيد لما اراد ان يظهر على يده من المعجزات والق عصاك لتعلم معجزتك فتانس بها وهو
عطف على بورك لان المعنى نودى ان بورك من فى النار والق عصاك كلاهما تفسير لنودى و
المعنى قيل له بورك من فى النار وقيل له الق عصاك ويدل عليه ما ذكر فى سورة القصص وان
الق عصاك بعد قوله ان يا موسى انى انا الله على تكرير حروف التفسير فلما راها اهتز تتحرك
حال من الهاء فى راها كانها جان حية صغيرة حال من الضمير فى تهتز ولى موسى مدبرا ادبر
عنها وجعلها تلى ظهره خوفا وتوبل الحية عليه ولم يعقب لم يلتفت او لم يرجع يقال عقب
فلان اذا رجع يقاتل بعد ان ولى فنودى يا موسى لا تخف انى لا يخاف لدى المرسلون اى لا يخاف
عندى المرسلون حال خطابى اياهم او لا يخاف لدى المرسلون من غيرى الا من ظلم اى لكن من ظلم
من غيرهم لان الانبياء لا يظلمون ولكن من ظلم منهم اى زل من المرسلين فجاء منه غير ما اذنت
له مما يجوز على الانبياء كما فرط من آدم ويونس وداود وسليمان عليهم السلام ثم بدل حسنا
اى اتبع توبة بعد سوء فعله فانى غفور رحيم اقبل توبته واغفر ذلته وارحمه فاحقق امنيته
وكانه عرض بما قال موسى حين قتل القبطى رب انى ظلمت نفسى فاغفر لى فغفر له وادخل يدك
فى جيبك جيب قميصك واخرجها تخرج بيضاء نيرة تغلب نور الشمس من غير سوء برص
بيضاء ومن غير سوء حالان فى تسع ايات كلام مستانف وفى يتعلق بمحذوف اى ذهب فى
تسع ايات او والق عصاك وادخل يدك فى جملة تسع الى فرعون وقومه يتعلق بمحذوف اى

مرسلا الى فرعون انهم كانوا قوما فاسقين خارجين من امر الله كافرين فلما جاءتهم اياتنا
معجزتنا مبصرة حال اى ظاهرة بينة جعل الابصار لها وهو فى الحقيقة لمتاملها الملابس بتهم اياها
بالنظر والتفكر فيها او جعلت كانها تبصر وتهدى لان العمى لا يقدر على الاهتداء فضلا ان
تهدى غيرها ومنه قولهم كلمة عوراء لان الكلمة الحسنة ترشد والسيئة تغوى قالوا هذا سحر مبين
ظاهر لمن تامله وقد قوبل بين المبصرة والمبين وجحدوا بها قيل الجحود لا يكون الا من علم من
الجاحد وهذا ليس بصحيح لان الجحود هو الانكار وقد يكون الانكار للشى للجهل به وقد يكون
بعد المعرفة تعنتا كذا فى شرح التاويلات وذكر فى الديوان يقال جحد حقه وبحقه بمعنى و
الواو فى واستيقنتها للحال وقد بعدها مضمرة والاستيقان ابلغ من الايقان انفسهم اى
جحدوها بالسنتهم واستيقنوها فى قلوبهم وضمائرهم ظلما حال من الضمير فى جحدوا اى
ظالمين اى اخس من ظلم من استيقن انها ايات من عند الله ثم سماها سحرا بينا وعلوا تكبرا وترفعا
عن الايمان بما جاء به موسى فانظر كيف كان عاقبة المفسدين وهو الاغراق هنا والاحراق
ثمة ولقد اتينا اعطينا داود وسليمان علما طائفة من العلم او علما سنيا عزيزا والمراد علم
الدين والحكمة وقالا الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين والاية حجة لنا على
المعتزلة فى ترك الاصلح وهنا محذوف ليصح عطف الواو عليه ولولا تقدير المحذوف
لكان الوجه الفاء كقولك اعطيته فشكر وتقديره اتيناهما علما فعملا به وعلماه وعرفا حق
النعمة فيه وقالا الحمد لله الذى فضلنا والكثير المفضل عليه من لم يؤت علما او من لم يؤت
مثل علمهما وفيها انهما فضلا على كثير وفضل عليهما كثير وفى الاية دليل على شرف العلم وتقدم
حملته واهله وان نعمة العلم من اجل النعم وان من اوتيه فقد اوتى فضلا على كثير من عباده
وما سماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثة الانبياء الا لمداناتهم لهم فى الشرف والمنزلة
لانهم القوام بما بعثوا من اجله وفيها انه يلزمهم لهذه النعمة الفاضلة ان يحمدوا الله على ما
اوتوه وان يعتقد العالم انه ان فضل على كثير فقد فضل عليه مثلهم وما احسن قول عمر رضى الله عنه
كل الناس افقه من عمر وورث سليمان داود وورث منه النبوة والملك دون سائر بنيه
وكانوا تسعة عشر قالوا اوتى النبوة مثل ابيه فكانه ورثه والا فالنبوة لا تورث وقال

يا ايها الناس علمنا منطق الطير تشهيرا لنعمة الله واعترافا بمكانها ودعاء للناس الى التصديق
بذكر المعجزة التى هى علم منطق الطير والمنطق كل ما يصوت به من المفرد والمؤلف المفيد وغير
المفيد وكان سليمان عليه السلام يفهم عنها كما يفهم بعضها من بعض روى انه صاحت فاختة
فاخبر انها تقول ليت الخلق لم يخلقوا وصاح طاوس فقال يقول كما تدين تدان وصاح
هدهد فقال يقول استغفروا الله يا مذنبون وصاح خطاف فقال يقول قدموا خيرا تجدوه
وصاحت رخمة فقال يقول سبحان الله ربى الاعلى ملء سمائه وارضه وصاح قمرى فاخبر انه
يقول سبحان ربى الاعلى وقالت الحداة يقول كل شىء هالك الا الله والقطاة يقول من سكت
سلم والديك يقول اذكروا الله يا ايها الغافلون والنسر يقول يا ابن آدم عش ما شئت
آخرك الموت والعقاب يقول فى البعد من الناس انس والضفدع يقول سبحان ربى القدوس
واوتينا من كل شىء والمراد به كثرة ما اوتى كما يقول فلان يعلم كل شىء ومثله واوتيت من كل شىء
ان هذا لهو الفضل المبين قول وارد على سبيل الشكر كقوله عليه السلام انا سيد ولد آدم ولا فخر
اى اقول هذا القول شكرا ولا اقوله فخرا والنون فى علمنا واوتينا نون الواحد المطاع وكان ملكا
مطاعا فكلم اهل طاعته على حالته التى كان عليها وليس التكبر من لوازم ذلك وحشر جمع لسليمان
جنوده من الجن والانس والطير روى ان معسكره كان مائة فرسخ فى مائة فرسخ خمسة
وعشرون للجن وخمسة وعشرون للانس وخمسة وعشرون للطير وخمسة وعشرون للوحش
وكان له الف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلث مائة منكوحة وسبعمائة سرية وقد نسجت
له الجن بساطا من ذهب وابريسم فرسخا فى فرسخ وكان موضع منبره فى وسطه وهو من
ذهب وفضة فيقعد عليه وحوله ستمائة الف كرسى من ذهب وفضة فيقعد الانبياء على الكراسى
الذهب والعلماء على الكراسى الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله
الطير باجنحتها حتى لا يقع عليه الشمس وترفع الريح الصبا البساط فتسير به مسيرة شهر
ويروى انه كان يامر الريح العاصف تحمله ويامر الرخاء تسيره فاوحى الله اليه وهو يسير بين
السماء والارض انى قد زدت فى ملكك لا يتكلم احد بشىء الا القته الريح فى سمعك فيحكى
انه مر بحراث فقال لقد اوتى آل داود ملكا عظيما فالقته الريح فى اذنه فنزل ومشى الى الحراث

والقطاة

وقال انما سئت اليك لئلا تتمنى ما لا تقدر عليه ثم قال والله لتسبيحة واحدة يقبلها الله خير
مما اوتى آل داود فهم يوزعون يحبس اولهم على آخرهم اى يوقف سلاف العسكر حتى يلحقهم
التوالى ليكونوا مجتمعين وذلك للكثرة والوزع المنع ومنه قول عثمان رضه ما يزع السلطان
اكثر مما يزع القران حتى اذا اتوا على واد النمل اى ساروا حتى اذا بلغوا وادى النمل وهو واد
بالشام كثير النمل وعدى بعلى لان اتيانهم كان من فوق فاتى بحرف الاستعلاء قالت نملة
عرجاء تسمى طاخية او منذرة وعن قتادة انه دخل الكوفة فالتف عليه الناس فقال سلوا عما
شئتم فسأله ابو حنيفة رح وهو شاب عن نملة سليمان اكانت ذكرا ام انثى فافحم فقال
ابو حنيفة رح كانت انثى فقيل له بم عرفت فقال بقوله تعالى قالت نملة ولو كانت ذكرا
لقال نملة وذلك ان النملة مثل الحمامة فى وقوعها على الذكر والانثى فيميز بينهما بعلامة
نحو قولهم حمامة ذكر وحمامة انثى وهو وهى يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم ولم يقل ادخلن
لانه لما جعلها قائلة والنمل مقولا لهم كما يكون فى اولى العقلاء اجرى خطابهن مجرى خطابهم
لا يحطمنكم لا يكسرنكم وهو نهى مستانف وهو فى الظاهر نهى لسليمان عن الحطم وفى الحقيقة
نهى لهن عن البروز والوقوف على طريقه لا اريتك ههنا اى لا تحضر هذا الموضع وقيل هو
جواب للامر وهو ضعيف يدفعه نون التاكيد لانه من ضرورات الشعر سليمان وجنوده
قيل اراد لا يحطمنكم جنود سليمان فجاء بما هو ابلغ وهم لا يشعرون لا يعلمون بمكانكم
اى لو شعروا لم يفعلوا قالت ذلك على وجه العذر واصفة سليمان وجنوده بالعدل
فتبسم سليمان قولها من ثلثة اميال فتبسم ضاحكا من قولها متعجبا من حذرها واهتدائها
لمصالحها ونصيحتها للنمل او فرحا لظهور عدله وضاحكا حال مؤكدة لان تبسم بمعنى ضحك
واكثر ضحك الانبياء التبسم كذا قال الزجاج وقال رب اوزعنى ان اشكر الهمنى وحقيقته
كفنى عن الاشياء الا عن شكر نعمتك اشكر نعمتك التى انعمت على من النبوة والملك والعلم و
على والدى لان الانعام على الوالدين انعام على الولد وان اعمل صالحا ترضيه فى بقية عمرى وادخلنى
برحمتك اى وادخلنى الجنة برحمتك لا بصالح عملى اذ لا يدخل الجنة احد الا برحمته كما جاء
فى الحديث فى عبادك الصالحين اى فى زمرة الانبياء المرسلين او مع عبادك الصالحين

روى ان النملة احست بصوت الجنود ولا تعلم انهم فى الهواء فامر سليمان عليه السلام الريح
فوقفت لئلا يذعرن حتى دخلت مساكنهن ثم دعا بالدعوة وتفقد الطير فقال ما لى مكى
وعلى وعاصم وغيرهم بسكون الياء والتفقد طلب ما غاب عنك لا ارى الهدهد ام كان
من الغائبين ام بمعنى بل والمعنى انه تعرف الطير فلم يجد فيه الهدهد فقال ما لى لا اراه على
معنى انه لا يراه وهو حاضر لساتر ستره او غير ذلك ثم لاح له انه غائب فاضرب عن ذلك
واخذ يقول بل اغائب وذكر ان سليمان عليه السلام لما حج خرج الى اليمن فوافى صنعاء وقت
الزوال فنزل ليصلى فلم يجد الماء وكان الهدهد قناقنه وكان يرى الماء من تحت الارض كما
يرى الماء فى الزجاجة فيستخرج الشياطين الماء فتفقده لذلك وذكر انه وقع نفحة من الشمس على
راس سليمان فنظر فاذا موضع هدهد خال فدعا عفريت الطير وهو النسر فساله عنه فلم يجد
عنده علمه ثم قال لسيد الطير وهو العقاب على به فارتفعت فنظرت فاذا هو مقبل فقصدته
فناشده الله فتركته فلما قرب من سليمان ارخى ذنبه وجناحيه يجرها على الارض وقال يا نبى الله
اذكر وقوفك بين يدى الله فارتعد سليمان وعفا عنه لاعذبنه عذابا شديدا بنتف ريشه
والقائه فى الشمس او بالتفريق بينه وبين الفه او بالزامه خدمة اقرانه او بالحبس مع اضداده
وعن بعضهم اضيق السجون معاشرة الاضداد او بايداعه القفص او بطرحه بين يدى
النمل لياكلنه وحل له تعذيب الهدهد لما راى فيه من المصلحة كما حل ذبح البهائم والطيور
للاكل وغيره من المنافع واذا سخر له الطير ولم يتم التسخير الا بالتاديب حل له التاديب والسياسة
او لاذبحنه او ليأتينى بالنون الثقيلة ليشاكل قوله لاعذبنه وحذف نون العماد للتخفيف
ليأتيننى بنونين مكى الاولى للتاكيد والثانية للعماد بسلطان مبين بحجة له فيها عذر ظاهر
على غيبته والاشكال انه حلف على احد ثلثة اشياء اثنان منها فعله ولا مقال فيه والثالث
فعل الهدهد وهو مشكل من اين درى انه ياتى بسلطان حتى قال والله ليأتينى بسلطان و
الجواب ان معنى كلامه ليكونن احد الامور يعنى ان كان الاتيان بالسلطان لم يكن تعذيب و
لا ذبح وان لم يكن كان احدهما وليس فى هذا ادعاء دراية فمكث الهدهد بعد تفقد سليمان
اياه وبضم الكاف غير عاصم وسهل ويعقوب وهما لغتان غير بعيد اى مكثا غير طويل او غير

زمان بعيد كقولك من قريب ووصف مكثه بقصر المدة للدلالة على اسراعه خوفا من سليمان فلما
رجع سأله عما لقي في غيبته فقال احطت علمت شيئا من جميع جهاته بما لم تحط به الهمه الله الهدهد فكافح
سليمان بهذا الكلام مع ما اوتي من فضل النبوة والعلوم الجمة ابتلاء له في علمه وفيه دليل بطلان
قول الرافضة ان الامام لا يخفى عليه شيء ولا يكون في زمانه احد اعلم منه وجئتك من سباء غير
منصرف ابو عمرو وجعله اسما للقبيلة او المدينة وغيره بالتنوين جعله اسما للحي والاب الاكبر
بنباء يقين النباء الخبر الذي له شان وقوله من سباء بنباء من محاسن الكلام ويسمى البديع
وقد حسن وبدع لفظا ومعنى منها الا ترى انه لو وضع مكان بنباء بخبر لكان المعنى صحيحا
وهو كما جاء اصح كما في النباء من الزيادة التي يطابقها وصف الحال اني وجدت امرءة هي
بلقيس بنت شراحيل وكان ابوها ملك ارض اليمن ولم يكن له ولد غيرها فغلبت على الملك
وكانت هي وقومها مجوسيا يعبدون الشمس والضمير في تملكهم راجع الى سبا على تاويل القوم
او اهل المدينة واوتيت حال وقد مقدرة من كل شيء من اسباب الدنيا ما يليق بحالها ولها
عرش سرير عظيم كبير قيل كان ثمانين ذراعا في ثمانين ذراعا وطوله في الهواء ثمانون ذراعا
فكان من ذهب وفضة وكان مرصعا بانواع الجوهر وقوائمه من ياقوت احمر واخضر ودر
وزمرد وعليه سبعة ابيات على كل بيت باب مغلق واستصغر حالها الى حال سليمان فاستعظم
عرشها كذلك وقد اخفى الله تعالى على سليمان ذلك لمصلحة راها كما اخفى مكان يوسف على
يعقوب وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم
عن السبيل اي سبيل التوحيد فهم لا يهتدون الى الحق ولا يبعد من الهدهد التهدي الى معرفة الله
ووجوب السجود له وحرمة السجود للشمس الهاما من الله له كما الهمه وغيره من الطيور و
سائر الحيوان المعارف اللطيفة التي لا يكاد العقلاء الرجاح العقول يهتدون لها الا يسجدوا
بالتشديد اي فصدهم عن السبيل لان لا يسجدوا فحذف الجار مع ان وادغمت النون في اللام ويجوز
ان تكون لا مزيدة ويكون المعنى فهم لا يهتدون الى ان يسجدوا وبالتخفيف يزيد وعلي و
تقديره الا يا هؤلاء اسجدوا فالا للتنبيه ويا حرف النداء ومناداه محذوف فمن شدد لم
يقف الا على العرش العظيم ومن خفف وقف على فهم لا يهتدون ثم ابتداء الا يسجدوا واو قف

على الا يا ثم ابتداء اسجدوا وسجدة التلاوة واجبة في القراءتين جميعا بخلاف ما يقوله الزجاج
انه لا يجب السجود مع التشديد لان مواضع السجدة اما امر بها او مدح للاتي بها او ذم لتاركها
واحدى القراءتين امر والاخرى ذم للتارك لله الذي يخرج الخبء سمي المخبوء بها بالمصدر في
السموات والارض وعن قتادة خبء السماء المطر وخبء الارض النبات ويعلم ما تخفون وما
تعلنون وبالتاء فيهما علي وحفص الله لا اله الا هو رب العرش العظيم وصف الهدهد عرش
الله بالعظيم تعظيم له بالنسبة الى سائر ما خلق من السموات والارض ووصفه عرش بلقيس تعظيم
له بالاضافة الى عروش ابناء جنسها من الملوك الى ههنا كلام الهدهد فلما فرغ من كلامه قال
سليمان للهدهد سننظر من النظر الذي هو التامل اصدقت فيما اخبرت ام كنت من الكاذبين
وهذا ابلغ من كذبت لانه اذا كان معروفا بالانخراط في سلك الكاذبين كان كاذبا لا محالة
واذا كان كاذبا اتهم بالكذب فيما اخبر به فلم يوثق به ثم كتب سليمان كتابا صورته من عبد الله
سليمان بن داود الى بلقيس ملكة سباء بسم الله الرحمن الرحيم السلام على من اتبع الهدى اما
بعد فلا تعلوا علي واتوني مسلمين وختمه بالمسك وختمه بخاتمه وقال للهدهد اذهب
بكتابي هذا فالقه بسكون الهاء تخفيفا ابو عمرو وعاصم وحمزة ويختلسها بكسر اليدل الكسرة على الياء
المحذوفة يزيد وقالون ويعقوب فالقه باثبات الياء غيرهم اليهم الى بلقيس وقومها لانه
ذكرهم معها في قوله وجدتها وقومها يسجدون للشمس وبنى الخطاب في الكتاب على لفظ
الجمع لذلك ثم تول عنهم تنح عنهم الى مكان قريب بحيث تراهم ولا يرونك ليكون ما يقولونه
بمسمع منك فانظر ماذا يرجعون ما الذي يردونه من الجواب فاخذ الهدهد الكتاب بمنقاره
ودخل عليها من كوة وطرح الكتاب على نحرها وهي راقدة وتوارى في الكوة فانتبهت فزعة
او اتاها والجنود حواليها فرفرف ساعة فالقى الكتاب في حجرها وكانت قارئة فلما رات الخاتم
قالت لقومها خاضعة خائفة يا ايها الملا اني بفتح الياء مدني القي الي كتاب كريم حسن مضمونه
وما فيه او مختوم قال عليه الصلوة والسلام كرم الكتاب ختمه وقيل من كتب الى اخيه كتابا ولم يختمه
فقد استخف به او مصدر ببسم الله الرحمن الرحيم او لان عند ملك كريم انه من سليمان وانه بسم الله
الرحمن الرحيم هو تبيين لما القي اليها كانها لما قالت اني القي الي كتاب كريم قيل لها ممن هو وما هو فقالت

انه من سليمان وانه كتبت وكيت وان فى ان لا تقلوا الا ترفعوا على ولا تكبروا كما يفعل الملوك مفسرة
كقوله وان طلق الملاء منهم ان امشوا واتونى مسلمين مؤمنين او منقادين وكتب الانبياء
عليهم السلام مبنية على الايجاز والاختصار قالت يا ايها الملاء افتونى فى امرى اشيروا على فى
الامر الذى نزل بى والفتوى الجواب فى حادثة اشتقت على طريقة الاستعارة من الفتاء فى السن
والمراد ههنا الاشارة عليها بما عندهم من الراى وقصدها بالرجوع الى استشارتهم تطييب
نفوسهم ليمالئوها ويقوموا معها ما كنت قاطعة امرا فاصلة او ممضية حكما حتى تشهدون
بكسر النون والفتح لحن لان النون انما تفتح فى موضع الرفع وهذا موضع النصب واصله
تشهدوننى فحذفت النون الاولى للنصب والياء لدلالة الكسرة عليها وبالياء فى الوصل
والوقف يعقوب اى تحضرونى وتشيروا لى او تشهدوا انه صواب اى لا ابت امرا الا بمحضركم
وقيل كان اهل مشورتها ثلثمائة وثلثة عشر رجلا كل واحد على عشرة الف قالوا مجيبين
لها نحن اولوا قوة واولوا باس شديد ارادوا بالقوة قوة الاجساد والالات وبالباس
النجدة والبلاء فى الحرب والامر اليك فانظرى ماذا تامرين اى هو موكول اليك ونحن مطيعون
لك فمرينا بامرك نطعك ولا نخالفك كانهم اشاروا اليها بالقتال او ارادوا نحن من ابناء
الحرب لا من ابناء الراى والمشورة وانت ذات الراى والتدبير فانظرى ماذا تامرين
اى هو موكول اليك ونحن مطيعون لك فمرينا بامرك نطعك ولا نخالفك كانهم اشاروا
اليها بالقتال او ارادوا نحن من ابناء الحرب لا من ابناء الراى والمشورة وانت ذات الراى
والتدبير فانظرى ماذا ترين نتبع رايك فلما احست منهم الميل الى المحاربة مالت الى المصالحة
ورتبت الجواب فزيفت اولا ما ذكروه واريتهم الخطاء فيه حيث قالت ان الملوك اذا دخلوا
قرية عنوة وقهرا افسدوها خربوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة اذلوا امراءها وامناءها واشرافها
وقتلوا واسروا فذكرت لهم سوء مغبة الحرب ثم قال وكذلك يفعلون ارادت وهذه
عادتهم ارادت وهذه عادتهم المستمرة التى لا تتغير لانها كانت فى بيت الملك القديم فسمعت
نحو ذلك ورات ثم ذكرت بعد ذلك حديث الهدية فما رات من الراى السديد وقيل هو تصديق
من الله لقولها واحتج الساعى فى الارض بالفساد بهذه الاية ومن استباح حراما فقد كفر فاذا

احتج له بالقران على وجه التحريم فقد جمع بين كفرين وانى مرسلة اليهم بهدية اى مرسلة
رسلا بهدية فناظرة فمنتظرة بم اى بما الا ان الالف تحذف مع حرف الجر فى ما الاستفهامية
يرجع المرسلون بقبولها او بردها لانها عرفت عادة الملوك وحسن مواقع الهدايا عندهم
فان كان ملكا قبلها وانصرف وان كان نبيا ردها ولم يرض منا الا ان نتبعه على دينه فبعثت
خمسماية غلام فى ثياب الجوارى وحليهن راكبى خيل مغشاة بالديباج محلاة اللجم والسروج
بالذهب المرصع بالجواهر وخمسماية جارية على رماك فى زى الغلمان والف لبنة من ذهب و
فضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت وحقا فيه درة عذراء وجزعة معوجة الثقب و
بعثت رسلا وامرت عليهم المنذر بن عمرو بدليل قوله بم يرجع المرسلون وكتبت كتابا فيه
نسخة الهدايا وقالت فيه ان كنت نبيا فميز بين الوصفاء والوصائف واخبر بما فى الحقة
وانقب الدرة ثقبا مستويا فاسلك فى الخرزة خيطا ثم قالت للمنذر ان نظر اليك نظر غضبان
فهو ملك فلا يهولنك منظره وان رايته بشاشا لطيفا فهو نبى فاقبل الهدهد فاخبر
سليمان كله فامر سليمان الجن فضربوا لبنات الذهب والفضة وفرشوها فى ميدان بين
يديه طوله سبعة فراسخ وجعلوا حول الميدان حائطا شرفه من الذهب والفضة وامر باحسن
الدواب فى البر والبحر فربطوها عن يمين الميدان ويساره على اللبنات وامر باولاد الجن وهم
خلق كثير فاقيموا عن اليمين واليسار ثم قعد على سريره والكراسى من جانبيه واصطفت
الشياطين صفوفا فراسخ والانس صفوفا فراسخ والوحش والسباع والطيور والهوام
كذلك فلما دنا القوم ونظروا ورأوا الدواب تروث على اللبن رموا بما معهم من الهدايا ولما وقفوا
بين يديه نظر اليهم سليمان بوجه طلق فاعطوه كتاب الملكة فنظر فيه فقال اين الحقة فامر
الارضة فاخذت شعرة ونفذت فى الدرة واخذت دودة بيضاء الخيط بفمها ونفذت
فيها ودعا بالماء فكانت الجارية تاخذ الماء بيدها فتجعل فى الاخرى ثم تضرب به وجهها والغلام
كما ياخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدية وقال للمنذر ارجع اليهم فلما جاء رسولها المنذر بن
عمرو سليمان قال اتمدونن بمال بنونين واثبات الياء فى الوصل والوقف مكى وسهل وافق
مدنى وابو عمرو فى الوصل اتمدونى حمزة ويعقوب فى الحالين وغيرهم بنونين بلا ياء فيهما

والخطاب للرسل فما آتانى الله من النبوة والملك والنعمة وبفتح الياء مدنى وابو عمرو وحفص
خير مما آتيكم من زخارف الدنيا بل انتم بهديتكم تفرحون الهدية اسم المهدى كما ان العطية
اسم المعطى فتضاف الى المهدى والمهدى له تقول هذه هدية فلان تريد هى التى هداها
او اهديت اليه والمعنى ان ما عندى خير مما عندكم وذلك ان الله تعالى آتانى الدين الذى
فيه الحظ الاوفر والغناء الاوسع وآتانى من الدنيا ما لا يستزاد عليه فكيف يرضى مثلى بان
يمد بمال بل انتم قوم لا تعلمون الا ظاهرا من الحيوة الدنيا فلذلك تفرحون بما تزادون
ويهدى اليكم لان ذلك مبلغ همتكم وحالى خلاف حالكم وما ارضى منكم بشئ ولا افرح به الا
بالايمان وترك المجوسية والفرق بين قولك اتمدوننى بمال وانا اغنى منك وبين ان تقوله
بالفاء انى اذا قلته بالواو جعلت مخاطبى عالما بزيادتى عليه بالغنى وهو مع ذلك يمدنى
بالمال واذا قلته بالفاء فقد جعلته ممن خفيت عليه حالى فانا اخبره الساعة بما لا احتياج
معه الى امداده كانى اقول له انكر عليك ما فعلت فانى غنى عنك وعليه ورد فما آتانى الله
ووجه الاضراب انه لما انكر عليهم الامداد وعلل انكاره اضرب عن ذلك الى بيان السبب
الذى حملهم عليه وهو انهم لا يعرفون سبب رضاء ولا فرح الا ان يهدى اليهم حظ من الدنيا
التى لا يعرفون غيرها ارجع خطاب للرسول او للهدهد محملا كتابا آخر اليهم الى بلقيس و
قومها فلنأتينهم بجنود لا قبل لا طاقة لهم بها وحقيقة القبل المقاومة والمقابلة اى لا
يقدرون ان يقابلوهم ولنخرجنهم منها من سبأ اذلة وهم صاغرون الذل ان يذهب عنهم
ما كانوا فيه من العز والملك والصغار ان يقعوا فى اسر واستعباد فلما رجع اليها رسولها
بالهدايا وقص عليها القصة قالت هو نبى وما لنا به طاقة ثم جعلت عرشها فى آخر سبعة
ابيات وغلقت الابواب ووكلت به حرسا يحفظونه وبعثت الى سليمان انى قادمة
اليك لانظر بالذى تدعوا اليه وشخصت اليه فى اثنى الف قيل تحت كل قيل الوف فلما بلغت
على راس فرسخ من سليمان قال يا ايها الملؤا ايكم يأتينى بعرشها قبل ان يأتونى مسلمين اراد
ان يريها بذلك بعض ما خصه الله تعالى به من اجراء العجائب على يده مع اطلاعها على عظم
قدرة الله وعلى ما يشهد لنبوة سليمان او اراد ان يأخذه قبل ان تسلم لعلمه انها اذا اسلمت لم يحل

له اخذ

له اخذ مالها وهذا بعيد عند اهل التحقيق او اراد ان يؤتى به فينكر ويغير ثم ينظر أتثبته ام
تنكره اختبارا لعقلها قال عفريت من الجن وهو الخبيث المارد واسمه ذكوان انا آتيك
به قبل ان تقوم من مقامك مجلس حكمك وقضائك وانى عليه على حمله لقوى امين آتى به كما هو لا
اختزل منه شيئا ولا ابدله فقال سليمان عليه السلام اريد اعجل من هذا قال الذى عنده علم من الكتاب
اى ملك بيده كتاب المقادير ارسله الله تعالى عنده قول العفريت او جبريل عليه السلام
والكتاب على هذا اللوح المحفوظ او الخضر او آصف بن برخيا كاتب سليمان وهو الاصح
وعليه الجمهور وكان عنده اسم الله الاعظم الذى اذا دعى به اجاب وهو يا حى يا قيوم او
يا ذا الجلال والاكرام او يا الهنا واله كل شئ الها واحدا لا اله الا انت وقيل كان له علم بمجارى
الغيوب انا آتيك به بالعرش وآتيك فى الموضعين يجوز ان يكون فعلا او اسم فاعل ومعنى
قوله قبل ان يرتد اليك طرفك انك ترسل طرفك الى شئ فقبل ان ترده ابصرت العرش
بين يديك ويروى ان آصف قال لسليمان عليه السلام مد عينيك مد عينيك حتى ينتهى
طرفك فمد عينيه فنظر نحو اليمن ودعا آصف فغار العرش فى مكانه ثم نبع عند مجلس سليمان
بقدرة الله تعالى قبل ان يرتد طرفه فلما رآه اى العرش مستقرا عنده ثابتا غير مضطرب
قال هذا اى حصول مرادى وهو حضور العرش فى مدة ارتداد الطرف من فضل ربى على
واحسانه الى بلا استحقاق منى بل هو فضل خال عن العوض صاف عن الغرض ليبلونى أأشكر
ليمتحننى أأشكر انعامه ام اكفر ومن شكر فانما يشكر لنفسه لانه يحط به عنها عبء الواجب
ويصونها عن سمة الكفران ويستجلب به المزيد ويرتبط به النعمة فالشكر قيد النعمة الموجودة
وصيد النعمة المفقودة وفى كلام بعضهم ان كفران النعمة بوار وقلما اقشعت نافرة فرجعت
فى نصابها فاستدع شاردها بالشكر واستدم راهنها بكرم الجوار واعلم ان سبوغ ستر الله
متقلص عما قريب اذا انت لم ترج لله وقارا اى لم يشكر لله نعمه ومن كفر فان ترك على
النعمة فان ربى غنى عن الشكر كريم بالانعام على من يكفر نعمته قال الواسطى ما كان منا من
الشكر فهو لنا وما كان منه من النعمة فهو الينا وله المنة والفضل علينا قال نكروا لها عرشها
غيروا اى اجعلوا مقدمه مؤخره واعلاه اسفله ننظر بالجزم على الجواب أتهتدى الى معرفته

عرشها او للجواب الصواب اذا سئلت عنه ام تكون من الذين لا يهتدون فلما جاءت
بلقيس قيل اهكذا عرشك ها للتنبيه والكاف للتشبيه وذا اسم الاشارة ولم يقل اهذا
عرشك ولكن امثل هذا عرشك لئلا يكون تلقينا قالت كانه هو فاجابت احسن جواب
ولم تقل هو هو ولا ليس به وذلك من رجاحة عقلها حيث لم تقطع في المحتمل للامرين
او لما شبهوا عليها بقولهم هكذا عرشك شبهت عليهم بقولها كانه هو مع انها علمت عرشها
واوتينا العلم من قبلها من كلام بلقيس اي واوتينا العلم بقدرة الله وبصحة نبوتك بالآيات
المتقدمة من امر الهدهد والرسل ومن قبل هذه المعجزة اي اظهار العرش ومن قبل هذه الحالة
وكنا مسلمين منقادين لك مطيعين لامرك او من كلام سليمان وملائه عطفوا على كلامها قولهم
واوتينا العلم باسلامها ومجيئها طائعة من قبل مجيئها وكنا مسلمين موحدين خاضعين وصدها
ما كانت تعبد من دون الله متصل بكلام سليمان اي وصدها عن العلم بما علمناه او عن التقدم
الى الاسلام عبادة الشمس ونشوؤها بين ظهراني الكفرة بقوله ثم بين نشوؤها بين الكفرة
بقوله انها كانت من قوم كافرين او كلام مبتدأ اي قال الله تعالى وصدها قبل ذلك عما دخلت
فيه ضلالها عن سواء السبيل او وصدها الله او سليمان عما كانت تعبد بتقدير حذف الجار
وايصال الفعل قيل لها ادخلي الصرح القصر او صحن الدار فلما رأته حسبته لجة ماء عظيما و
كشفت عن ساقيها ساقيها بالهمزة مكي روي ان سليمان عليه السلام امر قبل قدومها فبني
له على طريقها قصر من زجاج ابيض واجرى من تحتها الماء والقى فيه السمك وغيره ووضع
سريره في صدره فجلس عليه وعكف عليه الطير والجن والانس وانما فعل ذلك ليزيدها استعظاما
لامره وتحقيقا للنبوة وقيل ان الجن كرهوا ان يتزوجها فتفضي اليه باسرارهم لانها كانت
بنت جنية وقيل خافوا ان يولد له منها ولد يجتمع له فطنة وهي شعراء الساقين ورجلها
كحافر الحمار والانس فيخرجون من ملك سليمان الى ملك هو اشد فقالوا له ان في عقلها شيئا
وهي شعراء الساقين ورجلها كحافر الحمار فاختبر عقلها بتنكير العرش واتخذ الصرح ليتعرف
ساقها ورجلها فكشفت عنهما فاذا هي احسن الناس ساقا وقدما الا انها شعراء وصرف بصره
ثم قال لها انه صرح ممرد مملس مستو ومنه الامرد من قوارير من الزجاج واراد سليمان تزوجها فكره

شعرها

شعرها فعملت لها الشياطين النورة فازالته فنكحها سليمان واحبها واقرها على ملكها وكان يزورها
في الشهر مرة فيقيم عندها ثلاثة ايام وولدت له قالت رب اني ظلمت نفسي اي بعبادة الشمس واسلمت
مع سليمان لله رب العالمين قال المحققون لا يحتمل ان يحتال سليمان لينظر الى ساقيها وهي اجنبية
فلا يصح القول بمثله ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم في النسب صالحا بدل ان اعبدوا الله بكسر النون
في الوصل عاصم وحمزة وبصري وبضم النون غيرهم اتباعا للبناء والمعنى بان اعبدوا الله اي وحدوه
فاذا للمفاجاة هم مبتدأ فريقان خبر يختصمون صفة وهي العامل في اذا والمعنى فاذا قوم صالح
فريقان مؤمن به وكافر به يختصمون فيقول كل فريق الحق معي وهو مبين في قوله قال الملأ
الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه
قالوا انا بما ارسل به مؤمنون قال الذين استكبروا انا بالذي آمنتم به كافرون وقال الفريق الكافر منهم
يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة بالعذاب الذي توعدون
به قبل الحسنة قبل التوبة لولا تستغفرون الله تطلبون المغفرة من كفركم بالتوبة والايمان
قبل نزول العذاب بكم لعلكم ترحمون بالاجابة قالوا اطيرنا بك تشاءمنا بك لانهم قحطوا عند
مبعثه لتكذيبهم فنسبوه الى مجيئه والاصل تطيرنا وقرئ به فادغمت التاء في الطاء وزيدت
الالف لسكون التاء وبمن معك من المؤمنين قال طائركم عند الله اي سببكم الذي يجيء منه خيركم
وشركم عند الله وهو قدره وقسمته او عملكم مكتوب عند الله فمنه نزل بكم ما نزل عقوبة لكم و
فتنة ومنه وكل انسان الزمناه طائره في عنقه واصله ان المسافر اذا مر بطائر يزجره فان
مر سانحا تيمن وان مر بارحا تشاءم فلما نسبوا الخير والشر الى الطائر استعير لما كان سببهما من قدر الله
وقسمته او من عمل العبد الذي هو السبب في الرحمة والنقمة بل انتم قوم تفتنون تختبرون
او تعذبون بذنبكم وكان في المدينة مدينة ثمود وهي الحجر تسعة رهط هو جمع لا واحد له
فلذا جاز تمييز التسعة به فكانه قيل تسعة انفس وهو من الثلاثة الى العشرة عن ابن زيد رأسهم
قدار بن سالف وهم الذين سعوا في عقر الناقة وكانوا ابناء اشرافهم يفسدون في الارض ولا
يصلحون يعني ان شانهم الافساد البحت الذي لا يخلط بشيء من الصلاح كما ترى بعض المفسدين
قد يندر منه بعض الصلاح وعن الحسن يظلمون الناس ولا يمنعون الظالمين من الظلم وعن ابن

عطاء يتبعون معايب الناس ولا يسترون عوراتهم قالوا تقاسموا بالله تحالفوا خبر في
الحال باضمار قد اي قالوا متقاسمين او امر اي امر بعضهم بعضا بالقسم لنبيتنه لنقتلنه بياتا اي
ليلا واهله ولده وتبعه ثم لنقولن لوليه اولى دمه لتبيتنه بالتاء وضم التاء الثانية ثم لتقولن
بالتاء وضم اللام حمزة وعلي ما شهدنا ما حضرنا مهلك اهله حفص مهلك ابو بكر وحماد و
المفضل فالاولى من هلك موضع الهلاك والثاني المصدر مهلك غيرهم من اهلك وهو
الاهلاك ومكان الاهلاك اي تعرض لاهله فكيف تعرضنا له او ما حضرنا موضع هلاكه
فكيف توليناه وانا لصادقون فيما ذكرنا ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون
مكرهم ما اخفوه من تدبير الفتك بصالح واهله ومكر الله اهلاكهم من حيث لا يشعرون
شبه بمكر الماكر على سبيل الاستعارة وروي انه كان لصالح مسجد في الحجر في شعب يصلي فيه
فقالوا زعم صالح انه يفرغ منا الى ثلث فنحن نفرغ منه ومن اهله قبل الثلث فخرجوا الى
شعب وقالوا اذا جاء يصلي قتلناه ثم رجعنا الى اهله فقتلناهم فبعث الله صخرة من صخرة
الجبل حيالهم فبادروا وانطبقت الصخرة عليهم فم الشعب فلم يدر قومهم اين هم ولم يدروا
ما فعل بقومهم وعذب الله كلا منهم في مكانهم ونجى صالحا ومن معه فانظر كيف كان عاقبة
مكرهم انا دمرناهم بفتح الالف كوفي وسهل وبكسرها غيرهم على الاستيناف ومن فتحه دفعه
على انه بدل من العاقبة او خبر كان عاقبة مكرهم الدمار وقومهم بتداء محذوف تقديره
هي تدميرهم او نصبه على معنى لانا او على انه خبر كان اي كان عاقبة مكرهم الدمار وقومهم
اجمعين بالصيحة فتلك بيوتهم خاوية ساقطة منهدمة من خوى النجم اذا سقطت او خالية
من الخوى وهي حال عمل فيها ما دل عليه تلك بما ظلموا بظلمهم ان في ذلك فيما فعل بثمود لاية لقوم
يعلمون قدرتنا فيتعظون وانجينا الذين امنوا بصالح وكانوا يتقون ترك اوامره وكانوا
اربعة آلاف بجوا مع صالح من العذاب ولوطا اذ قال اي واذكر لوطا واذ بدل من لوطا اي واذكر
وقت قول لوط لقومه اتاتون الفاحشة اي اتيان الذكور وانتم تبصرون تعلمون انها فاحشة
لم تسبقوا اليها من بصر القلب او يرى ذلك بعضهم من بعض لانهم كانوا يرتكبونها في ناديهم معالنين
بها لا يستتر بعضهم من بعض مجانة وانها كانى المعصية وتبصرون اثار العصاة قبلكم وما نزل

منهم ثم صرح فقال ائنكم بهمزتين كوفي وشامي لتاتون الرجال شهوة من دون النساء اي
ان الله تعالى انما خلق الانثى للذكر ولم يخلق الذكر للذكر ولا الانثى للانثى فهو مضادة لله تع
في حكمه بل انتم قوم تجهلون تفعلون فعل الجاهلين بانها فاحشة مع علمكم بذلك او
اريد بالجهل السفاهة والمجانة التي كانوا عليها وقد اجتمع الخطاب والغيبة في قوله بل انتم
قوم تجهلون وبل انتم قوم تفتنون فغلب الخطاب على الغيبة لانه اقوى اذ الاصل ان
يكون الكلام بين الحاضرين فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا آل لوط اي لوطا و
متبعيه فخبر كان جواب واسم ان قالوا من قريتكم انهم اناس يتطهرون يتنزهون
من القاذورات فينكرون هذا العمل القذر ويغيظنا انكارهم قيل هو للاستهزاء كقوله
انك لانت الحليم الرشيد فانجيناه فخلصناه من العذاب الواقع بالقوم واهله الا امراته
قدرناها بالتشديد سوى حماد وابي بكر اي قدرنا كونها من الغابرين من الباقين في العذاب
وامطرنا عليهم مطرا حجارة مكتوبا عليها اسم صاحبها فساء مطر المنذرين الذين لم يقبلوا
الانذار قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى امر رسوله محمدا عليه الصلوة والسلام
بتحميده ثم بالسلام على المصطفين من عباده توطية لما يتلوه من الدلالة على وحدانيته
وقدرته على كل شئ وهو تعليم لكل متكلم في كل امر ذي بال بان يتبرك بهما ويستظهر بمكانهما
او هو خطاب للوط عليه السلام ان يحمد الله على هلاك كفار قومه ويسلم على من اصطفاه
الله ونجاه من هلكتهم وعصمه من ذنوبهم ءالله خير اما يشركون بالياء بصري وعاصم
ولا خير فيما اشركوه اصلا حتى يوازن بينه وبين من هو خالق كل شئ وانما هو الزام لهم
وتهكم بحالهم وذلك انهم اثروا عبادة الاصنام على عبادة الله تعالى ولا يوثر عاقل شيا على
شئ الا لداع يدعوه الى ايثاره من زيادة خير ومنفعة فقيل لهم مع العلم بانه لا خير فيما
اثروه وانهم لم يوثروه لزيادة الخير ولكن هوى وعبثا لينبهوا على الخطا المفرط والجهل المورط
وليعلموا ان الايثار يجب ان يكون للخير الزائد وكان عليه الصلوة والسلام اذا قراءها قال
بل الله خير وابقى واجل واكرم ثم عدد سبحانه الخيرات والمنافع التي هي اثار رحمته وفضله
فقال امن خلق السموات والارض والفرق بين ام وام في اما يشركون وامن خلق ان

تلك متصلتا ذا المعنى ايهما خير وهذا منقطعة بمعنى بل والهمزة ولما قال الله خير ام الالهة قال بل امن
خلق السموات والارض تقدير الهم بان من قدر على خلق العالم من جاد لا يقدر على شيء وانزل
لكم من السماء ماء مطرا فانبتنا صرف الكلام من الغيبة الى التكلم تاكيدا لمعنى اختصاص الفعل
بذاته وايذانا بان انبات الحدايق المختلفة الاصناف والالوان والطعوم والاشكال مع حسنها
بماء واحد لا يقدر عليه الا هو وحده به بالماء حدايق بساتين والحديقة البستان عليه حايط من
الاحداق وهو الاحاطة ذات ولم يقل ذوات لان المعنى جماعة حدايق كما تقول النساء ذهبت
بهجة حسن لان الناظر يبتهج به ثم رشح معنى الاختصاص بقوله ماكان لكم ان تنبتوا شجرها
ومعنى الكينونة الانبغاء اراد ان تاتى ذلك محال من غيره ء اله مع الله اى غيره يقرن به
ويجعل شريكا له بل هم قوم يعدلون به غيره او يعدلون عن الحق الذى هو التوحيد وبلهم
بعد الخطاب ابلغ فى تخطية رايهم امن جعل الارض وما بعده بدل من امن فكان حكمها حكمه
قرارا دحاها وسواها للاستقرار عليها وجعل خلالها ظرف اى وسطها وهو المفعول
الثانى والاول انهارا وبين البحرين مثله وجعل لها للارض رواسى جبالا تمنعها عن الحركة
وجعل بين البحرين العذاب والملح حاجزا مانعا ان يختلطا ء اله مع الله بل اكثرهم لا
يعلمون التوحيد فلا يؤمنون امن يجيب المضطر اذا دعاه الاضطرار الافتعال من الضرورة
وهى حالة المحوجة الى اللجاء يقال اضطره الى كذا والفاعل والمفعول مضطر والمضطر الذى
احوجه مرض افقر او نازلة من نوازل الدهر الى اللجاء والتضرع الى الله او المذنب اذا استغفر
او المظلوم اذا دعاه او من رفع يديه ولم ير نفسه حسنة غير التوحيد وهو منه على خطر و
يكشف السوء الضر او الجور ويجعلكم خلفاء الارض اى فيها وذلك توارثهم سكناها والتصرف
فيها قرنا بعد قرن او اراد بالخلافة الملك والتسلط ء اله مع الله قليلا ما تذكرون وبالياء
ابو عمرو وبالخفيفة حمزة وعلى وحفص وما مزيدة اى تذكرون تذكرا قليلا امن يهديكم
يرشدكم بالنجوم فى ظلمات البر والبحر ليلا او بعلامات فى الارض نهارا ومن يرسل الرياح
الريح مكى وحمزة وعلى بشرا من البشارة وقدام بين يدى رحمته قدام المطر ء اله مع الله تعالى
الله عما يشركون امن يبدؤا الخلق يشاء الخلق ثم يعيده وانما قيل لهم ثم يعيده وهم منكرون

للاعانة لانه اوجبت عليهم بالتمكين من المعرفة والاقرار فلم يبق لهم عذر فى الانكار ومن
يرزقكم من السماء المطر والارض اى من الارض النبات ء اله مع الله قل هاتوا برهانكم حجتكم
على اشراككم ان كنتم صادقين فى دعواكم ان مع الله الها آخر قل لا يعلم من فى السموات و
الارض الغيب الا الله من فاعل يعلم والغيب وهو ما لم يقم عليه دليل ولا اطلع عليه مخلوق
مفعوله والله بدل من من والمعنى لا يعلم احد الغيب الا الله ثم ان الله يتعالى عن ان يكون
ممن فى السموات والارض ولكنه جاء على لغة بنى تميم حيث يجرون الاستثناء المنقطع مجرى
المتصل ويجيزون النصب والبدل فى المنقطع كما فى المتصل ويقولون ما فى الدار احد الا حمار قالت
عايشة رض من زعم انه يعلم ما فى غد فقد اعظم على الله الفرية والله تعالى يقول قل لا يعلم
من فى السموات والارض الغيب الا الله وقيل نزلت فى المشركين حين سالوا رسول الله
عن وقت الساعة وما يشعرون وما يعلمون ايان متى يبعثون ينشرون بل ادرك مكى وبصرى
ويزيد والمفضل اى انتهى وتكامل من ادركت الفاكهة تكاملت نضجا بل ادرك بل اادرك
غيرهم اى استحكم واصله تدارك فادغمت التاء فى الدال وزيد الف الوصل ليمكن التكلم بهما
علمهم فى الاخرة اى فى شان الاخرة ومعناها والمعنى ان اسباب استحكام العلم وتكامله بان
القيامة كائنة قد حصلت لهم ومكنوا من معرفته وهم شاكون جاهلون وذلك قوله بل هم
فى شك منها بل هم منها عمون والاضرابات الثلاثة تنزيل لاحوالهم وتكرير لجهلهم وصفهم اولا
بانهم لا يشعرون وقت البعث ثم بانهم لا يعلمون ان القيامة كائنة ثم بانهم يخبطون فى شك
ومرية فلا يزيلونه والازالة مستطاعة ثم بما هو اسوء حالا وهو العمى وقد جعلت الاخرة مبدأ
عماهم ومنشأه فلذا عداه بمن دون عن لان الكفر بالعاقبة والجزاء هو الذى منعهم عن التدبر
وتفكروا ووجه ملائمة مضمون هذه الاية وهو وصف المشركين بانكارهم البعث مع استحكام
اسباب العلم والتمكن من المعرفة بما قبله وهو اختصاصه تعالى بعلم الغيب وان العباد لا علم
لهم بشيء منه انه لما ذكر ان العباد لا يعلمون الغيب كان هذا بيانا لعجزهم ووصفا لقصور علمهم و
صل به ان عندهم عجزا ابلغ وهو انهم يقولون للكائن الذى لا بد من كونه وهو وقت جزاء
اعمالهم لا يكون مع ان عندهم اسباب معرفة كونه واستحكام العلم به وجاز ان يكون وصفهم

باستحكام العلم وتكامله تهكما بهم كما تقول اجهل الناس ما اعلمك على سبيل الهزء وذلك حيث
شكوا وعموا عن اثباته لذى هو الطريق الى علمه مسلوك فضلا ان يعرفوا وقت كونه الذى
لا طريق الى معرفته ويجوز ان يكون ادرك بمعنى انتهى وفنى من قولك ادركت الثمرة لان تلك
غايتها التى عندها تعدم وقد فسر الحسن باضمحل علمهم وتدارك من تدارك بنو فلان اذا تتابعوا
فى الهلاك وقال الذين كفروا ائذا كنا ترابا وآباؤنا اينا لمخرجون من قبورنا احياء وتكرير حرف
الاستفهام فى اذا وان فى قراءة عاصم وحمزة وخلف انكار بعد انكار وجحود عقيب جحود
ودليل على كفر مؤكد مبالغ فيه والعامل فى اذا ما دل عليه لمخرجون وهو نخرج لان اسم الفاعل
او المفعول بعد همزة الاستفهام او ان او لام الابتداء لا يعمل فيما قبله فكيف اذا اجتمعن
والضمير فى انا لهم ولآبائهم لان كونهم ترابا قد تناولهم وآباءهم لكنه غلبت الحكاية على الغائب
وآباؤنا عطف على الضمير فى كنا لان المفعول جرى مجرى التاكيد لقد وعدنا هذا اى البعث
نحن وآباؤنا من قبل من قبل محمد قدم هنا على نحن وآباؤنا وفى المؤمنين قدم نحن وآباؤنا
على هذا ليدل على ان المقصود بالذكر هو البعث هنا وثمة المبعوث ان هذا الا اساطير الاولين
ما هذا الا احاديثهم واكاذيبهم قل سيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين اى آخر
امر الكافرين وفى ذكر الاجرام لطف بالمسلمين فى ترك الجرائم كقوله فدمدم عليهم ربهم بذنبهم
وقوله مما خطيئاتهم اغرقوا ولا تحزن عليهم لاجل انهم لم يتبعوك ولم يسلموا فيسلموا ولا تكن
فى ضيق فى حرج صدر مما يمكرون من مكرهم وكيدهم لك فان الله يعصمك من الناس يقال
ضاق الشئ ضيقا بالفتح وهو قراءة غير ابن كثير وبالكسر وهو قراءته ويقولون متى هذا
الوعد اى وعد العذاب ان كنتم صادقين ان العذاب نازل بالكذب قل عسى ان يكون ردف
لكم بعض الذى تستعجلون استعجلوا العذاب الموعود فقيل لهم عسى ان يكون ردفكم بعضه وهو
عذاب يوم بدر فزيدت اللام للتاكيد كالباء فى ولا تلقوا بايديكم او ضمن معنى فعل يتعدى
باللام نحو دنا لكم وازف لكم ومعناه تبعكم ولحقكم وعسى ولعل وسوف فى وعد الملوك
ووعيدهم يدل على صدق الامر وجده فعلى ذلك جرى وعد الله ووعيده وان ربك
لذو فضل اى افضال على الناس بترك المعاجلة بالعذاب ولكن اكثرهم لا يشكرون

اى اكثرهم لا يعرفون حق النعمة فيه ولا يشكرونه فيستعجلون العذاب بجهلهم وان ربك ليعلم
ما تكن صدورهم وما يعلنون يظهرون من القول فليس تاخير العذاب عنهم لخفاء حالهم
ولكن له وقت مقدر او انه يعلم ما تخفون وما تعلنون من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومكايدهم وهو معاقبهم على ذلك بما يستحقونه وقرئ تكن يقال كننت الشئ واكننته اذا
سترته واخفيته وما من غائبة فى السماء والارض الا فى كتاب مبين سمى الشئ الذى يغيب
ويخفى غائبة وخافية والتاء فيهما كالتاء فى العافية والعاقبة ونظائرها الرمية والذبيحة
والنطيحة فانها اسماء غير صفات ويجوز ان يكونا صفتين وتاؤهما للمبالغة كالرواية كانه
قال وما من شئ شديد الغيبوبة الا وقد علمها الله واحاط به واثبته فى اللوح المحفوظ والمبين
الظاهر البين لمن ينظر فيه من الملائكة ان هذا القران يقص على بنى اسرائيل اكثر الذى هم
اكثر الذى هم فيه يختلفون فانهم اختلفوا فى المسيح فتحزبوا فيه احزابا ووقع بينهم
التناكر فى اشياء كثيرة حتى لعن بعضهم بعضا وقد نزل القران ببيان ما اختلفوا فيه لو انصفوا
واخذوا به واسلموا يريد اليهود والنصارى وانه وان القران لهدى ورحمة للمؤمنين من
امن بالقران ومن كفر به بحكمه اى بعدله لانه لا يقضى الا بالعدل فسمى المحكوم به حكما او بحكمته
ويدل عليه قراءة من قرا بحكمه جمع حكمة وهو العزيز فلا يرد قضاؤه العليم بمن يقضى له وبمن
يقضى عليه او العزيز فى انتقامه من المبطلين العليم بالفصل بينهم وبين المحقين فتوكل
على الله بالتوكل على الله وقلة المبالاة باعداء الدين انك على الحق المبين وعلل التوكل
بانه على الحق الابلج وهو الدين الواضح لا يتعلق به شك وفيه بيان ان صاحب الحق حقيق
بالوثوق على الله وبنصرته انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين وما
انت بهادى العمى عن ضلالتهم لما كانوا لا يعون ما يسمعون ولا به ينتفعون شبهوا بالموتى
وهم احياء صحاح الحواس وبالصم الذين ينعق بهم فلا يسمعون وبالعمى حيث يضلون الطريق
ولا يقدر احد ان ينزع ذلك عنهم ويجعلهم هداة بصراء الا الله عز وجل ثم اكد حال الاصم
بقوله اذا ولوا مدبرين لانه اذا تباعد عن الداعى بان يتولى عنه مدبرا كان ابعد عن ادراك
صوته ولا يسمع الصم مكى وكذا فى الروم وما انت تهدى العمى وكذا فى الروم حمزة ان تسمع الا من

يؤمن باياتنا اى ما يجدى اسماعك الا على الذين علم الله انهم يؤمنون باياته اى يصدقون
بها فهم مسلمون مخلصون من قوله بلى من اسلم وجهه لله يعنى جعله سالما لله خالصا له و
اذا وقع القول عليهم سمى معنى القول ومؤداه بالقول وهو ما وعدوا من قيام الساعة و
العذاب ووقوعه حصوله والمراد مشارفة الساعة وظهور اشراطها وحين لا تنفع التوبة
اخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم هى الجساسة فى الحديث طولها ستون ذراعا لا يدركها
طالب ولا يفوتها هارب ولها اربع قوائم وزغب وريش وجناحان وقيل لها راس ثور
وعين خنزير واذن فيل وقرن ايل وعنق نعامة وصدر اسد ولون نمر وخاصرة هرة
وذنب كبش وخف بعير وما بين المفصلين اثنا عشر ذراعا تخرج من الصفا فتكلمهم
بالعربية فتقول ان الناس كانوا باياتنا لا يوقنون اى لا يوقنون بخروجى لان خروجها
من الايات وتقول الا لعنة الله على الظالمين او يكلمهم ببطلان الاديان كلها سوى دين
الاسلام او بان هذا مؤمن وهذا كافر وفتح ان كوفى وسهل على حذف الجار اى تكلمهم
بان وغيرهم كسروا لان الكلام بمعنى القول الله عند ذلك ثم ذكر قيام الساعة فقال و
يوم نحشر من كل امة فوجا من للتبعيض اى واذكر يوم نجمع من كل امة من الامم زمرة
ممن يكذب من للتبيين باياتنا المنزلة على انبيائنا فهم يوزعون يحبس اولهم على اخرهم
حتى يجتمعوا ثم يساقون الى موضع الحساب وهذا عبارة عن كثرة العدد وكذا الفوج
عبارة عن الجماعة الكثيرة حتى اذا جاءوا احضروا موقف الحساب والسؤال قال لهم تعالى
تهديدا اكذبتم باياتى المنزلة على رسلى ولم تحيطوا بها علما الواو للحال كانه قال اكذبتم باياتى
بادى الراى من غير فكر ولا نظر يؤدى الى احاطة العلم بكنهها وانها حقيقة بالتصديق او
التكذيب اما ذا كنتم تعملون حيث لم تتفكروا فيها فانكم لم تخلقوا عبثا ووقع القول
عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون اى يغشاهم العذاب الموعود بسبب ظلمهم وهو التكذيب
بايات الله فيشغلهم عن النطق والاعتذار لقوله هذا يوم لا ينطقون الم يروا انا جعلنا
الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا حال جعل الابصار للنهار وهو لاهله والتقابل مراعى من
حيث المعنى لان معنى مبصرا ليبصروا فيه طرق التقلب فى المكاسب ان فى ذلك لايات لقوم

يومنون

يؤمنون يصدقون فيعتبرون وفيه دليل على صحة البعث لان معناه الم يعلموا انا جعلنا
الليل والنهار قواما لمعاشهم فى الدنيا ليعلموا ان ذلك لم يكتب عبثا بل محنة وابتلاء ولا
بد عند ذلك من ثواب وعقاب فاذا لم يكونا فى هذه الدار فلا بد من دار اخرى للثواب
والعقاب ويوم واذكر يوم ينفخ فى الصور وهو قرن او جمع صورة والنافخ اسرافيل
ففزع من فى السموات ومن فى الارض واختير ففزع على يفزع للاشعار بتحقق
الفزع وثبوته وانه كائن لا محالة والمراد فزعهم عند النفخة الاولى حين يصعقون الا
من شاء الله الا من ثبت الله قلبه من الملائكة قالوا هم جبرئيل وميكائيل واسرافيل
وملك الموت وقيل الشهداء وقيل الحور وخزنة النار وحملة العرش وعن جابر
منهم موسى لانه صعق مرة ومثله ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض
الا من شاء الله وكل اتوه حمزة وحفص وخلف اتوه غيرهم واصله اتيوه داخرين
اى صاغرين ومعنى الاتيان حضورهم الموقف او رجوعهم الى امره وانقيادهم له وترى
الجبال تحسبها جامدة واقفة ممسكة عن الحركة من جمد فى مكانه اذا لم يبرح وهى تمر حال من
الضمير المنصوب فى تحسبها مر السحاب اى مرا مثل مر السحاب والمعنى انك اذا رايت الجبال
وقت النفخة ظننتها ثابتة فى مكان واحد لعظمتها وهى تسير سيرا سريعا كالسحاب اذا
ضربته الريح وهكذا الاجرام العظام المتكاثرة العدد اذا تحركت لا تكاد تتبين حركتها
كما قال النابغة فى صفة جيش بارعن مثل الطود تحسب انهم وقوف لحاج والركاب تهملج
صنع الله مصدر عمل فيه ما دل عليه تمر لان مرورها كمر السحاب من صنع الله فكانه قيل
صنع الله ذلك صنعا وذكر اسم الله لانه لم يذكر قبل الذى اتقن كل شىء اى احكم خلقه
انه خبير بما تفعلون مكى وبصرى غير سهل وابو بكر غير يحيى وغيرهم بالتاء اى انه
عالم بما يفعل العباد فيكافيهم على حسب ذلك ثم لخص ذلك بقوله من جاء بالحسنة اى
يقول لا اله الا الله عند الجمهور فله خير منها اى فله خير حاصل من جهتها وهو الجنة
وعلى هذا لا يكون خير بمعنى افضل ويكون منها فى موضع رفع صفة لخير وهم من فزع
كوفى اى من فزع شديد وهو خوف النار او من فزع ما وان قل وبغير تنوين غيرهم

يومئذ كوفي ومدني وبكسر الميم غيرهم والمراد يوم القيمة آمنون امن يعدى بالجار وبنفسه
كقوله امنوا مكر الله ومن جاء بالسيئة بالشرك فكبت القيت وجوههم في النار يقال كبيته
الرجال القيته على وجهه اى القوا على رؤسهم في النار او عبر عن الجملة بالوجه كما يعبر بالراس
والرقبة عنها اى القوا في النار ويقال لهم تبكيتا عند الكب هل تجزون الا ما كنتم تعملون
في الدنيا من الشرك والمعاصي انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة مكة الذى حرمها جعلها
حراما امنا يامن فيها اللاجي اليها ولا يختلى خلاءها ولا يعضد شوكها ولا ينفر صيدها وله
كل شيء مع هذه البلدة فهو مالك الدنيا والاخرة وامرت ان اكون من المسلمين المنقادين
له وان اتلو القران من التلاوة او من التلو كقوله واتبع ما يوحى اليك من ربك امر رسوله
بان يقول امرت ان اخص الله وحده بالعبادة ولا اتخذ له شريكا كما فعلت قريش وان
اكون من الحنفاء الثابتين على ملة الاسلام وان اتلو القران لاعرف الحلال والحرام وما
يقتضيه الاسلام وخص مكة من بين سائر البلاد باضافة اسمه اليها لانها احب بلاده اليه
واعظمها عنده واشار اليها بقوله هذه اشارة تعظيم لها وتقريب دالا على انها موطن
نبيه ومهبط وحيه ووصف ذاته بالتحريم الذى هو خاص وصفها وجعل دخول كل شيء تحت
ربوبيته وملكوته كالتابع لدخولها تحتها فمن اهتدى باتباعه اياى فيما انا بصدده من توحيد
الله ونفى الشركاء عنه والدخول في الملة الحنيفية واتباع ما انزل على من الوحي فانما يهتدى
لنفسه فمنفعة اهتدائه راجعة اليه لا الى ومن ضل فقل انما انا من المنذرين اى ومن ضل
ولم يتبعني فلا على وما انا الا رسول منذر وما على الرسول الا البلاغ المبين وقل الحمد لله
سيريكم اياته فتعرفونها ثم امره ان يحمد الله على ما خوله من نعمة النبوة التي لا توازيها
نعمة وان يهدد اعداءه بما سيريهم الله من اياته في الاخرة فيستيقنون بها وقيل انشقاق القمر
والدخان وما حل بهم من نقمات الله في الدنيا وما ربك بغافل عما تعملون بالتاء مدني وشامي
وحفص ويعقوب خطاب لاهل مكة وبالياء غيرهم كل عمل يعملونه فالله عالم به غير غافل عنه
فالغفلة والسهو لا يجوزان عليه سورة القصص مكية وهي ثمان وسبعون او ثمان ثمانون اية

بسم الله الرحمن الرحيم طسم تلك ايات الكتاب المبين

يقال بان الشيء وابان بمعنى واحد ويقال ابنته فابان لازم ومتعد اى مبين خيره وبركته او
مبين للحلال والحرام والوعيد والوعد والاخلاص والتوحيد نتلوا عليك نقرأ عليك
اى يقرأه جبرئيل بامرنا ومفعول نتلو من نبأ موسى وفرعون اى نتلو عليك بعض
خبرهما بالحق حال اى محقين لقوم يؤمنون لمن سبق في علمنا انه يؤمن لان التلاوة انما
تنفع هؤلاء دون غيرهم ان فرعون جملة مستانفة كالتفسير للجمل كان قائلا قال وكيف
كان نبأهما فقال ان علا طغى وجاوز الحد في الظلم او استكبر وافتخر بنفسه ونسى العبودية
في الارض ارض مملكته يعنى مصر وجعل اهلها شيعا فرقا يشيعونه على ما يريد ويطيعونه
لا يملك احد منهم ان يلوى عنقه او فرقا مختلفة يكرم طايفة ويهين اخرى فاكرم القبطى
واهان الاسرائيلي يستضعف طايفة منهم هم بنو اسرائيل يذبح ابناءهم ويستحيي نساءهم
اى يترك البنات احياء للخدمة وسبب ذبح الابناء ان كاهنا قال له يولد مولود في بني اسرائيل
يذهب ملكك على يده وفيه دليل على حمق فرعون فانه ان صدق الكاهن لم ينفعه القتل
وان كذب فما معنى القتل ويستضعف حال من الضمير في وجعل او صفة لشيعا او كلام مستانف
ويذبح بدل من يستضعف انه كان من المفسدين فيه ان القتل ظلما انما هو فعل المفسدين اذ
لا طايل تحته صدق الكاهن او كذب ونريد ان نمن تفضل هو دليل لنا في مسئلة الاصلح و
هذه الجملة معطوفة على ان فرعون علا في الارض لانها نظيرة تلك في وقوعها تفسير النبأ
موسى وفرعون واقتصاصه او حال من يستضعف اى يستضعفهم فرعون ونحن نريد ان
نمن عليهم وارادة الله تعالى كائنة فجعلت كالمقارنة لاستضعافهم على الذين استضعفوا في
الارض ونجعلهم ائمة قادة يقتدى بهم في الخير او دعاة الى الخير او ولاة وملوكا ونجعلهم
الوارثين اى يرثون فرعون وقومه ملكهم وكل ما كان لهم ونمكن نكن له اذا جعل له مكانا يقعد
عليه او يرقد ومعنى التمكين لهم في الارض اى ارض مصر والشام ان يجعلها بحيث لا تنبو بهم
ويسلطهم وينفذ امرهم ونرى فرعون وهامان وجنودهما بضم النون ونصب فرعون وما بعده
وبالياء ورفع فرعون وما بعده على وحمزة اى يرون منهم ما حذروه من ذهاب ملكهم و
هلاكهم على يد مولود منهم ويرى نصب عطف على المنصوب قبله كقراءة النون او رفع على

٧ فرعون م

الاستيناف منهم من بنى اسرائيل ويتعلق بنرى وقد يحذرون لان الصلة لا تتقدم على الموصول
وما كانوا يحذرون الحذر التوقى من الضرر واوحينا الى ام موسى بالالهام او بالرويا او
باخبار ملك كما كان تكلمهم وهذا ليس وحى رسالة فلا تكون هى رسولا ان ارضعيه ان
بمعنى اى او مصدرية فاذا خفت عليه من القتل بان يسمع الجيران صوته فينموا الخبر عليه
فالقيه فى اليم البحر قيل نيل مصر ولا تخافى من الغرق والضياع ولا تحزنى بفراقه انا رادوه
اليك بوجه لطيف لتربيته وجاعلوه من المرسلين وفى هذه الاية امران ونهيان وخبران
وبشارتان والفرق بين الخوف والحزن الخوف غم يلحق الانسان لمتوقع والحزن غم يلحقه
الواقع وهو فراقه والاخطار به فنهيت عنهما وبشرت برده اليها وجعله من المرسلين
فروى انه ذبح فى طلب موسى تسعون الف وليد وروى انها حين ضربها الطلق وكانت
بعض القوابل الموكلات بحبالى فى بنى اسرائيل مصافية لها فعالجتها فلما وقع الى الارض هالها
نور بين عينيه ودخل حبه قلبها فقالت ما جئتك الا لاقتل مولودك واخبر فرعون
ولكنى وجدت لابنك لا اقبل حبا ما وجدت مثله فاحفظيه فلما خرجت القابلة جاء عيون
فرعون فلفته فى خرقة فوضعته فى تنور مسجور لم تعلم ما تصنع لما طاش من عقلها فطلبوا
فلم يلقوا شيئا فخرجوا وهى لا تدرى مكانه فسمعت بكاء من التنور فانطلقت اليه وقد جعل
الله النار عليه بردا وسلاما فلما الح فرعون فى طلب الولدان اوحى اليها بالقائه فى اليم
فالقته فى اليم بعد ان ارضعته ثلثة اشهر فالتقطه آل فرعون اخذه قال الزجاج كان فرعون
من اهل فارس من اسطرخ ليكون لهم عدوا ليصير الامر الى ذلك لا انهم اخذوه لهذا كقولهم
للموت ما تلده الوالدة وهى لم تلد لان يموت ولدها ولكن المصير الى ذلك كذا قال الزجاج
وعن هذا قال المفسرون ان هذه لام العاقبة والصيرورة وقال صاحب الكشاف هى لام كى
التى بمعناه التعليل كقولك جئتك لتكرمنى ولكن معنى التعليل فيها وارد على سبيل المجاز
لان ذلك لما كان نتيجة التقاطهم له شبه بالداعى الذى يفعل الفاعل الفعل لاجله وهو الاكرام
الذى هو نتيجة المجيء وحزنا وحزنا على وحمزة وهما لغتان كالعدم والعدم ان فرعون و
هامان وجنودهما كانوا خاطئين تخفيف خاطين ابو جعفر اى كانوا مذنبين فعاقبهم الله

بانه ربى عدوهم وهو من هو سبب هلاكهم على ايديهم او كانوا خاطئين فى كل شيء فليس خطاؤهم
فى تربيته عدوهم ببدع منهم وقالت امرأة فرعون قرة عين لى ولك روى انهم التقطوا التابوت
عالجوا فتحه فلم يقدروا عليه فعالجوا كسره فاعياهم فدنت آسية فرأت فى جوف التابوت
نورا فعالجته ففتحته فاذا هى بصبى نوره بين عينيه فاحبوه وكانت لفرعون بنت برصاء
فنظرت الى وجهه فبرئت فقالت الغواة من قومه هو الذى تحذر منه فاذن لنا فى قتله فهم
بذلك فقالت آسية قرة عين لى ولك فقال فرعون لك لا لى وفى الحديث لو قال كما قالت
لهداه الله كما هداها وهذا على سبيل الفرض اى لو كان غير مطبوع على قلبه كآسية لقال مثل قولها
ولاسلم كما اسلمت وقرة خبر مبتدأ محذوف اى هو قرة عين لى ولك صفتان لقرة لا تقتلوه
خاطبته خطاب الملوك او خاطبت الغواة عسى ان ينفعنا فان فيه مخايل علامات اليمن
ودلائل النفع وذلك لما عاينت من النور وبرء البرصاء او نتخذه ولدا او نتبناه فانه اهل
لان يكون ولدا للملوك وهم لا يشعرون حال وذو حالها آل فرعون وتقدير الكلام فالتقطه
آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وقالت امرأة فرعون كذا وهم لا يشعرون انهم على خطأ
عظيم فى التقاطه ورجاء النفع منه وقوله ان فرعون الاية جملة اعتراضية واقعة بين المعطوف
والمعطوف عليه مؤكدة لمعنى خطائهم وما احسن نظم هذا الكلام عند اصحاب المعانى والبيان
واصبح وصار فؤاد ام موسى فارغا صفرا من العقل لما دهمها من فرط الجزع لما سمعت بوقوعه
فى يد فرعون ان كادت لتبدى به لتظهر به والضمير لموسى والمراد بامره وقصته وانه ولدها
قيل لما رات الامواج تلعب بالتابوت كادت تصيح وتقول وا ابناه وقيل لما سمعت ان فرعون
اخذ التابوت لم تشك انه يقتله فكادت تقول وا ابناه شفقة عليه وان مخففة من الثقيلة
اى انها كادت لولا ان ربطنا على قلبها والربط على القلب تقويته بالهام الصبر لتكون من
المؤمنين من المصدقين بوعدنا وهو انا رادوه اليك وجواب لولا محذوف اى لابدته او
فارغا من الهم حين سمعت ان فرعون تبناه ان كادت لتبدى بانه ولدها لانها لم تملك نفسها فرحا
وسرورا بما سمعت لولا انا طامنا قلبها وسكنا قلقها الذى حدث به من شدة الفرح لتكون
من المؤمنين الواثقين بوعد الله لا بتبنى فرعون وقال يوسف ابن حسين امرت ام موسى بشيئين

وهيت من شيئين وبشرت ببشارتين فلم ينفعها الكل حتى تولى الله حياطتها فربط على
قلبها وقالت لاخته مريم قصيه ابتغي اثره لتعلمي خبره فبصرت به اى ابصرته عن جنب عن
بعد حال عن الضمير في به او عن المضمر في بصرت وهم لا يشعرون انها اخته وحرمنا عليه
المراضع تحريم منع لا تحريم شرع اى منعناه ان يرضع ثديا غير ثدي امه فكان لا يقبل ثدي
مرضع حتى اهمهم ذلك والمراضع جمع مرضع وهي المراة التي ترضع او جمع مرضع وهو
موضع الرضاع يعني الثدي او الرضاع من قبل من قبل قصصها اثره او من قبل ان نرده على امه
فقالت اخته وقد دخلت داره بين المراضع ورأته لا يقبل ثديا هل ادلكم اى امركم على اهل
بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون النصح اخلاص العمل من شائب الفساد وروي انها لما
قالت وهم له ناصحون قال هامان انها لتعرفه وتعرف اهله فخذوها حتى تخبر بقصة
هذا الغلام فقالت انما اردت وهم للملك ناصحون فانطلقت الى امها بامرهم فجاءت بها
والصبي على يد فرعون يعلله شفقة عليه وهو يبكي يطلب الرضاع فحين وجد ريحها استأنس
والتقم ثديها فقال لها فرعون ومن انت منه فقد ابى كل ثدي الا ثديك فقالت اني امراة طيبة
الريح طيبة اللبن لا اوتى بصبي الا قبلني فدفعه اليها واجرى عليها وذهبت به الى بيتها
وانجز الله وعده في الرد فعندها ثبت واستقر في علمها ان سيكون نبيا وذلك قوله فرددناه
الى امه كي تقر عينها بالمقام معه ولا تحزن بفراقه ولتعلم ان وعد الله حق وليثبت علمها
مشاهدة كما علمت خبرا وقوله ولا تحزن معطوف على تقر وانما حل لها ما تاخذه من الدنانير
كل يوم كما قال السدي لانه مال حربي لا انها اجرة على ارضاع ولدها ولكن اكثرهم لا يعلمون
هو داخل تحت علمها اى لتعلم ان وعد الله حق ولكن اكثرهم لا يعلمون انه حق فيرتابون
ويشبه التعريض بما فرط منها حين سمعت بخبر موسى فجزعت ولما بلغ اشده بلغ موسى
نهاية القوة وتمام العقل وهو جمع شدة كنعمة وانعم عند سيبويه واستوى واعتدل
وتم استحكامه وهو اربعون سنة ويروى انه لم يبعث نبي الا على راس اربعين سنة اتيناه
حكما نبوة وعلما فقها او علما بمصالح الدارين وكذلك نجزي المحسنين اى كما فعلنا بموسى وامه
نفعل بالمؤمنين قال الزجاج جعل الله ايتاء العلم والحكمة مجازاة على الاحسان لانهما يوديان

الى الجنة التي هي جزاء المحسنين والعالم الحكيم من يعمل بعلمه لانه تعالى قال ولبئس ما شروا به انفسهم
لو كانوا يعلمون فجعلهم جهالا اذ لم يعملوا بالعلم ودخل المدينة اى مصر على حين غفلة من اهلها
حال من الفاعل اى مختفيا وهو ما بين العشائين او وقت القايلة يعني انتصاف النهار وقيل
لما شب وعقل اخذ يتكلم بالحق وينكر عليهم فاخافوه فلا يدخل المدينة الا على تغفل فوجد
فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته ممن شايعه على دينه من بني اسرائيل وقيل هو السامري
وهذا من عدوه من مخالفيه من القبط وهو فاتون وقيل فيهما هذا وهذا وان كانا غايبين
على جهة الحكاية اذ انظر اليهما الناظر قال هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه فاستنصره
الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فقتله ضربه بجميع كفه او باطراف اصابعه
فقضى عليه فقتله قال هذا اشارة الى القتل الحاصل بغير قصد من عمل الشيطان وانما جعل قتل
الكافر من عمل الشيطان وسماه ظلما لنفسه واستغفر منه لانه كان مستامنا فيهم فلا يحل له قتل
الكافر الحربي او لانه قتله قبل ان يوذن له في القتل وعن ابن جريج ليس لنبي ان يقتل ما لم يؤمر انه
عدو مضل مبين ظاهر العداوة قال رب يا رب اني ظلمت نفسي بفعل صار قتلا فاغفر لي
زلتي فغفر له زلته انه هو الغفور بازالة الزلل الرحيم بازالة الخجل قال رب بما انعمت
علي فلن اكون ظهيرا معينا للمجرمين للكافرين وبما انعمت على قسم جوابه محذوف تقديره
اقسم بانعامك علي بالمغفرة لاتوبن فلن اكون ظهيرا للمجرمين او استعطاف كانه قال رب
اعصمني بحق ما انعمت علي من المغفرة فلن اكون ان عصمتني ظهيرا للمجرمين واراد بمظاهرة
المجرمين صحبة فرعون وانتظامه في جملته وتكثيره سواده حيث كان يركب بركوبه كالولد
مع الوالد فاصبح في المدينة خائفا على نفسه من قتل القبطي ان يوخذ به يترقب حال اى يتوقع
المكروه وهو الاستقادة منه او الاخبار وما يقال فيه وقال ابن عطاء خائفا على نفسه يترقب
نصرة ربه وفيه دليل على انه لا باس بالخوف من دون الله بخلاف ما يقوله بعض الناس انه
لا يسع الخوف من دون الله فاذا الذي اذا للمفاجاة وما بعدها مبتدا استنصره اى موسى
بالامس يستصرخه يستغيثه والمعنى ان الاسرائيلي الذي خلصه موسى استغاث به ثانيا من قبطي
اخر قال له موسى اى للاسرائيلي انك لغوي مبين اى ضال عن الرشد ظاهر الغي فقد قاتلت بالامس

رجلا فقتله بسببك والرشد في التدبير لا يفعل فعلا يفضي الى البلاء على نفسه وعلى من
يريد نصرته فلما ان اراد موسى ان يبطش بالذى بالقبطي الذي هو عدو لهما لموسى وللاسرائيلي
لموسى وقد توهم انه اراد اخذه لا اخذ القبطي اذ قال له انك لغوي مبين يا موسى اتريد
ان تقتلني كما قتلت نفسا يعني القبطي بالامس ان تريد ما تريد الا ان تكون جبارا قتالا
بالغضب في الارض ارض مصر وما تريد ان تكون من المصلحين في كظم الغيظ وكان قتل القبطي
بالامس قد شاع ولكن خفي قاتله فلما افشى على موسى علم القبطي ان قاتله موسى فاخبر
فرعون فهموا بقتله وجاء رجل من اقصى المدينة هو من آل فرعون وكان ابن عم فرعون
يسعى صفة لرجل او حال من رجل لانه وصف بقوله من المدينة قال يا موسى ان الملاء
يأتمرون بك ليقتلوك اى يأمر بعضهم بعضا بقتلك او يتشاورون بسببك والايتمار
التشاور يقال الرجلان يتأمران ويأتمران كان كل واحد منهما يأمر صاحبه بشئ او يشير عليه
بامر فاخرج من المدينة اني لك من الناصحين لك بيانه وليس بصلة الناصحين لان الصلة
لا يتقدم على الموصول كانه قال اني من الناصحين ثم اراد ان يبين فقال لك كما يقال سقيا
لك ومرحبا بك فخرج موسى منها من المدينة خائفا يترقب التعرض له في الطريق او ان
يلحقه من يقتلني قال رب نجني من القوم الظالمين اى قوم فرعون ولما توجه تلقاء مدين
نحوها وتوجه له الاقبال على الشئ ومدين قرية شعيب عليه السلام سميت بمدين ابن ابراهيم
ولم تكن في سلطان فرعون وبينها وبين مصر مسيرة ثمانية ايام قال ابن عباس رض خرج
ولم يكن له علم بالطريق الا حسن ظنه بربه قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل اى وسطه
ومعظم نهجه فجاءه ملك فانطلق به الى مدين ولما ورد وصل ماء مدين ماء هم الذي
يسقون منه وكان بيرا وجد عليه على جانب البير امة جماعة كثيرة من الناس اناس
مختلفين يسقون مواشيهم ووجد من دونهم في مكان اسفل من مكانهم امرأتين تذودان
تطردان غنمهما عن الماء لان على الماء من هو اقوى منهما فلا يتمكنان من السقي او لئلا يختلط
اغنامهما باغنامهم والذود الطرد والدفع قال ما خطبكما ما شأنكما وحقيقته ما مخطوبكما
اى مطلوبكما من الذياد فسمي المخطوب خطبا قالتا لا نسقي غنمنا حتى يصدر الرعاء مواشيهم يصدر

شامي

شامي ويزيد وابو عمرو اى يرجع والرعاء جمع راع كقائم وقيام وابونا شيخ لا يمكنه سقي الاغنام
كبير في حاله او في السن لا يقدر على رعي الغنم ابلتا اليه عذرهما في توليهما السقي بانفسهما
فسقى لهما غنمهما لاجلهما رغبة في المعروف واعانة للملهوف روى انه نحى القوم من راس البير
وسالهم دلوا فاعطوه دلوهم وقالوا استق بها وكانت لا ينزعها الا اربعون فاستقى بها و
صبها في الحوض ودعا بالبركة وترك المفعول الثاني في يسقون وتذودان ولا نسقي لان
الغرض هو الفعل لا المفعول الا ترى انه انما رحمهما لانهما كانتا على الزيادة وهم على السقي ولم يرحمهما
لان مزودهما غنم ومسقيهم ابل مثلا وكذا في لا نسقي ونسقي المقصود هو السقي لا المسقي و
وجه مطابقة جوابهما سؤاله انه سألهما عن سبب الزود فقالتا السبب في ذلك انا امرأتان
مستورتان ضعيفتان لا نقدر على مزاحمة الرجال ونستحي عن الاختلاط بهم فلا بد لنا
من تأخير السقي الى ان يفرغوا وانما رضي شعيب عليه السلام لابنتيه بسقي الماشية لان الامر
في نفسه ليس بمحظور فالدين لا يأباه واما المروة فعادات الناس في ذلك متباينة واحوال
العرب فيه خلاف احوال العجم ومذهب اهل البدو فيه غير مذهب اهل الحضر خصوصا
اذا كانت الحالة حالة ضرورة ثم تولى الى الظل ظل سمرة وفيه دليل جواز الاستراحة في الدنيا
بخلاف ما يقوله بعض المتقشفة ولما طال البلاء عليه انس بالشكوى اذ لا نقص في الشكوى
الى المولى فقال رب اني لما اى شئ انزلت الى من خير قليل او كثير غث او سمين فقير محتاج
وعدى فقير باللام لانه ضمن معنى سائل وطالب قيل كان لم يذق طعاما سبعة ايام وقد
لصق ظهره ببطنه ويحتمل ان يريد اني فقير من الدنيا لاجل ما انزلت الى من خير الدارين
وهو النجاة من الظالمين لانه كان عند فرعون في ملك وثروة قال ذلك رضى بالبدل
السني وفرحا به وشكرا له وقال ابن عطاء نظر من العبودية الى الربوبية وتكلم بلسان الافتقار
لما ورد على سره من الانوار فجاءته احديهما تمشي على استحياء قالت ان ابي يدعوك ليجزيك
اجر ما سقيت لنا على استحياء في موضع الحال اى مستحيية وهذا دليل كمال ايمانها وشرف
عنصرها لانها كانت تدعوه الى ضيافتها ولم تعلم ايجيبها ام لا فاتته مستحيية قد استترت بكم
درعها وما في سقيت مصدرية اى جزاء سقيك روى انهما لما رجعتا الى ابيهما قبل الناس

واغنامهما حفل قال لهما ما اعجلكما قالتا وجدنا رجلا صالحا رحمنا فسقى لنا فقال لاحديهما اذهبي فادعيه فى دبقهما موسى فالزقت الريح ثوبها بجسدها فوضعته فقال لها امشي خلفي وانعتي الى الطريق فلما جاءه وقص عليه القصص اى قصة واحواله مع فرعون والقصص مصدر كالعلل سمي به المقصوص قال له لا تخف نجوت من القوم الظالمين اذ لا سلطان لفرعون بارضنا وفيه دليل جواز العمل بخبر الواحد ولو عبدا او انثى والمشي مع الاجنبية مع ذلك الاحتياط والتورع واما اخذ الاجر على البر والمعروف فقيل انه لا باس به عند الحاجة كما كان لموسى عليه السلام على انه روي انها لما قالت ليجزيك كره ذلك انما اجابها لئلا يخيب قصدها لان للمقاصد حرمة ولما وضع شعيب الطعام بين يديه امتنع فقال شعيب الست جائعا قال بلى ولكن اخاف ان يكون عوضا لما سقيت لهما وانا اهل بيت لا نبيع ديننا بالدنيا ولا ناخذ على المعروف ثمنا فقال شعيب هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا فاكل قالت احديهما يا ابت استاجره اتخذه اجيرا لرعي الغنم روي ان كبراهما تسمى صفراء والصغرى صفيرا او صفراء وهي التي ذهبت به وطلبت الى ابيها ان يستاجره وهي التي تزوجها ان خير من استاجرت القوي الامين قال وما علمك بقوته وامانته فذكرت نزع الدلو وامرها بالمشي خلفه وورود الفعل بلفظ الماضي للدلالة على ان امانته وقوته امران متحققان وقولها ان خير من استاجرت القوي الامين كلام جامع لانه اذا اجتمعت هاتان الخصلتان الكفاية والامانة في القائم بامرك فقد فرغ بالك وتم مرادك وقيل القوي في دينه الامين في جوارحه وقد استغنت بهذا الكلام الجاري مجرى المثل عن ان تقول استاجره لقوته وامانته وعن ابن مسعود رض افرس الناس ثلثة شعيب وصاحب يوسف في قوله عسى ان ينفعنا وابو بكر في عمر قال اني اريد ان انكحك ازوجك احدى ابنتي هاتين في قوله هاتين يدل على انه كانت له غيرهما وهذه مواعدة منه ولم يكن ذلك عقد النكاح اذ لو كان عقدا لقال قد انكحتك على ان تاجرني تكون اجيرا لي من اجرته اذا كنت له اجيرا ثماني حجج ظرف والحجة السنة وجمعها حجج والتزوج على رعي الغنم جائز بالاجماع لانه من باب القيام بامور الزوجية فلا مناقضة بخلاف التزوج على الخدمة فان اتممت عشرا اي عمل عشر حجج فمن عندك اي فذلك تفضل منك ليس بواجب

بلت م

عليك او فاتمامه من عندك وما احتمه عليك ولكنك ان فعلته فهو منك تفضل وتبرع وما اريد ان اشق عليك بالزام اتم الاجلين وحقيقة قولهم شققت عليه وشق عليه الامر ان الامر اذا تعاظمك فكانه شق عليك ظنك باثنين يقول تارة اطيقه وطورا لا اطيقه ستجدني ان شاء الله من الصالحين في حسن المعاملة والمراد باشتراط مشية الله فيما وعد من الصلاح الاتكال على توفيقه فيه ومعونته لا انه ان شاء فعل وان شاء لم يفعل ذلك قال موسى ذلك مبتداء وهو اشارة الى ما عاهده عليه شعيب والخبر بيني وبينك يعني ذلك الذي قلته وعاهدتني فيه وشارطتني عليه قائم بيننا جميعا لا نخرج كلانا عنه لا انا عما شرطت علي ولا انت عما شرطت على نفسك ثم قال ايما الاجلين قضيت اي اي قضيت من الاجلين يعني العشر او الثماني واي نصب بقضيت وما زائدة موكدة لابهام اي وهي شرطية وجوابها فلا عدوان علي اي لا يعتدى علي في طلب الزيادة عليه قال المبرد قد علم انه لا عدوان عليه في ايهما ولكن جمعهما ليجعل الاقل كالاتم في الوفاء وكما ان طلب الزيادة على الاتم عدوان فكذا طلب الزيادة على الاقل والله على ما نقول وكيل هو من وكل اليه الامر وعدي بعلى لانه استعمل في موضع الشاهد والرقيب روي ان شعيبا كانت عنده عصي الانبياء عليهم السلام فقال لموسى بالليل ادخل ذلك البيت فخذ عصا من تلك العصي فاخذ عصا هبط بها ادم من الجنة ولم تزل الانبياء يتوارثونها حتى وقعت الى شعيب فمسها وكان مكفوفا فضن بها فقال غيرها فما وقع في يده الا هي سبع مرات فعلم ان له شانا ولما اصبح قال له شعيب اذا بلغت مفرق الطريق فلا تاخذ على يمينك فان الكلاء وان كان بها اكثر الا ان فيها تنينا اخشاه عليك وعلى الغنم فاخذت الغنم ذات اليمين ولم يقدر على كفها فمشى على اثرها فاذا عشب وريف لم ير مثله فنام فاذا بالتنين قد اقبل فحاربته العصا حتى قتلته وعادت الى جنب موسى دامية فلما ابصرها دامية والتنين مقتولا ارتاح لذلك ولما رجع الى شعيب مس الغنم فوجدها ملاء البطون غزيرة اللبن فاخبره موسى ففرح وعلم ان لموسى والعصا شانا وقال له اني وهبت لك من نتاج غنمي هذا العام كل ادرع ودرعاء فاوحى اليه في المنام ان اضرب بعصاك مستقى الغنم ففعل ثم سقى فوضعت كلهن

ادرع

ادرع ودرعاء فوفى له بشرط فلما قضى موسى الاجل قال عليه الصلوة والسلام قضى اوفاهما
وتزوج صغراهما وهذا خلاف الرواية التى مرت وسار باهله بامرأته نحو مصر قال ابن
عطاء لما تم اجل المحنة ودنا ايام الزلفة وظهر انوار النبوة سار باهله ليشترك معه فى
لطائف منح وبدا انس من جانب الطور نارا قال لاهله امكثوا انى آنست نارا لعلى آتيكم
منها بخبر عن الطريق لانه قد ضل الطريق او جذوة من النار لعلكم تصطلون فلما اتيها نودى
من شاطئ الواد الايمن بالنسبة الى موسى فى البقعة المباركة بتكليم الله تعالى فيها من الشجرة
العناب والعوسج ان يا موسى مفسرة او مخففة من الثقيلة انى انا الله رب العالمين
قال جعفر ابصر نارا دلته على الانوار لانه راى النور على هيئة النار فلما دنا منها شملته انوار
القدس واحاطت به جلابيب الانس فخاطبت بالطف خطاب واستدعى منه احسن
جواب فصار بذلك متكلما شريفا اعطى ما سال وامن مما خاف الجذوة باللغات الثلث
وقرئ بهن فعاصم بفتح الجيم وحمزة وحفص وخلف بضمها وغيرهم بكسرها العود الغليظ
كانت فى راسه نار اولم تكن ومن الاولى والثانية لابتداء الغاية اى اتاه النداء من شاطئ
الوادى الايمن بدل اشتمال لان الشجرة كانت نابتة على شاطئ اى الجانب وان الق عصاك
ونودى ان الق عصاك فالقيها فقلبها الله ثعبانا فلما راها تهتز تتحرك كانها جان
حية فى سعيها وهى ثعبان فى جثتها ولى مدبرا ولم يعقب يرجع فقيل له يا موسى اقبل
ولا تخف انك من الامنين ليس انت من ان ينالك مكروه من الحية اسلك ادخل يدك
فى جيبك جيب قميصك تخرج بيضاء لها شعاع كشعاع الشمس من غير سوء برص واضمم
اليك جناحك من الرهب حجازى وبصرى الرهب حفص الرهب غيرهم ومعنى الكل الخوف
والمعنى وضمم يدك الى صدرك يذهب ما بك من خوف اى لاجل الحية عن ابن عباس
رض كل خائف اذا وضع يده على صدره زال خوفه وقيل معنى ضم الجناح ان الله تعالى لما
قلب العصا حية فزع موسى واتقاها بيده كما يفعل الخائف من الشئ فقيل له ان اتقاءك
بيدك يفعل فيه غضاضة عند الاعداء فاذا القيتها فكما تنقلب حية فادخل يدك تحت
عضدك مكان اتقائك بها ثم اخرجها بيضاء ليحصل الامران اجتناب ما هو غضاضة عليك

واظهار

واظهار معجزة اخرى والمراد بالجناح اليد لان يدى الانسان بمنزلة جناحى الطائر واذا ادخل يده
اليمنى تحت عضده اليسرى فقد ضم جناحه اليه او تجلده وضبط نفسه عند انقلاب
العصا حية حتى لا يضطرب ولا يرهب استعارة من فعل الطائر لانه اذا خاف نشر جناحيه
وارخاهما والا فجناحاه مضمومان اليه مشمران ومعنى من الرهب من اجل الرهب اى
اذا اصابك الرهب عند رؤية الحية فاضمم اليك جناحك جعل الرهب الذى كان يصيبه
سببا وعلة فيما امر به من ضم جناحه اليه ومعنى واضمم اليك جناحك واسلك يدك
فى جيبك على احد التفسيرين واحد ولكن خولف بين العبارتين لاختلاف الغرضين
اذ الغرض فى احدهما خروج اليد بيضاء وفى الثانى اخفاء الرهب ومعنى واضمم يدك الى
جناحك فى طه ادخل يمناك تحت يسراك فذانك مخففا مثنى ذاك ومشددا مكى و
ابو عمرو مثنى ذلك فاحدى النونين عوض من اللام المحذوفة والمراد اليد والعصا برهانان
حجتان بينتان وسميت الحجة برهانا لانارتها من قولهم للمرأة البيضاء برهرهة من ربك
الى فرعون وملائه اى ارسلناك الى فرعون وملائه بهاتين الايتين انهم كانوا قوما
فاسقين كافرين قال رب انى قتلت منهم نفسا فاخاف ان يقتلون به وبالتاء يعقوب
واخى هرون هو افصح منى لسانا فارسله معى حفص رداء حال اى عونا يقال ردأته
اعنته وبلا همزة مدنى يصدقنى عاصم وحمزة صفة اى ردءا مصدقا لى وغيرهما بالجزم جواب
لارسله ومعنى تصديقه موسى اعانته اياه بزيادة البيان فى مظان الجدال ان احتاج اليه
ليثبت دعواه لا ان يقول له صدقت الا ترى الى قوله هو افصح منى لسانا فارسله معى و
فضل الفصاحة انما يحتاج اليه لتقرير البرهان لا لقوله صدقت فسحبان وباقل فيه
يستويان انى اخاف ان يكذبون يكذبونى فى الحالين قال سنشد عضدك باخيك سنقويك
اذ اليد تشتد بشدة العضد لانه قوام اليد والجملة تقوى بشدة اليد على مزاولة الامور ونجعل
لكما سلطانا غلبة وتسلطا وهيبة فى قلوب الاعداء فلا يصلون اليكما باياتنا يتعلق بيصلوا
اليكما بسبب اياتنا وتم الكلام او بنجعل لكما سلطانا اى نسلطكما باياتنا او بمحذوف اى اذهبا
باياتنا او هو بيان الغالبون لا صلة او قسم جوابه لا يصلون مقدما عليه انتما ومن اتبعكما

الغالبون فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات واضحات قالوا ما هذا الا سحر مفترى سحر تعلمه انت
ثم تفتريه على الله او سحر موصوف بالافتراء كسائر انواع السحر وليس بمعجزة من عند الله وما
سمعنا بهذا في آبائنا الاولين في آبائنا حال منصوب من هذا اي كائنا في زمانهم يعني ما حدثنا
بكونه فيهم وقال موسى ربي اعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح
الظالمون اي ربي اعلم منكم بحال من اهله الله للفلاح الاعظم حيث جعله نبيا وبعثه بالهدى
ووعده حسن العقبى يعني نفسه ولو كان كما تزعمون ساحرا مفتريا لما اهله لذلك لانه غني
حكيم لا يرسل الكاذبين ولا ينبئ الساحرين ولا يفلح عنده الظالمون وعاقبة الدار هي العاقبة
الدار المحمودة لقوله اولئك لهم عقبى الدار جنات عدن والمراد بالدار الدنيا وعاقبتها ان
يختم للعبد بالرحمة والرضوان وتلقى الملائكة بالبشرى والغفران قال موسى بغير واو مكي
وهو حسن لان الموضع موضع سوال وبحث عما اجابهم به موسى عند تسميتهم مثل تلك
الآيات العظام سحرا مفترى ووجه الاخرى انهم قالوا ذلك وقال موسى هذا ليوازن
الناظر من القول ويتصرف فساد احدهما وصحة الاخر ربي اعلم حجازي وابو عمرو ومن يكون حمزة
وعلي وقال فرعون ايتوني يا ايها الملأ ما علمت لكم من اله غيري قصد بنفي علمه باله غيره
نفي وجوده اي ما لكم من اله غيري او هو على ظاهره وان الها غيره غير معلوم عنده فاوقد لي
يا هامان على الطين اي اطبخ الى الآجر واتخذوه وانما لم يقل هنا لانه اول من عمل الآجر
فهو يعلمه الصفة بهذه العبارة ولانه افصح واشبه بكلام الجبابرة اذ امر هامان وهو وزيره
بالايقاد على الطين منادى باسمه بيا في اوسط الكلام دليل على التعظيم والتجبر فاجعل لي
صرحا قصرا عاليا لعلي اطلع اصعد الطلوع والاطلاع الصعود الى اله موسى حسب انه في
مكان كما كان هو في مكان واني لاظنه موسى من الكاذبين في دعواه ان له الها وانه ارسله
الينا رسولا وقد تناقض المخذول فانه قال ما علمت من اله غيري ثم اظهر حاجته الى هامان
واثبت لموسى الها واخبر انه غير متيقن بكذبه فكان تخصن من عصا موسى عليه السلام فلبس
وقال لعلي اطلع الى اله موسى روي ان هامان جمع خمسين الف بناء وبنى صرحا لم يبلغه بناء
احد من الخلق فضرب الطوح جبرئيل عليه السلام بجناحيه فقطعه ثلث قطع وقعت قطعة على

عسكر فرعون فقتلت الف الف رجل وقطعة في البحر وقطعة في الغرب ولم يبق احد من
عماله الا هلك واستكبر هو وجنوده تعظم في الارض ارض مصر بغير الحق اي بالباطل فالكبر
بالحق لله تعالى وهو المتكبر على الحقيقة اي المتبالغ في كبرياء الشان كما حكى رسولنا عن ربه
الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني واحدا منهما القيته في النار وكل مستكبر سواه
فاستكباره بغير الحق وظنوا انهم الينا لا يرجعون لا يرجعون نافع وحمزة وعلي وخلف و
يعقوب فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم من الكلام المفخم الذي دل به على عظمة شانه
شبههم استقلالا لعددهم وان كانوا الجم الغفير بحصيات اخذهن اخذ بكفه وطرحهن
في البحر فانظر يا محمد كيف كان عاقبة الظالمين وحذر قومك فانك منصور عليهم وجعلناهم
ائمة قادة يدعون الى النار اي عمل اهل النار او اشارة الى قوله يقدم قومه يوم القيمة
والى قوله ثم لننزعن من كل شيعة الآية قال ابن عطاء نزع عن اسرارهم التوفيق وانوار
التحقيق فهم في ظلمات نفوسهم لا يدلون على سبيل الرشاد وفيه دليل خلق افعال العباد و
يوم القيمة لا ينصرون من العذاب واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة والزمناهم طردا او
ابعادا عن الرحمة وقيل هو ما يلحقهم من لعن الناس اياهم بعدهم ويوم القيمة هم من
المقبوحين المطرودين المبعدين او المهلكين او المشوهين بسواد الوجوه وزرقة
العيون ويوم ظرف للمقبوحين ولقد آتينا موسى الكتاب التورية من بعد ما اهلكنا
القرون الاولى قوم نوح وهود وصالح ولوط عليهم السلام بصائر للناس حال من الكتاب
والبصيرة نور القلب الذي يبصر به الرشد والسعادة كما ان البصر نور العين الذي يبصر به
الاجساد يريد آتيناه التورية انوارا للقلوب لانها كانت عميا لا تبصر تستبصر ولا تعرف
حقا من باطل وهدى وارشادا للقلوب لانها كانوا يخبطون في ضلال ورحمة لمن تبعها
لانهم اذا عملوا بها وصلوا الى نيل الرحمة لعلهم يتذكرون يتعظون وما كنت يا محمد بجانب
الجبل الغربي وهو المكان الواقع في شق الغرب وهو الذي وقع فيه ميقات موسى اذ
قضينا الى موسى الامر اي كلمناه وقربناه نجيا وما كنت من الشاهدين من جملة الشاهدين
للوحي اليه حتى تقوم من جهة المشاهدة على ما جرى من امر موسى عليه السلام في ميقاته

طالت

ولكنا انشانا بعد موسى قرونا فتطاول عليهم العمر اى طالت اعمارهم وفترة النبوة وكادت
الاخبار تخفى واندرست العلوم ووقع التحريف فى كثير منها فارسلناك مجددا لتلك
الاخبار مبينا ما وقع فيه التحريف واعطيناك العلم بقصص الانبياء وقصة موسى كانه
قال وما كنت شاهدا لموسى وما جرى عليه ولكنا اوحينا اليك فذكر سبب الوحى الذى
هو اطالت الفترة ودل به على المسبب اختصارا فاذن هذا الاستدراك يشبه الاستدراكين
بعده وما كنت ثاويا فى اهل مدين مقيما فى اهل مدين وهم شعيب والمومنون به تتلوا
عليهم اياتنا تقرءها عليهم تعلما منهم يريد الايات التى فيها قصة موسى وشعيب وقومه
وتتلوا فى موضع نصب خبر ثان او حال من الضمير فى ثاويا ولكنا كنا مرسلين ولكنا ارسلناك
واخبرناك بها وعلمناكها وما كنت بجانب الطور اذ نادينا موسى ان خذ الكتاب بقوة
ولكن علمناك اوارسلناك رحمة للرحمة من ربك لتنذر قوما ما اتيهم من نذير من قبلك
فى زمان الفترة بينك وبين عيسى وهو خمسماية وخمسون سنة لعلهم يتذكرون و
لولا ان تصيبهم مصيبة عقوبة بما قدمت ايديهم من الكفر والظلم ولما كان اكثر الاعمال
تزاول بالايدى نسبت الاعمال الى الايدى وان كانت من اعمال القلوب تغليبا للاكثر على
الاقل فيقولوا عند العذاب ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك ونكون من
المومنين لولا الاولى امتناعية وجوابها محذوف والثانية تحضيضية والفاء الاولى للعطف
والثانية جواب لولا لكونها فى حكم الامر اذ الامر باعث على الفعل والباعث والمحضض
من واد واحد والفاء يدخل فى جواب الامر والمعنى ولولا انهم قائلون اذا عوقبوا بما قدموا
من الشرك والمعاصى هلا ارسلت الينا رسولا محتجين علينا بذلك لما ارسلنا اليهم يعنى
ان ارسال الرسول اليهم انما هو ليلزموا الحجة ولا يلزموها كقوله لئلا يكون للناس على الله
حجة بعد الرسل فان قلت كيف استقام هذا المعنى وقد جعلت العقوبة هى السبب فى
الارسال لا القول لدخول لولا الامتناعية عليها دونه قلت القول هو المقصود بان يكون
سببا للارسال ولكن العقوبة لما كانت سببا للقول وكان وجوده بوجودها جعلت العقوبة
كانها سبب الارسال فادخلت عليها لولا وجيئ بالقول معطوفا عليها بالفاء المعطية معنى

البينة

البينة ويؤول معناه الى قولك ولولا قولهم هذا اذا اصابتهم مصيبة لما ارسلنا فلما جاءهم الحق من عندنا
اى القران او الرسول المصدق بالكتاب المعجز قالوا كفار مكة لولا اوتى هلا اعطى مثل ما اوتى موسى
من الكتاب المنزل جملة واحدة اولم يكفروا ابنى ابناء جنسهم او من مذهبهم مذهبهم وعنادهم
عنادهم وهم الكفرة فى زمن موسى عليه السلام بما اوتى موسى من قبل من قبل القران قالوا فى
موسى وهارون ساحران تظاهرا تعاونا سحران كوفى اى ذوا سحر او جعلوهما سحرين مبالغة
فى وصفهما بالسحر وقالوا انا بكل بكل واحد كافرون وقيل ان اهل مكة لما كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم
وبالقران فقد كفروا بموسى وبالتورية وقالوا فى موسى ومحمد ساحران تظاهرا او فى التورية
والقران سحران تظاهرا وذلك حين بعثوا الرهط الى رؤساء اليهود بالمدينة يسالونهم
عن محمد صلى الله عليه وسلم فاخبروهم انه كان فى كتابهم فرجع الرهط الى قريش فاخبروهم بقول
اليهود فقالوا عند ذلك ساحران ظاهرا قل فاتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما مما انزل
على موسى ومما انزل على اتبعه جواب فاتوا ان كنتم صادقين فى انهما سحران فان لم يستجيبوا لك
فاعلم انما يتبعون اهواءهم فان لم يستجيبوا دعاءك الى الايمان بالكتاب الاهدى فاعلم
انهم قد الزموا ولم يبق لهم حجة الا اتباع الهوى ومن اضل ممن اتبع هويه بغير هدى
من الله اى لا احد اضل ممن اتبع فى الدين هواه بغير هدى حال اى مخذولا لا بينة وبين
هواه ان الله لا يهدى القوم الظالمين ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون التوصيل
تكثير الوصل وتكريره يعنى ان القران اتاهم متتابعا متواصلا وعدا ووعيدا وقصصا وعبرا ومواعظ
ليتذكروا فيفلحون الذين اتيناهم الكتاب من قبله من قبل نزول القران وخبر الذين هم به
بالقران يؤمنون نزلت فى مؤمنى اهل الكتاب واذا يتلى القران عليهم قالوا امنا به انه الحق
من ربنا انا كنا من قبله من قبل نزول القران مسلمين كائنين على دين الاسلام مؤمنين بمحمد
عليه السلام وقوله انه تعليل للايمان به لان كونه حقا من الله حقيق بان يؤمن به وقوله ان
بيان لقوله امنا لانه يحتمل ان يكون ايمانا قريب العهد وبعيده فاخبروا بان ايمانهم به متقادم
اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا بصبرهم على الايمان بالتورية والايمان بالقران
او بصبرهم على الايمان بالقران قبل نزوله وبعد نزوله او بصبرهم على اذى المشركين واهل

الكتاب ويدرؤن بالحسنة السيئة يدفعون بالطاعة المعصية او بالحلم الاذى ومما رزقناهم
ينفقون يزكون واذا سمعوا اللغو الباطل والشتم من المشركين اعرضوا عنه وقالوا للاغين
لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم امان منا لكم بان نقابل لغوكم بمثله لا نبتغي الجاهلين لا نريد
مخالطتهم وصحبتهم انك لا تهدي من احببت لا تقدر ان تدخل في الاسلام كل من احببت ان
يدخل فيه من قومك وغيرهم ولكن الله يهدي من يشاء يخلق فعل الاهتداء فيمن يشاء وهو
اعلم بالمهتدين لمن يختار الهداية ويقبلها ويتعظ بالدلائل والايات قال الزجاج اجمع المفسرون
على انها نزلت في ابي طالب وذلك انه قال عند موته يا معشر بني هاشم صدقوا محمدا تفلحوا
فقال عليه الصلوة والسلام يا عم تامرهم بالنصيحة لانفسهم وتدعها لنفسك قال ما تريد يا ابن اخي
قال اريد منك ان تقول لا اله الا الله واشهد لك بها عند الله قال يا ابن اخي قد علمت انك
صادق ولكني اكره ان يقال جزع عند الموت وان كانت الصيغة عامة والاية حجة على المعتزلة
لانهم يقولون الهدى هو البيان وقد هدى الناس اجمع ولكنهم لم يهتدوا بسوء اختيارهم
فدل ان وراء البيان ما يسمى هداية وهو خلق الاهتداء واعطاء التوفيق والقدرة و
قالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا ولم نمكن لهم حرما امنا قالت قريش نحن
نعلم انك على الحق ولكنا نخاف ان نتبعناك وخالفنا العرب بذلك ان يتخطفونا من ارضنا
فالقمهم الله الحجر بانه مكن لهم في الحرم الذي امنه بحرمة البيت وامن قطانه بحرمته والثمرات
يجبى اليهم من كل اوب وهم كفرة فانى يستقيم ان يعرضهم للتخطف ويسلبهم الامن اذا ضموا
حرمة البيت حرمة الاسلام واسناد الامن الى اهل الحرم حقيقة والى الحرم مجاز يجبى
اليه وبالتاء مدني ويعقوب وسهل اي تجلب اليه ثمرات كل شيء معنى الكلية الكثرة كقوله
واوتيت من كل شيء رزقا من لدنا هو مصدر لان معنى يجبى اليه يرزق او مفعول له او
حال من الثمرات ان كان بمعنى مرزوق لتخصصها بالاضافة كما ينتصب عن النكرة المتخصصة
بالصفة ولكن اكثرهم لا يعلمون متعلق بمن لدنا اي قليل منهم يقرون بان ذلك رزق
من عند الله فاكثرهم جهلة لا يعلمون ذلك ولو علموا انه من عند الله لعلموا ان الخوف
والامن من عنده ولما خافوا التخطف اذا امنوا به وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها

هذا تخويف لاهل مكة من سوء عاقبة قوم كانوا في مثل حالهم بانعام الله تعالى عليهم فلم يشكروا
النعمة وقابلوها بالبطر فاهلكوا وكم نصب باهلكنا ومعيشتها بحذف الجار وايصال الفعل
اي في معيشتها والبطر سوء احتمال الغنى وهو ان لا يحفظ حق الله فيه فتلك مساكنهم
منازلهم باقية الاثار تشاهدونها في الاسفار كبلاد ثمود وقوم شعيب وغيرهم لم تسكن
حال والعامل فيها الاشارة من بعدهم الا قليلا من السكنى اي لم يسكنها الا المسافر ومار
الطريق يوما او ساعة وكنا نحن الوارثين لتلك المساكين من ساكنيها اي لا يملك التصرف
فيها غيرنا وما كان ربك مهلك القرى في كل وقت حتى يبعث في امها وبكسر الهمزة حمزة
وعلي اي في القرية التي هي امها اي اصلها ومعظمها رسولا لالزام الحجة وقطع المعذرة او
وما كان في حكم الله وسابق قضائه ان يهلك القرى في الارض حتى يبعث في ام القرى
اي مكة لان الارض دحيت من تحتها رسولا يعني محمدا يتلوا عليهم اياتنا اي القران وما
كنا مهلكي القرى الا واهلها ظالمون اي وما اهلكناهم للانتقام الا واهلها مستحقون
للعذاب بظلمهم وهو اصرارهم على كفرهم وعنادهم ومكابرتهم بعد الاعذار اليهم وما
اوتيتم من شيء فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها اي واي شيء اصبتموه من اسباب الدنيا فما
هو الا تمتع وزينة اياما قلائل وهو مدة الحيوة الفانية وما عند الله وهو ثوابه خير
في نفسه من ذلك وابقى لانه دائم افلا تعقلون ان الباقي خير من الفاني وخير ابو عمرو
بين الياء والتاء والباقون بالتاء لا غير وعن ابن عباس رض ان الله تعالى خلق الدنيا
وجعل اهلها ثلثة اصناف المؤمن والكافر والمنافق فالمؤمن يتزود والمنافق يتزين
والكافر يتمتع ثم قرر هذه الاية بقوله افمن زين له سوء عمله افمن وعدناه وعدا حسنا
اي الجنة فلا شيء احسن منها لانها دائمة ولذا سميت الجنة بالحسنى فهو لاقيه اي رائيه
ومدركه ومصيبه كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا ثم هو يوم القيمة من المحضرين من الذين
احضروا النار ونحوه تكذبوه فانهم لمحضرون نزلت في رسول الله صلى الله عليه وسلم
وابي جهل لعنه الله او في علي وحمزة وابي جهل او في المؤمن والكافر ومعنى الفاء الاولى
انه لما ذكر التفاوت بين متاع الحيوة الدنيا وما عند الله عقبه بقوله افمن وعدناه اي

ابعد هذا التفاوت بين متاع الحيوة الدنيا وما عند الله عقبه للجلي يستوى بين ابناء الدنيا
وابناء الاخرة والفاء الثانية للتسبيب لان لقاء الموعود مسبب عن الوعد وثم للتراخي
حال الاحضار عن حال التمتع ثم هو على كما قيل عضد في عضد شبه المنفصل بالمنفصل ويوم
يناديهم ينادى الله الكفار نداء توبيخ وهو عطف على يوم القيمة او منصوب باذكر فيقول
اين شركائي بناء على زعمهم الذين كنتم تزعمون ومفعولا تزعمون محذوفان تقديره
كنتم تزعمونهم شركائي ويجوز حذف المفعولين في باب ظننت ولا يجوز الاقتصار
على احدهما قال الذين حق عليهم القول اى الشياطين او ائمة الكفر ومعنى حق عليهم القول
وجب عليهم مقتضاه وثبت وهو قوله لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين ربنا هولاء
مبتداء الذين اغوينا اى دعوناهم الى الشرك وسولنا لهم الغي صفته والراجع الى الموصول
محذوف والخبر اغويناهم الكاف كما غوينا صفة مصدر محذوف تقديره اغويناهم فغووا غيا
مثل ما غوينا يعنون انا لم نغوهم الا باختيارنا فهولاء كذلك غووا باختيارهم لان اغوائنا
لهم لم يكن الا وسوسة وتسويلا ولا فرق اذا بين غينا وغيهم وان كان تسويلنا داعيا لهم
الى الكفر فقد كان في مقابلته دعاء الله لهم الى الايمان بما وضع فيهم من ادلة العقل وما
بعث اليهم من الرسل وانزل عليهم من الكتب وهو كقوله وقال الشيطان لما قضى الامر ان الله
وعدكم وعد الحق الى قوله ولوموا انفسكم تبرانا اليك منهم ومما اختاروه من الكفر ما
كانوا ايانا يعبدون بل يعبدون اهواءهم ويطيعون شهواتهم واخلاء الجملتين من العاطف
لكونهما مقررتين لمعنى الجملة الاولى وقيل للمشركين ادعوا شركاءكم اى الاصنام لتخلصكم
من العذاب فدعوهم فلم يستجيبوا لهم فلم يجيبوهم وراوا العذاب لو انهم كانوا يهتدون
وجواب لو محذوف اى لما راوا العذاب ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين الذين
ارسلوا اليكم حكى اولا ما يوبخهم به من اتخاذهم له شركاء ثم ما يقوله الشياطين او ائمة الكفر
عند توبيخهم لانهم اذا وبخوا بعبادة الالهة اعتذروا بان الشياطين هم الذين استغووهم
ثم ما يشبه الشماتة بهم من استغاثتهم الهتهم وعجزهم عن نصرتهم ثم ما يبكتون به من الاحتجاج
عليهم بارسال الرسل وازاحة العلل فعميت عليهم الانباء يومئذ خفيت عليهم الحجج او الاخبار

وقيل خفى عليهم الجواب فلم يدروا بماذا يجيبون اذ لم يكن لهم جواب فهم لا يتساءلون لا يسأل
بعضهم بعضا عن العذر والحجة رجاء ان يكون عنده عذر وحجة لانهم يتساوون في العجز عن
الجواب فاما من تاب من الشرك وامن بربه وبما جاء من عنده وعمل صالحا فعسى ان يكون
من المفلحين اى فعسى ان يفلح عند الله وعسى من الكرام تحقيق وفيه بشارة للمسلمين على الاسلام
وترغيب للكافرين على الايمان ونزلت جوابا لقول الوليد بن المغيرة لولا نزل هذا القران على
رجل من القريتين عظيم يعني نفسه وابا مسعود وربك يخلق ما يشاء وفيه دلالة خلق الافعال
ويوقف على ويختار اى وربك يخلق ما يشاء وربك يختار ما يشاء ما كان لهم الخيرة اى ليس
لهم ان يختاروا على الله شيا ما وله الخيرة عليهم ولم يدخل العاطف في ما كان لهم الخيرة لانه
بيان لقوله ويختار اذ المعنى ان الخيرة لله وهو اعلم بوجوه الحكمة في افعاله فليس لاحد من
خلقه ان يختار عليه ومن وصل على معنى ويختار الذى لهم فيه الخيرة فقد ابعد بل ما لنفى
اختيار الخلق تقرير الاختيار الحق ومن قال معناه ويختار للعباد ما هو خير لهم واصلح فهو
مائل الى الاعتزال والخيرة من التخير ويستعمل بمعنى المصدر وهو التخير وبمعنى المتخير كقولهم
محمد خيرة الله من خلقه سبحان الله وتعالى عما يشركون اى الله برئ من اشراكهم وهو منزه
من ان يكون لاحد عليه اختيار وربك يعلم ما تكن تضمر صدورهم من عداوة رسول الله
وحسده وما يعلنون من مطاعنهم فيه وقولهم هلا اختير عليه غيره في النبوة وهو الله
وهو المستاثر بالالهية المختص بها لا اله الا هو تقرير لذلك كقولك الكعبة القبلة لا قبلة
الا هي له الحمد في الاولى الدنيا والاخرة هو قولهم الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن الحمد لله الذى
صدقنا وعده وقيل الحمد لله رب العالمين والتحميد ثم على وجه اللذة لا الكلفة وله الحكم
القضاء بين عباده واليه ترجعون بالبعث والنشور وبفتح التاء وكسر الجيم يعقوب قل ارايتم
بحذف الهمزة علي ان جعل الله عليكم الليل سرمدا هو مفعول ثان لجعل اى دائما من السرد وهو
المتابعة ومنه قولهم في الاشهر الحرام ثلثة سرد وواحد فرد والميم مزيدة ووزنه فعمل الى يوم
القيمة من اله غير الله ياتيكم بضياء افلا تسمعون والمعنى اخبروني من يقدر على هذا قل ارايتم
ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيمة من اله غير الله ياتيكم بليل تسكنون فيه افلا

تبصرون ولم يقل بنهار تتصرفون كما قال بليل تسكنون فيه بل ذكر الضياء وهو ضوء الشمس
لان المنافع التي تتعلق به متكاثرة ليس التصرف في المعاش وحده والظلام ليس بتلك المنزلة
ومن ثم قرن بالضياء افلا تسمعون لان السمع يدرك ما لا يدركه البصر من ذكر منافعه
ووصف فوايده وقرن بالليل افلا تبصرون لان غيرك يبصر من منفعة الظلام ما تبصره
انت من السكون ونحوه ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله
اى لتسكنوا في الليل ولتبتغوا من فضل الله في النهار فيكون من باب اللف والنشر ولعلكم
تشكرون الله على نعمه وقال الزجاج يجوز ان يكون معناه لتسكنوا فيهما ولتبتغوا من
فضله ويوم يناديهم فيقول اين شركائي الذين كنتم تزعمون كرر التوبيخ باتخاذ الشركاء
ليؤذن بان لا شيء اجلب لغضب الله من الاشراك به كما لا شيء ادخل في مرضاته من توحيده
ونزعنا واخرجنا من كل امة شهيدا يعني نبيهم لان انبياء الامم شهداء عليهم يشهدون
بما كانوا عليه فقلنا للامم هاتوا برهانكم فيما كنتم عليه من الشرك ومخالفة الرسول فعلموا
حينئذ ان الحق التوحيد لله وضل عنهم اى غاب عنهم غيبة الشيء الضائع ما كانوا يفترون
من الالوهية غير الله والشفاعة لهم ان قارون لا ينصرف للعجمة والتعريف ولو كان فاعولا
من قرنت الشيء لانصرف كان من قوم موسى كان اسرائيليا ابن عم لموسى فهو قارون بن
يصهر بن قاهث ابن لاوى بن يعقوب وموسى ابن عمران ابن قاهث وكان يسمى المنور
لحسن صوته وكان اقرا بني اسرائيل للتورية ولكنه نافق كما نافق السامري فبغى عليهم من
البغي الظلم قيل ملكه فرعون على بني اسرائيل فظلمهم او من البغي الكبر تكبر عليهم بكثرة ماله و
ولده او زاد عليهم في الثياب شبرا واتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه ما بمعنى الذي في
موضع نصب باتيناه وان واسمها وخبرها صلة الذي ولهذا كسرت ان والمفاتح جمع مفتح
بالكسر وهو ما يفتح به او مفتح بالفتح وهو الخزانة والاصوب انها المقاليد لتنوء بالعصبة
لتثقل العصبة فالباء للتعدية ويقال ناء به الحمل اذا اثقله حتى اماله والعصبة الجماعة الكثيرة
وكانت تحمل مفاتيح خزاينه ستون بغلا لكل خزانة مفتاح ولا يزيد المفتاح على اصبع وكانت
من جلود اولى القوة الشدة اذ قال له قومه اى المؤمنون وقيل القايل موسى عليه السلام

ومحل اذ نصب بتنوء لا تفرح لا تبطر بكثرة المال كقوله ولا تفرحوا بما اتيكم ولا يفرح بالدنيا
الا من رضي بها واطمان واما من قلبه الى الاخرة ويعلم انه يتركها عن قريب فلا يفرح بها ان الله
لا يحب الفرحين البطرين بالمال وابتغ فيما اتيك الله من الغنى والثروة الدار الاخرة
بان تتصدق على الفقراء وتصل الرحم وتصرف الى ابواب الخير ولا تنس نصيبك من الدنيا
وهو ان تاخذ ما يكفيك ويصلحك وقيل معناه اطلب بدنياك لاخرتك فان ذلك حظ المؤمن
منها واحسن الى عباد الله كما احسن الله اليك او احسن بشكرك وطاعتك لخالق الانام كما
احسن اليك بالانعام ولا تبغ الفساد في الارض بالظلم والبغي ان الله لا يحب المفسدين قال
انما اوتيته اى المال على علم عندى اى على استحقاق ولما في من العلم الذي فضلت به الناس وهو
علم التورية او علم الكيمياء وكان ياخذ الرصاص والنحاس فيجعلها ذهبا او العلم بوجوه
المكاسب من التجارة والزراعة وعندى صفة لعلم قال سهل ما نظر احد الى نفسه فافلح و
السعيد من صرف بصره على افعاله واقواله وفتح له سبيل روية منة الله عليه في جميع الافعال
والاقوال والشقي من زين في عينه افعاله واقواله واحواله فافتخر بها وادعاها لنفسه فشومه
يهلكه يوما كما خسف بقارون لما ادعى لنفسه فضلا اولم يعلم قارون ان الله قد اهلك
من قبله من القرون من هو اشد منه قوة هو اثبات لعلمه بان الله قد اهلك من القرون
قبله من القرون من هو اقوى منه واغنى لانه قد قراه في التورية كانه قيل اولم يعلم
في جملة ما عنده من العلم هذا حتى لا يغتر بكثرة ماله وقوته او نفى لعلمه بذلك لانه لما
قال اوتيته على علم عندى قيل اعنده مثل ذلك العلم الذي ادعاه وهو راى نفسه به مستوجبا
لكل نعمة ولم يعلم بهذا العلم النافع حتى نفى به نفسه مصارع الهالكين واكثر جمعا للمال او اكثر
جماعة وعددا ولا يسال عن ذنوبهم المجرمون لعلمه تعالى بهم بل يدخلون النار بغير حساب
او يعترفون بها بغير سوال او يعرفون بسيماهم فلا يسالون او لا يسالون ليعلم من جهتهم
بل يسالون سوال توبيخ او لا يسال عن ذنوب الماضين المجرمون من هذه الامة فخرج على قومه
في زينته في الحمرة والصفرة وقيل خرج يوم السبت على بغلة شهباء عليه الارجوان وعليها
سرج من ذهب ومعه اربعة الاف على زيه وقيل عليهم وعلى خيولهم الديباج الاحمر وعن يمينه

ثلثماية غلام وعن يساره ثلثماية جارية بيض عليهن الحلى والديباج وفى زينته حال من فاعل
خرج اى متزينا قال الذين يريدون الحيوة الدنيا قيل كانوا مسلمين وانما تمنوه على سبيل الرغبة
فى اليسار كعادة البشر وقيل كانوا كفارا يا ليت لنا مثل ما اوتى قارون قالوه غبطة و
الغابط هو الذى يتمنى مثل نعمة صاحبه له من غير ان تزول عنه كهذه الاية والحاسد هو
الذى يتمنى ان تكون نعمة صاحبه له دونه وهو كقوله ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على
بعض وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم هل يضر الغبطة قال لا الا كما يضر العضاة الخبط
انه لذو حظ عظيم الحظ الجد وهو البخت والدولة وقال الذين اوتوا العلم بالثواب و
العقاب وفناء الدنيا وبقاء العقبى لغابطى قارون ويلكم اصل ويلك الدعاء بالهلاك ثم
استعمل فى الزجر والردع والبعث على ترك ما لا يرتضى وفى التبيان فى اعراب القران هو مفعول
فعل محذوف اى الزمكم الله ويلكم ثواب الله خير لمن امن وعمل صالحا ولا يلقيها اى لا يلقن
هذه الكلمة وهى ثواب الله خير الا الصابرون على الطاعات وعن الشهوات وزينة الدنيا
وعلى ما قسم الله من القليل والكثير فخسفنا به وبداره الارض كان قارون يوذى موسى
عليه السلام كل وقت وهو يداريه للقرابة التى بينهما حتى نزلت الزكوة فصالحه عن كل الف
دينار وعن كل الف درهم على درهم فحسبه فاستكثره فشحت به نفسه فجمع بنى اسرائيل وقال ان
موسى يريد ان ياخذ اموالكم فقالوا انت كبيرنا فمر كما شئت قال نبرطل فلانة البغى حتى ترميه
بنفسها فيرفضه بنو اسرائيل فجعل لها الف دينار او طستا من ذهب او حكمها ما حكمت فلما كان
يوم عيد قام موسى خطيبا فقال يا بنى اسرائيل من سرق قطعناه ومن افترى جلدناه ومن
زنى وهو غير محصن جلدناه وان احصن رجمناه فقال قارون وان كنت انت قال وان كنت
انا قال فان بنى اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة فاحضرت فناشدها بالذى فلق البحر و
انزل التورية ان تصدق فقالت جعل لى قارون جعلا على ان اقذفك بنفسى فخر موسى ساجدا
يبكى وقال يا رب ان كنت رسولك فاغضب لى فاوحى اليه ان مر الارض بما شئت فانها مطيعة
لك فقال يا بنى اسرائيل ان الله بعثنى الى قارون كما بعثنى الى فرعون فمن كان معه فليلزم مكانه
ومن كان معى فليعتزل فاعتزلوا جميعا غير رجلين ثم قال يا ارض خذيهم فاخذتهم الى الركب

وان كنت

ثم قال خذيهم فاخذتهم الى الاوساط ثم قال خذيهم فاخذتهم الى الاعناق وقارون واصحابه
يتضرعون الى موسى ويناشدونه بالله والرحم وموسى لا يلتفت اليهم لشدة غضبه ثم قال
خذيهم فانطبقت عليهم فقال الله لموسى استغاثوا بك مرارا فلم ترحمهم فوعزتى لو استرحمونى
مرة لرحمته فقال بعض بنى اسرائيل انما اهلكه ليرث ماله فدعى الله حتى خسف بداره وكنوزه
فما كان له من فئة جماعة ينصرونه من دون الله يمنعونه من عذاب الله وما كان من المنتصرين
من المنتقمين من موسى او من الممتنعين من عذاب الله يقال نصره من عدوه فانتصر اى منعه
منه فامتنع واصبح وصار الذين تمنوا مكانه منزلته من الدنيا بالامس ظرف لتمنوا ولم يرد
به اليوم الذى قبل يومك ولكن الوقت القريب استعارة يقولون ويكان الله يبسط
الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر وى منفصلة عن كان عند البصريين قال سيبويه وهى كلمة
تنبيه على الخطاء وتندم يستعملها النادم باظهار ندامته يعنى ان القوم قد تنبهوا على خطائهم
فى تمنيهم وقولهم يا ليت لنا مثل ما اوتى قارون وتندموا لولا ان من الله علينا بصرف ما كنا
نتمناه بالامس لخسف بنا وبفتحتين حفص ويعقوب وسهل وفيه ضمير الله تعالى ويكانه
لا يفلح الكافرون اى تندموا ثم قالوا كانه لا يفلح الكافرون تلك الدار الاخرة تلك تعظيم لها
وتفخيم لشانها يعنى تلك التى سمعت بذكرها وبلغك وصفها وقوله نجعلها خبر تلك و
الدار نعتها للذين لا يريدون علوا فى الارض بغيا اى جبرا او ظلما الضحاك ولا فسادا عملا
بالمعاصى او قتل النفس او دعاء الى عبادة غير الله ولم يعلق الوعد بترك العلو والفساد
ولكن بترك ارادتهما وميل القلوب اليهما كما قال ولا تركنوا الى الذين ظلموا فعلق الوعيد
بالركون وعن على رضه ان الرجل ليعجبه ان يكون شراك نعله اجود من شراك نعل صاحبه
فيدخل تحتها وعن الفضيل انه قراءها ثم قال ذهبت الامانى ههنا وعن عمر بن عبد العزيز
انه كان يرددها حتى قبض وقال بعضهم حقيقته التنفير عن متابعة فرعون وقارون
متشبثا بقوله ان فرعون علا فى الارض ولا تبغ الفساد فى الارض والعاقبة المحمودة للمتقين
من جاء بالحسنة فله خير منها مر فى النمل ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات
معناه فلا يجزون فوضع الذين عملوا السيئات موضع الضمير لان فى اسناد عمل السيئة اليهم مكررا

افضل تهيين بحالهم وزيادة تبغيض للسيئة الى قلوب السامعين الا ما كانوا يعملون الا مثل ما
كانوا يعملون ومن فضله العظيم ان لا يجزى السيئة الا بمثلها ويجزى الحسنة بعشر امثالها الى سبع
مائة ان الذى فرض عليك القرآن اوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه لرادك
بعد الموت الى معاد اى الى معاد ليس بغيرك من البشر ولذا نكره او المراد به مكة والمعادة
ردا اليها يوم الفتح وانما نكره لانها كانت فى ذلك اليوم معاد له شان ومرجعا له اعتداد
لغلبة رسول الله وقهره لاهله ولظهور عز الاسلام واهله وذل الشرك وحزبه والسورة
مكية ولكن هذه الاية نزلت بالجحفة لا بمكة ولا بالمدينة حين اشتاق الى مولده ومولد آبائه
ولما وعد رسوله الرد الى معاد قال قل للمشركين ربى اعلم من جاء بالهدى يعنى نفسه وما له من
الثواب فى معاد ومن هو فى ضلال مبين يعنى المشركين وما يستحقونه من العقاب فى معادهم
من فى محل النصب بفعل مضمر اى يعلم وما كنت ترجوا ان يلقى يوحى اليك الكتاب اى القرآن
الا رحمة من ربك هو محمول على المعنى اى وما القى عليك الكتاب الا رحمة من ربك او الا
بمعنى لكن استدراك اى ولكن لرحمة من ربك القى اليك الكتاب فلا تكونن ظهيرا للكافرين
معينا لهم على دينهم ولا يصدنك عن آيات الله هو على الجمع اى لا يمنعنك هولاء عن العمل
بآيات الله اى القرآن بعد اذ انزلت اليك الايات اى بعد وقت انزاله واذ يضاف اليه
اسماء الزمان كقولك حينئذ ويومئذ وادع الى ربك توحيده وعبادته ولا تكونن من
المشركين ولا تدع مع الله الها آخر قال ابن عباس رض الخطاب فى الظاهر للنبى
عليه الصلوة والسلام والمراد به اهل دينه ولان العصمة لا تمنع النهى والوقف على آخر لازم لانه
لو وصل لصار لا اله الا هو صفة لا له آخر وفيه من الفساد ما فيه كل شىء هالك الا وجهه
الا اياه فالوجه يعبر به عن الذات وقال مجاهد يعنى علم العلماء اذا اريد به وجه الله له الحكم
القضاء فى خلقه واليه ترجعون وبفتح التاء وكسر الجيم يعقوب سورة العنكبوت مكية
وهى تسع وستون او سبعون آية بسم الله الرحمن الرحيم
الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون الحسبان قوة احد النقيضين على
الآخر كالظن بخلاف الشك فهو الوقوف بينهما والعلم فهو القطع على احدهما ولا يصح تعليقها

بمعاني المفردات ولكن بمضامين الجمل فلو قلت حسبت زيدا وظننت الفرس نحو لم يكن
شيئا حتى تقول حسبت زيدا عالما وظننت الفرس جوادا لان قولك زيد عالم او الفرس جواد
كلام دال على مضمون فاذا اردت الاخبار عن ذلك المضمون ثابتا عندك على وجه الظن لا
اليقين ادخلت على شطرى الجملة فعل الحسبان حتى يتم لك مرضك والكلام الدال على المضمون
الذى يقتضيه الحسبان هنا ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون وذلك ان تقديره
احسبوا تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا فالترك اول مفعولى حسب وقولهم آمنا هو
الخبر واما غير مفتونين فتتمة الترك لانه من الترك الذى هو بمعنى التصيير كقول عنترة
فتركته جزر السباع ينشنه الا ترى انك قبل المجئ بالحسبان تقدر ان تقول تركهم غير
مفتونين لقولهم آمنا على تقدير حاصل ومستقر قبل اللام وهو استفهام توبيخ والفتنة
الامتحان بشدائد التكليف من مفارقة الاوطان ومجاهدة الاعداء وسائر الطاعات
الشاقة وهجر الشهوات وبالفقر والقحط وانواع المصائب فى الانفس والاموال وبصبر
الكفار على اذاهم وكيدهم فروى انها نزلت فى ناس من اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم قد جزعوا من اذى المشركين او فى عمار وكان يعذب فى الله ولقد فتنا اختبرنا
وهو منصوب بحسب او بل يفتنون الذين من قبلهم بانواع الفتن فمنهم من يوضع
المنشار على راسه فيفرق فرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه ومنهم من يمشط بامشاد
الحديد ما يصرفه ذلك عن دينه فليعلمن الله بالامتحان الذين صدقوا فى الايمان و
ليعلمن الكاذبين فيه ومعنى علمه تعالى وهو عالم بذلك فيما لم يزل ان يعلمه موجودا
عند وجوده كما علمه قبل وجوده انه يوجد والمعنى وليتميزن الصادق منهم من الكاذب
قال ابن عطاء يتبين صدق العبد من كذبه فى اوقات الرخاء والبلاء فمن شكر فى ايام
الرخاء وصبر فى ايام البلاء فهو من الصادقين ومن بطر فى ايام الرخاء وجزع فى ايام
البلاء فهو من الكاذبين ام حسب الذين يعملون السيئات اى الشرك والمعاصى ان يسبقونا
ان يفوتونا يعنى ان الجزاء يلحقهم لا محالة واشتمال صلة ان على مسند ومسند اليه سد مسد
المفعولين كقوله ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ويجوز حسب معنى قدر وام منقطعة ومعنى

الاضراب فيها ان هذا الحسبان ابطل من الحسبان الاول لان ذلك يقدر انه لا يمتحن لايمانه
وهذا يظن انه لا يجازى بمساويه وقالوا الاول في المومنين وهذا في الكافرين ساء ما
يحكمون ما في موضع رفع على معنى ساء الحكم حكمهم او نصب على معنى ساء حكما يحكمون و
المخصوص بالذم محذوف اى بئس حكما يحكمونه حكمهم هذا من كان يرجو لقاء الله اي بامل
ثوابه او يخاف حسابه فالرجاء يحتملها فان اجل الله المضروب للثواب والعقاب لات
لا محالة فليبادر العمل الصالح الذى يصدق رجاءه ويحقق امله وهو السميع لما يقوله
عباده العليم بما يفعلونه فلا يفوته شيء ما وقال الزجاج من للشرط ويرتفع بالابتداء وجواب
الشرط فان اجل الله لات كقولك ان كان زيد في الدار فقد صدق الوعد ومن جاهد بالصبر
على طاعة الله او الشيطان بدفع وساوسه او الكفار فانما يجاهد لنفسه لان منفعة ذلك ترجع
اليها ان الله لغنى عن العالمين وعن طاعتهم ومجاهدتهم وانما امرو نهى رحمة لعباده والذين
امنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سياتهم اى الشرك والمعاصى بالايمان والتوبة ولنجزينهم
احسن الذى كانوا يعملون اى احسن جزاء اعمالهم في الاسلام ووصينا الانسان بوالديه حسنا
وصى حكمه حكم امر في معناه وتصرفه يقال وصيت زيدا بان يفعل خيرا كما تقول امرته بان يفعل
ومنه قوله تعالى ووصى بها ابراهيم بنيه اى وصيهم بكلمة التوحيد وامرهم بها وقولك وصيت
زيدا بعمرو ومعناه وصيته بتعهد عمرو ومراعاته ونحو ذلك وكذلك معنى قوله ووصينا الانسان
بوالديه حسنا ووصيناه بايتاء والديه حسنا او بايلاء والديه حسنا اى فعلا ذا حسن او ما
هو في ذاته حسن لفرط حسنه كقوله وقولوا للناس حسنا ويجوز ان يجعل حسنا من باب قولك
زيدا باضمار اضرب اذا رايته متهيا للضرب فتضربه باضمار اولهما او افعل بهما لان التوصية
بهما دالة عليه وما بعده مطابق له كانه قال قلنا اولهما معروفا ولا تطعهما في الشرك اذا حملاك
عليه وعلى هذا التفسير ان وقف على بوالديه وابتدى حسنا حسن الوقف وعلى التفسير الاول
لا بد من اضمار القول معناه وقلنا وان جاهداك ايها الانسان لتشرك بي ما ليس لك به
علم اى لا علم لك بالهيته والمراد بنفى العلم نفى المعلوم كانه قال لتشرك بي شيا لا يصح ان يكون الها
فلا تطعهما في ذلك فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق الى مرجعكم مرجع من امن منكم ومن اشرك

فانبئكم

فانبئكم بما كنتم تعملون فاجازيكم حق جزائكم وفي ذكر المرجع والوعيد تحذير من متابعتهما على الشرك
وحث على الثبات والاستقامة في الدين روى ان سعيد بن ابى وقاص لما اسلم نذرت امه
ان لا تاكل ولا تشرب حتى يرتد فشكى الى النبى صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الاية والتى في لقمان
والتى في الاحقاف والذين امنوا وعملوا الصالحات هو مبتدا والخبر لندخلنهم في الصالحين
في جملتهم والصلاح من ابلغ صفات المومنين وهو متمنى الانبياء فقال سليمان عليه السلام
وادخلنى برحمتك في عبادك الصالحين وقال يوسف عليه السلام توفنى مسلما والحقنى بالصالحين
او في مدخل الصالحين وهو الجنة ونزلت في المنافقين ومن الناس من يقول امنا بالله فاذا
اوذى في الله اى اذا مسه اذى من الكفار جعل فتنة الناس كعذاب الله اى جزع من ذلك
كما يجزع من عذاب الله ولين جاء نصر من ربك ليقولن انا كنا معكم اى واذا جاء نصر الله
المومنين وغنمهم اعترضوهم وقالوا انا كنا معكم اى مشايعين لكم في دينكم ثابتين عليه ثباتكم
فاعطونا نصيبنا من المغنم اوليس الله باعلم بما في صدور العالمين اى هو اعلم بما في صدور العالمين
من العالمين بما صدورهم ومن ذلك ما في صدور هولاء من النفاق وما في صدور المومنين
من الاخلاص ثم وعد المومنين واوعد المنافقين بقوله وليعلمن الله الذين امنوا
وليعلمن المنافقين اى حالهما ظاهرة عند من يملك الجزاء عليهما وقال الذين كفروا للذين
امنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم امروهم باتباع سبيلهم وهى طريقتهم التى كانوا عليها
في دينهم وامروا انفسهم بحمل خطاياهم فعطف الامر على الامر وارادوا ليجتمع هذان
الامران في الحصول ان تتبعوا سبيلنا وان نحمل خطاياكم والمعنى تعليق الحمل بالاتباع اى ان تتبعوا
سبيلنا حملنا خطاياكم وهذا قول صناديد قريش كانوا يقولون لمن امن منهم لا نبعث
نحن ولا انتم فان كان ذلك فانا نتحمل عنكم الاثم وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء
وانهم لكاذبون لانهم قالوا ذلك وقلوبهم على خلافه كالكاذبين الذين يعدون الشيء
وفي قلوبهم نية الخلف وليحملن اثقالهم اى اثقال انفسهم يعنى اوزارهم بسبب كفرهم و
اثقالا مع اثقالهم اى اثقالا اخر غير الخطايا التى ضمنوا للمومنين حملها وهى اثقال الذين
كانوا سببا في ضلالهم وهو كما قال ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة ومن اوزار الذين

الذين يضلونهم بغير علم وليسالن يوم القيمة عما كانوا يفترون يختلقون من الاكاذيب
والاباطيل ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما كان عمره
الفا وخمسين سنة بعث على راس اربعين ولبث فى قومه تسع مائة وخمسين وعاش بعد
الطوفان ستين وعن وهب انه عاش الفا واربعمائة سنة فقال له ملك يا اطول الانبياء
عمرا كيف وجدت الدنيا قال كدار لها بابان دخلت وخرجت ولم يقل تسع مائة وخمسين
سنة كافية العدد لانه لو قيل كذلك لجاز ان يتوهم اطلاق هذا العدد على اكثره وهذا
التوهم زايد هنا وكانه قيل تسع مائة وخمسين سنة كاملة وافية العدد الا ان ذلك
اخصر واعذب لفظا واملا بالفائدة ولان القصة سبقت لذكر ما ابتلى به نوح عليه السلام
من امته وما كابده من طول المصابرة تسلية لنبينا عليه الصلوة والسلام فكان ذكر الالف
افخم واوصل الى الغرض وجيء المميز اولا بالسنة ثم بالعام لان تكرار لفظ واحد فى
كلام واحد حقيق بالاجتناب فى البلاغة فاخذهم الطوفان هو ما اطاق واحاط بكثرة
وغلبة من سيل او ظلام ليل ونحوها وهم ظالمون انفسهم بالكفر فانجيناه اى نوحا
واصحاب السفينة وكانوا ثمانية وسبعين نفسا نصفهم ذكورهم ونصفهم اناثهم
اولاد نوح سام وحام ويافث وكانسا وهم وجعلناها اى السفينة او الحادثة او القصة
اية عبرة وعظة للعالمين يتعظون بها وابراهيم نصب باضمار اذكر وابدل عنه اذ قال
بدل اشتمال لان الاحيان تشتمل على ما فيها او معطوف على نوحا اى وارسلنا ابراهيم
اذ ظرف لارسلنا يعنى ارسلنا حين بلغ من السن والعلم مبلغا اصلح فيه لان يعظ قومه
ويامرهم بالعبادة والتقوى وقرا ابراهيم النخعى وابو حنيفة رح وابراهيم بالرفع على
معنى ومن المرسلين ابراهيم لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم من الكفر ان كنتم
تعلمون ان كان فيكم علم بما هو خير لكم مما هو شر لكم انما تعبدون من دون الله اوثانا اصناما
وتخلقون وتكذبون او تصنعون وقرا ابو حنيفة رح والسلمى وتخلقون من خلق
بمعنى التكثير افكا وقرى افكا وهو مصدر نحو كذب ولعب والافك مخفف منه كالكذب
واللعب من اصلهما واختلف فهم الافك تسميتهم الاوثان الهة وشركاء الله ان الذين

العدد

تعبدون

تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا لا يستطيعون ان يرزقوكم شيا من الرزق //
فابتغوا عند الله الرزق كله فانه هو الرزاق وحده لا يرزق غيره واعبدوه واشكروا
له اليه ترجعون فاستعدوا للقائه بعبادته والشكر له على النعمة وبفتح الفاء وكسر الجيم
يعقوب وان تكذبوا فقد كذب امم من قبلكم وما على الرسول الا البلاغ المبين وان
تكذبونى فلا تضروننى بتكذيبهم فان الرسل قبلى قد كذبتهم اممهم وما ضروهم وانما ضروا
انفسهم حيث حل بهم العذاب بسبب تكذيبهم واما الرسل فقد تم امره حين بلغ البلاغ
المبين الذى زال معه الشك وهو اقترانه بايات الله ومعجزاته او ان كنت مكذبا فيما
بينكم فلى فى سائر الانبياء اسوة حيث كذبوا وعلى الرسول ان يبلغ وما عليه ان يصدق
ولا يكذب وهذه الاية والايات التى بعدها الى قوله فما كان جواب قومه محتملة ان تكون
من جملة قول ابراهيم عليه السلام لقومه والمراد بالامم قبله قوم شيث وادريس ونوح
وغيرهم وان تكون ايات وقعت معترضة فى شان رسول الله صلى الله عليه وسلم وشان
قريش بين اول قصة ابراهيم واخرها فان قلت فالجمل الاعتراضية لا بد لها من اتصال بما
وقعت معترضة فيه فلا تقول مكة وزيد قائم خير بلاد الله قلت نعم وبيانه ان ايراد
قصة ابراهيم ليس الا ارادة التنفيس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وان تكون مسلاة
له بان اباه ابراهيم عليه السلام كان مبتلى بنحو ما ابتلى به من شرك قومه وعبادتهم الاوثان
فاعترض بقوله وان تكذبوا على معنى انكم يا معشر قريش وان تكذبوا محمدا فقد كذب ابراهيم
قومه وكل امة نبيها لان قوله فقد كذب امم من قبلكم لا بد من تناوله لامة ابراهيم وكما
ترى اعتراض متصل ثم سائر الايات بعدها من توابعها لكونها ناطقة بالتوحيد ودلائله
وهدم الشرك وتوهين قواعده وصفة قدرة الله وسلطانه ووضوح حجته وبرهانه
اولم يروا وبالتاء كوفى غير حفص كيف يبدئ الله الخلق اى قد راوا ذلك وعلموه وقوله
ثم يعيده ليس بمعطوف على يبدئ وليست الرؤية واقعة عليه وانما هو اخبار على حياله
بالاعادة بعد الموت كما وقع النظر فى قوله كيف بدا الخلق ثم الله ينشئ النشاة الاخرة على
البدء دون الانشاء بل هو معطوف على جملة قوله اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ان ذلك

اى الاعادة على الله يسير سهل قل يا محمد وان كان من كلام ابراهيم فتقديره واوحينا
اليه ان قل سيروا فى الارض فانظروا كيف بداء الخلق على كثرتهم واختلاف احوالهم
لتعرفوا عجايب فطرة الله بالمشاهدة وبداء وابداء بمعنى ثم الله ينشئ النشاة الاخرة اى
البعث وبالمد حيث كان مكى وابو عمرو وهذا دليل على انهما نشاتان وان كل واحدة منهما انشا
اى ابتداء واختراع واخراج من العدم الى الوجود غير ان الاخرة انشاء بعد انشاء مثله والاولى
ليست كذلك والقياس ان يقال كيف بداء الخلق ثم ينشئ النشاة الاخرة وانما قيل كيف بداء
الخلق ثم الله ينشئ النشاءة الاخرة لان الكلام معهم وقع فى الاعادة فلما قررهم فى الابداء بانه
من الله احتج عليهم بان الاعادة انشاء مثل الابداء فاذا لم يعجزه الابتداء وجب ان لا يعجزه
الاعادة فكانه قال ثم ذاك الذى انشاء النشاءة الاولى هو الذى ينشئ النشاة الاخرة فللتنبيه
على هذا المعنى ابرز اسمه واوقعه مبتداء ان الله على كل شئ قدير قادر يعذب من يشاء
بالخذلان ويرحم من يشاء بالهداية او بالحرص والقناعة او بسوء الخلق وحسنه او بالاعراض
عن الله وبالاقبال عليه او بمتابعة البدع وبملازمة السنة واليه تقلبون ترددون و
ترجعون وما انتم بمعجزين ربكم اى لا تفوتون ان هربتم من حكمه وقضائه فى الارض
الفسيحة ولا فى السماء التى هى افسح منها وابسط لو كنتم فيها وما لكم من دون الله من ولى
يتولى اموركم ولا نصير ولا ناصر يمنعكم من عذابى والذين كفروا بايات الله بدلايله على
وحدانيته وكتبه ومعجزاته ولقائه اولئك يئسوا من رحمتى جنتى واولئك لهم عذاب
اليم فما كان جواب قومه قوم ابراهيم حين دعاهم الى الايمان الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه
قال بعضهم لبعض او قاله واحد منهم وكان الباقون راضين فكانوا جميعا فى حكم القايلين
فاتفقوا على تحريقه فانجيه الله من النار حين قذفوه فيها ان فى ذلك اى فيما فعلوا
فيه وفعلنا لايات لقوم يؤمنون وكانه لم ينتفع فى ذلك اليوم بالنار يعنى يوم القى
ابراهيم فى النار وذلك لذهاب حرها وقال ابراهيم لقومه انما اتخذتم من دون الله اوثانا
مودة بينكم فى الحيوة الدنيا حمزة وحفص بمودة بينكم مدنى وشامى وحماد ويحيى وخلف
مودةٌ بينِكم مكى وبصرى وعلى مودةٌ بينَكم اشمونى والبرجمى فالنصب على وجهين على التعليل

اى لتوادوا بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها واتفاقكم عليها كما يتفق الناس على مذهب
فيكون ذلك سبب تحابهم وان يكون مفعولا ثانيا كقوله اتخذ الهه هواه وما كافة اى اتخذتم
الاوثان سبب المودة بينكم على تقدير حذف المضاف او اتخذتموها مودة بينكم اى مودة
بينكم كقوله ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله وفى الرفع وجهان
ان يكون خبر الان وما موصولة وان يكون خبر مبتداء محذوف اى هى مودة بينكم والمعنى
ان الاوثان مودة بينكم اى مودودة او سبب مودة ومن اضاف المودة جعل بينكم اسما
لا ظرفا كقوله شهادة بينكم ومن نون مودة ونصب بينكم فعلى الظرف ثم يوم القيمة يكفر
بعضكم ببعض يتبرؤ الاصنام من عابديها ويلعن بعضكم بعضا اى يوم القيمة يقوم بينكم
التلاعن فيلعن الاتباع القادة وماويكم النار اى ماوى العابد والمعبود والتابع
والمتبوع وما لكم من ناصرين ثمة فامن له لابراهيم عليه السلام لوط هو ابن اخت
ابراهيم وهو اول من امن له حين راى النار لم تحرقه وقال ابراهيم انى مهاجر من كوثى
وهى سواد الكوفة الى حران ثم منها الى فلسطين وهى من برية الشام ومن ثم قالوا لكل
نبى هجرة ولابراهيم هجرتان وكان معه فى هجرته لوط وسارة وقد تزوجها ابراهيم
الى ربى الى حيث امرنى ربى بالهجرة اليه انه هو العزيز الذى يمنعنى من اعدائى الحكيم الذى لا يامرنى
الا بما هو خير ووهبنا له اسحاق ولدا ويعقوب ولد ولده ولم يذكر اسمعيل لشهرته و
جعلنا فى ذريته النبوة اى فى ذرية ابراهيم فانه شجر الانبياء والكتاب والمراد به الجنس
يعنى التورية والانجيل والزبور والفرقان واتيناه اى ابراهيم اجره الثناء الحسن والصلوة
عليه اخر الدهر ومحبة اهل الملل له او هو بقاء ضيافته عند قبره وليس ذلك لغيره فى
الدنيا فيه دليل على انه تعالى قد يعطى الاجر فى الدنيا وانه فى الاخرة لمن الصالحين اى من
اهل الجنة عن الحسن ولوطا اى واذكر لوطا اذ قال لقومه انكم لتاتون الفاحشة الفعلة
المبالغة فى القبح وهى اللواطة ما سبقكم بها من احد من العالمين جملة مستانفة مقررة
لفاحشة تلك الفعلة كان قايلا قال لم كانت فاحشة فقيل لان احدا قبلهم لم يقدم عليها
قالوا لم ينزل ذكر قبل قوم لوط ائنكم لتاتون الرجال وتقطعون السبيل بالقتل واخذ المال كما

اى لتوادوا

هو عمل قطاع الطريق وقيل اعتراضهم السابلة بالفاحشة وتاتون في ناديكم مجلسكم ولا يقال
للمجلس نادٍ الا ما دام فيه اهله المنكر اي المضارطة والمجامعة والسباب والفحش في المزاح و
الحذف بالحصى ومضغ العلك والفرقعة واللواط بين الناس فما كان جواب قومه
الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين فيما تعدنا من نزول العذاب انكم
ائنكم شامي وحفص وهو الموجود في الامام وكل واحدة بهمزتين كوفي غير حفص آئنكم بهمزة
ممدودة بعدها ياء مكسورة ابو عمرو انكم ائنكم بهمزة مقصورة بعدها ياء مكسورة مكي
ونافع غير قالون وسهل ويعقوب غير زيد قال رب انصرني بانزال العذاب على القوم
المفسدين كانوا يفسدون الناس بحملهم على ما كانوا عليه من المعاصي والفواحش و
لما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى بالبشارة لابراهيم بالولد والنافلة يعني اسحاق و
يعقوب قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية اضافة مهلكوا لم تفد تعريفا لانها بمعنى الاستقبال
والقرية سدوم التي قيل فيها اجور من قاضي سدوم فهذه القرية تشعر بانها قريبة
من موضع ابراهيم عليه السلام قالوا انها كانت على مسيرة يوم وليلة من موضع ابراهيم
ان اهلها كانوا ظالمين اي الظلم قد استمر منهم في الايام السالفة وهم عليه مصرون وظلمهم
كفرهم وانواع معاصيهم قال ابراهيم ان فيها لوطا اي اتهلكونهم وفيهم من هو بري من الظلم
وهو لوط قالوا اي الملائكة نحن اعلم منك بمن فيها لننجينه يعقوب وكوفي غير عاصم
واهله الا امرأته كانت من الغابرين الباقين في العذاب ثم اخبر عن الملائكة الى لوط بعد
مفارقتهم ابراهيم بقوله ولما ان جاءت رسلنا لوطا سيء بهم ساءه مجيئهم وان صلة
اكدت وجود الفعلين مترتبا احدهما على الآخر كانهما وجدا في جزء واحد من الزمان
كانه قيل كما احس بمجيئهم فاجاءته المساءة من غير ريث خيفة عليهم من قومه ان يتناولوهم
بالفجور سيء بهم مدني وشامي وعلي وضاق بهم ذرعا وضاق بشانهم وبتدبير امرهم ذرعه
اي طاقته وقد جعلوا ضيق الذرع والذراع عبارة عن فقد الطاقة كما قالوا رحب الذراع
اذا كان مطيقا له والاصل فيه ان الرجل اذا طالت ذراعه نال ما لا يناله قصير الذراع فضرب
ذلك مثلا في العجز والقدرة وهو نصب على التمييز وقالوا لا تخف ولا تحزن انا منجوك

وبالتخفيف مكي وكوفي غير حفص واهلك الكاف في محل الجر فينتصب اهلك بفعل محذوف
اي وننجي اهلك الا امرأتك كانت من الغابرين انا منزلون منزلون شامي على اهل هذه
القرية رجزا عذابا من السماء بما كانوا يفسقون بفسقهم وخروجهم عن طاعة الله ورسوله
ولقد تركنا منها من القرية آية بينة هي آثار منازلهم الخربة وقيل الماء الاسود على وجه
الارض لقوم يتعلق بتركنا او بينة يعقلون والى مدين وارسلنا الى مدين اخاهم شعيبا
فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر وافعلوا ما ترجون به الثواب في العاقبة
او خافوه ولا تعثوا في الارض مفسدين قاصدين الفساد فكذبوه فاخذتهم الرجفة الزلزلة
الشديدة او صيحة جبرئيل لان القلوب رجفت لها فاصبحوا في دارهم في بلدهم وارضهم او
في ديارهم فاكتفى بالواحد لانه لا يلبس جاثمين باركين على الركب ميتين وعادا منصوب
باضمار اهلكنا لان قوله فاخذتهم الرجفة يدل عليه لانه في معنى الاهلاك وثمود حمزة و
حفص وسهل ويعقوب وقد تبين لكم ذلك يعني ما وصفه من اهلاكهم من مساكنهم
من جهة مساكنهم اذا نظرتم اليها عند مروركم بها وكان اهل مكة يمرون عليها في اسفارهم
فيبصرونها وزين لهم الشيطان اعمالهم من الكفر والمعاصي فصدهم عن السبيل الذي امروا
بسلوكه وهو الايمان بالله ورسله وكانوا مستبصرين عقلاء متمكنين من النظر وتمييز
الحق من الباطل ولكنهم لم يفعلوا وقارون وفرعون وهامان اي واهلكناهم ولقد جاءهم
موسى بالبينات فاستكبروا في الارض وما كانوا سابقين فائتين ادركهم امر الله فلم
يفوتوه فكلا اخذنا بذنبه فيه رد على من يجوز العقوبة بغير ذنب فمنهم من ارسلنا
عليه حاصبا هي ريح عاصف فيها حصباء وهي لقوم لوط ومنهم من اخذته الصيحة هي
لمدين وثمود ومنهم من خسفنا به الارض يعني قارون ومنهم من اغرقنا يعني قوم نوح
وفرعون وما كان الله ليظلمهم ليعاقبهم بغير ذنب ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالكفر
والعصيان مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء اي آلهة يعني مثل من اشرك بالله الاوثان
في الضعف وسوء الاختيار كمثل العنكبوت اتخذت بيتا اي فيما تتخذه لنفسها من
بيت فان ذلك البيت لا يدفع عنها الحر والبرد ولا تقي ما هي البيوت فكذلك الاوثان

لا ينفعهم في الدنيا والاخرة جعل حالهم اتخذت حالا وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت
لا بيت اهون من بيتها من على رح طهر وابيوتكم من نسج العنكبوت فان تركه يورث
الفقر لو كانوا يعلمون ان مثلهم وان امر دينهم بالغ هذه الغاية من الوهن وقيل معنى الاية
مثل المشرك الذي يعبد الوثن بالقياس الى المؤمن الذي يعبد الله مثل عنكبوت يتخذ بيتا
بالاضافة الى رجل يبني بيتا بآجر وجص او ينحته من صخر وكما ان اوهن البيوت اذا
استقريتها بيتا بيت العنكبوت كذلك اضعف الاديان اذا استقريتها دينا دينا عبادة
الاوثان لو كانوا يعلمون وقال الزجاج في جماعة تقدير الاية مثل الذين اتخذوا من دون
الله اولياء لو كانوا يعلمون كمثل العنكبوت ان الله يعلم ما يدعون بالياء بصري وعاصم
غير الاعشى والبرجمي وما بمعنى الذي وهو منصوب يعلم ومفعول يدعون مضمر اي
يدعونه يعبدونه من دونه من شيء من في شيء للتبيين وهو العزيز الغالب الذي
لا شريك له الحكيم في ترك المعاجلة بالعقوبة وفيه تجهيل لهم حيث عبدوا جمادا لا
علم له ولا قدرة وتركوا عبادة القادر القاهر على كل شيء الحكيم الذي لا يفعل شيئا الا
بحكمة وتدبير وتلك الامثال نعت والخبر نضربها نبينها للناس كان سفهاء
قريش وجهلتهم يقولون ان رب محمد يضرب المثل بالذباب والعنكبوت ويضحكون
من ذلك فلذلك قال وما يعقلها الا العالمون وباسمائه وصفاته اي لا يعقل صحتها
وحسنها ولا يفهم فائدتها الا هم لان الامثال والتشبيهات انما هي الطرق الى المعاني المستورة
حتى تبرزها وتصورها للافهام كما صور هذه التشبيه الفرق بين حال المشرك وبين
حال الموحد وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه تلا هذه الاية فقال العالم من عقل عن الله فعمل
بطاعته واجتنب سخطه ودلت الاية على فضل العلم على العقل خلق الله السموات
والارض بالحق اي محقا يعني لم يخلقها باطلا بل لحكمة وهي ان تكونا مساكن عباده وعبرة
للمعتبرين منهم ودلائل على عظم قدرته الا ترى الى قوله ان في ذلك لاية للمؤمنين وخصهم
بالذكر لانتفاعهم بها اتل ما اوحي اليك من الكتاب تقربا الى الله بقراءة كلامه ولتقف
على ما امر به ونهي عنه واقم الصلوة اي دم على اقامة الصلوة ان الصلوة تنهى عن الفحشاء اي

الفعلة القبيحة كالزنى مثلا والمنكر هو ما ينكره العقل والشرع قيل من كان مراعيا للصلوة
جره ذلك الى ان ينتهي عن السيئات يوما ما فقد روي انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ان فلانا يصلي بالنهار ويسرق بالليل فقال ان صلوته لتردعه وروي ان فتى من الانصار
كان يصلي معه الصلوة ولا يدع شيئا من الفواحش الا ركبه فوصف له فقال ان صلوته ستنهاه
فلم يلبث ان تاب وقال ابن عوف ان الصلوة تنهى اي اذا كنت فيها فانت في معروف وطاعة
وقد حجزتك عن الفحشاء والمنكر وعن الحسن من لم تنهه صلوته عن الفحشاء والمنكر فليست
صلوته بصلوة وهي وبال عليه ولذكر الله اكبر اي والصلوة اكبر من غيرها من الطاعات وانما
قال ولذكر الله ليستقل بالتعليل كانه قال وللصلوة اكبر لانها ذكر الله وعن ابن عباس رضه ولذكر الله
اياكم برحمته اكبر من ذكركم مشوب بالعلل والاماني لان ذكره لا يفنى وذكركم لا يبقى وقال
سليمان ذكر الله اكبر من كل شيء وافضل فقد قال عليه الصلوة والسلام الا انبئكم بخير اعمالكم و
ازكاها عند مليككم وارفعها في درجاتكم وخير من اعطاء الذهب والفضة وان تلقوا
عدوكم فتضربوا اعناقهم ويضربوا اعناقكم قالوا وماذا لك يا رسول الله قال ذكر الله و
سئل اي الاعمال افضل قال ان تفارق الدنيا ولسانك رطب بذكر الله واذكر الله اكبر من
ان تحويه افهامكم وعقولكم او ذكر الله اكبر من ان تبقى معه معصية او ذكر الله اكبر في النهي
عن الفحشاء والمنكر من غيره والله يعلم ما تصنعون من الخير والطاعة فيثيبكم احسن
الثواب ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن بالخصلة التي هي احسن وهي مقابلة
الخشونة باللين والغضب بالكظم كما قال ادفع بالتي هي احسن الا الذين ظلموا منهم فافرطوا
في الاعتداء والعناد ولم يقبلوا النصح ولم ينفع فيهم الرفق فاستعملوا معهم الغلظة وقيل الا الذين
آذوا رسول الله او الا الذين اثبتوا الولد والشريك وقالوا يد الله مغلولة او معناه ولا
تجادلوا الداخلين في الذمة المؤدين للجزية الا بالتي هي احسن الا الذين ظلموا فنبذوا الذمة
ومنعوا الجزية فجادلتهم بالسيف والاية تدل على جواز المناظرة مع الكفرة في الدين وعلى جواز
تعلم علم الكلام الذي به يتحقق المجادلة وقوله تعالى وقولوا آمنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم
والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون من جنس المجادلة بالاحسن وقال عليه الصلوة والسلام

ما وجدتكم اهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا امنا بالله وكتبه ورسله
فان كان باطلا لم تصدقوهم وان كان حقا لم تكذبوهم وكذلك ومثل ذلك الانزال انزلنا
اليك الكتاب اى انزلناه مصدقا لسائر الكتب السماوية او كما انزلنا الكتب الى من قبلك
انزلنا اليك الكتاب فالذين اتيناهم الكتاب يؤمنون به هم عبد الله بن سلام ومن
امن معه ومن هؤلاء اى من اهل مكة من يؤمن به او اراد بالذين اوتوا الكتاب الذين
تقدموا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل الكتاب ومن هؤلاء الذين كانوا فى زمان
النبى صلى الله عليه وسلم وما يجحد باياتنا مع ظهورها وزوال الشبهة عنها الا الكافرون
المتوغلون فى الكفر المصممون عليه ككعب بن اشرف واضرابه وما كنت تتلو من قبله
من قبل القران من كتاب ولا تخطه بيمينك خص اليمين لان الكتابة غالبا تكون باليمين
اى ما كنت قرات كتابا من الكتب ولا كنت كاتبا اذا لو كان شئ من ذلك اى من التلاوة
والخط لارتاب المبطلون من اهل الكتاب وقالوا الذى نجده فى كتبنا امى لا يكتب ولا يقرأ
وليس به او لارتاب مشركوا مكة وقالوا لعله تعلمه او كتبه بيده وسماهم مبطلين لانكارهم
نبوته وعن مجاهد والشعبى ما مات النبى صلى الله عليه وسلم حتى كتب وقرأ بل هو ايات
بينات فى صدور الذين اوتوا العلم اى فى صدور العلماء به وحفاظه وهما خصائص القران
كون اياته بينات الاعجاز وكونه محفوظا فى الصدور بخلاف ساير الكتب فانها لم تكن معجزات
وما كانت تقرأ الا من المصاحف وما يجحد باياتنا الواضحة الا الظالمون المتوغلون فى الظلم
وقالوا لولا انزل عليه ايات من ربه اية بغير الف مكى وكوفى غير حفص ارادوا هلا انزل
عليه ايات مثل الناقة والعصا ومائدة عيسى ونحو ذلك قل انما الايات عند الله ينزل ايتها
شاء ولست املك منها شيئا وانما انا نذير مبين كلفت الانذار وابانته بما اعطيت من
الايات وليس لى ان اقول انزل على اية كذا دون اية كذا مع علمى ان المراد من الاية ثبوت الدلالة
والايات كلها فى حكم اية واحدة فى ذلك اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم اولم
يكفهم اية معينة على ساير الايات ان كانوا طالبين للحق غير متعنتين هذا القران الذى تدوم
تلاوته عليهم فى كل مكان وزمان فلا يزال معهم اية ثابتة لا تزول كما تزول كل اية بعد كونها

وتكون فى مكان دون مكان ان فى ذلك اى فى مثل هذه الاية الموجودة فى كل مكان وزمان
الى اخر الدهر لرحمة لنعمة عظيمة وذكرى وتذكرة لقوم يؤمنون دون المتعنتين قل كفى
بالله بينى وبينكم شهيدا اى شاهدا يصدق ما ادعيته من الرسالة وانزال القرآن على و
تكذيبكم يعلم ما فى السموات والارض فهو مطلع على امرى وامركم وعالم بحقى وباطلكم و
الذين امنوا بالباطل باليهودية او بالشرك او بابليس وكفروا بالله واياته اولئك هم الخاسرون
المغبونون فى صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالايمان الا ان الكلام ورد مورد الانصاف
كقوله وانا او اياكم لعلى هدى او فى ضلال مبين وروى ان كعب بن الاشرف واصحابه قالوا
يا محمد من يشهد لك بانك رسول الله فنزلت ويستعجلونك بالعذاب لقولهم امطر علينا
حجارة من السماء الاية ولولا اجل مسمى وهو القيمة او يوم بدر او وقت فنائهم باجالهم
والمعنى ولولا اجل قد سماه الله وبينه فى اللوح لعذابهم والحكمة تقتضى تاخيره الى ذلك
الاجل المسمى لجاءهم العذاب عاجلا وليأتينهم العذاب فى الاجل المسمى بغتة فجاءة وهم لا
يشعرون بوقت مجيئه يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين اى ستحيط بهم
يوم يغشيهم العذاب من فوقهم ومن تحت ارجلهم كقوله من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم
ظلل ولا وقف على الكافرين لان يوم ظرف احاطة النار بهم ويقول بالياء كوفى ونافع ذوقوا
ما كنتم تعملون اى جزاء اعمالكم يا عبادى بسكون الياء بصرى وكوفى غير عاصم الذين امنوا
ان ارضى واسعة وبفتح الياء شامى يعنى ان المؤمن اذا لم يتسهل له العبادة فى بلد هو فيه
ولم يتمش له امر دينه فليهاجر عنه الى بلد يقدر انه فيه اسلم قلبا واصح دينا واكثر عبادة و
البقاع تتفاوت فى ذلك تفاوتا كثيرا وقالوا لم نجد اعون على قهر النفس واجمع للقلب
واحث على القناعة واطرد للشيطان وابعد من الفتن واضبط للامر الدينى من مكة حرسها
الله ومن سهل اذا ظهرت المعاصى والبدع فى الارض فاخرجوا منها الى ارض المطيعين وعن
رسول الله صلى الله عليه وسلم من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجب
له الجنة فاياى فاعبدون وبالياء يعقوب وتقديره فاياى فاعبدوا فاعبدون وجئ بالفاء
فى فاعبدون لانه جواب شرط محذوف لان المعنى ان ارضى واسعة فان لم تخلصوا العبادة

لى فى ارض فاخلصوها لى فى غيرها ثم حذف الشرط وعوض من حذفه تقديم المفعول مع افادة
تقديمه معنى الاختصاص والاخلاص ثم شجع المهاجر بقوله كل نفس ذائقة الموت اى واجدة
مرارة وكربه كما يجد الذائق طعم المذوق لانها اذا تيقنت بالموت سهل عليها مفارقة وطنها
ثم الينا ترجعون بعد الموت للثواب والعقاب يرجعون يحيى ويرجعون يعقوب
والذين امنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا لننزلنهم من الجنة علالى لنثوينهم
كوفى غير عاصم من الثواء وهو النزول للاقامة والثوى غير متعدى فاذا تعدى بزيادة
الهمزة لم يتجاوز مفعولا واحدا والوجه فى تعديته الى ضمير المؤمنين والى الغرف اما اجراؤه
مجرى لننزلنهم ولنبوئنهم او حذف الجار وايصال الفعل او تشبيه الظرف الموقت بالمبهم
تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ونعم اجر العاملين ويوقف على العاملين على ان الذين
صبروا خبر مبتداء محذوف اى هم الذين صبروا على مفارقة الاوطان وعلى اذى المشركين
وعلى المحن والمصائب وعلى الطاعات وعن المعاصى والوصل اجود ليكون الذين نعتا للعاملين
وعلى ربهم يتوكلون ولم يتوكلوا فى جميع ذلك الا على الله ولما امر رسول الله صلى الله
عليه وسلم من اسلم بمكة بالهجرة خافوا الفقر والضيعة فنزلت وكاين من دابة اى وكم من دابة
وكاين بالمد والهمزة مكى والدابة كل نفس دبت على وجه الارض عقلت اولم تعقل لا تحمل
رزقها لا تطيق ان تحمله لضعفها عن حمله الله يرزقها واياكم اى لا يرزق تلك الدواب
الضعاف الا الله ولا يرزقكم ايضا ايها الاقوياء الا هو وان كنتم مطيقين لحمل ارزاقكم ولا
يرزقكم وكسبها لانه لو لم يقدركم ولم يقدر لكم اسباب الكسب لكنتم اعجز من الدواب التى لا
تحمل وعن الحسن لا تحمل رزقها ولا تدخره انما تصبح فيرزقها الله وقيل لا يدخر شيئا من الحيوان
قوتا الا ابن آدم والفارة والنملة وهو السميع لقولكم نخشى الفقر والضيعة العليم بما ضمائركم
ولئن سالتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر اى ولئن سالت هؤلاء المشركين
من خلق السموات والارض على كبرها وسعتها ومن الذى سخر الشمس والقمر ليقولن الله فانى
يؤفكون فكيف يصرفون عن توحيد الله مع اقرارهم بهذا كله الله يبسط الرزق لمن يشاء من
عباده ويقدر له اى لمن يشاء فوضع الضمير موضع من يشاء لان من يشاء مبهم غير معين فكان

الضمير مبهما مثله قدر الرزق وقتره بمعنى اذا ضيقه ان الله بكل شئ عليم يعلم ما يصلح العباد
وما يفسدهم فى الحديث ان من عبادى من لا يصلح ايمانه الا الغنى لو افقرته لافسده ذلك و
ان من عبادى من لا يصلح ايمانه الا الفقر لو اغنيته لافسده ذلك ولئن سالتهم من نزل من
السماء ماء فاحيا به الارض من بعد موتها ليقولن الله اى هم مقرون بذلك قل الحمد لله على
انزال الماء لاحياء الارض او على انه ممن كذب اقر بنحو ما اقروا به ثم نفعه ذلك فى توحيد الله
ونفى الشركاء عنه ولم يكن اقرارا عاطلا كاقرار المشركين بل اكثرهم لا يعقلون اى لا
يتدبرون فيما فيهم من العقول فيما انهم من الايات ونقيم عليهم من الدلالات او لا
يعقلون ما تريد بقولك الحمد لله وما هذه الحيوة الدنيا الا لهو ولعب اى ما هى لسرعة
زوالها عن اهلها وموتهم عنها الا كما يلعب الصبيان ساعة ثم يتفرقون وفيه ازدراء
بالدنيا وتصغير لامرها وكيف لا يصغرها وهى لا تزن عنده جناح بعوضة واللهو ما يتلذذ
به فيلهيه ساعة ثم ينقضى وان الدار الاخرة لهى الحيوان اى الحيوة اى ليس فيها الا حيوة
مستمرة دائمة لا موت فيها فكان فى ذاتها حيوة والحيوان مصدر حيى وقياسه حييان
فقلبت الياء الثانية واوا ولم يقل لهى الحيوة لما فى بناء فعلان من معنى الحركة والاضطراب
والحيوة حركة والموت سكون فمجيئه على بناء دال على معنى الحركة مبالغة فى معنى الحيوة
ويوقف على الحيوان لان التقدير لو كانوا يعلمون حقيقة الدارين لما اختاروا اللهو الفانى
على الحيوان الباقى ولو وصل لصار وصف الحيوان معلقا بشرط علمهم ذلك وليس
كذلك فاذا ركبوا فى الفلك هو متصل بمحذوف دل عليه ما وصفهم به وشرح من امرهم معناه
هم على ما وصفوا به من الشرك والعناد فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين
كائنين فى صورة من يخلص الدين لله من المؤمنين حيث لا يذكرون الا الله ولا يدعون
معه الها اخر فلما نجيهم الى البر اذا هم يشركون عادوا الى حال الشرك ليكفروا بما
اتيناهم من النعمة قيل هى لام كى وكذا فى ليتمتعوا فيمن قراها بالكسر اى لكى يكفروا ولكى
يتمتعوا والمعنى يعودون الى شركهم ليكونوا بالعود الى شركهم كافرين بنعمة النجاة قاصدين
التمتع بها والتلذذ لا غير على خلاف دعاة المؤمنين المخلصين على الحقيقة فانهم يشكرون

نعمة الله اذا انجاهم ويجعلون نعمة النجاة ذريعة الى ازدياد الطاعة لا الى التمتع والتلذذ في
على هذا الا رب على يشركون ومن جعله لام الامر نسينا بقراءة ابن كثير وحمزة وعلي وليتمتعوا
بسكون اللام على وجه التهديد كقوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر وتحقيقه في اصول
الفقه يقف عليه فسوف يعلمون سوء تدبيرهم عند تدميرهم اولم يروا اهل مكة انا
جعلنا بلدهم حرما ممنوعا مصونا امنا يامن داخله ويتخطف الناس من حولهم يسلبون
قتلا وسبيا افبالباطل يؤمنون اى بالشيطان والاصنام وبنعمة الله يكفرون اى بمحمد
والاسلام ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا بان جعل له شريكا اوكذب بالحق بنبوة محمد
عليه الصلوة والسلام والكتاب لما جاءه اى لم يتلعثموا في تكذيبه حين سمعوه اليس
في جهنم مثوى للكافرين هذا تقرير لثوائهم في جهنم لان همزة الانكار اذا دخلت
على النفي صار ايجابا يعني لا يثوون فيها وقد افتروا مثل هذا التكذيب على الله وكذبوا
بالحق هذا التكذيب على الله وكذبوا اولم يصح عندهم ان في جهنم مثوى للكافرين حتى
اجترؤا مثل هذه الجراءة وذكر المثوى في مقابلة لثوائهم يؤيده قراءة الثاء والذين
جاهدوا اطلق المجاهدة ولم يقيدها بمفعول ليتناول كل ما يجب مجاهدته من النفس
والشيطان واعداء الدين فينا في حقنا ومن اجلنا ولوجهنا خالصا لنهدينهم سبلنا ابو عمرو
اى لنزيدنهم هداية الى سبل الخير وتوفيقا وعن الداراني والذين جاهدوا فيما علموا لنهدينهم
الى ما لم يعلموا فقد قيل من عمل بما علم وفق لما لا يعلم وقيل ان الذي يرى من جهلنا بما لا نعلم
انما هو لتقصيرنا فيما نعلم وعن فضيل والذين جاهدوا في طلب العلم لنهدينهم سبيل
العمل به وعن سهل والذين جاهدوا في اقامة السنة لنهدينهم سبل الجنة وعن ابن عطاء
جاهدوا في رضائنا لنهدينهم الوصول الى محل الرضوان وعن ابن عباس جاهدوا في طاعتنا
لنهدينهم سبل ثوابنا وعن الجنيد جاهدوا في خدمتنا لنفتحن عليهم سبل المناجاة معنا و
الانس بنا او جاهدوا في طلبنا تحريا لرضانا لنهدينهم سبل الوصول الينا وان الله لمع المحسنين
بالنصرة والمعونة في الدنيا وبالثواب والمغفرة في العقبى سورة الروم مكية وهي ستون او
تسع وخمسون اية والاختلاف في بضع

بسم الله الرحمن الرحيم

الم غلبت الروم اى غلبت فارس الروم في ادنى الارض اى في اقرب ارض العرب لان الارض
المعهودة عند العرب ارضهم والمعنى غلبوا في ادنى ارض العرب منهم وهي اطراف الشام
او اراد ارضهم على انابة اللام مناب المضاف اليه اى في ادنى ارضهم الى عدوهم وهم اى
الروم من بعد غلبهم اى غلبة فارس اياهم وقرئ بسكون اللام فالغلب والغلب مصدران
وقد اضيف المصدر الى المفعول سيغلبون فارس ولا وقف عليه لتعلق في بضع سنين به
وهو ما بين ثلث الى العشرة قيل احتربت الروم وفارس بين اذرعات وبصرى فغلبت
فارس الروم والملك بفارس يومئذ كسرى ابرويز فبلغ الخبر مكة فشق على رسول الله
والمؤمنين لان فارس مجوس لا كتاب لهم والروم اهل كتاب وفرح المشركون وشمتوا
وقالوا انتم والنصارى اهل كتاب ونحن وفارس اميون وقد ظهر اخواننا على اخوانكم و
لنظهرن نحن عليكم فنزلت فقال لهم ابو بكر رض والله ليظهرن الروم على فارس بعد
سنين فقال له ابي بن خلف كذبت فراهنه على عشر قلائص من كل واحد منهما وجعل الاجل
ثلث سنين فاخبر ابو بكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال زد في الخطر وابعد في الاجل
فجعلاها مائة قلوص الى تسع سنين ومات ابي من جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم
فظهرت الروم على فارس يوم الحديبية او يوم بدر واخذ ابو بكر الخطر من ذرية ابي فقال
عليه السلام تصدق به وهذه اية بينة على صحة نبوته وان القران من عند الله لانها انباء
من علم الغيب وكان ذلك قبل تحريم القمار وعن قتادة ومن مذهب ابي حنيفة ومحمد
رحمهما الله ان العقود الفاسدة كعقود الربوا وغيرها جائزة في دار الحرب بين المسلمين
والكفار وقد احتجا على صحة ذلك بهذه القصة لله الامر من قبل ومن بعد اى من قبل
كل شيء ومن بعد كل شيء او حين غلبوا وحين يغلبون كانه قيل من قبل كونهم غالبين وهو
وقت كونهم مغلوبين ومن بعد كونهم مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين يعني ان كونهم
مغلوبين اولا وغالبين اخرا ليس الا بامر الله وقضائه وتلك الايام نداولها بين الناس
ويومئذ ويوم يغلب الروم على الفارس ويحل ما وعده الله من غلبتهم يفرح المؤمنون
بنصر الله وتغليبه من له كتاب على من لا كتاب له وغيظ من شمت بهم من كفار مكة وقيل

نصر الله هو اظهار صدق المومنين فيما اخبروا به المشركين من غلبة الروم والياء وتتصل بيفرح
موقف على الله لا على المومنين ينصر من يشاء وهو العزيز الغالب على اعدائه الرحيم العاطف
على اوليائه وعد الله مصدر موكد لان قوله وهم من بعد غلبهم سيغلبون وعد من الله
للمومنين وعدا لا يخلف الله وعده بنصر الروم على فارس ولكن اكثر الناس لا يعلمون ذلك
يعلمون بدل من لا يعلمون وفيه بيان انه لا فرق بين عدم العلم الذي هو الجهل وبين وجود
العلم الذي لا يتجاوز تحصيل الدنيا وقوله تعالى ظاهرا من الحيوة الدنيا يفيد ان للدنيا ظاهرا
وباطنا فظاهرها ما يعرفها الجهال من التمتع بزخارفها وباطنها انها مجاز الى الاخرة تتزود
منها اليها بالاعمال الصالحة وتنكر الظاهر يفيد انهم لا يعلمون الا ظاهرا واحدا من جملة
ظواهرها وهم عن الاخرة هم غافلون هم الثانية مبتداء وغافلون خبره والجملة خبر هم
الاولى وفيه بيان انهم معدن الغفلة عن الاخرة ومقرها اولم يتفكروا في انفسهم يحتمل
ان يكون ظرفا كانه قيل اولم يثبتوا التفكر في انفسهم اي في قلوبهم الفارغة من الفكر
والتفكر لا يكون الا في القلوب ولكنه زيادة تصوير لحال المتفكرين كقولك اعتقده في قلبك
وان يكون صلة للتفكر نحو تفكر في الامر واجال فيه فكره ومعناه على هذا اولم يتفكروا في
انفسهم التي هي اقرب اليهم من غيرها من المخلوقات وهم اعلم باحوالها منهم باحوال ما عداها
فيتدبروا ما اودعها الله ظاهرا وباطنا من غرايب الحكم الدالة على التدبير دون الاهمال
وانه لا بد لها من انتهاء الى وقت يجازي فيه على الاحسان احسانا وعلى الاساءة مثلها
حتى يعلموا عند ذلك ان سائر الخلايق كذلك امرها جار على الحكمة والتدبير وانه لا بد لها
من الانتهاء الى ذلك الوقت ما خلق الله السموات والارض وما بينهما متعلق بالقول
المحذوف معناه اولم يتفكروا فيقولوا هذا القول وقيل معناه فيعلموا لان في الكلام
دليلا عليه الا بالحق واجل مسمى اي ما خلقها باطلا وعبثا بغير حكمة بالغة ولا لتبقى
خالدة وانما خلقها مقرونة بالحق مصحوبة بالحكمة وبتقدير اجل مسمى لا بد لها من ان
تنتهي اليه وهو قيام الساعة ووقت الحساب والثواب والعقاب الا ترى الى قوله
افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون كيف سمى تركهم غير راجعين اليه

عبثا وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم بالبعث والجزاء لكافرون لجاحدون وقال الزجاج
اي لكافرون بلقاء ربهم اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم
هو تقرير لسيرهم في البلاد ونظرهم الى اثار المدمرين من عاد وثمود وغيرهم من الامم العاتية
ثم وصف حالهم فقال كانوا اشد منهم قوة واثاروا الارض وحرثوها وعمروها اي المدمرون
اكثر صفة مصدر محذوف وما مصدرية في مما عمروها اي من عمارة اهل مكة وجاءتهم رسلهم
بالبينات ويقف عليها لحق الحذف اي فلم يومنوا فاهلكوا فما كان الله ليظلمهم فما كان
تدميره اياهم ظلما لهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون ولكنهم ظلموا انفسهم حيث عملوا ما اوجب
تدميره ثم كان عاقبة بالنصب شامي ذكر في الذين اساؤا السوأى تانيث الاسوء وهو
الاقبح كما ان الحسنى تانيث الاحسن ومحلها رفع على انها اسم كان عند من نصب عاقبة على الخبر
ونصب عند من رفعها والمعنى انهم عوقبوا في الدنيا بالدمار ثم كانت عاقبتهم السوأى
الا انه وضع المظهر وهو الذين اساؤا موضع المضمر اي العقوبة التي هي اسوء العقوبات
في الاخرة وهي النار التي اعدت للكافرين ان كذبوا لان كذبوا وبان وهو يدل على ان
معنى اساؤا كفروا بايات الله وكانوا بها يستهزؤن يعني ثم كان عاقبة الكافرين
النار لتكذيبهم بايات الله واستهزائهم الله يبدؤ الخلق ينشئهم ثم يعيده ثم يحييهم
بعد الموت ثم اليه ترجعون وبالياء ابو عمرو وسهل ويوم تقوم الساعة يبلس
ييأس ويتحير يقال ناظرته فابلس اذا لم ينبس وييأس من ان يحتج المجرمون المشركون
ولم يكن لهم من شركائهم من الذين عبدوهم من دون الله وكتب شفعوا في المصحف
بواو وقبلها الف كما كتب علموا بني اسرائيل وكذلك كتب السوأى بالالف قبل الياء اثباتا
للهمزة على صورة الحرف التي منه حركتها وكانوا بشركائهم كافرين اي يكفرون بالهتهم
ويجحدونها او كانوا في الدنيا كافرين بسببهم ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون الضمير
في يتفرقون للمسلمين والكافرين لدلالة ما بعده عليه حيث قال فاما الذين امنوا و
عملوا الصالحات فهم في روضة اي بستان وهي الجنة والتنكير لابهام امرها وتفخيمه يحبرون
يسرون يقال حبره اذا سره سرورا تهلل له وجهه وظهر فيه اثره ثم اختلف فيه لاحتمال

وجوه جميع المسار فقيل يكرمون وقيل يحلون وقيل هو السماع في الجنة واما الذين كفروا و
كذبوا باياتنا ولقاء الاخرة اى البعث فاوليك في العذاب محضرون مقيمون لا يغيبون
عنه ولا يخفف عنهم كقوله وماهم بخارجين منها لما ذكر الوعد والوعيد اتبعه ذكر ما يوصل الى
الوعد وينجي من الوعيد فقال فسبحان الله والمراد بالتسبيح ظاهره الذى هو تنزيه الله من السوء
والثناء عليه بالخير في هذه الاوقات لما يجدد فيها من نعمة الله الظاهرة او الصلوة فقيل لابن
عباس هل تجد الصلوات الخمس في القران فقال نعم وتلا الاية وهو نصب على المصدر والمعنى
تنزهوه عما لا يليق به او صلوا لله حين تمسون صلوة المغرب والعشاء وحين تصبحون صلوة
الفجر وله الحمد في السموات والارض اعتراض ومعناه ان على المميزين كلهم من اهل السموات و
الارض ان يحمدوه وفي السموات حال من الحمد وعشيا صلوة العصر هو معطوف على حين تمسون
وحين تظهرون صلوة الظهر اظهر اى دخل في وقت الظهر والقول الاكثر ان الصلوات الخمس فرضت
بمكة يخرج الحي من الميت الطائر من البيضة او الانسان من النطفة او المؤمن من الكافر ويخرج الميت
من الحي البيضة من الطائر او النطفة من الانسان او الكافر من المؤمن والميت بالتخفيف فيهما
مكى وشامى وابو عمرو وابو بكر وحماد وبالتشديد غيرهم ويحيي الارض بالنبات بعد موتها ييسها
وكذلك تخرجون تخرجون حمزة وعلى وخلف اى ومثل ذلك الاخراج تخرجون من قبوركم
والكاف في محل النصب بتخرجون والمعنى ان الابتداء والاعادة متساويان في قدرة من هو قادر
على اخراج الميت من الحي وعكسه وروى ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قراء فسبحان الله
حين تمسون الى الثلث واخر سورة والصافات دبر كل صلوة كتبت من الحساب عدد نجوم
السماء وقطر الامطار وورق الاشجار وتراب الارض فاذا مات اجرى له بكل حرف عشر حسنات
في قبره وعنه عليه الصلوة والسلام من قال حين يصبح فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون
الى قوله وكذلك تخرجون ادرك ما فاته في ليلته ومن قالها حين يمسى ادرك ما فاته في يومه
ومن اياته ومن علامات ربوبيته وقدرته ان خلقكم اى اباكم من تراب ثم اذا انتم بشر اى ادم
وذريته تنتشرون تتصرفون فيما فيه معاشكم واذا للمفاجات وتقديره ثم فاجاتم وقت
كونكم بشرا منتشرين في الارض ومن اياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها اى حواء

خلقت

خلقت من ضلع آدم عليه السلام والنساء بعدها خلقن من اصلاب الرجال او من شكل انفسكم
وجنسها لا من جنس اخر وذلك لما بين الاثنين من جنس واحد من الالف والسكون وما بين
الجنسين المختلفين من التنافر يقال سكن اليه اذا مال اليه وجعل بينكم مودة ورحمة اى جعل
بينكم التواد والتراحم بسبب الزواج وعن الحسن المودة كناية عن الجماع والرحمة عن الولد
وقيل المودة للشابة والرحمة للعجوز وقيل ان المودة والرحمة من الله والفرك من الشيطان
اى بغض المراة زوجها وبغض الزوج المراة ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون فيعلمون ان
قوام الدنيا بوجود التناسل ومن اياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم اى اللغات
او اجناس النطق واشكاله والوانكم كالسواد والبياض وغيرهما ولاختلاف ذلك وقع
التعارف والا فلو تشاكلت واتفقت لوقع التجاهل والالتباس ولتعطلت المصالح وفي
ذلك اية بينة حيث ولدوا من اب واحد وهم على الكثرة التى لا يعلمها الا الله متفاوتون
ان في ذلك لايات للعالمين جمع عالم وبكسر اللام حفص جمع عالم ويشهد للكسرة قوله تعالى
وما يعقلها الا العالمون ومن اياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله هذا من
باب اللف وترتيبه ومن اياته منامكم وابتغاؤكم من فضله بالليل والنهار الا انه فصل
بين القرينتين الاولين بالقرينتين الاخريين او المراد منامكم في الزمانين وابتغاؤكم فيهما
والجمهور على الاول لتكرره في القران واسد المعاني ما دل عليه القران ان في ذلك لايات
لقوم يسمعون اى يسمعونه سماع تدبر باذان واعية ومن اياته يريكم البرق في يريكم وجهان
ان اضمار ان كما في حرف ابن مسعود رضى الله عنه وانزال الفعل منزلة المصدر وبهما فسر المثل تسمع
بالمعيدى خير من ان تراه اى ان تسمع او سماعك خوفا من الصاعقة او من الاخلاف
وطمعا في الغيث او خوفا للمسافر وطمعا للحاضر وهما منصوبان على المفعول له على تقدير
حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه اى ارادة خوف وارادة طمع او على الحال اى
خائفين وطامعين وينزل من السماء وبالتخفيف مكى وبصرى ماء مطرا فيحيي به الارض بعد موتها
ان في ذلك لايات لقوم يعقلون يتفكرون بعقولهم ومن اياته ان تقوم تثبت بلا عمد
السماء والارض بامره اى باقامته او بتدبيره وحكمته ثم اذا دعاكم لتبعث دعوة من الارض

اذا انتم تخرجون من قبوركم هذا كقوله يريكم في ايقاع الجملة موقع المفرد على المعنى كانه قال ومن اياته
قيام السموات والارض باستمساكهما بغير عمد ثم خروج الموتى من القبور اذا دعاهم دعوة
واحدة يا اهل القبور اخرجوا والمراد سرعة وجود ذلك من غير توقف وانما عطف هذا
على قيام السموات والارض بثم بيانا لعظم ما يكون من ذلك الامر واقتداره على مثله وهو
ان يقول يا اهل القبور قوموا فلا تبقى نسمة من الاولين والاخرين الا قامت تنظر
قال ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون واذا الاولى للشرط والثانى للمفاجاة وهى
تنوب مناب الفاء فى جواب الشرط ومن الارض متعلق بالفعل لا بالمصدر وقولك
دعوته من مكان كذا يجوز ان يكون بمكانك ويجوز ان يكون مكانك صاحبك وله
من فى السموات والارض كل له قانتون منقادون لوجود افعاله فيهم لا يمتنعون عليه
او مقرون بالعبودية وهو الذى يبدؤ الخلق ثم يعيده اى ينشئهم ثم يعيدهم للبعث
وهو اى البعث اهون ايسر عليه عندكم لان الاعادة عندكم اسهل من الانشاء فلم انكرتم
الاعادة واخرت الصلة فى قوله وهو اهون عليه وقدمت فى قوله وهو على هين لقصد
الاختصاص هناك واما هنا فلا معنى للاختصاص وقال ابو عبيدة والزجاج وغيرهما
الاهون بمعنى الهين فيوصف به الله عز وجل وكان ذلك على الله يسيرا كما قالوا الله اكبر
اى كبير والاعادة فى نفسها عظيمة ولكنها هونت بالقياس الى الانشاء او وهو اهون على
الخلق من الانشاء لان قيامهم بصيحة واحدة اسهل من كونهم نطفا ثم علقا ثم مضغا الى تكميل
خلقهم وله المثل الاعلى فى السموات والارض اى الوصف الاعلى الذى ليس لغيره وقد عرف
به ووصف فى السموات والارض على السنة الخلائق والسنة الدلائل وهو انه القادر الذى
لا يعجز عن شئ من انشاء واعادة من المقدورات ويدل عليه قوله وهو العزيز القاهر
لكل مقدور الحكيم الذى يجرى كل فعل على قضايا حكمته وعلمه وعن ابن عباس رضى الله عنهما المثل الاعلى
ليس كمثله شئ وهو السميع البصير وعن مجاهد هو قول لا اله الا الله ومعناه وله الوصف
الارفع الذى هو الوصف بالوحدانية ويعضده قوله ضرب لكم مثلا من انفسكم فهذا مثل ضربه
الله عز وجل لمن جعل له شريكا من خلقه ومن للابتداء كانه قال اخذ مثلا وانتزعه من اقرب

شئ منكم وهى انفسكم هل لكم معاشر الاحرار من ما ملكت ايمانكم عبيدكم ومن للتبعيض من شركاء من
مزيدة لتاكيد الاستفهام الجارى مجرى النفى ومعناه هل ترضون لانفسكم وعبيدكم امثالكم بشر كبشر
وعبيد كعبيد ان يشارككم بعضهم فيما رزقناكم من الاموال وغيرها فانتم معاشر الاحرار والعبيد
فيه فى ذلك الرزق سواء من غير تفصلة بين حر وعبد فكم ما لكم فى اموالكم يحكمكم تخافونهم
حال من ضمير الفاعل فى سواء اى تخافون معاشر السادة عبيدكم فيها فلا تمضون فيها حكما دون
اذنهم خوفا من لائمة تلحقكم من جهتهم كخيفتكم اى خيفة كخيفتكم انفسكم يعنى كما تخاف بعض
الاحرار بعضا فيما هو مشترك فيما بينهم فاذا لم ترضوا بذلك لانفسكم فكيف ترضون لرب
الارباب ومالك الاحرار والعبيد ان تجعلوا بعض عبيده له شركاء كذلك موضع الكاف
نصب اى مثل هذا التفصيل نفصل الايات اى نبينها لان التمثيل مما يكشف المعانى ويوضحها
لقوم يعقلون يتدبرون فى ضرب الامثال فلما لم ينزجروا اضرب عنهم فقال بل اتبع الذين
ظلموا انفسهم بما اشركوا لقوله ان الشرك لظلم عظيم اهواءهم بغير علم اى اتبعوا اهواءهم
جاهلين فمن يهدى من اضل الله اى اضله الله وما لهم من ناصرين من العذاب فاقم وجهك للدين
فقوم وجهك له وعدله غير ملتفت عنه يمينا ولا شمالا وهو تمثيل لاقباله على الدين و
استقامته عليه واهتمامه باسبابه فان من اهتم بالشئ عقد عليه طرفه وسدد اليه نظره وقوم
له وجهه حنيفا حال من المامور او من الدين فطرة الله اى الزموا فطرة الله والفطرة
الخلقة الا ترى الى قوله لا تبديل لخلق الله والمعنى انه خلقهم قابلين للتوحيد ودين الاسلام
غير نابين عنه ولا منكرين له لكونه مجاوبا للعقل مساوقا للنظر الصحيح حتى لو تركوا لما اختاروا
عليه دينا اخر ومن غوى منهم فباغواء شياطين الانس والجن ومنه قوله عليه الصلوة والسلام
كل عبادى خلقت حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم وامروهم ان يشركوا بى غيرى وقوله كل
مولود يولد على الفطرة حتى يكون ابواه هما اللذان يهودانه وينصرانه وقال الزجاج معناه
ان الله تعالى فطر الخلق على الايمان به على ما جاء فى الحديث ان الله تعالى جل ذكره اخرج من
صلب ادم كالذر واشهدهم على انفسهم بانه خالقهم فقال واذ اخذ ربك الى قوله قالوا بلى
فكل مولود هو من تلك الذرية التى شهدت بان الله خالقها فمعنى فطرة الله دين الله التى فطر

الناس عليها اى خلق لا تبديل لخلق الله اى ما ينبغى ان تبديل تلك الفطرة او تغيير وقال الزجاج
معناه لا تبديل لدين الله ويدل عليه ما بعده وقوله ذلك الدين القيم اى المستقيم ولكن اكثر الناس
لا يعلمون حقيقة ذلك منيبين اليه راجعين اليه وهو حال من الضمير فى الزموا وقوله واتقوه
واقيموا ولا تكونوا معطوف على هذا المضمر وعلى قوله فاقم وجهك لان الامر له عليه الصلوة والسلام
امر لامته فكانه قال فاقيموا وجوهكم منيبين اليه والتقدير كونوا منيبين اليه دليله قوله ولا
تكونوا واتقوه واقيموا الصلوة اى ادوها فى اوقاتها ولا تكونوا من المشركين ممن يشرك به غيره
فى العبادة من الذين بدل من المشركين باعادة الجار فرقوا دينهم جعلوه ديانا مختلفة لاختلاف
اهوائهم فارقوا حمزة وعلى وهى قراءة على رضا اى تركوا دين الاسلام وكانوا شيعا فرقا
كل واحدة تشايع امامها الذى اصلها كل حزب منهم بما لديهم فرحون فرح بمذهبه مسرور
يحسب باطله حقا واذا مس الناس ضر شدة من هزال او مرض او قحط او غير ذلك دعوا
ربهم منيبين اليه ثم اذا اذاقهم منه رحمة خلاصا من الشدة اذا فريق منهم بربهم يشركون
فى العبادة ليكفروا واهله لام كى وقيل لام الامر للوعيد بما اتيناهم من النعمة فتمتعوا بكفركم
قليلا امر وعيد فسوف تعلمون وبال تمتعكم ام انزلنا عليهم سلطانا حجة ناطقة فهو يتكلم
وتكلمه مجاز كما تقول كتابه ناطق بكذا وهذا مما نطق به القران ومعناه الشهادة كانه قال
فهو يشهد بشركهم وبصحته بما كانوا به يشركون ما مصدرية اى بكونهم بالله يشركون او موصولة
ويرجع الضمير اليها فهو يتكلم بالامر الذى بسببه يشركون او معنى الاية ام انزلنا عليهم ذا
سلطان اى ملكا معه برهان فذلك الملك يتكلم بالبرهان الذى بسببه يشركون واذا
اذقنا الناس رحمة اى نعمة من مطر او سعة او صحة فرحوا بها بطروا بسببها وان تصبهم
سيئة اى بلاء من جدب او ذيق او مرض بما قدمت ايديهم بسبب شوم معاصيهم اذا هم
يقنطون من الرحمة واذا للمفاجاة جواب الشرط نائب من الفاء لتاخيها فى التعقيب
اولم يروا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ان فى ذلك لايات لقوم يؤمنون انكر عليهم
بانهم قد علموا انه القابض الباسط فما لهم يقنطون من رحمته وما لهم لا يرجعون اليه تائبين
من المعاصى التى عوقبوا بالشدة من اجلها حتى يعيد اليهم رحمته ولما ذكر ان السيئة اصابتهم

بما قدمت ايديهم اتبعه ذكر ما يجب ان يفعل وما يجب ان يترك فقال فات ذا القربى اعط قريبك
حقه من البر والصلة والمسكين وابن السبيل نصيبهما من الصدقة المسماة لهما وفيه دليل وجوب
النفقة للمحارم كما هو مذهبنا ذلك ايتاء حقوقهم خير للذين يريدون وجه الله اى ذاته
اى يقصدون بمعروفهم اياه خالصا واولئك هم المفلحون وما اتيتم من ربوا ليربو فى اموال
الناس يزيد وما اعطيتم اكلة الربوا من ربوا ليربوا فى اموالهم ويزكوا فى اموالهم فلا
يربوا عند الله فلا يزكوا عند الله ولا يبارك فيه وقيل هو من الربوا الحلال اى وما تعطونه
من الهدية لتاخذوا اكثر منها فلا يربوا عند الله لانكم لم تريدوا بذلك وجه الله وما آتيتم
من زكوة صدقة تريدون وجه الله تبتغون به وجهه خالصا لا تطلبون به مكافاة ولا رياء
ولا سمعة فاولئك هم المضعفون ذوا الاضعاف من الحسنات ونظير المضعف المقوى
والموسر لذى القوة واليسار اتيتم من ربوا بالمد مكى اى وما عشيتموه من اعطاء ربوا
لتربوا مدنى اى لتزيدوا فى اموالهم فاولئك هم المضعفون التفات حسن لانه يفيد
التعميم كانه قيل من فعل هذا فسبيله سبيل المخاطبين والمعنى المضعفون به لانه لا بد من
ضمير يرجع الى الموصول وقال الزجاج فى قوله فاولئك هم المضعفون اى فاهلها هم المضعفون
اى هم الذين يضاعف لهم الثواب يعطون بالحسنة عشر امثالها ثم اشار الى عجز الهتهم
فقال الله الذى خلقكم مبتداء وخبره ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم اى هو المختص بالخلق
والرزق والاماتة والاحياء هل من شركائكم اصنامكم حتى زعمتم انهم شركاء الله من يفعل
من ذلكم اى الخلق والرزق والاماتة والاحياء من شيء اى شيئا من تلك الافعال فلم يجيبوا
عجزا فقال استبعادا سبحانه وتعالى عما يشركون ومن الاولى والثانية والثالثة كل واحد
منهن مستقبلة بتاكيد لتعجيز شركائهم وتجهيل عبدتهم ظهر الفساد فى البر والبحر نحو القحط
وقلة الامطار والريع فى الزراعات وربح فى التجارات ووقوع الموتان فى الناس والدواب
وكثرة الغرق وكثرة الحرق ومحق البركات من كل شيء بما كسبت ايدى الناس بسبب معاصيهم
وشركهم كقوله وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ليذيقهم بعض الذى عملوا اى
ليذيقهم وبال بعض اعمالهم فى الدنيا قبل ان يعاقبهم بجميعها فى الاخرة وبالنون عن قنبل لعلهم

يرجعون عما هم عليه من المعاصي ثم اكد تسبب المعاصي لغضب الله ونكاله بقوله قل سيروا في
الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان اكثرهم مشركين حيث امرهم بان
يسيروا فينظروا كيف اهلك الله الامم واذاقهم سوء العاقبة بمعاصيهم فاقم وجهك
للدين القيم البليغ الاستقامة الذي لا ياتي فيه عوج من قبل ان ياتي يوم لا مرد له هو
مصدر بمعنى الرد من الله يتعلق بياتي والمعنى من قبل ان ياتي من الله يوم لا يرده احد كقوله
فلا يستطيعون ردها او بمرد على معنى لا يرده هو بعد ان يجيء به ولا رد له من جهته يومئذ
يصدعون يتصدعون اي يتفرقون فريق في الجنة وفريق في السعير كقوله ويوم تقوم
الساعة يومئذ يتفرقون ثم اشار الى عنايه عنهم فقال من كفر فعليه كفره اي وبال كفره
ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون اي يسوون لانفسهم ما يسويه لنفسه الذي يمهد فراشه
ويوطئه لئلا يصيبه في مضجعه ما ينغص عليه مرقده من نتو او غير ذلك والمعنى انه
يمهد لهم الجنة بسبب اعمالهم فاضيف اليهم وتقديم الظرف في الموضعين لدلالة على ان
ضرر الكفر لا يعود الا على الكافر ومنفعة الايمان والعمل الصالح ترجع الى المؤمن لا يجاوزه
ليجزي متعلق بيمهدون تعليل له وتكرير الذين امنوا وعملوا الصالحات وترك الضمير
الى الصريح لتقرير انه لا يفلح عنده الا المؤمن من فضله اي عطائه وقوله انه لا يحب الكافرين
تقرير بعد تقرير للطرد والعكس ومن اياته اي ومن ايات قدرته ان يرسل الرياح هي الجنوب
والشمال والصبا وهي رياح الرحمة واما الدبور فريح العذاب ومنه قوله عليه الصلوة
والسلام اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا وقد عدد الفوائد في ارسالها فقال مبشرات
اي ارسلها للبشارة بالغيث وليذيقكم من رحمته ولاذاقة الرحمة وهي نزول المطر و
حصول الخصب الذي يتبعه والروح الذي مع هبوب الريح وزكاء الارض وغير ذلك
وليذيقكم معطوف على مبشرات على المعنى كانه قيل ليبشركم وليذيقكم ولتجري الفلك في البحر عند
هبوبها بامره اي بتدبيره او بتكوينه كقوله انما امره اذا اراد شيئا الاية ولتبتغوا من فضله
يريد تجارة البحر ولعلكم تشكرون ولتشكروا نعمة الله فيها ولقد ارسلنا من قبلك رسلا
الى قومهم فجاؤهم بالبينات اي فامن بهم قوم وكفر بهم قوم ويدل على هذا الاضمار قوله

فانتقمنا

فانتقمنا من الذين اجرموا اي كفروا باهلاكهم في الدنيا وكان حقا علينا نصر المؤمنين اي وكان
[نصر] المؤمنين حقا علينا بانجائهم مع الرسل وقد يوقف على حقا ومعناه وكان الانتقام
منهم حقا ثم يبتدئ علينا نصر المؤمنين والاول اصح الله الذي يرسل الرياح الريح مكي
فتثير سحابا فيبسطه اي السحاب في السماء اي في سمت السماء وشقها كقوله وفرعها في
السماء كيف يشاء من ناحية الشمال او الجنوب او الدبور او الصبا ويجعله كسفا قطعا
جمع كسفة اي يجعله منبسطا ياخذ وجه السماء مرة ويجعله قطعا متفرقة غير منبسطة مرة كسفا يزيد
وابن ذكوان فترى الودق في الحالتين جميعا من خلاله وسطه فاذا اصاب به بالودق من
يشاء من عباده يريد اصابة بلادهم واراضيهم اذا هم يستبشرون يفرحون وان كانوا من
قبل ان ينزل عليهم المطر من قبله كرر للتاكيد كقوله فكان عاقبتهما انهما في النار خالدين فيها ومعنى
التوكيد فيه الدلالة على ان عهدهم بالمطر قد تطاول فاستحكم ياسهم فكان الاستبشار على
قدر اغتمامهم بذلك لمبلسين ايسين فانظر الى اثار شامي وكوفي غير ابي بكر وغيرهم اثر رحمة
الله اي المطر كيف يحيي الارض بالنبات وانواع الثمار بعد موتها ان ذلك اي الله لمحيي الموتى
يعني ان ذلك القادر الذي يحيي الارض بعد موتها هو الذي يحيي الناس بعد موتهم فهذا
استدلال باحياء الموت على احياء الاموات وهو على كل شيء قدير اي هو على كل شيء من المقدورات
قادر وهذا من جملة المقدورات بدليل الانشاء ولئن ارسلنا ريحا اي الدبور فراوه اي اثر
رحمة الله هي الغيث واثرها النبات ومن قرأ بالجمع رجع الضمير الى معناه لان معنى اثر
الرحمة النبات واسم النبات يقع على القليل والكثير لانه مصدر سمي به ما ينبت مصفرا
بعد اخضراره وقال مصفرا لان تلك صفرة حادثة وقيل فراوا السحاب مصفرا لان السحاب
الاصفر لا يمطر واللام في لئن موطئة للقسم دخلت على حرف الشرط والساد مسد جوابي القسم
والشرط لظلوا ومعناه ليظلن مبتدأ من بعده يكفرون اي من بعد اصفراره او من بعد الاستبشار
ذمهم الله تعالى بانه اذا حبس عنهم المطر قنطوا من رحمته وضربوا اذقانهم على صدورهم مبلسين
فاذا اصابهم برحمته ورزقهم المطر استبشروا فاذا ارسل ريحا فضرب زروعهم بالصفار ضجوا
وكفروا بنعمة الله فهم في جميع هذه الاحوال على الصفة المذمومة كان عليهم ان يتوكلوا على الله

وفضله فقنطوا او يشكروا نعمته ويحمدوه ففرقوا وان يصبروا ابلائه فكفروا فانك لا تسمع

الموتى اى موتى القلوب او هؤلاء فى حكم الموتى فلا تطمع ان يقبلوا منك ولا تسمع الصم

الدعاء ولا يسمع الصم مكى اذا ولوا مدبرين فان قلت الاصم لا يسمع مقبلا ومدبرا فما فائدة

هذا التخصيص قلت هو اذا كان مقبلا يفهم بالرمز والاشارة فاذا ولى مدبرا فلا يسمع ولا يفهم

بالاشارة وما انت بهادى العمى اى عمى القلوب وما انت تهدى العمى حمزة عن ضلالتهم اى

لا يمكنك ان تهدى الاعمى الى الطريق قد ضل عنه باشارتك اليه ان تسمع ما تسمع الا من يؤمن

باياتنا فهم مسلمون منقادون لاوامر الله الله الذى خلقكم من ضعف من النطفة لقوله

من ماء مهين ثم جعل من بعد ضعف قوة يعنى حال الشباب وبلوغ الاشد ثم جعل من

بعد قوة ضعفا وشيبة يعنى حال الشيخوخة والهرم يخلق ما يشاء من ضعف وقوة وشباب

وشيبة وهو العليم باحوالهم القدير على تغييرهم وهذا الترديد فى الاحوال ابين دليل على

الصانع العليم القدير بفتح الضاد فى الكل عاصم وحمزة وضم غيرهما وهو اختيار حفص وهما

لغتان والضم اقوى فى القراءة روى ابن عمر قال قراتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم من

ضعف فاقرانى من ضعف ويوم تقوم الساعة القيامة سميت بذلك لانها تقوم فى اخر

ساعة من ساعات الدنيا او لانها تقع بغتة كما تقول فى ساعة لمن تستعجله وجرت علما لها

كالنجم للثريا يقسم المجرمون يحلف الكافرون ولا وقف عليه لان ما لبثوا فى القبور او الدنيا

غير ساعة جواب القسم استقلوا مدة لبثهم فى القبور او فى الدنيا لهول يوم القيمة وطول

مقامهم فى شدائدها او ينسون او يكذبون كذلك كانوا يؤفكون اى مثل ذلك الصرف كانوا

يصرفون على الصدق الى الكذب فى الدنيا ويقولون ما هى الا حيوتنا وما نحن بمبعوثين و

قال الذين اوتوا العلم والايمان هم الملائكة والانبياء والمؤمنون لقد لبثتم فى كتاب الله فى علم

الله المثبت فى اللوح او فى حكمه وقضائه الى يوم البعث رد ما قالوه وحلفوا عليه واطلعوهم

على الحقيقة ثم وصلوا ذلك بتقريعهم على انكار البعث بقولهم فهذا يوم البعث ولكنكم

كنتم فى الدنيا لا تعلمون انه حق لتفريطكم فى طلب الحق واتباعه والفاء لجواب شرط يدل عليه الكلام

تقديره ان كنتم منكرين البعث فهذا يوم البعث الذى انكرتموه فيومئذ لا ينفع بالياء كوفى

الذين

الذين ظلموا كفروا معذرتهم عذرهم ولا هم يستعتبون اى لا يقال لهم ارضوا ربكم بتوبة

من قولك استعتبنى فلان فاعتبته اى استرضانى فارضيته ولقد ضربنا للناس فى هذا

القران من كل مثل ولئن جئتهم باية ليقولن الذين كفروا ان انتم الا مبطلون اى ولقد وصفنا

لهم كل صفة كانها مثل فى غرابتها وقصصنا عليهم كل قصة عجيبة الشان كصفة المبعوثين يوم

القيمة وقصتهم وما يقولون وما يقال لهم ولا ينفع من اعتذارهم ولا يسمع من استعتابهم و

لكنهم لقسوة قلوبهم اذا جئتهم باية من ايات القران قالوا جئتنا بزور وباطل كذلك يطبع

الله على قلوب الذين لا يعلمون اى مثل ذلك الطبع وهو الختم يطبع الله على قلوب الجهلة

الذين علم الله منهم اختيار الضلال حتى يسموا المحققين مبطلين وهم اعرف خلق الله فى تلك

الصفة فاصبر على اذيهم وعداوتهم ان وعد الله حق بنصرتك على اعدائك واظهار دين الاسلام

على كل دين حق لا بد من انجازه والوفاء به ولا يستخفنك الذين لا يوقنون اى لا يحملنك هؤلاء

الذين لا يوقنون بالاخرة على الخفة والعجلة فى الدعاء عليهم بالعذاب او لا يحملنك على الخفة

والقلق جزعا مما يقولون ويفعلون فانهم ضلال شاكون لا يستبدع منهم ذلك ولا يستخفنك

بسكون عن يعقوب

بسم الله الرحمن الرحيم سورة لقمان مكية وهى ثلث او اربع وثلثون اية

الم تلك ايات الكتاب الحكيم ذى الحكمة او وصف بصفة الله عز وجل على الاسناد المجازى

هدى ورحمة حالان من الايات والعامل معنى الاشارة فى تلك حمزة بالرفع على ان تلك مبتدأ

وايات الكتاب خبره وهدى ورحمة خبر مبتداء محذوف اى هما وهى هدى ورحمة

للمحسنين للذين يعملون الحسنات المذكورة فى قوله الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم

بالاخرة هم يوقنون ونظيره قول اوس الالمعى الذى يظن بك الظن كان قد راى وقد سمعا

او للذين يعملون جميع ما يحسن ثم خص منهم القائمين بهذه الثلثة لفضلها اولئك على هدى

مبتداء وخبر من ربهم صفة لهدى واولئك هم المفلحون عطف عليه ومن الناس من

يشترى لهو الحديث نزلت فى النضر بن الحارث وكان يشترى اخبار الاكاسرة من فارس و

يقول ان محمدا يقص طرفا من قصة عاد وثمود فانا احدثكم باحاديث الاكاسرة فيميلون

الى حديثه ويتركون استماع القران واللهو كل باطل الهى عن الخير وعما يعنى ولهو الحديث نحو السمر

بالاساطير التي لا هو لها والغناء وكان وابن مسعود رض يحلفان انه الغناء وقيل الغناء
مفسدة للقلب منفدة للمال مسخطة للرب وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما من رجل يرفع
صوته بالغناء الا بعث الله عليه شيطانين احدهما على هذا المنكب والاخر على هذا المنكب
فلا يزالان يضربانه بارجلهما حتى يكون هو الذي يسكت والاشتراء من الشرى كما روى من
النضر او من قوله اشتروا الكفر بالايمان اى استبدلوه منه واختاروه عليه وعن قتادة
اشتراءه استحباوه به يختار حديث الباطل على حديث الحق واضافة اللهو الى الحديث للتبيين
بمعنى من لان اللهو يكون من الحديث ومن غيره فبين بالحديث والمراد بالحديث الحديث
المنكر كما جاء في الحديث الحديث في المسجد ياكل الحسنات كما ياكل البهيمة الحشيش او للتبعيض كانه
قيل ومن الناس من يشتري بعض الحديث الذي هو اللهو منه ليضل اى ليضل الناس عن الدخول
في الاسلام واستماع القران ليضل مكي وابو عمرو اى ليثبت على ضلاله الذي كان عليه ويزيد
فيه عن سبيل الله دين الاسلام او القران بغير علم اى جهل منه بما عليه من الوزر به ويتخذها
اى السبيل بالنصب كوفي غير ابي بكر عطفا على ليضل ومن رفع عطفه على يشتري هزوا بسكون
الزاء والهمزة ويضم الزاء بلا همز حفص وغيرهما بالضم الزاء والهمزة اولئك لهم عذاب
مهين اى يهينهم ومن لابهامه يقع على الواحد والجمع اى النضر وامثاله واذا تتلى عليه اياتنا ولى
مستكبرا اى عرض عن تدبرها متكبرا رافعا نفسه عن الاصغاء الى القران كان لم يسمعها يشبه
حاله في ذلك حال من لم يسمعها وهو حال من مستكبرا والاصل كانه والضمير ضمير الشان كان
في اذنيه وقرا ثقلا وهو حال من لم يسمعها واذنيه نافع فبشره بعذاب اليم ان الذين امنوا
وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم ولا وقف عليه لان خالدين فيها حال من الضمير في لهم
وعد الله حقا مصدران موكدان الاول مؤكد لنفسه والثاني مؤكد لغيره اذ لهم جنات النعيم
في معنى وعدهم الله جنات النعيم فاكد معنى الوعد بالوعد وحقا يدل على معنى الثبات فاكده
معنى الوعد وموكدهما لهم جنات النعيم وهو العزيز الذي لا يغلبه شيء فيهين اعداءه بالعذاب
الاليم الحكيم فيما يفعل يثيب اولياءه بالنعيم المقيم خلق السموات بغير عمد جمع عماد ترونها الضمير
للسموات وهو استشهاد برويتهم لها غير معمودة على قوله بغير عمد كما تقول لصاحبك انا بلا سيف

ولا رمح تراني ولا محل لها من الاعراب لانها مستانفة او في محل الجر صفة لعمد اى بغير عمد مرئية
يعني انه عمدها بغير عمد لا ترى وهي امساكها بقدرته والقى في الارض رواسي جبالا ثوابت ان
تميد بكم لئلا تضطرب بكم وبث ونشر فيها من كل دابة وانزلنا من السماء ماء فانبتنا فيها من كل
زوج صنف كريم حسن هذا اشارة الى ما ذكر من مخلوقاته خلق الله مخلوقه فاروني ماذا خلق
الذين من دونه يعني الهتهم بكتهم بان هذه الاشياء العظيمة مما خلق الله فاروني ما خلقته الهتكم
حتى استوجبوا عندكم العبادة بل الظالمون في ضلال مبين اضرب عن تبكيتهم الى التسجيل عليهم
بالتورط في ضلال ليس بعده ضلال ولقد اتينا لقمان الحكمة هو لقمان بن باعوراء ابن اخت ايوب
او ابن خالته وقيل كان من اولاد آزر وعاش الف سنة وادرك داود عليه السلام واخذ
منه العلم وكان يفتي قبل مبعث داود فلما بعث قطع الفتوى فقيل له لم لم تفت فقال الا اكتفي
اذا كفيت وقيل كان خياطا وقيل كان نجارا وقيل كان راعيا وقيل كان قاضيا في بني اسرائيل
وقال عكرمة والشعبي كان نبيا والجمهور على انه كان حكيما ولم يكن نبيا وقيل خير بين النبوة و
الحكمة فاختار الحكمة وهي الاصابة في القول والعمل وقيل تلمذ لالف نبي وتلمذ له الف نبي وان في ان
اشكر لله مفسرة والمعنى اى اشكر لله لان ايتاء الحكمة في معنى القول وقد نبه الله تعالى على ان
الحكمة الاصلية والعلم الحقيقي هو العمل بهما وعبادة الله والشكر له حيث فسر ايتاء الحكمة
الحكمة بالحث على الشكر وقيل لا يكون الرجل حكيما حتى يكون حكيما في قوله وفعله ومعاشرته وصحبته
وقال السري الشكر ان لا تعصي الله بنعمه وقال الجنيد ان لا ترى معه شريكا في نعمه وقيل هو الاقرار
بالعجز عن الشكر والحاصل ان شكر القلب المعرفة وشكر اللسان الحمد وشكر الاركان الطاعة
ورؤية العجز في الكل دليل قبول الكل ومن يشكر فانما يشكر لنفسه لان منفعته تعود اليه فهو يريد
المزيد ومن كفر النعمة فان ربي غني غير محتاج الى الشكر حميد حقيق بان يحمد وان لم يحمده
احد واذا اى واذكر قال لقمان لابنه انعم او اشكر بكسر الياء وقع ابو عمرو وابن عامر وابو بكر
وحمزة والكسائي كذا في الشاطبية وهو يعظه يا بني مكي يا بني حفص بفتحه في كل القران لا
تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم لانه تسوية بين من لا نعمة الا هي منه وبين من لا نعمة منه
اصلا ووصينا الانسان بوالديه حملته امه وهنا على وهن اى حملته وهنا على وهن اى تضعف

ضعفا فوق ضعف اى بتزايد ضعفها و يتضاعف لان الحمل كلما ازداد وعظم ازدادت ثقلا
وضعفا وفصاله فى عامين اى فطامه عن الرضاع لتمام عامين ان اشكر لى ولوالديك هو
تفسير لوصينا اى وصيناه بشكرنا شكر والديه وقوله حملته امه وهنا على وهن وفصاله فى عامين
اعتراض بين المفسر والمفسر لانه لما وصى بالوالدين ذكر ما تكابده الام وتعاينه من المشاق فى
حمله وفصاله هذه المدة الطويلة تذكيرا لحقها العظيم مفردا وعن ابن عيينة من صلى الصلوة
الخمس فقد شكر الله ومن دعا للوالدين فى ادبار الصلوة فقد شكرهما الى المصير اى مصيرك الى
وحسابك على وان جاهداك على ان تشرك بى ما ليس لك به علم اراد بنفى العلم به نفيه اى
لا تشرك بى ما ليس بشئ يريد الاصنام فلا تطعهما فى الشرك وصاحبهما فى الدنيا معروفا صفة
مصدر محذوف اى صحابا معروفا حسنا بخلق جميل وحلم واحتمال وبر وصلة واتبع سبيل
من اناب الى اى سبيل المؤمنين فى دينك ولا تتبع سبيلهما فيه وان كنت مامورا بحسن مصاحبتهما
فى الدنيا وقال ابن عطاء صاحب من ترى عليه انوار خدمتى ثم الى مرجعكم اى مرجعك و
مرجعهما فانبئكم بما كنتم تعملون فاجازيك على ايمانك واجازيهما على كفرهما وقد اعترض بهما
الايتين على سبيل الاستطراد تاكيدا لما وصيه لقمان من النهى عن الشرك يعنى انا وصيناه بوالديه
وامرناه ان لا يطيعهما فى الشرك وان جاهدا بكل الجهد لقبحه يا بنى انها ان تك مثقال حبة من خردل
بالرفع مدنى والضمير للقصة وانث المثقال لاضافته الى الحبة كما قال كما شرقت صدر القناة
من الدم وكان تامة والباقون بالنصب والضمير للهنة من الاساءة والاحسان اى كانت مثلا
فى الصغر كحبة خردل فتكن فى صخرة او فى السموات او فى الارض اى فكانت مع صغرها فى اخفى
موضع واحرزه كجوف الصخرة او حيث فى العالم العلوى او السفلى والاكثر على انها الصخرة التى
عليها الارض وهى السجين يكتب فيها اعمال الكفار وليست من الارضيات يات بها الله يوم القيمة
فيحاسب بها عاملها ان الله لطيف يتوصل علمه الى كل خفى خبير عالم كنهه او لطيف باستخراجها
خبير بمستقرها يا بنى اقم الصلوة وامر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك فى ذات الله
تعالى اذا امرت بالمعروف ونهيت عن المنكر او على ما اصابك من المحن فانها تورث المنح ان ذلك
الذى وصيتك به لمن عزم الامور اى مما عزمه الله من الامور اى قطعه قطع ايجاب والزام اى

امرتم به امرا حتما وهو من تسمية المفعول بالمصدر واصله من معزومات الامور اى من مقطوعاتها
ومفروضاتها وهذا دليل على ان هذه الطاعات كانت ماموراً بها فى سائر الامم ولا تصعر خدك للناس
ولا تصاعر مكى وشامى وعاصم ولا تعرض عنهم تكبرا تصاعر ابو عمرو ونافع وحمزة وعلى وهو بمعنى تصعر والصعر داء يصيب البعير
تلوى منه عنقه والمعنى اقبل على الناس بوجهك تواضعا ولا توليهم شق وجهك وصفحته كما
يفعل المتكبرون ولا تمش فى الارض مرحا اى تمرح مرحا او وقع المصدر موقع الحال اى مرحا او
لا تمش لاجل المرح والاشر ان الله لا يحب كل مختال متكبر فخور من يعدد مناقبه تطاولا واقصد
فى مشيك اى اعدل فيه حتى يكون مشيا بين مشيين
فى القصد التوسط بين الغلو والتقصير
لا تدب دبيب المتماوتين ولا تثب وثب الشطار قال عليه السلام سرعة المشى تذهب بهاء
المؤمن واما قول عائشة فى عمر رضى الله عنهما كان اذا مشى اسرع فانما ارادت السرعة المرتفعة
عن دبيب المتماوت وعن ابن مسعود رضى الله عنهما كانوا ينهون عن خبب اليهود ودبيب
النصارى ولكن مشيا بين ذلك وقيل معناه وانظر موضع قدميك متواضعا واغضض
من صوتك وانقص منه اى اخفض صوتك ان انكر الاصوات اى اوحشها لصوت الحمير لان اوله
زفير وآخره شهيق كصوت اهل النار وعن الثورى صياح كل شئ تسبيح الا الحمار فانه يصيح لرؤية
الشيطان ولذلك سماه الله منكرا وفى تشبيه الرافعين اصواتهم بالنهاق تنبيه على ان رفع الصوت
فى غاية الكراهة يؤيده ما روى انه عليه الصلوة والسلام كان يعجبه ان يكون الرجل خفيض الصوت
ويكره ان يكون جهور الصوت وانما وحد صوت الحمير ولم يجمع لانه لم يرد ان يذكر صوت كل
واحد من آحاد هذا الجنس حتى يجمع بل المراد ان كل جنس من الحيوان له صوت وانكر اصوات
هذه الاجناس صوت هذا الجنس فوجب توحيده الم تروا ان الله سخر لكم ما فى السموات
يعنى الشمس والقمر والنجوم والسحاب وغير ذلك وما فى الارض يعنى البحار والانهار و
المعادن والدواب وغير ذلك واسبغ واتم عليكم نعمه مدنى وابو عمرو وسهل وحفص نعمة
غيرهم والنعمة كل نفع قصد به الاحسان ظاهرة لا يعلم بالمشاهدة وباطنة ما لا يعلم الا بدليل
ثم قيل الظاهرة البصر والسمع واللسان وسائر الجوارح الظاهرة والباطنة القلب والعقل و
الفهم وما اشبه ذلك ويروى فى دعاء موسى عليه السلام الهى دلنى على اخفى نعمتك على عبادك

فقال الخفي نعمتي عليهم النفس وقيل تخفيف الشرائع وتضعيف الذرائع والخلق ونيل العطايا
وصرف البلايا وقبول الخلق ورضا الرب وقال ابن عباس الظاهرة ما سوى من خلقك والباطنة
ما ستر من عيوبك ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير نزلت
في النضر بن الحارث وقد مر في الحج واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه
اباءنا اولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير معناه ايتبعونهم ولو كان الشيطان
يدعوهم اي في حال دعاء الشيطان اياهم الى العذاب ومن يسلم وجهه الى الله عدي هنا
بالى وفي بلى من اسلم وجهه لله باللام فمعناه مع اللام انه جعل وجهه وهو ذاته ونفسه
سالما لله اي خالصا ومعناه مع الى انه سلم اليه نفسه كما يسلم المتاع الى الرجل اذا دفع اليه
والمراد التوكل عليه والتفويض اليه وهو محسن فيما يعمل فقد استمسك تمسك وتعلق بالعروة
هي ما يتعلق به الشيء الوثقى تانيث الاوثق مثل حال المتوكل بحال من اراد ان يتدلى من شاهق
فاحتاط لنفسه بان استمسك باوثق عروة من حبل متين مامون انقطاعه والى الله عاقبة
الامور اي هي صائرة اليه فيجازي عليها ومن كفر فلم يسلم وجهه الى الله فلا يحزنك كفره
من حزن يحزنك نافع من احزن اي لا يهمنك كفر من كفر الينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا اي
فنعاقبهم على اعمالهم ان الله عليم بذات الصدور ان الله يعلم ما في صدور عباده فيفعل
بهم على حسبه نمتعهم زمانا قليلا بدنياهم ثم نضطرهم نلجئهم الى عذاب غليظ شديد الزامهم
التعذيب وارهاقهم اياه باضطرار المضطر الى الشيء والغليظ مستعار من الاجرام الغليظة
والمراد الشدة والثقل على المعذب ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل
الحمد لله الزام على اقرارهم بان الذي خلق السموات والارض هو الله وحده انه يجب ان يكون
له الحمد لله والشكر وان لا يعبد معه غيره ثم قال بل اكثرهم ثم قال بل اكثرهم لا يعلمون ان
ذلك يلزمهم واذا نبهوا عليه لم ينتبهوا لله ما في السموات والارض ان الله هو الغني عن حمد
الحامدين الحميد المستحق للحمد وان لم يحمدوه قال المشركون ان هذا اي الوحي كلام سينفد
فاعلم الله ان كلامه لا ينفد بقوله ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده
سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله والبحر ابو عمرو ويعقوب عطفا على اسم ان وهو ما والرفع

حزن

على محل ان ومعمولها اي ولو ثبت كون الاشجار اقلاما وثبت كون البحر ممدودا بسبعة ابحر
او على الابتداء والواو للحال على معنى ولو ان الاشجار اقلام في حال كون البحر ممدودا وقرينه
وكان مقتضى الحال ان يقال ولو ان الشجر اقلام والبحر مداد لكن اغنى عن ذكر المداد قوله يمده
لانه من قولك مد الدواة وامدها جعل البحر الاعظم بمنزلة الدوات وجعل الابحر السبعة
مملوءة مدادا فهي تصب فيه مدادها ابدا صبا لا ينقطع والمعنى ولو ان اشجار الارض اقلام
والبحر ممدود بسبعة ابحر وكتبت بتلك الاقلام وبذلك المداد كلمات الله لما نفدت كلماته
ونفدت الاقلام والمداد كقوله تعالى قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان
تنفد كلمات ربي فان قلت زعمت ان قوله والبحر يمده حال في احد وجهي الرفع وليس فيه ضمير
راجع الى ذي الحال قلت هو كقولك جئت والجيش مصطف وما اشبه ذلك من الاحوال التي
حكمها بالظروف وانما ذكر شجرة على التوحيد لانه اريد تفصيل الشجر وتقصيها شجرة شجرة حتى لا
يبقى من جنس الشجر ولا واحدة الا قد بريت اقلاما واوثر الكلمات وهي جمع قلة على الكلم
وهي جمع كثرة ان معناه ان كلماته لا تفي بكتبتها البحار فكيف بكلمه ان الله عزيز لا يعجزه شيء
حكيم لا يخرج من علمه وحكمته شيء فلا ينفد كلماته وحكمه ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة
الا كخلقه نفسا واحدة وبعثه نفسا واحدة فحذف للعلم به اي سواء في قدرته القليل والكثير
فلا يشغله شان عن شان ان الله سميع لقول المشركين انه لا بعث بصير باعمالهم فيجازيهم
الم تر ان الله يولج الليل في النهار يدخل ظلمة الليل في ضوء النهار اذا اقبل الليل ويولج النهار
في الليل وسخر الشمس والقمر لمنافع العباد كل واحد من الشمس والقمر يجري في فلكه ويقطعه
الى اجل مسمى الى يوم القيامة او الى وقت معلوم الشمس الى اخر السنة والقمر الى اخر الشهر وان الله
بما تعملون خبير وبالياء عياش دل ايضا بتعاقب الليل والنهار وزيادتهما ونقصانهما وجري
النيرين في فلكيهما على تقدير وحساب وباحاطته بجميع اعمال الخلق على عظم قدرته وكمال
حكمته ذلك بان الله هو الحق وانما يدعون بالياء عراقي غير ابي بكر من دونه الباطل وان الله هو
العلي الكبير اي ذلك الوصف الذي وصف من عجائب قدرته وحكمته التي يعجز عنها الاحياء
القادرون العاملون فكيف بالجماد الذي تدعونه من دون الله انما هو بسبب انه هو الحق

الثابت الهيته وان من دونه الباطل الالهية وان الله هو العلى الشان الكبير السلطان الم تر ان الفلك
وجرى الفلك وكل فعل يجوز فيه فعل كما يجوز فى كل فعل فعل تجرى فى البحر بنعمة الله باحسانه
ورحمته او بالريح لان الريح من نعم الله ليريكم من اياته عجايب قدرته فى البحر اذا ركبتموها ان
فى ذلك لايات لكل صبار على بلائه شكور لنعمائه وهما صفتا المؤمن فالايمان نصفان
نصفه شكر ونصفه صبر فكانه قال ان فى ذلك لايات لكل مؤمن واذا غشيهم اى الكفار
موج كالظلل الموج يرتفع ويعود مثل الظلل والظلة كل ما اظلك من جبل او سحاب او غيرهما
دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجيهم الى البر فمنهم مقتصد اى باق على الايمان والاخلاص
الذى كان منه ولم يعد الى الكفر او متوسط فى الكفر والظلم انزجر بعض الانزجار ولا يغلوا
فى الكفر او مقتصد فى الاخلاص الذى كان عليه فى البحر يعنى ان ذلك الاخلاص الحادث
عند الخوف لا يبقى لاحد قط والمقتصد قليل نادر وما يجحد باياتنا اى بحقيقتها الا كل ختار
غدار والختر اقبح الغدر كفور لربه يا ايها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزى والد
عن ولده اى لا يقضى عنه شئ والمعنى لا يجزى فيه فحذف ولا مولود هو جاز عن والده شيا
وارد على طريق من التوكيد لم يرد عليه ما هو معطوف عليه لان الجملة الاسمية اكد من الفعلية
وقد انضم الى ذلك قوله هو وقوله مولود والسبب فى ذلك ان الخطاب للمؤمنين
وعليتهم قبض اباؤهم على الكفر فاريد حسم اطماعهم ان ينفعوا اباءهم بالشفاعة فى الاخرة
ومعنى التوكيد فى لفظ المولود ان الواحد منهم لو شفع للاب الادنى الذى ولد منه لم تقبل شفاعته فضلا ان يشفع لمن فوقه من اجداده لان الولد يقع على الولد
وولد الولد بخلاف المولود فانه لمن ولد منك كذا فى الكشاف ان وعد الله بالبعث والحساب
والجزاء حق فلا تغرنكم الحيوة الدنيا بزينتها فان نعيمها دانية ولذاتها فانية ولا يغرنكم بالله
الغرور الشيطان او الدنيا او الامل ان الله عنده علم الساعة اى وقت قيامها وينزل بالتشديد
شامى ومدنى وعاصم وهو عطف على ما يقتضيه الظرف من الفعل تقديره ان الله يثبت عنده
علم الساعة وينزل الغيث فى ايامه من غير تقديم ولا تاخير ويعلم ما فى الارحام اذكر ام انثى
اتام ام ناقص وما تدرى نفس برة ام فاجرة ماذا تكسب غدا من خير او شر وربما كانت عازمة
على خير فعملت شرا وعازمة على شر فعملت خيرا وما تدرى نفس باى ارض تموت اى اين تموت

وربما اقامت بارض وضربت اوتادها وقالت لا ابرحها فترمى بها مرامى القدر حتى تموت فى مكان
لم يخطر ببالها روى ان ملك الموت مر على سليمان فجعل ينظر الى رجل من جلسائه فقال الرجل من
هذا قال ملك الموت فقال كانه يريدنى وسال سليمان ان يحمله على الريح ويلقيه ببلاد الهند ففعل
ثم قال ملك الموت لسليمان كان دوام نظرى اليه تعجبا منه لانى امرت ان اقبض روحه بالهند
وهو عندك وجعل العلم لله والدراية للعبد لما فى الدراية من معنى الختل والحيلة والمعنى
انها النفس لا تعرف وان اعملت حيلها ما تختص بها ولا شئ اخص بالانسان من كسبه وعاقبته
فاذا لم يكن له طريق الى معرفتهما كان من معرفة ما عداهما ابعد واما المنجم الذى يخبر بوقت
الغيث والموت فانه يقول بالقياس والنظر الى الطالع وما يدرك بالدليل لا يكون غيبا
على انه مجرد فى الظن والظن غير العلم وعن النبى صلى الله عليه وسلم مفاتيح الغيب خمس وتلا
هذه الاية وعن ابن عباس من ادعى علم هذه الخمسة فقد كذب ورأى المنصور فى منامه
صورة ملك وساله عن مدة عمره فاشار باصابع الخمس فعبرها المعبرون بخمس سنين
وبخمسة اشهر وبخمسة ايام فقال ابو حنيفة رح هو اشارة الى هذه الاية فان هذه العلوم
الخمسة لا يعلمها الا الله ان الله عليم بالغيوب خبير بما كان وبما يكون وعن الزهرى اكثروا
قراءة سورة لقمان فان فيها اعاجيب

سورة السجدة مكية وهى ثلثون اية مدنى وكوفى وتسع وعشرون بصرى

بسم الله الرحمن الرحيم

الم على انها اسم السورة مبتداء وخبره تنزيل الكتاب وان جعلتها تعديدا للحروف ارتفع
تنزيل بانه خبر مبتداء محذوف اى هو مبتداء محذوف اى هو مبتداء وخبره لا ريب
فيه او يرتفع بالابتداء وخبره من رب العالمين ولا ريب فيه اعتراض فى كونه لا محل له
والضمير فى فيه راجع الى مضمون الجملة كانه قيل لا ريب فى ذلك اى فى كونه منزلا من رب
العالمين لانه معجز للبشر ومثله ابعد شئ من الريب ثم اضرب عن ذلك الى قوله ام يقولون
افتريه اى اختلقه محمد لان ام هى منقطعة الكاينة بمعنى بل والهمزة معناه بل ايقولون افتريه
انكارا لقولهم وتعجيبا منهم لظهور امره فى عجز بلغائهم عن مثل ثلث ايات منه بل هو الحق
ثم اضرب عن الانكار الى اثبات انه الحق من ربك ولم يفتره محمد كما قالوا تعنتا وجهلا لتنذر

قوما اى العرب ما اتيهم من نذير من قبلك ما للنفى والجملة صفة لقوما لعلهم يهتدون على الترجي
من موسى وهارون الله الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة ايام ثم استوى
على العرش استولى عليهم باحداثه ما لكم من دونه من دون الله من ولى ولا شفيع اى اذا
جاوزتم رضاه لم تجدوا لانفسكم وليا اى ناصرا ينصركم ولا شفيعا يشفع لكم افلا تتذكرون
تتعظون بمواعظ الله يدبر الامر اى امر الدنيا من السماء الى الارض الى ان تقوم الساعة ثم يعرج
اليه ذلك الامر كله اى يصير اليه ليحكم فيه فى يوم كان مقداره الف سنة وهو يوم القيمة
مما تعدون من ايام الدنيا ولا تمسك للمشبهين بقوله اليه فى اثبات الجهة لان معناه الى
حيث يرضاه او امره كما لا تشبث له بقوله انى ذاهب الى ربى انى مهاجر الى الله ذلك عالم
الغيب والشهادة اى الموصوف بما مر عالم بما غاب عن الخلق وما شاهدوه العزيز الغالب
امره وتدبيره الرحيم البالغ لطفه وتيسيره وقيل لا وقف عليه لان الذى صفته الذى احسن
كل شىء اى حسنه لان كل شىء مرتب على ما اقتضته الحكمة خلقه كوفى ونافع وسهل على الوصف
اى كل شىء خلقه فقد حسنه خلقه غيرهم على البدل اى احسن خلق كل شىء وبدأ خلق الانسان
آدم من طين ثم جعل نسله ذريته من سلالة من نطفة من ماء اى منى وهو بدل من سلالة
مهين ضعيف حقير ثم سويه قومه كقوله فى احسن تقويم ونفخ اى ادخل فيه من روحه
الاضافة للاختصاص كانه قال ونفخ فيه من الشىء الذى اختص هو به وبعلمه وجعل لكم السمع
والابصار والافئدة لتسمعوا وتبصروا وتعقلوا قليلا ما تشكرون اى تشكرون قليلا
وقالوا القايل ابى بن خلف ورضاهم بقوله اسند اليهم أئذا ضللنا فى الارض اى صرنا
ترابا وذهبنا مختلطين بتراب الارض ولا نتميز منه كما يضل الماء فى اللبن او غبنا فى الارض
بالدفن فيها وقرئ على ضللنا بكسر اللام يقال ضل يضل وضل يضل وانتصب الظرف فى
أئذا ضللنا بما يدل عليه ائنا لفى خلق جديد وهو نبعث بل هم بلقاء ربهم كافرون جاحدون
لما كفرهم بالبعث اضرب عنه الى ما هو ابلغ وهو انهم كافرون بجميع ما يكون فى العاقبة
لا بالبعث وحده قل يتوفيكم ملك الموت الذى وكل بكم ثم الى ربكم ترجعون اى يتوفى ملك
الموت الذى وكل بقبض ارواحكم ثم ترجعون الى ربكم بعد ذلك مبعوثين للحساب والجزاء

وهذا معنى لقاء الله تعالى والتوفى استيفاء النفس وهى الروح اى يقبض ارواحكم اجمعين
من قولك توفيت حقى من فلان اذا اخذته وافيا كاملا من غير نقصان وعن مجاهد حويت
لملك الموت الارض وجعلت له مثل الطشت يتناول منها حيث يشاء وقيل ملك الموت
يدعو الارواح فتجيبه ثم يامر اعوانه بقبضها والله تعالى هو الامر لذلك كله وهو الخالق
لافعال المخلوقات فهذا وجه الجمع بين هذه الاية وبين قوله توفته رسلنا وقوله الله يتوفى
الانفس حين موتها ولو ترى الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل واحد ولو امتناعية
والجواب محذوف اى لرايت امرا عظيما اذ المجرمون وهم الذين قالوا ائذا ضللنا فى الارض
ولو واذ للمضى وانما جاز ذلك لان المترقب من الله بمنزلة الموجود ولا يقدر لترى ما
يتناوله كانه قيل ولو يكون منك الرؤية واذ ظرف له ناكسوا رؤسهم من الذل والحياء
والندم عند ربهم عند حساب ربهم ويوقف عليه لحق الحذف اذ التقدير يقولون ربنا
ابصرنا صدق وعدك ووعيدك وسمعنا منك تصديق رسلك او كنا عميا وصما فابصرنا
وسمعنا فارجعنا الى الدنيا نعمل صالحا اى الايمان والطاعة انا موقنون بالبعث والحساب
الان ولو شئنا لاتينا كل نفس فى الدنيا هداها اى لو شئنا لاعطينا كل نفس ما عندنا
من اللطف الذى لو كان منهم اختيار ذلك لاهتدوا به لكن لم نعطهم ذلك اللطف
لما علمنا منهم اختيار الكفر وايثاره وهو حجة على المعتزلة فان عندهم شاء الله ان يعطى
كل نفس ما به اهتدت وقد اعطاها لكنها لم تهتد وهم اولوا الاية بمشية الجبر وهو تاويل
فاسد لما عرف فى تبصرة الادلة ولكن حق القول منى لاملان جهنم من الجنة والناس
اجمعين ولكن وجب القول منى بما علمت انه يكون منهم ما يستوجبون به جهنم وهو
ما علم منهم انهم يختارون الرد والتكذيب وفى تخصيص الانس والجن اشارة الى انه عصمت
ملايكته من عمل يستوجبون به جهنم فذوقوا بما نسيتم بما تركتم عمل لقاء يومكم هذا وهو
الايمان انا نسيناكم تركناكم فى العذاب كالمنسى وذوقوا عذاب الخلد اى العذاب الدائم الذى
لا انقطاع له بما كنتم تعملون من الكفر والمعاصى انما يؤمن باياتنا الذين اذا ذكروا بها وعظوا
بها خروا سجدا سجدوا لله تواضعا وخشوعا وشكروا على ما رزقهم من الاسلام

عليه

جاحدون

وهذا

وسبحوا بحمد ربهم ونزهوا الله عما لا يليق به واثنوا عليه حامدين له وهم لا يستكبرون عن
الايمان به والسجود له تتجافى ترتفع وتتنحى جنوبهم عن المضاجع عن الفرش ومواضع النوم
قال سهل وهب لقوم هبة وهو ان اذن لهم في مناجاته وجعلهم من اهل وسيلته ثم مدحهم
عليه فقال تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون داعين ربهم عابدين له خوفا وطمعا مفعول
له اي لاجل خوفهم من سخطه وطمعهم في رحمته وهم المتهجدون وعن النبي صلى الله عليه وسلم في
تفسيرها قيام العبد من الليل وعن ابن عطاء ابت جنوبهم ان تسكن على بساط الغفلة وطلبت
بساط القربة يعني صلوة الليل وعن ابن انس كان اناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
يصلون من صلوة المغرب الى صلوة العشاء الاخيرة فنزلت فيهم وقيل هم الذين يصلون
صلوة العتمة لا يتنامون عنها ومما رزقناهم ينفقون في طاعة الله نعم فلا تعلم نفس
ما اخفي لهم ما بمعنى الذي اخفي على حكاية النفس حمزة ويعقوب من قرة اعين اي لا يعلم
احد ما اعد لهؤلاء من الكرامة جزاء مصدر اي جوزوا جزاء مصدر اي جوزوا جزاء
بما كانوا يعملون عن الحسن اخفى القوم اعمالا في الدنيا فاخفى الله لهم ما لا عين رات و
لا اذن سمعت وفيه دليل على ان المراد الصلوة في جوف الليل ليكون الجزاء وفاقا ثم بين ان
من كان في نور الطاعة والايمان لا يستوي مع من هو في ظلمة الكفر والعصيان بقوله افمن
كان مؤمنا كمن كان فاسقا اي كافرا وهما محمولان على لفظ من وقوله لا يستوون على المعنى
بدليل قوله اما الذين امنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى هي نوع من الجنات يأوي
اليها ارواح الشهداء وقيل هي عن يمين العرش نزلا بما كانوا يعملون عطاء باعمالهم والنزل
عطاء النازل ثم صار عاما واما الذين فسقوا فمأواهم النار اي ملجاؤهم ومنزلهم كلما ارادوا
ان يخرجوا منها اعيدوا فيها وقيل لهم اي يقول لهم خزنة النار ذوقوا عذاب النار الذي
كنتم به تكذبون وهذا دليل على ان المراد بالفاسق الكافر اذ التكذيب يقابل الايمان ولنذيقنهم
من العذاب الادنى اي عذاب الدنيا من الاسر وما محنوا به من السنة سبع سنين دون العذاب
الاكبر اي عذاب الآخرة اي نذيقهم عذاب الدنيا قبل ان يصلوا الى الآخرة وعن الداراني العذاب
الادنى الخذلان والعذاب الاكبر الخلود في النيران وقيل العذاب الادنى عذاب القبر لعلهم

الآخرة

لعل المعذبين بالعذاب الادنى يرجعون يتوبون عن الكفر ومن اظلم ممن ذكر وعظ بآيات
ربه اي القران ثم اعرض عنها اي فتولى عنها ولم يتدبر فيها وثم للاستبعاد اي ان الاعراض
عن مثل هذه الآيات في وضوحها وانارتها وارشادها الى سواء السبيل والفوز بالسعادة
العظمى بعد التذكير بها مستبعد في العقل كما تقول لصاحبك وجدت مثل تلك الفرصة
ثم لم تنتهزها استبعادا للتركة انا من المجرمين منتقمون ولم يقل منه لانه اذا جعله
اظلم كل ظالم ثم توعد المجرمين عامة بالانتقام منهم فقد دل انه يصيبه الاظلم النصيب
الاوفر من الانتقام ولو قاله بالضمير لم يفد هذه الفائدة ولقد اتينا موسى الكتاب التورية
فلا تكن في مرية شك من لقائه من لقاء موسى الكتاب او من لقائك موسى ليلة المعراج
او يوم القيمة او من لقاء موسى ربه في الآخرة كذا عن النبي صلى الله عليه وسلم وجعلناه
هدى لبني اسرائيل وجعلنا الكتاب المنزل على موسى هدى لقومه وجعلنا منهم ائمة
بهمزتين كوفي وشامي يهدون الناس ويدعونهم الى ما في التورية من دين الله وشرائعه
بامرنا اياهم بذلك لما صبروا لاجل صبرهم على الحق وطاعة الله او عن المعاصي لما صبروا
حمزة وعلي اي لصبرهم وفيه دليل على ان الصبر ثمرته امامة الناس وكانوا بآياتنا التورية
يوقنون يعلمون علما لا يخالجه شك ان ربك هو يفصل يقضي بينهم يوم القيمة بين
الانبياء واممهم او بين المؤمنين والمشركين فيما كانوا فيه يختلفون فيظهر المحق من المبطل
اولم الواو للعطف على معطوف عليه منوي من جنس المعطوف اولم يدع لهم يبين والفاعل
الله بدليل قراءة زيد عن يعقوب نهد لهم لاهل مكة كم لا يجوز ان يكون فاعل يهد لان كم
للاستفهام فلا يعمل فيه ما قبله ومحله نصب بقوله اهلكنا من قبلهم من القرون كعاد
وثمود وقوم لوط يمشون في مساكنهم اي اهل مكة يمرون في متاجرهم على ديارهم وبلادهم
ان في ذلك لآيات افلا يسمعون المواعظ فيتعظون اولم يروا انا نسوق الماء نجري المطر
والانهار الى الارض الجرز اي الارض جرز نباتها اي قطع اما لعدم الماء او لانه رعي ولا يقال
للتي لا تنبت كالسباخ جرز بدليل قوله فنخرج به بالماء زرعا تأكل منه من الزرع انعامهم
من عصفه وانفسهم من حبه افلا يبصرون باعينهم فيستدلوا به على قدرته على احياء الموتى

ويقولون متى هذا الفتح النصر والفصل بالحكومة من قوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا
وكان المسلمون يقولون ان الله سيفتح لنا على المشركين او يفتح بيننا وبينهم فاذا سمع
المشركون قالوا متى هذا الفتح اى فى اى وقت يكون ان كنتم صادقين فى انه كاين قل يوم
الفتح اى يوم القيمة وهو يوم الفصل بين المومنين واعدائهم ويوم نصرهم عليهم او
يوم بدر او يوم فتح مكة لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولا هم ينظرون وهذا الكلام لا
ينطبق جوابا على سوالهم ظاهرا ولكن لما كان غرضهم فى السوال عن وقت الفتح استعجالا
منهم على وجه التكذيب والاستهزاء فاجيبوا على حسب ما عرف من غرضهم فى سوالهم
فقيل لهم لا تستعجلوا به ولا تستهزؤا فكانى بكم وقد حصلتم فى ذلك اليوم وامنتم
فلم ينفعكم الايمان واستنظرتم فى ادراك العذاب فلم تنظروا ومن فسره بيوم الفتح
او يوم بدر فهو يريد المقتولين منهم فانه لا ينفعهم ايمانهم فى حال القتل كما لا ينفع فرعون
ايمانه عند الغرق فاعرض عنهم وانتظر النصرة عليهم وهلاكهم انهم منتظرون الغلبة
عليهم وهلاككم وكان عليه الصلوة والسلام لا ينام حتى يقراء تنزيل السجدة وتبارك
الذى بيده الملك وقال من قراء الم تنزيل فى بيته لم يدخل الشيطان فى بيته ثلثة ايام وعن
ابن مسعود رضى الله عنه قال سورة تنزيل هى المانعة تمنع من عذاب القبر سورة

الاحزاب مدنية وهى ثلث وسبعون اية بسم الله الرحمن الرحيم

قال ابى بن كعب رض لزر كم تعدون سورة الاحزاب قال ثلثا وسبعين قال فو الذى
يحلف به ابى ان كانت لتعدل سورة البقرة او اطول ولقد قرانا منها اية الرجم الشيخ
والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم اراد ابى ان ذلك
من جملة ما نسخ من القران واما يحكى ان تلك الزيادة كانت فى صحيفة فى بيت عائشة
رض فاكلتها الداجن فمن تاليفات الملاحدة والروافض يا ايها النبى وبالهمزة نافع اى
يا ايها المخبر عنا المامون على اسرارنا المبلغ خطابنا الى احبائنا ولم يقل يا محمد كما قال يا ادم
يا موسى تشريفا له وتنويها بفضله وتصريحه باسمه فى قوله محمد رسول الله ونحوه لتعليم
الناس بانه رسول الله اتق الله اثبت على تقوى الله ودم عليه وازدد منه فهو باب لا يغلق

مداه ولا تطع الكافرين والمنافقين ولا تساعدهم على شئ واحترس منهم فانهم اعداء الله
والمؤمنين روى ان اباسفيان وعكرمة ابن ابى جهل واباالاعور السلمى قدموا المدينة
بعد قتال احد فنزلوا على عبد الله بن ابى واعطاهم الامان على ان يكلموه فقالوا له ارفض
ذكر الهتنا وقل انها تشفع وتنفع وانفهم ووازرهم المنافقون على ذلك فهم المسلمون بقتلهم
فنزلت اى اتق الله فى نقض العهد ولا تطع الكافرين من اهل مكة والمنافقين من اهل المدينة
فيما طلبوا ان الله كان عليما بخبث اعمالهم حكيما فى تاخير الامر بقتالهم واتبع ما يوحى اليك
من ربك فى الثبات على التقوى وترك طاعة الكافرين والمنافقين ان الله الذى يوحى اليك
كان بما تعملون خبيرا اى لم يزل عالما باعمالهم واعمالكم وقيل انما جمع لان المراد بقوله اتبع هو
واصحابه وبالياء ابو عمرو اى بما يعمل الكافرون والمنافقون من كيدهم لكم ومكرهم بكم و
توكل على الله واسند امرك اليه وكله الى تدبيره وكفى بالله وكيلا حافظا موكولا اليه كل امر
قال الزجاج لفظه وان كان لفظ الخبر فالمعنى اكتف بالله وكيلا ما جعل الله لرجل من قلبين
فى جوفه وما جعل ازواجكم اللائى تظاهرون منهن امهاتكم وما جعل ادعياءكم ابناءكم
اى ما جعل جمع الله قلبين فى جوف ولا زوجية وامومة فى امرءة ولا بنوة ودعوة
فى رجل والمعنى انه تعالى كما لم يجعل لانسان قلبين لانه لا يخلو اما ان يفعل باحدهما مثل ما
يفعل بالاخر من افعال القلوب فاحدهما فضلة غير محتاج اليه واما ان يفعل بهذا غير ما
يفعله ذلك فذلك يودى الى اتصاف الجملة بكونه مريدا كارها عالما ظانا موقنا شاكا فى حالة
واحدة لم يحكم ايضا ان تكون المراة الواحدة اما لرجل زوجا له لان الام مخدومة والمرءة
خادمة وبينهما منافات وان يكون الرجل الواحد دعيا لرجل وابنا له لان النبوة اصالة فى النسب
والدعوة الصاق عارض بالتسمية لا غير ولا يجتمع فى الشئ الواحد ان يكون اصيلا غير اصيل وهذا
مثل ضربه الله تعالى فى زيد بن حارثة وهو رجل من بنى كلب سبى صغيرا فاشتراه حكيم
بن حزام لعمته خديجة فلما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهبته له وطلبه ابوه وعمه
فخير فاختار رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتقه وتبناه وكانوا يقولون زيد بن محمد فلما
تزوج النبى صلى الله عليه وسلم زينب وكانت تحت زيد قال المنافقون تزوج محمد امرءة ابنه

وهو ينهى عنه فانزل الله عليه هذه الاية وقيل كان المنافقون يقولون لمحمد قلبان قلب معكم
وقلب مع اصحابه وقيل كان ابو معمر احفظ العرب فقيل له ذو القلبين فاكذب الله تعالى
قوله وقولهم وضرب مثلا في الظهار والتبني والتنكير في رجل واجال من لاستغراقية على
قلبين وذكر الجوف للتاكيد اللائي بياء بعد الهمزة حيث كان كوفي وشامي واللاء نافع
وسهل ويعقوب وهي جمع التي تظاهرون عاصم من ظاهر اي قال لامراته انت علي كظهر امي
تظاهرون علي وحمزة وخلف تظاهرون شامي من ظاهر بمعنى تظاهر غيرهم تظهرون من
اظهر تطهر وعدي بمن لتضمنه معنى التبعد لانه كان اطلاقا في الجاهلية ونظيره الى من امرته لما ضمن
معنى التباعد عدي بمن والا فالي في اصله الذي هو معنى حلف واقسم ليس هذا بمحكم والدعي
فعيل بمعنى مفعول وهو الذي يدعى ولدا وجمع على فعلاء شاذ لان بابه ما كان منه بمعنى
فاعل كتقي واتقياء وشقي واشقياء ولا يكون ذلك في نحو رمي وسمي لتشبيه اللفظي ذلكم
قولكم بافواهكم اي ان قولكم للزوجة هي ام وللدعي هو ابن قول تقولونه بالسنتكم لا حقيقة
له اذ الابن يكون بالولادة وكذا الام والله يقول الحق وهو حق ظاهره وباطنه وهو يهدي
السبيل اي سبيل الحق ثم قال ما هو الحق وهدى الى ما هو سبيل الحق وهو قوله ادعوهم لاباءهم
هو اقسط اعدل عند الله وبين ان دعاءهم لابائهم هو ادخل الامرين في القسط والعدل
وقيل كان الرجل في الجاهلية اذا اعجبه جلد الرجل ضمه الى نفسه وجعل له مثل نصيب الذكر
من اولاده من ميراثه وكان ينسب اليه فيقال فلان ابن فلان ثم انظر الى فصاحة هذا الكلام
حيث وصل الجملة الطلبية ثم فصل الخبرية عنها ووصل بينهما ثم فصل الاسمية عنها ووصل
بينها ثم فصل الطلبية فان لم تعلموا اباءهم فان لم تعلموا لهم اباء تنسبونهم اليهم فاخوانكم
في الدين ومواليكم اي فهم اخوانكم في الدين واولياءكم في الدين فقولوا هذا اخي وهذا مولاي
ويا اخي ويا مولائي يريد الاخوة في الدين والولاية فيه وليس عليكم جناح فيما اخطاتم به
اي لا اثم عليكم فيما فعلتموه من ذلك مخطئين جاهلين قبل ورود النهي ولكن ما تعمدت قلوبكم
ولكن الاثم فيما تعمدتموه بعد النهي او لا اثم عليكم اذا قلتم لولد غيركم يا بني على سبيل الخطاب
وسبق اللسان ولكن اذا قلتموه متعمدين وما في موضع الجر عطف على ما الاولى ويجوز ان يراد

العفو

العفو عن الخطاء دون العمد على سبيل العموم ثم تناول لعمومه خطاء التبني وعمده واذا وجد
التبني فان كان المتبنى مجهول النسب واصغر سنا منه تبت نسبه منه وعتق ان كان عبدا له
وان كان اكبر سنا منه لم يثبت نسبه وعتق عند ابي حنيفة رح واما المعروف النسب فلا
يثبت نسبه بالتبني وعتق ان كان عبدا له وكان الله غفورا رحيما لا يؤاخذكم بالخطاء و
يقبل التوبة من المتعمد النبي اولى بالمومنين من انفسهم اي احق بهم في كل شيء من امور الدين
والدنيا وحكمه انفذ عليهم من حكمها فعليهم ان يبذلوها دونه ويجعلوها فداءه وهو
اولى بهم اي ارأف بهم واعطف عليهم وانفع لهم كقوله بالمومنين رؤف الرحيم وفي قراءة
ابن مسعود النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم وهو اب لهم وقال مجاهد كل نبي فهو اب امته
ولذلك صار المؤمنون اخوة لان النبي صلى الله عليه وسلم ابوهم في الدين وازواجه امهاتهم
في تحريم نكاحهن وتعظيمهن وهن فيما وراء ذلك كالارث وغيره كالاجنبيات ولهذا
لم يتعد التحريم الى بناتهن واولوا الارحام وذوا القرابات بعضهم اولى ببعض في توارث
وكان المسلمون في صدر الاسلام يتوارثون بالولاية في الدين وبالهجرة لا بالقرابة ثم نسخ
ذلك وجعل التوارث بحق القرابة لا بالتبني في كتاب الله في حكمه وقضائه او في اللوح
او فيما فرض الله تعالى من المومنين المهاجرين يجوز ان يكون بيانا لاولي الارحام اي
الاقرباء من هؤلاء بعضهم اولى بان يرث بعضا من الاجانب وان يكون لابتداء الغاية
اي اولوا الارحام بحق القرابة اولى في الميراث من المؤمنين اي الانصار بحق الولاية
في الدين ومن المهاجرين بحق الهجرة الا ان تفعلوا الى اولياءكم معروفا الاستثناء من
خلاف الجنس اي لكن فعلكم الى اولياءكم معروفا جائز وهو ان توصوا لمن احببتم من
هؤلاء بشيء فيكون له ذلك بالوصية لا بالميراث وعدي تفعلوا بالى لانه في معنى تسدوا
والمراد بالاولياء المومنون والمهاجرون للولاية في الدين كان ذلك في الكتاب مسطورا
اي التوارث بالارحام كان مسطورا في اللوح واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم واذكر حين
اخذنا من النبيين ميثاقهم بتبليغ الرسالة والدعاء الى الدين القيم ومنك خصوصا
وقدم رسول الله على نوح ومن بعده لان هذا العطف كبيان فضيلة هؤلاء لانهم اولوا العزم

واصحاب الشرايع فلما كان محمد صلى الله عليه وسلم افضل هؤلاء قدم عليهم ولولا ذلك لقدم
من قدم زمانه ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم واخذنا منهم ميثاقا غليظا
وثيقا واعاد ذكر الميثاق لانضمام الوصف اليه وانما فعلنا ذلك ليسال الله الصادقين اي
الانبياء عن صدقهم عما قالوه لقومهم او ليسال المصدقين للانبياء عن تصديقهم لان من
قال للصادق صدقت كان صادقا في قوله او ليسال الانبياء ما الذي اجابتهم به اممهم وهو
كقوله يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم واعد للكافرين بالرسل عذابا اليما
وهو عطف على اخذنا لان المعنى ان الله تعالى اكد على الانبياء الدعوة الى دينه لاجل
اثابة المومنين واعد للكافرين عذابا اليما او على ما دل عليه ليسال الصادقين كانه قال
فاثاب الله المومنين واعد للكافرين يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اي ما
انعم الله به عليكم يوم الاحزاب وهو يوم الخندق وكان بعد حرب احد بسنة اذ جاءتكم
جنود اي الاحزاب وهم قريش وغطفان وقريظة والنضير فارسلنا عليهم ريحا اي
الصبا قال عليه السلام نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور وجنودا لم تروها وهم الملائكة
وكانوا الفا بعث الله عليهم صبا باردة في ليلة شاتية فاحصرتهم وسفت التراب في وجوههم
وامر الملائكة فقلعت الاوتاد وقطعت الاطناب واطفات النيران واكفات القدور وماجت
الخيل بعضها في بعض وقذف في قلوبهم الرعب وكبر الملائكة في جوانب عسكرهم
فانهزموا من غير قتال وحين سمع رسول الله عليه الصلوة والسلام باقبالهم ضرب الخندق
على المدينة باشارة سلمان ثم خرج في ثلثة آلاف من المسلمين فضرب معسكره والخندق بينه
وبين القوم وامر بالذراري والنسوان فرفعوا في الآطام واشتدت الخوف وكانت
قريش قد اقبلت في عشرة آلاف من الاحابيش وبني كنانة واهل تهامة وقائدهم ابو سفيان
وخرج غطفان في الف ومن تابعهم من اهل نجد وقائدهم عيينة ابن حصين وعامر بن الطفيل
في هوازن وضامتهم اليهود من قريظة والنضير ومضى على الفريقين قريب من شهر لا حرب
بينهم الا الترامي بالنبل والحجارة حتى انزل الله النصر وكان الله بما تعملون اي بعملكم ايها المؤمنون
من التحصن بالخندق والثبات على معاونة النبي صلى الله عليه وسلم بصيرا وبالياء ابو عمرو اي بما يعمل

الكفار من البغي والسعي في اطفاء نور الله اذ جاؤكم بدل من اذ جاءتكم من فوقكم من اعلى الوادي
من قبل المشرق بنو غطفان ومن اسفل منكم من اسفل الوادي من قبل المغرب قريش واذ
زاغت الابصار مالت عن سننها ومستوى نظرها حيرة او عدلت عن كل شيء فلم تلتفت
الا الى عدوها لشدة الروع وبلغت القلوب الحناجر الحنجرة راس الغلصمة وهي منتهى الحلقوم
والحلقوم مدخل الطعام والشراب قالوا اذا انتفخت الرية من شدة الفزع او الغضب
ربت وارتفع القلب بارتفاعها الى راس الحنجرة وقيل هو مثل في اضطراب القلوب
وان لم تبلغ الحناجر حقيقة روي ان المسلمين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم هل من
شيء نقوله قد بلغت القلوب الحناجر قال نعم قولوا اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا و
تظنون بالله الظنونا خطاب للذين امنوا ومنهم الثبت القلوب والاقدام والضعاف
القلوب والمنافقون يظن الاولون بالله انه يبتليهم فخافوا الزلل وضعف الاحتمال و
اما الآخرون فظنوا بالله ما حكي عنهم قرا ابو عمرو وحمزة الظنون بغير الف في الوصل
والوقف وهو القياس وبالالف فيهما مدني وشامي وابو بكر اجراء للوصل مجرى الوقف و
بالالف في الوقف فقط مكي وعلي وحفص ومثله الرسولا والسبيلا زادها في الفاصلة
كما زادها في القافية من قال شعر: اقلي اللوم عاذل والعتابا. فهن كلهن في الامام بالف
هنالك ابتلي المؤمنون امتحنوا بالصبر على الايمان وزلزلوا زلزالا شديدا فحركوا بالخوف
تحريكا بليغا واذ يقول المنافقون عطف على الاولى والذين في قلوبهم مرض قيل هو
وصف المنافقين بالواو كقوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم
وقيل هم قوم لا بصيرة لهم في الدين كان المنافقون يستميلونهم بادخال الشبه عليهم
ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا روي ان معتب بن قشير حين راى الاحزاب قال
يعدنا محمد فتح فارس والروم واحدنا لا يقدر ان يتبرز فرقا ما هذا الا وعد غرور
واذ قالت طائفة منهم من المنافقين وهم عبد الله بن ابي واصحابه يا اهل يثرب اسم
للمدينة لا مقام لكم بضم الميم حفص اي لا قرار لكم هنا ولا مكان تقومون فيه او تقيمون
فارجعوا الى الكفر او من عسكر رسول الله الى المدينة ويستاذن فريق منهم النبي اي بنو

امتحنوا

حارثة يقولون ان بيوتنا عورة ذات عورة وما هي بعورة ان يريدون الا فرارا العورة
الخلل والعورة ذات العورة وهي قراءة ابن عباس رض يقال عور المكان عورا اذا
بدا فيه خلل يخاف منه العدو والسارق ويجوز ان يكون عورة تخفيف عورة
اعتذروا ان بيوتهم عرضة للعدو والسراق لانها غير محصنة فاستاذنوه ليحصنوها
ثم يرجعوا اليه فاكذبهم الله بانهم لا يخافون ذلك وانما يريدون الفرار من القتال
ولو دخلت عليهم المدينة او بيوتهم من قولك دخلت على فلان داره من اقطارها
من جوانبها اي ولو دخلت هذه العساكر المتحزبة التي يفرون خوفا منها مدينتهم او
بيوتهم من نواحيها كلها واثالت على اهاليهم واولادهم ناهبين سابين ثم سئلوا
عند ذلك الفزع الفتنة اي الردة والرجعة الى الكفر ومقاتلة المسلمين لاتوها لاعطوها
لاتوها بالمد حجازي اي لجاؤها وفعلوها وما تلبثوا بها باجابتها الا يسيرا ريثما
يكون السؤال والجواب من غير توقف او وما لبثوا بالمدينة بعد ارتدادهم الا يسيرا فان
الله يهلكهم والمعنى انهم يتعللون باعوار بيوتهم ليفروا من نصرة رسول الله و
المؤمنين وعن مصافة الاحزاب الذين ملاؤهم هولا ورعبا وهؤلاء الاحزاب كما هم
لو كبسوا عليهم ارضهم وديارهم وعرض عليهم الكفر وقيل لهم كونوا على المسلمين لسارعوا
اليه وما تعللوا بشيء وما ذاك الا لمقتهم الاسلام وحبهم الكفر ولقد كانوا عاهدوا
الله من قبل اي بنو حارثة من قبل الخندق او من قبل نظرهم الى الاحزاب لا يولون
الادبار منهزمين وكان عهد الله مسؤلا مطلوبا مقتضى حتى يوفى به قل لن ينفعكم
الفرار ان فررتم من الموت او القتل واذا لا تمتعون الا قليلا اي ان كان حضر اجلكم
لم ينفعكم الفرار وان لم يحضر وفررتم لم تمتعوا في الدنيا الا قليلا وهو مدة اعماركم
وذلك قليل وعن بعض المروانية انه مر بحائط مائل فاسرع فتليت له هذه الاية فقال
ذلك القليل نطلب قل من ذا الذي يعصمكم من الله اي مما اراد الله انزاله بكم ان اراد بكم
سوءا في انفسكم من قتل وغيره او اراد بكم رحمة اي اطالة عمر في عافية وسلامة او من
يمنع الله من ان يرحمكم ان اراد بكم رحمة لما في العصمة من معنى المنع ولا يجدون لهم من دون الله

وليا ولا نصيرا ناصرا قد يعلم الله المعوقين منكم اي من يعوق عن نصرة رسول الله صلى الله
عليه وسلم اي يمنع وهم المنافقون والقائلين لاخوانهم في الظاهر من المسلمين هلم الينا اي قربوا
انفسكم الينا ودعوا محمدا وهي لغة اهل الحجاز فانهم يسوون فيه بين الواحد والجماعة واما تميم
فيقولون هلم يا رجل وهلموا يا رجال وهو صوت سمي به فعل متعد مثل احضر وقرب ولا ياتون
البأس الا قليلا اي لا ياتيانا قليلا اي يحضرون ساعة رياء ويعقوب قليلا مقدار ما يرى من
شهودهم ثم ينصرفون اشحة جمع شحيح وهو البخيل نصب على الحال من الضمير في ياتون اي ياتون
الحرب بخلاء عليكم بالظفر والغنيمة فاذا جاء الخوف من قبل العدو او منه عليه السلام رايتهم ينظرون
اليك في تلك الحالة تدور اعينهم يمينا وشمالا كالذي يغشى عليه من الموت كما ينظر المغشي عليه
من المعالجة سكرات الموت حذرا وخورا ولواذا بك فاذا ذهب الخوف زال ذلك الخوف
وامنوا وحيزت الغنائم سلقوكم بالسنة حداد خاطبوكم مخاطبة شديدة واذوكم بالكلام خطيب
سلق فصيح ورجل مسلاق مبالغ في الكلام اي يقولون وفروا قسمتنا فانا قد شاهدناكم و
قاتلنا معكم وبمكاننا غلبتم عدوكم اشحة على الخير اي خاطبوكم اشحة على المال والغنيمة واشحة
حال من فاعل سلقوكم اولئك لم يؤمنوا في الحقيقة بل بالالسنة فاحبط الله اعمالهم ابطل باضمارهم
الكفر ما اظهروه من الاعمال وكان ذلك احباط اعمالهم على الله يسيرا هينا يحسبون الاحزاب
لم يذهبوا اي لجبنهم يظنون ان الاحزاب لم ينهزموا ولم ينصرفوا مع انهم قد انصرفوا وان يات
الاحزاب كرة ثانية يودوا لو انهم بادون في الاعراب البادون جمع البادي اي يتمنى المنافقون
لجبنهم انهم خارجون من المدينة الى البدو حاصلون بين الاعراب ليامنوا على انفسهم ويعرفون
ما فيه المؤمنون القتال يسالون كل قادم منهم من جانب المدينة عن انبائكم عن اخباركم وعما جرى
عليكم ولو كانوا فيكم ولم يرجعوا الى المدينة وكان قتال ما قاتلوا الا قليلا رياء وسمعة لقد
كان لكم في رسول الله اسوة حسنة بالضم حيث كان عاصم اي قدوة وهو المؤتى به اي المقتدى
به كما تقول في البيضة عشرون منا حديدا اي هي في نفسها هذا المبلغ من الحديد او فيه خصلة من
حقها ان يؤتسى بها حيث قاتل بنفسه لمن كان يرجو الله واليوم الاخر اي يخاف الله ويخاف اليوم
القيمة او يأمل ثواب الله ونعيم اليوم الاخر قالوا لمن بدل من لكم وفيه ضعف لانه لا يجوز البدل

الحرب م

من ضمير المخاطب وقيل لمن يتعلق بحسنة اى اسوة حسنة كاينة لمن كان وذكر الله كثيرا اى
فى الخوف والرجاء والشدة والرخاء ولما راى المومنون الاحزاب وعدهم الله ان يزلزلوا
حتى يستغيثوه ويستنصروه بقوله ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من
قبلكم الى قوله قريب فلما جاء الاحزاب واضطربوا ورعبوا الرعب الشديد قالوا هذا ما وعدنا
الله ورسوله وصدق الله ورسوله وعلموا ان الجنة والنصر وجبتا لهم وعن ابن عباس رضى
ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه ان الاحزاب سايرون اليكم فى اخر تسع ليال او عشر فلما
راوهم قد اقبلوا للميعاد قالوا ذلك وهذا اشارة الى الخطب او البلاء وما زادهم ما راوا
من اجتماع الاحزاب عليهم ومجيئهم الا ايمانا بالله وبمواعيده وتسليما لقضاياه واقداره
من المومنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه اى فيما عاهدوه عليه فحذف الجار كما فى
المثل صدقنى سن بكره بطرح الجار وايصال الفعل نذر رجال من الصحابة انهم اذا لقوا حربا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا وهم عثمان بن عفان و
طلحة وسعيد بن جبير وحمزة ومصعب وغيرهم فمنهم من قضى نحبه اى مات شهيدا كحمزة
ومصعب وقضاء النحب صار عبارة عن الموت لان كل حى من المحدثات لا من ان يموت فكانه
نذر لازم فى رقبته فاذا مات فقد قضى نحبه اى نذره ومنهم من ينتظر الموت اى الشهادة
كعثمان وطلحة وما بدلوا العهد تبديلا ولا غيروه لا المستشهد ولا من ينتظر الشهادة وفيه
تعريض لمن كان بدلوا من اهل النفاق ومرض القلوب كما مر فى قوله تعالى ولقد كانوا عاهدوا الله
من قبل لا يولون الادبار ليجزى الله الصادقين بصدقهم بوفائهم بالعهد ويعذب المنافقين
ان شاء اذا لم يتوبوا او يتوب عليهم ان تابوا ان الله كان غفورا بقبول التوبة رحيما بعفو
الحوبة جعل المنافقون كانهم قصدوا عاقبة السوء واراد وها بتبديلهم كما قصد الصادقون
عاقبة الصدق بوفائهم لان كل الفريقين مسوق الى عاقبته من الثواب والعقاب فكانهما
استويا فى طلبها والسعى لتحصيلها ورد الله الذين كفروا الاحزاب بغيظهم حال اى مغيظين كقوله
تنبت بالدهن لم ينالوا خيرا ظفرا اى لم يظفروا بالمسلمين وسماه خيرا بزعمهم وهو حال اى غير
ظافرين وكفى الله المؤمنين القتال بالريح والملائكة وكان الله قويا عزيزا قادرا غالبا وانزل

الذين

الذين ظاهروهم عاونوهم الاحزاب من اهل الكتاب يعنى بنى قريظة من صياصيهم من حصونهم
والصيصة ما تحصن به روى ان جبريل عليه السلام اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحة
الليل التى انهزم فيها الاحزاب ورجع المسلمون الى المدينة ووضعوا سلاحهم وجبريل على فرس
الحيزوم والغبار على وجه الفرس وعلى السرج فقال ما هذا يا جبريل قال من متابعة قريش ثم قال
يا رسول الله ان الله يامرك بالسير الى بنى قريظة وانا عامد اليهم فان الله داقهم دق البيض
على الصفاء وانهم لكم طعمة فاذن فى الناس ان من كان سامعا مطيعا فلا يصلى العصر الا فى بنى
قريظة فحاصرهم خمسا وعشرين ليلة فقال لهم رسول الله تنزلون على حكمى فابوا فقال
على حكم سعد بن معاذ فرضوا به فقال سعد حكمت فيهم ان يقتل مقاتلهم وسبى ذراريهم
ونسائهم فكبر النبى صلى الله عليه وسلم وقال لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة ارقعة ثم
انزلهم وخندق فى سوق المدينة خندقا وقدمهم فضرب اعناقهم وهم من ثمان مائة
الى تسعمائة وقيل كانوا ستمائة مقاتل وسبعمائة اسير وقذف فى قلوبهم الرعب الخوف وضم
العين شامى وعلى وسهل فريقا تقتلون وهم الرجال وتاسرون فريقا وهم النساء
والذرارى واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم اى المواشى والنقود والامتعة روى ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل عقارهم للمهاجرين دون الانصار وقال لهم انكم فى منازلكم
وارضا لم تطؤها لقصد القتال وهى مكة او فارس والروم او خيبر او كل ارض تفتح الى القيمة
وكان الله على كل شئ قديرا قادرا يا ايها النبى قل لازواجك ان كنتن تردن الحيوة الدنيا و
زينتها اى السعة فى الدنيا وكثرة الاموال فتعالين اصل تعال ان يقوله من كان فى المكان المرتفع
لمن فى المكان المستوطى ثم كثر حتى استوت فى استعماله الامكنة ومعنى تعالين اقبلن بارادتكن
واختياركن لاحد الامرين ولم يرد نهوضهن اليه بانفسهن كقولك قام يهدد نى امتعكن
اعطكن متعة الطلاق ويستحب المتعة لكل مطلقة الا المفوضة قبل الوطى واسرحكن واطلقكن
سراحا جميلا لا ضرار فيه اردن شيئا من الدنيا من ثياب وزيادة نفقة وتغايرن فغم ذلك رسول
الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فبدا بعايشة رض وكانت احبهن اليه فخيرها وقرا عليها القران
فاختارت الله ورسوله والدار الاخرة فرؤى الفرح فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم

اخارت جميعهن اختيارها وروى انه قال لعايشة رض انى ذاكر لك امرا ولا عليك ان لا تعجلى
فيه حتى تستامرى ابويك ثم قراء عليها القران فقالت افى هذا استامر ابوى فانى اريد الله و
رسوله والدار الاخرة وحكم التخيير فى باب الطلاق انه اذا قال لها اختارى فقالت اخترت
نفسى ان يقع تطليقة بائنة واذا اختارت زوجها لم يقع شئ وعن على رض اذا اختارت زوجها
فواحدة رجعية وان اختارت نفسها فواحدة بائنة وان كنتن تردن الله ورسوله والدار
الاخرة فان الله اعد للمحسنات منكن من للبيان لا للتبعيض اجرا عظيما يا نساء النبى من
يات منكن بفاحشة سيئة بليغة فى القبح مبينة ظاهرة فحشها من بين بمعنى تبين وبفتح اليا
مكى وابوبكر قيل هى عصيانهن رسول الله ونشوزهن وقيل الزنى واسعاصم رسوله من
ذلك يضاعف لها العذاب تضعف لها العذاب مكى وشامى يضعف ابوعمرو ويزيد ويعقوب
ضعفين ضعفى عذاب غيرهن من النساء لان ما قبح من ساير النساء كان اقبح منهن فزيادة
قبح المعصية تتبع زيادة الفضل وليس لاحد من النساء مثل فضل نساء النبى صلى الله عليه وسلم
ولذا كان الذم للعاصى العالم اشد من العاصى الجاهل لان المعصية من العالم اقبح ولذا فضل
حد الاحرار على العبيد ولا يرجم الكافر وكان ذلك اى تضعيف العذاب عليهن على الله يسيرا
هينا ومن يقنت منكن لله ورسوله القنوت الطاعة وتعمل صالحا نوتها وبالياء فيهما حمزة
وعلى اجرها مرتين مثلى ثواب غيرها واعتدنا لها رزقا كريما جليل القدر وهو الجنة يا نساء
النبى لستن كاحد من النساء اى لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء اذا تقصيت امة النساء
جماعة جماعة لم توجد منهن جماعة واحدة تساويكن فى الفضل واحد فى الاصل بمعنى وحد
وهو الواحد ثم وضع فى النفى العام مستويا فيه المذكر والمونث والواحد وما وراءه ان
اتقيتن ان اردتن التقوى وان كنتن متقيات فلا تخضعن بالقول اى اذا كلمتن الرجال
من وراء الحجاب فلا تجبن بقولكن خاضعا اى لينا خنثا مثل كلام المرئيات فيطمع بالنصب
على جواب النهى الذى فى قلبه مرض ريبة وفجور وقلن قولا معروفا حسنا مع كونه خشنا وقرن
مدنى وعاصم غير هبيرة واصله اقررن فحذفت الراء تخفيفا والقيت فتحتها على ما قبلها او من
يقار اذا اجتمع والباقون وقرن من وقر يقر وقارا او من قر يقر حذفت الاولى من راى اولى

فرارا

فرارا من التكرير ونقلت كسرتها الى القاف فى بيوتكن بضم الياء بصرى ومدنى وحفص ولا
تبرجن تبرج الجاهلية الاولى اى القديمة والتبرج تبرجا مثل التبختر فى المشى واظهار الزينة
والتقدير ولا تبرجن تبرجا مثل تبرج النساء فى الجاهلية الاولى وهى الزمن الذى ولد فيه ابراهيم
او ما بين آدم ونوح عليهما السلام او زمن داود وسليمان والجاهلية الاخرى ما بين عيسى
ومحمد عليهما السلام او الجاهلية الاولى جاهلية الكفر قبل الاسلام والجاهلية الاخرى جاهلية
الفسوق والفجور فى الاسلام واقمن الصلوة واتين الزكوة واطعن الله ورسوله خص الصلوة
والزكوة بالامر ثم عم فى الامر بجميع الطاعات تفضيل لهما لان من واظب عليهما جرتاه الى ما
وراءهما انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت نصب على النداء او على المدح وفيه
دليل على ان نساءه من اهل بيته وقال عنكم لانه اريد الرجال والنساء من آله بدلالة ويطهركم
تطهيرا من نجاسة الآثام بين انه انما نهاهن وامرهن ووعظهن لئلا يقارف اهل بيت رسول الله
المآثم وليتصونوا عنها بالتقوى واستعار للذنوب الرجس وللتقوى الطهر لان عرض
المقترف للمقبحات يتلوث بها كما يتلوث بدنه بالارجاس واما المحسنات فالعرض منها
نقى كالثوب الطاهر وفيه سعر لاولى الالباب عن المناهى وترغيب لهم فى الاوامر واذكرن
ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله القران والحكمة اى السنة او بيان معانى القران ان الله كان لطيفا
عالما بغوامض الاشياء خبيرا عالما بحقايقها اى هو عالم بافعالكن واقوالكن واحوالكن فاحذرن
مخالفة امره ونهيه ومعصية رسوله ولما نزلت فى نساء النبى ما نزل قال نساء المومنين فما نزل
فينا شئ فنزلت ان المسلمين والمسلمات المسلم الداخل فى السلم بعد الحرب المنقاد الذى لا يعاند
او المفوض امره الى الله المتوكل عليه من اسلم وجهه الى الله والمومنين المصدقين بالله ورسوله
وبما يجب ان يصدق به والمومنات والقانتين القايمين بالطاعة والقانتات والصادقين
فى النيات والاقوال والاعمال والصادقات والصابرين والصابرات على الطاعات وعن السيئات
والخاشعين المتواضعين لله بالقلوب والجوارح او الخائفين والخاشعات والمتصدقين
والمتصدقات فرضا ونفلا والصايمين والصايمات فرضا ونفلا وقيل من تصدق فى اسبوع
بدرهم فهو من المتصدقين ومن صام البيض من كل شهر فهو من الصايمين والحافظين فروجهم

عملا والحافظات والذاكرين الله كثيرا بالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير وقراءة القرآن
والاشتغال بالعلم من الذكر والمعنى والحافظات فروجهن والذاكرات الله فحذف لدلالة
ما تقدم عليه والفرق بين عطف الاناث على الذكور وعطف الزوجات على الزوجين ان الاول
نظير قوله ثيبات وابكارا في انهما جنسان مختلفان واشتركا في حكم واحد فلم يكن بد من توسط
العاطف بينهما واما الثاني فمن عطف الصفة على الصفة بحرف الجمع ومعناه ان الجامعين
والجامعات لهذه الطاعات اعد الله لهم مغفرة واجرا عظيما على طاعتهم خطب رسول الله
صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش بنت عمته اميمة على مولاه زيد بن حارثة فابت وابى
اخوها عبد الله فنزلت وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اي وما صح لرجل مؤمن ولا امراة مؤمنة
اذا قضى الله ورسوله اي رسول الله امرا من الامور ان يكون لهم الخيرة من امرهم اي يختاروا
من امرهم ما شاؤا بل من حقهم ان يجعلوا رايهم تبعا لرايه واختيارهم تلوا اختياره فقالا
رضينا يا رسول الله فانكحها اياه وساق عنه الرسول اليها مهرها وانما جمع الضمير في لهم
وان كان من حقه ان يوحد لان المذكورين وقعا تحت النفي فيما كل مؤمن ومؤمنة فرجع
الضمير على المعنى لا على اللفظ ويكون بالياء كوفي والخيرة ما يتخير ودل ذلك على ان الامر
للوجوب ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا فان كان عصيانه فعلا مع قبول
الامر واعتقاد الوجوب فهو ضلال خطاء وفسق واذ تقول للذي انعم الله عليه بالاسلام
الذي هو اجل النعم وانعمت عليه بالاعتاق والتبني فهو متقلب في نعمة الله ونعمة رسوله
وهو زيد بن حارثة امسك عليك زوجك يعني زينب بنت جحش وذلك ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم ابصرها بعد ما انكحها اياه فوقعت في نفسه فقال سبحان الله مقلب
القلوب وذلك ان نفسه كانت تجفو عنها قبل ذلك لا تريدها وسمعت زينب بالتسبيحة
فذكرتها لزيد ففطن والقى الله في نفسه كراهة صحبتها والرغبة عنها فقال لرسول الله
صلى الله عليه وسلم اني اريد ان افارق صاحبتي فقال مالك اربك منها شيء قال لا والله ما
رايت منها الا خيرا ولكنها تتعظم علي لشرفها وتؤذيني فقال له امسك عليك زوجك
واتق الله فلا تطلقها وهي نهي تنزيه اذ الاولى ان لا يطلق او اتق الله فلا تذمها بالنسبة

الى الكبر واذى الزوج وتخفي في نفسك ما الله مبديه اي تخفي في نفسك نكاحها ان طلقها زيد
وهو الذي ابداه الله وقيل الذي اخفى في نفسك تعلق قلبه بها ومودة مفارقة زيد اياها
والواو في وتخفي في نفسك وتخشى الناس اي قالة الناس بانه نكح امراة ابنه والله احق ان
تخشاه للعطف او للحال اي تقول لزيد امسك عليك زوجك مخفيا في نفسك ارادة
ان لا يمسكها وتخفي خاشيا قالة الناس وتخشى الناس حقيقا في ذلك بان تخشى الله وعن
عايشة رض لو كتم رسول الله شيئا مما اوحي اليه لكتم هذه الاية فلما قضى زيد منها وطرا
الوطر الحاجة فاذا بلغ البالغ حاجته من شيء له فيه همة قيل قضى منه وطره والمعنى فلما لم
يبق لزيد فيها حاجة وتقاصرت عنها همته وطلقها وانقضت عدتها زوجناكها روي
انها لما اعتدت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد ما اجد احدا اوثق في نفسي منك
اخطب على زينب قال زيد فانطلقت وقلت يا زينب ابشري ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يخطبك ففرحت وتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل بها وما اولم
على امراة نسائه ما اولم عليها ذبح شاة واطعم الناس الخبز واللحم حتى امتد النهار لكيلا يكون
على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا قيل قضاء الوطر ادراك
الحاجة وبلوغ المراد منه وكان امر الله الذي يريد ان يكونه مفعولا مكونا لا محالة وهو
مثل لما اراد كونه من تزويج رسول الله زينب ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له
احله وامره وهو نكاح زينب امراة زيد وقدر له من عدد النساء سنة الله اسم موضوع
موضع المصدر كقولهم تربا وجندلا مؤكد لقوله ما كان على النبي من حرج كانه قيل سن الله
ذلك سنة في الانبياء الماضين وهو ان لا يحرج عليهم في الاقدام على ما اباح لهم ووسع
عليهم في باب النكاح وغيره وقد كانت لهم المهائر والسراري وكانت لداود مائة امرءة
وثلثمائة سرية ولسليمان ثلثمائة حرة وسبعمائة سرية في الذين خلوا من قبل في الانبياء
الذين مضوا من قبله وكان امر الله قدرا مقدورا قضاء مقضيا وحكما مبتوتا ولا وقف
عليه ان جعلت الذين يبلغون رسالات الله بدل الذين الاول ووقف ان جعلته في محل
الرفع او النصب على المدح اي هم الذين يبلغون او اعني الذين يبلغون ويخشونه ولا يخشون

احدا الا الله وصف الانبياء بانهم لا يخشون الا الله تعريض بعد التصريح فى قوله وتخشى الناس
والله احق ان تخشيه وكفى بالله حسيبا كافيا للمخاوف او محاسبا على الصغيرة والكبيرة
فكان حديرا بان يخشى منه ما كان محمد ابا احد من رجالكم اى لم يكن ابا رجل منكم حقيقة
حتى يثبت بينه وبينه ما يثبت بين الاب وولده من حرمة الصهر والنكاح والمراد من رجالكم
البالغون والحسن والحسين لم يكونا بالغين حينئذ والطاهر والطيب والقاسم وابراهيم
توفوا صبيانا ولكن رسول الله وكل رسول الله ابو امته فيما يرجع الى وجوب التوقير والتعظيم
له عليهم ووجوب الشفقة والنصيحة لهم عليه لا فى سائر الاحكام الثابتة بين الاباء والابناء
وزيد واحد من رجالكم الذين ليسوا باولاده حقيقة فكان حكمه حكمكم والتبنى من باب
الاختصاص والتقريب لا غير وخاتم النبيين بفتح التاء عاصم بمعنى الطابع اى اخرهم يعنى
والتقريب
لا ينبأ احد بعده وعيسى ممن نبئ قبله وحين ينزل عاملا على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم كانه
بعض امته وغيره بكسر التاء بمعنى الطابع وفاعل الختم وتقويه قراءة ابن مسعود ولكن نبيا
ختم النبيين وكان الله بكل شىء عليما يا ايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا اثنوا عليه
بضروب الثناء واكثروا ذلك وسبحوه بكرة اول النهار واصيلا اخر النهار وخصا بالذكر
لان ملائكة الليل وملائكة النهار يجتمعون فيهما وعن قتادة قالوا سبحان الله والحمد لله
ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم والفعلان اى اذكروا الله
وسبحوه مرجها الى البكرة والاصيل كقولك صم وصل فصل يوم الجمعة والتسبيح من جملة
الذكر وانما اختص من بين انواعه اختصاص جبرئيل وميكائيل من بين الملائكة ابانة بفضله
على سائر الاذكار لان معناه تنزيه ذاته عما لا يجوز عليه من الصفات وجاز ان يراد بالذكر
واكثاره تكثير الطاعات والعبادات فانها من جملة الذكر ثم خص من ذلك التسبيح بكرة
وهى صلوة الفجر واصيلا هى صلوة الظهر والعصر والمغرب والعشاء او صلوة الفجر والعشائين
هو الذى يصلى عليكم وملائكته لما كان من شان المصلى ان ينعطف فى ركوعه وسجوده استعير
لمن ينعطف على غيره حنوا وترؤفا كعائد المريض فى انعطافه عليه والمراة فى حنوها على ولدها
ثم كثر حتى استعمل فى الرحمة والترؤف ومنه قولهم صلى الله عليه وسلم اى ترحم عليك وترأف

والمراد بصلوة الملائكة قولهم اللهم صل على محمد المؤمنين جعلوا لكونهم مستجاب الدعوة كانهم
فاعلون الرحمة والرافة والمعنى هو الذى يترحم عليكم ويترأف حيث يدعوكم الى الخير و
يامركم باكثار الذكر والتوفر على الصلوة والطاعة ليخرجكم من الظلمات الى النور من ظلمات
المعصية الى نور الطاعة وكان بالمؤمنين رحيما هو دليل على ان المراد بالصلوة الرحمة وروى
انه لما نزل ان الله وملائكته يصلون على النبى قال ابو بكر ما خصك الله يا رسول الله بشرف
الا وقد اشركنا فيه فنزلت تحيتهم من اضافة المصدر الى المفعول اى يحيهم الله يوم يلقونه
يوم يرونه سلام يقول الله تعالى السلام عليكم واعد لهم اجرا كريما يعنى الجنة يا ايها النبى
انا ارسلناك شاهدا على من بعثت اليهم وعلى تكذيبهم وتصديقهم اى مقبولا قولك عند الله
لهم وعليهم كما يقبل قول الشاهد العدل فى الحكم وهو حال مقدرة كما تقول مررت برجل معه
صقر صائدا به غدا اى مقدرا به الصيد غدا ومبشرا للمؤمنين بالجنة ونذيرا للكافرين
صقر صائدا
بالنار وداعيا الى الله باذنه بامره او بتيسيره والكل منصوب على الحال وسراجا منيرا
جلى به الله ظلمات الشرك واهتدى به الضالون كما يجلى ظلام الليل بالسراج المنير ويهتدى به
والجمهور على انه القران فيكون التقدير وذا سراج منير او تاليا سراجا منيرا ووصف بالانارة
لان من السراج ما لا يضئ اذا قل تسليطه ودقت فتيلته او شاهدا بوحدانيتنا ومبشرا برحمتنا
ونذيرا بنقمتنا وداعيا الى عبادتنا وسراجا وحجة ظاهرة لحضرتنا وبشر المؤمنين بان لهم
من الله فضلا كبيرا ثوابا عظيما ولا تطع الكافرين والمنافقين المراد به التهييج او الدوام و
الثبات على ما كان عليه ودع اذيهم هو بمعنى الايذاء فيحتمل ان يكون مضافا الى الفاعل اى اجعل
ايذاءهم اياك فى جانب ولا تبال بهم ولا تخف من ايذائهم او الى المفعول اى دع ايذاءك اياهم
مكافاة لهم وتوكل على الله فانه يكفيكم وكفى بالله وكيلا وكفى به مفوضا اليه وقيل ان الله تعالى
وصفهم بخمسة اوصاف وقابل كلا منها بخطاب مناسب له قابل الشاهد بقوله وبشر المؤمنين
لانه يكون شاهدا على امته وهم يكونون شهداء على سائر الامم وهو الفضل الكبير والمبشر
بالاعراض عن الكافرين والمنافقين لانه اذا اعرض عنهم اقبل جميع اقباله على المؤمنين وهو
مناسب للبشارة والنذير بدع اذيهم لانه اذا ترك اذاهم فى الحاضر والاذى لا بد له من عقاب

عاجلا وآجلا كانوا منذرين به في المستقبل والداعي الى الله بتيسيره بقوله وتوكل على الله يسر عليه
كل عسير والسراج المنير بالاكتفاء به وكيلا لان من اناره الله برهانا على جميع خلقه كان جديرا
بان يكتفى به عن جميع خلقه يا ايها الذين امنوا اذا نكحتم المومنات اى تزوجتم والنكاح هو
الوطي في الاصل وتسمية العقد نكاحا لملابسته له من حيث انه طريق اليه كتسمية الخمر اثما لانها
سببه وكقول الراجز اسنمة الابال في سحابه وسمى الماء باسم الابال لانه سبب سمن الابال و
ارتفاع اسنمته ولم يرد لفظ النكاح في كتاب الله تعالى الا في معنى العقد لانه في معنى الوطي من باب
التصريح به ومن اداب القران الكناية عنه بلفظ الملامسة والمماسة والقربان والتغشي و
الاتيان وفي تخصيص المومنات مع ان الكتابيات تساوي المومنات في هذا الحكم اشارة الى ان
الاولى بالمومن ان ينكح مومنة ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن والخلوة الصحيحة كالمس فما لكم
عليهن من عدة تعتدونها فيه دليل على ان العدة تجب على النساء للرجال ومعنى تعتدونها
تستوفون عددها تفتعلون من العد فمتعوهن والمتعة تجب للتي طلقت قبل الدخول ولم
يسم لها مهرا دون غيرها وسرحوهن سراحا جميلا اى لا تمسكوهن ضرارا واخرجوهن من
منازلكم اذ لا عدة عليهن يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك اللاتي اتيت اجورهن مهورهن
اذ المهر اجر على البضع ولهذا قال الكرخي النكاح بلفظ الاجارة جايز وقلنا التابيد من شرط
النكاح والتاقيت من شرط الاجارة وبينهما منافاة وايتاءها اعطاءها عاجلا او فرضها
وتسميتها في العقد وما ملكت يمينك مما افاء الله عليك وهي صفية وجويرية فاعتقهما
فتزوجهما وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك
ومع ليس للقران بل بوجود ما فحسب كقوله واسلمت مع سليمان وعن ام هانى بنت ابي طالب
خطبني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت فعذرني فانزل الله تعالى هذه الاية فلم احل
لاني لم اهاجر معه وامراة مومنة ان وهبت نفسها للنبي واحللنا لك من وقع لها ان تهب لك
نفسها ولا تطلب مهرا من النساء المومنات ان اتفق لك ذلك ولذلك نكرها قال ابن عباس
هو بيان حكم في المستقبل ولم يكن عنده احد منهن بالهبة وقيل الواهبة نفسها ميمونة بنت الحارث
او زينب بنت خزيمة او ام شريك بنت جابر او خولة بنت حكيم وقرا الحسن ان بالفتح على التعليل

الاصل

بتقدير

بتقدير حذف اللام وقرا ابن مسعود رض بغير ان ان اراد النبي ان يستنكحها استنكاحها طلب
نكاحها والرغبة فيه وقيل نكح واستنكح بمعنى والشرط الثاني تقييد للشرط الاول شرط في الاحلال
هبتها نفسها وفي الهبة ارادة استنكاح رسول الله كانه قال احللناها لك ان وهبت لك نفسها
وانت تريد ان يستنكحها لان ارادته هي قبول الهبة وما به تتم وفيه دليل جواز النكاح بلفظ الهبة
لان رسول الله صلى الله عليه وسلم وامته سواء في الاحكام الا فيما خصه الدليل خالصة بلا مهر حال
من الضمير في وهبت او مصدر موكد اى خلص لك احلال ما احللنا لك خالصة بمعنى خلوصا والفاعلة في المصادر غير عزيز كالعافية والكاذبة لك من دون المومنين بل يجب المهر لغيرك
وان لم يسمه او نفاه عدل عن الخطاب الى الغيبة في قوله للنبي ان اراد النبي ثم رجع الى الخطاب للايذان
ان الاختصاص تكرمة لاجل النبوة وتكريره تفخيم له قد علمنا ما فرضنا عليهم في ازواجهم اى
ما اوجبنا من المهر على امتك في زوجاتهم او ما اوجبنا عليهم في ازواجهم من الحقوق وما ملكت
ايمانهم بالشرى وغيره من جهة الملك وقوله لكيلا يكون عليك حرج ضيق متصل بخالصة
لك من دون المومنين وقوله قد علمنا ما فرضنا عليهم في ازواجهم وما ملكت ايمانهم جملة اعتراضية
وكان الله غفورا رحيما بالتوسعة على عباده ترجي من تشاء بلا همز مدني وحمزة وعلي وخلف
وحفص والهمز غيرهم توخر من تشاء منهن وتووي اليك من تشاء بضم يعني تترك مضاجعة
من تشاء منهن وتضاجع من تشاء او تطلق من تشاء او لا تقسم لايتهن شئت وتقسم لمن شئت
او تترك تزوج من شئت من نساء امتك وتتزوج من شئت وهذه قسمة جامعة لما هو الغرض
لانه اما ان يطلق واما ان يمسك فاذا امسك ضاجع او ترك وقسم او لم يقسم واذا طلق
وعزل فاما ان يخلي المعزولة لا يبتغيها او يبتغيها وروي انه ارجاء منهن سودة وجويرية
وصفية وميمونة وام حبيبة وكان يقسم لهن ما شاء كما شاء وكانت ممن اوى اليه عايشة رض
وحفصة وام سلمة وزينب ارجى خمسا واوى اربعا وروي انه كان يسوي مع اطلاق او تخيير فيه
الا سودة فانها وهبت ليلتها لعايشة وقالت لا تطلقني حتى احشر في زمرة نسائك ومن ابتغيت
ممن عزلت فلا جناح عليك اى ومن دعوت الى فراشك وطلبت صحبتها ممن عزلت عن نفسك
بالارجاء فلا ضيق عليك في ذلك اى ليس اذا عزلتها لم يجز لك ردها الى نفسك ومن رفع بالابتداء

وخبره فلا جناح ذلك التفويض الى مشيتك ادنى ان تقر اعينهن ولا يحزن ويرضين بما اتيتهن
كلهن اى اقرب الى قرة عيونهن وقلة حزنهن ورضاهن جميعا لانه اذا علمن ان هذا التفويض
من عند الله اطمانت نفوسهن وذهبت التغاير وحصل الرضا وقرت العيون كلهن على ما
اتيتهن على التقديم وقرئ شاذا كلهن بالنصب تاكيدا لهن في اتيتهن والله يعلم ما في قلوبكم
فيه وعيد لمن لم يرض منهن بما دبر الله من ذلك وفوض الى مشية رسوله وكان الله عليما
بذات الصدور حليما لا يعاجل بالعقوبة فهو حقيق ان يتقى ويحذر لا يحل لك النساء وبالتاء
ابو عمرو ويعقوب وغيرهما بالتذكير لان التانيث لجمع غير حقيقي واذا جاز بغير فصل ففي
قال نسوة فمع الفصل اجوز من بعد من بعد التسع لان التسع نصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
من الازواج كما ان الاربع نصاب امته ولا ان تبدل بهن من ازواج بالطلاق والمعنى ولا ان تستبدل
بهولاء التسع ازواجا اخر بكلهن او ببعضهن كرامة لهن وجزاء على ما اخترن ورضين فقصر
رسول الله عليهن وهن التسع اللاتي جويرية ومن في ازواج التحريم ولو اعجبك حسنهن
في موضع الحال من الفاعل وهو الضمير في تبدل لا تتبدل من المفعول الذي هو من ازواج
لتوغله في التنكير وتقديره مفروضا اعجابك بهن وقيل هي اسماء بنت عميس امراة جعفر
بن ابي طالب فانها ممن اعجبه حسنهن وعن عايشة وام سلمة ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى احل الله له ان يتزوج من النساء ما يشاء يعني ان الاية ونسخها اما بالسنة او بقوله انا
احللنا لك ازواجك وترتيب النزول ليس على ترتيب المصحف الا ما ملكت يمينك استثنى
ممن حرم عليه الامام ومحل ما رفع بدل من النساء وكان الله على كل شيء رقيبا حافظا وهو
تحذير عن مجاوزة حدوده يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الى
طعام غير ناظرين اناه ان يؤذن لكم في موضع الحال اى لا تدخلوا الا ماذونا لكم او في معنى
الظرف تقديره وقت ان يؤذن لكم وغير ناظرين حال من لا تدخلوا وقع الاستثناء على
الوقت والحال معا كانه قيل لا تدخلوا بيوت النبي الا وقت الاذن ولا تدخلوها الا غير ناظرين
اى غير منتظرين وهولاء قوم كانوا يتحينون طعام رسول الله فيدخلون ويقعدون منتظرين
لادراكه ومعناه لا تدخلوا يا هولاء المتحينون الطعام الا ان يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين

تأنيث

اناه

اناه والى طعام ادراكه يقال انى الطعام انى كقولك قلاه قلى وقيل اناه وقته اى غير ناظرين وقت
الطعام وساعة اكله وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم اولم على زينب بتمر وسويق وشاة و
امر ان يدعو بالناس فترادفوا افواجا ياكل فوجا فيخرج ثم يدخل فوج الى ان قال يا رسول الله
دعوت حتى ما اجد احدا ادعوه فقال ارفعوا طعامكم وتفرق الناس وبقي ثلثة نفر يتحدثون
فاطالوا فقام رسول الله ليخرجوا وطاف بالحجرات وسلم عليهن ودعون له ورجع فاذا الثلثة
جلوس يتحدثون وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد الحياء فتولى فلما راوه متوليا خرجوا
فرجع ونزلت ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا اخرجوا ولا مستانسين لحديث
وهو مجرور معطوف على ناظرين او منصوب اى ولا تدخلوا مستانسين نهوا عن ان يطلبون
الجليس بتانس بعضهم ببعض لاجل حديث يحدثونه ان ذلكم كان يوذي النبي فيستحيي منكم
من اخراجكم والله لا يستحيي من الحق يعني ان اخراجكم ما ينبغي ان يستحيى منه ولما كان الحياء
مما يمنع الحيي سمه وهذا ادب ادب الله به الثقلاء وعن عايشة رض حسبك في الثقلاء ان الله
تعالى لم يحتملهم وقال فاذا طعمتم فانتشروا واذا سالتموهن الضمير نساء النبي صلى الله عليه وسلم
لدلالة بيوت النبي لان فيها نساؤه متاعا عارية او حاجة فاسالوهن المتاع من وراء حجاب
ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن من خاطر الشياطين وعوارض الفتن وكانت النساء قبل نزول
هذه يبرزن للرجال وكان عمر رض يحب ضرب الحجاب عليهن ويود ان ينزل فيه وقال يا رسول الله
يدخل عليكم البر والفاجر فلو امرت امهات المومنين بالحجاب فنزلت وذكر ان بعضهم
قال لهي ان نكلم بنات عمنا الا من وراء الحجاب لئن مات محمد لاتزوجن فلانة فنزل وما كان لكم
ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا اى وما صح لكم ايذاء رسول الله
ولا نكاح ازواجه من بعد موته ان ذلكم كان عند الله عظيما اى ذنبا عظيما ان تبدوا شيئا من اذى
النبي صلى الله عليه وسلم ومن نكاحهن او تخفوه في انفسكم من ذلك فان الله كان بكل شيء عليما
فيعاقبكم به ولما نزلت اية الحجاب قال الاباء والابناء والاقارب يا رسول الله او نحن ايضا
نكلمهن من وراء حجاب فنزلت لا جناح عليهن في ابائهن ولا ابنائهن ولا اخوانهن ولا ابناء
اخوانهن ولا ابناء اخواتهن ولا نسائهن اى نساء المومنات ولا ما ملكت ايمانهن اى الاماء

٢كان م

عليهن في ان لا يحتجبن من هؤلاء ولم يذكر العم والخال لانهما يجريان مجرى الوالدين وقد جاءت
تسمية العم ابا قال الله تعالى واله ابائك ابراهيم واسمعيل واسحق واسمعيل عم يعقوب وعبدهن
عند الجمهور كالاجانب ثم نقل الكلام من الغيبة الى الخطاب وفي هذا النقل فضل تشديد كانه قيل واتقين
الله فيما امرتن به من الاحتجاب وانزل فيه الوحي من الاستتار واحتطن فيه ان الله كان
على كل شيء شهيدا عالما قال ابن عطاء الشهيد الذي يعلم خطرات القلوب كما يعلم حركات
الجوارح ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين امنوا صلوا عليه اى قولوا اللهم صل على
محمد او صلى الله على محمد وسلموا تسليما اى قولوا اللهم سلم على محمد وانقادوا لاوامره وحكمه انقيادا
او سئل عليه الصلوة والسلام عن هذه الاية فقال ان الله وكل بي ملكين فلا اذكر عند عبد مسلم
فيصلي على الا قال ذانك الملكان غفر الله لك وقال الله وملائكته جوابا لذينك الملكين امين
ولا اذكر عند مسلم فلا يصلي على الا قال ذانك الملكان لا غفر الله وقال الله وملائكته لذينك
الملكين امين ثم هي واجبة مرة عند الطحاوي وكلما ذكر اسمه عند الكرخي وهو الاحتياط وعليه
الجمهور وان على غيره على سبيل التبع كقولك صلى الله على النبي واله فلا كلام فيها واما اذا افرد غيره
من اهل البيت بالصلوة فمكروه وهو من شعائر الروافض ان الذين يؤذون الله ورسوله
اى يؤذون رسول الله وذكر اسم الله للتشريف او عبر بايذاء الله ورسوله عن فعل ما لا
يرضى به الله ورسوله كالكفر وانكار النبوة مجازا وانما جعل مجازا فيهما وحقيقة
الايذاء يتصور في رسول الله لئلا يجتمع المجاز والحقيقة تحت لفظ واحد لعنهم الله
في الدنيا والاخرة طردهم عن رحمته في الدارين واعد لهم عذابا مهينا في الاخرة والذين
يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا اطلق ايذاء الله ورسوله وقيد ايذاء المؤمنين
والمؤمنات لان ذا يكون غير حق ابدا واما هذا فمنه حق كالحد والتعزير ومنه باطل وقيل
نزلت في ناس من المؤمنين يؤذون عليا رض ويسمعونه وقيل في زناة كانوا يتبعون النساء
وهن كارهات وعن الفضيل لا يحل لك ان تؤذي كلبا او خنزيرا بغير حق فكيف تؤذي المؤمنين
والمؤمنات فقد احتملوا بهتانا كذبا عظيما واثما مبينا ظاهرا يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك
ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن الجلباب ما يستر الكل مثل الملحفة عن المبرد ومعنى

يدنين

يدنين الجلباب عليهن من جلابيبهن ترخيها عليهن ويغطين بها وجوههن واعطافهن يقال
اذا زال الثوب عن وجه المرأة ادني ثوبك على وجهك اى ترخي بعض جلبابها وفضله على
وجهها تتقنع حتى تتميز من الامة او المراد ان يتجلببن ببعض ما لهن من الجلابيب اى لا تكون
المرأة متبذلة في درع وخمار كالامة ولها جلبابان فصاعدا في بيتها وذلك ان النساء في اول
الاسلام على هجيراهن من الجاهلية متبذلات تبرز المرأة في درع وخمار لا فصل بين الحرة والامة
وكان الشبان يتعرضون اذا خرجن بالليل لقضاء حوائجهن في النخيل والغيطان للاماء
وربما تعرضوا للحرة بحسبان الامة فامرن ان يخالفن بزيهن عن زي الاماء بلبس الملاحف
وستر الرؤس والوجوه فلا يطمع فيهن طامع وذلك قوله ذلك ادنى ان يعرفن فلا يؤذين
اى اولى واجدر بان يعرفن فلا يتعرض لهن وكان الله غفورا لما سلف منهن من التفريط
رحيما بتعليمهن اداب المكارم لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض فجور وهم
الزناة من قوله فيطمع الذي في قلبه مرض والمرجفون في المدينة هم ناس كانوا يرجفون
باخبار السوء عن سرايا رسول الله فيقولون هزموا وقتلوا وجرى عليهم كيت وكيت
فيكسرون بذلك قلوب المؤمنين يقال ارجف بكذا اذا اخبر به على غير حقيقة لكونه خبرا
متزلزلا غير ثابت من الرجفة وهي الزلزلة لنغرينك بهم لنامرنك بقتالهم او لنسلطنك
عليهم ثم لا يجاورونك فيها في المدينة وهو عطف على لنغرينك لانه يجوز ان يجاب به القسم
لصحة قولك لئن لم ينتهوا لا يجاورونك ولما كان الجلاء عن الوطن اعظم في جميع ما اصيبوا به
عطف بثم لبعد حاله عن حال المعطوف عليه الا قليلا زمانا قليلا والمعنى لئن لم ينته المنافقون
عن عداوتهم وكيدهم والفسقة عن فجورهم والمرجفون عما يؤلفون من اخبارهم السوء
لنامرنك بان تفعل بهم الافعال التي تسوءهم ثم بان تضطرهم الى طلب الجلاء عن المدينة والى
ان لا يساكنوك فيها الا زمنا قليلا ريثما يرتحلون فسمى ذلك اغراء وهو التحريش على سبيل المجاز
ملعونين فالاستثناء نصب على الشتم او الحال اى لا يجاورونك الا ملعونين فالاستثناء دخل
على الظرف والحال معا كما مر ولا ينتصب عن اخذوا لان ما بعد حرف الشرط لا يعمل فيما قبلها
اينما ثقفوا وجدوا اخذوا وقتلوا تقتيلا والتشديد يدل على التكثير سنة الله في موضع مصدر

مصدر مؤكد اى سنة الله فى الذين ينافقون الانبياء ان يقتلوا اينما وجدوا فى الذين خلوا
مضوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا اى لا يبدل الله سنته بل يجريها مجرى واحدا فى الامم
يسألك الناس عن الساعة كان المشركون يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت
قيام الساعة استعجالا على سبيل الهزء واليهود ويسألونه امتحانا لان الله تعالى عمى وقتها فى
التورية فى كتاب فامر رسول الله ان يجيبهم بانه علم قد استأثر الله تعالى به ثم بين لرسوله
انها قريبة الوقوع تهديدا للمستعجلين واسكاتا للممتحنين بقوله قل انما علمها عند الله وما
يدريك لعل الساعة تكون قريبا شيئا قريبا او لان الساعة فى معنى الزمان ان الله لعن
الكافرين واعد لهم سعيرا نارا شديدة الايقاد خالدين فيها ابدا هنا يرد مذهب
الجهمية لانهم يزعمون ان الجنة والنار يفنيان ولا تقف على سعيرا لان خالدين حال
عن الضمير فى لهم لا يجدون وليا ولا نصيرا ناصرا يمنعهم اذكر يوم تقلب وجوههم فى
النار تصرف فى الجهات كما ترى البضعة تدور فى القدر اذا غلت وخصت الوجوه لان
الوجه اكرم موضع على الانسان من جسده او يكون الوجه عبارة عن الجملة يقولون حال
يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا فنتخلص من هذا العذاب فتمنوا حين لا ينفع التمنى
وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا جمع سيد ساداتنا شامى وسهل ويعقوب جمع الجمع و
المراد رؤساء الكفرة الذين لقنوهم الكفر وزينوه لهم وكبراءنا ذوى الاسنان منا او
علماءنا فاضلونا السبيلا يقال ضل السبيل واضله اياه وزيادة الالف لاطلاق الصوت
جعلت فواصل الآى كقوافى الشعر وفائدتها الوقف والدلالة على ان الكلام قد انقطع
وان ما بعده مستانف ربنا آتهم ضعفين من العذاب للضلال والاضلال والعنهم
لعنا كبيرا بالباء عاصم ليدل على اشد اللعن واعظمه وغيره بالثاء تكثير الاعداد للعائذين
ونزل فى شان زيد وزينب وما سمع فيه من قالة بعض الناس يا ايها الذين امنوا لا تكونوا
كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا ما مصدرية او موصولة ايهما كان فالمراد البراءة
عن مضمون القول ومؤداه وهو الامر المعيب واذى موسى عليه السلام وهو حديث المومسة
التى ارادها قارون على قذفه بنفسها او اتهامهم اياه بقتل هارون فاحياه الله فاخبرهم

برايه

ببراءه موسى كما براء نبينا عليه السلام بقوله ما كان محمد ابا احد من رجالكم وكان عند الله وجيها
ذا جاه ومنزلة ومستجاب الدعوة وقرأ ابن مسعود والاعمش وكان عبد الله وجيها يا ايها
الذين امنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا صدقا وصوابا او قاصدا الى الحق والسداد القصد
الى الحق والقول بالعدل والمراد نهيهم عما خاضوا فيه من حديث زينب من غير قصد وعدل
فى القول والبعث على ان يسدّ قولهم فى كل حديث زينب من غير قصد كل باب لان حفظ
اللسان وسداد القول راس الخير كله ولا يقف على سديدا لان جواب الامر قوله يصلح لكم
اعمالكم يقبل طاعتكم او يوفقكم صالح الاعمال ويغفر لكم ذنوبكم اى يمحها والمعنى راقبوا الله
فى حفظ السنتكم وتسديد قولكم فانكم ان فعلتم ذلك اعطاكم الله ما هو غاية الطلبة من تقبل
حسناتكم والاثابة عليها ومن مغفرة سياتكم وتكفيرها وهذه الاية مقررة للتى قبلها بنيت
تلك على النهى عما يؤذى رسول الله وهذه على الامر باتقاء الله فى حفظ اللسان ليترادف
عليهم النهى والامر مع اتباع النهى ما يتضمن الوعيد من قصة موسى عليه السلام واتباع الامر
الوعد البليغ فيقوى الصارف عن الاذى والداعى الى تركه ولما بالطاعة الفوز العظيم بقوله
ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما اتبعه قوله انا عرضنا الامانة على السموات
والارض والجبال وهو يريد بالامانة الطاعة لله وبحمل الامانة الخيانة يقال فلان حامل
للامانة ومحتمل لها اى لا يؤديها الى صاحبها حتى تزول عن ذمته اذ الامانة كانها راكبة
للمؤتمن عليها وهو حاملها ولهذا يقال ركبته الديون ولى عليه حق فاذا اداها لم تبق راكبة
له ولا هو حاملا لها يعنى ان هذه الاجرام العظام من السموات والارض والجبال قد انقادت
لامر الله انقياد مثلها وهو ما يتأتى من الجمادات واطاعت له الطاعة التى تليق بها حيث
لم تمتنع على مشيئته وارادته ايجادا وتكوينا وتسوية على هيئات مختلفة واشكال متنوعة كما
قال ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين
واخبر ان الشمس والقمر والنجوم والشجر والدواب يسجدون لله وان من الحجارة لما يهبط
من خشية الله واما الانسان فلم يكن حاله فيما يصح منه من الطاعة وتليق به من الانقياد
لاوامر الله ونواهيه وهو حيوان عاقل صالح للتكليف مثل حال تلك الجمادات فيما يصح منها

ويليق بها من الانقياد وعدم الامتناع وهذا معنى قوله فابين ان يحملنها اى ابين الخيانة فيها و
ان لا يؤدينها واشفقن منها وخفن من الخيانة فيها وحملها الانسان اى خان فيها والى الا ان
لا يؤديها انه كان ظلوما لكونه تاركا لاداء الامانة جهولا لاخطائه ما يسعده مع تمكنه منه
وهو اداؤها قال الزجاج الكافر والمنافق حملا الامانة اى خانا ولم يطيعا ومن اطاع من الانبياء
والمؤمنين فلا يقال كان ظلوما جهولا وقيل معنى الاية ان ما كلفه الانسان بلغ من عظمه انه
عرض على اعظم ما خلق الله من الاجرام واقواه فابى حمله واشفق منه وحمله الانسان
على ضعفه انه كان ظلوما جهولا حيث حمل الامانة ثم لم يف بها وضمنها
ثم خاس بضمانه فيها ونحو هذا من الكلام كثير فى لسان العرب وما جاء القران الا على
اساليبهم من ذلك قولهم لو قيل للشحم اين تذهب لقال اسوى العوج واللام فى ليعذب
الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات للتعليل لان تعذيب هنا نظير التاديب
فى قولك ضربته للتاديب فلا تقف على جهولا ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات
وقراء الاعمش ويتوب ليجعل العلة قاصرة على فعل الحامل ويبتدى ويتوب الله
ومعنى المشهورة ليعذب الله حامل الامانة ويتوب على غيره ممن لم يحملها لانه اذا تيب
على الوافى كان نوعا من عذاب الغادر او للعاقبة اى حملها الانسان فآل الامر الى تعذب
الاشقياء وقبول توبة السعداء وكان الله غفورا للتائبين رحيما لعبادة المؤمنين

سورة السباء مكية وهى اربع وخمسون اية بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد ان اجرى على الاستغراق فلكل المحامد الاستحقاق لله بلام التمليك لانه خالق ناطق
الحمد اصلا فكانه يملكه مالك الحمد للتحميد اهل الذى له ما فى السموات وما فى الارض خلقا
وملكا وقهرا فكان حقيقا بان يحمد سرا وجهرا وله الحمد فى الاخرة كما هو فى الدنيا اذ النعم
فى الدارين من المولى غير ان الحمد هنا واجب لان الدنيا دار تكليف وثم لا لعدم التكليف
وانما يحمد اهل الجنة سرورا بالنعم وتلذذا بما نالوا من الاجر العظيم بقولهم الحمد لله الذى صدقنا
وعده الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن وهو الحكيم بتدبيرها فى السماء والارض الخبير بضميره
من يحمده ليوم الجزاء والغرض يعلم مستانف ما يلج يدخل فى الارض من الاموات والدفائن
وما يخرج منها من النبات وجواهر المعادن وما ينزل من السماء من الامطار وانواع البركات
وما يعرج فيها يصعد اليها من الملائكة والدعوات وهو الرحيم بانزال ما يحتاجون اليه
الغفور لما يجترون عليه وقال الذين كفروا اى منكروا البعث لا تاتينا الساعة نفى للبعث
وانكار لمجئ الساعة قل بلى اوجب ما بعد النفى ببلى على معنى ليس الا اتيانها وربى لتاتينكم
ثم اعيد ايجابه مؤكدا بما هو الغاية فى التوكيد والتشديد وهو التوكيد باليمين بالله عز وجل
ثم امد التوكيد القسمى بما اتبع المقسم به من الوصف بقوله عالم الغيب لان عظم حال المقسم
به تؤذن بقوة حال المقسم عليه وبشدة ثباته واستقامته لانه بمنزلة الاستشهاد على الامر و
كلما كان المستشهد به ارفع منزلة كانت الشهادة اقوى واكد والمستشهد عليه اثبت وارسخ
ولما كان قيام الساعة من مشاهير الغيوب وادخلها فى الخفية كان الوصف بما يرجع الى
عالم الغيب اولى واحق عالم الغيب مدنى وشامى اى هو عالم الغيب علام الغيب حمزة
وعلى على المبالغة لا يعزب عنه بكسر الزاء على يقال عزب يعزب ويعزب اذا غاب وبعد
مثقال ذرة مقدار اصغر نملة فى السموات ولا فى الارض ولا اصغر من ذلك من مثقال
ذرة فى اللوح المحفوظ ولا اصغر ولا اكبر الا فى كتاب مبين بالرفع عطف على مثقال ذرة
ويكون الا بمعنى لكن او رفعا بالابتداء والخبر فى كتاب واللام فى ليجزى الذين امنوا و
عملوا الصالحات اولئك لهم مغفرة لما قصروا فيه من مدارج الايمان ورزق كريم لما جروا
عليه من مناهج الاحسان متعلق بلتاتينكم تعليلا له والذين سعوا فى اياتنا جاهدوا
فى رد القران معاجزين مسابقين ظانين انهم يفوتوننا معجزين مكى وابو عمرو اى مثبطين
الناس عن اتباعها وتاملها او ناسبين الله تعالى الى العجز اولئك لهم رزق عذاب
من رجز اليم برفع الميم مكى وحفص ويعقوب صفة لعذاب اى عذاب اليم من سى
العذاب قال قتادة الرجز سوء العذاب وغيرهم بالجر صفة للرجز ويرى فى موضع الرفع
بالاستيناف اى ويعلم الذين اوتوا العلم يعنى اصحاب رسول الله ومن يطاء اعقابهم من
امته او علماء اهل الكتاب الذين اسلموا كعبد الله بن سلام وكعب الاحبار والمفعول الاول
ليرى الذى انزل اليك من ربك يعنى القران هو الحق اى الصدق وهو فصل والحق مفعول

ثان او فى موضع النصب معطوف على ليجزى اى وليعلم اولوا العلم عند مجيئ الساعة انه الحق
علما لا يزاد عليه فى الايقان ويهدى الله او الذى انزل اليك الى صراط العزيز الحميد وهو دين
الله وقال الذين كفروا قال قريش بعضهم لبعض هل ندلكم على رجل يعنون محمدا صلى الله
عليه وسلم وانما انكروه مع انه كان مشهورا علما فى قريش وكان انباءه بالبعث شايعا عندهم
تجاهلا به وبامره وباب التجاهل فى البلاغة والى سحرها ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفى
خلق جديد اى يحدثكم باعجوبة من الاعاجيب انكم تبعثون وتنشأون خلقا جديدا بعد
ان تكونوا رفاتا وترابا ويمزق اجسادكم البلى كل ممزق اى يفرقكم كل تفريق فالممزق مصدر
بمعنى التمزيق فالعامل فى اذا ما دل عليه انكم لفى خلق جديد اى تبعثون والجديد فعيل
بمعنى فاعل عند البصريين تقول جد فهو جديد كقل فهو قليل ولا يجوز انكم بالفتح للام
فى خبره افترى على الله كذبا او مفتر على الله كذبا فيما ينسب اليه من ذلك والهمزة للاستفهام
وهمزة الوصل حذفت استغناء عنها ام به جنة جنون يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه
بل الذين لا يؤمنون بالآخرة فى العذاب والضلال البعيد ثم قال سبحانه ليس محمد من الافترا
والجنون فى شئ وهو مبرا منهما بل هؤلاء القائلون الكافرون بالبعث واقعون فى عذاب
النار وفيما يؤديهم اليه من الضلال عن الحق وهم غافلون عن ذلك وذلك اجن الجنون
جعل وقوعهم فى العذاب رسيلا لوقوعهم فى الضلال كانهما كائنان فى وقت واحد لان
الضلال لما كان العقاب من لوازمه جعل كانهما مقترنان ووصف الضلال بالبعيد من
اسناد المجازى لان البعيد صفة الضال من ضلاله ابعد عن الجادة افلم يروا الى ما بين
ايديهم وما خلفهم من السماء والارض ان نشأ نخسف بهم بالادغام على التقارب بين
الفاء والباء وضعفه البعض لزيادة صوت الفاء على الباء الارض او نسقط بالثلاثة
بالياء كوفى غير عاصم كقوله افترى على الله كذبا عليهم كسفا كسفا حفص من السماء اى اعموا
فلم ينظروا الى السماء والارض وانهما حيث ما كانوا واينما ساروا امامهم وخلفهم محيطان
بهم لا يقدرون ان ينفذوا من اقطارهما وان يخرجوا عما فيه من ملكوت الله ولم يخافوا
ان نخسف الله بهم او يسقط عليهم كسفا لتكذيبهم الآيات وكفرهم بالرسول وبما جاء به

كما فعل

كما فعل بقارون واصحاب الايكة ان فى ذلك النظر الى السماء والارض والفكر فيهما وما
يدلان عليه من قدرة لآية لدلالة لكل عبد منيب راجع بقلبه الى ربه مطيع له اذ المنيب
لا يخلو من النظر فى آيات الله على انه قادر على كل شئ من البعث ومن عقاب من يكفر به ولقد
آتينا داود منا فضلا يا جبال بدل من فضلا او من آتينا بتقدير قولنا يا جبال اوبى معه من
التأويب او رجعى معه التسبيح ومعنى تسبيح الجبال ان الله يخلق فيها تسبيحا فيسمع منها كما
يسمع من المسبح معجزة لداود عليه السلام والطير عطف على محل الجبال والطير يريد عطف على
لفظ الجبال وفى هذا النظم من الفخامة التى لا تخفى حيث جعلت الجبال بمنزلة العقلاء الذين
اذا امرهم اطاعوا واذا دعاهم اجابوا اشعارا بانه من حيوان وجماد الا وهو منقاد لمشيته
ولو قال آتينا داود منا فضلا تأويب الجبال معه والطير لم تكن فيه الفخامة والنا له الحديد
وجعلناه له لينا كالطين والعجين يصرفه بيده كيف يشاء من غير نار ولا ضرب بمطرقة و
قيل لان الحديد فى يده لما اوتى من شدة القوة ان اعمل ان بمعنى اى لى امرناه ان عمل سابغات
دروعا واسعة تامة من السبوغ وهو اول من اتخذها وكان يبيع الدرع باربعة الاف فينفق منها
على نفسه وعياله ويتصدق على الفقراء وقيل كان يخرج متنكرا فيسأل الناس عن نفسه
ويقول لهم ما تقولون فى داود فيثنون عليه فبعث الله له ملكا فى صورة آدمى فسأله
عن عادته فقال نعم الرجل لولا خصلة فيه وهو انه يطعم عياله من بيت المال فسأل عند ذلك
ربه ان يسبب له ما يستغنى به عن بيت المال فعلمه صنعة الدروع وقدر فى السرد ولا تجعل
المسامير دقاقا فتقلق ولا غلاظا فتفصم الحلق والسرد نسج الدروع واعملوا الضمير لداود
واهله صالحا خالصا يصلح القبول انى بما تعملون بصير فاجازيكم عليه ولسليمان الريح اى و
سخرنا لسليمان الريح وهى الصبا ورفع الريح ابو بكر وحماد والمفضل اى ولسليمان الريح مسخرة
غدوها شهر ورواحها شهر جريها بالغداة مسيرة شهر وجريها بالعشى كذلك وكان يغدو من
دمشق فيقيل باصطخر فارس وبينهما مسيرة شهر ويروح من اصطخر فيبيت بكابل وبينهما مسيرة
شهر للراكب المسرع وقيل كان يتغدى بالرى ويتعشى بسمرقند واسلنا له عين القطر اى معدن
النحاس وهو الصفر ولكنه اساله وكان يسيل فى شهر ثلاثة ايام كما يسيل الماء وكان قبل سليمان

لايدوب وسماه عين القطر باسم ما آل اليه ومن الجن من يعمل في موضع نصب اى وسخرنا له من
الجن من يعمل بين يديه باذن ربه بامره ومن يزغ منهم ومن يعدل عن امرنا به من طاعة سليمان
نذقه من عذاب السعير عذاب الاخرة وقيل كان معه كان ملك بيده سوط من نار فمن
زاغ عن امر سليمان ضربه ضربة احرقته يعملون له ما يشاء من محاريب اى مساجد او
مساكن وتماثيل اى صور السباع والطيور وروى انهم عملوا له اسدين في اسفل كرسيه
ونسرين فوقه فاذا اراد ان يصعد بسط الاسدان له ذراعيهما واذا قعد اظله النسران
باجنحتهما وكان التصوير مباحا حينئذ وجفان جمع جفنة كالجواب جمع جابية وهي
الحياض الكبار قيل كان يقعد على الجفنة الف رجل كالجوابي في الوقف والوصل مكي ويعقوب
وسهل ووافق ابو عمرو في الوصل الباقون بغير ياء اكتفاء بالكسر وقدور راسيات
ثابتات على الاثافي لا تنزل عنها لعظمها وقيل انها باقية باليمن وقلنا لهم اعملوا يا آل داود
شكرا على الاثافي لا تنزل عنها اى ارحموا اهل البلاء وسلوا ربكم العافية عن الفضيل
وشكرا مفعول له او حال اى شاكرين او اشكروا شكرا لان اعملوا فيه معنى شكروا من حيث
ان العمل للمنعم شكر له او مفعول به يعنى انا سخرنا لكم الجن يعملون لكم ما شئتم فاعملوا انتم
شكرا وسئل الجنيد عن الشكر فقال بذل المجهود بين يدى المعبود وقليل من عبادى بسكون
الياء حمزة وغيره بفتحها الشكور المتوفر على اداء الشكر الباذل وسعه فيه قد شغل به قلبه
ولسانه وجوارحه اعتقادا واعترافا وكدحا وعن ابن عباس من يشكر على احواله كلها وقيل
من يشكر على الشكر او من يرى عجزه عن الشكر وعن داود انه جزاء ساعات الليل والنهار
على اهله فلم تكن تاتى ساعة من الساعات الا وانسان من آل داود على موته الا دابة الارض
اى الارضة وهى دويبة يقال لها سرفة والارض فعلها فاضيفت اليه يقال ارضت الخشبة ارضا
اذا اكلها الارضة تاكل منساته والمنساة العصا لانه ينسا بها اى يطرد وبمنساته بغير همزة مدنى
وابو عمرو فلما خر سقط سليمان تبينت الجن علمت الجن كلهم علما بينا بعد التباس الامر على عامتهم
وضعفتهم ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا بعد موت سليمان في العذاب المهين وروى
ان داود عليه السلام اسس بناء بيت المقدس في موضع فسطاس موسى عليه السلام فمات قبل ان

فلما قضينا عليه الموت اى على سليمان ما دلهم اى الجن او آل داود

يتم فوصى به الى سليمان فامر الشياطين باتمامه فلما بقى من عمره سنة سال ان يعمى عليهم موته حتى يفرغوا
منه وليبطل دعواهم علم الغيب وكان عمر سليمان ثلثا وخمسين سنة ملك وهو ابن ثلث عشرة
سنة فبقى في ملكه اربعين سنة وابتداء بناء بيت المقدس لاربع مضين من ملكه وروى انه افريدون
جاء ليصعد كرسيه فلما دنا ضرب الاسدان ساقه فكسراها فلم يجسر احد بعده ان يدنو منه لقد
كان لسباء بالصرف بتاويل الحى وبعدمه ابو عمرو بتاويل القبيلة في مسكنهم حمزة وحفص
مسكنهم على وخلف وهو موضع سكناهم وهو بلدهم وارضهم التى كانوا مقيمين فيها باليمن
او مسكن كل واحد منهم غيرهم مساكنهم اية اسم كان جنتان بدل من اية او خبر مبتدا محذوف
تقديره الاية جنتان ومعنى كونهما اية ان اهلها لما اعرضوا عن شكر الله سلبهم الله النعمة ليقبلوا
ويتعظوا فلا يعودوا الى ما كانوا عليه من الكفر وغمط النعم او جعلهما اية اى علامة دالة على
قدرة الله واحسانه ووجوب شكره عن يمين وشمال اراد جماعتين من البساتين جماعة عن
يمين بلدهم واخرى عن شمالها وكل واحد من الجماعتين في تقاربها وتضامها كانها جنة واحدة
كما تكون بساتين البلاد العامرة او اراد بستانى كل رجل منهم عن يمين مسكنه وشماله كلوا من رزق
ربكم واشكروا له حكاية لما قال لهم انبياء الله المبعوثون اليهم او لما قال لهم لسان الحال او هم
احقاء بان يقال لهم ذلك ولما امرهم بذلك اتبعه قوله بلدة طيبة ورب غفور اى هذه
البلدة التى فيها رزقكم بلدة طيبة وربكم الذى رزقكم وطلب شكركم رب غفور لمن شكره
قال ابن عباس كانت سبا على ثلث فراسخ من صنعاء وكانت اخصب البلاد وتخرج المراة وعلى
راسها المكتل فتعمل بيديها وتسير بين تلك الشجر فيمتلى المكتل مما يتساقط فيه من الثمر وطيبها
ليس فيها بعوض ولا ذباب ولا برغوث ولا عقرب ولا حية ومن يمر بها من الغرباء يموت
قمله لطيب هوائها فاعرضوا عن دعوة انبيائهم وكذبوهم وقالوا ما نعرف الله علينا نعمة
فارسلنا عليهم سيل العرم اى المطر الشديد او العرم اسم الوادى او الجرذ الذى نقب عليهم
السكر قالوا لما طغوا سلط الله عليهم فنقبه من اسفله فغرقهم وبدلناهم بجنتيهم المذكورتين
جنتين وتسمية البدل جنتين للمشاكلة وازدواج الكلام كقوله جزاء سيئة سيئة مثلها ذواتى
اكل خمط الاكل الثمر يثقل ويخفف وهو الحرمى نافع ومكى والخمط شجر الاراك وكل شجر ذى

شوك واثل وشيء من سدر قليل الاثل شجر يشبه طرفاء اعظم منه واجود عودا ووجه من نون
الاكل وهو غير ابي عمرو ان اصله ذواتي اكل اكل خمط فحذف المضاف واقيم المضاف اليه او وصف
الاكل بالخمط كانه قيل ذواتي برير والاثل والسدر معطوفان على اكل لا على خمط لان الاثل لا اكل له
وعن الحسن قلل السدر لانه اكرم ما بدلوا لانه يكون في الجنان ذلك جزيناهم بما كفروا اي جزيناهم
ذلك بكفرهم فهو مفعول ثان مقدم وهل نجازي الا الكفور كوفي غير ابي بكر وهل يجازى بمثل
هذا الجزاء الا من كفر النعمة ولم يشكرها او كفر بالله او هل يعاقب لان الجزاء وان كان عاما يستعمل
في معنى المعاقبة وفي معنى الاثابة لكن المراد الخاص وهو العقاب وعن الضحاك كانوا في الفترة
التي بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما والسلام وجعلنا بينهم بين سبا وبين القرى التي باركنا
فيها بالتوسعة على اهلها في النعم والمياه وهي قرى الشام قرى ظاهرة متواصلة اصله يرى
بعضها من بعض لتقاربها فهي ظاهرة لاعين الناظرين او ظاهرة للسابلة لم تبعد لمسالكهم حتى
يخفى عليهم وهي اربعة الاف وسبعماية قرية متصلة من سبا الى الشام وقدرنا فيها السير اي
جعلنا هذه القرى على مقدار معلوم يقيل المسافر في قرية ويروح في اخرى الى ان يبلغ الشام
سيروا فيها وقلنا لهم سيروا ولا قول ثم ولكنهم لما مكنوا من السير وسويت لهم اسبابه
فكانهم امروا بذلك ليالي واياما امنين اي سيروا فيها ان شئتم بالليل وان شئتم بالنهار فان
الامن فيها لا يختلف باختلاف الاوقات او سيروا فيها امنين لا تخافون عدوا ولا جوعا
ولا عطشا وان تطاولت مدة سفركم امتدت اياما وليالي فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا
قالوا ليتها كانت بعيدة فنسير على نخاسا ونربح في التجارات ونفاخر في الدواب والاسباب
بطروا النعمة وملوا العافية فطلبوا الكد والتعب بعد مكي وابو عمرو وظلموا بما قالوا انفسهم
فجعلناهم احاديث يتحدث الناس بهم ويتعجبون من احوالهم ومزقناهم كل ممزق وفرقناهم
تفريقا اتخذه الناس مثلا مضروبا يقولون ذهبوا ايدي سبا وتفرقوا ايادي سبا فلحق غسان
بالشام وانمار بيثرب وجذام بتهامة والازد بعمان ان في ذلك لايات لكل صبار عن المعاصي
شكور للنعم او لكل مؤمن لان الايمان نصفان نصفه شكر ونصفه صبر ولقد صدق عليهم ابليس
ظنه بتشديد الدال كوفي اي حقق عليهم ظنه او وجده صادقا وبالتخفيف غيرهم اي صدق في ظنه

فاتبعوه

فاتبعوه الضمير في عليهم واتبعوه لاهل سبا او لبني ادم وقلل المؤمنين بقوله الا فريقا من
المؤمنين لقلتهم بالاضافة الى الكفار ولا تجد اكثرهم شاكرين وما كان له عليهم لابليس
على الذين صار ظنه فيهم صدقا من سلطان من تسلط واستيلاء بالوسوسة الا لنعلم موجودا
ما علمناه معدوما والتغير على المعلوم لا على العلم من يؤمن بالاخرة ممن هو منها في شك
وربك على كل شيء حفيظ محافظ عليه وفعيل ومفاعل متاخيان قل للمشركين قل ادعوا
الذين زعمتم من دون الله زعمتموهم الهة من دون الله فالمفعول الاول الضمير الراجع
الى الموصول وحذف كما حذف في قوله اهذا الذي بعث الله رسولا استخفافا لطول
الموصول بصلته والمفعول الثاني الهة وحذف لانه موصوف صفته من دون الله والموصوف
يجوز حذفه واقامة الصفة مقامه اذا كان مفهوما فاذن مفعولا زعم محذوفان
بسببين مختلفين والمعنى ادعوا الذين عبدتموهم من دون الله من الاصنام والملائكة
وسميتموهم باسمه والتجئوا اليهم فيما يعروكم كما تلتجئون اليه وانتظروا استجابتهم
لدعائكم كما تنتظرون استجابته ثم اجاب عنهم بقوله لا يملكون مثقال ذرة من خير او
شر او نفع او ضر في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك وما لهم في هذين الجنسين
من شركة في الخلق ولا في الملك وما له تعالى منهم من الهتهم من ظهير من عوين يعينه على تدبير
خلقه يريد انهم على هذه الصفة من العجز فكيف يصح ان يدعوا ويرجوا كما يرجى ولا تنفع
الشفاعة عنده الا لمن اذن له اي اذن الله له يعني الا لمن وقع الاذن للشفيع لاجله وهي
اللام الثانية في قولك اذن لزيد لعمرو اي لاجله وهذا تكذيب لقولهم هؤلاء شفعاؤنا
عند الله اذن له كوفي غير عاصم الا الاعشى حتى اذا فزع عن قلوبهم اي كشف الفزع عن
قلوب الشافعين والمشفوع لهم بكلمة يتكلم بها رب العزة في اطلاق الاذن وفزع شامي
اي الله تعالى والتفزيع ازالة الفزع وحتى غاية لما فهم من ان ثم انتظارا للاذن وتوقفا
وفزعا من الراجين للشفاعة والشفعاء هل يؤذن لهم او لا يؤذن لهم كانه قيل يتربصون
ويتوقفون مليا فزعين حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا سال بعضهم بعضا ماذا قال ربكم
قالوا الحق اي القول الحق وهو الاذن بالشفاعة لمن ارتضى وهو العلي الكبير ذو العلو والكبرياء

ليس لملك ولا نبي ان يتكلم ذلك اليوم الا باذنه وان يشفع لمن ارتضى قل من يرزقكم من السموات
والارض قل الله امره بان يقررهم بقوله من يرزقكم ثم امره بان يتولى الاجابة والاقرار
عنهم بقوله يرزقكم الله وذلك للاشعار بانهم مقرون به بقلوبهم الا انهم ربما ابوا
ان يتكلموا به لانهم ان تفوهوا بان الله وارزقهم لزمهم ان يقال لهم فما لكم لا تعبدون
من يرزقكم وتوثرون عليه من لا يقدر على الرزق وامره ان يقول لهم بعد الالزام والالجام
الذي ان لم يزد على اقرارهم بالسنتهم لم يتقاصر عنه وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين
ومعناه وان احد الفريقين من الموحدين ومن المشركين لعلى احدى الامرين من الهدى والضلال
وهذا من كلام المصنف الذي كل من سمعه من موال او مناف قال لمن خوطب به قد انصفك
صاحبك وفي درجه بعد تقدمة ما تقدم من التقرير دلالة غير خفية على من هو من
الفريقين على الهدى ومن هو في الضلال المبين ولكن التعريض اوصل بالمجادل الى الغرض ونحوه
قولك للكاذب ان احدنا لكاذب وخولف بين حرفي الجر الداخلين على الهدى والضلال لان
صاحب الهدى كانه مستعل على فرس جواد يركض حيث شاء والضال كانه في ظلام لا يدري
اين يتوجه قل لا تسالون عما اجرمنا ولا نسال عما تعملون هذا ادخل في الانصاف من الاول
حيث اسند الاجرام الى المخاطبين وهو ما مور به مشكور قل يجمع بيننا ربنا يوم القيمة ثم
يفتح يحكم بيننا بالحق بلا جور وميل وهو الفتاح الحاكم العليم بالحكم قل اروني الذين الحقتم
اي الحقتم به بالله شركاء في العبادة معه ومعنى قوله اروني وكان يراهم ان يريهم الخطاء
العظيم في الحاق الشركاء بالله وان يطلعهم على احالة الاشراك به كلا ردع وتنبيه اي ارتدعوا
عن هذا القول وتنبهوا عن ضلالكم بل هو الله العزيز الغالب فلا يشارك احد وهو ضمير الشان
الحكيم في تدبيره وما ارسلناك الا كافة للناس الا رسالة عامة لهم محيطة بهم لانها اذا
شملتهم فقد كفتهم ان يخرج منها احد منهم وقال الزجاج معنى الكافة في اللغة الاحاطة
والمعنى ارسلناك جامعا للناس في الانذار والابلاغ فجعله حالا من الكاف والتاء على هذا
للمبالغة كتاء الرواية والعلامة بشيرا بالفضل لمن اقر ونذيرا بالعدل لمن اضر ولكن اكثر الناس
لا يعلمون فيحملهم جهلهم على مخالفتك ويقولون متى هذا الوعد اي القيامة المشار اليها في قوله

ضلالكم

قل يجمع

قل يجمع بيننا ربنا ان كنتم صادقين قل لكم ميعاد يوم الميعاد ظرف الوعد من مكان او
زمان وهو هنا الزمان ويدل عليه قراءة من قرا ميعاد يوم فابدل منه اليوم واما
الاضافة فاضافة تبيين كما تقول بعير ثانية لا تستاخرون عنه ساعة ولا تستقدمون اي
لا يمكنكم التاخر عنه بالاستمهال ولا التقدم عليه ووجه انطباق هذا الجواب على سوالهم انهم
سالوا عن ذلك وهم منكرون له تعنتا لا استرشادا فجاء الجواب على حد سوالهم لانهم
سالوا عن ذلك الى طريق التهديد مطابقا للسوال على سبيل الانكار والتعنت وانهم مرصدون
ليوم تفاجئهم فلا يستطيعون تاخرا ولا تقدما عليه وقال الذين كفروا ابو جهل وذووه
لن نؤمن بهذا القران ولا بالذي بين يديه اي ما انزل قبل القران من كتب الله او القيامة
والجنة والنار يعني انهم جحدوا ان يكون القران من الله وان يكون لما دل عليه من الاعادة
للجزاء حقيقة ولو ترى اذ الظالمون موقوفون محبوسون عند ربهم يرجع يرد بعضهم
الى بعض القول في الجدال اخبر عن عاقبة امرهم ومالهم في الاخرة فقال لرسول الله صلى الله
عليه وسلم او للمخاطبين ولو ترى في الاخرة موقفهم وهم يتجاذبون اطراف المحاورة و
يتراجعونها بينهم لرايت العجب فحذف الجواب يقول الذين استضعفوا اي الاتباع للذين
استكبروا اي الرؤس والمتقدمين لولا انتم لكنا مؤمنين لولا دعاكم ايانا الى الكفر لكنا مؤمنين
بالله ورسوله وقال الذين استكبروا للذين استضعفوا انحن صددناكم عن الهدى اولى الاسم
اي نحن حرف الانكار لان المراد انكار ان يكونوا هم الصادين لهم عن الايمان واثبات انهم
هم الذين صدوا بانفسهم عنه وانهم اوتوا من قبل اختيارهم بعد اذ جاءكم انما وقعت
اذ مضافا اليها وان كانت اذ واذا من الظروف اللازمة للظرفية لانه قد اتسع في الزمان
ما لم يتسع في غيره فاضيف اليها الزمان بل كنتم مجرمين كافرين لاختياركم وايثاركم الضلال
على الهدى لا لقولنا وتسويلنا وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا لم يات بالعاطف في
قال الذين استكبروا واتى في وقال الذين استضعفوا لان الذين استضعفوا مرادا كلامهم
فجيء بالجواب محذوف العاطف على طريقة الاستيناف ثم جيء بكلام اخر للمستضعفين فعطف
على استكبروا كلامهم الاول بل مكر الليل والنهار بل مكركم بنا في الليل والنهار فاتسع في الظرف

باجرائه مجرى المفعول به واضافة المكر اليه او جعل ليلهم ونهارهم ماكرين على الاسناد المجازي
اي الليل والنهار مكرا بطول السلامة فيهما حتى ظننا انكم على حق اذ تامروننا ان نكفر بالله ونجعل
له اندادا اشباها والمعنى ان المستكبرين لما انكروا بقولهم انحن صددناكم ان يكونوا هم السبب
في كفر المستضعفين واثبتوا بقولهم بل كنتم مجرمين ان ذلك بكسبهم واختيارهم كر عليهم
المستضعفون بقولهم بل مكر الليل والنهار فابطلوا اضرابهم بالمستضعفون كانهم قالوا ما كان
الاجرام من جهتنا بل من جهة مكركم لنا دائبا ليلا ونهارا وحملكم ايانا على الشرك واتخاذ
الانداد واسروا الندامة اضمروا او اظهروا وهو من الاضداد وهم الظالمون في قوله اذ الظالمون
موقوفون يندم المتكبرون على ضلالهم واضلالهم والمستضعفون على ضلالهم واتباعهم
المضلين لما راوا العذاب اي الجحيم وجعلنا الاغلال في اعناق الذين كفروا اي في اعناقهم فجاء
بالصريح للدلالة على ما استحقوا به الاغلال هل يجزون الا ما كانوا يعملون في الدنيا وما ارسلنا
في قرية من نذير نبي الا قال مترفوها متنعموها ورؤساؤها انا بما ارسلتم به كافرون هذا تسلية
للنبي صلى الله عليه وسلم مما مني به من قومه من التكذيب والكفر بما جاء به وانه لم يرسل قط الى اهل قرية
من نذير الا قالوا له مثل ما قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اهل مكة وافتخروا بكثرة الاموال
والاولاد كما قال وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين ارادوا انهم اكرم على الله
من ان يعذبهم نظرا الى احوالهم في الدنيا فظنوا انهم لو لم يكرموا على الله لما رزقهم ولولا ان
المؤمنين هانوا عليه لما حرمهم فابطل الله ظنهم بان الرزق فضل من الله يقسمه كما يشاء
فربما وسع على العاصي وضيق على المطيع وربما عكس وربما وسع عليهما وضيق عليهما فلا
ينقاس امر الثواب بقوله قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يقدر الرزق تضييقه قال الله
تعالى ومن قدر عليه رزقه ولكن اكثر الناس لا يعلمون ذلك وما اموالكم ولا اولادكم
بالتي تقربكم عندنا زلفى اي وما جماعة اموالكم ولا جماعة اولادكم بالتي تقربكم وذلك
ان الجمع المكسر عقلاء وغير عقلاء سواء في حكم التانيث والزلفى والزلفة كالقربى والقربة
ومحلها النصب اي تقربكم قربة كقوله انبتكم من الارض نباتا الا من امن وعمل صالحا الا
من كم في تقربكم يعني ان الاموال لا تقرب احدا الا المؤمن الصالح الذي ينفقها في سبيل الله

والاولاد لا يقرب احدا الا من علمهم الخير وفقههم في الدين ورشحهم للصلوح الرشيح بوزن
فلان رشح ولده بامر اي ربيه له والطاعة وعن ابن عيسى الا بمعنى لكن ومن شرط جوابه
فاوليك لهم جزاء الضعف وهو من اضافة المصدر الى المفعول اصله فاولئك لهم ان
يجازوا الضعف ثم جزاء الضعف ومعنى جزاء الضعف ان يضاعف لهم حسناتهم الواحدة
عشرا وقرا يعقوب جزاء الضعف على فاوليك لهم الضعف جزاء بما عملوا باعمالهم وهم
في الغرفات اي غرف منازل الجنة في الغرفة حمزة آمنون من كل هائل وشاغل والذين
يسعون في اياتنا في ابطالها معاجزين اولئك في العذاب محضرون قل ان ربي يبسط
الرزق يوسع لمن يشاء من عباده ويقدر له وما انفقتم ما شرطية في موضع النصب من
شيء بيانه فهو يخلفه يعوضه ولا معوض سواه اما عاجلا بالمال واجلا بالثواب جواب
الشرط وهو خير الرازقين المعطين لان كل ما رزق غيره من سلطان اوسيد او غيرها
فهو من رزق الله اجراه على ايدي هؤلاء وهو خالق الرزاق وخالق الاسباب التي
بها ينتفع الرزق بالرزق وعن بعضهم الحمد لله الذي اوجدني جعلني ممن يشتهي فكم من
مشتهي لا يجد واجد لا يشتهي ويوم يحشرهم جميعا ثم نقول للملايكة اهؤلاء اياكم كانوا
يعبدون وبالياء فيهما حفص ويعقوب هذا خطاب للملايكة وتقريع للكفار وارد على المثل
السائر اياك اعني واسمعي يا جارة ونحوه قوله انت قلت للناس اتخذوني الاية قالوا اي
الملايكة سبحانك تنزيها لك ان يعبد معك غيرك انت ولينا الموالاة خلاف المعاداة وهي
مفاعلة من الولي وهو القرب والولي يقع على الموالي والموالى جميعا والمعنى انت الذي نواليه
من دونهم اذ لا موالاة بيننا وبينهم فبينوا باثبات موالاة الله معاداة الكفار براءتهم
من الرضا بعبادتهم لهم لان من كان على هذه الصفة كانت حاله منافية لذلك بل كانوا يعبدون
الجن اي الشياطين حيث اطاعوهم في عبادة غير الله او كانوا يدخلون في اجواف الاصنام
اذا عبدت فيعبدون بعبادتهم او صورت لهم الشياطين صور قوم من الجن وقالوا هذه
صور الملايكة فاعبدوها اكثرهم اكثر الانس او الكفار بهم بالجن مؤمنون فاليوم لا يملك
بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا لان الامر في ذلك اليوم لله وحده لا يملك فيه احد منفعة

ولا مضرة لاحد لان الدار دار ثواب وعقاب والمثيب والمعاقب هو الله فكانت حالها خلاف
الدنيا التي هي دار تكليف والناس فيها مخلى بينهم يتضارون ويتنافعون والمراد انه لا ضار ولا
نافع يومئذ الا هو ثم ذكر معاقبة الظالمين بقوله ونقول للذين ظلموا بوضع العبادة في غير موضعها
معطوف على لا يملك ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون في الدنيا واذا تتلى عليهم اياتنا اي اذا
قرئ عليهم القران بينات واضحات قالوا اي المشركون ما هذا اي محمد الا رجل يريد ان يصدكم
عما كان يعبد اباؤكم وقالوا ما هذا اي القران الا افك مفترى وقال الذين كفروا اي قالوا
والعدول عنه دليل على انكار عظيم وغضب شديد للحق للقران او لامر النبوة كله لما جاءهم
وعجزوا عن الاتيان بمثله ان هذا اي الحق الا سحر مبين بتوه على انه سحر ثم بتوه على انه بين
ظاهر كل عاقل تامله سماه سحرا وما اتيناهم من كتب يدرسونها اي ما اعطينا مشركي مكة كتبا
يدرسونها فيها برهان على صحة الشرك وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير ولا ارسلنا
اليهم نذيرا ينذرهم بالعقاب ان لم يشركوا ثم تعدهم على تكذيبهم بقوله وكذب الذين
من قبلهم اي وكذب الذين تقدموهم من الامم الماضية والقرون الخالية الرسل كما كذبوا
وما بلغوا معشار ما اتيناهم اي وما بلغ اهل مكة عشر ما اوتي الاولون من طول الاعمار و
قوة الاجرام وكثرة الاموال فكذبوا رسلي فكيف كان نكير للمكذبين فيحذروا من مثله
وبالياء في الوصل والوقف يعقوب فحين كذبوا رسلهم جاءهم انكاري بالتدمير والاستيصال
ولم يغن عنهم استظهارهم بما هو به مستظهرين فما بال هؤلاء وانما قال فكذبوا رسلي وهو
مستغنى عنه بقوله وكذب الذين من قبلهم لانه لما كان معنى قوله وكذب الذين من قبلهم وفعل
للذين من قبلهم التكذيب واقدموا عليه جعل تكذيب الرسل مسببا عنه وهو قول القائل اقدم
فلان على الكفر فكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم قل انما اعظكم بواحدة بخصلة واحدة وقد فسرها
بقوله ان تقوموا لله على انه عطف بيان لها وقيل هو بدل وعلى هذين الوجهين هو في محل الجر
وقيل هو في محل الرفع على تقدير هي ان تقوموا النصب على تقدير اعني واراد بقيامهم القيام
عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرقهم عن مجتمعهم عنده او قيام القصد الى الشيء
دون النهوض والانتصاب والمعنى انما اعظكم بواحدة ان فعلتموها اصبتم الحق وتخلصتم

وهي ان تقوموا لله اي لوجه الله خالصا لا لحمية وعصبية بل لطلب الحق مثنى اثنين اثنين وفرادى
فردا فردا ثم تتفكروا في امر محمد وما جاء به اما الاثنان فيتفكران ويعرض كل واحد منهما محصول
فكره على صاحبه وينظران فيه نظر الصدق والاخلاص حتى يؤديهما النظر الصحيح الى الحق و
كذلك الفرد يتفكر في نفسه بعدل ونصفة ويعرض فكره على عقله ومعنى تفرقهم مثنى و
فرادى ان الاجتماع مما يشوش الخواطر ويعمي البصائر ويمنع من الروية ويقل فيه الانصاف
ويكثر الاعتساف ويثور عجاج التعصب فلا يسمع الا نصرة المذهب وتتفكروا معطوف على
تقوموا ما بصاحبكم يعني محمدا عليه الصلوة والسلام من جنة جنون والمعنى ثم تتفكروا فتعلموا
ما بصاحبكم من جنة ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد قدام عذاب شديد وهو عذاب
الاخرة وهو قوله عليه الصلوة والسلام بعثت بين يدي الساعة ثم بين انه لا يطلب اجرا
على الانذار بقوله قل ما سالتكم من اجر على انذاري وتبليغ الرسالة فهو لكم جزاء الشرط
تقديره اي شيء سالتكم من اجر كقوله ما يفتح الله للناس من رحمة ومعناه نفي مسالة الاجر
راسا نحو ما لي في هذا فهو لك اي ليس لي فيه ان اجري مدني وشامي وابو عمرو وحفص وبسكون
الياء وغيرهم الا على الله وهو على كل شيء شهيد فيعلم اني لا اطلب الاجر على نصيحتكم و
دعائكم اليه الا منه قل ان ربي يقذف بالحق بالوحي والقذف تزجية السهم ونحوه بدفع
واعتماد ويستعار بمعنى الالقاء ومنه وقذف في قلوبهم الرعب ان اقذفيه في التابوت
ومعنى يقذف بالحق يلقيه وينزله الى انبيائه او يرمي به الباطل فيدمغه ويزهقه علام
الغيوب مرفوع على البدل من الضمير في يقذف او على انه خبر مبتدا محذوف قل جاء الحق
الاسلام او القران وما يبدئ الباطل وما يعيد اي زال الباطل فهلك لان الابداء و
الاعادة من صفات الحي فعدمهما عبارة عن الهلاك والمعنى جاء الحق وزهق الباطل وعن
ابن مسعود رض دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة وحول الكعبة اصنام فجعل يطعنها بعود
نبعة ويقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد وقيل
الباطل الاصنام وقيل ابليس لانه صاحب الباطل او لانه هالك كما قيل
له الشيطان من شاط اذا هلك اي لا يخلق الشيطان ولا الصنم احدا ولا يبعثه فالمنشئ والباعث

هو الله ولما قالوا قد ضللت بترك دين ابائك قال الله تعالى قل ان ضللت فانما اضل على
نفسي اي ان ضللت فمني وعلي وان اهتديت فيما يوحي الي ربي اي فسديده بالوحي الي و
كان قياس التقابل ان يقال وان اهتديت فانما اهتدي لها كقوله فمن اهتدى فلنفسه ومن
ضل فانما يضل عليها ولكن متقاربان هما متقابلان معنى لان النفس كل ما عليها وضارها
فهو بها وبسببها لانها الامارة بالسوء وما لها مما ينفعها فبهداية ربها وتوفيقه وهذا
حكم عام لكل مكلف وانما امر رسوله ان يسنده الى نفسه لان الرسول اذا دخل تحته من
جلالة محله وسداد طريقته كان غيره اولى به انه سميع لما اقول لكم قريب مني ومنكم يجازيني
ويجازيكم ولو ترى جوابه محذوف اي لرايت امرا عظيما وحالا هائلة ٧ الله ولا يسبقونه و
اخذوا عطف على فزعوا اي فزعوا واخذوا فلا فوت لهم او على معنى اذ فزعوا فلم يفوتوا واخذوا
من مكان قريب من الموقف الى النار اذا بعثوا او من ظهر الارض الى بطنها اذا ماتوا او
من صحراء بدر الى القليب وقالوا حين عاينوا العذاب آمنا به بمحمد صلى الله عليه وسلم لمرور ذكره
في قوله ما بصاحبكم من جنة او بالله وانى لهم التناوش من مكان بعيد التناوش التناول
اي كيف يتناولون التوبة وقد بعدت عنهم يريد ان التوبة كانت تقبل عنهم في الدنيا وقد
ذهبت الدنيا وبعدت عن الاخرة وقيل هذا تمثيل لطلبهم ما لا يكون وهو ان ينفعهم ايمانهم
في ذلك الوقت كما ينفع المؤمنين ايمانهم في الدنيا مثلت حالهم بحال من يتناول الشيء من
غلوة كما يتناوله الاخر من قيس ذراع والتناؤش بالهمزة ابو عمرو وكوفي غير حفص همزة
الواو فكان كل واو مضمومة ضمة لازمة ان شئت ابدلتها همزة وان شئت لم تبدل نحو قولك
ادور وتقاوم وان شئت قلت ادؤر وتقاؤم وعن ثعلب التناؤش بالهمزة التناول من بعد
وبغير همزة التناول من قرب وقد كفروا به من قبل من قبل العذاب او في الدنيا ويقذفون
بالغيب معطوف على قد كفروا على حكاية الحال الماضية يعني وكانوا يتكلمون بالغيب اي بالشيء
الغائب يقولون لا بعث ولا حساب ولا جنة ولا نار من مكان بعيد عن الصدق او عن الحق
والصواب او هو قولهم في رسول الله شاعر ساحر كذاب وهذا تكلم بالغيب والامر الخفي
لانهم لم يشاهدوا منه سحرا ولا شعرا ولا كذبا وقد اتوا بهذا الغيب من جهة بعيدة من حاله لان

٧ اذ فزعوا عند البعث او عند الموت او يوم بدر فلا فوت فلا هرب او فلا يفوتون م

ابعد شيء مما جاء به السحر والشعر وابعد شيء من عادته التي عرفت بينهم وجربت الكذب ويقذفون
مجهول عن ابي عمرو اي على البناء للمفعول اي ياتيهم به شياطينهم ويلقنونهم اياه وان شئت فعلقه
بقوله وقالوا آمنا به على انه مثلهم في طلبهم تحصيل ما عطلوه من الايمان في الدنيا بقولهم آمنا في
الاخرة وذلك مطلب مستبعد بمن يقذف شيئا من مكان بعيد لا مجال للظن في لحوقه حيث
يريد ان يقع فيه لكونه غائبا عنه بعيدا ويجوز ان يكون الضمير في آمنا به للعذاب الشديد
في قوله بين يدي عذاب شديد وكانوا يقولون وما نحن بمعذبين ان كان الامر كما تصفون
من قيام الساعة والعقاب والثواب ونحن اكرم على الله من ان يعذبنا قايسين امر الاخرة
على امر الدنيا فهذا كان قذفهم بالغيب وهو غيب ومقذوف به من جهة بعيدة لان الجزاء
لا انقياس على دار التكليف وحيل بينهم وحجز بينهم وبين ما يشتهون من نفع الايمان يومئذ
والنجاة به من النار والفوز بالجنة او من الرد الى الدنيا كما حكي عنهم بقوله ارجعنا نعمل صالحا و
الافعال التي هي فزعوا واخذوا وحيل كلها للمضي والمراد بها الاستقبال لتحقق وقوعه كما فعل
باشياعهم من قبل باشباههم من الكفرة انهم كانوا في شك في امر الرسول والبعث مريب موقع
للريبة من اراب اذا اوقع في الريبة هذا رد على من زعم ان الله لا يعذب على الشك والله اعلم

سورة الملايكة مكية وهي خمس واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ذاته تعليما فاطر السموات والارض مبتديها ومبتدعها قال ابن عباس رضي الله عنهما ما كنت
ادري معنى فاطر السموات ٧ حتى اختصم الي اعرابيان في بير فقال احدهما انا فطرتها
اي ابتدأتها جاعل الملايكة رسلا الى عباده اولي ذوي اسم جمع لذو وهو بدل من
رسلا او نعت له اجنحة جمع جناح مثنى وثلث ورباع صفة لاجنحة وانما لم ينصرف
لتكرر العدل فيها وذلك انها عدلت عن الفاظ الاعداد عن صيغ الى صيغ اخر كما عدل
عمر عن عامر وعن تكرر الى غير تكرر وقيل العدل والوصف والتكرار عليه والمعنى ان من
الملايكة طائفة اجنحتهم اثنان اي لكل واحد جناحان وطائفة اجنحتهم ثلاثة ثلاثة و
لعل الثالث يكون في وسط الظهر بين الجناحين يمدهما بقوة وطائفة اجنحتهم اربعة اربعة
يزيد في الخلق الاجنحة وغيره ما يشاء وقيل هو الوجه الحسن والصوت الحسن والشعر الحسن

٧ والارض م

والخط الحسن والملاحة في العينين والآية مطلقة يتناول كل زيادة في الخلق من طول قامة و
اعتدال صورة وتمام في الأعضاء وقوة في البطش وحصافة في العقل وجزالة في الرأي
وجرأة في القلب وذلاقة في اللسان ومحبة في قلوب المؤمنين وما أشبه ذلك إن الله
على كل شيء قدير قادر ما يفتح الله للناس من رحمة نكر الرحمة للإشاعة والإبهام كأنه
قال من أية رحمة رزق أو مطر أو صحة أو غير ذلك فلا ممسك لها فلا أحد يقدر على إمساكها
وحبسها واستعير الفتح للإطلاق والإرسال ألا ترى إلى قوله وما يمسك يمنع ويحبس
فلا مرسل له مطلق له من بعده من بعد إمساكه وأنث الضمير الراجع إلى الاسم المتضمن معنى
الشرط على معنى الرحمة ثم ذكره حملا على لفظ المرجوع إليه إذ لا تأنيث فيه ولأن الأول فسر
بالرحمة فحسن اتباع الضمير التفسير ولم يفسر الثاني فترك على أصل التذكير وعن معاذ
مرفوعا لا يزال يد الله مبسوطة على هذه الأمة ما لم يرفق خيارهم بشرارهم ويعظم
برهم فاجرهم وتمل قراؤهم أمراءهم على معصية الله فإذا فعلوا ذلك نزع الله يده عنهم
وهو العزيز الغالب القادر على الإرسال والإمساك الحكيم الذي يرسل ويمسك ما
يقتضي الحكمة إرساله وإمساكه يأيها الناس اذكروا باللسان والقلب نعمت الله عليكم وهي
التي تقدمت من بسط الأرض كالمهاد ورفع السماء بلا عماد وإرسال الرسل لبيان السبيل دعوة
إليه وزلفة إليه لديه والزيادة في فتح أبواب الرزق ثم نبه على رأس النعم واتحاد المنعم
بقوله هل من خالق غير الله برفع غير الله على الوصف محلا لأن خالق مبتدأ خبره محذوف
أي لكم وبالجر علي وحمزة على الوصف لفظا يرزقكم يجوز أن يكون مستأنفا ويجوز أن
يكون صفة لخالق من السماء بالمطر والأرض بأنواع النبات لا إله إلا هو جملة مفصولة
لا محل لها فأنى يؤفكون فمن أي وجه تصرفون عن التوحيد إلى الشرك وإن يكذبوك فقد
كذبت رسل من قبلك نعى به على قريش سوء تلقيهم لآيات الله وتكذيبهم بها وسلى رسوله
بأن له في الأنبياء قبله أسوة ولهذا نكر رسل أي رسل ذوو عدد كثير وأولو آيات ونذر وأهل
أعمار طوال وأصحاب صبر وعزم لأنه أسلى له وتقدير الكلام وإن يكذبوك فتأس بتكذيب
الرسل من قبلك لأن الجزاء يتعقب الشرط ولو أجري على الظاهر يكون سابقا عليه فوضع

فقد كذبت رسل من قبلك موضع فتأس استغناء بالسبب عن المسبب أي بالتكذيب عن التأسي
وإلى الله ترجع الأمور كلام يشتمل على الوعد والوعيد من رجوع الأمور إلى حكمه ومجازاة
المكذب والمكذب ترجع بفتح التاء شامي وحمزة وعلي وخلف ويعقوب وسهل يأيها
الناس إن وعد الله بالبعث والجزاء حق كائن فلا تغرنكم الحيوة الدنيا فلا تخدعنكم الدنيا
ولا يذهلنكم التمتع بها والتلذذ بمنافعها عن العمل للآخرة وطلب ما عند الله ولا يغرنكم
بالله الغرور أي الشيطان فإنه يمنيكم الأماني الكاذبة ويقول إن الله غني عن عبادتك
وعن تعذيبك إن الشيطان لكم عدو ظاهر العداوة فعل بأبيكم ما فعل وأنتم تعاملونه
معاملة من لا علم له بحاله فاتخذوه عدوا في عقائدكم وأفعالكم ولا يوجدن منكم إلا ما
يدل على معاداته في سركم وجهركم ثم لخص سر أمره وخطأ من اتبعه بأن غرضه الذي يؤمه
في دعوة شيعته هو أن يوردهم مورد الهلاك بقوله إنما يدعوا حزبه ليكونوا من أصحاب
السعير ثم كشف الغطاء فبنى الأمر كله على الإيمان وتركه فقال الذين كفروا لهم عذاب شديد
أي فمن أجابه حين دعاه فله عذاب شديد لأنه صار من حزبه أي أتباعه والذين
آمنوا وعملوا الصالحات ولم يجيبوه ولم يصيروا من حزبه بل عادوه لهم مغفرة وأجر
كبير لكبر جهادهم ولما ذكر الفريقين قال لنبيه عليه السلام أفمن زين له سوء عمله فرآه
حسنا بتزيين الشيطان كمن لم يزين له فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا فقال
فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وذكر الزجاج
أن المعنى أفمن زين له سوء عمله ذهبت نفسك عليه حسرة أو أفمن زين له سوء
عمله كمن هداه الله فحذف لدلالة فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء عليه فلا تذهب
نفسك يزيدي لا تهلكها حسرات مفعول له يعني فلا تهلك نفسك للحسرات وعليهم صلة تذهب
كما تقول هلك عليه حبا ومات عليه حزنا ولا يجوز أن يتعلق عليهم بحسرات لأن المصدر لا
يتقدم عليه صلته إن الله عليم بما يصنعون وعيد لهم بالعقاب على سوء صنيعهم والله الذي
أرسل الرياح الريح مكي وحمزة وعلي فتثير سحابا فسقناه إلى بلد ميت بالتشديد مدني و
حمزة وعلي وحفص وبالتخفيف غيرهم فأحيينا به بالمطر لتقدم ذكره ضمنا الأرض بعد موتها

يبسها وانما قال فتثير لتحكى الحال التى تقع فيها اثارة الرياح السحاب وتستحضر تلك الصورة
الدالة على القدرة الربانية وهكذا يفعلون بفعل فيه نوع تميز وخصوصية بحال تستغرب
وكذلك سوق السحاب الى البلد الميت واحياء الارض بالمطر بعد موتها لما كانا من الدلائل
على القدرة الباهرة قيل فسقنا واحيينا معدولا بهما عن لفظ الغيبة الى ما هو ادخل فى الاختصاص
وادل عليه كذلك النشور الكاف فى محل الرفع اى مثل احياء الموت نشور الاموات قيل يحيى
الله الخلق بماء يرسله من تحت العرش كمنى الرجال تنبت منه اجساد الخلق من كان يريد العزة
فلله العزة جميعا اى العزة كلها مختصة بالله عزة الدنيا وعزة الاخرة وكان الكافرون
يتعززون بالاصنام كما قال واتخذوا من دون الله الهة ليكونوا لهم عزا والذين امنوا
بالسنتهم من غير مواطاة قلوبهم كانوا يتعززون بالمشركين كما قال الذين يتخذون الكافرين
اولياء من دون المومنين ايبتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعا فبين ان لا عز
الا لله والمعنى فليطلبها عند الله فوضع قوله فلله العزة جميعا موضعه استغناء به
عنه لدلالته عليه لان الشئ لا يطلب الا عند صاحبه ومالكه ونظيره قولك من اراد النصيحة
فهى عند الابرار تريد فليطلبها عندهم الا انك اقمت ما يدل عليه مقامه وفى الحديث ان ربكم
يقول كل يوم انا العزيز فمن اراد عز الدارين فليطع العزيز ثم عرف ان ما يطلب به العزة
هو الايمان والعمل الصالح بقوله اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ومعنى قوله
اليه الى محل القبول والرضاء وكل ما اتصف بالقبول وصف بالرفع والصعود او الى حيث
لا ينفذ فيه الا حكمه والكلم الطيب كلمات التوحيد اى لا اله الا الله وكان القياس الطيبة و
لكن كل جمع ليس بينه وبين واحده الا التاء يذكر ويؤنث والعمل الصالح العبادة الخالصة
يعنى والعمل الصالح يرفعه الكلم الطيب فالرافع الكلم والمرفوع العمل لانه لا يقبل عمل الا من
موحد وقيل الرافع الله والمرفوع العمل اى العمل الصالح يرفعه الله وفيه اشارة الى ان العمل اى
العمل يتوقف على الرفع والكلم الطيب يصعد بنفسه وقيل العمل الصالح يرفع العامل ويشرفه
اى من اراد العزة فليعمل عملا صالحا فانه هو الذى يرفع العبد والذين يمكرون السيات هى صفة
لمصدر محذوف اى المكرات السيات لان مكر فعل غير متعد لا يقال مكر فلان عمله والمراد مكر

قريش

قريش به صلى الله عليه وسلم حين اجتمعوا فى دار الندوة كما قال الله تعالى واذ يمكر بك الذين
كفروا ليثبتوك الاية لهم عذاب شديد فى الاخرة ومكر اولئك مبتدا وهو فصل يبور خبر
اى مكر اولئك الذين مكروا هو خاصة يبور اى يفسد ويبطل دون مكر الله بهم حين اخرجهم
من مكة وقتلهم واثبتهم فى قليب بدر فجمع عليهم مكراتهم جميعا وحقق فيهم قوله ويمكرون
ويمكر الله والله خير الماكرين وقوله ولا يحيق المكر السيئ الا باهله والله خلقكم اى اباكم من
تراب ثم انشاكم من نطفة ثم جعلكم ازواجا اصنافا او ذكرانا واناثا وما تحمل من انثى و
لا تضع الا بعلمه هو فى موضع الحال الا معلومة له وما يعمر من معمر اى وما يعمر من احد وانما
سماه معمرا بما هو صاير اليه ولا ينقص من عمره الا فى كتاب يعنى اللوح او صحيفة الانسان
ولا ينقص يزيد فان قلت الانسان اما معمر اى طويل العمر او منقوص العمر اى قصيره فاما
ان يتعاقب عليه التعمير وخلافه فمحال فكيف يصح قوله وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره
قلت هذا من كلام التسامح فيه ثقة فى تاويله بافهام السامعين واتكالا على تسديدهم معناه
بقولهم وانه لا يلتبس عليهم احالة الطول والقصر فى عمر واحد وعليه كلام الناس يقولون
لا يثيب الله عبدا ولا يعاقبه الا بالحق وتاويل الاية انه يكتب فى الصحيفة عمره كذا وكذا
سنة ثم يكتب فى اسفل ذلك ذهب يوم ذهب يومان حتى ياتى على اخره فذلك نقصان
عمره وعن قتادة المعمر من بلغ ستين سنة والمنقوص من عمره من يموت قبل ستين سنة
ان ذلك اى احصاؤه او زيادة العمر ونقصانه على الله يسير سهل وما يستوى البحران
هذا اى احدهما عذب فرات شديد العذوبة وقيل هو الذى يكسر العطش سائغ شرابه
مرى سهل الانحدار لعذوبته وبه يرتفع شرابه وهذا ملح اجاج شديد الملوحة وقيل هو
الذى يحرق بملوحته ومن كل ومن كل واحد منهما تاكلون لحما طريا وهو السمك وتستخرجون
حلية تلبسونها وهى اللؤلؤ والمرجان وترى الفلك فيه فى كل مواخر شواق للماء بجريها
يقال مخرت السفينة الماء اى شقته وهى جمع ماخرة لتبتغوا من فضله من فضل الله ولم
يجر له ذكر فى الاية ولكن فيما قبلها ولو لم يجر لم يشكل لدلالة المعنى عليه ولعلكم تشكرون
الله على ما اتيكم من فضله ضرب البحرين العذب والملح مثلين للمؤمن والكافر ثم قال على

سبيل الاستطراد في صفة البحرين وما علق بهما من نعمته وعطايه ويحتمل غير طريقة الاستطراد
وهو ان يشبه الجنسين بالبحرين ثم يفضل البحر الاجاج على الكافر بانه قد شارك العذب في
منافع من السمك واللؤلؤ وجرى الفلك فيه والكافر خلو من النفع فهو في طريقة قوله
تعالى ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة ثم قال وان من الحجارة
لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله يولج الليل
في النهار ويولج النهار في الليل يدخل من ساعات احدهما في الاخر حتى يصير الزايد منهما
خمس عشرة ساعة والناقص تسعا وسخر الشمس والقمر اي ذلل الضوء سورة كاسوء سورة
كل يجري لاجل مسمى اي يوم القيمة ينقطع جريهما ذلكم مبتداء الله ربكم له الملك اخبار
مترادفة اي الله ربكم خبران وله الملك جملة مبتداء واقعة في قران قوله والذين تدعون
من دونه يعني الاصنام التي تعبدونهم من دون الله يدعون قتنبة ما يملكون من قطمير وهي
القشرة الرقيقة الملتفة على النواة ان تدعوهم اي الاصنام لا يسمعوا دعاءكم لانهم جماد
ولو سمعوا على سبيل الفرض ما استجابوا لكم لانهم لا يدعون ما تدعون لهم من الالهية و
يبرؤن منها ويوم القيمة يكفرون بشرككم باشراككم ولا ينبئك لهم وعبادتكم اياهم و
تقولون ما كنتم ايانا تعبدون ولا ينبئك مثل خبير ولا ينبئك المفتون باسباب
الغرور كما ينبئك الله الخبير بخفايا الامور وحقيقته ولا يخبرك بالامر مخبر وهو مثل
خبير عالم به يريد ان الخبير بالامور وحده هو الذي يخبرك بالحقيقة دون ساير المخبرين
به والمعنى ان هذا الذي اخبرتكم به من حال الاوثان هو الحق لاني خبير بما اخبرت به يا ايها
الناس انتم الفقراء الى الله قال ذو النون الخلق محتاجون اليه في كل نفس وخطرة ولحظة
وكيف لا ووجودهم به وبقاءهم به والله هو الغني من الاشياء اجمع الحميد المحمود بكل
لسان ولم يسمهم بالفقراء للتحقير بل للتعريض على الاستغناء ولهذا وصف لنفسه بالغني الذي
هو مطعم الاغنياء وذكر الحميد ليدل به على انه الغني النافع بغناه خلقه الجواد المنعم عليهم اذ
ليس كل غني نافعا بغناه الا اذا كان الغني جوادا منعما واذا جاد وانعم حمده المنعم عليهم قال
سهل لما خلق الله الخلق حكم لنفسه بالغنى ولهم بالفقر فمن ادعى الغنى حجب عن الله ومن اظهر

فقره

فقره اوصل فقره اليه فينبغي للعبد ان يكون مفتقرا بالسر اليه ومنقطعا عن الغير اليه تكون عبوديته
مختصة بالعبودية هو الذل والخضوع وعلامته ان لا يسال من احد وقال الواسطي من استغنى
بالله لا يفتقر ومن تعزز بالله لا يذل وقال الحسين على مقدار افتقار العبد الى الله يكون غناه
بالله وكلما ازداد افتقارا ازداد غنى وقال يحيى الفقر خير للعبد من الغنى لان الغني المذلة
في الفقر والكبر في الغنى والرجوع الى الله بالتواضع والذلة خير من الرجوع اليه بتكثير
الاعمال وقيل صفة الاولياء ثلثة الثقة بالله في كل شيء والفقر في كل شيء والرجوع اليه من كل
شيء وقال الشبلي الفقر بحر البلاء وبلاء كل عز ان يشا يذهبكم كلكم الى العدم فان غناه
لا يلزم في القدم ويات بخلق جديد وهو بدلكم ليس حدكم حدو ما ذلك اي الانشاء والافنا
على الله بعزيز اي بممتنع وعن ابن عباس يخلق بعدكم من يعبده ولا يشرك به شيئا ولا تزر
وازرة وزر اخرى ولا تحمل نفس اثمة اثم نفس اخرى والوزر والوقر اخوان ووزر الشيء
اذا حمله والوازرة صفة للنفس والمعنى ان كل نفس يوم القيمة لا تحمل الا وزرها الذي
اقترفته لا تواخذ نفس بذنب نفس كما تاخذ جبابرة الدنيا الولي بالولي والجار بالجار وانما
قيد وازرة ولم يقل ولا تزر نفس وزر اخرى لان المعنى ان النفوس الوازرات لا ترى
منهن واحدة الا حاملة وزرها لا وزر غيرها قوله تعالى وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم
وارد في الضالين المضلين وانهم يحملون اثقال ضلال الناس مع اثقال ضلالهم وذلك كله
اوزارهم ما فيها شيء من وزر غيرهم الا ترى كيف كذبهم الله تعالى في قولهم اتبعوا سبيلنا
ولنحمل خطاياكم وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء وان تدع مثقلة بالذنوب احد الى
حملها ثقلها اي ذنوبها ليحتمل عنها بعض ذلك لا يحمل منه شيء ولو كان اي المدعو وهو مفهوم
من قوله وان تدع ذا قربى ذا قرابة قريبة كاب او ولد او اخ والفرق مبتداء بين معنيين
قوله ولا تزر وازرة اخرى ومعنى وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شيء ان الاول دال على
عدل الله في حكمه وانه لا يواخذ نفسا بغير ذنبها والثاني في بيان ان لا غياث يومئذ لمن
استغاث حتى ان نفسا قد اثقلتها الاوزار لو دعت الى ان يخفف بعض وقرها لم تجب ولم
تغث وان كان المدعو بعض قرابتها انما تنذر الذين يخشون ربهم اي انما ينتفع بانذارك

هولا وبالغيب حال من الفاعل او المفعول اى يخشون ربهم غايبين عن عذابه او يخشون
عذابه غايبا عنهم وقيل بالغيب فى السر حيث لا اطلاع للغير عليه واقاموا الصلوة فى مواقيتها
ومن تزكى تطهر بفعل الطاعات وترك المعاصى فانما يتزكى لنفسه وهو اعتراض موكد
لخشيتهم واقامتهم الصلوة لانهما من جملة التزكى والى الله المصير المرجع وهو وعد للمتزكين
بالثواب وما يستوى الاعمى والبصير مثل للكافر والمؤمن او للجاهل والعالم ولا الظلمات
مثل الكفر ولا النور مثل الايمان ولا الظل ولا الحرور الحق والباطل والجنة والنار والحرور
الريح الحارة كالسموم الا ان السموم يكون بالنهار والحرور بالليل والنهار عن الفراء
وما يستوى الاحياء ولا الاموات مثل للذين دخلوا فى الاسلام والذين لم يدخلوا فيه
وزيادة لا لتاكيد معنى النفى والفرق بين هذه الواوات ان بعضها ضمت شفعا الى شفع
وبعضها وترا الى وتر ان الله يسمع من يشاء وما انت بمسمع من فى القبور يعنى انه قد علم
من يدخل فى الاسلام ممن لا يدخل فيه فيهدى من يشاء هدايته واما انت فخفى عليك امرهم
فلذلك تحرص عليه الصلوة والسلام قوم مخذولين شبه الكفار بالموتى حيث لا ينتفعون
بمسموعهم ان انت الا نذير اى ما عليك الا ان تبلغ وتنذر فان كان المنذر ممن يسمع الانذار
نفع وان كان من المصرين فلا عليك انا ارسلناك بالحق حال من احد الضميرين يعنى محقا
او محقين او صفة للمصدر اى ارسالا مصحوبا بالحق بشيرا بالوعد ونذيرا بالوعيد وان
من امة وما من امة قبل امتك والامة الجماعة الكثيرة كقوله تعالى وجد عليه امة من الناس
ويقال لاهل كل عصر امة والمراد هنا اهل العصر وقد كانت اثار النذارة باقية فيما بين عيسى
ومحمد عليهما السلام فلم تخل تلك الامم من نذير وحين اندرست اثار نذارة عيسى عليه السلام
الا خلا فيها نذير يخوفهم وخامة الطغيان وسوء عاقبة الكفران واكتفى بالنذير
عن البشير فى اخر الاية بعد ذكرهما لان النذارة مشفوعة بالبشارة فدل ذكر النذارة على ذكر
البشارة وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم حال وقد مضمرة بالبينات
بالمعجزات وبالزبر وبالصحف وبالكتاب المنير اى التورية والانجيل والزبور ولما كانت
هذه الاشياء فى جنسهم اسند المجى بها اليهم اسنادا مطلقا وان كان بعضا فى جميعهم وهى البينات

وبعضها

وبعضها فى بعض وهى الزبر والكتاب وفيه سلاه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذت
الذين كفروا بانواع العقوبة فكيف كان نكير انكارى عليهم وتعذيبى لهم الم تر ان الله انزل
من السماء ماء فاخرجنا به بالماء ثمرات مختلفا الوانها اجناسها من الرمان والتفاح و
التين والعنب وغيرها مما لا يحصر او هيأتها من الحمرة والصفرة والخضرة ونحوها ومن الجبال
جدد طرق مختلفة اللون جمع جدة كمدة ومدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود
جمع غربيب وهو تاكيد للاسود يقال اسود غربيب وهو الذى ابعد فى السواد واغرب
ومنه الغراب وكان من حق التاكيد ان يتبع الموكد كقولك اصفر فاقع الا انه اضمر الموكد
قبله والذى بعده تفسير المضمر وانما يفعل ذلك لزيادة التوكيد حيث يدل على المعنى الواحد
من طريقى الاظهار والاضمار جميعا ولا بد من تقدير حذف المضاف فى قوله ومن الجبال
جدد اى ومن الجبال ذو جدد بيض وحمر وسود حتى يؤل الى قولك ومن الجبال مختلف
الوانه كما قال ثمرات مختلفا الوانها ومن الناس والدواب والانعام مختلف الوانه يعنى
ومنهم بعض مختلف الوانه كذلك اى كاختلاف الثمرات والجبال ولما قال الم تر بمعنى الم
تر ان الله انزل من السماء ماء وعدد ايات الله واعلام قدرته واثار صنعته وما خلق
من الفطر المختلفة والاجناس وما يستدل به عليه وعلى صفاته اتبع ذلك انما يخشى الله
من عباده العلماء اى العلماء به الذين علموه بصفاته فعظموه ومن ازداد به علما ازداد منه
خوفا ومن كان علمه به اقل كان خوفه اقل وفى الحديث اعلمكم بالله اشدكم خشية وتقديم
اسم الله تعالى وتاخير العلماء يؤذن ان معناه ان الذين يخشون الله من عباده العلماء
دون غيرهم ولو عكس لكان المعنى انهم لا يخشون الا الله كقوله ولا يخشون احدا الا الله
وما بينهما الاول ففى البيان ان الخاشين هم العلماء وفى الثانى ان المخشى منه هو الله تعالى
وقرأ ابو حنيفة رح وعمر بن عبد العزيز وابن سيرين رضى الله عنهم انما يخشى الله من عباده
العلماء والخشية فى هذه القراءة استعارة والمعنى انما يعظمهم الله من عباده العلماء ان الله
عزيز غفور تعليل لوجوب الخشية لدلالته على عقوبة العصاة وقهرهم واثابة اهل الطاعة
والعفو عنهم والمعاقب والمثيب حقه ان يخشى ان الذين يتلون كتاب الله يداومون

على تلاوة القران واقاموا الصلوة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية اى مسرين النفل
ومعلنين الفرض يعنى لا يقنعون بتلاوته عن تلاوة العمل به يرجون خبر ان تجارة وهى
طلب الثواب بالطاعة لن تبور لن تكسد يعنى تجارة ينتفى عنها الكساد وتنفق عند الله ليوفيهم
متعلق بلن تبور اى ليوفيهم بنفاقها عنده اجورهم ثواب اعمالهم ويزيدهم من فضله
بتفسيح القبور او بتشفيعهم فيمن احسن اليهم او بتضعيف حسناتهم او بتحقيق وعد لقائه
او يرجون فى موضع الحال اى راجين واللام فى ليوفيهم يتعلق بيتلون وما بعده اى
فعلوا جميع ذلك من التلاوة واقاموا الصلوة والانفاق لهذا الغرض وخبر ان انه غفور
شكور اى غفور لهم شكور لاعمالهم اى يعطى الجزيل على العمل القليل والذى اوحينا
اليك من الكتاب اى القران ومن للتبيين هو الحق مصدقا حال مؤكدة لان الحق لا ينفك
عن هذا مصدقا لما بين يديه لما تقدمه من الكتب ان الله بعباده لخبير بصير فعلمك و
ابصر احوالك فراك اهلا لان يوحى اليك مثل هذا الكتاب المعجز الذى هو عيار على سائر
الكتب ثم اورثنا الكتاب اى اوحينا اليك القران ثم اورثناه من بعدك اى حكمنا بتوريثه
الذين اصطفينا من عبادنا وهم امته من الصحابة والتابعين وتابعيهم ومن بعدهم الى يوم
القيمة لان الله اصطفاهم على سائر الامم وجعلهم امة وسطا ليكونوا شهداء على الناس و
اختصهم بكرامة الانتماء الى افضل رسله ثم رتبهم على مراتب فقال فمنهم ظالم لنفسه وهو
المرجاء لامر الله تعالى ومنهم مقتصد وهو الذى خلط عملا صالحا واخر سيئا ومنهم سابق
بالخيرات وهذا التاويل يوافق التنزيل فانه تعالى قال والسابقون الاولون من المهاجرين
الاية وقال بعده واخرون مرجون لامر الله الاية والحديث فقد روى عن عمر رضى الله عنه انه
قال على المنبر بعد قراءة هذه الاية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقنا سابق ومقتصدنا
ناج وظالمنا مغفور له وعنه عليه الصلوة والسلام السابق يدخل الجنة بغير حساب اما الظالم
والمقتصد يحاسب حسابا يسيرا ثم يدخل الجنة واما الظالم لنفسه فيحبس حتى يظن انه لن ينجوا
ثم تناله الرحمة فيدخل الجنة رواه ابو داود ولا تر فعن ابن عباس السابق المخلص والمقتصد
المرائى والظالم الكافر بالنعمة غير الجاحد لها لانه حكم للثلثة بدخول الجنة وقول السلف فقد قال

الربيع بن انس الظالم صاحب الكبائر والمقتصد صاحب الصغائر والسابق المجتنب منها وقال
الحسن البصرى الظالم من رجحت سيآته والسابق من رجحت حسناته والمقتصد من استوت
حسناته وسيآته وسئل ابو يوسف رح عن هذه الاية فقال كلهم مؤمنون واما صفة الكفار
فبعد هذا وهو قوله والذين كفروا لهم نار جهنم واما الطبقات الثلث فهم من الذين اصطفى
من عباده لانه قال فمنهم ومنهم والكل راجع الى قوله الذين اصطفينا من عبادنا وهم اهل
الايمان وعليه الجمهور وانما قدم الظالم للايذان بكثرتهم وان المقتصدين قليل بالاضافة
اليهم والسابقون اقل من القليل وقال ابن عطاء انما قدم الظالم لئلا يياس من فضله وقيل
انما قدم ليعرف ان ذنبه لا يبعده من ربه وقيل لان اول الاحوال معصية ثم توبة ثم استقامة
وقال سهل السابق العالم والمقتصد المتعلم والظالم الجاهل وقال ايضا السابق الذى اشتغل
بمعاده والمقتصد الذى اشتغل بمعاشه ومعاده والظالم الذى اشتغل بمعاشه عن معاده
وقيل الظالم الذى يعبده على الغفلة والعادة والمقتصد الذى يعبده على الرغبة والرهبة والسابق
وقيل الظالم من اخذ الدنيا حلالا وحراما والمقتصد من يجتهد ان لا ياخذها الا حلالا والسابق
من اعرض عنها جملة وقيل الظالم طالب الدنيا والمقتصد طالب العقبى والسابق طالب المولى
باذن الله بامره او بعلمه او بتوفيقه ذلك اى ايراث الكتاب هو الفضل الكبير جنات
عدن خبر ثان لذلك او خبر مبتداء محذوف اى هى او مبتداء والخبر يدخلونها
اى الفرق الثلث يدخلونها ابو عمر و يحلون فيها من اساور جمع اسورة جمع سوار من ذهب
ولؤلؤا من ذهب مرصع باللؤلؤ ولؤلؤ بالهمزة والنصب نافع وحفص عطفا على محل
من اساور ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير لما فيه من اللذة والزينة وقالوا الحمد لله الذى
اذهب عنا الحزن خوف النار او خوف الموت او هموم الدنيا ان ربنا لغفور يغفر الجنايات
وان كثرت شكور يقبل الطاعات وان قلت الذى احلنا دار المقامة من فضله اى الاقامة
لا نبرح منها ولا نفارقها يقال اقمت اقامة ومقاما ومقامة من فضله من عطائه وافضاله
لا استحقاقا لا يمسنا فيها نصب تعب ومشقة ولا يمسنا فيها لغوب اعياء من التعب وفترة
وقرا ابو عبد الرحمن السلمى لغوب بفتح اللام وهو شئ يلغب منه اى لا تكلف عملا يلغبنا او

والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا جواب النفي ونصب باضمار ان اي
لا يقضى عليهم بموت ثان فيستريحوا ولا يخفف عنهم من عذابها من عذاب نار جهنم كذلك
مثل ذلك الجزاء نجزي كل كفور يجزي كل ابو عمرو وهم يصطرخون فيها يستغيثون يفتعلون
من الصراخ وهو الصياح بجهد وشدة واستعمل في الاستغاثة لجهد المستغيث صوته
ويقولون ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل اي اخرجنا من النار وردنا الى الدنيا
نؤمن بدل الكفر ونطع بدل المعصية فيجابون بعد قدر عمر الدنيا اولم نعمركم ما يتذكر فيه
من تذكر يجوز ان يكون ما نكرة موصوفة اي تعميرا يتذكر فيه من تذكر وهو متناول لكل عمر
يمكن فيه من اصلاح شانه وان قصر الا ان التوبيخ في المتطاول اعظم ثم قيل هو ثماني
عشرة سنة وقيل اربعون وقيل ستون وجاءكم النذير الرسول عليه الصلوة والسلام او
الشيب وهو عطف على معنى اولم نعمركم لان لفظه الاستخبار ومعناه اخبار كانه قيل قد عمرناكم
وجاءكم النذير فذوقوا اي العذاب فما للظالمين من نصير من ناصر يعينهم ان الله
عالم غيب السموات والارض ما غاب فيهما عنكم انه عليم بذات الصدور كالتعليل لانه اذا
علم ما في الصدور وهو اخفى ما يكون فقد علم كل غيب في العالم وذات الصدور مضمراتها
وهي تانيث ذو في نحو قول ابي بكر رضي الله عنه ذو بطن خارجة جارية اي ما في بطنها
من الحبل لان الحبل يصحب البطن وكذا المضمرات تصحب الصدور وذو موضوع بمعنى
الصحبة هو الذي جعلكم خلائف في الارض يقال للمستخلف خليفة وجمع خلائف والمعنى
انه جعلكم خلفاء في ارضه قد ملككم مقاليد التصرف فيها وسلطكم على ما فيها واباح لكم
منافعها لتشكروه بالتوحيد والطاعة فمن كفر منكم وغمط مثل هذه النعمة السنية فعليه
كفره فوبال كفره راجع عليه وهو مقت الله وخسار الاخرة كما قال ولا يزيد الكافرين كفرهم
عند ربهم الا مقتا وهو اشد البغض ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا هلاكا وخسرانا
قل ارايتم شركاءكم الهتكم التي اشركتموهم في العبادة الذين تدعون من دون الله اروني
ماذا خلقوا من الارض اروني بدل من ارايتم لان معنى ارايتم اخبروني كانه قيل اخبروني
من هؤلاء الشركاء وعن ما استحقوا به الشركة اروني اي جزء من اجزاء الارض استبدوا

بخلقه دون الله ام لهم شرك في السموات ام لهم مع الله شركة في خلق السموات ام
اتيناهم كتابا فهم على بينة منه ام معهم كتاب من عند الله ينطق بانهم شركاؤه فهم في
على حجة وبرهان من ذلك الكتاب بينات علي وابن عامر ونافع وابو بكر بل ان يعد اي
ما يعد الظالمون بعضهم بدل من الظالمون وهم الرؤساء بعضا اي الاتباع الا غرورا
هو قولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا يمنعهما
من ان تزولا لان الامساك منع ولئن زالتا على سبيل الفرض ان امسكهما ما امسكهما من
احد من بعده من بعد امساكه ومن الاولى مزيدة لتاكيد النفي والثانية للابتداء انه كان
حليما غفورا غير معاجل بالعقوبة حيث يمسكهما وكانتا جديرتين بان تهدا هدا لعظم
كلمة الشرك كما قال تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض الاية واقسموا بالله
جهد ايمانهم نصب على المصدر اي اقساما بليغا او على الحال اي جاهدين في ايمانهم لئن
جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم بلغ قريشا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم
ان اهل الكتاب كذبوا رسلهم فقالوا لعن الله اليهود والنصارى اتتهم الرسل فكذبوهم
فوالله لئن اتانا رسول لنكونن اهدى من احدى الامم اي من الامة التي يقال فيها احدى
الامم تفضيلا لها على غيرها في الهدى والاستقامة كما يقال للداهية العظيمة هي احدى الدواهي
فلما جاءهم نذير فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ما زادهم الا نفورا اي ما زادهم
الا نفورا اي ما زادهم مجيء الرسول صلى الله عليه وسلم الا تباعدا عن الحق وهو اسناد
مجازي استكبارا في الارض مفعول له وكذا ومكر السيء والمعنى وما زادهم الا نفورا
للاستكبار ومكر السيء او حال يعني مستكبرين وماكرين برسول الله والمؤمنين واصل قوله
ومكر السيء وان مكروا السيء اي المكر السيء ثم مكر السيء ومكر السيء والدليل
عليه قوله ولا يحيق يحيط وينزل المكر السيء الا باهله ولقد حاق بهم يوم بدر وفي
المثل من حفر لاخيه جبا وقع فيه منكبا فهل ينظرون الا سنة الاولين وهي انزال العذاب
على الذين كذبوا برسلهم من الامم قبلهم والمعنى فهل ينظرون بعد تكذيبك الا ان ينزل
بهم العذاب مثل الذي نزل بمن قبلهم من مكذبي الرسل وجعل استقبالهم لذلك انتظارا

له منهم فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا بين ان سنة الله التي هي انتقام
من مكذبي الرسل منه لا تبديلها في ذاتها ولا تحويلها عن اوقاتها وان ذلك مفعول له لا
محالة اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم استشهد عليهم
بما كانوا يشاهدونه في مسايرهم الى الشام والعراق واليمن من اثار الماضين وعلامات
هلاكهم ودمارهم وكانوا اشد منهم من اهل مكة قوة اقتدارا فلم يتمكنوا من القرآن
وما كان الله ليعجزه ليسبقه ويفوته من شيء اي شيء في السموات ولا في الارض انه كان
عليما بهم قديرا قادرا عليهم ولو يواخذ الله الناس بما كسبوا بما اقترفوا من المعاصي ما ترك
على ظهرها على ظهر الارض لانه جرى ذكر الارض في قوله ليعجزه من شيء في السموات ولا
في الارض من دابة من نسمة تدب عليها ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى اي يوم القيمة فاذا
جاء اجلهم فان الله كان بعباده بصيرا اي لم يخف عليه حقيقة امرهم وحلة حكمهم والله اعلم

سورة يس مكية وهي ثلث وثمانون اية بسم الله الرحمن الرحيم

يس عن ابن عباس رضي الله عنهما معناه يا انسان في لغة طي وعن ابن الحنفية يا محمد وفي
الحديث ان الله سماني في القران بسبعة محمد واحمد وطه ويس ومزمل ومدثر وعبد الله
وقيل يا سيد يس بالامالة علي وحمزة وخلف وحماد ويحيى والقران قسم الحكيم ذي الحكمة
او لانه كلام حكيم الى او لانه دليل ناطق بالحكمة او لانه كلام حكيم يوصف بصفة المتكلم
به انك لمن المرسلين جواب القسم وهو رد على الكفار حين قالوا لست مرسلا على صراط
مستقيم خبر او صلة للمرسلين اي الذين ارسلوا على صراط مستقيم اي طريقة مستقيمة وهو
الاسلام تنزيل بنصب اللام شامي وكوفي غير ابي بكر على اقرأ تنزيل او على انه مصدر اي نزل
تنزيل وغيرهم بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف اي تنزيل والمصدر بمعنى المفعول هو العزيز
الغالب بفصاحة نظم كتابه اوهام ذوي العناد الرحيم الجاذب بلطافة معنى خطابه افهام
اولي الرشاد واللام في لتنذر قوما متصل بمعنى المرسلين اي ارسلت لتنذر قوما ما انذر اباءهم
ما نافية عند الجمهور اي قوما غير منذر اباءهم على الوصف بدليل قوله لتنذر قوما ما اتيهم
من نذير من قبلك وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير او موصولة منصوبة على المفعول الثاني

اي العذاب الذي انذر اباؤهم كقوله انا انذرناكم عذابا قريبا او مصدرية اي لتنذر قوما
ما انذر اباؤهم اي مثل انذار اباءهم فهم غافلون ان جعلت ما نافية فهي متعلق بالنفي
اي لم ينذروا انهم غافلون والا فهو متعلق بقوله انك لمن المرسلين لتنذر قوما كما تقول ارسلتك
الى فلان لتنذره فانه غافل او فهو غافل لقد حق القول على اكثرهم فهم لا يؤمنون يعني قوله
لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين اي تعلق بهم هذا القول وثبت عليهم ووجب لانهم
ممن علم انهم يموتون على الكفر ثم مثل تصميمهم على الكفر وانه لا سبيل الى ارعوائهم بان جعلهم
كالمغلولين المقمحين في انهم لا يلتفتون الى الحق ولا يعطفون اعناقهم نحوه ولا يطأطئون
روسهم له وكالحاصلين بين سدين لا يبصرون ما قدامهم وما خلفهم في ان لا تأمل لهم ولا تبصر متعامين
عن النظر في ايات الله بقوله انا جعلنا في اعناقهم اغلالا فهي الى الاذقان معناه فالاغلال
واصلة الى الاذقان ملزوزة اليها فهم مقمحون مرفوعة رؤسهم يقال قمح البعير فهو قامح
اذا روي فرفع راسه وهذا لان طوق الغل الذي في عنق المغلول يكون في ملتقى طرفيه تحت
الذقن حلقة فيها راس العمود خارجا من الحلقة الى الذقن فلا يخليه يطاطي راسه فلا يزال مقمحا
وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا بفتح السين حمزة وعلي وحفص وقيل ما كان من
عمل الناس فبالفتح وما كان من خلق الله كالجبل ونحوه فبالضم فاغشيناهم فاغشينا ابصارهم
اي غطيناهم وجعلنا عليها غشاوة فهم لا يبصرون الحق والرشاد وقيل نزلت في بني مخزوم وذلك
ان ابا جهل حلف لئن راى محمدا يصلي ومعه حجر ليدمغه فلما رفع يده يثنت الى عنقه ولزق
الحجر بيده حتى فكوه عنها بجهد فرجع الى قومه فاخبرهم فقال مخزومي اخر انا اقتله بهذا الحجر
فذهب فاعمى الله بصره وسواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون اي سواء عليهم
الانذار وتركه والمعنى من اضله الله هذا الاضلال لا ينفعه الانذار روي ان عمر بن عبد العزيز
قرا الاية على غيلان القدري فقال كاني لم اقراها اشهدك اني تائب عن قولي في القدر قال
عمر رضه اللهم ان صدق فتب عليه وان كذب فسلط عليه من لا يرحمه فاخذه هشام بن عبد
الملك من غده فقطع يديه ورجليه وصلبه على باب دمشق انما تنذر من اتبع الذكر اي انما ينفع
بانذارك من القران وخشي الرحمن بالغيب وخاف عقاب الله ولم يره فبشره بمغفرة العفو

عن ذنوبه واجر كريم اى الجنة انا نحيى الموتى نبعثهم بعد مماتهم او نخرجنهم من الشرك اى مما الاخرة
الى الدنيا ونكتب ما قدموا ما اسلفوا من الاعمال الصالحات وغيرها واثارهم وما هلكوا عنه من
اثر حسن كعلم علموه او كتاب صنفوه او حبيس احبسوه او رباط او مسجد صنعوه او سيئ
كوضيفة وظفها بعض الظلمة وكذلك كل سنة او حسنة سيئة يستن بها ونحوه قوله تعالى ينبؤ
الانسان يومئذ بما قدم واخر اى قدم من اعماله واخر من اثاره وقيل هى خطاهم الى الجمعة او الى
الجماعات وكل شيئ احصيناه عددناه وبيناه فى امام مبين يعنى اللوح المحفوظ لانه اصل الكتب
ومقتداها واضرب لهم مثلا اصحاب القرية ومثل لهم من قولهم عندى من هذا الضرب كذا
اى من هذا المثال وهذه الاشياء على ضرب واحد اى على مثال واحد والمعنى واضرب لهم مثلا اصحاب
القرية اى انطاكية اذكر لهم قصة عجيبة قصة اصحاب القرية والمثل الثانى بيان للاول وانتصاب
اذ بانه بدل من اصحاب جاءها المرسلون رسل عيسى عليه السلام بعثهم دعاة الى الحق وكانوا
عبدة اوثان اذ بدل من اذ الاولى ارسلنا اليهم اى ارسل عيسى بامرنا اثنين صادقا وصدوقا فلما
قربا الى المدينة رايا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار فسال عليهما فقالا نحن رسولا عيسى
عليه السلام ندعوكم من عبادة اوثان الى عبادة الرحمن فقال امعكما اية فقالا نشفى المريض و
نبرئ الاكمه والابرص وكان له ابن مريض منذ سنتين فمساه فقام فامن حبيب وفشا الخبر فشفى
على ايديهما خلق كثير فدعاهما الملك وقال لهما انك الكما اله سوى الهتنا قالا نعم من اوجدك
والهتك فقال حتى انظر فى امركما فتبعهما الناس وضربوهما وقيل حبسا ثم بعث عيسى شمعون
فدخل متنكرا وعاشر حاشية الملك حتى استانسوا به ورفعوا خبره الى الملك فانس به فقال
له ذات يوم بلغنى انك حبست رجلين فهل سمعت قولهما قال فدعاهم فقال شمعون من
ارسلكما قالا الله خلق كل شيئ ورزق كل حى وليس له شريك فقال صفاه واوجزا قالا يفعل
ما يشاء ويحكم ما يريد قال وما ايتكما قالا يتمنى الملك فدعا بغلام فدعوا الله فابصر الغلام فقال
له شمعون ارايت لو سالت الهك حتى تضع مثل هذا فيكون لك وله الشريف قال ليس
لى عنك سر ان الهنا لا يبصر ويسمع ولا يضر ولا ينفع ثم قال ان قدر الهكما على احياء ميت امنا
به فدعوا بغلام مات من سبعة ايام فقام وقال ادخلت لى فى سبعة اودية من النار لما مست

نحن م
ملهمان

عليه من الشرك وانا احذركم ما انتم فيه فامنوا وقال فتحت ابواب السماء فرايت شابا حسن الوجه
يشفع لهؤلاء الثلثة قال الملك ومنهم قال شمعون وهذان فتعجب الملك فلما راى شمعون ان
قوله قد اثر فيه نصحه فامن وامن قوم ومن لم يؤمن صاح عليهم جبرئيل فهلكوا فكذبوهما فكذب
اصحاب القرية الرسولين فعززنا فقوينا هما فعززنا ابو بكر من عزه يعزه اذا غلبه اى فغلبنا
وقهرنا بثالث وهو شمعون وترك ذكر المفعول به لان المراد ذكر المعزز به وهو شمعون وما
لطف فيه من التدبير حتى عز الحق وذل الباطل واذا الكلام منصبا الى غرض من الاغراض جعل
سياقه له وتوجهه اليه كان ما سواه مرفوض فقالوا انا اليكم مرسلون اى قال الثلث لاهل القرية
قالوا اى اصحاب القرية ما انتم الا بشر مثلنا رفع بمثل هنا ونصب فى ما هذا بشرا لانتقاض النفى
بالا فلم يبق لما شبه يلبس وهو الموجب لعمله وما انزل الرحمن من شيئ اى وحيا ان انتم الا
تكذبون ما انتم الا تكذبتم قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون اكد الثانى باللام دون الاول
لان الاول ابتداء اخبار والثانى جواب عن انكار فيحتاج الى زيادة توكيد وربنا يعلم جار مجرى
القسم فى التاكيد وكذلك قولهم شهد الله وعلم الله وما علينا الا البلاغ المبين اى التبليغ
الظاهر المكشوف بالايات الشاهدة بصحته قالوا انا تطيرنا بكم تشاءمنا وذلك انهم كرهوا
دينهم وتفرقت منهم نفوسهم وتعرت للجهال ان يتمنوا بكل شيئ مالوا اليه وقبلته
طباعهم ويتشاموا بما نفروا عنه وكرهوه فان اصابهم بلاء او نعمة قالوا بشوم هذا وبركة
ذلك وقيل حبس عنهم القطر فقالوا ذلك لئن لم تنتهوا عن مقالتكم هذه لنرجمنكم لنقتلنكم
اولنطردنكم اولنشتمنكم وليمسنكم منا عذاب اليم وليصيبنكم منا عذاب الحريق وهو اشد
عذاب قالوا طائركم اى سبب شومكم معكم وهو الكفر ائن بهمزة الاستفهام وحرف الشرط
كوفى وشامى ذكرتم وعظتم ودعيتم الى الاسلام وجواب الشرط مضمر وتقديره تطيرتم ائن
بهمزة ممدودة بعدها ياء مكسورة بهمزة مقصورة مكى ونافع ذكرتم بالتخفيف يزيد بل انتم
قوم مسرفون مجاوزون الحد فى العصيان فمن ثم اتاكم الشوم لا من قبل رسل الله وتذكيرهم
او بل انتم مسرفون فى ضلالكم وغيكم حيث تشاءمون بمن يجب التبرك به من رسل الله
وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى هو حبيب النجار وكان فى غار من الجبل يعبد الله فلما بلغه

خبر الرسل آمنهم واظهر دينهم فقال اتسألون على ما جئتم به اجرا فقالوا لا فقال يا قوم اتبعوا
المرسلين اتبعوا من لا يسألكم اجرا على تبليغ الرسالة وهم مهتدون اى الرسل فقالوا او انت
على دين هولاء فقال وما لى لا اعبد الذى فطرنى خلقنى واليه ترجعون واليه مرجعكم وما لى
حمزة ء اتخذ بهمزتين كوفى من دونه الهة يعنى الاصنام ان يردن الرحمن بضر شرط جوابه لا
تغن عنى شفاعتهم شيئا ولا ينقذون من مكروه ولا ينقذونى ما سمعونى فى حالين يعقوب
انى اذا اى اذا اتخذت لفى ضلال مبين ظاهر بين ولما نصح قومه اخذوا يرجمونه فاسرع
نحو الرسل قبل ان يقتل فقال لهم انى امنت بربكم فاسمعون اى اسمعوا ايمانى لتشهدوا لى به
ولا قتل فاسمعوا قيل له ادخل الجنة وقبره فى سوق انطاكية ولم يقل قيل له لان الكلام سيق
لبيان المقول لا لبيان المقول له مع كونه معلوما وفيه دلالة ان الجنة مخلوقة وقال الحسن لما
اراد القوم ان يقتلوه رفعه الله اليه وهو فى الجنة ولا يموت الا بفناء السموات والارض
فلما دخل الجنة وراى نعيمها قال يا ليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى اى بمغفرة ربى لى او بالذى
غفر لى وجعلنى من المكرمين بالجنة وما انزلنا علينا ما نافية على قومه قوم حبيب نجار
من بعده من بعد قتله او رفعه من جند من السماء لتعذيبهم وما كنا منزلين وما يصح فى
حكمتنا ان ننزل فى اهلاك قوم حبيب جندا من السماء وذلك لان الله تعالى اجرى هلاك كل
قوم على بعض الوجوه دون بعض بحكمة اقتضت ذلك ان كانت الا صيحة الاخذة او العقوبة
الا صيحة واحدة صاح جبرئيل عليه السلام صيحة واحدة فاذا هم خامدون ميتون كما تخمد
النار والمعنى ان الله كفى امرهم بصيحة ملك ولم ينزل لاهلاكهم جندا من جنود السماء كما فعل
يوم بدر والخندق يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزءون الحسرة شدة
الندم وهذا نداء للحسرة عليهم كانما قيل لها تعالى يا حسرة فهذه من احوالك التى حقك ان تحضرى
فيها وهى حال استهزائهم بالرسل والمعنى انهم احقاء بان يتحسر عليهم المتحسرون ويتلهف على
حالهم المتلهفون او هم متحسر عليهم من جهة الملائكة والمومنين من الثقلين الم يروا الم يعلموا
كم اهلكنا قبلهم من القرون نصب باهلكنا ويروا معلق عن العمل فى كم لان كم لا يعمل فيها عامل
قبلها كانت للاستفهام الا ان معناه نافذ فى الجملة وقوله انهم اليهم لا يرجعون بدل من كم اهلكنا

على المعنى لا على اللفظ تقديره الم يروا كثرة اهلاكنا القرون من قبلهم كونهم غير راجعين
اليهم وان كل لما جميع لدينا محضرون لما بالتشديد شامى وعاصم وحمزة بمعنى الا وان نافية
وغيرهم بالتخفيف على ان ما صلة للتاكيد وان مخففة من الثقيلة وهى متلقاة باللام
لا محالة والتنوين فى كل عوض من المضاف اليه والمعنى ان كلهم محشورون مجتمعون بدل
محضرون للحساب او معذبون وانما اخبر عن كل بجميع لان كلا يفيد معنى الاحاطة و
الجميع فعيل بمعنى مفعول ومعناه الاجتماع يعنى ان المحشر يجمعهم واية لهم مبتداء وخبر
اى وعلامة تدل على ان الله يبعث الموتى احياء الارض الميتة ويجوز ان يرتفع اية بالابتداء
لهم صفتها وخبرها الارض الميتة اليابسة وبالتشديد مدنى احييناها بالمطر وهو استيناف
بيان لان الارض الميتة اية وكذلك نسلخ ويجوز ان يوصف الارض والليل بالفعل لانه اريد
بهما الجنسان مطلقين لا ارض وليل باعيانهما فعوملا معاملة النكرات فى وصفهما بالافعال
ونحوه ولقد امر على اللئيم يسبنى واخرجنا منها حبا اريد به الجنس فمنه ياكلون قدم الظرف
ليدل على ان الحب هو الشئ الذى يتعلق به معظم العيش ويقوم بالارتزاق منه صلاح
الانس واذا قل جاء القحط ووقع به الضر واذا فقد حضر الهلاك ونزل البلاء وجعلنا
فيها فى الارض جنات بساتين من نخيل واعناب وفجرنا الارض فيها من العيون من
زايدة عند الاخفش وعند غيره المفعول محذوف تقديره ما ينتفعون به ليأكلوا من
ثمره والضمير لله تعالى اى ليأكلوا مما خلقه الله من الثمر من ثمره حمزة وعلى وما عملته
ايديهم اى وما عملته ايديهم من الغرس والسقى والتلقيح وغير ذلك من الاعمال الى
ان بلغ الثمر منتهاه يعنى ان الثمر فى نفسه فعل الله وخلقه وفيه اثار من كد بنى ادم و
اصله من ثمرنا كما قال وجعلنا وفجرنا فنقل الكلام من التكلم الى الغيبة على طريقة الالتفات
ويجوز ان يرجع الى النخيل وترك الاعناب غير مرجوع اليها لانه علم انها فى حكم
النخيل ما علق به من اكل ثمره ويجوز ان يراد من ثمر المذكور وهو الجنات كما قال رؤبة
فيها خطوط من بياض وبلق كانه فى الجلد توليع البهق فقيل له فقال اردت كان ذاك
وما عملت كوفى غير حفص وهى فى مصاحف اهل الكوفة كذلك وفى مصاحف اهل الحرمين

والبصرة والشام مع الضمير وقيل ما نافية على ان الثمرة خلق الله ولم تعمله ايدي الناس ولا يقدرون
عليه افلا يشكرون استبطاء وحث على شكر نعمه سبحان الذي سخر لنا خلق الازواج الاصناف
كلها مما تنبت الارض من النخل والشجر والزرع والثمر ومن انفسهم الاولاد ذكورا واناثا ومما
لا يعلمون ومن ازواج لم يطلعهم الله عليها ولا توصلوا الى معرفتها ففي الاودية والجبال اشياء
لا يعلمها الناس الا الله وآية لهم الليل نسلخ منه النهار نخرج منه النهار اخراجا لا
يبقى منه شيء من ضوء النهار او ننزع عنه الضوء نزع القميص الابيض فيعرى نفس الزمان كشخص
زنجي اسود لان اصل ما بين السماء والارض من الهواء الظلمة فاكتسى بعضه ضوء الشمس كبيت
مظلم اسرج فيه فاذا غاب السراج اظلم فاذا هم مظلمون داخلون في الظلام والشمس تجري
وآية لهم الشمس تجري لمستقر لها لحد لها موقت مقدر تنتهي اليه فلكها في اخر السنة شبه
بمستقر المسافر اذا قطع مسيره او لحد لها من مسيرها كل يوم في مرأى عيوننا وهو المغرب
او لانتهاء امرها عند انقضاء الدنيا ذلك الجري على ذلك التقدير والحساب الدقيق تقدير
العزيز الغالب بقدرته على كل شيء المقدور العليم بكل معلوم والقمر نصب بفعل يفسره
قدرناه وبالرفع مكي ونافع وابو عمرو وسهل على الابتداء والخبر قدرناه او على وآية لهم
القمر منازل وهي ثمانية وعشرون منزلة ينزل القمر كل ليلة في واحد منها لا يتخطاها ولا يتقاصر
عنه على تقدير مستو يسير فيها من ليلة المستهل الى الثامنة والعشرين ثم يستتر ليلتين او ليلة
اذا نقص الشهر ولا بد في قدرناه منازل من تقدير مضاف لانه لا معنى لتقدير نفس القمر منازل
اي قدرنا نوره فيزيد وينقص وقدرنا سيره منازل فيكون ظرفا فاذا كان في اخر منازله دق
واستقوس حتى عاد كالعرجون هو عود الشمراخ اذا يبس واعوج وزنه فعلول من الانعراج
وهو الانعطاف القديم العتيق المحول واذا قدم دق وانحنى واصفر فشبه به من ثلاثة اوجه
لا الشمس ينبغي لها اي لا يتسهل لها ولا يصح ولا يستقيم ان تدرك القمر فتجتمع معه في وقت
واحد وتداخله في سلطانه فتطمس نوره لان لكل واحد من النيرين سلطانا على حياله فسلطان
الشمس بالنهار وهما النيران ولا يزال الامر على هذا الترتيب الى ان تقوم الساعة فيجمع بين
الشمس والقمر وتطلع الشمس من مغربها وكل التنوين فيه عوض من المضاف اليه اي وكلهم والضمير

وسلطان القمر بالليل ولا الليل
سابق النهار ولا يسبق الليل النهار
اي آية الليل آية النهار وهما

الشموس

للشموس والاقمار في فلك يسبحون اي يسيرون وآية لهم انا حملنا ذريتهم ذرياتهم مدني و
شامي في الفلك المشحون المملوء والمراد بالذرية الاولاد ومن يهمهم حمله وكانوا يبعثونهم الى
التجارات في بر او بحر او الاباء لانها من الاضداد والفلك على هذا سفينة نوح عليه السلام
وقيل معنى حمل الله ذرياتهم فيها انه حمل اباءهم الاقدمين وفي اصلابهم هم وانما ذكر ذرياتهم
دونهم لانه ابلغ في الامتنان عليهم وخلقنا لهم من مثله من مثل الفلك ما يركبون من الابل وهي
سفائن البر وان نشأ نغرقهم في البحر فلا صريخ لهم فلا مغيث لهم او فلا اغاثة ولا هم
ينقذون لا ينجون الا رحمة منا ومتاعا الى حين اي ولا ينقذون الا لرحمة منا ولتمتيع بالحياة
الى انقضاء الاجل فهما منصوبان على المفعول له واذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم
اي ما تقدم من ذنوبكم وما تاخر مما انتم تعملونه من بعد او من مثل الوقائع التي ابتليت بها الامم
المكذبة بانبيائها وما خلفكم من امر الساعة او فتنة الدنيا وعقوبة الاخرة لعلكم ترحمون لتكونوا
على رجاء رحمة الله وجواب اذا مضمر اي اعرضوا وجاز حذفه لان قوله وما تاتيهم من آية
من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين يدل عليه ومن الاولى لتاكيد النفي والثانية للتبعيض و
دابهم الاعراض عند كل آية وموعظة واذا قيل لهم لمشركي مكة انفقوا مما رزقكم الله اي تصدقوا
على الفقراء قال الذين كفروا للذين آمنوا انطعم من لو يشاء الله اطعمه على ابن عباس رض
بمكة زنادقة فاذا امروا بالصدقة على المساكين قالوا لا والله ايفقره الله ونطعمه نحن ان انتم
الا في ضلال مبين قول الله لهم او حكاية قول المؤمنين لهم او هو من جملة جوابهم للمؤمنين
ويقولون متى هذا الوعد اي وقت هذا البعث والقيامة ان كنتم صادقين فيما يقولون
خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه ما ينظرون ينتظرون الا صيحة واحدة هي النفخة الاولى
تاخذهم وهم يخصمون حمزة بسكون الخاء وتخفيف الصاد من خصمه اذا غلبه في الخصومة
وشدد الباقون الصاد اي يختصمون بادغام التاء في الصاد لكنه مع فتح الخاء مكي بنقل حركة
التاء المدغمة اليها وبسكون الخاء مدني وبكسر التاء والخاء يحيى واتبع الياء الخاء في الكسرة وبفتح
الياء وكسر الخاء غيرهم والمعنى تاخذهم وبعضهم يخصم بعضا في معاملاتهم فلا يستطيعون
توصية فلا يستطيعون ان يوصوا في شيء من امورهم توصية ولا الى اهلهم يرجعون ولا يقدرون

على الرجوع الى منازلهم بل يموتون حيث يسمعون الصيحة ونفخ فى الصور هى النفخة الثانية والصور القران او جمع صورة فاذا هم من الاجداث القبور الى ربهم ينسلون يعدون قالوا يا ويلنا من بعثنا اى من انشرنا من مرقدنا مضجعنا وقف لازم عن حفص ومن مجاهد للكفار هجعة يجدون فيها طعم النوم فاذا صيح باهل القبور قالوا من بعثنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون كلام الملايكة او المتقين او الكافرين يتذكرون ما سمعوه من الرسل فيجيبون به انفسهم او بعضهم بعضا وما مصدرية ومعناه هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون على تسمية الموعود والمصدوق فيه بالوعد والصدق او موصولة وتقديره هذا الذى وعده الرحمن والذى صدقه المرسلون اى والذى صدق فيه المرسلون ان كانت النفخة الاخيرة الا صيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون للحساب ثم ذكر ما يقال لهم فى ذلك اليوم فاليوم لا تظلم نفس شيا ولا تجزون الا ما كنتم تعملون ان اصحاب الجنة اليوم فى شغل بضمتين كوفى وشامى وبضمة وسكون مكى ونافع وابو عمرو والمعنى فى اى شغل وفى شغل لا يوصف وهو افتضاض الابكار على شط الانهار تحت الاشجار او ضرب الاوتار او ضيافة الجبار فاكهون بان فكهون يزيد والفاكه والفكه المتنعم المتلذذ وكذلك ومنه الفاكهة لانه مما يتلذذ به وكذا الفكاهة هم مبتداء وازواجهم عطف عليه فى ظلال جمع ظل وهو الموضع الذى لا تقع عليه الشمس كذيب وذياب او جمع ظلة كبرمة وبرام دليله قراءة حمزة وعلى ظلل جمع ظلة وهى ما سترك عن الشمس على الارائك جمع اريكة وهو السرير فى الحجلة او الفراش فيها متكئون خبر او فى ظلال خبر وعلى الارائك بردة مستانفة لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون يفتعلون من الدعاء اى كل ما يدعونه اهل الجنة ياتيهم او يتمنون من قولهم ادع على ما شئت اى تمنه على عن الفراء هو من الدعوى ولا يدعون ما لا يستحقون سلام بدل من لم يدعون كانه قال لهم سلام يقال لهم قولا من رب الرحيم والمعنى ان الله يسلم عليهم بواسطة الملايكة او بغير واسطة تعظيما لهم وذلك متمناهم ولهم ذلك لا يمنعونه قال ابن عباس رض والملايكة يدخلون عليهم من رب العالمين وامتازوا اليوم ايها المجرمون و انفردوا عن المومنين ويسارهم الى الجنة وعن الضحاك لكل كافر بيت من النار يكون فيه لا يرى

ولا يرى

ولا يرى ابدا ويقول لهم يوم القيمة الم اعهد اليكم يا بنى ادم الا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين العهد الوصية وعهد اليه اذا اوصاه وعهد الله اليهم ما ركز فيهم من ادلة العقل وانزل عليهم من دلايل السمع وعبادة الشيطان طاعته فيما يوسوس به اليهم ويزينه لهم وان اعبدونى وحدونى واطيعونى هذا اشارة الى ما عهد اليهم فيه من معصية الشيطان وطاعة الرحمن صراط مستقيم اى صراط بليغ فى الاستقامة لا صراط اقوم منه ولقد اضل منكم جبلا بكسر الجيم والباء والتشديد مدنى وعاصم وسهل جبلا بضم الجيم والباء والتشديد يعقوب جبلا مخففا شامى وابو عمرو وجبلا بضم الجيم والباء وتخفيف اللام غيرهم وهذه لغات فى معنى الخلق كثيرا افلم تكونوا تعقلون استفهام تفريع على تركهم الانتفاع بالعقل هذه جهنم التى كنتم توعدون بها اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون ادخلوها بكفركم وانكارهم لها اليوم نختم على افواههم اى نمنعهم من الكلام وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون يروى انهم يجحدون ويخاصمون فيه ان فيشهد عليهم جيرانهم واهاليهم وعشايرهم فيحلفون ما كانوا مشركين ثم يختم على افواههم وتكلم ايديهم وارجلهم وفى الحديث يقول العبد يوم القيمة انى لا اجير على شاهدا الا من نفسى فيختم على فيه ويقال لاركانه انطقى فتنطق باعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن اناضل ولو نشاء لطمسنا على اعينهم ولو شئنا لاعميناهم واذهبنا ابصارهم والطمس تعفية شق العين حتى تعود ممسوحة فاستبقوا الصراط على حذف الجار وايصال الفعل والاصل فاستبقوا الى الصراط فانى يبصرون فكيف يبصرون حينئذ وقد طمسنا اعينهم ولو نشاء لمسخناهم قردة و خنازير او حجارة على مكانتهم على مكاناتهم ابو بكر وحماد والمكانة والمكان واحد كالمقامة والمقام اى لمسخناهم فى منازلهم حيث يجترحون الماثم فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون فلم يقدروا على ذهاب ولا مجىء او مضيا امامهم ولا يرجعون خلفهم ومن نعمره ننكسه عاصم وحمزة والتنكيس جعل الشىء اعلاه اسفله اى ابا قون ينكسه فى الخلق اى نقلبه فيه يعنى من اطلنا عمره نكسنا خلقه فصار بدل القوة ضعفا وبدل الشباب هرما وذلك انا خلقناه على ضعف فى جسده وخلو من عقل وعلم ثم جعلناه يتزايد الى ان يبلغ اشده ويستكمل قوته

ويعقل ويعلم ماله وما عليه فاذا انتهى نكسناه فى الخلق فجعلناه يتناقص حتى يرجع فى حال شبيه
بحال الصبى فى ضعف جسده وقلة عقله وخلوه من العلم كما ينكس السهم فيجعل اعلاه اسفله
قال عز وجل يرده الى ارذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا افلا يعقلون ان من قدر على ان
ينقلهم من الشباب الى الهرم ومن القوة الى الضعف ومن رجاحة العقل الى الخرف وقلة
التميز قادر على ان يطمس على اعينهم ويمسخهم على مكانتهم ويبعثهم بعد الموت وبالتاء مدنى
ويعقوب وسهل وكانوا يقولون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم شاعر فنزل وما علمناه الشعر
اى وما علمناه بتعليم القران الشعر على معنى ان القران ليس بشعر
فهو كلام موزون مقفى يدل على معنى فاين الوزن واين التقفية فلا مناسبة بينه وبين الشعر
اذا حققت وما ينبغى له وما يصح له ولا يليق بحاله ولا يتطلب لو طلبه اى جعلناه بحيث
لو اراد قرض الشعر لم يتات له ولم يتسهل كما جعلناه اميا لا يهتدى للخط لتكون الحجة اثبت
والشبهة ادحض واما قوله انا النبى لا كذب انا ابن عبد المطلب وقوله هل انت الا اصبع دميت
وفى سبيل الله ما لقيت فما هو الا من جنس كلامه الذى يرمى به على السليقة من غير صنعة فيه
ولا تكلف الا انه اتفق من غير قصد الى ذلك ولا التفات منه ان جاء موزونا كما يتفق فى
خطب الناس ورسائلهم ومحاوراتهم اشياء موزونة ولا يسميها احد شعرا لان صاحبه
لم يقصد الوزن ولا بد منه على انه عليه الصلوة والسلام قال لقيت بالسكون وفتح الباء فى كذب
وخفض الباء فى عبد المطلب ولما نفى ان يكون القران من جنس قال ان هو اى المعلم الا ذكر
وقران مبين اى وما هو الا ذكر من الله يوعظ به الانس والجن وما هو الا قران كتاب سماوى
يقرا فى المحاريب ويتلى فى المتعبدات وينال بتلاوته والعمل به فوز الدارين فكم بينه
وبين الشعر الذى هو من همزات الشياطين لينذر القران او الرسول لتنذر مدنى وشامى
وسهل ويعقوب من كان حيا عاقلا متاملا لان الغافل كالميت او حيا بالقلب ويحق القول
ويجب كلمة العذاب على الكافرين الذين هم لا يتاملون وهم فى حكم الاموات اولم يروا انا
خلقنا لهم مما عملت ايدينا انعاما اى مما تولينا نحن احداثه ولم يقدر على توليه غيرنا فهم
لها مالكون اى خلقناها لاجلهم فملكناها اياهم فهم لها ضابطون قاهرون وذللناها لهم

صيرناها

صيرناها منقادة لهم ولا فمن كان يقدر عليها لولا تذليله وتسخيره لها ولهذا الزم الله سبحانه
الراكب ان يشكر هذه النعمة ويسبح بقوله سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين فمنها ركوبهم
وهو ما يركب ومنها ياكلون اى سخرناها لهم ليركبوا ظهرها وياكلوا لحمها ولهم فيها منافع من
الجلود والاوبار وغير ذلك ومشارب من اللبن وهو جمع مشرب وهو موضع الشرب او الشرب
افلا يشكرون الله على انعام الانعام واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون اى لعل
اصنامهم ينصرونهم اذا حزبهم لا يستطيعون اى آلهتهم نصرهم نصرها بايديهم وهم لهم اى الكفار
للاصنام جند اعوان وشيعة محضرون يخدمونهم ويذبون عنهم او اتخذوهم لينصروهم
عند الله ويشفعوا لهم والامر على خلاف ما توهموا حيث هم يوم القيمة جند معدون لهم
محضرون لعذابهم لانهم يجعلون وقود النار فلا يحزنك قولهم وبضم الياء وكسر الزاء
نافع من حزنه واحزنه يعنى فلا يهمنك تكذيبهم واذاهم وجفاؤهم انا نعلم ما يسرون من
عداوتهم وما يعلنون وانا مجازوهم عليه فحق مثلك ان يتسلى بهذا الوعيد ويستحضر
فى نفسه صورة حاله وحالهم فى الآخرة حتى ينقشع عنه الهم ولا يرهقه الحزن ومن زعم ان
من قرا انا نعلم بالفتح فسدت صلوته وان اعتقد معناه فقد اخطا كفر لانه يمكن حمله على حذف
لام التعليل وهو كثير فى القران والشعر وفى كلام ٧ وعليه تلبية رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
الحمد والنعمة لك وكسر ابو حنيفة رح وفتح الشافعى رح وكلاهما تعليل فان قلت ان كان
المفتوح بدلا من قولهم كانه قيل فلا يحزنك انا نعلم ما يسرون وما يعلنون ففساده ظاهر
قلت هذا المعنى قائم مقام المكسور اذا جعلتها مفعولة للقول فقد تبين ان تعلق الحزن بكون
الله عالما وعدم تعلقه لا يدوران على كسر ان وفتحها وانما يدوران على تقديرك فتفصل ان
فتحت بان تقدر معنى التعليل اذا كسرت ولا تقدر معنى المفعولية ثم ان قدرته كاسرا او فاتحا
على عظم فيه الخطب ذلك القائل فما فيه الا نهى رسول الله عن الحزن على علمه تعالى بسرهم
وعلانيتهم والنهى على حزنه ليس اثباتا لحزنه بذلك كما فى قوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا تكونن
من المشركين فلا تدع مع الله الها آخر ونزل فى ابى بن خلف حين اخذ عظما باليا وجعل يفته
بيده ويقول يا محمد اترى الله يحيى هذا بعد ما رم فقال نعم ويبعثك ويدخلك جهنم اولم ير

٧ كلام

الانسان انا خلقناه من نطفة مذرة خارجة من الاحليل الذى هو قناة النجاسة فاذا هو خصيم
مبين بين الخصومة اى فهو على مهانة اصله ودناءة اوله يتصدى لمخاصمة ربه وينكر قدرته
على احياء الميت بعد ما رمت عظامه ثم يكون جسامه فى الزم وصف له والصقة به
وهو كونه منشاء من موات وهو ينكر انشاءه وهو غاية المكابرة وضرب لنا مثلا بنفيه العظم
ونسى خلقه من المنى فهو اغرب من احياء العظم المصدر مضاف الى المفعول اى خلقنا اياه
قال من يحيى العظام وهى رميم هو اسم لما بلى من العظام غير صفة كالرمة والرفاة فلهذا
لم يؤنث وقد وقع خبر المؤنث ومن ثبت الحيوة فى العظام ويقول ان عظام الميتة نجسة
لان الموت يؤثر فيها من قبل ان الحيوة تحلها يتشبث بهذه الاية وهى عندنا ظاهرة وكذا
الشعر والعصب لان الحيوة لا تحلها فلا يؤثر فيها الموت والمراد باحياء العظام فى الاية ردها
الى ما كانت عليه غضة رطبة فى بدن حى حساس قل يحييها الذى انشاها خلقها اول مرة اى
ابتداء وهو بكل خلق عليم لا يخفى عليه اجزءه وان تفرقت فى البر والبحر فيجمعه ويعيده
كما كان الذى جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا انتم منه توقدون تقدحون ثم ذكر من بدائع
خلقه انقداح النار من الشجر الاخضر مع مضادة النار الماء وانطفاءها به وهى الزناد التى
توري بها الاعراب واكثرها من المرخ والعفار وفى امثالهم فى كل شجر نار واستمجد المرخ و
العفار يقطع الرجل منها غصنين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ
وهو ذكر على العفار وهى انثى فينقدح النار باذن الله وعن ابن عباس رض ليس من شجرة الا وفيها
نار الا العناب لمصلحة الدق للثياب فمن قدر على جمع الماء والنار فى الشجر قدر على المعاقبة
بين الموت والحيوة فى البشر واجراء احد الضدين على الاخر بالتعقيب اسهل فى العقل من
الجمع معا بلا ترتيب والاخضر على اللفظ وقرى الخضراء على المعنى ثم بين ان من قدر على خلق السموات
والارض مع عظم شانها فهو على خلق الاناسى
اقدر بقوله اوليس الذى خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم فى الصغر بالاضافة
الى السموات والارض او ان يعيدهم لان المعاد مثل المبداء وليس به بلى اى قل بلى هو قادر على ذلك
وهو الخلاق الكثير المخلوقات العليم الكثير المعلومات انما امره اى شانه شيأ اذا اراد شيأ ان يقول

له كن اى يكونه فيكون فيحدث اى فهو كائن موجود لا محالة فالحاصل ان المكونات بتخليقه و
تكوينه ولكن عبر عن ايجاده بقوله كن من غير ان كان منه كاف ونون وانما بيان لسرعة الايجاد
كانه يقول كما لا يثقل قوله كن عليكم فكذا لا يثقل على الله ابتداء الخلق واعادتهم فيكون شامى
وعلى عطف على يقول واما الرفع فلانها جملة من مبتداء وخبر لان تقديرها فهو يكون
معطوفة على مثلها وهى امره ان يقول له كن فيكون فسبحان تنزيه مما وصفه به المشركون
وتعجيب من ان يقولوا فيه ما قالوا الذى بيده ملكوت كل شئ اى ملك كل شئ وزيادة الواو
والتاء للمبالغة يعنى هو مالك كل شئ واليه ترجعون تعادون بعد الموت بلا فوت ترجعون
يعقوب قال عليه الصلوة والسلام ان لكل شئ قلبا وان قلب القرآن يس من قراء يس يريد بها
وجه الله غفر الله له واعطى من الاجر كانما قراء القران اثنين وعشرين مرة وقال عليه الصلوة
والسلام من قراء سورة يس امام حاجة قضيت له وقال عليه الصلوة والسلام من قراءها ان كان
جائعا اشبعه الله وان كان ضمانا اروأه الله وان كان عريانا البسه الله وان كان خائفا آمنه
الله وان كان متوحشا آنسه الله وان كان فقيرا اغناه الله وان كان فى السجن اخرجه الله
وان كان اسيرا اخلصه الله وان كان ضالا هداه الله وان كان مديونا قضى الله دينه من خزائنه
وتدعى الرافعة والقاضية تدفع عنه كل سوء وتقضى له كل حاجة

سورة الصافات مكية وهى مائة واثنى وثمانون او احدى وثمانون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا اقسم سبحانه وتعالى بطوائف الملائكة
او بنفوسهم الصافات اقدامها فى الصلوة فالزاجرات السحاب سوقا او عن المعاصى
بالالهام فالتاليات لكلام الله من الكتب المنزلة وغيرها وهو قول ابن عباس وابن مسعود
ومجاهد رض او بنفوس العلماء العمال الصافات اقدامها فى التهجد وسائر الصلوات فالزاجرات
بالمواعظ والنصائح فالتاليات ايات الله والدارسات شرائعه او بنفوس الغزاة فى سبيل الله
التى تصف الصفوف فى زجر الخيل للجهاد وتتلو الذكر مع ذلك وصفا مصدر مؤكد وكذلك
زجرا والفاء يدل على ترتيب الصفات فى التفاضل فيفيد الفضل للصف ثم للزجر ثم للتلاوة او
على العكس وجواب القسم ان الهكم لواحد قيل هو جواب قولهم اجعل الالهة الها واحدا رب السموات

والارض خبر بعد خبر او خبر مبتداء محذوف اى هو رب وما بينهما ورب المشارق اى مطالع
الشمس وهى ثلثماية وستون مشرقا وكذلك المغرب تشرق الشمس كل يوم فى مشرق منها و
يغرب فى مغرب ولا تطلع ولا تغرب فى واحد يومين واما رب المشرقين ورب المغربين فانه
اراد مشرقى الصيف والشتاء ومغربيهما واما رب المشرق والمغرب فانه اراد والمشرق الجنس
والمغرب جهته انا زينا السماء الدنيا القربى منكم تاينث الادنى بزينة الكواكب حمزة وحفص
على البدل من الزينة والمعنى انا زينا السماء الدنيا بالكواكب بزينة الكواكب غيرهم بالاضافة
المصدر الى الفاعل اى بان زانتها الكواكب واصله بزينة الكواكب او على اضافته الى المفعول
اى بان زان الله الكواكب وحسنها لانها انما زينت السماء لحسنها فى انفسها واصله بزينة الكواكب
كقراءة ابى بكر وحفظا محمول على المعنى لان المعنى انا خلقنا الكواكب زينة السماء وحفظا من
الشياطين كما قال ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين او الفعل
المعلل مقدر كانه قيل وحفظا من كل شيطان زيناها بالكواكب او معناه حفظناها حفظا من
كل شيطان مارد خارج من الطاعة والضمير فى لا يسمعون لكل شيطان لانه بمعنى الشياطين يسمعون
كوفى الا ابى بكر واصله يتسمعون والتسمع تطلب السماع يقال تسمع فسمع او فلم يسمع وينبغى ان
يكون كلاما منقطعا مبتدا اقتصاصا لما عليه حال المسترقة للسمع وانهم لا يقدرون ان
يسمعوا الى كلام الملايكة او يتسمعوا وقيل اصله لئلا يسمعوا فحذفت اللام كما حذفت فى جئتك
ان تكرمنى فبقى ان لا يسمعوا فحذفت ان واهدر عملها كما فى قوله الا ايهذا الزاجرى احضر الوغا
وفيه تعسف يجب صون القران عن مثله فان كل واحد من الحذفين غير مردود على انفراده ولكن
اجتماعهما منكر والفرق بين سمعت فلانا يتحدث وسمعت اليه يتحدث وسمعت حديثه
والى حديثه ان المعدى بنفسه يفيد الادراك والمعدى بالى يفيد الاصغاء مع الادراك الى الملا
الاعلى اى الملايكة لانهم يسكنون السموات والانس والجن هم الملا الاسفل لانهم سكان الارض
ويقذفون يرمون بالشهب من كل جانب من جميع جوانب السماء من اى جهة صعدوا للاستراق
دحورا مفعول له اى ويقذفون للدحور وهو الطرد او مدحورين على الحال او لان القذف
والطرد متقاربان فى المعنى فكانه قيل يدحرون او قذفا ولهم عذاب واصب دايم من الوصوب

اى انهم

اى انهم فى الدنيا مرجومون بالشهب وقد اعد لهم فى الاخرة نوع من العذاب دايم غير منقطع
ومن فى الا من فى محل الرفع بدل من الواو فى لا يسمعون اى لا يسمع الشياطين الا الشيطان الذى
خطف الخطفة اى سلب السلبة يعنى اخذ شيا من كلامهم بسرعة فاتبعه لحقه شهاب نجم رجيم
ثاقب مضى فاستفتهم فاستخبر كفار مكة اهم اشد خلقا اى اقوى خلقا من قولهم شديد الخلق و
فى خلقه شدة او اصعب خلقا واشقه على معنى الرد لانكارهم البعث وان من هان عليه خلق هذه
الخلائق العظيمة ولم يصعب عليه اختراعها كان خلق البشر عليه اهون ام من خلقنا يريد ما ذكر
من خلايقه من الملايكة او السموات والارض وما بينهما وجىء بمن تغليبا للعقلاء على غيرهم
ويدل عليه قراءة من قرا ام من عددنا بالتخفيف والتشديد انا خلقناهم من طين لازب لاصق او
لازم وقرى به وهذه شهادة عليهم بالضعف لان ما يصنع من الطين غير موصوف بالصلابة
والقوة واحتجاج عليهم بان الطين اللازب الذى خلقوا منه تراب فمن اين استنكروا ان يخلقوا
من تراب مثله حيث قالوا ايذا كنا ترابا وهذا المعنى يعضده ما يتلوه من ذكر انكارهم البعث
بل عجبت من تكذيبهم اياك ويسخرون هم منك من تعجبك او عجبت من انكارهم البعث وهم
يسخرون من امر البعث بل عجبت حمزة وعلى اى استعظمت والعجب روعة تعترى الانسان
عند استعظام الشىء فجرد لمعنى الاستعظام فى حقه تعالى لانه لا يجوز عليه الروعة او معناه قل يا
محمد واذا ذكروا لا يذكرون ودابهم انهم اذا وعظوا بشىء لا يتعظون به واذا راوا اية معجزة
كانشقاق القمر ونحوه يستسخرون يستدعى بعضهم من بعض ان يسخر منها او يبالغون فى السخرية
وقالوا ان هذا ما هذا الا سحر مبين ظاهر ائذا استفهام انكار متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا
لمبعوثون اى انبعث اذا كنا ترابا وعظاما او اباؤنا معطوف على محل ان واسمها او على الضمير
فى مبعوثون والمعنى ايبعث ايضا اباؤنا على زيادة استبعاد يعنون انهم اقدم فبعثهم ابعد
وابطل او اباؤنا بسكون الواو مدنى وشامى اى ايبعث واحد منا على المبالغة فى الانكار
الاولون الاقدمون قل نعم تبعثون نعم على وجهان لغتان وانتم داخرون صاغرون فانما جواب
شرط مقدر تقديره اذا كان كذلك فما هى الا زجرة واحدة وهى لا ترجع لشىء انما هى مبهمة توضحها
خبرها ويجوز فانما البعثة زجرة واحدة وهى نفخة ثانية والزجرة الصيحة من قولك زجر الراعى

الابل والغنم اذا صاح عليها فاذا هم احياء بصراء ينظرون الى سوء اعمالهم او ينتظرون ما يحل لهم

وقالوا يا ويلنا الويل كلمة يقولها القائل وقت الهلاكة هذا يوم الدين اى اليوم الذى ندان فيه اى

نجازى باعمالنا هذا يوم الفصل يوم القضاء والفرق بين فرق الهدى والضلال الذى كنتم به تكذبون

ثم يحتمل ان يكون هذا يوم الدين الى قوله احشروا كلام الكفرة بعضهم مع بعض وان يكون من كلام

الملائكة لهم وان يكون يا ويلنا هذا يوم الدين كلام الكفرة وهذا يوم الفصل من كلام الملائكة

جوابا لهم احشروا خطاب الله للملائكة الذين ظلموا كفروا وازواجهم واشباههم او من الشياطين

او نساءهم الكافرات والواو بمعنى مع وقيل للعطف وقرى بالرفع عطفا على الضمير فى ظلموا

وما كانوا يعبدون من دون الله اى الاصنام فاهدوهم دلوهم عن الاصمعى هداية فى الدين

هدى وفى الطريق هداية الى صراط الجحيم طريق النار وقفوهم احبسوهم انهم مسئولون عن اقوالهم

وافعالهم ما لكم لا تناصرون لا ينصر بعضكم وهذا توبيخ لهم بالعجز عن التناصر بعد ما كانوا متناصرين

فى الدنيا وقيل هو جواب لابى جهل حيث قال يوم بدر نحن جميع منتصر وهو فى موضع النصب على

الحال اى ما لكم غير متناصرين بل هم اليوم مستسلمون منقادون او قد اسلم بعضا وخذله عن عجز

وكلهم مستسلم غير منتصر واقبل بعضهم على بعض اى التابع على المتبوعين يتساءلون يتخاصمون

قالوا اى الاتباع للمتبوعين انكم كنتم تاتوننا عن اليمين عن القوة والقهر اذ اليمين موصوفة بالقوة

وبها تقع البطش اى انكم تحملوننا على الضلال اى تلجئوننا عليه قالوا اى الرؤساء بل لم تكونوا

مؤمنين بل ابيتم انتم الايمان واعرضتم عنه مع تمكنكم مختارين له على الكفر غير ملجئين وما كان

لنا عليكم من سلطان تسلط نسليكم به تمكنكم واختياركم بل كنتم قوما طاغين بل كنتم قوما

مختارين الطغيان فحق علينا فلزمنا جميعا قول ربنا انا لذائقون يعنى وعيد الله بانا ذائقون

لعذابه لا محالة لعلمه بحالنا ولو حكى الوعيد كما هو يقال انكم لذائقون ولكنه عدل به الى لفظ المتكلم

لانهم متكلمون بذلك عن انفسهم ونحوه قوله لقد زعمت هوازن قل مالى ولو حكى قولها لقال

قل مالك فاغويناكم فدعوناكم الى الغى انا كنا غاوين فاردنا اغواءكم لتكونوا امثالنا فانهم فان

الاتباع والمتبوعين جميعا يومئذ يوم القيمة فى العذاب مشتركون كما كانوا مشتركين فى الغواية انا

كذلك نفعل بالمجرمين بالمشركين انا مثل ذلك الفعل نفعل بكل مجرم انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله

يستكبرون انهم كانوا اذا سمعوا بكلمة التوحيد استكبروا عنها وابوا الا الشرك ويقولون ائنا

لتاركوا الهتنا لشاعر مجنون يعنون محمدا عليه الصلوة والسلام بل جاء بالحق

رد على المشركين وصدق المرسلين كقوله مصدقا لما بين يديه انكم لذائقوا العذاب الاليم وما

تجزون الا بما كنتم تعملون بلا زيادة الا عباد الله المخلصين بفتح اللام كوفى ومدنى وكذلك

ما بعده اى لكن عباد الله على الاستثناء المنقطع اولئك لهم رزق معلوم فواكه فسر الرزق

المعلوم بالفواكه وهى كل ما يتلذذ به ولا يتقوت لحفظ الصحة يعنى ان رزقهم كله فواكه لانهم

مستغنون عن حفظ الصحة بالاقوات لان اجسامهم محكمة مخلوقة للابد فما ياكلونه للتلذذ

ويريد ان يراد رزق معلوم منعوت بخصائص خلق عليها من طيب طعم ورائحة ولذة وحسن

منظر وقيل معلوم الوقت كقوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا والنفس اليه اسكن وهم مكرمون

معظمون فى جنات النعيم يجوز ان يكون ظرفا وان يكون خبرا بعد خبر وكذا على سرر متقابلين

التقابل اتم للسرور واآنس يطاف عليهم بكاس بغير همز ابو عمرو وحمزة فى الوقف وغيرها بالهمزة

فهى الخمر يقال للزجاجة فيها الخمر كاس ويسمى الخمر نفسها كاسا وعن الاخفش كل كاس فى القران

فهى الخمر وكذا فى تفسير ابن عباس رض من معين من شراب معين او من نهر معين وهو الجارى

على وجه الارض الظاهر للعيون وصف بما وصف به الماء لانه يجرى فى الجنة فى انهار كما يجرى

الماء قال الله تعالى وانهار من خمر بيضاء صفة للكاس لذة للشاربين لا فيها غول اى لا تغتال

عقولهم كخمور الدنيا وهو من غاله يغوله غولا اذا اهلكه وافسده ولا هم عنها ينزفون

من نزف الشارب اذا ذهب عقله ويقال للسكران نزيف ومنزوف ينزفون على و

حمزة اى لا يسكرون او لا ينفد شرابهم من انزف الشارب اذا ذهب عقله او شرابه

وعندهم قاصرات الطرف قصرن ابصارهن على ازواجهن لا يمددن طرفا الى غيرهم

عين جمع عيناء اى نجل واسعة العين كانهن بيض مكنون مصون شبههن ببيض النعام

المكنون فى الاضحاء وبها تشبه العرب النساء وتسميهن بيضاء الخدود وعطف فاقبل

بعضهم يعنى اهل الجنة على بعض يتساءلون على يطاف عليهم والمعنى يشربون فيتحادثون

على الشراب فيقبل بعضهم على بعض يتساءلون عما جرى عليهم فى الدنيا الا انه جئ به ماضيا

على ما عرف في اخباره قال قايل منهم اني كان لي قرين يقول اينك لمن المصدقين بهن بين شامي وكوفي
بيوم الدين ايذا متنا وكنا ترابا وعظاما اينا لمدينون لمجزيون من الدين وهو الجزاء قال ذلك
القائل هل انتم مطلعون الى النار لاريكم ذلك القرين قيل ان في الجنة كوى ينظر اهلها منها الى
اهل النار او قال الله تعالى لاهل الجنة هل انتم مطلعون الى النار فتعلموا اين منزلكم من منزلة
اهل النار فاطلع المسلم فرآه اي قرينه في سواء الجحيم في وسطها قال تالله ان كدت لتردين
ان مخففة من المثقلة وهي تدخل على كاد كما تدخل على كان واللام هي الفارقة بينها وبين النافية
والارداء الاهلاك وبالياء في الحالين يعقوب ولولا نعمة ربي وهي العصمة والتوفيق في
الاستمساك بعروة الاسلام لكنت من المحضرين من الذين احضروا العذاب كما احضرته انت
وامثالك افما نحن بميتين الا موتتنا الاولى وما نحن بمعذبين الفاء للعطف على محذوف
تقديره انحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين ولا معذبين والمعنى ان هذه حال المؤمنين
وهو ان لا يذوقوا الا الموتة الاولى بخلاف الكفار فانهم فيما يتمنون الموت كل ساعة وقيل
لحكيم ما شر من الموت قال الذي يتمنى فيه الموت وهذا قول يقوله المؤمن يحدثا بنعمة بمسمع من
قرينه ليكون توبيخا وزيادة تعذيب وموتتنا نصب على المصدر والاستثناء متصل تقديره
لا نموت الا مرة او منقطع وتقديره لكن الموتة الاولى قد كانت في الدنيا ثم قال القرينة تعرفا
له ان هذا الامر الذي نحن فيه لهو الفوز العظيم ثم قال الله تعالى لمثل هذا فليعمل العاملون
وقيل هو ايضا من كلامه اذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم اي انعيم الجنة وما فيها من اللذات
والطعام والشراب خير نزلا ام شجرة الزقوم خير نزلا والنزل ما نعام للنازل بالمكان من
الرزق والزقوم شجر مر يكون بتهامة انا جعلناها فتنة للظالمين محنة وعذابا لهم في الاخرة
او ابتلاء لهم في الدنيا وذلك انهم قالوا كيف يكون في النار شجرة والنار تحرق الشجر فكذبوا
انها شجرة تخرج في اصل الجحيم قيل منبتها في قعر جهنم واغصانها ترتفع الى دركاتها طلعها كانه
رؤس الشياطين الطلع للنخلة فاستعير لما طلع من شجرة الزقوم من حملها وشبه برؤس الشياطين
للدلالة على تناهيه في الكراهة وقبح المنظر لان الشيطان مكروه مستقبح في طباع الناس لاعتقادهم
انه شر محض وقيل الشيطان حية عرفاء قبيحة المنظر هائلة جدا فانهم لاكلون منها من الشجرى

من طلعها فمالئون منها البطون فمالئون بطونهم لما يغلبهم منع الجوع الشديدة ثم ان لهم عليها
على اكلها لشوبا لخلطا ومزاجا من حميم ماء حار يشوي وجوههم ويقطع امعاءهم كما قال في
صفة شراب اهل الجنة ومزاجه من تسنيم ومعنى ثم انهم يملون البطون من شجرة الزقوم وهو
حار يحرق بطونهم ويعطشهم فلا يسقون ماهو احر والشراب المشوب بالحميم ثم ان مرجعهم
لالى الجحيم اي انهم يذهب بهم عن مقارهم ومنازلهم في الجحيم وهي دركات التي اسكنوها
الى شجرة الزقوم فياكلون الى ان تملوا ويسقون بعد ذلك ثم يرجعون الى دركاتهم ومعنى
التراخي في ذلك ظاهر انهم الفوا اباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون علل استحقاقهم للوقوع
في تلك الشدائد بتقليد الاباء في الدين واتباعهم اباءهم على الضلال وترك اتباع الدليل من
الاسراع الشديد كانهم يحثون حثا ولقد ضل قبلهم قبل قومك قريش اكثر الاولين يعني الامم
الخالية بالتقليد وترك النظر والتامل ولقد ارسلنا فيهم منذرين انبياء حذروهم العواقب
فانظر كيف كان عاقبة المنذرين الذين انذروا وحذروا اي هلكوا جميعا الا عباد الله
المخلصين اي الا الذين امنوا منهم واخلصوا لله دينهم واخلصهم الله لدينه على القراءتين
ولما ذكر ارسال المنذرين في الامم الخالية وسوء عاقبة المنذرين اتبع ذلك ذكر نوح ودعائه
اياه حين ايس من قومه بقوله ولقد نادينا نوح دعانا لننجيه من الغرق وقيل اراد به قوله
اني مغلوب فانتصر فلنعم المجيبون اللام الداخلة على نعم جواب قسم محذوف والمخصوص
بالمدح محذوف تقديره ولقد نادينا نوح فوالله لنعم المجيبون نحن والجمع دليل العظمة
والكبرياء والمعنى انا اجبناه احسن الاجابة ونصرناه على اعدائه وانتقمنا منهم ابلغ ما يكون
ونجيناه واهله ومن آمن به واولاده من الكرب العظيم وهو الغرق وجعلنا ذريته هم الباقين
وقد فنى غيرهم قال قتادة الناس كلهم من ذرية نوح وكان لنوح ثلثة اولاد سام وهو ابو
العرب وفارس والروم وحام وهو ابو السودان من المشرق الى المغرب ويافث وهو
ابو الترك وياجوج وماجوج وتركنا عليه في الاخرين من الامم هذه الكلمة وهي سلام على نوح
يعني يسلمون عليه تسليما ويدعون له وهو من الكلام المحكي كقولك قرات سورة انزلناها في
العالمين اي ثبت هذه التحية فيهم جميعا ولا يخلو احد منهم منها كانه قيل ثبت الله التسليم على

نوح وادامه في الملايكة والثقلين يسلمون عليه عن آخرهم انا كذلك نجزي المحسنين على مجازاته تلك
التكرمة السفينة بانه كان محسنا انه من عبادنا المؤمنين ثم علل كونه محسنا بانه كان عبدا مؤمنا
ليريك جلالة محل الايمان وانه القصارى من صفات المدح والتعظيم ثم اغرقنا الاخرين
اي الكافرين وان من شيعته لابراهيم اي من شيعة نوح اي ممن شايعه على اصول الدين او تشابهم
على التصلب في دين الله ومصابرة المكذبين وكان من نوح وابراهيم الفان وستمائة واربعون
سنة وما كان بينهما الا نبيا هود وصالح اذ جاء ربه اذ تعلق بما في الشيعة من معنى المشايعة
يعني وان ممن شايعه على دينه وتقواه حين جاء ربه بقلب سليم من الشرك او من آفات
القلوب لابراهيم او بمحذوف وهو اذكر ومعنى المجيء بقلبه ربه انه اخلص لله قلبه وعلم الله
ذلك منه فضرب المجيء مثلا لذلك اذ بدل من الاولى قال لابيه وقومه ماذا تعبدون أئفكا
آلهة دون الله تريدون افكا مفعول له تقديره اتريدون آلهة دون الله افكا وانما قدم
المفعول له على الفعل للعناية وقدم المفعول له على المفعول لانه كان الاهم عنده ان يكافحهم
بانهم على افك وباطل في شركهم ويجوز ان يكون افكا مفعولا به اي اتريدون افكا فسر الافك
بقوله آلهة من دون الله على انها افك في نفسها او حالا اي اتريدون آلهة من دون الله آفكين
فما ظنكم اي شيء ظنكم برب العالمين وانتم تعبدون غيره وما رفع بالابتداء والخبر ظنكم
او فما ظنكم به ماذا يفعل بكم وكيف يعاقبكم وقد عبدتم غيره وعلمتم انه المنعم على الحقيقة
فكان حقيقا بالعبادة فنظر نظرة في النجوم اي نظر في النجوم رامقا بطرفه الى السماء متفكرا
في نفسه كيف يحتال او اراهم انه ينظر في النجوم لاعتقادهم علم النجوم فاوهمهم انه استدل بامارة
على انه يسقم فقال اني سقيم اي مشارف للسقم وهو الطاعون وكان اغلب الاسقام وكانوا
يخافون العدوى ليتفرقوا عنه فهربوا منه الى عيدهم وتركوه في بيت الاصنام ليس معه احد
ففعل بالاصنام ما فعل وقالوا علم النجوم كان حقا ثم نسخ الاشتغال بمعرفته والكذب حرام
الا اذا عرض والذي قاله ابراهيم عليه السلام معراض من الكلام اي ساسقم او من في عنقه الموت
سقيم والمثل كفى بالسلامة داء ومات رجل فجاة فقالوا مات وهو صحيح فقال اعرابي اصحيح
ومن الموت في عنقه او اراد اني سقيم النفس لكفركم كما يقال انا مريض القلب من كذا فتولوا

عنه فارفضوا فاعرضوا مدبرين مولين الادبار فراغ الى آلهتهم فمال اليهم سرا فقال استهزاء الا
تأكلون وكان عندهم طعام ما لكم لا تنطقون والجمع بالواو والنون لما انه خاطبها خطاب
من يعقل فراغ عليهم ضربا فاقبل عليهم مستخفيا كانه قال فضربهم ضربا لان راغ عليهم بمعنى
ضربهم او فراغ عليهم ضربا اي ضاربا باليمين اي ضربا شديدا قويا لان اليمين اقوى الجارحتين
واشدهما او بالقوة والمتانة او بسبب الحلف الذي سبق منه وهو قوله تالله لاكيدن اصنامكم
فاقبلوا اليه الى ابراهيم يزفون يسرعون من الزفيف وهو الاسراع يزفون حمزة من ازف
اذا دخل في الزفيف ازفافا وكانه قد رآه بعضهم يكسرها وبعضهم لم يره فاقبل من رآه مسرعا
نحوه ثم جاء من لم يره يكسر فقال لمن رآه من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين فاجابوا على
سبيل التعريض بقولهم سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم ثم قالوا باجمعهم نحن نعبدها
وانت تكسرها فاجابهم بقوله قال اتعبدون ما تنحتون بايديكم والله خلقكم اي وخلق
ما تعملونه من الاصنام او ما مصدرية اي وخلق اعمالكم وهو دليلنا في خلق الافعال اي الله
خالقكم وخالق اعمالكم خالقه دون غيره قالوا ابنوا له لاجله بنيانا من الحجر وهو ثلثون
ذراعا وعرضه عشرون ذراعا فالقوه في الجحيم في النار الشديدة وقيل كل نار بعضها
يتقلب على بعض فهي الجحيم فارادوا به كيدا بالقائه في النار فجعلناهم الاسفلين المقهورين
عند الالقاء فخرج من النار وقال اني ذاهب الى ربي الى موضع امرني بالذهاب اليه
سيهدين سيرشدني الى ما فيه صلاحي في ديني ويعصمني ويوفقني سيهديني فيهما يعقوب
رب هب لي من الصالحين يريد الولد لان لفظ الهبة غلب في الولد فبشرناه بغلام حليم انطوت
البشارة على ثلث على ان الولد غلام ذكر وانه يبلغ اوان الحلم لان الصبي لا يوصف بالحلم
وانه يكون حليما واي حلم اعظم من حلمه حتى عرض عليه ابوه الذبح فقال ستجدني ان شاء الله من
الصابرين ثم استسلم لذلك فلما بلغ معه السعي بلغ ان يسعى مع ابيه في اشغاله وحوائجه
ومعه لا يتعلق ببلغ لاقتضائه بلوغهما معا حد السعي ولا بالسعي لان صلة المصدر لا يتقدم
عليه فبقي ان تكون بيانا كانه لما قال فلما بلغ السعي اي الحد الذي يقدر فيه على السعي فقيل
مع من قال مع ابيه وكان اذ ذاك ابن ثلث عشرة سنة قال يا بني حفص الباقون بكسر الياء

انى ارى فى المنام انى اذبحك وبفتح الباء فيهما حجازى وابو عمرو وقيل له فى المنام اذبح ابنك ورؤيا
الانبياء وحى كالوحى فى اليقظة وانما لم يقل رايت لانه راى مرة بعد مرة فقد قيل راى ليلة التروية
كان قايلا يقول له ان الله يامرك بذبح ابنك هذا فلما اصبح روى فى ذلك من الصباح الى الرواح
امن الله هذا الحلم ام من الشيطان فمن ثم سمى يوم التروية فلما امسى راى مثل ذلك فعرف انه من
الله فمن ثم سمى يوم عرفة ثم راى مثله فى الليلة الثالثة فهم بنحره فسمى يوم النحر فانظر ماذا
ترى من الراى على وجه المشاورة لامن روية العين ولم يشاوره ليرجع الى رايه ومشورته
ولكن ليعلم ايجزع ام يصبر ترى على وحمزة اى ماذا تبصر من رايك وتبديه قال يا ابت افعل
ما تؤمر اى ما تؤمر به وقرئ به ستجدنى انشاء الله من الصابرين على الذبح روى ان الذبيح قال
لابيه يا ابت خذ بناصيتى واجلس بين كتفى حتى لا اوذيك اذا اصابتنى الشفرة ولا تذبحنى
وانت تنظر فى وجهى عسى ان ترحمنى واجعل وجهى الى الارض ويروى اذبحنى وانا اسجد و
اقراء على امى سلامى وان رايت ان ترد قميصى على امى فافعل فانه عسى ان يكون اسهل لها
فلما اسلما انقادا لامر الله وخضعا وعن قتادة اسلم هذا ابنه وهذا نفسه وتله للجبين صرعه
على جبينه ووضع السكين على حلقه فلم يعمل ثم وضع السكين على قفاه فانقلب السكين ونودى
يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا روى ان ذلك المكان عند الصخرة التى بمنا وجواب لما محذوف
تقديره فلما اسلما وتله للجبين وناديناه ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا اى حققت ما
امرناك به فى المنام من تسليم الولد للذبح كان ما كان مما ينطق به الحال ولا يحيط به الوصف
من استبشارهما وحمدهما الله وشكرهما له على ما انعم به عليهما من دفع البلاء العظيم بعد حلوله
او الجواب قبلناه منه وناديناه معطوف عليه انا كذلك نجزى المحسنين تعليل لتخويل ما خولهما
من الفرج بعد الشدة ان هذا لهو البلاء المبين الاختبار البين الذى يتميز فيه المخلصون
من غيرهم او المحنة البينة وفديناه بذبح هو ما يذبح وعن ابن عباس رض هو الكبش الذى
قربه هابيل فقبل منه وكان يرعى فى الجنة حتى فدى به اسمعيل وعنه لو تمت تلك الذبيحة
لصارت سنة وذبح الناس ابناءهم عظيم ضخم الجثة سمين وهى السنة فى الاضاحى وروى
انه هرب من ابراهيم عند الجمرة فرماه بسبع حصيات حتى اخذه فبقيت سنة فى الرمى وروى انه

لما ذبحه قال جبرئيل الله اكبر الله اكبر فقال الذبيح لا اله الا الله والله اكبر فقال ابراهيم الله
اكبر ولله الحمد فبقى سنة وقد استشهد ابو حنيفة رح بهذه الاية فيمن نذر بذبح ولده انه يلزمه
ذبح شاة والاظهر ان الذبيح اسمعيل وهو قول ابى بكر وابن عباس وابن عمر وجماعة من التابعين
لقوله عليه الصلوة والسلام انا ابن الذبيحين فاحدهما جده اسمعيل والاخر ابوه عبد الله
وذلك ان عبد المطلب نذر ان بلغ بنوه عشرة ان يذبح آخر ولده تقربا وكان عبد الله اخر
ففداه بماية من الابل وكان قرنا الكبش كانا منوطين فى الكعبة فى ايدى بنى اسماعيل الى ان احترق
البيت فى زمن الحجاج وابن الزبير وعن الاصمعى انه قال سالت ابا عمرو بن العلاء عن الذبيح
فقال يا اصمعى اين عزب عنك عقلك ومتى كان اسحق بمكة وانما كان اسمعيل بمكة وهو
الذى بنى البيت مع ابيه والمنحر بمكة وعن على وابن مسعود وابن عباس وجماعة من التابعين
انه اسحق ويدل عليه كتاب يعقوب الى يوسف عليهما السلام من يعقوب اسرائيل الله
ابن اسحاق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله وانما قال وفديناه وان كان الفادى ابراهيم
عليه السلام والله هو المفتدى منه لانه الامر بالذبح وانه تعم وهب له الكبش ليفديه وههنا
اشكال وهو انه لا يخلو اما ان يكون ما اتى به ابراهيم عليه السلام من نطحه على شعره وامرار
الشفرة على حلقه فى حكم الذبح ام لا فان كان فى حكم الذبح فما معنى الفداء والفداء هو
التخليص من الذبح ببدل وان لم يكن فما معنى قوله قد صدقت الرؤيا وانما كان يصدقها
لو صح منه اصلا او بدلا ولم يصح واجيب بانه عليه الصلوة والسلام قد بذل وسعه وفعل
ما يفعل الذابح ولكن الله تعم جاء بما منع الشفرة ان تمضى فيه وهذا لا يقدح فى فعل ابرهيم
ووهب الله له الكبش ليقيم ذبحه مقام تلك الحقيقة فى نفس اسمعيل بدلا منه وليس
هذا نسخ منه للحكم كما قال البعض بل ذلك الحكم كان ثابتا الا ان المحل الذى اضيف اليه الحكم
لم يحله الحكم على طريق الفداء دون النسخ وكان ذلك ابتداء استقر بحكم الامر عند المخاطب
فى اخر الحال على ان المبتغى منه فى حق الولد ان يصير قربانا بنية الحكم اليه مكرما بالفداء الحاصل
لمعرفة الذبح مبتلى بالصبر والمجاهدة الى حال المكاشفة وانما النسخ بعد استقرار المراد بالامر
لا قبله وقد سمى فداء فى الكتاب لا نسخا وتركنا عليه فى الاخرين ولا وقف عليه لان سلام على

ابراهيم مفعول وتركنا كذلك نجزى المحسنين ولم يقل انا هنا كما فى غيره لانه قد سبق فى هذه القصة
فاستغنى بطرحه اكتفاء بذكره مرة من ذكره ثانية انه من عبادنا المؤمنين وبشرناه باسحق نبيا
حال مقدرة من اسحق ولا بد من تقدير مضاف محذوف اى وبشرناه بوجود اسحق نبيا اى
بان يوجد مقدرة نبوته فالعامل فى الحال الوجود لا فعل البشارة من الصالحين حال ثانية و
ورودها على سبيل الثناء لان كل نبى لا بد ان يكون من الصالحين وباركنا عليه وعلى اسحق اى
افضنا عليهما بركات الدين والدنيا وقيل باركنا على ابراهيم فى اولاده وعلى اسحق بان
اخرجنا من صلبه الف نبى اولهم يعقوب وآخرهم عيسى عليهم السلام ومن ذريتهما محسن
مؤمن وظالم لنفسه كافر مبين ظاهر او محسن الى الناس وظالم على نفسه بتعديه عن حدود
الشرع ففيه تنبيه على ان الخبيث والطيب لا يجرى امرهما على العرق والعنصر فقد يلد البر
الفاجر والفاجر البر وهذا مما يهدم امر الطبائع والعناصر وعلى ان الظلم فى اعقابهما لم يعد عليهما
بعيب ولا نقيصة وان المرء انما يعاب بسوء فعله ويعاقب على ما اجترحت يداه لا على ما وجد
من اصله او فرعه ولقد مننا انعمنا على موسى وهارون بالنبوة ونجيناهما وقومهما بنى اسرائيل
من الكرب العظيم من الغرق او من سلطان فرعون وقومه وغشمهم ونصرناهم اى موسى
وهارون وقومهما فكانوا هم الغالبين على فرعون وقومه وآتيناهما الكتاب المستبين
اى البليغ فى بيانه وهو التورية وهديناهما الصراط المستقيم صراط اهل الاسلام وهو صراط
الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين وتركنا عليهما فى الآخرين سلام
على موسى وهارون انا كذلك نجزى المحسنين انهما من عبادنا المؤمنين وان الياس لمن
المرسلين هو الياس ابن ياسين من ولد هارون اخى موسى وقيل ادريس النبى وقراءة
ابن مسعود رض وان ادريس فى موضع الياس اذ قال لقومه الا تتقون الا تخافون الله
اتدعون اتعبدون بعلا وهو علم لصنم كان من ذهب وكان طوله عشرين ذراعا وله اربعة
اوجه فتنوا به وعظموه حتى اخدموه اربع مائة سادن وجعلوهم انبياءه وكان فى
موضع يقال له بك فركب وصار بعلبك وهو من بلاد الشام وقيل الياس وكل بالفيافى
كما وكل الخضر بالبحار والحسن يقول قد هلك الياس والخضر ولا يقول ما يقول الناس انهما حيا

وتذرون

وتذرون احسن الخالقين وتتركون عبادة الله الذى هو احسن المقدرين الله ربكم و
رب آبائكم الاولين وبنصب الكل عراقى غير ابى بكر وابى عمرو وعلى البدل من احسن وغيرهم
بالرفع على الابتداء فكذبوه فانهم لمحضرون فى النار الا عباد الله المخلصين من قومه و
تركنا عليه فى الآخرين سلام على الياسين اى الياس وقومه المؤمنين كقولهم الخبيبون
يعنى ابا خبيب عبد الله ابن الزبير وقومه آل ياسين شامى ونافع لان ياسين اسم
ابى الياس فاضيف اليه الآل انا كذلك نجزى المحسنين انه من عبادنا المؤمنين وان لوطا
لمن المرسلين اذ نجيناه واهله اجمعين الا عجوزا فى الغابرين فى الباقين ثم دمرنا
اهلكنا الآخرين وانكم يا اهل مكة لتمرون عليهم مصبحين داخلين فى الصباح وبالليل
والوقف عليه مطلق افلا تعقلون يعنى تمرون على منازلهم فى متاجركم الى الشام
ليلا ونهارا فما فيكم عقول يعتبرون بها وانما لم يختم قصة لوط ويونس بالسلام كما
ختم قصة من قبلهما لان الله تعالى قد سلم على جميع المرسلين فى آخر السورة فاكتفى
بذلك عن ذكر كل واحد منفردا بالسلام وان يونس لمن المرسلين اذ ابق الا باق الهرب
الى حيث لا يهتدى اليه الطلب فسمى هربه من قومه بغير اذن ربه اباقا مجازا الى
الفلك المشحون المملو وكان عليه الصلوة والسلام وعد قومه عليه العذاب فلما
تاخر العذاب عنهم خرج كالمستور منهم فقصد البحر وركب السفينة فوقفت فقالوا
ههنا عبد آبق من سيده وفيما يزعمون البحارون ان السفينة اذا كان فيها آبق لم تجر
فاقترعوا فخرجت القرعة على يونس فقال انا الآبق وزج بنفسه فى الماء فذلك
قوله فساهم فقارعهم مرة او ثلثا بالسهام والمساهمة القاء السهام على جهة القرعة
فكان من المدحضين المغلوبين بالقرعة فالتقمه الحوت فابتلعه وهو مليم داخل
فى الملامة فلولا انه كان من المسبحين من الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح او من القائلين
لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين او من المصلين قبل ذلك وعن ابن عباس
كل تسبيح فى القرآن فهو صلوة ويقال ان العمل الصالح يرفع صاحبه اذا عثر للبث فى
بطنه الى يوم يبعثون الظاهر لبثه حيا الى يوم البعث وعن قتادة لكان بطن الحوت

له قبرا الى يوم القيمة وقد لبث في بطن الحوت ثلثة ايام او سبعة او اربعين يوما وعن الشعبي
التقمه ضحوة ولفظه عشية فنبذناه بالعراء فالقيناه بالمكان الخالي الذي لا شجر فيه ولا نبات وهو
سقيم عليل مما ناله من التقام الحوت وروي انه عاد بدنه كبدن الصبي حين يولد وانبتنا
عليه شجرة اي انبتناها فوقه مظلة له كما يطنب البيت على الانسان من يقطين والجمهور على انه
القرع وفائدته ان الذباب لا يجتمع عنده وانه اسرع الاشجار نباتا وامتلاء وارتفاعا وقيل
لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك لتحب القرع قال اجل هي شجرة اخي يونس وارسلناه الى مائة
الف المراد به القوم الذي بعث اليهم قبل الالتقام فيكون قد مضمر او يزيدون في مراي الناظر
اذا راها الرائي قال هي مائة الف او اكثر وقال الزجاج قال غير واحد معناها بل يزيدون
قال ذلك الفراء وابو عبيدة ونقل عن ابن عباس كذلك فامنوا به وبما ارسل به فمتعناهم
الى حين الى منتهى آجالهم فاستفتهم الربك البنات ولهم البنون معطوف على مثله في اول
السورة اي على فاستفتهم اهم اشد خلقا وان تباعدت بينهما المسافة امر رسوله
باستفتاء قريش عن وجه القسمة الضيزى التي قسموها حيث جعلوا لله الاناث ولانفسهم
الذكور في قولهم الملائكة بنات الله مع كراهتهم الشديدة لهن ووادهم واستنكافهم من ذكرهن
ام خلقنا الملئكة اناثا وهم شاهدون حاضرون تخصيص علمهم بالمشاهدة استهزاء بهم وتجهيل
لانهم كما لم يعلموا ذلك مشاهدة لم يعلموه بخلق الله علمه في قلوبهم ولا باخبار صادق ولا بطريق
استدلال ونظر او معناه انهم يقولون ذلك عن طمانينة نفس لافراط جهلهم كانهم شاهدوا
خلقهم الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون في قولهم اصطفى البنات على البنين
بفتح الهمزة للاستفهام وهو استفهام توبيخ وحذفت همزة الوصل استغناء عنها بهمزة الاستفهام
ما لكم كيف تحكمون هذا الحكم الفاسد افلا تذكرون بالتخفيف حمزة وعلي وحفص ام لكم سلطان
مبين حجة نزلت عليكم من السماء بان الملائكة بنات الله فاتوا بكتابكم الذي انزل عليكم ان كنتم
صادقين في دعواكم وجعلوا بينه وبين الجنة الملائكة لاستتارهم نسبا وهو زعمهم
انهم بناته وقالوا ان الله تزوج من الجنة فولدت له الملائكة ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون
ولقد علمت الملائكة ان الذين هم قالوا هذا القول لمحضرون في النار سبحان الله عما يصفون نزه

نفسه

نفسه عن الولد والصاحبة الا عباد الله المخلصين استثناء منقطع من المحضرين معناه ولكن
المخلصين ناجون من النار وسبحان الله اعتراض بين الاستثناء وبين ما وقع منه ويجوز ان
يقع الاستثناء من واو يصفون اي يصفه هؤلاء بذلك ولكن المخلصين براء من ان يصفوه
اي يصفه هؤلاء بذلك ولكن المخلصين براء من ان يصفوه فانكم يا اهل مكة وما تعبدون
ومعبوديكم ما انتم وهم جميعا عليه على الله بفاتنين بمضلين الا من هو صال الجحيم بكسر اللام
اي لستم تضلون احدا الا اصحاب النار الذي سبق في علمه انهم بسوء اعمالهم يستوجبون ان
يصلوها يقال فتن على فلان امراته كما تقول افسدها عليه وقال الحسن فانكم قائلون بهذا القول
والذي تعبدونه من الاصنام ما انتم على عبادة الاوثان بمضلين احدا الا من قدر عليه ان يصلى
الجحيم اي يدخل النار وقيل ما انتم بمضلين الا من وجبت عليه الضلالة في السابقة وما في ما
انتم نافية ومن في موضع نصب بفاتنين وقرا الحسن صال الجحيم بضم اللام ووجهه ان
يكون جمعا فحذفت النون للاضافة وحذفت الواو لالتقاء الساكنين هي واللام في الجحيم و
من موحد اللفظ مجموع المعنى فحمل هو على لفظه والصالون على معناه وما منا احد الا له مقام
معلوم في العبادة لا يجاوزه فحذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه وانا لنحن الصافون
نصف اقدامنا في الصلوة او نصف حول العرش داعين للمؤمنين وانا لنحن المسبحون المنزهون
او المصلون والوجه ان يكون هذا وما قبله من قوله سبحان الله عما يصفون كلام الملائكة حتى
يتصل بذكرهم في قوله ولقد علمت الجنة كانه قيل ولقد علمت الملائكة وشهدوا ان المشركين مفترون
عليهم في مناسبة رب العزة وقالوا سبحان الله فنزهوه عن ذلك واستثنوا عباد الله المخلصين
وبراؤهم منه وقالوا للكفرة فانكم وآلهتكم لا تقدرون ان تفتنوا على الله احدا من خلقه و
تضلوه الا من كان من اهل النار وكيف تكون مناسبين لرب العزة وما نحن الا عبيد اذلاء
بين يديه لكل منا مقام من الطاعة لا نستطيع ان نزل عنه ظفرا خشوعا لعظمته ونحن الصافون
اقدامنا لعبادته مسبحين ممجدين كما يجب على العباد لربهم وقيل هو من قول رسول الله صلى الله
عليه وسلم يعني وما من المرسلين الا له مقام معلوم يوم القيمة على قدر عمله من قوله عسى ان
يبعثك ربك مقاما محمودا ثم ذكر اعمالهم وانهم الذين يصطفون في الصلوة ويسبحون الله

وينزهو ينزع ما لا يجوز عليه وان كانوا ليقولون اى مشركوا قريش قبل مبعثه عليه الصلوة والسلام لو ان عندنا ذكرا من الاولين اى كتابا من كتب الاولين الذين نزل عليهم التورية والانجيل لكنا عباد الله المخلصين لاخلصنا العبادة لله وما كذبنا كما كذبوا ولا خالفنا كما خالفوا فجاءهم الذكر الذى هو سيد الاذكار والكتاب الذى هو معجز من بين الكتب فكفروا به فسوف يعلمون مغبة تكذيبهم وما يحل بهم من الانتقام وان مخففة من المثقلة واللام هى الفارقة وفى ذلك انهم كانوا يقولون مؤكدين القول جاء فى فيه فكم بين اول امرهم وآخره ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين الكلمة قوله انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وانما سماها كلمة وهى كلمات لانها لما انتظمت فى معنى واحد كانت فى حكم كلمة مفردة والمراد الوعد بعلوهم على عدوهم فى مقاوم الحجاج وتلاحم القتال فى الدنيا وعلوهم عليهم فى الآخرة وعن الحسن ما غلب نبى فى حرب وعن ابن عباس رضى ان لم ينصروا فى الدنيا نصروا فى العقبى والحاصل ان قاعدة امرهم واساسه والغالب منه الظفر والنصرة وان وقع فى تضاعيف ذلك شوب من الابتلاء والمحنة والعبرة للغالب فتول عنهم فاعرض عنهم حتى حين الى مدة يسيرة وهى المدة التى امهلوا فيها او الى يوم بدر او الى فتح مكة وابصرهم اى ابصر ما ينالهم يومئذ فسوف يبصرون ذلك وهو للوعيد لا للتبعيد او انظر اليهم اذا عذبوا فسوف يبصرون ما انكروا او اعلمهم فسوف يعلمون افبعذابنا يستعجلون قبل حينه فاذا نزل العذاب بساحتهم بفنائهم فساء صباح المنذرين صباحهم واللام فى المنذرين مبهم فى جنس من انذروا لان ساء وبئس يقتضيان ذلك وقيل هو نزول رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح بمكة مثل العذاب النازل بهم بعد ما انذروه فانكروه بجيش انذر بهجومه قومه بعض نصاحهم فلم يلتفتوا الى انذاره حتى اناخ بفنائهم بغتة فشن عليهم الغارة وكانت عادة مغاويرهم ان يغيروا صباحا فسميت الغارة صباحا وان وقعت فى وقت آخر وتول عنهم حتى حين وابصر فسوف يبصرون وانما ثنى ليكون تسلية على تسلية وتاكيد الوقوع الميعاد الى تاكيد وفيه فائدة زائدة وهى اطلاق الفعلين معا عن التقييد بالمفعول وانه يبصر وهم يبصرون ما لا يحيط به الذكر من صنوف المسرة وانواع المساءة وقيل اريد باحدهما عذاب الدنيا

وبالاخرة

وبالآخرة عذاب الآخرة سبحان ربك رب العزة اضيف الرب الى العزة لاختصاصه بها كانه قيل ذو العزة كما تقول صاحب صدق لاختصاصه بالصدق ويجوز ان يراد انه ما من عزة لاحد الا وهو ربها ومالكها كقوله تعز من تشاء عما يصفون من الولد والصاحبة والشريك وسلام على المرسلين عم الرسل بالسلام بعد ما خص البعض فى السورة لان فى تخصيص كل بالذكر تطويلا والحمد لله رب العالمين على هلاك الاعداء ونصرة الانبياء اشتملت السورة على ما ذكر ما قال المشركون فى الله ونسبوه اليه ما هو منزه عنه وما عاناه المرسلون من جهتهم وما خولوه فى العاقبة من النصرة عليهم فختمها بجوامع ذلك من تنزيه ذاته عما وصف به المشركون والتسليم على المرسلين والحمد لله رب العالمين على ما قيض لهم من حسن العواقب والمراد تعليم المؤمنين ان يقولوا ذلك ولا يخلوا ولا يغفلوا عن مضمنات كتابه الكريم ومودعات قرآنه المجيد وعن على رضى الله عنه من احب ان يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيمة فليكن آخر كلامه اذا قام من مجلسه سبحان ربك رب العزة الى آخر السورة

سورة ص مكية وهى ثمان وثمانون آية كوفى وست بصرى وست مدنى آية

بسم الله الرحمن الرحيم ص ذكر هذا الحرف من حروف المعجم على سبيل التحدى والتنبيه على الاعجاز ثم اتبعه القسم محذوف الجواب لدلالة التحدى عليه كانه قال والقرآن ذى الذكر اى ذى الشرف انه لكلام معجز ويجوز ان يكون ص خبر مبتداء محذوف على انها اسم للسورة كانه قال هذه ص اى هذه السورة التى اعجزت العرب والقرآن ذى الذكر كما تقول هذا حاتم والله تريد هذا هو المشهور بالسخاء والله وكذلك اذا اقسم بها كانه قال اقسمت بص والقرآن ذى الذكر انه لمعجز ثم قال بل الذين كفروا فى عزة تكبر عن الاذعان لذلك والاعتراف بالحق وشقاق خلاف لله ولرسوله والتنكير فى عزة وشقاق للدلالة على شدتهما وتفاقمهما وقرئ فى غرة اى فى غفلة عما يجب عليهم من النظر واتباع الحق كم اهلكنا وعيد لذوى العزة والشقاق من قبلهم من قبل قومك من قرن من امة فنادوا فدعوا واستغاثوا حين راوا العذاب ولات هى لا المشبهة بليس زيدت عليها تاء التانيث كما زيدت على رب وثم للتوكيد وتغير بذلك حكمها حيث لم تدخل الا على الاحيان ولم يتقدم الا احد

مقتضيها اما الاسم او الخبر وامتنع بروزها جميعا وهذا مذهب الخليل وسيبويه وعند الاخفش
انها لا النافية للجنس زيدت عليها التاء وخصت بنفي الاحيان وقوله حين مناص منصوب
بها كانك قلت ولا حين مناص لهم ومنهما ان النصب على تقدير ولات الحين حين مناص
اى وليس الحين حين مناص وعجبوا ان جاءهم منذر منهم رسول الله من انفسهم يعني
استبعدوا ان يكون النبي من البشر وقال الكافرون هذا ساحر كذاب اجعل الالهة الها واحدا
ان هذا لشيء عجاب ولم يقل وقالوا اظهار للغضب عليهم ودلالة على ان هذا القول لا
يجسر عليه الا الكافرون المتوغلون في الكفر المنهمكون في الغي اذ لا كفر ابلغ من ان يسموا
من صدقه الله كاذبا ساحرا ويتعجبوا من التوحيد وهو الحق الابلج ولا يتعجبوا من الشرك
وهو باطل بلج روى عن عمر رض لما اسلم فرح به المؤمنون وشق على قريش واجتمع خمسة
وعشرون نفسا من صناديدهم ومشوا الى ابي طالب وقالوا انت كبيرنا وقد علمت ما فعل
هؤلاء السفهاء يريدون الذين دخلوا في الاسلام وجئناك لتقضي بيننا وبين ابن اخيك
فاستحضر ابو طالب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن اخي هؤلاء قومك يسالونك
السؤال فلا تمل كل الميل على قومك فقال عليه الصلوة والسلام ماذا تسالونني فقالوا ارفضنا
وارفض ذكر آلهتنا وندعك والهك فقال عليه الصلوة والسلام اعطوني كلمة واحدة تملكون
بها العرب وتدين لكم بها العجم قالوا نعم وعشرا اى نعطيكها وعشر كلمات معها فقال قولوا
لا اله الا الله فقاموا وقالوا اجعل الالهة الها واحدا اى صيرا ان هذا لشيء عجاب اى
بليغ في العجب وقيل العجيب ما له مثل والعجاب ما لا مثل له وانطلق الملاء منهم اى اشق
وانطلق اشراف قريش عن مجلس ابي طالب بعدما بكتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجواب
العتيد قائلين بعضهم لبعض ان امشوا ان بمعنى اى لان المنطلقين عن مجلس التقاول
لا بد لهم من ان يتكلموا ويتفاوضوا فيما جرى لهم فكان انطلاقهم متضمنا معنى القول و
اصبروا على عبادة الهتكم ان هذا الامر لشيء يراد اى يريده الله تعالى ويحكم امضائه فلا مرد
ولا ينفع فيه الا الصبر او ان هذا الامر لشيء من نوائب الدهر يراد بنا فلا انفكاك لنا منه ما
سمعنا بهذا بالتوحيد في الملة الآخرة في ملة عيسى التي هي آخر الملل لان النصارى مثلثة غير

موحدة او في ملة قريش التي ادركنا عليها اباءنا ان هذا ما هذا الا اختلاق كذب اختلقه
محمد صلى الله عليه وسلم من تلقاء نفسه ءانزل عليه الذكر القرآن من بيننا انكروا ان يختص بالشرف
من بين اشرافهم وينزل عليه الكتاب من بينهم حسدا بل هم في شك من ذكري من القرآن بل
لما يذوقوا عذاب بل لم يذوقوا عذابي بعد فاذا ذاقوه زال عنهم ما بهم من الشك والحسد
اى انهم لا يصدقون به الا ان يمسهم العذاب فيصدقون ح ام عندهم خزائن رحمة ربك
العزيز الوهاب يعني ما هم بمالكي خزائن الرحمة حتى يصيبوا بها من شاؤا ويصرفوها عمن شاؤا
ويتخيروا للنبوة بعض صناديدهم ويترفعوا بها عن محمد عليه الصلوة والسلام وانما الذي
يملك الرحمة وخزائنها العزيز القاهر على خلقه الوهاب الكثير المواهب المصيب بها
مواقعها الذي يقسمها على ما تقتضيه حكمته ثم رشح هذا المعنى فقال ام لهم ملك السموات
والارض وما بينهما حتى يتكلموا في الامور الربانية والتدابير الالهية التي يختص بها رب العزة
والكبرياء ثم تهكم بهم غاية التهكم فقال فان كانوا يصلحون لتدبيرهم الخلائق والتصرف في
قسمة الرحمة فليرتقوا في الاسباب فليصعدوا في المعارج والطرق التي يتوصل بها الى السماء
حتى يدبروا امر العالم وملكوت الله تعالى وينزلوا الوحي الى من يختارون ثم وعد نبيه
عليه الصلوة والسلام النصرة عليهم بقوله جند ما مبتداء ما صلة متقوية للنكرة المبتداء
هنالك اشارة الى بدر ومصارعهم او الى حيث وضعوا فيها انفسهم من الانتداب لمثل
ذلك القول العظيم من قولهم لمن ينتدب لامر ليس من اهله لست هنالك خبر المبتداء
مهزوم مكسور من الاحزاب متعلق بجند او بمهزوم يريد ما هم الا جند من الكفار المتحزبين
على رسل الله عليهم السلام مهزوم عما قريب فلا تبال بما يقولون ولا تكترث بما يهذون
كذبت قبلهم قبل اهل مكة قوم نوح نوحا وعاد هودا وفرعون موسى عليهم السلام ذو
الاوتاد قيل كانت له اوتاد وحبال يلعب بها بين يديه وقيل يوتد من يعذب باربعة اوتاد
في يديه فرجليه وثمود وهم قوم صلح صالحا وقوم لوط لوطا واصحاب الايكة الغيضة
شعيبا اولئك الاحزاب اراد بهذه الاشارة الاعلام بان الاحزاب الذين جعل الجند المهزوم
منهم هم وانهم الذين وجد منهم التكذيب ان كل الا كذب الرسل ذكر تكذيبهم اولا في الجملة

الخبرية على وجه الابهام حيث لم يبين المكذب ثم جاء بالجملة الاستثنائية فاوضحه فيها وبين
المكذب وهو الرسل وذكر ان كل واحد من الاحزاب كذب جميع الرسل لان في تكذيب الواحد
منهم تكذيب للجميع لاتحاد دعوتهم وفي تكرير التكذيب وايضاحه بعد ابهامه والتنويع
في تكريره بالجملة الخبرية اولا وبالاستثنائية ثانيا وما في الاستثنائية من الوضع على وجه التوكيد
انواع من المبالغة المسجلة عليهم باستحقاق اشد العقاب وابلغه ثم قال فحق عقاب اي فوجب
كذلك ان اعاقبهم حق عقابهم عذابي وعقابي في الحالتين يعقوب وما ينظر هولاء وما
ينظر اهل مكة ويجوز ان يكون اشارة الى جميع الاحزاب الا صيحة واحدة اي النفخة الاولى
وهي الفزع الاكبر ما لها من فواق وبالضم حمزة وعلي اي ما لها من توقف مقدار فواق وهو
ما بين حلبتي الحالب اي اذا جاء وقتها لم تتاخر هذا القدر من الزمان وعن ابن عباس رض
ما لها من رجوع وترداد من افاق المريض اذا رجع الى الصحة وفواق الناقة ساعة يرجع الدر
الى ضرعها يريد انها نفخة واحدة فحسب لا تثنى ولا تتردد وقالوا ربنا عجل لنا قطنا اي حظنا
من الجنة لانه عليه الصلوة والسلام ذكر وعد الله المومنين الجنة فقالوا على سبيل الهزو عجل لنا
نصيبنا منها او نصيبنا من العذاب الذي وعدته كقوله تعالى يستعجلونك بالعذاب واصل
القط القسط من الشيء لانه قطعة منه من قطه اذا قطعه ويقال لصحيفة الجائزة قط لانها
قطعة من القرطاس قبل يوم الحساب اصبر على ما يقولون فيك وصن نفسك ان تزل
فيما كلفت من مصابرتهم وتحمل اذاهم واذكر عبدنا داود وكرامته على الله كيف زل تلك
الزلة اليسيرة فلقي من عتاب الله ما لقي ذا الايد ذا القوة في الدين وما يدل على ان الايد
القوة في الدين قوله انه اواب اي رجاع الى مرضات الله تعالى وهو تعليل لذي الايد روي
انه كان يصوم يوما ويفطر يوما وهو اشد الصوم ويقوم نصف الليل انا سخرنا ذللنا
الجبال معه قيل كان تسخيرها انها تسير معه اذا اراد سيرها الى حيث يريد يسبحن في معنى
مسبحات على الحال واختار يسبحن على مسبحات ليدل على حدوث التسبيح من الجبال شيئا بعد شيء
وحالا بعد حال بالعشي والاشراق اي طرفي النهار والعشي وقت العصر الى الليل والاشراق
وقت الاشراق وهو حين تشرق الشمس اي تضيء وهو وقت الضحى واما شروقها فطلوعها

تقول شرقت الشمس ولما تشرق وعن ابن عباس رض ما عرفت صلوة الضحى الا بهذه الاية و
الطير محشورة وسخرنا الطير مجموعة من كل ناحية وعن ابن عباس رض كان اذا سبح جاوبته
الجبال بالتسبيح واجتمعت اليه الطير فسبحت فذلك حشرها كل له اواب كل واحد من الجبال
والطير لاجل داود اي لاجل تسبيحه مسبح لانها كانت تسبح لتسبيحه ووضع الاواب موضع المسبح
لان الاواب هو التواب الكثير الرجوع الى الله تعالى وطلب مرضاته ومن عادته ان يكثر ذكر الله
ويديم تسبيحه وتقديسه وقيل الضمير لله اي كل من داود والجبال والطير لله اواب اي مسبح مرجع
للتسبيح وشددنا ملكه قويناه قيل كان يبيت حول محرابه ثلثة وثلثون الف رجل يحرسونه
واتيناه الحكمة الزبور وعلم الشرائع وقيل كل كلام وافق الحق فهو حكمة وفصل الخطاب علم
القضاء وقطع الخصام والفصل بين الحق والباطل والفصل هو التمييز بين الشيئين وقيل الكلام
البين فصل بمعنى المفصول كضرب الامير وفصل الخطاب البين من الكلام الملخص الذي يتبينه
من يخاطب به لا يلتبس عليه وجاز ان يكون الفصل بمعنى الفاصل كالصوم والزور والمراد بفصل
الخطاب الفاصل من الخطاب الذي يفصل بين الصحيح والفاسد والحق والباطل وهو كلامه في
القضايا والحكومات وتدابير الملك والمشورات وعن علي رض هو الحكم بالبينة على المدعي و
اليمين على المدعى عليه وهو من الفصل بين الحق والباطل وعن الشعبي هو قوله اما بعد وهو اول
من قال اما بعد فان من تكلم في الامر الذي له شان يفتتح بذكر الله وتحميده فاذا اراد ان يخرج
الى الغرض المسوق له فصل بينه وبين ذكر الله تعالى بقوله اما بعد وهل اتيك نبؤا الخصم
ظاهره الاستفهام ومعناه الدلالة على انه من الانباء العجيبة والخصم الخصماء وهو يقع على الواحد
والجمع لانه مصدر في الاصل تقول خصمه خصما وانتصاب اذ بمحذوف تقديره وهل اتيك
نبا تحاكم الخصم او بالخصم لما فيه من معنى الفعل تسوروا المحراب تصعدوا سوره ونزلوا اليه
والسور الحائط المرتفع والمحراب الغرفة او المسجد او صدر المسجد اذ بدل من الاولى دخلوا
على داود ففزع منهم روي ان الله تعالى بعث اليه ملكين في صورة انسانين فطلبا ان يدخلا عليه
فوجداه في يوم عبادته فمنعهما الحرس فتسورا عليه المحراب فلم يشعر الا وهما بين يديه جالسان
ففزع منهم لانهم دخلوا عليه في غير يوم القضاء فلانهم نزلوا عليه من فوق وفي يوم الاحتجاب

والحرس حوله لا يتركون من يدخل عليه قالوا لا تخف خصمان خبر مبتداء محذوف اى نحن خصمان
بغى بعضنا على بعض تعدى وظلم فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط ولا تجر من الشطط وهو مجاوزة
الحد وتخطى الحق واهدنا الى سواء الصراط وارشدنا الى وسط الطريق ومحجته والمراد عين
الحق ومحضه روى ان اهل زمان داود عليه السلام كان يسال بعضهم بعضا ان ينزل له من امراته
فتزوجها اذا اعجبته وكان لهم عادة فى المواساة بذلك وكان الانصار يواسون المهاجرين
بمثل ذلك فاتفق ان عين داود عليه السلام وقعت على امراة اوريا فاحبها فسأله النزول
له عنها فاستحيى ان يرده ففعل فتزوجها وهى ام سليمان فقيل له انك مع عظم منزلتك
وكثرة نسائك لم يكن ينبغى لك ان تسال رجلا ليس له الا امراة واحدة النزول بل كان
الواجب عليك مغالبة هواك وقهر نفسك والصبر على ما امتحنت به وقيل خطبها اوريا
ثم خطبها داود فاثره اهلها فكانت زلته ان خطب على خطبة اخيه المؤمن مع كثرة نسائه وما
يحكى انه بعث مرة بعد اخرى اوريا الى غزاة البلقاء واحب ان يقتل ليتزوجها فلا يليق
بواحد من المتسمين بالصلاح من افناء المسلمين فضلا عن بعض اعلام الانبياء وقال على رض
من حدثكم بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين وهو حد الفرية على الانبياء
وروى انه حدث بذلك عمر بن عبد العزيز وعنده رجل من اهل الحق فكذب المحدث به
قال ان كانت القصة على ما فى كتاب الله فما ينبغى ان يلتمس خلافها واعظم بان يقال غير ذلك
وان كانت هى على ما ذكرت وكف الله عنها سترا على نبيه صلى الله عليه وسلم فما ينبغى اظهارها
عليه فقال عمر رض لسماعى هذا الكلام احب الى مما طلعت عليه الشمس والذى يدل عليه المثل
الذى ضربه الله تعالى لقصته عليه السلام ليس الا طلبه الى زوج المراة ان ينزل له عنها فحسب وانما
جاءت على طريق التمثيل والتعريض دون التصريح لكونها ابلغ فى التوبيخ من قبل ان التامل اذا
اداه الى الشعور بالمعرض به كان اوقع فى نفسه واشد تمكنا من قلبه واعظم اثرا فيه مع مراعاة
حسن الادب بترك المجاهرة ان هذا اخى هو بدل من هذا او خبر لان المراد اخوة الدين واخوة
الصداقة والالفة او اخوة الشركة والخلطة لقوله تعالى وان كثيرا من الخلطاء له تسع وتسعون
نعجة ولى نعجة واحدة ولى حفص والنعجة كناية عن المراة ولما كان هذا تصوير المسئلة وفرضا لها

لا يمتنع ان يفرض الملائكة فى انفسهم كما تقول لى اربعون شاة ولك اربعون فخلطناها وما لكما من
الاربعين اربعة ولا ربعها فقال اكفلنيها ملكنيها وحقيقته اجعلنى اكفلها كما اكفل ما تحت يدى
وعن ابن عباس رض اجعلها كفلى اى نصيبى وعزنى وغلبنى يقال عزه يعزه فى الخطاب فى الخصومة
اى كان اقدر على الاحتجاج منى واراد بالخطاب مخاطبة المحاج المجادل واراد خطبت المراة
وخطبها هو فخاطبنى خطابا اى غلبنى فى الخطبة فغلبنى حيث تزوجها دونى ووجه التمثيل
بان مثل قصة اوريا مع داود بقصة رجل له نعجة واحدة ولخليطه تسع وتسعون فاراد
صاحبه تتمة المائة فطمع فى نعجة خليطه واراده على الخروج من ملكها اليه وحاجه فى ذلك
محاجة حريص على بلوغ مراده وانما كان ذلك على وجه التحاكم اليه ليحاكم بما حكم به من قوله
قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه حتى يكون محجوجا بحكمه وهذا جواب قسم محذوف
وفى ذلك استنكار لفعل خليطه والسوال مصدر مضاف الى المفعول وقد ضمن معنى الاضافة
فعدى تعديتها كانه قال باضافة نعجتك الى نعاجه على وجه السوال والطلب وانما ظلم الآخر
بعدما اعترف به خصمه ولكن لم يحك فى القران لانه معلوم ويروى انه قال انا اريد ان اخذها
منه واكمل نعاجى مائة فقال داود ضربنا منك هذا وهذا واشار الى طرف الانف والجبهة
فقال يا داود وانت احق ان يضرب منك هذا وهذا وانت فعلت كيت وكيت ثم نظر داود
عليه السلام فلم ير احدا فعرف ما وقع فيه وان كثيرا من الخلطاء الشركاء والاصحاب ليبغى
بعضهم على بعض الا الذين امنوا وعملوا الصالحات المستثنى منصوب وهو من الجنس و
المستثنى منه بعضهم وقليل ما هم ما للابهام وهو مبتداء وقليل خبره انما فتناه ابتليناه
فاستغفر ربه لزلته وخر راكعا واناب اى سقط على وجهه ساجدا لله تعالى وفيه دليل
على ان الركوع يقوم مقام السجود فى الصلوة اذ لو كان المراد مجرد ما يصلح تواضعا عند
هذه التلاوة والركوع فى الصلوة يعمل هذا العمل بخلاف الركوع فى غير الصلوة واناب ورجع
الى الله تعالى بالتوبة وروى انه بقى ساجدا اربعين يوما وليلة لا يرفع راسه الا لصلوة مكتوبة
او ما لا بد منه ولا يرقا دمعه حتى نبت العشب من دمعه ولم يشرب ماء وثلثاه دمع
فغفرنا له ذلك اى زلته وان له عندنا لزلفى لقربة وحسن مآب مرجع وهو الجنة يا داود

وظن داود اى علم وايقن وانما استعمل الظن الغالب بلان العلم

انا جعلناك خليفة فى الارض استخلفناك على الملك فى الارض وجعلناك خليفة ممن كان قبلك
من الانبياء القائمين بالحق وفيه دليل على ان حاله بعد التوبة بقيت ما كانت عليه لم يتغير
فاحكم بين الناس بالحق اى بحكم الله تعالى اذ كنت خليفة او بالعدل ولا تتبع الهوى اى هوى
النفس فى قضايك فيضلك عن سبيل الله دينه ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم
عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب اى بنسيانهم يوم العذاب وما خلقنا السماء والارض
وما بينهما من الخلق باطلا خلقا باطلا بل للحكمة بالغة اى مبطلين عابثين كقوله تع وما خلقنا
السموات والارض وما بينهما لاعبين وتقديره ذوى باطل او عبثا فوضع باطلا موضعه
اى ما خلقناها للعبث واللعب ولكن للحق المبين وهو ان خلقنا نفوسا اودعناها العقل
ومنحناها التمكين وازحنا عللها ثم عرضناها للمنافع العظيمة بالتكليف واعددنا لها
عاقبة وجزاء على حسب اعمالهم ذلك اشارة الى خلقها باطلا ظن الذين كفروا الظن بمعنى
المظنون اى خلقها للعبث لا للحكمة وهو مظنون الذين كفروا وانما جعلوا ظانين انه خلقها
للعبث لا للحكمة مع اقرارهم بانه خالق السموات والارض وما بينهما بقوله تع ولئن سألتهم
من خلق السموات والارض ليقولن الله لانه لما كان انكارهم للبعث والحساب والثواب
والعقاب مؤديا الى ان خلقها عبث وباطل جعلوا كانهم يظنون ذلك ويقولونه لان الجزاء
هو الذى سيقت اليه الحكمة فى خلق العالم فمن جحده فقد جحد الحكمة فى خلق العالم فويل
للذين كفروا من النار ام نجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض ام نجعل
المتقين كالفجار ام منقطعة ومعنى الاستفهام فيهما الانكار والمراد انه لو بطل الجزاء كما
يقول الكفار لاستوت احوال من اصلح وافسد واتقى وفجر ومن سوى بينهم كان سفيها
ولم يكن حكيما كتاب اى هذا كتاب انزلناه اليك يعنى القران مبارك صفة اخرى ليدبروا
اياته واصله ليتدبروا وقرئ بها ومعناه ليتفكروا فيها فيقفوا على ما فيه ويعملوا به وعن
الحسن قد قراء هذا القران عبيد وصبيان لا علم لهم بتاويله حفظوا حروفه وضيعوا
حدوده لتدبروا على الخطاب بحذف احدى التائين يزيد وليتذكر اولوا الالباب وليتعظ
بالقران اولوا العقول ووهبنا لداود سليمان نعم العبد اى سليمان وقيل داود وليس بالوجه

فالمخصوص

فالمخصوص بالمدح محذوف انه اواب وعلل كونه ممدوحا بكونه اوابا اى كثير الرجوع الى الله
تعالى اذ عرض عليه على سليمان بالعشى بعد الظهر الصافنات الجياد الصافن القائم على ثلث قوائم
وقد اقام الاخرى على طرف الحافر الجياد السراع جمع جواد لانه يجود بالركض وصفها بالصفون
والجودة لانه لا يكون فى الهجان وانما هو فى العراب وقيل وصفها بالصفون والجودة ليجمع
لها بين الوصفين المحمودين واقفة وجارية يعنى اذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة فى مواقفها
واذا جرت كانت سراعا خفافا فى جريها وقيل الجياد الطوال الاعناق من الجيد وروى ان
سليمان عليه السلام غزا اهل دمشق ونصيبين فاصاب الف فرس وقيل ورثها من ابيه واصابها
ابوه من العمالقة وقيل خرجت من البحر لها اجنحة فقعد يوما بعد ما صلى الظهر على كرسيه
واستعرضها فلم تزل تعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر وكانت فرضا عليه
فاغتم لما فاته فاستردها وعقرها تقربا لله تعالى وبقى مائة فما فى ايدى الناس من الجياد
فمن نسلها وقيل لما عقرها ابدله الله تعالى خيرا منها وهى الريح تجرى بامره فقال انى احببت
حب الخير عن ذكر ربى اثرت حب الخيل عن ذكر ربى كذا عن الزجاج فاحببت بمعنى اثرت
كقوله تعالى فاستحبوا العمى على الهدى وعن بمعنى على وسمى الخيل خيرا كانها نفس الخير لتعلق
الخير بها قال النبى صلى الله عليه وسلم الخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيمة وقال ابو على احببت
بمعنى جلست من احباب البعير وهو بروكه وحب الخير مفعول له مضافا الى المفعول حتى
توارت اى الشمس بالحجاب والذى دل على ان الضمير للشمس مرور ذكر العشى ولابد من جرى
ذكر او دليل ذكر وقيل الضمير للصافنات اى حتى توارت بحجاب الليل يعنى الظلام ردوها
على اى قال للملائكة ردوا الشمس على لاصلى العصر فردت الشمس له فصلى العصر او ردوا الصافنات
فطفق مسحا بالسوق والاعناق فجعل يمسح مسحا اى يمسح السيف بسوقها وهو جمع ساق
كدار ودور واعناقها يعنى يقطعها لانها منعته عن الصلوة تقول مسح علاوته اذا ضرب عنقه
ومسح المسفر الكتاب اذا قطع اطرافه بسيفه وقيل انما فعل ذلك كفارة لها او شكرا لرد
الشمس وكانت الخيل ماكولة فى شريعته فلم يكن اتلافا وقيل مسحها بيده استحسانا لها واعجابا
بها ولقد فتنا سليمان ابتليناه والقينا على كرسيه بشرا من ملكه جسدا ثم اناب رجع الى الله تع

قيل فتن سليمان بعد ما ملك عشرين سنة وملك بعد الفتنة عشرين سنة وكان من فتنته انه ولد
له ابن فقالت الشياطين ان عاش لم تنفك من السخرة فسبيلنا ان نقتله او نخبله فعلم ذلك
سليمان عليه السلام فكان يغذوه في السحابة خوفا من معرة الشيطان فالقي ولده ميتا على كرسيه
فتنبه على زلته في ان لم يتوكل فيه على ربه وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سليمان لاطوفن
الليلة على سبعين امراة كل واحدة تاتي بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يقل ان شاء الله تعالى فطاف
عليهن فلم تحمل الا امراة واحدة جاءت بشق رجل فجيء به على كرسيه فوضع في حجره فوالذي
نفس محمد عليه الصلوة والسلام بيده لو قال ان شاء الله تعالى لجاهدوا في سبيل الله فرسانا اجمعون
واما ما يروى من حديث الخاتم والشيطان وعبادة الوثن في بيت سليمان فمن اباطيل اليهود قال
رب اغفر لي وهب لي ملكا قدم الاستغفار على استيهاب الملك جريا على عادة الانبياء عليهم السلام
والصالحين على تقديم الاستغفار على السؤال لا ينبغي لا يتسهل ولا يكون لاحد من بعدي دوني
بفتح الياء مدني وابو عمرو وانما سال بهذه الصفة ليكون معجزة له لا حسدا وكان قبل ذلك
لم يسخر له الريح والشياطين فلما دعا بذلك سخرت له الريح والشياطين ولن تكون معجزة حتى
تخرق العادات انك انت الوهاب فسخرنا له الريح الرياح ابو جعفر تجري حال من الريح
بامره سليمان رخاء لينة لا تزعزع وهو حال من ضمير تجري حيث ظرف تجري اصاب قصد
واراد والعرب تقول اصاب الصواب فاخطا الجواب والشياطين عطف على الريح اي سخرنا له
الشياطين كل بناء حال من الشياطين كانوا يبنون له ما يشاء من الابنية وغواص ويغوصون
له في البحر لاخراج اللؤلؤ وهو اول من استخرج اللؤلؤ من البحر والمعنى وسخرنا له كل بناء
وغواص من الشياطين وآخرين عطف على كل بناء داخل في حكم البدل مقرنين في الاصفاد كان
يقرن مردة الشياطين بعضهم مع بعض في القيود والسلاسل للتاديب والكف عن الفساد
والصفد القيد وسمي به العطاء لانه ارتباط للمنعم عليه ومنه قول علي رض من برك فقد اسرك
ومن جفاك فقد اطلقك هذا اي الذي اعطيناك من الملك والمال والبسطة عطاؤنا فامنن
فاعط منه ما شئت من المنة وهي العطاء او امسك وكان اذا اعطى اجر وان منع لم ياثم بخلاف
غيره بغير حساب متعلق بعطاؤنا وقيل هو حال منه اي هذا عطاؤنا جما كثيرا لا يكاد يقدر على حصره

او هذا

او هذا التسخير عطاؤنا فامنن على ما شئت من الشياطين بالاطلاق او امسك من شئت منهم
في الوثاق بغير حساب اي لا حساب عليك في ذلك وان له عندنا لزلفى وحسن مآب
لزلفى اسم ان والخبر له والعامل في عندنا الخبر واذكر عبدنا ايوب هو بدل من عبدنا او عطف
بيان اذ بدل اشتمال منه نادى ربه دعاه اني مسني بانى مسني حكاية لكلامه الذي ناداه بسببه
ولو لم يحك لقال بانه مسه لانه غائب الشيطان بنصب قراءة العامة يزيد بضم النون بنصب بضم
كرشد ورشد يعقوب وبنصب على اصل المصدر هبيرة والمعنى واحد وهو التعب و
المشقة وعذاب الم يريد مرضه وما كان يقاسي فيه من انواع الوصب وقيل اراد ما كان
يوسوس به اليه في مرضه من تعظيم ما نزل به من البلاء ويغريه على الكراهة والجزع فالتجا
الى الله تعالى في ان يكفيه ذلك بكشف البلاء او بالتوفيق في دفعه ورده بالصبر الجميل وروي
انه كان يعوده ثلثة من المؤمنين فارتد احدهم فسال عنه فقيل القى اليه الشيطان ان الله
لا يبتلي الانبياء والصالحين وذكر في سبب بلائه انه ذبح شاة فاكلها وجاره جائع او راى
منكرا فسكت عنه او ابتلاه الله تعالى لرفع الدرجات بلا زلة سبقت منه اركض برجلك حكاية
ما اجيب به ايوب عليه السلام اي ارسلنا اليه جبرئيل عليه السلام فقال له اركض برجلك
اي اضرب برجلك الارض وهي ارض الجابية فضربها فنبعت عين فقيل هذا مغتسل بارد وشراب
اي هذا ماء تغتسل به وتشرب منه فيبرا باطنك وظاهرك وقيل نبعت له عينان فاغتسل
من احديهما وشرب من الاخرى فذهب الداء من باطنه وظاهره باذن الله تعالى ووهبنا له
اهله ومثلهم معهم قيل احياهم الله تعالى باعيانهم وزادهم مثلهم رحمة منا وذكرى لاولي
الالباب مفعول لهما اي الهبة كانت للرحمة له ولتذكير اولي الالباب لانهم اذا سمعوا بما انعمت
عليه لصبره رغبهم في الصبر على البلاء وخذ معطوف على اركض بيدك ضغثا حزمة صغيرة من
حشيش او ريحان او غير ذلك وعن ابن عباس رض قبضة من الشجر فاضرب به ولا تحنث وكان
حلف في مرضه ليضربن امراته مائة اذا برا فحلل الله تعالى يمينه باهون شيء عليه وعليها لحسن
خدمتها اياه وهذه الرخصة باقية ويجب ان يصيب المضروب كل واحد من المائة والسبب
في يمينه انها ابطات عليه ذاهبة في حاجة فحرج صدره وقيل باعت ذوائبها برغيفين وكانتا

متعلق بأيوب عليه السلام اذا قلم انا وجدناه علمناه صابرا على البلاء نعم قد شكا اليه ما به واسترحم
لكن الشكوى الى الله تعالى لا تسمى جزعا فقد قال يعقوب عليه السلام انما اشكو بثي وحزني الى الله
على انه عليه الصلوة والسلام كان يطلب الشفاء خيفة على قومه من الفتنة حيث كان الشيطان
يوسوس اليهم انه لو كان نبيا لما ابتلي بمثل ما ابتلي به وارادة القوة على الطاعة فقد بلغ امره الى ان
لم يبق منه الا القلب واللسان نعم العبد ايوب انه اواب واذكر عبادنا عبدنا مكي ابراهيم
واسحاق ويعقوب فمن جمع فابراهيم ومن بعده عطف بيان لعبادنا ومن وحد فابراهيم
وحده عطف بيان له ثم عطف ذريته على عبدنا ولما كان اكثر الاعمال تباشر بالايدي غلبت
فقيل في كل عمل هذا مما عملت ايديهم وان كان عملا لا يتاتى فيه المباشرة بالايدي او كان العمال
جذما لا ايدي لهم وعلى هذا ورد قوله اولي الايدي والابصار اي اولي الاعمال والفكر كان الذين
لا يعملون اعمال الآخرة ولا يجاهدون في الله ولا يتفكرون افكار ذوي الديانات في حكم الزمنى
الذين لا يقدرون على اعمال الجوارح والمسلوبي العقول الذين لا استبصار لهم وفيه تعريض
بكل من لم يكن من عمال الله تعالى ولا من المستبصرين في دين الله وتوبيخ على تركهم المجاهدة والتامل
مع كونهم متمكنين منهما انا اخلصناهم جعلناهم لنا خالصين بخالصة اي بخصلة خالصة لا
شوب فيها ذكرى الدار ذكرى في محل النصب او الرفع باضمار اعني او هي والجر على البدل
من خالصة والمعنى انا اخلصناهم بذكرى الدار والدار هنا الدار الآخرة يعني جعلناهم لنا
خالصين بان جعلناهم يذكرون الناس بالدار الآخرة ويزهدونهم في الدنيا كما هو دين الانبياء
عليهم السلام او معناه انهم يكثرون ذكر الآخرة والرجوع الى الله وينسون ذكر الدنيا بخالصة
ذكرى على الاضافة مدني وهي من اضافة الشيء الى ما يبينه لان الخالصة تكون ذكرى وغير ذكرى
مصدر مضاف الى المفعول اي باخلاصهم ذكرى الدار وقيل خالصة بمعنى خلوص فهي مضافة
الى الفاعل اي بان خلصت لهم ذكرى الدار على انهم لا يشوبون ذكرى الدار بهم آخر انما
همهم ذكر الدار لا غير وقيل ذكرى الدار الثناء الجميل في الدنيا وهذا شيء قد اخلصهم به
فليس يذكر غيرهم في الدنيا بمثل ما يذكرون به يقويه قوله وجعلنا لهم لسان صدق عليا
وانهم عندنا لمن المصطفين المختارين من بين ابناء جنسهم الاخيار جمع خير او خير بالتخفيف

كالاموات

كالاموات جمع ميت او ميت واذكر اسمعيل واليسع كان حرف التعريف دخل على يسع وذا
الكفل وكل التنوين عوض عن المضاف اليه اي وكلهم من الاخيار هذا ذكر وان للمتقين لحسن مآب
هذا شرف وذكر جميل يذكرون به ابدا وان لهم مع ذلك لحسن مرجع يعني يذكرون في الدنيا
بالجميل ويرجعون في الآخرة الى مغفرة رب جليل ثم بين كيفية حسن المرجع فقال جنات عدن
بدل من حسن مآب مفتحة حال من جنات لانها معرفة لاضافتها الى عدن وهو علم والعامل
فيها ما في للمتقين من معنى الفعل لهم الابواب ارتفاع الابواب لانها فاعل مفتحة والعائد محذوف
اي مفتحة الابواب منها فحذف كما حذف في قوله فان الجحيم هي المأوى اي لهم او ابوابها الا
ان الاول اجود او هي بدل من الضمير في مفتحة وهو ضمير الجنات تقديره مفتحة هي الابواب
وهي من بدل الاشتمال متكئين حال من المجرور في لهم والعامل مفتحة فيها يدعون فيها بفاكهة
كثيرة وشراب اي وشراب كثير فحذف اكتفاء بالاول وعندهم قاصرات الطرف قصرت
طرفهن على ازواجهن اتراب لدات اسنانهن كاسنانهم لان التحاب بين الاقران اثبت
وكان اللدات سمين اترابا لان التراب مسهن في وقت واحد هذا ما توعدون وبالياء مكي
وابو عمرو ليوم الحساب اي ليوم تجزى كل نفس بما عملت ان هذا لرزقنا ماله من نفاد من
انقطاع والجملة حال من رزق والعامل الاشارة في هذا هذا خبر والمبتدا محذوف اي الامر
هذا وهذا كما ذكر وان للطاغين لشر مآب مرجع جهنم بدل منه يصلونها يدخلونها فبئس المهاد
شبه ما تحتهم من النار بالمهاد الذي يفترش للنائم هذا فليذوقوه حميم وغساق اي
هذا حميم وغساق فليذوقوه فهذا مبتدا وحميم خبره وغساق عطف على الخبر وفليذوقوه
اعتراض او العذاب هذا فليذوقوه ثم ابتدا فقال هو حميم وغساق بالتشديد حمزة وعلي
وحفص والغساق بالتشديد والتخفيف ما يغسق من صديد اهل النار يقال غسقت العين اذا سال
دمعها وقيل الحميم يحرق بحره والغساق يحرق ببرده واخر اي عذاب آخر او مذوق آخر
من شكله من مثل العذاب المذكور واخر بصري اي ومذوقات اخر من شكل هذا المذوق
في الشدة والفظاعة ازواج صفة لآخر لانه يجوز ان يكون ضروبا هذا فوج مقتحم معكم هذا
جمع كثيف قد اقتحم معكم النار اي دخل النار في صحبتكم والاقتحام الدخول في الشيء بشدة و

والقحمة الشدة وهذه حكاية كلام الطاغين بعضهم مع بعض يقولون هذا والمراد بالفوج اتباعهم الذين
اقتحموا معهم الضلالة فيقتحمون معهم العذاب لا مرحبا بهم دعاء منهم على اتباعهم تقول لمن
تدعو له مرحبا اى اتيت رحبا من البلاد لا ضيقا او رحبت بلادك رحبا ثم تدخل عليه لا في دعاء
السوء وبهم بيان للمدعو عليهم انهم صالوا النار داخلوها وهو تعليل لاستيجابهم الدعاء عليهم
وقيل هذا فوج مقتحم كلام الخزنة لرؤساء الكفرة فى اتباعهم ولا مرحبا بهم انهم صالوا النار
كلام الرؤساء فى اتباعهم وقيل هذا كله كلام الخزنة قالوا اى الاتباع بل انتم لا مرحبا بكم اى الدعاء
الذى دعوتم به علينا انتم احق به وعللوا ذلك بقولهم انتم قدمتموه لنا والضمير للعذاب
او لصليهم اى انكم دعوتمونا اليه فكفرنا باتباعكم فبئس القرار اى النار قالوا اى الاتباع ربنا
من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا مضاعفا فى النار ومعناه ذا ضعف ونحوه قوله ربنا
هؤلاء اضلونا فآتهم عذابا ضعفا وهو ان يزيد على عذابه مثله وقالوا الضمير لرؤساء الكفرة
ما لنا لا نرى رجالا يعنون فقراء المسلمين كنا نعدهم فى الدنيا من الاشرار من الاراذل الذين
لا خير فيهم ولا جدوى اتخذناهم سخريا بلفظ الاخبار عراقى غير عاصم على انه صفة لرجالا
مثل كنا نعدهم من الاشرار وبهمزة الاستفهام غيرهم على انه انكار على انفسهم فى الاستسخار منهم
سخريا مدنى وحمزة وعلى وخلف والمفضل ام زاغت مالت عنهم الابصار هو متصل بقوله ما لنا
اى ما لنا لا نراهم فى النار كانهم ليسوا فيها بل ازاغت عنهم ابصارنا فلا نراهم وهم فيها
قسموا امرهم بين ان يكونوا من اهل الجنة وبين ان يكونوا من اهل النار الا انهم خفى عليهم مكانهم
ان ذلك الذى حكينا عنهم لحق اى لصدق كائن لا محالة لا بد ان يتكلموا به ثم بين ما هو فقال
هو تخاصم اهل النار ولما شبه تقاولهم وما يجرى بينهم من السؤال والجواب بما يجرى بين
المتخاصمين سماه تخاصما ولان قول الرؤساء لا مرحبا بهم وقول اتباعهم بل انتم لا مرحبا بكم من
باب الخصومة فسمى التقاول كله تخاصما لاشتماله على ذلك قل يا محمد لمشركى مكة انما انا منذر ما
انا الا رسول منذر لكم انذركم عذاب الله وما من اله الا الله واقول لكم ان دينى الحق توحيد الله
تعالى وان تعتقدوا ان لا اله الا الله الواحد بلا ند ولا شريك القهار لكل شىء رب السموات
والارض وما بينهما له الملك والربوبية فى العالم كله العزيز اى الذى لا يغلب اذا عاقب الغفار

لذنوب

لذنوب من التجا اليه قل هو اى هذا الذى انبأتكم به من كونى رسولا منذرا وان الله
واحد لا شريك له نبؤ عظيم لا يعرض عن مثله الا غافل شديد الغفلة ثم انتم عنه
معرضون غافلون ما كان لى من علم بالملاء الاعلى اذ يختصمون احتج لصحة
نبوته بان ما ينبئ به عن الملاء الاعلى واختصامهم امر ما كان له به من علم قط ثم علمه ولم يسلك
الطريق الذى يسلكه الناس فى علم ما لم يعلموا وهو الاخذ من اهل العلم وقراءة الكتب فعلم ان
ذلك لم يحصل له الا بالوحى من الله ان يوحى الى الا انما انا نذير مبين اى لانما انا نذير مبين و
معناه ما يوحى الى الا للانذار فحذف اللام وانتصب بافضاء الفعل اليه ويجوز ان يرتفع
على معنى ما يوحى الى الا هذا وهو ان انذر وابلغ ولا افرط فى ذلك اى ما اومر الا بهذا الامر
وحده وليس الى غير ذلك وبكسر انما يزيد على الحكاية اى الا هذا القول وهو ان اقول لكم انما انا
نذير مبين ولا ادعى شيئا آخر وقيل النبأ العظيم قصص آدم والانباء به من غير سماع من
احد وعن ابن عباس رضى الله عنه القرآن وعن الحسن يوم القيمة والمراد بالملاء الاعلى اصحاب
القصة الملائكة وآدم وابليس لانهم كانوا فى السماء وكان التقاول بينهم واذ يختصمون
يتعلق بمحذوف اذ المعنى ما كان لى من علم بكلام الملاء الاعلى وقت اختصامهم اذ قال ربك
بدل من اذ يختصمون اى يختصمون فى شان آدم حين قال الله تعالى على لسان ملك للملائكة
انى خالق بشرا من طين فقال انى جاعل فى الارض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها فاذا
سويته فاذا اتممت خلقه وعدلته ونفخت فيه من روحى الذى خلقته واضافته اليه تخصيصا
كبيت الله وناقة الله والمعنى احييته وجعلته حساسا متنفسا فقعوا امر من وقع
يقع اى اسقطوا على الارض والمعنى اسجدوا له ساجدين قيل كان انحناء يدل على التواضع
وقيل كان سجدة لله او كان سجدة للتحية فسجد الملائكة كلهم اجمعون كل للاحاطة واجمعون
للاجتماع فافادا انهم سجدوا عن آخرهم جميعا فى وقت واحد غير متفرقين فى اوقات الا ابليس
استكبر تعظم من السجود وكان من الكافرين وصار من الكافرين بإباء الامر قال يا ابليس ما منعك
ان تسجد ما منعك عن السجود لما خلقت بيدى اى بلا واسطة امتثالا لامرى واعظاما لخطابى
وقد مر ان ذا اليدين يباشر اكثر اعماله بيديه فغلب العمل باليدين على سائر الاعمال التى تباشر

بغيرها حتى قيل فى عمل القلب هو مما عملت يداك وحتى قيل لمن لا ايدى له يداك اوكتا وفوك
نفخ حتى لم يبق فرق بين قولك هذا مما عملته وهذا مما عملته يداك ومنه قوله تعالى مما عملت
ايدينا ولما خلقت بيدى استكبرت استفهام لا انكار ام كنت من العالين ممن علوت وفقت
وقيل استكبرت الان ام لم تزل منذ كنت من المتكبرين قال انا خير منه خلقتنى من نار وخلقته
من طين يعنى لو كان مخلوقا من نار لما سجدت له لانه مخلوق مثلى فكيف اسجد لمن هو دونى
لانه من طين والنار تغلب الطين فتاكله وقد جرت الجملة الثانية من الاولى وهى خلقتنى من نار
مجرى المعطوف عطف البيان من المعطوف فى البيان والايضاح قال فاخرج منها من الجنة او من
السموات او من الخلقة التى انت فيها لانه كان يفتخر بخلقته فغير الله خلقته واسود بعدما
كان ابيض وقبح بعدما كان حسنا واظلم بعدما كان نورانيا فانك رجيم مرجوم مطرود
تكبر ابليس ان يسجد لمن خلق من طين وذل عنه ان الله تعالى امر به ملائكته وا تبعوا امره امتثالا
لخطابه وتعظيما لامره وصار رجيما ملعونا بترك امره وان عليك لعنتى وبفتح الياء مدنى
اى ابعادى من كل الخير الى يوم الدين اى الجزاء ولا يظن ان لعنته غايتها الى يوم الدين ثم
ينقطع لان معناه ان عليه اللعنة فى الدنيا وحدها فاذا كان يوم الدين اقترن بها العذاب
فينقطع الانفراد او لما كان عليه اللعنة فى اوان الرحمة فاولى ان يكون عليه فى غير اوانها وكيف
تنقطع وقد قال الله تعالى فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين قال رب فانظرنى
فامهلنى الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم الوقت المعلوم
الوقت الذى يقع فيه النفخة الاولى ويومه اليوم الذى وقت النفخة جزء من اجزائه و
معنى المعلوم انه معلوم عند الله تعالى معين ولا يتقدم ولا يتاخر قال فبعزتك لاغوينهم
اجمعين اقسم بعزة الله وهى سلطانه وقهره الا عبادك منهم المخلصين وبكسر اللام مكى و
بصرى وشامى قال فالحق بالرفع كوفى غير على على الابتداء اى الحق منى او على الخبر اى انا الحق
وبالنصب غيرهم على انه مقسم به كقوله الله لافعلن يعنى حذف منه الباء فانتصب وجوابه
لاملان والحق اقول اعتراض بين المقسم والمقسم عليه وهو منصوب باقول ومعناه ولا اقول
الا الحق والمراد بالحق اما اسمه عز وجل كما فى قوله ان الله هو الحق او الحق الذى هو نقيض الباطل

عظمه الله تعالى باقسامه به لاملان جهنم منك من جنسك وهم الشياطين وممن تبعك منهم من
ذرية آدم اجمعين لاملان جهنم من المتبوعين والتابعين اجمعين لا اترك منهم احدا قل ما
اسئلكم عليه من اجر الضمير للقران او للوحى وما انا من المتكلفين من الذين يتصنعون وينتحلون
بما ليسوا من اهله وما عرفتمونى قط متصنعا ولا مدعيا ما ليس عندى حتى انتحل النبوة واتقول
القران ان هو الا القرآن الا ذكر من الله للعالمين للثقلين اوحى الى فانا ابلغه وعن رسول الله
صلى الله عليه وسلم للمتكلف ثلث علامات ينازع من فوقه ويتعاطى ما لا ينال ويقول ما لا يعلم
ولتعلمن نباه نباء القران وما فيه من الوعد والوعيد وذكر البعث والنشور بعد حين
اى بعد الموت او يوم بدر او يوم القيمة ختم السورة بالذكر كما افتحها بالذكر

سورة الزمر مكية الا قوله قل يا عبادى الذين اسرفوا الى يسترون وهى خمس وسبعون اية كوفى وستة وسبعين بصرى

بسم الله الرحمن الرحيم تنزيل الكتاب اى القران مبتدا و
خبره من الله اى نزل من عند الله او خبر مبتدا محذوف والجار صلة التنزيل او غير صلة بل
هو خبر او خبر مبتدا محذوف تقديره هذا تنزيل الكتاب هذا من الله العزيز فى سلطانه الحكيم
فى تدبيره انا انزلنا اليك الكتاب بالحق هذا ليس بتكرار لان الاول كالعنوان للكتاب والثانى
لبيان ما فى الكتاب فاعبد الله مخلصا حال له الدين اى ممحضا له الدين من الشرك والرياء بالتوحيد
وتصفية السر فالدين منصوب بمخلصا الا لله الدين الخالص اى هو الذى وجب اختصاصه
بان يخلص له الطاعة من كل شائبة كدر لاطلاعه على الغيوب والاسرار وعن قتادة الدين
الخالص شهادة ان لا اله الا الله وعن الحسن الاسلام والذين اتخذوا من دونه اولياء اى
آلهة وهو مبتدا محذوف الخبر تقديره والذين عبدوا الاصنام يقولون ما نعبدهم الا ليقربونا
الى الله زلفى مصدر اى تقريبا ان الله يحكم بينهم بين المسلمين والمشركين فيما هم فيه يختلفون
قيل كان المسلمون اذا قالوا لهم من خلق السموات والارض قالوا الله فاذا قالوا لهم فما لكم
تعبدون الاصنام قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى والمعنى ان الله يحكم يوم القيمة
بين المتنازعين من الفريقين ان الله لا يهدى من هو كاذب كفار اى لا يهدى من هو فى علمه
انه يختار الكفر يعنى لا يوفقه للهدى ولا يعينه وقت اختياره الكفر ولكنه يخذله وكذبهم

قولهم في بعض من اتخذوا من دون الله اولياء بنات الله ولذا عقبه محتجا عليهم بقوله لو
اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء اى لو جاز اتخاذ الولد على ما يظنون لاختار
مما يخلق ما يشاء لا ما تختارون انتم وتشاؤن سبحانه نزه ذاته عن ان يكون له احد ما نسبوا
اليه من الاولياء والاولاد ودل على ذلك بقوله هو الله الواحد القهار يعنى انه الله واحد
متبرئ عن انضمام الاعداد متعال عن التجزى والاولاد قهار غلاب لكل شئ ومن الاشياء
الهتهم فانى يكون له اولياء وشركاء ثم دل بخلق السموات والارض وتكوير كل واحد من
الملوين على الآخر وتسخير النيرين وجريهما لاجل مسمى وبث الناس على كثرة عددهم من
نفس واحدة وخلق الانعام على انه واحد لا يشارك قهار لا يغالب بقوله خلق السموات
والارض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل التكوير اللف واللى يقال كار العمامة
على راسه وكورها والمعنى ان كل واحد منهما يغيب الآخر اذا طرأ عليه فشبه في تغييبه اياه بشئ
ظاهر لف عليه ما غيبه عن مطامح الابصار او ان هذا يكر على هذا كرورا متتابعا فشبه ذلك
بتتابع اكوار العمامة بعضها على اثر بعض وسخر الشمس والقمر كل يجرى لاجل مسمى اى القيمة
الا هو العزيز الغالب القادر على عقاب من لم يعتبر بتسخير الشمس والقمر فلم يؤمن بمسخرهما
الغفار لمن فكر فاعتبر فآمن بمدبرهما خلقكم من نفس واحدة آدم عليه السلام ثم جعل منها
زوجها اى حوا من قصيراه قيل اخرج ذرية آدم من ظهره كالذر ثم خلق بعد ذلك حوا من
وانزل لكم من الانعام اى جعل عن الحسن او خلقها في الجنة مع آدم عليه السلام ثم انزلها او لانها
لا تعيش الا بالنبات والنبات لا تقوم الا بالماء وقد انزل الماء فكانه انزلها ثمانية ازواج
ذكرا وانثى من الابل والبقر والضان والمعز كما بين في سورة الانعام والزوج اسم لواحد معه
آخر فاذا انفرد فهو فرد ووتر يخلقكم في بطون امهاتكم خلقا من بعد خلق نطفة ثم علقة ثم
مضغة الى تمام الخلق في ظلمات ثلث ظلمة البطن والرحم والمشيمة او ظلمة الصلب والبطن والرحم
ذلكم الذى هذه مفعولاته هو الله ربكم له الملك لا اله الا هو فانى تصرفون فكيف يعدل
بكم عن عبادته الى عبادة غيره ثم بين انه غنى عنهم بقوله ان تكفروا فان الله غنى عنكم عن ايمانكم
وانتم محتاجون اليه لتضرركم بالكفر وانتفاعكم بالايمان ولا يرضى لعباده الكفر لان الكفر ليس

رضى الله

يرضى الله وان كان بارادته وان تشكروا فتؤمنوا يرضه لكم اى يرضى الشكر لكم لانه سبب فوزكم
فيثيبكم عليه الجنة يرضه بضم الهاء والاشباع مكى وعلى يرضه بضم الهاء بدون الاشباع نافع و
هشام وعاصم غير يحيى وحماد وغيرهم يرضه ولا تزر وازرة وزر اخرى اى لا يؤخذ احد
لا احد بذنب آخر ثم الى ربكم مرجعكم الى جزاء ربكم رجوعكم فينبئكم بما كنتم تعملون فيخبركم
باعمالكم ويجازيكم عليها انه عليم بذات الصدور بخفيات القلوب واذا مس الانسان هو ابو جهل
او كل كافر ضر بلاء وشدة والمس في الاعراض مجاز دعا ربه منيبا اليه راجعا الى الله بالدعاء
لا يدعو غيره ثم اذا خوله اعطاه نعمة منه من الله عز وجل نسى ما كان يدعو اليه من قبل اى
نسى ربه الذى كان يتضرع اليه وما بمعنى من كقوله وما خلق الذكر والانثى او نسى الضر
الذى كان يدعو الله الى كشفه وجعل لله اندادا امثالا ليضل ليضل مكى وابو عمرو ويعقوب
عن سبيله اى الاسلام قل يا محمد عليه الصلوة والسلام تمتع امر تهديد بكفرك قليلا اى في
الدنيا انك من اصحاب النار من اهلها امن قراء بالتخفيف مكى ونافع وحمزة على ادخال همزة
الاستفهام على من وبالتشديد غيرهم على ادخال ام عليه ومن مبتدأ خبره محذوف تقديره
امن هو قانت كغيره اى امن هو مطيع كمن هو عاص والقانت المطيع لله وانما حذف لدلالة
الكلام عليه وهو جرى ذكر الكافر قبله وقوله بعده قل هل يستوى الذين يعلمون والذين
لا يعلمون اناء الليل ساعاته ساجدا وقائما حالان من الضمير في قانت يحذر الآخرة اى عذاب
الآخرة ويرجوا رحمة ربه اى الجنة ودلت الآية على ان المؤمن يجب ان يكون بين الخوف والرجاء
يرجو رحمته لا عمله ويحذر عذابه لتقصيره في عمله ثم الرجاء اذا جاوز حده يكون امنا والخوف اذا
جاوز حده يكون اياسا وقد قال الله تعالى فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون انه لا ييأس
من روح الله الا القوم الكافرون فيجب ان لا يجاوز احدهما حده قل هل يستوى الذين يعلمون
والذين لا يعلمون اى يعلمون ويعملون به كانه جعل من لا يعمل غير عالم وفيه ازدراء عظيم
بالذين يقتنون العلوم ثم لا يقتنون ويفتنون فيها ثم يفتنون بها بالدنيا فهم عند الله جهلة
حيث جعل القانتين هم العلماء او اريد به التشبيه اى كما لا يستوى العالم والجاهل كذلك لا يستوى المطيع
والعاصى انما يتذكر اولوا الالباب جمع لب انما يتعظ بوعظ الله اولوا العقول قل يا عبادى الذين

حرام

امنوا بلايا عند الاكثر اتقوا ربكم بامتثال اوامره واجتناب نواهيه للذين احسنوا في هذه
الدنيا حسنة اي اطاعوا الله في الدنيا وفي يتعلق باحسنوا لا الحسنة معناه الذين احسنوا في هذه
الدنيا فلهم حسنة في الاخرة وهي دخول الجنة اي حسنة لا توصف وقد علقه السدي بحسنة
فتفسر الحسنة بالصحة والعافية ومعنى وارض الله واسعة ان لا عذر للمفرطين في الاحسان
البتة حتى ان اعتلوا بانهم لا يتمكنون في اوطانهم من التوفر على الاحسان قيل لهم فان ارض الله
واسعة وبلاده كثيرة فتحولوا الى بلاد اخر واقتدوا بالانبياء والصالحين في مهاجرتهم
الى غير بلاد ليزدادوا احسانا الى احسانهم وطاعة الى طاعتهم انما يوفى الصابرون على مفارقة
اوطانهم وعشايرهم وعلى غيرها من تجرع الغصص واحتمال البلايا في طاعة الله وازدياد
الخير اجرهم بغير حساب عن ابن عباس رض لا يهتدي اليه حساب الحساب ولا يعرف وهو
حال من الاجر اي موفرا قل اني امرت ان اعبد الله بان اعبد الله مخلصا له الدين اي امرت
باخلاص الدين وامرت لان اكون اول المسلمين وامرت بذلك لاجل ان اكون اول المسلمين
اي مقدمهم وسابقهم في الدنيا والاخرة والمعنى ان الاخلاص له السبقة في الدين فمن اخلص
كان سابقا فالاول امر بالعبادة مع الاخلاص والثاني بالسبق فلاختلاف جهتيهما نزل منزلة
المختلفين فصح عطف احدهما على الاخر قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم لمن
دعاك بالرجوع الى دين ابائك وذلك ان كفار قريش قالوا له عليه الصلوة والسلام الا تنظر
الى ابيك وجدك وسادات قومك يعبدون اللات والعزى فنزلت ردا عليهم قل الله
اعبد مخلصا له ديني فهذه الاية اخبار بان يخص الله وحده بعبادته مخلصا له دينه دون غيره
والاولى اخبار بانه مامور بالعبادة والاخلاص فالكلام اولا واقع في نفس الفعل واثباته و
ثانيا فيمن يفعل الفعل لاجله فلذلك رتب عليه قوله فاعبدوا ما شئتم من دونه وهذا امر تهديد
وقيل له ان خالفت دين ابائك فقد خسرت فنزلت قل ان الخاسرين اي الكاملين في الخسران
الجامعين لوجوهه واسبابه الذين خسروا انفسهم باهلاكها في النار واهليهم اي وخسروا
اهليهم يوم القيمة لانهم اضلوهم فصاروا الى النار ولقد وصف خسرانهم بغاية الفظاعة في قوله
الا ذلك هو الخسران المبين حيث صدر الجملة بحرف التنبيه ووسط الفصل بين المبتداء والخبر وعرف

الخسران

الخسران ونعته بالمبين وذلك لانهم استبدلوا بالجنة نارا وبالدرجات دركات لهم من فوقهم ظلل
اطباق من النار ومن تحتهم ظلل اطباق من النار هي ظلل للاخرين اي النار محيطة بهم ذلك الذي وصف
من العذاب او ذلك الظلل يخوف الله به عباده ليؤمنوا به ويجتنبوا عن مناهيه يا عباد
فاتقون ولا تتعرضوا لما يوجب سخطي خوفهم بالنار ثم حذرهم نفسه والذين اجتنبوا الطاغوت
الشياطين فعلوت من الطغيان كالملكوت والرحموت الا ان فيها قلبا بتقديم اللام على العين
اطلقت على الشيطان او الشياطين لكون الطاغوت مصدرا وفيها مبالغات وهي التسمية
بالمصدر كان عين الشياطين طغيان وان البناء بناء مبالغة فان الرحموت الرحمة الواسعة
والملكوت الملك المبسوط والقلب وهو للاختصاص اذ لا تطلق على غير الشيطان والمراد
ههنا الجمع وقرئ الطواغيت ان يعبدوها بدل الاشتمال من الطاغوت اي عبادتها وانابوا
رجعوا الى الله لهم البشرى هو البشارة بالثواب تتلقاهم الملائكة عند حضور الموت مبشرين
وحين يحشرون فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه هم الذين اجتنبوا
وانابوا وانما اراد بهم ان يكونوا مع الاجتناب والانابة على هذه الصفة فوضع الظاهر موضع
المضمر اراد ان يكونوا نقادا في الدين يميزون بين الحسن والاحسن والفاضل والافضل فاذا
اعترضهم امران واجب وندب اختاروا الواجب وكذا المباح والندب حرصا على ما اقرب
عند الله واكثر ثوابا او يستمعون القران وغيره فيتبعون القران او يستمعون اوامر الله
فيتبعون احسنها نحو القصاص والعفو ونحو ذلك او يستمعون الحديث مع القوم فيه محاسن
ومساو فيحدث بالحسن مما سمع ويكف عما سواه اولئك الذين هديهم الله واولئك
هم اولوا الالباب اي المنتفعون بعقولهم افمن حق عليه كلمة العذاب افانت تنقذ من
في النار اصل الكلام امن حق عليه كلمة العذاب اي وجب فانت تنقذه جملة شرطية دخل
عليها همزة الانكار والفاء فاء الجزاء ثم دخلت الفاء التي في اولها للعطف على محذوف تقديره
ءانت مالك امرهم فمن حق عليه العذاب فانت تنقذه والهمزة الثانية هي الاولى كررت لتوكيد
معنى الانكار ووضع من في النار موضع الضمير اي تنقذه فالاية على هذا جملة واحدة او
افمن حق عليه كلمة العذاب يتخوصه افانت تنقذه اي لا يقدر احد ان ينقذ من اضله الله وسبق

في علم انه من اهل النار لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف اى لهم منازل في
الجنة رفيعة وفوقها منازل ارفع منها يعنى للكفار ظلل من النار وللمتقين غرف مبنية
تجرى من تحتها الانهار اى من تحت منازلها وعد الله لا يخلف الله الميعاد وعد الله مصدر
مؤكد لان قولهم غرف فى معنى وعدهم الله ذلك الم تر ان الله انزل من السماء ماء يعنى المطر
وقيل كل ما فى الارض فهو من السماء ينزل منها الى الصخرة ثم يقسمه الله فسلكه فادخله
ينابيع فى الارض عيونا ومسالك ومجارى كالعروق فى الاجساد ينابيع نصب على الحال
ثم يخرج به بالماء زرعا مختلفا الوانه هيأته من خضرة وحمرة وصفرة وبياض او اصنافه
من بر وشعير وسمسم وغير ذلك ثم يهيج يجف فتريه مصفرا بعد نضارته وحسنه
ثم يجعله حطاما فتاتا متكسرا فالحطام ما تفتت وتكسر من النبت ان فى ذلك فى انزال الماء
واخراج الزرع لذكرى لاولى الالباب لتذكيرا وتنبيها على انه لا بد من صانع حكيم وان ذلك
كائن عن تقدير وتدبير لا عن اهمال وتعطيل افمن شرح الله صدره اى وسع صدره للاسلام
فاهتدى وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الشرح فقال اذا دخل النور القلب انشرح و
انفسح فقيل هل لذلك من علامة قال نعم الانابة الى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والاستعداد
للموت قبل نزول الموت فهو على نور من ربه بيان وبصيرة والمعنى افمن شرح الله صدره
فاهتدى كمن طبع على قلبه فقسى قلبه فحذف لان قوله فويل للقاسية قلوبهم يدل عليه من
ذكر الله اى من ترك ذكر الله او من اجل ذكر الله اى اذا ذكر الله عندهم او آياته ازدادت
قلوبهم قساوة كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم اوليك فى ضلال مبين غواية ظاهرة
الله نزل احسن الحديث فى ايقاع اسم الله مبتدأ وبناء نزل عليه تفخيم لاحسن الحديث
كتابا بدل من احسن الحديث او حال منه متشابها يشبه بعضه بعضا فى الصدق والبيان
والوعظ والحكمة والاعجاز وغير ذلك مثانى نعت كتابا جمع مثنى بمعنى مردد ومكرر لما
يثنى من قصصه وانبائه واحكامه واوامره ونواهيه ووعده ووعيده ومواعظه فهو بيان
لكونه متشابها لان القصص المكررة وغيرها لا تكون الا متشابهة وقيل لانه يثنى فى التلاوة ولا
يمل وانما جاز وصف الواحد بالجمع لان الكتاب جملة ذات تفاصيل وتفاصيل الشئ هى جملته الا ترى

تقول القرآن اسباع واخماس وسور وآيات فكذلك تقول اقاصيص واحكام ومواعظ مكررات
او منصوب على التمييز من متشابها كما تقول رايت رجلا حسنا شمائل والمعنى متشابهة مثانيه تقشعر
منه تضطرب وتتحرك منه جلود الذين يخشون ربهم ويقال اقشعر الجلد اذا تقبض تقبضا
شديدا والمعنى انهم اذا سمعوا بالقرآن وبآيات وعيده اصابتهم خشية تقشعر منها جلودهم وفى
الحديث اذا اقشعر جلد المؤمن من خشية الله تحاتت عنه ذنوبه كما يتحات عن الشجرة اليابسة
ورقها ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله اى اذا ذكرت آيات الرحمة لانت جلودهم وقلوبهم
وزال عنها ما كان بها من الخشية والقشعريرة وعدى بالى لتضمنه معنى فعل متعدى بالى كانه قيل اطمانت
الى ذكر الله لينة غير منقبضة واقتصر على ذكر الله من غير ذكر الرحمة لان رحمته سبقت غضبه
فلاصالة رحمته اذا ذكر لم يخطر بالبال الا كونه رؤوفا رحيما وذكرت الجلود وحدها اولا ثم
قرنت بها القلوب ثانيا لان محل الخشية القلوب فكان ذكرها يتضمن ذكر القلوب ذلك
اشارة الى الكتاب هدى الله يهدى به من يشاء وهو من علم منهم اختيار الاهتداء ومن يضلل الله
يخلق الضلالة فيه فما له من هاد الى الحق افمن يتقى بوجهه سوء العذاب يوم القيمة كمن امن
العذاب فحذف كما حذف فى نظائره وسوء العذاب شدته ومعناه ان الانسان اذا لقى مخوفا
من المخاوف استقبله بيده وطلب ان يقى بها وجهه لانه اعز اعضائه عليه والذى يلقى فى النار
يلقى مغلولة يداه الى عنقه فلا يتهيأ له ان يتقى النار الا بوجهه الذى كان يتقى المخاوف
بغيره وقاية له ومحاماة عليه وقيل للظالمين اى يقول لهم خزنة النار ذوقوا وبال ما كنتم
تكسبون اى كسبكم كذب الذين من قبلهم من قبل قريش فاتاهم العذاب من حيث لا يشعرون
من الجهة التى لا يحتسبون ولا يخطر ببالهم ان الشر ياتيهم منها فبيناهم آمنون اذ فوجئوا
من مامنهم فاذاقهم الله الخزى الذل والصغار كالمسخ والخسف والقتل والجلاء ونحو ذلك
من عذاب الله فى الحيوة الدنيا ولعذاب الآخرة اكبر من عذاب الدنيا لو كانوا يعلمون لآمنوا
ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون ليتعظوا قرآنا عربيا
حال مؤكدة كما تقول جاءنى زيد رجلا صالحا وانسانا عاقلا فتذكر رجلا وانسانا توكيدا او
نصب على المدح غير ذى عوج مستقيما بريئا من التناقض والاختلاف ولم يقل مستقيما

الاشعار بان لا يكون فيه عوج قط وقيل المراد بالعوج الشك لعلهم يتقون الكفر ضرب الله
مثلا رجلا بدل فيه شركاء متشاكسون متنازعون ومختلفون ورجلا سلما مصدر سلم والمعنى
ذا سلامة لرجل اي ذا خلوص له من الشركة سالما مكي وابو عمرو اي خالصا له هل يستويان مثلا
صفة وهو تمييز والمعنى هل يستوي صفتاهما وحالاهما وانما اقتصر في التمييز على الواحد لبيان
للجنس وقرئ مثلين الحمد لله الذي لا اله الا هو بل اكثرهم لا يعلمون فيشركون به غيره مثل الكافر في
ومعبوديه بعبد اشترك فيه شركاء بينهم تنازع واختلاف كل واحد منهم تدعي انه عبده فهم
يتجاذبونه ويتعاورونه في مهن شتى وهو متحير لا يدري ايهم يرضى بخدمته وعلى ايهم يعتمد
في حاجاته وممن يطلب رزقه وممن يلتمس رفقه فهمه شعاع وقلبه اوزاع والمؤمن بعبد له
سيد واحد فهمه واحد وقلبه مجتمع انك ميت اي ستموت وانهم ميتون وبالتخفيف من حل
به الموت قال الخليل انشد ابو عمرو وتسائلني تفسير ميت وميت فدونك قد فسرت ان كنت
تعقل فمن كان ذا روح فذلك ميت وما الميت الا من الى القبر يحمل كانوا يتربصون برسول الله
موته فاخبر ان الموت يعمهم فلا معنى للتربص وشماتة الباقي بالفاني وعن قتادة نعى الى
نبيه صلى الله عليه وسلم نفسه ونعى اليكم انفسكم اي انك واياهم في عداد الموتى لان ما هو كائن
فكان قد كان ثم انكم اي انك واياهم فغلب ضمير المخاطب على ضمير الغيب يوم القيمة عند ربكم
تختصمون فتحتج انت عليهم بانك بلغت فكذبوا واجتهدت في الدعوة فلجوا في العناد و
يعتذرون بما لا طائل تحته يقول الاتباع اطعنا سادتنا وكبراءنا ويقول السادات اغوتنا
الشياطين واباؤنا الاقدمون قالت الصحابة رض ما خصومتنا ونحن اخوان فلما قتل عثمان
الشياطين واباؤنا رض قالوا هذه خصومتنا وعن ابي العالية نزلت في اهل القبلة وذلك
في الدماء والمظالم التي بينهم والوجه هو الاول الا ترى الى قوله فمن اظلم ممن كذب على الله وقوله
والذي جاء بالصدق وصدق به وما هو الا بيان وتفسير للذين يكون بينهم الخصومة كذب
على الله افترى عليه باضافة الولد والشريك اليه وكذب بالصدق بالامر الذي هو الصدق
بعينه وهو ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم اذ جاءه فاجاه بالتكذيب كما سمع به من غير وقفة
لاعمال روية او اهتمام بتمييز بين حق وباطل كما يفعل النصفة فيما يسمعون اليس في جهنم مثوى

للكافرين اي لهؤلاء الذين كذبوا على الله كذبوا بالصدق واللام في الكافرين اشارة اليهم والذي
جاء بالصدق وصدق به هو رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي جاء بالحق وآمن به واراد به
اياه ومن تبعه كما اراد بموسى اياه وقومه في قوله ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون فلذا
قال اولئك هم المتقون وقال الزجاج روي عن علي رض انه قال والذي جاء بالصدق محمد صلى الله
عليه وسلم والذي صدق به المؤمنون والكل صحيح كذا قاله قالوا والوجه في العربية ان يكون
جاء وصدق لفاعل واحد لان التغاير يستدعي اضمار الذي وذا غير جائز او اضمار الفاعل
من غير تقدم الذكر وذا بعيد لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك جزاء المحسنين ليكفر الله
عنهم اسوء الذي عملوا ويجزيهم اجرهم باحسن الذي كانوا يعملون اضافة اسوء
واحسن من اضافة الشيء الى ما هو بعضه من غير تفضيل كقولك الاشج اعدل بني مروان
اليس الله بكاف عبده ادخلت همزة الانكار على كلمة النفي فافيد معنى اثبات الكفاية
وتقريرها عبده اي محمد عليه الصلوة والسلام عباده حمزة وعلي اي الانبياء والمؤمنين
وهو مثل انا كفيناك المستهزئين ويخوفونك بالذين من دونه اي بالاوثان التي اتخذوها
آلهة من دونه وذلك ان قريشا قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم انا نخاف ان تخبلك
آلهتنا وانا نخشى عليك معرتها لعيبك اياها ومن يضلل الله فما له من هاد ومن يهد الله
فما له من مضل اليس الله بعزيز بغالب منيع ذي انتقام ينتقم من اعدائه وفيه وعيد
لقريش ووعد للمؤمنين بانه ينتقم لهم منهم وينصرهم عليهم ثم اعلم بانهم مع عبادتهم
الاوثان مقرون بان الله خلق السموات والارض بقوله ولئن سالتهم من خلق السموات
والارض ليقولن الله قل افرايتم ما تدعون من دون الله ان ارادني الله بفتح الياء سوى
حمزة بضر مرض او فقر او غير ذلك هل هن كاشفات ضره دافعات شدته عني او ارادني
برحمة صحة او غنى او غيرهما هل هن ممسكات رحمته كاشفات ضره ممسكات رحمته
بالتنوين على الاصل بصري وفرض المسئلة في نفسه دونهم لانهم خوفوه معرة الاوثان و
تخبيلها فامر بان يقررهم اولا بان خالق العالم هو الله وحده ثم يقول لهم بعد التقرير فان
ارادني خالق العالم الذي اقررتم به بضر او برحمة هل يقدرون على خلاف ذلك فلما الجمهم

قال الله تعالى قل حسبى الله كافيا المعرة اوثانهم عليه يتوكل المتوكلون يروى ان النبى صلى الله
عليه وسلم سالهم فسكتوا فنزل قل حسبى الله وانما قال كاشفات وممسكات على التانيث
يعنى قوله ويخوفونك بالذين من دونه لانهن اناث وهن اللات والعزى ومنات وفيه
تحكم بهم وبمعبوديهم قل يا قوم اعملوا على مكانتكم على حالكم التى انتم عليها وجهتكم من
العداوة التى تمكنتم منها والمكانة بمعنى المكان فاستعيرت عن العين للمعنى كما يستعار هنا
وحيث للزمان وهما للمكان انى عامل اى مكانتى وحذف للاختصار ولما فيه من زيادة الوعيد
والايذان بان حاله يزداد كل يوم قوة لان الله ناصره ومعينه الا يرى الى قوله فسوف تعلمون
من ياتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم كيف توعدهم بكونه منصورا عليهم غالبا
فى الدنيا والاخرة لانهم اذا اتاهم الخزى والعذاب فذاك عزه وغلبته من حيث ان الغلبة
تتم له بعز عزيز من اوليائه وبذل ذليل من اعدائه ويخزيه صفة العذاب كمقيم اى عذاب
مخزله وهو يوم بدر وعذاب دائم وهو عذاب النار مكانتهم ابوبكر وحماد انا انزلنا عليك
الكتاب القران للناس لاجلهم ولاجل حاجتهم اليه ليبشروا وينذروا فيقوى دواعيهم
الى اختيار الطاعة على المعصية بالحق فمن اهتدى فلنفسه فمن اختار الهدى فقد نفع نفسه
ومن ضل فانما يضل عليها ومن اختار الضلالة فقد ضرها وما انت عليهم بوكيل بحفيظ
ثم اخبر بانه الحفيظ القدير عليهم بقوله الله يتوفى الانفس حين موتها الانفس الجمل كما هى و
توفيها اماتتها وهو ان يسلب ما به هى حية حساسة دراكة والتى لم تمت فى منامها ويتوفى
الانفس التى لم تمت فى منامها او يتوفيها حين تنام تشبيها للنائمين الموتى حيث لا يميزون ولا
يتصرفون كما ان الموتى كذلك ومنه قوله تعالى وهو الذى يتوفيكم بالليل فيمسك الانفس التى
قضى قضى حمزة وعلى عليها الموت الحقيقى اى لا يردها فى وقتها حية ويرسل الاخرى النائمة
الى اجل مسمى الى وقت ضربه لموتها وقيل يتوفى الانفس يتوفيها ويقبضها وهى الانفس التى يكون
معها الحسوة والحركة ويتوفى الانفس التى لم تمت فى منامها وهى نفس التميز قالوا فالتى تتوفى
فى المنام هى نفس التميز لا نفس الحيوة لان نفس الحيوة اذا ازالت زال معها النفس والنائم يتنفس
ولكل انسان نفسان احديهما نفس الحيوة وهى التى تفارق عند الموت والاخرى نفس التميز وهى التى

تفارقها اذا نام وهو وعن ابن عباس رض فى ابن آدم نفس وروح بينهما شعاع مثل شعاع الشمس
فالنفس هى التى بها العقل والتميز والروح هى التى بها النفس والتحرك فاذا نام العبد قبض الله
نفسه ولم يقبض روحه وعن على رض قال يخرج الروح عند الموت النوم ويبقى شعاع فى الجسد
فبذلك يرى الرويا فاذا انتبه من النوم عاد الروح الى جسده باسرع من لحظة وعنه ما راه
نفس النائم فى السماء فهى الرؤيا الصادقة وما رات بعد الارسال فيلقيها الشيطان فهى
كاذبة وعن سعيد بن جبير ان ارواح الاحياء وارواح الاموات تلتقى فى المنام فتعارف
منها ما شاء الله ان يتعارف فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى اجسادها الى
انقضاء مدة حيوتها وروى ان ارواح المؤمنين تعرج عند النوم فى السماء فمن كان منهم طاهرا
اذن له فى السجود ومن لم يكن منهم طاهرا لم يؤذن له فى السجود ان فى ذلك اى فى توفى الانفس
مائتة ونائمة فامساكها وارسالها الى اجل لايات على قدرة الله وعلمه لقوم يتفكرون يجيلون
فيها افكارهم ويعتبرون ام اتخذوا بل اتخذ قريش والهمزة للانكار من دون الله من دون
اذنه شفعاء حتى قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله ولا يشفع احد عنده الا باذنه قل اولو
كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون معناه ايشفعون ولو كانوا لا يملكون شيئا قط ولا عقل لهم
قل لله الشفاعة جميعا اى هو مالكها فلا يستطيع احد شفاعة الا باذنه وانتصب جميعا
على الحال له ملك السموات والارض تقرير لقوله لله الشفاعة جميعا لانه اذا كان له الملك
كله والشفاعة من الملك كان مالكا لها ثم اليه ترجعون متصل بما يليه معناه له ملك السموات
والارض اليوم ثم اليه ترجعون يوم القيمة فلا يكون الملك فى ذلك اليوم الا له فله ملك الدنيا
والاخرة واذا ذكر الله وحده مدار المعنى على قوله وحده اى اذا افرد الله بالذكر ولم يذكر
معه الهتهم اشمازت نفرت وانقبضت قلوب الذين لا يؤمنون بالاخرة واذا ذكر الذين
من دونه يعنى الهتهم ذكر الله معهم اولم يذكر اذا هم يستبشرون لافتتانهم بها واذا قيل لا اله
الا الله وحده لا شريك له نفروا لان فيه نفيا لالهتهم ولقد تقابل الاستبشار والاشمئزاز
اذ كل واحد منهما غاية فى بابه فالاستبشار ان يمتلئ قلبه سرورا حتى تنبسط له بشرة وجهه ويتهلل
والاشمئزاز ان يمتلئ غما وغيظا حتى يظهر الانقباض فى اديم وجهه والعامل فى اذا ذكر الله هو

العامل فى اذ المفاجاة تقديره وقت ذكر الذين من دونه فاجأوا وقت الاستبشار قل اللهم فاطر السموات
والارض اى يا فاطر السموات والارض وليس بوصف كما يقوله المبرد والفراء عالم الغيب والشهادة
السر والعلانية انت تحكم تقضى بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون من الهدى والضلالة وقيل هذه
محاكمة من النبى صلى الله عليه وسلم للمشركين الى الله وعن ابن المسيب رضى الله عنه لا اعرف اية قرئت فدعى
عندها الا اجيب سواها وعن الربيع ابن خثيم وكان قليل الكلام انه اخبر بقتل الحسين رضى الله عنه
وقالوا الان يتكلم فما زاد على ان قال آه وقد فعلوا وقرأ هذه الاية وروى انه قال على اثره قتل
من كان صلى الله عليه وسلم يجلسه فى حجره ويضع فاه على فيه ولو ان للذين ظلموا ما فى الارض جميعا
ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيمة وبدا لهم من الله
ما لم يكونوا يحتسبون وظهر لهم من سخط الله وعذابه ما لم يكن قط فى حسبانهم ولم يحدثوا به نفوسهم
وقيل عملوا اعمالا حسبوها حسنات فاذا هى سيات وعن سفيان الثورى انه قراها فقال ويل
لاهل الرياء ويل لاهل الرياء وجزع محمد بن المنكدر عند موته فقيل له فقال اخشى اية من كتاب
الله وتلاها فانا اخشى ان يبدو لى من الله ما لم احتسبه وبدا لهم سيات ما كسبوا اى سيات اعمالهم
التى كسبوها او سيات كسبهم حين تعرض صحائفهم وكانت خافية عليهم او عقاب ذلك و
حاق بهم ونزل بهم واحاط بهم ما كانوا به يستهزءون جزاء هزئهم فاذا مس الانسان
ضر دعانا ثم اذا خولناه اعطيناه تفضلا يقال خولنى اذا اعطاك على غير جزاء نعمة
منا لا نتفوه به انما اوتيته على علم عندى انى ساعطاه لما فى
من فضل واستحقاق او على علم منى بوجوه الكسب كما قال قارون على علم عندى وانما ذكر
الضمير فى اوتيته وهو للنعمة نظرا الى المعنى لان قوله نعمة منا شيئا من النعمة وقسما منها وقيل
ما فى انما موصولة لا كافة فيرجع الضمير اليها اى ان الذى اوتيته على علم بل هى فتنة انكار
له كانه قال ما خولناك من النعمة لما تقول بل هى فتنة اى ابتلاء وامتحان لك اتشكر ام تكفر
ولما كان الخبر مؤنثا اعنى فتنة ساغ تانيث المبتدا لاجله وقرى بل هو فتنة على وفق انما
اوتيته ولكن اكثرهم لا يعلمون انها فتنة والسبب فى عطف هذه الاية بالفاء وعطف مثلها
فى اول السورة بالواو ان هذه وقعت مسببة عن قوله واذا ذكر الله وحده اشمأزت

على معنى

على معنى انهم يشمئزون من ذكر الله تعالى ويستبشرون بذكر الالهة فاذا مس احدهم ضر دعا
من اشمأز بذكره دون من استبشر بذكره وما بينهما من الاى اعتراض فان قلت حق الاعتراض
من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه بامر من الله وقوله انت تحكم بين عبادك ثم
ما عقبه من الوعيد العظيم تاكيد لانكار اشمئزازهم واستبشارهم ورجوعهم الى الله فى
الشدايد دون الهتهم كانه قيل يا رب لا يحكم بينى وبين هؤلاء الذين يجترءون عليك
مثل هذه الجراءة الا انت وقوله ولو ان للذين ظلموا متناول لهم ولكل ظالم ان جعل عاما او
اياهم خاصة ان عنيتهم به كانه قيل ولو ان لهؤلاء الظالمين ما فى الارض جميعا ومثله معه
لافتدوا به حين احكم عليهم بسوء العذاب واما الاية الاولى فلم تقع مسببة وما هى الا جملة
ناسبت جملة قبلها فعطفت عليها بالواو نحو قام زيد وقعد عمرو وبيان وقوعها مسببة ان الفاء
انك تقول زيد مؤمن بالله فاذا مسه ضر التجأ اليه فهذا مسبب ظاهر ثم تقول زيد كافر
بالله فاذا مسه ضر التجأ اليه فتجئ بالفاء مجيئك به ثمة كان الكافر حين التجأ الى الله
التجاء المؤمن اليه يقيم كفره مقام الايمان فى جعله سببا فى الالتجاء قد قالها هذه المقالة
وهى قوله انما اوتيته على علم الذين من قبلهم اى قارون وقومه حيث قال انما اوتيته
على علم عندى وقومه راضون بها فكانهم قالوها ويجوز ان يكون فى الامم الخالية اخرون
قائلون بها مثلها فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون من متاع الدنيا ويجمعون منه فاصابهم
سيات ما كسبوا اى جزاء سيات كسبهم او سمى جزاء السيئة سيئة للازدواج كقوله
وجزاء سيئة سيئة مثلها والذين ظلموا وكفروا من هؤلاء من مشركى قومك سيصيبهم
سيات ما كسبوا اى سيصيبهم مثل ما اصاب اولئك فقتل صناديدهم ببدر وحبس عنهم
الرزق فقحطوا سبع سنين وما هم بمعجزين بفائتين من عذاب الله ثم بسط لهم فمطروا سبع
سنين فقيل لهم اولم يعلموا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ويضيق وقيل يجعل
على قدر القوت ان فى ذلك لايات لقوم يؤمنون بانه لا قابض ولا باسط الا الله عز وجل
قل يا عبادى الذين وبسكون الياء بصرى وحمزة وعلى اسرفوا على انفسهم جنوا عليها بالاسراف
فى المعاصى والغلو فيها لا تقنطوا لا تياسوا بكسر النون على وبصرى من رحمة الله ان الله يغفر

الذنوب جميعا بالعفو عنها الا الشرك وفي قراءة صلى الله عليه وسلم يغفر الذنوب جميعا ولا يبالي
ونظيره نفي المبالاة نفي الخوف في قوله ولا يخاف عقبيها وقيل نزلت في وحشي قاتل حمزة رضي بعدما
اسلم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما احب ان لي الدنيا وما فيها بهذه الاية انه هو الغفور
بستر عظائم الذنوب الرحيم يكشف فظائع الكروب وانيبوا الى ربكم وتوبوا اليه واسلموا له و
اخلصوا له العمل من قبل ان يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون ان لم تتوبوا قبل نزول العذاب واتبعوا
احسن ما انزل اليكم من ربكم مثل قوله الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه من قبل ان يأتيكم
العذاب بغتة وانتم لا تشعرون اي يفجاءكم وانتم غافلون كانكم لا تخشون شيئا لفرط غفلتكم ان
تقول لئلا تقول نفس انما نكرت لان المراد بها بعض الانفس وهي نفس الكافر ويجوز ان يراد نفس
متميزة من الانفس اما بلجاج في الكفر شديد او بعذاب عظيم ويجوز ان يراد التكثير يا حسرتا الالف
بدل من ياء المتكلم وقرئ يا حسرتي على الاصل ويا حسرتاي على الجمع بين العوض والمعوض منه على ما
فرطت قصرت وما مصدرية مثلها في بما رحبت في جنب الله في امر الله او في طاعته او في ذاته و
في حرف عبد الله في ذكر الله والجنب الجانب يقال انا في جنب فلان وجانبه وناحيته وفلان لين
الجنب والجانب ثم قالوا فرط في جنبه وفي جانبه يريدون في حقه وهذا من باب الكناية لانك
اذا اثبت الامر في مكان الرجل وحيزه فقد اثبته فيه ومنه الحديث من الشرك الخفي ان يصلي الرجل
لمكان الرجل لاجله وقال الزجاج معناه فرطت في طريق الله وهو توحيده والاقرار بنبوة نبيه
محمد صلى الله عليه وسلم وان كنت لمن الساخرين المستهزئين قال قتادة لم يكفه ان ضيع طاعة الله
حتى سخر من اهلها ومحل وان كنت النصب على الحال كانه قال فرطت وانا ساخر اي فرطت في حال
سخريتي او تقول لو ان الله هداني اي اعطاني الهداية لكنت من المتقين من الذين يتقون الشرك
قال الشيخ الامام ابو منصور رح هذا الكافر اعرف بهداية الله من المعتزلة وكذا اولئك الكفرة
الذين قالوا لاتباعهم لو هدانا الله لهديناكم يقولون وفقنا الله للهداية واعطانا الهدى
لدعوناكم اليه ولكن علم منا اختيار الضلالة والغواية فخذلنا ولم يوفقنا والمعتزلة يقولون
بل هداهم واعطاهم التوفيق لكنهم لم يهتدوا والحاصل ان عند الله لطفا من اعطى ذلك
اهتدى وهو التوفيق والعصمة ومن لم يعطه ضل وغوى وكان استيجابه العذاب وتضييعه الحق

بعدما

بعدما مكن من تحصيله كذلك او تقول حين ترى العذاب لو ان لي كرة رجعة الى الدنيا فاكون
من المحسنين من الموحدين بلى قد جاءتك اياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين بلا
رد من الله عليه كانه يقول بلى قد جاءتك اياتي وبينت لك الهداية من الغواية وسبيل الحق من
الباطل ومكنتك في اختيار الهداية على الغواية واختيار الحق على الباطل ولكن تركت ذلك وضيعته و
استكبرت عن قبوله وآثرت الضلالة على الهدى واشتغلت بضد ما امرت فانما جاء التضييع
من قبلك فلا عذر لك وبلى جواب لنفي تقديري لان معنى لو ان الله هداني ما هديت و
انما لم يقرن الجواب به لانه لا بد من حكاية اقوال النفس على ترتيبها ثم الجواب من بينها عما
اقتضى الجواب ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وصفوه بما لا يجوز عليه من اضافة الشريك
والولد اليه ونفي الصفات عنه وجوههم مسودة مبتداء مسودة خبره والجملة في محل النصب على الحال
ان كان ترى من رؤية البصر وان كان من رؤية القلب فمفعول ثان اليس في جهنم مثوى منزل
للمتكبرين هو اشارة الى قوله واستكبرت وينجي الله وينجي روح الذين اتقوا عن الشرك بمفازتهم
بفلاحهم يقال فاز بكذا اذا افلح به وظفر بمراده منه وتفسير المفازة لا يمسهم السوء النار ولا
هم يحزنون كانه قيل وما مفازتهم فقيل لا يمسهم السوء اي ينجيهم بنفي السوء والحزن عنهم
اي لا يمس ابدانهم اذى ولا قلوبهم حزن او بسبب منجاتهم العمل الصالح ولهذا فسر ابن عباس
رضي الله عنهما من قوله تعالى فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب اي بمنجاة منه لان النجاة من اعظم الفلاح
وسبب منجاتهم العمل الصالح ولهذا فسر ابن عباس رض المفازة بالاعمال الحسنة ويجوز بسبب فلاحهم
لان العمل الصالح سبب الفلاح وهو دخول الجنة ويجوز ان يسمى العمل الصالح في نفسه مفازة لانه
سببها ولا محل للايمسهم على التفسير الاول لانه كلام مستانف ومحل النصب على الحال على الثاني بمفازاتهم
كوفي غير حفص الله خالق كل شيء رد على المعتزلة والثنوية وهو على كل شيء وكيل حافظ له مقاليد
السموات والارض اي هو مالك امرها وحافظها وهو من باب الكناية لان حافظ الخزائن ومدبر
امرها هو الذي يملك مقاليدها ومنه قولهم فلان القيت اليه مقاليد الملك وهي المفاتيح واحدها
مقليد وقيل لا واحد لها من لفظها والكلمة اصلها فارسية والذين كفروا بايات الله اولئك هم
الخاسرون هو متصل بقوله وينجي الله الذين اتقوا اي ينجي الله المتقين بمفازتهم والذين كفروا

هم الخاسرون واعترض بينهما بانه خالق كل شيء وهو مهيمن عليه فلا يخفى عليه شيء من اعمال المكلفين
منها وما يجزون عليها او مما يليه على ان كل شيء في السموات والارض فالله خالقه وفاتح بابه
والذين كفروا وجحدوا ان يكون الامر كذلك اولئك هم الخاسرون وقيل سال عثمان رضي الله عنه رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله له مقاليد السموات والارض فقال عليه الصلوة والسلام يا عثمان
ما سالني عنها احد قبلك وتفسيرها لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله وبحمده واستغفر الله
ولا حول ولا قوة الا بالله هو الاول والآخر والظاهر والباطن له الملك وله الحمد بيده الخير
يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير وتاويله على هذا ان لله هذه الكلمات يوحد بها ويمجد وهي
مفاتيح خزائن السموات والارض من تكلم بها من المتقين اصابه والذين كفروا بآيات الله و
كلمات توحيده وتمجيده اولئك هم الخاسرون قل لمن دعاك الى دين آبائك افغير الله تامروني
اعبد تامروني مكي تامرونني على الاصل شامي تامروني مدني وانتصب افغير باعبد وتامروني
اعتراض ومعناه افغير الله اعبد بامركم بعد هذا البيان ايها الجاهلون بتوحيد الله ولقد
اوحي اليك والى الذين من قبلك من الانبياء عليهم السلام لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن
من الخاسرين وانما قال لئن اشركت على التوحيد والموحى اليهم جماعة لان معناه اوحي اليك
لئن اشركت ليحبطن عملك والى الذين من قبلك مثله واللام الاولى موطئة للقسم المحذوف
والثانية لام الجواب وهذا الجواب ساد مسد الجوابين اعني جواب القسم والشرط وانما صح هذا
الكلام مع علمه تعالى بان رسله لا يشركون لان الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره ولانه
على سبيل الفرض والمحالات يصح فرضها وقيل لئن طالعت غيري في السر ليحبطن ما بيني وبينك
من السر الحالات بل الله فاعبد رد لما امروه به من عبادة آلهتهم كانه قال لا تعبد ما امروك بعبادته
بل ان عبدت فاعبد الله فحذف الشرط وجعل تقديم المفعول عوضا عنه وكن من الشاكرين على ما
انعم به عليك من ان جعلك سيد ولد آدم وما قدروا الله حق قدره وما عظموه حق عظمته
اذ دعوك الى عبادة غيره ولما كان العظيم من الاشياء اذا عرفه الانسان حق معرفته وقدره
في نفسه حق تقديره عظمه حق تعظيمه قيل وما قدروا الله حق قدره ثم نبههم على عظمته وجلالته
شانه على طريق التخييل فقال والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه

والمراد بهذا الكلام اذا اخذته كما هو بجملته ومجموعه تصوير عظمته والتوقيف والاعلام على كنه
جلاله لا غير من غير ذهاب بالقبضة ولا باليمين الى جهة حقيقة او جهة مجاز والمراد بالارض
الارضون السبع يشهد لذلك قوله جميعا وقوله والسموات ولان الموضع موضع تعظيم
فهو مقتضى للمبالغة والارض مبتدأ وقبضته الخبر وجميعا منصوب على الحال اي والارض
اذا كانت مجتمعة قبضته يوم القيمة والقبضة المرة من القبض والقبضة المقدار المقبوض
بالكف ويقال اعطني قبضة من كذا تريد معنى القبضة تسمية بالمصدر وكلا المعنيين محتمل والمعنى
والارضون جميعا قبضته اي ذوات قبضة يقبضهن قبضة واحدة يعني ان الارضين مع عظمهن
وبسطهن لا يبلغن الا قبضة واحدة من قبضاته كانه يقبضها قبضة بكف واحدة كما تقول
الجزور اكلة لقمان اي لا يفي لها الا اكلة فذة من اكلاته فاذا اريد معنى القبضة فظاهر لان المعنى
ان الارضين بجملتها مقدار ما يقبضه بكف واحدة والمطويات من الطي الذي هو ضد النشر كما
قال يوم نطوي السماء كطي السجل وعادة طاوي السجل ان يطويه بيمينه وقيل قبضته ملكه بلا
مدافع ولا منازع وبيمينه بقدرته وقيل مطويات بيمينه مفنيات بقسمه لانه اقسم ان يفنيها
سبحانه وتعالى عما يشركون ما ابعد من هذه قدرته وعظمته وما اعلاه عما يضاف اليه من الشركاء
ونفخ في الصور فصعق مات من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله اي جبريل و
ميكائيل واسرافيل وملك الموت وقيل هم حملة العرش ورضوان والحور ومالك والزبانية
ثم نفخ فيه اخرى هي في محل الرفع لان المعنى ونفخ في الصور نفخة واحدة ثم نفخ فيه نفخة اخرى
وانما حذفت لدلالة اخرى عليها او لكونها معلومة بذكرها في غير مكان فاذا هم قيام ينظرون
يقلبون ابصارهم في الجهات نظر المبهوت اذا فاجاه خطب او ينتظرون امر الله فيهم ودلت
الآية على ان النفخة اثنتان الاولى للموت والثانية للبعث والجمهور على انها ثلث الاولى للفزع كما
قال ونفخ في الصور ففزع والثانية للموت والثالثة للاعادة واشرقت الارض اضاءت بنور
ربها اي بعدله بطريق الاستعارة يقال للملك العادل اشرقت الآفاق بعدلك واضاءت الدنيا
بقسطك كما يقال اظلمت البلاد بجور فلان قال عليه الصلوة والسلام الظلم ظلمات يوم القيمة
واضافته اسمه الى الارض لانه يزينها حيث ينشر فيها عدله وينصب فيها موازين قسطه ويحكم

بالقبضة

بالحق بين اهلها ولا ترى ازين للبقاع من العدل ولا اعمر لها منه وقال الامام ابو منصور رحمه يجوز
ان يخلق الله نورا فينور به ارض الموقف واضافته اليه تعالى للتخصيص كبيت الله وناقة
الله ووضع الكتاب اى صحايف الاعمال ولكن اكتفى باسم الجنس او اللوح المحفوظ وجيء
بالنبيين ليسالهم ربهم عن تبليغ الرسالة وما اجابهم قومهم والشهداء الحفظة وقيل هم
الابرار في كل زمان يشهدون على اهل ذلك الزمان وقضى بينهم بين العباد بالحق بالعدل
وهم لا يظلمون ختم الاية بنفي الظلم كما افتتحها باثبات العدل ووفيت كل نفس ما عملت
اى جزاءه وهو اعلم بما يفعلون من غير كتاب ولا شاهد وقيل هذه الاية تفسير قوله
وهم لا يظلمون اى ووفيت كل نفس ما عملت من خير وشر ولا يزاد في شر ولا ينقص من
خير وسيق الذين كفروا الى جهنم سوقا عنيفا كما يفعل بالاسارى والخارجين على السلطان
اذا سيقوا الى حبس او قتل زمرا حال اى افواجا متفرقة بعضها في اثر بعض حتى اذا جاءوها
فتحت بالتخفيف فيهما كوفي ابوابها وهي سبعة وقال لهم خزنتها اى حفظة جهنم وهم الملائكة
الموكلون بتعذيب اهلها الم ياتكم رسل منكم من بني آدم يتلون عليكم ايات ربكم وينذرونكم
لقاء يومكم هذا اى وقتكم هذا وهو وقت دخولهم النار لا يوم القيمة قالوا بلى اتونا وتلوا
علينا ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين اى ولكن وجبت علينا كلمة الله لاملان جهنم
سوء اعمالنا كما قالوا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين فذكروا عملهم الموجب لكلمة
العذاب وهو الكفر والضلالة قيل ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها حال مقدرة اى مقدرين
الخلود فبئس مثوى المتكبرين اللام فيه للجنس لان مثوى المتكبرين فاعل بئس وبئس فاعلها
اسم معرف بلام الجنس او مضاف الى مثله والمخصوص بالذم محذوف تقديره فبئس مثوى
المتكبرين جهنم وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا المراد سوق مراكبهم لانهم لا يذهب
بهم الا راكبين الى دار الكرامة والرضوان كما يفعل بمن يكرم ويشرف من الوافدين على بعض
الملوك حتى اذا جاءوها هي التي يحكى بعدها الجمل والجملة المحكية بعدها هي الشرطية الا ان جزاءها
محذوف وانما حذف لانه في صفة ثواب اهل الجنة فدل بحذفه على انه شيء لا يحيط به الوصف
وقال الزجاج تقديره حتى اذا جاءوها وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها

خالدين دخلوها فحذف دخلوها لان في الكلام دليلا عليه وقال قوم حتى اذا جاءوها جاءوها
وفتحت ابوابها فعندهم جاءوها محذوف والمعنى حتى اذا جاءوها وقع مجيئهم مع فتح ابوابها
وقيل ابواب جهنم لا تفتح الا عند دخول اهلها فيها واما ابواب الجنة فمتقدم فتحها لقوله
تعالى جنات عدن مفتحة لهم الابواب فلذلك جيء بالواو كانه قال حتى اذا جاءوها وقد فتحت
ابوابها طبتم من دنس المعاصي وطهرتم من خبث الخطايا وقال الزجاج ان كنتم طيبين في
الدنيا ولم تكونوا خبيثين اى لم تكونوا اصحاب خبائث وقال ابن عباس رض طاب لكم المقام
وجعل دخول الجنة مسببا عن الطيب والطهارة لانها دار الطيبين ومثوى الطاهرين
قد طهرها الله من كل دنس وطيبها من كل قذر فلا يدخلها الا مناسب لها موصوف بصفتها
وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده انجزنا وعدنا في الدنيا من نعيم العقبى واورثنا الارض
ارض الجنة وقد اورثوها اى ملكوها وجعلوا ملوكها واطلق تصرفهم فيها كما يشاؤن تشبيها
بحال الوارث وتصرفه فيما يرثه واتساعه نتبوء حال من الجنة حيث نشاء اى يكون لكل
واحد منهم جنة لا توصف سعة وزيادة على الحاجة فيتبوء اى فيتخذ مقرا ومتبوءا من جنته
حيث نشاء فنعم اجر العاملين في الدنيا الجنة وترى الملائكة حافين طائفين حال من الملائكة
من حول العرش اى محلقين من حوله ومن لابتداء الغاية اى ابتداء حفوفهم من حول
العرش الى حيث يشاء الله يسبحون حال من الضمير في حافين بحمد ربهم يقولون سبحان الله
والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر او سبوح قدوس رب الملائكة والروح وذلك للتلذذ
دون التعبد لزوال التكليف وقضى بينهم بين الانبياء عليهم الصلوة والسلام والامم او بين
اهل الجنة والنار بالحق بالعدل وقيل الحمد لله رب العالمين اى يقول اهل الجنة شكرا حين
دخلوها وتم وعد الله لهم كما قال وآخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقرء كل ليلة بني اسرائيل والزمر الحواميم كلها مكيات وعن ابن عباس
رضي الله عنهما

سورة المؤمن مكية وهي خمس وثمانون اية بسم الله الرحمن الرحيم

حم وما بعده بالامالة حمزة وعلي وخلف ويحيى وحماد وبين الفتح والكسر مدني وغيرهم
بالتفخيم وعن ابن عباس رض انه اسم الله الاعظم تنزيل الكتاب اى هذا تنزيل الكتاب من الله

العزيز اى المنيع بسلطانه عن ان يتقول عليه متقول العليم لمن صدق به وكذب فهو تهديد للمشركين
وبشارة للمؤمنين غافر الذنب ساتر ذنب المذنبين وقابل التوب قابل توبة الراجعين شديد
العقاب على المخالفين ذى الطول ذى الفضل على العارفين او ذى الغنى عن الكل وعن ابن
عباس رض غافر الذنب وقابل التوب لمن قال لا اله الا الله شديد العقاب لمن لا يقول لا
اله الا الله والتوب والثوب والاوب اخوات فى معنى الرجوع والطول الغنى والفضل فان
قلت كيف اختلف هذه الصفات تعريفا وتنكيرا والموصوف معرفة قلت اما غافر الذنب
وقابل التوب فمعرفتان لانه لم يرد بهما حدوث الفعلين حتى يكونا فى تقدير الانفصال فيكون
اضافتهما غير حقيقية وانما اريد ثبوت ذلك ودوامه واما شديد العقاب فهو فى تقدير
شديد عقابه فيكون نكرة فقيل هو بدل وقيل لما جردت هذه النكرة بين هذه المعارف
اذنت بان كلها ابدال غير اوصاف وادخال الواو فى وقابل التوب لنكتة وهى افادة الجمع للمذنب
التائب بين رحمتين بين ان يقبل توبته فيكتبها له طاعة من الطاعات وبين ان يجعلها محاءة
للذنوب كان لم يذنب كانه قال جامع المغفرة والقبول وروى ان عمر رض افتقد رجلا ذا باس
شديد من اهل الشام فقيل له تتابع فى هذا الشراب فى الليل والنهار فقال عمر لكاتبه اكتب من
عمر الى فلان سلام عليك وانا احمد اليك الله الذى لا اله الا هو بسم الله الرحمن الرحيم
الى قوله اليه المصير وختم الكتاب وقال لرسوله لا تدفعه اليه حتى تجده صاحيا ثم امر من عنده
بالدعاء له بالتوبة فلما اتته الصحيفة جعل يقراءها ويقول قد وعدنى الله ان يغفر لى
وحذرنى عقابه فلم يبرح يرددها حتى بكى ثم نزع فاحسن النزوع وحسنت توبته فلما بلغ
عمر امره قال هكذا فاصنعوا اذا رايتم اخاكم قد زل زلة فسددوه وادعوا له الله ان يتوب
عليه ولا تكونوا اعوانا للشياطين عليه لا اله الا هو صفة ايضا لذى الطول ويجوز ان يكون
مستانفا اليه المصير المرجع ما يجادل فى ايات الله الا الذين كفروا ما يخاصم فيها بالتكذيب بها
والانكار لها وقد دل على ذلك قوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق واما الجدال فيها لايضاح
ملتبسها وحل مشكلها واستنباط معانيها ورد اهل الزيغ بها فاعظم جهاد فى سبيل الله فلا يغررك
تقلبهم فى البلاد بالتجارات النافعة والمكاسب سالمين غانمين فان عاقبة امرهم الى العذاب

ثم بين كيف ذلك واعلم ان الامم الذى كذبت قبلهم اهلكت فقال كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب
الذين تحزبوا على الرسل وناصبوهم وهم عاد وثمود وقوم لوط وغيرهم من بعدهم من بعد قوم
نوح وهمت كل امة من هذه الامم التى هى قوم نوح والاحزاب برسولهم ليأخذوه ليتمكنوا
منه فيقتلوه والاخذ الاسير وجادلوا بالباطل بالكفر ليدحضوا به الحق ليبطلوا به الايمان
فاخذتهم مظهر مكى وحفص يعنى انهم قصدوا اخذه فجعلت جزاءهم على ارادة اخذ الرسول
ان اخذتهم فعاقبتهم فكيف كان عقاب وبالياء يعقوب اى فانكم تمرون على بلادهم فتعاينون
اثر ذلك وهذا تقرير فيه معنى التعجب وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا كلمات
ربك مدنى وشامى انهم اصحاب النار فى محل الرفع بدل من كلمة ربك اى مثل ذلك الوجوب
وجب على الكفرة كونهم من اصحاب النار ومعناه كما وجب اهلاكهم فى الدنيا بالعذاب
المستاصل كذلك وجب اهلاكهم بعذاب النار فى الاخرة او فى محل النصب بحذف لام
التعليل وايصال الفعل والذين كفروا قريش ومعناه كما وجب اهلاك اولئك الامم كذلك
وجب اهلاك هؤلاء لان علة واحدة تجمعهم انهم من اصحاب النار ويلزم الوقف على النار
لانه لو وصل لصار الذين يحملون العرش ومن حوله يعنى حاملى العرش والحافين حوله وهم
الكروبيون سادة الملائكة صفة لاصحاب النار وفساده ظاهر وروى ان حملة العرش
ارجلهم فى الارض السفلى ورؤسهم قد خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وفى
الحديث ان الله تعالى امر جميع الملائكة ان يغدوا ويروحوا بالسلام على حملة العرش تفضيلا
لهم على ساير الملائكة وقيل حول العرش سبعون الف صف من الملائكة يطوفون به
مهللين مكبرين ومن ورائهم سبعون الف صف قيام يهللون ويكبرون ومن ورائهم مائة
الف صف قد وضعوا الايمان على الشمائل ما منهم احد الا وهو يسبح بما لا يسبح به الاخر يسبحون
خبر المبتداء وهو الذين بحمد ربهم اى مع حمده اذ الباء تدل على ان تسبيحهم بالحمد له ويؤمنون
به وفائدته مع علمنا بان حملة العرش ومن حوله من الملائكة الذين يسبحون بحمده مؤمنون
اظهار شرف الايمان وفضله والترغيب فيه كما وصف الانبياء عليهم السلام فى غير موضع
بالصلاح لذلك وكما عقب اعمال الخير بقوله ثم كان من الذين آمنوا فابان اظهر بذلك فضل

الرسل

الايمان وقدره وعى التناسب فى قوله ويؤمنون به ويستغفرون للذين امنوا كانه قيل ويؤمنون
به ويستغفرون لمن فى مثل حالهم وفيه دليل على ان الاشتراك فى الايمان يجب ان يكون
ادعى شئ الى النصيحة والشفقة وان تباعدت الاماكن ربنا اى يقولون ربنا وهذا المحذوف
حال وسعت كل شئ رحمة وعلما فالرحمة والعلم هما اللذان وسعا كل شئ فى المعنى اذ الاصل
وسع كل شئ رحمتك وعلمك ولكن ازيل الكلام عن اصله بان اسند الفعل الى صاحب الرحمة
والعلم واخرجا منصوبين على التمييز مبالغة فى وصفه بالرحمة والعلم فاغفر للذين تابوا
اى للذين علمت منهم التوبة لتناسب ذكر الرحمة والعلم واتبعوا سبيلك اى طريق الهدى الذى
دعوت اليها وقهم عذاب الجحيم ربنا وادخلهم جنات عدن التى وعدتهم ومن صلح من
اباءهم هنا فى موضع نصب عطف على هم فى وادخلهم او فى وعدتهم والمعنى وعدتهم ووعدت
من صلح من اباءهم وازواجهم وذرياتهم انك انت العزيز الحكيم اى الملك الذى لا يغلب
انت مع ملكك وعزتك لا تفعل شيا خاليا عن الحكمة وموجب حكمتك ان تفى بوعدك
وقهم السيات اى جزاء السيات وهو عذاب النار ومن تق السيات يومئذ فقد رحمته
وذلك اى وقع عذاب النار هو الفوز العظيم ان الذين كفروا ينادون اى يوم القيمة
اذا دخلوا النار ومقتوا انفسهم فيناديهم خزنة النار لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم
اى لمقت الله انفسكم اكبر من مقتكم انفسكم فاستغنى بذكرها مرة والمقت اشد البغض و
انتصاب اذ تدعون الى الايمان بالمقت الاول عند الزمخشرى والمعنى انه يقال لهم يوم القيمة
كان الله يمقت انفسكم الامارة بالسوء والكفر حين كان الانبياء يدعونكم الى الايمان فتابون
قبوله وتختارون عليه الكفر اشد مما تمقتونهن اليوم وانتم فى النار اذا وقعتم فيها
باتباعكم هواهن وقيل معناه لمقت الله اياكم الان اكبر من مقت بعضكم لبعض كقوله ويوم القيمة
يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا واذ تدعون بقليل وقال فى جامع العلوم وغيره اذ منصوب
بفعل مضمر دل عليه لمقت الله اى يمقتهم الله حين دعوا الى الايمان فكفروا ولا ينتصب بالمقت
الاول لان قوله لمقت الله مبتداء وهو مصدر وخبره اكبر من مقتكم فلا يعمل فى اذ تدعون لان
المصدر اذا اخبر عنه لم يجز ان يتعلق به شئ يكون فى صلته لان الاخبار عنه يوذن بتمامه وتعلق

يوذن

يوذن بنقصانه ولا بالثانى لاختلاف الزمانين وهذا لانهم مقتوا انفسهم فى النار وقد دعوا الى
الايمان فى الدنيا فتكفرون فتصرون على الكفر قالوا ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين اى اماتتين
واحيائين او موتتين وحيوتين واراد بالاماتتين خلقهم امواتا اولا واماتتهم عند انقضاء
اجالهم وصح ان يسمى خلقهم امواتا اماتة كما صح ان يقال سبحان من صغر جسم البعوضة وكبر
جسم الفيل وليس ثم نقل من كبر الى صغر ولا صغر الى كبر والسبب فيه ان الصغر والكبر جائزان
على المصنوع الواحد فاذا اختار الصانع احد الجائزين فقد صرف المصنوع عن الجائز الاخر فجعل
صرفه عنه كنقله عنه وبالاحياءتين الاحياءة الاولى فى الدنيا والاحياءة الثانية بالبعث ويدل عليه قوله
كنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم وقيل الموتة الاولى فى الدنيا والثانية فى القبر بعد الاحياء
للسوال والاحياء الاول احياءه فى قبره بعد موته للسوال والثانى للبعث فاعترفنا بذنوبنا
لما رأوا الاماتة والاحياء قد تكرر عليهم علموا بان الله قادر على الاعادة كما هو قادر على الانشاء
فاعترفوا بذنوبهم التى اقترفوها من انكار البعث وما تبعه من معاصيهم فهل الى خروج من
النار اى الى نوع من الخروج سريع او بطئ لنتخلص من سبيل قط ام الياس واقع دون ذلك فلا
خروج ولا سبيل اليه وهذا كلام من غلب عليه الياس وانما يفعلون ذلك تحيرا ولهذا جاء
الجواب على حسب ذلك وهو قوله ذلكم بانه اذا دعى الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا
اى ذلكم الذى انتم فيه وان لا سبيل لكم الى الخروج قط بسبب كفركم بتوحيد الله وايمانكم بالاشراك
به فالحكم لله حيث حكم عليكم بالعذاب الشديد العلى شانه فلا يرد قضاءه الكبير العظيم
سلطانه فلا يحد جزاءه وقيل كان الحرورية اخذوا قولهم لا حكم الا لله من هذا وقال قتادة
لما خرج اهل حروراء قال على رض من هولاء قيل المحكمون اى يقولون لا حكم الا لله فقال
على رض كلمة حق اريد بها باطل هو الذى يريكم اياته من الريح والسحاب والرعد والبرق و
الصواعق ونحوها وينزل لكم من السماء وبالتخفيف مكى وبصرى رزقا مطرا لانه سبب الرزق
وما يتذكر الا من ينيب وما يتعظ وما يعتبر بايات الله الا من يتوب من الشرك ويرجع الى الله
فان المعاند لا يتذكر ولا يتعظ ثم قال للمنيبين فادعوا الله فاعبدوه مخلصين له الدين من
الشرك ولو كره الكافرون وان غاظ ذلك اعداءكم ممن ليس على دينكم رفيع الدرجات ذو

في الدنيا

العرش يلقي الروح ثلثة اخبار لقوله هو مرتبة على قوله الذى يريكم البرق واخبار مبتداء محذوف
ومعنى رفيع الدرجات رافع السموات بعضها فوق بعض او رافع درجات عباده فى الدنيا
بالمنزلة او رافع منازلهم فى الجنة وذو العرش مالك عرشه الذى فوق السموات خلقه مطافا
للملايكة اظهار العظمة مع استغنائه فى مملكته والروح جبرئيل او الوحى الذى يحيى به القلوب
من امره من اجل امره او بامره على من يشاء من عباده لينذر اى الله او الملقى عليه وهو النبى صلى الله
عليه وسلم ويدل عليه قراءة يعقوب لتنذر يوم التلاق يوم القيمة لانه يلتقى فيه اهل السماء
واهل الارض والاولون والاخرون التلاقى مكى ويعقوب يوم هم بارزون ظاهرون لا
يسترهم شئ من جبل او اكمة او بناء لا يخفى على الله منهم شئ اى من اعمالهم واحوالهم لمن الملك
اليوم اى يقول الله تعالى ذلك حين لا احد يجيبه ثم يجيب نفسه بقوله لله الواحد القهار
اى الذى قهر الخلق بالموت وتنصيب اليوم بمدلول لمن اى لمن ثبت الملك فى هذا اليوم وقيل
ينادى المنادى فيقول لمن الملك فيجيبه اهل المحشر لله الواحد القهار اليوم تجزى كل نفس بما
كسبت لا ظلم اليوم ان الله سريع الحساب لما قرر ان الملك لله وحده فى ذلك اليوم عدد نتايج
ذلك وهى ان كل نفس تجزى بما كسبت عملت فى الدنيا من خير وشر وان الظلم مامون لانه ليس بظلام
للعبيد وان الحساب لا يبطئ لانه لا يشغله حساب عن حساب فيحاسب الخلق كله فى وقت
واحد وهو اسرع الحاسبين وانذرهم يوم الازفة اى يوم القيمة سميت بها لازوفها اى لقربها
ويبدل من يوم الازفة اذ القلوب لدى الحناجر اى التراقى يعنى ترتفع قلوبهم عن مقارها
فتلصق بحناجرهم فلا هى تخرج فيموتوا ولا ترجع الى مواضعها فيتنفسوا ويتروحوا كاظمين
ممسكين بحناجرهم من كظم القربة شد راسها وهو حال من القلوب محمول على اصحابها وانما جمع
الكاظم جمع السلامة لانه وصفها بالكظم الذى هو من افعال العقلاء وما للظالمين للكافرين
من حميم محب ومشفق ولا شفيع يطاع اى يشفع وهو مجاز لان الطاعة حقيقة لا يكون
الا لمن فوقك والمراد نفى الشفاعة والطاعة كما فى قوله ولا ترى الضب بها ينجحر تريد به نفى الضب
وانجحاره وان احتمل اللفظ انتفاء الطاعة دون الشفاعة فعن الحسن بن والله ما يكون لهم شفيع البتة
يعلم خائنة الاعين مصدر بمعنى الخيانة كالعافية بمعنى المعافات والمراد استراق النظر الى ما لا يحل

العقلاء

وما تخفى

وما تخفى الصدور وما تستره من امانة او خيانة وقيل هو ان ينظر الى اجنبية بشهوة مسارقة ثم يتفكر
بقلبه فى جمالها ولا يعلم بنظرته وفكرته من بحضرته والله يعلم ذلك كله ويعلم خائنة الاعين
خبر من الاخبار فى قوله تعالى هو الذى يريكم آياته مثل يلقى الروح ولكن يلقى الروح قد علل بقوله
لينذر يوم التلاق ثم استطرد ذكر احوال يوم القيمة الى قوله ولا شفيع يطاع فبعد ذلك من اخواته
والله يقضى بالحق اى والذى هذه صفاته لا يحكم الا بالعدل والذين يدعون من دونه لا يقضون
بشئ والهتهم لا يقضون بشئ وهذا تهكم بهم لان ما لا يوصف بالقدرة لا يقال فيه يقضى او لا
يقضى تدعون نافع ان الله هو السميع البصير تقرير لقوله يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور
ووعيد لهم بانه يسمع ما يقولون ويبصر ما يعملون وانه يعاقبهم عليه وتعريض بما يدعون من دون الله
وانها لا تسمع ولا تبصر اولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم
اى آخر امر الذين كذبوا الرسل من قبلهم كانوا هم اشد منهم قوة هم فصل وحقه ان يقع بين
معرفتين الا ان اشد منهم ضارع المعرفة فى انه لا يدخله الالف واللام فاجرى مجراه منكم
شامى واثارا فى الارض اى حصونا وقصورا فاخذهم الله بذنوبهم اى عاقبهم بسبب ذنوبهم
وما كان لهم من الله من واق ولم يكن لهم شئ يقيهم من عذاب الله ذلك بانهم اى الاخذ بسبب
انهم كانت تاتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فاخذهم الله انه قوى قادر على كل شئ شديد العقاب
اذا عاقب ولقد ارسلنا موسى باياتنا التسع وسلطان مبين وحجة ظاهرة الى فرعون وهامان
وقارون فقالوا ساحر كذاب فسموا السلطان المبين سحرا وكذبا فلما جاءهم بالحق بالنبوة من
عندنا قالوا اقتلوا ابناء الذين آمنوا معه اى اعيدوا عليهم القتل كالذى كان اولا واستحيوا
نساءهم للخدمة وما كيد الكافرين الا فى ضلال ضياع يعنى انهم باشروا قتلهم اولا فما اغنى عنهم
ونفذ قضاء الله تعالى باظهار من خافوه فما يغنى عنهم هذا القتل الثانى وكان فرعون قد كف
عن قتل الولدان فلما بعث موسى عليه السلام واحس بانه قد وقع اعاده عليهم غيظا وظنا
منه انه يصدهم بذلك عن مظاهرة موسى عليه السلام وما علم ان كيده ضائع فى الكرتين جميعا
وقال فرعون لملائه ذرونى اقتل موسى كانوا اذا هم بقتله كفوه بقولهم ليس بالذى تخافه
وهو اقل واضعف من ذلك وما هو الا ساحر واذا قتلته ادخلت الشبهة على الناس واعتقدوا

انك من معارضته بالحجة والظاهر ان فرعون قد استيقن انه نبي وان ما جاء به آيات وما هو بسحر
ولكن كان فيه خب وكان قتالا سفاكا للدماء في اهون شيء فكيف لا يقتل من احس بانه هو
الذي يهدم ملكه ولكنه كان يخاف ان هم بقتله ان يعاجل بالهلاك وقوله وليدع ربه شاهد
صدق على فرط خوفه منه ومن دعوته ربه وكان قوله ذروني اقتل موسى تمويها تلبيسها على قومه
وايهاما انهم هم الذين يكفونه وما كان يكفه الا ما في نفسه من هول الفزع اني اخاف ان لم
اقتله ان يبدل دينكم ان يغير ما انتم عليه وكانوا يعبدونه ويعبدون الاصنام او ان يظهر
موسى في الارض الفساد بضم الياء ونصب الدال مدني وبصري وحفص وغيرهم بفتح الياء
ورفع الدال والاول اولى لموافقته يبدل والفساد في الارض التقاتل والتهارج الذي يذهب
معه الامن وتتعطل المزارع والمكاسب والمعايش ويهلك الناس قتلا وضياعا كانه قال اني
اخاف ان يفسد عليكم دينكم بدعوتكم الى دينه او يفسد عليكم دنياكم بما يظهر من الفتن بسببه
وقرأ غير اهل الكوفة وان يظهر بمعناه اني اخاف فساد دينكم ودنياكم معا وقال موسى
لما سمع بما اجراه فرعون من حديث قتله قال اني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا
يؤمن بيوم الحساب وفي قوله وربكم بعث لهم على ان يقتدوا به فيعوذوا بالله عياذه
ويعتصموا بالتوكل عليه اعتصامه وقال من كل متكبر ليشمل استعاذته فرعون وغيره من
الجبابرة وليكون على طريقة التعريض فيكون ابلغ واراد بالتكبر الاستكبار عن الاذعان
للحق وهو اقبح استكبار وادله على دناءة صاحبه وعلى فرط ظلمه وقال لا يؤمن بيوم الحساب
لانه اذا اجتمع في الرجل التجبر والتكذيب بالجزاء وقلة المبالاة بالعاقبة فقد استكمل اسباب
القسوة والجراءة على الله تعالى وعباده ولم يترك عظيمة الا ارتكبها وعذت ولذت اخوان
وعدت بالادغام ابو عمرو وحمزة وعلي وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه قيل كان
قبطيا ابن عم لفرعون آمن بموسى سرا ومن آل فرعون صفة لرجل وقيل كان اسرائيليا و
من آل فرعون صلة ليكتم اي يكتم ايمانه من آل فرعون واسمه سمعان او حبيب او خربيل
او خزبيل والظاهر الاول اتقتلون رجلا ان يقول لان يقول وهذا انكار منه عظيم كانه قال
اترتكبون الفعلة الشنعاء التي هي قتل نفس محرمة وما لكم علة في ارتكابها الا كلمة الحق وهي قوله

لقومه

ربي الله وهو ربكم ايضا لا ربه وحده وقد جاءكم الجملة حال بالبينات من ربكم يعني انه لم يحضر لتصحيح
قوله ببينة واحدة ولكن ببينات من عند من نسب اليه الربوبية وهو استدراج لهم الى الاعتراف
به وان يك كاذبا فعليه كذبه وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم احتج عليهم بطريق التقسيم
وهو انه لا يخلو من ان يكون كاذبا او صادقا فان يك كاذبا فعليه وبال كذبه ولا يتخطاه وان يك
صادقا يصبكم بعض ما يعدكم من العذاب ولم يقل كل الذي يعدكم مع انه وعد من نبي صادق القول
مداراة لهم وسلوكا لطريق الانصاف فجاء بما هو اقرب الى تسليمهم له وليس فيه نفي اصابة الكل
فكانه قال لهم اقل ما يكون في صدقه ان يصيبكم بعض ما يعدكم وهو العاجل وفي ذلك هلاككم وكان
وعدهم عذاب الدنيا والآخرة وتقديم الكاذب على الصادق من هذا القبيل ايضا وتفسير البعض
بالكل مزيف ان الله لا يهدي من هو مسرف مجاوز للحد كذاب في ادعائه وهذا ايضا من باب المجاملة
والمعنى انه ان كان مسرفا كذابا اخذه الله واهلكه فتتخلصون منه او لو كان مسرفا كذابا لما هداه
للنبوة ولما عضده بالبينات وقيل اوهم انه عنى بالمسرف موسى وهو يعني به فرعون يا قوم
لكم الملك اليوم ظاهرين غالبين وهو حال من كم في لكم في الارض في ارض مصر فمن ينصرنا من بأس الله
ان جاءنا يعني ان لكم ملك مصر وقد علوتم الناس وقهرتموهم فلا تفسدوا امركم على انفسكم
ولا تتعرضوا لبأس الله اي عذابه فانه لا طاقة لكم به ان جاءكم ولا يمنعكم منه احد وقال ينصرنا
وجاءنا لانه منهم في القرابة وليعلمهم بان الذي ينصحهم به هو مساهم لهم فيه قال فرعون ما
اريكم الا ما ارى اي ما اشير عليكم برأي الا بما ارى من قتله يعني لا استصوب الا قتله وهذا الذي
تقولونه غير صواب وما اهديكم بهذا الرأي الا سبيل الرشاد طريق الصواب والصلاح او ما اعلمكم
الا ما اعلم من الصواب ولا ادخر منه شيئا ولا اسر عليكم خلاف ما اظهر يعني ان لسانه وقلبه
متواطئان على ما يقوله وقد كذب فقد كان مستشعرا للخوف الشديد من جهة موسى ولكنه كان
يتجلد ولولا استشعاره لم يستشر احدا ولم يقف الامر على الاشارة وقال الذي آمن يا قوم اني اخاف
عليكم مثل يوم الاحزاب اي مثل ايامهم لانه لما اضافه الى الاحزاب وفسرهم بقوله مثل دأب
قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم ولم يلتبس ان كل حزب منهم كان له يوم دمار اقتصر
على الواحد من الجمع ودأب هؤلاء يعني كل حزب دأبهم في عملهم من الكفر والتكذيب وسائر المعاصي

وكون ذلك دائبا دائما منهم لا يفترقون عنه ولا بد من حذف مضاف اى مثل جزاء دابهم و
انتصاب مثل الثانى بانه عطف بيان لمثل الاول وما الله يريد ظلما للعباد اى وما الله يريد ان
يظلم عباده فيعذبهم بغير ذنب او يزيد على قدر ما يستحقون من العذاب يعنى ان تدميرهم
كان عدلا لانهم استحقوه باعمالهم وهو ابلغ من قوله وما ربك بظلام للعبيد حيث جعل النفى
ارادة ظلم منكر ومن بعد عن ارادة ظلم بالعباد كان عن الظلم ابعد وتفسير المعتزلة انه لا يريد لهم
ان يظلموا بعيد لان اهل اللغة قالوا اذا قال الرجل لآخر لا اريد ظلما لك معناه لا اريد ان
اظلمك وهذا تخويف بعذاب الدنيا ثم خوفهم من عذاب الاخرة بقوله ويا قوم انى اخاف
عليكم يوم التناد اى يوم القيمة التنادى مكى ويعقوب فى الحالين واثبات الياء هو الاصل
وحذفها حسن لان الكسرة تدل على الياء وآخر هذه الاى على الدال وهو ما حكى الله فى سورة
الاعراف ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ونادى اصحاب
الاعراف وقيل ينادى مناد الا ان فلانا سعد سعادة لا يشقى بعدها ابدا الا ان فلانا شقى
شقاوة لا يسعد بعدها ابدا يوم تولون مدبرين منصرفين عن موقف الحساب الى النار
ما لكم من الله من عذاب الله من عاصم مانع ودافع ومن يضلل الله فما له من هاد مرشد ولقد
جاءكم يوسف من قبل بالبينات هو يوسف بن يعقوب وقيل يوسف ابن ابراهيم بن يوسف
بن يعقوب اقام فيهم نبيا عشرين سنة وقيل ان فرعون موسى هو فرعون يوسف عمر الى
زمانه وقيل هو فرعون آخر ووبخهم بان يوسف اتاكم من قبل موسى بالمعجزات فما زلتم فى شك
مما جاءكم به فشككتم فيها ولم تزالوا شاكين حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا
حكما من عند انفسكم من غير برهان اى اقمتم على كفركم وظننتم انه لا يجدد عليكم ايجاب الحجة كذلك
يضل الله من هو مسرف مرتاب اى مثل هذا الاضلال يضل الله كل مسرف فى عصيانه مرتاب
شاك فى دينه الذين يجادلون بدل من من هو مسرف وجاز ابداله منه وهو جمع لانه لا يريد
مسرفا واحدا بل كل مسرف فى آيات الله فى دفعها وابطالها بغير سلطان حجة اتيهم كبر مقتا
اى عظم بغضا وفاعل كبر ضمير من هو مسرف وهو جمع معنى وموحد لفظا وحمل البدل على
معناه والضمير الراجع اليه على لفظه ويجوز ان يرفع الذين على الابتداء ولا بد فى هذا الوجه

الكسرة

من حذف مضاف يرجع اليه الضمير فى كبر تقديره جدال الذين يجادلون كبر مقتا عند الله و
عند الذين امنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار قلب بالتنوين ابو عمرو وانما وصف
القلب بالتكبر والتجبر لانه منبعهما كما تقول سمعت الاذن وهو كقوله فانه آثم قلبه وان كان
الآثم هو الجملة وقال فرعون تمويها على قومه او جهلا منه يا هامان ابن لى صرحا قصرا وقيل الصرح
البناء الظاهر الذى لا يخفى على الناظر وان بعد ومنه يقال صرح الشئ اذا ظهر لعلى وبفتح الياء
حجازى وشامى وابو عمرو ابلغ الاسباب ثم ابدل منها تفخيما لشانها وابانة يقصد له فرعون
امرا عظيما اسباب السموات اى طرقها وابوابها وما يؤدى اليها وكل ما اداك الى شئ فهو سبب
اليه كالرشاء ونحوه فاطلع بالنصب حفص على جواب الترجى تشبيها للترجى بالتمنى وغيره
بالرفع عطفا على ابلغ الى اله موسى والمعنى فانظر اليه وانى لاظنه اى موسى كاذبا فى قوله له اله غيرى
وكذلك مثل ذلك التزيين وذلك الصد زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل المستقيم
وبفتح الصاد غير كوفى ويعقوب اى غيره صدا او هو بنفسه صدودا والمزين الشيطان بوسوسته
كقوله وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل او الله تعالى ومثله زينا لهم اعمالهم فهم
يعمهون وما كيد فرعون الا فى تباب خسران وهلاك وقال الذى امن يا قوم اتبعون اتبعونى
فى الحالين مكى ويعقوب وسهل اهدكم سبيل الرشاد وهو نقيض الغى وفيه تعريض شبيه بالتصريح
ان ما عليه فرعون وقومه سبيل الغى اجمل اولا ثم فسر فافتتح بذم الدنيا وتصغير شانها بقوله
يا قوم انما هذه الحيوة الدنيا متاع تمتع يسير فالاخلاد اليها اصل الشر ومنبع الفتن و
ثنى بتعظيم الاخرة وبين انها هى الوطن والمستقر بقوله وان الاخرة هى دار القرار ثم ذكر
الاعمال سيئها وحسنها وعاقبة كل منها ليثبط عما يتلف وينشط لما يزلف بقوله من عمل سيئة
فلا يجزى الا مثلها ومن عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة
يرزقون فيها بغير حساب يدخلون مكى وبصرى ويزيد وابو بكر ثم وازن بين الدعوتين
دعوته الى دين الله الذى ثمرته النجاة ودعوتهم الى اتخاذ الانداد الذى عاقبته النار
بقوله ويا قوم ما لى وبفتح الياء حجازى وابو عمرو ادعوكم الى النجاة اى الجنة وتدعوننى
الى النار تدعوننى لاكفر بالله بدل من تدعوننى الاول ويقال دعاه الى كذا ودعاه له كما يقال هداه

الى الطريق وهداه له واشرك به اى الله ما ليس لى به علم اى بربوبيته والمراد بنفى العلم نفى المعلوم
كانه قال واشرك به ما ليس باله وما ليس باله كيف يصح ان يعلم الها وانا ادعوكم الى العزيز الغفار وهو
الله سبحانه وتكرير النداء لزيادة التنبيه لهم والايقاظ عن سنة الغفلة وفيه انهم قومه وانه من
ال فرعون وجئ بالواو فى النداء الثالث دون الثانى لان الثانى داخل على كلام هو بيان للمجمل
وتفسير له بخلاف الثالث لا جرم عند البصريين لا رد لما دعاه اليه قومه وجرم فعل بمعنى حق
وان مع ما فى حيزه فاعله اى حق بطلان دعوته انما تدعوننى اليه ليس له دعوة فى الدنيا ولا
فى الاخرة معناه ان ما تدعوننى اليه ليس له دعوة الى نفسه قط اى من حق المعبود بالحق ان
يدعو العباد الى طاعته وما تدعون اليه والى عبادته لا يدعوا هو الى ذلك ولا يدعى الربوبية
او معناه ليس له استجابة دعوة فى الدنيا ولا فى الاخرة او دعوة مستجابة جعلت الدعوة التى
لا استجابة لها ولا منفعة كلا دعوة او سميت الاستجابة باسم الدعوة كما سمى الفعل المجازى
عليه باسم الجزاء فى قوله كما تدين تدان وان مردنا الى الله وان رجوعنا اليه وان المسرفين المشركين
هم اصحاب النار فستذكرون ما اقول لكم من النصيحة عند نزول العذاب وافوض واسلم
امرى وبفتح الياء مدنى وابو عمرو الى الله لانهم توعدوه ان الله بصير بالعباد باعمالهم ومالهم
فوقيه الله سيات ما مكروا شدائد مكرهم وما هموا به من الحاق انواع العذاب بمن خالفهم
وقيل انه خرج من عندهم هاربا الى الجبل فبعث قريبا من الف فى طلبه فمنهم من اكلته السباع ومن
رجع منهم صلبه فرعون وحاق نزل بال فرعون سوء العذاب النار بدل من سوء العذاب
او خبر مبتداء محذوف كانه قيل ما سوء العذاب فقيل هو النار او مبتداء خبره يعرضون
عليها وعرضهم عليها احراقهم بها يقال عرض الامام الاسارى على السيف اذا قتلهم به غدوا
وعشيا اى فى هذين الوقتين يعذبون بالنار وفيما بين ذلك اما ان يعذبوا بجنس اخر او
ينفس عنهم ويجوز ان يكون غدوا وعشيا عبارة عن الدوام هذا فى الدنيا ويوم تقوم
الساعة يقال لخزنة جهنم ادخلوا ال فرعون من الادخال مدنى وحمزة وعلى وحفص وخلف
ويعقوب وغيرهم ادخلوا اى يقال لهم ادخلوا يا ال فرعون اشد العذاب اى عذاب جهنم وهذه
الاية دليل على عذاب القبر واذ يتحاجون واذكر وقت تخاصمهم فى النار فيقول الضعفاء للذين

استكبروا

استكبروا يعنى الروساء انا كنا لكم تبعا اتباعا كخدم فى جمع خادم فهل انتم مغنون دافعون عنا
نصيبا جزء من النار قال الذين استكبروا انا كل فيها التنوين عوض من المضاف اليه اى انا كلنا فيها
لا يغنى احد عن احد ان الله قد حكم بين العباد قضى بينهم بان ادخل اهل الجنة واهل النار النار و
قال الذين فى النار لخزنة جهنم للقوام بتعذيب اهلها وانما لم يقل لخزنتها لان فى ذكر جهنم تهويلا
وتفظيعا ويحتمل ان جهنم هى ابعد النار قعرا من قولهم بير جهنام بعيدة القعر وفيها اعتى
الكفار واطغاهم فلعل الملائكة الموكلين بعذاب اوليك جواب دعوة لزيادة قربهم من الله
فلهذا تعمدهم اهل النار بطلب الدعوة منهم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما قدر يوم من الدنيا
من العذاب قالوا اى الخزنة توبيخا لهم بعد مدة طويلة اولم تك اى اولم تكن القصة وقوله
تاتيكم رسلكم تفسير للقصة بالبينات بالمعجزات قالوا اى الكفار بلى قالوا اى الخزنة تهكما بهم
فادعوا انتم ولا استجابة لدعائكم وما دعاء الكافرين الا فى ضلال بطلان وهو من قول الله عز
وجل ويحتمل ان يكون من كلام الخزنة انا لننصر رسلنا والذين امنوا فى الحيوة الدنيا ويوم يقوم
الاشهاد اى فى الدنيا والاخرة يعنى انهم يغلبهم فى الدارين جميعا بالحجة والظفر على مخالفيهم وان
غلبوا فى الدنيا فى بعض الاحايين امتحانا من الله فالعاقبة لهم ويتيح الله من يقتص من اعدائهم
ولو بعد حين يوم نصب محمول على موضع الجار والمجرور كما تقول جئتك فى امس واليوم والاشهاد
جمع شاهد كصاحب واصحاب يريد الانبياء والحفظة فالانبياء يشهدون عند رب العزة
على الكفرة بالتكذيب والحفظة يشهدون على بنى آدم بما عملوا من الاعمال تقوم بالتاء الرازى
عن هشام يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم هذا بدل من يوم يقوم اى لا يقبل عذرهم ولا
تنفع كوفى ونافع ولهم اللعنة البعد من رحمة الله ولهم سوء الدار اى سوء دار الاخرة وهو
عذابها ولقد اتينا موسى الهدى يريد به جميع ما اتاه فى باب الدين من المعجزات والتورية
والشرائع واورثنا بنى اسرائيل الكتاب اى التورية والانجيل والزبور لان الكتاب جنس
اى تركنا الكتاب من بعده هدى وذكرى ارشادا وتذكرة وانتصابهما على المفعول له او على
الحال لاولى الالباب لذوى العقول فاصبر على ما يجرعك قومك من الغصص ان وعد الله
حق يعنى انه ما سبق به وعدى من نصرتك واعلاء كلمتك حق واستغفر لذنبك اى لذنب

امتك وسبح بحمد ربك بالعشى والابكار اى دم على عبادة ربك والثناء عليه وقيل هما صلوة
الفجر والعصر وقيل سبحان الله وبحمده ان الذين يجادلون فى ايات الله بغير سلطان اتيهم لا
وقف عليه لان خبر ان فى صدورهم الا كبر تعظم وهو ارادة التقدم والرياسة وان لا
يكون احد فوقهم فلذلك عادوك ودفعوا اياتك خيفة ان تتقدمهم ويكونوا تحت
يدك وامرك ونهيك لان النبوة تحتها كل ملك ورياسة او ارادة ان يكون لهم النبوة
دونك حسدا وبغيا ويدل عليه قوله تعالى لو كان خيرا ما سبقونا اليه او ارادة دفع الايات
بالجدال ما هم ببالغيه اى ببالغى موجب الكبر ومقتضيه وهو متعلق ارادتهم من الرياسة
او النبوة او دفع الايات فاستعذ بالله فالتجئ اليه من كيد من يحسدك ويبغى عليك انه
هو السميع لما تقول ويقولون البصير بما تعمل ويعملون فهو ناصرك عليهم وعاصمك من
شرهم لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس لما كانت مجادلتهم فى ايات الله
مشتملة على انكار البعث وهو اصل المجادلة ومدارها حجوا بخلق السموات والارض لانهم
كانوا مقرين بان الله خالقها فان من قدر على خلقها مع عظمها كان على خلق الانسان مع
مهانته اقدر ولكن اكثر الناس لا يعلمون لانهم لا يتاملون لغلبة الغفلة عليهم وما يستوى
الاعمى والبصير والذين امنوا وعملوا الصالحات ولا المسئ لا زايدة قليلا ما تتذكرون
تتعظون بتاءين كوفى وياء غيرهم وقليلا صفة مصدر محذوف اى تذكرا قليلا يتذكرون
وما صلة زايدة ان الساعة لاتية لا ريب فيها لابد من مجيئها وليس بمرتاب فيها لانه لابد
من جزاء لئلا يكون خلق الخلق للفناء خاصة ولكن اكثر الناس لا يؤمنون لا يصدقون
بها وقال ربكم ادعونى اعبدونى استجب لكم اثبكم فالدعاء بمعنى العبادة كثير فى القران
ويدل عليه قوله ان الذين يستكبرون عن عبادتى وقال عليه الصلوة والسلام الدعاء هو
العبادة وقرا الاية صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس رضه وحدونى اغفر لكم وهذا تفسير
للدعاء بالعبادة ثم للعبادة بالتوحيد وقيل سلونى اعطكم سيدخلون جهنم سيدخلون
مكى وابو بكر داخرين صاغرين الله الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا هو من
الاسناد المجازى اى مبصرا فيه لان الابصار فى الحقيقة لاهل النهار وقرن الليل بالمفعول له

والنهار بالحال ولم يكونا حالين او مفعولا لهما رعاية لحق المقابلة لانهما متقابلان معنى لان كل
واحد منهما يؤدى مؤدى الآخر ولانه لو قيل لتبصروا فيه فاتت الفصاحة التى فى الاسناد
المجازى ولو قيل ساكنا لم يتميز الحقيقة من المجازاة الليل يوصف بالسكون على الحقيقة الا ترى
الى قولهم ليل ساج وساكن لا ريح فيه ان الله لذو فضل على الناس ولم يقل لمفضل او لمتفضل لان
المراد تكثير الفضل وان يجعل فضلا لا يوازيه فضل وذلك انما يكون بالاضافة ولكن اكثر الناس
لا يشكرون ولم يقل ولكن اكثرهم حتى لا يتكرر ذكر الناس لان فى هذا التكرير تخصيصا لكفران
النعمة بهم وانهم هم الذين يكفرون فضل الله ولا يشكرونه لقوله ان الانسان لكفور و
كقوله ان الانسان لظلوم كفار ذلكم الذى خلق لكم الليل والنهار الله ربكم خالق كل
شئ لا اله الا هو اخبار مترادفة اى هو الجامع لهذه الاوصاف من الالهية والربوبية و
خلق كل شئ والوحدانية فانى تؤفكون فكيف ومن اى وجه تصرفون عن عبادته الى
عبادة الاوثان كذلك يؤفك الذين كانوا بايات الله يجحدون اى كل من جحد بايات الله
ولم يتاملها ولم يطلب الحق افك كما افكوا الله الذى جعل لكم الارض قرارا مستقرا و
السماء بناء سقفا فوقكم وصوركم فاحسن صوركم قيل لم يخلق حيوانا احسن صورة
من الانسان وقيل لم يخلقهم منكوسين كالبهائم ورزقكم من الطيبات اللذيذات ذلكم
الله ربكم فتبارك الله رب العالمين هو الحى لا اله الا هو فادعوه فاعبدوه مخلصين
له الدين اى الطاعة من الشرك والرياء قائلين الحمد لله رب العالمين وعن ابن عباس رضه
من قال لا اله الا الله فليقل على اثرها الحمد لله رب العالمين ولما طلب الكفار منه عليه السلام
عبادة الاوثان نزل قل انى نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءنى البينات
من ربى هى القران وقيل العقل والوحى وامرت ان اسلم استقيم وانقاد لرب العالمين
هو الذى خلقكم اى اصلكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا اقتصر على الواحد
لان المراد بيان الجنس ثم لتبلغوا اشدكم متعلق محذوف تقديره ثم يبقيكم لتبلغوا وكذلك
ثم لتكونوا شيوخا بكسر الشين مكى وحمزة وعلى وحماد ويحيى والاعشى ومنكم من يتوفى من
قبل اى قبل بلوغ الاشد او من قبل الشيخوخة ولتبلغوا اجلا مسمى معناه ويفعل ذلك

لتبلغوا اجلا مسمى وهو وقت الموت او يوم القيمة ولعلكم تعقلون ما في ذلك من العبر والحجج
هو الذي يحيي ويميت فاذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون اي فانما يكونه سريعا من غير كلفة
الم تر الى الذين يجادلون في ايات الله انى يصرفون ذكر الجدال في هذه السورة في ثلثة مواضع
فجاز ان يكون في ثلثة اقوام او ثلثة اصناف او للتاكيد الذين كذبوا بالكتاب بالقران وبما
ارسلنا به رسلنا من الكتب فسوف يعلمون اذ الاغلال في اعناقهم اذ ظرف زمان ماض
والمراد به الاستقبال هنا لقوله فسوف يعلمون وهذا لان الامور المستقبلة لما كانت في اخبار
الله تعالى ومقطوعا بها عبر عنها بلفظ ما كان ووجد والمعنى على الاستقبال والسلاسل
عطف على الاغلال والخبر في اعناقهم والمعنى اذ الاغلال والسلاسل في اعناقهم يسحبون
في الحميم يجرون في الماء الحار ثم في النار يسجرون من سجر التنور اذا ملاءه بالوقود ومعناه
انهم في النار فهي محيطة بهم وهم مسجورون بالنار مملوة بها اجوافهم ثم قيل لهم اي تقول
لهم الخزنة اينما كنتم تشركون من دون الله يعني اصنام التي تعبدونها قالوا ضلوا عنا غابوا
عن عيوننا فلا نريهم ولا ننتفع بهم بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا اي تبين لنا انهم لم يكونوا
شيئا وما كنا نعبد بعبادتهم شيئا كما تقول حسبت ان فلانا شيئا فاذا هو ليس بشيء اذا اخبرته
فلم تر عنده خيرا كذلك يضل الله الكافرين مثل ضلال الهتهم عنهم يضلهم عن الهتهم حتى لو
طلبوا الالهة او طلبتهم الالهة لم يتصادفوا او كما اضل هؤلاء المجادلين يضل ساير الكافرين
الذين علم منهم اختيار الضلالة على الدين ذلكم العذاب الذي نزل بكم بما كنتم تفرحون
في الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون بسبب ما كان لكم من الفرح والمرح بغير الحق وهو الشرك
وعبادة الاوثان ويقال لهم ادخلوا ابواب جهنم السبعة المقسومة لكم قال الله تعالى لها
سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم خالدين فيها مقدرين الخلود فبئس مثوى المتكبرين
عن الحق جهنم فاصبر يا محمد ان وعد الله باهلاك الكفار حق كائن فاما نرينك اصله فان
نرك وما مزيدة لتوكيد معنى الشرط ولذلك لحقت النون بالفعل الا تراك لا تقول ان تكرمني
اكرمك ولكن اما تكرمني اكرمك بعض الذي نعدهم او نتوفينك فالينا يرجعون هذا
الجزاء متعلق بنتوفينك وجزاء نرينك محذوف تقديره فاما نرينك بعض الذي نعدهم

المجادلين

من العذاب

من العذاب وهو القتل يوم بدر فذلك او ان نتوفينك قبل يوم بدر فالينا يرجعون يوم
القيمة فننتقم منهم اشد الانتقام ولقد ارسلنا رسلا من قبلك الى اممهم منهم من قصصنا
عليك ومنهم من لم نقصص عليك قيل بعث الله ثمانية الاف نبي اربعة الاف من بني اسرائيل
واربعة الاف من ساير الناس وعن علي رض ان الله تعالى بعث نبيا اسود فهو ممن لم يذكر
قصته في القران وما كان لرسول ان ياتي باية الا باذن الله وهذا جواب اقتراحهم الايات
عنادا يعني انا قد ارسلنا كثيرا من الرسل وما كان لواحد منهم ان ياتي باية الا باذن الله فمن
لي بان اتي باية مما تقترحونه الا ان يشاء الله ويأذن الله في الاتيان بها فاذا جاء امر الله
اي يوم القيمة وهو وعيد ورد عقيب اقتراح الايات قضي بالحق وخسر هنالك المبطلون
المعاندون الذين اقترحوا الايات الله الذي جعل خلق لكم الانعام الابل لتركبوا منها
ومنها تاكلون اي لتركبوا بعضها وتاكلوا بعضها ولكم فيها منافع اي الالبان والاوبار
ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم اي لتبلغوا عليها اما تحتاجون اليه من الامور وعليها
وعلى الانعام وعلى الفلك تحملون اي على الانعام وحدها لا تحملون ولكن عليها وعلى
الفلك في البر والبحر ويريكم اياته فاي ايات الله تنكرون انها ليست من عند الله واي
نصب بتنكرون وقد جاء على اللغة المستفيضة وقولك فاي ايات الله قليل لان التفرقة
بين المذكر والمؤنث في الاسماء غير الصفات نحو حمار وحمارة غريب وهي في اي اغرب
لابهامه افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اكثر منهم
عددا واشد قوة بدنا واثارا في الارض قصورا ومصانع فما اغنى عنهم ما نافية ما كانوا
يكسبون فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم يريد علمهم بامور الدنيا
ومعرفتهم بتدبيرها كما قال يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون
فلما جاءهم الرسل بعلوم الديانات وهي ابعد شيء من علمهم لبعثها على رفض الدنيا والظلف
من الملاذ والشهوات لم يلتفتوا اليها وصغروها واستهزوا بها واعتقدوا انه لا علم انفع
واجلب للفوائد من علمهم ففرحوا به او علم الفلاسفة الدهريين فانهم كانوا اذا سمعوا
بوحي الله دفعوه وصغروا علم الانبياء الى علمهم وعن سقراط انه سمع بموسى عليه السلام وقيل له

لو هاجرت اليه فقال نحن قوم مهذبون فلا حاجة بنا الى من يهذبنا او المراد فرحوا بما عند
الرسل من العلم وضحكوا منه واستهزاء به كانوا كانه قال استهزءوا بالبينات وبما جاؤا من علم
الوحي فرحين مرحين ويدل عليه قوله وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون والفرح للرسل اي الرسل
لما راوا جهلهم واستهزاءهم بالحق وعلموا سوء عاقبتهم وما يلحقهم من العقوبة على جهلهم و
استهزاءهم فرحوا بما اوتوا من العلم وشكروا الله عليه وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزاءهم
فلما راوا باسنا شدة عذابنا قالوا امنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم
ايمانهم لما راوا باسنا اي فلم يصح ولم يستقم ان ينفعهم ايمانهم سنة الله بمنزلة وعد الله ونحوه
من المصادر المؤكدة التي قد خلت في عباده ان الايمان عند نزول العذاب لا ينفع وان العذاب نازل
بمكذبي الرسل وخسر هنالك الكافرون هنالك مكان مستعار للزمان والكافرون خاسرون
في كل اوان ولكنه يتبين خسرانهم اذا عاينوا العذاب وفائدة ترادف الفاءات في هذه الايات
ان فما اغنى عنهم نتيجة قوله كانوا اكثر منهم وفلما جاءتهم رسلهم كالبيان والتفسير لقوله
فما اغنى عنهم كقولك رزق زيد المال فمنع المعروف فلم يحسن الى الفقراء فلما راوا باسنا
تابع لقوله فلما جاءتهم كانه قال فكفروا فلما راوا باسنا امنوا وكذلك فلم يك ينفعهم تابع
لايمانهم لما راوا باس الله

سورة حم السجدة مكية وهي ثلث وخمسون اية بسم الله الرحمن الرحيم

حم ان جعلته اسما للسورة كان مبتدا وخبره تنزيل وان جعلته تعديدا للحروف كان تنزيل
خبر المبتدا محذوف وكتاب بدل من تنزيل او خبر بعد خبر او خبر مبتدا محذوف او تنزيل
مبتدا من الرحمن الرحيم صفة كتاب خبره فصلت اياته ميزت وجعلت تفاصيل في معان
مختلفة من احكام وامثال ومواعظ ووعد ووعيد وغير ذلك قرانا عربيا نصب على الاختصاص
والمدح اي اريد بهذا الكتاب المفصل قرانا من صفته كيت وكيت او على الحال اي فصلت اياته
في حال كونه قرانا عربيا لقوم يعلمون اي لقوم عرب يعلمون ما نزل عليهم من الايات المفصلة
المبينة بلسانهم العربي ولقوم يتعلق بتنزيل او بفصلت اي تنزيل من الله لاجلهم او فصلت
اياته لهم والاظهر ان يكون صفة مثل ما قبله وما بعده اي قرانا عربيا كائنا لقوم عرب بشيرا
ونذيرا صفتان لقرانا فاعرض اكثرهم فهم لا يسمعون اي لا يقبلون من قولك سمعت الى

المفصلة

فلان

فلان فلم يسمع قولي ولقد سمعه ولكنه لما لم يقبله ولم يعمل بمقتضاه فكانه لم يسمعه وقالوا قلوبنا
في اكنة اغطية جمع كنان والغطاء مما تدعونا اليه من التوحيد وفي اذاننا وقر ثقل يمنع من استماع
قولك ومن بيننا وبينك حجاب ستر وهذه تمثيلات لنبو قلوبهم عن تقبل الحق واعتقاده
كانها في غلف واغطية تمنع عن نفوذه فيها ومج اسماعهم له كان بها صمما عنه ولتباعد المذهبين
والدينين كان بينهم وما هم عليه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وما هو عليه حجابا ساترا
وحاجزا منيعا من جبل او نحوه فلا تلاقي ولا ترائي فاعمل دينك انا عاملون على ديننا او فاعمل
في ابطال امرنا انا عاملون في ابطال امرك وفائدة زيادة من ان الحجاب ابتداء منا وابتداء منك
فالمسافة المتوسطة لجهتنا وجهتك مستوعبة بالحجاب لا فراغ فيها ولو قيل بيننا وبينك
حجاب لكان المعنى ان حجابا حاصل وسط الجهتين قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله
واحد هذا جواب لقولهم قلوبنا في اكنة ووجهه انه قال لهم اني لست بملك وانما انا بشر مثلكم
وقد اوحي الي دونكم فصحت نبوتي بالوحي الي وانا بشر واذا صحت نبوتي وجب عليكم اتباعي
ومما يوحى الي انما الهكم اله واحد فاستقيموا اليه فاستووا اليه بالتوحيد واخلاص العبادة
غير ذاهبين يمينا ولا شمالا ولا ملتفتين الى ما يسول لكم الشيطان من اتخاذ الاولياء والشفعاء
واستغفروه من الشرك وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة لا يؤمنون بوجوب الزكوة
فلا يعطونها او لا يفعلون ما يكونون به ازكياء وهو الايمان وهم بالاخرة بالبعث والثواب
والعقاب هم كافرون وانما جعل منع الزكوة مقرونا بالكفر بالاخرة لان احب شيء الى
الانسان ماله وهو شقيق روحه فاذا بذله في سبيل الله فذلك اقوى دليل على استقامته
وصدق نيته ونصوع طويته وما خدع المؤلفة قلوبهم الا بلمظة من الدنيا فقرت عصبيتهم
ولانت شكيمتهم وما ارتدت بنو حنيفة الا بمنع الزكوة وفيه بعث للمؤمنين على اداء الزكوة
وتخويف شديد من منعها ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون مقطوع
قيل نزلت في المرضى والزمنى والهرمى اذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الاجر كاصح ما كانوا يعملون
قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين الاحد والاثنين تعليما للاناءة ولو اراد ان
يخلقها في لحظة لفعل وتجعلون له اندادا شركاء واشباها ذلك الذي خلق ما سبق رب العالمين

خالق جميع الموجودات وسيدها ومربيها وجعل فيها في الارض رواسي جبالا ثوابت من
فوقها انما اختار ارساءها فوق الارض ليكون منافع الجبال ظاهرة لطالبيها وليبصر ان
الارض والجبال اثقال على اثقال كلها مفتقرة الى ممسك وهو الله عز وجل وبارك بالماء
والزرع والشجر والثمر فيها في الارض قيل وبارك فيها واكثر خيرها وقدر فيها اقواتها
ارزاق اهلها ومعايشهم وما يصلحهم وقرا ابن مسعود رض وقسم فيها اقواتها في اربعة
ايام في تتمة اربعة ايام يريد بالتتمة اليومين تقول سرت من البصرة الى بغداد في عشرة
والى الكوفة في خمسة عشر اي في تتمة خمسة عشر ولا بد من هذا التقدير لانه لو اجري على
الظاهر لكانت ثمانية ايام لانه قال خلق الارض في يومين ثم قال وقدر فيها اقواتها في اربعة
ايام ثم قال فقضيهن سبع سموات في يومين فيكون خلاف قوله في ستة ايام في موضع
آخر وفي الحديث ان الله تعالى خلق الارض في يوم الاحد والاثنين وخلق الجبال يوم الثلثاء
وخلق يوم الاربعاء الشجر والماء والعمران والخراب فتلك اربعة ايام وخلق يوم الخميس
السماء وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملايكة وخلق آدم عليه السلام في آخر
ساعة من يوم الجمعة قيل هي الساعة التي تقوم فيها القيمة سواء يعقوب صفة للايام
اي في اربعة ايام مستويات تامات سواء يزيد اي هي سواء سواء غيرهما على المصدر اي
استوت سواء اي استواء او على الحال للسائلين متعلق بقدر اي قدر فيها الاقوات لاجل
الطالبين لها المحتاجين اليها لان كلا يطلب القوت ويساله او بمحذوف كانه قيل هذا الحصر
لاجل من سال في كم خلقت الارض وما فيها ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض
ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين هو مجاز عن ايجاد الله تعالى السماء على ما اراد تقول
العرب فعل فلان كذا ثم استوى الى عمل كذا يريدون انه اكمل الاول وابتدا الثاني ويفهم
منه ان خلق السماء كان بعد خلق الارض وبه قال ابن عباس رض وعنه انه قال اول ما خلق الله
تعالى جوهرة طولها وعرضها مسيرة الف سنة في مسيرة عشرة آلاف سنة فنظر اليها بالهيبة
فذابت واضطربت ثم ثار منها دخان بتسليط النار عليها فارتفع واجتمع زبد فقام فوق
الماء فجعل الزبد ارضا والدخان سماء ومعنى امر السماء والارض بالاتيان وامتثالهما انه اراد

ان يكونهما فلم يمتنعا عليه ووجدتا كما ارادهما وكانتا في ذلك كالمامور المطيع اذا ورد عليه فعل
الآمر المطاع وانما ذكر الارض مع السماء في الامر بالاتيان والارض مخلوقة قبل السماء بيومين لانه
قد خلق جرم الارض اولا غير مدحوة ثم دحيها بعد خلق السماء كما قال والارض بعد ذلك دحيها
فالمعنى ائتيا على ما ينبغي ان تاتيا عليه من الشكل والوصف ائتي يا ارض مدحوة قرارا ومهادا لاهلك
وائتي يا سماء مقببة سقفا لهم ومعنى الاتيان الحصول والوقوع كما تقول اتى عمله مرضيا وقوله
طوعا او كرها لبيان تاثير قدرته فيهما وان امتناعهما من تاثير قدرته محال كما تقول لمن تحت يدك
لتفعلن هذا شئت او ابيت ولتفعلنه طوعا او كرها وانتصابهما على الحال بمعنى طائعين او مكرهتين
وانما لم يقل طائعين على اللفظ او طائعات على المعنى لانها سموات وارضون لانهن لما جعلن
مخاطبات ومجيبات ووصفن بالطوع والكره قيل طائعين في موضع طائعات كقوله ساجدين
فقضيهن فاحكم خلقهن قال وعليهما مسرودتان قضاهما والضمير يرجع الى السماء لان السماء
للجنس فيجوز ان يكون ضميرا مبهما مفسرا بقوله سبع سموات والفرق بين النصبين ان الاول
على الحال والثاني على التمييز في يومين في الخميس والجمعة واوحى في كل سماء امرها ما امر به فيها
ودبره من خلق الملائكة والنيرات وغير ذلك وزينا السماء الدنيا من الارض بمصابيح بكواكب
وحفظا وحفظناها من المسترقة بالكواكب حفظا ذلك تقدير العزيز الغالب غير المغلوب
العليم بمواقع الامور فان اعرضوا عن الايمان بعد هذا البيان فقل انذرتكم خوفتكم صاعقة
عذابا شديد الوقع كانه صاعقة واصلها رعد معه نار مثل صاعقة عاد وثمود اذ جاءتهم
الرسل من بين ايديهم ومن خلفهم اي اتوهم من كل جانب فاعملوا فيهم من كل حيلة فلم يروا
منهم الا الاعراض وعن الحسن انذروهم من وقائع الله فيمن قبلهم من الامم وعذاب الآخرة
ان بمعنى اي او مخففة من الثقيلة اصله بانه لا تعبدوا الا الله قالوا اي القوم لو شاء ربنا اى
الرسل ومفعول شاء محذوف لانزل ملائكة فانا بما ارسلتم به كافرون معناه فاذا انتم
بشر ولستم بملائكة فانا لا نؤمن بكم وبما جئتم به وقوله ارسلتم به ليس باقرار بالارسال و
انما هو على كلام الرسل وفيه تهكم كما قال فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون وقولهم
فانا بما ارسلتم به كافرون خطاب منهم لهود وصالح ولساير الانبياء الذين دعوا الى الايمان

بهم روي ان قريشا بعثوا عتبة ابن ربيعة وكان احسنهم حديثا ليكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وينظر ما يرد فاتاه وهو في الحطيم فلم يسال شيئا الا اجابه ثم قراء عليه السلام السورة الى قوله
صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فناشده بالرحم وامسك على فيه ووثب مخافة ان عتبة يصيب
عليهم العذاب فاخبرهم به وقال لقد عرفت السحر والشعر فوالله ما هو بساحر ولا شاعر
فقالوا لقد صبات اما فهمت منه كلمة فقال لا ولم اهتد الى جوابه فقال عثمان بن مظعون
ذلك والله لتعلموا انه من رب العالمين ثم بين ما ذكر من صاعقة عاد وثمود فقال فاما عاد
فاستكبروا في الارض بغير الحق اي تعظموا فيها على اهلها بما لا يستحقون به التعظيم وهو القوة
وعظم الاجرام واستولوا على الارض بغير استحقاق للولاية وقالوا من هو اشد منا قوة كانوا
ذوي اجسام طوال وخلق عظيم وبلغ من قوتهم ان الرجل كان يقلع الصخرة من الجبل بيده
اولم يروا اولم يعلموا علما يقوم مقام العيان ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم قوة اوسع
منهم قدرة لانه قادر على كل شيء وهم قادرون على بعض الاشياء باقداره وكانوا باياتنا
يجحدون معطوف على فاستكبروا اي كانوا يعرفون انها حق ولكنهم جحدوها كما يجحد المودع
الوديعة فارسلنا عليهم ريحا صرصرا عاصفة تصرصر اي تصوت في هبوبها من الصرير او باردة
تحرق بشدة بردها تكرير لبناء الصر وهو البرد قيل انها الدبور في ايام نحسات مشومات
عليهم نحسات مكي وبصري ونافع ونحس نحسا نقيض سعد سعدا وهو نحس واما نحس
ومخفف نحس او صفة على فعل او وصف بمصدر وكانت من الاربعاء في اخر شوال الى الاربعاء
وما عذب قوم الا في الاربعاء لنذيقهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا اضاف العذاب
الى الخزي وهو الذل على انه وصف للعذاب كانه قال عذاب خزي كما تقول فعل السوء تريد
الفعل السيء ويدل عليه قوله ولعذاب الاخرة اخزى وهو من الاسناد المجازي ووصف
العذاب بالخزي ابلغ من وصفهم به فشتان ما بين قوليك هو شاعر وله شعر شاعر وهم
لا ينصرون من الاصنام التي عبدوها على رجاء النصر لهم واما ثمود بالرفع على الابتداء وهو
الفصيح لوقوعه بعد حرف الابتداء والخبر فهديناهم وبالنصب المفضل باضمار فعل
يفسره فهديناهم اي بينا لهم الرشد فاستحبوا العمى على الهدى فاختاروا الكفر على الايمان

فاخذتهم

فاخذتهم صاعقة العذاب داهية العذاب الهون الهوان وصف به العذاب مبالغة او
ابدله منه بما كانوا يكسبون بكسبهم وهو شركهم ومعاصيهم وقال الشيخ ابو منصور يحتمل ما ذكر
من الهداية البيان كما بينا ويحتمل خلق الاهتداء فيهم فصاروا مهتدين ثم كفروا بعد ذلك
وعقروا الناقة لان الهدى المضاف الى الخالق يكون بمعنى البيان والتوفيق وخلق فعل الاهتداء
فاما الهدى المضاف الى الخلق يكون بمعنى البيان لا غير وقال صاحب الكشاف فيه فان قلت
اليس معنى قولك هديته حصلت فيه الهدى والدليل عليه قولك هديته فاهتدى بمعنى
تحصيل البغية وحصولها كما يقال ردعته فارتدع فكيف ساغ استعماله في الدلالة المجردة قلت
الدلالة على انه مكنهم فازاح عللهم ولم يبق لهم عذرا فكانه حصل البغية فيهم بتحصيل ما
يوجبها ويقتضيها وانما تمحل لهذه لانه يتمكن من ان يفسره بخلق الاهتداء لانه يخالف مذهبه
الفاسد ونجينا الذين آمنوا اي اختاروا الهدى على العمى من تلك الصاعقة وكانوا يتقون
اختيار العمى على الهدى ويوم يحشر اعداء الله الى النار اي الكفار من الاولين والاخرين نحشر اعداء
نافع ويعقوب فهم يوزعون يحبس اولهم على اخرهم اي يستوقف سوابقهم حتى يلحق بهم تواليهم
وهي عبارة عن كثرة اهل النار واصله من وزعته اي كففته حتى اذا ما جاءوها صاروا بحضرتها
فما مزيدة للتاكيد ومعنى التاكيد ان وقت مجيئهم النار لا محالة ان يكون وقت الشهادة عليهم
ولا وجه لان يخلوا منها شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون شهادة
الجلود بالملامسة الحرام وقيل هي كناية عن الفروج وقالوا الجلودهم لم شهدتم علينا لما تعاظمهم
من شهادتها عليهم قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شيء من الحيوان والمعنى ان نطقنا ليس
بعجب من قدرة الله الذي قدر على انطاق كل حيوان وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون
وهو قادر على انشائكم اول مرة على اعادتكم ورجعكم الى جزائه وما كنتم تستترون ان يشهد
عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم اي انكم كنتم تستترون بالحيطان والحجب عند ارتكاب
الفواحش وما كان استتاركم ذلك خيفة ان يشهد عليكم جوارحكم لانكم كنتم غير عالمين
بشهادتها عليكم بل كنتم جاحدين بالبعث والجزاء اصلا ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون
ولكنكم انما تستترتم لظنكم ان الله لا يعلم كثيرا مما كنتم تعملون وهو الخفيات من اعمالكم وذلكم

ظنكم الذى ظننتم بربكم اردیكم وذلك الظن هو الذى اهلككم وذلكم مبتداء وظنكم خبر والذى
ظننتم بربكم صفة واردیكم خبرثان اوظنكم بدل من ذلكم واردیكم الخبر فاصبحتم من الخاسرین
فان یصبروا فالنار مثوى لهم اى فان یصبروا لم ینفعهم الصبر ولم ینفكوا من الثواء فى النار
وان یستعتبوا فما هم من المعتبین وان یطلبوا الرضى ما هم من المرضیین وان یسالوا العتبى وهى الرجوع
لهم الى ما یحبون جزعا مما هم فیه لم یعطوا العتبى ولم یجابوا الیها وقیضنا لهم اى قدرنا لمشركى مكة
یقال هذان ثوبان قیضان اى مثلان والمقایضة المعاوضة وقیل سلطنا علیهم قرناء اخدانا
من الشیطان جمع قرین كقوله ومن یعش عن ذكر الرحمن نقیض له شیطانا فهو له قرین فزینوا
لهم ما بین ایدیهم وما خلفهم اى ما تقدم من اعمالهم وما هم عازمون علیها او ما بین ایدیهم من
امور الدنیا واتباع الشهوات وما خلفهم من امر العاقبة وان لا بعث ولا حساب وحق علیهم القول
كلمة العذاب فى امم فى جملة امم ومحله النصب على الحال من الضمیر فى علیهم اى حق علیهم القول
كائنا فى جملة امم قد خلت من قبلهم قبل اهل مكة من الجن والانس انهم كانوا خاسرین هو تعلیل
لاستحقاقهم العذاب والضمیر فى لهم وللامم وقال الذین كفروا لا تسمعوا لهذا القران اذا قرئ والغوا
فیه لعلكم تغلبون وعارضوه بكلام غیر مفهوم حتى تشوشوا علیه وتغلبوا على قراءته واللغو الساقط
من الكلام الذى لا طائل تحته فلنذیقن الذین كفروا عذابا شدیدا یجوز ان یرید بالذین كفروا هؤلاء
اللاغین والامرین والله لهم باللغو خاصة وان یذكر الذین كفروا عامة لینطووا تحت ذكرهم
ولنجزینهم اسوء الذى كانوا یعملون اى اعظم العقوبة على اسوء اعمالهم وهو الكفر ذلك جزاء
اعداء الله ذلك اشارة الى الاسوء ویجب ان یكون التقدیر اسوء جزاء الذى كانوا یعملون
حتى یستقیم هذه الاشارة النار عطف بیان للجزاء او خبر مبتداء محذوف لهم فیها دار الخلد
اى النار فى نفسها دار الخلد كما تقول لك فى هذه الدار دار السرور وانت تعنى الدار بعینها جزاء
اى جوزوا بذلك جزاء بما كانوا بایاتنا یجحدون وقال الذین كفروا ربنا ارنا وبسكون الراء لثقل
الكسرة كما قالوا فى فخذ فخذ مكى وشامى وابوبكر وبالاختلاس ابوعمرو الذین اضلانا اى الشیطانین
اللذین اضلانا من الجن والانس لان الشیطان على ضربین جنى وانسى قال الله تعالى وكذلك جعلنا
لكل نبى عدوا شیاطین الانس والجن نجعلهما تحت اقدامنا لیكونا من الاسفلین فى نار جهنم جزاء

اضلاهم

اضلاهم ایانا ان الذین قالوا ربنا الله اى نطقوا بالتوحید ثم استقاموا ثم ثبتوا على الاقرار ومقتضیاته
وعن الصدیق رض استقاموا فعلا كما استقاموا قولا وعنه انه تلاها ثم قال ما تقولون فیها قالوا
لم یذنبوا قال حملتم الامر على اشده قالوا فما تقول قال لم یرجعوا الى عبادة الاوثان وعن عمر رض
لم یروغوا روغان الثعالب اى لم ینافقوا وعن عثمان رض اخلصوا العمل وعن على ادوا الفرائض
وعن الفضیل زهدوا فى الفانیة ورغبوا فى الباقیة وقیل حقیقة الاستقامة القرار بعد الاقرار
لا الفرار بعد الاقرار تتنزل علیهم الملائكة عند الموت ان بمعنى اى او مخففة من الثقیلة واصله
بانه لا تخافوا فالهاء ضمیر الشان اى لا تخافوا ما تقدمون علیه ولا تحزنوا على ما خلفتم فالخوف
غم یلحق لتوقع المكروه والحزن غم یلحق لوقوعه من فوت نافع او حصول ضار والمعنى ان الله
كتب لكم الامن من كل غم فلن تذوقوه ابدا وابشروا بالجنة التى كنتم توعدون فى الدنیا وقال
محمد بن على الترمذى تتنزل علیهم ملائكة الرحمن عند مفارقة الارواح عن الابدان ان لا
تخافوا سلب الایمان ولا تحزنوا على ما كان من العصیان وابشروا بدخول الجنان التى كنتم
توعدون فى سالف الازمان نحن اولیاؤكم فى الحیوة الدنیا وفى الاخرة كما ان الشیاطین قرناء
العصاة واخوانهم فكذلك الملائكة اولیاء المتقین واحباؤهم فى الدارین ولكم فیها ما
تشتهى انفسكم من النعم ولكم فیها ما تدعون تتمنون نزلا هو رزق النزیل وهو الضیف
وانتصابه على الحال من الهاء المحذوفة او من ما من غفور رحیم نعت له ومن احسن قولا
ممن دعا الى الله هو رسول الله صلى الله علیه وسلم دعا الى التوحید وعمل صالحا خالصا وقال
اننى من المسلمین تفاخرا بالاسلام ومعتقدا له او اصحابه علیه السلام دعوا الى التوحید او المؤذنون
او جمیع الهداة والدعاة الى الله ولا تستوى الحسنة ولا السیئة ادفع بالتى هى احسن یعنى ان
السیئة والحسنة متفاوتتان فى انفسهما فخذ بالحسنة التى هى احسن من اختها اذا اعترضتك
حسنتان فادفع بها السیئة التى ترد علیك من بعض اعدائك كما لو اساء الرجل الیك اساءة
فالحسنة ان تعفو عنه والتى هى احسن ان تحسن الیه مكان اساءته الیك مثل ان یذمك
فتمدحه او یقتل ولدك فتفتدى ولده من ید عدوه فاذا الذى بینك وبینه عداوة كانه ولى
حمیم فانك اذا فعلت ذلك انقلب عدوك المشاق مثل الولى الحمیم مصافاة لك ثم قال وما

وما يلقيها وما يلقى هذه الخصلة التي هي مقابلة الاساءة بالاحسان الا الذين صبروا الا اهل الصبر
وما يلقيها الا ذو حظ عظيم الا رجل خير وفق لحظ عظيم من الخير وانما لم يقل فادفع بالتي هي احسن
لانه على تقدير قائل قال فكيف اصنع فقيل ادفع بالتي هي احسن وقيل لا مزيدة للتاكيد والمعنى
ولا يستوي الحسنة والسيئة وكان القياس على هذا التفسير ان يقال ادفع بالتي هي حسنة ولكن
وضع التي هي احسن موضع الحسنة ليكون ابلغ في الدفع بالحسنة لان من دفع بالحسنى هان عليه
الدفع بما دونها وعن ابن عباس رض بالتي هي احسن الصبر عند الغضب والحلم عند الجهل والعفو
عند الاساءة وفسر الحظ بالثواب وعن الحسن والله ما اعظم حظ دون الجنة وقيل نزلت
في ابي سفيان كان عدوا موذيا للنبي صلى الله عليه وسلم فصار وليا مصافيا واما ينزغنك
من الشيطان نزغ النزغ شبه النخس والشيطان ينزغ الانسان كانه ينخسه يبعثه على ما لا ينبغي
وجعل النزغ نازغا كما قيل جد جده او اريد واما ينزغنك نازغ وصفا للشيطان بالمصدر
او لتسويله والمعنى ان صرفك الشيطان عما وصيت به من الدفع بالتي هي احسن فاستعذ بالله
من شره وامض على حلمك ولا تطعه انه هو السميع لاستعاذتك العليم بنزغ الشيطان ومن
اياته الدالة على وحدانيته الليل والنهار في تعاقبهما على حد معلوم وتناويهما على قدر مقسوم
والشمس والقمر في اختصاصهما بسير مقدر ونور مقدر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر فانهما
مخلوقان وان كثرت منافعهما واسجدوا لله الذي خلقهن ان كنتم اياه تعبدون الضمير
في خلقهن للايات او الليل والنهار والشمس والقمر لان حكم جماعة ما لا يعقل حكم الانثى
او الاناث تقول الاقلام بريتها وبريتهن ولعل ناسا منهم كانوا يسجدون للشمس والقمر
كالصابئين في عبادتهم الكواكب ويزعمون انهم يقصدون بالسجود لهما السجود لله فنهوا
عن هذه الواسطة وامروا ان يقصدوا بسجودهم وجه الله خالصا ان كانوا اياه يعبدون
وكانوا موحدين غير مشركين فان من عبد مع الله غيره لا يكون عابدا له فان استكبروا
فالذين عند ربك اي الملائكة يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسامون لا يملون
والمعنى فان استكبروا ولم يمتثلوا ما امروا به وابوا الا الواسطة فدعهم وشانهم فان
الله تعالى لا يعدم عابدا او ساجدا بالاخلاص وله العباد والمقربون الذين ينزهونه بالليل

والنهار

والنهار عن الانداد وعند ربك عبارة عن الزلفى والمكانة والكرامة وموضع السجدة
عندنا عند لا يسامون وعند الشافعي رح عند يعبدون والاول احوط ومن اياته انك
ترى الارض خاشعة يابسة متغيرة والخشوع التذلل فاستعير لحال الارض اذا كانت قحطة لا نبات
فيها فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت تحركت بالنبات وربت انتفخت ان الذي احياها
لمحيي الموتى انه على كل شيء قدير فيكون قادرا على البعث ضرورة ان الذين يلحدون في اياتنا
يميلون عن الحق في ادلتنا يقال الحد الحافر ولحد اذا مال عن الاستقامة فحفر في شق فاستعير
للانحراف في تاويل ايات القران عن جهة الصحة والاستقامة يلحدون حمزة لا يخفون علينا
وعيد لهم في التحريف افمن يلقى في النار خير ام من ياتي امنا يوم القيمة هذا تمثيل للكافر
والمؤمن اعملوا ما شئتم هذا نهاية في التهديد ومبالغة في الوعيد انه بما تعملون بصير فيجازيكم
عليه ان الذين كفروا بالذكر بالقران لانهم لكفرهم به طعنوا فيه وحرفوا تاويله لما
جاءهم حين جاءهم وخبر ان محذوف اي يعذبون او هالكون او اولئك ينادون من
مكان بعيد وما بينهما اعتراض وانه لكتاب عزيز اي منيع محمي بحماية الله تعالى لا ياتيه الباطل
التبديل والتناقض من بين يديه ولا من خلفه اي بوجه من الوجوه تنزيل من حكيم حميد مستحق
للحمد ما يقال لك ما يقول لك كفار قومك الا ما قد قيل للرسل من قبلك الا مثل ما
قال للرسل كفار قومهم من الكلمات الموذية والمطاعن في الكتب المنزلة ان ربك لذو مغفرة
ورحمة لانبيائه وذو عقاب اليم لاعدائهم ويجوز ان يكون ما يقول لك الله الا مثل ما قال
للرسل من قبلك والمقول هو قوله ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب اليم ولو جعلناه اي
الذكر قرانا اعجميا اي بلغة العجم كانوا لتعنتهم يقولون هلا نزل القران بلغة العجم فقيل لو
كان كما يقترحون لقالوا لولا فصلت اياته اي بينت بلسان العرب حتى نفهمها ءاعجمي وعربي
بهمزتين كوفي غير حفص الهمزة للانكار يعني لانكروا وقالوا اقران اعجمي ورسول عربي او مرسل
اليه عربي الباقون بهمزة واحدة ممدودة مستفهمة والاعجمي الذي لا يفصح ولا يفهم كلامه سواء
كان من العجم او العرب او العجمي منسوب الى امة العجم فصيحا كان او غير فصيح والمعنى ان ايات الله
على اي طريقة جاءتهم وجدوا فيها متعنتا لانهم غير طالبين للحق وانما يتبعون اهواءهم وفيه

نفقهها

اشارة الى انه لو انزل بلسان العجم كان قرانا فيكون دليلا لابي حنيفة رح في جواز الصلوة
اذا قرا بالفارسية قل هو اي القران للذين امنوا هدى ارشاد الى الحق وشفاء لما في الصدور
من الشك اذ الشك مرض والذين لا يؤمنون في اذانهم وقر في موضع الجر لكونه معطوفا
على للذين امنوا اي هو للذين امنوا هدى وشفاء وهو للذين لا يؤمنون في اذانهم وقر
اي صمم الا ان فيه عطفا على عاملين وهو جائز عند الاخفش او الرفع وتقديره والذين
لا يؤمنون هو في اذانهم وقر على حذف المبتدا او في اذانهم منه وقر وهو اي القران عليهم
عمى ظلمة وشبهة اولئك ينادون من مكان بعيد يعني انهم لعدم قبولهم وانتفاعهم كانهم
ينادون الى الايمان بالقران من حيث لا يسمعون لبعد المسافة وقيل ينادون في القيمة
من مكان بعيد باقبح الاسماء ولقد اتينا موسى الكتاب فاختلف فيه فقال بعضهم هو حق
وقال بعضهم هو باطل كما اختلف قومك في كتابك ولولا كلمة سبقت من ربك بتاخير
العذاب لقضي بينهم لاهلكهم اهلاك استيصال وقيل الكلمة السابقة هي العدة بالقيامة
فان الخصومات تفصل في ذلك اليوم ولولا ذلك لقضي بينهم في الدنيا وانهم وان الكفار لفي
شك منه مريب موقع للريبة من عمل صالحا فلنفسه فلنفسه نفع ومن اساء فعليها فلنفسه
ضر وما ربك بظلام للعبيد فيعذب غير المسيء اليه يرد علم الساعة اي علم قيامها يرد اليه
اي يجب على المسؤل ان يقول الله يعلم ذلك وما تخرج من ثمرات مدني وشامي وحفص
وغيرهم بغير الف من اكمامها اوعيتها قبل ان تنشق جمع كم وما تحمل من انثى حملها ولا
تضع الا بعلمه اي وما يحدث شيء من خروج ثمرة ولا حمل حامل ولا وضع واضع الا هو
عالم به يعلم عدد ايام الحمل وساعته واحواله من الخداج والتمام والذكورة والانوثة
والحسن والقبح وغير ذلك ويوم يناديهم اين شركاي اضافهم الى نفسه على زعمهم وبيانه
في قوله اين شركاي الذين زعمتم وفيه تهكم وتقريع قالوا اذناك اعلمناك وقيل اخبرناك
وهو لا ظهران الله تعالى كان عالما بذلك واعلام العالم محال اما الاخبار للعالم بالشيء
يتحقق بما علم به الا ان يكون المعنى انك علمت من قلوبنا الان انا لا نشهد تلك الشهادة
الباطلة لانه اذا علم من نفوسهم فكانهم علموه ما منا من شهيد اي ما منا من احد يشهد بان لك

شريكا وما منا الا من هو موحد لك او ما منا من احد يشاهدهم لانهم ضلوا عنهم وضلت عنهم الهتهم
لا يبصرونها في ساعة التوبيخ وقيل هو كلام الشركاء اي ما منا من شهيد يشهد بما اضافوا الينا من
الشرك وضل عنهم ما كانوا يدعون يعبدون من قبل في الدنيا وظنوا ايقنوا ما لهم من محيص
مهرب لا يسام لا يمل الانسان الكافر بدليل قوله وما اظن الساعة قائمة من دعاء الخير من طلب السعة
في المال والنعمة والتقدير من دعائه الخير فحذف الفاعل واضيف الى المفعول وان مسه الشر
الفقر فيؤس من الخير قنوط من الرحمة بولغ فيه من طريقين من طريق بناء فعول ومن طريق
التكرير والقنوط ان يظهر عليه اثر الياس فيتضاءل وينكسر اي يقطع الرجاء من فضل الله وروحه
وهذا صفة الكافر بدليل قوله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ولئن اذقناه
رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي واذا فرجنا عنه بصحة بعد مرض او سعة بعد
ضيق قال هذا لي اي هذا حقي وصل الي لاني استوجبته بما عندي من خير وفضل واعمال بر او هذا
لي لا يزول عني وما اظن الساعة قائمة اي تقوم وما اظنها تكون ولئن رجعت الى ربي كما يقول
المسلمون ان لي عنده للحسنى اي الجنة والحالة الحسنى من الكرامة والنعمة قايسا امر الاخرة على
امر الدنيا فلننبئن الذين كفروا بما عملوا فلنخبرنهم بحقيقة ما عملوا من الاعمال الموجبة للعذاب
ولنذيقنهم من عذاب غليظ شديد لا يفتر عنهم واذا انعمنا على الانسان اعرض هذا ضرب
اخر من طغيان الانسان اذا اصابه الله بنعمة ابطرته النعمة فنسي المنعم واعرض عن شكره ونأى بجانبه
وتباعد عن ذكر الله ودعائه او ذهب بنفسه وتكبر وتعظم وتحقيقه ان يوضع جانبه موضع
نفسه لان مكان الشيء وجهته ينزل منزلة نفسه ومنه قول الكتاب كتبت الى جهته والى جانبه
العزيز يريدون نفسه وذاته فكانه قال ونأى بنفسه واذا مسه الشر الضر او الفقر فذو دعاء
عريض كثير اي اقبل على دوام الدعاء واخذ في الابتهال والتضرع وقد استعير العرض لكثرة
الدعاء ودوامه وهو من صفة الاجرام كما استعير الغلظ لشدة العذاب ولا منافاة بين قوله
قنوط وبين قوله فذو دعاء عريض لان الاول في قوم والثاني في قوم او قنوط في البر وذو دعاء
في البحر او قنوط بالقلب ذو دعاء باللسان او قنوط من الصنم ذو دعاء الله تعالى قل ارايتم اخبروني
ان كان القران من عند الله ثم كفرتم به ثم جحدتم انه من عند الله من اضل منكم الا انه وضع قوله

ممن هو في شقاق بعيد موضع منكم بيانا لحالهم وصفتهم سنريهم اياتنا في الافاق من فتح
البلاد شرقا وغربا وفي انفسهم فتح مكة حتى يتبين لهم انه الحق اي القران او الاسلام اولم يكف
بربك موضع بربك الرفع على انه فاعل والمفعول محذوف انه على كل شيء شهيد بدل منه تقديره
اولم يكفهم ان ربك على كل شيء شهيد اي اولم يكفهم شهادة ربك على كل شيء ومعناه ان
هذا الموعود من اظهار ايات الله في الافاق وفي انفسهم سيرونه ويشاهدونه فتبينون عند
ذلك ان القران تنزيل عالم الغيب الذي هو على كل شيء شهيد بدل منه تقديره الا انهم في مرية
شك من لقاء ربهم الا انه بكل شيء محيط عالم بجمل الاشياء وتفاصيلها وظواهرها وبواطنها
فلا يخفى عليه خافية فيجازيهم على كفرهم ومريتهم في لقاء ربهم

سورة حم عسق مكية ثلث وخمسون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

فصل حم من عسق كتابة مخالفا لكهيعص تلفيقا باخواتها ولانه آيتان وكهيعص اية واحدة
كذلك يوحي اليك اي مثل ذلك الوحي او مثل ذلك الكتاب يوحي اليك والى الذين من قبلك
والى الرسل من قبلك الله يعني ان ما ضمنته هذه السورة من المعاني قد اوحى الله اليك مثله
في غيرها من السور واوحاه الى من قبلك يعني الى رسله والمعنى ان الله كرر هذه المعاني
في القران وفي جميع الكتب السماوية لما فيها من التنبيه البليغ واللطف العظيم لعباده و
عن ابن عباس رض ليس من نبي صاحب كتاب الا اوحى الله اليه بحم عسق يوحى بفتح الحاء مكي
فرافع اسم الله على هذه القراءة ما دل عليه يوحى كان قائلا قال من يوحي فقيل الله العزيز
الغالب بقهره الحكيم المصيب في فعله وقوله له ما في السموات وما في الارض ملكا وملكا وهو
العلي شانه العظيم برهانه تكاد السموات وبالياء نافع وعلي يتفطرن من فوقهن يتشققن
ينفطرن بصري وابو بكر ومعناه يكدن ينفطرن من علو شان الله وعظمته يدل عليه مجيئه
بعد قوله العلي العظيم وقيل من دعائهم له ولدا كقوله تكاد السموات يتفطرن منه ومعنى من
فوقهن اي يبتدا الانفطار من جهتهن الفوقانية وكان القياس ان يقال يتفطرن من
تحتهن من الجهة التي منها جاءت كلمة الكفر لانها جاءت من الذين تحت السموات ولكنه
بولغ في ذلك فجعلت مؤثرة في جهة الفوق كانه قيل يكدن يتفطرن من الجهة التي فوقهن دع الجهة

التي

التي تحتهن وقيل من فوقهن من فوق الارضين فالكناية راجعة الى الارض لانه بمعنى الارضين
وقيل يتشققن لكثرة ما على السموات من الملائكة قال عليه الصلوة والسلام اطت السماء اطا وحق
لها ان تئط ما فيها موضع قدم الا وعليه ملك قائم او راكع او ساجد والملائكة يسبحون
بحمد ربهم خضوعا لما يرون من عظمته ويستغفرون لمن في الارض اي للمؤمنين منهم كقوله
يستغفرون للذين امنوا خوفا عليهم من سطواته ويوحدون الله وينزهونه عما لا يجوز عليه من
الصفات حامدين له على ما اولاهم من الطاقة متعجبين مما راوا من تعرضهم لسخط الله تعالى
ويستغفرون لمؤمنين اهل الارض الذين يتبرؤن من تلك الكلمة ام يطلبون الى ربهم ان
يحلم عن اهل الارض ولا يعاجلهم بالعقاب الا ان الله هو الغفور الرحيم لهم والذين اتخذوا
من دونه اولياء اي جعلوا له شركاء واندادا الله حفيظ عليهم رقيب على احوالهم واعمالهم
لا يفوته منها شيء فيجازيهم عليها وما انت يا محمد عليهم بوكيل بموكل عليهم ولا مفوض اليك
امرهم انما انت منذر فحسب وكذلك ومثل ذلك اوحينا اليك وذلك اشارة الى معنى الاية
التي قبلها من ان الله رقيب عليهم لا انت بل انت منذر لان هذا المعنى كرره الله تعالى في كتابه
فالكاف مفعول به لاوحينا قرانا عربيا حال من المفعول به اي اوحيناه اليك وهو قران عربي
بين لتنذر ام القرى اي مكة لان الارض دحيت من تحتها ولانها اشرف البقاع والمراد اهل
ام القرى ومن حولها من العرب وتنذر يوم الجمع يوم القيمة لان الخلائق تجمع فيه لا ريب فيه
اعتراض لا محل له يقال انذرته كذا وقد عدي لتنذر ام القرى الى المفعول الاول وتنذر يوم
الجمع الى المفعول الثاني فريق في الجنة وفريق في السعير اي منهم فريق ومنهم فريق والضمير
للمجموعين لان المعنى يوم جمع الخلائق ولو شاء الله لجعلهم امة واحدة اي
مؤمنين كلهم ولكن يدخل من يشاء في رحمته اي يكرم من يشاء بالاسلام والظالمون والكافرون
ما لهم من ولي شافع ولا نصير دافع ام اتخذوا من دونه اولياء فالله هو الولي الفاء لجواب
الشرط المقدر كانه قيل بعد انكار كل ولي سواه ان ارادوا اولياء بحق فالله الولي بالحق وهو
الذي يجب ان يتولى وحده لا ولي سواه وهو يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير فهو الحقيق
بان يتخذ وليا دون من لا يقدر على شيء وما اختلفتم فيه من شيء حكاية قول رسول الله

عليهم

للمومنين اى ماخالفكم فيه الكفار من اهل الكتاب والمشركين واختلفتم انتم وهم فيه من امر من امور
الدين فحكمه اى حكم ذلك المختلف فيه مفوض الى الله وهو اثابة المحققين فيه من المومنين ومعاقبة
المبطلين ذلكم الحاكم بينكم الله ربى عليه توكلت فى رد كيد اعداء الدين واليه انيب ارجع فى
كفاية شرهم وقيل وما وقع بينكم الخلاف فيه من العلوم التى لا تتصل بتكليفكم ولا طريق لكم الى علمه
فقولوا الله اعلم كمعرفة الروح غيره فاطر السموات والارض ارتفاعه على انه احد اخبار ذلكم
اوخبر مبتداء محذوف جعل لكم من انفسكم خلقكم من جنسكم من الناس ازواجا ومن الانعام ازواجا
اى وخلق للانعام ايضا من انفسها ازواجا يذرؤكم يكثركم يقال ذرا الله الخلق بثهم وكثرهم فيه
فى هذا التدبير وهو ان جعل للناس والانعام ازواجا حتى كان بين ذكورهم واناثهم التوالد و
التناسل واختير فيه على به لانه جعل هذا التدبير كالمنبع والمعدن للبث والتكثير والضمير
فى يذرؤكم يرجع الى المخاطبين والانعام مغلبا فيه المخاطبون العقلاء على الغيب مما لا يعقل
ليس كمثله شئ قيل ان كلمة التشبيه كررت لتاكيد نفى التماثل وتقديره ليس مثله شئ وقيل المثل
زيادة وتقديره ليس كهو شئ كقوله تعالى فان آمنوا بمثل ما امنتم به وهذا لان المراد نفى المثلية
واذا لم يجعل الكاف او المثل زيادة كان اثبات المثل وقيل المراد ليس كذاته شئ لانهم يقولون
مثلك لا يبخل يريدون به نفى البخل عن ذاته فيقصدون المبالغة فى ذلك بسلوك طريق الكناية
لانهم اذا نفوه عن من يسد مسده فقد نفوه عنه فاذا علم انه من باب الكناية لم يقع فرق بين
قوله ليس كالله شئ وبين قوله ليس كمثله شئ الا ما يعطيه الكناية من فايدتها وكانهما عبارتان
معتقبان على معنى واحد وهو نفى المماثلة عن ذاته ونحوه بل يداه مبسوطتان فمعناه بل هو جواد
من غير تصور يد ولا بسط لها لانها وقعت عبارة عن الجود حتى انهم استعملوها فيمن لا يد له
فكذلك استعمل هذا فيمن له مثل ومن لا مثل له وهو السميع لجميع المسموعات بلا اذن البصير
لجميع المرئيات بلا حدقة وكانه ذكرهما لئلا يتوهم انه لا صفة له كما لا مثل له له مقاليد السموات
والارض فى امر الرزق يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر اى يضيق انه بكل شئ عليم شرع بين و
اظهر لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى و
عيسى اى شرع لكم من الدين دين نوح ومحمد ومن بينهما من الانبياء عليهم السلام ثم فسر المشروع

الذى

الذى اشترك هؤلاء الاعلام من رسله فيه بقوله ان اقيموا الدين والمراد اقامة دين الاسلام الذى
هو توحيد الله وطاعته والايمان برسله وكتبه وبيوم الجزاء وسائر ما يكون المرء باقامته مسلما
ولم يرد به الشرائع فانها مختلفة قال الله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ومحل ان اقيموا
نصب بدل من مفعول شرع والمعطوفين عليه او رفع على الابتداء كانه قيل فما ذلك المشروع
فقيل هو اقامة الدين ولا تتفرقوا فيه ولا تختلفوا فى الدين قال على رض لا تتفرقوا فالجماعة
رحمة والفرقة عذاب كبر على المشركين عظم عليهم وشق عليهم ما تدعوهم اليه من اقامة
الدين لله والتوحيد الله يجتبى يختلب ويجمع اليه الى الدين بالتوفيق والتسديد من يشاء
ويهدى اليه من ينيب يقبل على طاعته وما تفرقوا اى اهل الكتاب بعد انبيائهم الا من بعد
ما جاءهم العلم الا من بعد ان علموا ان الفرقة ضلال وامر متوعد عليه على السنة الانبياء
بغيا بينهم حسدا وطلبا للرياسة والاستطالة بغير حق ولولا كلمة سبقت من ربك الى اجل
مسمى وهى بل الساعة موعدهم لقضى بينهم لاهلكوا حين افترقوا لعظم ما اقترفوا وان الذين
اورثوا الكتاب من بعدهم هم اهل الكتاب الذين كانوا فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
لفى شك منه من كتابهم لا يؤمنون به حق الايمان مريب مدخل فى الريبة وقيل وما تفرق
اهل الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بمبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله وما
تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة وان الذين اورثوا الكتاب من بعدهم
هم المشركون اورثوا القران من بعد ما اورث اهل الكتاب التورية والانجيل فلذلك
فلاجل ذلك التفرق ولما حدث بسببه من تشعب الكفر شعبا فادع الى الاتفاق والايتلاف
على الملة الحنيفية القديمة واستقم عليها وعلى الدعوة اليها كما امرت كما امرك الله ولا تتبع
اهواءهم المختلفة الباطلة وقل امنت بما انزل الله من كتاب اى كتاب صح ان الله انزله
يعنى الايمان بجميع الكتب المنزلة لان المتفرقين امنوا ببعض وكفروا ببعض كقوله ويقولون
نؤمن ببعض ونكفر ببعض الى قوله اولئك هم الكافرون حقا وامرت لاعدل بينكم فى
الحكم اذا تخاصمتم فتحاكمتم الى الله ربنا وربكم اى كلنا عبيده لنا اعمالنا ولكم اعمالكم هو كقوله
لكم دينكم ولى دين ويجوز ان يكون معناه انا لا نؤاخذ باعمالكم وانتم لا تؤاخذون باعمالنا

الاستيناف

ويجمع

لا حجة بيننا وبينكم لا خصومة لان الحق قد ظهر وصرتم محجوجين به فلا حاجة الى المحاجة
ومعناه لا ايراد حجة بيننا لان المتحاجين يورد هذا حجته وهذا حجته الله يجمع بيننا يوم
القيمة واليه المصير المرجع لفصل القضاء فيفصل بيننا وينتقم لنا منكم والذين يحاجون
في الله يخاصمون في دينه من بعد ما استجيب له من بعد ما استجاب له الناس ودخلوا
في الاسلام ليردوهم الى دين الجاهلية كقوله ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد
ايمانكم كفارا كان اليهود والنصارى يقولون للمومنين كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم
فنحن خير منكم واولى بالحق وقيل من بعد ما استجيب لمحمد صلى الله عليه وسلم دعاؤه للمشركين
يوم بدر حجتهم داحضة باطلة وسماها حجة وان كانت شبهة لزعمهم انها حجة عند ربهم
وعليهم غضب بكفرهم ولهم عذاب شديد في الاخرة الله الذي انزل الكتاب اي جنس الكتاب
بالحق بالصدق اي متلبسا به والميزان والعدل والتسوية والمعنى انه انزله العدل انه انزله في
كتبه المنزلة وقيل هو عين الميزان انزله في زمن نوح عليه السلام وما يدريك لعل الساعة
قريب اي لعل الساعة قريب منك وانت لا تدري والمراد مجيء الساعة او الساعة في تاويل
البعث ووجه مناسبة اقتران الساعة مع انزال الكتب والميزان ان الساعة يوم الحساب
ووضع الميزان بالقسط فكانه قيل امركم الله بالعدل والتوبة والعمل بالشرايع فاعملوا بالكتاب
والعدل قبل ان يعاجلكم يوم حسابكم ووزن اعمالكم يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها تكذيبا
والذين امنوا مشفقون منها خائفون منها وجلون اهوالها ويعلمون انها الحق الكائنة لا
محالة الا ان الذين يمارون في الساعة المماراة الملاحة لان كل واحد منهما يجري ما عند صاحبه
لفي ضلال بعيد عن الحق لان قيام الساعة غير مستبعد من قدرة الله وتدل الكتاب والسنة
على وقوعها والعقول تشهد على انه لا بد من دار الجزاء الله لطيف بعباده في ايصال المنافع
وصرف البلاء من وجه يلطف ادراكه وبر بليغ البر بهم قد توصل بره الى جميعهم وقيل
هو من لطف بالغوامض علمه وعظم عن الجرائم حلمه ومن ينشر المناقب ويستر المثالب او من
يعفو عمن يهفو ومن يعطي العبد فوق الكفاية ويكلفه الطاعة دون الطاقة وعن الجنيد لطف
باوليائه فعرفوه ولو لطف باعدائه ما جحدوه يرزق من يشاء اي يوسع الرزق من يشاء

اذا علم مصلحته فيه في الحديث ان من عبادي المومنين من لا يصلح ايمانه الا الغنى لو افقرته لافسده
ذلك وان من عبادي من لا يصلح ايمانه الا الفقر ولو اغنيته لافسده ذلك وهو القوي
الباهر القدرة الغالب على كل شيء العزيز المنيع الذي لا يغلب من كان يريد حرث الاخرة سمى
ما يعمله العامل مما يبتغي به الفائدة حرثا مجازا نزد له في حرثه بالتوفيق في عمله او التضعيف
في حسناته او بان ينال به الدنيا والاخرة ومن كان يريد حرث الدنيا اي من كان عمله للدنيا ولم
يؤمن بالاخرة نؤته منها اي شيئا منها لان من للتبعيض وهو رزقه الذي قسم له لا ما يريده
ويبتغيه وما له في الاخرة من نصيب وما له نصيب قط في الاخرة ولم يذكر في عامل الاخرة
وله في الدنيا نصيب على ان رزقه المقسوم يصل اليه للاستهانة بذلك الى جنب ما هو بصدده
من زكاء عمله وفوزه في المآب ام لهم شركاء قيل هي ام المنقطعة وتقديره بل الهم شركاء وقيل
هي المعادلة لالف الاستفهام وفي الكلام اضمار تقديره ايقبلون ما شرع الله من الدين ام
لهم آلهة شرعوا لهم من الدين ما لم ياذن به الله اي لم يامر به ولولا كلمة الفصل اي القضاء السابق
بتاجيل الجزاء او ولولا العدة بان الفصل يكون يوم القيمة لقضي بينهم بين الكافر والمومنين
او لعجلت لهم العقوبة وان الظالمين لهم عذاب اليم وان المشركين لهم عذاب اليم في الاخرة
وان اخرتهم في دار الدنيا ترى الظالمين المشركين في الاخرة مشفقين خائفين مما كسبوا
من جزاء كفرهم وهو واقع بهم نازل بهم لا محالة اشفقوا او لم يشفقوا والذين امنوا و
عملوا الصالحات في روضات الجنات كان روضة جنة المومنين اطيب بقعة فيها وانزهها
لهم ما يشاؤن عند ربهم نصب بالظرف لا يشاؤن ذلك هو الفضل الكبير على العمل القليل
ذلك اي الفضل الكبير الذي يبشر الله يبشر مكي وابو عمرو وحمزة وعلي عباده الذين امنوا و
عملوا الصالحات اي به عباده فحذف الجار كقوله واختار موسى قومه ثم حذف الراجع الى
الموصول كقوله اهذا الذي بعث الله رسولا ولما قال المشركون ايبتغي محمد على تبليغ الرسالة
اجرا نزل قل لا اسالكم عليه على التبليغ اجرا الا المودة في القربى يجوز ان يكون استثناء متصلا
اي لا اسالكم اجرا الا هذا وهو ان تودوا اهل قرابتي ويجوز ان يكون منقطعا اي لا اسالكم
اجرا قط ولكني اسالكم ان تودوا قرابتي الذين هم قرابتكم ولا تؤذوهم ولم يقل الا مودة القربى

او المودة للقربى لانهم جعلوا مكانا للمودة ومقرا لها كقولك لى فى ال فلان مودة ولى فيهم حب شديد
تريد احبهم وهم مكان حبى ومحله وليست فى بصلة للمودة كاللام اذا قلت الا المودة للقربى
انما هى متعلقة بمحذوف تعلق الظرف به فى قولك المال فى الكيس وتقديره الا المودة ثابتة
فى القربى ومتمكنة فيها والقربى مصدر كالزلفى والبشرى بمعنى القرابة والمراد فى اهل القربى
وروى انها لما نزلت قيل يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم
قال على وفاطمة وابناهما وقيل معناه الا ان تودوا قرابتى فيكم ولا تؤذونى ولا تهيجوا
على اذ لم يكن بطن من بطون قريش الا بين رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم قرابة وقيل القربى
التقرب الى الله اى الا ان تحبوا الله ورسوله فى تقربكم اليه بالطاعة والعمل الصالح ومن يقترف
حسنة يكتسب طاعة عن السدى انها المودة فى ال رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت فى ابى بكر
رض ومودته فيهم والظاهر العموم فى اى حسنة كانت الا انها تتناول المودة تناولا اوليا لذكرها
عقيب ذكر المودة فى القربى نزد له فيها حسنا اى نضاعفها كقوله من ذى الذى يقرض الله
قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة وقرئ حسنى وهو مصدر كالبشرى والضمير يعود الى
الحسنة او الى الجنة ان الله غفور لمن اذنب بطوله شكور لمن اطاع بفضله وقيل قابل التوبة حامل
عليها وقيل الشكور فى صفة الله تعالى عبارة عن الاعتداد بالطاعة وتوفية ثوابها والتفضل
على المثاب ام يقولون افترى على الله كذبا ام منقطعة ومعنى الهمزة فيه للتوبيخ كانه قيل اسمعوا
لكون ان ينسبوا مثله الى الافتراء ثم على الافتراء على الله الذى هو اعظم الفرى وافحشها فان
يشاء الله يختم على قلبك قال مجاهد اى يربط على قلبك بالصبر على اذاهم وعلى قولهم افترى
على الله كذبا لئلا يدخله مشقة بتكذيبهم ويمحو الله الباطل اى الشرك وهو كلام مبتدأ غير
معطوف على يختم لان محو الباطل غير معلق بالشرط بل هو وعد مطلق دليله تكرار اسم الله
ورفع ويمحو وانما سقط الواو منه فى الخط كما سقط فى ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير وسندع
الزبانية على انها مثبتة فى مصحف نافع ويحق الحق ويظهر الاسلام ويثبته بكلماته بما انزل
من كتابه على لسان نبيه عليه الصلوة والسلام وقد فعل ذلك فمحا باطلهم واظهر الاسلام
انه عليم بذات الصدور اى عليم بما فى صدرك وصدورهم فيجرى الامر على حسب ذلك وهو

الذى

الذى يقبل التوبة عن عباده يقال قبلت منه الشئ اى اخذته منه وجعلته مبدأ قبولى ويقال
قبلته عنه اى عزلته عنه وابنته عنه والتوبة ان يرجع عن القبيح والاخلال بالواجب بالندم عليهما
والعزم على انه لا يعاود وان كان لعبد فيه حق لم يكن بد من التقصى على طريقه وقال على رض هو
اسم يقع على ستة معان على الماضى من الذنوب الندامة ولتضييع الفرايض الاعادة ورد المظالم
واذابة النفس فى الطاعة كما ربيتها فى المعصية واذاقة النفس مرارة الطاعة كما اذقتها حلاوة
المعصية والبكاء بدل كل ضحك ضحكته وعن السدى هو صدق العزيمة على ترك الذنوب و
الانابة بالقلب الى علام الغيوب وعن غيره هو ان لا يجد حلاوة الذنب فى القلب عند ذكره و
عن هو الاشتغال من الاحوال المذمومة الى الاحوال المحمود وعن الجنيد هو الاعراض عما دون الله
ويعفو عن السيات هى ما دون الشرك بلا توبة ويعلم ما تفعلون بالتاء كوفى غير ابى بكر اى من
التوبة والمعصية ولا وقف عليه للعطف واتصال المعنى ويستجيب الذين امنوا وعملوا الصلحات
ويزيدهم من فضله اى اذا دعوا استجاب دعاءهم واعطاهم ما طلبوا وزادهم على مطلوبهم
واستجاب واجاب بمعنى والسين فى مثله لتوكيد الفعل كقولك تعظم واستعظم والتقدير و
يجيب الذين امنوا وقيل معناه ويستجيب الله للذين فحذف اللام من عليهم بان يقبل توبتهم اذا
تابوا ويعفو عن سياتهم ويستجيب لهم اذا دعوه ويزيدهم على ما سالوا وعن ابن ادهم انه قيل
له ما بالنا ندعو فلا نجاب قال لانه دعاكم فلم تجيبوه والكافرون لهم عذاب شديد فى الاخرة
ولو بسط الله الرزق لعباده اى ولو اغناهم جميعا لبغوا من البغى وهو الظلم اى لبغى هذا
على ذلك وذلك على هذا لان الغنى مبطرة ماشرة وكفى بحال فرعون وقارون عبرة او من
البغى الكبر اى لتكبروا فى الارض ولكن ينزل وبالتخفيف مكى وابو عمرو بقدر ما يشاء بتقدير
يقال قدره قدرا وقدرا انه بعباده خبير بصير يعلم احوالهم فيقدر لهم على ما تقتضيه حكمته
فيفقر ويغنى ويمنع ويعطى ويقبض ويبسط ولو اغناهم جميعا لبغوا ولو افقرهم لهلكوا و
ما ترى من البسط على ما لا ينبغى ومن البغى بدون البسط فهو قليل ولا شك ان البغى مع الفقر
اقل ومع البسط اكثر واغلب وهو الذى ينزل الغيث بالتشديد مدنى وشامى وعاصم من بعد ما
قنطوا وقرئ قنطوا وينشر رحمته اى بركات الغيث ومنافعه وما يحصل به من الخصب وقيل المطر

اسندت القحط وقنط الناس فقال مطروا اذا ارادهنه الاية او اراد رحمته فى كل شئ وهو الولى الذى
يتولى عباده باحسانه الحميد المحمود على ذلك يحمده اهل الطاعة ومن آياته ومن علامات قدرته
خلق السموات والارض مع عظمهما وما بث فرق وما يجوز ان يكون مرفوعا ومجرورا حملا
على المضاف اليه فيهما فى السموات والارض من دابة الدواب تكون فى الارض وحدها لكن
يجوز ان ينسب الشئ الى جميع المذكور وان كان متلبسا ببعضه كما يقال بنو تميم فيهم شاعر مجيد
وانما هو فى فخذ من افخاذهم ومنه قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من
الملح ولا يبعد ان يخلق فى السموات حيوانا يمشون فيها مشى الاناسى على الارض او يكون
للملائكة مشى مع الطيران فوصفوا بالدبيب كما وصف به الاناسى وهو على جمعهم يوم القيمة
اذا يشاء قدير اذا تدخل على المضارع كما تدخل على الماضى قال الله تعالى والليل اذا يغشى وما اصابكم
من مصيبة من غم والم ومكروه فبما كسبت ايديكم اى بجناية كسبتموها عقوبة عليه بما كسبت مدنى
وشامى على ان ما مبتدأ وبما كسبت خبرها من غير تضمن معنى الشرط ومن اثبت الفاء فعلى تضمين
معنى الشرط وتعلق بهذه الاية من يقول بالتناسخ وقال لو لم يكن للاطفال حالة كانوا عليها
قبل هذه الحالة لما تألموا وقلنا الاية مخصوصة بالمكلفين بالسابق والسياق وهو ويعفو
عن كثير اى من الذنوب فلا يعاقب عليه او عن كثير من الناس فلا يعاجلهم بالعقوبة وقال
ابن عطاء من لم يعلم ان ما وصل اليه من الفتن والمصائب باكتسابه وان ما عفى عنه مولاه اكثر
كان قليل النظر فى احسان ربه اليه وقال محمد بن حامد العبد ملازم للجنايات فى كل اوان
وجناياته فى طاعته اكثر من جناياته فى معاصيه لان جناية المعصية من وجه وجناية الطاعات
من وجوه والله يطهر عبده من جناياته بانواع من المصائب ليخفف عنه اثقاله فى القيمة
ولولا عفوه ورحمته لهلك فى اول خطوة الى المعصية وعن على رض هذه ارجى اية للمؤمنين
فى القرآن لان الكريم اذا عاقب مرة لا يعاقب ثانيا واذا عفى لا يعود وما انتم بمعجزين فى
الارض بفائتين ما قضى عليكم من المصائب وما لكم من دون الله من ولى من متول بالرحمة ولا
نصير ناصر يدفع عنكم العذاب اذا حل بكم ومن آياته الجوار جمع جارية وهى السفينة الجوارى
فى الحالين مكى وسهل ويعقوب وافقهم مدنى وابو عمرو فى الوصل فى البحر كالاعلام كالجبال ان يشا

يسكن الريح الرياح مدنى فيظللن رواكد ثوابت لا تجرى على ظهره على ظهر البحر ان فى ذلك لآيات
لكل صبار على بلائه شكور لنعمائه اى لكل مؤمن مخلص فالايمان نصفان نصف شكر ونصف صبر
او صبار على طاعته شكور لنعمته او يوبقهن يهلكهن وهو عطف على يسكن والمعنى ان يشا يسكن
الريح فيركدن او يعصفها فيغرقن بعصفها بما كسبوا من الذنوب ويعف عن كثير منها فلا يجازى
عليها وانما دخل العفو فى حكم الايباق حيث جزم جزمه لان المعنى او ان يشا يهلك ناسا
وينج ناسا على طريق العفو عنهم ويعلم بالنصب عطفا على تعليل محذوف تقديره لينتقم منهم و
ليعلم الذين يجادلون فى آياتنا اى ابطالها ودفعها ويعلم مدنى وشامى على الاستيناف ما لهم
من محيص مهرب من عذابه فما اوتيتم من شئ فمتاع الحيوة الدنيا وما عند الله من الثواب خير
وابقى للذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون ما الاولى ضمنت معنى الشرط فجاءت الفاء فى جوابها
بخلاف الثانية نزلت فى ابى بكر الصديق رض حين تصدق بجميع ماله فلامه الناس والذين
يجتنبون عطف على للذين آمنوا وكذا ما بعده كبائر الاثم اى الكبائر من هذا الجنس كبير
الاثم على وحمزة وعن ابن عباس رض كبير الاثم هو الشرك والفواحش قيل ما عظم قبحه
فهو فاحش كالزنى واذا ما غضبوا من امور دنياهم هم يغفرون اى هم الاخصاء
بالغفران فى حال الغضب والمجئ بهم وايقاعه مبتدأ واسناد يغفرون اليه لهذه الفائدة
ومثله هم ينتصرون والذين استجابوا لربهم نزلت فى الانصار دعاهم الله عز وجل للايمان
به وطاعته فاستجابوا له بان آمنوا به واطاعوه واقاموا الصلوة واتوا الزكوة الخمس وامرهم
شورى بينهم اى ذو شورى اى لا ينفردون برأى حتى يجتمعوا عليه وعن الحسن ما تشاور
قوم الا هدوا لارشد امرهم والشورى مصدر كالفتيا بمعنى التشاور
ومما رزقناهم ينفقون يتصدقون والذين اذا اصابهم البغى الظلم هم ينتصرون ينتقمون
ممن ظلمهم اى يقتصرون فى الانتصار على ما جعله الله تعالى لهم ولا يعتدون وكانوا يكرهون
ان يذلوا انفسهم فيجترئ عليهم الفساق وانما حمدوا على الانتصار لان من انتصر واخذ حقه
ولم يجاوز فى ذلك حد الله فلم يسرف فى القتل ان كان ولى دم فهو مطيع لله وكل مطيع
محمود ثم بين حد الانتصار فقال وجزاء سيئة سيئة مثلها فالاولى سيئة حقيقة والثانية

نصف م

واتوا الصلوة

الانتصار

واانما سميت سيئة لانها لمجازاة بسوء اولانها تسوء من تنزل به ولانه لو لم يكن الاولى لكانت
الثانية سيئة لانها اضرار وانما صارت حسنة لغيرها وفى تسمية الثانية سيئة اشارة الى ان
العفو مندوب اليه والمعنى انه يجب اذا قوبلت الاساءة ان تقوبل بمثلها من غير زيادة
فمن عفى واصلح بينه وبين خصمه بالعفو والاغضاء فاجره على الله عدة مبهمة لايقاس امرها
فى العظم انه لا يحب الظالمين الذين يبدؤن بالظلم او الذين يجاوزون حد الانتصار فى
الحديث ينادى مناد يوم القيمة من كان له اجر على الله فليقم فلا يقوم الا من عفى ولمن
انتصر بعد ظلمه اى اخذ حقه بعدما ظلم على اضافة المصدر الى المفعول فاولئك اشارة
الى معنى من دون لفظه ما عليهم من سبيل للمعاقب ولا للعاقب والعائب انما السبيل على
الذين يظلمون الناس يبتدؤنهم بالظلم ويبغون فى الارض بغير الحق يتكبرون فيها ويعلون
ويفسدون اولئك لهم عذاب اليم وفسر السبيل بالتبعة والحجة ولمن صبر على الظلم والاذى و
غفر ولم ينتصر ان ذلك اى الصبر والغفران منه لمن عزم الامور اى الامور التى ندب اليها
او مما ينبغى ان يوجبه العاقل على نفسه ولا يترخص فى القيام وحذف الراجع اى منه لانه مفهوم
كما حذف من قولهم السمن منوان بدرهم وقال ابو سعيد القرشى الصبر على المكاره من
علامات الانبياء فمن صبر على مكروه يصيبه ولم يجزع اورثه الله تعالى حال الرضى وهو اجل
الاحوال ومن جزع من المصيبات وشكى وكله الله تعالى الى نفسه ثم لم ينفعه شكواه ومن
يضلل الله فما له من ولى من بعده فما له من احد يلى هدايته من بعد اضلال الله اياه ويمنعه
من عذابه وترى الظالمين يوم القيمة لما راوا العذاب حين يرون واختير لفظ الماضى للتحقيق
يقولون هل الى مرد من سبيل يسالون ربهم الرجوع الى الدنيا ليؤمنوا به وتريهم يعرضون
عليها على النار اذ العذاب يدل عليها خاشعين من الذل متضائلين متقاصرين مما يلحقهم
من الذل ينظرون الى النار من طرف خفى ضعيف بمسارقة كما ترى المصبور ينظر الى السيف
وقال الذين آمنوا ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم القيمة يوم القيمة متعلق
بخسروا او قول المؤمنين واقع فى الدنيا او يقال لهم يفعلون يوم القيمة اذا راوهم على تلك
الصفة الا ان الظالمين فى عذاب مقيم دائم وما كان لهم من اولياء ينصرونهم من دون الله

الانتقام

من دون عذابه ومن يضلل الله فما له من سبيل الى النجاة استجيبوا لربكم اجيبوا الى ما دعاكم اليه من
قبل ان ياتى يوم اى يوم القيمة لا مرد له من الله من يتصل بلا مرد اى لا يرده الله بعدما حكم به او بيأتى
اى من قبل ان ياتى من الله يوم لا يتقدر احد على رده ما لكم من ملجإ يومئذ وما لكم من نكير اى
ليس لكم من مخلص من العذاب ولا تقدرون ان تنكروا شيئا مما اقترفتموه ودون فى صحائف
اعمالكم والنكير الانكار فان اعرضوا عن الايمان فما ارسلناك عليهم حفيظا رقيبا ان عليك
الا البلاغ ما عليك الا تبليغ الرسالة وقد فعلت وانا اذا اذقنا الانسان المراد الجمع لا
الواحد منا رحمة ونعمة وسعة وامنا وصحة فرح بها بطر لاجلها وان تصبهم سيئة بلاء كالمرض
والفقر ونحوهما وتوحيد فرح باعتبار اللفظ والجمع فى وان تصبهم باعتبار المعنى بما قدمت
ايديهم بسبب معاصيهم فان الانسان كفور ولم يقل فانه كفور ليسجل على ان هذا الجنس موسوم
بكفران النعمة كما قال ان الانسان لظلوم كفار والكفور البليغ الكفر والمعنى انه يذكر البلاء
وينسى النعم ويغمطها قيل اريد به كفران النعمة وقيل اريد به الكفر بالله تعالى لله ملك السموات
والارض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور او يزوجهم ذكرانا اى
يقرنهم واناثا ويجعل من يشاء عقيما لما ذكر اذاقة الانسان الرحمة واصابته بضدها اتبع
ذلك ان له الملك وانه يقسم النعمة والبلاء كيف اراد ويهب لعباده من الاولاد ما يشاء
فيخص بعضها بالاناث وبعضا بالذكور وبعضها بالصنفين جميعا ويجعل البعض عقيما والعقيم
التى لا تلد وكذلك رجل عقيم اذا كان لا يولد له وقدم الاناث اولا على الذكور لان سياق
الكلام انه فاعل ما يشاء ولا ما يشاءه الانسان فكان ذكر الاناث اللاتى من جملة ما لا يشاءه
الانسان اهم ولانهم واجب التقديم وليلى الجنس الذى كانت العرب تعده بلاء ذكر البلاء
ولما اخر الذكور وهم احقاء بالتقديم تدارك تأخيرهم بتعريفهم لان التعريف تنويه وتشهير
ثم اعطى بعد ذلك كل الجنسين حقه من التقديم والتاخير وعرف ان تقديمهن لم يكن لتقدمهن
ولكن لمقتضى آخر فقال ذكرانا واناثا وقيل نزلت فى الانبياء عليهم السلام ذكورا واناثا وجعل
يحيى وعيسى عقيمين انه عليم بكل شئ قدير قادر على كل شئ وما كان لبشر وما صح لاحد من
البشر ان يكلمه الله الا وحيا اى الهاما كما روى نفث فى روعى او رؤيا فى المنام لقوله عليه الصلوة

وهب م

حينئذ للوط وشعيب اناثا
ولابراهيم ذكورا ولمحمد
صلى الله عليه وسلم م

والسلام رؤيا الانبياء وحي وهو كامر ابراهيم عليه السلام بذبح الولد او من وراء حجاب اي سمع كلاما من الله كما سمع موسى عليه السلام من غير ان يبصر السامع من يكلمه وليس المراد حجاب الله تعالى لان الله تعالى لا يجوز عليه ما يجوز على الاجسام من الحجاب لكن المراد به ان السامع محجوب عن الرؤية في الدنيا او يرسل رسولا اي يرسل ملكا فيوحي الملك اليه وقيل وحيا كما اوحى الى الرسل بواسطة الملائكة او يرسل رسولا اي نبيا كما كلم امم الانبياء على السنتهم او وحيا وان يرسل مصدران واقعان موقع الحال لان ان يرسل في معنى ارسالا ومن وراء حجاب ظرف واقع موقع الحال كقوله تعالى وعلى جنوبهم والتقدير وما صح ان يكلم احدا الا موحيا او مسمعا من وراء حجاب او مرسلا ويجوز ان يكون المعنى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا بان يوحي او ان يسمع من وراء حجاب او يرسل رسولا وهو اختيار الخليل او يرسل رسولا فيوحي بالرفع على او هو يرسل باذنه باذن الله ما يشاء من الوحي انه علي قاهر فلا يمانع حكيم مصيب في اقواله وافعاله فلا يعارض وكذلك اي كما اوحينا الى الرسل قبلك او كما وصفنا لك اوحينا اليك ايحاء كذلك روحا من امرنا يريد وحيا اليه كان الخلق يحيون به في دينهم كما يحيى الجسد بالروح ما كنت تدري الجملة حال من الكاف في اليك ما الكتاب القرآن ولا الايمان اي شرائعه او ولا الايمان بالكتاب لانه اذا كان لا يعلم بان الكتاب ينزل عليه لم يكن عالما بذلك الكتاب وقيل الايمان يتناول اشياء بعضها الطريق اليه العقل وبعضها الطريق اليه السمع فعنى به ما الطريق اليه السمع دون العقل وذلك ما كان له فيه علم حتى كسبه بالوحي ولكن جعلناه اي الكتاب نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وانك لتهدي لتدعو وقرئ به الى صراط مستقيم الاسلام صراط الله بدل الذي له ما في السموات وما في الارض ملكا وملكا الا الى الله تصير الامور هو وعيد بالجحيم ووعد بالنعيم

سورة الزخرف مكية تسع وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم حم والكتاب المبين اقسم بالكتاب المبين وهو القرآن وجعل قوله انا جعلناه حرا بان قرآنا عربيا جوابا للقسم وهو من الايمان الحسنة البديعة لتناسب القسم والمقسم عليه والمبين البين للذين انزل عليهم لانه بلغتهم واساليبهم او الواضح للمتدبرين او الذي ابان طرق الهدى من طرق الضلالة

وابان

وابان كل ما يحتاج اليه الائمة في ابواب الديانة لعلكم تعقلون لكي تفهموا معانيه وانه في ام الكتاب لدينا وان القرآن مثبت عند الله في اللوح المحفوظ دليله قوله بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ وسمي ام الكتاب لانه الاصل الذي اثبت فيه الكتب منه تنقل وتستنسخ ام الكتاب بكسر الالف علي وحمزة لعلي حكيم اي في اعلى طبقات البلاغة او رفيع الشان في الكتب لكونه معجزا من بينها حكيم ذو حكمة بالغة افنضرب عنكم الذكر افننحي عنكم الذكر ونزوده عنكم على سبيل المجاز من قولهم ضرب الغرائب عن الحوض والفاء للعطف على محذوف تقديره انهملكم فنضرب عنكم الذكر انكارا لان يكون الامر على خلاف ما تقدم من انزاله الكتاب وجعله قرآنا عربيا ليعقلوه ويعملوا بمواجبه صفحا مصدر من صفح عنه اذا اعرض منتصب على انه مفعول له على معنى افنعزل عنكم انزال القرآن والزام الحجة به اعراضا عنكم ويجوز ان يكون مصدرا على خلاف الصدر لانه يقال ضربت عنه اي اعرضت كذا قاله الفراء ان كنتم اي لان كنتم ان كنتم مدني وحمزة وعلي وهو من باب الشرط الذي يصدر من المدل بصحة الامر المتحقق لثبوته كما يقول الاجير ان كنت عملت لك فوفني حقي وهو عالم بذلك قوما مسرفين مفرطين في الجهالة مجاوزين الحد في الضلالة وكم ارسلنا من نبي في الاولين اي كثيرا من الرسل ارسلنا الى من تقدمك وما يأتيهم من نبي الا كانوا به يستهزئون هي حكاية حال ماضية مستمرة اي كانوا على ذلك وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزاء قومه فاهلكنا اشد منهم بطشا تمييز والضمير للمسرفين لانه صرف الخطاب عنهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره عنهم ومضى مثل الاولين اي سلف في القرآن في غير موضع منه ذكر قصتهم وحالهم العجيبة التي حقها ان تسير مسير المثل وهذا وعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووعيد لهم ولئن سألتهم اي المشركين من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم الذي جعل لكم الارض مهدا كوفي وغيرهم مهادا اي موضع قرار وجعل لكم فيها سبلا طرقا لعلكم تهتدون لكي تهتدوا في اسفاركم والذي نزل من السماء ماء بقدر بمقدار يسلم معه العباد ويحتاج اليه البلاد فانشرنا به فاحيينا عدول من الغائبة الى الاخبار لعلم المخاطب بالمراد به بلدة ميتا يريد ميتا كذلك تخرجون من قبوركم احياء يخرجون حمزة وعلي ولا وقف على عليم لان الذي صفته وقد وقف عليه ابو حاتم على تقدير هو الذي لانه

الاوصاف ليست من مقولة الكفار لانهم ينكرون الاخراج من القبور فكيف يقولون كذلك
تخرجون بل الاية حجة عليهم في انكار البعث والذى خلق الازواج الاصناف كلها وجعل لكم
من الفلك والانعام ما تركبون اى تركبونه يقال ركبوا في الفلك وركبوا الانعام فغلب
المتعدى بغير واسطة لقوته على المتعدى بواسطة فقيل تركبونه لتستووا على ظهوره على ظهور
ما تركبون وهو الفلك والانعام ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه وتقولوا
بالسنتكم سبحان الذى سخر لنا هذا ذلل لنا هذا المركب وما كنا له مقرنين مطيقين يقال اقرن
الشئ اذا اطاقه وحقيقة اقرنه وجده قرينة لان الصعب لا يكون قرينة للضعيف وانا
الى ربنا لمنقلبون لراجعون قيل يذكرون عند ركوبهم مركب الدنيا آخر مركبهم منها وهو
الجنازة وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان اذا وضع رجله في الركاب قال بسم الله فاذا
استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذى سخر لنا هذا الى قوله لمنقلبون وكبر
ثلثا وهلل ثلثا وقالوا اذا ركب في السفينة قال بسم الله مجريها ومرسيها ان ربى لغفور رحيم
وحكى علماء ان قوما ركبوا وقالوا سبحان الذى سخر لنا هذا الاية وفيهم رجل على ناقة لا تتحرك
هزالا فقال اى مقرن لهذا فسقط منها لوثبتها واندق عنقه وينبغى ان لا يكون ركوب
العاقل للتنزه والتلذذ بل للاعتبار ويتامل عنده انه هالك لا محالة ومنقلب الى الله غير
منفلت من قضائه وجعلوا له من عباده جزءا متصل بقوله ولئن سالتهم اى ولئن سالتهم
من خلق السموات والارض ليعترفن به وقد جعلوا له مع ذلك الاعتراف من عباده
جزءا اى قالوا الملائكة بنات الله فجعلوهم جزء الله وبعضا منه كما يكون الولد جزء الوالد
جزءا ابو بكر وحماد ان الانسان لكفور مبين لجحود للنعمة ظاهر جحوده لان نسبة الولد
اليه كفر والكفر اصل الكفران كله ام اتخذ مما يخلق بنات واصفيكم بالبنين بل اتخذ و
الهمزة للانكار تجهيلا لهم وتعجيبا من شانهم حيث ادعوا انه اختار لنفسه المنزلة الادنى
ولهم الاعلى واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا بالجنس الذى جعله مثلا اى شبها لانه اذا
جعل الملائكة جزء الله تعالى وبعضا منه فقد جعله من جنسه ومماثلا له لان الولد لا يكون
الا من جنس الوالد ظل وجهه مسودا وهو كظيم يعنى انهم نسبوا اليه هذا الجنس ومن حالهم

ان احدهم اذا قيل له قد ولدت لك بنت اغتم واربد وجهه غيظا وتاسفا وهو مملوء
من الكرب والظلول بمعنى الصيرورة اومن ينشؤ في الحلية وهو في الخصام غير مبين اى او
يجعل للرحمن من الولد من هذه الصفة المذمومة صفته وهو انه ينشاء في الحلية يتربى
في الزينة والنعمة وهو اذا احتاج الى محاجات الخصوم ومحاجات الرجال كان غير مبين
ليس عنده بيان ولا ياتى ببرهان وذلك لضعف عقولهن قال مقاتل لا تتكلم المراة الا وتاتى
بالحجة عليها وفيه انه جعل النشاءة في الزينة من المعايب فعلى الرجل ان يجتنب ذلك و
يتزين بلباس التقوى ومن منصوب المحل والمعنى او جعلوا من ينشاء في الحلية يعنى البنات
لله عز وجل ينشا حمزة وعلى وحفص اى يرى قد جمعوا في كفرهم ثلث كفرات وذلك
انهم نسبوا الى الله الولد ونسبوا اليه احسن النوعين وجعلوا من الملائكة المكرمين فاستخفوا
بهم جهلا وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا اى سموهم وقالوا انهم اناث عند
الرحمن مكى ومدنى وشامى اى عنده منزلة ومكانة لا منزله ومكان والعباد جمع عبد وهو
الزام في الحجاج مع اهل العناد لتضاد بين العبودية والولاد اشهدوا خلقهم وهذا تهكم بهم
يعنى انهم يقولون ذلك من غير ان يستند قولهم الى علم فان الله لم يضطرهم الى العلم ذلك
ولا تطرقوا اليه باستدلال ولا احاطوا به عن خبر يوجب العلم ولم يشاهدوا خلقهم حتى
يخبروا عن المشاهدة ستكتب شهادتهم التى شهدوا بها على الملائكة من انوثتهم ويسالون
عنها وهذا وعيد وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم اى ملايكة من انوثتهم ويسالون
عنها وهذا تعلقت المعتزلة بظاهر هذه الاية في ان الله تعالى لم يشاء الكفر من الكافر وانما
شاء الايمان فان الكفار ادعوا ان الله شاء منهم الكفر وما شاء منهم ترك عبادة
الاصنام حتى قالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم اى لو شاء منا ان نترك عبادة الاصنام
لمنعنا عن عبادتها ولكن شاء منا عبادة الاصنام والله تعالى رد عليهم قولهم واعتقادهم
بقوله ما لهم بذلك المقول من علم ان هم الا يخرصون اى يكذبون ومعنى الاية عندنا انهم
ارادوا بالمشية الرضاء وقالوا لو لم يرض بذلك لعجل عقوبتنا او لمنعنا عن عبادتنا منع
قهر واضطرار واذا لم يفعل ذلك فقد رضى الله منه بذلك فرد الله تعالى عليهم بقوله

مالهم بذلك من علم للاية او قالوا هذا القول استهزاء لا جدا واعتقادا فالذبهم الله فيه وجهلهم
حيث لم يقولوا عن اعتقاد كما قال خبرا عنهم انطعم من لو شاء الله اطعمه وهذا حق في الاصل
ولكن لما قالوا ذلك استهزاء كذبهم الله بقوله ان انتم الا في ضلال مبين وكذلك قال الله
تعالى قالوا نشهد انك لرسول الله ثم قال والله يشهد ان المنافقين لكاذبون لانهم لم يقولوه
عن اعتقاده او جعلوا المشية حجة لهم فيما فعلوه باختيارهم وظنوا ان الله لا يعاقبهم على
شئ فعلوا بمشية وجعلوا انفسهم معذورين في ذلك فرد الله عليهم ام اتيناهم كتابا من
قبله من قبل القران او من قبل قولهم هذا فهم به مستمسكون اخذون عاملون وقيل
تقديم وتاخير تقديره اشهدوا خلقهم ام اتيناهم كتابا فيه ان الملائكة اناث بل قالوا
بل لا حجة لهم يتمسكون بها لا من حيث العيان ولا من حيث العقل ولا من حيث السمع الا قولهم
انا وجدنا اباءنا على امة على دين فقلدناهم وهي من الام وهو القصد فالامة الطريقة التي
تؤم اي تقصد وانا على اثارهم مهتدون الظرف صلة لمهتدون او هما خبران وكذلك
ما ارسلنا من قبلك في قرية من نذير نبي الا قال مترفوها اي متنعموها وهم الذين اترفتهم
النعمة اي بطرتهم فلا يحبون الا الشهوات والملاهي ويعافون مشاق الدين وتكاليفه
انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مقتدون وهذه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم
وبيان ان تقليد الاباء داء قديم قال شامي وحفص اي النذير قل غيرهما اي قيل للنذير قل
اولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه اباءكم اي اتتبعون اباءكم ولو جئتكم بدين اهدى من
دين اباءكم قالوا انا بما ارسلتم به كافرون اي انا ثابتون على دين ابائنا وان جئتنا بما هو
اهدى فانتقمنا منهم فعاقبناهم بما استحقوه على اصرارهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين
واذ قال ابراهيم لابيه وقومه اي اذكر انني براء اي بريئ وهو مصدر يستوي فيه الواحد
والاثنان والجمع والمذكر والمؤنث كما تقول رجل عدل وامراة عدل وقوم عدل والمعنى ذو
عدل وذات عدل مما تعبدون الا الذي فطرني استثناء منقطع كانه قال لكن الذي فطرني
فانه سيهدين سيثبتني على الهداية وجعلها كلمة وجعل ابراهيم عليه السلام كلمة التوحيد
التي تكلم بها وهي قوله انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني كلمة باقية في عقبه في ذريته فلا

يزال فيهم من يوحد الله ويدعو الى توحيده لعلهم يرجعون لعل من اشرك منهم يرجع بدعاء من وحد
منهم والترجي لابراهيم بل متعت هؤلاء واباءهم يعني اهل مكة وهم من عقب ابراهيم بالمد في
العمر والنعمة فاغتروا بالمهلة وشغلوا بالتنعم واتباع الشهوات وطاعة الشهوات وطاعة
الشيطان عن كلمة التوحيد حتى جاءهم الحق اي القران ورسول محمد عليه الصلوة والسلام
مبين واضح الرسالة بما معه من الايات البينة ولما جاءهم الحق اي القران قالوا هذا سحر وانا
به كافرون وقالوا متحكمين بالباطل لولا نزل هذا القران فيه استهانة به على رجل من القريتين
عظيم اي على رجل عظيم من احد القريتين كقوله يخرج منهما اللؤلؤ من احدهما والقريتان مكة
والطائف وعنوا بعظيم مكة الوليد بن المغيرة وبعظيم الطائف عروة بن مسعود الثقفي
وارادوا بالعظيم من كان ذا مال وجاه ولم يعرفوا ان العظيم من كان عند الله عظيما اهم
يقسمون رحمة ربك اي النبوة والهمزة لانكار المستقل بالتجهيل والتعجيب من تحكمهم في اختيار
من يصلح للنبوة نحن قسمنا بينهم معيشتهم ما يعيشون به وهو ارزاقهم في الحيوة الدنيا اي
لم نجعل قسمة الادون اليهم وهو الرزق فكيف النبوة او كما فضلت البعض على البعض في
الرزق فكذا اخص بالنبوة من اشاء ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات اي جعلنا البعض
اقوياء واغنياء وموالي والبعض ضعفاء وفقراء وخدماء ليتخذ بعضهم بعضا سخريا
ليصرف بعضهم بعضا في حوائجهم ويستخدموهم في مهنهم ويسخروهم سطيع في اشغالهم حتى يتعاشوا
ويصلوا الى منافعهم هذا بماله وذا باعماله ورحمة ربك اي النبوة او دين الله وما يتبعه
من الفوز في الماب خير مما يجمعون مما يجمع هؤلاء من حطام الدنيا ولما قلل امر الدنيا وصغرها
اردفه ما يقرر قلة الدنيا عنده فقال ولولا ان يكون الناس امة واحدة ولولا كراهة ان يجتمعوا
على الكفر ويطبقوا عليه لجعلنا لحقارة الدنيا عندنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من
فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم ابوابا وسررا عليها يتكئون وزخرفا اي جعلنا
للكفار سقوفا ومصاعد ابوابا وسررا كلها من فضة وجعلنا لهم زخرفا اي زينة من كل شئ
والزخرف الذهب والزينة ويجوز ان يكون الاصل سقفا من فضة وزخرف اي بعضها من
فضة وبعضها من ذهب فنصب عطفا على محل من فضة لبيوتهم بدل اشتمال لمن يكفر سقفا

على الجنس مكي وابو عمرو ويزيد المعارج جمع معرج وهي المصاعد الى العلالي عليها يظهرون على المعارج يظهرون السطوح اي يعلونها وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا ان نافية ولما بمعنى الا اي وما كل ذلك الا متاع الحيوة الدنيا وقد قرى به وقرى لما بغير عاصم وحمزة على ان اللام هي الفارقة بين ان المخففة والنافية وما صلة اي وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا والاخرة اي ثواب الاخرة عند ربك للمتقين لمن يتقي الشرك ومن يعش وقرئ ومن يعشو والفرق بينهما انه اذا حصلت الافة في بصره قيل عشي يعشى واذا نظر نظر العشي ولا افة به قيل عشى يعشو ومعنى القراءة بالفتح ومن يعم عن ذكر الرحمن وهو القران كقوله صم بكم عمي ومعنى القراءة بالضم ومن يتعام عن ذكره اي يعرف انه الحق وهو يتجاهل كقوله وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم نقيض له شيطانا فهو له قرين قال ابن عباس رض نسلطه عليه فهو معه في الدنيا والاخرة يحمله على المعاصي وفيه اشارة الى ان من داوم عليه لم يقرنه الشيطان وانهم اي الشياطين ليصدونهم ليصرفون العاشين عن السبيل عن سبيل الهدى ويحسبون اي العاشون انهم مهتدون وانما جمع ضمير من وضمير الشيطان لان من مبهم في جنس العاشين وقد قيض له شيطان مبهم في جنسه فجاز ان يرجع الضمير اليهما مجموعا حتى اذا جاءنا على الواحد عراقي غير ابي بكر اي العاشي جاءانا غيرهم اي العاشي وقرينه قال لشيطانه يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين يريد المشرق والمغرب فغلب كما قيل العمران والقمران والمراد بعد المشرق من المغرب والمغرب من المشرق فبئس القرين انت ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم اذ صح ظلمكم اي كفركم وتبين ولم يبق لكم ولا لاحد شبهة في انكم كنتم ظالمين واذ بدل من اليوم انكم في العذاب مشتركون انكم في محل الرفع على الفاعلية اي لن ينفعكم اشتراككم في العذاب او كونكم مشتركين في العذاب كما كان عموم البلوى يطيب القلب في الدنيا كقول الخنساء ولولا كثرة الباكين حولي على اخوانهم لقتلت نفسي ولا يبكون مثل اخي ولكن اعزي النفس عنه بالتاسي اما هؤلاء فلا يؤسيهم اشتراكهم ولا يروحهم لعظم ما هم فيه وقيل الفاعل مضمر اي ولن ينفعكم هذا التمني والاعتذار لانكم في العذاب مشتركون لاشتراككم في سببه وهو الكفر ويؤيده قراءة من قرا انكم بالكسر افانت تسمع الصم اي من فقد سمع القبول او تهدي العمي اي من فقد البصائر

ومن كان في ضلال مبين ومن كان في علم الله تعالى انه يموت على الضلالة فاما دخلت ما على ان توكيدا للشرط وكذا النون الثقيلة في نذهبن بك اي نتوفينك قبل ان ننصرك عليهم ونشفي صدور المؤمنين منهم فانا منهم منتقمون اشد الانتقام في الاخرة او نرينك الذي وعدناهم قبل ان نتوفينك يعني يوم بدر فانا عليهم مقتدرون قادرون وصفهم بشدة الشكيمة في الكفر والضلال بقوله افانت تسمع الصم الاية ثم اوعدهم بعذاب الدنيا والاخرة بقوله فاما نذهبن بك الايتين فاستمسك فتمسك بالذي اوحي اليك وهو القران واعمل به انك على صراط مستقيم على الدين الذي لا عوج له وانه وان الذي اوحي اليك لذكر لك لشرف لك ولقومك ولامتك وسوف تسألون عنه يوم القيمة وعن قيامكم بحقه وعن تعظيمكم له وعن شكركم هذه النعمة واسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن الهة يعبدون ليس المراد بسؤال الرسل حقيقة السؤال ولكنه مجاز عن النظر في اديانهم والفحص عن مللهم هل جاءت عبادة الاوثان قط في ملة من ملل الانبياء عليهم السلام وكفاه نظرا وفحصا نظره في كتاب الله المعجز المصدق لما بين يديه واخبار الله فيه بانهم يعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وهذه الاية في نفسها كافية لا حاجة الى غيرها وقيل انه عليه الصلوة والسلام جمع له الانبياء ليلة الاسراء فامهم وقيل له سلهم فلم يشكك ولم يسأل وقيل معناه سل امم من ارسلنا وهم اهل الكتابين وانما يخبرونه عن كتب الرسل فاذا سالهم فكانه سال الانبياء ومعنى هذا السؤال التقرير لعبدة الاوثان انهم على الباطل وسل بلا همزة مكي وعلي وارسلنا ابو عمرو ثم سلى رسوله بقوله ولقد ارسلنا موسى باياتنا الى فرعون وملئه فقال اني رسول رب العالمين ما اجابوه به عند قوله اني رسول رب العالمين محذوف دل عليه قوله فلما جاءهم باياتنا وهو مطالبتهم اياه باحضار البينة على دعواه وابراز الاية اذا هم منها يضحكون يسخرون منها ويهزؤن بها ويسمونها سحرا واذا للمفاجاة وهو جواب فلما جاءهم باياتنا فاجاوا وقت ضحكهم وما نريهم من اية الا هي اكبر من اختها من التي كانت قبلها في نقض العادة وظاهر النظم يدل على ان اللاحقة اعظم من السابقة وليس كذلك بل المراد بهذا الكلام انهن موصوفات بالكبر لا يكدن يتفاوتن فيه وعليه كلام

الناس يقال هما اخوان كل واحد منهما اكرم من الاخر واخذناهم بالعذاب وهو
ما قال الله تعالى ولقد اخذنا ال فرعون بالسنين ونقص من الثمرات وارسلنا عليهم الطوفان
الاية لعلهم يرجعون عن الكفر الى الايمان وقالوا يا ايها الساحر كانوا يقولون للعالم
الماهر ساحر لتعظيم علم السحر يا ايه الساحر بضم الهاء بلا الف شامى ووجهه انها كانت
مفتوحة لوقوعها قبل الالف فلما سقطت لالتقاء الساكنين اتبعت حركتها ما قبلها ادع
لنا ربك بما عهد عندك بعهده عندك من ان دعوتك مستجابة او بعهده عندك وهو النبوة
او بما عهد عندك من كشف العذاب عمن اهتدى اننا لمهتدون مؤمنون به فلما كشفنا
عنهم العذاب اذا هم ينكثون ينقضون العهد بالايمان ولا يفون به ونادى فرعون
بنفسه عظماء القبط او امر مناديا كقولك قطع الامير اللص اذا امر بقطعه في قومه جعلهم
محل الندائه وموقعا له قال يا قوم اليس لي ملك مصر وهذه الانهار اى انهار النيل ومعظمها
اربعة تجرى من تحتي قصري وقيل بين يدى في جناتى والواو عاطفة للانهار
على ملك مصر تجرى نصب على الحال منها او الواو للحال واسم الاشارة مبتداء والانهار
صفة لاسم الاشارة وتجرى خبر للمبتداء وعن الرشيد انه لما قراءها قال لاولينها احسن
عبيدى فولاها الخصيب وكان خادمه على وضوءه وعن عبد الله ابن طاهر انه وليها
فخرج اليها فلما شارفها قال اهى القرية التى افتخر بها فرعون حتى قال اليس لى ملك مصر
والله لهى اقل عندى من ان ادخلها فثنى عنانه افلا تبصرون قوتى وضعف موسى وغناى
وفقره ام انا خير ام منقطعة بمعنى بل والهمزة كانه قال اثبت عندكم واستقر انى انا خير
وهذه حالى من هذا الذى هو مهين ضعيف حقير ولا يكاد يبين الكلام لما به من الرتة
فلولا فهلا القى عليه اسورة حفص ويعقوب وسهل جمع سوار غيرهم اساورة جمع
اسوارة وهو السوار فحذف الياء من اساوير وعوض منه التاء من ذهب اراد بالقاء
الاسورة عليه القاء مقاليد الملك اليه لانهم كانوا اذا ارادوا تسويد الرجل سوروه بسوار
وطوقوه بطوق من ذهب او جاء معه الملائكة مقترنين يمشون معه يقترن بعضهم ببعضهم
ليكونوا اعضاده وانصاره فاستخف قومه استفزهم بالقول واستنزلهم وعمل فيهم كلامه

وقيل

وقيل طلب منهم الخفة في الطاعة وهى الاسراع اليها فاطاعوه انهم كانوا قوما فاسقين خارجين
عن دين الله تعالى فلما اسفونا انتقمنا منهم فاغرقناهم اجمعين اسف منقول من اسف اسفا اذا
اشتد غضبه ومعناه انهم افرطوا في المعاصى فاستوجبوا ان نعجل لهم عذابنا وانتقامنا وان لا
نحلم عنهم فجعلناهم سلفا جمع سالف كخادم وخدم سلفا حمزة وعلى جمع سليف اى فريق
قد سلف ومثلا وحديثا عجيب الشان سائر المثل يضرب بهم الامثال ويقال مثلكم مثل قوم
فرعون للاخرين لمن يجى بعدهم ومعناه فجعلناهم قدوة للاخرين من الكفار يقتدون
بهم في استحقاق مثل عقابهم ونزوله بهم لاتيانهم بمثل افعالهم ومثلا يحدثون به ولما ضرب
ابن مريم مثلا لما قراء رسول الله صلى الله عليه وسلم على قريش انكم وما تعبدون من دون الله
حصب جهنم غضبوا فقال ابن الزبعرى يا محمد اخاصة لنا ولالهتنا ام لجميع الامم فقال عليه الصلوة
والسلام هو لكم ولالهتكم ولجميع الامم فقال الست تزعم ان عيسى ابن مريم نبى وتثنى عليه
خيرا وعلى امه وقد علمت ان النصارى يعبدونهما وعزير يعبد والملائكة يعبدون فان كان
هولاء في النار فقد رضينا ان نكون نحن والهتنا معهم ففرحوا وضحكوا وسكت النبى عليه الصلوة
والسلام فانزل الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الاية ونزلت هذه الاية والمعنى ولما
ضرب ابن الزبعرى عيسى ابن مريم مثلا لالهتهم وجادل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعبادة
النصارى اياه اذا قومك قريش منه من هذا المثل يصدون يرتفع لهم جلبة وضجيج فرحا
وضحكا بما سمعوا منه من اسكات رسول الله صلى الله عليه وسلم بجدله يصدون مدنى وشامى
وعلى والاعشى من الصدود اى من اجل هذا المثل يصدون عن الحق ويعرضون عنه وقيل
من الصديد وهو الجلبة وانهما لغتان نحو يعكف ويعكف وقالوا ءالهتنا خير ام هو
يعنون ان الهتنا عندك ليست بخير من عيسى فاذا كان عيسى من حصب النار كان امر الهتنا
هينا ما ضربوه اى ما ضربوا هذا المثل لك الا جدلا الا لاجل الجدل والغلبة في القول لا لطلب
التميز بين الحق والباطل بل هم قوم خصمون لد شداد الخصومة دابهم اللجاج وذلك ان قوله
انكم وما تعبدون لم يرد به الا الاصنام لان ما لغير العقلاء الا ان ابن الزبعرى بخداعه لما
راى كلام الله محتملا لفظا وجه العموم مع علمه بان المراد به اصنامهم لا غير وجد للحيلة مساغا

فصرف اللفظ الى الشمول والاحاطة بكل معبود غير الله على طريقة اللجاج والجدال وحب المغالبة
والمكابرة وتوقح فى ذلك فتوقر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اجاب عنه ربه ان هو ما
عيسى الا عبد كسائر العبيد انعمنا عليه بالنبوة وجعلناه مثلا لبنى اسرائيل وصيرناه عبرة
عجيبة كالمثل السائر لبنى اسرائيل ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة اى بدلا منكم كذا قال الزجاج
وقال جامع العلوم لجعلنا بدلكم ومن بمعنى البدل فى الارض يخلفون يخلفونكم فى الارض او
يخلف الملائكة بعضهم بعضا وقيل ولو نشاء بقدرتنا على عجائب الامور لجعلنا منكم لولدنا
منكم يا رجال ملائكة يخلفونكم فى الارض كما يخلفكم اولادكم كما ولدنا عيسى من انثى من غير فحل لتعرفوا
تميزنا بالقدرة الباهرة ولتعلموا ان الملائكة اجسام لا تتولد الا من اجسام والقديم متعال عن ذلك
وانه لعلم للساعة وان عيسى مما يعلم به مجئ الساعة فلا تمترن بها فلا تشكن فيها من المرية وهو
الشك واتبعون وبالياء فيهما سهل ويعقوب اى واتبعون هداى وشرعى او رسولى او هو
امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقوله هذا صراط مستقيم اى هذا الذى ادعوكم اليه ولا يصدنكم
الشيطان عن الايمان بالساعة او عن الاتباع انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة اذ اخرج اباكم من
الجنة ونزع عنه لباس النور ولما جاء عيسى بالبينات بالمعجزات او بآيات الانجيل والشرائع
البينات الواضحات قال قد جئتكم بالحكمة بالانجيل والشرائع ولابين لكم بعض الذى تختلفون
فيه وهو امر الدين لا امر الدنيا فاتقوا الله واطيعون ان الله هو ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط
مستقيم هذا تمام كلام عيسى عليه السلام فاختلف الاحزاب الفرق المتحزبة بعد عيسى وهو اليعقوبية
والنسطورية والملكانية والشمعونية من بينهم النصارى فويل للذين ظلموا حيث قالوا فى عيسى
ما كفروا به من عذاب يوم اليم وهو يوم القيمة هل ينظرون الا الساعة الضمير لقوم عيسى
عليه السلام او للكفار ان تاتيهم بدل من الساعة اى هل ينظرون الا اتيان الساعة بغتة وهم
لا يشعرون اى وهم غافلون لاشتغالهم بامور دنياهم كقوله تاخذهم وهم يخصمون الاخلاء
جمع خليل يومئذ يوم القيمة بعضهم لبعض عدو الا المتقين اى المؤمنين وانتصاب يومئذ
بعدو اى تنقطع فى ذلك اليوم كل خلة بين المتخالين فى غير ذات الله وتنقلب عداوة ومقتا
الا خلة المتصادقين فى الله تعالى فانها الخلة الباقية يا عباد بالياء فى الوصل والوقف مدنى وشامى

وابو عمرو وبفتح الياء ابو بكر والباقون بحذف الياء لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون هو حكاية
لما ينادى به المتقون المتحابون فى الله تعالى يومئذ الذين منصوب المحل صفة لعبادى لانه
منادى مضاف امنوا بآياتنا صدقوا بآياتنا وكانوا مسلمين لله منقادين له ادخلوا الجنة انتم
وازواجكم المؤمنات فى الدنيا تحبرون تسرون سرورا يظهر حباره اى اثره على وجوهكم يطاف
عليهم بصحاف جمع صحيفة من ذهب واكواب اى من ذهب ايضا والكوب الكوز لا عروة له
وفيها اى فى الجنة ما تشتهيه الانفس مدنى وشامى وحفص باثبات الهاء العائدة الى الموصول
وحذفها غيرهم لطول الموصول بالفعل والفاعل والمفعول وتلذ الاعين وهذا حصر لانواع
النعم لانها اما مشتهاة فى القلوب او مستلذة فى العيون وانتم فيها خالدون وتلك الجنة
التى اورثتموها بما كنتم تعملون تلك اشارة الى الجنة المذكورة وهى مبتدأ والجنة خبره
التى اورثتموها صفة الجنة او الجنة صفة للمبتدأ الذى هو اسم الاشارة والتى اورثتموها
خبر المبتدأ او التى اورثتموها صفة وبما كنتم تعملون الخبر والباء يتعلق بمحذوف اى
حاصلة او كائنة كما فى الظروف التى تقع اخبارا وفى الوجه الاول يتعلق باورثتموها وشبهت
فى بقائها على اهلها بالميراث الباقى على الورثة لكم فيها فاكهة كثيرة منها تاكلون من للتبعيض
اى لا تاكلون الا بعضها واعقابها باقية فى شجرها فهى مزينة بالثمار ابدا وفى الحديث لا ينزع رجل
فى الجنة من ثمرها الا نبت كانها مثلاها ان المجرمين فى عذاب جهنم خالدون خبر بعد خبر لا
يفتر عنهم خبر اخر لا يخفف ولا ينقص وهم فيه فى العذاب مبلسون ايسون من الفرج
متحيرون وما ظلمناهم بالعذاب ولكن كانوا هم الظالمين هم فصل ونادوا يا مالك لما ايسوا
من فتور العذاب نادوا يا مالك وهو خازن النار وقيل لابن عباس رضى الله عنه ان ابن
مسعود رض قرأ يا مال فقال ما اشغل اهل النار عن الترخيم ليقض علينا ربك ليمتنا من
قضى عليه اذا اماته فوكزه موسى فقضى عليه والمعنى سل ربك ان يقضى علينا قال انكم ماكثون
فى العذاب لا تتخلصون عنه بموت ولا فتور لقد جئناكم بالحق كلام الله تعالى ويجب ان يكون
فى قال ضمير الله لما سألوا مالكا ان يسأل الله القضاء عليهم اجابهم الله بذلك وقيل هو متصل
بكلام مالك والمراد بقوله جئناكم الملائكة اذ هم رسل الله وهو منهم ولكن اكثركم للحق كارهون

لا يقبلونه وينفرون منه لان منع الباطل الدعة ومع الحق التعب ام ابرموا امرا ام احكم مشركوا
مكة امرا من كيدهم ومكرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم فانا مبرمون كيدنا كما ابرموا كيدهم وكانوا
يتنادون فيتناجون في امر رسول الله في دار الندوة ام يحسبون انا لا نسمع سرهم حديث
انفسهم ونجويهم ما يتحدثون فيما بينهم ويخفونه من غيرهم بلى نسمعهما ونطلع عليهما ورسلنا
الحفظة لديهم يكتبون عندهم يكتبون ذلك وعن يحيى ابن معاذ رضي الله عنه من ستر من الناس
ذنوبه وابداها لمن لا يخفى عليه خافيه فقد جعله اهون الناظرين اليه وهو من امارات
النفاق قل ان كان للرحمن ولد وصح ذلك ببرهان فانا اول العابدين فانا اول من يعظم ذلك
الولد واسبقكم الى طاعته والانقياد له كما يعظم الرجل ولد الملك لتعظيم ابيه وهذا الكلام
وارد على سبيل الفرض والمراد نفي الولد وذلك انه علق العبادة بكينونة الولد وهي محال في
نفسها فكان المعلق بها محالا مثلها ونظيره قول سعيد بن جبير للحجاج حين قال له والله
لابدلنك بالدنيا نارا تلظى لو عرفت ان ذلك اليك ما عبدت الها غيرك وقيل ان كان للرحمن
ولد في زعمكم فانا اول العابدين اي الموحدين لله المكذبين قولكم باضافة الولد اليه وقيل
ان كان للرحمن ولد في زعمكم فانا اول الانفين من ان يكون له ولد من عبد يعبد اذا اشتد انفته
فهو عبد وعابد وقرئ عبدين وقيل هي بمعنى ان النافية اي ما كان للرحمن ولد فانا اول من
قال بذلك وعبد ووحده وروي ان النضر قال ان الملائكة بنات الله فنزلت فقال النضر الا
ترون انه قد صدقني فقال له الوليد ما صدقكم ولكن قال ما كان للرحمن ولد فانا اول الموحدين
من اهل مكة ان لا ولد له ولد حمزة وعلي ثم نزه ذاته عن اتخاذ الولد فقال سبحان رب السموات
والارض رب العرش عما يصفون اي هو رب السموات والارض والعرش فلا يكون جسما
اذ لو كان جسما لم يقدر على خلقها واذا لم يكن جسما لا يكون له ولد لان التوالد من صفة الاجسام
فذرهم يخوضوا في باطلهم ويلعبوا في دنياهم حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون اي القيمة
وهذا دليل على ان ما يقولونه من باب الجهل والخوض واللعب وهو الذي في السماء اله وفي
الارض اله ضمن اسمه تعالى معنى وصف فلذلك علق به الظرف في قوله في السماء وفي الارض
كما تقول هو حاتم في طي وحاتم في تغلب على تضمين معنى الجواد الذي شهر به كانك قلت هو جواد

في طي جواد في تغلب وقرئ وهو الذي في السماء الله وفي الارض الله ومثل قوله وهو الله في السموات
وفي الارض كانه ضمن معنى المعبود الراجع الى الموصول محذوف لطول الكلام كقولهم ما انا بالذي
قائل لك شيئا والتقدير وهو الذي هو في السماء اله فاله يرتفع على انه خبر مبتدا مضمر ولا
يرتفع اله بالابتداء وخبره في السماء لخلو الصلة حينئذ من عائد يعود الى الموصول وهو الحكيم
في افعاله واقواله العليم بما كان ويكون وتبارك الذي له ملك السموات والارض وما بينهما
وعنده علم الساعة اي علم قيامها واليه ترجعون يرجعون مكي وحمزة وعلي ولا يملك الهتهم
الذين يدعون اي يدعونهم من دونه من دون الله الشفاعة كما زعموا انهم شفعاؤهم عند الله
الا من شهد بالحق بكلمة التوحيد وهم يعلمون ان الله ربهم حقا ويعتقدون ذلك هو
الذي يملك الشفاعة وهو استثناء منقطع او متصل لان في جملة الذين يدعون من دون الله
الملائكة فانى يؤفكون فكيف او من اين يصرفون عن التوحيد مع هذا الاقرار وقيله بالجر
عاصم وحمزة اي وعنده علم الساعة وعلم قيله يا رب والهاء يعود الى محمد عليه الصلوة والسلام
لتقدم ذكره في قوله قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين وبالنصب الباقون عطفا على محل
الساعة اي يعلم الساعة ويعلم قيله اي قيل محمد يا رب والقيل والقول والقال واحد
ويجوز ان يكون الجر والنصب على اضمار حرف القسم وحذفه وجواب القسم ان هؤلاء قوم
لا يؤمنون كانه قيل واقسم بقيله يا رب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون واقسام الله بقيله رفع
منه وتعظيم لدعائه والتجائه اليه فاصفح عنهم واعرض عن دعوتهم يائسا عن ايمانهم وودعهم
وتاركهم وقل لهم سلام اي تسلم منكم ومتاركة فسوف يعلمون وعيد من الله لهم وتسلية
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبالتاء مدني وشامي

سورة الدخان تسع وخمسون اية

بسم الله الرحمن الرحيم في الخبر من قرأها في ليلة جمعة اصبح
مغفورا له حم والكتاب المبين اي القران الواو في والكتاب واو القسم ان جعلت حم تعديدا
للحروف او اسما للسورة مرفوعا على خبر الابتداء محذوف وواو العطف ان كانت حم مقسما بها
وجواب القسم انا انزلناه في ليلة مباركة اي ليلة القدر او ليلة النصف من شعبان وقيل بينها
وبين ليلة القدر اثنان واربعون ليلة وقيل بينها وبين ليلة القدر اربعون ليلة والجمهور على

ولئن سألتهم اى المشركين من خلقهم
ليقولن الله لا الاصنام والملائكة

لاول لقوله انا انزلناه فى ليلة القدر وقوله شهر رمضان الذى انزل فيه القران وليلة القدر فى اكثر
الاقاويل فى شهر رمضان ثم قيل انزله جملة من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا ثم نزل به جبرئيل
وقت وقوع الحاجة الى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقيل ابتداء نزوله فى ليلة القدر والمباركة الكثيرة
الخير لما ينزل فيها من الخير والبركة ويتجاب من الدعاء ولو لم يوجد فيها الا انزال القران وحده
ولكفى به بركة انا كنا منذرين فيها يفرق كل امر هاجلتان مستانفتان ملعوفتان فسرلهما
جواب القسم كانه قيل انا انزلناه لان من شاننا الانذار والتحذير من العقاب وكانه انزلناه
اما فى هذه الليلة خصوصا لان انزال القران من الامور الحكمية وهذه الليلة مفرق كل امر حكيم
ومعنى يفرق يفصل ويكتب كل امر من ارزاق العباد وآجالهم وجميع امرهم من هذه الليلة
الى ليلة القدر التى تجئ فى السنة المستقبلة حكيم ذى حكمة اى مفعول على ما تقتضيه الحكمة وهو
من الاسناد المجازى لان الحكيم صفة صاحب الامر على الحقيقة ووصف الامر به مجاز امرا من
عندنا نصب على الاختصاص جعل كل امر جزلا فخما بان وصفه بالحكيم ثم زاده جزالة وفخامة
بان قال اعنى بهذا الامر امرا حاصلا من عندنا كما اقتضاه علمنا وتدبيرنا انا كنا مرسلين بدل من
انا كنا منذرين رحمة من ربك مفعول له على معنى انا انزلنا القران لان من شاننا ارسال
الرسل بالكتب الى عبادنا لاجل الرحمة عليهم او تعليل لقوله امرا من عندنا او رحمة مفعول به و
قد وصف الرحمة بالارسال كما وصفها به فى قوله وما يمسك لها فلا مرسل له من بعده والاصل
انا كنا مرسلين رحمة منا فوضع الظاهر موضع الضمير ايذانا بان الربوبية تقتضى الرحمة على
المربوبين انه هو السميع لاقوالهم العليم باحوالهم رب كوفيدل من ربك وغيرهم بالرفع
اى هو رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين ومعنى الشرط انهم كانوا يقرون بان
للسموات والارض ربا وخالقا فقيل لهم ان ارسال الرسل وانزال الكتب رحمة من الرب
ثم قيل ان هذا الرب هو السميع العليم الذى انتم مقرون به ومعترفون بان رب السموات و
الارض وما بينهما ان كان اقراركم عن علم وايقان كما تقول ان هذا انعام زيد الذى تسامع
الناس بكرمه ان بلغك حديثه وحدثت بقصته لا اله الا هو يحيى ويميت ربكم اى هو ربكم
ورب ابائكم الاولين عطف عليه ثم رد ان يكونوا موقنين بلهم فى شك يلعبون وان اقرارهم

غير صادر عن علم ويقين بل قول مخلوط بهزء ولعب ومفعول فارتقب فانتظر يوم تاتى السماء
بدخان مبين ياتى من السماء قبل يوم القيمة تدخل فى اسماع الكفرة حتى يكون الواحد كراس الحنيذ
ويعترى المؤمن منه كهيئة الزكام وتكون الارض كلها كبيت اوقد فيه عارض ليس خصايص وقيل
ان قريشا لما استعصت على رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال اللهم اشدد وطاتك على مضر
واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف فاتهم الجهد حتى اكلوا الجيف والعلهز وكان الرجل يرى بين
السماء والارض الدخان وكان يحدث الرجل فيسمع كلامه ولا يراه من الدخان مبين ظاهر حاله
لا يشك احد فيه انه دخان يغشى الناس يشملهم ويلبسهم وهو فى محل الجر صفة للدخان هذا
عذاب اليم ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون اى سنؤمن ان يكشف عنا العذاب منصوب
المحل بفعل مضمر وهو يقولون ويقولون منصوب المحل على الحال اى قائلين ذلك انى لهم الذكرى
كيف يتذكرون ويتعظون ويفون بما وعدوه من الايمان عند كشف وقد جاءهم رسول مبين
ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون اى وقد جاءهم ما هو اعظم وادخل فى وجوب الادكار من
كشف الدخان وهو ما ظهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الايات والبينات من الكتاب
المعجز وغيره فلم يذكروا وتولوا عنه وبهتوه بان عداسا غلاما اعجميا لبعض ثقيف هو
الذى علمه ونسبوه الى الجنون انا كاشفوا العذاب قليلا زمانا قليلا او كشفا قليلا انكم عائدون
الى الكفر الذى كنتم فيه او الى العذاب يوم نبطش البطشة الكبرى اى يوم القيمة او يوم بدر
انا منتقمون اى ننتقم منهم فى ذلك اليوم وانتصاب يوم نبطش باذكر او بما دل عليه انا
منتقمون وهو ننتقم لا بمنتقمون لان ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها ولقد فتنا قبلهم قبل
هؤلاء المشركين اى فعلنا بهم فعل المختبر ليظهر منهم ما كان باطنا قوم فرعون وجاءهم رسول
كريم على الله وعلى عبادة المؤمنين او كريم فى نفسه حسيب نسيب لان الله تعالى لم يبعث نبيا
الا من سراة قومه وكرامهم ان ادوا الى هى ان المفسرة لان مجيئ الرسول من بعث اليهم متضمن
لمعنى القول لانه لا يجيئهم الا مبشرا ونذيرا وداعيا الى الله او المخففة من المثقلة ومعناه وجاءهم
بان الشان والحديث ادوا الى سلموا الى عباد الله هو مفعول به وهم بنو اسرائيل يقول ادوهم الى
وارسلوهم معى كقوله فارسل معنا بنى اسرائيل ولا تعذبهم ويجوز ان يكون نداء لهم على ادوا

الى عباد الله ما هو واجب لى عليكم من الايمان فى فيقول دعوتى واتباع هداى وعلل ذلك بقوله
انى لكم رسول امين على رسالتى غير ظنين وان لا تعلوا على الله ان هذه مثل الاولى فى وجهيها
اى لا تستكبروا على الله بالاستهانة برسوله ووحيه او لا تستكبروا على نبى الله انى اتيكم بسلطان
مبين بحجة واضحة تدل انى نبى الله وانى عذت ادغم ابو عمرو وحمزة وعلى بربى وربكم ان
ترجمون ان تقتلون رجما ومعناه انه عائذ بربه متكل على انه يعصمه منهم ومن كيدهم فهو
غير مبال بما كانوا يتوعدونه من الرجم والقتل وان لم تؤمنوا لى فاعتزلون اى وان لم تؤمنوا
لى فلا موالاة بينى وبين من لا يؤمن فتنحوا عنى وخلوا لى كفافا لا لى ولا على ولا تتعرضوا لى
بشركم واذاكم فليس جزاء من دعاكم الى ما فيه فلاحكم ذلك ترجمون فاعتزلونى فى الحالين
يعقوب فدعا ربه شاكيا من قومه ان هؤلاء قوم مجرمون بان هؤلاء اى دعا ربه بذلك
قيل كان دعاءه اللهم عجل لهم ما يستحقونه باجرامهم وقيل هو قوله ربنا لا تجعلنا فتنة
للقوم الظالمين وقرئ ان هؤلاء بالكسرة على اضمار القول اى فدعا ربه فقال ان هؤلاء
فاسر من اسرى فاسر بالوصل حجازى من سرى والقول مضمر بعد الفاء اى فقال اسر بعبادى اى
بنى اسرائيل ليلا انكم متبعون اى دبر الله ان تتقدموا ويتبعكم فرعون وجنوده فينجى المتقدمين
ويغرق التابعين واترك البحر رهوا ساكنا اراد موسى عليه السلام لما جاوز البحر ان يضربه
بعصاه فينطبق فامر بان يتركه ساكنا على هيئته قارا على حاله من انتصاب الماء وكون سبيا
لا يضربه بعصاه ولا يغير منه شيئا ليدخله القبط فاذا حصلوا فيه اطبقه الله عليهم وقيل الرهو
الفجوة الواسعة اى اتركه مفتوحا على حاله منفرجا انهم جند مغرقون بعد خروجكم من البحر وقرئ
بالفتح اى لانهم كم عبارة عن الكثرة منصوب بقوله تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم
هو ما كان لهم من المنازل الحسنة وقيل المنابر ونعمة تنعم كانوا فيها فاكهين متنعمين كذلك اى الامر
كذلك فالكاف فى موضع الرفع على انه خبر مبتدا مضمر واورثناها قوما اخرين ليسوا منهم فى شيء
من قرابة ولا دين ولا ولاء وهم بنو اسرائيل فما بكت عليهم السماء والارض لانهم ماتوا كفارا والمؤمن
اذا مات بكى عليه السماء والارض فيبكى من الارض على المؤمن مصلاه ومن السماء مصعد عمله وعن
الحسن رح اهل السماء واهل الارض وما كانوا منظرين اى لم ينظروا الى وقت آخر ولم يمهلوا ولقد

نجينا بنى اسرائيل من العذاب المهين اى الاستخدام والاستعباد وقتل الاولاد من فرعون بدل
من العذاب المهين باعادة الجار كانه فى نفسه كان عذابا مهينا لافراطه فى تعذيبهم واهانتهم
او خبر مبتداء محذوف اى ذلك من فرعون انه كان عاليا متكبرا من المسرفين خبر ثان اى كان
متكبرا مسرفا ولقد اخترناهم اى بنى اسرائيل على علم حال من ضمير الفاعل اى عالمين بمكان الخيرة
بانهم احقاء بان يختاروا على العالمين على عالمى زمانهم واتيناهم من الايات كفلق البحر وتظليل
الغمام وانزال المن والسلوى وغير ذلك ما فيه بلاء مبين نعمة ظاهرة واختبار ظاهر لينظر كيف
يعملون ان هؤلاء يعنى كفار قريش ليقولون ان هى الا موتتنا الاولى ولا اشكال ان الكلام
وقع فى الحيوة الثانية لا فى الموت فهلا قيل ان هى الا حيوتنا الدنيا وما معنى ذكر الاولى كانهم
وعدوا موتة اخرى حتى جحدوها واثبتوا الاولى والجواب انه قيل لهم انكم تموتون موتة تعقبها
حيوة تقدمتكم موتة قد تعقبتها حيوة وذلك قوله تعالى وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم
ثم يحييكم فقالوا ان هى الا حيوتنا الاولى يريدون ما الموتة التى من شانها ان يتعقبها حيوة
الا الموتة الاولى فلا فرق اذا بين هذا وبين قوله الا حيوتنا فى المعنى ويحتمل ان يكون هذا انكارا لما
فى قوله ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين وما نحن بمنشرين بمبعوثين يقال نشر الله الموتى
ونشرهم اذا بعثهم فاتوا بابائنا خطاب للذين كانوا يعدونهم النشور من رسول الله والمؤمنين
ان كنتم صادقين اى ان صدقتم فيما تقولون فعجلوا لنا احياء من مات من ابائنا بسؤالكم ربكم
ذلك حتى يكون دليلا على ان ما تعدونه من قيام الساعة وبعث الموتى حق اهم خير فى القوة
والمنعة ام قوم تبع هو تبع الحميرى كان مؤمنا وقومه كافرين وقيل كان نبيا وفى الحديث
ما ادرى كان تبع نبيا او غير نبى والذين من قبلهم مرفوع بالعطف على قوم تبع اهلكناهم انهم
كانوا مجرمين كافرين منكرين للبعث وما خلقنا السموات والارض وما بينهما وما بين الجنسين
لاعبين حال ولو لم يكن بعث ولا حساب ولا ثواب كان خلق الخلق للفناء خاصة فيكون لعبا
ما خلقناهما الا بالحق بالجد ضد اللعب ولكن اكثرهم لا يعلمون انه خلق لذلك ان يوم الفصل بين
المحق والمبطل وهو يوم القيمة ميقاتهم اجمعين لا وقت موعدهم كلهم يوم لا يغنى مولى عن مولى
شيئا اى ولى عن ولى اى شيئا من اغناء اى قليلا منه ولا هم ينصرون الضمير للموتى لانهم فى المعنى

كثير لتناول اللفظ على الابهام والشياع كل مولى الا من رحم الله في محل الرفع على البدل من الواو في
ينصرون اي لا يمنع من العذاب الا من رحمه الله انه هو العزيز الغالب على اعدائه الرحيم لاوليائه
ان شجرة الزقوم هي على صورة شجرة الدنيا لكنها من النار والزقوم ثمرها وهو كل طعام ثقيل
طعام الاثيم هو الفاجر الكثير الاثام وعن ابي الدرداء انه كان يقرئ رجلا فكان يقول
طعام اليتيم فقال قل طعام الفاجر يا هذا وبهذا يستدل على ان ابدال الكلمة مكان كلمة جائزة
اذا كانت مؤدية معناها ومنه اجاز ابو حنيفة رح القراءة بالفارسية بشرط ان يؤدي القارئ
المعاني على كمالها من غير ان يخرم منها شيئا قالوا وهذه الشريطة تشهد انها اجازة كلا اجازة
لان في كلام العرب خصوصا في القران الذي هو معجز بفصاحته وغرابة نظمه واساليبه من لطائف
المعاني والدقائق ما لا يستقل باداية لسان من فارسية وغيرها ويروى رجوعه الى قولهما
وعليه الاعتماد كالمهل هو دردي الزيت والكاف رفع خبر بعد خبر يغلي في البطون وبالياء
مكي وحفص وبالتاء للشجرة والياء للطعام كغلي الحميم اي الماء الحار الذي انتهى غليانه ومعناه
غليا كغلي الحميم فالكاف منصوب المحل ثم يقال للزبانية خذوه اي الاثيم فاعتلوه فقودوه
بعنف وغلظة فاعتلوه مكي ونافع وشامي وسهل ويعقوب الى سواء الجحيم اي وسطها و
معظمها ثم صبوا فوق راسه من عذاب الحميم المصبوب هو الحميم لا عذابه الا انه اذا صب عليه
الحميم فقد صب عليه عذابه وشدته وصب العذاب استعارة ويقال له ذق انك انت العزيز
الكريم على سبيل الهزء والتهكم انك لانك على ان هذا العذاب او هذا الامر ما كنتم به تمترون
اي تشكون ان المتقين في مقام بالفتح وهو موضع القيام والمراد المكان وهو من الخاص الذي
وقع مستعملا في معنى العموم وبالضم مدني وشامي وهو في موضع الاقامة امين من امن الرجل
امانة فهو امين ضد الخائن فوصف به المكان استعارة لان المكان المخيف كانما يخاف صاحبه
مما يلقى فيه من المكاره في جنات وعيون بدل من مقام امين يلبسون من سندس ما رق من
الديباج واستبرق ما غلظ منه وهو تعريب استبره اللفظ اذا عرب خرج من ان يكون عجميا
لان معنى التعريب ان يجعل عربيا بالتصرف فيه بتغييره عن منهاجه واجرائه على اوجه الاعراب
فساغ ان يقع في القران العربي متقابلين في مجالسهم وهو اتم للانس كذلك الكاف مرفوعة اي

الامر كذلك وزوجناهم وقرناهم ولهذا عدي بالباء بحور جمع حوراء وهي الشديدة سواد العين
والشديدة بياضها عين جمع عيناء وهي الواسعة العين يدعون فيها يطلبون في الجنة بكل فاكهة
امنين من الزوال والانقطاع وتولد الضرر من الاكثار لا يذوقون فيها اي في الجنة الموت البتة
الا الموتة الاولى اي سوى موتة الاولى التي ذاقوها في الدنيا وقيل لكن الموتة قد ذاقوها في الدنيا
ووقيهم عذاب الجحيم فضلا من ربك اي للفضل فهو مفعول له او هو مصدر مؤكد لما قبله
لان قوله ووقيهم عذاب الجحيم تفضل منه لان العبد لا يستحق على الله شيئا ذلك اي صرف
العذاب ودخول الجنة هو الفوز العظيم فانما يسرناه اي الكتاب وقد جرى ذكره في
اول السورة بلسانك لعلهم يتذكرون يتعظون فارتقب فانتظر ما يحل بهم انهم مرتقبون
منتظرون ما يحل بك من الدوائر سورة الجاثية مكية وهي سبع وثلثون اية

بسم الله الرحمن الرحيم حم ان جعلتها اسما للسورة فهو
مرفوع عنه بالابتداء والخبر تنزيل الكتاب من الله صلة للتنزيل وان جعلتها تعديدا للحروف
كان تنزيل الكتاب مبتداء والظرف خبر العزيز في انتقامه الحكيم في تدبيره ان في السموات
والارض لايات لدلالات على وحدانيته ويجوز ان يكون المعنى ان في خلق السموات والارض
لايات للمؤمنين دليله قوله وفي خلقكم ويعطف وما يبث من دابة على الخلق المضاف لان
المضاف اليه ضمير مجرور متصل يقبح العطف عليه ايات حمزة وعلي بالنصب وغيرهما بالرفع
مثل قولك ان زيدا في الدار وعمرا في السوق او وعمرو في السوق لقوم يوقنون واختلاف الليل
والنهار وما انزل الله من السماء من رزق اي مطر وسمي به لانه سبب الرزق فاحيا به الارض
بعد موتها وتصريف الرياح الريح حمزة وعلي ايات لقوم يعقلون بالنصب علي وحمزة وغيرهما
بالرفع وهذا من العطف على عاملين سواء نصبت او رفعت فالعاملان اذا نصبت ان وفي
اقيمت الواو مقامهما فعملت الجر في واختلاف الليل والنهار والنصب في ايات واذا رفعت
فالعاملان الابتداء وفي عملت الواو الرفع في ايات والجر في اختلاف وهذا مذهب الاخفش
لانه يجوز العطف على عاملين مختلفين واما سيبويه فانه لا يجيزه وتخريج الاية عنده ان يكون
اضمار في والذي حسنه تقدم في في الايتين قبل هذه الاية ويؤيده قراءة ابن مسعود رض وفي اختلاف

الليل والنهار ويجوز ان ينتصب آيات على الاختصاص بعد انقضاء المجرور معطوفا على ما قبله
او على التكرير توكيدا لآيات الاولى كانه قيل آيات آيات ورفعها باضمار هي والمعنى في تقديم الايمان
على الايقان وتوسيطه وتاخيره لان المنصفين من العباد اذا نظروا في السموات والارض
نظرا صحيحا علموا انها مصنوعة وانه لا بد لها من صانع فامنوا بالله فاذا نظروا في خلق انفسهم
وتنقلها من حال الى حال وفي خلق ما ظهر على الارض من صنوف الحيوان ازدادوا ايمانا وايقنوا
فاذا نظروا في سائر الحوادث التي تتجدد في كل وقت كاختلاف الليل والنهار ونزول الامطار
وحيوة الارض بها بعد موتها وتصريف الرياح جنوبا وشمالا وقبولا ودبورا عقلوا واستحكم
علمهم وخلص يقينهم تلك اشارة الى الآيات المتقدمة اي تلك الآيات آيات الله وقوله
نتلوها في محل الحال اي متلوة عليك بالحق والعامل ما دل عليه تلك من معنى الاشارة فباي
حديث بعد الله واياته اي بعد آيات الله كقولهم اعجبني زيد وكرمه يريدون اعجبني كرم
زيد يؤمنون حجازي وابو عمرو وسهل وحفص وبالتاء غيرهم على تقدير قل يا محمد ويل لكل
افاك كذاب اثيم مبالغ في اقتراف الآثام يسمع آيات الله في موضع جر صفة تتلى عليه حال
من آيات الله ثم يصر يقبل على كفره ويقيم عليه مستكبرا عن الايمان والاذعان لما تنطق به من الحق
من يريها الها معجبا بما عنده وقيل نزلت في نضر بن الحارث وما كان يشتري من احاديث العجم
ويشغل بها الناس عن استماع القرآن والآية عامة في كل من كان مضارا لدين الله وجيء
بثم لان الاصرار على الضلالة والاستكبار عن الايمان عند سماع آيات القرآن مستبعد في
العقول كان لم يسمعها كان مخففة والاصل كانه لم يسمعها والضمير ضمير الشان ومحل الجملة النصب
على الحال اي يصر مثل غير السامع فبشره بعذاب اليم فاخبره خبرا يظهر اثره على البشرة واذا
علم من آياتنا شيئا واذا بلغه شيء من آياتنا وعلم انه منها اتخذها الآيات هزوا ولم يقل اتخذه
للاشعار بانه اذا احس بشيء من الكلام انه من جملة الآيات خاض في الاستهزاء بجميع الآيات
ولم يقتصر على الاستهزاء بما بلغه ويجوز ان يرجع الضمير الى شيء لانه في معنى الآية كقول ابي العتاهية
نفسي بشيء من الدنيا معلقة الله والقائم المهدي يكفيها حيث اراد عتبة اولئك اشارة الى
كل افاك اثيم لشموله الافاكين لهم عذاب مهين مخز من ورائهم من قدامهم الوراء اسم للجهة

التي يواريها الشخص من خلف او قدام جهنم ولا يغني عنهم ما كسبوا من الاموال شيئا من عذاب الله
ولا ما اتخذوا ما فيهما مصدرية او موصولة من دون الله من الاوثان اولياء ولهم عذاب عظيم
في جهنم هذا هدى اشارة الى القرآن يدل عليه والذين كفروا بآيات ربهم لان آيات ربهم هي القرآن
اي هذا القرآن كامل في الهداية كما تقول زيد رجل اي كامل في الرجولية لهم عذاب من رجز هو
اشد العذاب اليم بالرفع مكي ويعقوب وحفص صفة العذاب وغيرهم بالجر صفة لرجز الله الذي
سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بامره باذنه ولتبتغوا من فضله بالتجارة او بالغوص على اللؤلؤ
والمرجان واستخراج اللحم الطري ولعلكم تشكرون وسخر لكم ما في السموات وما في الارض
جميعا هو تاكيد ما في السموات وهو مفعول سخر وقيل جميعا نصب على الحال منه حال اي سخر هذه
الاشياء كائنة منه وحاصلة من عنده او خبر مبتدا محذوف اي هذه النعم كلها منه او صفة
للمصدر اي تسخيرا منه ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون قل للذين امنوا يغفروا اي قل لهم
اغفروا تغفروا فحذف المقول لان الجواب يدل عليه ومعنى يغفروا يعفوا ويصفحوا وقيل انه
مجزوم باضمار لام تقديره ليغفروا فهو امر مستانف وجاز حذف اللام لدلالة على الامر للذين
لا يرجون ايام الله لا يتوقعون وقائع الله باعدائه من قولهم لوقائع العرب ايام العرب و
قيل لا يامنون الاوقات التي وقتها الله لثواب المومنين ووعدهم الفوز فيها قيل نزلت
في عمر رض حين شتمه رجل من المشركين من بني غفار فهم ان يبطش به ليجزي تعليل للامر بالمغفرة
اي انما امروا بان يغفروا ليوفيهم جزاء مغفرتهم يوم القيمة وتنكير قوما على المدح لهم كانه قيل
ليجزي الله ايما قوم وقوما مخصوصين بصبرهم على اذى اعدائهم ليجزي شامي وحمزة وعلي
ليجزي قوما يزيد اي الخير قوما فاضمر الخير لدلالة الكلام كما اضمر الشمس في قوله حتى توارت بالحجاب
لان قوله اذ عرض عليه بالعشي دليل على تواري الشمس وليس التقدير ليجزي الجزاء قوما لان المصدر
لا يقوم مقام الفاعل ومعك مفعول صحيح اما اقامة المفعول الثاني مقام الفاعل فجائزة وانت
تقول جزاك الله خيرا بما كانوا يكسبون من الاحسان من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها اي لها
الثواب وعليها العقاب ثم الى ربكم ترجعون اي الى جزائه ولقد اتينا بني اسرائيل الكتاب التورية
والحكم والحكمة والفقه او فصل الخصومات بين الناس لان الملك كان فيهم والنبوة خصها بالذكر

لكثرة الانبياء فيهم ورزقناهم من الطيبات ما احل الله لهم واطاب من الارزاق وفضلناهم على
العالمين عالمي زمانهم وايتناهم بينات ايات معجزات من الامر من امر الدين فما اختلفوا فما
وقع الخلاف بينهم في الدين الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم اي الا من بعد ما جاءهم ما هو
موجب لزوال الخلاف وهو العلم وانما اختلفوا لبغي حدث بينهم اي لعداوة وحسد ان
ربك يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون قيل المراد اختلافهم في اوامر الله ونواهيهم
في التورية حسدا وطلبا للرياسة لا عن جهل يكون الانسان به معذورا ثم جعلناك بعد اختلاف
اهل الكتاب على شريعة على طريقة ومنهاج من الامر من امر الدين فاتبعها فاتبع شريعتك
الثابتة بالحجج والدلايل ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون ولا تتبع ما لا حجة عليه من اهواء
الجهال ودينهم المبني على هوى وبدعة وهم رؤساء قريش حين قالوا ارجع الى دين ابائك
انهم ان هؤلاء الكافرين لن يغنوا عنك من الله شيئا وان الظالمين بعضهم اولياء بعض والله
ولي المتقين وهم موالوه وما ابين الفصل بين الولايتين هذا القران بصاير للناس جعل ما
فيه من معالم الدين والشرايع بمنزلة البصاير في القلوب كما جعل روحا وحيوة وهدى من
الضلالة ورحمة من العذاب لقوم يوقنون لمن امن وايقن بالبعث ام حسب الذين ام منقطعة
ومعنى الهمزة فيها انكار الحسبان اجترحوا السيات اكتسبوا المعاصي والكفر ومنه الجوارح وفلان
جارحة اهله اي كاسبهم ان نجعلهم ان نصيرهم وهو من جعل المتعدي الى المفعولين فاولهما
الضمير والثاني الكاف في كالذين امنوا وعملوا الصالحات والجملة التي هي سواء محياهم ومماتهم
بدل من الكاف لان الجملة تقع مفعولا ثانيا فكانت في حكم المفرد سواء علي وحمزة وحفص بالنصب
على الحال من الضمير في نجعلهم ويرتفع محياهم ومماتهم بسواء وقرا الاعمش ومماتهم بالنصب و
جعل محياهم ومماتهم ظرفين كمقدم الحاج اي سواء في محياهم وفي مماتهم والمعنى انكار ان يستوي
المسيئون والمحسنون محيا وان يستووا مماتا لافتراق احوالهم احياء حيث عاش هؤلاء على
القيام بالطاعات واولئك على الاقتراف السيات ومماتا حيث مات هؤلاء على البشرى بالرحمة
والكرامة واوليك على الياس من الرحمة والندامة وقيل معناه انكار ان يستووا في الممات كما استووا
في الحيوة في الرزق والصحة وعن تميم الداري رض انه كان يصلي ذات ليلة عند المقام فبلغ هذه

الاية فجعل يبكي ويردد الى الصباح وعن الفضيل انه بلغها فجعل يرددها ويبكي ويقول يا فضيل ليت شعري
من اي الفريقين انت ساء ما يحكمون بيس ما يقضون اذا حسبوا انهم كالمؤمنين فليس من اقعد على
بساط الموافقة كمن اقعد في مقام المخالفة بل نفرق بينهم فنعلي المؤمنين ونخزي الكافرين وخلق الله
السموات والارض بالحق ليدل بها على قدرته ولتجزى معطوف على هذا المعلل المحذوف كل نفس
بما كسبت وهم لا يظلمون افرايت من اتخذ الهه هويه اي هو مطواع لهوى النفس يتبع ما يدعو اليه
فكانه يعبده كما يعبد الرجل الهه واضله الله على علم منه باختياره الضلالة او انشاء فيه فعل الضلالة
على علم بذلك وختم على سمعه فلا يقبل وعظا وقلبه فلا يعتقد حقا وجعل على بصره غشاوة
فلا يبصر عبرة غشوة حمزة وعلي فمن يهديه من بعد الله من بعد اضلال الله اياه افلا تذكرون
بالتخفيف حمزة وعلي وحفص وغيرهم بالتشديد فاصل الشر متابعة الهوى والخير كله في مخالفته فنعم
ما قال اذا طلبتك النفس يوما بشهوة وكان اليها للخلاف طريق فدعها وخالف ما هويت فانما
هواك عدو والخلاف صديق وقالوا ما هي اي ما الحيوة لانهم وعدوا حيوة ثانية الا حيوتنا
الدنيا اي التي نحن بموت ونحيا نحن نموت ونحن نحيى اولادنا او يموت بعض ويحيى بعض او نكون
مواتا نطفا في الاصلاب ونحيى بعد ذلك او يصيبنا الامران الموت والحيوة يريدون الحيوة في الدنيا
والموت بعدها وليس وراء ذلك حيوة وقيل هذا كلام من يقول بالتناسخ اي يموت الرجل ثم
يجعل روحه في اموات فيحيى به وما يهلكنا الا الدهر كانوا يزعمون ان مرور الايام والليالي
هو المؤثر في هلاك الانفس وينكرون ملك الموت وقبضه للارواح بامر الله وكانوا يضيفون
كل حادثة تحدث الى الدهر والزمان وترى اشعارهم ناطقة بشكوى الزمان ومنه قوله عليه الصلوة
والسلام لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر فان الله هو الاتي بالحوادث لا الدهر وما لهم بذلك
من علم ان هم الا يظنون وما يقولون ذلك عن علم ويقين ولكن عن ظن وتخمين واذا تتلى عليهم
اياتنا اي القران يعني ما فيه ذكر البعث بينات ما كان حجتهم وسمى قولهم حجة وان لم يكن حجة
لانه في زعمهم حجة الا ان قالوا ائتوا بابائنا اي احيوهم ان كنتم صادقين في دعوى البعث وحجتهم
خبر كان واسمها ان قالوا والمعنى ما كان حجتهم الا مقالتهم ائتوا بابائنا وقرى حجتهم بالرفع على
انها اسم كان وان قالوا الخبر قل الله يحييكم في الدنيا ثم يميتكم فيها عند انتهاء اعماركم ثم يجمعكم الى

يوم القيمة اي يبعثكم يوم القيمة جميعا ومن كان قادرا على ذلك قادر على الاتيان بابائكم ضرورة
لا ريب فيه اي في الجمع ولكن اكثر الناس لا يعلمون قدرة الله على البعث لاعراضهم عن التفكر في
الدلائل ولله ملك السموات والارض ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون عامل النصب
في يوم يخسر ويومئذ بدل من يوم تقوم وترى كل امة جاثية جاثية جالسة على الركب يقال
جثا فلان يجثو اذا جلس على ركبتيه وقيل جاثية مجتمعة كل امة بالرفع على الابتداء كل بالفتح
يعقوب على الابدال من كل امة تدعى الى كتابها صحائف اعمالها فاكتفى باسم الجنس فيقال لهم اليوم
تجزون ما كنتم تعملون في الدنيا هذا كتابنا اضيف الكتاب اليهم للملابسة اياهم لان اعمالهم
مثبتة فيه والى الله تعالى لانه مالكه والامر ملائكته ان يكتبوا فيه اعمال عباده ينطق عليكم يشهد عليكم
بما عملتم بالحق من غير زيادة ولا نقصان انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون نستكتب الملائكة اعمالكم وقيل
نسخت واستنسخت بمعنى وليس ذلك بنقل من كتاب بل معناه نثبت فاما الذين امنوا وعملوا
الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته جنته ذلك هو الفوز المبين واما الذين كفروا فيقال لهم
افلم تكن اياتي تتلى عليكم والمعنى الم ياتكم رسلي فلم تكن اياتي تتلى عليكم فحذف المعطوف عليه
فاستكبرتم عن الايمان بها وكنتم قوما مجرمين كافرين واذا قيل ان وعد الله بالجزاء حق و
الساعة وبالرفع عطف على محل ان واسمها والساعة حمزة عطف على وعد الله لا ريب فيها
قلتم ما ندري ما الساعة اي شيء الساعة ان نظن الا ظنا اصله نظن ظنا ومعناه اثبات
الظن فحسب فادخل حرف النفي بعد الاستثناء لبقاء اثبات الظن مع نفي ما سواه وزيد نفي ما
سوى الظن توكيدا بقوله وما نحن بمستيقنين وبدا لهم وظهر لهؤلاء الكفار سيات ما عملوا
قبائح اعمالهم او عقوبات اعمالهم السيات كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها وحاق بهم ما كانوا
به يستهزءون ونزل بهم جزاء استهزائهم وقيل اليوم ننسيكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا نترككم
في العذاب كما تركتم عدة لقاء يومكم وهي الطاعة واضافة اللقاء الى اليوم كاضافة المكر
في قوله بل مكر الليل والنهار اي نسيتم لقاء الله في يومكم هذا ولقاء جزائه وماويكم النار اي منزلكم
وما لكم من ناصرين ذلكم العذاب بانكم اتخذتم ايات الله هزوا وغرتكم الحيوة الدنيا
فاليوم لا يخرجون منها لا يخرجون حمزة وعلي ولا هم يستعتبون ولا يطلب منهم ان يعتبوا

ربهم اي يرضوه فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين اي فاحمدوا الله الذي هو
ربكم ورب كل شيء من السموات والارض والعالمين فان مثل هذه الربوبية العامة يوجب
الحمد والثناء على كل شيء مربوب وله الكبرياء في السموات والارض وكبروه فقد ظهرت
اثار كبريائه وعظمته في السموات والارض وهو العزيز في انتقامه الحكيم في احكامه والله اعلم

سورة الاحقاف مكية وهي خمس وثلثون اية

بسم الله الرحمن الرحيم حم

تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق تلبسا
بالحكمة واجل مسمى وبتقدير اجل مسمى ينتهي اليه وهو يوم القيمة والذين كفروا عما انذروا
عما انذروا به من هول ذلك اليوم الذي لا بد لكل مخلوق من انتهائه اليه معرضون لا يؤمنون
به ولا يهتمون بالاستعداد له ويجوز ان يكون ما مصدرية اي انذارهم بذلك اليوم قل
ارايتم اخبروني ما تدعون من دون الله تعبدونه من الاصنام اروني ماذا خلقوا من
الارض اي شيء خلقوا مما في الارض ام لهم شرك في السموات اي شركة مع الله
في خلق السموات ايتوني بكتاب من قبل هذا اي من قبل هذا الكتاب وهو القران يعني
ان هذا الكتاب ناطق بالتوحيد وابطال الشرك وما من كتاب انزل من قبل كتب الله
الا وهو ناطق بمثل ذلك فاتوا بكتاب من ذلك واحد منزل من قبله شاهد بصحة ما
انتم عليه من عبادة غير الله او اثارة من علم او بقية من علم بقيت عليكم من علوم
الاولين ان كنتم صادقين بان الله امركم بعبادة الاوثان ومن اضل ممن يدعوا من دون الله
من لا يستجيب له الى يوم القيمة وهم عن دعائهم غافلون اي ابدا واذا حشر الناس كانوا
لهم اعداء اي الاصنام لعبدتها وكانوا اي الاصنام بعبادتهم بعبادة عبدتهم كافرين تقول
ما دعوناهم الى عبادتنا ومعنى الاستفهام في من اضل انكار ان يكون في الضلال كلهم ابلغ
ضلالا من عبدة الاصنام حيث يتركون دعاء السميع المجيب القادر على كل شيء ويدعون
من دونه جمادا لا يستجيب لهم ولا قدرة له على استجابة احد منهم ما دامت الدنيا والى ان يقوم
القيامة واذا قامت القيمة وحشر الناس كانوا لهم اعداء وكانوا عليهم ضدا فليسوا في
الدارين الا على نكد ومضرة لا تتولاهم في الدنيا بالاستجابة وفي الاخرة تعاديهم وتجحد عبادتهم

ولما اسند اليهم ما يسند الى اولى العلم من الاستجابة والغفلة قيل من وهم ووصفهم بترك
الاستجابة والغفلة طريقة طريق التهكم بها وبعبدتها ونحوه قوله تعالى ان تدعوهم لا يسمعوا
دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيمة يكفرون بشرككم واذا تتلى عليهم اياتنا بينات
جمع بينة وهي الحجة والشاهد او واضحات مبينات قال الذين كفروا للحق المراد بالحق الايات
وبالذين كفروا المتلو عليهم فوضع الظاهران موضع الضميرين للتسجيل عليهم بالكفر
بالمتلو بالحق لما جاءهم اى بادهوه بالجحود ساعة واول ما سمعوه من غير اجالة فكر ولا
اعادة نظر هذا سحر مبين ظاهر امره في البطلان لا شبهة فيه ام يقولون افتريه اضراب
عن ذكر تسميتهم الايات سحرا الى ذكر قولهم ان محمدا افتريه اى اختلقه واضافه الى الله
كذبا والضمير للحق والمراد به الايات قل ان افتريته فلا تملكون لي من الله شيئا اى ان افتريته
على سبيل الفرض عاجلني الله بعقوبة الافتراء عليه فلا تقدرون على كفه عن معاجلتي
ولا تطيقون دفع شئ من عقابه فكيف افتريه وتعرض لعقابه هو اعلم بما تفيضون فيه
اى تندفعون فيه من القدح في وحي الله والطعن في اياته واقع وتسميته سحرا تارة وفرية
اخرى كفى به شهيدا بيني وبينكم يشهد لي بالصدق والبلاغ ويشهد عليكم بالجحود والانكار
ومعنى ذكر العلم والشهادة وعيد بجزاء افاضتهم وهو الغفور الرحيم هو موعدة بالغفران
والرحمة ان تابوا عن الكفر وامنوا قل ما كنت بدعا من الرسل اى بديعا كالخف بمعنى الخفيف
والمعنى اني لست باول مرسل فتنكروا نبوتي وما ادري ما يفعل بي ولا بكم اى ما يفعل الله
بي ولا بكم فيما يستقبل من الزمان وعن الكلبي رح قال له اصحابه وقد ضجروا من اذى المشركين
متى نكون على هذا فقال ما ادري ما يفعل بي ولا بكم ءاترك بمكة ام او مر بالخروج الى ارض
قد رفعت لي ورايتها يعني في منامه ذات نخل وشجر وما في يفعل يجوز ان يكون موصولة
منصوبة وان يكون استفهامية مرفوعة وانما دخل لا في قوله ولا بكم مع ان يفعل مثبت غير
منفي لتناول النفي في ما ادري ما وما في حيزه ان اتبع الا ما يوحى الي وما انا الا نذير مبين
قل ارايتم ان كان القران من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني اسرائيل هو عبد الله
بن سلام عند الجمهور ولهذا قيل ان هذه الاية مدنية لان اسلام ابن سلام بالمدينة روى انه

لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة نظر الى وجهه فعلم انه ليس بوجه كذاب وقال له
اني اسالك عن ثلث لا يعلمهن الا نبي ما اول اشراط الساعة وما اول طعام ياكله اهل الجنة
وما بال الولد ينزع الى ابيه او الى امه فقال عليه الصلوة والسلام اما اول اشراط الساعة
فنار تحشرهم من المشرق الى المغرب واما اول طعام ياكله اهل الجنة فزيادة كبد حوت واما
الولد فاذا سبق ماء الرجل نزعه وان سبق ماء المراة نزعته فقال اشهد انك لرسول الله
حقا على مثله الضمير للقران اى مثله في المعنى وهو ما في التورية من المعاني المطابقة لمعاني
القران من التوحيد والوعد والوعيد وغير ذلك ويجوز ان يكون المعنى ان كان من
عند الله وكفرتم به وشهد شاهد على نحو ذلك يعني كونه من عند الله فامن الشاهد واستكبرتم عن
الايمان به وجواب الشرط محذوف تقديره ان كان القران من عند الله وكفرتم به الستم ظالمين
ويدل على هذا المحذوف ان الله لا يهدي القوم الظالمين والواو الاولى عاطفة لكفرتم على فعل
الشرط وكذلك الواو الاخيرة عاطفة لاستكبرتم على شهد شاهد واما الواو في وشهد فقد
عطفت جملة قوله شاهد من بني اسرائيل على مثله فامن واستكبرتم على جملة قوله كان من عند الله
وكفرتم به والمعنى قل اخبروني ان اجتمع كون القران من عند الله مع كفركم به واجتمع شهادة
اعلم بني اسرائيل على نزول مثله لايمانه به مع استكباركم عنه وعن الايمان به الستم اضل الناس
واظلمهم وقال الذين كفروا للذين آمنوا اى لاجلهم وهو كلام كفار مكة قالوا عامة من يتبع
محمدا السقاط يعنون الفقراء مثل عمار وصهيب وابن مسعود لو كان خيرا ما سبقونا
اليه لو كان ما جاء به محمد خيرا ما سبقنا اليه هؤلاء واذ لم يهتدوا به العامل في اذ محذوف
لدلالة الكلام عليه تقديره واذ لم يهتدوا به ظهر عنادهم وقوله فسيقولون هذا افك قديم
مسبب عنه وقوله افك قديم اى كذب متقادم كقولهم اساطير الاولين ومن قبله اى القران
كتاب موسى اى التورية وهو مبتداء ومن قبله ظرف واقع خبرا مقدما عليه وهو ناصب
اماما على الحال نحو في الدار زيد قائما ومعنى اماما قدوة يؤتم به في دين الله وشرائعه كما يؤتم
بالامام ورحمة لمن آمن به وعمل بما فيه وهذا كتاب هذا القران مصدق لكتاب موسى او لما
بين يديه وتقدمه من جميع الكتب لسانا عربيا حال من ضمير الكتاب في مصدق والعامل فيه

مصدق او من كتاب لتخصيصه بالصفة ويعمل فيه معنى الاشارة ويجوز ان يكون مفعولا لمصدق
اى يصدق ذا لسان عربى وهو الرسول لينذر اى الكتاب لتنذر حجازى وشامى الذين ظلموا
كفروا وبشرى فى محل النصب معطوف على محل لينذر لانه مفعول له للمحسنين للمؤمنين المطيعين
ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا على توحيد الله وشريعة نبيه عليه الصلوة والسلام فلا خوف
عليهم فى يوم القيمة ولا هم يحزنون عند الموت اوليك اصحاب الجنة خالدين فيها حال من
اصحاب الجنة والعامل فيه معنى الاشارة الذى دل عليه اوليك جزاء بما كانوا يعملون جزاء
مصدر بفعل دل عليه الكلام اى جوزوا جزاء ووصينا الانسان بوالديه احسانا كوفى اى
وصيناه بان يحسن بوالديه حسنا غيرهم اى وصيناه بوالديه امرا ذا حسن اى بامر ذى حسن
فهو فى موضع البدل من قوله بوالديه وهو من بدل الاشتمال حملته امه كرها ووضعته كرها
بفتح الكافين حجازى وابو عمرو وغيرهما بالضم وهما لغتان فى معنى المشقة وانتصابه على الحال
اى ذات كره او على انه صفة للمصدر اى حملا ذا كره وحمله وفصاله ومدة حمله وفطامه ثلثون
شهرا وفيه دليل على ان اقل مدة الحمل ستة اشهر لان الرضاع اذا كانت حولين لقوله تعالى
حولين كاملين بقيت للحمل ستة اشهر وبه قال ابو يوسف ومحمد رح وقال ابو حنيفة رض
المراد به الحمل بالاكف وفصله يعقوب والفصل والفصال كالفطم والفطام بناء ومعنى
حتى اذا بلغ اشده هو جمع لا واحد له من لفظه وكان سيبويه يقول واحده شدة و
بلوغ الاشد ان يكتهل ويستوفى السن التى يستحكم فيها قوته وعقله وذلك اذا اناف على
الثلثين وناطح الاربعين وعن قتادة ثلث وثلثون سنة ووجهه ان يكون ذلك اول
الاشد وغايته الاربعين وبلغ اربعين سنة قال رب اوزعنى الهمنى ان اشكر نعمتك التى انعمت
على وعلى والدى المراد نعمة التوحيد والاسلام وجمع بين شكرى النعمة عليه وعلى والديه لان النعمة
عليهما نعمة عليه وان اعمل صالحا ترضيه قيل هى صلوة الخمس واصلح لى فى ذريتى اى اجعل ذريتى
موقعا للصلاح ومظنة له انى تبت اليك من كل ذنب وانى من المسلمين من المخلصين اوليك
الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا ونتجاوز عن سياتهم حمزة وعلى وحفص يتقبل ويتجاوز
واحسن غيرهم فى اصحاب الجنة هو قولك اكرمنى الامير فى ناس من اصحابه تريد اكرمنى فى جملة

من اكرم

من اكرم منهم وتظمنى فى اعدادهم ومحله النصب على الحال على معنى كائن فى اصحاب الجنة و
معدودين فيهم وعد الصدق مصدر مؤكد لان قوله نتقبل ونتجاوز وعد من الله لهم بالتقبل و
التجاوز قيل نزلت فى ابى بكر رض وفى ابيه ابى قحافة وامه ام الخير وفى اولاده واستجابة دعائه
فيهم فانه امن بالنبى صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثمان وثلثين سنة ودعا لهما وهو ابن اربعين
سنة ولم يكن احد من الصحابة من المهاجرين فيهم والانصار اسلم هو ووالداه والمرأة و
بنوه وبناته غير ابى بكر الذى كانوا يوعدون فى الدنيا والذى قال لوالديه مبتدأ خبره اوليك
الذين حق عليهم القول والمراد بالذى قال الجنس القائل ذلك القول ولذلك وقع الخبر مجموعا
وعن الحسن هو فى الكافر العاق لوالديه المكذب بالبعث وقيل نزلت فى عبد الرحمن بن
ابى بكر رض قبل اسلامه ويشهد لبطلانه كتاب معاوية الى مروان ليامر الناس بالبيعة ليزيد
فقال عبد الرحمن بن ابى بكر لقد جئتم بها هرقلية اتبايعون لابنائكم فقال مروان يا ايها
الناس هذا الذى قال الله تعالى فيه والذى قال لوالديه اف لكما فسمعت عايشة رض فغضبت
وقالت والله ما هو به ولو شئت ان اسميه لسميته ولكن الله تعالى لعن اباك وانت فى صلبه
فانت فضض من لعنة الله اف لكما مدنى وحفص اف مكى وشامى اف غيرهم وهو صوت
اذا صوت به الانسان علم انه متضجر كما اذا قال حس علم انه متوجع واللام للبيان اى هذا
التافيف لكما خاصة ولاجلكما دون غيركما اتعداننى ان اخرج ان ابعث واخرج من الارض
وقد خلت القرون من قبلى ولم يبعث منهم احد وهما ابواه يستغيثان الله يقولان الغياث
بالله منك ومن قولك وهو استعظام لقوله ويقولان له ويلك دعاء عليه بالثبور والمراد
به الحث والتحريض على الايمان لا حقيقة الهلاك امن بالله والبعث ان وعد الله بالبعث
حق صدق فيقول لهما ما هذا القول الا اساطير الاولين اوليك الذين حق عليهم القول
اى كلمة لاملان جهنم فى امم فى جملة امم قد خلت قد مضت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا
خاسرين ولكل من الجنسين المذكورين الابرار والفجار درجات مما عملوا اى منازل ومراتب
من جزاء ما عملوا من الخير والشر او من اجل ما عملوا منهما وانما قيل درجات وقد جاء الجنة درجات
والنار دركات على وجه التغليب وليوفيهم اعمالهم بالياء مكى وبصرى وعاصم وهم لا يظلمون

كائنين

اى وليوفيهم اعمالهم وهم لا يظلمون حقوقهم قدر جزاءهم على مقادير اعمالهم فجعل الثواب درجات
والعقاب دركات فاللام متعلق بمحذوف ويوم يعرض الذين كفروا على النار عرضهم على النار
تعذيبهم بها من قولهم عرض بنو فلان على السيف اذا قتلوا به وقيل المراد عرض النار عليهم من
قولهم عرضت الناقة على الحوض يريدون عرض الحوض عليها فقلبوا اذهبتم اى يقال اذهبتم
وهو ناصب الظرف طيباتكم فى حيوتكم الدنيا اى ما كتب لكم حظ من الطيبات الا ما قد اصبتموه
فى دنياكم وقد ذهبتم به واخذتموه فلم يبق لكم بعد استيفاء حظكم شىء منها وعن عمر رض ولو شئت
لكنت اطيبكم طعاما واحسنكم لباسا ولكنى استبقى طيباتى واستمتعتم بها بالطيبات فاليوم تجزون
عذاب الهون اى الهوان وقرى به بما كنتم تستكبرون فى الارض تتكبرون بغير الحق وبما كنتم
تفسقون اى باستكباركم وفسقكم واذكر اخا عاد اى هودا اذ انذر قومه بالاحقاف جمع
حقف وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء من احقوقف الشىء اذا اعوج عن ابن عباس رض
هو واد بين عمان ومهرة وقد خلت النذر جمع نذير بمعنى المنذر او الانذار من بين يديه
ومن خلفه من قبل هود ومن خلف هود وقوله وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه وقع
اعتراضا بين انذر قومه وبين ان لا تعبدوا الا الله انى اخاف عليكم عذاب يوم عظيم والمعنى
واذكر انذار هود قومه عاقبة الشرك والعذاب العظيم وقد انذر من تقدمه من الرسل ومن
تاخر عنه مثل ذلك قالوا اى قوم هود اجئتنا لتافكنا لتصرفنا فالافك الصرف يقال افكه عن
رايه عن آلهتنا عن عبادتها فاتنا بما تعدنا من معاجلة العذاب على الشرك ان كنت من الصادقين
فى وعدك قال انما العلم بوقت مجيئ العذاب عند الله ولا علم لى بالوقت الذى يكون فيه تعذيبكم
وابلغكم ما ارسلت به وبالتخفيف ابو عمرو اى الذى هو شانى ان ابلغكم اى ما ارسلت به من
الانذار والتخويف ولكنى اريكم قوما تجهلون اى ولكنكم جاهلون لا تعلمون بان الرسل بعثوا
منذرين لا مقترحين ولا سائلين غير ما اذن لهم فيه فلما راوه الضمير الى ما تعدنا او هو مبهم
وضح امره بقوله عارضا اما تمييزا او حالا والعارض السحاب الذى يعرض فى افق من السماء مستقبل
اوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا روى ان المطر قد احتبس عنهم فراوا سحابة استقبلت اوديتهم
فقالوا هذا سحاب ياتينا بالمطر واظهروا لذلك فرحا واضافة مستقبل اودية وممطرنا مجازية

غير معرفة بدليل وقوعهما وهما مضافان الى معرفتين وصفا للنكرة بل هو اى قال هود بل هو
تدل عليه قراءة من قرا قال هود بل هو ما استعجلتم به من العذاب ثم فسره فقال ريح فيها عذاب
اليم تدمر كل شىء تهلك من نفوس عاد واموالهم الجم الكثير فعبر عن الكثرة بالكلية بامر ربها
رب الريح فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم عاصم وحمزة وخلف اى لا يرى شىء الا مساكنهم غيرهم لا ترى
الا مساكنهم والخطاب للرائى من كان كذلك نجزى القوم المجرمين اى مثل ذلك نجزى من اجرم
مثل جرمهم وهو تحذير مشركى العرب عن ابن عباس رض اعتزل هود ومن معه فى حظيرة ما
يصيبهم من الريح الا ما تلذه الانفس وانها التمرت من عاد بالظعن بين السماء والارض وتدمغهم
بالحجارة ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه ان نافية اى فيما ما مكناكم فيه الا ان ان احسن فى اللفظ
لما فيه مجامعة ما مثلها من التكرير المستبشع الا ترى ان الاصل فى مهما ماما فلشناعة التكرير
قلبوا الالف هاء وقد جعلت ان صلة وتاول بانا مكناهم فى مثل ما مكناكم فيه والوجه هو
الاول لقوله تعالى هم احسن اثاثا ورئيا كانوا اكثر منهم واشد قوة واثارا وما بمعنى الذى او
نكرة موصوفة وجعلنا لهم سمعا وابصارا وافئدة اى الات الدرك والفهم فما اغنى عنهم سمعهم
ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شىء اى من شىء من الاغناء وهو قليل منه اذ كانوا يجحدون
بايات الله اذ نصب بقوله فما اغنى وجرى مجرى التعليل لاستواء مؤدى التعليل والظرف
فى قولك ضربته لاساءته وضربته اذ اساء لانك اذا ضربته فى وقت اساءته فانما ضربته فيه
لوجود اساءته فيه الا ان اذ وحيث غلبتا دون سائر الظروف فى ذلك وحاق بهم ونزل
ما كانوا به يستهزءون جزاء استهزائهم وهذا تهديد لكفار مكة ثم زادهم تهديدا بقوله
ولقد اهلكنا ما حولكم يا اهل مكة من القرى نحو حجر ثمود وقرى قوم لوط والمراد اهل
القرى فلذلك قال وصرفنا الايات لعلهم يرجعون اى كررنا عليهم الحجج وانواع العبر لعلهم
يرجعون عن الطغيان الى الايمان فلم يرجعوا فلولا فهلا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله
قربانا آلهة القربان ما تقرب به الى الله تعالى اى اتخذوهم شفعاء متقربا بهم الى الله حيث
قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله واحد مفعولى اتخذ الراجع الى الذين المحذوف اى اتخذوهم
والثانى آلهة وقربانا حال بل ضلوا عنهم غابوا عن نصرتهم وذلك افكهم وما كانوا يفترون

وذلك اشارة الى امتناع نصرة الهتهم لهم وضل الهم عنهم اى وذلك اثر افكهم الذى هو اتخاذهم

اياها الهة وثمرة شركهم وافترائهم على الله الكذب واذ صرفنا اليك نفرا من الجن اما لنا هم اليك

واقبلنا بهم نحوك والنفر دون العشرة من الجن جن نصيبين يستمعون القران منه عليه السلام

فلما حضروه اى الرسول عليه الصلوة والسلام او القران اى كانوا منه بحيث يستمعون قالوا اى

قال بعضهم لبعض انصتوا اسكتوا مستمعين روى ان الجن كانت تسترق السمع فلما حرست

السماء ورجموا بالشهب قالوا ما هذا الا لنبا حدث فنهض سبعة نفر او تسعة من اشراف جن

نصيبين او نينوى منهم زوبعة فضربوا حتى بلغوا تهامة ثم اندفعوا الى وادى نخلة فوافقوا

رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم فى جوف الليل يصلى او فى صلوة الفجر فاستمعوا القراءة

وعن سعيد بن جبير ما قراء رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن ولا رآهم وانما كان يتلو

فى صلوته فمروا به فوقفوا مستمعين وهو لا يشعر فانباه الله باستماعهم وقيل بل امر الله رسوله

ان ينذر الجن ويقراء عليهم فصرف اليه نفرا منهم فقال انى امرت ان اقراء على الجن الليلة

فمن يتبعنى قالها ثلثا فاطرقوا الا عبد الله بن مسعود قال لم يحضره ليلة الجن احد غيرى

فانطلقنا حتى اذا كنا باعلى مكة فى شعب الحجون فخط لى خطا وقال لا تخرج منه حتى اعود اليك

ثم افتتح القران وسمعت لغطا شديدا فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رايت

شيا قلت نعم رجالا سودا فقال اولئك جن نصيبين وكانوا اثنى عشر الفا والسورة التى

قراءها عليهم اقراء باسم ربك فلما قضى اى فرغ النبى صلى الله عليه وسلم من القراءة ولوا الى

قومهم منذرين اياهم قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى وانما قالوا من بعد

موسى لانهم كانوا على اليهودية وعن ابن عباس رض ان الجن لم تكن سمعت بامر عيسى عليه السلام

مصدقا لما بين يديه من الكتب يهدى الى الحق الى الله والى طريق مستقيم يا قومنا اجيبوا داعى الله

اى محمدا عليه الصلوة والسلام وامنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب اليم قال

ابو حنيفة رح لا ثواب لهم الا النجاة من النار لهذه الاية وقال مالك وابن ابى ليلى وابو يوسف

ومحمد رحمهم الله ولهم الثواب والعقاب وعن الضحاك انهم يدخلون الجنة وياكلون ويشربون

لقوله تعالى لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان ومن لا يجب داعى الله فليس بمعجز فى الارض اى لا ينجى

منه بهرب وليس له من دونه اولياء اولئك فى ضلال مبين اولم يروا ان الله الذى خلق السموات

والارض ولم يعى بخلقهن هو كقوله تعالى وما مسنا من لغوب ويقال عييت بالامر اذا لم تعرف

وجهه بقادر محله الرفع لانه خبر ان يدل عليه قراءة عبد الله قادر وانما دخلت الباء لاشتمال

النفى فى اول الاية على ان وما فى حيزها وقال الزجاج لو قلت ما ظننت ان زيدا بقائم جاز كانه

قيل اليس الله بقادر الا ترى الى وقوع بلى مقررة للقدرة على كل شئ من البعث وغيره لا لرؤيتهم

على ان يحيى الموتى بلى هو جواب لنفى انه على كل شئ قدير ويوم يعرض الذين كفروا على النار فيقال

لهم اليس هذا بالحق فناصب الظرف القول المضمر وهذا اشارة الى العذاب قالوا بلى وربنا قال

فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون بكفركم فى الدنيا فاصبر كما صبر اولو العزم اولو الجد والثبات

والصبر من الرسل من للتبعيض والمراد باولى العزم ما ذكر فى الاحزاب واذ اخذنا من النبيين

ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم ويونس ليس منهم لقوله ولا تكن

كصاحب الحوت وكذا آدم لقوله تعالى ولم نجد له عزما او للبيان فيكون اولو العزم صفة للرسل

كلهم ولا تستعجل لهم لكفار قريش بالعذاب لا تدع لهم بتعجيله فانه نازل بهم لا محالة وان تاخر

كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار اى انهم يستقصرون حينئذ مدة

لبثهم فى الدنيا حتى يحسبوها ساعة من نهار بلاغ هذا بلاغ اى هذا الذى وعظتم به كفاية فى

الموعظة او هذا تبليغ من الرسل فهل يهلك هلاك عذاب والمعنى فلن يهلك بعذاب الله الا

القوم الفاسقون اى الخارجون عن الاتعاظ به والعمل بموجبه

سورة محمد عليه السلام او القتال مدنية او مكية وهى ثمانون او تسع ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله اى اعرضوا او امتنعوا عن الدخول فى الاسلام او صدوا

غيرهم عنه قال الجوهرى صد عنه يصد صدودا اعرض وصده عن الامر صدا منعه وصرفه

عنه وهم المطعمون يوم بدر او اهل الكتاب او عام فى كل من كفر وصد اضل اعمالهم ابطلها

واضلها وحقيقته جعلها ضالة ضائعة ليس لها من يتقبلها ويثيب عليها كالضالة من الابل

واعمالهم ما عملوا فى كفرهم من صلة الارحام او اطعام الطعام وعمارة المسجد الحرام او ما عملوا

من الكيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم والصد عن سبيل الله والذين امنوا وعملوا الصالحات ثم

ناس من قريش او من الانصار او من اهل الكتاب او عام وامنوا بما نزل على محمد وهو القران وتخصيص
الايمان بالمنزل على رسوله من بين ما يجب الايمان به لتعظيم شانه واكد ذلك بالجملة الاعتراضية
وهي قوله وهو الحق من ربهم اى القران وقيل ان دين محمد هو الحق اذ لا يرد عليه النسخ وهو
ناسخ لغيره كفر عنهم سياتهم ستر بايمانهم وعملهم الصالح ما كان منهم من الكفر والمعاصي لرجوعهم
عنها وتوبتهم واصلح بالهم اى حالهم وشانهم بالتوفيق فى امور الدين وبالتسليط على الدنيا
بما اعطاهم من النصرة والتاييد ذلك بان الذين كفروا اتبعوا الباطل وان الذين امنوا
اتبعوا الحق من ربهم ذلك مبتداء وما بعده خبره اى ذلك الامر وهو اضلال اعمال احد
الفريقين وتكفير سيات الثانى والاصلاح كائن بسبب اتباع هولاء الباطل وهو الشيطان
وهولاء الحق وهو القران كذلك مثل ذلك الضرب يضرب الله اى يبين الله للناس امثالهم
والضمير راجع الى الناس او الى المذكورين من الفريقين على معنى انه يضرب الله امثالهم لاجل
الناس ليعتبروا بهم وقد جعل اتباع الباطل مثل العمل الكافرين واتباع الحق مثلا لعمل المؤمنين
او جعل الاضلال مثل الخيبة الكفار وتكفير السيات مثلا لفوز الابرار فاذا لقيتم الذين
كفروا من اللقاء وهو الحرب فضرب الرقاب اصله فاضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل
وقدم المصدر فانيب منابه مضافا الى المفعول وفيه اختصار مع اعطاء معنى التوكيد
لانك تذكر المصدر وتدل على الفعل بالنصب التى فيه وضرب الرقاب عبارة عن القتل لان
الواجب ان تضرب الرقاب خاصة دون غيرها من الاعضاء ولان قتل الانسان اكثر ما يكون
بضرب رقبته فوقع عبارة عن القتل دون عن رقبته حتى اذا اثخنتموهم اكثرتم فيهم القتل
فشدوا الوثاق فاسروهم والوثاق بالفتح والكسر اسم ما يوثق به والمعنى فشدوا وثاق
الاسارى حتى لا يفلتوا منكم فاما منا بعد اى بعد ان تاسروهم واما فداء منا وفداء منصوبان
بفعليهما مضمرين اى فاما تمنون منا واما تفدون فداء والمعنى التخيير بعد الاسر بين ان
تمنوا عليهم فتطلقوهم وبين ان تفادوهم وحكم اسارى المشركين عندنا القتل والاسترقاق
المن والفداء المذكوران فى الاية منسوخ بقوله اقتلوا المشركين لان سورة من اخر ما نزل وعن
مجاهد وليس اليوم من ولا فداء والمراد بالمن ان يمن عليهم بترك القتل ويسترقوا او يمن عليهم

فأثبت

غرم

يخلوا لقبولهم الجزية وبالفداء ان يفادى باسارى المشركين فقد رواه الطحاوى مذهبا
عن ابى حنيفة وهو قول المحاربين فدائهم لا بمال ولا بغيره لئلا يعودوا حربا علينا وعند الشافعى رح
للامام ان يختار احد الامور الاربعة القتل والاسترقاق والفداء بارسال المسلمين والمن حتى
تضع الحرب اوزارها اثقالها والاتها التى لا تقوم الا بها كالسلاح والكراع وقيل اوزارها اثامها
يعنى يترك اهل الحرب وهم المشركون شركهم بان يسلموا وحتى لا يخلوا من ان يتعلق بالضرب والشد
او المن والفداء فالمعنى على كل المتعلقين عند الشافعى رح انهم لا يزالون على ذلك ابدا الى ان لا يكون
حرب مع المشركين وذلك اذا لم يبق لهم شوكة وقيل اذا انزل عيسى عليه السلام وعند ابى حنيفة رح
اذا علق بالضرب والشد فالمعنى انهم يقتلون ويوسرون حتى تضع جنس الحرب الاوزار و
ذلك حين لا يبقى بشوكة المشركين واذا علق بالمن والفداء فالمعنى انه يمن عليهم ويفادون
حتى تضع حرب بدر اوزارها الا ان يتاول المن والفداء بما ذكرنا من التاويل ذلك اى الامر ذلك
فهو مبتداء وخبر او فعلوا بهم ذلك فهو فى محل النصب ولو يشاء الله لانتصر منهم لانتقم منهم
بغير قتال ببعض اسباب الهلاك كالخسف والرجفة او غير ذلك ولكن امركم بالقتال ليبلو
بعضكم ببعض اى المؤمنين بالكافرين تمحيصا للمؤمنين وتمحيقا للكافرين والذين قتلوا بصرى
وحفص قاتلوا غيرهم فى سبيل الله فلن يضل اعمالهم سيهديهم الى طريق الجنة او الى الصواب
فى جواب منكر ونكير ويصلح بالهم يرضى خصماءهم ويقبل اعمالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم
عن مجاهد عرفهم مساكنهم فيها حتى لا يحتاجوا ان يسالوا او طيبها لهم من العرف وهو طيب
الرائحة يا ايها الذين امنوا ان تنصروا الله اى دين الله ورسوله ينصركم على عدوكم ويفتح لكم
ويثبت اقدامكم فى مواطن الحرب او على محجة الاسلام والذين كفروا فى موضع رفع بالابتداء
والخبر فتعسا لهم وعطف قوله واضل اعمالهم على الفعل الذى نصب تعسا لان المعنى فقال
تعسا لهم والتعس العثور وعن ابن عباس رض يريد فى الدنيا القتال وفى الاخرة التردى فى
النار ذلك اى التعس والضلال بانهم كرهوا ما انزل الله اى القران فاحبط اعمالهم افلم يسيروا
فى الارض يعنى كفار امتك فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم اى اهلكهم
هلاك استيصال وللكافرين ولمشركى قريش امثالها اى امثال تلك الهلكة لان التدمير يدل

بفضل

عليها ذلك اى نصر المومنين وسوء عاقبة الكافرين بان الله مولى الذين آمنوا وليهم وناصرهم و
ان الكافرين لا مولى لهم اى لا ناصر لهم فالله مولى العباد من جهة الاختراع والتصرف فيهم ومولى
المومنين خاصة من جهة النصرة ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من
تحتها الانهار والذين كفروا يتمتعون ينتفعون بمتاع الحيوة الدنيا اياما قلائل وياكلون
غافلين غير متفكرين فى عاقبتهم كما تاكل الانعام فى معالفها ومسارحها غافلة عما هى بصدده من
النحر والذبح والنار مثوى لهم منزل ومقام وكاين من قرية اى وكم من قرية فهى للتكثير و
اراد بالقرية اهلها ولذلك قال اهلكناهم هى اشد قوة من قريتك التى اخرجتك اى وكم من قوم
هم اشد قوة من قومك الذى اخرجوك اى كانوا سبب خروجك اهلكناهم فلا ناصر لهم
اى فلم يكن لهم من ينصرهم ويدفع العذاب عنهم افمن كان على بينة من ربه اى على حجة من عنده
وبرهان وهو القرآن المعجز وسائر المعجزات يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم كمن زين له
سوء عمله هم اهل مكة الذين زين لهم الشيطان شركهم وعداوتهم لله ورسوله وقال سوء عمله
واتبعوا اهواءهم للحمل على لفظ من ومعناه مثل الجنة صفة الجنة العجيبة الشان التى وعد المتقون
عن الشرك فيها انهار داخل فى حكم الصلة كالتكرير لها الا ترى الى صحة قولك التى فيها انهار او
حال اى مستقرة فيها انهار من ماء غير آسن غير متغير اللون والريح والطعم يقال اسن الماء
اذا تغير طعمه وريحه اسن مكى وانهار من لبن لم يتغير طعمه كما يتغير البان الدنيا الى الحموضة
وغيرها وانهار من خمر لذة تانيث لذ وهو اللذيذ للشاربين اى ما هو الا التلذذ الخالص
ليس معه ذهاب عقل ولا خمار ولا صداع ولا افة من افات الخمر وانهار من عسل مصفى لم
يخرج من بطون النحل فيخالطه الشمع وغيره ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم مثل
مبتدا خبره كمن هو خالد فى النار وسقوا ماء حميما حارا فى النهاية فقطع امعاءهم والتقدير
امثل الجنة التى كمثل جزاء من هو خالد فى النار وهو كلام فى صورة الاثبات ومعناه النفى
لانطوائه تحت حكم كلام مصدر بحرف الانكار ودخوله فى حيزه وهو قوله افمن كان على بينة
من ربه لمن زين له سوء عمله وفايدة حذف حرف الانكار زيادة تصوير لمكابرة من سوى
بين المتمسك بالبينة والتابع لهواه وانه بمنزلة من يثبت التسوية بين الجنة التى تجرى فيها الانهار

وبين النار التى يسقى اهلها الحميم ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين اوتوا
العلم ماذا قال انفا المنافقون كانوا يحضرون مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فيستمعون كلامه
فلا يعونه ولا يلقون له بالا تهاونا منهم فاذا خرجوا قالوا لاولى العلم من الصحابة ماذا قال الساعة
على جهة الاستهزاء اولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا اهواءهم والذين اهتدوا بالايمان
واستماع القران زادهم الله هدى علما وبصيرة اوشرح صدرهم واتيهم تقويهم اعانهم عليها
او اتيهم جزاء تقويهم او بين لهم ما يتقون فهل ينظرون الا الساعة اى ينتظرون ان تاتيهم
اى اتيانها فهو بدل الاشتمال من الساعة بغتة فجاءة فقد جاء اشراطها علاماتها وهو مبعث
محمد عليه الصلوة والسلام وانشقاق القمر والدخان وقيل قطع الارحام وقلة الكرام وكثرة اللئام
فانى لهم اذا جاءتهم ذكريهم قال الاخفش التقدير فانى لهم ذكريهم اذا جاءتهم فاعلم انه الشان
لا اله الا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمومنات والمعنى فاثبت على ما انت عليه من العلم
بوحدانية الله وعلى التواضع وهضم النفس باستغفار ذنبك وذنوب من على دينك وفى شرح
التاويلات جاز ان يكون له ذنب فامره بالاستغفار له ولكنا لا نعلمه وغير ان ذنب الانبياء
ترك الافضل دون مباشرة القبيح وذنوبنا مباشرة القبايح من الصغاير والكباير وقيل الفاءات
فى هذه الايات يعطف جملة على جملة بينهما اتصال والله يعلم متقلبكم فى معايشكم ومتاجركم
ومثويكم فى القبور او متقلبكم فى اعمالكم ومثويكم من الجنة والنار ومثله حقيق بان يتقى و
يخشى وان يستغفر وسئل سفيان بن عيينة عن فضل العلم فقال لم تسمع قوله فاعلم انه لا اله
الا الله واستغفر لذنبك فامر الله بالعمل بعد العلم ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة
فيها ذكر الجهاد فاذا انزلت سورة فى معنى الجهاد محكمة مبينة غير متشابهة لا تحتمل وجها
الا وجوب القتال وعن قتادة كل سورة فيها ذكر القتال فهى محكمة لان النسخ لا يرد عليها من
قبل ان القتال نسخ ما كان من الصفح والمهادنة وهو غير منسوخ الى يوم القيمة وذكر فيها القتال
اى امر فيها بالجهاد رايت الذين فى قلوبهم مرض نفاق رايت المنافقين فيما بينهم يضجرون منها
ينظرون اليك نظر المغشى عليه من الموت اى تشخص ابصارهم جبنا وجزعا كما ينظر من اصابته
الغشية من اصابته منه الموت فاولى لهم وعيد بمعنى فويل لهم وهو افعل من الولى وهو القرب و معناه

الدعاء عليهم بان يليهم المكروه طاعة وقول معروف كلام مستانف اى طاعة وقول معروف خير لهم
فاذا عزم الامر فاذا جد الامر ولزمهم فرض القتال فلو صدقوا الله فى الايمان والطاعة لكان الصدق
خيرا لهم من كراهة الجهاد ثم التفت من الغيبة الى الخطاب بضرب من التوبيخ والارهاب فقال
فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا فى الارض وتقطعوا ارحامكم اى فلعلكم ان اعرضتم عن دين
رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته ان ترجعوا الى ما كنتم عليه فى الجاهلية من الافساد فى الارض
بالتغاور والتناهب وقطع الارحام بمقاتلة بعض الاقارب بعضا ووأد البنات وخبر عسى
ان تفسدوا والشرط اعتراض بين الاسم والخبر والتقدير فهل عسيتم ان تفسدوا فى الارض و
تقطعوا ارحامكم ان توليتم اولئك اشارة الى المذكورين الذين لعنهم الله ابعدهم من رحمته
فاصمهم عن استماع الموعظة واعمى ابصارهم من الابصار طريق الهدى افلا يتدبرون القران
فيعرفوا ما فيه من المواعظة والزواجر ووعيد العصاة حتى لا يجسروا على المعاصى ام فى ام على
قلوب اقفالها بمعنى بل وهمزة التقدير للتسجيل عليهم بان قلوبهم مقفلة لا يتوصل اليها ذكر و
نكرت القلوب لان المراد على قلوب قاسية مبهم امرها فى ذلك او المراد على بعض القلوب وهو
قلوب المنافقين واضيفت الاقفال الى القلوب وهو قلوب المنافقين لان المراد الاقفال المختصة
بها وهى اقفال الكفر التى استغلقت فلا تنفتح نحو الدين والختم والطبع ان الذين ارتدوا على
ادبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى اى المنافقين رجعوا الى الكفر سرا بعد وضوح الحق لهم
الشيطان سول زين لهم جملة من مبتدا وخبر وقعت خبر الان نحو ان زيدا عمرو مر به
واملى لهم ومد لهم فى الامال والامانى واملى ابو عمرو اى امهل ومد فى عمرهم ذلك بانهم
قالوا للذين كرهوا ما نزل الله اى المنافقون قالوا لليهود سنطيعكم فى بعض الامر اى عداوة
محمد صلى الله عليه وسلم والقعود عن نصرته والله يعلم اسرارهم على المصدر هذا سرحمزة وعلى
وحفص اسرارهم غيرهم جمع سر فكيف اذا توفتهم الملائكة اى فكيف يعملون وما حيلتهم حينئذ
يضربون وجوههم وادبارهم عن ابن عباس رض لا يتوفى احد على معصية الا بضرب من الملائكة
فى وجهه ودبره ذلك بانهم اشارة الى التوفى الموصوف بانهم بسبب انهم اتبعوا ما اسخط الله من
معاونة الكافرين وكرهوا رضوانه من نصرة المؤمنين فاحبط اعمالهم ام حسب الذين فى قلوبهم

مرض ان لن يخرج الله اضغانهم احقادهم والمعنى ظن المنافقين ان الله تعالى لا يبرز بغضهم وعداوتهم
للمؤمنين ولو نشاء لاريناكهم لعرفناكهم ودللناك عليهم فلعرفتهم بسيماهم بعلامتهم وهو ان
يسمهم الله تعالى بعلامة يعلمون بها وعن انس رض ما خفى على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه
الاية احد من المنافقين كان يعرفهم بسيماهم ولتعرفنهم فى لحن القول فى نحوه واسلوبه به لحن
فى فحوى كلامهم لانهم لا يقدرون على كتمان ما فى انفسهم واللام فلعرفتهم داخلة فى جواب لو
كالتى فى لاريناكهم كررت فى المعطوف واما اللام فى ولتعرفنهم فواقعة مع النون فى جواب قسم
محذوف والله يعلم اعمالكم فيميز خيرها من شرها ولنبلونكم بالقتال اعلاما لا استعلاما اونعاملكم
معاملة المختبرين ليكون ابلغ فى اظهار العدل حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين على الجهاد
اى نعلم كاينا ما علمناه انه سيكون ونبلوا اخباركم اسراركم وليبلونكم حتى يعلم ويبلوا ابو بكر وعن
الفضيل رح انه كان اذا قراها بكى وقال اللهم لا تبتلنا فانك ان بلوتنا فضحتنا وهتكت استارنا و
عذبتنا ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول وعادوه يعنى المطعمين يوم بدر
وقد مر من بعد ما تبين لهم الهدى من بعد ما ظهر انه الحق وعرفوا الرسول لن يضروا الله شيئا
وسيحبط اعمالهم التى عملوها فى مشاقة الرسول اى سيبطلها فلا يصلون منها الى اعراضهم يا ايها الذين
امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم بالنفاق او بالرياء ان الذين كفروا وصدوا
عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم قيل هم اصحاب القليب والظاهر العموم فلا
تهنوا فلا تضعفوا ولا تذلوا للعدو وتدعوا الى السلم وبالكسر حمزة وابو بكر وهما المسالمة اى و
لا تدعوا الكفار الى الصلح وانتم الاعلون اى الاغلبون وتدعوا مجزوم لدخوله فى حكم النهى او منصوب
باضمار ان والله معكم بالنصر اى ناصركم ولن يتركم اعمالكم ولن ينقصكم اجر اعمالكم انما الحيوة الدنيا
لعب ولهو تنقطع فى اسرع مدة وان تؤمنوا بالله ورسوله وتتقوا الشرك يؤتكم اجوركم ثواب
ايمانكم وتقويكم ولا يسالكم اموالكم اى ولا يسالكم جميعها بل ربع العشر والفاعل الله او الرسول وقال
سفيان بن عيينة غيضا من فيض ان يسالكموها فيحفكم اى يجهدكم ويطلبه كله والاحفاء المبالغة و
بلوغ الغاية فى كل شئ يقال احفاه فى المسالة اذا لم يترك شيئا من الالحاح واحفى شاربه اذا استاصله
تبخلوا ويخرج اى الله او البخل اضغانكم عند الامتناع او عند سؤال الجميع لان عند مسالة المال يظهر العداوة

والحقد ها انتم ها للتنبيه هؤلاء موصولة بمعنى الذى صلته تدعون اى انتم الذين تدعون لتنفقوا
فى سبيل الله هى النفقة فى الغزو او الزكوة كانه قيل الدليل على انه لو احفاكم لبخلتم وكرهتم العطاء انكم
تدعون الى اداء ربع العشر فمنكم من يبخل بالرفع لان من ليست للشرط اى فمنكم ناس يبخلون ومن
يبخل بالصدقة واداء الفريضة فانما يبخل عن نفسه اى يبخل عن داعى نفسه لا عن داعى ربه وقيل يبخل
على نفسه يقال بخلت عليه وعنه والله الغنى وانتم الفقراء اى انه لا يامر بذلك لحاجة لانه غنى
عن الحاجات ولكن لحاجتكم فقيركم الى الثواب وان تتولوا وان تعرضوا ايها العرب من طاعته
وطاعة رسوله والانفاق فى سبيله وهو معطوف على ان تؤمنوا وتتقوا يستبدل قوما غيركم
اى يخلق قوما خيرا منكم واطوع وهم فارس وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القوم وكان
سلمان الى جنبه فضرب على فخذه وقال هذا وقومه والذى نفسى بيده لو كان الايمان منوطا بالثريا
لتناوله رجال من فارس ثم لا يكونوا امثالكم اى ثم لا يكونوا فى الطاعة امثالكم بل اطوع منكم والله اعلم

سورة الفتح مدنية وهى تسع وعشرون اية بسم الله الرحمن الرحيم

انا فتحنا لك فتحا مبينا الفتح الظفر بالبلد عنوة او صلحا بحرب او بغير حرب لانه منغلق ما لم يظفر به
فاذا ظفر به فقد فتح ثم قيل هو فتح مكة وقد نزلت مرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مكة عام
الحديبية عدة له بفتح مكة وجئ به على لفظ الماضى لانها فى تحققها بمنزلة الكائنة وفى ذلك من الفخامة
والدلالة على علو شان المخبر ما لا يخفى وقيل هو فتح الحديبية ولم يكن فيه قتال شديد ولكن ترام
بين القوم بسهام وحجارة فرموا المشركين حتى ادخلوهم ديارهم وسالوا الصلح فكان فتحا مبينا
وقال الزجاج كان فى فتح الحديبية اية عظيمة وذلك انه نزح ماؤها ولم يبق فيها قطرة فتمضمض
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مجه فى البئر فدرت بالماء حتى شرب جميع الناس وقيل هو فتح
خيبر وقيل بمعناه قضينا لك قضاء بينا على اهل مكة ان تدخلها انت واصحابك من قابل لتطوفوا
بالبيت من الفتاحة وهى الحكومة ليغفر لك الله قيل الفتح ليس بسبب للمغفرة والتقدير انا فتحنا لك
فتحا مبينا فاستغفر ليغفر لك الله ومثله اذا جاء نصر الله والفتح الى قوله فسبح بحمد ربك
واستغفره ويجوز ان يكون فتح مكة من حيث انه جهاد للعدو سببا للغفران وقيل الفتح لم يكن
ليغفر له بل لاتمام النعمة وهداية الصراط المستقيم والنصر العزيز ولكنه لما عد عليه هذه النعم وصلها
بما هو اعظم النعم كانه قيل يسرنا لك فتح مكة وكذا لنجمع لك بين عز الدارين واغراض العاجل والاجل
ما تقدم من ذنبك وما تاخر يريد جميع ما فرط منك او ما تقدم من حديث مارية وما تاخر من
امراة زيد ويتم نعمته عليك باعلاء دينك وفتح البلاد على يدك ويهديك صراطا مستقيما فى
تبليغ الرسالة واقامة مراسم الرياسة وقيل ويهديك اى يثبتك على الدين المرضى وينصرك الله نصرا عزيزا قويا منيعا لا ذل بعده ابدا هو الذى انزل السكينة
فى قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم السكينة للسكون كالبهيتة للبهتان اى انزل الله فى قلوبهم
السكون والطمانينة بسبب الصلح ليزدادوا يقينا الى يقينهم وقيل السكينة الصبر على ما امر الله والثقة
بوعد الله والتعظيم لامر الله ولله جنود السموات والارض وكان الله عليما حكيما ليدخل المؤمنين
والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم وكان ذلك عند الله
فوزا عظيما ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات اى ولله جنود السموات
والارض يسلط بعضها على بعض كما يقتضيه علمه وحكمته ومن قضيته ان سكن قلوب المؤمنين بصلح
الحديبية ووعدهم ان يفتح لهم وانما قضى ذلك ليعرف المؤمنون نعمة الله فيه ويشكروها فيثيبهم
ويعذب الكافرين والمنافقين لما غاظهم من ذلك وكرهوه الظانين بالله ظن السوء وقع السوء
عبارة عن رداءة الشئ وفساده يقال فعل سوء مسخوط فاسد والمراد ظنهم ان الله لا ينصر
الرسول والمؤمنين ولا يرجعهم الى مكة ظافرين فاتحيها عنوة وقهرا عليهم دائرة السوء
مكى وابو عمرو اى ما يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين فهو حائق بهم ودائر عليهم والسوء
الهلاك والدمار وغيرهما دائرة السوء بالفتح الدائرة التى يذمونها ويسخطونها والسوء و
السوء كالكره والكره والضعف والضعف الا ان المفتوح غلب فى ان يضاف اليه ما يراد ذمه
من كل شئ واما السوء فجار مجرى الشئ الذى هو نقيض الخير وغضب الله عليهم ولعنهم و
اعد لهم جهنم وساءت مصيرا ولله جنود السموات والارض فيدفع كيد من عادى نبيه
والمؤمنين بما شاء منها وكان الله عزيزا غالبا فلا يرد باسه حكيما فيما دبر انا ارسلناك
شاهدا تشهد على امتك يوم القيمة وهذه حال مقدرة ومبشرا للمؤمنين بالجنة ونذيرا
للكافرين من النار لتؤمنوا بالله ورسوله والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولامته
وتعزروه وتقووه بالنصرة وتوقروه وتعظموه وتسبحوه من التسبيح او من السبحة والضمائر

لله عز وجل والمراد بتعزير الله تعزير دينه ورسوله ومن فرق الضماير فجعل الاولين للنبي
صلى الله عليه وسلم فقد ابعد ليؤمنوا مكي وابو عمرو والضمير للناس وكذا الثلثة الاخيرة بالياء
عندهما بكرة صلوة الفجر واصيلا الصلوة الاربع ان الذين يبايعونك اي بيعة الرضوان
انما يبايعون الله اكده تاكيدا على طريقة التخييل فقال يد الله فوق ايديهم يريد ان
يد رسول الله صلى الله عليه وسلم التي تعلو ايدي المبايعين هي يد الله والله منزه عن الجوارح
وعن صفات الاجسام وانما المعنى تقرير ان عقد الميثاق مع الرسول كعقده مع الله من
غير تفاوت بينهما لقوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله وانما يبايعون الله خبر ان
فمن نكث نقض العهد ولم يف بالبيعة فانما ينكث على نفسه فلا يعود ضرر نكثه الا اليه
قال جابر بن عبد الله بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة على الموت وعلى ان
لا نفر فما نكث احد منا البيعة الا جد بن قيس وكان منافقا اختبأ تحت ابط بعيره و
لم يسر مع القوم ومن اوفى بما عاهد يقال وفيت بالعهد واوفيت به ومنه قوله اوفوا بالعقود
جمع عقد والموفون بعهدهم عليه الله حفص فسيوتيه وبالنون حجازي وشامي اجرا عظيما
الجنة سيقول لك اذا رجعت من الحديبية المخلفون من الاعراب هم الذين خلفوا عن الحديبية
وهم اعراب غفار ومزينة وجهينة واسلم واشجع والديل وذلك انه عليه الصلوة والسلام حين
اراد المسير الى مكة عام الحديبية معتمرا استنفر من حول المدينة من الاعراب واهل البوادي
ليخرجوا معه حذرا من قريش ان يعرضوا له بحرب او يصدوه من البيت الحرام هو صلى الله عليه
وسلم وساق معه الهدي ليعلم انه لا يريد حربا فتثاقل كثير من الاعراب وقالوا يذهب الى قوم
غزوه في عقر داره بالمدينة وقتلوا اصحابه فيقاتلهم وظنوا انه يهلك فلا ينقلب الى المدينة
شغلتنا اموالنا واهلونا جمع اهل اعتلوا بالشغل باهاليهم واموالهم وانه ليس لهم من يقوم
باشغالهم فاستغفر لنا ليغفر الله لنا تخلفنا عنك يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم تكذيب
لهم في اعتذارهم وان الذي خلفهم ليس بما يقولون وانما هو الشك في الله والنفاق وطلبهم للاستغفار
ايضا ليس بصادر عن حقيقة قل فمن يملك لكم من الله شيئا فمن يمنعكم من مشية الله تعالى وقضائه
ان اراد بكم ضرا ما يضركم من قتل او هزيمة ضرا حمزة وعلي او اراد بكم نفعا من غنيمة وظفر بل كان الله

بما تعملون

بما تعملون خبيرا بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا وزين ذلك في قلوبكم
زينه الشيطان وظننتم ظن السوء من هلاك الكفر وظهور الفساد وكنتم قوما بورا جمع بائر
كعائذ وعوذ من بار الشيء هلك وفسد اي وكنتم قوما فاسدين في انفسكم وقلوبكم ونياتكم
لا خير فيكم او هالكين عند الله مستحقين لسخطه وعقابه ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا
للكافرين سعيرا اي لهم فاقيم الظاهر مقام الضمير للايذان بان من لم يجمع بين الايمانين الايمان
بالله وبرسوله فهو كافر ونكر سعيرا لانها نار مخصوصة كما نكر نارا تلظى ولله ملك السموات
والارض يدبره تدبير قادر حكيم يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء يغفر ويعذب بمشيته وحكمته
المغفرة للمؤمنين وتعذيب الكافرين وكان الله غفورا رحيما سبقت رحمته غضبه سيقول
المخلفون الذين تخلفوا عن الحديبية اذا انطلقتم الى مغانم الى غنائم خيبر لتاخذوها
ذرونا نتبعكم يريدون ان يبدلوا كلام الله كلم الله حمزة وعلي اي يريدون ان يغيروا
موعد الله لاهل الحديبية وذلك انه وعدهم ان يعوضهم من مغانم مكة مغانم خيبر اذا
قفلوا موادعين لا يصيبون منهم شيئا قل لن تتبعونا الى خيبر وهو اخبار من الله بعدم اتباعهم
كذلكم قال الله من قبل من قبل انصرافهم الى المدينة ان غنيمة خيبر لمن شهد
الحديبية دون غيرهم فسيقولون بل تحسدوننا اي لم يامركم الله به بل تحسدوننا ان نشارككم
في الغنيمة بل كانوا لا يفقهون من كلام الله الا قليلا الا شيئا قليلا يعني مجرد القول والفرق
بين الاضرابين ان الاول ان يكون حكم الله ان لا يتبعوهم واثبات الحسد والثاني اضراب عن
وصفهم باضافة الحسد الى المؤمنين الى وصفهم بما هو اطم منه وهو الجهل وقلة الفقه قل للمخلفين
من الاعراب هم الذين تخلفوا عن الحديبية ستدعون الى قوم اولي باس شديد يعني حنيفة قوم
مسيلمة واهل الردة الذين حاربهم ابو بكر رض لان مشركي العرب والمرتد هم الذين لا يقبل
منهم الا الاسلام او السيف وقيل هم فارس وقد دعاهم عمر رض تقاتلونهم او يسلمون اي يكون
احد الامرين اما المقاتلة او الاسلام ومعنى يسلمون على هذا التاويل ينقادون لان فارس مجوس
يقبل منهم الجزية وفي الاية دلالة صحة خلافة الشيخين حيث وعدهم الثواب على طاعة الداعي عند
دعوته بقوله فان تطيعوا من دعاكم الى قتاله يؤتكم الله اجرا حسنا فوجب ان يكون الداعي مفترض

الطاعة وان تتولوا كما توليتم من قبل عن الحديبية يعذبكم عذابا اليما في الآخرة ليس على الاعمى حرج
ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج نفى الحرج عن ذوي العاهات في التخلف عن الغزو
ومن يطع الله ورسوله في الجهاد وغير ذلك يدخله جنات تجري من تحتها الانهار ومن
يتول يعرض عن الطاعة يعذبه عذابا اليما ندخله ونعذبه مدني وشامي لقد رضي الله عن
المومنين اذ يبايعونك تحت الشجرة هي بيعة الرضوان سميت بهذه الآية وقصتها ان النبي
صلى الله عليه وسلم حين نزل بالحديبية بعث حراس بن امية الخزاعي رسولا الى اهل مكة فهموا به
منعه الاحابيش فلما دعا بعمر ليبعثه فقال اني اخافهم على نفسي لما عرف من عداوتي اياهم
فبعث عثمان بن عفان رض فخبرهم انه لم يات بحرب وانما جاء زائرا للبيت فوقروه واحتبس
عندهم فارجف بانهم قتلوه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نبرح حتى نناجز القوم ودعا
الناس الى البيعة فبايعوه على ان يناجز قريشا ولا يفروا تحت الشجرة وكانت سمرة وكان
عدد المبايعين الفا واربعماية فعلم ما في قلوبهم من الاخلاص وصدق الضمائر فيما بايعوا
عليه فانزل السكينة عليهم اي الطمانينة والامن بسبب الصلح على قلوبهم واثابهم وجازاهم فتحا
قريبا هو فتح خيبر عند انصرافهم من مكة ومغانم كثيرة ياخذونها هي مغانم خيبر وكانت ارضا
ذات عقار واموال فقسمها عليهم وكان الله عزيزا منيعا فلا يغالب حكيما فيما يحكم به فلا يعارض
وعدكم الله مغانم كثيرة تاخذونها هي ما اصابوه مع النبي صلى الله عليه وسلم وبعده الى يوم القيمة فعجل
لكم هذه اي مغانم خيبر وكف ايدي الناس عنكم يعني ايدي اهل خيبر وحلفائهم من اسد وغطفان
حين جاؤا لنصرتهم فقذف في قلوبهم الرعب فانصرفوا وقيل ايدي الناس ايدي اهل مكة بالصلح
ولتكون هذه الكفة اية للمؤمنين وعبرة يعرفون بها انهم من الله عز وجل بمكان وانه ضامن
نصرتهم والفتح عليهم فعل ذلك لتكون ويهديكم صراطا مستقيما ويزيدكم بصيرة ويقينا و
ثقة بفضل الله واخرى معطوفة على هذه اي فعجل لكم هذه المغانم ومغانم اخرى وهي مغانم
هوازن في غزوة خيبر لم تقدروا عليها من الجولة قد احاط الله بها اي قدر عليها واستولى
واظهركم عليها ويجوز في اخرى النصب بفعل مضمر يفسره قد احاط الله بها تقديره وقضى الله
اخرى قد احاط بها واما لم تقدروا عليها فصفة لاخرى والرفع على الابتداء لكونها موصوفة

بلم تقدروا وقد احاط بها خبر المبتداء وكان الله على كل شيء قديرا قادرا ولو قاتلكم الذين كفروا
من اهل مكة ولم يصالحوا او من حلفاء اهل خيبر لولوا الادبار لغلبوا وانهزموا ثم لا يجدون وليا
يلي امرهم ولا نصيرا ينصرهم سنة الله في موضع المصدر المؤكد اي سن الله غلبة انبيائه سنة
وهو قوله لاغلبن انا ورسلي التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا تغييرا وهو الذي
كف ايديهم عنكم اي ايدي اهل مكة وايديكم عنهم عن اهل مكة يعني قضى بينهم وبينكم المكافة
والمحاجزة بعد ما خول لكم الظفر عليهم والغلبة وذلك يوم الفتح وبه استشهد ابو حنيفة رحمه الله
على ان مكة فتحت عنوة لا صلحا وقيل كان ذلك في غزوة الحديبية لما روي ان عكرمة ابن ابي جهل
خرج في خمسماية فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من هزمهم وادخلهم حيطان مكة وعن
ابن عباس رض اظهر الله المسلمين عليهم بالحجارة حتى ادخلوهم البيوت ببطن مكة اي بمكة
او بالحديبية لان بعضها منصوب الى الحرم من بعد ان اظفركم عليهم اي اقدركم وسلطكم وكان
الله بما تعملون بصيرا بالياء ابو عمرو هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام هو ما
يهدى الى الكعبة ونصبه عطفا على كم في صدوكم اي صدوكم وصدوا الهدي معكوفا ان يبلغ
محبوسا عن ان يبلغ ومعكوفا حال وكان عليه السلام ساق سبعين بدنة محله اي مكانه الذي
يحل فيه نحره اي يجب وهذا دليل على ان المحصر محل هديه الحرم والمراد المحل المعهود وهو منا
ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات بمكة لم تعلموهم صفة للرجال والنساء جميعا ان
تطؤهم بدل اشتمال منهم او من الضمير المنصوب في تعلموهم فتصيبكم منهم معرة اثم وشدة
ومفعلة من عره بمعنى عراه اذا دعاه ما يكرهه ويشق عليه وهو الكفارة اذا قتله خطاء
وسوء قالة المشركين انهم فعلوا باهل دينهم مثل ما فعلوا بنا من غير تميز والاثم اذا قصر
بغير علم متعلق بان تطؤهم يعني ان تطؤهم غير عالمين بهم والوطؤ عبارة عن الايقاع
التقصير والابادة والمعنى انه كان بمكة قوم من المسلمين مختلطون بالمشركين غير متميزين
منهم فقيل ولولا كراهة ان تهلكوا ناسا مؤمنين بين ظهراني المشركين وانتم غير عارفين
بهم فيصيبكم باهلاكهم مكروه ومشقة لما كف ايديكم عنهم وقوله ليدخل الله في رحمته من
يشاء تعليل لما دلت عليه الآية وسيقت له من كف الايدي عن اهل مكة والمنع عن قتلهم

والهدي

صونا لمن بين اظهرهم من المؤمنين كانه قال كان الكف ومنع التعذيب ليدخل الله في رحمته اي في
توفيقه لزيادة الخير والطاعة لمؤمنيهم او ليدخل في الاسلام ومن رغب فيه من مشركيهم لو تزيلوا لو
لو تفرقوا او تميز المسلمون من الكافرين وجواب لولا محذوف عنه جواب لو ويجوز ان يكون لو
تزيلوا كالتكرير للولا رجال مؤمنون لمرجعهما الى معنى واحد ويكون لعذبنا الذين كفروا هو الجواب
تعذيبا ولولا ان تطؤا رجالا مؤمنين ونساء مؤمنات ولو كانوا متميزين لعذبناهم بالسيف
منهم من اهل مكة عذابا اليما والعامل في اذ جعل الذين كفروا اي قريش لعذبناهم في ذلك الوقت
او اذكر يا محمد في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين المراد
بحمية الذين كفروا هي الانفة وسكينة المؤمنين وهي الوقار ويروى ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم لما نزل بالحديبية بعث قريش سهيل بن عمرو وخويطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص
على ان يعرضوا على النبي صلى الله عليه وسلم ان يرجع من عامه ذلك على ان يخلي له قريش مكة من
العام القابل ثلثة ايام ففعل ذلك وكتبوا بينهم كتابا فقال عليه الصلوة والسلام لعلي رضي الله عنه
اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل واصحابه ما نعرف هذا ولكن اكتب باسمك اللهم ثم
قال اكتب هذا ما صالح عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل مكة فقالوا لو كنا نعلم انك لرسول
الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله اهل مكة
فقال عليه الصلوة والسلام اكتب ما يريدون فانا اشهد اني رسول الله وانا محمد بن عبد الله فهم
المسلمون ان يابوا ذلك ويشمئزوا منه فانزل الله على رسوله السكينة فتوقروا وحلموا و
الزمهم كلمة التقوى الجمهور على انها كلمة الشهادة وقيل بسم الله الرحمن الرحيم والاضافة الى
التقوى باعتبار انها سبب التقوى واساسها وقيل كلمة اهل التقوى وكانوا اي المؤمنون
احق بها من غيرهم واهلها بتاهيل الله اياهم وكان الله بكل شيء عليما فيجري الامور على مصالحها
لقد صدق الله رسوله الرؤيا اي صدقه في رؤياه ولم يكذبه تعالى عن الكذب فحذف الجار و
اوصل الفعل كقوله صدقوا ما عدوا الله عليه روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم راى قبل
خروجه الى الحديبية كانه واصحابه قد دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا وقصروا فقص الرؤيا
على اصحابه ففرحوا وحسبوا انهم داخلوها في عامهم وقالوا ان رؤيا رسول الله حق فلما تاخر ذلك

قال عبد الله بن ابي اوفى ابي مغيرة والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا راينا المسجد الحرام فنزلت بالحق متعلق
بصدق اي صدقه فيما راى وفي كونه وحصوله صدقا ملتبسا بالحق اي بالحكمة البالغة وذلك ما فيه
من الابتلاء والتمييز بين المؤمنين من المخلص وبين من في قلبه مرض ويجوز ان يكون بالحق قسما اما بالحق
الذي هو نقيض الباطل او بالحق الذي هو من اسمائه وجوابه لتدخلن المسجد الحرام وعلى الاول
هو جواب قسم محذوف ان شاء الله حكاية من الله تعالى قول رسوله لاصحابه وقصه عليهم
او تعليم لعباده ان يقولوا في عداتهم مثل ذلك متادبين بادب الله مقتدين بسنته آمنين
حال والشرط معترض محلقين حال من الضمير في آمنين رؤسكم اي جميع شعورها ومقصرين
بعض شعورها لا تخافون حال مؤكدة فعلم ما لم تعلموا من الحكمة في تاخير فتح مكة الى العام القابل
فجعل من دون ذلك اي من دون فتح مكة فتحا قريبا وهو فتح خيبر لتستروح اليه قلوب المؤمنين
الى ان يتيسر الفتح الموعود هو الذي ارسل رسوله بالهدى بالتوحيد ودين الحق اي الاسلام ليظهره
ليغلبه على الدين كله على جنس الدين يريد الاديان المختلفة من اديان المشركين واهل الكتاب و
لقد حقق ذلك سبحانه فانك لا ترى دينا الا وللاسلام دونه العزة والغلبة وقيل هو عند نزول
عيسى عليه السلام حتى لا يبقى على وجه الارض كافر وقيل هو اظهاره بالحجج والآيات وكفى بالله
بالله شهيدا على ان ما وعده كائن وعن الحسن رح شهيد على نفسه انه سيظهر دينه والتقدير وكفى
الله شهيدا تمييز او حال محمد خبر مبتدا اي هو محمد لتقدم قوله هو الذي ارسل رسوله او مبتدا
وخبره رسول الله وقف عليه نصير والذين معه اصحابه مبتدا والخبر اشداء على الكفار او
محمد مبتدا ورسول الله عطف بيان والذين معه عطف على المبتدا واشداء خبر عن الجميع
ومعناه غلاظ رحماء بينهم متعاطفون وهو خبر ثاني وهما جميعا شديد ورحيم ونحوه اذلة
على المؤمنين اعزة على الكافرين وبلغ من تشددهم على الكفار انهم كانوا يتحرزون عن ثيابهم ان
تلزق بثيابهم وعن ابدانهم ان تمس ابدانهم وبلغ من ترحمهم فيما بينهم انه كان لا يرى مؤمن
مؤمنا الا صافحه وعانقه تريهم ركعا سجدا راكعين ساجدين يبتغون حال كما ان ركعا وسجدا
كذلك فضلا من الله ورضوانا سيماهم علامتهم في وجوههم من اثر السجود اي من التاثير الذي
يؤثره السجود وعن عطاء استنارت وجوههم من طول ما صلوا بالليل لقوله صلى الله عليه وسلم من كثر

صلوتهم بالليل حسن وجههم بالنهار ذلك المذكور مثلهم صفتهم في التورية وعليه وقف ومثلهم في
الانجيل مبتداء خبره كزرع اخرج شطاءه فراخه يقال اشطاء الزرع اذا فرخ فآزره قواه
فازره شامي فاستغلظ فصار من الرقة الى الغلظ فاستوى على سوقه فاستقام على قصبه جمع
ساق يعجب الزراع يتعجبون من قوته وقيل في الانجيل سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يامرون
بالمعروف وينهون عن المنكر وعن عكرمة اخرج شطاه بابي بكر فآزره بعمر فاستغلظ بعثمان
فاستوى على سوقه بعلي هذا مثل ضربه الله تعالى لبدء امر الاسلام وترقيه في الزيادة الى ان
قوي واستحكم لان النبي صلى الله عليه وسلم قام وحده ثم قواه الله تعالى بمن آمن معه كما يقوى
الطاقة الاولى من الزرع ما يحتف بها مما يتولد منها حتى يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار
تعليل لما دل عليه تشبيههم بالزرع من نمائهم وترقيهم في الزيادة والقوة ويجوز ان يعلل
به وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما لان الكفار اذا سمعوا
بما اعد لهم في الاخرة مع ما يعزهم به في الدنيا غاظهم ذلك ومن في منهم للبيان كما في قوله تعالى
فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا وقولك انفق من الدراهم اي اجعل نفقتك من
هذا الجنس وهذه الاية ترد قول الروافض انهم كفروا بعد وفات النبي صلى الله عليه وسلم اذ الوعد
لهم بالمغفرة والاجر العظيم انما يكون ان لو ثبتوا على ما كانوا عليه في حيوته سورة الحجرات

مدنية وهي ثماني عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الذين امنوا لا تقدموا بين قدمه واقدمه منقولان بتثقيل الحشو والهمزة من قدمه
اذا تقدمه في قوله تعالى يقدم قومه حذف المفعول ليتنا ول كل ما يقع في النفس مما تقدم
من القول او الفعل وجاز ان لا يقصد مفعول والنهي متوجه الى نفس التقدمة كقوله هو
الذي يحيي ويميت او هو من قدم بمعنى تقدم كوجه وبين ومنه مقدمة الجيش وهي
الجماعة المتقدمة ويؤيده قراءة يعقوب لا تقدموا بحذف احدى تائي تتقدموا بين يدي الله
ورسوله حقيقة قولهم جلست بين يدي فلان ان تجلس بين الجهتين المسامتين يمينه
وشماله قريبا منه فسميت الجهتان يدين لكونهما على سمت اليدين مع القرب منهما توسعا كما
سمي الشيء باسم غيره اذا جاوره في هذه العبارة ضرب من المجاز الذي يسمى تمثيلا وفيه فائدة

جليلة وهي تصوير الهجنة والشناعة فيما نهوا عنه من الاقدام على امر من الامور دون الاحتذاء على
امثلة الكتاب والسنة ويجوز ان يجري مجرى قولك سرني زيد وحسن حاله اي سرني حسن حال
زيد فكذلك هنا المعنى بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فائدة هذه الاسلوب الدلالة على
قوة الاختصاص فلما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من الله بالمكان الذي لا يخفى سلك به هذا
المسلك وفي هذا تمهيد لما نقم منهم من رفع اصواتهم فوق صوته لان فضله الله بهذه الاثرة و
هذا الاختصاص كان ادنى ما يجب له من التهيب والاجلال ان يخفض بين يديه الصوت
وعن الحسن ان اناسا ذبحوا يوم الاضحى قبل الصلوة فنزلت وامرهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان يعيدوا ذبحا اخر وعن عايشة رض انها نزلت في النهي عن صوم يوم الشك
واتقوا الله فانكم ان تقيتموه عاقبكم التقوى عن التقدمة المنهي عنها ان الله سميع لما تقولون
عليم بما تعملون وحق مثله ان يتقى يا ايها الذين امنوا اعادة النداء عليهم استدعاء منهم
لتجديد الاستبصار عند كل خطاب وارد وتحريك منهم لئلا يغفلوا عن تاملهم لا ترفعوا
اصواتكم فوق صوت النبي اي اذا نطق ونطقتم فعليكم ان لا تبلغوا باصواتكم وراء الحد الذي
يبلغه بصوته وان تغضوا منها بحيث يكون كلامه عاليا لكلامكم وجهره باهرا لجهركم حتى
تكون مزيته عليكم لائحة وسابقته لديكم واضحة ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض اي
كلمتموه وهو صامت فاياكم والعدول عما نهيتم عنه من رفع الصوت بل عليكم اذا لا تبلغوا
به الجهر الدائر بينكم وان تتعمدوا في مخاطبته القول اللين المقرب من الهمس الذي يضاد الجهر
او لا تقولوا له يا محمد يا احمد وخاطبوه بالنبوة والسكينة والتعظيم ولما نزلت هذه الاية
ما كلم النبي صلى الله عليه وسلم ابو بكر وعمر الا كاخ السرار وعن ابن عباس رض انها نزلت في
ثابت ابن قيس بن شماس وكان في اذانه وقر وكان جهوري الصوت وكان اذا كلم رفع صوته
وربما كان يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيتاذى بصوته وكاف التشبيه في محل النصب اي
لا تجهروا له جهرا مثل جهر بعضكم لبعض وفي هذا انهم نهوا عن الجهر مطلقا حتى لا يسوغ
لهم الا ان يكلموه بالمخافتة وانما نهوا عن جهر مخصوص اعني الجهر المنعوت بمماثلة ما قد اعتادوه
منه فيما بينهم وهو الخلو عن مراعاة ابهة النبوة وجلالة مقدارها ان تحبط اعمالكم منصوب

الموضع على انها مفعول له متعلق بمعنى النهى والمعنى انتهوا عما نهيتم عنه لحبوط اعمالكم اى لخشية
حبوطها على تقدير حذف المضاف وانتم لا تشعرون ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله
ثم اسم ان عند قوله رسول الله والمعنى يخفضون اصواتهم فى مجلسه تعظيما له اولئك مبتدأ
خبره الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى تم صلة الذى عند قوله للتقوى واولئك مع
خبره خبر ان والمعنى اخلصها للتقوى من قولهم امتحن الذهب والفضة وفتنه اذا اذابه فخلص
ابريزه من خبثه ونفاه وحقيقته عاملها معاملة المختبر فوجدها مخلصة وعن عمر رضه
اذهب الشهوات عنها والامتحان افتعال من محنه وهو اختبار بليغ وبلاء جهيد لهم
مغفرة واجر عظيم جملة اخرى قيل نزلت فى الشيخين رضه لما كان منهما من غض الصوت
وهذه الاية بنظمها الذى رتبت عليه من ايقاع الغاضين اصواتهم اسما لان المؤكدة وتصيير
خبرها جملة من مبتدأ وخبر معرفتين معا والمبتدأ اسم الاشارة واستيناف الجملة المستودعة
ما هو جزاؤهم على عملهم وايراد الجزاء نكرة مبهما امره دالة على غاية الاعتداد والارتضاء
لفعل الغاضين اصواتهم وفيها تعريض بعظم ما ارتكب الرافعون اصواتهم ان الذين ينادونك
من وراء الحجرات نزلت فى وفد بنى تميم اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت الظهيرة وهو
راقد وفيهم الاقرع بن حابس وعيينة بن حصين ونادوا النبى صلى الله عليه وسلم من وراء حجراته
وقالوا اخرج الينا يا محمد فان مدحنا زين وذمنا شين فاستيقظ وخرج والوراء الجهة التى
يواريها عنك بظلها من خلف او قدام ومن لابتداء الغاية وان المناداة نشأت من ذلك المكان
والحجرة الرقعة من الارض المحجورة بحائط يحوط عليها وهى فعلة بمعنى مفعولة كالقبضة و
جمعها الحجرات بفتح الجيم وهى قراءة يزيد والمراد حجرات نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم
فكانت لكل منهن حجرة ومناداتهم من ورائها ولعلهم تفرقوا على الحجرات متطلبين له او نادوه
من وراء الحجرة التى كان فيها ولكنها جمعت اجلالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم والفعل
وان كان مسندا الى جميعهم فانه يجوز ان يتولاه بعضهم وكان الباقون راضين فكانهم تولوه
جميعا اكثرهم لا يعقلون يحتمل ان يكون فيهم من قصد استثناؤه ويحتمل ان يكون المراد النفى العام
اذ القلة تقع موقع النفى وورود الاية على النمط الذى وردت عليه فيما يخفى من اجلال

محل رسول الله صلى الله عليه وسلم منها التسجيل على الصائحين به بالسفه والجهل ومنها ايقاع
لفظ الحجرات كناية عن موضع خلوته ومقيله مع بعض نسائه ومنها التعريف باللام دون
الاضافة ولو تامل متامل من اول سورة الى اخر هذه الاية لوجدها كذلك فتامل كيف ابتدأ
بايجاب ان يكون الامور التى تنتمى الى الله ورسوله متقدمة على الامور كلها من غير تقييد ثم اردف
ذلك النهى عما هو من جنس التقديم من رفع الصوت والجهر كان الاول بساط للثانى ثم اثنى
على الغاضين اصواتهم ليدل على عظم موقعه عند الله ثم عقبه بما هو اطم وهجنته اتم من الصياح
برسول الله فى حال خلوته من وراء الجدار كما يصاح باهون الناس قدرا لينبه على فظاعة ما
جروا عليه لان من رفع الله قدره عن ان يجهر له بالقول كان صنيع هؤلاء معه من المنكر الذى
بلغ من التفاحش مبلغا ولو انهم صبروا اى ولو ثبت صبرهم ومحل انهم صبروا رفع على الفاعلية والصبر
حبس النفس عن ان تنازع الى هواها قال الله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم وقولهم
صبر عن كذا محذوف منه المفعول وهو النفس وقيل الصبر مر لا يتجرعه الا حر وقوله حتى تخرج
اليهم يفيد انه لو خرج ولم يكن خروجه اليهم ولاجلهم للزمهم ان يصبروا الى ان يعلموا ان خروجه
لكان الصبر خيرا لهم فى دينهم والله غفور رحيم بليغ الغفران والرحمة واسعهما فلن يضيق
غفرانه ورحمته عن هؤلاء ان تابوا وانابوا يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبأ اجمعوا
على انها نزلت فى الوليد بن عقبة وقد بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقا الى بنى المصطلق
وكانت بينه وبينهم احنة فى الجاهلية فلما شارف ديارهم ركبوا مستقبلين اليه فحسبهم مقاتليه
فرجع وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم قد ارتدوا ومنعوا الزكوة فبعث خالد بن الوليد فوجدهم
يصلون فسلموا اليه الصدقات فرجع وفى تنكير الفاسق والنبأ شياع الفساق والانباء كانه
قال اى فاسق جاءكم باى نبأ فتبينوا فتوقفوا فيه وتطلبوا بيان الامر وانكشاف الحقيقة ولا
تعتمدوا قول الفاسق لان من لا يتحامى جنس الفسوق لا يتحامى الكذب الذى هو نوع منه وفى الاية
دلالة قبول خبر الواحد العدل لانا لو توقفنا فى خبره لسوينا بينه وبين الفاسق وخلا التخصيص به
عن الفائدة والفسوق الخروج من الشئ يقال فسقت الرطبة عن قشرها ومن مقلوبه فقست البيضة
اذا كسرتها واخرجت ما فيها ومن مقلوبه ايضا قفست اذا اخرجته من يد مالكه منتصبا له عليهم

استعمل في الخروج عن القصد بركوب الكبائر حمزة وعلي فتثبتوا والتثبت والتبين متقاربان وهما
طلب الثبات والبيان والتعرف ان تصيبوا قوما لئلا تصيبوا بجهالة حال يعني جاهلين بحقيقة
الامر وكنه القصة فتصبحوا فتصيروا على ما فعلتم نادمين الندم ضرب من الغم وهو ان تغتم
على ما وقع منك تتمنى انه لم يقع وهو غم يصحب الانسان صحبة لها دوام واعلموا ان فيكم رسول الله
فلا تكذبوا فان الله يخبره فينهتك ستر الكاذب او فارجعوا اليه واطلبوا رايه ثم قال
مستانفا لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم لوقعتم في الجهل والهلاك وهذا يدل على ان بعض المؤمنين
زينوا لرسول الله الايقاع ببني المصطلق وتصديق قول الوليد وان بعضهم كانوا يتصونون ويزعهم
جدهم في التقوى عن الجسارة على ذلك وهم الذين استثناهم بقوله ولكن الله حبب اليكم
الايمان وقيل هم الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى ولما كانت صفة الذين حبب اليهم
الايمان غايرت صفة المتقدم ذكرهم وقعت لكن في حاق موقعها من الاستدراك وهو مخالفة
ما بعدها لما قبلها نفيا واثباتا وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر وهو تغطية نعم الله وغمطها
بالجحود والفسوق وهو الخروج عن محجة الاسلام بركوب الكبائر والعصيان وهو ترك
الانقياد لما امر به الشارع اولئك هم الراشدون اي اولئك المثبتون هم الراشدون يعني
اصابوا طريق الحق ولم يميلوا الى عن الاستقامة والرشد الاستقامة على طريق الحق مع تصلب
فيه من الرشاد وهي الصخرة فضلا من الله ونعمة الفضل والنعمة بمعنى الافضال والانعام و
الانتصاب على المفعول له اي حبب وكره للفضل والنعمة والله عليم باحوال المؤمنين وما
بينهم من التمايز والتفاضل حكيم حين يفضل وينعم بالتوفيق على الافاضل وان طائفتان
من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على مجلس بعض
الانصار وهو على حمار فبال الحمار فامسك ابن ابي بانفه وقال خل سبيل حمارك فقد اذانا نتنه
فقال عبد الله بن رواحة والله ان بول حماره لاطيب من مسكك ومضى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وطال الخوض بينهما حتى استبا وتجالدا وجاء قوماهما وهما الاوس والخزرج فتجالدوا
بالعصي وقيل بالايدي والنعال والسعف فرجع اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاصلح بينهم
ونزلت وجمع اقتتلوا حملا على المعنى لان الطائفتين في معنى القوم والناس وثنى فاصلحوا بينهما

نظرا الى اللفظ فان بغت احديهما على الاخرى البغي الاستطالة والظلم واباء الصلح فقاتلوا التي تبغي
حتى تفيء اي ترجع والفيء الرجوع وقد سمي به الظل والغنيمة لان الظل يرجع بعد نسخ الشمس
والغنيمة ما يرجع من اموال الكفار الى المسلمين وحكم الفئة الباغية وجوب قتالهم ما قاتلت
فاذا كافت وقبضت عن الحرب ايديها تركت الى امر الله المذكور في كتابه من الصلح وزوال
الشحناء فان فاءت عن البغي الى امر الله فاصلحوا بينهما بالعدل بالانصاف واقسطوا واعدلوا وهو
امر باستعمال القسط على طريق العموم بعدما امر به في اصلاح ذات البين ان الله يحب المقسطين
العادلين والقَسط الجور والقِسط العدل والفعل منه اقسط وهمزته للسلب اي ازال
القسط وهو الجور انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم هذا تقرير لما الزمه من تولي الاصلاح
بين من وقعت بينهم المشاقة من المؤمنين وبيان ان الايمان قد عقد بين اهله من السبب القريب
والنسب اللاصق ما ان لم يفضل الاخوة لم ينقص عنها ثم قد جرت العادة على انه اذا نشب مثل
ذلك من الاخوين ولاد لزم السائر ان يتناهضوا في دفعه واذا حته بالصلح بينهما فالاخوة في
الدين احق بذلك اخويكم يعقوب واتقوا الله لعلكم ترحمون اي اتقوا الله فالتقوى تحملكم
على التواصل والايتلاف وكانت عند فعلكم ذلك وصول رحمة الله اليكم مرجوا والآية تدل
على ان البغي لا يزيل اسم الايمان لانه سماهم مؤمنين مع وجود البغي يا ايها الذين امنوا لا يسخر قوم
من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن القوم الرجال
خاصة لانهم قوام بامور النساء قال الله تعالى الرجال قوامون على النساء وهو في الاصل جمع قائم
كصوم وزور في جمع صائم وزائر واختصاص القوم بالرجال صريح في الاية اذ لو كانت النساء
داخلة في قوم لم يقل ولا نساء وحقق ذلك زهير في قوله وما ادري ولست اخال ادري
اقوم ال حصن ام نساء اما قولهم قوم فرعون وقوم عاد هم الذكور والاناث فليس لفظ القوم
بمتعاط للفريقين ولكن قصد ذكر الذكور وترك ذكر الاناث لانهن توابع لرجالهن وتنكير القوم
والنساء يحتمل معنيين ان يراد لا يسخر بعض المؤمنين والمؤمنات من بعض وان يقصد افادة
الشياع وان تصير كل جماعة منهم منهية عن السخرية وانما لم يقل رجل من رجل ولا امراة على التوحيد
اعلاما باقدام غير واحد من رجالهم وغير واحدة من نسائهم على السخرية واستفظاعا للشان

الذين كانوا عليه وقوله عسى ان يكونوا خيرا منهم كلام مستانف ورد مورد جواب المستخبر عن علة النهي
والا فقد كان حقه ان يوصل بما قبله بالفاء والمعنى ان يعتقد كل واحد ان المسخور منه ربما كان عند الله
خيرا من الساخر اذ لا اطلاع للناس الا على الظواهر ولا علم لهم بالسرائر والذي يزن عند الله خلوص
الضماير فينبغي ان لا يجترئ احد على الاستهزاء بمن يقتحمه عينه اذا راه رث الحال او ذا عاهة
في بدنه او غير لبيق في محادثته فلعله اخلص ضميرا واتقى قلبا ممن هو على ضد صفته فيظلم نفسه بتحقير
من وقره الله تعالى وعن ابن مسعود رض البلاء موكل بالقول لو سخرت من كلب لخشيت ان
احول كلبا ولا تلمزوا انفسكم لا تطعنوا اهل دينكم واللمز الطعن والضرب باللسان ولا تلمزوا
بالضم يعقوب وسهل والمؤمنون كنفس واحدة فمتى عاب المؤمن المؤمن فكانما عاب نفسه
وقيل معناه لا تفعلوا ما تلمزون به لان من فعل ما استحق به اللمز فقد لمز نفسه حقيقة ولا
تنابزوا بالالقاب التداعي بها والنبز لقب السوء والتلقيب المنهي عنه هو ما يتداخل المدعو به
كراهة لكونه تقصيرا به وذما له فاما ما يحبه فلا باس به وروي ان قوما من بني تميم استهزؤا
ببلال وخباب وعمار وصهيب فنزلت وعن عايشة رض انها كانت تسخر من زينب بنت
خزيمة الهلالية وكانت قصيرة وعن انس رض عيرت نساء النبي صلى الله عليه وسلم ام سلمة بالقصر
وروي انها نزلت في ثابت بن قيس وكان به وقر وكانوا يوسعون له في مجلس رسول الله صلى الله
عليه وسلم ليسمع فاتى يوما وهو يقول تفسحوا حتى انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
لرجل تنح فلم يفعل فقال من هذا فقال الرجل انا فلان فقال بل انت ابن فلانة يريد اما كان يعير
بها في الجاهلية فخجل الرجل فنزلت فقال ثابت لا افخر على احد في الحسب بعدها ابدا بئس
الاسم الفسوق بعد الايمان الاسم ههنا بمعنى الذكر من قولهم طار اسمه في الناس بالكرم او باللوم
وحقيقته ما سما من ذكره وارتفع بين الناس كانه قيل بئس الذكر المرتفع للمؤمنين بسبب
ارتكاب هذه الجرائم ان تذكروا بالفسق وقوله بعد الايمان استقباح للجمع بين الايمان وبين الفسق
الذي يحظره الايمان كما تقول بئس الشان بعد الكبرة الصبوة وقيل كان في شتايمهم لمن اسلم
من اليهود يا يهودي يا فاسق فنهوا عنه وقيل لهم بئس الذكر ان تذكروا الرجل بالفسق واليهودية
بعد ايمانه ومن لم يتب عما نهي عنه فاولئك هم الظالمون وحد وجمع اللفظ من معناه يا ايها

الذين

الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن يقال جنبه الشر اذا ابعده عنه وحقيقته جعله منه في جانب
فيعدى الى مفعولين قال الله واجنبني وبني ان نعبد الاصنام ومطاوعه اجتنب الشر فتنقص
مفعولا والمامور باجتنابه بعض الظن وذلك البعض موصوف بالكثرة الا ترى الى قوله ان بعض
الظن اثم قال الزجاج هو ظنك باهل الخير سوءا فاما اهل الفسق فلنا ان نظن بهم مثل الذي
ظهر منهم او معناه اجتنبوا اجتنابا كثيرا او احترزوا من الكثير ليقع التحرز عن البعض والاثم الذنب
الذي يستحق صاحبه العقاب ومنه قيل لعقوبته الاثام منه كالنكال والعذاب ولا تجسسوا
ولا تتبعوا عورات المسلمين ومعايبهم يقال تجسس الامر اذا تطلبه وبحث عنه تفعل من الجس وعن مجاهد
خذوا ما ظهر ودعوا ما ستر الله وقال سهل لا تبحثوا عن طلب معايب ما ستره الله على عباده ولا
يغتب بعضكم بعضا الغيبة الذكر بالعيب في ظهر الغيب وهي من الاغتياب كالغيلة من الاغتيال
وفي الحديث وهو ان تذكر اخاك بما يكره فان كان فيه فهو غيبة والا فهو بهتان وعن ابن عباس رض
الغيبة ادام كلاب الناس ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا ميتا مدني وهذا تمثيل وتصوير
لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على افحش وجه وفيه مبالغات شتى منها الاستفهام الذي معناه
التقرير ومنها جعل ما هو في الغاية من الكراهة موصولا بالمحبة ومنها اسناد الفعل الى احدكم والاشعار
بان احدا من الاحدين لا يحب ذلك ومنها ان لم يقتصر على تمثيل الاغتياب باكل لحم الانسان حتى
جعل الانسان اخا ومنها ان لم يقتصر على لحم الاخ حتى جعل ميتا وعن قتادة كما تكره ان وجدت جيفة
مدودة ان تاكل منها كذلك فاكره لحم اخيك وهو حي وانتصب ميتا على الحال من اللحم او من
اخيه ولما قررهم بان احدا منهم لا يحب اكل جيفة اخيه عقب ذلك بقوله فكرهتموه فتحققت
كراهتكم له باستقامة العقل فليتحقق ايضا ان تكرهوا ما هو نظيره من الغيبة باستقامة الدين
واتقوا الله ان الله تواب رحيم التواب البليغ في قبول التوبة والمعنى واتقوا الله بترك ما امرتم
باجتنابه والندم على ما وجد منكم فانكم ان اتقيتم تقبل الله توبتكم وانعم عليكم بثواب المتقين التائبين
وروي ان سلمان كان يخدم رجلين من الصحابة ويسوي لهما طعامهما فنام عن شانه يوما فبعثاه الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم يبتغي لهما اداما وكان اسامة على طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ما عندي شيء فاخبرهما سلمان فقالا لو بعثناه الى بئر سميحة لغار ماؤها فلما راحا الى رسول الله

صلى الله عليه وسلم فقال لهما مالى ارى حمرة اللحم فى افواهكما فقالا ما اكلنا لحما فقال انكما فقد اغتبتما
ومن اغتاب مسلما فقد اكل لحمه ثم قراء الاية وقيل غيبة الخلق انما تكون من الغيبة عن الحق يا ايها الناس
انا خلقناكم من ذكر وانثى من آدم وحوا عليهما السلام وكل واحد منكم من اب وام فما منكم احد
الا وهو يدلى بمثل ما يدلى به الاخر سواء فلا معنى للتفاخر والتفاضل فى النسب وجعلناكم شعوبا
وقبائل الشعب الطبقة الاولى من الطبقات الست التى عليها العرب وهى الشعب والقبيلة و
العمارة والبطن والفخذ والفصيلة فالشعب تجمع القبايل والقبيلة تجمع العمائر والعماير تجمع
البطون والبطون تجمع الافخاذ والفخذ تجمع الفصائل خزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة
وقصى بطن هاشم فخذ والعباس فصيلة وسميت الشعوب لان القبائل تتشعب منها لتعارفوا
اى انما رتبكم على شعوب وقبائل ليعرف بعضكم نسب بعض فلا يعتزى الى غير ابائه لا ان
يتفاخروا بالاباء والاجداد وتدعوا التفاضل فى الانساب ثم بين الخصلة التى بها يفضل الانسان غيره
ويكتسب الشرف والكرم عند الله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقيكم فى الحديث من سره ان يكون
اكرم الناس فليتق الله وعن ابن عباس رض اكرم الدنيا الغنى واكرم الاخرة التقوى وروى
انه عليه الصلوة والسلام طاف يوم فتح مكة فحمد الله واثنى عليه ثم قال الحمد لله الذى اذهب
عنكم غبة الجاهلية وتكبرها يا ايها الناس انما الناس رجلان مؤمن تقى كريم على الله وفاجر
شقى هين على الله ثم قراء الاية وعن يزيد بن شجرة مر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سوق
المدينة فراى غلاما اسود ويقول من اشترانى فعلى شرط ان لا يمنعنى من الصلوات الخمس خلف
رسول الله فاشتراه بعضهم فمرض فعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم توفى فحضر دفنه
فقالوا فى ذلك شيئا فنزلت ان الله عليم بكرم القلوب وتقواها خبير بهم النفوس فى هواها
قالت الاعراب اى بعض الاعراب لان من الاعراب من يؤمن بالله واليوم الاخر وهم اعراب
بنى اسد قدموا المدينة فى سنة جدبة فاظهروا الشهادة يريدون الصدقة ويمنون عليه
آمنا اى ظاهرا وباطنا قل لهم يا محمد لم تؤمنوا لم تصدقوا بقلوبكم ولكن قولوا اسلمنا فالايمان
هو التصديق والاسلام الدخول فى السلم والخروج من ان يكون حربا باظهار الشهادة بين
الا ترى الى قوله ولما يدخل الايمان فى قلوبكم فاعلم ان ما يكون من الاقرار باللسان من غير مواطاة

القلب

القلب فهو اسلام وما واطاء فيه القلب اللسان فهو ايمان من حيث اللغة واما فى الشرع
فالايمان والاسلام واحد لما عرف وفى لما معنى التوقع وهو دال على ان بعض هؤلاء
قد آمنوا فيما بعد والاية تنقض على الكرامية مذهبهم ان الايمان لا يكون بالقلب ولكن
باللسان فان قلت مقتضى نظم الكلام ان يقال قل لا تؤمنوا آمنا ولكن قولوا اسلمنا او قل
لم تؤمنوا ولكن اسلمتم قلت افاد هذا النظم تكذيب دعواهم اولا فقيل قل لم تؤمنوا مع
ادب حسن فلم يقل كذبتم تصريحا ووضع لم تؤمنوا الذى هو نفى ما ادعوا اثباته موضعه
واستغنى بقوله لم تؤمنوا عن ان يقال لا تقولوا آمنا لاستهجان ان يخاطبوا بلفظ مؤدة
النهى عن القول بالايمان ولم يقل ولكن اسلمتم ليكون خارجا مخرج الزعم والدعوى كما
كان قولهم آمنا كذلك ولو قيل ولكن اسلمتم لكان كالتسليم والاعتداد بقولهم وهو غير معتد به
وليس قوله ولما يدخل الايمان فى قلوبكم تكرير المعنى قوله لم تؤمنوا فان فائدة قوله لم تؤمنوا تكذيب
لدعواهم وقوله لما يدخل الايمان فى قلوبكم توقيت لما امروا به ان يقولوه كانه قيل لهم ولكن قولوا
اسلمنا حين لم يثبت مواطاة قلوبكم لالسنتكم لانه كلام واقع موقع الحال من الضمير فى قوله وان
تطيعوا الله ورسوله فى السر بترك النفاق لا يلتكم لا يألتكم بصرى من اعمالكم شيئا اى لا ينقصكم
من ثواب حسناتكم شيئا الت يالت ولات يليت بمعنى وهو النقص ان الله غفور يستر الذنوب
رحيم بهدايتهم للتوبة عن العيوب ثم وصف المومنين المخلصين فقال انما المؤمنون الذين
آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا ارتاب مطاوع رابه اذا اوقعه فى الشك مع التهمة والمعنى
انهم امنوا ثم لم يقع فى نفوسهم شك فيما امنوا به ولا اتهام لمن صدقوه ولما كان الايقان
وزوال الريب ملاك الايمان افرد بالذكر بعد تقدم الايمان تنبيها على مكانه وعطف على الايمان
بكلمة التراخى اشعارا باستقراره فى الازمنة المتراخية المتطاولة غضا جديدا وجاهدوا باموالهم
وانفسهم فى سبيل الله يجوز ان يكون المجاهد منويا وهو العدو والمحارب او الشيطان او الهوى
وان يكون جاهد مبالغة فى جهد ويجوز ان يراد بالمجاهدة بالنفس الغزو وان يتناول العبادات
باجمعها وبالمجاهدة بالمال نحو صنيع عثمان فى جيش العسرة وان يتناول الزكوات وكل ما يتعلق
بالمال من اعمال البر وخبر المبتداء الذى هو المؤمنون اولئك هم الصادقون اى الذين صدقوا

في قولهم امنا بالله ولم يكذبوا كما كذب اعراب بني اسد او هم الذين ايمانهم ايمان صدق وحق وقوله
الذين امنوا صفة لهم ولما نزلت هذه الاية جاؤا وحلفوا انهم مخلصون فنزل قل اتعلمون الله
بدينكم اي اتخبرونه بتصديق قلوبكم والله يعلم ما في السموات وما في الارض والله بكل شيء
عليم من النفاق والاخلاص وغير ذلك يمنون عليك ان اي بان اسلموا يعني باسلامهم
والمن ذلك الايادي تعريضا للشكر ونهينا عنه قل لا تمنوا علي اسلامكم بل الله يمن عليكم اي
المنة لله عليكم ان هديكم بان هديكم او لان هديكم للايمان ان كنتم صادقين ان صح زعمكم
وصدقت دعويكم الا انكم تزعمون وتدعون بالله عليم بخلافه وجواب الشرط محذوف
لدلالة ما قبله عليه تقديره ان كنتم صادقين في ادعائكم الايمان فالله المنة عليكم وقرئ اذ هديكم
ان الله يعلم غيب السموات والارض والله بصير بما تعملون وبالياء مكي وهذا بيان لكونهم
غير صادقين في دعواهم يعني انه تعالى يعلم كل مستتر في العالم ويبصر كل عمل تعملونه في سركم و
علانيتكم لا يخفى عليه منه شيء فكيف يخفى عليه ما في ضمائركم سورة ق مكية وهي خمس واربعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم ق والقرآن المجيد بل عجبوا الكلام فيه
كالكلام في ص والقران ذي الذكر بل الذين كفروا في عزة سواء بسواء لالتقائهما في اسلوب
واحد والمجيد ذو المجد والشرف على غيره من الكتب واحاط علما بمعانيه وعمل بما فيه مجد عند الله
وعند الناس وقوله بل عجبوا اي كفار مكة ان جاءهم منذر منهم اي محمد انكار لتعجبهم مما ليس
بعجب وهو ان ينذرهم بالمخوف رجل منهم قد عرفوا عدالته وامانته ومن كان كذلك لم يكن
الا ناصحا لقومه خائفا ان ينالهم مكروه واذا علم ان مخوفا اظلم لزمه ان ينذرهم به فكيف
بما هو غاية المخاوف وانكار لتعجبهم مما انذرهم به من البعث مع علمهم بقدرة الله على خلق
السموات والارض وما بينهما وعلى اختراع كل شيء واقرارهم بالنشاة الاولى ومع شهادة
العقل بانه لا بد من الجزاء ثم عول على احد الانكارين بقوله فقال الكافرون هذا شيء عجيب ائذا
متنا وكنا ترابا دلالة على ان تعجبهم من البعث ادخل في الاستبعاد واحق بالانكار ووضع
الكافرون موضع الضمير للشهادة على انهم في قولهم هذا مقدمون على الكفر العظيم وهذا اشارة
الى الرجع واذا منصوب بمضمر معناه احين نموت ونبلى نرجع متنا نافع وحمزة وعلي وحفص

ذلك

570

ذلك رجع بعيد مستبعد مستنكر كقولك هذا قول بعيد اي بعيد من الوهم والعادة ويجوز
ان يكون الرجع بمعنى المرجوع وهو الجواب ويكون من كلام الله تعالى استبعادا لانكارهم ما انذروا
به من البعث والوقف على ترابا على هذا احسن وناصب الظرف اذا كان الرجع بمعنى المرجوع
ما دل عليه المنذر من المنذر به وهو البعث قد علمنا ما تنقص الارض منهم رد لاستبعادهم
الرجع يعني ان من لطف علمه حتى علم ما تنقص الارض من اجساد الموتى وتاكل من لحومهم
وعظامهم كان قادرا على رجعهم احياء كما كانوا وعندنا كتاب حفيظ محفوظ من الشياطين
ومن التغيير وهو اللوح المحفوظ او حافظ لما اودعه وكتب فيه بل كذبوا بالحق لما جاءهم
اضراب اتبع الاضراب الاول للدلالة على انهم جاؤا بما هو اقطع من تعجبهم وهو التكذيب
بالحق الذي هو النبوة الثابتة بالمعجزات في اول وهلة من غير تفكر ولا تدبر فهم في امر مريج
مضطرب يقال مرج الخاتم في اصبعه اي اضطرب من سعته فيقولون شاعر وطورا ساحر
ومرة كاهن لا يثبتون على شيء واحد وقيل الحق القران وقيل الاخبار بالبعث ثم دلهم على قدرته
على البعث فقال افلم ينظروا حين كفروا بالبعث الى السماء فوقهم الى اثار قدرة الله تعالى
في خلق العالم كيف بنيناها رفعناها بغير عمد وزيناها بالنيران وما لها من فروج من فتوق
وشقوق اي انها سليمة من العيوب لا فتوق فيها ولا صدع ولا خلل والارض مددناها دحوناها
والقينا فيها رواسي جبالا ثوابت لولاها لمالت وانبتنا فيها من كل زوج صنف بهيج يبتهج
به لحسنه تبصرة وذكرى لتبصرة وتذكرة لكل عبد منيب راجع الى ربه مفكر في بدائع خلقه ونزلنا
من السماء ماء مباركا كثير المنافع فانبتنا به جنات وحب الحصيد وحب الزرع الذي من شانه
ان يحصد كالحنطة والشعير وغيرهما والنخل باسقات طوالا في السماء لها طلع هو كل ما يطلع منه
ثمر النخيل نضيد منضود بعضه فوق بعض لكثرة الطلع وتراكمه او لكثرة ما فيه من الثمر رزقا
للعباد اي انبتناها رزقا لان الانبات في معنى الرزق فيكون رزقا مصدرا من غير لفظه او
هو مفعول له اي انبتناها لنرزقهم واحيينا به بذلك الماء بلدة ميتا قد جف نباتها كذلك
الخروج كما حييت هذه البلدة الميتة كذلك تخرجون احياء بعد موتكم لان احياء الموات كاحياء
الاموات والكاف في محل الرفع على الابتداء كذبت قبلهم قبل قريش قوم نوح واصحاب الرس هو بير

لم تطوا وهم قوم باليمامة وقيل اصحاب الاخدود وثمود وعاد وفرعون اراد بفرعون قومه
كقوله من فرعون وملائهم لان المعطوف عليه قوم نوح والمعطوفات جماعات واخوان
لوط واصحاب الايكة سماهم اخوانه لان بينه وبينهم نسبا قريبا وقوم تبع هو ملك باليمن اسلم
ودعا قومه الى الاسلام فكذبوه وسمى به لكثرة تبعه كل اى كل واحد منهم كذب الرسل لان
من كذب رسولا واحدا فقد كذب جميعهم فحق وعيد فوجب وحل وعيدى وفيه تسلية
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديد لهم افعيينا عيى بالامر اذا لم يهتد لوجه عمله والهمزة
للانكار بالخلق الاول اى لم نعجز عن الخلق الاول فكيف نعجز عن الثاني والاعتراف بذلك
اعتراف بالاعادة بل هم في لبس في خلط وشبهة قد لبس عليهم الشيطان وحيرهم وذلك تسويله
اليهم ان احياء الموتى امر خارج عن العادة فتركوا لذلك الاستدلال الصحيح وهو ان من
قدر على الانشاء كان على الاعادة اقدر من خلق جديد بعد الموت وانما نكر الخلق الجديد ليدل
عظمة شانه وان حق من سمع به ان يخاف ويهتم ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس
به نفسه الوسوسة الصوت الخفي ووسوسة النفس ما يخطر ببال الانسان ويهجس في ضميره
من حديث النفس والباء مثلها في قوله صوت بكذا ونحن اقرب اليه المراد قرب علمه منه
من حبل الوريد هو مثل في فرط القرب والوريد عرق في باطن العنق والحبل العرق و
الاضافة للبيان كقولهم بعير سانية اذ يتلقى المتلقيان يعني الملكين الحافظين عن اليمين و
عن الشمال قعيد التلقي التلقن بالحفظ والكتبة والقعيد المقاعد كالجليس بمعنى المجالس
وتقديره عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد من المتلقين فترك احدهما لدلالة الثاني عليه
كقوله رماني بامر كنت منه ووالدي بريا ومن اجل الطوى رماني اى رماني بامر كنت
منه بريا وكان والدي منه بريا واذ منصوب باقرب لما فيه من معنى يقرب والمعنى انه
لطيف يتوصل علمه الى خطرات النفس ولا شئ اخفى منه وهو اقرب من الانسان من
كل قريب حين يتلقى الحفيظان ما يتلفظ به ايذانا بان استحفاظ الملكين امر هو غني عنه
وكيف لا يستغني عنه وهو مطلع على اخفى الخفيات وانما ذلك لحكمة وهي ما في كتبة الملكين
وحفظهما وعرض صحائف العمل يوم القيمة لطف له في الانتهاء عن السيئات والرغبة

في الحسنات

في الحسنات ما يلفظ من قول ما يتكلم به وما يرمى به من فيه الا لديه رقيب حافظ عتيد حاضر ثم
قيل يكتبان كل شئ حتى انينه في مرضه وقيل لا يكتبان الا ما فيه اجر او وزر وقيل ان الملكين لا
يجتنبانه الا عند الغائط والجماع لما ذكر انكارهم البعث واحتج عليهم بقدرته وعلمه اعلمهم
ان ما انكروه هم لاقوه عن قريب عند موتهم وعند قيام الساعة ونبه على اقتراب ذلك
بان عبر عنه بلفظ الماضي وهو قوله وجاءت سكرة الموت اى شدته الذاهبة بالعقل
بالحق اى بحقيقة الامر او بالحكمة ذلك ما كنت منه تحيد الاشارة الى الموت والخطاب للانسان
في قوله ولقد خلقنا الانسان على طريق الالتفات تحيد تنفر وتهرب ونفخ في الصور يعني
نفخة البعث ذلك يوم الوعيد اى وقت ذلك يوم الوعيد على حذف المضاف والاشارة
الى مصدر نفخ وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد اى ملكان احدهما يسوقه الى المحشر والاخر
يشهد عليه بعمله ومحل معها سائق النصب على الحال من كل لتعرفه بالاضافة الى ما هو في حكم
المعرفة لقد كنت اى يقال لها لقد كنت في غفلة من هذا اى النازل بك اليوم فكشفنا عنك
غطاءك فازلنا غفلتك بما تشاهده فبصرك اليوم حديد جعلت الغفلة كانها غطاء
غطى به جسده كله او غشاوة غطى به عينيه فهو لا يبصر شيئا فاذا كان يوم القيمة تيقظ
وزالت عنه الغفلة وغطاؤها فيبصر ما لم يبصره من الحق ورجع بصره الكليل عن الابصار
لغفلته حديدا لتيقظه وقال قرينه الجمهور على انه الملك الكاتب الشهيد هذا اى ديوانه
عمله مجاهد شيطانه الذي نقيض له فهو له قرين هذا اى الذي وكلت به ما لدى عتيد
هذا مبتداء وما نكرة بمعنى شئ والظرف بعده وصف له وكذلك عتيد وما وصفتها
خبر هذا والتقدير هذا شئ ثابت ما لدى عتيد ثم يقول الله تعالى القيا والخطاب للسائق
والشهيد او للمالك وكان الاصل الق الق فناب القيا عن الق الق لان الفاعل كالجزء من
الفعل وكان تثنية الفاعل نائبا عن تكرار الفعل وقيل اصله القين والالف بدل من النون
اجراء للوصل مجرى الوقف ويؤيده قراءة الحسن القين في جهنم كل كفار بالنعم والمنعم عنيد
معاند مجانب للحق معاند لاهله مناع للخير كثير المنع للمال عن حقوقه او مناع لجنس الخير ان
يصل الى اهله معتد ظالم متخط للحق مريب شاك في الله وفي دينه الذي جعل مع الله الها اخر

مبتداء متضمن معنى الشرط خبره فالقياه فى العذاب الشديد او بدل من كل كفار فالقياه تكرير
للتوكيد ولا يجوز ان يكون خبرا صفة لكفار لان النكرة لا توصف بالموصولة قال قرينه اى
شيطانه الذى قرن به وهو شاهد لمجاهد وانما اخليت هذه الجملة عن الواو دون الاولى
واجب عطفها للدلالة على الجمع بين معناها ومعنا ما قبلها فى الحصول اعنى مجيء كل نفس
مع الملكين وقول قرينه ما قال له واما هذه فهى مستانفة كما تستانف الجمل الواقعة فى
حكاية التقاول كما فى مقاولة موسى وفرعون فكان الكافر قال رب اطغانى فقال قرينه
ربنا ما اطغيته ولكن كان فى ضلال بعيد اى ما اوقعته فى الطغيان ولكنه طغى واختار
الضلالة على الهدى قال لا تختصموا استيناف مثل قوله قال قرينه قال قائل قال فماذا قال الله
فقيل قال لا تختصموا لدى وقد قدمت اليكم بالوعيد اى لا تختصموا فى دار الجزاء وموقف
الحساب فلا فائدة فى اختصاصكم ولا طائل تحته وقد اوعدتكم بعذابى على طغيان فى كتبى وعلى
السنة رسلى فما تركت لكم حجة على والباء فى بالوعيد مزيدة كما فى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة او
معدية على ان قدم مطاوع بمعنى تقدم ما يبدل القول لدى اى لا تطمعوا ان ابدل قولى ووعيدى
بادخال الكفار فى النار وما انا بظلام للعبيد فلا اعذب عبدا بغير ذنب وقال بظلام على لفظ المبالغة
لانه من قولك هو ظالم لعبده وظلام لعبيده يوم نصب بظلام او بمضمر نحو اذكروا انذر يقول نافع
وابو بكر اى يقول الله لجهنم هل امتلات وتقول هل من مزيد وهو مصدر كالمحيد اى انها تقول
بعد امتلائها هل من مزيد اى هل بقى فى موضع لم يمتلئ يعنى قد امتلات او انها تزيد وفيها موضع
للمزيد وهذا على تخفيف القول من جهنم وهو غير منكر كانطاق الجوارح والسوال لتوبيخ الكفرة لعلمه
تعالى بانها امتلات ام لا وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد غير نصب على الظرف اى مكانا غير بعيد او على
الحال وتذكيره لانه على زنة المصدر كالصليل والمصادر يستوى فى الوصف بها المذكر والمونث او على
حذف الموصوف اى شيئا غير بعيد ومعناه التوكيد كما تقول هو قريب غير بعيد وعزيز غير ذليل
هذا مبتداء وهو اشارة الى الثواب او الى مصدر ازلفت ما توعدون صفة وبالياء مكى لكل اواب
رجاع الى ذكر الله خبره حفيظ حافظ لحدوده فى الحديث من حافظ على اربع ركعات فى اول النهار
كان اوابا من بدل من لكل اواب او رفع بالابتداء وخبره ادخلوها على تقدير يقال لهم ادخلوها

بسلام

بسلام لان من فى معنى الجمع خشى الرحمن الخشية انزعاج القلب عند ذكر الخطيئة وقرن بالخشية
اسمه الدال على وسعة الرحمة للثناء البليغ على الخاشى وهو خشيته مع علمه انه واسع الرحمة
كما اثنى عليه بانه خاش مع ان المخشى عنه غائب بالغيب حال من المفعول اى خشيه وهو غائب
او صفة لمصدر خشى اى خشية متلبسة بالغيب حيث عقابه وهو غائب لحسن اذا اغلق
الباب وارخى الستر وجاء بقلب منيب راجع الى الله وقيل بسريرة مرضية وعقيدة صحيحة
ادخلوها بسلام اى سالمين من زوال النعم وحلول النقم ذلك يوم الخلود اى يوم تقدير
الخلود كقوله فادخلوها خالدين اى مقدرين الخلود لهم ما يشاؤن فيها ولدينا مزيد
على ما يشتهون والجمهور على انه روية الله تعالى بلا كيف وكم اهلكنا قبلهم قبل قومك
من قرن من القرون الذين كذبوا رسلهم هم اشد منهم من قومك بطشا قوة وسطوة
فنقبوا فخرقوا فى البلاد وطافوا والتنقيب التنقير فى الامر والبحث ودخلت الفاء للتسبيب
عن قولهم هم اشد بطشا اى بطشهم اقدرهم على التنقيب وقويهم عليه ويجوز ان يراد
فنقب اهل مكة فى اسفارهم ومسايرهم فى بلاد القرون فهل راوا لهم محيصا حتى يؤملوا
مثله لانفسهم ويدل عليه قراءة من قرا فنقبوا على الامر هل من محيص مهرب او
من الموت ان فى ذلك المذكور لذكرى تذكيرا وموعظة لمن كان له قلب واع لان من لا
يعى قلبه فكانه لا قلب له او القى السمع اصغى الى المواعظة وهو شهيد حاضر بفطنته لان
من لا يحضر ذهنه فكانه غائب ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما فى ستة ايام
وما مسنا من لغوب اعياء قيل نزلت فى اليهود لعنت تكذيبا لقولهم خلق الله السموات
والارض فى ستة ايام اولها الاحد وآخرها الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى على العرش
وقالوا ان الذى وقع من التشبيه فى هذه الامة انما وقع من اليهود ومنهم من اخذوا وانكر اليهود
التربيع فى الجلوس وزعموا انه جلس تلك الجلسة يوم السبت فاصبر على ما يقولون
اى ما يقول اليهود ويأتون به من الكفر والتشبيه او على ما يقول المشركون فى امر البعث فان من
قدر على خلق العالم قدر على بعثهم والانتقام منهم وسبح بحمد ربك حامدا ربك والتسبيح
محمول على ظاهره او على الصلوة فالصلوة قبل طلوع الشمس الفجر وقبل الغروب الظهر والعصر

ومن الليل فسبحه العشاء آن والتهجد وادبار السجود وتسبيح في آثار الصلوة والسجود والركوع يعبر
بها عن الصلوة وقيل النوافل بعد المكتوبات والوتر بعد العشاء والادبار جمع دبر وادبار حجازي
وحمزة وخلف من ادبرت الصلوة اذا انقضت وتمت ومعناه وقت انقضاء السجود كقولهم
آتيك خفوق النجم واستمع لما اخبرك به من حال يوم القيمة وفي ذلك تهويل وتعظيم لشان المخبر به
وقد وقف يعقوب وعليه وانتصب يوم ينادي المناد بما دل عليه ذلك يوم الخروج اي يوم
ينادي المنادي يخرجون من القبور وقيل تقديره واستمع حديث يوم ينادي المنادي وبالياء
في الحالين مكي وسهل ويعقوب وفي الوصل مدني وابو عمرو وغيرهم بغير ياء فيهما والمنادي اسرافيل
ينفخ في الصور وينادي ايتها العظام البالية والاوصال المنقطعة واللحوم المتمزقة والشعور
المتفرقة ان الله يامركن ان تجتمعن لفصل القضاء وقيل اسرافيل ينفخ في الصور وجبرئيل ينادي
بالحشر من مكان قريب من صخرة بيت المقدس وهي اقرب من مكان من الارض الى السماء باثني عشر
ميلا وهي وسط الارض يوم يسمعون بدل من يوم ينادي الصيحة النفخة الثانية بالحق متعلق
بالصيحة والمراد به البعث والحشر للجزاء وذلك يوم الخروج من القبور انا نحن نحيي الخلق ونميت
اي نميتهم اي نميتهم في الدنيا والينا المصير اي مصيرهم يوم تشقق خفيف كوفي وابو عمرو وغيرهم
بالتشديد الارض عنهم اي تتصدع الارض فتخرج الموتى من صدوعها سراعا حال من المجرور
اي مسرعين ذلك حشر علينا يسير هين وتقديم الظرف يدل على الاختصاص اي لا يتيسر مثل ذلك
الامر العظيم الا على القادر الذي لا يشغله شان عن شان نحن اعلم بما يقولون فيك وفينا وهو
تهديد لهم وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وما انت عليهم بجبار كقوله بمسيطر اي ما انت
بمسلط عليهم انما انت داع وباعث وقيل هو من جبره على الامر بمعنى اجبره اي ما انت بوال
عليهم تجبرهم على الايمان فذكر بالقرآن من يخاف وعيد كقوله انما انت به منذر من يخشيها

كلام لا ينفع الا فيه سورة الذاريات مكية او مدنية وهي ستون اية بسم الله الرحمن الرحيم

والذاريات الرياح لانها تذرو التراب وغيره بادغام التاء في الذال حمزة وابو عمرو ذروا
مصدر والعامل فيه اسم الفاعل فالحاملات السحاب لانها تحمل المطر وقرا مفعول الحاملات
فالجاريات الفلك يسرا جريا ذا يسر اي ذا سهولة فالمقسمات امرا الملائكة لانها تقسم الامور

من الامطار

من الامطار والارزاق وغيرها او تفعل التقسيم مامورة بذلك او تتولى تقسيم امر العباد جبرئيل
للغلظة وميكائيل للرحمة وملك الموت لقبض الارواح واسرافيل للنفخ ويجوز ان يراد
الرياح لا غير لانها تنشئ السحاب وتقله وتصرفه وتجري في الجو جريا سهلا وتقسم الامطار
بتصريف السحاب ومعنى الفاء على الاول انه اقسم بالرياح فبالسحاب الذي تسوقه فبالفلك التي
تجري بهبوبها فبالملائكة التي تقسم الارزاق باذن الله من الامطار وتجارات البحار ومنافعها
وعلى الثاني انها تبتدئ في الهبوب فتذرو التراب والحصباء فتقل السحاب فتجري
في الجو باسطة له فتقسم المطر انما توعدون جواب القسم وما موصولة او مصدرية والموعود
البعث لصادق وعد صادق كعيشة راضية اي ذات رضاء وان الدين للجزاء على الاعمال لواقع
لكائن والسماء هذا قسم آخر ذات الحبك الطرائق الحسنة مثل ما يظهر على الماء من هبوب
الريح وكذلك حبك الشعر آثار تثنيه وتكسره جمع حبيكة كطريقة وطرق ويقال ان خلقة
السماء كذلك وعن الحسن حبكها نجومها جمع حباك انكم لفي قول مختلف اي قولهم في الرسول
ساحر وشاعر ومجنون وفي القرآن شعر وسحر واساطير الاولين يؤفك عنه من افك الضمير
للقرآن او الرسول اي يصرف عنه من صرف الصرف الذي لا صرف اشد منه واعظم او يصرفه
عنه من صرف في سابق علم الله اي علم فيما لم يزل انه مافوك عن الحق لا يرعوي ويجوز ان يكون
الضمير لما توعدون او للدين اقسم بالذاريات على ان وقوع امر القيمة حق ثم اقسم بالسماء
على انهم في قول مختلف في وقوعه فمنهم شاك ومنهم جاحد ثم قال يؤفك عن الاقرار بامر
القيمة من هو المافوك قتل لعن واصله الدعاء بالقتل والهلاك ثم جرى مجرى لعن الخراصون
الكذابون المقدرون ما لا يصح وهم اصحاب القول المختلف واللام اشارة اليهم كانه قيل قتل
هؤلاء الخراصون الذين هم في غمرة في جهل يغمرهم ساهون غافلون عما امروا به يسالون
فيقولون ايان يوم الدين اي متى يوم الجزاء وتقديره ايان وقوع يوم الدين لانه انما تقع الاحيان
ظروفا للحدثان وانتصب اليوم الواقع في الجواب بفعل مضمر دل عليه السؤال اي يقع يوم هم
على النار يفتنون ويجوز ان يكون مفتوحا لاضافته الى غير متمكن وهو الجملة ومحله نصب بالمضمر
الذي هو يقع او رفع على هو يوم هم على النار يفتنون اي يحرقون ويعذبون ذوقوا فتنتكم اي تقول

لهم خزنة النار ذوقوا عذابكم واحراقكم بالنار هذا مبتداء وخبره الذى اى هذا العذاب هو
الذى كنتم به تستعجلون فى الدنيا بقولكم فائتنا بما تعدنا ثم ذكر حال المومنين فقال ان المتقين فى جنات
وعيون اى تكون العيون وهى الانهار الجارية بحيث يرونها ويقع عليها ابصارهم لانهم فيها
آخذين ما آتيهم ربهم قابلين لكل ما اعطيهم من الثواب راضين وآخذين حال من الضمير فى الظرف
وهو خبر ان انهم كانوا قبل ذلك قبل دخول الجنة اى فى الدنيا محسنين قد احسنوا اعمالهم
تفسير احسانهم ما بعده كانوا قليلا من الليل ما يهجعون ينامون وما مزيدة للتوكيد ويهجعون
خبر كان والمعنى كانوا يهجعون فى طائفة قليلة من الليل او ما مصدرية والتقدير كانوا قليلا
من الليل هجوعهم فيرتفع هجوعهم لكونه بدلا من الواو وفى كانوا لا بقليلا لانه لما صار موصوفا
بقوله من الليل خرج من شبه الفعل وعمله باعتبار المشابهة اى كان هجوعهم قليلا من الليل ولا يجوز
ان يكون ما نافية على معنى انهم لا يهجعون من الليل قليلا ويحيونه كله لان ما النافية لم تعمل
ما بعدها فيما قبلها لا تقول زيدا ما ضربت وبالاسحار هم يستغفرون وصفهم بانهم يحيون
الليل متهجدين فاذا اسحروا اخذوا فى الاستغفار كانهم اسلفوا فى ليلهم الجرائم والسحر السدس
الاخير من الليل وفى اموالهم حق معلوم للسائل لمن يسال الحاجة والمحروم اى الذى يتعرض ولا
يسال حياء وفى الارض آيات تدل على الصانع وقدرته وحكمته وتدبيره حيث هى مدحوة كالبساط
لما فوقها وفيها المسالك والفجاج للمتقلبين فيها وهى مجزاة فمن سهل وجبل وصلبة ورخوة
وعذاة وسبخة وفيها عيون منفجرة ومعادن مفتنة ودواب منبثة مختلفة الصور والاشكال
متباينة الهيآت والافعال للموقنين للموحدين الذين سلكوا الطريق السوى البرهانى الموصل
الى المعرفة فهم نظارون بعيون باصرة وافهام نافذة كلما راوا آية عرفوا وجه تاملها فا
فازدادوا ايقانا الى ايقانهم وفى انفسكم فى حال ابتدائها وتنقلها من حال الى حال وفى بواطنها
وظواهرها من عجائب الفطر وبدائع الخلق ما تستحير فيه الاذهان وحسبك بالقلوب وما
ركز فيها من العقول وبالالسن والنطق ومخارج الحروف وما من تركيبها وترتيبها ولطائفها
من الآيات الساطعة والبينات القاطعة على حكمة مدبرها وصانعها دع الاسماع والابصار و
الاطراف وسائر الجوارح وتاتيها لما خلقت له وما يستوى فى الاعضاء من المفاصل للانعطاف

والتي

والتى فانه اذا اجسا شئ منها جاء العجز واذا استرخى اناخ الذل فتبارك الله احسن الخالقين
وما قيل ان التقدير افلا تبصرون فى انفسكم ضعيف لانه يفضى الى تقديم ما فى حيز الاستفهام
على حرف الاستفهام افلا تبصرون تنظرون نظر من يعتبر وفى السماء رزقكم اى المطر لانه
سبب الاقوات وعن الحسن انه كان اذا راى السحاب قال لاصحابه والله فيه رزقكم ولكنكم
تحرمونه بخطاياكم وما توعدون الجنة فهى على ظهر السماء السابعة تحت العرش او اراد ان
ما ترزقونه فى الدنيا وما توعدون فى العقبى كله مقدر فى السماء فورب السماء والارض
انه لحق الضمير يعود الى الرزق او الى ما توعدون مثل ما انكم تنطقون بالرفع كوفى غير حفص
صفة للحق اى حق مثل نطقكم وغيرهم بالنصب على انه قال اقبلت من جامع البصرة فطلع اعرابى
على قعود فقال من الرجل قلت من بنى اصمع قال من اين اقبلت قلت من موضع يتلى فيه كلام
الرحمن قال اتل على فتلوت والذاريات فلما بلغت قوله وفى السماء رزقكم قال حسبك فقام
الى ناقته فنحرها ووزعها على من اقبل وادبر وعمد الى سيفه وقوسه فكسرهما وولى فلما حججت
مع الرشيد طفقت اطوف فاذا انا بمن يهتف بى بصوت رقيق فالتفت فاذا انا بالاعرابى قد
نحل واصفر فسلم على واستقرا السورة فلما بلغت الآية صاح وقال قد وجدنا ما وعدنا
ربنا حقا ثم قال غير هذا فقرات فورب السماء والارض انه لحق فصاح وقال يا سبحان الله
من ذا الذى اغضب الجليل حتى حلف فلم يصدقوه بقوله حتى حلف قالها ثلاثا وخرجت
معها نفسه هل اتيك تفخيم للحديث وتنبيه على انه ليس من علم رسول الله صلى الله عليه وسلم و
انما عرفه بالوحى حديث ضيف ابراهيم الضيف للواحد والجماعة كالصوم والزور لانه فى الاصل
مصدر ضافه وكانوا اثنى عشر ملكا وقيل تسعة عاشرهم جبرئيل وجعلهم ضيفا لانهم كانوا
فى صورة الضيف حيث اضافهم ابراهيم او لانهم كانوا فى حسبانه كذلك المكرمين عند الله لقوله
بل عباد مكرمون وقيل لانه خدمهم بنفسه واخدمهم امرأته وعجل لهم القرى اذ دخلوا عليه
نصب بالمكرمين اذا فسر باكرام ابراهيم لهم والا فبما ضمار اذكر فقالوا سلاما مصدر ساد مسد
الفعل مستغنى به عنه واصله نسلم عليكم سلاما قال سلام اى عليكم سلام فهو مرفوع على الابتداء
وخبره محذوف والعدول الى الرفع للدلالة على ثبات السلام فكانه قصد ان يحييهم باحسن

ماحيوه به اخذا باداب الله وهذا ايضا من الكرامة لهم حمزة وعلي وسلم والسلم السلام قوم
منكرون اي انتم قوم منكرون فعرفوني من انتم فراغ الى اهله فذهب اليهم في خفية من ضيوفه
ومن ادب المضيف ان يخفي امره وان يبادره بالقرى من غير ان يشعر به الضيف حذرا من
ان يكفيه وكان عامة مال ابراهيم البقر فجاء بعجل سمين فقربه اليهم ليأكلوا منه فلم يأكلوا
قال الا تأكلون انكر عليهم ترك الاكل او حثهم عليه فاوجس فاضمر منهم خيفة خوفا لان من
لم يأكل طعامك لم يحفظ ذمامك وعن ابن عباس رضي الله عنه وقع في نفسه انهم ملائكة ارسلوا للعذاب
قالوا لا تخف انا رسل الله وقيل مسح جبرئيل العجل فقام ولحق بامه وبشروه بغلام عليم
اي يبلغ ويعلم والمبشر به اسحق عند الجمهور فاقبلت امراته في صرة في صيحة من صر القلم والباب
قال الزجاج الصرة شدة الصياح ههنا ومحله النصب على الحال اي فجاءت صارة وقيل فاخذت
في صياح وصرتها قولها يا ويلتي فصكت وجهها ولطمت ببسط يديها وقيل فضربت باطراف
اصابعها جبهتها فعل المتعجب وقالت عجوز عقيم اي انا عجوز عقيم فكيف الد كما قالت في موضع
آخر ءالد وانا عجوز وهذا بعلي شيخا قالوا كذلك مثل ذلك الذي قلنا واخبرنا به قال
ربك انما نخبرك عن الله والله قادر على ما تستبعدين انه هو الحكيم في فعله العليم فلا يخفى
عليه شيء وروي ان جبرئيل قال لها حين استبعدت انظري الى سقف بيتك فنظرت
فاذا اجذوعه مورقة مثمرة ولما علم انهم ملائكة وانهم لا ينزلون الا باذن الله رسلا
في بعض الامور قال فما خطبكم اي فما شانكم وما طلبكم وفيم ارسلتم ايها المرسلون ارسلتم
بالبشارة خاصة او لامر آخر او لهما قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين الى قوم لوط لنرسل
عليهم حجارة من طين يريد السجيل وهو طين طبخ كما يطبخ الاجر حتى صار في صلابة الحجارة
مسومة معلمة من السومة وهي العلامة على كل واحد منها اسم من يهلك به عند ربك في ملكه و
سلطانه للمسرفين سماهم مسرفين كما سماهم عادين لاسرافهم وعدوانهم في عملهم حيث لم يقتنعوا
بما ابيح لهم فاخرجنا من كان فيها في القرية ولم يجر لها ذكر لكونها معلومة من المؤمنين يعني
لوطا ومن آمن به فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين اي غير اهل بيت وفيه دليل على ان الايمان
والاسلام واحد لان الملائكة سماهم مؤمنين ومسلمين ههنا وتركنا فيها في قرى قوم لوط آية للذين

يخافون العذاب الاليم علامة يعتبر بها الخائفون دون القاسية قلوبهم قيل هي ماء اسود
منتن وفي موسى معطوف على وفي الارض آيات او على قوله وتركنا فيها آية على معنى وجعلنا
في موسى آية كقوله علفتها تبنا وماء باردا اذ ارسلناه الى فرعون بسلطان مبين بحجة وهي
اليد والعصا فتولى فاعرض عن الايمان بركنه بما كانوا يتقوى به من جنوده وملكه والركن
ما يركن اليه الانسان من مال وجند وقال ساحر او مجنون فاخذناه وجنوده فنبذناهم
في اليم وهو مليم آت بما يلام عليه من كفره وعناده وانما وصف يونس عليه السلام به
في قوله فالتقمه الحوت وهو مليم لان موجبات اللوم تختلف وعلى حسب اختلافها تختلف
مقادير اللوم فراكب الكفر ملوم على مقداره وراكب الكبيرة والصغيرة والزلة كذلك و
الجملة مع الواو حال من الضمير في اخذناه وفي عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم هي التي لا خير فيها
من انشاء مطر والقاح شجر وهي ريح الهلاك واختلف فيها والاظهر انها الدبور لقوله عليه السلام
نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور ما تذر من شيء اتت عليه الا جعلته كالرميم وهو كل رم
اي بلي وتفتت من عظم او نبات او غير ذلك والمعنى ما تترك من شيء هبت عليه من انفسهم
وانعامهم واموالهم الا اهلكته وفي ثمود آية ايضا اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين تفسيره قوله
فتمتعوا في داركم ثلثة ايام فعتوا عن امر ربهم فاستكبروا عن امتثاله فاخذتهم الصاعقة
العذاب وكل عذاب مهلك صاعقة الصعقة علي وهي المرة من مصدر صعقتهم الصاعقة
وهم ينظرون لانها كانت نهارا يعاينونها فما استطاعوا من قيام اي هرب او هو من قولهم
ما يقوم به اذا عجز عن دفعه وما كانوا منتصرين ممتنعين من العذاب او لم يمكنهم مقابلتها
بالعذاب لان معنى الانتصار المقابلة وقوم نوح اي واهلكنا قوم نوح لان ما قبله يدل عليه
او واذكر قوم نوح وبالجر ابو عمرو وعلي وحمزة اي وفي قوم نوح آية ويؤيده قراءة عبد الله
وفي قوم نوح من قبل هؤلاء المذكورين انهم كانوا قوما فاسقين كافرين والسماء نصب بفعل
يفسره بنيناها بايد بقوة والايد القوة وانا لموسعون لقادرون من الوسع وهو الطاقة
والموسع القوي على الانفاق او لموسعون ما بين السماء والارض والارض فرشناها بسطناها
ومهدناها وهي منصوبة بفعل مضمر اي فرشنا الارض فرشناها فنعم الماهدون نحن ومن كل

شئ من الحيوان خلقنا زوجين ذكرا وانثى وعن الحسن رح السماء والارض والليل والنهار
والشمس والقمر والبر والبحر والموت والحيوة فعدد اشياء وقال كل اثنين منها زوج والله
تعالى فرد لا مثل له لعلكم تذكرون اى فعلنا ذلك كله من بناء السماء وفرش الارض وخلق
الازواج لتتذكروا فتعرفوا الخالق وتعبدوه ففروا الى الله اى من الشرك الى الايمان بالله
او من طاعة الشيطان الى طاعة الرحمن او مما سواه اليه انى لكم منه نذير مبين والتكرير للتوكيد
والاطالة فى الوعيد ابلغ كذلك الامر ذلك وذلك اشارة الى تكذيبهم الرسول وتسمية
ساحرا ومجنونا ثم فسر ما اجمل بقوله ما اتى الذين من قبلهم من قبل قومك من رسول الا
قالوا ساحر او مجنون ذموهم بالسحر او الجنون لجهلهم اتواصوا به القول اى تواصى به
الاولون والاخرون بهذا القول حتى قالوا جميعا متفقين عليه بل هم قوم طاغون اى لم يتواصوا
به لانهم لم يتلاقوا فى زمان واحد بل جمعتهم العلة الواحدة وهى الطغيان والطغيان هو
الحامل عليه فتول عنهم فاعرض عن الذين كررت عليهم الدعوة فلم يجيبوا عنادا فما انت
بملوم فلا لوم عليك فى اعراضك بعد ما بلغت الرسالة وبذلت مجهودك فى البلاغ و
الدعوة وذكر وعظ بالقران فان الذكرى تنفع المومنين بان تزيد فى علمهم وما خلقت الجن
والانس الا ليعبدون العبادة ان حملت على حقيقتها فلا تكون الاية عامة بل المراد بها المومنون
من الفريقين دليله السياق اعنى وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين وقراءة ابن عباس رض
وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون من المومنين وهذا لانه لا يجوز ان يخلق الذين علم
منهم انهم لا يؤمنون للعبادة لانه اذا خلقهم للعبادة فلا بد ان توجد منهم فاذا لم يومنوا علم
انه خلقهم لجهنم كما قال ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس وقيل الا لامرهم بالعبادة وهو
منقول عن على رض وقيل الا ليكونوا عبادا لى والوجه ان يحمل العبادة على التوحيد فقال
ابن عباس رض كل عبادة فى القران فهو توحيد والكل يوحدونه فى الاخرة لما عرف ان الكفار
كلهم مؤمنون موحدون فى الاخرة دليله قوله ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين
نعم قد اشرك البعض فى الدنيا لكن مدة الدنيا بالاضافة الى الابد اقل من يوم ومن اشترى
غلاما وقال ما اشتريته الا للكتابة كان صادقا فى قوله ما اشتريته الا للكتابة وان استعمله فى يوم

ولا تجعلوا مع الله الها آخر انى لكم منه نذير مبين

من عمره بعمل آخر ما اريد منهم من رزق اى ما خلقتهم ليرزقوا انفسهم او واحدا من عبادى
وما اريد ان يطعمون قال ثعلب ان يطعموا عبادى وهو اضافة تخصيص كقوله عليه الصلوة والسلام
خبرا عن الله تعالى من اكرم مؤمنا فقد اكرمنى ومن اذا مؤمنا فقد اذانى ان الله هو الرزاق
ذو القوة المتين الشديد القوة المتين بالرفع صفة لذو وقراء الاعمش بالجر صفة للقوة
على تاويل الاقتدار فان للذين ظلموا رسول الله بالتكذيب من اهل مكة ذنوبا مثل ذنوب اصحابهم
نصيبا من عذاب الله مثل نصيب اصحابهم ونظرائهم من القرون المهلكة قال الزجاج الذنوب
فى اللغة النصيب فلا تستعجلون نزول العذاب وهذا جواب النضر واصحابه حين استعجلوا
العذاب فويل للذين كفروا من يومهم الذى يوعدون يوم القيمة وقيل من يوم بدر ليعبدونى
ان يطعمونى فلا تستعجلونى بالياء فى الحالين يعقوب واتفقه سهل فى الوصل الباقون بغير ياء

سورة الطور مكية وهى تسع واربعون آية كوفى — بسم الله الرحمن الرحيم

والطور هو الجبل الذى كلم الله عليه موسى وهو بمدين وكتاب مسطور هو القران ونكره لانه
كتاب مخصوص من بين ساير الكتب او اللوح المحفوظ او التورية فى رق هو الصحيفة او
الجلد الذى يكتب فيه منشور مفتوح لا ختم عليه او لائح والبيت المعمور اى الضراح وهو
بيت فى السماء حياذ الكعبة وعمرانه بكثرة زواره من الملائكة روى انه يدخله كل يوم سبعون
الف ملك ويخرجون ثم لا يعودون اليه وقيل الكعبة لكونها معمورة بالحجاج والعمار و
المجاورين والسقف المرفوع اى السماء او العرش والبحر المسجور المملو او الموقد والواو الاولى
للقسم والباقى للعطف وجواب القسم ان عذاب ربك اى الذى وعد الكفار به لواقع
لنازل قال جبير بن مطعم اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اكلمه فى الاسارى فالفيته فى
صلوة الفجر يقراء سورة الطور فلما بلغ ان عذاب ربك لواقع اسلمت خوفا من ان ينزل
العذاب ماله من دافع لا يمنعه مانع والجملة صفة لواقع اى واقع غير مدفوع والعامل فى
يوم لواقع اى يقع ذلك اليوم او اذكر تمور تدور كالرحى مضطربة السماء مورا وتسير الجبال
سيرا فى الهواء كالسحاب لانها تصير هباء منثورا فويل يومئذ للمكذبين الذين هم فى خوض يلعبون
غلب الخوض فى الاندفاع فى الباطل والكذب ومنه قوله تعالى وكنا نخوض مع الخائضين وبدل

يوم يدعون الى نار جهنم دعا من يوم تمور والدع الدفع العنيف و ذلك ان خزنة النار يغلون
ايديهم الى اعناقهم ويجمعون نواصيهم الى اقدامهم ويدفعونهم الى النار دفعا على وجوههم و
زخا فى اقفيتهم فيقال لهم هذه النار التى كنتم بها تكذبون فى الدنيا افسحر هذا هذا مبتداء وسحر
خبره يعنى كنتم تقولون للوحى هذا سحر افسحر هذا يريد اهذا المصداق ايضا سحر ودخلت الفاء
لهذا المعنى ام انتم لا تبصرون كما كنتم لا تبصرون فى الدنيا يعنى ام انتم عمى عن المخبر عنه كما كنتم
عميا عن الخبر هذا تقريع وتهكم اصلوها فاصبروا او لا تصبروا سواء عليكم خبر سواء محذوف
اى سواء عليكم الامران الصبر وعدمه وقيل على العكس وعلل استواء الصبر وعدمه بقوله
انما تجزون ما كنتم تعملون لان الصبر انما يكون له مزية على الجزع لنفعه فى العاقبة بان يجازى
عليه الصابر جزاء الخير فاما الصبر على العذاب الذى هو الجزاء ولا عاقبة له ولا منفعة فلا مزية
له على الجزع ان المتقين فى جنات اى فى جنات ونعيم اى نعيم بمعنى الكمال فى الصفة او فى جنات
ونعيم مخصوصة بالمتقين خلقت لهم خاصة فاكهين حال من الضمير فى الظرف والظرف
خبر اى متلذذين بما اتيهم ربهم وعطف قوله ووقيهم ربهم على فى جنات اى ان المتقين
استقروا فى جنات ووقيهم ربهم او على اتيهم ربهم على ان تجعل ما مصدرية والمعنى فاكهين
باتيانهم ربهم ووقايتهم عذاب الجحيم او الواو للحال وقد بعدها مضمرة يقال لهم كلوا و
اشربوا هنيئا بما كنتم تعملون اكلا وشربا هنيئا او طعاما وشرابا هنيئا وهو الذى لا تنغيص فيه
متكئين حال من الضمير فى كلوا واشربوا على سرر جمع سرير مصفوفة موصولة بعضها ببعض
وزوجناهم وقرناهم بحور جمع حوراء عين عظام الاعين حسانها والذين امنوا مبتداء
والحقنا بهم خبره واتبعتهم واتبعناهم ابوعمرو ذريتهم اولادهم بايمان حال من الفاعل الحقنا بهم
ذريتهم اى الحقنا الاولاد بايمانهم واعمالهم درجات الاباء وان قصرت اعمال الذرية من اعمال الاباء
وقيل ان الذرية وان لم يبلغوا مبلغا يكون منهم الايمان استدلالا وانما تلقنوا منهم تقليدا فهم يلحقون
بالاباء وذريتهم ذرياتهم مدنى وذرياتهم ابوعمرو وذرياتهم شامى وما التناهم علهم من شئ
وما نقصناهم من ثواب عملهم من شئ التناهم مكى الت يالت لغتان ومن الاولى متعلقة بالتناهم
والثانية زائدة كل امرئ بما كسب رهين اى مرهون فنفس المؤمن مرهونة بعملها فيجازى

وامددناهم

٧ اىم

وامددناهم ورددناهم فى وقت بعد وقت بفاكهة ولحم مما يشتهون وان لم يقترحوا
يتنازعون فيها كاسا اى خمرا اى يتعاطون ويتعاورون هم وجلساؤهم من اقربائهم
واخوانهم يتناول هذا الشخص الكاس من يد هذا وهذا من يد هذا لا لغو فيها فى شربها
ولا تاثيم اى لا يجرى بينهم ما يلغى يعنى لا يجرى بينهم بالباطل ولا ما فيه اثم لو فعله فاعل
فى دار التكليف من الكذب والشتم ونحوها كشاربى خمر الدنيا لان عقولهم ثابتة فيتكلمون
بالحكم والكلام الحسن لا لغو فيها ولا تاثيم مكى وبصرى ويطوف عليهم غلمان لهم مملوكون لهم
مخصوصون بهم كانهم من بياضهم لؤلؤ مكنون فى الصدف لانه رطبا احسن واصفى او مخزون
لانه لا يخزن الا الثمين الغالى القيمة فى الحديث ان ادنى اهل الجنة منزلة من ينادى الخادم من
خدامه فيجيبه الف ببابه لبيك لبيك واقبل بعضهم على بعض يتساءلون يسال بعضهم بعضا
عن احواله واعماله وما استحق به نيل ما عند الله قالوا انا كنا قبل فى الدنيا فى اهلنا مشفقين
ارقاء القلوب من خشية الله او خائفين من نزع الايمان وفوت الامان او من رد الحسنات
والاخذ بالسيات فمن الله علينا بالمغفرة والرحمة ووقينا عذاب السموم هى الريح الحارة
التى تدخل المسام فسميت بها نار جهنم لانها بهذه الصفة انا كنا من قبل من قبل لقاء الله تع
والمصير اليه يعنون فى الدنيا ندعوه نعبده ولا نعبد غيره او نساله الوقاية انه هو البر
البر المحسن الرحيم العظيم الرحمة الذى اذا عبد اثاب واذا سئل اجاب انه بالفتح مدنى و
على اى بانه او لانه فذكر فاثبت على تذكير الناس وموعظتهم فما انت بنعمة ربك برحمة ربك
وانعامه عليك بالنبوة ورجاحة العقل بكاهن ولا مجنون كما زعموا وهو فى موضع الحال
والتقدير لست كاهنا ولا مجنونا ملتبسا بنعمة ربك ام يقولون هو شاعر نتربص به ريب
المنون حوادث الدهر اى ننتظر به نوائب الزمان فيهلك كما هلك من قبله من الشعراء
زهير والنابغة وام فى اوائل هذه الاى منقطعة بمعنى بل والهمزة قل تربصوا فانى معكم من
المتربصين اتربص هلاككم كما تتربصون هلاكى ام تامرهم احلامهم عقولهم بهذا التناقض
فى القول وهو قولهم كاهن وشاعر مع قولهم مجنون وكانت قريش يدعون اهل الاحلام و
النهى ام هم قوم طاغون مجاوزون الحد فى العناد مع ظهور الحق لهم واسناد الامر الى الاحلام

مجانين ام يقولون تقوله اختلقه محمد من تلقاء نفسه بل رد عليهم اى ليس الامر كما زعموا بل لا
يؤمنون فلكفرهم وعنادهم يرمون بهذه المطاعن مع علمهم ببطلان قولهم وانه ليس بمتقول له
لعجز العرب عنه وما محمد الا واحد من العرب فليأتوا بحديث مختلق مثله مثل القرآن ان كانوا
صادقين فى ان محمدا تقوله من تلقاء نفسه لانه بلسانهم وهم فصحاء ام خلقوا ام احدثوا
وقدروا التقدير الذى عليهم فطرتهم من غير شىء من غير مقدر ام هم الخالقون ام هم الذين
خلقوا انفسهم حيث لا يعبدون الخالق وقيل اخلقوا من اجل لا شىء من جزاء ولا حساب
ام هم الخالقون فلا يأتمرون ام خلقوا السموات والارض فلا يعبدون خالقهما بل لا يوقنون
اى لا يتدبرون فى الآيات فيعلموا خالقهم وخالق السموات والارض ام عندهم خزاين ربك
من النبوة والرزق وغيرهما فيخصوا من شاؤا ام هم المصيطرون الارباب الغالبون حتى
يدبروا امر الربوبية ويبنوا على مشيتهم وبالسين مكى وشامى ام لهم سلم منصوب يرتقون
الى السماء يستمعون فيه كلام الملايكة وما يوحى من علم الغيب حتى يعلموا ما هو كائن من تقدم
هلاكه على هلاكهم وظفرهم فى العاقبة دونه كما يزعمون قال الزجاج يستمعون فيه اى عليه
فليأت مستمعهم بسلطان مبين بحجة واضحة تصدق استماع مستمعهم ام له البنات ولكم
البنون ثم سفه احلامهم حيث اختاروا لله ما يكرهون وهم حكماء عند انفسهم ام تسألهم
اجرا على التبليغ والانذار فهم من مغرم مثقلون المغرم ان يلزم الانسان ما ليس عليه اى لزمهم
مغرم ثقيل فدهم فزهدهم ذلك فى اتباعك ام عندهم الغيب اى اللوح المحفوظ فهم
يكتبون ما فيه حتى يقولوا لا نبعث وان بعثنا لم نعذب ام يريدون كيدا وهو كيدهم فى
دار الندوة برسول الله وبالمومنين فالذين كفروا اشارة اليهم او اريد بهم كل من كفر بالله
هم المكيدون هم الذين يعود عليهم وبال كيدهم ويحيق بهم مكرهم وذلك انهم قتلوا
يوم بدر او المغلوبون فى الكيد من كايدته فكدته ام لهم اله غير الله يمنعهم من عذاب الله
سبحان الله عما يشركون وان يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا الكسف القطعة وهو
جواب قولهم او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا يريد انهم لشدة طغيانهم وعنادهم
لو اسقطناه عليهم لقالوا هذا سحاب مركوم قد ركم اى جمع بعضه على بعض عطرنا ولم يصدقوا

لو أسقطناه

انه كسف ساقط للعذاب فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذى فيه يصعقون بضم الياء عاصم و
شامى الباقون بفتح الياء يقال صعقه وذلك عند النفخة الاولى نفخة الصعق يوم لا يغنى عنهم كيدهم
شيئا ولا هم ينصرون وان للذين ظلموا وان لهؤلاء الظلمة عذابا دون ذلك دون يوم
القيمة وهو القتل ببدر والقحط سبع سنين وعذاب القبر ولكن اكثرهم لا يعلمون
ذلك ثم امره بالصبر الى ان يقع بهم العذاب فقال واصبر لحكم ربك بامهالهم وبما
يلحقك فيه من المشقة فانك باعيننا اى بحيث نريك ونكلؤك وجمع العين لان الضمير
بلفظ الجماعة الا ترى الى قوله ولتصنع على عينى وسبح بحمد ربك حين تقوم للصلوة
وهو ما يقال بعد التكبير سبحانك اللهم وبحمدك او من اى مكان قمت او من منامك ومن
الليل فسبحه وادبار النجوم واذا ادبرت النجوم من آخر الليل وادبار زيد اى فى اعقاب النجوم
وآثارها اذا غربت والمراد الامر بقوله سبحان الله وبحمده فى هذه الاوقات وقيل التسبيح الصلوة
اذا قام من نومه ومن الليل صلوة العشائين وادبار النجوم صلوة الفجر

سورة النجم مكية وهى ثلث وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

والنجم اقسم بالثريا او بجنس النجوم اذا هوى اذا غربت او انتثر يوم القيمة وجواب
القسم ما ضل عن قصد الحق صاحبكم اى محمد عليه الصلوة والسلام والخطاب لقريش وما
غوى فى اتباع الباطل وقيل الضلال نقيض الهدى والغى نقيض الرشد اى هو مهتد راشد
اى هو مهتد وليس كما تزعمون من نسبتكم اياه الى الضلال والغى وما ينطق عن الهوى ان
هو الا وحى يوحى وما يأتيكم به من القرآن ليس بمنطق يصدر عن هواه ورأيه انما هو وحى
من عند الله يوحى اليه ويحتج بهذه الآية من لا يرى الاجتهاد للانبياء ويجاب بان الله تعالى
اذا سوغ لهم الاجتهاد وقررهم عليه كان كالوحى لا نطقا عن الهوى علمه علم محمدا عليه الصلوة
والسلام شديد القوى ملك شديد قواه والاضافة غير حقيقية لانها اضافة الصفة
الى فاعلها وهو جبرئيل عليه السلام عند الجمهور ومن قوته انه اقلع قرى قوم لوط من الماء
الاسود وحملها على جناحه ورفعها الى السماء ثم قلبها وصاح صيحة بثمود فاصبحوا جاثمين
ذو مرة ذو منظر حسن عن ابن عباس رض فاستوى فاستقام على صورة نفسه الحقيقية دون

عنهم

الصورة التى كان يتمثل بها كلما هبط بالوحى وكان ينزل فى صورة دحية وذلك ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم احب ان يراه فى صورته التى جبل عليها فاستوى له فى الافق الاعلى وهو افق
الشمس فملأ الافق وقيل ما رآه احد من الانبياء فى صورته الحقيقة سوى محمد صلى الله عليه وسلم
مرتين مرة فى الارض ومرة فى السماء وهو اى جبرئيل عليه السلام بالافق الاعلى مطلع الشمس ثم
دنا جبرئيل من رسول الله فتدلى فزاد فى القرب والتدلى هو النزول بقرب الشئ فكان قاب
قوسين مقدار قوسين عربيتين وقد جاء التقدير بالقوس والرمح والسوط والذراع و
الباع ومنه لا صلوة الى ان ترتفع الشمس مقدار رمحين وفى الحديث لقاب قوس احدكم من الجنة
وموضع قده خير من الدنيا وما فيها والقد السوط وتقديره وكان مقدار مسافة قربه
مثل قاب قوسين فحذفت هذه المضافات او ادنى اى على تقديركم كقوله او يزيدون وهذا
لانهم خوطبوا على لغتهم ومقدار فهمهم ويقولون هذا قدر رمحين او انقص وقيل بل ادنى
فاوحى جبرئيل عليه السلام الى عبده الى عبد الله وان لم يجر لاسمه ذكر لانه لا يلتبس كقوله على ظهرها
ما اوحى تفخيم للوحى الذى اوحى اليه قيل اوحى اليه ان الجنة محرمة على الانبياء حتى تدخلها
انت وعلى الامم حتى تدخلها امتك ما كذب الفؤاد فؤاد محمد ما رأى ما رآه ببصره من صورة
جبرئيل عليه السلام اى ما قال فؤاده لما رآه لم اعرفك ولو قال ذلك لكان كذبا لانه عرفه
يعنى رآه بعينه وعرفه بقلبه ولم يشك فى ان ما رآه حق وقيل المرئى هو الله سبحانه رآه
بعين رأسه وقيل بقلبه افتمارونه افتجادلونه من المراء هو المجادلة واشتقاقه من مرى
الناقة كان ذلك كل واحد من المتجادلين يمرى ما عند صاحبه افتمرونه حمزة وعلى وخلف
ويعقوب افتغلبونه فى المراء من ماريته فمريته ولما فيه من معنى الغلبة قال على ما يرى
فعدى بعلى كما تقول غلبته على كذا وقيل افتمرونه افتجحدونه يقال مريته حقه اذا جحدته
وتعديته بعلى لا تصح الا على مذهب التضمين ولقد رآه رأى محمد جبرئيل عليهما السلام نزلة
اخرى مرة اخرى من النزول نصبت النزلة نصب الظرف الذى هو مرة لان الفعلة اسم للمرة
من الفعل وكانت فى حكمها اى نزل جبرئيل عليه السلام نزلة اخرى فى صورة نفسه فرآه عليها
وذلك ليلة المعراج عند سدرة المنتهى الجمهور على انها شجرة نبق فى السماء السابعة عن يمين

العرش والمنتهى بمعنى موضع الانتهاء او الانتهاء كانها فى منتهى الجنة وآخرها وقيل لم يجاوزها
احد واليها ينتهى علم الملائكة وغيرهم ولا يعلم احد ما وراءها وقيل ينتهى اليها ارواح
الشهداء عندها جنة المأوى اى الجنة التى يصير اليها المتقون وقيل تأوى اليها ارواح
الشهداء اذ يغشى السدرة ما يغشى اى رآه اذ يغشى السدرة ما يغشى وهو تعظيم وتكثير لما
يغشيها فقد علم بهذه العبارة ان ما يغشاها من الخلائق الدالة على عظمة الله وجلاله
اشياء لا يحيط بها الوصف وقد قيل يغشاها الجم الغفير من الملائكة يعبدون الله عندها
وقيل يغشيها فراش من ذهب ما زاغ البصر بصر رسول الله صلى الله عليه وسلم اى ما عدل عن
رؤية العجائب التى امر برؤيتها ومكن منها وما طغى وما جاوز ما امر برؤيته لقد رأى
والله لقد رأى من آيات ربه الكبرى اى الآيات التى هى كبراها وعظمها ما يعنى حين رقى به
الى السماء فارى عجائب الملكوت افرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة اى اخبرونا عن
هذه الاشياء التى تعبدونها من دون الله عز وجل هل لها من القدرة والعظمة التى وصف
بها رب العزة اللات والعزى ومناة اصنام لهم وهى مؤنثات كانت لثقيف بالطائف
كانت بنخلة تعبدها قريش وهى فعلة من لوى لانهم كانوا يلوون عليها ويعكفون للعبادة
والعزى كانت لغطفان وهى شجرة واصلها تانيث الاعز وقطعها خالد بن الوليد ومناة كانت
صخرة لهذيل وخزاعة وقيل لثقيف فكانها سميت مناة لان دماء النسك كانت تمنى عندها
اى تراق ومناة مكى مفعلة من النوء كانهم كانوا يستمطرون عندها الانواء تبركا بها الاخرى
هى صفة ذم اى المتاخرة الوضيعة المقدار كقوله وقالت اخراهم لاولاهم اى ضعفاؤهم
لرؤسائهم واشرافهم ويجوز ان يكون الاولية والتقدم عندهم للات والعزى كانوا
يقولون ان الملائكة وهذه الاصنام بنات الله وكانوا يعبدونهم ويزعمون انهم شفعاؤهم
عند الله مع وادهم البنات وكراهتهم لهن فقيل لهم الكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى
اى جعلكم لله البنات ولكم البنون قسمة ضيزى اى جائرة من ضازه يضيزه اذا ضامه وضيزى
فعلى اذ لا فعلى فى النعوت فكسرت الضاد للياء كما قيل بيض وهو بوض مثل حمر وسود
ضيزى بالهمزة مكى من ضازه مثل ضازه ان هى ما الاصنام الا اسماء ليس تحتها فى الحقيقة

مسميات لانكم تدعون الالهية لما هو ابعد شيء منها واشد منافاة لها سميتموها اي سميتم
بها يقال سميته زيدا وسميته بزيد انتم واباؤكم ما انزل الله بها من سلطان حجة ان يتبعون
الا الظن الا توهم ان ما هم عليه حق وما تهوى الانفس وما تشتهيه انفسهم ولقد جاءهم
من ربهم الهدى الرسول والكتاب فتركوه ولم يعملوا به ام للانسان ما تمنى هي ام المنقطعة
ومعنى الهمزة فيها الانكار اي ليس للانسان يعني الكافر ما تمنى من شفاعة الاصنام او من قوله
ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وقيل هو تمني بعضهم ان يكون هو النبي فلله الاخرة
والاولى اي هو مالكهما وله الحكم فيهما يعطي النبوة والشفاعة من شاء وارتضى لا من تمنى وكم
من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا الا من بعد ان ياذن الله لمن يشاء ويرضى يعني
ان امر الشفاعة ضيق فان الملائكة مع قربتهم وكثرتهم لو شفعوا باجمعهم لاحد لم تغن شفاعتهم
شيئا قط ولم تنفع الا اذا شفعوا من بعد ان ياذن الله لهم في الشفاعة لمن يشاء الشفاعة له
ويرضاه ويراه اهلا لان يشفع له فكيف تشفع الاصنام اليه لعبدتهم ان الذين لا يؤمنون
بالاخرة ليسمون الملائكة اي كل واحد منهم تسمية الانثى لانهم اذا قالوا الملائكة بنات الله فقد
سموا كل واحد منهم بنتا وهي تسمية الانثى وما لهم به من علم اي بما يقولون وقرئ بها اي بالملائكة
او التسمية ان يتبعون الا الظن وهو تقليد الاباء وان الظن لا يغني من الحق شيئا اي انما يعرف
الحق هو حقيقة الشيء وما هو عليه بالعلم واليقين لا بالظن والتوهم فاعرض عن من تولى
عن ذكرنا فاعرض عن رايته معرضا عن ذكر الله اي القران ولم يرد الا الحيوة الدنيا ذلك
اي اختيارهم الدنيا والرضا بها مبلغهم من العلم اي منتهى علمهم ان ربك هو اعلم بمن ضل عن
سبيله وهو اعلم بمن اهتدى اي اعلم بالضال والمهتدي ومجازيهما ولله ما في السموات وما
في الارض ليجزي الذين اساؤا بما عملوا بعقاب ما عملوا من السوء او بسبب الاعمال الحسنى والمعنى
ان الله عز وجل انما خلق العالم وسوى هذه الملكوت ليجزي المحسن من المكلفين والمسيء منهم
اذ الملك لنصر الاولياء وقهر الاعداء الذين بدل او في موضع رفع على المدح اي هم الذين
يجتنبون كبائر الاثم اي الكبائر من الاثم لان الاثم جنس يشتمل على كبائر وصغائر والكبائر الذنوب
التي يكبر عقابها كبير حمزة وعلي اي النوع الكبير منه والفواحش اي ما فحش من الكبائر كانه قال

ما عملوا من السوء ويجزي الذين احسنوا بالحسنى بالمثوبة الحسنى وهي الجنة او
بسبب م

والفواحش

والفواحش منها خاصة قيل الكبائر ما اوعد الله عليه النار والفواحش ما شرع فيها
الحد الا اللمم اي الصغائر والاستثناء منقطع لانه ليس من الكبائر والفواحش وهو كالنظرة والقبلة
واللمسة والغمزة ان ربك واسع المغفرة فيغفر ما يشاء من الذنوب من غير توبة هو اعلم
بكم اذ انشاكم اي اباكم من الارض واذ انتم اجنة جمع جنين من بطون امهاتكم فلا تزكوا
انفسكم فلا تنسبوها الى زكاء العمل وزيادة الخير والطاعات او الى الزكاء والطهارة من المعاصي
ولا تثنوا عليها واهضموها فقد علم الله الزكي منكم والتقي اولا واخرا قبل ان يخرجكم من صلب
آدم عليه السلام قبل ان تخرجوا من بطون امهاتكم وقيل كان ناس يعملون اعمالا حسنة ثم يقولون
صلوتنا وصيامنا وحجنا فنزلت وهذا اذا كان على سبيل الاعجاب او الرياء اما على سبيل الاعتراف
بالنعمة فانه جائز لان المسرة بالطاعة وذكرها شكر هو اعلم بمن اتقى فاكتفوا بعلمه عن علم الناس
وبجزائه عن ثناء الناس افرايت الذي تولى اعرض عن الايمان واعطى قليلا واكدى قطع العطية
وامسك واصله اكدى الحافر وهو ان تلقاه كدية وهي صلابة كالصخرة فيمسك عن الحفر عن ابن
عباس رض فيمن كفر بعد الاسلام وقيل في الوليد بن المغيرة وكان قد اتبع رسول الله صلى الله
عليه وسلم فعيره بعض الكافرين وقال له تركت دين الاشياخ وزعمت انهم في النار قال اني خشيت
عذاب الله فضمن له ان هو اعطاه شيئا من ماله ورجع وليد الشرك ان يتحمل عنه عذاب الله
ففعل واعطى الذي عاتبه بعد ما كان ضمن له ثم بخل ومنعه اعنده علم الغيب فهو يرى هو يعلم
ان ما ضمنه من عذاب الله حق ام لم ينبا يخبر بما في صحف موسى اي التورية وابراهيم اي في
صحف ابراهيم الذي وفى اي وفى واتم كقوله فاتمهن واطلاقه ليتناول كل وفاء وتوفيته
وقرئ مخففا والتشديد مبالغة في الوفاء وعن الحسن ما امره الله بشيء الا وفى به وعن عطاء
ابن السائب عهد ان لا يسال مخلوقا فلما قذف في النار قال له جبرئيل الك حاجة فقال اما
اليك فلا وعن النبي صلى الله عليه وسلم وفى عمله كل يوم باربع ركعات في صدر النهار وهي صلوة
الضحى وروي الا اخبركم لم سمى الله خليله الذي وفى كان يقول اذا اصبح وامسى فسبحان الله حين
تمسون الى حين تظهرون وقيل وفى سهام الاسلام وهي ثلثون عشرة في التوبة التائبون
وعشرة في الاحزاب ان المسلمين وعشرة في المؤمنين قد افلح المؤمنون ثم اعلم ما في صحف

موسى وابراهيم فقال ان لا تزر وازرة وزر اخرى تزر من وزر يزر اذا كتسب وزرا وهو الاثم وان مخففة من المثقلة والمعنى انه لا تزر وازرة وزر اخرى والضمير ضمير الشان ومحل ان وما بعدها الجر بدلا من ما فى صحف موسى او الرفع على ان لا تزر كان قايلا قال وما فى صحف موسى وابراهيم فقيل ان لا تزر وازرة وزر اخرى اى لا تحمل نفس ذنب نفس آخر وان ليس للانسان الا ما سعى الا سعيه وهذا ايض مما فى صحف ابراهيم وموسى واما صح فى الاخبار من الصدقة عن الميت والحج عنه فقد قيل ان سعى غيره لما لم ينفعه الا مبنيا على سعى نفسه وهو ان يكون مؤمنا كان سعى غيره كان سعى نفسه لكونه تابعا له وقائما بقيامه ولان سعى غيره لا ينفعه اذا عمله لنفسه ولكن اذا نواه به فهو بحكم الشرع كالنائب عنه والوكيل القائم مقامه وان سعيه سوف يرى اى يرى هو سعيه يوم القيمة فى ميزانه ثم يجزيه اى ثم يجزى العبد سعيه يقال جزاى وجزاه على عمله بحذف الجار وايصال الفعل ويجوز ان يكون الضمير للجزاء ثم فسره بقوله الجزاء الاوفى او ابدله عنه وان الى ربك المنتهى اى هذا كله فى الصحف الاولى والمنتهى مصدر بمعنى الانتهاء اى ينتهى اليه الخلق ويرجعون اليه كقوله تع والى الله المصير وانه هو اضحك وابكى خلق الله الضحك والبكاء وقيل خلق الفرح والحزن وقيل اضحك المؤمن فى العقبى بالمواهب وابكاه فى الدنيا بالنوائب وانه هو امات واحيى قيل امات الاباء واحيى الابناء او امات بالكفر واحيى بالايمان او امات هيهنا واحيى ثمه وانه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى تدفق فى الرحم يقال منى وانه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى تدفق وامنى وان عليه النشاة الاخرى الاحياء بعد الموت وانه هو اغنى واقنى واعطى القنية وهى المال الذى تاثلته وعزمت ان لا تخرجه من يدك وانه هو رب الشعرى هو كوكب يطلع بعد الجوزاء فى شدة الحر وكانت خزاعة تعبدها فاعلم الله تع انه هو رب معبودهم هذا وانه اهلك عادا الاولى هو قوم هود وعاد الاخرى ارم عاد اللولى مدنى وبصرى غير سهل بادغام التنوين فى اللام وطرح الهمزة اولى ونقل ضمتها الى اللام التعريف وثمود فما ابقى حمزة وعاصم الباقون وثمودا وهو معطوف على عادا ولا ينتصب بفما ابقى لان ما بعد الفاء لا يعمل فيما قبله لا تقول زيدا فضربت وكذا ما بعد النفى لا يعمل

فيما قبله والمعنى واهلك ثمود فما ابقاهم وقوم نوح اى واهلك قوم نوح من قبل من قبل عاد وثمود انهم كانوا هم اظلم واطغى من عاد وثمود لانهم كانوا يضربونه حتى لا يكون به حراك وينفرون عنه حتى كانوا يحذرون صبيانهم ان يسمعوا والموتفكة والقرى التى ائتفكت باهلها اى انقلبت وهم قوم لوط يقال افكه فائتفك اهوى اى رفعها الى السماء على جناح جبرئيل ثم اهواها الى الارض اى اسقطها والموتفكة منصوب باهوى فغشيها ما غشى اى البسها ما غشى تهويل وتعظيم لما صب عليها من العذاب وامطرنا عليها من الصخر المنضود فباى الاء ربك ايها المخاطب تتمارى اى تتشكك بما اولاك من النعم او بما كفاك من النقم او باى نعم ربك الدالة على وحدانية الله وربوبيته تتشك هذا نذير محمد منذر من النذر الاولى من المنذرين الاولين قال الاولى على تاويل الجماعة او هذا القران نذير من النذر الاولى اى انذار من جنس الانذارات الاولى التى انذر بها من قبلكم ازفت الازفة قربت الموصوفة بالقرب فى قوله اقتربت الساعة ليس لها من دون الله كاشفة اى ليس لها نفس كاشفة اى مبينة متى تقوم كقوله لا يجليها لوقتها الا هو وليس لها نفس كاشفة اى قادرة على كشفها اذا وقعت الا الله غير انه لا يكشفها افمن هذا الحديث اى القران تعجبون انكارا وتضحكون استهزاء ولا تبكون خشوعا وانتم سامدون غافلون او لاهون فكانوا اذا سمعوا القران عارضوه بالغناء ليشغلوا الناس عن استماعه فاسجدوا لله واعبدوا اى فاسجدوا لله واعبدوه ولا تعبدوا الالهة سورة القمر مكية وهى خمس وخمسون اية كوفى بسم الله الرحمن الرحيم

اقتربت الساعة قربت القيمة وانشق القمر بنصفين وقرئ وقد انشقت اى اقتربت الساعة وقد حصل من ايات اقترابها ان القمر قد انشق كما تقول اقبل الامير وقد جاء المبشر بقدومه قال ابن عباس رض رايت حراء بين فلقتى القمر وقيل معناه ينشق يوم القيمة والجمهور على الاول وهو المروى فى الصحيحين ولا يقال لو انشق لما خفى على اهل الاقطار ولو ظهر عندهم لنقلوا متواترا لان الطباع جبلت على نشر العجائب لانه يجوز ان لا يحجبه الله عنهم نعيم وان يروا يعنى اهل مكة اية تدل على صدق محمد صلى الله عليه وسلم يعرضوا عن الايمان بها

ويقولوا سحر مستمر محكم قوي من المرة القوة او دائم مطرد او مار ذاهب يزول ولا يبقى
وكذبوا النبي واتبعوا اهواءهم وهو ما زين لهم الشيطان من دفع الحق بعد ظهوره وكل
امر وعدهم الله مستقر كائن في وقته وقيل ما قدر واقع وقيل كل امر من امورهم وامرهم
مستقر اي سيثبت ويستقر عند ظهور العقاب والثواب ولقد جاءهم اهل مكة من
الانبياء من القرآن المودع انباء القرون الخالية او انباء الآخرة وما وصف من عذاب
الكفار ما فيه مزدجر ازدجار عن الكفر تقول زجرته وازدجرته اي منعته واصله ازدجر
ولكن التاء اذا وقعت بعد زاي ساكنة ابدلت دالا لان التاء حرف مهموس والزاي حرف
مجهور فابدلت من التاء حرف مجهور وهو الدال ليتناسبا وهذا في آخر كتاب سيبويه
حكمة بدل من ما او على هو حكمة بالغة نهاية الصواب او بالغة من الله اليهم فما تغني النذر
ما نفي والنذر جمع نذير وهم الرسل او المنذر به او انكار وما منصوبة اي فاي غناء
تغني النذر والنذر مصدر بمعنى الانذار فتول عنهم لعلمك ان الانذار لا يغني فيهم نصب
يوم يدع الداع بيخرجون او باضمار اذكر الداعي سهل ويعقوب ومكي فيهما وافق مدني وابو عمرو
في الوصل ومن استقط الياء اكتفى بالكسرة عنها وحذف الواو من يدعوا في الكتابة لمتابعة اللفظ
والداعي اسرافيل عليه السلام الى شيء نكر منكر فظيع تنكره النفوس لانها لم تعهد بمثله وهو
هول يوم القيمة نكر بالتخفيف مكي خشعا ابصارهم عراقي غير عاصم وهو حال من الخارجين
فعل للابصار وذكر كما تقول يخشع ابصارهم غيرهم خشعا على يخشعن ابصارهم وهي لغة
من يقول اكلوني البراغيث ويجوز ان يكون في خشعا ضميرهم وتقع ابصارهم بدلا عنه و
خشوع الابصار كناية عن الذلة لان ذلة الذليل وعزة العزيز تظهران في عيونهما يخرجون
من الاجداث من القبور كانهم جراد منتشر في كثرتهم وتفرقهم في كل جهة والجراد مثل في
الكثرة والتموج يقال في الجيش الكثير المائج بعضه في بعض جاءوا كالجراد مهطعين الى الداع
مسرعين مادي اعناقهم اليه يقول الكافرون هذا يوم عسر صعب شديد كذبت قبلهم قبل
اهل مكة قوم نوح فكذبوا عبدنا نوحا عليه السلام ومعنى تكرار التكذيب انهم كذبوه تكذيبا
على عقب تكذيب كلما مضى منهم قرن مكذب تبعه قرن مكذب او كذبت قوم نوح الرسل فكذبوا

عبدنا

عبدنا اي لما كانوا مكذبين بالرسل جاحدين للنبوة راسا كذبوا نوحا لانه من جملة الرسل وقالوا
مجنون اي هو وازدجر زجر عن اداء الرسالة بالشتم وهدد بالقتل وهو من جملة
قيلهم اي قالوا هو مجنون وقد ازدجرته الجن وتخبطته وذهبت بلبه وطارت بقلبه
فدعا ربه اني اي باني مغلوب غلبني قومي فلم يسمعوا لي واستحكم الياس من اجابتهم
لي فانتصر فانتقم لي منهم بعذاب تبعثه عليهم ففتحنا ابواب السماء ففتحنا شامي ويزيد
وسهل ويعقوب بماء منهمر منصب في كثرة وتتابع لم ينقطع اربعين يوما وفجرنا
الارض عيونا وجعلنا الارض كلها كانها عيون تتفجر وهو ابلغ من قولك وفجرنا
عيون الارض فالتقى الماء اي مياه السماء والارض وقرئ الماءان اي النوعان من
الماء السماوي والارضي على امر قد قدر على حال قدرها الله كيف شاء او على امر قد
قدر في اللوح ان يكون وهو هلاك قوم نوح بالطوفان وحملناه على ذات الواح ودسر
اراد السفينة وهي من الصفات التي تقوم مقام الموصوفات فتنوب منابها وتؤدي
مؤداها بحيث لا يفصل بينها وبينها ونحوه ولكن قميصي مسرودة من حديد اراد
لكن قميصي درع الا ترى انك لو جمعت بين السفينة وبين هذه الصفة لم يصح وهذا من
فصيح الكلام وبديعه والدسر جمع دسار وهو المسمار فعال من دسره اذا دفعه لانه
يدسر به منفذه تجري باعيننا بمرأى منا او بحفظنا وباعيننا حال من الضمير في تجري اي
محفوظة بنا جزاء له لما قدم من فتح ابواب السماء وما بعده اي فعلنا ذلك جزاء لمن كان
كفر وهو نوح عليه السلام وجعله مكفورا لان النبي صلى الله عليه وسلم نعمة من الله ورحمة
قال الله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فكان نوح عليه السلام نعمة مكفورة ولقد
تركناها اي السفينة او الفعلة اي جعلناها آية يعتبر بها وعن قتادة ابقاها الله بارض
الجزيرة وقيل على الجودي دهرا طويلا حتى نظر اليها اوائل هذه الامة فهل من مدكر متعظ
يتعظ ويعتبر واصله مذتكر بالذال والتاء ولكن التاء ابدلت منها الدال الدال من موضع
فادغمت الذال في الدال فكيف كان عذابي ونذر هو جمع نذير او المصدر وهو الانذار
ونذري يعقوب فيهما وافقه سهل في الوصل غيرهما بغير ياء وعلى هذا الاختلاف ما بعده

الى اخر السورة ولقد يسرنا القران للذكر سهلناه للادكار والاتعاظ بان شحناه بالمواعظ
الشافية وصرفنا فيه من الوعد والوعيد فهل من مدكر متعظ يتعظ وقيل سهلناه للحفظ
واعنا عليه من اراد حفظه فهل من طالب لحفظه ليعان عليه ويروى ان كتب اهل الاديان
نحو التورية والانجيل لا يتلوها اهلها الا نظرا ولا يحفظونها ظاهرا كالقران كذبت عاد
فكيف كان عذابى ونذر اى وانذارى لهم بالعذاب قبل نزوله او انذارى فى تعذيبهم لمن
بعدهم انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا باردة او شديدة الصوت فى يوم نحس شوم مستمر
دائم الشر فقد استمر عليهم حتى اهلكهم وكان فى اربعاء فى اخر الشهر تنزع الناس تقلعهم عن
اماكنهم وكانوا يصطفون اخذين بعضهم بايدى بعض ويتداخلون فى الشعاب ويحفرون
الحفر فيندسون فيها فتنزعهم وتكبهم وتدق رقابهم كانهم حال اعجاز نخل منقعر اصول
نخل منقطع عن مغارسه وشبهوا باعجاز النخل لان الريح كانت تقطع رؤسهم فتبقى اجسادا
بلا رؤس فيتساقطون على الارض امواتا وهم جثث طوال وذكر صفة نخل على اللفظ ولو حملها
على المعنى لانث كما قال اعجاز نخل خاوية فكيف كان عذابى ونذر ولقد يسرنا القران للذكر
فهل من مدكر كذبت ثمود بالنذر فقالوا ابشرا منا واحدا انتصب بشرا بفعل يفسره
نتبعه تقديره انتبع بشرا منا واحدا انا اذا لفى ضلال وسعر كان يقول ان لم تتبعونى
كنتم فى ضلال عن الحق وسعر ونيران جمع سعير فعكسوا عليه فقالوا ان اتبعناك كنا اذا
كما تقول وقيل الضلال الخطاء والبعد عن الصواب والسعر الجنون وقولهم ابشرا انكار
لان يتبعوا مثلهم فى الجنسية وطلبوا ان يكون من الملائكة فقالوا منا لانه اذا كان منهم كانت
المماثلة اقوى وقالوا واحدا انكارا لان يتبع الامة رجلا واحدا اراد واحدا من افنائهم
ليس باشرفهم وافضلهم ويدل عليه قوله ءالقى الذكر عليه من بيننا اى ءانزل عليه الوحى من
بيننا وفينا من هو احق منه بالاختيار للنبوة بل هو كذاب اشر بطر متكبر حمله بطره فطلب
التعظيم علينا على ادعاء ذلك سيعلمون غدا عند نزول العذاب بهم او يوم القيمة من الكذاب
الاشر اصالح ام من كذبه ستعلمون شامى وحمزة على حكاية ما قال لهم صالح مجيبا لهم او هو
كلام الله على سبيل الالتفات انا مرسلوا الناقة باعثوها ومخرجوها من الهضبة كما سالوا فتنة

لهم امتحانا لهم وابتلاء وهى مفعول له او حال فارتقبهم فانتظرهم وتبصر ما هم صانعون واصطبر
على اذاهم ولا تعجل حتى ياتيك امرى ونبئهم ان الماء قسمة بينهم مقسوم بينهم لها شرب يوم
ولهم شرب يوم وقال بينهم تغليبا للعقلاء كل شرب محتضر محضور يحضر القوم الشرب يوما
وتحضر الناقة يوما فنادوا صاحبهم قدار بن سالف احيمر ثمود فتعاطى فاجترا على تعاطى
الامر العظيم غير مكترث له فعقر الناقة او فتعاطى الناقة فعقرها او فتعاطى السيف وانما
قال فعقر الناقة فى اية اخرى لرضاءهم به او لانه عقر بمعونتهم فكيف كان عذابى ونذر انا
ارسلنا عليهم فى اليوم الرابع من عقرها صيحة واحدة صاح بهم جبرئيل عليه السلام فكانوا
كهشيم المحتظر والهشيم الشجر اليابس المتهشم المتكسر والمحتظر الذى يعمل الحظيرة وما يحظر به
ييبس بطول الزمان وتتوطاه البهائم فيتحطم ويتهشم وقرا الحسن بفتح الظاء وهو موضع
الاحتظار اى الحظيرة ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر كذبت قوم لوط بالنذر انا ارسلنا
عليهم يعنى قوم لوط حاصبا ريحا تحصبهم بالحجارة اى ترميهم الا ال لوط ابنتيه ومن امن معه
نجيناهم بسحر من الاسحار ولذا صرفه يقال لقيته بسحر اذا لقيته فى سحر يومه وقيل هما سحران
فالسحر الاعلى قبل انصداع الفجر والاخر عند انصداعه نعمة مفعول له اى انعاما من عندنا كذلك
نجزى من شكر نعمة الله بايمانه وطاعته ولقد انذرهم لوط عليه السلام بطشتنا اخذتنا بالعذاب
فتماروا بالنذر فكذبوا بالنذر متشاكين ولقد راودوه عن ضيفه طلبوا الفاحشة من اضيافه
فطمسنا اعينهم اعميناهم وقيل مسخناها وجعلناها كسائر الوجه لا يرى لها شق روى انهم
لما عالجوا باب لوط عليه السلام ليدخلوا قالت الملائكة خلهم يدخلوا انا رسل ربك لن يصلوا
اليك فصفقهم جبرئيل عليه السلام بجناحه صفقة فتركهم يترددون لا يهتدون الى الباب
حتى اخرجهم لوط فذوقوا فقلت لهم ذوقوا على السنة الملائكة عذابى ونذر ولقد صبحهم بكرة اول
النهار عذاب مستقر ثابت قد استقر عليهم الى ان يفضى بهم الى عذاب الاخرة وفائدة
تكرير فذوقوا عذابى ونذر ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر ان يجددوا عند
استماع كل نبا من انباء الاولين ادكارا واتعاظا وان يستانفوا تنبها واستيقاظا اذا سمعوا
الحث على ذلك والبعث عليه وهذا حكم التكرير فى قوله فباى الاء ربكما تكذبان عند كل نعمة

عددها وقوله ويل يومئذ للمكذبين عند كل آية اوردها وكذلك تكرير الانباء والقصص في
انفسها لتكون تلك العبر حاضرة للقلوب مصورة للاذهان مذكورة غير منسية في اوان
ولقد جاء آل فرعون النذر موسى وهرون وغيرهما من الانبياء او هو جمع نذير او هو
الانذار كذبوا بآياتنا كلها بالآيات التسع فاخذناهم اخذ عزيز لا يغالب مقتدر لا يعجزه
شيء اكفاركم يا اهل مكة خير من اولئكم الكفار المعدودين قوم نوح وهود وصالح ولوط
وآل فرعون اي اهم خير قوة وآلة ومكانة في الدنيا او اقل كفرا وعنادا يعني ان كفاركم مثل
اولئك بل شر منهم ام لكم براءة في الزبر ام انزلت عليكم يا اهل مكة براءة في الكتب المتقدمة
ان من كفر منكم وكذب الرسل كان آمنا من عذاب الله فامنتم بتلك البراءة ام يقولون
نحن جميع جماعة امرنا مجتمع منتصر ممتنع لا نرام ولا نضام سيهزم الجمع جمع اهل مكة
ويولون الدبر اي الادبار كما قالوا كلوا في بعض بطنكم اي ينصرفون منهزمين يعني يوم بدر
وهذه علامات النبوة بل الساعة موعدهم عذابهم بعد بدر والساعة ادهى اشد من
موقف بدر والداهية الامر المنكر الذي لا يهتدى لدوائه وامر مذاقا من عذاب الدنيا
او اشد من المرة ان المجرمين في ضلال عن الحق في الدنيا وسعر ونيران في الآخرة او في هلاك
ونيران يوم يسحبون في النار يجرون فيها على وجوههم ويقال لهم ذوقوا مس سقر كقولك
وجد مس الحمى وذاق طعم الضرب لان النار اذا اصابتهم بحرها فكانها تمسهم مسا بذلك
وسقر غير منصرف للتانيث والتعريف لانها علم لجهنم سقرته النار اذا لوحته انا كل شيء
خلقناه بقدر كل منصوب بفعل مضمر يفسره الظاهر وقرئ بالرفع شاذا والنصب اولى
لانه لو رفع لامكن ان يكون خلقناه في موضع الجر وصفا لشيء ويكون الجر بقدر وتقديره انا
كل شيء مخلوق لنا بقدر فلما تردد الامر في الرفع عدل الى النصب وتقديره انا خلقنا كل شيء
بقدر فيكون الخلق عاما لكل شيء وهو المراد بالآية ولا يجوز في النصب ان يكون خلقناه
صفة لشيء لانه تفسير الناصب والصفة لا تعمل في الموصوف والقدر التقدير اي بتقدير
سابق او خلقنا كل شيء مقدرا محكما مرتبا على حسب ما اقتضته او مقدرا مكتوبا في اللوح معلوما
قبل كونه قد علمنا حاله وزمانه قال ابو هريرة جاء مشركو قريش الى النبي صلى الله عليه وسلم يخاصمونه

في القدر

في القدر فنزلت الآية وكان عمر يحلف انما نزلت في القدرية وما امرنا الا واحدة الا كلمة واحدة
اي وما امرنا لشيء نريد تكوينه الا ان نقول له كن فيكون كلمح بالبصر على قدر ما يلمح احدكم
ببصره وقيل المراد بامرنا القيامة كقوله وما امر الساعة الا كلمح البصر ولقد اهلكنا اشياعكم
اشباهكم في الكفر من الامم فهل من مدكر متعظ وكل شيء فعلوه اي اولئك الكفار اي كل شيء
مفعول لهم ثابت في الزبر في دواوين الحفظة ففعلوه في موضع جر نعت لشيء وفي الزبر
خبر كل وكل صغير وكبير من الاعمال ومن كل ما هو كائن مستطر مسطور في اللوح ان المتقين
في جنات ونهر وانهار اكتفى باسم الجنس وقيل هو السعة والضياء ومنه النهار في مقعد صدق
في مكان مرضي عند مليك عنده منزلة وكرامة لا مسافة ولا مماسة مقتدر قادر وفائدة
التنكير فيهما ان يعلم ان لا شيء الا وهو تحت ملكه وقدرته سورة الرحمن مكية وقيل مدنية
وهي ست وسبعون آية وبصري ثمان وكوفي سبع آية بسم الله الرحمن الرحيم
الرحمن علم القرآن خلق الانسان اي الجنس او آدم او محمد علمه البيان عدد الله عز وجل آلاءه
فاراد الله ان يقدم اول شيء ما هو اسبق قدما من ضروب الآلاء واصناف النعماء وهي نعمة
الدين فقدم من نعمة الدين ما هو سنام في اعلى مراتبها واقصى مراقيها وهو انعامه بالقرآن
وتنزيله وتعليمه لانه اعظم وحي الله رتبة واعلاه منزلة واحسنه في ابواب الدين اثرا وهو
سنام الكتب السماوية ومصداقها والعيار عليها واخر ذكر خلق الانسان عن ذكره ثم اتبعه
اياه ليعلم انه انما خلقه للدين وليحيط علما بوحيه وكتبه وقدم ما خلق الانسان من اجله
عليه ثم ذكر ما يتميز به من سائر الحيوانات من البيان وهو المنطق الفصيح المعرب عما في الضمير
الرحمن مبتدا وهذه الافعال مع ضمائرها اخبار مترادفة واخلاؤها من العاطف على نمط
التعديد كما تقول زيد اغناك بعد فقر اعزك بعد ذل كثرك بعد قلة فعل بك ما لم يفعل
احد باحد فما تنكر من احسانه الشمس والقمر بحسبان بحسبان معلوم وتقدير سوي يجريان
في بروجهما ومنازلهما وفي ذلك منافع للناس منها علم السنين والحساب والنجم النبات
الذي ينجم من الارض لا ساق له كالبقول والشجر الذي له ساق وقيل النجم نجوم السماء يسجدان
ينقادان لله فيما خلقا له تشبيها بالساجدين من المكلفين في انقياده واتصلت هاتان الجملتان

بالرحمن بالوصل المعنوى لما علم ان الحسبان حسبانه والسجود له لا لغيره كانه قيل الشمس والقمر

بحسبانه والنجم والشجر يسجدان له لا لغيره ولم يذكر العاطف فى الجمل الاول ثم جيئ به بعد لان الاول

وردت على سبيل التعديد تبكيتا لمن انكر الاءه كما يبكت منكر ايادى المنعم عليه من الناس بتعديدها

عليه فى المثال المذكور ثم رد الكلام الى منهاجه بعد التبكيت فى وصل ما يجب وصله للتناسب

والتقارب بالعاطف وبيان التناسب ان الشمس والقمر سماويان والنجم والشجر ارضيان فبين

القبيلتين تناسب من حيث التقابل وان السماء والارض لا تزالان تذكران قرينتين وان جرى

الشمس والقمر بحسبان من جنس الانقياد لامر الله فهو مناسب لسجود النجم والشجر والسماء رفعها

خلقها مرفوعة مسموكة حيث جعلها منشا احكامه ومصدر قضاياه ومسكن ملائكته الذين

يهبطون بالوحى على انبيائه ونبه بذلك على كبرياء شانه وملكه وسلطانه ووضع الميزان

اى كل ما يوزن به الاشياء ويعرف مقاديرها من ميزان وقرسطون ومكيال ومقياس اى

خلقه موضوعا على الارض حيث علق به احكام عباده من التسوية والتعديل فى اخذهم و

اعطائهم ان لا تطغوا فى الميزان لان لا تطغوا او هى ان المفسرة واقيموا الوزن بالقسط وقوموا

اوزانكم بالعدل ولا تخسروا الميزان ولا تنقصوه امر بالتسوية ونهى عن الطغيان الذى هو اعتداء

وزيادة عن الخسران الذى هو تطفيف ونقصان وكرر لفظ الميزان تشديدا للتوصية به

وتقوية للامر باستعماله والحث عليه والارض وضعها خفضها مدحوة على الماء للانام

للخلق وهو كل ما على ظهر الارض من دابة وعن الحسن الانس والجن فهى كالمهاد لهم يتصرفون

فوقها فيها فاكهة ضروب مما يتفكه به والنخل ذات الاكمام هى اوعية التمر الواحد كم بكسر

الكاف او كل ما يكم اى يغطى من ليفه وسعفه وكفره وكله منتفع به كما ينتفع بالمكموم من ثمره

وجماره وجذوعه والحب ذو العصف هو ورق الزرع او التبن والريحان الرزق وهو

اللب اراد فيها ما يتلذذ به من الفواكه والجامع بين التلذذ والتغذى وهو ثمر النخل وما

يتغذى به وهو الحب والريحان بالجر حمزة وعلى اى والحب ذو العصف الذى هو علف

الانعام والريحان الذى هو مطعم الانام والرفع على ذو الريحان فحذف المضاف واقيم

المضاف اليه مقامه وقيل معناه وفيها الريحان الذى يشم والحب ذو العصف والريحان شامى

اى وخلق الحب والريحان او واخص الحب والريحان فباى الاء اى النعم مما عدد من اول السورة

جمع الى والى ربكما تكذبان الخطاب للثقلين بدلالة الانام عليهما خلق الانسان من صلصال

طين يابس له صلصلة كالفخار اى الطين المطبوخ بالنار وهو الخزف ولا اختلاف فى هذا

وفى قوله من حما مسنون من طين لازب من تراب لاتفاقها معنى لانه تفيد انه خلقه من تراب

ثم جعله طينا ثم حما مسنونا ثم صلصالا وخلق الجان ابا الجن قيل هو ابليس من مارج هو

اللهب الصافى الذى لا دخان فيه وقيل المختلط بسواد النار من مرج الشيء اذا اضطرب

واختلط من نار هو بيان من مارج كانه قيل من صاف من نار او مختلط من نار او اراد

من نار مخصوصة كقوله فانذرتكم نارا تلظى فباى الاء ربكما تكذبان رب المشرقين ورب

المغربين اراد مشرقى الصيف والشتاء ومغربيهما فباى الاء ربكما تكذبان مرج البحرين

يلتقيان اى ارسل البحر الملح والبحر العذب متجاورين يتلاقيان لا فصل بين الماءين

فى مراى العين بينهما برزخ حاجز من قدرة الله تعالى لا يبغيان لا يتجاوزان حديهما ولا

يبغى احدهما على الاخر بالممازجة فباى الاء ربكما تكذبان يخرج منهما يخرج مدنى وبصرى

اللؤلؤ بلا همزة ابو بكر ويزيد وهو كبار الدر والمرجان صغاره وانما قال منهما وهما يخرجان

من الملح لانهما لما التقيا وصارا كالشيء الواحد جاز ان يقال يخرجان منهما كما يقال يخرجان من

البحر ولا يخرجان من جميع البحر ولكن من بعضه وتقول خرجت من البلد وانما خرجت من

البلد وانما خرجت من محلة من محاله وقيل لا يخرجان الا من ملتقى الملح والعذب فباى

الاء ربكما تكذبان وله ولله الجوار السفن جمع جارية قال الزجاج الوقف عليها بالياء و

الاختيار وصلها وان وقف عليها واقف بغير ياء المنشآت المرفوعات الشرع والمنشآت بكسر

الشين حمزة ويحيى وهى الرافعات الشرع او اللاتى ينشئن الامواج بجريهن فى البحر كالاعلام

جمع علم وهو الجبل الطويل فباى الاء ربكما تكذبان كل من عليها فان على الارض ويبقى وجه

ربك ذاته ذو الجلال ذو العظمة والسلطان وهو صفة الوجه والاكرام بالتجاوز والاحسان

وهذه الصفة من عظيم صفات الله وفى الحديث الظوا بياذا الجلال والاكرام وروى انه عليه السلام

مر برجل وهو يصلى ويقول ياذا الجلال والاكرام فقال عليه السلام قد استجيب لك فباى الاء

ربكما تكذبان والنعمة في الفناء باعتبار المؤمنين به يصلون الى النعيم السرمد وقال يحيى بن
معاذ حبذا الموت فهو الذي يقرب الحبيب الى الحبيب يسأله من في السموات والارض
وقف عليها لانهم كل من في السموات والارض مفتقرون اليه فيسأله اهل السموات ما
يتعلق بدينهم ودنياهم وينتصب كل يوم ظرف بما دل عليه هو في شان اي في كل وقت وحين
يحدث امورا ويجدد احوالا كما روي انه عليه الصلوة والسلام تلاها فقيل له وما ذلك
الشان فقال من شانه ان يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع اخرين وعن ابن عيينة
الدهر عند الله يومان احدهما الذي هو مدة الدنيا فشانه فيه الامر والنهي والاحياء والاماتة
والاعطاء والمنع والآخر يوم القيمة فشانه فيه الجزاء والحساب وقيل نزلت في اليهود
حين قالوا ان الله لا يقضي يوم السبت شانا وساله بعض الملوك وزيره عن الاية فاستمهله
الى الغد وذهب كئيبا يفكر فيها فقال غلام له اسود يا مولاي اخبرني ما اصابك لعل الله
يسهل لك على يدي فاخبره فقال انا افسرها للملك فاعلمه فقال ايها الملك شان الله ان يولج
الليل في النهار ويولج النهار في الليل ويخرج الحي من الميت ويخرج الميت ويشفي سقيما ويسقم
سليما ويبتلي معافا ويعافي مبتلى ويعز ذليلا ويذل عزيزا ويفقر غنيا ويغني فقيرا فقال
الامير احسنت وامر الوزير ان يخلع عليه ثياب الوزارة فقال يا مولاي هذا من شان الله
وقيل هو سوق المقادير الى المواقيت وقيل ان عبد الله بن طاهر دعا الحسين بن الفضل وقال له
اشكلت علي ثلث آيات دعوتك لتكشفها لي قوله تعالى فاصبح من النادمين وقد صح ان الندم
توبة وقوله تعالى كل يوم هو في شان وصح ان القلم جف بما هو كائن الى يوم القيمة وان ليس
للانسان الا ما سعى فما بال الاضعاف فقال الحسين يجوز ان لا يكون الندم توبة في تلك الامة
ويكون توبة في هذه الامة وقيل ان ندم قابيل لم يكن على قتل هابيل ولكن على حمله وكذا قيل ان
ليس للانسان الا ما سعى مخصوص بقوم ابراهيم وموسى عليهما السلام واما قوله كل يوم هو
في شان فانها شئون يبديها لا شئون يبتديها فقام عبد الله وقبل راسه وسوغ خراجه
فباي آلاء ربكما تكذبان سنفرغ لكم مستعار من قول الرجل لمن يتهدده سافرغ لك يريد سأتجرد
للايقاع بك من كل ما يشغلني عنه والمراد التوفر على النكاية فيه والانتقام منه ويجوز ان يراد

ستنتهي الدنيا وتبلغ آخرها وتنتهي عند ذلك شئون الخلق التي ارادها الله بقوله كل يوم هو
في شان فلا يبقى الا شان واحد وهو جزاؤكم فجعل ذلك فراغا لهم على طريق المثل سيفرغ
حمزة وعلي اي الله تعالى ايها الثقلان الانس والجن سميا بذلك لانهما ثقلا الارض فباي
آلاء ربكما تكذبان يا معشر الجن والانس هو كالترجمة لقوله ايها الثقلان ان استطعتم ان تنفذوا
من اقطار السموات والارض فانفذوا اي ان قدرتم ان تخرجوا من جوانب السموات و
الارض هاربا من قضائي فاخرجوا ثم قال لا تنفذون لا تقدرون على النفوذ الا بسلطان
بقوة وقهر وغلبة واني لكم ذلك وقيل دلتهم على العجز عن قوتهم للحساب عذابا بالعجز عن
نفوذ الاقطار اليوم وقيل يقال لهم يوم القيمة حين تحدق بهم الملائكة فاذا رآهم الجن والانس
هربوا فلا يأتون وجها الا وجدوا الملائكة احاطت به فباي آلاء ربكما تكذبان يرسل عليكما
شواظ من نار وبكسر الشين مكي وكلاهما اللهب الخالص ونحاس اي دخان ونحاس مكي وابو عمرو
فالرفع عطف على شواظ والجر على نار والمعنى فاذا خرجتم من قبوركم يرسل عليكما من النار و
دخان يسوقكم الى المحشر فلا تنتصران فلا تمتنعان منهما فباي آلاء ربكما تكذبان فاذا انشقت
السماء انفك بعضها من بعض لقيام الساعة فكانت وردة فصارت كلون الورد الاحمر وقيل
اصل لون السماء الحمرة ولكن من بعدها ترى زرقا كالدهان كدهن الزيت كما قال كالمهل وهو
دردي الزيت وهو جمع دهن وقيل الدهان الاديم الاحمر فباي آلاء ربكما تكذبان فيومئذ
اي فيوم تنشق السماء لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان اي ولا جن فوضع الجان الذي هو اب
الجن موضع الجن كما قال هاشم ويراد ولده والتقدير لا يسأل انس ولا جان عن ذنبه والتوفيق
بين هذه الاية وبين قوله فوربك لنسألنهم اجمعين وقوله وقفوهم انهم مسؤلون ان ذلك
يوم طويل وفيه مواطن فيسألون في موطن ولا يسألون في آخر وقال قتادة قد كانت مسألة
ثم ختم على افواه القوم وتكلمت ايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون وقيل لا يسأل عن ذنبه
ليعلم من جهته ولكن يسأل للتوبيخ فباي آلاء ربكما تكذبان يعرف المجرمون بسيماهم بسواد
وجوههم وزرقة اعينهم فيؤخذ بالنواصي والاقدام اي يؤخذ تارة بالنواصي وتارة
بالاقدام فباي آلاء ربكما تكذبان هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين

حميم آن ماء حار قد انتهى حره اى يعاقب عليهم بين التصلية بالنار وبين شراب الحميم فباى

الاء ربكما تكذبان والنعمة فى هذه نجاة الناجى منه برحمته وفضله وما فى الانذار به من التنبيه

ولمن خاف مقام ربه موقفه الذى يقف فيه العباد للحساب يوم القيمة فيترك المعاصى

او فادى الفرايض وقيل هو مقحم كقوله ونفيت عنه مقام الذئب الذى نفيت عنه الذئب جنتان

جنة الانس وجنة الجن لان الخطاب للثقلين فكانه قيل لكل خائفين منكما جنتان جنة للخائف

الانسى جنة للخائف الجنى فباى الاء ربكما تكذبان ذواتا افنان اغصان جمع فنن وخص الافنان

لانها هى التى تورق وتثمر فمنها تمتد الظلال ومنها تجتنى الثمار او الوان جمع فن اى له فيها

ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين قال الشاعر ومن كل افنان اللذاذة والصبى لهوت به والعيش

اخضر ناضر فباى الاء ربكما تكذبان فيهما فى الجنتين عينان تجريان حيث شاؤا فى الاعالى والاسافل

وعن الحسن تجريان بالماء الزلال احديهما التسنيم والاخرى السلسبيل فباى الاء ربكما تكذبان

فيهما من كل فاكهة زوجان صنفان قيل صنف معروف وصنف غريب فباى الاء ربكما تكذبان

متكئين نصب على المدح للخائفين او حال منهم لان من خاف فى معنى الجمع على فرش جمع فراش

بطائنها جمع بطانة من استبرق ديباج ثخين وهو معرب قيل ظهايرها من سندس وقيل

لا يعلمه الا الله وجنى الجنتين دان وثمرها قريب يناله القايم او القاعد والمتكى فباى الاء

ربكما تكذبان فيهن فى الجنتين لاشتمالهما على اماكن وقصور ومجالس او فى هذه الاء المعدودة

من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش والجنى قاصرات الطرف نساء قصرن ابصارهن

على ازواجهن لا ينظرن الى غيرهم لم يطمثهن وعلى بضم الميم والطمث الجماع بالتدمية انس قبلهم

ولا جان وهذا دليل على ان الجن يطمثون كما يطمث الانس فباى الاء ربكما تكذبان كانهن

الياقوت صفاء والمرجان بياضا فهو ابيض من اللؤلؤ فباى الاء ربكما تكذبان هل جزاء

الاحسان فى العمل الا الاحسان فى الثواب وقيل ما جزاء من قال لا اله الا الله الا الجنة وعن

ابراهيم الخواص فيه هل جزاء الاسلام الا دار السلام فباى الاء ربكما تكذبان ومن دونهما ومن

دون تينك الجنتين الموعودتين للمقربين جنتان لمن دونهم من اصحاب اليمين فباى الاء ربكما

تكذبان مدهامتان سودوان من شدة الخضرة قال الخليل الدهمة السواد فباى الاء ربكما تكذبان

فيهما عينان نضاختان فوارتان بالماء وليستا جاريتين ولا ينقطعان فباى الاء ربكما تكذبان

فيهما فاكهة الوان الفواكه ونخل ورمان والرمان والتمر ليسا من الفواكه عند ابى حنيفة رح

للعطف ولان التمر فاكهة وغذاء والرمان فاكهة ودواء ولم يخلصا للتفكه وهما قالا انما

عطفا على الفاكهة لفضلهما كانهما جنسان اخران لما لهما من المزية كقوله وجبريل وميكائيل

فباى الاء ربكما تكذبان فيهن خيرات حسان اى خيرات فخففت وقرى خيرات على

الاصل والمعنى فاضلات الاخلاق حسان الخلق فباى الاء ربكما تكذبان حور مقصورات

فى الخيام اى مخدرات يقال امراة قصيرة وقصورة ومقصورة اى مخدرة وقيل الخيام

من الدر المجوف فباى الاء ربكما تكذبان لم يطمثهن انس قبلهم قبل اصحاب الجنتين ودل

عليهم ذكر الجنتين ولا جان فباى الاء ربكما تكذبان متكئين نصب على الاختصاص على رفرف

هو كل ثوب عريض وقيل الوسائد خضر وعبقرى حسان ديباج او طنافس فباى الاء ربكما

تكذبان وانما تقاصرت صفات هاتين الجنتين عن الاوليين حتى قيل ومن دونهما لان

مدهامتان دون ذواتا افنان ونضاختان دون تجريان وفاكهة دون كل فاكهة وكذلك

صفة الحور والمتكى تبارك اسم ربك ذى الجلال ذى العظمة ذو الجلال شامى صفة للاسم

والاكرام لاوليائه بالانعام روى جابر ان النبى صلى الله عليه وسلم قراء سورة الرحمن فقال

ما لى اريكم سكوتا الجن كانوا احسن منكم ردا اذا ما اتيت على قول الله فباى الاء ربكما تكذبان

الا قالوا ولا بشيء من نعمتك ربنا نكذب فلك الحمد ولك الشكر وكررت هذه الاية فى هذه

السورة احدى وثلثين مرة ذكرت ثمانية منها عقيب ايات فيها تعداد عجائب خلق الله

تعالى وبدائع صنعه ومبداء الخلق ومعادهم ثم سبعة عقيب ايات فيها ذكر النار و

شدائدها عدد ابواب جهنم وبعد هذه السبعة ثمانية فى وصف الجنتين واهلها على

اعداد ابواب الجنة وثمانية اخرى بعدها للجنتين اللتين دونهما فمن اعتقد الثمانية الاولى

وعمل بموجبها فتحت له ابواب الجنة وغلقت عليه ابواب جهنم

سورة الواقعة مكية وهى ست وتسعون اية كوفى سبع بصرى تسع مدنى

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا وقعت الواقعة قامت القيمة وقيل وصفت بالوقوع لانها تقع لا محالة فكانه قيل

اذا وقعت الواقعة التى لابد من وقوعها ووقوع الامر نزوله يقال وقع ما كنت اتوقعه اى
نزل ما كنت اترقب نزوله وانتصاب اذا باضمار اذكر ليس لوقعتها كاذبة نفس كاذبة اى لا تكون
حين تقع نفس كاذبة تكذب على الله وتكذب فى تكذيب الغيب لان كل نفس حينئذ مؤمنة صادقة
مصدقة واكثر النفوس اليوم كواذب مكذبات واللام مثلها فى قوله تعالى يا ليتنى قدمت
لحيوتى خافضة رافعة اى هى خافضة رافعة ترفع اقواما وتضع آخرين اذا رجت الارض
رجا حركت تحريكا شديدا حتى ينهدم كل شئ فوقها من جبل وبناء وهو بدل اذا وقعت
ويجوز ان ينتصب بخافضة رافعة اى تخفض وترفع وقت رج الارض وبست الجبال وبست
الجبال بسا وفتتت حتى تعود كالسويق او سيقت من بس الغنم اذا ساقها كقوله وسيرت
الجبال فكانت هباء غبارا منبثا مستغرقا وكنتم ازواجا اصنافا يقال للاصناف التى بعضها
مع بعض او يذكر بعضها مع بعض ازواج ثلثة صنف فى الجنة وصنف فى النار ثم فسر الازواج
فقال فاصحاب الميمنة مبتداء وهم الذين يؤتون صحائفهم بايمانهم ما اصحاب الميمنة مبتداء
وخبرها خبر المبتداء الاول وهو تعجيب من حالهم فى السعادة وتعظيم لشانهم كانه قال
ما هم واى شئ هم واصحاب المشامة اى الذين يؤتون صحايفهم بشمائلهم او اصحاب المنزلة
السنية واصحاب المنزلة الدنية الخسيسة من قولك فلان منى باليمين وفلان منى بالشمال اذا
وصفتهما بالرفعة عندك والضعة وذلك لتيمنهم بالميامن وتشامهم بالشمائل وقيل يوخذ
باهل الجنة ذات اليمين وباهل النار ذات الشمال ما اصحاب المشامة اى اى شئ هم وهو
تعجيب من حالهم فى الشقاء والسابقون مبتداء السابقون خبره تقديره السابقون الى
الجنات وقيل الثانى تاكيد للاول والخبر اولئك المقربون والاول اوجه فى جنات النعيم
اى هم فى جنات النعيم ثلة من الاولين وقليل من الاخرين اى هم ثلة والثلة الامة من الناس
الكثيرة والمعنى ان السابقين كثير من الاولين وهم الامم من لدن ادم الى محمد عليهما الصلوة
والسلام وقليل من الاخرين وهم امة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل من الاولين من متقدمى هذه
الامة ومن الاخرين من متاخريها وعن النبى صلى الله عليه وسلم الثلتان جميعا من امتى على سرر
جمع سرير ككثيب وكثب موضونة موصولة منسوجة بالذهب مشبكة بالدر والياقوت

موضونة

متكئين حال من الضمير فى على وهو العامل فيها اى استقروا عليها متكئين عليها متقابلين
ينظرون بعضهم فى وجوه بعض ولا ينظرون بعضهم فى اقفاء بعض وصفوا بحسن العشرة
وتهذيب الاخلاق وصفاء المودة ومتقابلين حال ايضا يطوف عليهم يخدمهم ولدان
غلمان جمع وليد مخلدون مبقون ابدا على شكل الولدان لا يتحولون عنه وقيل مقرطون
والخلدة القرط قيل هم اولاد اهل الدنيا لم يكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيات فيعاقبوا
عليها وفى الحديث اولاد الكفار خدام اهل الجنة باكواب هو جمع كوب وهو انية لا عروة لها ولا
خرطوم واباريق جمع ابريق وهو ماله خرطوم وعروة وكاس وقدح فيه شراب فان لم
يكن فيه شراب فليس بكاس من معين من خمر تجرى من العيون لا يصدعون عنها اى بسببها
وحقيقته لا يصدر صداعهم عنها او لا يفرقون ولا ينزفون ولا يسكرون نزف الرجل ذهب
عقله بالسكر ولا ينزفون بكسر الزاى كوفى اى لا ينفد شرابهم يقال انزف القوم اذا فنى شرابهم
وفاكهة مما يتخيرون ياخذون خيره وافضله ولحم طير مما يشتهون يتمنون وحور جمع حوراء
عين جمع عيناء اى وفيها حور عين او لهم حور عين ويجوز ان يكون عطفا على ولدان
وحور يزيد وحمزة وعلى عطفا على جنات النعيم كانه قال هم فى جنات وفاكهة ولحم وحور
كامثال اللؤلؤ فى الصفاء والنقاء المكنون المصون وقال الزجاج كامثال الدر حين يخرج
من صدفه لم يغيره الزمان واختلاف احوال الاستعمال جزاء مفعول له بما كانوا يعملون
مفعول له اى يفعل بهم ذلك كله للجزاء اعمالهم او مصدر اى يجزون جزاء لا يسمعون فيها فى الجنات
لغوا باطلا ولا تاثيما هذيانا الا قيلا سلاما سلاما الا قولا ذا سلامة والاستثناء منقطع وسلاما
بدل من قيلا او مفعول به لقيلا اى لا يسمعون فيها الا ان يقولوا سلاما سلاما والمعنى انهم
يفشون السلام بينهم فيسلمون سلاما بعد سلام واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين فى سدر
مخضود السدر شجر النبق والمخضود الذى لا شوك له كانما خضد شوكه وطلح منضود الطلح
شجر الموز والمنضود الذى نضد بالحمل من اسفله الى اعلاه فليست له ساق بارزة وظل ممدود
ممتد منبسط كظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس وماء مسكوب جار بلا حد ولا خد اى يجرى
على الارض من غير اخدود وفاكهة كثيرة اى كثيرة الاجناس لا مقطوعة لا ينقطع فى بعض الاوقات

كفواكه الدنيا بل هي دائمة ولا ممنوعة لا تمنع عن تناولها بوجه وقيل لا مقطوعة بالازمان
ولا ممنوعة بالثمان وفرش مرفوعة رفيعة القدر او نضدت حتى ارتفعت او مرفوعة
على الاسرة وقيل هي النساء لان المراءة يكنى عنها بالفراش مرفوعة على الارائك قال الله
تعالى هم وازواجهم في ظلال على الارائك متكئون ويدل عليه انا انشأناهن انشاء ابتدأنا
خلقهن ابتداء من غير ولادة فاما ان يراد اللاتي ابتدئ انشاءهن او اللاتي اعيد انشاءهن
وعلى غير هذا التاويل اضمر لهن لان ذكر الفرش وهي المضاجع دل عليهن فجعلناهن ابكارا
عذارى كلما اتاهن ازواجهن وجدوهن ابكارا عربا عربا حمزة وخلف ويحيى وحماد
جمع عروب وهي المحببة الى زوجها الحسنة التبعل اترابا مستويات في السن بنات ثلث و
ثلثين وازواجهن كذلك واللام لاصحاب اليمين من صلة انشأناهن ثلة اي اصحاب اليمين
ثلة من الاولين وثلة من الاخرين فان قلت كيف قال قبل هذا وقليل من الاخرين ثم
قال هنا وثلة من الاخرين قلت ذلك في السابقين وهنا في اصحاب اليمين وانهم يتكاثرون
من الاولين والاخرين جميعا وعن الحسن سابقوا الامم اكثر من سابقي امتنا وتابعوا الامم
مثل تابعي هذه الامة واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال والشمال والمشأمة واحد في
سموم في حر نار تنفذ في المسام وحميم متناهي الحرارة وظل من يحموم من دخان اسود
لا بارد ولا كريم نفي لصفتي الظل عنه يريد انه ظل ولكن لا كسائر الظلال سماه ظلا ثم نفى عنه
برد الظل وروحه ونفعه من ياوي اليه من اذى الحر وذلك كرمه ليمحق ما في مدلول
الظل من الاسترواح اليه والمعنى ان ظلها حار ضار انهم كانوا قبل ذلك اي في الدنيا مترفين
متنعمين فمنعهم ذلك عن الانزجار وشغلهم عن الاعتبار وكانوا يصرون يداومون على
الحنث العظيم اي على الذنب العظيم او على الشرك لانه نقض عهد الميثاق والحنث نقض العهد
المؤكد باليمين او الكفر بالبعث بدليل قوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من
يموت وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون تقديره انبعث اذا
متنا وهو العامل في الظرف وجاز حذفه اذ مبعوثون يدل عليه ولا يعمل فيه مبعوثون
لان ان والاستفهام يمنعان ان يعمل ما بعدهما فيما قبلهما او اباؤنا الاولون دخلت همزة الاستفهام

على حرف

على حرف العطف وحسن العطف على المضمر في لمبعوثون من غير تاكيد بنحن للفاصل الذي
هو الهمزة كما حسن في قوله ما اشركنا ولا اباؤنا لفصل لا المؤكدة للنفي او اباؤنا مدني وشامي
قل ان الاولين والاخرين لمجموعون الى ميقات يوم معلوم اي ما وقت به الدنيا من يوم
معلوم والاضافة بمعنى من كخاتم فضة والميقات ما وقت به الشيء اي حد ومنه مواقيت
الاحرام وهي الحدود التي لا يتجاوزها من يريد دخول مكة الا محرما ثم انكم ايها الضالون
عن الهدى المكذبون بالبعث وهم اهل مكة ومن في مثل حالهم لآكلون من شجر من لابتداء
الغاية من زقوم من لبيان الشجر فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم انث
ضمير الشجر على المعنى وذكره على اللفظ في منها وعليه فشاربون شرب بضم الشين مدني
وعاصم وحمزة وسهل وبفتح الشين غيرهم وهما مصدران الهيم هي ابل عطاش لا تروى
جمع اهيم وهيماء والمعنى انه يسلط عليهم من الجوع ما يضطرهم الى اكل الزقوم الذي هو كالمهل
فاذا ملأوا منه البطون سلط من العطش ما يضطرهم الى شرب الحميم الذي يقطع امعاءهم
فيشربونه شرب الهيم وانما صح عطف الشاربين على الشاربين وهما لذوات متفقة و
صفتان متفقتان لان كونهم شاربين للحميم على ما هو عليه من تناهي الحرارة وقطع الامعاء
امر عجيب وشربهم له على ذلك كما يشرب الهيم الماء امر عجيب ايضا فكانتا صفتين مختلفتين
هذا نزلهم هو الرزق الذي يعد للنازل تكرمة له يوم الدين يوم الجزاء نحن خلقناكم فلولا
فهلا تصدقون تحضيض على التصديق اما بالخلق لانهم وان كانوا مصدقين به الا انه لما
كان مذهبهم خلاف ما يقتضيه التصديق فكانهم مكذبون به واما بالبعث لان من خلق
اولا لم يمتنع عليه ان يخلق ثانيا افرايتم ما تمنون ما تمنونه اي تقذفونه في الارحام من
النطف ءانتم تخلقونه تقدرونه وتصورونه وتجعلونه بشرا سويا ام نحن الخالقون نحن
قدرنا بينكم الموت تقديرا وقسمناه عليكم قسمة الرزق على اختلاف وتفاوت كما تقتضيه
مشيئتنا فاختلفت اعماركم من قصير وطويل ومتوسط قدرنا بالتخفيف مكي سبقته على الشيء
اذا اعجزته عنه وغلبته عليه فمعنى قوله وما نحن بمسبوقين على ان نبدل امثالكم انا قادرون
على ذلك لا تغلبونا عليه وامثالكم جمع مثل اي على ان نبدل منكم ومكانكم اشباهكم من الخلق

وننشئكم فيما لا تعلمون وعلى ان ننشئكم في خلق لا تعلمونها وما عهدتم بمثلها يعني انا نقدر على
الامرين جميعا على خلق ما يماثلكم وما لا يماثلكم فكيف نعجز عن اعادتكم ويجوز ان يكون
امثالكم جمع مثل اي على ان نبدل ونغير صفاتكم التي انتم عليها في خلقكم واخلاقكم وننشئكم
في صفات لا تعلمونها ولقد علمتم النشاة الاولى النشاه مكي وابو عمرو فلولا تذكرون ان من
قدر على شيء مرة لم يمتنع عليه ثانيا وفيه دليل صحة القياس حيث جهلهم في ترك قياس
النشاة الاخرى على الاولى افرايتم ما تحرثون ما تحرثونه من الطعام اي تشيرون الارض
وتلقون فيها البذر ءانتم تزرعونه تنبتونه وتردونه نباتا ام نحن الزارعون المنبتون
وفي الحديث لا يقولن احدكم زرعت وليقل حرثت لو نشاء لجعلناه حطاما هشيما منكسرا
قبل ادراكها فظلتم تفكهون تعجبون او تندمون على تعبكم فيه وانفاقكم عليه او على ما اقترفتم
من المعاصي التي اصبتم بذلك من اجلها انا اي يقولون انا اينا ابو بكر لمغرمون لملزمون
غرامة ما انفقنا او مهلكون لهلاك رزقنا من الغرام وهو الهلاك بل نحن قوم محرومون
محارفون محدودون لا مجدودون لا حظ لنا ولا بخت ولو كنا محدودين لما جرى علينا هذا
افرايتم الماء الذي تشربون اي الماء العذاب الصالح للشرب ءانتم انزلتموه من المزن السحاب
الابيض وهو اعذب ماء ام نحن المنزلون بقدرتنا لو نشاء جعلناه اجاجا ملحا او مرا لا يقدر
على شربه فلولا تشكرون فهلا تشكرون ودخلت اللام على جواب لو في قوله لجعلناه حطاما
ونزعت منه هنا لان لو لما كانت داخلة على جملتين معلقة ثانيتهما بالاولى تعليق الجزاء بالشرط
ولم تكن مخلصة للشرط كان ولا عاملة مثلها وانما سرى فيها معنى الشرط اتفاقا من حيث افادتها
في مضموني جملتيها ان الثاني امتنع لامتناع الاول افترقت في جوابها انه ما ينصب علما على هذا
التعليق فزيدت هذا اللام لتكون علما على ذلك ولما شهر موقعه لم يبال باسقاطه عن اللفظ لعلم
كل واحد به وتساوي حالي حذفه واثباته على ان تقدم ذكرها والمسافة قصيرة مغن من ذكرها
ثانية ولان هذا اللام مفيد معنى التاكيد لا محالة فادخلت في اية المطعوم دون اية المشروب للدلالة
على ان امر المطعوم مقدم على امر المشروب وان الوعيد بفقده اشد واصعب من قبل ان المشروب
انما يحتاج اليه تبعا للمطعوم ولهذا قدمت اية المطعوم على اية المشروب افرايتم النار التي تورون

تقدحونها

تقدحونها وتستخرجونها من الزناد والعرب تقدح بعودين تحك احدهما على الاخر ويسمون
الاعلى الزند والاسفل الزندة وشبهوهما بالفحل والطروقة ءانتم انشاتم شجرتها التي منها
الزناد ام نحن المنشئون الخالقون لها ابتداء نحن جعلناها اي النار تذكرة لنار جهنم حيث
علقنا بها اسباب المعايش وعممنا بالحاجة اليها البلوى لتكون حاضرة الناس ينظرون
اليها ويذكرون ما اوعدوا به ومتاعا ومنفعة للمقوين للمسافرين النازلين في القواء وهي
القفر او للذين خلت بطونهم او مزاودهم من الطعام من قولهم اقوت الدار اذا خلت
من ساكنيها بدا ء بذكر خلق الانسان فقال افرايتم ما تمنون لان النعمة فيه سابقة على جميع
النعم ثم بما به قوامه وهو الحب فقال افرايتم ما تحرثون ثم بما يعجن به ويشرب عليه وهو
الماء ثم بما يخبز به وهو النار فحصول الطعام بمجموع الثلثة ولا يستغني عنه الجسد ما دام
فسبح باسم ربك فنزه ربك عما لا يليق به ايها المستمع المستدل واراد بالاسم الذكر اي
فسبح بذكر ربك العظيم صفة للمضاف او للمضاف اليه وقيل قل سبحان ربي العظيم وجاء
مرفوعا انه لما نزلت هذه الاية قال اجعلوها في ركوعكم فلا اقسم اي فاقسم ولا مزيدة موكدة
مثلها في قوله لئلا يعلم اهل الكتاب وقرى فلاقسم ومعناه فلانا اقسم اللام لام الابتداء
دخلت على جملة من مبتداء وخبر وهي انا اقسم ثم حذف المبتداء ولا يصح ان يكون اللام
لام القسم لان حقها ان تقرن بها النون المؤكدة بمواقع النجوم افقالا مخصوصة عظيمة
او الملايكة عبادات موصوفة او لانه وقت قيام المتهجدين ونزول الرحمة والرضوان
عليهم فلذلك اقسم بمواقعها واستعظم ذلك بقوله وانه لقسم لو تعلمون عظيم وهو
اعتراض في اعتراض لانه اعترض به بين القسم والمقسم عليه وهو قوله انه لقران كريم
حسن مرضي او نفاع جم المنافع او كريم على الله تعالى واعترض بلو تعلمون بين الموصوف
وصفته في كتاب اي اللوح المحفوظ مكنون مصون عن ان ياتيه الباطل او من غير المقربين
من الملايكة لا يطلع عليه من سواهم لا يمسه الا المطهرون من جميع ادناس الذنوب وغيرها
ان جعلت الجملة صفة لكتاب مكنون وهو اللوح وان جعلت صفة للقران فالمعنى لا ينبغي
ان يمسه الا من هو على الطهارة من الناس والمراد مس المكتوب منه تنزيل صفة رابعة للقران

اى منزل من رب العالمين او وصف بالمصدر لانه نزل نجوما من بين سائر كتب الله فكانه
فى نفسه تنزيل ولذلك جرى مجرى بعض اسمائه فقيل جاء فى التنزيل كذا ونطق به التنزيل
كذا ونطق به التنزيل او هو تنزيل على حذف المبتداء افبهذا الحديث اى القران انتم مدهنون
متهاونون به بشيو ييدهن فى الامر اى يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاونا به وتجعلون رزقكم
انكم تكذبون شكر رزقكم انكم تكذبون اى تجعلون شكر رزقكم التكذيب اى وضعتم
التكذيب موضع الشكر وفى قراءة على رض وهى قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتجعلون
شكركم انكم تكذبون به اى وتجعلون شكركم لنعمة القرآن انكم تكذبون به وقيل نزلت
فى الانوار ونسبتهم السقياء اليها والرزق المطر اى وتجعلون شكر ما يرزقكم من الغيث
انكم تكذبون بكونه من الله حيث تنسبونه الى النجوم فلولا اذا بلغت النفس اى الروح عند
الموت الحلقوم ممر الطعام والشراب وانتم حينئذ تنظرون الخطاب لمن حضر الميت تلك
الساعة ونحن اقرب اليه اى المحتضر منكم ولكن لا تبصرون لا تعقلون ولا تعلمون فلولا ان كنتم
غير مدينين مربوبين من دان السلطان الرعية اذا ساسهم ترجعونها تردون النفس وهى
الروح الى الجسد بعد بلوغ الحلقوم ان كنتم صادقين انكم غير مربوبين مقهورين فلولا فى
الايتين للتخصيص يستدعى فعلا وذا قوله ترجعونها واكتفى بذكره مرة وترتيب الاية فلولا ترجعونها
اذا بلغت الحلقوم ان كنتم غير مدينين وفلولا الثانية مكررة للتاكيد ونحن اى اثارنا اقرب
اليه منكم يا اهل الميت بقدرتنا وعلمنا او بملايكة الموت والمعنى انكم فى جحودكم ايات الله
فى كل شىء ان انزل عليكم كتابا معجزا قلتم سحرا وافتراء وان ارسل اليكم رسولا صادقا قلتم
ساحر كذاب وان رزقكم مطرا يحييكم به قلتم صدق نوء كذا على مذهب يؤدى الى الاهمال و
التعطيل فما لكم لا ترجعون الروح الى البدن بعد بلوغه الحلقوم ان لم يكن ثمة قابض وكنتم صادقين
فى تعطيلكم وكفركم بالمحيى والمميت المبدى والمعيد فاما ان كان المتوفى من المقربين من السابقين
من الازواج الثلثة المذكورة فى اول السورة فروح فله استراحة وريحان ورزق وجنة النعيم
واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين اى فسلام لك يا صاحب اليمين من
اخوانك اصحاب اليمين اى يسلمون عليك لقوله الا قيلا سلاما سلاما واما ان كان من المكذبين

الضالين هم الصنف الثالث من الازواج الثلثة وهم الذين قيل لهم فى هذه الايات اشارة
الى ان الكفر كله ملة واحدة وان اصحاب الكبائر من اصحاب اليمين لانهم غير مكذبين ان هذا
الذى انزل فى هذه السورة لهو حق اليقين اى الحق الثابت من اليقين فسبح باسم ربك العظيم
روى ان عثمان بن عفان رض دخل على ابن مسعود رض فى مرض موته فقال له ما تشتكى فقال
ذنوبى فقال ما تشتهى قال رحمة ربى قال افلا ندعوا الطبيب قال الطبيب امرضنى فقال الا نامر
بعطائك قال لا حاجة لى فيه قال ندفعه الى بناتك قال لا حاجة لهن فيه قد امرتهن ان يقرأن
سورة الواقعة فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قراء سورة الواقعة كل ليلة
لم تصبه فاقة ابدا وليس فى هذه السور الثلث ذكر الله اقتربت الرحمن الواقعة سورة الحديد

مكية وهى تسع وعشرون اية بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله جاء فى بعض الفواتح سبح بلفظ الماضى وفى بعضها بلفظ المضارع وفى بنى اسرائيل
بلفظ المصدر وفى الاعلى بلفظ الامر استيعابا لهذه الكلمة من جميع جهاتها وهى اربع المصدر
والماضى والمضارع والامر وهذا الفعل قد عدى باللام تارة وبنفسه اخرى فى قوله وتسبحوه
واصله التعدى بنفسه لان معنى سبحته بعدته عن السوء منقول من سبح اذا ذهب و
بعد فاللام اما ان تكون مثل اللام فى نصحته ونصحت له واما ان يراد سبح لله اكتسب التسبيح
لاجل الله تعالى ولوجهه خالصا ما فى السموات والارض ما يتاتى منه التسبيح ويصح وهو
العزيز المنتقم من مكلف لم يسبح له عنادا الحكيم فى مجازاة من سبح له انقيادا له ملك السموات
والارض لا لغيره وموضع يحيى رفع اى هو يحيى الموتى ويحيى ويميت الاحياء او نصب
اى له ملك السموات والارض محييا ومميتا وهو على كل شىء قدير هو الاول هو القديم الذى
كان قبل كل شىء والاخر الذى يبقى بعد هلاك كل شىء والظاهر بالادلة الدالة عليه والباطن
لكونه غير مدرك بالحواس وان كان مرئيا والواو الاولى معناه الدلالة على انه الجامع بين
الصفتين الاولية والاخرية والثالثة على انه الجامع بين الظهور والخفاء واما الوسطى فعلى
انه الجامع بين مجموع الصفتين الاوليين والاخريين فهو المستمر الوجود فى جميع الاوقات الماضية
والاتية وهو فى جميعها ظاهر وباطن وقيل الظاهر العالى على كل شىء الغالب له من ظهر عليه اذا

اعلاه وعليه والباطن الذى بطن كل شئ اى علم باطنه وهو بكل شئ عليم هو الذى خلق السموات
والارض فى ستة ايام وهى الحس من ايام الدنيا ولو اراد ان يجعلها فى طرفة عين لفعل ولكن
جعل الستة اصلا ليكون عليها المدار ثم استوى استولى على العرش يعلم ما يلج فى الارض ويدخل
فى الارض من البذر والقطر والكنوز والمتوفى وما يخرج منها من النبات وغيره وما ينزل
من السماء من الملايكة والامطار وما يعرج فيها من الاعمال وهو معكم اينما كنتم بالعلم والقدرة
عموما وبالفضل والرحمة خصوصا والله بما تعملون بصير فيجازيكم بحسب اعمالكم له ملك
السموات والارض والى الله ترجع الامور يولج الليل فى النهار يدخل الليل فى النهار بان ينقص
من الليل ويزيد فى النهار ويولج النهار فى الليل وهو عليم بذات الصدور امنوا بالله ورسوله
وانفقوا يحتمل الزكوة والانفاق فى سبيل الله مما جعلكم مستخلفين فيه يعنى ان الاموال التى فى ايديكم
انما هى اموال الله بخلقه وانشائه لها وانما مولكم اياها للاستمتاع بها وجعلكم خلفاء فى التصرف
فيها فليست هى باموالكم فى الحقيقة وما انتم فيها الا بمنزلة الوكلاء والنوائب فانفقوا منها
منها فى حقوق الله تعالى وليهن عليكم الانفاق منها كما يهون على الرجل الانفاق من مال غيره
اذا اذن له فيه او جعلكم مستخلفين ممن كان قبلكم بتوريثه اياكم وسينقل منكم الى من بعدكم
فاعتبروا بحالهم ولا تبخلوا به فالذين امنوا بالله ورسوله منكم وانفقوا لهم اجر كبير وما لكم
لا تؤمنون بالله هو حال من معنى الفعل فى ما لكم كما تقول ما لك قائما بمعنى ما تصنع قائما اى وما لكم
كافرين بالله والواو فى والرسول يدعوكم للحال فهما حالان متداخلتان والمعنى واى عذر لكم
فى ترك الايمان والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد اخذ ميثاقكم وقبل ذلك اخذ ميثاقكم
بقوله الست بربكم او بما ركب فيكم من العقول ومكنكم من النظر فى الادلة فاذا لم يبق لكم علة
بعد ادلة العقول وتنبيه الرسول فما لكم لا تؤمنون ان كنتم مؤمنين لموجب ما فان هذا الموجب
لا مزيد عليه اخذ ميثاقكم ابو عمرو هو الذى ينزل على عبده محمد عليه السلام ايات بينات يعنى
القرآن ليخرجكم الله او محمد بدعوته من الظلمات الى النور من ظلمات الكفر الى نور الايمان وان
الله بكم لرؤف بالمد والهمز حجازى وشامى وحفص رحيم الرافة اشد الرحمة وما لكم ان لا
تنفقوا فى ان لا تنفقوا فى سبيل الله ولله ميراث السموات والارض يرث كل شئ فيهما لا يبقى منه

باق لاحد من مال وغيره يعنى واى غرض لكم فى ترك الانفاق فى سبيل الله والجهاد مع رسول الله
ثم مهلككم فوارث اموالكم وهو من ابلغ البعث على الانفاق فى سبيل الله ثم بين التفاوت بين المنفقين
منهم فقال لا يستوى منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اى فتح مكة قبل عز الاسلام وقوة
اهله ودخول الناس فى دين الله افواجا ومن انفق من بعد الفتح فحذف لان قوله من الذين
انفقوا من بعد يدل عليه اولئك الذين انفقوا قبل الفتح وهم السابقون الاولون من
المهاجرين والانصار الذين قال فيهم النبى صلى الله عليه وسلم لو انفق احدكم مثل احد ذهبا
ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وكلا اى
كل واحد من الفريقين وعد الله الحسنى اى المثوبة الحسنى وهى الجنة مع تفاوت الدرجات
وكلا مفعول اول لوعد والحسنى مفعول ثان وكل شامى اى وكل وعده الله الحسنى قيل نزلت
فى ابى بكر رضى الله عنه لانه اول من اسلم واول من انفق فى سبيل الله وفيه دليل فضله وتقدمه
والله بما تعملون خبير فيجازيكم على قدر اعمالكم من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا بطيب
نفسه والمراد الانفاق فى سبيله واستعير لفظ القرض ليدل على التزام الجزاء فيضاعفه له
اى يعطيه اجره على انفاقه مضاعفا اضعافا من فضله وله اجر كريم اى وذلك الاجر
المضموم اليه الاضعاف كريم فى نفسه فيضعفه مكى فيضعفه شامى فيضاعفه عاصم و
سهل فيضاعفه غيرهم فالنصب على جواب الاستفهام والرفع على فهو يضاعفه او عطف
على يقرض يوم ترى المؤمنين والمؤمنات ظرف لقوله وله اجر كريم او منصوب باضمار
اذكر تعظيما لذلك اليوم يسعى يمضى نورهم نور التوحيد والطاعات وانما قال بين ايديهم
وبايمانهم لان السعداء يؤتون صحائف اعمالهم من هاتين الجهتين كما ان الاشقياء
يؤتونها من شمائلهم ومن وراء ظهورهم فيجعل النور فى الجهتين شعارا لهم واية لانهم هم
الذين بحسناتهم سعدوا وبصحائفهم البيض افلحوا فاذا ذهب بهم الى الجنة ومروا على الصراط
يسعون سعى بسعيهم ذلك النور ويقول لهم الملايكة بشريكم اليوم جنات اى دخول
جنات لان البشارة تقع بالاحداث دون الجثث تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها
ذلك هو الفوز العظيم يوم يقول بدل من يوم ترى المنافقون والمنافقات للذين

امنوا انظرونا انتظرونا لانه يسرع بهم الى الجنة كالبرق الخاطفة انظرونا حمزة من النظرة
وهي الامهال جعل اتيادهم في المضي الى ان يلحقوا بهم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نظارا
لهم نقتبس من نوركم نصب منه وذلك ان يلحقوا بهم فيستنيروا به قيل ارجعوا وراءكم فا
فالتمسوا نورا طرد لهم وتهكم بهم اى يقول لهم الملائكة او المومنون ارجعوا الى الموقف
الى حيث اعطينا هذا النور فالتمسوه هنالك فمن ثم يقتبس او ارجعوا الى الدنيا فلا
فالتمسوا نورا بتحصيل سببه وهو الايمان فضرب بينهم بين المومنين والمنافقين بسور
بحائط بين شق الجنة وبين شق النار قيل هو الاعراف له لذلك السور باب لاهل
الجنة فيه الرحمة يدخلون منه باطنه باطن السور او الباب وهو الشق الذى يلي الجنة فيه
الرحمة اى النور او الجنة وظاهره ظهر لاهل النار من قبله من عنده ومن جهته العذاب
اى الظلمة والنار ينادونهم اى ينادون المنافقون المومنين الم نكن معكم يريدون موافقتهم
في الظاهر قالوا اى المومنون بلى ولكنكم فتنتم انفسكم محنتموها بالنفاق واهلكتموها
وتربصتم بالمومنين الدوائر وارتبتم وشككتم في التوحيد وغرتكم الامانى طول الامال
والطمع في امتداد الاعمار حتى جاء امر الله اى الموت وغركم بالله الغرور وغركم بالله
الغرور وغركم الشيطان بان الله غفور كريم لا يعذبكم او بانه لا بعث ولا حساب فاليوم
لا يوخذ بالتاء شامى منكم ايها المنافقون فدية ما يفتدى به ولا من الذين كفروا ماويكم
مرجعكم النار هى مولاكم هى اولى بكم وحقيقة مولاكم محراكم اى مكانكم الذى يقال فيه هو
اولى بكم كما يقال هو مئنة للكرم اى مكان لقول القائل انه كريم وبئس المصير النار الم يان
من ان الامر يانى اذا جاء اناه اى وقته قيل كانوا مجدبين بمكة فلما هاجروا اصابوا الرزق
والنعمة ففتروا عما كانوا عليه فنزلت وعن ابن مسعود رض ما كان بين اسلامنا وبين
ان عوتبنا بهذه الاية الا اربع سنين وعن ابى بكر رض ان هذه الاية قريت بين يديه وعنده
قوم من اهل اليمامة فبكوا بكاء شديدا فنظر اليهم فقال هكذا كنا حتى قست القلوب للذين
امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق بالتخفيف نافع وحفص وبالتشديد الباقون
نزل وما بمعنى الذى والمراد بالذكر وما نزل من الحق من القرآن لانه جامع للامرين للذكر

والمواعظة وانه حق نازل من السماء ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل القراءة
بالياء عطف على تخشع وبالتاء رويس على الالتفات ويجوز ان يكون نهيا لهم عن مماثلة
اهل الكتاب في قسوة القلوب بعد ان وبخوا وذلك ان بنى اسرائيل كان الحق يحول
بينهم وبين شهواتهم واذا سمعوا التورية والانجيل خشعوا لله ورقت قلوبهم فلما طال
عليهم الزمان غلبهم الجفاء والقسوة واختلفوا واحدثوا ما احدثوا من التحريف و
غيرهم فطال عليهم الامد الاجل او الزمان فقست قلوبهم باتباع الشهوات وكثير منهم
فاسقون خارجون عن دينهم رافضون لما في الكتابين اى وقليل منهم مومنون اعلموا
ان الله يحيى الارض بعد موتها قد بينا لكم الايات لعلكم تعقلون قيل هذا تمثيل لاثر
الذكر في القلوب وانه يحييها كما يحيى الغيث الارض ان المصدقين والمصدقات بتشديد
الدال وحده مكى وابو بكر وهو اسم فاعل من صدق وهم الذين صدقوا الله ورسوله
يعنى المومنين الباقون بتشديد الصاد والدال وهو اسم فاعل من تصدق فادغمت التاء
في الصاد وقرى على الاصل واقرضوا الله قرضا حسنا هو عطف على معنى الفعل في المصدقين
لان اللام بمعنى الذين واسم الفاعل بمعنى الفعل وهو اصدقوا كانه قيل ان الذين اصدقوا
واقرضوا والقرض الحسن ان يتصدق من الطيب عن طيبة النفس وصحة النية على المستحق
للصدقة يضاعف لهم يضعف مكى وشامى ولهم اجر كريم اى الجنة والذين امنوا بالله
ورسله اولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم يريد ان المومنين بالله ورسله
عند الله بمنزلة الصديقين والشهداء وهم الذين سبقوا الى التصديق والتشهدوا
في سبيل الله لهم اجرهم ونورهم اى مثل اجرهم خبره والذين كفروا وكذبوا باياتنا
اولئك اصحاب الجحيم اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب كلعب الصبيان ولهو كلهو الفتيان
وزينة كزينة النسوان وتفاخر بينكم كتفاخر الاقران وتكاثر كتكاثر الدهقان في الاموال
والاولاد اى مباهاة بهما والتكاثر ادعاء الاستكثار كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج
فتريه مصفرا بعد خضرته ثم يكون حطاما متفتتا شبه حال الدنيا وسرعة تقضيها مع قلة
جدواها بنبات انبته الغيث فاستوى وقوى واعجبت به الكفار الجاحدون لنعمة الله

فيما رزقهم من الغيث والنبات فبعث عليه العاهة فجاج واصفر وصار حطاما عقوبة
لهم على جحودهم كما فعل باصحاب الجنة وقيل الكفار الزراع وفي الآخرة عذاب شديد للكفار
ومغفرة من الله ورضوان للمؤمنين يعني ان الدنيا ليست الا محقرات من الامور وهي
اللعب واللهو والزينة والتفاخر والتكاثر واما الآخرة فما هي الا امور عظام وهي العذاب
الشديد والمغفرة والرضوان من الله الحميد والكاف في كمثل غيث في محل الرفع على انه
خبر بعد خبر اي الحيوة الدنيا مثله مثل غيث وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور لمن ركن
اليها واعتمد عليها قال ذو النون مصري يا معشر المريدين لا تطلبوا الدنيا وان طلبتموها
فلا تحبوها فان الزاد منها والمقيل في غيرها ولما حقر الدنيا وصغر امرها وعظم امر الآخرة
بعث عباده على المسارعة الى نيل ما وعد من ذلك وهي المغفرة المنجية من العذاب الشديد
والفوز بدخول الجنة بقوله سابقوا اي بالاعمال الصالحة الى مغفرة من ربكم وقيل سارعوا
مسارعة المسابقين لاقرانهم في المضمار وجنة عرضها كعرض السماء والارض قال السدى
كعرض سبع السموات وسبع الارضين وذكر العرض دون الطول لان كل ما له عرض وطول
فان عرضه اقل من طوله فاذا وصف عرضه بالبسط عرف ان طوله ابسط وازيد او اريد
بالعرض البسطة وهذا ينفي قول من يقول ان الجنة في السماء الرابعة لان التي في احدى
السموات لا تكون في عرض السموات والارض اعدت للذين آمنوا بالله ورسله هذا
دليل على انها مخلوقة ذلك الموعود من المغفرة والجنة فضل الله يؤتيه من يشاء وهم
المؤمنون وفيه دليل على انه لا يدخل احد في الجنة الا بفضل الله والله ذو الفضل العظيم
ثم بين ان كل كائن بقضاء الله وقدره بقوله ما اصاب من مصيبة في الارض من الجدب
وآفات الزرع والثمار وقوله في الارض في موضع الجر اي ما اصاب من مصيبة ثابتة في الارض
ولا في انفسكم من الامراض والاوصاب وموت الاولاد الا في كتاب في الكتاب وهو في
موضع الحال اي الا مكتوبا من قبل ان نبرأها من قبل ان نخلق الانفس ان ذلك ان تقدير
ذلك واثباته في كتاب على الله يسير وان كان عسيرا على العباد ثم علل ذلك وبين الحكمة فيه
بقوله لكيلا تأسوا اي تحزنوا حزنا يطغيكم على ما فاتكم من الدنيا وسعتها او من العافية وصحتها

ولا تفرحوا فرح المختال الفخور بما آتيكم اعطاكم من الايتاء ابو عمرو واتيكم اي جاءكم من الاتيان
يعني انكم اذا علمتم ان كل شيء مقدر مكتوب عند الله قل اساكم على الفائت وفرحكم على الآتي
لان من علم ان ما عنده معقود لا محالة لم يتفاقم جزعه عند فقده لانه وطن نفسه على ذلك
وكذلك من علم ان بعض الخير واصل اليه وان وصوله لا يفوته بحال لم يعظم فرحه عند نيله
وليس احد الا وهو يفرح عند منفعة تصيبه ويحزن عند مضرة تنزل به ولكن ينبغي ان يكون
الفرح شكرا والحزن صبرا وانما يذم من الحزن الجزع المنافي للصبر ومن الفرح الاشر المطغي
الملهي عن الشكر والله لا يحب كل مختال فخور لان من فرح بحظ من الدنيا وعظم في نفسه
اختال وافتخر به وتكبر على الناس الذين يبخلون خبر مبتداء محذوف او بدل من كل مختال
فخور كانه قال لا يحب الذين يبخلون يريد الذين يفرحون الفرح المطغي اذا رزقوا مالا
وحظا من الدنيا فلحبهم له وعزته عندهم يزوونه عن حقوق الله تعالى وما يبخلون به
ويأمرون الناس بالبخل ويحضون غيرهم على البخل ويرغبونهم بالامساك ومن يتول
اي يعرض عن الانفاق وعن اوامر الله ونواهيه ولم ينته عما نهى عنه من الاسى على الفائت
والفرح بالآتي فان الله هو الغني عن جميع المخلوقات فكيف عنه الحميد في افعاله فان الله
الغني بترك هو مدني وشامي لقد ارسلنا رسلنا يعني الملائكة الى الانبياء بالبينات
بالحجج والمعجزات وانزلنا معهم الكتاب اي الوحي وقيل الرسل الانبياء والاول اولى لقوله
معهم لان الانبياء ينزل عليهم الكتاب والميزان روي ان جبرئيل عليه السلام نزل بالميزان
فدفعه الى نوح وقال مر قومك يزنوا به ليقوم الناس ليتعاملوا بينهم ايفاء واستيفاء
بالقسط بالعدل ولا يظلم احد احدا وانزلنا الحديد قيل نزل آدم من الجنة ومعه خمسة اشياء
من حديد السندان والكلبتان والميقعة والمطرقة والابرة وروي المر والمسحات وعن الحسن
وانزلنا الحديد خلقناه فيه بأس شديد وهو القتال به ومنافع للناس في مصالحهم ومعايشهم
وصنائعهم فما من صناعة الا والحديد آلة فيها او ما يعمل بالحديد وليعلم الله من ينصره ورسله
باستعمال السيوف والرماح وسائر السلاح في مجاهدة اعداء الدين وقال الزجاج ليعلم الله
من يقاتل مع رسوله في سبيله بالغيب غائبا عنهم ان الله قوي عزيز يدفع بقوته بأس من

يعرض عن ملته عن ينز يوسطر بعز ته جاش من يتعرض لنصره والمناسبة بين هذه الاشياء الثلثة
ان الكتاب قانون الشريعة ودستور الاحكام الدينية يبين سبل المراشد والعهود يتضمن جوامع
الاحكام والحدود ويامر بالعدل والاحسان وينهى عن البغى والطغيان واستعمال العدل
والاجتناب عن الظلم انما يقع بالة يقع بها التعامل ويحصل بها التساوى والتعادل وهو
الميزان ومن المعلوم ان الكتاب الجامع للاوامر الالهية والالة الموضوعة للتعامل بالتسوية
انما يحفظ العام على اتباعهما بالسيف الذى هو حجة الله على من جحد ونزع من صفقة الجماعة
وهو الحديد الذى وصف بالباس الشديد ولقد ارسلنا نوحا وابراهيم وخصا بالذكر لانهما
ابوان للانبياء عليهم السلام وجعلنا فى ذريتهما اولادهما النبوة والكتاب الوحى وعن ابن
عباس رض الخط بالقلم يقال كتبت كتابا وكتابة فمنهم فمن الذرية او من المرسل اليهم وقد دل
عليهم ذكر الارسال والمرسلين مهتد وكثير منهم فاسقون هذا تفصيل لحالهم اى فمنهم من
اهتدى باتباع الرسل ومنهم من فسق اى خرج عن الطاعة والغلبة للفساق ثم قفينا على اثارهم
اى نوح وابراهيم ومن مضى من الانبياء عليهم السلام برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم واتيناه
الانجيل وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رافة مودة ولينا ورحمة تعطفا على اخوانهم كما قال
فى صفة اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم رحماء بينهم ورهبانية ابتدعوها وترهبهم فى الجبال
فارين من الفتنة فى الدين مخلصين انفسهم للعبادة وهى الفعلة المنسوبة الى الرهبان وهو
الخائف فعلان من رهب كخشيان من خشى وانتصابها بفعل مضمر يفسره الظاهر تقديره و
ابتدعوا رهبانية ابتدعوها اى اخرجوها من عند انفسهم ونذروها ما كتبناها عليهم لم
نفرضها عليهم الا ابتغاء رضوان الله استثناء منقطع ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله
فما رعوها حق رعايتها كما يجب على الناذر رعاية نذره لانه عهد مع الله لا يحل نكثه فاتينا
الذين امنوا منهم اجرهم اى اهل الرافة والرحمة الذين اتبعوا عيسى والذين آمنوا بمحمد عم
وكثير منهم فاسقون اى الكافرون يا ايها الذين امنوا الخطاب لاهل الكتاب اتقوا الله
وامنوا برسوله محمد عليه الصلوة والسلام يؤتكم الله كفلين نصيبين من رحمته لايمانكم بمحمد و
ايمانكم بمن قبله ويجعل لكم نورا تمشون به وهو النور المذكور فى قوله يسعى نورهم ويغفر لكم

يوم القيمة م

ذنوبكم

ذنوبكم والله غفور رحيم لئلا يعلم ليعلم اهل الكتاب الذين لم يسلموا ولا مزيدة ان لا يقدرون
ان مخففة من المثقلة اصله انه لا يقدرون يعنى ان الشان لا يقدرون على شىء من فضل الله
اى لا ينالون شيئا مما ذكر من فضل الله من الكفلين والنور والمغفرة لانهم لم يؤمنوا
برسول الله فلم ينفعهم ايمانهم بمن قبله ولم يكسبهم فضلا قط وان الفضل عطف على ان
لا يقدرون بيد الله اى فى ملكه وتصرفه يؤتيه من يشاء من عباده والله ذو الفضل العظيم

سورة المجادلة مدنية وهى ثنتان وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

قد سمع الله قول التى تجادلك تحاورك وقرئ بها وهى خولة بنت ثعلبة امراة اوس
بن الصامت اخى عبادة راها وهى تصلى وكانت حسنة الجسم فلما سلمت راودها فابت
فغضب منها فظاهر منها فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان اوسا تزوجنى
وانا شابة مرغوب فى فلما خلا سنى ونثرت بطنى اى كثر ولدى جعلنى عليه كامه وروى
انها قالت ان لى صبية صغارا ان ضممتهم اليه ضاعوا وان ضممتهم الى جاعوا فقال ما
عندى فى امرك شىء وروى انه قال لها حرمت عليه فقالت يا رسول الله ما ذكر طلاقا
وانما هو ابو ولدى واحب الناس الى فقال حرمت عليه فقالت اشكو الى الله فاقتى
ووجدى كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه هتفت وشكت الى الله فنزلت

فى زوجها م

فى شانه ومعناه وتشتكى الى الله تظهر ما بها من مكروه والله يسمع تحاوركما مراجعتكما
الكلام من تحاور اذا راجع ان الله سميع يسمع شكوى المضطر بصير بحاله الذين
يظاهرون عاصم يظهرون حجازى وبصرى غيرهم يظاهرون وفى منكم توبيخ للعرب
لانه كان من ايمان اهل جاهليتهم خاصة دون سائر الامم من نسائهم من زوجاتهم ما هن
امهاتهم امهاتهم المفضل فالاول حجازى والثانى تميمى ان امهاتهم الا اللائى ولدنهم يريد
ان الامهات على الحقيقة الوالدات والمرضعات ملحقات بالوالدات بواسطة الرضاع
وكذا ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيادة حرمتهن واما الزوجات فابعد شىء من
الامومة فلذا قال وانهم ليقولون منكرا من القول اى تنكره الحقيقة والاحكام الشرعية وزورا
وكذبا باطلا منحرفا عن الحق وان الله لعفو غفور بعد توبة لما سلف منه والذين يظاهرون

من نسائهم بين في الاية الاولى ان ذلك من قائله منكر وزور وبين في الثانية حكم الظهار ثم
يعودون لما قالوا العود الصيرورة ابتداء او بناء فمن الاول قوله تعالى حتى عاد كالعرجون
القديم ومن الثاني وان عدتم عدنا ويعدى بنفسه كقولك عدته اذا اتيته وصرت اليه وبحرف
الجر بالى وعلى وفي واللام كقوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ومنه ثم يعودون لما قالوا
اي يعودون لنقض ما قالوا ولتداركه على حذف المضاف وعن ثعلب ثم يعودون لتحليل ما حرموا
على حذف المضاف ايضا غير انه اراد بما قالوا ما حرموه على انفسهم بلفظ الظهار تنزيلا للقول
منزلة المقول فيه كقوله ونرثه ما يقول اراد المقول فيه وهو المال والولد ثم اختلفوا ان النقض
بماذا يحصل فعندنا بالعزم على الوطي وهو قول ابن عباس رض والحسن وقتادة رح وعند الشافعي
بمجرد الامساك وهو ان لا يطلقها عقيب الظهار فتحرير رقبة فعليه اعتاق رقبة مؤمنة
او كافرة ولم يجز المدبر وام الولد والمكاتب الذي ادى شيئا من قبل ان يتماسا الضمير يرجع
الى ما دل عليه الكلام من المظاهر والمظاهر منها والمماسة الاستمتاع بها من جماع او لمس بشهوة
او نظر الى فرجها بشهوة ذلكم الحكم توعظون به لان الحكم بالكفارة دليل على ارتكاب
الجناية فيجب ان تتعظوا بهذا الحكم حتى لا تعودوا الى الظهار وتخافوا عقاب الله عليه
والله بما تعملون خبير والظهار ان يقول الرجل لامراته انت علي كظهر امي واذا وضع موضع
انت عضوا منها يعبر به عن الجملة او مكان الظهر عضوا آخر يحرم النظر اليه من الام كالبطن
والفخذ او مكان الام ذات رحم محرم منه بنسب او رضاع او صهر او جماع نحو ان يقول انت
علي كظهر اختي من الرضاع او عمتي من النسب او امراة ابني او ابي او ام امراتي او ابنتها فهو مظاهر
واذا امتنع المظاهر من الكفارة للمراة ان ترافعه وعلى القاضي ان يجبره على ان يكفر وان
يحبسه ولا شيء من الكفارات ان يجبر عليه ويحبس الا كفارة الظهار لانه يضر بها في ترك
التكفير والامتناع من الاستمتاع فان مس قبل ان يكفر استغفر الله ولا يعود حتى يكفر وان
اعتق بعض الرقبة ثم مس عليه ان يستانف عند ابي حنيفة رض فمن لم يجد الرقبة فصيام شهرين
فعليه صيام شهرين متتابعين من قبل ان يتماسا فمن لم يستطع الصيام فاطعام فعليه اطعام ستين
مسكينا لكل مسكين نصف صاع من بر او صاع من غيره ويجب ان يقدمه على المسيس ولكن لا

لا يستانف

لا يستانف ان جامع في خلال الاطعام ذلك البيان والتعليم للاحكام لتؤمنوا لتصدقوا بالله
ورسوله في العمل بشرائعه التي شرعها من الظهار وغيره ورفض ما كنتم عليه في جاهليتكم و
تلك حدود اي الاحكام التي وصفنا في الظهار والكفارة حدود الله التي لا يجوز تعديها
وللكافرين الذين لا يتبعونها عذاب اليم مؤلم ان الذين يحادون الله ورسوله يعادون
ويشاقون كبتوا اخزوا واهلكوا كما كبت الذين من قبلهم من اعداء الرسل وقد انزلنا آيات
بينات تدل على صدق الرسول وصحة ما جاء به وللكافرين بهذه الآيات عذاب مهين
يذهب بعزهم وكبرهم يوم يبعثهم منصوب بمهين او باضمار اذكر تعظيما لليوم الله
جميعا كلهم لا يترك منهم احدا غير مبعوث او مجتمعين في حال واحدة فينبئهم بما عملوا تخجيلا
لهم وتوبيخا وتشهيرا بحالهم يتمنون عنده المسارعة بهم الى النار لما يلحقهم من الخزي على
رؤوس الاشهاد احصيه الله احاط به عددا لم يفته منه شيء ونسوه لانهم تهاونوا به حين
ارتكبوه وانما تحفظ معظمات الامور والله على كل شيء شهيد لا يغيب عنه شيء الم تر ان الله
يعلم ما في السموات وما في الارض ما يكون من كان التامة اي ما يقع من نجوى ثلثة اي من
نجوى ثلثة انفس النجوى التناجي وقد اضيفت الى ثلثة انفس الا هو اي الله رابعهم
ولا خمسة الا هو سادسهم ولا ادنى ولا اقل من ذلك ولا اكثر الا هو معهم يعلم ما يتناجون
به ولا يخفى عليه ما هم فيه وقد تعالى من المكان علوا كبيرا وتخصيص الثلثة والخمسة لانها
نزلت في المنافقين وكانوا يتحلقون للتناجي مغايظة للمؤمنين على هذين العددين وقيل
ما يتناجى منهم ثلثة ولا خمسة ولا ادنى من عددهم ولا اكثر الا والله معهم يسمع ما يقولون
ولان اهل التناجي في العادة طائفة من اهل الراي والتجارب واقلهم قل عددهم الاثنان
فصاعدا الى خمسة الى ستة الى ما اقتضته الحال فذكر عز وعلا الثلثة والخمسة فقال ولا
ادنى من ذلك فدل على الاثنين والاربعة وقال سبحانه وتعالى ولا اكثر فدل على ما يقارب
هذا العدد اينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيمة فيجازيهم عليه ان الله بكل شيء عليم الم
تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه ويتناجون بالاثم والعدوان و
معصية الرسول كانت اليهود والمنافقون يتناجون فيما بينهم ويتغامزون باعينهم اذا

راو المومنين يريدون ان يغيظوهم ويوهموهم في نجويهم وتغامزهم ان غزاتهم غلبوا او
ان اقاربهم قتلوا فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعادوا لمثل فعلهم وكانت
تناجيهم بما هو اثم وعدوان للمؤمنين وتواص بمعصية الرسول ومخالفته ويتنجون
حمزة وهو بمعنى الاول واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله يعنى انهم يقولون في
تحيتك السام عليك يا محمد والسام الموت والله تعالى يقول وسلام على عباده الذين
اصطفى ويا ايها الرسول ويا ايها النبي ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول اى
يقولون فيما بينهم لو كان نبيا لعاقبنا الله بما نقول فقال الله تعالى حسبهم جهنم عذابا
يصلونها حال اى يدخلونها فبيس المصير المرجع جهنم يا ايها الذين امنوا بالسنتهم وهو
خطاب للمنافقين والظاهر انه خطاب للمومنين اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم
والعدوان ومعصيت الرسول اى اذا تناجيتم فلا تشبهوا باليهود والمنافقين في
تناجيهم في السر وتناجوا بالبر باداء الفرايض والطاعات والتقوى وترك المعاصى
واتقوا الله الذى اليه تحشرون للحساب فيجازيكم بما تتناجون به من خير او شر انما النجوى
بالاثم والعدوان من الشيطان من تزيينه ليحزن اى الشيطان وبضم اليا نافع الذين
امنوا وليس اى الشيطان او الحزن بضارهم شيا الا باذن الله بعلمه وقضائه وقدره و
على الله فليتوكل المومنون اى يكلون امرهم الى الله ويستعيذون به من الشيطان يا ايها
الذين امنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس توسعوا فيه في المجلس نافع وعاصم والمراد
مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا يتضامون فيه تنافسا على القرب منه وحرصا
على استماع كلامه وقيل هو المجلس من مجالس القتال وهى مراكز الغزاة كقوله مقاعد
للقتال مقاتل في صلوة الجمعة فافسحوا توسعوا يفسح الله لكم مطلق في كل ما يبتغى الناس
الفسحة فيه من المكان والرزق والصدر والقبر وغير ذلك واذا قيل انشزوا انهضوا
لتوسعة على المقبلين او انهضوا عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا امرتم بالنهوض
عنه او انهضوا الى الصلوة والجهاد واعمال الخير فانشزوا بالضم فيهما مدنى وشامى وعاصم غير
حماد يرفع الله الذين امنوا منكم بامتثال اوامره واوامر رسوله والذين اوتوا العلم درجات

وللعالمين

400

وللعالمين منهم خاصة درجات والله بما تعملون خبير وفي درجات قولان احدهما في الدنيا في
المرتبة والشرف والاخرة في الاخرة وعن ابن مسعود رض انه كان اذا قراها قال يا ايها الناس
افهموا هذه الاية لترغبكم في العلم وعن النبى صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضل القمر
ليلة البدر على ساير الكواكب وعنه عليه الصلوة والسلام عبادة العالم يوما واحدا تعدل
عبادة العابد اربعين سنة وعنه عليه الصلوة والسلام يشفع يوم القيمة ثلثة الانبياء ثم العلماء
ثم الشهداء فاعظم بمرتبة هى واسطة بين النبوة والشهادة بشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن
ابن عباس رض خير سليمان صلوات الله عليه بين العلم والمال والملك فاختار العلم فاعطى المال
والملك معه وقال عليه الصلوة والسلام اوحى الله الى ابراهيم عليه السلام يا ابراهيم انى عليم
احب كل عليم وعن بعض الحكماء ليت شعرى اى شيء ادرك من فاته العلم واى شيء فات من
ادرك العلم وعن الزبيرى العلم ذكر فلا يحبه الا ذكورة الرجال والعلوم انواع فاشرفها اشرفها
معلوما يا ايها الذين امنوا اذا ناجيتم الرسول اى اذا اردتم مناجاته فقدموا بين يدى نجويكم
صدقة اى قبل نجويكم وهى استعارة ممن له يدان كقول عمر رض من افضل ما اوتيت العرب الشعر
يقدمه الرجل امام حاجته فيستمطر به الكريم ويستنزل به اللئيم يريد قبل حاجته ذلك التقديم
خير لكم في دينكم واطهر لان الصدقة طهرة فان لم تجدوا ما تتصدقون به فان الله غفور
رحيم في ترخيص المناجاة من غير صدقة قيل كان ذلك عشر ليال ثم نسخ وقيل ما كان الا ساعة
من نهار ثم نسخ وقال على رض هذه اية من كتاب الله ما عمل بها احد قبلى ولا يعمل بها احد بعدى
كان لى دينار فصرفته فكنت اذا ناجيته تصدقت بدرهم وسالت رسول الله صلى الله
عليه وسلم عشر مسايل فاجابنى عنها قلت يا رسول الله ما الوفاء قال التوحيد وشهادة ان لا
اله الا الله قلت وما الفساد قال الكفر والشرك بالله قلت وما الحق قال الاسلام والقران
والولاية اذا انتهت اليك قلت وما الحيلة قال ترك الحيلة قلت وما على قال طاعة الله وطاعة
رسول الله قلت وكيف ادعوا الله تعالى قال بالصدق واليقين قلت وماذا اسال الله قال
العافية قلت وما اصنع لنجاة نفسى قال كل حلالا وقل صدقا قلت وما السرور قال الجنة قلت
وما الراحة قال لقاء الله فلما فرغت منها نزل نسخها ءاشفقتم ان تقدموا بين يدى نجويكم صدقات

اخفتم تقديم الصدقات لما فيه من الانفاق الذى تكرهونه فاذ لم تفعلوا ما امرتم به وشق عليكم
وتاب الله عليكم اى خفف الله عنكم وازال عنكم المواخذة بترك تقديم الصدقة على المناجاة
كما ازال المواخذة بالذنب من التايب عنه فاقيموا الصلوة واتوا الزكوة واطيعوا الله ورسوله
اى فلا تفرطوا فى الصلوة والزكوة وساير الطاعات والله خبير بما تعملون وهذا وعد ووعيد
الم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم كان المنافقون يتولون اليهود وهم الذين
غضب الله عليهم فى قوله من لعنه الله وغضب وينقلون اليهم اسرار المؤمنين ما هم منكم يا
مسلمون ولا منهم ولا من اليهود لقوله مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء و
يحلفون على الكذب اى ليقولون والله انا المسلمون لا منافقون وهم يعلمون انهم كاذبون
منافقون اعد الله لهم عذابا شديدا نوعا من العذاب متفاقما انهم ساء ما كانوا يعملون
اى انهم كانوا فى الزمان الماضى مصرين على سوء العمل او هى حكاية يقال لهم فى الاخرة اتخذوا
ايمانهم الكاذبة جنة وقاية دون دمائهم واموالهم فصدوا الناس فى خلال امنهم وسلامتهم
عن سبيل الله عن طاعته والايمان به فلهم عذاب مهين وعدهم العذاب المخزى لكفرهم
وصدهم كقوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب لن تغنى
عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله من عذاب الله شيئا قليلا من الاغناء اولئك اصحاب
النار هم فيها خالدون يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له اى لله فى الاخرة انهم كانوا
مخلصين فى الدنيا غير منافقين كما يحلفون لكم فى الدنيا على ذلك ويحسبون انهم فى الدنيا
على شىء من النفع او يحسبون حالهم فى الدنيا والاخرة استحوذ عليهم الشيطان استولى
عليهم فانسيهم ذكر الله قال شاه الكرمانى علامة استحواذ الشيطان على العبد ان يشغله بعمارة
ظاهره من الماكل والملابس ويشغل قلبه عن التفكر فى الاء الله ونعمائه والقيام بشكرها ويشغل
لسانه عن ذكر ربه بالكذب والغيبة والبهتان ويشغل قلبه عن التفكر والمراقبة بتدبير الدنيا
وجمعها اولئك حزب الشيطان جنده الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون ان الذين يحادون
الله ورسوله اولئك فى الاذلين فى جملة من هو اذل خلق الله تعالى لا ترى احدا اذل منهم كتب
الله فى اللوح لاغلبن انا ورسلى بالحجة والسيف او باحدهما ان الله قوى لا يمتنع عليه ما يريد عزيز

انهم على شىء من النفع ثم بايمانهم الكاذبة
كما يحلفون لكم الا انهم هم الكاذبون حيث

غالب

غالب غير مغلوب لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون هو مفعول ثان لتجد او
حال او صفة لقوما وتجد بمعنى تصادق على هذا من حاد الله خالفه وعاداه ورسوله من الممتنع
ان تجد قوما مؤمنين يوالون المشركين والمراد انه لا ينبغى ان يكون ذلك وحقه ان يمتنع
ولا يوجد بحال مبالغة فى الزجر عن محابة اعداء الله ومباعدتهم والاحتراس من مخالطتهم
ومعاشرتهم وزاد ذلك تاكيدا وتشديدا بقوله ولو كانوا اباءهم او ابناءهم او اخوانهم
او عشيرتهم وبقوله اولئك كتب فى قلوبهم الايمان اى اثبته فيها وبمقابلة قوله اولئك حزب
الشيطان بقوله اولئك حزب الله وايدهم بروح منه اى بكتاب انزله فيه حيوة لهم ويجوز ان
يكون الضمير للايمان اى بروح من الايمان على انه فى نفسه روح لحيوة القلوب به وعن الثورى
رحمه الله انه قال كانوا يرون انها نزلت فيمن يصحب السلطان وعن عبد العزيز بن ابى رواد
انه لقيه المنصور فلما عرفه هرب منه وتلاها وقال سهل من صح ايمانه واخلص توحيده فانه
لا يانس بمبتدع ولا يجالسه ويظهر له من نفسه العداوة ومن داهن مبتدعا سلبه الله حلاوة
السنن ومن اجاب مبتدعا لطلب عز الدنيا وعرضها اذله الله بذلك العز وافقره بذلك
الغنى ومن ضحك الى مبتدع نزع الله نور الايمان من قلبه ومن لم يصدق فليجرب ويدخلهم
جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها رضى الله عنهم بتوحيدهم الخالص وطاعتهم و
رضوا عنه بثوابه الجسيم فى الاخرة او بما قضى عليهم فى الدنيا اولئك حزب الله انصار
حقه ودعاة خلقه الا ان حزب الله هم المفلحون الباقون فى النعيم المقيم الفائزون بكل
محبوب الامنون من كل مرهوب

سورة الحشر مدنية وهى اربع وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما فى السموات
وما فى الارض وهو العزيز الحكيم روى ان هذه السورة نزلت باسرها فى بنى النضير وذلك
ان النبى صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة صالح بنو النضير رسول الله صلى الله عليه وسلم على
ان لا يكونوا عليه ولا له فلما ظهر يوم بدر قالوا هو النبى الذى نعته فى التورية فلما هزم المسلمون
يوم احد ارتابوا ونكثوا فخرج كعب ابن الاشرف فى اربعين راكبا الى مكة فحالفوا ابا سفيان
عند الكعبة فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة الانصارى فقتل كعبا غيلة ثم خرج

عليه السلام مع الجيش اليهم فحاصرهم احدى وعشرين ليلة وامر بقطع نخيلهم فلما قذف الله
الرعب في قلوبهم طلبوا الصلح فابى عليهم الا الجلاء على ان يحمل كل ثلثة ابيات على بعير ما شاء
من متاعهم فجلوا الى الشام الى اريحاء واذرعات هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب
يعني يهود بني نضير من ديارهم بالمدينة واللام في لاول الحشر تتعلق باخرج وهي اللام في قوله
تعالى يا ليتني قدمت لحيوتي وقولك جئته لوقت كذا اي اخرج الذين كفروا عند اول الحشر
ومعنى اول الحشر ان هذا اول حشرهم الى الشام وكانوا من سبط لم يصبهم الجلاء قط وهم اول من
اخرج من اهل الكتاب من جزيرة العرب الى الشام او هذا اول حشرهم وآخر حشرهم
اجلاء عمر اياهم من خيبر الى الشام او آخر حشرهم حشر يوم القيمة قال ابن عباس رضـ من شك
ان المحشر بالشام فليقرأ هذه الآية فهم الحشر الاول وسائر الناس الحشر الثاني وقال لهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرجوا امضوا فانكم اول الحشر ونحن على الاثر قال قتادة
اذا كان آخر الزمان جاءت نار من قبل المشرق فحشرت الناس الى ارض الشام وبها
تقوم عليهم القيمة وقيل معناه اخرجهم من ديارهم لاول ما حشر لقتالهم لانه اول
قتال قاتلهم رسول الله ما ظننتم ان يخرجوا لشدة باسهم ومنعتهم ووثاقة حصونهم
وكثرة عددهم وعدتهم وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله اي ظنوا ان حصونهم تمنعهم
من باس الله والفرق بين هذا التركيب وبين النظم الذي جاء عليه ان في تقديم الخبر على
المبتداء دليلا على فرط وثوقهم بحصانتها ومنعها اياهم وفي تصيير ضميرهم اسما لان و
واسناد الجملة اليه دليل على اعتقادهم في انفسهم انهم في عزة ومنعة لا يبالا معها باحد يتعرض
لهم او يطمع في معازتهم وليس ذلك في قولهم وظنوا ان حصونهم تمنعهم فاتيهم الله اي امر الله
وعقابه وفي الشواذ فاتاهم الله اي فاتيهم الهلاك من حيث لم يحتسبوا لم يظنوا ولم يخطر
ببالهم وهو قتل رئيسهم كعب بن الاشرف غرة على يد اخيه رضاعا وقذف في قلوبهم الرعب
الخوف يخربون بيوتهم بايديهم وايدي المؤمنين يخربون ابو عمرو والتخريب والاخراب الافساد
بالنقض والهدم والخربة الفساد كانوا يخربون بواطنها والمسلمون ظواهرها لما اراد الله من استيصال
شانتهم وان لا يبقى لهم في المدينة دار ولانهم ديار والذين دعاهم الى التخريب حاجتهم الى الخشب

والحجارة ليسدوا بها افواه الازقة وان لا يتحسروا بعد جلائهم على بقائها مساكن للمسلمين وان
ينقلوا معهم ما كان في ابنيتهم من جيد الخشب والساج واما المؤمنون فداعيهم الى التخريب
ازالة متحصنهم وان يتسع لهم مجال الحرب ومعنى تخريبهم لها بايدي المؤمنين انهم لما عرضوهم
لذلك بنكث العهد وكانوا السبب فيه فكانهم امروهم به وكلفوهم اياه فاعتبروا يا اولي الابصار اي
تاملوا فيما نزل بهؤلاء والسبب الذي استحقوا به ذلك فاحذروا ان تفعلوا مثل فعلهم فتعاقبوا
بمثل عقوبتهم وهو دليل على جواز القياس ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء الخروج من الوطن مع
الاهل والولد لعذبهم في الدنيا بالقتل والسبي كما فعل ببني قريظة ولهم سواء اجلوا او قتلوا في
الاخرة عذاب النار الذي لا اشد منه ذلك بانهم اي ما اصابهم ذلك بسبب انهم شاقوا الله
خالفوه ورسوله ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب ما قطعتم من لينة هو بيان لما
قطعتم ومحل ما نصب بقطعتم كانه قيل اي شيء قطعتم وانث الضمير الراجع الى ما في قوله او
تركتموها لانه في معنى اللينة واللينة النخلة من الالوان وياؤها عن واو قلبت لكسرة ما قبلها
وقيل اللينة النخلة الكريمة كانهم اشتقوها من اللين قائمة على اصولها فباذن الله فقطعها وتركها
باذن الله وليخزي الفاسقين وليذل اليهود ويغيظهم اذنه في قطعها وما افاء الله على رسوله
جعله فيئا له خاصة منهم من بني النضير فما اوجفتم عليه من خيل ولا ركاب فلم يكن ذلك بايجاف
خيل او ركاب منكم على ذلك والركاب الابل والمعنى فما اوجفتم على تحصيله وتغنمه خيلا او
ركابا ولا تعبتم في القتال عليه وانما مشيتم اليه على ارجلكم لانه ميلان من المدينة وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم على حمار فحسب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء يعني ان ما خول الله
رسوله من اموال بني النضير شيء لم تحصلوه بالقتال والغلبة ولكن سلطه الله عليهم وعلى ما
في ايديهم كما كان يسلط رسله على اعدائهم فالامر فيه مفوض اليه يضعه حيث يشاء ولا يقسمه
قسمة الغنائم التي قوتل عليها واخذت عنوة وقهرا فقسمها بين المهاجرين ولم يعط الانصار
الا ثلثة منهم لفقرهم والله على كل شيء قدير ما افاء الله على رسوله من اهل القرى فلله وللرسول
ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل وانما لم يدخل العاطف على هذه الجملة لانها بيان
للاولى فهي منها غير اجنبية عنها بين لرسول الله ما يضع بما افاء الله عليه وامره ان يضعه حيث

يضع الخمس من الغنائم مقسوما على الاقسام الخمسة وزيف هذا القول بعض المفسرين وقال
الاية الاولى نزلت فى اموال بنى النضير وقد جعلها الله لرسوله خاصة وهذه الاية فى
غنائم كل قرية توخذ بقوة الغزاة فهى الاية بيان مصرف خمسها فهى مبتداء كيلا يكون
دولة تكون دولة بين يعلى كان التامة والدولة والدولة ما يدول للانسان اى يدور من الحد
ومعنى قوله كيلا يكون دولة بين الاغنياء منكم كيلا يكون الفئ الذى حقه ان يعطى الفقراء
ليكون لهم بلغة يعشون بها جدا بين الاغنياء منكم يتكاثرون به وما اتيكم الرسول اى ما
اعطيكم من قسمة غنيمة او فئ فخذوه فاقبلوا وما نهيكم عنه عن اخذه منها فانتهوا عنه ولا
تطلبوه واتقوا الله ان تخالفوه وتهاونوا باوامره ونواهيه ان الله شديد العقاب لمن
خالف رسول الله صلى الله عليه وسلم والاجود ان تكون عاما فى كل ما اتى رسول الله ونهى عنه
وامر الفئ داخل فى عمومه للفقراء بدل من قوله ولذى القربى والمعطوف عليه والذى منع
الابدال من الله والرسول وان كان المعنى لرسول الله ان الله عز وجل اخرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم من الفقراء فى قوله وينصرون الله ورسوله وانه يترفع برسول الله عن التسمية
بالفقير وان الابدال على ظاهر اللفظ من خلاف الواجب فى تعظيم الله عز وجل المهاجرين الذين
اخرجوا من ديارهم واموالهم بمكة وفيه دليل على ان الكفار يملكون بالاستيلاء اموال
المسلمين لان الله تعالى سمى المهاجرين فقراء مع انه كانت لهم ديار واموال يبتغون حال
فضلا من الله ورضوانا اى يطلبون الجنة ورضاء الله وينصرون الله ورسوله اى ينصرون
دين الله ويعينون رسوله اولئك هم الصادقون فى ايمانهم وجهادهم والذين معطوف
على المهاجرين وهم الانصار تبوؤ الدار توطنوا المدينة والايمان واخلصوا الايمان كقوله علفتها
بتنا وماء باردا او جعلوا الايمان مستقرا وتوطنا لهم لتمكنهم منه واستقامتهم عليه كما جعلوا
المدينة كذلك او اراد دار الهجرة ودار الايمان فاقام لام التعريف فى الدار مقام المضاف
اليه وحذف المضاف من دار الايمان ووضع المضاف اليه مقامه من قبلهم من قبل المهاجرين
لانهم سبقوهم فى تبوء دار الهجرة والايمان وقيل من قبل هجرتهم يحبون من هاجر اليهم حتى
شاطروهم اموالهم وانزلوهم منازلهم ونزل من كانت له امراتان عن احديهما حتى تزوج بها رجل

من المهاجرين

من المهاجرين ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما اوتوا ولا يعلمون فى انفسهم طلب محتاج اليه مما
اوتى المهاجرون من الفئ وغيره والمحتاج اليه يسمى حاجة يعنى ان نفوسهم لم تتبع ما اعطوا ولم
تطمح الى شئ منه تحتاج اليه وقيل حاجة حسدا مما اعطى المهاجرون من الفئ حيث خصهم النبى
صلى الله عليه وسلم وقيل لا يجدون فى صدورهم مس حاجة من فقد ما اوتوا فحذف المضاف ان
ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة فقر واصلها خصاص البيت وهى فرجه والجملة
فى موضع الحال اى مفروض خصاصتهم وروى انه نزل برجل منهم ضيف فنوم الصبية وقرب
الطعام واطفاء السراج ليشبع ضيفه ولا ياكل هو وعن انس رض اهدى لبعضهم راس مشوى وهو
مجهود فوجهه الى جاره فتداولته تسعة انفس حتى عاد الى الاول قال ابو يزيد قال لى شاب من
اهل بلخ ما الزهد عندكم قلت اذا وجدنا اكلنا واذا فقدنا صبرنا فقال هكذا عندنا كلاب بلخ
بل اذا فقدنا سيرنا واذا وجدنا اثرنا ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون الظافرون
بما ارادوا والشح اللوم وان تكون نفس الرجل كزة حريصة على المنع واما البخل فهو المنع نفسه
وقيل الشح اكل مال اخيك ظلما والبخل منع مالك وعن كسرى الشح اضر من الفقر لان الفقير
يشبع اذا وجد بخلاف الشحيح والذين جاؤا من بعدهم عطف ايضا على المهاجرين وهم الذين
هاجروا من بعد وقيل التابعون باحسان وقيل من بعدهم الى يوم القيمة قال عمر رض دخل
فى هذا الفئ كل من هو مولود الى يوم القيمة فى الاسلام فجعل الواو للعطف فيهما وقرى للذين
فيهما يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان قيل هم المهاجرون والانصار
قالت عايشة رض امروا بان يستغفروا لهم فسبوهم ولا تجعل فى قلوبنا غلا حقدا للذين
امنوا يعنى الصحابة ربنا انك رؤف رحيم وقيل لسعيد بن المسيب ما تقول فى عثمان وعلى
وطلحة والزبير قال اقول ما قول لى الله وتلا هذه الاية ثم عجب بنيه فقال الم تر الى الذين
نافقوا اى الم تر يا محمد الى عبد الله بن ابى واتباعه يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب
يعنى بنى النضير والمراد اخوة الكفر لئن اخرجتم من دياركم لنخرجن معكم روى ان ابن ابى واصحابه
دسوا الى بنى النضير حين حاصرهم النبى عليه الصلوة والسلام لا تخرجوا من الحصن فان قاتلوكم
فنحن معكم لا نخذلكم ولئن اخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم فى قتالكم احدا ابدا يعنى رسول الله

صلى الله عليه وسلم والمسلمين ان حملنا عليه او في خذلانكم واخلاف ما وعدناكم من النصرة وان
قوتلتم لننصرنكم والله يشهد انهم لكاذبون في مواعيدهم اليهود وفيه دليل على صحة النبوة
لانه اخبار بالغيب لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم
ليولن الادبار ثم لا ينصرون وانما قال ولئن نصروهم بعد الاخبار بانهم لا ينصرونهم على الفرض
والتقدير كقوله لئن اشركت ليحبطن عملك وكما يعلم ما يكون فهو يعلم ما لا يكون لو كان
كيف يكون والمعنى ولئن نصر المنافقون اليهود لينهزمن اليهود ثم لا ينصرون بعد ذلك

المنافقون

به اى يهلكهم الله ولا ينفعهم نفاقهم لظهور كفرهم او لينهزمن اليهود ثم لا ينفعهم نصرة
المنافقين لانتم اشد رهبة اى اشد مرهوبية مصدر رهب المبني للمفعول وقوله في صدورهم
دلالة نفاقهم يعني انهم يظهرون لكم في العلانية خوف الله وانتم اهيب في صدورهم من
الله ذلك بانهم قوم لا يفقهون لا يعلمون الله وعظمته حتى يخشوه حق خشيته لا يقاتلونكم
لا يقدرون على مقاتلتكم جميعا مجتمعين يعني اليهود والمنافقين الا كائنين في قرى محصنة
بالخنادق والدروب او من وراء جدر جدار مكي وابو عمرو بأسهم بينهم شديد يعني

مكي

ان الباس الشديد الذي يوصفون به انما هو بينهم اذا اقتتلوا ولو قاتلوكم لم يبق لهم ذلك
الباس والشدة لان الشجاع يجبن عند محاربة الله ورسوله تحسبهم اى اليهود والمنافقين
جميعا مجتمعين ذوي الفة واتحاد وقلوبهم شتى متفرقة لا الفة بينها يعني ان بينهم احنا
وعداوات فلا يتعاضدون حق التعاضد وهذا تجسير للمومنين وتشجيع لقلوبهم على قتالهم
ذلك التفرق بانهم قوم لا يعقلون ان تشتت القلوب مما يوهن قواهم ويعين على ارواحهم
كمثل الذين من قبلهم اى مثلهم كمثل اهل بدر فحذف المبتداء قريبا اى استقروا من قبلهم زمنا
قريبا ذاقوا وبال امرهم سوء عاقبة كفرهم وعداوتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم من قولهم
كلاء وبيل ووخيم سيء العاقبة يعني ذاقوا عذاب القتل في الدنيا ولهم عذاب اليم اى ولهم مع
ذلك في الاخرة عذاب النار كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بريء منك
اني اخاف الله رب العالمين اى مثل المنافقين في اغرائهم اليهود على القتال ووعدهم اياهم النصر
ثم متاركتهم لهم واخلافهم كمثل الشيطان اذا استغوى الانسان بكيده ثم تبرأ منه في العاقبة وقيل

المراد استغواءه قريشا يوم بدر وقوله لهم لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم الى قوله اني بريء
منكم فكان عاقبتهما عاقبة الانسان الكافر والشيطان انهما في النار خالدين فيها عاقبتهما خبر كان
مقدم وان مع اسمها وخبرها اى في النار في موضع الرفع على الاسم وخالدين حال وذلك
جزاء الظالمين يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله في اوامره فلا تخالفوه ولتنظر نفس نكر النفس
تقليلا للانفس النواظر فيما قدمت للآخرة ما قدمت لغد يعني ليوم القيمة سماه باليوم
الذي يلي يومك تقريبا له او عبر عن الآخرة بالغد كان الدنيا والآخرة نهاران يوم وغد وتنكيره
لتعظيم امره اى لغد لا يعرف كنهه لعظمه وعن مالك بن دينار مكتوب على باب الجنة وجدنا
ما عملنا ربحنا ما قدمنا خسرنا ما خلفنا واتقوا الله كرر الامر بالتقوى تاكيدا او اتقوا الله في
اداء الواجبات لانه قرن بما هو عمل به واتقوا الله في ترك المعاصي لانه قرن بما يجري مجرى
الوعيد وهو ان الله خبير بما تعملون وفيه تحريض على المراقبة لان من علم ان الله مطلع على
ما يرتكبه من الذنوب يمتنع عنه ولا تكونوا كالذين نسوا الله تركوا ذكر الله وما امرهم به
فانسيهم انفسهم فتركهم من ذكرهم بالرحمة والتوفيق اوليك هم الفاسقون الخارجون
من طاعة الله لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة اصحاب الجنة هم الفائزون هذا تنبيه
للناس وايذان بانهم لفرط غفلتهم وقلة فكرهم في العاقبة وتهالكهم على ايثار العاجلة و
اتباع الشهوات كانهم لا يعرفون الفرق بين الجنة والنار والبون العظيم بين اصحابهما وان
الفوز العظيم مع اصحاب الجنة والعذاب الاليم مع اصحاب النار فمن حقهم ان يعلموا ذلك و
ينبهوا ذلك عليه كما تقول لمن يعق اباه هو ابوك تجعله بمنزلة من لا يعرفه فتنبهه بذلك على
حق الابوة التي يقتضي البر والتعطف ولقد استدلت الشافعية بهذه الاية على ان المسلم لا
يقتل بالكافر وان الكافر لا يملك مال المسلم بالاستيلاء وقد اجبنا عن مثل هذا في اصول
الفقه والكافي لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله اى من
شان القرآن وعظمته انه لو جعل في الجبل تمييز وانزل عليه القرآن لخشع اى لخضع وتطاطا
وتصدع اى تشقق من خشية الله وجائز ان يكون هذا تمثيلا كما في قوله انا عرضنا الامانة
على السموات ويدل عليه وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون وهي اشارة الى هذا المثل

والى امثاله فى مواضع من التنزيل والمراد توبيخ الانسان على قسوة قلبه وقلة تخشعه عند تلاوة القرآن
وتدبر قوارعه وزواجره ثم رد على من اشرك وشبهه بخلقه فقال هو الله الذى لا اله الا هو
عالم الغيب والشهادة اى السر والعلانية او الدنيا والاخرة او المعدوم والموجود هو الرحمن
الرحيم هو الله الذى لا اله الا هو الملك الذى لا يزول ملكه القدوس المنزه من القبايح وفى
تسبيح الملائكة سبوح قدوس رب الملائكة والروح السلام اى سالم الخلق من ظلمه عن الزجاج
المؤمن واهب الامن وعن الزجاج الذى امن الخلق من ظلمه او المؤمن من عذابه من اطاعه
المهيمن الرقيب على كل شئ الحافظ له مفيعل من الامن الا ان همزته قلبت هاء العزيز الغالب
غير المغلوب الجبار العالى العظيم الذى يذل له من دونه او العظيم الشان فى القدرة والسلطان
او القهار ذو الجبروت المتكبر البليغ الكبرياء والعظمة سبحان الله عما يشركون نزه ذاته
عما يصف به المشركون هو الله الخالق المقدر لما يوجده البارى الموجد المصور فى الارحام
له الاسماء الحسنى الدالة على الصفات العلى يسبح له فى السموات والارض وهو العزيز الحكيم
ختم السورة بما بدا به عن ابى هريرة رضى الله عنه سالت حبيبى صلى الله عليه وسلم عن اسم الله
الاعظم فقال عليك باخر الحشر واكثر قراءته فاعدت عليه فاعاد على فاعدت عليه فاعاد على

سورة الممتحنة مدنية وهى ثلث عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم

روى ان مولاة لابى عمرو بن صيفى بن هاشم يقال لها سارة اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالمدينة وهو يتجهز للفتح فقال لها امسلمة جئت قالت لا قال افمهاجرة جئت قالت لا
قال فما جاء بك قالت احتجت حاجة شديدة فحث عليها بنى عبد المطلب فكسوها وحملوها
وزودوها فاتاها حاطب ابن ابى بلتعة واعطاها عشرة دنانير وكساها بردا واستحملها كتابا
الى اهل مكة نسخته من حاطب بن ابى بلتعة الى اهل مكة اعلموا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يريدكم فخذوا حذركم فخرجت سارة ونزل جبرئيل بالخبر فبعث رسول الله عليا وعمار
وعمر وطلحة والزبير والمقداد وابا مرثد وكانوا فرسانا وقال انطلقوا حتى تاتوا روضة خاخ
فان بها ظعينة معها كتاب من حاطب الى اهل مكة فخذوه منها وخلوها فان ابت فاضربوا
عنقها فادركوها فجحدت وحلفت فهموا بالرجوع فقال على رض والله ما كذبنا ولا كذب رسول الله

وسل سيفه وقال اخرجى الكتاب او تضعى راسك فاخرجته من عقاص شعرها وروى ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم امن جميع الناس يوم الفتح الا اربعة هى احدهم فاستحضر رسول الله حاطبا
وقال ما حملك عليه فقال يا رسول الله ما كفرت مذ اسلمت ولا غششتك مذ نصحتك ولا احببتهم
مذ فارقتهم ولكنى كنت امراء ملصقا فى قريش ولم اكن من انفسها وكل من معك من المهاجرين
لهم قرابات بمكة يحمون اهاليهم واموالهم غيرى فخشيت على اهلى فاردت ان اتخذ عندهم
يدا وقد علمت ان الله ينزل عليهم باسه وان كتابى لا يغنى عنهم شيئا فصدقه وقبل عذره فقال
عمر رض دعنى يا رسول الله حتى اضرب عنق هذا المنافق فقال عليه السلام وما يدريك يا عمر لعل الله
قد اطلع على اهل بدر فقال لهم اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ففاضت عينا عمر فنزل يا ايها الذين
امنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم اولياء عدى اتخذ الى مفعوليه وهما عدوى واولياء والعدو
فعول من عدا كعفو من عفا ولكونه على زنة المصدر اوقع على الجمع ايقاعه على الواحد وفيه دليل
على ان الكبيرة لا تسلب اسم الايمان تلقون حال من الضمير فى لا تتخذوا والتقيد لا تتخذوهم
اولياء ملقين اليهم بالمودة او مستانف بعد وقف على التوبيخ والالقاء عبارة عن ايصال
المودة والافضاء بها اليهم والباء فى بالمودة زائدة مؤكدة للتعدى كقوله ولا تلقوا بايديكم
او ثابتة على ان مفعول تلقون محذوف معناه تلقون اليهم اخبار رسول الله صلى الله عليه
وسلم بسبب المودة التى بينكم وبينهم وقد كفروا حال من لا تتخذوا او من تلقون اى لا تتولوهم
او تتودونهم وهذه حالهم بما جاءكم من الحق دين الاسلام والقران يخرجون الرسول واياكم
استيناف كالتفسير لكفرهم وعتوهم او حال من الذين كفروا ان تؤمنوا تعليل ليخرجون اى
يخرجونكم من مكة لايمانكم بالله ربكم ان كنتم خرجتم متعلق بلا تتخذوا اى لا تتولوا اعدائى
ان كنتم اوليائى وقول النحويين فى مثل هو شرط جوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه جهادا فى
سبيلى مصدر فى موضع الحال اى ان كنتم خرجتم مجاهدين فى سبيلى وابتغاء مرضاتى ومبتغين
مرضاتى تسرون اليهم بالمودة اى تفضون اليهم بمودتكم سرا او تسرون اليهم اسرار رسول الله
بسبب المودة وهو استيناف وانا اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم والمعنى اى طائل لكم فى اسرارهم وقد
علمتم ان الاخفاء والاعلان سيان فى علمى وانا مطلع رسولى على ما تسرون ومن يفعله اى هذا

وسل

لاسرار منكم فقد ضل سواء السبيل فقد اخطاء طريق الحق والصواب ان يثقفوكم ان يظفروبكم
ويتمكنوا منكم يكونوا لكم اعداء خالصي العداوة ولا يكونوا لكم اولياء كما انتم ويبسطوا اليكم ايديهم
والسنتهم بالسوء بالقتال والشتم وودوا لو تكفرون وتمنوا لو ترتدون عن دينكم فاذن
موادة امثالكم خطاء عظيم منكم والماضي وان كان يجري في باب الشرط مجرى المضارع ففيه نكتة
كانه قيل كل شيء كفركم وارتدادكم يعني انهم يريدون ان يلحقوا بكم مضار الدنيا والدين جميعا
من قتل الانفس وتمزيق الاعراض وردكم كفارا اسبق المضار عندهم واولها لعلمهم ان الدين
اعز عليكم من ارواحكم لانكم تبذلون لها دونه والعدو اهم شيء عنده ان يقصدهم شيء عند صاحبه
لن تنفعكم ارحامكم قراباتكم ولا اولادكم الذين توالون الكفار من اجلهم وتتقربون اليهم
محاماة عليهم ثم قال يوم القيمة يفصل بينكم وبين اقاربكم واولادكم يوم يفر المرء من اخيه الاية
فما لكم لا ترفضون حق الله مراعاة لحق من يفر منكم غدا يفصل عاصم يفصل حمزة وعلي والفاعل
هو الله عز وجل يفصل ابن ذكوان غيرهم يفصل والله بما تعملون بصير فيجازيكم على اعمالكم
قد كانت لكم اسوة قدوة في السرى من الاهل حسنة في ابراهيم في اقواله وافعاله ولهذا استثنى منه الاقوال
ابراهيم والذين معه من المؤمنين وقيل كانوا انبياء اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم جمع
بريء كظريف وظرفاء ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة بالافعال
والبغضاء بالقلوب ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده فح نترك عداوتكم به الا قول ابراهيم
لابيه لاستغفرن لك وذلك لموعدة وعدها اياه اي اقتدوا به في اقواله ولا تتاسوا به
في الاستغفار لابيه الكافر وما املك لك من الله من شيء اي من هداية ومغفرة وتوفيق
وهذه الجملة لا تليق بالاستثناء الا ترى الى قوله قل فمن يملك لكم من الله من شيء ولكن المراد استثناء
جملة قوله لابيه والقصد الى موعد الاستغفار له وما بعده تابع له كانه قال لاستغفرن لك وما
في طاقتي الا الاستغفار ربنا عليك توكلنا متصل بما قبل الاستثناء وهو من جملة الاسوة
الحسنة وقيل معناه قولوا ربنا فهو ابتداء امر من الله للمؤمنين بان يقولوا واليك انبنا اقبلنا
واليك المصير المرجع ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا اي لا يسلطهم علينا فيفتنونا بعذاب
واغفر لنا ربنا انك انت العزيز الحكيم اي الغالب الحاكم لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة لمن كان

يرجو الله واليوم الاخر ثم كرر الحث على الابتداء بابراهيم عليه السلام وقومه تقريرا وتاكيدا
عليهم ولذا جاء به مصدرا بالقسم لانه الغاية في التاكيد وابدل عن قوله لكم قوله لمن كان يرجو
الله اي ثوابه او يخشى الله وعقابه بقوله ومن يتول عن امرنا ووالى الكفار فان الله هو
الغني عن الخلق الحميد المستحق للحمد فلم يترك نوعا من التاكيد الا جاء به ولما نزلت هذه
الايات وتشدد المؤمنون في عداوة ابائهم وابنائهم وجميع اقربائهم من المشركين اطمعهم
في تحول الحال الى خلافه فقال عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم من اهل
مكة من اقربائكم مودة بان يوفقهم للايمان فلما تيسر فتح مكة اظفرهم الله تعالى بامنيتهم
فاسلم قومهم وتم بينهم التحاب وعسى وعد من الله على عادات الملوك حيث يقولون
في بعض الحوائج عسى او لعل فلا يبقى شبهة للمحتاج في تمام ذلك او اريد به اطماع المؤمنين
والله قدير على تقليب القلوب وتحويل الاحوال وتسهيل اسباب المودة والله غفور
رحيم لمن اسلم من المشركين لا ينهيكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم
من دياركم ان تبروهم تكرموهم وتحسنوا اليهم قولا وفعلا ومحل ان تبروهم جر على
البدل من الذين لم يقاتلوكم وهو بدل اشتمال والتقدير عن بر الذين وتقسطوا اليهم
وتقضوا اليهم بالقسط ولا تظلموهم واذا نهى عن الظلم في حق المشركين فكيف في حق المسلم ان
الله يحب المقسطين انما ينهيكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم و
ظاهروا على اخراجكم ان تولوهم هو بدل من الذين قاتلوكم والمعنى لا ينهيكم عن مبرة هؤلاء
وانما ينهيكم عن تولي هؤلاء ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون حيث وضعوا التولي غير
موضعه يا ايها الذين امنوا اذا جاءكم المؤمنات سماهن مؤمنات لنطقهن بكلمة الشهادة
او لانهن مشارفات لثبات ايمانهن بالامتحان مهاجرات نصب على الحال فامتحنوهن
فابتلوهن بالنظر في الامارات ليغلب على ظنونكم صدق ايمانهن وعن ابن عباس رض امتحانها
ان تقول اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله الله اعلم بايمانهن منكم فانكم وان
رزتم احوالهن لا تعلمون ذلك حقيقة وعند الله تعالى حقيقة العلم به فان علمتموهن مؤمنات
العلم الذي يبلغه طاقتكم وهو الظن الغالب بظهور الامارات وتسمية الظن علما يؤذن بان

الظن الغالب ماينقضي اليه القياس جار مجرى العلم وصاحبه غير داخل في قوله ولا تقف ما ليس
لك به علم فلا ترجعوهن الى الكفار فلا تردوهن الى ازواجهن المشركين لا هن حل لهم ولا هم
يحلون لهن اى لا حل بين المؤمنة والمشرك لوقوع الفرقة بينهما بخروجها مسلمة وآتوهم ما
انفقوا واعطوا ازواجهن مثل ما دفعوا اليهن من المهور ونزلت الاية بعد صلح الحديبية
وكان الصلح قد وقع على ان يرد على اهل مكة ومن جاء مؤمنا منهم فانزل الله هذه الاية
بيانا ان ذلك في الرجال لا في النساء لان المسلمة لا تحل للكافر وقيل نسخت هذه الاية الحكم الاول
ولا جناح عليكم ان تنكحوهن ثم نفى عنهم الجناح في تزوج هؤلاء المهاجرات اذا آتيتموهن
اجورهن اى مهورهن لان المهر اجر البضع وبه احتج ابو حنيفة رض على ان لا عدة على المهاجرة
ولا تمسكوا ولا تمسكوا بصري بعصم الكوافر العصمة ما يعتصم به من عقد ونسب والكوافر جمع
كافرة وهي التي بقيت في دار الحرب او لحقت مرتدة اى لا تكن بينكم وبينهن عصمة ولا علقة
زوجية قال ابن عباس رض من كانت له امراة كافرة بمكة فلا يعقدن بها من نسائه لان
اختلاف الدارين قطع عصمتها منه واسألوا ما انفقتم من مهور نسائكم اللاحقات
بالكفار ممن تزوجها وليسألوا ما انفقوا من مهور نسائهم المهاجرات ممن تزوجها منا
ذلكم حكم الله اى جميع ما ذكر في هذه الاية يحكم بينكم كلام مستأنف او حال من حكم الله على حذف
الضمير اى يحكمه الله او جعل الله الحكم حاكما على المبالغة وهو منسوخ فلم يبق سؤال المهر
لا منا ولا منهم والله عليم حكيم وان فاتكم شئ من ازواجكم الى الكفار وان انفلت احد منهن
الى الكفار وهو في قراءة ابن مسعود رض احد فعاقبتم فاصبتموهم في القتال بعقوبة
حتى غنمتم عن الزجاج فآتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا فاعطوا المسلمين
الذين ارتدت زوجاتهم ولحقن بدار الحرب مهور زوجاتهم من هذه الغنيمة واتقوا الله
الذي انتم به مؤمنون وقيل هذا الحكم منسوخ ايضا يا ايها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك
هو حال على ان لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن يريد وأد البنات
ولا يأتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن كانت المرأة تلتقط المولود فتقول لزوجها
هذا ولدي منك كنى بالبهتان المفترى بين يديها ورجليها عن الولد الذي تلصقه بزوجها كذبا لان

بطنها

بطنها الذي تحمله فيه بين اليدين وفرجها الذي تلده به بين الرجلين ولا يعصينك في معروف
طاعة الله ورسوله فبايعهن واستغفر لهن الله عن ما مضى ان الله غفور يمحو ما سلف رحيم
بتوفيق ما يستأنف روى ان رسول الله صلى الله عليه لما فرغ يوم فتح مكة من بيعة الرجال اخذ
في بيعة النساء وهو على الصفا وعمر قاعد اسفل منه يبايعهن عنه بامره ويبلغهن عنه وهند بنت
عتبة امراة ابي سفيان مقنعة متنكرة خوفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعرفها لما
صنعت بحمزة فقال عليه الصلوة والسلام ولا يسرقن فقالت هند ان ابا سفيان رجل شحيح و
اني اصبت من ماله هنات اى شئ حقير فقال ابو سفيان ما اصبت فهو لك حلال فضحك
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفها فقال لها وانك لهند قالت نعم فاعف عما سلف يا
نبي الله عفا الله عنك فقال ولا يزنين فقالت او تزني الحرة فضحك عمر ولو كانت نساء
العرب على قلب هند ما زنت امراة منهن قط فقال ولا يقتلن اولادهن فقالت ربيناهم
صغارا وقتلتهم كبارا فانتم وهم اعلم وكان ابنها حنظلة قد قتل يوم بدر فضحك عمر حتى
استلقى وتبسم رسول الله فقال ولا يأتين ببهتان فقالت والله ان البهتان لامر قبيح وما
تامرنا الا بالرشد ومكارم الاخلاق فقال ولا يعصينك في معروف فقالت والله ما جلسنا
مجلسنا هذا وفي انفسنا ان نعصيك في شئ وهو يشير الى ان طاعة الولاة لا تجب في المنكر
يا ايها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم ختم السورة بما بدأ بها قيل هم المشركون
قد يئسوا من الاخرة من ثوابها لانهم ينكرون البعث كما يئس الكفار اى كما يئسوا الا انه وضع
الظاهر موضع المضمر من اصحاب القبور ان يرجعوا اليهم او كما يئس اسلافهم الذين هم في القبور
من الاخرة اى هؤلاء كسلفهم وقيل هم اليهود اى لا تتولوا قوما غضب الله مغضوبا عليهم
قد يئسوا من ان يكون لهم حظ في الاخرة لعنادهم رسول الله وهم يعلمون انه الرسول المنعوت
في التورية كما يئس الكفار من موتاهم ان يبعثوا ويرجعوا احياء وقيل من اصحاب بيان الكفار
اى كما يئس الكفار الذين قبروا من خير الاخرة لانهم تيقنوا قبح حالهم وسوء منقلبهم

سورة الصف مدنية وعند الجمهور مكية وعن الحسن وهي اربع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما في السموات وما في الارض

وهو العزيز الحكيم روى انهم قالوا قبل ان يؤمروا بالجهاد فتبطا بعضهم فنزلت يا ايها الذين
امنوا لم تقولون ما لا تفعلون لم هي لام الاضافة داخلة على ما الاستفهامية كما دخلت عليها غيرها
من حروف الجر في قولك بم وفيم وعم ومم وعلام والى م وانما حذفت الالف لان ما واللام او غيرها
كشيء واحد وهو كثير الاستعمال في كلامهم للمستفهم وقد جاء الاستعمال الاصل قليلا قال على ما
يشتمني جرير والوقف على زيادة هاء السكت او الاسكان ومن اسكن في الاصل فلاجرائه مجرى
الوقف كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون قصد في كبر التعجب من غير لفظه كقوله
غلت ناب كليب بواءها ومعنى التعجب تعظيم الامر في قلوب السامعين لان التعجب لا يكون
الا من شيء خارج عن نظايره واسند الى ان تقولوا ونصب مقتا على التميز وفيه دلالة على ان
قولهم ما لا تفعلون مقت خالص لا شوب فيه والمعنى كبر قولكم ما لا تفعلون مقتا عند الله
واختير لفظ المقت لانه اشد البغض وعن بعض السلف انه قيل له حدثنا فقال اتامرني ان اقول
ما لا افعل فاستعجل مقت الله ثم اعلم الله عز وجل ما يحبه فقال ان الله يحب الذين
يقاتلون في سبيله صفا اي صافين انفسهم مصدر وقع موقع الحال كانهم بنيان مرصوص
لاصق بعضه ببعض وقيل اريد به استواء نياتهم في حرب عدوهم حتى يكونوا في اجتماع الكلمة
كالبنيان رص بعضه الى بعض وهو حال ايضا واذ منصوب باذكر قال موسى لقومه يا قوم
لم تؤذونني بجحود الايات والقذف بالبرص وقد تعلمون في موضع الحال اي تؤذونني
عالمين علما يقينا اني رسول الله اليكم وقضية علمكم بذلك توقيري وتعظيمي لا ان تؤذوني
فلما زاغوا مالوا عن الحق ازاغ الله قلوبهم من الهداية او لما تركوا اوامره نزع نور الايمان
عن قلوبهم او فلما اختاروا الزيغ ازاغ الله قلوبهم اي خذلهم وحرمهم توفيق اتباع الحق والله
لا يهدي القوم الفاسقين اي لا يهدي من سبق في علمه انه فاسق واذ قال عيسى ابن مريم يا بني اسرائيل
ولم يقل يا قوم كما قال موسى لانه لا نسب له فيهم فيكونوا قومه اني رسول الله اليكم مصدقا لما
بين يدي من التورية ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه احمد اي ارسلت اليكم في حال تصديقي
ما تقدمني من التورية وفي حال بشارتي برسول ياتي من بعدي يعني ان ديني التصديق بكتب الله وانبيائه
جميعا ممن تقدم وتاخر بعدي حجازي وابو عمرو وابو بكر وهو اختيار الخليل وسيبويه وانتصب

مصدقا

مصدقا ومبشرا بما في الرسول من معنى الارسال فلما جاءهم عيسى او محمد عليهما السلام بالبينات
بالمعجزات قالوا هذا سحر مبين ساحر حمزة وعلي ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى
الى الاسلام والله لا يهدي القوم الظالمين واي الناس اشد ظلما ممن يدعوه ربه على لسان نبيه
الى الاسلام الذي له فيه سعادة الدارين فيجعل مكان اجابته اليه افتراء الكذب على الله بقوله
لكلامه الذي هو دعاء عباده الى الحق هذا سحر والسحر كذب وتمويه يريدون ليطفئوا نور الله
بافواههم هذا تهكم بهم في ارادتهم ابطال الاسلام بقولهم في القرآن هذا سحر مثلت حالهم بحال
من ينفخ في نور الشمس بفيه ليطفئه والمفعول محذوف واللام للتعليل والتقدير يريدون
الكذب ليطفئوا نور الله بافواههم اي بكلامهم والله متم نوره مكي وحمزة وعلي وحفص متم
نوره غيرهم اي متم الحق ومبلغه غايته ولو كره الكافرون هو الذي ارسل رسوله بالهدى
ودين الحق اي الملة الحنيفية ليظهره ليغلبه على الدين كله على جميع الاديان المخالفة له و
لعمري لقد فعل فما بقي دين من الاديان الا وهو مغلوب مقهور بدين الاسلام وعن مجاهد
اذا نزل عيسى لم يكن في الارض الا دين الاسلام ولو كره المشركون يا ايها الذين امنوا هل ادلكم
على تجارة تنجيكم من عذاب اليم تنجيكم شامي تؤمنون استيناف كانهم قالوا كيف نعمل فقال
تؤمنون وهو بمعنى امنوا عند سيبويه ولهذا اجيب بقوله يغفر لكم ويدل عليه قراءة
ابن مسعود رض امنوا بالله ورسوله وجاهدوا وانما جيء به على لفظ الخبر للايذان بوجوب
الامتثال وكانه امتثل فهو يخبر عن ايمان وجهاد موجودين بالله ورسوله وتجاهدون
في سبيل الله باموالكم وانفسكم ذلكم اي ما ذكر من الايمان والجهاد خير لكم من اموالكم وانفسكم
ان كنتم تعلمون انه خير لكم كان خيرا لكم ح لانكم اذا علمتم ذلك واعتقدتموه احببتم الايمان
والجهاد فوق ما تحبون انفسكم واموالكم فتخلصون وتفلحون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات
تجري من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن اي اقامة وخلود يقال عدن بالمكان
اذا اقام به كذا قيل ذلك الفوز العظيم واخرى تحبونها ولكم الى هذه النعمة المذكورة من
المغفرة والثواب في الآجلة نعمة اخرى عاجلة محبوبة ثم فسرها بقوله نصر من الله وفتح قريب
اي عاجل وهو فتح مكة والنصر على قريش او فتح فارس والروم وفي تحبونها شيء من التوبيخ

على مجتبرا العاجل وقال صاحب الكشف معناه هل ادلكم على تجارة اخرى تحبونها ثم قال نصر اى
هى نصر وبشر المؤمنين عطف على تؤمنون لانه فى معنى الامر كانه قيل آمنوا وجاهدوا يثبكم
الله وينصركم وبشر يا رسول الله المؤمنين بذلك وقيل هو عطف على قل مراد اقبل ياءيها
الذين امنوا اهل ادلكم ياءيها الذين امنوا كونوا انصار الله اى انصار دينه انصار الله حجازى
وابو بكر كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من انصارى الى الله ظاهره تشبيه كونهم انصارا بقول
عيسى حين قال لهم من انصارى الى الله ومعناه من جندى متوجها الى نصرة الله ليطابق جواب
الحواريين وهو قوله قال الحواريون نحن انصار الله اى نحن الذين ينصرون الله ومعنى من
انصارى من الانصار الذين يختصون بى ويكونون معى فى نصرة الله والحواريون اصفياؤه
وهم اول من آمن به وكانوا اثنى عشر رجلا وحوارى الرجل صفيه وخالصته من الحور وهو
البياض الخالص وكانوا قصارين يحورون الثياب اى يبيضونها فامنت طائفة من بنى
اسرائيل بعيسى وكفرت طائفة فايدنا الذين آمنوا على عدوهم فقوينا به مومنيهم على كافرهم
فاصبحوا ظاهرين فغلبوا عليهم سورة الجمعة مدنية او مكية وهى احدى عشر آية
بسم الله الرحمن الرحيم يسبح لله ما فى السموات وما فى الارض
الملك القدوس العزيز الحكيم التسبيح اما ان يكون تسبيح خلقه يعنى اذا نظرت الى كل شئ دلتك
خلقته على وحدانية الله تعالى وتنزهه عن الاشباه او تسبيح معرفة بان يجعل الله بلطفه فى
كل شئ ما يعرف به الله تعالى وينزهه الا ترى الى قوله وان من شئ الا يسبح بحمده ولكن
لا تفقهون تسبيحهم او تسبيح ضرورة بان يجرى الله تعالى التسبيح على كل جوهر من غير معرفة
له بذلك هو الذى بعث ارسل فى الاميين رسولا منهم اى بعث رجلا اميا فى قوم اميين
وقيل منهم كقوله من انفسكم تعلمون نسبه واحواله والامى منسوب الى امة العرب لانهم
كانوا لا يكتبون ولا يقرؤن من بين الامم وقيل بدات الكتابة بالطائف وهم اخذوها
من اهل الحيرة واهل الحيرة من اهل الانبار يتلوا عليهم اياته القرآن ويزكيهم ويطهرهم
من الشرك وخبائث الجاهلية ويعلمهم الكتاب القرآن والحكمة السنة او الفقه فى الدين
وان كانوا من قبل من قبل محمد عليه الصلوة والسلام لفى ضلال مبين كفر وجهالة ان مخففة من

الثقيلة

الثقيلة واللام دليل عليها اى كانوا فى ضلال لا ترى ضلالا اعظم منه وآخرين منهم مجرور معطوف
على الاميين يعنى انه بعثه فى الاميين الذين على عهده وفى آخرين من الاميين لما يلحقوا بهم اى لم
يلحقوا بهم بعد وسيلحقون بهم وهم الذين بعد الصحابة رضـ او هم الذين ياتون من بعدهم الى
يوم الدين وقيل هم العجم او منصوب معطوف على المنصوب فى ويعلمهم اى ويعلمهم ويعلم آخرين
لان التعليم اذا تناسق الى آخر الزمان كان كله مستندا الى اوله فكانه هو الذى تولى كل ما وجد
منه وهو العزيز الحكيم فى تمكينه رجلا اميا من ذلك الامر العظيم وتاييده عليه واختياره
اياه من بين كافة البشر ذلك الفضل الذى اعطاه محمدا وهو ان يكون نبى ابناء عصره ونبى
ابناء العصور الغوابر هو فضل الله يؤتيه من يشاء اعطاءه وتقتضيه حكمته والله ذو الفضل
العظيم مثل الذين حملوا التورية كلفوا علمها والعمل بما فيها ثم لم يحملوها ثم لم يعملوا بها فكانهم
لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا جمع سفر وهو الكتاب الكبير ويحمل فى محل النصب على الحال
او الجر على الوصف لان الحمار كاللئيم فى قوله ولقد امر على اللئيم يسبنى شبه اليهود فى انهم حملوا
التورية وقراءها وحفظوها فيها ثم لم يعملوا بها ولم ينتفعوا باياتها وذلك ان فيها نعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم والبشارة به فلم يؤمنوا به بالحمار حمل كتبا كبارا من كتب العلم
فهو يمشى بها ولا يدرى منها الا ما يمر بجنبيه وظهره من الكد والتعب وكل من علم ولم يعمل
بعلمه فهذا مثله بئس مثل القوم الذين كذبوا بايات الله بئس مثل القوم الذين كذبوا
بايات الله او بئس مثل القوم المكذبين مثلهم وهم اليهود والذين كذبوا بايات الله الدالة
على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والله لا يهدى القوم الظالمين اى وقت اختيارهم
الظلم ولا يهدى من سبق فى علمه ان يكون ظالما قل ياءيها الذين هادوا هادوا تهودوا اذ الهود
ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين كانوا يقولون نحن
ابناء الله واحباؤه اى ان كان قولكم حقا وكنتم على ثقة فتمنوا على الله ان يميتكم وينقلكم
سريعا الى دار كرامته التى اعدها لاوليائه ثم قال ولا يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم اى بسبب
ما قدموا من الكفر ولا فرق بين لا ولن فى ان كل واحد منهما نفى للمستقبل الا ان فى لن تاكيدا
وتشديدا ليس فى لا فاتى مرة بلفظ التاكيد ولن يتمنوه ومرة بغير لفظه ولا يتمنونه والله عليم

بالظالمين وعيد لهم قل ان الموت الذى تفرون منه ولا تجترون ان تتمنوه خيفة ان تؤخذوا بوبال
كفركم فانه ملاقيكم لا محالة والجملة خبر ان ودخلت الفاء لتضمن الذى معنى الشرط ثم تردون الى عالم
الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون فيجازيكم بما انتم اهله من العقاب يا ايها الذين امنوا
اذا نودى للصلوة من يوم الجمعة النداء الاذان ومن بيان لاذا وتفسير له ويوم الجمعة سيد الايام
وفى الحديث من مات يوم الجمعة كتب الله له اجر شهيد ووقى فتنة القبر فاسعوا فامضوا وقرى
بها وقال الفراء السعى والمضى والذهاب واحد وليس المراد به السرعة فى المشى الى ذكر الله الى الخطبة
عند الجمهور وبه استدل ابو حنيفة رض على ان الخطبة اذا اقتصر على الحمد لله جاز وذروا البيع اراد
الامر بترك ما يذهل عن ذكر الله من شواغل الدنيا وانما خص البيع من بينها لان يوم الجمعة يتكاثل
فيه البيع والشراء عند الزوال فقيل لهم بادروا تجارة الاخرة واتركوا تجارة الدنيا واسعوا
الى ذكر الله الذى لا شئ انفع منه واربح وذروا البيع الذى نفعه يسير ذلكم اى السعى الى ذكر الله خير
لكم من البيع الشراء ان كنتم تعلمون فاذا قضيت الصلوة اى اديت فانتشروا فى الارض امر اباحة وابتغوا
من فضل الله الرزق او طلب العلم او عيادة المريض او زيارة اخ فى الله واذكروا الله كثيرا او
اشكروه على ما وفقكم الله لاداء فرضه لعلكم تفلحون واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها تفرقوا
عنك اليها وتقديره واذا راوا تجارة انفضوا اليها ولهوا انفضوا اليه فحذف احدهما لدلالة
المذكور عليه وانما خص التجارة لانها كانت اهم عندهم وروى ان اهل المدينة اصابهم جوع وغلاء
فقدم دحية بن خليفة بتجارة من زيت الشام والنبى عليه الصلوة والسلام يخطب يوم الجمعة فقاموا
اليه فما بقى معه الا ثمانية او اثنا عشر فقال عليه الصلوة والسلام والذى نفس محمد بيده لو خرجوا
جميعا لاضرم الله عليهم الوادى نارا وكانوا اذا اقبلت العير استقبلوها بالطبل والتصفيق
فهو المراد باللهو وتركوك على المنبر قائما تخطب وفيه دليل على ان الخطيب ينبغى ان يخطب قائما
قل ما عند الله من الثواب خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين اى لا يفوتهم رزق الله
بترك البيع فهو خير الرازقين

سورة المنافقين مدنية وهى احدى عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم

اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله اراد بالشهادة واطاة فيها قلوبهم السنتهم
والله يعلم انك لرسوله اى والله يعلم ان الامر كما يدل عليه قولهم انك لرسول الله والله يشهد ان

المنافقين لكاذبون فى ادعاء المواطاة او انهم لكاذبون فيه لانه اذا خلا عن المواطاة لم يكن شهادة
فى الحقيقة فهم كاذبون فى تسمية شهادة او انهم لكاذبون عند انفسهم لانهم كانوا يعتقدون ان
قولهم انك لرسول الله كذب وخبر على خلاف ما عليه حال المخبر عنه اتخذوا ايمانهم جنة وقاية
من السبى والقتل وفيه دليل على ان اشهد يمين فصدوا الناس عن سبيل الله عن الاسلام بالتنفير
والقاء الشبه انهم ساء ما كانوا يعملون من نفاقهم وصدهم الناس عن سبيل الله وفى ساء معنى
التعجب الذى هو تعظيم امرهم عند السامعين ذلك اشارة الى قوله ساء ما كانوا يعملون اى ذلك
القول الشاهد عليهم بانهم اسوء الناس اعمالا بانهم بسبب انهم امنوا ثم كفروا او الى ما وصف من
حالهم فى النفاق والكذب والاستجنان بالايمان اى ذلك كله بسبب انهم امنوا اى نطقوا بكلمة الشهادة
وفعلوا كما يفعل من يدخل فى الاسلام ثم كفروا ثم ظهر كفرهم بعد ذلك بقولهم ان كان ما يقوله
محمد حقا فنحن حمير او نحو ذلك او نطقوا بالايمان عند المومنين ثم نطقوا بالكفر عند شياطينهم
استهزاء بالاسلام كقوله واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا الاية فطبع على قلوبهم ختم عليها
حتى لا يدخلها الايمان جزاء على نفاقهم فهم لا يفقهون لا يتدبرون او لا يفرقون صحة الايمان و
الخطاب فى واذا رايتهم تعجبك اجسامهم لرسول الله او لكل من يخاطب وان يقولوا تسمع لقولهم
كان ابن ابى رجلا جسيما صبيحا فصيحا وقوم من المنافقين فى مثل صفته فكانوا يحضرون مجلس
النبى صلى الله عليه وسلم فيستندون فيه ولهم جهارة المناظر وفصاحة الالسن وكان النبى صلى الله
عليه وسلم ومن حضر يعجبون بهياكلهم ويسمعون الى كلامهم وموضع كانهم خشب رفع على هم كانهم
خشب او هو كلام مستانف لا محل له مسندة الى الحائط شبهوا فى استنادهم وما هم الا اجرام خالية
من الايمان والخير بالخشب المسندة الى الحائط لان الخشب اذا انتفع به كان فى سقف او جدار او
غيرهما من مظان الانتفاع وما دام متروكا وغير منتفع به اسند الى الحائط فشبهوا به فى عدم
الانتفاع او لانهم اشباح بلا ارواح او اجسام بلا احلام خشب ابو عمرو وغير عباس وعلى جمع خشبة
كبدنة وبدن وخشب كثمرة وثمر يحسبون كل صيحة عليهم كل صيحة مفعول اول والمفعول الثانى عليهم وتم
الكلام اى يحسبون كل صيحة واقعة عليهم وضارة لهم لخبثهم ورعبهم يعنى اذا نادى مناد فى العسكر
او انفلتت دابة او انشدت ضالة ظنوه ايقاعا بهم ثم قال هم العدو اى هم الكاملون فى العداوة لان

اعدى الاعداء العدو المداجي الذي يكاثرك وتحت ضلوعه الداء الداوي فاحذرهم تغتر بظاهرهم
قاتلهم الله دعاء عليهم او تعليم للمومنين ان يدعوا عليهم بذلك انى يوفكون كيف يصرفون عن
الحق تعجبا من جهلهم وضلالتهم واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم
عطفوها واما لوها اعراضا عن ذلك واستكبارا لووا بالتخفيف نافع ورايتهم يصدون
يعرضون وهم مستكبرون عن الاعتذار والاستغفار روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين
لقي بني المصطلق على المريسيع وهو ماء لهم وهزمهم وقتلهم ازدحم على الماء جهجاه بن سعيد اجير
لعمر وسنان الجهني حليف لابن ابي واقتتلا فصرخ جهجاه يا للمهاجرين وسنان يا للانصار فاعان
جهجاها جعال من فقراء المهاجرين ولطم سنانا فقال عبد الله لجعال وانت هناك وقال ما صحبنا
محمدا الا لنلطم والله ما مثلنا ومثلهم الا كما قال سمن كلبك ياكلك اما والله لئن رجعنا الى المدينة
ليخرجن الاعز منها الاذل عنى بالاعز نفسه وبالاذل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال لقومه والله
لو امسكتم عن جعال وذويه فضل الطعام لم يركبوا رقابكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول
محمد عليه الصلوة والسلام فسمع بذلك زيد بن ارقم وهو حدث فقال انت والله الذليل القليل
المبغض في قومك ومحمد في عز من الرحمن وقوة من المسلمين فقال عبد الله اسكت فانما كنت العب
فاخبر زيد رسول الله فقال عمر رضي الله عنه دعني اضرب عنق هذا المنافق يا رسول الله فقال اذن ترعد انف
كثيرة بيثرب فقال فان كرهت ان يقتله مهاجري فامر به انصاريا قال فكيف اذا تحدث الناس
ان محمدا يقتل اصحابه وقال عليه السلام لعبد الله انت صاحب الكلام الذي بلغني قال والله الذي
انزل عليك الكتاب ما قلت شيئا من ذلك وان زيدا الكاذب فهو قوله تعالى اتخذوا ايمانهم جنة
فقال الحاضرون يا رسول الله شيخنا وكبيرنا لا تصدق عليه كلام غلام عسى ان يكون قد وهم فلما
نزلت قال رسول الله لزيد يا غلام ان الله قد صدقك وكذب المنافقون فلما بان كذب عبد الله
قيل له قد نزلت فيك اي شداد فاذهب الى رسول الله يستغفر لك فلوى راسه فانزل و
اذا قيل لهم تعالوا ولم يلبث الا اياما حتى اشتكى ومات سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم
لن يغفر الله لهم اي ما داموا على النفاق والمعنى سواء عليهم الاستغفار وعدمه لانهم لا يلتفتون
اليه ولا يعتدون به لكفرهم او لان الله تعالى لا يغفر لهم وقرئ استغفرت على حذف حرف الاستفهام

خبجا،

لان ام المعادلة تدل عليه ان الله لا يهدي القوم الفاسقين هم الذين يقولون لا تنفقوا على من
عند رسول الله حتى ينفضوا يتفرقوا ولله خزائن السموات والارض اي وله الارزاق و
النعيم فهو رازقهم منها وان ابى اهل المدينة ان ينفقوا عليهم ولكن المنافقين لا يفقهون
ولكن عبد الله واضرابه جاهلون لا يفقهون ذلك فيهذون بما يزين لهم الشيطان يقولون
لئن رجعنا من غزوة بني المصطلق الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ولله العزة الغلبة و
القوة ولرسوله وللمؤمنين ولمن اعزه الله وايده من رسوله ومن المومنين وهم الاخصاء
بذلك كما ان الذلة والهوان للشيطان وذويه من الكافرين والمنافقين وعن بعض الصالحات
وكانت في هيئة رثة فقيل لها في ذلك فقالت الست على الاسلام وهو العز الذي لا ذل معه
والغنى الذي لا فقر معه وعن الحسن بن علي رضي الله عنه ان رجلا قال له ان الناس يزعمون ان فيك
تيها قال ليس بتيه ولكنه عزة وتلا هذه الاية ولكن المنافقين لا يعلمون يا ايها الذين امنوا لا
تلهكم لا تشغلكم اموالكم هو التصرف فيها والسعي في تدبير امرها بالنماء وطلب النتائج ولا
اولادكم وسروركم بهم وشفقتكم عليهم والقيام بمؤنهم عن ذكر الله اي عن الصلوة او عن القرآن
ومن يفعل ذلك يريد الشغل بالدنيا من الدين وقيل من يشتغل بتثمير امواله عن تدبير احواله
ومرضات او لانه من صلاح معاده فاولئك هم الخاسرون في تجارتهم حيث باعوا الباقي
بالفاني وانفقوا مما رزقناكم من للتبعيض والمراد بالانفاق الواجب من قبل ان ياتي
احدكم الموت اي من قبل ان يرى دلائل الموت ويعاين ما ييأس معه من الامهال ويتعذر
عليه الانفاق فيقول رب لولا اخرتني هلا اخرت موتي الى اجل قريب الى زمان قليل فاصدق
فاتصدق وهو جواب لولا واكن من الصالحين اي المؤمنين والاية في المومنين وقيل في
المنافقين واكون ابو عمرو بالنصب عطفا على اللفظ والجزم على موضع فاصدق كانه قيل ان
اخرتني اصدق واكن ولن يؤخر الله نفسا عن الموت اذا جاء اجلها المكتوب في اللوح المحفوظ
والله خبير بما تعملون يعملون حماد ويحيى والمعنى انكم اذا علمتم ان تاخير الموت عن وقته
مما لا سبيل اليه وانه هاجم لا محالة وان الله عليم باعمالكم فمجازيكم عليها من منع واجب وغيره
لم يبق الا المسارعة الى الخروج عن عهدة الواجبات والاستعداد للقاء الله تعالى والله اعلم

سورة التغابن مختلف فيها وهي ثمان عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم

يسبح لله ما في السموات وما في الارض له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير قدم ظرفان
ليدل بتقديمهما على اختصاص الملك والحمد لله عز وجل وذلك لان الملك على الحقيقة لانه مبدئ
كل شيء والقائم به وكذا الحمد لان اصول النعم وفروعها منه واما ملك غيره فتسليط منه
واسترعاء وحمد غيره اعتداد بان نعمة الله جرت على يديه هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن
اى فمنكم آت بالكفر وفاعل له ومنكم آت بالايمان وفاعل له ويدل عليه قوله والله بما تعملون بصير
اى عالم وبصير بكفركم وايمانكم الذين هما من عملكم والمعنى هو الذى تفضل عليكم باصل النعم الذى
الخلق والايجاد عن العدم فكان يجب ان تكونوا باجمعكم شاكرين فما بالكم تفرقتم امما فمنكم كافر
ومنكم مؤمن وقدم الكفر لانه اغلب عليهم والاكثر فيهم وهو رد لقول من يقول بالمنزلة بين
المنزلتين وقيل هو الذى خلقكم فمنكم كافر بالخلق وهم الدهرية ومنكم مؤمن بانه خلق السموات
والارض بالحق اى بالحكمة البالغة وهو ان جعلها مقار المكلفين ليعملوا فيجازيهم وصوركم
فاحسن صوركم اى جعلكم احسن الحيوان كله بدليل ان الانسان لا يتمنى ان يكون صورته على
خلاف ما يرى من سائر الصور ومن احسن صورته انه خلق منتصبا غير منكب ومن كان دميما
مشوه الصورة سمج الخلقة فلا سماجة ثمه ولكن الحسن على طبقات فلانحطاطها عما فوقها لا
تستملح ولكنها غير خارجة عن حد الحسن وقالت الحكماء شيئان لا غاية لهما الجمال والبيان واليه
المصير واحسنوا سرائركم كما احسن صوركم يعلم ما في السموات والارض ويعلم ما تسرون وما
تعلنون والله عليم بذات الصدور نبه بعلمه ما في السموات والارض ثم بعلمه ما يسره العباد
ويعلنونه ثم بعلمه بذات الصدور ان شيئا من الكليات والجزئيات غير خاف عليه فحقه ان يتقى
ويحذر ولا يجسر على شيء مما يخالف رضاه وتكرير العلم في معنى تكرير الوعيد وكل ما ذكره بعد قوله
فمنكم كافر ومنكم مؤمن في معنى الوعيد على الكفر وانكار ان يعصى الخالق ولا يشكر نعمته الم ياتكم
الخطاب لكفار مكة نبؤا الذين كفروا من قبل يعنى قوم نوح وهود وصالح ولوط فذاقوا وبال امرهم
كفرهم في الدنيا ولهم عذاب اليم في العقبى ذلك اشارة الى ما ذكر من الوبال الذى ذاقوه في الدنيا
وما اعد لهم من العذاب في الآخرة بانه بان الشان والحديث كانت تاتيهم رسلهم بالبينات

اى فذاقوا وبال

بالمعجزات

بالمعجزات فقالوا ابشر يهدوننا انكروا الرسالة للبشر ولم ينكروا العبادة للحجر فكفروا بالرسل وتولوا
عن الايمان واستغنى الله اطلق ليتناول كل شيء ومن جملته ايمانهم وطاعتهم والله غنى عن خلقه
حميد على صنعه زعم الذين كفروا اى اهل مكة والزعم ادعاء العلم ويتعدى تعدى العلم ان لن
يبعثوا ان مع ما في حيزه قائم مقام المفعولين وتقديره انهم لن يبعثوا ومنه قوله عليه الصلوة
والسلام زعموا مطية الكذب وعن شريح لكل شيء كنية وكنية الكذب زعم قل بلى هو اثبات لما بعد
ان وهو البعث وربى لتبعثن اكد الاخبار للمسلمين فان قلت ما معنى اليمين على شيء انكروه
قلت هو جائز لان التهدد به اعظم موقعا في القلب فكانه قيل لهم ما تنكرونه كائن لا محالة ثم لتنبؤن
بما عملتم وذلك اى البعث على الله يسير حين فامنوا بالله ورسوله محمد عليه الصلوة والسلام
والنور الذى انزلنا يعنى القرآن لانه يبين حقيقة كل شيء فيهتدى به كما بالنور والله بما
تعملون خبير فراقبوا امركم يوم يجمعكم انتصب الظرف بقوله لتنبؤن او باضمار اذكر
ليوم الجمع ليوم يجمع فيه الاولون والآخرون ذلك يوم التغابن هو مستعار من تغابن القوم
في التجارة وهو ان يغبن بعضهم بعضا لنزول الاشقياء التى كانوا ينزلونها لو كانوا سعداء
ونزول الاشقياء منازل السعداء التى كانوا ينزلونها لو كانوا اشقياء كما ورد في الحديث
ومعنى ذلك يوم التغابن وقد يتغابن الناس في غير ذلك اليوم استعظاما له وان تغابنه
هو التغابن في الحقيقة لا التغابن في امور الدنيا ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا صفة
للمصدر اى عملا صالحا يكفر عنه سيئاته ويدخله وبالنون فيهما مدنى وشامى جنات تجرى
من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك
اصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير ما اصاب من مصيبة شدة ومرض وموت
اهل او شيء يقتضى هما الا باذن الله بعلمه وتقديره ومشيته كانه اذن للمصيبة ان تصيبه
ومن يؤمن بالله يهد قلبه للاسترجاع عند المصيبة حتى يقول انا لله وانا اليه راجعون
او يشرحه للازدياد من الطاعة والخير او يهد قلبه حتى يعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطئه وما
اخطاءه لم يكن ليصيبه وعن مجاهد ان ابتلى صبر وان اعطى شكر وان ظلم غفر والله بكل شيء
عليم واطيعوا الله واطيعوا الرسول فان توليتم عن طاعة الله وطاعة رسوله فانما على

رسولنا البلاغ المبين اى فعليه التبليغ وقد فعل الله لا اله الا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون
بعث لرسول الله على التوكل عليه حتى ينصره على من كذبه وتولى عنه يا ايها الذين امنوا ان من
ازواجكم واولادكم عدوا لكم اى ان من الازواج ازواجا يعادين بعولتهن ويخاصمنهم ومن الاولاد
اولادا يعادون اباءهم ويعقونهم فاحذروهم الضمير للعدو او للازواج او للاولاد جميعا اى لما
علمتم ان هؤلاء لا يخلون من عدو فكونوا منهم على حذر ولا تامنوا غوائلهم وشرهم وان تعفوا
عنهم اذا اطلعتم منهم على عداوة ولم تقابلوهم بمثلها وتصفحوا تعرضوا عن التوبيخ وتغفروا
تستروا ذنوبهم فان الله غفور رحيم يغفر لكم ذنوبكم ويكفر عنكم قيل ان ناسا ارادوا الهجرة
عن مكة فثبطهم ازواجهم واولادهم وقالوا تنطلقون وتضيعوننا فرقوا لهم ووقفوا فلما هاجروا
بعد ذلك وراوا الذين سبقوهم قد فقهوا فى الدين ارادوا ان يعاقبوا ازواجهم واولادهم
فزين لهم العفو انما اموالكم واولادكم فتنة بلاء ومحنة لانهم يوقعون فى الاثم والعقوبة ولا
بلاء اعظم منهما والله عنده اجر عظيم اى فى الاخرة وذلك اعظم من منفعتكم باموالكم واولادكم
ولم يدخل فيه من كما فى العداوة لان الكل لا يخلو عن الفتنة وشغل القلب وقد يخلو بعضهم عن
العداوة فاتقوا الله ما استطعتم جهدكم ووسعكم قيل هو تفسير لقوله حق تقاته واسمعوا
ما توعظون به واطيعوا فيما تؤمرون به وتنهون عنه وانفقوا فى الوجوه التى وجبت عليكم
النفقة فيها خيرا لانفسكم اى انفاقا خيرا لانفسكم وقال الكسائى يكن الانفاق خيرا لانفسكم
والاصح ان تقديره ايتوا خيرا لانفسكم وافعلوا ما هو خير لها وهو تاكيد على الحث على امتثال
هذه الاوامر وبيان لان هذه الامور خير لانفسكم من الاموال والاولاد وما انتم عاكفون
عليه من حب الشهوات وزخارف الدنيا ومن يوق شح نفسه اى البخل بالزكوة والصدقة
الواجبة فاولئك هم المفلحون ان تقرضوا الله قرضا حسنا بنية واخلاص وذكر القرض
تلطف فى الاستدعاء يضاعفه لكم يكتب لكم بالواحدة عشرا وسبع مائة الى ما شاء من الزيادة
ويغفر لكم والله شكور يقبل القليل ويعطى الجزيل حليم يقبل الجليل من ذنب البخيل او يضعف
الصدقة لدافعها ولا يعجل العقوبة لمانعها عالم الغيب اى يعلم ما استتر من سرائر القلوب و
الشهادة اى ما انتشر من ظواهر الخطوب العزيز المعز باظهار الغيوب الحكيم فى الاخبار عن الغيوب

سورة الطلاق مدنية وهى اثنى عشر آية بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها النبى اذا طلقتم النساء خص النبى صلى الله عليه وسلم بالنداء وعم بالخطاب لان النبى امام امته
وقدوتهم كما تقول لرئيس القوم يا فلان افعلوا كذا اظهارا لتقدمه واعتبارا لترؤسه وانه مدرة
قومه فكان هو وحده فى حكم كلهم وسادا مسد جميعهم وقيل التقدير يا ايها النبى والمؤمنون و
معنى اذا طلقتم النساء اذا اردتم تطليقهن على تنزيل المقبل على الامر المشارف له منزلة الشارع
فيه لقوله عليه الصلوة والسلام من قتل قتيلا فله سلبه ومنه كان الماشى الى الصلوة والمنتظر لها
فى حكم المصلى فطلقوهن لعدتهن فطلقوهن مستقبلات لعدتهن وفى قراءة رسول الله صلى الله
عليه وسلم فى قبل عدتهن واذا طلقت المراة فى الطهر المتقدم للقراء الاول من اقرائها فقد طلقت
مستقبلة لعدتها والمراد ان يطلق المدخول بهن من المعتدات بالحيض فى طهر لم يجامعن فيه
ثم يخلين حتى تنقضى عدتهن وهذا احسن الطلاق واحصوا العدة واضبطوها بالحفظ و
اكملوها ثلثة اقراء مستقبلات كوامل لا نقصان فيهن وخوطب الازواج لغفلة النساء واتقوا
الله ربكم لا تخرجوهن حتى تنقضى عدتهن من بيوتهن من مساكنهن التى يسكنها قبل العدة وهى
بيوت الازواج واضيفت اليهن لاختصاصها بهن من حيث السكنى وفيه دليل على ان السكنى
واجب وان الحنث بدخول دار يسكنها فلان بغير ملك ثابت فيما اذا حلف لا يدخل داره
ومعنى الاخراج ان لا يخرجهن حال غضبا عليهن وكراهة لمساكنتهن او لحاجة لهم الى المساكن
ولا ياذنوا لهن فى الخروج اذا طلبن ذلك ايذانا بان اذنهم لا اثر له فى دفع الحظر ولا يخرجن
بانفسهن ان اردن ذلك الا ان ياتين بفاحشة مبينة قيل هى الزنا اى الا ان يزنين فيخرجن
لاقامة الحد عليهن وقيل خروجها قبل انقضاء العدة فاحشة فى نفسه وتلك حدود الله اى
الاحكام المذكورة ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه لا تدرى ايها المخاطب لعل الله يحدث
بعد ذلك امرا بان يقلب قلبه من بغضها الى محبتها ومن الرغبة عنها الى الرغبة فيها ومن عزيمة
الطلاق الى الندم فيه فيراجعها والمعنى فطلقوهن لعدتهن واحصوا العدة ولا تخرجوهن من
بيوتهن لعلكم تندمون فتراجعون فاذا بلغن اجلهن قاربن آخر العدة فامسكوهن بمعروف
او فارقوهن بمعروف اى فانتم بالخيار ان شئتم فالرجعة والامساك بالمعروف والاحسان

وان شئتم فترك الرجعة والمفارقة واتقاء الضرار وهوان تراجعها في آخر عدتها ثم يطلقها تطويلا
للعدة عليها وتعذيبا لها واشهدوا يعني عند الرجعة والفرقة جميعا وهذا الاشهاد مندوب
اليه لئلا يقع بينهما التجاحد ذوي عدل منكم من المسلمين واقيموا الشهادة لله لوجهه خالصا و
ذلك ان يقيموها لا للمشهود له ولا للمشهود عليه ولا لغرض من الاغراض سوى اقامة الحق
ودفع الظلم ذلكم اي الحث على اقامة الشهادة لوجه الله ولاجل القيام بالقسط يوعظ به من كان
يؤمن بالله واليوم الآخر اي انما ينتفع به هؤلاء ومن يتق الله يجعل له مخرجا هذه جملة اعتراضية
مؤكدة لما سبق من اجراء امر الطلاق على السنة والمعنى ومن يتق الله فطلق للسنة ولم يضار المعتدة
ولم يخرجها من مساكنها واحتاط فاشهد يجعل له مخرجا مما في شان الازواج من الغموم والوقوع
في المضايق وتفرج عنه ويعطه الخلاص ويرزقه من حيث لا يحتسب من وجه لا يخطر بباله ولا
يحتسبه ويجوز ان يجاء بها على سبيل الاستطراد عند ذكر قوله ذلكم يوعظ به اي ومن يتق الله يجعل
له مخرجا ومخلصا من غموم الدنيا والآخرة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قراءها فقال مخرجا من
شبهات الدنيا والآخرة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قراها قال مخرجا من غمرات الموت ومن
شدايد يوم القيمة وقال عليه الصلوة والسلام اني لاعلم اية لو اخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق الله
فما زال يقراءها ويعيدها وروي ان عوف ابن مالك الاشجعي اسر المشركون ابنا له فاتى رسول الله
فقال اسر ابني وشكى اليه الفاقة فقال ما امسى عند آل محمد الا مد فاتق الله واصبر واكثر من
قول لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فعاد الى بيته وقال لامراته ان رسول الله امرني واياك
ان نستكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله فقالت ما امرنا به فجعلا يقولان ذلك فبينا هو في
بيته اذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الابل تغفل عنها العدو فاستاقها فنزلت هذه الآية ومن
يتوكل على الله بكل امره اليه من طمع غيره وتدبير نفسه فهو حسبه كافية في الدارين ان الله بالغ
امره حفص اي منفذ امره وغيره بالغ امره اي يبلغ ما يريد لا يفوته مراد ولا يعجزه مطلوب قد
جعل الله لكل شيء قدرا تقديرا وتوقيتا وهذا بيان لوجوب التوكل على الله وتفويض الامر اليه
لانه اذا علم ان كل شيء من الرزق ونحوه لا يكون الا بتقديره وتوقيته لم يبق الا التسليم للقدر و
التوكل واللائي يئسن من المحيض من نسائكم روي ان ناسا قالوا قد عرفنا عدة ذوات الاقراء

فما عدة اللائي لم يحضن فنزلت ان ارتبتم ان اشكل عليكم حكمهن وجهلتم كيف يعتددن فعدتهن
ثلثة اشهر فهذا حكمهن وقيل ان ارتبتم في دم البالغات مبلغ الياس وقد قدروه بستين سنة
وبخمس وخمسين اهو دم حيض واستحاضة فعدتهن ثلثة اشهر واذا كانت هذه عدة المرتاب بها
فغير المرتاب بها اولى بذلك واللائي لم يحضن من الصغاير وتقديره واللائي لم يحضن فعدتهن
ثلثة اشهر فحذفت الجملة لدلالة المذكورة عليها واولات الاحمال اجلهن عدتهن ان يضعن
حملهن والنص يتناول المطلقات والمتوفى عنهن زوجهن وعلى علي رض وعباس رض عدة الحامل
المتوفى عنها زوجها ابعد الاجلين ومن يتق الله يجعل له من امره يسرا ييسر له من امره ويحلل من
عقده بسبب التقوى ذلك امر الله اي ما علم به من حكم هؤلاء المعتدات انزله اليكم من اللوح
المحفوظ ومن يتق الله في العمل بما انزل من هذه الاحكام وحافظ الحقوق الواجبة عليه يكفر
عنه سياته ويعظم له اجرا ثم بين التقوى في قوله ومن يتق الله كانه قيل كيف يعمل بالتقوى في
شان المعتدات فقيل اسكنوهن كذا وكذا من حيث سكنتم هي من التبعيضية بعضها محذوف
اي اسكنوهن مكانا من حيث سكنتم اي بعض مكان سكناكم من وجدكم هو عطف بيان لقوله
من حيث سكنتم وتفسير له كانه قيل اسكنوهن مكانا من مسكنكم مما تطيقونه والوجد الوسع
والطاقة وقرئ بالحركات الثلث والمشهور الضمة والنفقة والسكنى واجبتان لكل مطلقة
وعند مالك والشافعي رحمهما الله لا نفقة للمبتوتة لحديث فاطمة بنت قيس ان زوجها ابت
طلاقها فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم لا سكنى لك ولا نفقة وعن عمر رض لا ندع كتاب
ربنا وسنة نبينا لقول امراة لعلها نسيت او شبهت لها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لها
السكنى والنفقة ولا تضاروهن ولا تستعملوا معهن الضرار لتضيقوا عليهن في المسكن ببعض
الاسباب من انزال من لا يوافقهن او يشغل مكانهن او غير ذلك حتى تضطروهن الى الخروج
وان كن اي المطلقات اولات حمل ذوات الاحمال فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن وفائدة
اشتراط الحمل ان مدة الحمل ربما تطول فيظن ظان ان النفقة تسقط اذا مضى مقدار عدة
الحامل فنفى ذلك الوهم فان ارضعن لكم يعني هؤلاء المطلقات ان ارضعن لكم ولدا من غيرهن
او منهن بعد انقطاع عصمة الزوجية فآتوهن اجورهن فحكمهن في ذلك حكم الاظآر ولا يجوز

لها استيجار اذا كان الولد منهن مالم بين خلافا للشافعي رحمه الله وأتمروا بينكم اى تشاوروا على التراضي في الاجرة او ليامر بعضكم بعضا والخطاب للاباء والامهات بمعروف بما يليق بالسنة و يحسن في المروة فلا يماكر الاب ولا تعاسر الام لانه ولدها وهما شريكان فيه في وجوب الاشفاق عليه وان تعاسرتم تضايقتم فلم ترض الام بما ترضع به الاجنبية ولم يزد الاب على ذلك فسترضع له اخرى فستوجد ولا تعوز مرضعة غير الام ترضعه وفيه طرف من معاتبة الام على المعاسرة في قوله له اى للاب اى يسجد الاب غير معاسرة ترضع له ولده ان عاسرته امه لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما اتيه الله اى لينفق كل واحد من الموسر والمعسر ما بلغه وسعه يريد ما امر به من الانفاق على المطلقات والمرضعات ومعنى قدر عليه رزقه ضيق اى رزقه الله على قدر قوته لا يكلف الله نفسا الا ما اتيها اعطاها من الرزق سيجعل الله بعد عسر يسرا بعد ضيق من المعيشة سعة وهذا وعد لذى العسر باليسر وكاين من قرية عتت عن امر ربها ورسله اعرضت عنه على وجه العتو والعناد فحاسبناها حسابا شديدا بالاستقصاء والمناقشة وعذبناها عذابا نكرا مدنى ولبو بكر منكرا عظيما فذاقت وبال امرها وكان عاقبة امرها خسرا اى خسارا وهلاكا والمراد حساب الاخرة وعذابها وما يذوقون فيها من الوبال ويلقون من الخسر وجيء به على لفظ الماضي لان المنتظر من وعد الله ووعيده ملقى في الحقيقة وما هو كائن فكان قد كان اعد الله لهم عذابا شديدا تكرير للوعيد وبيان لكونه مترقبا كانه قال اعد الله لهم هذا العذاب فاتقوا الله يا اولى الالباب الذين امنوا فليكن لكم ذلك يا اولى الالباب من المومنين في تقوى الله وحذر عقابه ويجوز ان يراد احصاء السيات واستقصاؤها عليهم في الدنيا واثباتها في صحائف الحفظة وما اصيبوا به من العذاب في العاجل وان يكون عتت وما عطف عليه صفة القرية واعد الله لهم جوابا لكائن قد انزل الله اليكم ذكرا اى القران وانتصب رسولا بفعل مضمر تقديره ارسل رسولا او هو بدل من ذكرا كانه في نفسه ذكرا وعلى تقدير حذف المضاف اى قد انزل الله اليكم ذا ذكر رسولا او اريد بالذكر الشرف كقوله وانه لذكر لك ولقومك كانه ذو شرف ومجد عند الله وبالرسول جبرئيل او محمد عليه الصلوة والسلام يتلوا اى الرسول او الله عز وجل عليكم ايات الله مبينات ليخرج الله الذين امنوا وعملوا الصالحات اى ليحصل لهم ما هم

عليه الساعة من الايمان والعمل الصالح او ليخرج الذين علم منهم انهم يومنون من الظلمات الى النور من ظلمات الكفر والجهل الى النور الايمان او العلم ومن يومن بالله ويعمل صالحا يدخله وبالنون مدنى وشامى جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وحد وجمع حملا على اللفظ و معناه قد احسن الله له رزقا فيه معنى التعجب والتعظيم لما رزق المؤمن من الثواب الله الذى خلق مبتداء وخبر سبع سموات اجمع المفسرون على ان السموات سبع ومن الارض مثلهن بالنصب عطف على سبع سموات قيل ما في القران اية تدل على ان الارضين سبع الا هذه وبين كل سماءين مسيرة خمسماية عام وغلظ كل سماء كذلك والارضون مثل السموات وقيل الارض واحدة الا ان الاقاليم سبعة يتنزل الامر بينهن اى يجرى امر الله وحكمه بينهن وملكه ينفذ فيهن لتعلموا ان الله على كل شئ قدير اللام يتعلق بخلق وان الله قد احاط بكل شئ علما هو تمييز او مصدر من غير لفظ الاول اى قد علم كل شئ علما

سورة التحريم مدنية وهي اثنا عشر او احدى عشر اية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها النبى لم تحرم ما احل الله لك

روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خلا بمارية في يوم عايشة وعلمت بذلك حفصة فقال لها اكتمى على وقد حرمت مارية على نفسى وابشرك ان ابابكر وعمر يملكان بعدى امر امتى فاخبرت به عايشة وكانتا متصادقتين وقيل خلا بها في يوم حفصة فارضاها بذلك واستكتمها فلم تكتم فطلقها واعتزل نساءه ومكث تسعا وعشرين ليلة في بيت مارية فنزل جبرئيل عليه السلام وقال راجعها فانها صوامة قوامة وانها لمن نسائك في الجنة وروى انه شرب عسلا في بيت زينب بنت جحش فتواطات عايشة وحفصة فقالتا انا نشم منك ريح المغافير وكان يكره رسول الله صلى الله عليه وسلم التفعل فحرم العسل فمعناه لم تحرم ما احل الله لك من ملك اليمين او العسل تبتغى مرضات ازواجك تفسير لتحرم او حال او استيناف وكان هذا زلة منه لانه ليس لاحد ان يحرم ما احل الله والله غفور قد غفر لك ما زللت فيه رحيم قد رحمك فلم يواخذك به قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم قد قدر الله لكم ما تحللون به ايمانكم وهى الكفارة او قد شرع لكم تحليلها بالكفارة او شرع الله لكم الاستثناء في ايمانكم من قولك حلل فلان في يمينه اذا استثنى فيها وذلك ان يقول ان شاء الله عقيبها حتى لا يحنث وتحريم الحلال يمين عندنا وعن مقاتل

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتق رقبة في تحريم مارية وعن الحسن انه لم يكفر لانه كان مغفورا
له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وانما هو تعليم للمؤمنين والله موليكم سيدكم ومتولي اموركم وقيل
موليكم اولى بكم من انفسكم فكانت نصيحته انفع لكم من نصائحكم لانفسكم وهو العليم بما يصلحكم فيشرع
لكم الحكيم فيما احل وحرم واذ اسر النبي الى بعض ازواجه يعني حفصة حديثا حديث مارية وامامة
الشيخين فلما نبات به افشته الى عايشة واظهره الله عليه واطلع النبي صلى الله عليه وسلم على افشائها
الحديث على لسان جبريل عرف بعضه اعلم ببعض الحديث واعرض عن بعض فلم يخبرها تكرما
قال سفيان ما زال التغافل من فعل الكرام عرف بالتخفيف على اي جازى عليه من قولك للمسيء
لاعرفت لك ذلك وقيل المعرف حديث الامامة والمعرض عنه حديث مارية روي انه قال
لها الم اقل لك اكتمي علي قالت والذي بعثك بالحق ما ملكت نفسي فرحا بالكرامة التي خص الله
بها اباها فلما نباها به نبا النبي حفصة بما افشت من السر الى عائشة قالت حفصة للنبي صلى الله عليه وسلم
من انباك هذا قال نباني العليم بالسرائر الخبير بالضمائر ان تتوبا الى الله خطاب لحفصة وعائشة
على طريق الالتفات ليكون ابلغ في معاتبتهما وجواب الشرط محذوف والتقدير ان تتوبا الى الله
فهو الواجب ودل على المحذوف فقد صغت مالت قلوبكما عن الواجب في مخالصة رسول الله
من حب ما يحبه وكراهة ما يكرهه وان تظاهرا عليه بالتخفيف كوفي وان تعاونا عليه بما يسوء
من الافراط في الغيرة وافشاء سره فان الله هو موليه وليه وناصره وزيادة هو ايذان بانه
يتولى ذلك بذاته وجبريل ايضا وليه وصالح المؤمنين ومن صلح من المؤمنين اي كل من امن
وعمل صالحا وقيل من برئ من النفاق وقيل الصحابة وهو واحد اريد به الجمع كقولك لا يفعل
هذا الصالح من الناس تريد الجنس وقيل اصله صالحوا المؤمنون فحذف الواو عن الخط موافقة
اللفظ والملائكة على تكاثر عددهم بعد ذلك بعد نصرة الله وجبريل وصالح المؤمنين ظهير
فوج مظاهر له فما يبلغ تظاهر امراتين على من هؤلاء ظهراءه ولما كانت مظاهرة الملائكة من
جملة نصرة الله قال بعد ذلك تعظيما لنصرتهم ومظاهرتهم عسى ربه ان طلقكن ان يبدله مدني
وابو عمرو وبالتشديد الكثرة ازواجا خيرا منكن فان قلت كيف يكون المبدلات خيرا منهن ولم
تكن على وجه الارض نساء خير من امهات المؤمنين قلت اذا طلقهن رسول الله لايذائهن اياه

لم يبقين على تلك الصفة وكان غيرهن من الموصوفات بهذه الاوصاف خيرا منهن مسلمات
مؤمنات مقرات مخلصات قانتات مطيعات فالقنوت هو القيام بطاعة الله وطاعة
رسوله تائبات من الذنوب او راجعات الى الله والى اوامر رسوله عابدات سائحات
مهاجرات او صائمات وقيل للصائم سائح لان السائح لا زاد معه فلا يزال ممسكا الى ان يجد
ما يطعمه فيشبه به الصائم في امساكه الى ان يجيء وقت افطاره ثيبات وابكارا انما وسط
العاطف بين الثيبات والابكار دون سائر الصفات لانهما صفتان متنافيتان بخلاف سائر
الصفات يا ايها الذين امنوا قوا انفسكم بترك المعاصي وفعل الطاعات واهليكم بان
تاخذوهم بما تاخذون به انفسكم نارا وقودها الناس والحجارة نوعا من عذاب النار
لا يتقد الا بالناس والحجارة كما يتقد غيرها من النيران بالحطب عليها يلي امرها وتعذيب
اهلها ملائكة يعني الزبانية التسعة عشر واعوانهم غلاظ شداد في اجرامهم غلظة وشدة
او غلاظ الاقوال شداد الافعال لا يعصون الله في موضع الرفع على النعت ما امرهم في محل
النصب على البدل اي لا يعصون ما امرهم الله اي امره كقوله افعصيت امري او لا يعصونه
فيما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وليست الجملتان في معنى واحد اذ معنى الاولى انهم يتقبلون
اوامره ويلتزمونها ومعنى الثانية انهم يؤدون ما يؤمرون به ولا يتثاقلون عنه ولا
يتوانون فيه يا ايها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم انما تجزون ما كنتم تعملون في الدنيا
اي يقال لهم ذلك عند دخولهم النار لا تعتذروا لانه لا عذر لكم او لانه لا ينفعكم الاعتذار
يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبة نصوحا صادقة عن الاخفش وقيل خالصة يقال
عسل ناصح اذا خلص من الشمع وقيل نصوحا من نصاحة الثوب اي توبة ترقع خروقك
في دينك وترم خلوك ويجوز ان يراد توبة تنصح الناس اي تدعوهم الى مثلها لظهور
اثرها في صاحبها واستعماله الجد والعزيمة في العمل على مقتضياتها وبضم النون حماد ويحيى
وهو مصدر اي ذات نصح او تنصح نصوحا وجاء مرفوعا ان التوبة النصوح ان يتوب
ثم لا يعود الى الذنب الى ان يعود اللبن في الضرع وعن حذيفة بحسب الرجل من الشر ان يتوب
من الذنوب ثم يعود فيه وعن ابن عباس رض هي الاستغفار باللسان والندم بالجنان والاقلاع

بل الامر كان عسى ربكم ان يكفر عنكم سياتكم هذا على ما جرى به عادة الملوك من الاجابة يعنى و
لعل ووقوع ذلك منهم بموقع القطع والبيت ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار ونصب
يوم بيدخلكم لا يخزى الله النبى والذين امنوا معه فيه تعريض من حزاهم الله من اهل الكفر
نورهم مبتداء يسعى خبر بين ايديهم وبايمانهم فى موضع الخبر يقولون ربنا اتمم لنا نورنا
يقولون ذلك اذا اطفى نور المنافقين واغفر لنا انك على كل شيء قدير يا ايها النبى جاهد الكفار
بالسيف والمنافقين بالقول الغبط والوعظ البليغ وقيل باقامة الحدود عليهم واغلظ عليهم
على الفريقين فيما تجاهدهما به من القتال والمحاجة باللسان وماويهم جهنم وبئس المصير ضرب
الله مثلا للذين كفروا امراة نوح وامراة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما
فلم يغنيا عنهما من الله شيا وقيل ادخلا النار مع الداخلين مثل الله عز وجل حال الكفار فى
انهم يعاقبون على كفرهم وعداوتهم للمومنين بلا محاباة ولا ينفعهم مع عداوتهم لهم ما كان
بينهم وبينهم من النسب والمصاهرة وان كان المومن الذى يتصل به الكافر نبيا بحال امراة نوح
وامراة لوط لما نافقتا وخانتا الرسولين بافشاء اسرارهما لم يغن لامر ان منهما اى عن المرأتين
بحق ما بينهما وبينهما من وصلة الازواج اغناء ما عن عذاب الله وقيل لهما عند موتهما او
يوم القيمة ادخلا النار مع الداخلين الذين لا وصلة بينهم وبين الانبياء او مع داخليها من
اخوانكما من قوم نوح وقوم لوط وضرب الله مثلا للذين امنوا امراة فرعون هى اسية بنت
مزاحم آمنت بموسى عليه السلام فعذبها فرعون بالاوتاد الاربعة اذ قالت وهى تعذب رب
ابن لى عندك بيتا فى الجنة وكانها ارادت الجنة العالية لانه تعالى منزه عن المكان فعبرت
عنها بقولها عندك ونجنى من فرعون وعمله اى من عمل فرعون او من نفس فرعون الخبيثة
خصوصا من عمله وهو الكفر والظلم والتعذيب بغير جرم ونجنى من القوم الظالمين
القبط كلهم وفيه دليل على ان الاستعاذة بالله والالتجاء اليه ومسئلة الخلاص منه عند المحنة
والنوازل من سير الصالحين ومريم ابنة عمران التى احصنت فرجها من الرجال فنفخنا فيه جبرئيل
بامرنا فيه فى الفرج من روحنا المخلوقة لنا وصدقت بكلمات ربها اى بصحفه التى انزلها على
ادريس وغيره وكتبه بعرى وحضر يعنى الكتب الاربعة وكانت من القانتين لما كانت القنوت صفة

سابرهم

تشتمل من قنت من القبيلتين غلب ذكورهم على اناثه ومن للتبعيض ويجوز ان يكون لابتداء الغاية
على انها ولدت من القانتين لانها من اعقاب هارون اخى موسى عليهما السلام ومثل حال المومنين
فى ان وصلة الكافرين لا تضرهم ولا ينقص شيا من ثوابهم ومن لهم عند الله بحال امراة فرعون
ومنزلتها عند الله مع كونها زوجة اعداء الله ومريم ابنت عمران وما اوتيت من كرامة الدنيا و
الاخرة والاصطفاء على نساء العالمين مع ان قومها كانوا كفارا وفى طى هذين التمثيلين تعريض
بامى المومنين المذكورتين فى اول السورة وما فرط منهما من التظاهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم
بما كرهه وتحذير لهما على اغلظ وجه واشارة الى ان من حقهما ان تكونا فى الاخلاص كهاتين المومنتين
وان لا تتكلان على انهما زوجتا رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة الملك وهى ثلثون اية وتسمى
الواقية والمنجية لانها تقى وتنجى قاريها من عذاب القبر وجاء مرفوعا من قراءها فى ليلة فقد اكثر

بسم الله الرحمن الرحيم تبارك وتعالى وتعاظم عن صفات المخلوقين
الذى بيده الملك اى فى تصرفه الملك والاستيلاء على كل موجود او هو مالك الملك يؤتيه من
يشاء وينزعه ممن تشاء وهو على كل شيء من المقدورات او من الانعام والانتقام قدير قادر
على الكمال الذى خلق الموت خبر مبتداء محذوف او بدل من الذى قبله والحيوة اى ما يصح بوجوده
الاحساس والموت ضده ومعنى خلق الموت والحيوة ايجاد ذلك المصحح واعدامه والمعنى
خلق موتكم وحيوتكم ايها المكلفون ليبلوكم ليمتحنكم بامره ونهيه فيما بين الموت الذى يعلم الامر
والاسير والحيوة التى لا تقى بعليل ولا طبيب فيظهر منكم ما علم انه يكون منكم فيجازيكم على
عملكم لا على علمه بكم ايكم مبتداء خبره احسن عملا اى اخلصه واصوبه فالخالص ان يكون لوجه الله
والصواب ان يكون على السنة والمراد انه اعطاكم الحيوة التى تقدرون بها على العمل وسلط عليكم
الموت الذى هو داعيكم الى اختيار العمل الحسن على القبيح فما وراءه الا البعث والجزاء الذى لا بد
منه وقدم الموت على الحيوة لان اقوى الناس داعيا الى العمل من نصب موته بين عينيه فقدم
لانه فيما يرجع الى المسوق له الاية اهم ولما قدم الموت الذى هو اثر صفة القهر على الحيوة التى
هى اثر صفة اللطف قدم صفة القهر على صفة اللطف فى قوله وهو العزيز اى الغالب الذى لا يعجزه
من اساء العمل والغفور الستور الذى لا يياس منه اهل الاساءة والزلل الذى خلق سبع سموات

طباقا مطابقة بعضها فوق بعض من طابق النعل اذا خصفها طبقا على طبق وهذا وصف بالمصدر
او على ذات طباق او على طوبقت طباقا وقيل جمع طبق كجمل وجمال والخطاب في ما ترى في
خلق الرحمن للرسول او لكل مخاطب من تفاوت تفوت حمزة وعلي ومعنى البنائين واحد كالتعاهد
والتعهد اى من اختلاف واضطراب وعن السدى من عيب وحقيقة التفاوت عدم التناسب
كان بعض الشئ يفوت بعضا ولا يلائمه وهذه الجملة صفة لطباقا واصلها ما ترى فيهن من تفاوت
فوضع خلق الرحمن موضع الضمير تعظيما لخلقهن وتنبيها على سبب سلامتهن من التفاوت وهو
انه خلق الرحمن وانه بباهر قدرته هو الذى يخلق مثل ذلك الخلق المتناسب فارجع البصر رده
الى السماء حتى يصح عندك ما اخبرت به بالمعاينة ولا يبقى معك شبهة فيه هل ترى من فطور
صدوع وشقوق جمع فطر وهو الشق ثم ارجع البصر كرتين كرر النظر مرتين اى كرتين مع الاولى
وقيل سوى الاولى فيكون ثلث مرات وقيل لم يرد به الاقتصار على مرتين بل اراد به التكرير بكثرة
اى كرر نظرك ودققه هل ترى خللا وعيبا وجواب الامر ينقلب يرجع اليك البصر خاسأ ذليلا
وبعيدا مما تريد وهو حال من البصر وهو حسير كليل معى ولم تر فيها خللا ولقد زينا السماء الدنيا
القربى اى السماء الدنيا منكم بمصابيح بكواكب مضيئة كاضاءة الصبح والمصابيح السرج سميت بها
الكواكب والناس يزينون مساجدهم ودورهم باثقاب المصابيح فقيل ولقد زينا سقف الدار
التى اجتمعتم فيها بمصابيح اى باى مصابيح لا توازيها مصابيحكم اضاءة وجعلناها رجوما للشياطين
اى لاعدائكم الذين يخرجونكم من النور الى الظلمات قال قتادة خلق الله النجوم لثلث زينة للسماء
ورجوما للشياطين وعلامات يهتدى بها فمن تاول فيها غير ذلك فقد تكلف ما لا علم له به والرجوم
جمع رجم وهو مصدر سمى به ما يرجم به ومعنى كونها رجوما للشياطين ان ينفصل عنها شهاب
كقبس يوخذ من نار فيقتل الجنى او يخبله لان الكواكب لا تزول عن مكانها لانها قارة في الفلك
على حالها واعتدنا لهم للشياطين عذاب السعير في الاخرة بعد الاحراق بالشهب في الدنيا وللذين كفروا بربهم
ولكل من كفر بالله من الشياطين وغيرهم عذاب جهنم ليس الشياطين المرجومون مخصوصين
بذلك وبئس المصير المرجع جهنم اذا القوا فيها طرحوا في جهنم كما يطرح الحطب في النار العظيمة
سمعوا لها لجهنم شهيقا صوتا منكرا كصوت الحمار شبه حسيسها المنكر الفظيع بالشهيق وهى تفور

تغلى بهم غليان المرجل بما فيه تكاد تميز اى تتميز يعنى تتقطع وتتفرق من الغيظ على الكفار فجعلت
كالمغتاظة عليهم على الاستعارة لشدة غليانها بهم كلما القى فيها فوج جماعة من الكفار سالهم
خزنتها مالك واعوانه من الزبانية توبيخا لهم الم ياتكم نذير رسول يخوفكم من هذا العذاب قالوا
بلى قد جاءنا نذير اعتراف منهم بعدل الله واقرار بانه تعالى ازاح عللهم ببعثة الرسل وانذارهم
ما وقعوا فيه فكذبنا اى فكذبناهم وقلنا ما نزل الله من شئ مما تقولون من وعد ووعيد وغير ذلك
ان انتم الا في ضلال كبير اى قال الكفار للمنذرين ما انتم الا في خطاء عظيم فالنذير بمعنى الانذار
ثم وصف به منذروهم لغلوهم في الانذار كانهم ليسوا الا انذارا وجاز ان يكون هذا كلام الخزنة
للكفار على ارادة القول ومرادهم بالضلال الهلاك وسموا جزاء الضلال باسمه كما سمى جزاء
السيئة والاعتداء سيئة واعتداء ويسمى المشاكلة في علم البيان او كلام الرسل لهم حكوه للخزنة اى
قالوا لنا هذا فلم نقبله وقالوا لو كنا نسمع الانذار سمع طالب الحق او نعقل اى نعقله عقل متامل
ما كنا في اصحاب السعير في جملة اهل النار وفيه دليل على جواز ان مدار التكليف على ادلة السمع
والعقل وانهما حجتان ملزمتان فاعترفوا بذنبهم بكفرهم في تكذيبهم الرسل فسحقا لاصحاب
السعير وبضم الحاء يزيد وعلى اى فبعدا لهم من رحمة الله وكرامته اعترفوا وجحدوا فان
ذلك لا ينفعهم وانتصابه على انه مصدر وقع موقع الدعاء ان الذين يخشون ربهم بالغيب قبل
قبل معاينة العذاب لهم مغفرة للذنوب واجر كبير اى الجنة واسروا قولكم او اجهروا به ظاهره
الامر باحد الامرين الاسرار والاجهار ومعناه ليستوى عندكم اسراركم واجهاركم في علم الله بهما روى
ان مشركى مكة كانوا ينالون من رسول الله فيخبره جبريل بما قالوا فيه ونالوا منه فقالوا فيما
بينهم اسروا قولكم لئلا يسمع اله محمد فنزلت ثم علله بقوله انه عليم بذات الصدور اى بضمائرها
قبل ان يترجم الالسنة عنها فكيف لا يعلم ما تكلم به الا يعلم من خلق من في موضع رفع بانه فاعل
يعلم وهو اللطيف الخبير انكر ان لا يحيط علما بالمضمر والمسر والمجهر من خلقها وصفته انه اللطيف
اى العالم بدقائق الاشياء الخبير العالم بحقائق الاشياء وفيه اثبات خلق الاقوال فيكون دليلا
على خلق افعال العباد وقال ابو بكر بن الاصم وجعفر بن حرب من مفعول والفاعل مضمر وهو الله
تعالى فاحتالا بهذا لنفى خلق الافعال هو الذى جعل لكم الارض ذلولا لينة سهلة مذللة لا تمتنع

شماع

تغلى

المشي فيها فامشوا في مناكبها جوانبها استدلالا واسترزاقا او جبالها او طرقها وكلوا من رزقه
اي من رزق الله فيها واليه النشور اي اليه نشوركم فهو مسائلكم عن شكر ما انعم به عليكم
ءامنتم من في السماء اي من ملكوته في السماء لانها مسكن ملايكته ومنها تنزل قضاياه وكتبه
واوامره ونواهيه فكانه قال ءامنتم خالق السماء وملكها او لانهم يعتقدون التشبيه وانه في
السماء وان الرحمة والعذاب ينزلان منه فقيل لهم على حسب اعتقادهم ءامنتم من تزعمون
انه في السماء وهو متعال عن المكان ان يخسف بكم الارض كما خسف بقارون فاذا هي تمور
تضطرب وتتحرك ام امنتم من في السماء ان يرسل عليكم حاصبا حجارة ان يرسل بدل من بدل
الاشتمال وكذا ان يخسف فستعلمون كيف نذير اي اذا رايتم المنذر به علمتم كيف انذاري
حين لا ينفعكم والعلم ولقد كذب الذين من قبلهم من قبل قومك فكيف كان نكير اي انكاري
عليهم اذا اهلكتهم ثم نبه على قدرته على الخسف وارسال الحاجب بقوله اولم يروا الى الطير جمع
طاير فوقهم في الهواء صافات باسطات اجنحتهن في الجو عند طيرانها ويقبضن ويضممنها اذا ضربن
بها جنوبهن ويقبضن معطوف على اسم الفاعل حملا على المعنى اي يصففن ويقبضن او صافات
وقابضات واختيار هذا التركيب باعتبار ان اصل الطيران هو صف الاجنحة لان الطيران
في الهوا كالسباحة في الماء والهواء لطائر كالماء لسابح والاصل في السباحة مد الاطراف وبسطها
واما القابض فطارئ على البسط للاستظهار به على التحرك فيجيء بما هو طارئ بلفظ الفعل
على معنى انهن صافات ويكون منهن القبض تارة بعد تارة كما يكون من السابح ما يمسكهن
عن الوقوع عند القبض والبسط الا الرحمن بقدرته والا فالثقيل يسفل طبعا ولا يعلو ولو كذا
لو امسك حفظه وتدبيره عن العالم لتهافتت الافلاك وما يمسكهن مستانف وان جعل حالا
من الضمير في يقبضن يجوز انه بكل شيء بصير يعلم كيف يخلق وكيف يدبر العجائب امن مبتداء
خبره هذا وتبدل من هذا الذي هو جند لكم ومحل ينصركم من دون الرحمن رفع نعت لجند محمول
على اللفظ والمعنى من المشار اليه بالنصر غير الله تعالى ان الكافرون الا في غرور اي ما هم الا في غرور
امن هذا الذي يرزقكم ان امسك رزقه ام من يشار اليه ويقال هذا الذي يرزقكم ان امسك
الله رزقه وعلى التقدير ويجوز ان يكون اشارة الى جميع الاوثان لاعتقادهم انهم يحفظون من

لاعتقادهم

النوايب ويرزقون ببركة الهتهم فكانهم الجند الناصر والرازق فلما لم يتعظوا ضرب عنهم
فقال بل لجوا تمادوا في عتو استكبار عن الحق ونفور وشراد عنه لثقله عليهم فلم يتبعوه ثم
ضرب مثلا للكافر والمؤمن فقال افمن يمشي مكبا على وجهه اي ساقطا على وجهه يعثر كل
ساعة ويمشي متعسفا وخبر من اهدى ارشد واكب مطاوع كبه ليقال كببته فاكب امن يمشي
سويا مستويا منتصبا سالما من العثور والعقود على صراط مستقيم على طريق مستقيم و
خبر من محذوف لدلالة اهدى عليه وعن الكلبي عنى بالمكب ابو جهل وبالسوي النبي صلى الله
عليه وسلم قل هو الذي انشاءكم خلقكم ابتداء وجعل لكم السمع والابصار والافئدة خصها
لانها الات العلم قليلا ما تشكرون هذه النعم لانكم تشركون بالله ولا تخلصون له العبادة و
المعنى تشكرون شكرا قليلا وما زائدة وقيل القلة عبارة عن العدم قل هو الذي ذراكم خلقكم
في الارض واليه تحشرون للحساب والجزاء ويقولون اي الكافرون للمؤمنين استهزاء متى
هذا الوعد الذي يعدوننا به يعني العذاب ان كنتم صادقين في كونه فاعلمونا زمانه قل انما
العلم اي علم وقت العذاب عند الله وانما انا نذير مخوف مبين ابين لكم على الحال الشرايع
فلما راوه اي الوعد يعني العذاب الموعود زلفة قريبا منهم وانتصابها على الحال سيئت وجوه
الذين كفروا اي ساءت رؤية الوعد وجوههم بان علتها الكابة والمساءة وغشيتها القترة
والسواد وقيل هذا الذي كنتم به تدعون تفتعلون من الدعاء اي تسالون تعجيله و
تقولون ايتنا بما تعدنا او هو من الدعوى كنتم بسببه تدعون انكم لا تبعثون وقراء يعقوب
تدعون قل ارايتم ان اهلكني الله اي اماتني الله كقوله ان امرؤ هلك ومن معي من اصحابي
او رحمنا او اخر في اجالنا فمن يجير ينجي الكافرين من عذاب اليم وكان كفار مكة يدعون
على رسول الله وعلى المؤمنين بالهلاك فامر ان يقول لهم نحن مؤمنون متربصون لاحد
الحسنيين اما ان نهلك كما تتمنون فننقلب الى الجنة ام نرحم بالنصرة عليكم كما نرجون فانتم ما
تصنعون من يجيركم وانتم كافرون من عذاب النار لا بد لكم منه قل هو الرحمن اي الذي ادعوكم
اليه الرحمن امنا به صدقناه ولم نكفر به كما كفرتم وعليه توكلنا فوضنا اليه امورنا فستعلمون
اذا نزل بكم العذاب وبالياء على من هو في ضلال مبين نحن ام انتم قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا

غايرا ذاهبا فى الارض لا يناله الدلاء وهو وصف بالمصدر كعدل بمعنى عادل فمن يأتيكم بماء معين
جار يصل اليه من اراده وتليت عند ملحد فقال تأتى بالمعول والمعين فذهب ماء عينيه فى تلك
الليلة وعمى وقيل ان محمد بن زكريا المتطبب زادنا الله بصيرة سورة ن مكية او مدنية

وهى ثنتان وخمسون اية بسم الله الرحمن الرحيم ن الظاهر ان المراد به

هو الحروف من حروف المعجم واما قول الحسن انه الدواة وقول ابن عباس رض انه الحوت الذى
عليه الارض واسمه يهوهوت فمشكل لانه لا بد له من الاعراب سواء كان اسم جنس او اسم
علم فالسكون دليل على انه من حروف التهجى والقلم اى ما كتب به اللوح او قلم الملائكة او
الذى يكتب به الناس اقسم به لما فيه من المنافع والفوائد التى لا يحيط بها الوصف وما
يسطرون اى ما يسطره الحفظة واما يكتب من الخير من كتب وما موصولة او مصدرية وجواب
القسم ما انت بنعمة ربك بانعامه عليك بالنبوة وغيرها فانت اسم ما وخبرها بمجنون و
بنعمة ربك اعتراض بين الاسم والخبر والباء فى بنعمة يتعلق بمجنون ومحله النصب على الحال
والعامل فيها بمجنون تقديره ما انت بمجنون منعما عليك بذلك ولم تمنع الباء ان يعمل مجنون
فيما قبله لانها زائدة لتاكيد النفى وهو جواب قولهم وقالوا يا ايها الذى نزل عليه الذكر انك
لمجنون وان لك له على احتمال ذلك والصبر عليه لاجرا لثوابا غير ممنون غير مقطوع او غير
ممنون عليك وانك لعلى خلق عظيم قيل هو ما امر الله به فى قوله خذ العفو وامر بالعرف
واعرض عن الجاهلين وقالت عائشة رض كان خلقه القران اى ما فيه من مكارم الاخلاق
وانما استعظم خلقه لانه جاد بالكونين وتوكل على خالقهما فستبصر ويبصرون اى عن قريب ترى
ويرون وهذا وعد له ووعيد لهم بايكم المفتون المجنون لانه فتن اى محن بالجنون والباء مزيدة
او المفتون مصدر كالمعقول اى بايكم الجنون وقال الزجاج الباء بمعنى فى تقول كنت ببلد كذا
اى فى بلد كذا وتقديره فى ايكم المفتون اى فى اى الفريقين منكم المجنون فريق الاسلام او فريق
الكفران ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله اى هو اعلم بالمجانين على الحقيقة وهم الذين ضلوا
عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين اى هو اعلم بالمهتدين اى هو اعلم بالعقلاء او هو المهتدون
فلا تطع المكذبين تهييج للتصميم على معاصاتهم وقد ارادوه على ان يعبد الله مدة والهتهم مدة

ويكفوا

ويكفوا عن غوائلهم ودوا لو تدهن لو تلين لهم فيدهنون فيلينون لك ولم ينصب باضمار ان وهو
جواب التمنى لانه عدل به الى طريق اخر وهو ان جعل خبر مبتدإ محذوف اى فهم يدهنون
يعنى فهم الآن يدهنون لطمعهم فى ادهانك ولا تطع كل حلاف كثير الحلف فى الحق والباطل وكفى
به مزجرة لمن اعتاد الحلف مهين حقير فى الراى والتمييز من المهانة وهى القلة والحقارة او كذاب
لانه حقير عند الناس هماز عياب طعان مغتاب مشاء بنميم نقال للحديث من قوم الى قوم
على وجه السعاية والافساد بينهم والنميم والنميمة السعاية مناع للخير بخيل والخير المال
او مناع اهله من الخير وهو الاسلام والمراد وليد بن مغيرة عند الجمهور وكان يقول لبنيه
العشرة من اسلم منكم منعته رفدى معتد مجاوز فى الظلم حده اثيم كثير الاثام عتل غليظ
جاف بعد ذلك بعد ما عد له من المثالب زنيم دعى وكان الوليد دعيا فى قريش ليس من
سنخهم ادعاه ابوه بعد ثمانى عشرة من مولده وقيل بغت امه ولم يعرف حتى نزلت هذه الاية
والنطفة اذا خبثت خبث الناشى منها روى انه دخل على امه وقال ان محمدا وصفنى بعشر
صفات ووجدت تسعة فى فاما الزنيم فاعلمى به فان اخبرتنى بحقيقة والا ضربت عنقك
فقالت ان اباك عنين وخفت ان يموت فيصل ماله الى غير ولده فدعوت راعيا الى نفسى
فانت من ذلك الراعى ان كان ذا مال متعلق بقوله ولا تطع كل حلاف اى ولا تطعه مع هذه
المثالب لان كان ذا مال اى ليساره وحظه من الدنيا ويجوز ان يتعلق بما بعده لان كان ذا مال
وبنين كذب باياتنا يدل عليه اذا تتلى عليه اياتنا القران قال اساطير الاولين ولا يعمل قال
لان ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله وءان همزة الاستفهام حمزة وابو بكر اى الان كان ذا مال كذب
ءان شامى ويزيد ويعقوب وسهل وقالوا لما عاب الوليد النبى صلى الله عليه وسلم كان باسم
واحد وهو المجنون سماه الله تعالى بعشرة اسماء صادقا فان كان من عدله ان يجزى المسئ الى
رسول الله بعشرة كان من فضله ان من صلى على النبى صلى الله عليه وسلم واحدة يصلى الله عليه عشرا
سنسمه سنكويه على الخرطوم على انفه اهانة له وعلما يعرف به وتخصيص الانف بالذكر لان الوسم
عليه اشنع وقيل خطم يوم بدر بالسيف فبقيت سمة على خرطومه انا بلوناهم امتحنا اهل مكة
بالقحط والجوع حتى اكلوا الجيف والرمم بدعاء النبى عليه الصلوة والسلام حيث قال اللهم اشدد

وطايك على مضر واجعلها سنين كسنين يوسف كما بلونا اصحاب الجنة هم قوم من اصحاب اهل الصلوة

كانت لابيهم هذه الجنة بقرية تقال لها ذروان وكانت على فرسخين من صنعاء فكان ياخذ منها

قوت سنته ويتصدق بالباقى على الفقراء فلما مات قال بنوه ان فعلنا ما كان يفعل ابونا ضاق

علينا الامر ونحن اولو عيال فحلفوا ليصرمنها مصبحين فى السدف خفية على المساكين ولم يستثنوا

فى يمينهم فاحرق الله جنتهم وقال الحسن كانوا كفارا والجمهور على الاول اذ اقسموا حلفوا ليصرمنها

ليقطعن ثمرها مصبحين داخلين فى الصبح قبل انتشار الفقراء حال من فاعل ليصرمنها ولا

ولا يقولون انشاء الله ويسمى استثناء وان كانت شرطا صورة لانه يودى الاستثناء من حيث

ان معنى قولك لاخرجن ان شاء الله ولا اخرج الا ان يشاء الله واحد فطاف عليها طائف

من ربك نزل عليها بلاء قيل انزل الله تعالى عليها نارا فاحترقتها وهم نائمون اى فى حال

نومهم فاصبحت فصارت كالصريم فصارت الجنة كالصريم كالليل المظلم اى احترقت فاسودت

او كالصبح اى صارت ارضا بيضاء بلا شجرة وقيل كالمصرومة اى كانها صرمت لهلاك ثمرها

فتنادوا مصبحين نادى بعضهم بعضا عند الصباح ان اغدوا باكروا على حرثكم ولم يقل الى حرثكم

لان الغدو اليه ليصرموه كان غدوا عليه او ضمن الغدو معنى الاقبال اى فاقبلوا على حرثكم باكرين

ان كنتم صارمين مريدين صرامه فانطلقوا ذهبوا وهم يتخافتون يتسارون فيما بينهم لئلا

يسمع المساكين ان لا يدخلنها اى الجنة وان مفسرة وقد يطرحها باضمار القول اى يتخافتون يقولون

لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين والنهى عن دخول المسكين عن التمكين اى لا تمكنوا من الدخول

وغدوا على حرد على جد فى المنع قادرين عند انفسهم على المنع كذا عن نفطويه او الحرد القصد

والسرعة اى وغدوا قاصدين الى جنتهم سرعة قادرين عند انفسهم على صرامها وزى منفعتها

عن المساكين او هو علم الجنة اى غدوا على تلك الجنة قادرين على صرامها عند انفسهم فلما راوها

اى جنتهم محترقة قالوا فى بديهة وصولهم انا لضالون اى ضللنا جنتنا وما هى بها لما راوها

هالكا فلما تاملوا وعرفوا انها هى قالوا بل نحن محرومون حرمنا خيرها لجنايتنا على انفسنا

قال اوسطهم اعدلهم وخيرهم الم اقل لكم لولا تسبحون اى هلا يستثنون اذ الاستثناء تسبيح

لالتقائهما فى معنى التعظيم لله لان الاستثناء تفويض اليه وتسبيح تنزيه له وكل واحد من التفويض

والتنزيه

والتنزيه تعظيم او لولا تذكرون الله وتتوبون اليه من خبث نيتكم كان اوسطهم قال لهم حين

عزموا على ذلك اذكروا الله وانتقامه من المجرمين وتوبوا عن هذه العزيمة الخبيثة

فعصوه فعيرهم ولهذا قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين فتكلموا بعد خراب البصرة بما كان

يدعوهم الى التكلم به اولا واقروا على انفسهم بالظلم فى منع المعروف وترك الاستثناء و

نزهوه عن ان يكون ظالما فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون يلوم بعضهم بعضا بما فعلوا

من الهرب من المساكين ويحيل كل واحد من اللائمة على آخر ثم اعترفوا جميعا بانهم تجاوزوا

الحد بقوله قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين بمنع حق المفترطة وترك الاستثناء عسى ربنا

ان يبدلنا بالتشديد مدنى وابو عمرو خيرا منها من هذه الجنة انا الى ربنا راغبون طالبون

منه الخير راجعون لعفوه عن مجاهد تابوا فابدلوا خيرا منها وعن ابن مسعود رض بلغنى

انهم اخلصوا فابدلهم بها جنة تسمى الحيوان الذى فيها عنب يحمل البغل منه عنقودا كذلك

العذاب الذى ذكرناه عذاب الدنيا لمن سلك سبيلهم ولعذاب الاخرة اكبر اعظم منه لو كانوا

يعلمون لما فعلوا ما يفضى الى هذا العذاب ثم ذكر ما عنده للمؤمنين فقال ان للمتقين عن الشرك

عند ربهم اى فى الاخرة جنات النعيم جنات ليس فيها الا التنعم الخالص بخلاف جنات الدنيا

افنجعل المسلمين كالمجرمين استفهام انكار على قولهم لو كان ما يقول محمد حقا فنحن نعطى فى الاخرة

خيرا مما يعطى هو ومن معه كما فى الدنيا فقيل لهم الحيف فى الحكم فنجعل المسلمين كالكافرين ثم قيل

لهم على طريقة الالتفات ما لكم كيف تحكمون هذا الحكم الاعوج وهو التسوية بين العاصى و

المطيع كان امر الجزاء مفوض اليكم حتى تحكموا فيه بما شئتم ام لكم كتاب من السماء فيه تدرسون

تقرؤن فى ذلك الكتاب ان لكم فيه لما تخيرون اى ان ما تختارونه وتشتهونه لكم والاصل

تدرسون ان لكم ما تخيرون بفتح ان لانه مدروس لوقوع الدرس عليه وانما كسرت اللام فى

خبره ويجوز ان يكون حكاية للمدروس كما هو كقوله وتركنا عليه فى الاخرين سلام على

نوح وتخير الشىء واختاره واخذ خيره ام لكم ايمان علينا عهود مؤكدة بالايمان بالغة ايمان

وتتعلق الى يوم القيمة ببالغة اى انها تبلغ ذلك اليوم وتنتهى اليه وافرة لم يبطل منها يمين

الى ان يحصل المقسم عليه من التحكيم او بالمقدر فى الظروف اى هى ثابتة لكم علينا الى يوم القيمة لا

الفقراء

تخرج عن عهدتها الا يوميئذ اذا حكمناكم واعطيناكم ما تحكمون ان لكم لما تحكمون به لانفسكم وهو
جواب القسم لان معنى ام لكم ايمان علينا ام اقسمنا لكم بايمان مغلظة متناهية فى التوكيد سلهم
اى المشركين ايهم بذلك الحكم زعيم كفيل بانه يكون ذلك ام لهم شركاء اى ناس يشاركونهم فى هذا
القول ويذهبون مذهبهم فيه فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين فى دعويهم يعنى ان احدا
لا يسلم لهم هذا ولا يساعدهم عليه كما انه لا كتاب لهم ينطق به ولا عهد لهم به عند الله ولا زعيم
لهم يضمن لهم من الله بهذا يوم يكشف عن ساق ناصب الظرف فليأتوا او اذكر مضمرا والجمهور
على ان الكشف عن الساق عبارة من شدة الامر وصعوبة الخطب فمعنى يوم يكشف عن ساق
يوم يشتد الامر ويصعب ولا كشف ثمة ولا ساق ولكن كنى به عن الشدة لانهم اذا ابتلوا بشدة
كشفوا عن الساق وهذا كما تقول للاقطع الشحيح يده مغلولة ولا يد ثمة ولا غل وانما هو
كناية عن البخل وعما عن شبه فليضيق عطنه وقلة نظره فى علم البيان ولو كان الامر كما زعم المشبه
لكان من حق الساق ان يعرف لانها ساق معهودة عنده ويدعون اى الكفار ثمة الى السجود
لا تكليفا ولكن توبيخا على تركهم السجود فى الدنيا فلا يستطيعون ذلك لان ظهورهم تصير
كصياص البقرة لا تنثنى عند الرفع والخفض خاشعة يعنى ذليلة حال من الضمير فى يدعون ابصارهم
اى يدعون فى حال خشوع ابصارهم ترهقهم ذلة يغشاهم صغار وقد كانوا يدعون على السنة
الرسل الى السجود فى الدنيا وهم سالمون اى وهم اصحاء فلا يسجدون فلذلك منعوا من السجود
ثمة قال فذرنى يقال ذرنى واياه اى كله الى فالمراد كل امره الى فانى اكفيكه ومن يكذب معطوف
على المفعول او مفعول معه بهذا الحديث بالقران والمراد كل امره الى وخل بينى وبينه فانى عالم
بما ينبغى ان يفعل به مطيق له فلا تشغل قلبك شانه وتوكل على بالانتقام منه تسلية لرسول الله
وتهديدا للمكذبين سنستدرجهم سندنيهم من العذاب درجة درجة يقال استدرجه الى
كذا اذا استنزله اليه درجة فدرجة حتى يورطه فيه واستدراج الله العطاه ان يرزقهم الصحة
والنعمة فيجعلون رزق الله ذريعة الى ازدياد المعاصى من حيث لا يعلمون من الجهة التى لا يعلم
انه استدراج قيل كلما احدثوا معصية جددنا لهم نعمة وانسيناهم شكرها قال عليه الصلوة والسلام
اذا رايت الله تعالى ينعم على عبد وهو مقيم على معصية فاعلم انه مستدرج وتلا هذه الاية واملى لهم

وامهلهم

وامهلهم ان كيدى متين شديد فسمى احسانه وتمكينه كيدا كما سماه استدراجا لكونه فى صورة الكيد
حيث كان سببا للهلاك والاصل ان معنى الكيد والمكر والاستدراج هو الاخذ من جهة الامن
ولا يجوز ان يسمى الله كايدا وماكرا ومستدرجا ام تسالهم على تبليغ الرسالة اجرا فهم من مغرم غرامة
مثقلون فلا يؤمنون استفهام بمعنى النفى اى ليست تطمع اجرا على تبليغ الوحى فيثقل عليهم ذلك
فيمتنعون لذلك ام عندهم الغيب اى اللوح المحفوظ عند الجمهور فهم يكتبون ما يحكمون
فاصبر لحكم ربك وهو امهالهم وتاخير نصرتك عليهم لانهم وان امهلوا لم يهملوا ولا تكن
كصاحب الحوت كيونس عليه السلام فى العجلة والغضب على القوم حتى لا تبتلى ببلائه والوقف
على الحوت لان ليس بظرف لما تقدم اذ النداء طاعة فلا ينهى عنه بل مفعول محذوف اى اذكر
اذ نادى دعا ربه فى بطن الحوت وبلا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين وهو مكظوم
مملو غيظا من كظم السقاء اذا ملاءه لولا ان تداركه نعمة رحمة من ربه لولا ان الله انعم عليه
باجابة دعائه وقبول عذره لنبذ بالعراء بالفضاء وهو مذموم معاتب بزلته لكنه رحم فنبذ
غير مذموم فاجتبيه ربه اصطفاه لدعائه وعذره فجعله من الصالحين من المستكملين بصفات
الصلاح ولم يبق له زلة وقيل من الانبياء وقيل من المرسلين والوجه هو الاول لانه كان مرسلا
ونبيا قبله لقوله تعالى وان يونس لمن المرسلين اذ ابق الى الفلك المشحون الايات وان يكاد الذين
كفروا ليزلقونك بابصارهم وبفتح الياء مدنى ان مخففة من الثقيلة واللام عليها زلقه وازلقه
ازاله من مكانه اى قارب الكفار من شدة نظرهم اليك شزرا بعيون العداوة ان يزيلوك
بابصارهم عن مكانك او يهلكوك لشدة حنقهم عليك وكانت العين فى بنى اسد فكان الرجل
منهم يتجوع ثلثة ايام فلا يمر به شئ فيقول فيه لم ار كاليوم مثله الا هلك فاريد بعضهم العين
على ان يقول فى رسول الله مثل ذلك فقال لم ار كاليوم رجلا فعصمه الله عن ذلك وفى الحديث
العين حق وان العين لتدخل الجمل القدر والرجل القبر وعن الحسن رقية العين هذه الاية
لما سمعوا الذكر القران ويقولون حسدا على ما اوتيت من النبوة انه لمجنون محمد المجنون تحيرا
فى امره وتنفيرا عنه وما هو القران الا ذكر وعظ للعالمين للجن والانس يعنى انهم جننوه لاجل
القران وما القران الا موعظة للعالمين فكيف يجنن من جاء بمثله وقيله لما سمعوا الذكر

اى ذكره عليه الصلوة والسلام وما هو اى محمد عليه الصلوة والسلام الا ذكر شرف للعالمين فكيف

ينسب اليه الجنون سورة الحاقة مكية وهى احدى وخمسون اية بسم الله الرحمن الرحيم

الحاقة الساعة الواجبة الوقوع الثابتة المجئ التى هى اتية لا ريب فيها من حق يحق بالكسر اى

وجب ما الحاقة مبتداء وخبر وهما خبر الحاقة والاصل الحاقة ما هى اى شئ هى تفخيما لشانها

وتعظيما لهولها اى حقها ان يستفهم عنها لعظمها فوضع الظاهر موضع المضمر لزيادة التهويل

وما ادريك واى شئ اعلمك ما الحاقة يعنى انك لا علم لك بكنهها ومدا عظمها لانه من العظم

والشدة بحيث لا يبلغه دراية المخلوقين وما رفع بالابتداء وادريك الخبر والجملة بعد

فى موضع نصب لانه مفعول ثان لادريك كذبت ثمود وعاد بالقارعة اى بالحاقة فوضعت

القارعة موضعها لانها من اسماء القيمة وسميت بها لانها تقرع الناس بالافزاع والاهوال

ولما ذكرها وفخمها اتبع ذكر ذلك ذكر من كذب بها وما حل بهم بسبب التكذيب تذكيرا لاهل

مكة وتخويفا لهم من عاقبة تكذيبهم فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية بالواقعة المجاوزة للحد

فى الشدة واختلف فيها فقيل الرجفة وقيل الصيحة وقيل الطاغية مصدر كالعافية اى بطغيانهم

ولكن هذا لا يطابق قوله واما عاد فاهلكوا بريح اى بالدبور لقوله عليه الصلوة والسلام نصرت

بالصبا واهلكت عاد بالدبور صرصر شديدة الصوت من الصرة الصيحة او باردة من الصر كانها

التى كرر فيها البرد وكثر فهى تحرق بشدة بردها عاتية شديدة العصف او عتت على خزانها فلم

يضبطوها باذن الله غضبا على اعداء الله سخرها سلطها عليهم سبع ليال وثمانية ايام وكان ابتداء

العذاب يوم الاربعاء اخر الشهر الى الاربعاء الاخرى حسوما متتابعة لا ينقطع جمع حاسم كشهود

تمثيلا لتتابعها بفعل الحاسم فى اعادة الكى على الداء كرة بعد اخرى حتى ينحسم وجاز ان يكون

مصدرا اى تحسم حسوما بمعنى تستاصل استيصالا فترى ايها المخاطب القوم فيها اى فى مهابها او فى

الليالى والايام صرعى حال جمع صريع كانهم احال اخرى اعجاز اصول نخل جمع نخلة خاوية ساقطة

او بالية فهل ترى لهم من باقية من نفس باقية او من بقاء كالطاغية بمعنى الطغيان وجاء فرعون

ومن قبله ومن تقدمه من الامم ومن قبله بصرى وعلى اى ومن عنده من اتباعه والمؤتفكات قرى

قوم لوط فهى ايتفكت اى انقلبت بهم بالخاطئة بالخطاء او بالفعلة او بالافعال ذات الخطاء العظيم

فعصوا

فعصوا اى قوم لوط رسول ربهم لوطا فاخذهم اخذة رابية شديدة زائدة فى الشدة كما زادت قبائحهم

فى القبح انا لما طغى الماء ارتفع وقت الطوفان على جبل فى الدنيا خمسة عشر ذراعا حملناكم اى اباءكم

فى الجارية فى سفينة نوح عليه السلام لنجعلها اى الفعلة وهى انجاء المؤمنين واغراق الكافرين لكم تذكرة

عبرة وعظة وتعيها وتحفظها اذن بضم الذال غير نافع واعية حافظة لما تسمع قال قتادة وهى اذن

عقلت عن الله وانتفعت بما سمعت فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة هى النفخة الاولى ويموت عندها

الناس والثانية يبعثون عندها وحملت الارض والجبال رفعتا من موضعهما فدكتا دكة واحدة

وقادتا كسرتا اى ضرب بعضها ببعض حتى تندق وترجع كثيبا مهيلا وهباء منبثا فيومئذ وقعت

الواقعة نزلت النازلة وهى القيمة وجواب اذا وقعت ويومئذ بدل من اذا وانشقت السماء فتحت

ابوابا فهى يومئذ واهية مسترخية ساقطة القوة بعدما كانت محكمة والملك للجنس بمعنى الجمع

وهو اعظم من الملائكة على ارجائها جوانبها واحدها رجا مقصور لانها اذا انشقت وهى مسكن

الملائكة فيلجئون الى اطرافها ويحمل عرش ربك فوقهم فوق الملك الذى على ارجائها يومئذ ثمانية

منهم واليوم تحمله اربعة ويزيدت اربعة اخرى يوم القيمة وعن الضحاك ثمانية صفوف وقيل ثمانية

اصناف يومئذ تعرضون للحساب والسوال شبه ذلك بعرض العسكر ليعرف احواله لا تخفى منكم

خافية سريرة وحال كانت تخفى فى الدنيا وبالياء كوفى غير عاصم وفى الحديث يعرض الناس يوم

القيمة ثلث عرضات فاما عرضتان فجدال ومعاذير واما الثالثة فعندها يطير الصحف فياخذ

الفائز كتابه بيمينه والهالك بشماله فاما تفصيل للعرض من اوتى كتابه بيمينه فيقول سرورا به

لما يرى فيه الخيرات خطابا لجماعته هاؤم اسم للفعل اى خذوا اقرؤا كتابيه تقديره هاؤم كتابى

اقرؤا كتابيه فحذف الاول لدلالة الثانى عليه والعامل فى كتابيه اقرؤا عند البصريين لانهم يعملون

الاقرب والهاء فى كتابيه وحسابيه وماليه وسلطانيه للسكت وحقها ان تثبت فى الوقف وتسقط

فى الوصل وقد استحب ايثار الوقف ايثارا لثباتها فى المصحف انى ظننت وانما اجرى الظن مجرى العلم

لان الظن الغالب يقوم مقام العلم فى العادات والاحكام لان ما يدرك بالاجتهاد قلما يخلو عن

الوساوس والخواطر وهى تفضى الى الظنون فجاز اطلاق لفظ الظن عليها لما لا يخلو عنه انى ملاق

حسابيه معاين حسابى فهو فى عيشة راضية ذات رضا يرضى بها صاحبها كلابن فى جنة عالية رفيعة

المكان او رفيعة الدرجات او رفيع المباني والقصور وهو خبر بعد خبر قطوفها دانية ثمارها قريبة من
مريدها ينالها القاعد كالقايم يقال لهم كلوا واشربوا هنيئا اكلا وشربا هنيئا لا مكروه فيها ولا اذى او هنيتم
هنيئا على المصدر بما اسلفتم بما قدمتم من الاعمال الصالحة في الايام الخالية الماضية من ايام الدنيا وعن
ابن عباس رض هي في الصائمين اي كلوا واشربوا بدل ما امسكتم عن الاكل والشرب لوجه الله واما من اوتي
كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم اوت كتابيه لما يرى فيها من الفضايح ولم ادر ما حسابيه يا ليتني لم اعلم
ما حسابي يا ليتها يا ليت الموتة التي متها كانت القاضية اي القاطعة لامري فلم ابعث بعدها ولم الق
ما القى ما اغنى عني ماليه اي لم ينفعني ما جمعته في الدنيا فما نفي والمفعول محذوف اي شيا هلك عني
سلطانيه ملكي وتسلطي على الناس وبقيت فقيرا ذليلا وعن ابن عباس رض ضلت عني حجتي اي بطلت
حجتي التي كنت احتج بها في الدنيا فيقول الله تعالى لخزنة جهنم خذوه فغلوه اي اجمعوا يديه الى عنقه
ثم الجحيم صلوه اي ادخلوه يعني ثم لا تصلوه الا الجحيم وهي النار العظمى او نصب الجحيم بفعل يفسره
صلوه ثم في سلسلة ذرعها طولها سبعون ذراعا بذراع الملك عن ابن جريج وقيل لا يعرف قدرها
الا الله فاسلكوه فادخلوها والمعنى في تقديم السلسلة على الاسلك مثله في تقديم الجحيم على التصلية
انه تعليل كانه قيل ماله يعذب هذا العذاب الشديد فاجيب بانه كان لا يؤمن بالله العظيم ولا يحض
على طعام المسكين على بذل طعام المسكين وفيه اشارة الى انه كان لا يؤمن بالبعث لان الناس لا يطلبون
من المساكين الجزاء فيما يعطونهم لوجه الله ورجاء الثواب في الاخرة فاذا لم يؤمنوا بالبعث لم يكن
له ما يحمله على اطعامهم اي انه مع كفره لا يحض غيره على اطعام المحتاجين وفيه دليل قوي على اعظم جرم
حرمات المسكين لانه عطفه على الكفر وجعله دليلا عليه وقرينة له ولانه ذكر الحض دون الفعل ليعلم
ان تارك الحض اذا كان بهذه المنزلة فتارك الفعل احق وعن ابي الدرداء رض انه يحض امراته على تكثير المرق
لاجل المساكين ويقول خلعنا نصف السلسلة بالايمان فنخلع نصفها بهذا وهذه الايات ناطقة على
ان المومنين يرحمون جميعا والكافرون لا يرحمون لانه قسم الخلق صنفين فجعل صنفا منهم اهل اليمين
ووصفهم بالايمان فحسب بقوله اني ظننت اني ملاق حسابيه وصنفا منهم اهل الشمال ووصفهم بالكفر
بقوله انه كان لا يؤمن بالله العظيم وجاز ان الذي يعاقب من المؤمنين انما يعاقب قبل ان يؤتى كتابه
بيمينه فليس له اليوم ههنا حميم قريب يدفع عنه ويحزن له قلبه ولا طعام الا من غسلين غسالة اهل

يطعمونهم

النار

النار فعلين من الغسل والنون زائدة فاريد به ههنا ما يسيل من ابدانهم من الصديد والدم لا ياكله
الا الخاطئون الكافرون اصحاب الخطايا وخطئ الرجل اذا تعمد الذنب فلا اقسم بما تبصرون من
الاجسام والارض والسماء وما لا تبصرون من الملايكة والارواح فالحاصل انه اقسم بجميع الاشياء
ان القران لقول رسول كريم اي محمد عليه الصلوة والسلام او جبرئيل عليه السلام اي يقوله ويتكلم به
على وجه الرسالة من عند الله وما هو بقول شاعر كما تدعون قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن كما تقولون
قليلا ما تذكرون وبالياء فيهما مكي وشامي ويعقوب وكل وبتخفيف الذال كوفي غير ابي بكر والقلة
في معنى العدم يقال هذه ارض قلما تنبت اي لا تنبت اصلا والمعنى لا تؤمنون ولا تذكرون البتة
تنزيل هو تنزيل بيانا لانه قول رسول الله نزل عليه من رب العالمين ولو تقول علينا بعض الاقاويل
ولو ادعا علينا شيئا لم نقله لاخذنا منه باليمين لقتلناه صبرا كما يفعل الملوك بمن يتكذب عليهم
معاجلة بالسخط والانتقام فصور قتل الصبر بصورته ليكون اهول هول وهوانه يأخذ بيده
ويضرب رقبته وخص لان القتال اذا اراد ان يوقع الضرب في قفاه اخذ بيساره واذا اراد ان يوقعه
في جيده وان يكفه بالسيف وهو اشد على المصبور لنظره الى السيف بيمينه ومعنى لاخذنا منه باليمين
لاخذنا بيمينه وكذا ثم لقطعنا منه الوتين لقطعنا وتينه وهو نياط القلب اذا قطع مات صاحبه
فما منكم الخطاب للناس او للمؤمنين من احد من زائدة عنه عن قتل محمد عليه الصلوة والسلام وجمع
حاجزين وان كان وصف احد لانه في معنى الجماعة ومنه قوله تعالى لا نفرق بين احد من رسله
وانه وان القران لتذكرة لعظة للمتقين وانا لنعلم ان منكم مكذبين به وانه وان القران لحسرة
على الكافرين به بمكذبين له اذا راوا ثواب المصدقين به وانه وان القران لحق اليقين لعين اليقين
ومحض اليقين فسبح باسم ربك العظيم فسبح الله بذكر اسم العظيم وهو قوله سبحان الله وتعالى

سورة المعارج مكية وهي اربع واربعون او خمس واربعون اية بسم الله الرحمن الرحيم

سال سائل هو نضر بن الحارث قال ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء
او ائتنا بعذاب اليم او هو النبي عليه الصلوة والسلام دعا بنزول العذاب عليهم ولما ضمن سال
معنى دعا عدى تعديته كانه قيل دعا داع بعذاب واقع من قولك دعا بكذا اذا استدعاه وطلبه
ومنه قوله تعالى يدعون فيها بكل فاكهة سال بغير همزة مدني وشامي وهو من السوال ايضا الا انه خفف

العلو

بالتابعين وسايل مهموز اجماعا لكافرين صفة للعذاب اى بعذاب واقع كاين للكافرين ليس له
كذلك العذاب دافع راد من الله متصل بواقع اى واقع من عنده او بدافع اى ليس له دافع من
جهة اذا جاء وقته ذى المعارج اى مصاعد السماء للملايكة جمع معرج وهو موضع العروج
ثم وصف المصاعد وبعد مداها فى العلو والارتفاع فقال تعرج تصعد وبالياء على الملايكة و
الروح اى جبريل عليه السلام خصه بالذكر بعد العموم لفضله وشرفه او خلقهم حفظة على الملايكة
كان الملايكة حفظة علينا او ارواح الملايكة المؤمنين عند الموت اليه الى عرشه ومهبط امره
فى يوم من صلة تعرج كان مقداره خمسين الف سنة من سنى الدنيا لو صعد فيه غير ملك او من
صلة واقع اى يقع فى يوم طويل مقداره خمسون الف سنة من سنكم وهو يوم القيمة فاما ان
يكون استطالة له لشدته على الكفار او لانه على الحقيقة كذلك فقد قيل فيه خمسون موطنا كل موطنا
الف سنة وما قدر ذلك على المؤمن الا كما بين الظهر والعصر فاصبر متعلق بسال سايل لان استعجال
النضر بالعذاب انما كان على وجه الاستهزاء برسول الله والتكذيب بالوحى وكان ذلك مما يضجر رسول الله
فامر بالصبر عليه صبرا جميلا بلا جزع ولا شكوى انهم ان الكافر يرونه اى العذاب او يوم القيمة بعيدا
ومستحيلا ونريه قريبا كاينا لا محالة فالمراد بالبعيد البعيد بالامكان وبالقريب القريب منه نصب
يوم تكون السماء بقريبا اى يمكن فى ذلك اليوم او هو بدل عن فى يوم فيمن علقه بواقع كالمهل
كدردى الزيت او كالفضة المذابة فى تلونها وتكون الجبال كالعهن كالصوف المصبوغ الوانا
لان الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود فاذا بست وطيرت فى الجو اشبهت
العهن المنفوش اذا طيرته الريح ولا يسال حميم حميما لا يسال قريب عن قريب لاشتغاله بنفسه وعن البزى
والبرجمى بضم الياء اى لا يسال قريب عن قريب اى لا يطالب به ولا يوخذ بذنبه يبصرونهم صفة
اى حميما مبصرين معرفين اياهم او مستانف كانه لما قال ولا يسال حميم حميما قيل لعله لا يبصره
فقيل يبصرونهم ولكنهم لتشاغلهم لم يتمكنوا من تساؤلهم والواو ضمير الحميم الاول وهو ضمير حميم الثانى
اى يبصر الاحماء فلا يخفون عليهم وانما جمع الضميران وهما للحميمين لان فعيلا يقع موقع الجمع يود
المجرم يتمنى المشرك وهو مستانف او حال من الضمير المرفوع او المنصوب من يبصرونهم لو يفتدى من
عذاب يومئذ وبالفتح مدنى وعلى على البناء للاضافة الى غير تمكن ببنيه وصاحبته وزوجته واخيه

وفصيلته

وفصيلته وعشيرته الادنين التى تؤويه تضمه انتماء اليها وبغير همز يزيد ومن فى الارض جميعا من
الناس ثم ينجيه الافتداء عطف على يفتدى كلا ردع للمجرم على الودادة وتنبيه على انه لا ينفعه الافتداء
ولا ينجيه من العذاب انها ان النار ودل ذكر العذاب عليها او هو ضمير مبهم ترجم عنه الخبر او ضمير
القصة لظى علم النار نزاعة حفص والمفضل على الحال المؤكدة او على الاختصاص للتهويل وغيرها بالرفع
خبر بعد خبر لان او على هى نزاعة للشوى لاطراف الانسان كاليدين والرجلين او جمع شواة وهى
جلدة الراس تنزعها نزعا فتفرقها ثم تعود الى ما كانت تدعوا باسمائهم يا كافر يا منافق الى او
لهلاك من قولهم دعاك الله اى اهلك او لما كان مصيره اليها جعلت كانها دعته من ادبر عن الحق
وتولى عن الطاعة وجمع المال فاوعى فجعله فى وعاء ولم يؤد حق الله ان الانسان اريد به الجنس
ليصح استثناء المصلين منه خلق هلوعا عن ابن عباس رض يفسره ما بعده اذا مسه الشر جزوعا و
اذا مسه الخير منوعا والهلع سرعة الجزع عند مس المكروه وسرعة المنع عند مس الخير وسال محمد
بن عبد الله بن طاهر ثعلبا عن الهلع فقال وقد فسره الله تعالى ولا يكون تفسير ابين من تفسيره و
هو الذى اذا ناله شر اظهر شدة الجزع واذا ناله خير بخل به ومنعه الناس وهذا طبعه وهو مامور
بمخالفة طبعه وموافقة شرعه والشر الضر والفقر والخير السعة والغنى او المرض والصحة الا
المصلين الذين هم على صلوتهم اى صلوتهم الخمس دائمون يحافظون عليها فى مواقيتها عن ابن
مسعود رض والذين فى اموالهم حق معلوم يعنى الزكوة لانها مقدرة معلومة او صدقة
يوضعها الرجل على نفسه يؤديها فى اوقات معلومة للسائل الذى يسال والمحروم الذى يتعفف
عن السوال فيحسب غنيا فيحرم والذين يصدقون بيوم الدين اى يوم الجزاء والحساب وهو يوم
القيمة والذين هم من عذاب ربهم مشفقون خائفون واعترض بقوله ان عذاب ربهم غير
مامون بالهمزة سوى ابى عمرو اى لا ينبغى لاحد وان بالغ فى الطاعة والاجتهاد ان يامنه وينبغى
ان يكون مترجحا بين الخوف والرجاء والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم نساءهم
او ما ملكت ايمانهم اى امائهم فانهم غير ملومين على ترك الحفظ فمن ابتغى طلب منكحا وراء ذلك
غير الزوجات والمملوكات فاولئك هم العادون المجاوزون عن الحل والحرام وهذه الاية تدل
على حرمة المتعة ووطى الذكران والبهائم والاستمتاء بالكف والذين هم لاماناتهم مكى هى

وهى يتناول امانات الشرعية وامانات العباد وعهدهم اى عهودهم ويدخل فيها عهود الحلف والنذر
والايمان راعون حافظون غير خاينين ولا ناقضين وقيل الامانات مايدل عليه العقول والعهد
ما اتى به الرسول والذين هم بشهاداتهم حفص وسهل ويعقوب قائمون اى يقيمونها عند الحكام
بلا ميل الى قريب وشريف وترجيح للقوى على الضعيف اظهار الصلابة فى الدين ورغبة فى احياء
حقوق المسلمين والذين هم على صلوتهم يحافظون كرر ذكر الصلوة لبيان انها اهم او لان
احديهما للفرايض والاخرى للنوافل وقيل الدوام عليها الاستكثار منها والمحافظة عليها ان لا
يضيع عن مواقيتها او الدوام عليها اداؤها فى اوقاتها والمحافظة عليها حفظ اركانها وواجباتها
وسننها وادابها اولئك اصحاب هذه الصفات فى جنات مكرمون هما خبران ثم الكتب منفصلا
اتباعا لمصحف عثمان رض الذين كفروا قبلك نحوك معمول مهطعين حال من الذين كفروا عن
اليمين وعن الشمال عن يمين النبى عليه الصلوة والسلام وشماله عزين حال اى فرقا شتى جمع عزة
واصلها عزوة كان كل فرقة تعتزى الى غير من يعتزى اليه الاخرى فهم متفرقون كان المشركون
يحتفون حول النبى صلى الله عليه وسلم حلقا حلقا وفرقا فرقا يستمعون ويستهزؤن بكلامه و
يقولون ان دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد فلندخلنها قبلهم فنزلت ايطمع كل امرئ منهم ان
يدخل بضم الياء وفتح الخاء سوى المفضل جنة نعيم كالمؤمنين كلا ردع لهم عن طمعهم فى دخول
الجنة انا خلقناهم مما يعلمون اى من النطفة المذكرة ولذلك ابهم اشعارا بانه منصب يستحيى
من ذكره فمن اين يشرفون ويدعون التقدم ويقولون لندخلن الجنة قبلهم او معناه انا خلقناهم
من نطفة كما خلقنا بنى ادم كلهم ومن حكمنا ان لا يدخل احد الجنة الا بالايمان فلم يطمع ان يدخلها
من لا ايمان له فلا اقسم برب المشارق مطالع الشمس والمغارب ومغاربها انا لقادرون على
ان نبدل خيرا منهم على ان نهلكهم ونأتى بخلق امثل منهم واطوع لله وما نحن بمسبوقين بعاجزين
فذرهم فدع المكذبين يخوضوا فى باطلهم ويلعبوا فى دنياهم حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون
فيه العذاب يوم بدل من يومهم يخرجون بفتح الياء وضم الراء سوى الاعشى من الاجداث القبور
سراعا جمع سريع حال اى الى الداعى كانهم حال الى نصب شامى وحفص سهل نصب المفضل نصب
غيرهم وهو كل ما نصب وعبد من دون الله يوفضون يسرعون خاشعة حال من ضمير يخرجون اى

ذليلة

ذليلة ابصارهم يعنى لا يرفعونها لمذلتهم ترهقهم ذلة يغشاهم هوان ذلك اليوم الذى كانوا
يوعدون فى الدنيا وهم يكذبون به سورة نوح عليه السلام مكية وهى ثمان وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم انا ارسلنا نوحا قيل معناه بالسريانية
الساكن الى قومه ان انذر حذف اصله بان انذر فحذف الجار واوصل الفعل ومحله عند الخليل جر
وعند غيره نصب وان مفسرة بمعنى اى لان فى الارسال معنى القول قومك من قبل ان ياتيهم عذاب
اليم عذاب الاخرة او الطوفان قال يا قوم اضافهم الى نفسه اظهارا للشفقة انى لكم نذير مبين
ابين لكم رسالة الله بلغة تعرفونها ان اعبدوا الله وحدوه وان هذه نحو ان انذر فى الوجهين
واتقوه واحذروا عصيانه واطيعون فيما امركم به وانهاكم عنه وانما اضافه الى نفسه لان
الطاعة قد تكون لغير الله تعالى بخلاف العبادة يغفر لكم جواب الامر من ذنوبكم للبيان كقوله
تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان او للتبعيض لان ما يكون بينه وبين الخلق يؤخذ به بعد
الاسلام كالقصاص وغيره كذا فى شرح التاويلات ويؤخركم الى اجل مسمى وهو وقت موتكم
ان اجل الله اى الموت اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون ما يحل لكم من الندامة عند انقضاء اجلكم
لامنتم قيل ان الله تعالى قضى مثلا ان قوم نوح ان امنوا عمرهم الف سنة وان لم يؤمنوا اهلكهم
على راس تسع مائة فقيل لهم امنوا يؤخركم الى اجل مسمى اى تبلغوا الف سنة ثم اخبر ان الالف
اذا جاء لا يؤخر كما يؤخر هذا الوقت وقيل انهم كانوا يخافون على انفسهم الاهلاك من قومهم
بايمانهم واجابتهم لنوح عليه السلام فكانه عليه السلام امنهم عن ذلك ووعدهم انهم بايمانهم
يبقون الى الاجل الذى ضرب لهم لو لم يؤمنوا اى انكم ان اسلمتم بقيتم الى الاجل المسمى امنين من عدوكم
قال رب انى دعوت قومى ليلا ونهارا دائما بلا فتور فلم يزدهم دعائى الا فرارا عن طاعتك ونسب
ذلك الى دعائه لحصوله عنده وان لم يكن الدعاء سببا للفرار فى الحقيقة وهو كقوله واما الذين
فى قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم والقران لا يكون زيادة لسبب الرجس وكان الرجل
يذهب بابنه الى نوح عليه السلام فيقول احذر هذا فلا يغرنك فان ابى قد وصانى به وانى كلما دعوتهم
الى الايمان بك لتغفر لهم اى ليتوبوا فتغفر لهم فاكتفى بذكر السبب جعلوا اصابعهم فى اذانهم سدوا
مسامعهم كيلا يسمعوا كلامى واستغشوا ثيابهم وتغطوا بها لئلا يبصرونى كراهة النظر الى وجه

مخوفهم

من ينصحهم في دين الله سبحانه وتعالى واصروا واقاموا على كفرهم واستكبروا استكبارا وتعظموا عن
اجابتي وذكر المصدر دليل على فرط استكبارهم ثم اني دعوتهم جهارا مصدر في موضع الحال اي مجاهرا
او مصدر دعوتهم كقعد القرفصاء لان الجهار احد نوعي الدعاء يعني اظهرت لهم الدعوة في المحاقل
ثم اني اعلنت لهم واسررت لهم اسرارا اي خلطت دعاءهم العلانية بدعاء السر فالحاصل انه دعاهم ليلا
ونهارا في السر ثم دعاهم جهارا ثم دعاهم في السر والعلن وكذا يفعل الامر بالمعروف يبتدئ بالاهون
ثم بالاشد فالاشد فافتتح بالمناصحة في السر فلما لم يقبلوا ثنى بالمجاهرة فلما لم يؤثر ثلث بالجمع بين
الاسرار والاعلان وثم يدل على تباعد الاحوال لان الجهار اغلظ من الاسرار والجمع بين الامرين
اغلظ من الاسرار والجمع بين الامرين اغلظ من افراد احدهما فقلت استغفروا ربكم من الشرك لان
الاستغفار طلب المغفرة فان كان المستغفر كافرا فهو من الكفر وان كان عاصيا مؤمنا فهو من
الذنوب انه كان غفارا لم يزل غفار الذنوب من ينيب اليه يرسل السماء اي المطر عليكم مدرارا كثير
الدرور مفعال يستوي فيه المذكر والمؤنث ويمددكم باموال وبنين يزدكم اموالا وبنين ويجعل لكم
جنات بساتين ويجعل لكم انهارا جارية لمزارعكم وبساتينكم وكانوا يحبون الاموال والاولاد فحركوا
بهذا على الايمان وقيل لما كذبوه بعد طول تكرير الدعوة حبس الله عنهم المطر واعقم ارحام نسائهم
اربعين سنة او سبعين فوعدهم انهم ان آمنوا رزقهم الله الخصب ودفع عنهم ما كانوا فيه وعن عمر رضي
انه خرج يستسقي فما زاد على الاستغفار فقيل له ما رايناك استسقيت فقال لقد استسقيت بمجاديح السماء
التي كانوا يستنزل بها المطر شبه الاستغفار بالانواء الصادقة التي لا تخطئ وقرى الآيات وعن الحسن
ان رجلا شكى اليه الجدب فقال استغفر الله وشكى اليه اخر الفقر واخر قلة النسل واخر قلة ريع ارض
فامرهم كلهم بالاستغفار فقال له الربيع اتاك رجال يشكون ابوابا فامرتهم كلهم بالاستغفار فتلا الآيات
ما لكم لا ترجون لله وقارا لا تخافون لله عظمة عن الاخفش قال والزجاج هذا الخوف لان مع
الرجاء طرفا من الخوف من الياس والعظمة او لا تاملون توقير الله اي تعظيما والمعنى ما لكم لا تكونون
على حال تاملون فيها تعظيم الله اياكم في دار الثواب وقد خلقكم اطوارا في موضع الحال اي ما لكم لا تؤمنون
بالله والحال هذه وهي حال موجبة للايمان به لانه خلقكم اطوارا اي تارات وكرات خلقكم اولا نطفا ثم خلقكم
علقا ثم خلقكم مضغا ثم خلقكم عظاما ولحما نبههم اولا على النظر في انفسهم لانها اقرب ثم على النظر في

العالم وما سوى فيه من العجايب الدالة على الصانع بقوله الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا
بعضها على بعض وجعل القمر فيهن نورا اي في السموات وهو في السماء الدنيا لان ما بين السموات
ملابسة من حيث انها طباق وجاز ان يقال فيهن كذا وان لم يكن في جميعهن كما يقال في المدينة كذا وهو
في بعض نواحيها وعن ابن عباس وابن عمر رضي ان الشمس والقمر وجوههما مما يلي السموات وظهورهما
مما يلي الارض فيكون نور القمر محيطا بجميع السموات لانها لطيفة لا تحجب نوره وجعل الشمس
سراجا مصباحا يبصر اهل الدنيا في ضوئها كما يبصر اهل البيت في ضوء السراج ما يحتاجون الى ابصاره
وضوء الشمس اقوى من نور القمر واجمعوا على ان الشمس في السماء الرابعة والله انبتكم من
الارض انشاكم استعير الانبات للانشاء نباتا فنبتم نباتا ثم يعيدكم فيها بعد الموت ويخرجكم يوم القيامة
اخراجا اكده بالمصدر اي اي اخراج والله جعل لكم الارض بساطا مبسوطة لتسلكوا منها لتتقلبوا
عليها كما يتقلب الرجل على بساطه سبلا طرقا فجاجا واسعة ومختلفة قال نوح رب انهم عصوني
فيما امرتهم به من الايمان والاستغفار واتبعوا اي السفلة والفقراء من لم يزده ماله وولده
اي الرؤساء واصحاب الاموال والاولاد وولده مكي وعراقي غير عاصم وهو جمع ولد كاسد واسد
الا خسارا في الاخرة ومكروا معطوف على لم يزده وجمع الضمير وهو راجع الى من لانه في معنى الجمع
والماكرون هم الرؤساء ومكرهم احتيالهم في الدنيا وكيدهم لنوح وتحريش الناس على اذاه وصدهم
عن الميل اليه مكرا كبارا من الكبار وقرئ به وهو اكبر من الكبير وقالوا اي الرؤساء لسفلتهم لا تذرن
الهتكم على العموم اي عبادتها ولا تذرن ودا بفتح الواو وضمها وهو قراءة نافع لغتان صنم على
صورة رجل ولا سواعا هو على صورة امراة ولا يغوث هو على صورة اسد ويعوق هو على صورة
فرس وهما لا ينصرفان للتعريف ووزن الفعل ان كانا عربيين وللتعريف والعجمة او كانا اعجميين
ونسرا وهو على صورة نسر اي هذه الاصنام الخمسة على الخصوص فكانها كانت اكبر اصنامهم واعظمها
عندهم فخصوها بعد العموم وقد انتقلت هذه الاصنام عن قوم نوح الى العرب فكان ود الكلب
سواع لهمدان ويغوث لمذحج ويعوق لمراد ونسر لحمير وقيل هي اسماء رجال صالحين كان الناس
يقتدون بهم بين آدم ونوح فلما توفوا صوروهم ليكون ذلك ادعى لهم الى العبادة فلما طال الزمان
قال ابليس لهم كانوا يعبدونهم فعبدوهم وقد اضلوا اي الاصنام كقوله انهن اضللن كثيرا من الناس

العالم

او الروساء كثيرا من الناس ولا تزد الظالمين عطف على رب انهم عصوني على حكاية كلام نوح عليه السلام
بعد وقال وبعد الواو النائبة عنه ومعنا قال رب انهم عصوني وقال ولا تزد الظالمين اى قال هذين
القولين وهما في محل النصب لانهما مفعولا قال الا ضلالا الا هلاكا كقوله ولا تزد الظالمين الا تبارا
مما خطيئاتهم خطاياهم ابو عمرو اى ذنوبهم اغرقوا بالطوفان فادخلوا نارا عظيمة وتقديم مما خطيئاتهم
لبيان ان لم يكن اغراقهم بالطوفان وادخالهم في النيران الا من اجل خطيئاتهم واكد هذا المعنى
بزيادة ما وكفى بها مزجرة لمرتكب الخطايا فان كفر قوم نوح كان واحده من خطيئاتهم وان كانت
كبراهن والفاء في فادخلوا للايذان بانهم عذبوا بالاحراق عقيب الاغراق فيكون دليلا على اثبات
عذاب القبر فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا ينصرونهم ويمنعونهم من عذاب الله وقال نوح
رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا اى احدا يدور في الارض وهو فيعال من الدور وهو من الاسماء
المستعملة في النفي العام انك ان تذرهم ولا تهلكهم يضلوا عبادك يدعوهم الى الضلال ولا يلدوا الا
فاجرا كفارا الا من اذا بلغ فجر وكفر وانما قال ذلك لان الله تعالى اخبره بقوله لن يؤمن من قومك
الا من قد آمن رب اغفر لي ولوالدي وكانا مسلمين واسم ابيه لملك واسم امه شمخا وقيل هما
آدم وحوا وقرئ لولدي يريد ساما وحاما ولمن دخل بيتي منزلي او مسجدي او سفينتي مومنا
لانه علم ان من دخل بيته مؤمنا لا يعود الى الكفر وللمؤمنين والمؤمنات الى يوم القيمة خص اولا
من يتصل به لانه اولى واحق بدعائه ثم عم المؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين الكافرين الا تبارا هلاكا
فاهلكوا قال ابن عباس رضه دعا نوح عليه السلام بدعوتين احديهما للمؤمنين بالمغفرة واخرى
على الكافرين بالتبار وقد اجيب دعوته في حق الكفار بالتبار فاستحال ان لا يستجاب دعوته
في حق المؤمنين واختلف في صبيانهم حين اغرقوا فقيل اعقم الله ارحام نسائهم قبل الطوفان
باربعين سنة فلم يكن معهم صبي حين اغرقوا وقيل علم الله برائتهم فاهلكوا بغير عذاب

سورة الجن مكية وهي ثمان عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

قل اوحي الي انه الامر والشان اجمعوا على فتحه لانه فاعل اوحي وان لو استقاموا وان المساجد
للعطف على انه استمع فان مخففة من الثقيلة وفي ان قد ابلغوا للتعدي ليعلم اليها وعلى كسرها بعد فاء
الجزاء وبعد القول نحو فان له نار جهنم وقالوا انا سمعنا لانه مبتداء محكي بعد القول واختلفوا في

يا محمد لا تنك م

فتح الهمزة وكسرها من انه تعالى جد ربنا الى وانا منا المسلمون ففتحها شامي وكوفي وغير ابي بكر
عطفا على محل الجار والمجرور في امنا به تقديره صدقناه وصدقنا انه تعالى جد ربنا وانه كان
يقول سفيهنا الى اخرها وكسرها غيرهم عطفا على انا سمعنا وهم يقفون على اواخر الايات استمع
نفر جماعة من الثلثة الى العشرة من الجن جن نصيبين فقالوا لقومهم حين رجعوا اليهم من استماع
قراءة النبي عليه الصلوة والسلام في صلوة الفجر انا سمعنا قرانا عجبا عجيبا بديعا مباينا لساير الكتب
في حسن نظمه وصحة معانيه والعجب ما يكون خارجا عن العادة وهو مصدر وضع موضع العجيب
يهدي الى الرشد يدعوا الى الصواب او الى التوحيد والايمان فآمنا به بالقران ولما كان الايمان به
ايمانا بالله وبوحدانيته وبراءة من الشرك قالوا ولن نشرك بربنا احدا من خلقه وجاز ان يكون الضمير
في به الله تعالى لان قوله بربنا يفسره وانه تعالى جد ربنا عظمته يقال جد فلان في عيني اي عظم ومنه
قول عمر وانس كان الرجل اذا قرا البقرة وآل عمران جد فينا اي عظم في عيوننا ما اتخذ صاحبة ولا
ولدا كما يقول كفار الجن والانس وانه كان يقول سفيهنا جاهلنا وابليس اذ ليس فوقه سفيه
على الله شططا كفرا لبعده عن الصواب من شطت الدار اي بعدت او قولا يجوز فيه عن الحق وهو
نسبة الصاحبة والولد اليه والشطط مجاوزة الحد في الظلم وغيره وانا ظننا ان لن تقول الانس و
الجن على الله كذبا قولا كذبا اي مكذوبا فيه او نصب على المصدر اذ الكذب نوع من القول اي كانا
في ظننا ان احدا لن يكذب على الله نسبة الصاحبة والولد اليه فكنا نصدقهم فيما اضافوا اليه
حتى تبين لنا بالقران كذبهم كان الرجل من العرب اذا نزل بمخوف من الارض قال اعوذ بسيد
هذا الوادي من سفهاء قومه يريد كبير الجن فقال وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال
من الجن فزادوهم زاد الانس الجن باستعاذتهم لهم رهقا طغيانا وسفها وكبرا بان قالوا سدنا
الجن والانس او فزاد الجن والانس رهقا اثما لاستعاذتهم بهم واصل الرهق غشيان المحظور وانهم
وان الجن ظنوا كما ظننتم يا اهل مكة ان لن يبعث الله احدا بعد الموت اي ان الجن كانوا ينكرون البعث
كانكاركم ثم بسماع القران اهتدوا واقروا بالبعث فهلا اقررتم كما اقروا وانا لمسنا السماء طلبنا
بلوغ السماء واستماع كلام اهلها واللمس المس فاستعير للطلب لان الماس طالب متعرف فوجدناها
ملئت حرسا شديدا قويا جمعا من الملائكة يحرسون جمع حارس ونصب على التميز وقيل الحرس اسم

مفرد في معنى الحراس كالخدم في معنى الخدام ولذا وصف بشديد ولو نظر الى معناه لقيل شدادا وشهبا
جمع شهاب اى كواكب مضيئة وانا كنا نقعد منها من السماء قبل هذا مقاعد للسمع لاستماع اخبار السماء
يعنى كنا نجد بعض السماء خالية من الحرس والشهب قبل البعث فمن يستمع يرد الاستماع الان بعد البعث
يجد له لنفسه شهابا رصدا صفة لشهابا بمعنى الراصد اى يجد شهابا راصدا له ولاجله او هو اسم جمع
للراصد على معنى ذوى شهاب راصدين بالرجيم وهم الملائكة الذين يرجمونهم بالشهب ويمنعونهم
من الاستماع والجمهور على ان ذلك لم يكن قبل مبعث محمد عليه الصلوة والسلام وقيل كان الرجم في الجاهلية
ولكن الشياطين كانت تسترق السمع في بعض الاوقات فمنعوا من الاستراق اصلا بعد مبعث النبي صلى الله
عليه وسلم وانا لاندرى اشر عذاب اريد بمن في الارض بعدم استراق السمع ام اراد بهم ربهم رشدا خيرا
ورحمة وانا منا الصالحون الابرار المتقون ومنا قوم دون ذلك فحذف الموصوف وهم المقتصدون
في الصلاح غير الكاملين فيه واراد واغير الصالحين كنا طرائق قددا بيان للقسمة المذكورة اى كنا ذوى
مذاهب مفترقة او اديان مختلفة والقدد جمع قدة وهى القطعة من قددت السير اى قطعته وانا
ظننا ايقنا ان لن نعجز الله لن نفوته في الارض حال اى لن نعجزه كائنين في الارض اينما كنا فيها ولن نعجزه
هربا مصدر في موضع الحال اى لن نعجزه هاربين منها الى السماء وهذه صفة الجن وما هم عليه من
احوالهم وعقائدهم وانا لما سمعنا الهدى القران آمنا به بالقران او بالله فمن يؤمن بربه فلا يخاف
فهو لا يخاف مبتداء وخبر بخسا نقصا من ثوابه ولا رهقا اى لا يرهقه ذلة من قوله ترهقهم ذلة وقوله
ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة وفيه دليل على ان العمل ليس من الايمان وانا منا المسلمون المؤمنون
ومنا القاسطون الكافرون الجائرون عن طريق الحق قسط جار واقسط عدل فمن اسلم فاولئك تحروا
رشدا طلبوا هدى والتحرى طلب الاحرى اى الاولى واما القاسطون فكانوا في علم الله لجهنم حطبا
وقودا وفيه دليل على ان الجنى الكافر يعذب بالنار ويتوقف في كيفية ثوابهم وان مخففة من الثقيلة
يعنى وانه من جملة الموحى اى اوحى الى ان الشان لو استقاموا اى القاسطون على الطريقة طريقة الاسلام
لاسقيناهم ماء غدقا كثيرا والمعنى لوسعنا عليهم الرزق وذكر الماء الغدق لانه سبب سعة الرزق
لنفتنهم فيه لنختبرهم فيه كيف يشكرون ما خولوا منه ومن يعرض عن ذكر ربه القران او التوحيد او
العبادة يسلكه بالياء عراقى غير ابى عمرو يدخله عذابا صعدا شاقا مصدر صعد او صعودا فوصف به

العباد

يتصعد

العذاب لانه يتصعد المعذب اى يعلوا ويغلبه فلا يطيقه ومنه قول عمر رض ما تصعدنى شئ ما تصعد
خطبة النكاح اى ما شق على وان المساجد لله من جملة الموحى اوحى الى ان المساجد الى البيوت المبنية
للصلوة فيها لله وقيل معناه ولان المساجد لله فلا تدعوا على ان اللام متعلقة بلا تدعوا اى فلا تدعوا
مع الله احدا في المساجد لانها لله خاصة ولعبادته وقيل المساجد اعضاء السجود وهى الجبهة واليدان
والركبتان والقدمان وانه لما قام عبد الله محمد عليه الصلوة والسلام وتقديره واوحى الى انه لما قام عبد الله
يدعوه يعبده ويقراء القران ولم يقل نبى الله او رسول الله لانه من احب الاسماء الى النبى صلى الله
عليه وسلم ولانه لما كان واقعا في كلامه عليه الصلوة والسلام عن نفسه جيئ به على ما يقتضيه التواضع
او لان عبادة عبد الله ليست بمستبعد حتى يكونوا البدا كادوا كاد الجن يكونون عليه لبدا جماعات جمع
لبدة تعجبا مما راوا من عبادته واقتداء اصحابه واعجابا بما تلا من القران لانهم راوا ما لم يروا مثله
قل انما ادعوا ربى وحده قال غير عاصم وحمزة ولا اشرك به احدا في العبادة فلم تتعجبون وتزدحمون
على قل انى لا املك لكم ضرا مضرة ولا رشدا نفعا او اراد بالضر الغى بدليل قراءة ابى غيا ولا رشدا
يعنى لا استطيع ان اضركم وان انفعكم لان الضار والنافع هو الله تعالى قل انى لن يجيرنى من الله احد
لن يدفع عنى عذابه احد ان عصيته كقول صالح عليه السلام فمن ينصرنى من الله ان عصيته ولن اجد
من دونه ملتحدا ملتجا الا بلاغا من الله من استثناء من لا املك اى لا املك لكم ضرا ولا رشدا الا بلاغا
من الله ورسالاته وقل انى لن يجيرنى اعتراض لتاكيد نفى الاستطاعة عن نفسه وبيان عجزه وقيل الا بلاغا
بدل من ملتحدا اى لن اجد من دونه منجى الا ان ابلغ عنه ما ارسلنى به يعنى لا ينجينى الا ان ابلغ عن الله
ما ارسلت به ما ارسلت به فان ذلك ينجينى وقال الفراء هذا شرط وجزاء وليس باستثناء وان منفصلة
من لا وتقديره ان لا ابلغ بلاغا اى لم ابلغ لم اجد من دونه ملتجاء ولا مجيرا لى كقولك ان لا قياما فقعودا
والبلاغ في هذا الوجوه بمعنى التبليغ ورسالاته عطف على بلاغا كانه قيل لا املك لكم الا التبليغ
والرسالات اى الا ان ابلغ من الله تعالى فاقول قال الله تعالى ناسبا لقوله وان ابلغ رسالاته التى
ارسلنى بها بلا زيادة ونقصان ومن ليست بصلة للتبليغ لانه يقال بلغ عنه انما هى بمنزلة من في براءة
من الله اى بلاغا كائنا من الله ومن يعص الله ورسوله في ترك القبول بما انزل على الرسول لانه ذكر على
اثر تبليغ الرسالة فان له نار جهنم خالدين فيها ابدا وحد في قوله له وجمع في خالدين للفظ من ومعناه

يتعلق بمحذوف دلت عليه الحال كانه قيل لا يزالون على ما هم عليه حتى اذا راوا ما يوعدون من العذاب
فسيعلمون عند حلول العذاب بهم من اضعف ناصرا واقل عددا اهم ام المؤمنون اى الكافرون لا
ناصر له يومئذ والمؤمن ينصره الله وملائكته وانبياؤه قل ان ادرى ما ادرى اقريب ما توعدون
من العذاب ام يجعل له ربى وبفتح الياء حجازى وابو عمرو امدا غاية بعيدة يعنى انكم معذبون قطعا
ولكن لا ادرى اهو حال ام مؤجل عالم الغيب خبر مبتدا محذوف اى هو عالم الغيب فلا يظهر
فلا يطلع على غيبه احدا من خلقه الا من ارتضى من رسول الا رسولا قد ارتضاه بعلم بعض الغيب
ليكون اخباره عن الغيب معجزة له فانه يطلعه على غيبه ما شاء من رسول بيان لمن ارتضى
والولى اذا اخبر بشئ فظهر فهو غير جازم عليه ولكنه اخبر بناء على رؤياه او بالفراسة على ان
كل كرامة للولى فهو معجزة لرسول وذكر فى التاويلات قال بعضهم فى هذه الاية دلالة تكذيب المنجمة
وليس كذلك فان فيهم من يصدق خبره وكذلك المطببة يعرفون طبايع النبات وذا لا يعرف
بالتامل فعلم بانهم وقفوا على علمه من جهة رسوله انقطع اثره وبقى علمه فى الخلق فانه يسلك يدخل
من بين يديه يدى الرسول ومن خلفه رصدا حفظة من الملائكة يحفظونه من الشياطين ويعصمونه
من وساوسهم وتخاليطهم حتى يبلغ الوحى ليعلم الله ان قد ابلغوا اى الرسل رسالات ربهم
كاملة بلا زيادة ولا نقصان الى المرسل اليهم اى ليعلم الله ذلك موجودا حال وجوده كما كان
يعلم ذلك قبل وجوده انه يوجد وحد الضمير فى بين يديه للفظ من وجمع فى ابلغوا لمعناه
واحاط الله بما لديهم بما عند الرسل من العلم واحصى كل شئ عددا من القطر والرمل وورق الاشجار
وزبد البحار فكيف لا يحيط بما عند الرسل من وحيه وكلامه وعددا حال اى وعلم كل شئ معدودا
محصورا او مصدر فى معنى احصاء

سورة المزمل مكية وهى تسع عشرة او عشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها المزمل اى المتزمل وهو الذى
تزمل فى ثيابه اى تلفف بها بادغام التاء فى الزاء وكان عليه الصلوة والسلام نائما بالليل متزملا
فى ثيابه فامر بالقيام للصلوة بقوله قم الليل الا قليلا نصفه بدل من الليل والا قليلا استثناء من
نصفه تقديره قم نصف الليل الا قليلا من نصف الليل او انقص منه من النصف بضم الواو وغير
عاصم وحمزة قليلا الى الثلث او زد عليه على النصف الى الثلثين والمراد التخيير بين امرين بين

ان يقوم

ان يقوم اقل من نصف الليل على البت وبين ان يختار احد الامرين وهما النقصان من النصف والزيادة
عليه وان جعلت نصفه بدلا من قليلا كان تخييرا بين ثلثة اشياء بين قيام نصف الليل تاما وبين قيام
نصف الناقص منه وبين قيام الزائد عليه وانما وصف النصف بالقلة بالنسبة الى الكلام والا فاطلاق
لفظ القليل ينطلق على ما دون النصف ولهذا قلنا اذا اقر لفلان عليه الف درهم الا قليلا انه يلزمه
اكثر من نصف الالف ورتل القران بين وفصل من الثغر المرتل المفلج او اقرا على تؤدة المفلج على تؤدة
تبيين الحروف وحفظ الوقوف واشباع الحركات ترتيلا هو تاكيد ايجاب الامر به وانه لا بد منه للقارى
انا سنلقى عليك سننزل عليك قولا ثقيلا اى القران لما فيه من الاوامر والنواهى التى هى تكاليف شاقة
ثقيلة على المكلفين وثقيلا على المنافقين او كلاما له وزن ورجحان ليس بالسفساف الخفيف ان ناشئة
الليل بالهمزة سوى ورش قيام الليل عن ابن مسعود رض فهو مصدر من نشا اذا قام ونهض
على فاعلة كالعافية او العبادة التى تنشا بالليل اى تحدث او ساعات الليل لانها تنشا ساعة
فساعة وكان زين العابدين رض يصلى بين العشائين ويقول هذه ناشئة الليل هى اشد وطاء وفاقا
شامى وابو عمرو اى يواطئ فيها قلب القائم لسانه وعن الحسن اشد موافقة بين السر والعلانية
لانقطاع رؤية الخلائق غيرهما وطاء اى ثقلا على المصلى من صلوة النهار لطرد النوم فى وقته من
قوله عليه السلام اشدد وطاتك على مضر واقوم قيلا واشد مقالا واثبت قراءة لهدو الاصوات
وانقطاع الحركات ان لك فى النهار سبحا طويلا تصرفا وتقلبا فى مهماتك وشواغلك ففرغ نفسك
بالليل لعبادة ربك او فراغا طويلا لنومك وراحتك واذكر اسم ربك ودم على ذكره فى الليل
والنهار وذكر الله يتناول التسبيح والتهليل والتكبير والصلوة وتلاوة القران ودراسة العلم وتبتل
اليه انقطع لعبادته من كل شئ والتبتل الانقطاع الى الله بتامل الخير منه دون غيره و
قيل رفض الدنيا وما فيها والتماس ما عند الله تبتيلا فى اختلاف المصدر زيادة تاكيد اى بتلك الله
تبتيلا او جيئ به مراعاة لحق الفواصل رب المشرق والمغرب بالرفع اى هو رب او مبتدا خبره لا
اله الا هو وبالجر شامى وكوفى غير حفص بدل من ربك وعن ابن عباس رض على القسم باضمار حرف
القسم نحو الله لافعلن وجوابه لا اله الا هو كقولك والله لا احد فى الدار الا زيد فاتخذه وكيلا
وليا وكفيلا بما وعدك من النصر واذا علمت انه ملك المشرق والمغرب وان لا اله الا هو فاتخذه

وكيلا كافيا لامورك فايدة الفاء ان لاتلبث بعد ان عرفت فى تفويض الامور الى الواحد القهار ولا
عذر لك فى الانقطاع بعد الاقرار واصبر على ما يقولون فى من الصاحبة والولد او فيك من الساحر
والشاعر واهجرهم هجرا جميلا جانبهم بقلبك وخالفهم مع حسن المخالفة وترك المكافاة قيل هو
منسوخ باية القتال وذرنى اى كلهم الى فانى كافيهم والمكذبين رؤساء قريش مفعول معه او عطف على
ذرنى اى دعنى واياهم اولى النعمة التنعم وبالكسر الانعام وبالضم المسرة ومهلهم امهالا قليلا الى يوم
بدر او الى يوم القيمة ان لدينا للكافرين فى الاخرة انكالا قيودا ثقالا جمع نكل وجحيما نارا محرقة و
طعاما ذا غصة اى الذى ينشب فى الحلقوم فلا يساغ يعنى الضريع والزقوم وعذابا اليما يخلص وجعه
الى القلب وروى انه عليه السلام قرء هذه الاية فصعق وعن الحسن انه امسى صائما فاتى بطعام فعرضت
له هذه الاية الثالثة فقال ارفعه ووضع عنده الليلة الثانية فعرضت له فقال ارفعه وكذلك
الليلة الثالثة فاخبر ثابت البنانى وغيره فجاؤا فلم يزالوا به حتى شرب شربة من سويق يوم منصوب
بما فى لدينا من معنى الفعل اى استقر للكفار لدينا كذا وكذا يوم ترجف الارض والجبال اى يتحرك
حركة شديدا وكانت الجبال كثيبا رملا مجتمعا من كثب الشيء اذا جمعه كانه فعيل بمعنى مفعول
مهيلا سايلا بعد اجتماعه انا ارسلنا اليكم يا اهل مكة رسولا يعنى محمدا عليه الصلوة والسلام شاهدا
عليكم شهيدا عليكم يوم القيمة بكفركم وتكذيبكم كما ارسلنا الى فرعون رسولا يعنى موسى عليه السلام
فعصى فرعون الرسول اى ذلك الرسول اذ النكرة اذا اعيدت معرفة كان الثانى عين الاول فاخذناه
اخذا وبيلا شديدا غليظا وانما خص موسى وفرعون لان اخبرهما كان منتشرا بين اهل مكة لانهم
كانوا جيران اليهود فكيف تتقون ان كفرتم يوما هو مفعول تتقون اى كيف تتقون عذاب
يوم كذا ان كفرتم هنا او ظرف اى فكيف لكم التقوى فى يوم القيمة ان كفرتم فى الدنيا او منصوب
بكفرتم على تاويل اى فكيف تتقون وتخشون اى جحدتم يوم القيمة والجزاء لان تقوى الله خوف
عقابه يجعل الولدان صفة ليوما والعايد محذوف اى فيه يشيب من هوله وشدته وذلك حين
يقال لادم عليه السلام قم فابعث بعث النار من ذريتك وهو جمع اشيب وقيل هو على التمثيل
للتهويل يقال فى اليوم الشديد يوم يشيب نواصى الاطفال السماء منفطر به وصف ليوم بالشدة
ايضا اى السماء على عظمها واحكامها تنفطر فيه اى تنشق فما ظنك بغيرها من الخلايق والتذكير على

على تاويل السماء بالسقف او السماء شيء منفطر وقوله به اى بيوم وقوله به اى بيوم القيمة يعنى
انها تنفطر لشدة ذلك اليوم وهوله كما ينفطر الشيء بما يفطر به كان وعده المصدر مضاف الى
المفعول وهو اليوم او الى الفاعل وهو الله عز وجل مفعولا كائنا ان هذه الايات الناطقة بالوعيد
تذكرة موعظة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا فمن شاء اتعظ بها واتخذ سبيلا الى الله بالتقوى والخشية
ان ربك يعلم انك تقوم ادنى اقل واستعير الادنى وهو الاقرب للاقل لان المسافة بين الشيئين
اذا دنت قل ما بينهما من الاحياز واذا بعدت كثر ذلك من ثلثى الليل بضم اللام سوى هشام و
نصفه وثلثه منصوبان عطفا على ادنى مكى وكوفى ومن جر عطف على ثلثى وطائفة عطف على الضمير
فى تقوم وجاز بلا توكيد لوجود الفاصل من الذين معك اى تقوم ذلك المقدار جماعة من
اصحابك والله يقدر الليل والنهار اى ولا يقدر على تقدير الليل والنهار ولا يعلم مقادير ساعاتها
كما هى الا الله وحده وتقديم اسمه عز وجل مبتداء مبنيا عليه يقدر هو الدال على انه مختص
بالتقدير ثم انهم قاموا حتى انتفخت اقدامهم فنزل علم ان لن تحصوه اى لن تطيقوا قيامه على هذه
المقادير الا بشدة ومشقة وفى ذلك حرج فتاب عليكم مخفف عليكم واسقط عنكم فرض قيام
الليل فاقرؤا فى الصلوة والامر للوجوب او فى غيرها والامر للندب ما تيسر عليكم من القران
روى ابو حنيفة رح عن ابى هريرة رض انه قال من قرء مائة آية فى ليلة لم يكتب من الغافلين
ومن قرء مائتى آية كتب من القانتين وقيل اراد بالقران الصلوة لانه بعضها كانها اى صلوا
ما تيسر عليكم ولم يتعذر من صلوة الليل وهذا ناسخ للاول ثم نسخ هذا بالصلوة الخمس ثم بين
الحكمة فى النسخ وهى تعذر القيام على المرضى والمسافرين والمجاهدين فقال علم ان سيكون منكم
مرضى اى انه مخففة من الثقيلة والسين بدل عن تخفيفها وحذف اسمها مرضى فيشق عليهم قيام
الليل واخرون يضربون فى الارض يسافرون يبتغون حال من ضمير يضربون من فضل الله رزقه
بالتجارة او طلب العلم واخرون يقاتلون فى سبيل الله سوى بين المجاهد والمكتسب لان كسب الحلال
جهاد قال ابن مسعود رض ايما رجل جلب شيء الى المدينة من مدائن المسلمين صابرا محتسبا فباعه
لسعر يومه كان عند الله من الشهداء وعن ابن عمر رض ما خلق موتة اموتها بعد القتل فى سبيل الله
احب الى من اموت بين شعبتى رحل اضرب فى الارض ابتغى من فضل الله فاقرؤا ما تيسر منه كرر الامر

بالتيسير احتياطهم واقيموا الصلوة المفروضة واتوا الزكوة الواجبة واقرضوا الله بالنوافل و
القرض لغة القطع فالمقرض يقطع ذلك القدر من ماله فيدفعه الى غيره وكذا المتصدق يقطع
ذلك المقدر من ماله فيجعله الله تعالى وانما المضاف الى نفسه لئلا يمن على الفقير فيما يتصدق
عليه وهذا لان الفقير معاون له فى تلك القربة فلا يكون له عليه منة بل المنة للفقير عليه قرضا
حسنا من الحلال بالاخلاص وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه اى ثوابه وهو جزاء الشرط عند الله
هو خيرا مما خلفتم وتركتم فالمفعول الثانى لتجدوه خيرا وهو فصل وجاز وان لم يقع بين معرفتين
لان افعل من اشبه المعرفة لامتناعه من حرف التعريف واعظم اجرا واجزل ثوابا واستغفروا الله
من السيات والتقصير فى الحسنات ان الله غفور يستر على اهل الذنب والتقصير رحيم يخفف
عن اهل الجهد والتوفيق سورة المدثر مكية وهى ست وخمسون اية بسم الله الرحمن الرحيم
روى جابر ان النبى صلى الله عليه وسلم قال كنت على جبل حراء فنوديت يا محمد انك رسول الله
فنظرت عن يمينى ويسارى فلم ار شيئا فنظرت فوقى فاذا به قاعد على عرش بين السماء و
الارض يعنى الملك الذى ناداه فرعبت ورجعت الى خديجة فقلت دثرونى دثرونى فدثرته
الخديجة فجاء جبرئيل يا وقرا يا ايها المدثر اى المتلفف بثيابه من الدثار وهو كل ما كان
من الثياب فوق الشعار والشعار الثوب الذى يلى الجسد واصله المتدثر فادغم قم من مضجعك
او قم قيام عزم وتصميم فانذر فحذر قومك من عذاب الله ان لم يؤمنوا اى فافعل
الانذار من غير تخصيص له باحد وقيل سمع من قريش ما كرهه فاغتم فتغطى بثوبه متفكرا كما
يفعل المغموم فقيل له ايها الصارف اذى الكفار عن نفسك بالدثار قم فاشتغل بالانذار
وان اذاك الفجار وربك فكبر واختص ربك بالتكبير وهو التعظيم اى لا تكبر فى عينيك غيره
وقل عندما يعترضك من غيره الله اكبر وروى انه لما نزل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله اكبر
فكبرت خديجة وخرجت وايقنت انه الوحى وقد يحمل على تكبير الصلوة ودخلت الفاء لمعنى
الشرط كانه قيل وما كان فلا تدع تكبيره وثيابك فطهر بالماء عن النجاسة لان الصلوة لا تصح الا بها
وهى الاولى فى غير الصلوة او قصر مخالفة للعرب فى تطويلهم الثياب وجرهم الذيول اذ لا يؤمن
معه اصابة النجاسة او طهر نفسك مما يستقذر من الافعال يقال فلان طاهر الثياب اذا وصفوه

بالنقاء

بالنقاء من المعايب وفلان دنس الثياب للغادر ولان من طهر باطنه يطهر ظاهره ظاهرا او
الرجز بضم الراء يعقوب وسهل وحفص وغيرهم بالكسر العذاب والمراد ما يؤدى اليه فاهجر
اى اثبت على هجره لانه كان بريئا منه ولا تمنن تستكثر بالرفع وهو منصوب المحل على الحال اى لا تعط
مستكثرا رائيا لما تعطيه كثيرا وطالبا اوكثر مما تعطيه فانك مامور باجل الاخلاف واشرف
الاداب وهو من من عليه اذا انعم عليه وقرا الحسن تستكثر بالسكون جوابا للنهى ولربك فاصبر
ولوجه الله فاستعمل الصبر على اوامره ونواهيه وكل مصبور عليه ومصبور عنه فاذا نقر فى الناقور
نفخ فى الصور وهى النفخة الاولى وقيل الثانية فذلك اشارة الى وقت النقر وهو مبتداء يومئذ
مرفوع المحل بدل من ذلك يوم عسير خبر كانه قيل فيوم النقر يومئذ عسير والفاء فى فاذا
وفى فذلك للجزاء كانه قيل اصبر على اذاهم فبين ايديهم يوم عسير يلقون فيه عاقبة اذاهم
وتلقى عاقبة صبرك عليه والعامل فى فاذا ما دل عليه الجزاء اى فاذا نقر فى الناقور عسر الامر
على الكافرين غير يسير واكد بقوله غير يسير ليؤذن بانه يسير على المؤمنين او عسير لا يرجى
ان يرجع يسيرا كما يرجى تيسير العسير من امور الدنيا ذرنى ومن خلقت اى كله اى يعنى الوليد
بن المغيرة كان يلقب فى قومه بالوحيد ومن معطوف او مفعول معه وحيدا حال من الياء
فى ذرنى وحيدى معه فانى اكفيك امره او من التاء فى خلقت اى خلقته وحده لم يشركنى فى
خلقه احد او من الهاء المحذوف او من من اى خلقته منفردا بلا اهل ومال ثم انعمت عليه وجعلت
له مالا ممدودا مبسوطا كثيرا او ممدودا بالنماء وكان له الزرع والضرع والتجارة وعن مجاهد
له مائة الف دينار وعنه ان له ارضا بالطائف لا ينقطع ثمارها وبنين شهودا حضورا معه
بمكة لغناءهم عن السفر وكانوا عشرة اسلم منهم خالد وهشام وعمارة ومهدت له تمهيدا و
بسطت له الجاهة والرياسة فاتممت عليه نعمتى الجاه والمال واجتماعهما هو الكمال عند اهل الدنيا ثم
يطمع ان ازيد استبعاد واستنكار لطمعه وحرصه فيرجو ان ازيد فى ماله وولده من غير شكره
وقال الحسن رح ان ازيد اى ان ادخله الجنة فاعطيه مالا وولدا كما قال لاوتين مالا وولدا كلا ردع
له وقطع لرجائه اى لا يجمع له بعد اليوم بين الكفر والمزيد من النعم فلم يزل بعد نزول الاية فى
نقصان من المال والجاه حتى هلك انه كان لاياتنا للقران عنيدا معاندا جاحدا وهو تعليل للردع

الياء

على وجه الاستيناف كان قايلا قال لم لا يزاد فقيل انه عاند ايات المنعم وكفر بذلك نعمته الكافر لا
المزيد سارهقه سأغشيه صعودا عقبة شاقة المصعد وفي الحديث الصعود جبل من نار يصعد
فيه سبعين خريفا ثم يهوي فيه كذلك ابدا انه فكر تعليل للوعيد كانه تعالى عاجله بالفقر والذل
بعد الغنا والعز في الدنيا لعناده ويعاقبه في الاخرة باشد العذاب لبلوغه بالعناد غايته
القران سحرا يعني انه فكر ماذا يقول في القران وقدر في نفسه ما يقوله وهياه فقتل لعن كيف
قدر تعجيب من تقديره ثم قتل كيف قدر كرر للتاكيد وثم يشعر بان الدعاء الثاني ابلغ من الاول
ثم نظر في وجوه الناس او فيما قدر ثم عبس قطب وجهه وبسر زاد في التقبض والكلوح ثم
ادبر عن الحق واستكبر عنه او عن مقامه وفي مقاله وثم نظر عطف على فكر وقدر والدعاء اعتراض
بينهما وايراد ثم في المعطوفات لبيان ان بين الافعال المعطوفة تراخيا فقال ان هذا ما هذا الا سحر
يؤثر يروى عن السحرة روي ان الوليد قال لبني مخزوم والله لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ما هو
من كلام الانس ولا كلام الجن ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق
وانه يعلو ولا يعلى فقال قريش صبا والله الوليد والله لتصبان قريش كلهم فقال ابو جهل وهو
ابن اخيه انا اكفيكموه فقعد اليه حزينا فكلمه بما احماه فقام فاتاهم فقال تزعمون ان محمدا مجنون وهل
رايتموه يخنق وتقولون انه كاهن فهل رايتموه قط يتكهن وتزعمون انه شاعر فهل رايتموه
يتعاطى شعرا قط وتزعمون انه كذاب فهل رايتم عليه شيئا من الكذب فقالوا في كل ذلك اللهم
لا ثم قالوا انما هو فتفكر فقال ما هو الا ساحر اما رايتموه يفرق بين الرجل واهله وولده و
مواليه وما الذي يقوله الا سحر يؤثره عن مسيلمة واهل بابل فارتج للنادي فرحا وتفرقوا
متعجبين منه وذكر الفاء دليل على ان هذه الكلمة لما خطرت بباله نطق بها من غير تلبث ان هذا
الا قول البشر ولم يذكر العاطف بين هاتين الجملتين لان الثانية جرت مجرى التوكيد للاولى سا
سادخله بدل من سارهقه صعودا سقر علم لجهنم ولم تنصرف للتعريف والتانيث وما ادريك
ما سقر تهويل لشانها لا تبقي اي هي لا تبقي لحما ولا تذر عظما او لا تبقي شيئا يلقى فيها الا اهلكته و
لا تذره هالكا بل يعود كما كان لواحة خبر مبتداء محذوف اي هي لواحة للبشر جمع بشرة وهي ظاهر
الجلد اي مسودة للجلود او محرقة لها عليها على سقر تسعة عشر اي يلي امرها تسعة عشر ملكا عند

الجمهور

الجمهور وقيل صنفا من الملايكة وقيل صفا وقيل نقيبا وما جعلنا اصحاب النار اي خزنتها الا
ملائكة لانهم خلاف جنس المعذبين فلا ياخذهم الرقة والرافة ولانهم اشد الخلق باسا فللواحد
منهم قوة الثقلين وما جعلنا عدتهم تسعة عشر الا فتنة اي ابتلاء واختبارا للذين كفروا
حتى قال ابو جهل لما نزلت عليها تسعة عشر اما تستطيع كل عشرة منكم ان ياخذوا احدا منهم وانتم
الدهم فقال ابو الاشد وكان شديد البطش انا اكفيكم سبعة فاكفوا في انتم اثنين فنزلت وما
جعلنا اصحاب النار الا ملايكة اي وما جعلناهم رجالا من جنسكم يطاقون وقالوا في تخصيص الخزنة
بهذا العدد مع انه لا يطلب في الاعداد العلل ان ستة منهم يقودون الكفرة الى النار وستة يسوقونهم
يضربونهم بمقامع الحديد والاخر خازن جهنم وهو مالك وهو الاكبر وقيل في سقر تسعة عشر
دركا وسلط على كل درك ملك وقيل يعذب فيها بتسعة عشر لونا من العذاب وعلى كل لون ملك
موكل وقيل ان جهنم تحفظ بما تحفظ به الارض من الجبال وهي تسعة عشر وان كان اصلها مائة
وتسعين الا ان غيرها تتشعب عنها ليستيقن الذين اوتوا الكتاب لان عدتهم تسعة عشر في
الكتابين فاذا سمعوا بمثلها في القران يتيقنوا انه منزل من الله ويزداد الذين امنوا بمحمد عليه الصلوة
والسلام وهو عطف على ليستيقن ايمانا لتصديقهم بذلك كما صدقوا ساير ما انزل او يزدادون
يقينا لموافقة كتابهم كتاب اوليك ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون هنا عطف
ايضا وفيه توكيد للاستيقان وازدياد الايمان اذ الاستيقان وازدياد الايمان دالا على انتفاء
الارتياب ثم عطف على ليستيقن ايضا وليقول الذين في قلوبهم مرض نفاق والكافرون
المشركون فان قلت النفاق ظهر في المدينة والسورة مكية قلت معناه وليقول المنافقون
الذين يظهرون في المستقبل في المدينة بعد الهجرة والكافرون بمكة ماذا اراد الله بهذا مثلا
وهذا اخبار بما سيكون كساير الاخبارات بالغيوب وذا لا يخالف كون السورة مكية و
قيل المراد بالمرض الشك والارتياب لان اهل مكة كان اكثرهم شاكين ومثلا تمييز لهذا او
حال منه كقوله هذه ناقة الله لكم آية ولما كان ذكر هذا العدد في غاية الغرابة وان مثله حقيق
بان يسير به الركبان سيرها بالامثال سمي مثلا والمعنى اي شيء اراد الله بهذا العدد العجيب واي
معنى اراد في ان جعل الملايكة تسعة عشر لا عشرين وغرضهم انكار اصله وانه ليس من عند الله و

انه لو كان من عند الله لما جاء بهذا العدد الناقص كذلك يضل الله من يشاء الكاف نصب وذلك
اشارة الى ما قبله من معنى الاضلال والهدى اى مثل ذلك المذكور من الاضلال والهدى يعنى اضلال
المنافقين والمشركين حتى قالوا ما قالوا وهدى المومنين لتصديقه ورؤية الحكمة فى ذلك يضل الله
من يشاء من عباده وهو الذى علم منه اختيار الضلال ويهدى من يشاء وهو الذى علم منه
اختيار الاهتداء وفيه دليل خلق الافعال ووصف الله بالاضلال والهداية ولما قال ابو جهل اما
لرب محمد اعوان الا تسعة عشر نزل وما يعلم جنود ربك لفرط كثرتها الا هو فلا يعز عليه تتميم
الخزنة عشرين ولكن له فى هذا العدد الخاص حكمة لا تعلمونها وما هى متصلة بوصف سقر وهى
ضميرها اى وما سقر وصفتها الا ذكرى للبشر اى تذكرة للبشر او ضمير الايات التى ذكرت فيها كلا
انكار بعد ان جعلها ذكرى ان تكون لهم ذكرى لانهم لا يتذكرون والقمر اقسم به لعظم منافعه والليل
اذ ادبر نافع وحفص وحمزة ويعقوب وخلف وغيرهم اذا دبر ودبر بمعنى ادبر ومعناها ولى
وذهب وقيل ادبر ولى ومضى ودبر جاء بعد النهار والصبح اذا اسفر اضاء وجواب القسم انها
ان السقر لاحدى الكبر هى جمع الكبرى اى لاحدى البلايا والدواهى الكبر ومعنى كونها احديهن
انها من بينهن واحدة فى العظم لا نظيره لها كما تقول هو احد الرجال وهى احدى النساء نذيرا تميز
من احدى اى انها لاحدى الدواهى انذارا كقولك هى احدى النساء عفافا ويبدل من للبشر لمن شاء
منكم بإعادة الجار ان يتقدم الى الخير او يتاخر عنه وعن الزجاج الى ما امر او عما نهى كل نفس بما كسبت
رهينة هى ليست بتانيث رهين فى قوله كل امرء بما كسب رهين لتانيث النفس لانه لو قصدت
الصفة لقيل رهين لان فعيل بمعنى مفعول يستوى فيه المذكر والمؤنث وانما هى اسم بمعنى الرهن
كالشتيمة كانه قيل كل نفس بما كسب رهين والمعنى كل رهين بكسبها عند الله غير مفكوك الا اصحاب
اليمين اى اطفال المسلمين لانه لا اعمال لهم يرهنون بها او الا المسلمين فانهم فكوا رقابهم بالطاعة
كما يخلص الراهن رهنه باداء الحق فى جنات اى انهم فى جنات لا يكتنيه كنهها يتساءلون عن المجرمين
يسال بعضهم بعضا عنهم او يتساءلون غيرهم عنهم ما سلككم فى سقر ادخلكم فيها ولا يقال لا
يطابق قوله ما سلككم وهو سوال للمجرمين قوله يتساءلون عن المجرمين وهو سوال عنهم وانما
يطابق ذلك لو قيل يتساءلون عن المجرمين ما سلككم لان ما سلككم ليس ببيان للتساؤل عنهم

وانما يطابق قوله ما سلككم وهو سوال للمجرمين وانما هو حكاية قول المسئولين عنهم لان المسئولين
يلقون الى السائلين ما جرى بينهم وبين المجرمين فيقولون قلنا لهم ما سلككم فى سقر قالوا لم نك
من المصلين الا انه اختصر كما هو نهج القران وقيل عن زيادة قالوا لم نك من المصلين اى لم نعتقد
فرضيتها ولم نك نطعم المسكين كما يطعم المسلمون وكنا نخوض مع الخائضين الخوض الشروع فى الباطل
اى نقول الباطل والزور فى ايات الله وكنا نكذب بيوم الدين الحساب والجزاء حتى اتانا
اليقين الموت فما تنفعهم شفاعة الشافعين من الملائكة والنبيين والصالحين لانها للمومنين دون
الكافرين وفيه دليل ثبوت الشفاعة للمومنين فى الحديث ان من امتى من يدخل الجنة بشفاعته
اكثر من ربيعة ومضر فما لهم عن التذكرة عن التذكير وهو العظة اى القران معرضين مولين
حال عن الضمير نحو ما لك قائما كانهم حمر اى حمر الوحش حال من الضمير فى معرضين مستنفرة
شديدة النفار كانها تطالب النفار من نفوسها وبفتح الفاء مدنى وشامى اى استنفرها
غيرها فرت من قسورة حال وقد معها مقدرة والقسورة الرماة او الاسد فعولة من القسر
وهو القهر والغلبة شبهوا فى اعراضهم عن القران واستماع الذكر بحمر جدت فى نفارها بل يريد
كل امرء منهم ان يؤتى صحفا منشرة قراطيس تنشر وتقرء وذلك انهم قالوا لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ان نتبعك حتى تاتى كل واحد منا كتابا من السماء عنوانها من رب العالمين الى فلان
ابن فلان نؤمر فيها باتباعك ونحوه قوله تعالى لن نؤمن لك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وقيل قالوا
ان كان محمد صادقا فليصبح عند راس كل رجل منا صحيفة فيها براءة وامنه من النار كلا ردع
لهم عن تلك الارادة وزجر عن اقتراح الايات ثم قال بل لا يخافون الاخرة ولذلك اعرضوا
عن التذكرة لا لامتناع ايتاء الصحف كلا انه تذكرة ردعهم عن اعراضهم عن التذكرة وقال
ان القران تذكرة بليغة كافية لمن شاء ذكره اى فمن شاء ان يذكره ولا ينساه فعل فان نفع ذلك
عائد اليه وما يذكرون وبالتاء نافع ويعقوب الا ان يشاء الله الا وقت مشية الله او الا بمشية
الله هو اهل التقوى واهل المغفرة فى الحديث هو اهل ان يتقى واهل ان يغفر لمن اتقاه والله اعلم

سورة القيمة مكية وهى اربعون اية بسم الله الرحمن الرحيم

لا اقسم بيوم القيمة اى اقسم عن ابن عباس رض ولا صلة كقوله تعالى لئلا يعلم وكقوله فى بئر

لا حور سری وما شعر، وكقوله تذكرت ليلا فاعترتني صبابة، وكاد ضمير القلب لا يتقطع، وعليه الجمهور وعن الفراء لا رد لانكار المشركين البعث كانه قيل ليس الامر كما تزعمون ثم قيل اقسم بيوم القيمة وقيل اصله لاقسم كقراءة ابن كثير على ان اللام للابتداء واقسم خبر مبتداء محذوف ای لانا اقسم ويقويه انه فی الامام بغير الف ثم اشبع فظهر من الاشباع الف وهذا اللام يصحبه نون التاكيد فی الاغلب وقد يفارقه ولا اقسم بالنفس اللوامه الجمهور على انه اقسم آخر ومن الحسن اقسم بيوم القيمة ولم يقسم بالنفس اللوامه فهی صفة ذم وعلى القسم صفة مدح ای النفس المنفية التی تلوم على التقصير فی التقوى وقيل هی نفس آدم لم تزل تلوم على فعلها الذی خرجت به من الجنة وجواب القسم محذوف ای لتبعثن دليله ايحسب الانسان ای الكافر المنكر للبعث ان لن نجمع عظامه بعد تفرقها ورجوعها رفاتا مختلطا قادرين على جميعها واعادتها كما كانت على ان نسوی بنانه ای اصابعه كما كانت فی الدنيا بلا نقصان ولا تفاوت مع صغرها فكيف بكبار العظام بل يريد الانسان عطف على ايحسب ويجوز ان يكون مثله استفهاما ليفجر امامه ليدوم على فجوره فيما يستقبله من الزمان يسال ايان متى يوم القيمة سوال متعنت مستبعد لقيام الساعة فاذا برق البصر بكسر فزعا وبفتح الراء مدنی شخص وخسف القمر ذهب ضوءه او غاب من قوله فخسفنا وقراء ابو حمزة بضم الخاء وجمع الشمس والقمر ای جمع بينهما فی الطلوع من المغرب او جمعا فی ذهاب الضوء او يجمعان فيعذقان فی البحر فيكون نار الله الكبرى يقول الانسان الكافر يومئذ اين المفر هو مصدر ای الفرار من النار او المؤمن الفر من الهول وقراء الحسن بكسر الفاء وهو يحتمل المكان والمصدر كلا ردع من طلب المفر لا وزر لا ملجاء الى ربك خاصة يومئذ المستقر مستقر العباد ای موضع قرارهم من جنة او نار ای مفوض ذلك الى مشية من شاء ادخله الجنة ومن شاء ادخله النار ينبؤ الانسان يومئذ يخبر بما قدم من عمل عمله واخر ما لم يعمله بل الانسان على نفسه بصيرة شاهد والهاء للمبالغة كعلامة او انثه لانه اراد به جوارحه اذ جوارحه تشهد عليه او هو حجة على نفسه والبصرة الحجة قال الله تعالى قد جاءكم بصائر من ربكم وتقول لغيرك انت حجة على نفسك وبصيرة رفع بالابتداء وخبره على نفسه تقدم والجملة خبر الانسان كقولك زيد على راسه عمامته والبصيرة على هذا يجوز ان

يكون الملك الموكل عليه ولو القى معاذيره ولو ارخى ستوره والمعذار الستر وقيل ولو جاء بكل معذرة ما قبلت منه فعليه من يكذب عذره والمعاذير ليس بجمع معذرة لان جمعها معاذر بل هی اسم جمع لها ونحوه المناكير فی المنكر لا تحرك به بالقران لسانك لتعجل به بالقران وكان عليه الصلوة والسلام ياخذ فی القراءة قبل فراغ جبريل كراهة ان ينفلت منه فقيل له لا تحرك لسانك بقراءة الوحی ما دام جبريل يقراء لتعجل به لتاخذه على عجلة ولئلا يفلت منك ثم علل النهی عن العجلة لقوله ان علينا جمعه فی صدرك وقرانه واثبات قراءته فی لسانك والقران القراءة ونحوه ولا تعجل بالقران من قبل ان يقضى اليك وحيه فاذا قراءناه ای قراءة عليك جبريل فجعل قراءة جبريل قراءته فاتبع قرانه قراءته عليك ثم ان علينا بيانه اذا اشكل عليك شیء من معانيه كلا ردع عن انكار البعث او ردع لرسول الله صلى الله عليه وسلم من العجلة وانكارها عليه واكده بقوله بل تحبون العاجلة كانه قال بل انتم يا بنی آدم لانكم خلقتم من عجلة وطبعتم عليه تعجلون فی كل شیء ومن ثم تحبون العاجلة الدنيا وشهواتها وتذرون الاخرة الدار الاخرة ای نعيمها فلا تعملون لها والقراءة بالتاء فيهما مدنی وكوفی وجوه هی وجوه المؤمنين يومئذ ناضرة حسنة ناعمة الى ربها ناظرة بلا كيفية ولا جهة ولا ثبوت مسافة وحمل النظر على الانتظار لامر ربها او الثواب لا يصح لانه يقال نظرت فيه ای تفكرت ونظرته انتظرته ولا يعدی بالى الا بمعنى الرؤية مع انه لا يليق الانتظار فی دار القرار ووجوه يومئذ باسرة كالحة شديدة العبوس وهی وجوه الكفار تظن تتوقع ان يفعل بها فاقرة فعل هو فی شدته فاقرة داهية تقصم فقار الظهر كلا ردع عن ايثار الدنيا على الاخرة كانه قيل ارتدعوا عن ذلك وتنبهوا على ما بين ايديكم من الموت الذی عنده تنقطع العاجلة عنكم وتنقلون الى الاجلة التی تبقون فيها مخلدين اذا بلغت ای الروح وجاز وان لم يجر لها ذكر لان الاية تدل عليها التراقی العظام المكتنفة لثغرة النحر عن يمين وشمال جمع ترقوة وقيل من راق يقف حفص على من وقيفة ای قال حاضر والمحتضر بعضهم لبعض ايكم يرقيه مما به من الرقية من حد ضرب او هو من كلام الملائكة ايكم يرقى بروحه ملائكة الرحمة ام ملائكة العذاب من الرقی من حد علم وظن وتيقن المحتضر انه الفراق ان هذا الذی نزل به هو فراق الدنيا المحبوبة والتفت الساق بالساق التفت ساقاه عند موته وعن سعيد المسيب هما ساقاه حين تلفان فی اكفانه وقيل شدة فراق الدنيا بشدة

اقبال الاخرة على ان الساق مثل في الشدة وعن ابن عباس رضي هما همان هم الاهل والولد وهم القدوم على
الواحد الصمد الى ربك يومئذ المساق وهو مصدر ساقه اى مساق العباد الى حيث امر الله اما الى الجنة
واما الى النار فلا صدق بالرسول والقران ولا صلى الانسان في قوله ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه
ولكن كذب بالقران وتولى عن الايمان او فلا صدق ماله يعني فلا زكاه ثم ذهب الى اهله يتمطى
يتبختر واصله يتمطط اى يتمدد لان المتبختر يمد خطاه فابدلت الطاء ياء لاجتماع ثلثة احرف
متماثلة اولى لك بمعنى ويل لك وهو دعاء عليه بان يليه ما يكره فاولى ثم اولى لك فاولى كرره كانه
قال ويل لك فويل لك ثم ويل لك فويل لك وقيل ويل لك يوم الموت وويل لك في القبر وويل لك
حين البعث وويل لك في النار ايحسب الانسان ان يترك سدى ايحسب الكافر ان يترك
مهملا لا يومر ولا ينهى ولا يبعث ولا يجازى الم يك نطفة من مني يمنى بالياء ابن عامر وحفص اى
يراق المني في الرحم وبالتاء يعود الى النطفة ثم كان علقة اى صار المني قطعة دم جامد بعد اربعين
يوما فخلق فسوى فخلق الله منه بشرا سويا فجعل منه الزوجين الذكر والانثى اى من المني صنفين
اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى اليس الفعال لهذه الاشياء بقادر على الاعادة وكان النبي
صلى الله عليه وسلم اذا اقراها يقول سبحانك بلى سورة الدهر والانسان مكية وهي احدى وثلثون اية

بسم الله الرحمن الرحيم هل اتى قد مضى على الانسان آدم عم

حين من الدهر اربعون سنة مصورا قبل نفخ الروح فيه لم يكن شيئا مذكورا لم يذكر اسمه ولم يدر
ما يراد به لانه كان طينا يمر به الزمان ولو كان غير موجود لم يوصف بانه قد اتى عليه حين من
الدهر ومحل لم يكن شيئا مذكورا النصب على الحال من الانسان اى اتى عليه حين من الدهر غير
مذكور انا خلقنا الانسان اى ولد آدم وقيل الاول ولد آدم ايضا وحين من الدهر على هذه مدة لبثه
في بطن امه الى ان صار شيئا مذكورا بين الناس من نطفة امشاج نعت او بدل منها اى من نطفة قد امتزج
فيها الماءان ومشج ومزج بمعنى ونطفة امشاج كبرمة اعشار فهو لفظ مفرد غير جمع ولذا
وقع صفة للمفرد نبتليه حال اى خلقناه مبتلين اى مريدين ابتلاءه بالامر والنهي فجعلناه سميعا
بصيرا ذا سمع وبصر انا هديناه السبيل بينا له طريق الهدى بادلة العقل والسمع اما شاكرا مؤمنا
اما كفورا كافرا حالان من الهاء في هديناه اى ان شكر او كفر فقد هديناه السبيل او من السبيل اى عرفناه

السبيل

السبيل اما سبيلا شاكرا واما سبيلا كفورا او وصف السبيل بالشكر والكفر مجاز ولما ذكر الفريقين
اتبعهما اما اعد لهما فقال انا اعتدنا للكافرين سلاسل جمع سلسلة بغير تنوين حفص ومكي وابو عمرو
وحمزة وبه لينا سب واغلالا وسعيرا اذ يجوز صرف غير المنصرف للتناسب غيرهم واغلالا جمع
غل وسعيرا نارا موقدة وقال ان الابرار جمع بر او بار كرب وارباب وشاهد واشهاد وهم الصادقون
في الايمان او الذين لا يؤذون الذر ولا يضمرون الشر يشربون من كاس خمر فنفس الخمر تسمى كاسا و
قيل الكاس الزجاجة اذا كانت فيها خمر كان مزاجها ما يمزج به كافورا ماء كافور وهو اسم عين
في الجنة ماؤها في البياض كالكافور ورائحته وبرده عينا بدل منه يشرب بها عباد الله اى منها و
الباء زائدة او هو محمول على المعنى اى يلتذ بها او يروى بها فانما قال اولا بحرف من وثانيا بحرف
الباء لان الكاس مبداء شربهم واول غايته واما العين فيها يمزجون شرابهم فكانه يشرب عباد الله
بها الخمر يفجرونها يجرونها حيث شاؤا من منازلهم تفجيرا سهلا لا يمتنع يوفون بالنذر بما اوجبوا
على انفسهم وهو جواب من عسى ان يقول ما لهم يرزقون ذلك والوفاء بالنذر مبالغة في وصفهم
بالتوفي على اداء الواجبات لان من وفى بما اوجبه هو على نفسه لوجه الله كان بما اوجبه الله عليه
اوفى ويخافون يوما كان شره شدائده مستطيرا منتشرا من استطار الفجر ويطعمون الطعام على حبه حب
الطعام اى مع الاشتهاء والحاجة اليه او على حب الله مسكينا فقيرا عاجزا عن الاكتساب ويتيما
صغيرا لا اب له واسيرا اما سورا مملوكا او غيره ثم عللوا اطعامهم فقالوا انما نطعمكم لوجه الله
اى لطلب ثوابه او بيان من الله عز وجل عما في ضمائرهم لان الله تعالى علمه منهم فاثنى عليهم و
ان لم يقولوا شيئا لا نريد منكم جزاء هدية على ذلك ولا شكورا ثناء وهو مصدر كالشكر انا نخاف
من ربنا اى انا لا نريد منكم المكافاة لخوف عقاب الله على طلب المكافاة بالصدقة او انا نخاف
من ربنا فنتصدق لوجهه حتى نامن من ذلك الخوف يوما عبوسا قمطريرا وصف اليوم بصفة
اهله من الاشقياء نحو نهاره صائم والقمطرير الشديد العبوس الذي يجمع ما بين عينيه فوقيهم
الله شر ذلك اليوم صانهم من شدائده ولقيهم اعطاهم بدل عبوس الفجار نضرة حسنا في الوجوه
وسرورا في حال في القلوب وجزاهم بما صبروا بصبرهم على الايثار نزلت في علي وفاطمة وفضة
جارية لهما لما مرض الحسن والحسين رضي نذروا صوم ثلثة ايام فاستقرض علي من اليهودي ثلثة اصوع

من الشعير فطحنت فاطمة رض كل يوم صاعا وخبزت فاثروا به ثلث عشايا على انفسهم مسكينا
ويتيما واسيرا ولم يذوقوا الا الماء في وقت الافطار جنة بستانا فيه ماكل هنيء وحريرا فيه ملبس
بهي متكئين حال من هم في جزاهم فيها في الجنة على الارائك الاسرة جمع الاريكة لا يرون حال
من الضمير المرفوع في متكئين اي غير رائين فيها في الجنة شمسا ولا زمهريرا لانه لا شمس فيها ولا زمهرير
فطلعها دائم وهواها معتدل لا حر شمس فيها يحمى ولا شدة برد يوذي وفي الحديث هواء الجنة
سجسج لا حر ولا قر والزمهرير البرد الشديد وقيل القمر اي الجنة مضية لا يحتاج فيها الى شمس وقمر
ودانية عليهم ظلالها قريبة منهم ظلال اشجارها عطفت على جنة اي وجنة اخرى دانية عليهم ظلالها
كانهم وعدوا جنتين لانهم وصفوا بالخوف بقوله انا نخاف من ربنا ولمن خاف مقام ربه جنتان
وذللت سخرت للقائم والقاعد والمتكي وهو حال من دانية تدنو ظلالها عليهم في حال تذليل
قطوفها عليهم او معطوفة عليها اي ودانية عليهم ظلالها ومذللة قطوفها ثمارها جمع قطف
تذليلا ويطاف عليهم بانية من فضة اي يدير عليهم خدمهم كوس الشراب والانية جمع اناء وهو
وعاء الماء واكواب اي من فضة جمع كوب وهو ابريق لا عروة له كانت قواريرا كانت تامة اي كونت
فكانت قوارير بتكوين الله نصب على الحال قوارير من فضة اي مخلوقة فهي جامعة لبياض الفضة
وحسنها وصفاء القوارير وشفيفها حتى يرى ما فيها من الشراب وخارجها قال ابن عباس رض
قوارير كل ارض من تربتها وارض الجنة فضة قرأ نافع والكسائي وعاصم في رواية ابي بكر بالتنوين
فيهما وحمزة وابن عامر وابو عمرو وحفص بغير تنوين فيهما وابن كثير بتنوين الاول والتنوين في
الاول لتناسب الاي المتقدمة والمتاخرة وفي الثانية لاتباعه الاول والوقف على الاول قد قيل ولا
يوثق به لان الثاني بدل الاول قدروها تقديرا صفة لقوارير من فضة اي اهل الجنة قدروها على
اشكال مخصوصة فجاءت كما قدروها تكرمة لهم او السقاة جعلوها على قدر ري شاربيها فهي
الذ لهم واخف عليهم وعن مجاهد لا تفيض ولا تغيض ويسقون اي الابرار فيها في الجنة كاسا خمرا
كان مزاجها زنجبيلا عينا بدل من زنجبيلا فيها في الجنة تسمى تلك العين سلسبيلا سميت العين
زنجبيلا لطعم الزنجبيل فيها والعرب تستلذه وتستطيبه والسلسبيل السلاسة انحدارها في الحلق
وسهولة مساغها قال ابو عبيدة ماء سلسبيل اي عذب طيب ويطوف عليهم ولدان غلمان ينشئهم الله

لخدمة المومنين او ولدان الكفرة يجعلهم الله تعالى خدما لاهل الجنة مخلدون لا يموتون اذا رايتهم
حسبتهم لحسنهم وصفاء الوانهم وانبثاثهم في مجالسهم لؤلؤا منثورا وتخصيص المنثور لانه ابهى
في المطوين المنظوم واذا رايت ثم رايت ظرف اي في الجنة وليس لرايت مفعول ظاهر ولا
مقدر ليشيع في كل مرئي تقديره واذ كسبت الروية في الجنة رايت نعيما كثيرا وملكا كبيرا واسعا
يروى ان ادنى اهل الجنة منزلة ينظر في ملكه مسيرة الف عام يرى اقصاه كما يرى ادناه وقيل
ملك لا يعقبه هلك او لهم فيها ما يشاؤن او يسلم عليهم الملايكة ويستاذنون في الدخول عليهم
عاليهم بالنصب على انه حال من الضمير في يطوف عليهم اي يطوف عليهم ولدان عاليا للمطوف
عليهم ثياب وبالسكون مدني وحمزة على انه مبتدا وخبره ثياب سندس اي ما يعلوهم من لباسهم
ثياب سندس رقيق الديباج خضر جمع اخضر واستبرق غليظة برفعهما حملا على ثياب نافع و
حفص وبجرهما حمزة وعلى حمل سندس وبرفع الاول وجر الثاني وعكسه غيرهم وحلوا عطف
على ويطوف اساور من فضة وفي سورة الملايكة يحلون فيها من اساور من ذهب ولولوا قال
ابن المسيب لا احد من اهل الجنة الا وفي يده ثلثة اسورة واحد من ذهب وآخر من فضة وآخر من
لولو وسقيهم ربهم اضيف اليه تعالى للتشريف والتخصيص وقيل ان الملايكة يعرضون عليهم الشراب
فيابون قبوله منهم ويقولون لقد طال اخذنا من الوسايط فاذا هم بكاس تلاقي افواههم بغير
كف من غيب الى عبده شرابا طهورا ليس برجس كخمر الدنيا لان كونها رجسا بالشرع لا بالعقل ولا
تكليف ثمة او لانه لم يعصر فتمسه الايدي الوضرة وتدوسه الاقدام الدنسة يقال لاهل الجنة ان
هذا النعيم كان لكم جزاء لاعمالكم وكان سعيكم مشكورا محمودا مقبولا مرضيا عندنا حيث قلتم
للمسكين واليتيم والاسير لا نريد منكم جزاء ولا شكورا انا نحن نزلنا عليك القران تنزيلا تكرير
الضمير بعد ايقاعه اسما لانه تاكيد على تاكيد لمعنى اختصاص الله بالتنزيل ليتقرر في نفس النبي صلى الله
عليه وسلم انه اذا كان هو المنزل لم يكن تنزيله مفرقا الا حكمة وصوابا ومن الحكمة الامر بالمصابرة
واصبر لحكم ربك على تبليغ الرسالة واحتمال الاذية وتاخير نصرتك على اعدائك من اهل مكة و
لا تطع منهم الضجرين تاخر الظفر اثما راكبا لما هو اثم داعيا لك اليه او كفورا فاعلا لما هو كفر داعيا
عيالك اليه لانهم اما ان يدعوه الى مساعدتهم على فعل هو اثم او كفر او غير اثم او لا كفر فنهى

ان يساعدهم على الاولين دون الثالث وقيل الاثم عتبة لانه كان ركابا للمائم والفسوق والكفور الوليد لانه كان غالبا فى الكفر والجحود والظاهر ان المراد كل آثم وكافر اى لا تطع احدهما واذا نهى عن طاعة احدهما لا بعينه فقد نهى عن طاعتهما معا ومتفرقا ولو كان بالواو لجاز ان يطيع احدهما لان الواو للجمع فيكون نهيا عن طاعتهما لا عن طاعة احدهما وقيل او بمعنى ولا اى ولا تطع اثما ولا كفورا واذكر اسم ربك صل له بكرة صلوة الفجر واصيلا صلوة الظهر والعصر ومن الليل فاسجد له وبعض الليل فصل له صلوة العشائين وسبحه ليلا طويلا اى تهجد له هزيعا طويلا من الليل ثلثيه او نصفه او ثلثه ان هؤلاء الكفرة يحبون العاجلة يؤثرونها على الاخرة ويذرون وراءهم قدامهم او خلف ظهورهم يوما ثقيلا شديدا لا يعبؤن به وهو يوم القيمة لان شدائده تثقل على الكفار نحن خلقناهم وشددنا احكمنا اسرهم خلقهم عن ابن عباس رض والاسر وإذا شئنا بدلنا امثالهم تبديلا اى اذا شئنا اهلاكهم اهلكناهم وبدلنا امثالهم فى الخلقة ممن يطيع ان هذه السورة تذكرة موعظة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا بالتقريب اليه بالطاعة له واتباع رسوله وما تشاؤن اتخاذ السبيل الى الله وبالياء مكى وشامى وابو عمرو ومحل الا ان يشاء الله النصب على الظرف اى الا وقت مشية الله وانما يشاء الله ذلك ممن علم منه اختيار ذلك وقيل هو لعموم المشية فى الطاعة والعصيان والكفر والايمان فيكون حجة لنا على المعتزلة ان الله كان عليما بما يكون منهم من الاحوال حكيما مصيبا فى الافعال والاقوال يدخل من يشاء وهم المؤمنون فى رحمته جنته لانها برحمته تنال وهو حجة على المعتزلة لانهم يقولون قد شاء ان يدخل كلا فى رحمته لانه شاء ايمان الكل والله تعالى اخبر انه يدخل من يشاء فى رحمته وهو الذى علم منه انه يختار الهدى والظالمين الكافرين لانهم وضعوا العبادة فى غير موضعها ونصب بفعل يفسره اعد لهم عذابا اليما نحو وعدكا فا

سورة المرسلات مكية وهى خمسون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا عذرا او نذرا اقسم سبحانه بطوائف من الملائكة ارسلهن باوامره فعصفن فى مضيهن وبطوائف منهم نشرت اجنحتهن فى الجو عند انحطاطهن بالوحى او نشرن الشرايع فى الارض او نشرن نفوس الموتى بالكفر والجهل بما اوحين ففرقن بين الحق والباطل فالقين ذكرا الى الانبياء عذرا للمحققين او نذرا

للمبطلين او اقسم برياح عذاب ارسلهن فعصفن وبرياح رحمة نشرن السحاب فى الجو ففرقن بينه كقوله ويجعله كسفا فالقين ذكرا اما عذرا للذين يعتذرون الى الله بتوبتهم واستغفارهم اذا رأوا نعمة الله فى الغيث ويشكرونها واما انذارا للذين لا يشكرون وينسبون ذلك الى الانواء وجعلن ملقيات للذكر باعتبار السببية عرفا حالا اى متتابعة كعرف الفرس يتلو بعضها بعضا او مفعول له اى ارسلن للاحسان والمعروف وعصفا ونشرا مصدران ونذرا ابو عمرو وكوفى غير ابو بكر وحماد والعذر والنذر مصدران من عذر اذا محا الاساءة ومن انذر اذا خوف على فعل كالكفر والشكر وانتصابهما على البدل من ذكرا او على المفعول له انما توعدون ان الذى توعدونه من مجيء يوم الدين لواقع لكائن نازل لا ريب فيه وهو جواب القسم ولا وقف الى هنا لوصل الجواب بالقسم فاذا النجوم طمست محيت او ذهبت بنورها وجواب فاذا محذوف والعامل فيها جوابها وهو وقع الفصل ونحوه والنجوم فاعل فعل يفسره طمست واذا السماء فرجت فتحت فكانت ابوابا واذا الجبال نسفت قلعت من اماكنها واذا الرسل اقتت اى وقتت كقراءة ابى عمرو وابدلت الهمزة من الواو ومعنى توقيت الرسل تبيين وقتها الذى يحضرون فيه للشهادة على اممهم لاى يوم اجلت اخرت وامهلت وفيه تعظيم لليوم وتعجيب من هوله والتاجيل من الاجل كالتوقيت من الوقت ليوم الفصل بيان ليوم التاجيل وهو اليوم الذى يفصل فيه بين الخلائق وما ادريك ما يوم الفصل تعجيب آخر وتعظيم لامره ويل مبتداء وان كان نكرة لانه فى اصله مصدر منصوب ساد مسد فعله ولكنه عدل به الى الرفع للدلالة على معنى ثبات الهلاك ودوامه للمدعو عليه ونحوه سلام عليكم يومئذ ظرف للمكذبين بذلك اليوم خبره الم نهلك الاولين الامم الخالية المكذبة ثم نتبعهم الاخرين مستانف بعد وقف وهذا وعيد لاهل مكة اى ثم نفعل بامثالهم من الاخرين مثل ما فعلنا بالاولين لانهم كذبوا مثل تكذيبهم كذلك مثل ذلك الفعل الشنيع نفعل بالمجرمين بكل من اجرم ويل يومئذ للمكذبين بما اوعدنا الم نخلقكم من ماء مهين حقير وهو النطفة فجعلناه اى الماء فى قرار مكين مقر يتمكن فيه وهو الرحم ومحل الى قدر معلوم الحال اى مؤخرا الى مقدار من الوقت معلوم قد علمه الله وحكم به وهو تسعة اشهر او ما فوقها او ما دونها فقدرنا فقدرنا ذلك تقديرا فنعم القادرون فنعم المقدرون له نحن او فقدرنا على ذلك فنعم القادرون

عليه نحن ولا أو لاخف القراءة نافع وعلي بالتشديد ولقوله من نطفة خلقه فقدره ويل يومئذ
للمكذبين بنعمة الفطر الم نجعل الارض كفاتا هو من كفت الشيء اذا ضمه وجمعه وهو اسم ما يكفت
كقولهم الضمام والجماع لما يضم به انتصب احياء وامواتا كانه قيل كافتة احياء وامواتا او بفعل
مضمر يدل عليه كفاتا وهو يكفت لاحياء اى تكفت احياء على ظهرها وامواتا فى بطنها والتنكير فيهما
للتفخيم اى تكفت فيها احياء لا يقدرون وامواتا لا يحصرون وجعلنا فيها رواسى جبالا ثوابت
شامخات عاليات واسقيناكم ماء فراتا عذبا ويل يومئذ للمكذبين بهذا النعم انطلقوا الى ما كنتم
به تكذبون اى يقال للكافرين يوم القيمة سيروا الى النار التى كنتم تكذبون بها انطلقوا تكرير للتوكيد
الى ظل دخان جهنم ذى ثلث شعب يتشعب لعظمه ثلث شعب وهكذا الدخان العظيم يتفرقون
ثلث فرق لا ظليل نعت ظل اى لا يظل من حر ذلك اليوم وحر النار ولا يغنى فى محل الجر اى وغير مغن
عنهم من اللهب من حر اللهب شيئا انها اى النار ترمى بشرر وهو ما تطاير من النار كالقصر فى العظم
وقيل هو الغليظ من الشجر الواحدة قصرة كانه جمالة صفر كوفى اى غير بكر جمع جمل جمالات غيرهم جمع
الجمع صفر جمع اصفر اى سود تضرب الى الصفرة شبه الشرر بالقصر لعظمه وارتفاعه وبالجمال
للعظم والطول واللون ويل يومئذ للمكذبين بان هذه صفتها هذا يوم لا ينطقون وقرئ بنصب
اليوم اى هذا الذى قص عليكم واقع يومئذ وسئل ابن عباس رض من هذه الآية وعن قوله ثم انكم
يوم القيمة عند ربكم تختصمون فقال فى ذلك اليوم مواقف فى بعضها يختصمون وفى بعضها لا
ينطقون او لا ينطقون بما ينفعهم فجعل نطقهم كلا نطق ولا يؤذن لهم فى الاعتذار فيعتذرون
عطف على يؤذن منخرط فى سلك النفى اى لا يكون لهم اذن واعتذار ويل يومئذ للمكذبين بهذا اليوم
هذا يوم الفصل بين المحق والمبطل والمحسن والمسيء بالجزاء جمعناكم يا مكذبى محمد والاولين والمكذبين
قبلكم فان كان لكم كيد حيلة فى دفع العذاب فكيدون فاحتالوا على تخليص انفسكم من العذاب و
الكيد ستعد تقول كدت فلانا اذا احتلت عليه ويل يومئذ للمكذبين بالبعث ان المتقين من عذاب
الله فى ظلال جمع ظل وعيون جارية فى الجنة وفواكه مما يشتهون اى لذة مشتهاة كلوا واشربوا
فى موضع الحال من ضمير المتقين فى الظرف الذى هو فى ظلال اى هم مستقرون فى ظلال مقولا لهم
ذلك هنيئا بما كنتم تعملون فى الدنيا انا كذلك نجزى المحسنين فاحسنوا تجزوا بهذا ويل يومئذ للمكذبين

بالجنة

بالجنة كلوا وتمتعوا كلام مستانف خطاب للمكذبين فى الدنيا على وجه التهديد كقوله اعملوا ما شئتم
قليلا لان متاع الدنيا قليل انكم مجرمون كافرون اى ان كل مجرم يأكل ويتمتع اياما قلائل ثم يبقى فى
الهلاك الدائم ويل يومئذ للمكذبين بالنعم واذا قيل لهم اركعوا اخشعوا لله وتواضعوا له بقبول
وحيه واتباع دينه ودعوا هذا الاستكبار لا يركعون لا يخشعون ولا يقبلون ذلك ويصرون على
استكبارهم او اذا قيل لهم صلوا لا يصلون ويل يومئذ للمكذبين بالامر والنهى فباى حديث بعده
بعد القران يؤمنون اى ان لم يؤمنوا بالقران مع انه آية مبصرة ومعجزة باهرة من بين الكتب السماوية
فباى كتاب بعده يؤمنون

سورة النبأ مكية وهى اربعون اية بسم الله الرحمن الرحيم

عم اصله عن ما وقرئ بها ثم ادغمت النون فى الميم فصار عما وقرئ ثم حذفت الالف تخفيفا لكثرة
الاستعمال فى الاستفهام وعليه الاستعمال الكثير ومعنى هذا الاستفهام تفخيم للمستفهم عنه لانه تعالى
لا يخفى عليه خافية يتساءلون يسأل بعضهم بعضا او يتساءلون غيرهم من المؤمنين والضمير لاهل
مكة كانوا يتساءلون فيما بينهم عن العذاب ويسألون المؤمنين عنه على طريق الاستهزاء عن
النبأ العظيم اى البعث وهو بيان للشان للفخم وتقديره عم يتساءلون يتساءلون عن النبأ
العظيم الذى هم فيه مختلفون فمنهم من يقطع بانكاره ومنهم من يشك وقيل الضمير للمسلمين
والكافرين وكانوا جميعا يسألون عنه فالمسلم يسأل ليزداد خشية والكافر يسأل استهزاء كلا
ردع عن الاختلاف او التساؤل هزؤا سيعلمون وعيد لهم بانهم سوف يعلمون عيانا ان ما يتساءلون
عنه حق ثم كلا سيعلمون كرر الردع للتشديد وثم يشعر بان الثانى ابلغ من الاول واشد الم نجعل
الارض لما انكروا البعث قيل لهم الم يخلق من اضيف اليه البعث هذه الخلائق العجيبة فلم تنكرون
قدرته على البعث وما هو الا اختراع كهذه الاختراعات او قيل لهم الم يفعل هذه الاشياء والحكيم
لا يفعل عبثا وانكار البعث يؤدى الى انه عابث فى كل ما فعل مهادا فراشا فرشناها لكم حتى سكنتموها
والجبال اوتادا للارض لئلا تميد بكم وخلقناكم ازواجا ذكرا وانثى وجعلنا نومكم سباتا قطعا
لاعمالكم وراحة لابدانكم والسبت القطع وجعلنا الليل لباسا سترا يستركم عن العيون اذا اردتم
اخفاء ما لا تحبون الاطلاع عليه وجعلنا النهار معاشا وقت معاش تتقلبون فى حوائجكم و
مكاسبكم وبنينا فوقكم سبعا سبع سموات شدادا جمع شديدة اى محكمة قوية لا يؤثر فيها مرور

البعث

الزمان او غلاظا غلظ كل واحد مسيرة خمسمائة وجعلنا سراجا وهاجا مضيئا وقادا اى جامعا للنور
والحرارة والمراد الشمس وانزلنا من المعصرات اى السحاب اذا اعتصرت اى شارفت ان تعصرها الرياح
فتمطر ومنه اعصرت الجارية اذا دنت ان تحيض او الرياح لانها تنشئ السحاب وتدر اخلافه فيصح
ان تجعل مبتداء للانزال وقد جاء ان الله تعالى يبعث الرياح فتحمل الماء من السماء الى السحاب ماء
ثجاجا منصبا بكثرة لنخرج به بالماء حبا كالبر والشعير ونباتا كالكلا وجنات بساتين الفافا ملتفة
الاشجار واحدها لف كجذع واجذاع او لفيف كشريف واشراف او لا واحد له كاوزاع او هي جمع
الجمع فهي جمع لف واللف جمع لفاء وهي شجرة مجتمعة ولا وقف من الم نجعل الى الفافا او الوقف
على اوتادا ومعاشا ان يوم الفصل بين المحسن والمسيء والمحق والمبطل كان ميقاتا وقتا محدودا
ومنتهى معلوما لوقوع الجزاء او ميعادا للثواب والعقاب يوم ينفخ في الصور بدل من يوم الفصل او
عطف بيان في الصور في القرن فتاتون افواجا حال اى جماعات مختلفة او امما كل امة مع رسولها
وفتحت السماء خفيف كوفي اى شقت لنزول الملائكة فكانت ابوابا فصارت ذات ابواب وطرق
وفروج وما لها اليوم من فروج وسيرت الجبال عن وجه الارض فكانت سرابا ان جهنم كانت
مرصادا طريقا عليه ممر الخلق فالمؤمن يمر عليها والكافر يدخلها وقيل المرصاد الحد الذي يكون فيه
الرصد اى هي حد للطاغين الذين يرصدون فيه للعذاب وهي مآبهم او هي مرصاد لاهل الجنة ترصدهم
الملائكة الذين يستقبلونهم عندها لان مجازهم عليها للطاغين مآبا للكافرين مرجعا لابثين ماكثين
حال مقدرة من الضمير في للطاغين حمزة لبثين واللبث اقوى اذ اللابث من وجد منه اللبث وان
قل واللبث من شأنه اللبث والمقام في المكان فيها في جهنم احقابا ظرف جمع حقب وهو الدهر
ولم يرد به عدد محصور بل الابد كلما مضى حقب تبعه آخر الى غير نهاية ولا يستعمل الحقب والحقبة
الا اذا اريد تتابع الازمنة وتواليها وقيل الحقب ثمانون سنة وسئل بعض العلماء عن هذه الآية
فاجاب بعد عشرين سنة لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا اى غير ذائقين حال من ضمير لابثين
فاذا انقضت هذه الاحقاب التي عدموا فيها برد والشراب بدلوا باحقاب اخر فيها عذاب
آخر وهي احقاب بعد احقاب لا انقطاع لها وقيل هو من حقب عامنا اذا قل مطره وخيره وحقب
فلان اذا اخطاه الرزق فهو حقب وجمعه احقاب فينصب حالا عنهم اى لابثين فيها حقبين

جحدين

جحدين ولا يذوقون فيها بردا ولا شرابا تفسير له وقوله الا حميما وغساقا استثناء منقطع اى لا
يذوقون في جهنم او في الاحقاب بردا روحا ينفس عنهم حر النار او نوما ومنه منع البرد
البرد ولا شرابا يسكن عطشهم ولكن يذوقون فيها حميما ماء حارا يحرق ما يأتي عليه وغساقا
ما يسيل من صديدهم وبالتشديد كوفي غير ابي بكر جزاء جوزوا جزاء وفاقا موافقا لاعمالهم
مصدر بمعنى الصفة او ذا وفاق ثم استأنف معللا فقال انهم كانوا لا يرجون حسابا لا يخافون
محاسبة الله اياهم او لم يؤمنوا بالبعث ليرجوا حسابا وكذبوا بآياتنا كذابا تكذيبا وفعال في باب
فعل كله فاش وكل شيء نصب بمضمر يفسره احصيناه كتابا مكتوبا في اللوح حال او مصدر في موضع
احصاء او احصيناه في معنى كتبنا لان الاحصاء يكون بالكتابة غالبا وهذه الآية اعتراض لان قوله
فذوقوا مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات اى فذوقوا جزاءكم والالتفات شاهد
على شدة الغضب فلن نزيدكم الا عذابا وفي الحديث هذه الآية اشد ما في القرآن على اهل النار ان
للمتقين مفازا مفعل من الفوز يصلح مصدرا اى نجاة من كل مكروه وظفرا بكل محبوب ويصلح
للمكان وهو الجنة ثم ابدل عنه بدل البعض من الكل فقال حدائق بساتين فيها انواع الشجر المثمر جمع
حديقة واعنابا كرما عطف على حدائق وكواعب نواهد اترابا لدات مستويات في السن
وكاسا دهاقا مملوءة لا يسمعون فيها في الجنة حال من ضمير خبر ان لغوا باطلا ولا كذابا الكسائي
خفيف بمعنى مكاذبة اى لا يكذب بعضهم بعضا او لا يكاذبه جزاء مصدر اى جزاهم جزاء من
ربك عطاء مصدر او بدل من جزاء حسابا صفة بمعنى كافيا او على حسب اعمالهم رب السموات
والارض وما بينهما الرحمن بجرهما ابن عامر بدلا من ربك ومن رفعهما فرب خبر مبتداء محذوف
او مبتداء خبره الرحمن او الرحمن صفة ولا يملكون خبر او هما خبران والضمير في لا يملكون لاهل
السموات والارض وفي منه خطابا لله تعالى اى لا يملكون الشفاعة من عذابه تعالى الا باذنه او لا
يقدر احد ان يخاطبه تعالى خوفا يوم يقوم ان جعلته ظرفا للا يملكون لا تقف على خطابا وان
جعلته ظرفا للا يتكلمون تقف الروح جبرئيل عند الجمهور وقيل هو ملك عظيم ما خلق الله
تعالى بعد العرش خلقا اعظم والملائكة صفا حال اى مصطفين لا يتكلمون اى الخلائق ثم خوفا
الا من اذن له الرحمن في الكلام او في الشفاعة وقال صوابا حقا بان قال المشفوع له لا اله الا الله في الدنيا

او نوما

او لا يؤذن الا لمن يتكلم بالصواب فى امر الشفاعة ذلك اليوم الحق الثابت وقوعه فمن شاء اتخذ الى
ربه مآبا مرجعا بالعمل الصالح انا انذرناكم ايها الكفار عذابا قريبا فى الآخرة لان ما هو آت قريب
يوم ينظر المرء اى الكافر لقوله انا انذرناكم عذابا قريبا ما قدمت يداه من الشر لقوله ذوقوا
عذاب الحريق ذلك بما قدمت ايديكم وتخصيص الايدى لان اكثر الاعمال تقع بها وان احتمل ان لا يكون
للايدى مدخل فيما ارتكب من الآثام ويقول الكافر وضع الظاهر موضع الضمير لزيادة الذم او المرء
عام وخص منه الكافر وما قدمت يداه وما عمل من خير وشر او هو المؤمن لذكر الكافر بعده وما
تقدم من غيره وما استفهامية منصوبة بقدمت اى ينظر اى شىء قدمت يداه او موصولة منصوبة
بينظر يقال نظرته بمعنى نظرت اليه والراجع من الصلة محذوف اى ما قدمته يا ليتنى كنت ترابا
فى الدنيا فلم اخلق ولم اكلف او يا ليتنى كنت ترابا فى هذا اليوم فلم ابعث وقيل يحشر الله الحيوان
غير المكلف حتى يقتص للجماء من القرناء ثم يرده ترابا فيود الكافر حاله وقيل الكافر ابليس يتمنى ان
يكون كآدم مخلوقا من التراب ليثاب ثواب اولاده المومنين سورة النازعات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم
وهى ست واربعون آية كوفى خمس بصرى

والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات امرا
لا وقف الى هنا ولزم هنا لانه لو وصل لصار يوم ظرف المدبرات وقد انقضى تدبير الملائكة
فى ذلك اليوم اقسم سبحانه بطوائف الملائكة التى تنزع الارواح من الاجساد غرقا اى اغراقا
فى النزع اى تنزعها من اقاصى الاجساد من اناملها ومواضع اظفارها وبالطوائف التى تنشطها
اى تخرجها من نشط الدلو من البير اذا اخرجها وبالطوائف التى تسبح فى مضيها اى تسرع فتسبق
الى ما امروا به فتدبر امرا من امور العباد مما يصلحهم فى دينهم او دنياهم كما رسم لهم او بخيل الغزاة
التى تنزع فى اعنتها نزعا تغرق فيه الاعنة لطول اعناقها لانها عراب والتى تخرج من دار الاسلام
الى دار الحرب من قولك ناشط اذا خرج من بلد الى بلد والتى تسبح فى جريها فتسبق الى الغاية فتدبر
امر الغلبة والظفر واسناد التدبير اليها لانها من اسبابه او بالنجوم التى تنزع من المشرق الى المغرب و
اغراقها فى النزع ان تقطع الفلك كلها حتى تنحط فى اقصى المغرب والتى تخرج من برج الى برج والتى تسبح
فى الفلك من السيارة فتسبق فتدبر امرا من علم الحساب وجواب القسم محذوف وهو لتبعثن لدلالة

ما بعده عليه من ذكر القيامة يوم ترجف تتحرك حركة شديدة والرجف شدة الحركة الراجفة النفخة
الاولى وصفت بما يحدث بحدوثها لانه يضطرب بها الارض حتى يموت كل من عليها تتبعها حال من الراجفة
الرادفة النفخة الثانية لانها تردف الاولى وبينهما اربعون سنة والاولى تميت الخلق والآخرة تحييهم
قلوب يومئذ قلوب منكرى البعث واجفة مضطربة من الوجيف وهو الوجيب وانتصاب يوم
ترجف بما دل عليه قلوب يومئذ واجفة اى يوم ترجف وجفت القلوب وارتفاع قلوب بالابتداء
وواجفة صفتها ابصارها اى ابصار اصحابها خاشعة ذليلة لهول ما ترى خبرها يقولون اى منكروا
البعث فى الدنيا استهزاء وانكارا للبعث ائنا لمردودون فى الحافرة استفهام بمعنى الانكار اى انرد
بعد موتنا الى اول الامر فنعود احياء كما كنا والحافرة الحالة الاولى يقال لمن كان فى امر فخرج منه ثم
عاد اليه رجع الى حافرته اى الى حالته الاولى ويقال النقد عند الحافرة اى عند الحالة الاولى وهى الصفقة
انكروا البعث ثم زادوا استبعادا فقالوا ائذا كنا عظاما نخرة بالية ناخرة كوفى غير حفص وفعل
ابلغ من فاعل يقال نخر العظم فهو نخر وناخر والمعنى انرد الى الحيوة بعد ان صرنا عظاما بالية واذا
منصوب بمحذوف وهو نبعث قالوا اى منكروا البعث تلك رجعتنا اذا كرة خاسرة رجعة
ذات خسران او خاسر اصحابها والمعنى انها ان صحت وبعثنا فنحن اذا خاسرون لتكذيبنا بها فانما
هى زجرة واحدة متعلق بمحذوف اى لا تحسبوا تلك الكرة صعبة على الله عز وجل فانها سهلة
هينة فى قدرته فما هى الا صيحة واحدة يريد النفخة الثانية من قولهم زجر البعير اذا صاح عليه
فاذا هم بالساهرة فاذا هم احياء على وجه الارض بعد ما كانوا امواتا فى جوفها وقيل الساهرة
ارض بعينها بالشام الى جنب بيت المقدس او بيت المقدس او ارض مكة او جهنم هل اتيك
حديث موسى استفهام يتضمن التنبيه على ان هذا مما يجب ان يسمع للمخاطب به اذ ناداه ربه حين
ناداه بالواد المقدس المبارك المطهر طوى اسم اذهب الى فرعون على ارادة القول انه طغى تجاوز
الحد فى الكفر والفساد فقل هل لك الى ان تزكى هل لك ميل الى ان تتطهر من الشرك والعصيان
بالطاعة والايمان وتشديد الزاى حجازى واهديك الى ربك وان ارشدك الى معرفة الله بذكر
صفاته فتعرفه فتخشى لان الخشية لا يكون الا بالمعرفة قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء
اى العلماء به وعن بعض الحكماء اعرفوا الله فمن عرفه لم يقدر ان يعصيه طرفة عين فالخشية ملاك

الامر من خشي الله اتى منه كل خير ومن امن اجترا على كل شر ومنه الحديث من خاف ادلج ومن ادلج
بلغ المنزل بداء مخاطبته بالاستفهام الذى معناه العرض كما يقول الرجل لضيفه هل لك ان تنزل بنا
وارد فه الكلام الرقيق ليستدعيه بالتلطف فى القول ويستنزله بالمداراة من عتوه كما امر بذلك فى قوله
فقولا له قولا لينا فاراه الاية الكبرى اى فذهب فارى موسى فرعون العصا او العصا واليد
البيضاء لانهما فى حكم اية واحدة فكذب فرعون بموسى والاية الكبرى وسماها ساحرا وسحرا
وعصى الله تعالى ثم ادبر تولى عن موسى يسعى يجتهد فى مكايدته او لما راى الثعبان ادبر مرعوبا
يسرع فى مشيته وكان طياشا فحشر فجمع السحرة وجنده فنادى فى المقام الذى اجتمعوا فيه
معه فقال انا ربكم الاعلى لا رب فوقى وكانت لهم اصنام يعبدونها فاخذه الله نكال الاخرة عاقبه
الله عقوبة الاخرة والنكال بمعنى التنكيل كالسلام بمعنى التسليم ونصبه على المصدر لان اخذ بمعنى
نكل كانه قيل نكل الله به نكال الاخرة اى الاحراق والاولى اى الاغراق او نكال كلمته الاخرة وهى
انا ربكم الاعلى والاولى وهى ما علمت لكم من اله غيرى وبينهما اربعون سنة او ثلثون او عشرون
ان فى ذلك المذكور لعبرة لمن يخشى الله ءانتم يا منكرى البعث اشد خلقا اصعب خلقا وانشاء
ام السماء مبتداء محذوف الخبر اى ام السماء اشد خلقا ثم بين كيف خلقها فقال بنيها اى الله
ثم بين البناء فقال رفع سمكها اعلى سقفها وقيل جعل مقدار ذهابها فى سمت العلو رفيعا
مسيره خمس ماية عام فسويها فعدلها مستوية بلا شقوق ولا فطور واغطش ليلها واظلمه
اخرج ضحيها ابرز ضوء شمسها واضيف الليل والشمس الى السماء لان الليل ظلها والشمس سراجها
والارض بعد ذلك دحيها بسطها وكانت مخلوقة غير مدحوة فدحيت من مكة بعد خلق السما
بالفى عام ثم فسر البسط فقال اخرج منها ماءها بتفجير العيون ومرعيها كلاءها ولذا لم يدخل
العاطف على اخرج او اخرج حال باضمار قد والجبال ارسيها اثبتها وانتصاب الارض والجبال
باضمار دحى وارسى على شريطة التفسير متاعا لكم ولانعامكم فعل ذلك تمتيعا لكم ولانعامكم فاذا
جاءت الطامة الكبرى الداهية العظمى التى تطم على الدواهى اى تعلو وتغلب وهى النفخة الثانية
او الساعة التى يساق فيها اهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار يوم يتذكر الانسان بدل من اذا
جاءت اى اذا راى اعماله مدونة فى كتابه تذكرها وكان قد نسيها ما سعى ما مصدرية اى سعيه او

موصولة

موصولة وبرزت الجحيم واظهرت لمن يرى لكل راء لظهورها ظهورا بينا فاما جواب فاذا جاءت
الطامة فان الامر كذلك من طغى جاوز الحد فكفر واثر الحيوة الدنيا على الاخرة باتباع الشهوات
فان الجحيم هى المأوى ماويه والالف واللام بدل الاضافة وهذا عند الكوفيين وعند سيبويه و
البصريين هى الماوى له واما من خاف مقام ربه اى علم ان له مقاما يوم القيمة لحساب ربه ونهى
النفس الامارة بالسوء عن الهوى المردى اى زجرها عن اتباع الشهوات وقيل هو الرجل يهم
بالمعصية فيذكر مقامه للحساب فيتركها والهوى ميل النفس الى شهواتها فان الجنة هى الماوى اى
المرجع يسالونك عن الساعة ايان مرسيها متى ارساؤها اى اقامتها يعنى متى يقيمها الله و
يثبتها فيم انت من ذكريها اى فى اى شىء انت من ان تذكر وقتها لهم وتعلمهم به اى ما انت من ذكرها
لهم وتبين وقتها فى شىء كقولك ليس فلان من العلم فى شىء وكان رسول الله عليه الصلوة والسلام
لم يزل يذكر الساعة ويسال عنها حتى نزلت فهو على هذا تعجب من كثرة ذكره لها اى انهم يسالونك
عنها فلحرصك على جوابهم لا تزال تذكرها وتسال عنها ثم قال الى ربك منتهيها منتهى علمها متى
تكون لا يعلمها غيره او فيم انكار لسوالهم عنها او فيم هذا السوال ثم قال انت من ذكريها اى ارسالك
وانت اخر الانبياء علامة من علاماتها فلا معنى لسوالهم عنها ولا يبعد ان يوقف على هذا
على فيم وقيل فيم انت من ذكريها متصل بالسوال اى يسالونك عن الساعة ايان مرسيها ويقولون
اين انت من ذكريها ثم استانف فقال الى ربك منتهيها انما انت منذر من يخشيها اى لم تبعث
لتعلمهم بوقت الساعة وانما بعثت لتنذر من اهوالها من يخاف شدايدها منذر منون يزيد
وعباس كانهم يوم يرونها اى الساعة لم يلبثوا فى الدنيا الا عشية او ضحيها اى ضحى العشية استقلوا
مدة لبثهم فى الدنيا لما عاينوا من الهول كقوله لم يلبثوا الا ساعة من نهار وقوله قالوا لبثنا يوما
او بعض يوم وانما صحت اضافة الضحى الى العشية للملابسة بينهما لاجتماعهما فى نهار واحد و
المراد ان مدة لبثهم لم تبلغ يوما كاملا ولكن احدطرفى النهار عشية او ضحيها

سورة عبس مكية وهى اثنان واربعون اية بسم الله الرحمن الرحيم

عبس كلح اى النبى صلى الله عليه وسلم وتولى اعرض ان جاءه الاعمى لان جاءه ومحله نصب لانه مفعول
له والعامل فيه عبس او تولى على اختلاف المذهبين الاعمى عبد الله بن ام مكتوم وام مكتوم اسم ام

ابيه وابوه شريح بن مالك اتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يدعو اشراف قريش الى الاسلام فقال يا رسول الله
علمني مما علمك الله وكرر ذلك وهو لا يعلم تشاغله بالقوم فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعه لكلامه
وعبس واعرض عنه فنزلت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرمه بعد ويقول مرحبا بمن عاتبني
فيه ربي واستخلفه على المدينة مرتين وما يدريك واي شيء يجعلك داريا بحال هذا الاعمى لعله يزكى
لعل الاعمى يتطهر بما يستمع منك من دنس الجهل واصله يتزكى فادغمت التاء في الزاء وكذا او يذكر يتعظ
فتنفعه بنصب عاصم غير الاعشى جوابا للعل وغيره ورفعه عطفا على يذكر الذكرى ذكريك اي موعظتك
اي انك لا تدري ما هو مترقب منه من تزكٍّ او تذكر ولو دريت لما فرط ذلك منك اما من استغنى اي
من كان غنيا بالمال فانت له تصدى تتعرض بالاقبال عليه حرصا على ايمانه تصدى بادغام التاء في الصاد
حجازي وما عليك ان لا يزكى وليس عليك باس في ان لا يتزكى بالاسلام ان عليك الا البلاغ واما من جاءك
يسعى يسرع في طلب الخير وهو يخشى الله او الكفار اي اذاهم في اتيانك او الكبوة كعادة العميان فانت
عنه تلهى تشاغل واصله تتلهى وروي انه ما عبس بعدها في وجه فقير قط ولا تصدى لغني وروي ان
الفقراء في مجلس النبي كانوا امراء كلا ردع اي لا تعد الى مثله انها ان السورة او الآيات تذكرة موعظة
يجب الاتعاظ والعمل بموجبها فمن شاء ذكره فمن شاء الله ان يذكره ذكره وذكر الضمير لان التذكرة
في معنى الذكر والوعظ او المعنى فمن شاء الذكر الهمه الله تعالى في صحف صفة لتذكرة اي انها مثبتة في صحف
منتسخة من اللوح او خبر مبتدا محذوف اي هي في صحف مكرمة عند الله مرفوعة في السماء او مرفوعة
القدر والمنزلة مطهرة عن مس غير الملائكة او مما ليس من كلام الله تعالى بايدي سفرة كتبة جمع سافر
اي الملائكة ينسخون الكتب من اللوح كرام على الله او عن المعاصي بررة اتقياء جمع بار قتل الانسان
لعن الكافر وهو امية او عتبة ما اكفره استفهام توبيخ اي اي شيء حمله على الكفر او هو تعجب اي ما اشد
كفره من اي شيء خلقه من شيء اي حقير خلقه وهو استفهام ومعناه التقرير ثم بين ذلك الشيء فقال من
نطفة خلقه فقدره على ما يشاء من خلقه ثم السبيل يسره نصب السبيل باضمار يسر ثم سهل سبيل الخروج
من بطن امه او بين له سبيل الخير والشر ثم اماته فاقبره جعله ذا قبر يوارى فيه لا كالبهائم كرامة له
قبر الميت دفنه واقبره امره بان يقبره ومكنه منه ثم اذا شاء انشره احياه بعد موته كلا ردع للانسان
عن الكفر لما يقض ما امره لم يفعل هذا الكافر ما امره الله تعالى به من الايمان ولما عدد النعم في نفسه من

ابتلاء حدوثه الى ان انتهى اتبعه ذكر النعم فيما يحتاج اليه فقال فلينظر الانسان الى طعامه الذي ياكله ويحيى
به كيف دبرنا امره انا بالفتح كوفي على انه بدل اشتمال من الطعام وبالكسر على الاستيناف غيرهم صببنا الماء
صبا يعني المطر من السحاب ثم شققنا الارض شقا بالنبات فانبتنا فيها حبا كالبر والشعير ونحوهما مما يتغذى
به وعنبا ثمرة الكرم اي الطعام والفاكهة وقضبا رطبة سمي بمصدر قضبه اي قطعه لانه يقضب مرة بعد مرة
وزيتونا ونخلا وحدائق بساتين غلبا غلاظ الاشجار جمع غلباء وفاكهة لكم وابا مرعى لدوابكم متاعا
مصدر اي منفعة لكم ولانعامكم فاذا جاءت الصاخة صيحة القيمة لانها تصخ الاذان اي تصمها و
جوابه محذوف لظهوره يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه لتبعات بينه وبينهم او لاشتغاله بنفسه
وصاحبته وزوجته وبنيه بدا بالاخ ثم بالابوين لانهما اقرب منه ثم بالصاحبة والبنين لانهم احب قيل
اول من يفر من اخيه هابيل ومن ابويه ابراهيم ومن صاحبته نوح ولوط ومن ابنه نوح لكل امرئ
منهم يومئذ شان يغنيه يكفيه من الاهتمام به ويشغله عن غيره وجوه يومئذ مسفرة مضيئة من
قيام الليل ومن آثار الوضوء ضاحكة مستبشرة اي اصحاب هذه الوجوه وهم المؤمنون ضاحكون
مسرورون ووجوه يومئذ عليها غبرة غبار ترهقها قترة تعلوها الغبرة سواد كالدخان ولا ترى
اوحش من اجتماع الغبرة والسواد في الوجه اولئك اهل هذه الحال هم الكفرة في حقوق الله
الفجرة في حقوق العباد او لما جمعوا الفجور الى الكفر جمع الى سواد وجوههم الغبرة

سورة التكوير مكية وهي تسع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا الشمس كورت ذهب بضوئها من كورت العمامة اذا لففتها اي يلف ضوءها لفا فيذهب
انبساطه وانتشاره في الآفاق وارتفاع الشمس بالفاعلية ورافعها فعل مضمر يفسره كورت لان اذا يطلب
الفعل لما فيه من معنى الشرط واذا النجوم انكدرت تساقطت واذا الجبال سيرت عن وجه الارض
او ابعدت او سيرت في الجو تسيير السحاب واذا العشار جمع عشراء وهي الناقة التي اتى على حملها عشرة
اشهر ثم هو اسمها الى ان تضع لتمام السنة عطلت اهملت عطلها اهلها لاشتغالهم بانفسهم وكانوا
يحبسونها اذا بلغت هذه الحال لعزتها عندهم ويعطلون ما دونها عطلت بالتخفيف عن البزي
واذا الوحوش حشرت جمعت من كل ناحية قال قتادة يحشر كل شيء حتى الذباب للقصاص فاذا قضي
بينها ردت ترابا فلا يبقى منها الا ما فيه سرور لبني آدم كالطاوس ونحوه وعن ابن عباس رض حشرها

موتها يقال اذا اجحفت السنة بالناس واموالهم حشرتهم السنة واذا البحار سجرت سكى وبصرى من سجر التنور اذا ملاه بالحطب اى مليت وفجر بعضها الى بعض حتى سجرا واحدا وقيل مليت نيرانا لتعذيب اهل النار واذا النفوس زوجت قرنت كل نفس بشكلها الصالح مع الصالح فى الجنة والصالح مع الطالح فى النار او قرنت الارواح بالاجساد او بكتبها او اعمالها او نفوس المؤمنين بالحور العين ونفوس الكافرين بالشياطين واذا الموؤدة المدفونة حية وكانت العرب يئد لبنات خشية الاملاق وخوف الاسترقاق وسئلت سوال تلطف لتقول بلا ذنب قتلت او لتدل على قاتلها او هو توبيخ لقاتلها بصرف الخطاب عنه كقوله ءانت قلت للناس الاية باى ذنب قتلت وبالتشديد يزيد وفيه دليل على ان اطفال المشركين لا يعذبون وعلى ان التعذيب لا يكون بغير ذنب واذا الصحف نشرت فتحت و بالتخفيف مدنى وشامى وعاصم وسهل ويعقوب والمراد صحف الاعمال تطوى صحيفة الانسان عند موته ثم تنشر اذا حوسب ويجوز ان يراد نشرت بين اصحابها اى فرقت بينهم واذا السماء كشطت قال الزجاج قلعت كما يقلع السقف واذا الجحيم سعرت اوقدت ايقادا شديدا وبالتشديد شامى ومدنى وعاصم غير حماد ويحيى للمبالغة واذا الجنة ازلفت ادنيت من المتقين كقوله وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد فهذه اثنا عشر خصلة ستة منها فى الدنيا والباقية فى الاخرة ولا وقف مطلقا من اول السورة الى ما احضرت لان عامل النصب فى اذا الشمس وفيما عطف عليه جوابها وهو علمت نفس اى كل نفس ولضرورة انقطاع النفس على كل اية جوازه الوقف ما احضرت من خير وشر فلا اقسم لا زائدة بالخنس بالرواجع بينا ترى النجم فى اخر البرج اذ كر راجعا الى اوله الجوارى السيارة الكنس الغيب من كنس الوحش اذا دخل كناسته وقيل هى الدرارى الخمسة بهرام وزحل وعطارد والزهرة والمشترى تجرى مع الشمس والقمر وترجع حتى تخفى تحت ضوء الشمس فخنوسها رجوعها وكنوسها اختفاؤها تحت ضوء الشمس وقيل هى جميع الكواكب والليل اذا عسعس قبل بظلامه او ادبر فهو من الاضداد والصبح اذا تنفس اشتد ضوءه ولما كان اقبال الصبح يلازمه الروح والنسيم جعل ذلك نفسا له مجازا وجواب القسم انه القرآن لقول رسول اى جبرئيل عليه السلام وانما اضيف القران اليه لانه هو الذى نزل به كريم عند ربه ذى قوة قدرة على ما يكلف لا يعجز عنه ولا يضعف عند ذى العرش عند الله مكين ذى جاه ومنزلة ولما كانت حال المكانة على حسب حال الممكن قال عند ذى العرش ليدل على عظم منزلته ومكانه

مطاع ثم اى فى السموات يطيعه من فيها او عند ذى العرش اى عند الله يطيعه ملائكته المقربون يصدرون عن امره ويرجعون الى رايه امين على الوحى وما صاحبكم يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم بمجنون كما تزعم الكفرة وهو عطف على جواب القسم ولقد راه راى محمد جبرئيل عليهما السلام على صورته بالافق المبين بمطلع الشمس وما هو على الغيب وما محمد عليه الصلوة والسلام على الوحى بضنين ببخيل من الضن وهو البخل اى لا يبخل بالوحى كما يبخل الكهان رغبة فى الحلوان بل يعلمه كما علم ولا يكتم شيئا مما علم بظنين مكى وابو عمرو وعلى بمتهم فينقص شيئا مما اوحى اليه او يزيد فيه من الظنة وهى التهمة وما هو وما القرآن بقول شيطان رجيم طريد وهو كقوله وما تنزلت به الشياطين اى ليس هو بقول بعض المسترقة للسمع وبوحيهم الى اوليائهم من الكهنة فاين تذهبون استضلال لهم كما يقال لتارك الجادة اعتسافا او ذهابا فى بنيات الطريق اين تذهب مثلت حالهم بحاله فى تركهم الحق وعدولهم عنه الى الباطل وقال الزجاج معناه فاى طريق تسلكون ابين من هذه الطريقة التى بينت لكم وقال الجنيدى فاين تذهبون عنا وان من شىء الا عندنا خزائنه ان هو الا ذكر للعالمين ما القرآن الا موعظة للخلق لمن شاء منكم بدل من العالمين ان يستقيم اى القران ذكر لمن شاء الاستقامة يعنى ان الذين شاؤا الاستقامة بالدخول فى الاسلام هم المنتفعون بالذكر فكانه لم يوعظ به غيرهم وان كانوا موعظين جميعا وما تشاؤن الاستقامة الا ان يشاء الله رب العالمين مالك الخلق جميعا اجمعين

سورة الانفطار مكية وهى تسع عشرة اية بسم الله الرحمن الرحيم

اذا السماء انفطرت انشقت واذا الكواكب انتثرت تساقطت واذا البحار فجرت فتح بعضها الى بعض وصارت البحار بحرا واحدا واذا القبور بعثرت اى بحثت واخرج موتاها وجواب اذا علمت نفس اى نفس برة وفاجرة ما قدمت ما عملت يداه من طاعة واخرت وتركت فلم تعمل او ما قدمت من الصدقات وما اخرت من الميراث يا ايها الانسان قيل الخطاب لمنكر البعث ما غرك بربك الكريم الذى خلقك اى شىء خدعك حتى ضيعت ما وجب عليك مع كرم ربك حيث انعم عليك بالخلق والتسوية والتعديل وعنه عليه الصلوة والسلام حين تلاها غره جهله وعن عمر رضى الله عنه غره حمقه وعن الحسن غره شيطانه وعن الفضيل لو خوطبت اقول غرتنى ستورك المرخات وعن يحيى بن معاذ اقول غرنى برك بى سالفا وانفا فسويك فجعلك مستوى الخلق سالم الاعضاء

فعدلك فصيرك معتدلا متناسب الخلق من غير تفاوت فيه فلم يجعل عليها احدى اليدين اطول و
لا احدى العينين اوسع ولا بعض الاعضاء ابيض وبعضها اسود او جعلك معتدل الخلق تمشي قائما
لا كالبهائم وبالتخفيف كوفي وهو بمعنى المشدد اى عدل بعض اعضائك ببعض حتى اعتدلت فكنت
معتدل الخلقة متناسب البنية فى اى صورة ما شاء ركبك ما مزيدة للتوكيد اى ركبك فى اى صورة
اقتضتها مشيته فى الصور المختلفة فى الحسن والقبح والطول والقصر لم تعطف هذه الجملة كما عطف
ما قبلها لانها بيان لعدلك والجار يتعلق بركبك على معنى وضعك فى بعض الصور ومكنك فيها او
بمحذوف اى ركبك حاصلا فى بعض الصور كلا ردع عن الغفلة عن الغفلة بل تكذبون بالدين اصلا
وهو الجزاء او دين الاسلام فلا تصدقون ثوابا ولا عقابا وان عليكم لحافظين اعمالكم واقوالكم من
الملائكة كراما كاتبين يعني انكم تكذبون بالجزاء والكاتبون يكتبون عليكم اعمالكم لتجازوا به يعلمون
ما تفعلون لا يخفى عليكم شيء من اعمالكم وفي تعظيم الكتبة بالثناء عليهم تعظيم لامر الجزاء وانه عند الله
من جلائل الامور وفيه انذار وتهديد للمجرمين ولطف للمتقين وعن الفضيل انه كان اذا قراها قال
ما اشدها من آية على الغافلين ان الابرار لفي نعيم ان المؤمنين لفي نعيم الجنة وان الفجار لفي جحيم و
ان الكفار لفي النار يصلونها يوم الدين يدخلونها يوم الجزاء وما هم عنها بغائبين اى لا يخرجون
منها كقوله تعالى وما هم بخارجين منها ثم عظم شان يوم القيمة فقال وما ادريك ما يوم الدين
ثم ما ادريك ما يوم الدين فكرر للتاكيد والتهويل وبينه بقوله يوم لا تملك نفس لنفس شيئا اى لا
تستطيع دفعا عنها ولا نفعا لها بوجه وانما تملك الشفاعة بالاذن يوم بالرفع مكي وبصري اى هو يوم
او بدل من يوم الدين ومن نصب فباضمار اذكر او باضمار يدانون لان الدين يدل عليه والامر يومئذ لله
اى لا امر الا لله وحده فهو القاضي فيه دون غيره سورة المطففين مختلف فيها وهي ست
وثلثون آية بسم الله الرحمن الرحيم ويل مبتداء خبره للمطففين الذين
يبخسون حقوق الناس فى الكيل والوزن الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون اى اخذوا بالكيل
من الناس يأخذون حقوقهم وافية تامة ولما كان اكتيالهم من الناس اكتيالا يضرهم ويتحامل فيه
عليهم ابدل على مكان من للدلالة على ذلك ويجوز ان يتعلق على بيستوفون ويقدم المفعول على الفعل
لافادة الاختصاص اى يستوفون على الناس خاصة وقال الفراء من وعلى يعتقبان فى هذا الموضع لانه حق

الله

١٢ اذام

عليه فاذا قال اكتلت عليك فكانه قال اخذت ما عليك واذا قال اكتلت منك فكانه قال استوفيت منك
والضمير المنصوب واذا كالوهم او وزنوهم راجع الى الناس اى كالوا لهم او وزنوا لهم فحذف الجار واوصل
الفعل وانما لم يقل واتزنوا كما قيل او وزنوهم اكتفاء بالاكتيال ويحتمل ان المطففين كانوا لا ياخذون ما يكال
او يوزن الا بالمكائيل لتمكنهم بالاكتيال من الاستيفاء والسرقة لانهم يزعزعون ويحتالون فى الملاء واذا اعطوا
كالوا او وزنوا لتمكنهم من البخس فى النوعين يخسرون ينقصون يقال خسر الميزان واخسره الا يظن اولئك
انهم مبعوثون ليوم عظيم يعني يوم القيمة ادخل همزة الاستفهام على النافية توبيخا وليست الا هذه للتنبيه
وفيه انكار وتعجيب عظيم من حالهم فى الاجتراء على التطفيف كانهم لا يخطرون ببالهم ولا يخمنون
تخمينا انهم مبعوثون ومحاسبون على مقدار الذرة ولو ظنوا انهم يبعثون ما نقصوا فى الكيل والوزن
وعن عبد الملك بن مروان ان اعرابيا قال له قد سمعت ما قال الله فى المطففين اراد بذلك ان المطفف
قد توجه عليه الوعيد العظيم الذى سمعت به فما ظنك بنفسك وانت تاخذ اموال المسلمين بلا كيل ولا
وزن ونصب يوم يقوم الناس بمبعوثون لرب العالمين لامره وجزائه وعن ابن عمر رض انه قرا
هذه السورة فلما بلغ هنا بكى نحيبا وامتنع من قراءة ما بعده كلا ردع وتنبيه اى ردعهم عما كانوا عليه
من التطفيف والغفلة عن البعث والحساب ونبههم على انه مما يجب ان يتاب عنه ويندم عليه ثم اتبعه
وعيد الفجار على العموم فقال ان كتاب الفجار صحائف اعمالهم لفي سجين وما ادريك ما سجين كتاب مرقوم
فان قلت قد اخبر الله تعالى عن كتاب الفجار بانه فى سجين وفسر سجينا بكتاب مرقوم فكانه قيل ان
كتابهم فى كتاب مرقوم فما معناه قلت سجين كتاب جامع هو ديوان الشر دون الله فيه اعمال الشياطين
والكفرة من الجن والانس وهو كتاب مرقوم مسطور بين الكتابة او معلم يعلم من رآه انه لا خير فيه
من رقم الثياب علامتها يعني ان ما كتب من اعمال الفجار مثبت فى ذلك الديوان وسمى سجينا فعيلا
من السجن وهو السجن وهو الحبس والتضييق لانه سبب الحبس والتضييق فى جهنم او لانه مطروح
تحت الارض السابعة فى مكان وحش مظلم وهو مسكن ابليس وذريته وهو اسم علم منقول من وصف
كحاتم منصرف لوجود سبب واحد وهو العلمية فحسب ويل يومئذ يوم يخرج المكتوب للمكذبين
الذين يكذبون بيوم الدين هو الجزاء والحساب وما يكذب به بذلك اليوم الا كل معتد مجاوز للحد
اثيم مكتسب للاثم اذا تتلى عليه آياتنا اى القرآن قال اساطير الاولين احاديث المتقدمين وقال الزجاج

اساطير اباطيل واحدها اسطورة مثل احدوثة واحاديث كلا ردع للمعتدى الاثيم من هذا القول بل نفى
لما قالوا ويقف حفص على بل وقفة ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون غطاها كسبهم اى غلب على قلوبهم
حتى غمرها ما كانوا يكسبون من المعاصى وعن الحسن الذنب بعد الذنب حتى يسود القلب وعن الضحاك
الرين موت القلب وعن ابى سليمان الرين والقسوة رماما الغفلة ودواؤها ادمان الصوم فان وجد
بعد ذلك قسوة فليترك الادام كلا ردع عن الكسب الرائن على القلب انهم عن ربهم عن رؤية ربهم
يومئذ لمحجوبون لممنوعون والحجب المنع قال الزجاج فى الاية دليل على ان المؤمنين يرون ربهم والا لا
يكون التخصيص مفيدا وقال الحسين ابن الفضل كما حجبهم فى الدنيا عن توحيده حجبهم فى العقبى عن رؤيته
وقال مالك ابن انس رح لما حجب اعداءه فلم يروه تجلى لاوليائه حتى يروه وقيل عن كرامة ربهم لانهم
فى الدنيا لم يشكروا نعمه فيئسوا فى الاخرة من كرامة مجازاة والاول اصح لان الرؤية اقوى الكرامات
فالحجب عنها دليل الحجب عن غيرها ثم انهم لصالوا الجحيم ثم بعد كونهم محجوبين عن ربهم لداخلوا النار
ثم يقال هذا الذى كنتم به تكذبون اى هذا العذاب هو الذى كنتم به تكذبون فى الدنيا وتنكرون
وقوعه كلا ردع عن التكذيب ان كتاب الابرار ما كتب من اعمالهم والابرار المطيعون الذين لا
يطففون ويؤمنون بالبعث لانه ذكر فى مقابلة الفجار وبين الفجار بانهم المكذبون بيوم الدين وعن
الحسن البر الذى لا يؤذى الذر لفى عليين هو علم لديوان الخير الذى دون فيه كل ما عملته الملائكة
وصلحاء الثقلين منقول من جميع على فعيل من العلو سمى به لانه سبب الارتفاع الى اعلى الدرجات
فى الجنة او لانه مرفوع فى السماء السابعة حيث يسكن الكروبيون تكريما له وما ادريك ما الذى اعلمك
يا محمد ما عليون اى شئ هو كتاب مرقوم يشهده المقربون يحضره الملائكة وقيل يشهد عمل الابرار مقربوا
كل سماء اذا رفع ان الابرار لفى نعيم تنعم فى الجنان على الارائك الاسرة فى الحجال ينظرون الى كرامة
الله ونعمه والى اعدائهم كيف يعذبون تعرف فى وجوههم نضرة النعيم بهجة النعيم وطراوته يسقون
من رحيق شراب خالص مختوم ختامه مسك تختم اوانيه بمسك بدل الطين الذى يختم به الشراب
فى الدنيا امر الله تعالى بالتختم عليه اكراما لاصحابه او ختامه مسك مقطعه رائحة مسك اى توجد
رائحة المسك عند خاتمة شربه خاتمه على وفى ذلك الرحيق والنعيم فليتنافس المتنافسون فليرغب
الراغبون وذا انما يكون بالمسارعة الى الخيرات والانتهاء عن السيآت ومزاجه ومزاج الرحيق من

تسنيم هو علم لعين بعينها سميت بالتسنيم الذى هو مصدر سنمه اذا رفعه لانها ارفع شراب فى الجنة
او لانها تأتيهم من فوق وتنصب فى اوانيهم عينا يشرب حال او نصب على المدح يشرب بها اى منها المقربون
عن ابن عباس وابن مسعود رض يشرب بها المقربون صرفا ويمزج لاصحاب اليمين ان الذين
اجرموا كفروا كانوا من الذين آمنوا يضحكون فى الدنيا استهزاء بهم واذا مروا بهم يتغامزون يشير
بعضهم الى بعضهم بالعين طعنا فيهم وعيبا لهم قيل جاء على رض فى نفر من المسلمين فسخر منهم المنافقون
وضحكوا وتغامزوا وقالوا ترون هذا الاصلع فنزلت قبل ان يصل على الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
واذا انقلبوا الى اهلهم اى اذا رجع الكفار الى منازلهم انقلبوا فكهين متلذذين بذكرهم او السخرى
منهم وقرا غير حفص فاكهين اى فرحين واذا رأوهم وان رأى الكافرون المؤمنين قالوا ان هؤلاء
لضالون اى خدع محمد هؤلاء فضلوا وتركوا اللذات لما يرجونه فى الاخرة من الكرامات فقد تركوا
الحقيقة بالخيال وهذا هو عين الضلال وما ارسلوا اى وما ارسل الكفار عليهم على المؤمنين حافظين
يحفظون احوالهم ويرقبون اعمالهم بل امروا باصلاح انفسهم فاشتغالهم بذلك اولى بهم من تتبع
غيرهم وتسفيه احلامهم فاليوم اى يوم القيمة الذين امنوا من الكفار يضحكون ثم كما ضحكوا منهم هنا
مجازاة على الارائك ينظرون حال من يضحكون اى يضحكون منهم ناظرين اليهم والى ما هم فيه من الهوان
والصغار بعد العزة والاستكبار وهم على الارائك آمنون وقيل يفتح للكفار باب الى الجنة فيقال
لهم هلموا الى الجنة فاذا وصلوا اليها اغلقت دونهم فيضحك المؤمنون منهم هل ثوب الكفار ما كانوا
يفعلون هل جوزوا بسخريتهم بالمؤمنين فى الدنيا اذا فعل بهم ما ذكر سورة الانشقاق مكية

وهى خمس وعشرون اية بسم الله الرحمن الرحيم

اذا السماء انشقت تصدعت وتشققت واذنت لربها وحقت سمعت واطاعت واجابت ربها
الى الانشقاق ولم تأب ولم تمتنع وحقت وحقت لها ان تسمع وتطيع لامر الله اذ هى مصنوعة
مربوطة له تعالى واذا الارض مدت بسطت وسويت باندكاك جبالها وكل امت فيها والقت
ما فيها اى رمت ما فى جوفها من الكنوز والموتى وتخلت وخلت غاية الخلو حتى لم يبق شئ فى
باطنها كانها تكلفت اقصى جهدها فى الخلو يقال تكرم الكريم اذا بلغ جهده فى الكرم وتكلف فوق ما
فى طبعه واذنت لربها فى القاء ما فى بطنها وتخليها وحقت وهى حقيقة بان تنقاد ولا تمتنع وحذف

جواب اذا ليذهب المقدر كل مذهب ممكن او اكتفاء بما علم بمثلها من سورتي التكوير والانفطار او قيل جوابه ما دل عليه فملاقيه اي اذا السماء انشقت لاقى الانسان كدحه يا ايها الانسان خطاب للجنس

انك كادح الى ربك كدحا جاهدا الى لقاء ربك وهو الموت وما بعده من الحال الممثلة باللقاء فملاقيه الضمير للكدح وهو جهد النفس في العمل والكد فيه حتى يؤثر فيها والمراد جزاء الكدح ان خيرا فخير وان شرا فشر وقيل لقاء الكدح لقاء كتاب فيه ذلك يدل عليه قوله فاما من اوتي كتابه بيمينه اي كتاب عمله

فسوف يحاسب حسابا يسيرا سهلا هينا وهو ان يجازى على الحسنات ويتجاوز عن السيئات وفي الحديث من يحاسب يعذب فقيل فاين قوله فسوف يحاسب حسابا يسيرا قال ذلك العرض من نوقش في الحساب عذب وينقلب الى اهله الى عشيرته ان كانوا مؤمنين او الى فريق المؤمنين او الى اهله في الجنة من الحور العين مسرورا فرحا واما من اوتي كتابه وراء ظهره قيل تغل يمناه الى عنقه ويجعل

شماله وراء ظهره فيؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره فسوف يدعوا ثبورا يقول يا ثبوراه والثبور الهلاك ويصلى عراقي وغيرهم سعيرا اي يدخلها جهنم انه كان في الدنيا في اهله معهم مسرورا بالكفر يضحك ممن آمن بالبعث قيل كان لنفسه متابعا وفي مراتع هواه راتعا انه ظن ان لن يحور ان يرجع الى ربه تكذيبا وقال ابن عباس رض ما عرفت تفسيره حتى سمعت اعرابية تقول لبنتها حوري اي ارجعي بلى ايجاب لما بعد النفي في ان لن يحور اي بلى ليحورن ان ربه كان به باعماله بصيرا لا يخفى

عليه فلا بد ان يرجعه ويجازيه عليها فلا اقسم بالشفق فاقسم بالبياض بعد الحمرة او الحمرة والليل وما وسق جمع وضم والمراد ما جمعه من الظلمة والنجم او ما عمل فيه من التهجد وغيره والقمر اذا اتسق اجتمع وتم بدرا لتركبن من الوسق لتركبن ايها الانسان على ارادة الجنس طبقا عن طبق حالا بعد حال كل واحدة مطابقة لاختها في الشدة والهول والطبق ما طابق غيره يقال ما هذا بطبق لذا اي لا يطابقه ومنه قيل للغطاء الطبق ويجوز ان يكون جمع طبقة وهي المرتبة من قولهم على طبقات

اي لتركبن احوالا بعد احوال هي طبقات في الشدة بعضها ارفع من بعض وهي الموت وما بعده من مواطن القيمة واحوالها ومحل عن طبق نصب على انه صفة لطبقا اي طبقا مجاوزا الطبق او حال من الضمير في لتركبن طبقا مجاوزين لطبق وقال مكحول في كل عشرين عاما تحدثون امرا لم تكونوا عليه وبفتح الباء مكي وعلي وحمزة والخطاب له عليه الصلوة والسلام اي طبقا من اطباق السماء

بعد طبق اي في المعراج فما لهم لا يؤمنون فما لهم في ان لا يؤمنوا واذا قرئ عليهم القران لا يسجدون لا يخضعون بل الذين كفروا يكذبون بالبعث والقران والله اعلم بما يوعون بما يجمعون في صدورهم ويضمرون من الكفر وتكذيب النبي والحسد والبغي والبغضاء او بما يجمعون في صحفهم من اعمال السوء ويدخرون لانفسهم من انواع العذاب فبشرهم بعذاب اليم اخبرهم خبرا يظهر اثره على بشرتهم الا الذين امنوا وعملوا الصالحات استثناء منقطع لهم اجر غير ممنون غير مقطوع او غير منقوص

سورة البروج مكية وهي اثنتان وعشرون اية بسم الله الرحمن الرحيم

والسماء ذات البروج هي البروج الاثنا عشر وقيل النجوم او عظام الكواكب واليوم الموعود يوم القيمة وشاهد ومشهود اي وشاهد في ذلك اليوم ومشهود فيه والمراد بالشاهد من يشهد فيه من الخلائق كلهم وبالمشهود فيه ما في ذلك اليوم من عجائبه وطريق تنكيرهما اما ما في قوله تعالى علمت نفس ما احضرت كانه قيل وما افرطت كثرته من شاهد ومشهود واما للابهام في الوصف كانه قيل وشاهد ومشهود لا يكتنه وصفهما وقد كثرت اقاويل المفسرين فيهما فقيل محمد ويوم القيمة او عيسى وامته لقوله وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم او امة محمد وساير الامم او الحجر الاسود والحجيج او الايام والليالي وبنو آدم للحديث ما من يوم الا ينادي انا يوم جديد وعلى ما تفعل في شهيد فاغتنمني فلو غابت شمسي لم تدركني الى يوم او الحفظة وبنو آدم او الله والخلق كقوله وكفى بالله شهيدا او الانبياء او محمد عليهم السلام وجواب القسم محذوف يدل عليه

قتل اصحاب الاخدود اي لعن كانه قيل اقسم بهذه الاشياء انهم لملعونون يعني كفار قريش كما لعن اصحاب الاخدود وهو جمع خد اي شق عظيم في الارض روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان لبعض الملوك ساحر فلما كبر ضم اليه غلاما ليعلمه السحر وكان في طريق الغلام راهب فسمع منه فراى في طريقه ذات يوم دابة قد حبست الناس فاخذ حجرا فقال اللهم ان كان الراهب احب اليك من الساحر فاقتلها فقتلها فكان الغلام بعد ذلك يبرئ الاكمه والابرص وعمي جليس الملك فابراه فابصر الملك فساله من رد عليك بصرك فقال ربي فغضب فعذبه فدل على الغلام فعذبه فدل على الراهب فلم يرجع الراهب عن دينه فقد بالمنشار وابى الغلام فذهب به الى الجبل ليطرح من ذروته فدعا فرجفت بالقوم فطاحوا ونجى فذهب به الى قرقور فلججوا به ليغرقوه فدعا فانكفأت

بهم السفينة فغرقوا ونجى فقال للملك لست بقاتلي حتى تجمع الناس في صعيد وتصلبني على جذع
وتاخذ سهما من كنانتي وتقول بسم الله رب الغلام ثم ترميني به فرماه فوقع في صدغه فوضع يده
عليه ومات فقال الناس آمنا برب الغلام فقيل للملك نزل بك ما كنت تحذر فخد اخدودا وملأها
نارا فمن لم يرجع عن دينه طرحه فيها حتى جاءت امراة معها صبي فتقاعست ان ترفع فيها فقال
الصبي يا اماه اصبري فانك على الحق فالقي الصبي وامه فيها النار بدل اشتمال من الاخدود ذات
الوقود وصف لها بانها نار عظيمة لها ما يرتفع به لهبها من الحطب الكثير وابدان الناس اذ ظرف
لقتل اي لعنوا حين احدقوا بالنار قاعدين حولها هم عليها اي الكفار على ما يدنونها من حافات
الاخدود قعود جلوس على الكراسي وهم اي الكفار على ما يفعلون بالمؤمنين من الاحراق شهود
يشهد بعضهم لبعض عند الملك ان احدا منهم لم يفرط فيما امر به وفوض اليه من التعذيب وفيه
حث للمؤمنين على الصبر وتحمل اذى اهل مكة وما نقموا منهم الا ان يؤمنوا وما عابوا منهم وما
انكروا الا الايمان كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول وقوله وما نقموا من بني امية الا
انهم يحلمون ان غضبوا وقرئ نقموا بالكسر والفصيح هو الفتح بالله العزيز الحميد ذكر الاوصاف
التي يستحق بها ان يؤمن به وهو كونه عزيزا غالبا قادرا يخشى عقابه حميدا منعما يجب له الحمد على
نعمه ويرجى ثوابه الذي له ملك السموات والارض فكل من فيهما يحق عليه عبادته والخشوع له
تقريرا لان ما نقموا منهم هو الحق الذي لا ينقمه الا مبطل وان الناقمين اهل لانتقام الله منهم بعذاب
عظيم والله على كل شيء شهيد وعيد لهم يعني انه علم ما فعلوا وهو مجازيهم عليه ان الذين فتنوا
المؤمنين والمؤمنات يجوز ان يريد بالذين فتنوا اصحاب الاخدود خاصة وبالذين آمنوا المطروحين
في الاخدود ومعنى فتنوهم عذبوهم في النار واحرقوهم ثم لم يتوبوا لم يرجعوا عن كفرهم فلهم
في الآخرة عذاب جهنم بكفرهم ولهم عذاب الحريق في الدنيا لما روي ان النار انقلبت عليهم فاحرقتهم
ويجوز ان يريد بالذين فتنوا المؤمنين اي بلوهم بالاذى على العموم وبالمؤمنين المفتونين وان
للفاتنين عذابين في الآخرة لكفرهم ولفتنتهم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري
من تحتها الانهار ذلك الفوز الكبير اي الذين صبروا على تعذيب الاخدود او هو عام ان بطش
ربك لشديد البطش الاخذ بالعنف فاذا وصف بالشدة فقد تضاعف وتفاقم والمراد اخذ الظلمة

والجبابرة

والجبابرة بالعذاب والانتقام انه هو يبدئ ويعيد اي يخلقهم ابتداء ثم يعيدهم بعد ان يصيرهم ترابا
دل باقتداره على الابداء والاعادة على شدة بطشه او اوعد الكفرة بانه يعيدهم كما ابداهم ليبطش
بهم اذا لم يشكروا نعمة الابداء وكذبوا بالاعادة وهو الغفور الساتر للعيوب العافي عن الذنوب
الودود المحب لاوليائه وقيل الفاعل باهل طاعته ما يفعله الودود من اعطائهم ما اراد ذو العرش
خالقه ومالكه المجيد حمزة وعلي على انه صفة العرش ومجد الله عظمته ومجد العرش علوه
وعظمه فعال خبر مبتدا محذوف لما يريد تكوينه فيكون دلالة خلق الافعال العباد هل اتيك حديث
الجنود اي خبر الجموع الطاغية في الامم الخالية فرعون وثمود بدل من الجنود واراد بفرعون
اياه وآله والمعنى قد عرفت تكذيب تلك الجنود للرسل وما نزل بهم لتكذيبهم بل الذين كفروا
من قومك في تكذيب واستيجاب للعذاب ولا يعتبرون بالجنود لا لخفاء حال الجنود عليهم
لكن يكذبونك عنادا والله من ورائهم محيط عالم باحوالهم وقادر عليهم وهم لا يعجزونه والاحاطة
بهم من ورائهم مثل بانهم لا يفوتونه كما لا يفوت فائت الشيء المحيط به بل هو هذا الذي كذبوا
قرآن مجيد شريف عالي الطبقة في الكتب وفي نظمه واعجازه ليس كما يزعمون انه مفترى و
انه اساطير الاولين في لوح محفوظ من وصول الشياطين اليه محفوظ نافع صفة للقرآن اي من
التغيير والتبديل واللوح عند الحسن شيء يلوح للملائكة فيقرؤونه وعن ابن عباس رض هو
من درة بيضاء طوله ما بين السماء والارض وعرضه ما بين المشرق والمغرب قلمه نور وكل
شيء فيه مسطور قال مقاتل هو على يمين العرش وقيل اعلاه معقود بالعرش واسفله في حجر
ملك

سورة الطارق وهي سبع عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم

والسماء والطارق وما ادريك ما الطارق النجم الثاقب عظم قدر السماء في اعين الخلق لكونها
معدن رزقهم ومساكن ملائكته وفيها خلق الجنة فاقسم بها وبالطارق والمراد جنس النجوم
او جنس الشهب التي يرجم بها لعظم منفعتها ثم فسره بالنجم الثاقب اي المضيء كانه يثقب الظلام
او يثقب بضوئه فينفذ فيه ووصف بالطارق لانه يبدو بالليل كما يقال للآتي ليلا طارق او لانه
يطرق الجني اي يصكه وجواب القسم ان كل نفس لما عليها حافظ لان لما ان كانت مشددة بمعنى الا
كقراءة عاصم وحمزة وابن عامر فتكون ان نافية اي ما كل نفس الا عليها حافظ وان كانت مخففة

كقراءة غيرهم فتكون ان مخففة من المثقلة اى انه كل نفس لعليها حافظ يحفظها من الآفات او يحفظ
عملها ورزقها واجلها فاذا استوفى ذلك ماتت وقيل هو كاتب الاعمال فما زايدة واللام فارقة
بين الثقيلة والخفيفة وحافظ مبتدا وعليها الخبر والجملة خبر كل وايتهما كانت فهى مما يتلقى به القسم
فلينظر الانسان مم خلق لما ذكر ان كل نفس حافظا امره بالنظر فى اول امره ليعلم ان من انشاه قادر
على اعادته وجزائه فيعمل ليوم الجزاء ولا يملى على حافظه الا ما يسره فى عاقبته ومم خلق استفهام
اى من اى شيء خلق جوابه خلق من ماء دافق والدفق صب فيه دفع والدفق فى الحقيقة لصاحب
والاسناد الى الماء مجاز وعن بعض اهل اللغة دفقت الماء دفقا اى صببته ودفق الماء بنفسه
اى انصب ولم يقل من ماءين لامتزاجهما فى الرحم واتحادهما حين ابتدى فى خلقه يخرج من
بين الصلب والترائب من بين صلب الرجل وترائب المراة وهى عظام الصدر حيث تكون القلادة
وقيل العظم والعصب من الرجل واللحم والدم من المراة انه ان الخالق لدلالة خلق عليه ومعناه
ان الذى خلق الانسان ابتداء من نطفة على رجعه على اعادته خصوصا لقادر لبين القدرة لا يعجز
عنه كقوله انى لفقير ونصب يوم تبلى اى يكشف برجعه او بمضمر دل عليه قوله رجعه اى يبعثه
السرائر ما اسر فى القلوب من العقايد والنيات وما اخفى من الاعمال فما له فما للانسان من قوة
فى نفسه على دفع ما حل به ولا ناصر يعينه ويدفع عنه والسماء ذات الرجع اى المطر ويسمى به
لعوده كل خريف والارض ذات الصدع هو ما يتصدع عنه الارض من النبات انه القران
لقول فصل فاصل بين الحق والباطل كما قيل له فرقان وما هو بالهزل باللعب والباطل يعنى انه
جد كله ومن حقه وقد وصفه الله بذلك ان يكون مهيبا فى الصدور معظما فى القلوب يترفع
به قارئه وسامعه ان يلم بهزل ويتفكه او بمزاح انهم يعنى مشركى مكة يكيدون كيدا يعملون
المكائد فى ابطال امر الله واطفاء نور الحق واكيد كيدا اجزيهم جزاء كيدهم باستدراجى لهم من
حيث لا يعلمون فسمى جزاء الكيد كيدا كما سمى جزاء الاعتداء اعتداء والسيئة اعتداء وسيئة
وان لم يكن اعتداء وسيئة ولا يجوز اطلاق هذا الوصف على الله الا على وجه الجزاء وهو كقوله
نسوا الله فنسيهم يخادعون الله وهو خادعهم الله يستهزئ بهم فمهل الكافرين اى لا تدع بهلاكهم
ولا تستعجل به امهلهم انظرهم فكرر وخالف بين اللفظين لزيادة التسكين والتصبر رويدا امهالا

يسيرا او لا يتكلم بها الا مصغرة وهى من رادة الريح ترود رودا تحركت حركة ضعيفة

سورة الاعلى مكية وهى تسع عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم

سبح اسم ربك الاعلى نزه ذاته عما لا يليق به والاسم صلة وذلك بان يفسر الاعلى بمعنى العلو
الذى هو القهر والاقتدار لا بمعنى العلو فى المكان وقيل قل سبحان ربى الاعلى وفى الحديث لما نزل
قال عليه الصلوة والسلام اجعلوها فى سجودكم الذى خلق فسوى اى خلق كل شيء فسوى خلقه
تسوية ولم يات به متفاوتا غير ملتئم ولكن على احكام واتساق ودلالة على انه صادر عن عالم حكيم
او سواه على ما فيه منفعة ومصلحة والذى قدر فهدى اى قدر لكل حيوان ما يصلحه فهداه
اليه وعرفه وجه الانتفاع به او فهدى واضل ولكن حذف واضل اكتفاء بقوله يضل من يشاء
ويهدى من يشاء قدر على والذى اخرج المرعى انبت ما ترعاه الدواب فجعله غثاء يابسا هشيما
احوى اسود فاحوى صفة لغثاء سنقريك فلا تنسى سنعلمك القران حتى لا تنساه الا ما شاء الله
اى ينسخه وهذا بشارة من الله لنبيه ان يحفظ عليه الوحى حتى لا ينفلت منه شيء الا ما شاء الله ان ينسخه
فيذهب به عن حفظه برفع حكمه وتلاوته وسال ابن كيسان النحوى جنيدا عنه فقال فلا تنسى العمل
به فقال مثلك يصدر وقيل قوله تعالى فلا تنسى على النهى والالف مزيدة للفواصل كقوله السبيلا
اى فلا تغفل قراءته وتكريره فتنساه الا ما شاء الله ان ينسيه برفع تلاوته انه يعلم الجهر وما يخفى
اى انك تجهر بالقراءة مع قراءة جبرئيل مخافة التفلت والله يعلم جهرك معه وما فى نفسك
مما يدعوك الى الجهر او ما تقراء فى نفسك مخافة النسيان او يعلم ما اسررتم وما اعلنتم من اقوالكم
وافعالكم وما ظهر وما بطن من احوالكم ونيسرك لليسرى معطوف على سنقريك وقوله انه يعلم الجهر
وما يخفى اعتراض ومعناه ونوفقك للطريقة التى هى ايسر واسهل يعنى حفظ الوحى وقيل للشريعة
السمحة التى هى ايسر الشرايع او نوفقك لعمل الجنة فذكر عظ بالقران ان نفعت الذكرى جواب ان
مدلول قوله فذكر قيل ظاهره شرط ومعناه استبعاد لتاثير الذكرى فيهم وقيل هو امر بالتذكير على
الاطلاق لقوله فذكر انما انت مذكر غير مشروط بالنفع سيذكر سيتعظ ويقبل التذكرة من يخشى
الله وسوء العاقبة ويتجنبها ويتباعد عن الذكرى ولا يقبلها الاشقى الكافر او الذى هو اشقى
الكفرة لتوغله فى عداوة رسول الله قيل نزلت فى الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة الذى يصلى

النار الكبرى يدخل نار جهنم والصغرى نار الدنيا ثم لا يموت فيها فيستريح من العذاب ولا يحيى حياة
يتلذذ بحياته وقيل ثم لان الترجح بين الحيوة والموت افظع من الصلى وهو متراخ عنه في مراتب
الشدة قد افلح نال الفوز من تزكى تطهر من الشرك او تطهر للصلوة او ادى الزكوة تفعل من
الزكوة كتصدق من الصدقة وذكر اسم ربه وكبر للافتتاح فصلى الخمس وبه يحتج على وجوب تكبيرة
الافتتاح وعلى انها ليست من الصلوة لان الصلوة عطفت عليها وهو يقتضى المغائرة وعلى ان الافتتاح
جاير بكل اسم من اسمائه عز وجل وعن ابن عباس رض ذكر معاده وموقفه بين ربه فصلى له وعن
الضحاك وذكر اسم الله ربه في طريق المصلى فصلى صلوة العيدين بل تؤثرون الحيوة الدنيا على الآخرة
فلا تفعلون ما به تفلحون والمخاطب به الكافرون دليل قراءة ابى عمرو يؤثرون والاخرة خير
وابقى افضل في نفسها وادوم ان هذا لفى الصحف الاولى هذا اشارة الى قوله قد افلح من تزكى
الى ابقى اى ان معنى هذا الكلام وارد في تلك الصحف او الى ما في السورة كلها وهو دليل على جواز
قراءة القران بالفارسية في الصلوة لانه جعله مذكورا في تلك الصحف مع انه لم يكن فيها بهذا النظم
وبهذا اللغة صحف ابراهيم وموسى بدل من الصحف الاولى وفي الاثر وفي صحف ابراهيم ينبغى
للعاقل ان يكون حافظا لسانه عارفا بزمانه مقبلا على شانه سورة الغاشية مكية وهى ست و

عشرون اية بسم الله الرحمن الرحيم هل اتيك قد اتيك حديث
الغاشية الداهية التى تغشى الناس بشدائدها وتلبسهم اهوالها يعنى القيمة وقيل النار من قوله وتغشى
وجوههم النار وجوه اى وجوه الكفار وانما خص الوجه لان الحزن والسرور اذا استحكما في المرء
اثر في الوجه يومئذ يوم اذ غشيت خاشعة ذليلة لما اعترى اصحابها من الخزى والهوان عاملة
ناصبة تعمل في النار عملا تتعب فيه وهو جرها السلاسل والاغلال وخوضها في النار كما تخوض
الابل في الوحل وارتقاءها دائبة في صعود من نار وهبوطها في حدود منها في الاخرة وقيل عملت
في الدنيا اعمال السوء والتذت بها وتنعمت فهى تنصب منها في الاخرة وقيل هم اصحاب الصوامع
ومعناه انها خشعت لله وعملت ونصبت في اعمالها من الصوم الدائب والتهجد الواصب تصلى
نارا حامية تدخل نارا قد احميت مدة طويلة فلا حر يعدل حرها تصلى ابو عمرو وابو بكر تسقى من عين
آنية من عين ماء قد انتهى حرها والتانيث في هذه الصفات والافعال راجعة الى الوجوه والمراد

اصحابها بدليل قوله ليس لهم طعام الا من ضريع وهو نبت يقال الرطبة الشبرق فاذا يبس فهو ضريع
وهو سم قاتل والعذاب الوان والمعذبون طبقات فمنهم اكلة الزقوم ومنهم اكلة الغسلين ومنهم
اكلة الضريع فلا تناقض بين هذه الاية وبين قوله ولا طعام الا من غسلين لا يسمن مجرور المحل لانه
وصف ضريع ولا يغنى من جوع اى منفعتا الغذاء منتفيتان عنه وهما اماطة الجوع وافادة السمن
في البدن وجوه يومئذ ثم وصف وجوه المؤمنين ولم يقل ووجوه لان الكلام الاول قد طال وانقطع
ناعمة متنعمة في لين العيش لسعيها راضية رضيت بعملها وطاعتها لما رات ما اداهم اليه من الكرامة
والثواب في جنة عالية من علو المكان او المقدار لا تسمع يا مخاطب او الوجوه فيها لاغية اى لغوا
او كلمة ذات لغو ونفسا تلغو لا يتكلم اهل الجنة الا بالحكمة وحمد الله على ما رزقهم من النعيم
الدائم لا يسمع فيها لاغية مكى وابو عمرو ولا تسمع فيها لاغية نافع فيها عين جارية اى عيون كثيرة
كقوله علمت نفس فيها سرر جمع سرير مرفوعة من رفعة المقدار او السمك ليرى المؤمن بجلوسه عليه
جميع ما خوله ربه من الملك والنعيم واكواب جمع كوب وهو القدح وقيل آنية لا عروة لها موضوعة
بين ايديهم ليتلذذوا بالنظر اليها او موضوعة على حافات العيون معدة للشرب ونمارق وسائد
مصفوفة بعضها الى جنب بعض وسائد ومطارح اينما اراد ان يجلس جلس على مسورة واستند الى اخرى
وزرابى وبسط عراض فاخرة جمع زربية مبثوثة مبسوطة او مفرقة في المجالس ولما انزل الله هذه
الايات في صفة الجنة وفسر النبى صلى الله عليه وسلم بان ارتفاع السرير يكون مائة فرسخ والاكواب
الموضوعة لا تدخل في حساب الخلق لكثرتها وطول النمارق كذا وعرض الزرابى كذا انكر الكفار
وقالوا كيف يصعد على هذا السرير وكيف تكثر الاكواب هذه الكثرة وتطول النمارق هذا الطول
وتبسط الزرابى هذا الانبساط ولم نشاهد ذلك في الدنيا فقال الله تعالى افلا ينظرون الى الابل
كيف خلقت طويلة ثم تبرك حتى يحمل عليها ثم تقوم فكذا السرير يطاطى للمؤمن كما تطاطى
الابل والى السماء كيف رفعت رفعا بعيد المدى بلا امساك وعمد ثم نجومها تكثر هذه الكثرة فلا
تدخل في حساب الخلق فكذا الاكواب والى الجبال كيف نصبت نصبا ثابتا فهى راسخة لا تميل مع
طولها فكذا النمارق والى الارض كيف سطحت سطحا بتمهيد وتوطئة فهى كلها بساط واحد تنبسط
من الافق الى الافق فكذا الزرابى ويجوز ان يكون المعنى افلا ينظرون الى هذه المخلوقات الشاهدة

على قدرة الخالق حتى لا ينكروا اقتداره على البعث فيسمعوا انذار الرسول ويومنوا به ويستعدوا للقائه
وتخصيص هذه الاربعة باعتبار ان هذا الخطاب للعرب وحثهم على الاستدلال والمراد انما يستدل
تكثر مشاهدته له والعرب تكون في البوادي ونظرهم فيها الى السماء والارض والجبال والابل فهي اعز
اموالهم وهم لها اكثر استعمالا منهم لسائر الحيوانات ولانها تجمع جميع المآرب المطلوبة في الحيوان
وهي النسل والدر والحمل والركوب والاكل بخلاف غيرها فانه سخرها منقادة لكل من اقتادها بازمتها
لا تعاز ضعيفا ولا تمانع صغرا وبراها طوال الاعناق لتنوء بالاوقار وجعلها بحيث يترك حتى تحمل
عن قرب ويسير ثم تنهض بما حملت وتجرها الى البلاد الشاحط وصبرها على احتمال العطش حتى ان
ظماها لترتفع الى العشر فصاعدا وجعلها ترعى كل ثابت في البراري مما لا يرعاه سائر البهائم فذكر
بالادلة ليتفكروا فيها انما انت مذكر ليس عليك الا التبليغ لست عليهم بمسيطر بمتسلط كقوله وما
انت عليهم بجبار بمصيطر مدني وبصري وعاصم وعلي الا من تولى وكفر فيعذبه الله العذاب الاكبر
الاستثناء منقطع اي لست بمستول عليهم ولكن من تولى منهم وكفر بالله فان الولاية والقهر فيعذبه
العذاب وهو عذاب جهنم وقيل هو استثناء من قوله فذكر اي فانذر الا من انقطع طمعك من
ايمانه وتولى فاستحق العذاب الاكبر الاستثناء منقطع اي وما بينهما اعتراض ان الينا ايابهم رجوعهم
وفائدة تقديم الظرف التشديد في الوعيد وان ايابهم ليس الا الى الجبار المقتدر على الانتقام ثم ان
علينا حسابهم فنحاسبهم على اعمالهم ونجازيهم بها جزاء امثالهم وعلى لتاكيد الوعيد لا الوجوب
اذ لا يجب على الله شيء

سورة الفجر مكية وهي تسع وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم

والفجر اقسم بالفجر وهو الصبح كقوله والصبح اذا اسفر او بصلوة الفجر وليال عشر عشر ذي الحجة او
العشر الاول من المحرم او الاخر من رمضان وانما نكرت لزيادة فضيلتها والشفع والوتر شفع كل
الاشياء ووترها او شفع هذه الليالي ووترها او شفع الصلوة ووترها او يوم النحر لانه اليوم العاشر
ويوم عرفة لانه اليوم التاسع او الخلق والخالق والوتر حمزة وعلي وبفتح الواو غيرهما وهما لغتان
فالفتح حجازي والكسر تميمي وبعدما اقسم بالليالي المخصوصة اقسم بالليل على العموم فقال والليل
وقيل اريد به ليلة القدر اذا يسر اذا يمضي وياء يسري تحذف في الدرج اكتفاء عنها بالكسرة واما في
الوقف فتحذف مع الكسرة وسال واحد الاخفش عن سقوط الياء فقال لا حتى تخدمني سنة فسأله

بعد سنة فقال الليل لا يسري وانما يسرى فيه فلما عدل عن معناه عدل عن لفظه موافقة وقيل معنى يسري
يسرى فيه كما يقال ليل نائم اي ينام فيه هل في ذلك اي فيما اقسمت به من هذه الاشياء قسم اي مقسم
به لذي حجر عقل سمي به لانه يحجر عن التهافت فيما لا ينبغي كما سمي عقلا ونهية لانه يعقل وينهى يريد
هل تحقق عنده ان يعظم هذه الاشياء بالاقسام بها او هل في اقسامي بها قسم لذي حجر اي هل هو قسم عظيم
يؤكد بمثل المقسم عليه او هل في القسم بهذه الاشياء قسم مقنع لذي عقل ولب والمقسم عليه محذوف
وهو قوله ليعذبن يدل عليه قوله الم تر الى قوله فصب عليهم ربك سوط عذاب ثم ذكر تعذيب الامم
التي كذبت الرسل فقال الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد الم تعلم يا محمد علما يوازي العيان
في الايقان وهو استفهام تقرير قيل لعقب عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عاد كما يقال
لبني هاشم هاشم ثم قيل للاولين منهم عاد الاولى وارم تسمية لهم باسم جدهم ولمن بعدهم عاد
الاخيرة فارم عطف بيان لعاد وايذان بانهم عاد الاولى القديمة وقيل ارم بلدتهم وارضهم التي
كانوا فيها ويدل قراءة ابن الزبير بعاد ارم على الاضافة وتقديره بعاد اهل ارم كقوله واسال القرية
ولم ينصرف قبيلة كانت او ارضا للتعريف والتانيث وذات العماد اذا كانت صفة للقبيلة فالمعنى
انهم كانوا بدويين اهل عمد او طوال الاجسام على تشبيه قدودهم بالاعمدة وان كانت صفة للبلدة
فالمعنى انها ذات اساطين وروي انه كان لعاد ابنان شداد وشديد فملكا وقهرا ثم مات شديد
وخلص الامر لشداد فملكت ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فقال ابني مثلها فبنى ارم في بعض
صحاري عدن في ثلث مائة سنة وكان عمره تسع مائة سنة وهي مدينة عظيمة قصورها من الذهب
والفضة واساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها اصناف الاشجار والانهار ولما تم بناؤها
سار اليها باهل مملكته فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا
وعن عبد الله بن قلابة انه خرج في طلب ابل له فوقع عليها فحمل ما قدر عليه مما ثم وبلغ خبره معاوية
فاستحضره فقص عليه فبعث الى كعب فسأله فقال هي ارم ذات العماد وسيدخلها رجل من المسلمين
في زمانك احمر اشقر قصير على حاجبه خال وعلى عقبه خال يخرج في طلب ابل له ثم التفت فابصر
ابن قلابة فقال هذا والله ذلك الرجل التي لم يخلق مثلها في البلاد اي مثل عاد في قوتهم وطول فانهم
كان الرجل منهم اربع مائة ذراع او لم يخلق مثل مدينة شداد في جميع بلاد الدنيا وثمود الذين جابوا

الصخر قطعوا صخر الجبال واتخذوا فيها بيوتا قيل اول من نحت الجبال والصخور ثمود وبنوا الفا وسبع مائة
مدينة كلها من الحجارة بالواد بوادي القرى وفرعون ذي الاوتاد ذي الجنود الكثيرة وكانت لهم مضارب
كثيرة يضربونها اذا نزلوا او قيل كان له اوتاد يعذب الناس بها كما فعل بآسية الذين في محل النصب
على الاوتادا او الرفع على انهم الذين او الجر على وصف المذكورين عاد وثمود وفرعون طغوا في البلاد
تجاوزوا الحد فاكثروا فيها الفساد بالكفر والقتل والظلم فصب عليهم ربك سوط عذاب مجاز
عن ايقاع العذاب بهم على ابلغ الوجوه اذ الصب يشعر بالدوام والسوط بزيادة الايلام اي عذبوا
عذابا مولما دائما ان ربك لبالمرصاد وهو المكان الذي يترقب فيه الرصد مفعال من رصده
وهذا مثل لارصاده العصاة للعقاب وانهم لا يفوتونه وانه عالم بما يصدر منهم وحافظ فيجازيهم
عليهم ان خيرا فخير وان شرا فشر فاما الانسان اذا ما ابتليه ربه فاكرمه ونعمه فيقول ربي اكرمن
واما اذا ما ابتليه فقدر عليه رزقه اي ضعب عليه وجعله بمقدار بلغته فقدر شامي ويزيد
فيقول ربي اهانن اي الواجب لمن ربه بالمرصاد ان يسعى للعاقبة ولا يهمه العاجلة وهو عكس
فانه اذا امتحنه ربه بالنعمة والسعة ليشكر قال ربي اكرمن اي فضلني بما اعطاني فيرى الاكرام
في كثرة الحظ من الدنيا واذا امتحنه بالفقر فقدر عليه رزقه ليصبر قال ربي اهانن فيرى الهوان
في قلة الحظ من الدنيا لانه لا يهمه الا العاجلة وما يلذه وينعمه فيها فرد عليه زعمه بقوله كلا اي
ليس الاكرام والاهانة في كثرة المال وقلته بل الاكرام في توفيق الطاعة والاهانة في الخذلان
وقوله تعالى فيقول خبر المبتداء الذي هو الانسان ودخول الفاء لما في اما من معنى الشرط والظرف
المتوسط بين المبتداء والخبر في تقدير التاخير كانه قيل فاما الانسان فقائل ربي اكرمن وقت
الابتلاء وكذا فيقول الثاني خبر المبتداء تقديره واما هو اذا ما ابتليه ربه وسمى كلا الامرين
من بسط الرزق وتقديره ابتلاء لان كل واحد منهما اختبار للعبد فاذا بسط له فقد اختبر حاله ايشكر
ام يكفروا اذا قدر عليه اي ضيق فقد اختبر حاله ايصبر ام يجزع ونحوه قوله ونبلوكم بالخير والشر
فتنة وانما انكر قوله ربي اكرمن مع انه اثبته فاكرمه لانه قال على قصد خلاف ما صححه الله عليه
واثبته وهو قصده الى ان الله اعطاه ما اعطاه اكراما لاستحاقه كقوله انما اوتيته على علم عندي
انما اعطاه الله تعالى ابتلاء من غير استحقاق منه بل لا تكرمون اليتيم ولا تحاضون على طعام المسكين

اي بل هناك شر من هذا القول وهو ان الله تعالى يكرمهم بالغنى فلا يؤدون ما يلزمهم فيه من اكرام
اليتيم بالمبرة وحض اهله على طعام المسكين وتاكلون التراث الميراث اكلا لما ذا لم وهو الجمع بين
الحلال والحرام وكانوا لا يرثون النساء والصبيان وياكلون تراثهم مع تراثهم وتحبون المال حبا جما
واجبه بمعنى جما جما كثيرا شديدا مع الحرص ومنع الحقوق ربي حجازي وابو عمرو ويكرمون ولا يحضون
وياكلون ويحبون بصري كلا ردع لهم عن ذلك وانكار لفعلهم ثم اتى بالوعيد وذكر تحسرهم على
ما فرطوا فيه حين لا ينفع الحسرة فقال اذا دكت الارض اذا دلزلت دكا دكا بعد دك اي كرر عليه
الدك حتى عادت هباء منبثا وجاء ربك تمثيل للظهور آيات اقتداره وتبين آثار قهره وسلطانه
فان واحدا من الملوك اذا احضر بنفسه ظهر بحضوره من آثار الهيبة ما لا يظاهر بحضور عساكره وخواصه
وعن ابن عباس رضي امره وقضاءه والملك صفا صفا اي تنزل ملائكة كل سماء فيصطفون صفا بعد
صف محدقين بالجن والانس وجيء يومئذ بجهنم قيل انها برزت لاهلها بقوله وبرزت الجحيم
للغاوين وقيل هو مجرى على حقيقته ففي الحديث يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون الف زمام مع
كل زمام سبعون الف ملك يجرونها يومئذ يتذكر الانسان اي يتعظ واني له الذكرى ومن اين له
منفعة الذكرى ويقول يا ليتني قدمت لحيوتي هذه وهي حيوة الآخرة اي يا ليتني قدمت الاعمال
الصالحة في الحيوة الفانية للحيوة الباقية فيومئذ لا يعذب عذابه احد اي لا يتولى عذاب الله احد
لان الامر لله وحده ولا يوثق بالسلاسل والاغلال وثاقه احد قال صاحب الكشاف لا يعذب احد
احد كعذاب الله ولا يوثق احد احد كوثاق الله لا يعذب ولا يوثق علي وهي قراءة رسول الله
صلى الله عليه وسلم ورجع اليها ابو عمرو في آخر عمره والضمير الى الانسان الموصوف وهو الكافر وقيل
هو ابي بن خلف اي لا يعذب احد مثل عذابه ولا يوثق بالسلاسل مثل وثاقه لتناهيه في الكفرة
وعناده ثم يقول الله تعالى للمومنين يا ايتها النفس اكراما له كما كلم موسى عليه السلام ويكون على لسان
ملك المطمئنة الآمنة التي لا يستعرها خوف ولا حزن وهي النفس المؤمنة والمطمئنة الى الحق التي
سكنها ثلج اليقين فلا يخالجها شك وشهيد للتغير لا ولقراءة ابي يا ايتها النفس الامنة المطمئنة
وانما يقال لها عند الموت او عند البعث او عند دخول الجنة ارجعي الى ربك موعد ربك او ثواب
ربك راضية من الله بما اوتيت مرضية عند الله بما عملت فادخلي في عبادي في جملة عبادي الصالحين

وانتظمي في سلكهم وادخلي جنتي معهم وقال ابو عبيدة اي مع عبادي او بين عبادي اي خواصي كما قال
وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين وقيل النفس الروح ومعناه فادخلي في اجساد عبادي لقراءة
ابن مسعود في جسد عبدي ولما مات ابن عباس رض بالطائف جاء طائر لم ير على خلقته فدخل
في نعشه فلما دفن تليت هذه الاية على شفير القبر ولم يدر من تلاها قيل نزلت في حمزة ابن عبد المطلب
وقيل في حبيب الذي صلبه اهل مكة وقيل هي عامة في المومنين اذ العبرة لعموم اللفظ لا الخصوص

سورة البلد مكية وهي عشرون اية بسم الله الرحمن الرحيم

لا اقسم بهذا البلد اقسم سبحانه وتعالى بالبلد الحرام وبما بعده على ان الانسان خلق مغمورا في مكابدة
المشاق والشدايد واعترض بين القسم والمقسم عليه بقوله وانت حل بهذا البلد اي ومن المكابدة
ان مثلك على عظم حرمتك يستحل بهذا البلد يعني مكة كما يستحل الصيد في غير الحرم من شجر
ويحرمون ان يقتلوا بها صيدا ويستحلون اخراجك وقتلك وفيه تثبيت لرسول الله صلى الله
عليه وسلم وبعث على احتمال ما كان يكابد من اهل مكة وتعجيب من حالهم في عداوته او سلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقسم ببلده على ان الانسان لا يخلو من مقاسات الشدايد واعرض
بان وعده فتح مكة تتميما للتسلية والتنفيس عنه فقال وانت حل بهذا البلد اي وانت حل به
في المستقبل تصنع فيه ما تريد من القتل والاسر وذلك ان الله تعالى فتح عليه مكة واحلها له وما
فتحت على احد قبله ولا بعده ولا احلت له فاحل ما شاء وحرم ما شاء قتل عبد الله ابن حنظل
وهو متعلق باستار الكعبة ومقيس بن صبابة وغيرهما وحرم دار ابي سفيان ونظير قوله وانت
حل في الاستقبال قوله انك ميت وانهم ميتون وكفاك دليلا على انه للاستقبال وان تفسيره بالحال
محال ان السورة مكية بالاتفاق واين الهجرة عن وقت نزولها فما بال الفتح ووالد وما ولد هما
آدم وولده او كل والد وولده او ابراهيم وولده وما بمعنى من او بمعنى الذي لقد خلقنا الانسان
جواب القسم في كبد في مشقة يكابد مصايب الدنيا وشدايد الاخرة وعن ذي النون لم يزل
مربوطا بحبل القضاء مدعوا الى الايتمار والانتهاء والضمير في ايحسب ان لن يقدر عليه احد لبعض
صناديد قريش الذي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكابد منهم ثم قيل هو ابو الاشد وقيل الوليد
بن المغيرة والمعنى ايظن هذا الصنديد القوي في قومه المستضعف للمومنين ان لن تقوم قيامه

وان لن يقدر على الانتقام منه ثم ذكر بقوله في ذلك اليوم وانه يقول اهلكت مالا لبدا اي كثيرا
جمع لبدة وهو ما تلبد اي كثر واجتمع يريد كثرة ما انفقه فيما كان اهل الجاهلية يسمونها مكارم و
معالي ايحسب ان لم يره احد حين كان ينفق رياء وافتخارا بينهم يعني ان الله كان يراه وكان
عليه رقيبا ثم ذكر نعمه عليه فقال الم نجعل له عينين يبصر بهما المرئيات ولسانا يعبر به عما في ضميره
وشفتين يستر بهما ثغره ويستعين بهما على النطق والاكل والشرب والنفخ وهديناه النجدين طريقي
الخير والشر المفضيان الى الجنة والنار وقيل الثديين فلا اقتحم العقبة وما ادريك ما العقبة فك
رقبة او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة او مسكينا ذا متربة ثم كان من الذين امنوا يعني
فلم يشكر تلك الايادي والنعم بالاعمال الصالحة من فك الرقاب واطعام اليتامى والمساكين
ثم بالايمان الذي هو الاصل كل طاعة واساس كل خير بل غمط النعم وكفر بالمنعم والمعنى ان الانفاق
على هذا الوجه مرضي نافع عند الله لا ان يهلك ماله لبدا في الرياء والفخار وقلما تستعمل لا مع الماضي
الا مكررة وانما لم تكرر في الكلام الافصح لانه لما فسر اقتحام العقبة بثلثة اشياء صار كانه اعاد لا
ثلث مرات وتقدير فلا فك رقبة ولا اطعام مسكينا ولا آمن والاقتحام الدخول والمجاوزة بشدة
ومشقة والقحمة الشدة فجعل الصالحة عقبة وعملها اقتحاما لها لما في ذلك من مقاسات المشقة ومجاهدة
النفس وعن الحسن عقبة والله شديدة مجاهدة الانسان نفسه وهواه وعدوه الشيطان والمراد
بقوله ما العقبة ما اقتحامها ومعناه انك لم تدر كنه صعوبتها على النفس وكنه ثوابها عند الله
وفك الرقبة تخليصها من الرق او الاعانة في مال الكتابة فك رقبة او اطعم مكي وابو عمرو وعلي
الابدال من اقتحم العقبة وقوله وما ادريك ما العقبة اعتراض غيرهم فك رقبة او اطعام على
اقتحامها فك رقبة او اطعام به والمسغبة المجاعة والمقربة القرابة والمتربة الفقر مفعلة من
سغب اذا جاع وقرب في النسب يقال فلان ذو قرابتي وذو مقربتي وترب اذا افتقر ومعناه
التصق بالتراب فيكون ماويه المزابل ووصف اليوم بذي مسغبة كقولهم هم ناصب ذو نصب
معنى ثم كان من الذين آمنوا اي داوم على الايمان وقيل ثم بمعنى الواو وقيل انما جاء بثم لتراخي الايمان
وتباعده في الرتبة والفضيلة عن العتق والصدقة لا في الوقت اذ الايمان هو السابق على غيره ولا
يثبت عمل صالح الا به وتواصوا بالصبر عن المعاصي وعلى الطاعات والمحنة التي يبتلى بها المومن

وتواصوا بالمرحمة بالتراحم فيما بينهم اولئك اصحاب الميمنة اى الموصوفون بهذه الصفات من اصحاب
اليمين والذين كفروا بآياتنا بالقرآن او بدلائلنا هم اصحاب المشأمة اصحاب الشمال والميمنة والمشأمة
اليمين والشمال او اليمين والشوم اى الميامين على انفسهم والمشائيم عليهن عليهم نار مؤصدة
بالهمزة ابو عمرو وحمزة وحفص اى مطبقة من أوصدت الباب وآصدته اذا اطبقته واغلقته والله اعلم

سورة الشمس مكية وهي خمس عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم

والشمس وضحيها وضوءها اذا اشرقت وقام سلطانها والقمر اذا تليها تبعها في الضياء والنور
وذلك في النصف الاول من الشهر يخلف القمر الشمس في النور والنهار اذا جليها جلى الشمس و
اظهرها للرائين وذلك عند انتفاخ النهار وانبساطه لان الشمس تنجلي في ذلك الوقت تمام الانجلاء
وقيل الضمير للظلمة او الدنيا او الارض وان لم يجر لها ذكر كقوله ما ترك على ظهرها من دابة والليل
اذا يغشيها يستر الشمس وتظلم الآفاق والواو الاولى في نحو هذا للقسم بالاتفاق وكذا الثانية عند
البعض وعند الخليل الثانية للعطف لان ادخال القسم على القسم قبل تمام الاول لا يجوز الا ترى انك
لو جعلت موضعها كلمة الفاء وثم لكان المعنى على حاله وهما حرفا عطف فكذا الواو ومن قال انها
للقسم احتج بانها لو كانت للعطف لكان عطفا على عاملين لان قوله والليل مثل المجرور بواو القسم
واذا يغشى منصوب بالفعل المقدر الذى هو اقسم فان جعلت الواو في والنهار اذا تجلى للعطف
كان النهار معطوفا على الليل جرا واذا تجلى معطوفا على اذا يغشى نصبا فصار كقولك ان في الدار
زيدا والحجرة عمرو واجيب بان واو القسم تنزلت منزلة الباء والفعل حتى لم يجز ابراز الفعل
معها فصار كانها العاملة نصبا وجرا وصارت كعامل واحد له عملان وكل عامل له عملان يجوز ان
يعطف على معموليه بعاطف واحد بالاتفاق نحو ضرب زيد عمرا وبكر خالدا فترفع بالواو وتنصب
لقيامها مقام ضرب الذى هو عاملها فكذا هنا وما مصدرية في والسماء وما بنيها والارض وما
طحيها ونفس وما سويها اى وبنائها وطحوها اى بسطها وتسويتها خلقها في احسن صورة عند البعض
وليس بالوجه لقوله فالهمها وما فيه من فساد النظم والوجه ان تكون موصولة وانما اوثرت على
من لارادة معنى الوصفية كانه قيل والسماء والقادر العظيم الذى بناها ونفس وما سويها والحكيم
الباهر الحكمة الذى سويها وانما نكرت النفس لانه اراد نفسا خاصة من بين النفوس وهي نفس آدم
كانه قال وواحدة من النفوس او اراد كل نفس والتنكير للتكثير كما في علمت نفس فالهمها فجورها وتقويها
فاعلمها طاعتها ومعصيتها اى افهمها ان احدهما حسن والآخر قبيح قد افلح جواب القسم والتقدير
لقد افلح قال الزجاج صار طول الكلام عوضا من اللام وقيل الجواب محذوف وهو الاظهر تقديره
ليدمدمن الله عليهم اى على اهل مكة لتكذيبهم رسول الله كما دمدم على ثمود لانهم كذبوا صالحا واما قد
افلح فكلام تابع لقوله فالهمها فجورها وتقويها على سبيل الاستطراد وليس من جواب القسم في شيء
من زكيها طهرها الله واصلحها وجعلها زاكية وقد خاب من دسيها اغواها الله قال عكرمة افلحت
نفس زكاها الله وخابت نفس اغواها الله ويجوز ان يكون التدسية والتطهير فعل العبد والتدسية
النقص والاخفاء بالفجور واصل دسى دسس والياء بدل من السين المكررة كذبت ثمود بطغويها
بطغيانها اذ الحامل لهم على التكذيب طغيانهم اذ انبعث حين قام بعقر الناقة اشقيها اشقى
ثمود قدار بن سالف وكان اشقر ازرق قصيرا واذا منصوب بكذبت او بالطغوى فقال لهم
رسول الله صالح ناقة الله نصب على التحذير اى احذروا عقرها وسقيها كقولك الاسد
الاسد فكذبوه فيما حذرهم منه من نزول العذاب ان فعلوا فعقروها اى الناقة اسند الفعل
اليهم وان كان العاقر واحدا لقوله فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر لرضاهم به فدمدم عليهم
ربهم اهلكهم هلاك استيصال بذنبهم بسبب ذنبهم وهو تكذيبهم الرسول وعقرهم الناقة فسويها
فسوى الدمدمة عليهم لم يفلت منها صغيرهم ولا كبيرهم ولا يخاف عقبيها ولا يخاف الله عاقبة
هذه الفعلة اى فعل في ملكه وملكه لا يسأل عما يفعل وهم يسألون فلا يخاف مدنى وشامى

سورة الليل مكية وهي احدى وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم

والليل اذا يغشى المغشى اما الشمس من قوله والليل اذا يغشيها او النهار من قوله يغشى الليل النهار
او كل شيء يواريه بظلامه من قوله اذا وقب والنهار اذا تجلى ظهر بزوال ظلمة الليل وما خلق
الذكر والانثى والقادر العظيم القدرة الذى قدر على خلق الذكر والانثى من ماء واحد وجواب
القسم ان سعيكم لشتى ان عملكم لمختلف وبيان الاختلاف فيما فصل على اثره فاما من اعطى حقوق
ماله واتقى ربه فاجتنب محارمه وصدق بالحسنى بالملة الحسنى وهي ملة الاسلام او المثوبة
الحسنى وهي الجنة او بالكلمة الحسنى وهي لا اله الا الله فسنيسره لليسرى فسنهيئه للخلة اليسرى

وهو العمل بما يرضاه ربه واما من بخل بماله واستغنى عن ربه فلم يتبعه او استغنى بشهوات الدنيا
عن نعيم العقبى وكذب بالحسنى بالاسلام او الجنة فسنيسره للعسرى للخلة المؤدية الى النار فيكون
الطاعة اعسر شيء عليه واشده او سمى طريقة الخير باليسرى لان عاقبتها اليسر وطريقة الردى
لعسرى لان عاقبتها العسر او اراد بهما طريقي الجنة والنار وما يغني عنه ماله اذا تردى ولم ينفعه
اذا هلك وتردى تفعل من الردى وهو الهلاك او تردى في القبر او في قعر جهنم اي سقط ان
علينا للهدى ان علينا الارشاد الى الحق بنصب الدلايل وبيان للشرايع وان لنا للآخرة والاولى
فلا يضرنا ضلال من ضل ولا ينفعنا اهتداء من اهتدى وانها لنا نعطيها من طلبها من غيرنا فقد اخطأ
الطريق فانذرتكم نارا تلظى تتلهب لا يصليها لا يدخلها للخلود فيها الا الاشقى الذي كذب
وتولى الا الكافر الذي كذب الرسول واعرض عن الايمان وسيجنبها وسيبعد منها الاتقى المؤمن
الذي يؤتي ماله للفقراء يتزكى من الزكاء اي يطلب ان يكون عند الله زاكيا لا يريد به رياء و
لا سمعة او يتفعل من الزكوة ان جعلته بدلا من يؤتي فلا محل له لانه داخل في حكم الصلة والصلات
لا محل لها وان جعلته حالا من الضمير في يؤتي فمحله النصب قال ابو عبيدة الاشقى بمعنى الشقي وهو
الكافر والاتقى بمعنى التقي وهو المؤمن لانه لا يختص بالصلي اشقى الاشقياء ولا بالنجاة اتقى الاتقياء
وان زعمت انه نكر النار فاراد نارا مخصوصة بالاشقى فما تصنع بقوله وسيجنبها الاتقى لان التقي
يجنب تلك النار المخصوصة لا الاتقى منهم خاصة وقيل الآية واردة في الموازنة بين حالتي عظيم
من المشركين وعظيم من المومنين فاريد ان يبالغ في صفتيهما فقيل الاشقى وجعل مختصا بالصلي
كان النار لم تخلق الا له وقيل الاتقى وجعل مختصا بالنجاة كان الجنة لم تخلق الا له وقيل هما ابو جهل
وابو بكر وفيه بطلان زعم المرجئة لانهم كانوا يقولون لا يدخل النار الا كافر وما لاحد عنده
من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه اي وما لاحد عند الله نعمة يجازيه بها الا ان يفعل فلا يبتغي
به وجه ربه فيجازيه عليه الاعلى هو الرفيع بسلطانه المنيع في شانه وبرهانه ولم يرد به العلو من
حيث المكان فذا آية الحدثان ولسوف يرضى موعد بالثواب الذي يرضيه ويقر عينيه وهو
كقوله لنبيه صلى الله عليه وسلم ولسوف يعطيك ربك فترضى

سورة الضحى مكية وهي احدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم والضحى المراد به وقت الضحى وهو صدر
النهار حين ترتفع الشمس وانما خص وقت الضحى بالقسم لانها الساعة التي كلم فيها موسى عليه السلام
او التي فيها السحرة سجدا او النهار كله بمقابلته بالليل بقوله والليل اذا سجى سكن والمراد سكون
الانسان والاصوات فيه وجواب القسم ما ودعك ربك وما قلى اي ما تركك منذ اختارك
وما ابغضك منذ احبك والتوديع مبالغة في الودع لان من ودعك مفارقا فقد بالغ في تركك
روي ان الوحي قد تاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اياما فقال المشركون ان محمدا ودعه ربه
وقلاه فنزلت وحذف الضمير من قلى كحذفه من الذاكرات في قوله والذاكرين الله كثيرا و
الذاكرات ويريد والذاكراته ونحوه فآوى فهدى فاغنى وهو اختصار لفظي لظهور المحذوف
وللآخرة خير لك من الاولى اي ما اعد لك في الآخرة من المقام المحمود والحوض المورود والخير
الموعود خير مما اعجبك في الدنيا وقيل وجه اتصاله بما قبله انه لما كان في ضمن نفي التوديع و
القلى ان الله مواصلك بالوحي اليك وانك حبيب الله ولا ترى كرامة اعظم من ذلك اخبره
ان ماله في الآخرة اعظم من ذلك لتقدمه على الانبياء وشهادة امته على الامم وغير ذلك ولسوف
يعطيك ربك في الآخرة من الثواب ومقام الشفاعة وغير ذلك فترضى ولما نزلت قال عليه
الصلوة والسلام اذا لا ارضى وواحد من امتي في النار واللام الداخلة على سوف لام الابتداء
المؤكدة لمضمون الجملة والمبتدا محذوف تقديره ولانت سوف يعطيك ونحوه لاقسم فيمن
قرا كذلك لان المعنى لانا اقسم وهذا لانها ان كانت لام قسم فلامه لا تدخل على المضارع
الا مع نون التاكيد فتعين ان تكون لام الابتداء ولامه لا تدخل الا على المبتداء والخبر فلا بد من تقدير
مبتداء وخبر كما ذكرنا كذا ذكره صاحب الكشاف هي لام القسم واستغنى عن نون التاكيد لان
النون انما تدخل ليؤذن ان اللام لام القسم لا لام الابتداء وقد علم انه ليس للابتداء لدخولها
على سوف لان لام لا تدخل على سوف وذكران للجمع بين حرفي التاكيد والتاخير يؤذن بان العطاء
كائن لا محالة وان تاخر ثم عدد عليه نعمه من اول حاله لنفس المترقب من فضل الله على ما سلف
منه لئلا يتوقع الا الحسنى وزيادة الخير ولا يضيق صدره ولا يقل صبره فقال الم يجدك يتيما
وهو من الوجود الذي بمعنى العلم والمنصوبات مفعولاه والمعنى الم تكن يتيما حين مات ابويك
فآوى اي فآواك الى عمك ابي طالب وضمك اليه حتى كفلك ورباك ووجدك ضالا اي غير

واقف على معالم النبوة واحكام الشريعة وما طريقه السمع فهدى فعرفك الشرايع والقران قبل
ضل في طريق الشام حين خرج به ابو طالب فرده الى القافلة ولا يجوز ان يفهم به عدولا عن حق ووقوع
في غي فقد كان عليه الصلوة والسلام من اول حاله الى نزول الوحي عليه معصوما عن عبادة الاوثان
وتاذو (؟) اهل الفسق والعصيان ووجدك عايلا فقيرا فاغنى فاغناك بمال خديجة او بما افاء عليك
من الغنايم فاما اليتيم فلا تقهر فلا تغلبه على ماله وحقه لضعفه واما السايل فلا تنهر فلا تزجره
فابذل قليلا او رد جميلا وعن السدى المراد طالب العلم اذا جاءك فلا تنهره واما بنعمة ربك فحدث
اي حدث بالنبوة التي اتاك الله وهي اجل النعم والصحيح انها تعم جميع نعم الله عليه ويدخل تحته تعليم
القران والشرايع

سورة الم نشرح مكية وهي ثمان ايات بسم الله الرحمن الرحيم

الم نشرح لك صدرك استفهم عن انتفاء الشرح على وجه الانكار فافاد اثبات الشرح فكانه قيل شرحنا
لك صدرك ولذا عطف عليه ووضعنا اعتبارا للمعنى اي فسحناه بما اودعناه من العلوم والحكم
حتى وسع هموم النبوة ودعوة الثقلين وازلنا عنه الضيق والحرج الذي يكون مع العمى والجهل
وعن الحسن ملئ حكمة وعلما ووضعنا عنك وزرك وخففنا عنك اعباء النبوة والقيام بامرها
وقيل هو زلة لا تعرفها بعينها وهي ترك الافضل مع اتيان الفاضل والانبياء عليهم السلام يعاتبون
بمثلها او وضعه عنه ان غفر له والوزر الحمل الثقيل الذي انقض ظهرك اثقله حتى سمع نقيضه
وهو صوت الانتقاض ورفعنا لك ذكرك ورفع ذكره ان قرن بذكر الله في كلمة الشهادة
والاذان والاقامة والخطب والتشهد وغير موضع من القران اطيعوا الله واطيعوا الرسول
ومن يطع الله ورسوله والله ورسوله احق ان يرضوه وفي تسميته رسول الله ونبي الله ومنه ذكره
في كتب الاولين وفايدة لك ما عرف في طريق الابهام والايضاح لانه يفهم بقوله الم نشرح لك
ان ثم مشروحا ثم اوضح بقوله صدرك ما علم مبهما وكذلك ذكرك وعنك وزرك فان مع العسر
يسرا ان مع العسر يسرا اي مع الشدة التي انت فيها من مقاساة بلاء المشركين يسرا باظهاري اياك عليهم
حتى تغلبهم وقيل كان المشركين يعيرون رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بالفقر حتى سبق الى
وهمه انهم رغبوا عن الاسلام لافتقار اهله فذكره ما انعم به عليه من جلايل النعم ثم قال فان مع العسر يسرا
كانه قال خولناك ما خولناك فلا تياس من فضل الله فان مع العسر الذي انت فيه يسرا وجيء بلفظ

ع

مع لغاية مقاربة اليسر العسر زيادة في التسلية ولتقوية القلوب وانما قال عليه الصلوة والسلام عند
نزولها ان يغلب عسر يسرين لان العسر اعيد معرفا فكان واحدا لان المعرفة اذا اعيدت معرفة كانت
الثانية عين الاولى واليسر اعيد نكرة والنكرة اذا اعيدت نكرة كانت الثانية غير الاولى فصار المعنى ان
مع العسر يسرين قال معاذ يقال مع الامير غلاما ان مع الامير غلاما امير واحد ومعه غلامان
كذا في الشرح التاويلات فاذا فرغت فانصب اي فاذا فرغت من دعوة الخلق فاجتهد في عبادة
الرب وعن ابن عباس رض فاذا فرغت من دعوة الخلق فاجتهد في الدعاء واختلف انه قبل السلام
او بعده ووجه الاتصال بما قبله انه كان لما عدد عليه نعمه السالفة ووعده الانفة بعثه على الشكر والاجتهاد
في العبادة والنصب فيها وان يواصل بين بعضها وبعض ولا يخلي وقتا من اوقاته منها فاذا فرغ من
عبادة ذنبها باخرى والى ربك فارغب واجعل رغبتك اليه خصوصا ولا تسال الا فضله متوكلا
عليه

سورة التين مكية وهي ثمانية ايات بسم الله الرحمن الرحيم

والتين والزيتون اقسم بهما لانهما عجيبان من بين الاشجار المثمرة روي انه اهدي الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم طبق من تين فاكل منه وقال لاصحابه كلوا فلو قلت ان فاكهة نزلت من الجنة لقلت
هذه لان فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها فانها تقطع البواسير وتنفع من النقرس وقال نعم السواك
الزيتون من الشجرة المباركة يطيب الفم ويذهب بالحفرة وقال هي سواكي وسواك الانبياء
قبلي وعن ابن عباس رض هو تينكم هذا وزيتونكم هذا وقيل هما جبلان بالشام منبتاهما او
طور سينين اضعف الطور وهو الجبل الى سينين وهي البقعة ونحو سينون وبيرون في جواز
الاعراب بالواو والياء والاقرار على الياء وتحريك النون بحركات الاعراب وهذا البلد
يعني مكة الامين من امن الرجل امانة فهو امين وامانته ان يحفظ من دخله كما يحفظ الامين ما
يؤتمن عليه ومعنى القسم بهذه الاشياء الابانة عن شرف البقاع المباركة وما ظهر فيها من الخير
والبركة بسكنى الانبياء والاولياء فمنبت التين والزيتون مهاجر ابراهيم ومولد عيسى ومنشاه والطور
المكان الذي نودي منه موسى ومكة مكان البيت الذي هو هدى للعالمين ومولد نبينا ومبعثه صلوات
الله عليه او الاول قسم بمهبط الوحي على عيسى والثالث على موسى والرابع على محمد عليهم السلام
وجواب القسم لقد خلقنا الانسان وهو جنس في احسن تقويم في احسن تعديل لشكله وصورته

ابوم

صلوتك

وتسوية اعضايه ثم رددناه اسفل سافلين اى ثم كان عاقبة امره حين لم يشكر نعمة تلك الخلقة
الحسنة القويمة المسوية ان رددناه اسفل من سفل خلقا وتركيبا يعنى اقبح من قبح صورة وهم اصحاب
النار او اسفل من سفل من اهل الدركات او ثم رددناه بعد ذلك التقويم والتحسين اسفل من سفل
فى حسن الصورة والشكل حيث نكسناه فى خلقه فقوس ظهره بعد اعتداله وابيض شعره بعد سواده
وتشنن جلده وكل سمعه وبصره وتغير كل شى منه فمشيه دلف وصوته خفات وقوته ضعف وشهامته
خرف الا الذين امنوا وعملوا الصالحات فلهم اجر غير ممنون دخل الفاء هنا ولم يدخل فى سورة
الانشقاق للجموع بين لغتين والاستثناء على الاول متصل وعلى الثانى منقطع اى ولكن الذين
امنوا كانوا صالحين من الهرمى ثواب غير منقطع على طاعتهم وصبرهم على الابتلاء بالشيخوخة
والهرم وعلى مقاساة المشاق والقيام بالعبادة والخطاب فى فما يكذبك بعد بالدين للانسان على
طريق الالتفات اى فما سبب تكذيبك بعد هذا البيان القاطع والبرهان الساطع بالجزاء والمعنى
ان خلق الانسان من نطفة وتقويمه بشرا سويا وتدريجه فى مراتب الزيادة الى ان يكمل ويستوى
ثم تنكسه الى ان يبلغ ارذل العمر لا ترى دليلا اوضح منه على قدرة الخالق وان من قدر على خلق الانسان
على ان هذا كله لم يعجز عن اعادته فما سبب تكذيبك بالجزاء او لرسول الله اى فمن ينسبك الى الكذب
بعد هذا الدليل فما بمعنى من اليس الله باحكم الحاكمين وعيد للكفار وانه يحكم عليهم بما هم اهله وهو
من الحكم القضاء سورة العلق مكية وهى تسع عشرة اية بسم الله الرحمن الرحيم
عن ابن عباس رض ومجاهد رح اول سورة نزلت والجمهور على ان الفاتحة اول ما نزل ثم سورة
القلم اقراء باسم ربك الذى خلق محل باسم ربك النصب على الحال اى اقراء مفتتحا باسم ربك
قل باسم الله ثم اقراء الذى خلق لم يذكر للخلق مفعولا لان المعنى الذى احصل منه الخلق واستاثر
به وانه لا خالق سواه او تقديره خلق كل شى فيتناول كل مخلوق لانه مطلق فليس بعض المخلوقات
بتقديره اولى من بعض وقوله خلق الانسان تخصيص للانسان بالذكر من بين ما يتناوله الخلق
لشرفه ولان التنزيل اليه ويجوز ان يراد الذى خلق الانسان الا انه ذكر مبهما ثم مفسرا تفخيما
لخلقه ودلالة على عجيب فطرته من علق وانما جمع ولم يقل من علقة لان الانسان فى معنى الجمع
اقراء وربك الاكرم الذى له الكمال فى زيادة كرمه على كل كريم ينعم على عباده النعم ويحلم عنهم فلا

يعاجلهم بالعقوبة مع كفرهم وجحودهم لنعمه وكانه ليس وراء التكرم بافادة الفوايد العلمية تكرم
حيث قال الذى علم الكتاب بالقلم علم الانسان ما لم يعلم فدل على كمال كرمه بانه علم عباده ما لم يعلموا
ونقلهم من ظلمة الجهل الى نور العلم ونبه على فضل علم الكتاب لما فيه من المنافع العظيمة وما دونت
العلوم ولا قيدت الحكم ولا ضبطت اخبار الاولين ولا كتب الله المنزلة الا بالكتابة ولولا هى لما
استقامت امور الدين والدنيا ولو لم يكن على دقيق حكمة الله دليل الا امر القلم والخط لكفى به
دليلا كلا ردع لمن كفر بنعمة الله تعالى عليه بطغيانه وان لم يذكر لدلالة الكلام ان الانسان ليطغى
نزلت فى ابى جهل الى اخر السورة ان راه راى نفسه يقال فى افعال القلوب رايتنى وعلمتنى ومعنى
الروية العلم ولو كانت بمعنى الابصار لامتنع فى فعلها الجمع بين الضميرين واستغنى هو المفعول
الثانى ان الى ربك الرجعى تهديد للانسان من عاقبة الطغيان على طريقة الالتفات والرجعى
مصدر بمعنى الرجوع اى ان رجوعك الى ربك فيجازيك على طغيانك ارايت الذى ينهى عبدا
اذا صلى اى ارايت ابا جهل ينهى محمدا عن الصلوة ارايت ان كان على الهدى اى كان ذلك الناهى
على طريقة سديدة فيما ينهى عنه من عبادة الله او امر بالتقوى او كان امرا بالمعروف والتقوى
فيما يامر به من عبادة الاوثان كما يعتقد ارايت ان كذب وتولى اى ارايت ان كان الناهى مكذبا بالحق
متوليا عنه كما تقول نحن الم يعلم بان الله يرى ويطلع على احواله من هداه وضلاله فيجازيه على حسب
حاله وهذا وعيد وقوله الذى ينهى مع الجملة الشرطية مفعولا ارايت وجواب الشرط محذوف
تقديره ان كان على الهدى او امر بالتقوى الم يعلم بان الله يرى وانما حذف لدلالة ذكره فى جواب
الشرط وهذا كقولك ان اكرمتك اتكرمنى وارايت الثانية مكررة زايدة للتوكيد كلا ردع لابى جهل
من نهيه عبادة الله وامره بعبادة الاصنام ثم قال لين لم ينته عما هو فيه لنسفعا بالناصية لناخذن
بناصيته ولنسحبنه بها الى النار والسفع القبض على الشى وجذبه بشدة وكتبتها فى المصحف بالالف
على حكم الوقف واكتفى بلام العهد عن الاضافة للعلم بانها ناصية المذكور ناصية بدل من الناصية
لانها وضعت بالكذب والخطاء بقوله كاذبة خاطية على الاسناد المجازى فهما لصاحبها حقيقة
وفيه من الحسن والجزالة ما ليس فى قولك ناصية كاذب خاطى فليدع ناديه سندع الزبانية النادى
المجلس الذى يجتمع فيها القوم والمراد اهل النادى روى ان ابا جهل مر بالنبى صلى الله عليه وسلم وهو

يعاجلهم

يصلي فقال الم انهك فاغلظ له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اتهددني وانا اكثر اهل الوادي
ناديا فنزل والزبانية الشرط الواحد زبنية من الزبن وهو الدفع والمراد ملايكة العذاب وعنه
عليه الصلوة والسلام لو دعا ناديه لاخذته الزبانية عيانا كلا ردع لابي جهل لا تطعه اي اثبت ما انت
عليه من عصيانه كقوله فلا تطع المكذبين واسجد ودم على سجودك يريد الصلوة واقترب وتقرب
الى ربك بالسجود فان اقرب ما يكون العبد الى ربه اذا سجد كذا الحديث

سورة القدر مكية وقيل مدنية وهي خمس ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

انا انزلناه في ليلة القدر عظم القران حيث اسند انزاله اليه دون غيره وجاء بضميره دون اسمه
الظاهر للاستغناء عن التنبيه عليه ورفع مقدار الوقت الذي انزل فيه روي انه انزل جملة
في ليلة القدر من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا ثم كان ينزله جبرئيل على رسول الله صلى الله عليه وسلم
في ثلث وعشرين سنة ومعنى ليلة القدر ليلة تقدير الامور وقضائها والقدر بمعنى التقدير او
سميت بذلك لشرفها على ساير الليالي فهي ليلة السابع والعشرين من رمضان كذا روى ابو حنيفة
عن عاصم عن زر ان ابي ابن كعب كان يحلف على ليلة انها ليلة السابع والعشرين من رمضان وعليه
الجمهور ولعل الداعي الى اخفائها ان يحيي من يريدها الليالي الكثيرة طلبا لموافقتها وهذا كاخفاء
الصلوة الوسطى واسمه الاعظم وساعة الاجابة في الجمعة ورضاه في الطاعات وغضبه في المعاصي
وفي الحديث من ادركها يقول اللهم انك تحب العفو فاعف عني وما ادريك ما ليلة القدر
اي ولم يبلغ درايتك غاية فضلها ثم بين له ذلك بقوله ليلة القدر خير من الف شهر ليس فيها
ليلة القدر وسبب ارتقاء فضلها الى هذه الغاية ما يوجد فيها من تنزل الملايكة والروح وفصل كل امر
حكيم وذكر في تخصيص هذه المدة ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر رجلا من بني اسراييل لبس السلاح
في سبيل الله الف شهر فعجب المؤمنون من ذلك وتقاصرت اليهم اعمالهم فاعطوا ليلة هي خير
من مدة ذلك الغازي تنزل الملايكة الى السماء الدنيا او الى الارض والروح جبرئيل او خلق
من الملايكة لا تراهم الملايكة الا تلك الليلة او الرحمة فيها باذن ربهم من كل امر تنزل من اجل كل امر
قضاه الله لتلك السنة الى قابل وعليه وقف سلام هي ما هي الا سلامة خبر ومبتدا اي لا يقدر الله
فيها الا السلامة والخير ويقضي في غيرها بلاء وسلامة او ما هي الا سلام لكثرة ما يسلمون على

المسلمين المؤمنين قيل لا يلقون مؤمنا ولا مؤمنة الا سلموا عليه في تلك الليلة حتى مطلع الفجر الى وقت طلوع
الفجر وبكسر اللام علي وخلف وقد حرم من السلام الذي كفروا

سورة البينة مختلف فيها وهي ثمانية ايات

بسم الله الرحمن الرحيم لم يكن الذين كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم
من اهل الكتاب اي اليهود والنصارى واهل الرجل اخص الناس به واهل الاسلام من يدين به والمشركين
عبدة الاصنام منفكين منفصلين عن الكفر وحذف لان صلة الذين تدل عليه حتى تاتيهم البينة الحجة
الواضحة والمراد محمد صلى الله عليه وسلم يقول لم يتركوا كفرهم حتى بعث محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما بعث اسلم بعض وثبت على الكفر بعض رسول من الله اي محمد عليه الصلوة والسلام وهو بدل من
البينة يتلو يقرا عليهم صحفا قراطيس مطهرة من الباطل فيها في الصحف كتب مكتوبات قيمة مستقيمة
ناطقة بالحق والعدل وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة فمنهم من انكر نبوته بغيا
وحسدا ومنهم من آمن وانما افرد اهل الكتاب بعد ما جمع اولا بينهم وبين المشركين لانهم كانوا على علم به
لوجوده في كتبهم فاذا وصفوا بالتفرق عنه كان من لا كتاب له ادخل في هذا الوصف وما امروا اي في
التورية والانجيل الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين من غير شرك ونفاق حنفاء مؤمنين بجميع الرسل
مائلين عن الاديان الباطلة ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة وذلك دين القيمة اي دين الملة القيمة
ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها اولئك هم شر البرية ان الذين
امنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية نافع بهمزهما والقراء على التخفيف والنبي والبرية
مما استمر الاستعمال على تخفيفه ورفض الاصل جزاؤهم عند ربهم جنات عدن اقامة تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها ابدا رضي الله عنهم بقبول اعمالهم ورضوا عنه بثوابها ذلك اي الرضا لمن خشي
ربه وقوله خير البرية يدل على فضل المؤمنين من البشر على الملايكة لان البرية الخلق واشتقاقها من
برا الله الخلق وقيل اشتقاقها من البرى وهو التراب ولو كان كذلك لما قرا والبرية بالهمزة كذا قال
الزجاج

سورة الزلزلة مختلف فيها وهي ثمان ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا زلزلت الارض زلزالها اي حركت زلزالها الشديد الذي ليس بعده وقرئ بفتح الزاء والمكسور مصدر
والمفتوح اسم واخرجت الارض اثقالها كنوزها وموتاها جمع ثقل وهو متاع البيت جعل ما في جوفها
من الدفائن اثقالا لها وقال الانسان ما لها زلزلت هذه الزلزلة الشديدة ولفظت في بطنها وذلك

حين

هذه النفخة الثانية حتى تزلزل وتلفظ اموالها احياء فيقول ذلك لما بهرهم من الامر العظيم كما يقولون
من بعثنا من مرقدنا وقيل هذا قول الكافر لانه كان لا يؤمن بالبعث فاما المؤمن فيقول هذا ما وعد
الرحمن وصدق المرسلون يومئذ بدل من اذا وناصبهما تحدث اى يحدث الخلق اخبارها فحذف اول
المفعولين لان المقصود ذكر تحديثها الاخبار لا ذكر الخلق قيل ينطقها الله وتخبر بما عمل عليها من
خير وشر وفي الحديث تشهد على كل واحد بما عمل على ظهرها بان ربك اوحى لها اى تحدث اخبارها
بسبب ايحاء ربك لها اى اليها وامره اياها بالتحديث يومئذ يصدر الناس يصدرون من
مخارجهم من القبور الى الموقف اشتاتا بيض الوجوه آمنين وسود الوجوه فزعين او يصدرون
عن الموقف اشتاتا يتفرق بهم طريقا الجنة والنار ليروا اعمالهم اى يروا جزاء اعمالهم فمن يعمل
مثقال ذرة نملة صغيرة خيرا يره اى جزاءه ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره قيل هذا في الكفار
والاول في المؤمنين ويحكى ان اعرابيا اخر خيرا يره فقيل له قدمت واخرت فقال خذا بطن هرشى
او قفاها فانه كلا جانبي هرشى لهن طريق ويروى ان جد الفرزدق اتاه عليه الصلوة والسلام لستقرئ

سورة العاديات مختلف فيها وهي احدى عشر آية

فقرا عليه هذه الاية فقال حسبي حسبي وهي احكم اية وسميت الجامعة

بسم الله الرحمن الرحيم والعاديات ضبحا اقسم
بخيل الغزاة تعدو فتضبح والضبح صوت انفاسها اذا عدت وعن ابن عباس رضي الله عنه انه حكاه
فقال اح اح وانتصاب ضبحا على يضبحن ضبحا فالموريات توري نار الحباحب وهي ما ينقدح
من حوافرها قدحا قادحات صاكات بحوافرها الحجارة والقدح الصك والايراء اخراج النار
تقول قدح فاورى وقدح فاصلد وانتصب قدحا بما انتصب به ضبحا فالمغيرات تغير على العدو
صبحا في وقت الصبح فاثرن به نقعا فهيجن بذلك الوقت غبارا فوسطن به بذلك الوقت جمعا
من جموع الاعداء ووسط بمعنى توسط وقيل الضمير لمكان الغارة او للعدو والذي دل عليه
والعاديات وعطف فاثرن على الفعل الذي وضع اسم الفاعل موضعه لان المعنى واللاتي عدون
فاورين فاغرن فاثرن وجواب القسم ان الانسان لربه لكنود لكفور اى لنعمة ربه خصوصا لشديد
الكفران وانه وان الانسان على ذلك على كنوده لشهيد يشهد على نفسه او وان الله على كنوده شاهد
على سبيل الوعيد وانه لحب الخير لشديد وانه لاجل حب المال لبخيل ممسك او انه لحب المال لقوي وهو

لحب عبادة الله ضعيف افلا يعلم الانسان اذا بعثر بعث ما في القبور من الموتى وما بمعنى من وحصل
ما في الصدور ميز ما فيها من الخير والشر ان ربهم بهم يومئذ لخبير لعالم فيجازيهم على اعمالهم من الخير
والشر وخص يومئذ بالذكر وهو عالم بهم في جميع الازمان لان الجزاء يقع يومئذ

سورة القارعة مكية وهي عشر آيات

بسم الله الرحمن الرحيم القارعة مبتداء
ما مبتداء ثان القارعة خبره والجملة خبر المبتداء الاول وكان حقه ما هي وانما كرر تفخيما لشانها وما
ادريك ما القارعة اى شئ اعلمك ما هي ومن اين علمت ذلك يوم نصب بمضمر دلت عليه القارعة
اى تقرع يوم يكون الناس كالفراش المبثوث شبههم بالفراش في الكثرة والانتشار والضعف و
الذلة والتطاير الى الداعي من كل جانب كما يتطاير الفراش الى النار وسمي فراشا لتفرشه وانتشاره
وتكون الجبال كالعهن المنفوش وشبه الجبال بالعهن وهو الصوف المصبغ لانها الوان ومن الجبال
جدد بيض وحمر مختلف الوانها وبالمنفوش منه لتفرق اجزائها فاما من ثقلت موازينه باتباعهم
الحق وهي جمع موزون وهو العمل الذي له وزن وخطر عند الله او جمع ميزان وثقلها رجحانها
فهو في عيشة راضية ذات رضا او مرضية واما من خفت موازينه باتباعهم الباطل فامه هاوية
فمسكنه وماويه النار وقيل للماوى ام على التشبيه لان الام ماوى الولد ومفزعه وما ادريك ما هيه
الضمير يعود الى هاوية والهاء للسكت ثم فسر فقال نار حامية بلغت النهاية في الحرارة

سورة التكاثر مكية وهي ثمان آيات

بسم الله الرحمن الرحيم الهيكم التكاثر شغلكم
التبارى في الكثرة والتباهي بها في الاموال والاولاد من طاعة الله حتى زرتم المقابر حتى ادرككم
الموت على تلك الحال او حتى زرتم المقابر وعددتم من في المقابر من موتاكم كلا ردع وتنبيه على انه
لا ينبغي الناظر لنفسه ان تكون الدنيا جميع همه ولا يهتم بدينه سوف تعلمون عند النزع سوء عاقبة
ما كنتم عليه ثم كلا سوف تعلمون في القبر كلا تكرير للردع للانذار والتخويف لو تعلمون وجواب لو
محذوف اى لو تعلمون ما بين ايديكم علم اليقين علم الامر اليقين اى كعلمكم ما تستيقنونه من الامور
لما الهيكم التكاثر ولفعلتم ما لا يوصف ولكنكم ضلال جهلة لترون الجحيم هو جواب قسم محذوف
والقسم لتوكيد الوعيد لترون بضم التاء شامي وعلي ثم لترونها كرره معطوفا بثم تغليظا في التهديد
وزيادة في التهويل او الاول بالقلب والثاني بالعين عين اليقين اى الرؤية التي هي نفس اليقين وخالصة

بجز

ثم لتسالن يومئذ عن النعيم عن الامن والصحة فيم افنيتموهما عن ابن مسعود رضـ وقيل عن التنعم
الذى شغلكم الالتذاذ به عن الدين وتكاليفه وعن الحسن ما سواه كن يؤديه وثوب يواريه وكسرة
تقويه وقيله روى مرفوعا

سورة العصر مكية وهي ثلث ايات بسم الله الرحمن الرحيم

والعصر اقسم بصلوة العصر لفضلها بدليل قوله تعالى والصلوة الوسطى صلوة العصر في مصحف حفصة رضـ
لان التكليف في ادائها اشق لتهافت الناس في تجاراتهم ومكاسبهم اخر النهار واشتغالهم بمعايشهم او اقسم
بالعشى كما اقسم بالضحى لما فيهما من دلائل القدرة او اقسم بالزمان لما في مروره من اصناف العجائب
وجواب ان الانسان لفي خسر اى جنس الانسان لفي خسران من تجاراتهم الا الذين امنوا وعملوا الصالحات
فانهم اشتروا الاخرة بالدنيا فربحوا وسعدوا وتواصوا بالحق بالامر الثابت الذى لا يسوغ انكاره وهو
الخير كله من توحيد الله وطاعته واتباع كتبه ورسله وتواصوا بالصبر عن المعاصي على الطاعات
وعلى ما يبلوا به الله عباده وتواصوا في الموضعين فعل ماض معطوف على ماض قبله

سورة الهمزة مكية وايتها تسع بسم الله الرحمن الرحيم

ويل مبتداء خبره
لكل همزة اى الذى يعيب الناس من خلفهم لمزة اى من يعيبهم مواجهة وبناء فعلة يدل على ان ذلك
عادة منه قيل نزلت في الاخنس بن شريق وكانت عادته الغيبة والوقيعة وقيل في امية بن
خلف وقيل في الوليد ويجوز ان يكون السبب خاصا والوعيد عاما ليتناول كل من باشر ذلك القبيح
الذى بدل من كل او نصب على الذم جمع مالا جمع شامي وحمزة وعلى مبالغة جمع وهو مطابق
لقوله وعدده اى جعله عدة لحوادث الدهر يحسب ان ماله اخلده اى تركه خالدا في الدنيا لا
يموت وهو تعريض بالعمل الصالح وانه هو الذى اخلد صاحبه في النعيم فاما المال فما اخلد احدا فيه
كلا ردع له عن حسبانه لينبذن اى الذى جمع في الحطمة في النار التى من شانها ان تحطم كل ما يلقى فيها
وما ادريك ما الحطمة لتعجيب وتعظيم نار الله خبر مبتداء محذوف اى هى نار الله الموقدة
نعتها التى تطلع على الافئدة يعنى انها تدخل في اجوافهم حتى تصل الى صدورهم وتطلع على افئدتهم
وهى اوساط القلوب ولا شئ في بدن الانسان الطف من الفؤاد ولا اشد تالما منه بادنى اذى يمسه
فكيف اذا اطلعت عليه نار جهنم واستولت عليه وقيل خص الافئدة لانها مواطن الكفر والعقائد
الفاسدة ومعنى اطلاع النار عليها انها تشتمل عليها انها عليهم اى النار او الحطمة موصدة مطبقة

اشق

في عمد بضمتين كوفي غير حفص الباقون عمد وهما لغتان في جمع عماد كاهاب واهب وحمار وحمر
ممددة اى توصد عليهم الابواب وتمدد على الابواب العمد استيثاقا في استيثاق في الحديث المؤمن
كيس فطن رقاق متثبت لا يعجل عالم ورع والمنافق همزة لمزة حطمة كحاطب الليل لا يبالي من اين
اكتسب وفيما انفق

سورة الفيل مكية وهي خمس ايات بسم الله الرحمن الرحيم

الم تر كيف فعل ربك كيف في موضع النصب بفعل لا بالم تر لما في كيف من معنى الاستفهام والجملة
سدت مسد مفعولي تر وفي الم تر تعجيب اى عجب الله نبيه من كفر العرب وقد شاهدت هذه
العظيمة من ايات الله والمعنى انك رايت اثار صنع الله بالحبشة وسمعت الاخبار به متواترة
فقامت لك مقام المشاهدة باصحاب الفيل روى ان ابرهة بن الصباح الاشرم ملك اليمن من
قبل اصحمة النجاشي بنى كنيسة بصنعاء وسماها القليس واراد ان يصرف اليها الحاج فخرج رجل
من كنانة فقعد فيها ليلا فاغضبه ذلك وقيل اججت رفقة من العرب نارا فحملتها الريح فاحرقتها
فحلف ليهدمن الكعبة فخرج بالحبشة ومعه فيل اسمه محمود وكان قويا عظيما واثنا عشر فيلا غيره
فلما بلغ المغمس خرج اليه عبد المطلب وعرض عليه ثلث اموال تهامة ليرجع فابى وعبى جيشه وقدم
الفيل وكانوا كلما وجهوه الى الحرم برك ولم يبرح فاذا وجهوه الى اليمن هرول فارسل الله طيرا مع
كل طاير حجر في منقاره وحجران في رجليه اكبر من العدسة واصغر من الحمصة فكان الحجر يقع على راس
الرجل فيخرج من دبره وعلى كل حجر اسم من يقع عليه ففروا وهلكوا ومات ابرهة حتى انصدع صدره
عن قلبه وانفلت وزيره ابو يكسوم وطاير يحلق فوقه حتى بلغ النجاشي وقص عليه القصة فلما
اتمها وقع عليه الحجر فخر ميتا بين يديه وروى ان ابرهة اخذ لعبد المطلب مائتي بعير فخرج اليه فيها
فعظم في عينيه وكان رجلا جسيما وسيما وقيل هذا سيد قريش وصاحب عير مكة الذى يطعم الناس
في السهل والوحوش في رؤس الجبال فلما ذكر حاجته قال سقطت من عيني جئت لاهدم البيت الذى
هو دينك ودين ابائك وشرفك في قديم الدهر فالهاك عنه ذود اخذ لك فقال انا رب الابل
وللبيت رب سيمنعه ثم رجع الم يجعل كيدهم في تضليل في تضييع وابطال يقال ضلل كيده اذا جعله
ضالا ضائعا وقيل لامرء القيس الملك الضليل لانه ضلل ملك ابيه اى ضيعه يعنى انهم كادوا البيت
اولا ببناء القليس ليصرفوا وجوه الحاج اليه فضلل كيدهم بايقاع الحريق فيه وكادوا ثانيا بارادة هدمه

فضلل بارسال الطير عليهم وارسل عليهم طيرا ابابيل خرايق الواحده ابالة قال الزجاج جماعات من ههنا
وجماعات من ههنا ترميهم وقراء ابو حنيفة رض يرميهم اى الله او الطير لانه اسم جمع مذكر وانما يؤنث
على المعنى بحجارة من سجيل هو معرب من سنك كل وعليه الجمهور اى الاجر فجعلهم كعصف ماكول زرع
اكله الدود سورة قريش مكية وهى اربع ايات بسم الله الرحمن الرحيم
لايلاف قريش متعلق بقوله فليعبدوا امرهم ان يعبدوه لاجل ايلافهم الرحلتين ودخلت الفاء لما
فى الكلام من معنى الشرط اى ان نعم الله عليهم لاتحصى فان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لهذه الوحدة
التى هى نعمة ظاهرة او بما قبله اى فجعلهم كعصف ماكول لايلاف قريش يعنى ان ذلك الاتلاف لهذا
الايلاف وهذا كالتضمين فى الشعر وهو ان يتعلق معنى البيت بالذى قبله تعلقا لايصح الا به وهما فى
مصحف ابى سورة واحدة بلا فصل ويروى عن الكسائى ترك التسمية بينهما والمعنى انه اهلك الحبشة
الذين قصدوهم ليسامع الناس بذلك فيحترموهم فضل احترام حتى ينتظم لهم الامر فى رحلتيهم
فلا يجترى احد عليهم وقيل المعنى اعجبوا لايلاف قريش لالاف شامى لئلا تقرء قريش وقيل يقال الفه
الفا والافا وقريش ولد النضر بن كنانة تسموا بتصغير القرش وهو دابة عظيمة فى البحر تعبث
بالسفن فلا تطاق الا بالنار والتصغير للتعظيم فسموا بذلك لشدتهم ومنعتهم تشبيها بها وقيل
من القرش وهو الجمع والكسب لانهم كانوا كسابين بتجاراتهم وضربهم فى البلاد ايلافهم رحلة
الشتاء والصيف اطلق الايلاف ثم ابدل عنه المقيد بالرحلتين تفخيما لامر الايلاف وتذكيرا لعظم
النعمة فيه ونصب الرحلة بايلافهم مفعولا به واراد رحلة الشتاء والصيف فافرد لامن الالباس
وكان لقريش رحلتان يرحلون فى الشتاء الى اليمن وفى الصيف الى الشام فيمتارون ويتجرون
وكانوا فى رحلتيهم آمنين لانهم اهل حرم الله فلا يتعرض لهم وغيرهم يغار عليهم فليعبدوا رب
هذا البيت الذى اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف والتنكير فى جوع وخوف لشدتهما يعنى اطعمهم
بالرحلتين من جوع شديد كانوا فيه قبلهما وآمنهم من خوف عظيم وهو خوف اصحاب الفيل او خوف
التخطف فى بلدهم ومسايرهم وقيل كانوا قد اصابتهم شدة حتى اكلوا الجيف والعظام وآمنهم من خوف
الجذام فلا يصيبهم ببلدهم وقيل ذلك كله بدعاء ابراهيم عليه السلام سورة الماعون مختلف
فيها وهى سبع ايات بسم الله الرحمن الرحيم ارايت الذى يكذب

بالدين

بالدين اى هل عرفت الذى يكذب بالجزاء من هو ان لم تعرفه فذلك الذى يكذب بالجزاء هو الذى
يدع اليتيم يدفعه دفعا عنيفا بجفوة واذى ويرده ردا قبيحا بزجر وخشونة ولا يحض على طعام
المسكين ولا يبعث اهله على بذل طعام المسكين جعل علم التكذيب بالجزاء منع المعروف والاقدام
على ايذاء الضعيف اى لو آمن بالجزاء وايقن بالوعيد لخشى الله وعقابه ولم يقدم على ذلك فحين
اقدم عليه دل انه مكذب ثم وصل به قوله فويل للمصلين الذين هم عن صلوتهم ساهون الذين
هم يراؤن ويمنعون الماعون يعنى بهذا المنافقين اى لا يصلونها سرا لانهم لا يعتقدون وجوبها
ويصلونها علانية ورياء وقيل فويل للمنافقين الذين يدخلون انفسهم فى جملة المصلين صورة
وهم غافلون عن صلوتهم لانهم لا يريدون بها قربة الى ربهم ولا تادية للفرض فهم ينخفضون
ويرتفعون ولا يدرون ماذا يفعلون ويظهرون للناس انهم يؤدون الفرائض ويمنعون
الزكوة وما فيه منفعة وعن انس والحسن الحمد لله الذى قال عن صلوتهم ولم يقل فى صلوتهم
لان معنى عن انهم ساهون عنها سهو ترك لها وقلة التفات اليها وذلك فعل المنافقين ومعنى
فى ان السهو يعتريهم فيها بوسوسة شيطان او حديث نفس وذلك لا يخلو عنه مسلم وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقع له السهو فى صلوته فضلا عن غيره والمراءة مفاعلة من الاراءة لان المرائى يرى
الناس عمله وهم يرونه الثناء عليه والاعجاب به ولا يكون الرجل مرائيا باظهار الفرائض فمن
حقها الاعلان بها لقوله عليه الصلوة والسلام ولا غمة فى فرائض الله والاخفاء فى التطوع اولى
فان اظهره قاصدا للاقتداء به كان جميلا والماعون الزكوة وعن ابن مسعود ما يتعاور فى
العادة من الفاس والقدر والدلو والمقدحة ونحوها وعن عائشة رضى الله عنها الماء والنار
والملح سورة الكوثر مكية وهى ثلث ايات بسم الله الرحمن الرحيم
انا اعطيناك الكوثر هو فوعل من الكثرة وهو المفرط الكثرة قيل هو نهر فى الجنة احلى من العسل
واشد بياضا من اللبن وابرد من الثلج والين من الزبد حافتاه الزبرجد واوانيه من فضة وعن
ابن عباس رض هو الخير الكثير فقيل له فان ناسا يقولون هو نهر فى الجنة فقال هو من الخير الكثير
فصل لربك فاعبد ربك الذى اعزك باعطائه وشرفك وصانك من منن الخلق مراغما لقومك
الذى يعبد غير الله وانحر لوجهه وباسمه اذا نحرت مخالفا لعبدة الاوثان فى النحر لها ان شانئك ان

من ابغضك من قومك لمخالفتك لهم هو الابتر المنقطع من كل خير لا انت لان كل من يولد الى يوم
القيمة من المومنين فهم اولادك واعقابك وذكرك مرفوع على المنابر وعلى لسان كل عالم وذاكر الى اخر
الدهر يبدء بذكر الله ويثني بذكرك ولك في الاخرة ما لا يدخل تحت الوصف فمثلك لا يقال له
الابتر وانما الابتر هو شانئك المنسي في الدنيا والاخرة وقيل نزلت في عاص بن وائل وقد سماه
الابتر والابتر الذي لا عقب له وهو خبر ان وهو ضمير فصل سورة الكافرون مكية وهي ست ايات
بسم الله الرحمن الرحيم قل يا ايها الكافرون المخاطبون كفرة
مخصوصون قد علم الله انهم لا يؤمنون روي ان رهطا من قريش قالوا يا محمد هلم فاتبع دينا
ونتبع دينك تعبد الهتنا سنة ونعبد الهك سنة فقال معاذ الله ان اشرك بالله غيره فقالوا
فاستلم بعض الهتنا نصدقك ونعبد الهك فنزلت فغدا الى المسجد الحرام وفيه الملاء من قريش
فقرءها عليهم فايسوا لا اعبد ما تعبدون اي لست في حالي هذه عابدا ما تعبدون ولا انتم عابدون
الساعة ما اعبد يعني الله ولا انا عابد ولا اعبد فيما استقبل ما عبدتم ولا انتم فيما تستقبلون عابدون
ما اعبد وذكر لفظ ما لان المراد به الصفة اي لا اعبد الباطل ولا تعبدون الحق او ذكر بلفظ ما
ليتقابل اللفظان ولم يصح في الاول من وصح في الثاني ما بمعنى الذي لكم دينكم ولي دين لكم شرككم
ولي توحيدي وبفتح الياء نافع وحفص وروي ان ابن مسعود رض دخل المسجد والنبي عليه الصلوة
والسلام جالس فقال له نابذيا ابن مسعود فقرء قل يا ايها الكافرون ثم قال له في الركعة الثانية
اخلص فقرء قل هو الله احد فلما سلم قال يا ابن مسعود سل تجب سورة النصر مدنية وهي
ثلث ايات بسم الله الرحمن الرحيم اذا منصوب بسبح وهو لما
يستقبل والاعلام بذلك قبل كونه من اعلام النبوة وروي انها نزلت في ايام التشريق بمنى في حجة
الوداع جاء نصر الله والفتح النصر الاعانة والاظهار على العدو والفتح فتح البلاد والمعنى نصر رسول الله
صلى الله عليه وسلم على العرب او على قريش وفتح مكة او جنس نصر الله للمومنين وفتح بلاد الشرك
عليهم ورايت الناس يدخلون هو حال من الناس على ان رايت بمعنى ابصرت او عرفت او مفعول
ثان على انه بمعنى علمت في دين الله افواجا هو حال من فاعل يدخلون وجواب اذا فسبح اي اذا
جاء نصر الله اياك على من ناواك وفتح البلاد ورايت اهل اليمن يدخلون في ملة الاسلام جماعات

كثيرة بعد ما كانوا يدخلون فيه واحدا واحدا واثنين اثنين فسبح بحمد ربك فقل سبحان الله حامدا
له او فصل له واستغفره تواضعا وهضما للنفس او دم على الاستغفار انه كان لم يزل توابا ويروى
ان عمر رض لما سمعها بكى وقال الكمال دليل الزوال وعاش عليه الصلوة والسلام بعدها سنتين
سورة اللهب مكية وهي خمس ايات بسم الله الرحمن الرحيم
تبت يدا ابي لهب التباب الهلاك ومنه قولهم اشابة ام تابة اي هالكة من الهرم والمعنى هلكت
يداه لانه فيما يروى اخذ حجرا ليرمي به رسول الله صلى الله عليه وسلم وتب وهلك كله او جعلت
يداه هالكتين والمراد هلاكه جملته كقوله بما قدمت يداك ومعنا وتب وكان ذلك وحصل كقوله
جزاني جزاه الله شر جزاء الكلاب العاويات وقد فعل وقد دل عليه قراءة ابن مسعود وقد
تب روي انه لما نزل وانذر عشيرتك الاقربين رقي الصفا وقال يا صباحاه فاستجمع اليه الناس
من كل اوب فقال يا بني عبد المطلب يا بني فهر ان اخبرتكم ان بسفح هذا الجبل خيلا اكنتم مصدقي
قالوا نعم قال فاني نذير لكم بين يدي الساعة فقال ابو لهب تبا لك الهذا دعوتنا فنزلت و
انما كناه والتكنية تكرمة لاشتهاره بها دون الاسم او لكراهة اسمه فاسمه عبد العزى او لان ماله
الى نار ذات لهب فوافقت حاله كنيته ابي لهب مكي ما اغنى عنه ماله ما للنفي وما كسب
مرفوع وما موصولة او مصدرية اي ومكسوبه او كسبه اي لم ينفعه ماله الذي ورثه من ابيه
والذي كسبه بنفسه او ماله التالد والطارق وعن علي رض وابن عباس رض ما كسب ولده وروي
انه كان يقول ان كان ما يقول ابن اخي حقا فانا افتدي منه نفسي بمالي وولدي سيصلى نارا سيدخل
سيصلى البرجمي عن ابي بكر والسين للوعيد اي هو كائن لا محالة وان تراخى وقته ذات لهب توقد
وامرأته هي ام جميل بنت حرب اخت ابي سفيان حمالة الحطب كانت تحمل حزمة من الشوك والحسك
فتنثرها بالليل في طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل كانت تمشي بالنميمة فتشعل نار العداوة
بين الناس ونصب عاصم حمالة على الشتم وانا احب هذه القراءة وقد توسل الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم بجميل من احب شتم ام جميل وعلى هذا يسوغ الوقف على امرأته لانها عطفت
على الضمير في سيصلى هو وامرأته والتقدير اعني حمالة الحطب وغيره رفع حمالة على انها خبر وامرأته
او هي حالة في جيدها حبل من مسد حال او خبر آخر والمسد الذي فتل من الحبال فتلا شديدا من ليف

كان اوجلدا وغيرهما والمعنى فى جيدها حبل مما مسد من الحبال وانها تحمل تلك الحزمة من الشوك
وتربطها فى جيدها كما يفعل الحطابون تحقيرا لها وتصويرا لها بصورة بعض الحطابات بالتجزع من ذلك
ويجزع بعلها وهما فى بيت العز والشرف وفى منصب غنا الشروة والجد سورة الاخلاص مكية

عند الجمهور وهى اربع ايات بسم الله الرحمن الرحيم

قل هو الله احد هو ضمير الشان والله احد هو الشان كقولك هو زيد منطلق كانه قيل الشان
هذا وهو ان واحد لا ثانى له ومحل هو الرفع على الابتداء والخبر هو الجملة ولا تحتاج الى الراجع
لانها فى حكم المفرد فى قولك زيد غلامك فى انه هو المبتدا فى المعنى وذلك ان قوله الله احد هو
الشان الذى هو عبارة عنه وليس كذلك زيد ابوه منطلق فان زيد والجملة يدلان على معنيين
مختلفين فلا بد مما يصل بينهما وعن ابن عباس رض قالت قريش يا محمد صف لنا ربك الذى تدعونا
اليه فنزلت يعنى الذى سالتمونى وصفه هو الله وعلى هذا احد خبر مبتداء محذوف اى هو احد
وهو بمعنى واحد واصله وحد فقلبت الواو همزة لوقوعها طرفا والدليل على انه واحد من جهة
العقل ان الواحد اما ان يكون فى تدبير العالم وتخليقه كافيا او لا فان كان كافيا كان الاخر ضايعا
غير محتاج وذلك نقص والناقص لا يكون الها وان لم يكن كافيا فهو ناقص ولان العقل يقتضى
احتياج المفعول الى فاعل والفاعل الواحد كاف وما وراءه فليس عدد اولى من عدد فيفضى
ذلك الى وجود اعداد لا نهاية لها وذا محال فالقول بوجود الهين محال ولان احدهما اما
ان يقدر على ان يستر شيا من افعاله عن الاخر او لا يقدر فان قدر لزم كون المستور عنه جاهلا
وان لم يقدر لزم عاجزا ولانا لو فرضنا معدوما ممكن الوجود فان لم يقدر واحد منهما على
ايجاده كان كل واحد منهما عاجزا والعاجز لا يكون الها وان قدر احدهما دون الاخر فالاخر لا يكون
الها وان قدرا جميعا فاما ان يوجد بالتعاون فيكون كل واحد منهما محتاجا الى اعانة الاخر فيكون
كل واحد منهما عاجزا وان قدر كل واحد منهما على ايجاده بالاستقلال فاذا اوجد احدهما فاما ان
يبقى الثانى قادرا عليه وهو محال لان ايجاد الموجود محال وان لم يبق فح يكون الاول مزيلا قدرة
الثانى فيكون عاجزا ومقهورا تحت تصرفه فلا يكون الها فان قلت الواحد اذا اوجد مقدوره بنفسه
فقد زالت قدرته فيلزمكم ان يكون هذا الواحد قد جعل نفسه عاجزا قلنا الواحد اذا اوجد مقدوره

نفسه

نفسه فقد نفذت قدرته ومن نفذت قدرته لا يكون عاجزا واما الشريك فانه لم تنفذ قدرته
بل زالت قدرته بسبب قدرة الاخر فكان ذلك تعجيزا الله الصمد هو فعل بمعنى مفعول من صمد اليه
اذا قصده وهو السيد المصمود اليه فى الحوايج والمعنى هو الله الذى يعرفونه ويقرون بانه خالق
السموات والارض وخالقكم وهو واحد لا شريك له وهو الذى يصمد اليه كل محتاج مخلوق لا
يستغنون عنه وهو الغنى عنهم لم يلد لانه لا يجانس حتى تكون له من جنسه صاحبة فيتوالدوا وقد
دل على هذا المعنى بقوله انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة ولم يولد لان كل مولود محدث وجسم
وهو قديم لا اول لوجوده ان لو لم يكن قديما لكان حادثا لعدم الواسطة بينهما ولو كان حادثا لافتقر
الى محدث وكذا الثانى والثالث يؤدى الى التسلسل وهو باطل وليس بجسم لانه اسم للمركب ولا يخلو
حينئذ من ان يتصف كل جزء منه بصفات الكمال فيكون كل جزء الها فيفسد القول به كما فسد
بالهين او غير متصف بها بل باضدادها من سمات الحدوث وهو محال ولم يكن له كفوا احد ولم يكافه
احد اى لم يماثله سالوه ان يصفه لهم فاوحى اليه ما يحتوى على صفاته تعالى فقوله هو الله اشارة
الى انه خالق الاشياء وفاطرها وفى ذلك وصفه بانه قادر عالم لان الخلق يستدعى القدرة و
العلم لكونه واقعا على غاية احكام واتساق وانتظام وفى ذلك وصفه بانه حى لان المتصف بالقدرة
والعلم لا بد وان يكون حيا وفى ذلك وصفه بانه سميع بصير مريد متكلم الى غير ذلك من صفات
الكمال اذ لو لم يكن موصوفا بها لكان موصوفا باضدادها وهى نقايص وذا وامارات الحدوث
فيستحيل اتصاف القديم بها وقوله وصف بالوحدانية ونفى الشريك وبانه المنفرد بايجاد
المعدومات والمتوحد بعلم الخفيات وقوله الصمد وصف بانه ليس الا محتاجا اليه واذا لم يكن
الا محتاجا اليه فهو غنى لا يحتاج الى احد ويحتاج اليه كل احد وقوله لم يلد نفى للشبه والمجانسة
وقوله ولم يولد نفى للحدوث ووصف ما تقدم والاولية وقوله ولم يكن له كفوا احد نفى ان يماثله
شئ ومن زعم ان نفى الكفو وهو المثل فى الماضى لم يكن فى الحال ضرورة اذ الحادث لا يكون كفوا
للقديم وحاصل كلام الكفرة يؤول الى الاشراك والتشبيه والتعطيل والسورة تدفع الكل كما قررناه
استحسن سيبويه تقديم الظرف اذا كان الظرف مستقرا اى خبرا لانه لما كان محتاجا اليه قدم
ليعلم من اول الامر انه خبر لا فضلة وتاخيره اذا كان لغوا اى فضلة لان التاخير مستحق للفضلات

وانما قدم في الكلام الافصح لان الكلام مسوق لنفي المكافات من ذات الباري سبحانه وهذا المعنى
مصبه ومركزه هو هذا الظرف فكان الاهم تقديمه وكان ابو عمرو يستحب الوقف على احد ولا
يستحب الوصل قال عبد الوارث على هذا ادركنا القراءة واذا وصل نون وكسر او حذف التنوين
كقراءة عزير بن عبد الله كفؤا بسكون الفاء والهمزة حمزة وخلف كفوا متقلة غير مهموزة
حفص الباقون متقلة مهموزة وفي الحديث من قرأ سورة الاخلاص فقد قرأ ثلث القران لان
القران يشتمل على توحيد الله وصفاته وعلى الاوامر والنواهي وعلى القصص والمواعظ وهذه
السورة تجردت التوحيد والصفات فقد تضمنت ثلث القرآن وفيه دليل شرف علم التوحيد
وكيف لا يكون كذلك والعلم يشرف بشرف المعلوم ويتضع بضعته ومعلوم هذا العلم هو الله
وصفاته وما يجوز عليه وما لا يجوز عليه فما ظنك بشرف منزلته وجلالة محله اللهم احشرنا في
زمرة العالمين بك العاملين لك الراجين لثوابك الخايفين من عقابك المكرمين بلقايك وسمع
رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يقرأ قل هو الله احد فقال وجبت فقيل يا رسول الله وما
وجبت قال وجبت له الجنة

سورة الفلق مكية او مدنية وهي خمس آيات بسم الله الرحمن الرحيم

قل اعوذ برب الفلق اي الصبح او الخلق او هو واد في جهنم او جب فيها من شر ما خلق اي النار
او الشيطان وما موصولة والعايد محذوف او مصدرية ويكون الخلق بمعنى المخلوق وقرأ ابو حنيفة
رحمه الله من شر بالتنوين وما على هذا مع الفعل بتاويل المصدر في موضع الجر بدل من شر اي شر
خلقه اي من خلقه شر او زايدة ومن شر غاسق اذا وقب الغاسق الليل اذا اكتنف ظلامه ووقوبه
دخول ظلامه في كل شي وعن عايشة رضي الله عنها اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي
فاشار الى القمر فقال تعوذي بالله من شر هذا فانه الغاسق اذا وقب ووقوبه دخوله في الكسوف
واسوداده ومن شر النفاثات في العقد النفاثات النساء او النفوس او الجماعات السواحر التي
يعقدن عقدا في خيوط وينفثن عليها ويرقين والنفث النفخ مع ريق وهو دليل على بطلان
قول المعتزلة في انكار تحقق السحر وظهور اثره ومن شر حاسد اذا حسد اي اذا اظهر حسده وعمل
بمقتضاه لانه اذا لم يظهر فلا ضرر يعود منه على حسده بل هو الضار لنفسه لاغتمامه بسرور غيره
وهو الاسف على الخير عند الغير والاستعاذة من شر هذه الاشياء بعد الاستعاذة من شر ما خلق

٧ ذكره

اشعار

اشعار بان شر هولاء اشد وختم بالحسد ليعلم انه شرها وهو اول ذنب عصي الله به في السماء
من ابليس وفي الارض من قابيل وانما عرف بعض المستعاذ منه ونكر بعضه لان كل نفاثة شريرة
فلهذا عرفت النفاثات ونكر غاسق لان كل غاسق لا يكون فيه الشر وانما يكون في بعض دون بعض
وكذلك كل حاسد لا يضر ورب حسد يكون محمودا كالحسد في الخيرات

سورة الناس مختلف فيها وهي ست آيات بسم الله الرحمن الرحيم

قل اعوذ برب
الناس اي مربيهم ومصلحهم ملك الناس مالكهم ومدبر امورهم اله الناس معبودهم ولم يكتف
باظهار المضاف اليه مرة واحدة لان قوله تعالى ملك الناس اله الناس عطف بيان لرب الناس لانه
قد يقال لغيره رب الناس وملك الناس واما اله الناس فخاص لا شركة فيه وعطف البيان للبيان
فكان مظنة للاظهار دون الاضمار وانما اضيف الرب الى الناس خاصة وان كان رب كل مخلوق
تشريفا لهم ولان الاستعاذة وقعت من شر الموسوس في صدور الناس فكانه قيل اعوذ من
شر الموسوس الى الناس بربهم الذي يملك عليهم امورهم وهو الههم ومعبودهم وقيل المراد
بالاول الاطفال لان معنى الربوبية يدل عليه وبالثاني الشباب ولفظ الملك المنبي من السياسة يدل
عليه وبالثالث الشيوخ ولفظ الاله المنبي من العبادة يدل عليه وبالرابع الصالحون اذ الشيطان
مولع باغوائهم وبالخامس المفسدون لعطفه على المتعوذ منه من شر الوسواس هو اسم بمعنى الوسوسة
كالزلزال بمعنى الزلزلة واما المصدر فوسواس بالكسر كالزلزال والمراد به الشيطان سمي بالمصدر
كانه وسوسة في نفسه لانها شغله الذي هو عاكف عليه او اريد ذو الوسواس والوسوسة
الصوت الخفي الخناس الذي عادته ان يخنس منسوب الى الخنوس وهو التاخر كالعواج والبتات
لما روي عن سعيد بن جبير اذا ذكر الانسان ربه خنس الشيطان وولى واذا غفل رجع ووسوس
اليه الذي يوسوس في صدور الناس في محل الجر على الصفة او الرفع او النصب على الشتم وعلى هذين
الوجهين يجوز الوقف على الخناس من الجنة والناس بيان للذي يوسوس على ان الشيطان ضربان
جني وانسي كما قال شياطين الانس والجن وعن ابي ذر رضي الله عنه انه قال لرجل هل تعوذت
بالله من شيطان الانس وروي انه عليه الصلوة والسلام سحر فمرض فجاءه ملكان وهو نايم فقال
احدهما لصاحبه ما بال الرجل فقال طب ثم قال ومن طبه قال لبيد بن اعصم اليهودي قال وبم طبه قال

بمشط ومشاطة في جف طلعة تحت راعوفة في بير ذي اروان فانتبه صلى الله عليه وسلم فبعث زبيرا

وعليا وعمارا رضي الله عنهم فنزحوا ماء البير واخرجوا الجف فاذا فيه مشاطة رأسه واسنان

من مشطه واذا فيه وتر معقد فيه احدى عشر عقدة مغروزة بالابر فنزلت هاتان السورتان

فكلما قرأ جبرئيل عليه السلام آية انحلت عقدة حتى قام عليه الصلوة والسلام عند انحلال العقدة

الاخيرة كانما انشط من عقال وجعل جبرئيل عليه السلام يقول بسم الله ارقيك والله يشفيك

من كل داء يؤذيك ولهذا جوز الاسترقاء بما كان من كتاب الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم

لا بما كان بالسريانية والعبرانية والهندية فانه لا يحل اعتقاده والاعتماد عليه ونعوذ بالله من

شرور انفسنا ومن سيات اعمالنا واقوالنا ومن شر ما عملنا وما لم نعمل ونشهد ان لا اله الا الله وحده

لا شريك له ونشهد ان محمدا عبده ورسوله ونبيه وصفيه ارسله بالهدى ودين الحق

ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون وصلى الله على خير خلقه واله

مصابيح الانام واصحابه مفاتيح دار السلام

قد وقع الفراغ من تسويد هذه النسخة الشريفة

المسمى بالمدارك التنزيل في يوم الجمعة

التاسع من شهر شوال سنة ١١٠٧

سنة الف ومائة وسبعة

من الهجرة النبوية عليه

افضل الصلوة واكمل

التحيات

بمشط ومشاطة في حق طلعة تحت راعونة في بير ذي اروان فانتبه صلى الله عليه وسلم فبعث زبيرا
وعليا وعمارا رضي الله عنهم فنزحوا ماء البير واخرجوا الجف فاذا فيه مشاطة راسه واسنان
من مشطه واذا فيه وتر معقد فيه احدى عشر عقدة مغروزة بالابر فنزلت هاتان السورتان
فكلما قراء جبرئيل عليه السلام اية انحلت عقدة حتى قام عليه الصلوة والسلام عند انحلال العقدة
الاخيرة كانما انشط من عقال وجعل جبرئيل عليه السلام يقول بسم الله ارقيك والله يشفيك
من كل داء يوذيك ولهذا جوز الاسترقاء بما كان من كتاب الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم
لا بما كان بالسريانية والعبرانية والهندية فانه لا يحل اعتقاده والاعتماد عليه ونعوذ بالله من
شرور انفسنا ومن سيات اعمالنا واقوالنا ومن شر ما عملنا وما لم نعمل ونشهد ان لا اله الا الله وحده
لا شريك له ونشهد ان محمدا عبده ورسوله ونبيه وصفيه ارسله بالهدى ودين الحق
ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون وصلى الله على خير خلقه واله
مصابيح الانام واصحابه مفاتيح دار السلام ...

قد وقع الفراغ من تسويد هذه النسخة الشريفة
المسمى بالمدارك التنزيل في يوم الجمعة
التاسع من شهر شوال سنة ١١٠٧
سنة الف ومائة وسبعة
من الهجرة النبوية عليه
افضل الصلوة واكمل
التحيات